
قرة العينين
على
تفسير الجلالين
للقاضي
الشيخ محمد أحمد كنعان
رئيس المحكمة الشرعية السنية العليا في لبنان
دار البشائر الإسلامية

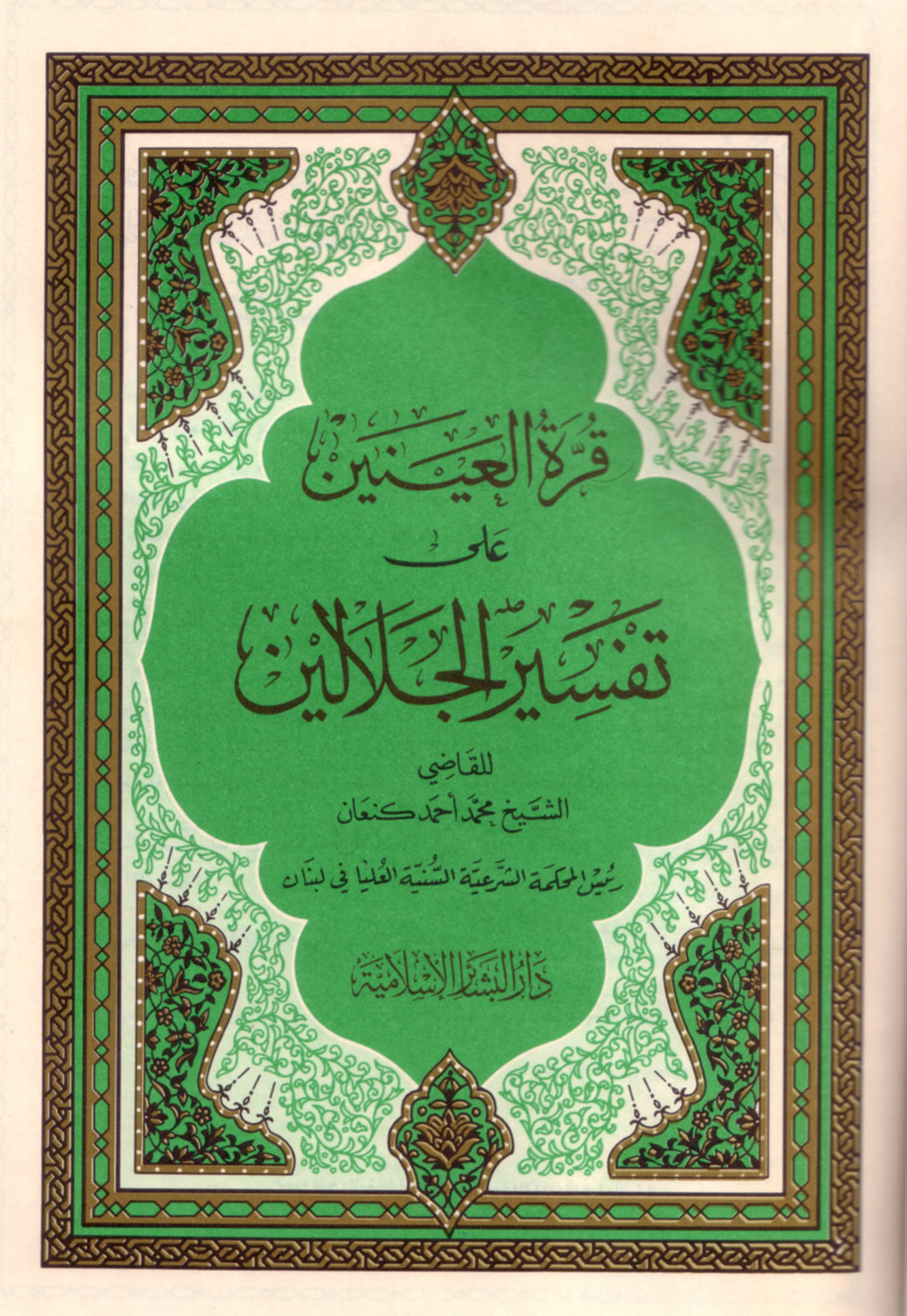

بسم الله الرحمن الرحيم

الطّبعَة السّادسَة

١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

أُعِيدَ تنضيد حروفها وترتيبها
بعد أن عاد المؤلف النظر في التفسير والحواشي

شركة دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع ش. م. م
أسسها الشيخ رمزي دمشقية رحمه الله تعالى سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥ هاتف: ٧٠٢٨٥٧
فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣ e-mail: bashaer@cyberia.net.lb


قرة العينين
على
تفسير الجلالين
للقاضي
الشيخ محمد أحمد كنعان
رئيس المحكمة الشرعية السنية العليا في لبنان
دار البشائر الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

الادارة العامة
لشئون المصاحف ومراقبة المطبوعات

الرقم ٥/٩١٢
التاريخ ١٦/٧/١٤٠٥
المرفقات
الموضوع

المكرم سعادة صاحب مكتبة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

فاجابة لكتابكم رقم بدون و تاريخ ٢/٥/١٤٠٥هـ و مرفقه القرآن الكريم و بهامشه قرة العينين على تفسير الجلالين للقاضي محمد احمد كنعان

و افيد سعادتكم انه تمت دراسة القرآن الكريم الذى بهامشه قرة العينين على تفسير الجلالين واتضح ما يلي :-

١- طباعة المصحف بالرسم العثماني و طباعته جيدة وعدد صفحاته ٨٢٧ تضم الصفحة ١٢سطرا ،

٢- التعليق على تفسير الجلالين مفيد فيه تفنيد للقصص المزعومة بشأن الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام و استدرك على الامامين الجليلين بعض العبارات فى التفسير فاضاف اليها بعض البيانات و جعلها بين قوسين ،

لذا لا مانع من فسح الكمية الموجودة لديكم من كتاب (قرة العينين على تفسير الجلالين) اذا كانت مطابقة للعينة المذكورة وقد تم حفظ العينة لدينا للرجوع اليها عند الحاجة.

وفق الله الجميع لما فيه رضاه و خدمة كتابه الكريم و شرعه المطهر انه سميع قريب والسلام عليكم و رحمة الله وبركاته.

مدير الادارة العامة
لشئون المصاحف ومراقبة المطبوعات

عبد الله بن ردن البداح

صورة فسح رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد
في المملكة العربية السعودية

بيان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حَمْداً يُوَافي نِعَمَهُ، ويُدَافِعُ نِقَمَهُ، ويُكافِىءُ مَزِيدَهُ.

والصلاةُ والسلامُ على سيِّد ولدِ آدمَ، خاتَمِ النَّبيين، سيدنا محمدٍ، النبيِّ الأُمِّيِّ، العربيِّ، الهاشميِّ، وعلى آلِ بيته وأصحابه أجمعين.

أمَّا بعدُ: فلقد أَكْرَمَنَا اللَّهُ عز وجل بخدمة كتابه العزيز، ومَنَّ علينا بنعمة النَّظَر في علومه وتفاسيره، ويَسَّرَ لنا إخراجَ أربعةٍ من التفاسير ــ حتى الآن ــ هي:

١ ــ «قُرَّةُ العينين على تفسير الجلالين»، وهو هذا الكتاب.

٢ ــ «التفسير المختصر المفيد للقرآن المجيد» في ثلاثة مجلدات، وهو مختصرٌ لتفسير «المنار» للسيد محمد رشيد رضا رحمه الله تعالى.

٣ ــ «مواهبُ الجليل من تفسير البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل» وقد طُبع على هامش المصحف الشريف.

٤ ــ «فتح القدير، تهذيبُ تفسير الحافظ ابن كثير» في ستة مجلدات ما عدا الفهارس.

وقد انتشرت أعمالُنا العلميةُ هذه، وغيرُها من مؤلَّفاتنا، انتشاراً واسعاً، ولاَقَتْ بفضل الله تعالى، الاستحسانَ والثناءَ، من العلماء الأَجلاَّءِ، إلاَّ ما كان مِنْ حاسدٍ مُتَكَسِّبٍ بالعلم، لم يَرَ مساوىءَ «تفسير الجلالين» إلاَّ بعد أن جعلناه «قُرَّةً للعينين».

وها نحن نُقَدِّم هذا الكتابَ من جديد بعد أن أَعَدْنا النظر فيه، وفي تعليقاتنا عليه، غيرَ مُغْفِلين ما وَصَلَنَا من نصائح الأفاضل.

سائلين اللَّهَ عزَّ وجلَّ: أن يُثَبِّتنا وجميعَ المؤمنين، بالقول الثابت، في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

وكُتِبَ في مدينة بيروت عام ١٤١٤هـ.

محمد كنعان

مُقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿**الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً**﴾، أحمده حمداً يوافي نعمه ويكافىء مزيده، وأشهد أن لا إلٰه إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: فإن «تفسير الجلالين» من أوجز التفاسير وأدقِّها عبارة، قال عنه في «كشف الظُّنون»: «وهو ــ مع كونه صغير الحجم ــ كبير المعنى، لأنه لبُّ لباب التفاسير»، لذلك اعتبره العلماء تفسيراً للمنتهين من طلبة العلم لا للمبتدئين منهم، ولا عجب في ذلك، فلقد تضمن تفسيراً للآيات بعبارات مختصرة موجزة، اكتُفِيَ في كثير منها بالتلميح والإشارة، واعتنى مؤلفاه رحمهما الله تعالى اعتناءً كبيراً ببيان وجوه القراءات والإعراب، حتى بات هذا التفسير خلاصةً من خلاصات العلوم، لا يستفيد منه الفائدة المرجوَّة، ولا يدرك قيمته سوى طلبة العلم بين أيدي العلماء.

ولكنه ــ مع ما فيه من فوائد ــ لم يَخْلُ من إسرائيليات وروايات لا أصل لها، وأحاديث ضعيفة الإسناد أو موضوعة، نقلها كلا الجلالين من دون بيان ولا تنبيه، فأساءت هذه القصص والأخبار الباطلة إلى محاسن هذا التفسير ومكانته، ومع ذلك فقد انتشر انتشاراً واسعاً بسبب طباعته على هوامش المصحف الشريف، الأمر الذي دفع أكثر الراغبين في الحصول على نسخة من كتاب الله تعالى، إلى اختيارها مهمَّشَة بتفسير الجلالين، فتهافتت مؤسسات الطباعة والنشر على طباعته وتوزيعه بأعداد كبيرة، من دون تنبيه أو انتباه إلى ما فيه، فلم نجد من بين دور النشر كافة مَنْ اعتنى بهذا التفسير كما هو الواجب ــ حتى الآن ــ، لا من حيث المعنى: ببيان ما فيه من إسرائيليات وتفسيرات غير دقيقة، ليعرف القارىء وَجْهَ الصواب، فلا يقع في اعتقاد باطل، أو يفهم معنى غير صحيح لآية من كتاب الله عز وجل، ولا من حيث النص: بتحقيقه وضبطه، وتحرير عبارة مؤلِّفَيْهِ «الجلالين» رحمهما الله تعالى.

والغريبُ في الأمر أن ينتشر هذا التفسير كلَّ هذا الانتشار، وتسمحَ السلطات في جميع بلاد المسلمين بتداوله، مع ما فيه من إسرائيليات وقصص باطلة، وأخبار موضوعة.

إننا في سياق قولنا هذا، ننبه المسلمين جميعاً إلى أمر خطير متروك في عصرنا، ألا وهو: عدم الاهتمام بتنقيح المؤلفات والكتب ــ وفي أوَّلها كتب التفسير ــ فإن هذا العمل واجبُ الحكام والمسؤولين من حيث طلبُهُ والأمر به، لأنه يحتاج إلى جهد كبير ومال وفير، أما التذكير بهذا الواجب والمساهمةُ في إنجازه والقيامُ به فهو واجب العلماء، كل حسب طاقته واستطاعته.

لذلك رأيتُ واجباً عليَّ، بعد أن اطلعت على ما في «تفسير الجلالين» من فوائد مجهولة وغامضة، وما فيه بالمقابل من إسرائيليات وقصص وأقوال غير صحيحة، أن أقوم بمراجعته وقراءته على مهل، فأقبلت على العمل فيه بقراءة دقيقة وتحقيق هادىء، فتوقفت عند كل جملة غير مستقيمة المعنى فصوبتُها، أو نقل غير

محقق فبينتُ ما فيه ووجهتُهُ، إلى غير ذلك مما سنبينه في هذه المقدمة، وستراه في الكتاب، وذلك من أجل طباعته من جديد، وتقديمه إلى المسلمين تفسيراً مصوباً، سليماً، منقحاً، يطمئن إليه قلب القارىء، ويرتاح إلى ما فيه فكره. فتنامى هذا العمل وكَبُر، حتى صار جزءاً يتكامل مع التفسير، فسميناه: «قُرة العينين على تفسير الجلالين»[١]، رجاء أن يجعله الله تعالى قرَّة عين لمؤلفه، وناشره، وقارئه[٢].

لقد كان من الأهون عليَّ أن أكتب وأجمع تفسيراً جديداً ــ كما اقترح عليَّ بعض الأفاضل ــ لأنه لن يأخذ من الجهد والوقت ما أخذه هذا العمل، ولكنني لم أرغب في ذلك لسببين:

أولهما: قصور باعنا في هذا الفن، وتَهَيُّبُنا الخوضَ في لُجَّتِه، خوفاً من الوقوع في عثرات خطيرة، كما فعل بعض المعاصرين الذين استهونوا هذا الشأن، فَشَتَّ بهم الفكر، وعثرت أقلامهم عثرات جساماً لا عذر لهم فيها، ولا مبرر يعفيهم من عقابها وعواقبها، من ذلك قول أحدهم في تفسير قوله تعالى: ﴿لا إكراه في الدين﴾: «ولكنه رغم ذلك ترك للناس حرية اختيار الإلٰه الذي يرضونه مصدراً لنظام حياتهم، فلا يكرههم على اختيار الإسلام، بل ترك لهم الحرية» وكأنه ــ وهو المفسر ــ لم يفسِّر قوله تعالى: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ــ أي: شرك ــ ويكون الدين كله لله﴾ (ارجع إلى تعليقنا ص ٥٣)، وتفسير أحدهم: «الأكل من الشجرة» بأنه «العلاقة الجنسية، أي: الجماع بين آدم وحواء عليهما السَّلام»، إلى غير ذلك من الأقوال التي قيلت بدافع من التسرع والعجلة وعدم التحقيق، وأحياناً بدافع التشوُّف إلى التجديد، وإنه لمنزلق خطير.

هذا: مع العلم بأنه لا ينقصنا تفسير جديد، لأن تفاسير القرآن الكريم كثيرة جداً ــ ولله الحمد ــ وقد أخذ بعضها عن بعض، بل الذي ينقصنا هو القراءة الدقيقة الواعية لتلك التفاسير، والرجوعُ في فهم النص القرآني إلى مصادره الموثوقة، لكيلا يقول أحد في كتاب الله برأيه.

أما السبب الثاني: فهو أن أيَّ تفسير جديد لن يحقق الغاية التي نسعى إليها، ألا وهي: تبصير المسلمين بكتاب الله تعالى، ومساعدتُهم على فهم آياته، وتنبيهُهُم إلى ما في هذا التفسير وأمثاله من روايات وأقوال لا يجوز اعتقاد مضمونها، لأن التفسير الجديد لن ينتشر بين أيدي الناس على النحو الذي بلغه «تفسير الجلالين»، فلدينا عدد من التفاسير الحديثة لا يعرفها أكثر الناس، فيكون إصلاح هذا التفسير الواسع الانتشار، مع إبقائه على نحو ما هو عليه الآن بهامش المصحف الشريف، أكثَرَ فائدة، وأعمَّ نفعاً، بل نراه واجباً وجوبَ كفاية، لذلك قمنا بهذا الواجب بفضل الله تعالى وتوفيقه.

---

(١) وممن سمى بهذا الاسم الشيخ عبد الله بن محمد الشَّنْشُوري المتوفى عام ٩٩٩هـ فله كتاب سماه «قرة العينين في مساحة ظرف القُلَّتين»، وكذلك للشيخ مصطفى محمد فاضل بن ماءمَيْن المتوفى عام ١٣٢٨هـ كتاب سماه: «قرة العينين في الكلام على الرؤية في الدارين».

(٢) قال الإمام أبو طالب: «المفضَّل بن سلمة الكوفي» المتوفَّى نحو عام تسعين ومائتين في رسالته:

«غاية الأرب في معاني ما يجري على ألْسُن العامة في محاورتهم وأمثالهم من كلام العرب»:

(قولهم: «أقرَّ الله عينه». قال الأصمعي: المعنى: أبرد الله دمعته، لأن دمعة السرور باردة، ودمعة الحزن حارة، و «أقَرَّ»: مشتق من القَرور وهو الماء البارد، وقال غيره: معنى «أقرَّ الله عينك» أي: صادفتَ ما يرضيك، فتقر عينك من النظر إليه. وقال أبو عمرو: معنى «أقرَّ الله عينه» أنام الله عينه، والمعنى: صادف سروراً أذهب سهره فنام. وقال عمرو بن كلثوم:

بيوم كريهةٍ ضرباً وطعناً ... أقَرَّ به مواليك العيونا

أي: نامت عيونهم لَمَّا ظفروا بما أرادوا منه). اهـ.

وقال ابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث» في مادة «قَرَرَ»: (وفي حديث الاستسقاء: «لو رآك لَقَرَّت عيناه» أي: لَسُرَّ بذلك وفرح)، رواه البيهقي في «دلائل النبوة».

الجلالان

أَلَّف هذا التفسير علمان مشهوران من أعلام الإسلام، لقب كل منهما: «جلال الدين». هما:

١ ــ أبو عبد الله: «محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد المحَلِّي»، نسبة إلى «المحلَّة الكبرى» ــ مدينة في مصر ــ المتوفَّى عام أربعة وستين وثمانمائة (٨٦٤هـ الموافق ١٤٥٩م). وهو الذي فسَّر: «فاتحة الكتاب» ومن أول سورة «الكهف» حتى آخر سورة «الناس».

٢ ــ وأبو الفضل: «عبد الرحمن ابن كمال الدين ــ أبي بكر ــ الأسيوطي، أو: السُّيوطي» ــ نسبة إلى «أُسيوط أو سيُوط» بضم الهمزة والسين[1] إحدى مدن الجنوب في مصر، وتعرف الآن بـ «أسيوط» بفتح الهمزة، المتوفَّى عام أحد عشر وتسعمائة (٩١١هـ الموافق ١٥٠٥م). وهو الذي فسَّر التتمة، أي: من أول سورة «البقرة» إلى آخر سورة «الإسراء»، ــ وقد وَهَمَ صاحب «كشف الظنون» في نسبة هذا القسم إلى الجلال المحلّي ــ ، وكان عمره إذ ذاك اثنتين وعشرين سنة أو أقلَّ منها بشهور، وذلك بعد وفاة الجلال المحلي بست سنين، وكتب ما فسره في أربعين يوماً كما سيأتي في خاتمته.

---

(١) قولهم: «بضم الهمزة والسين». لقد اختلف العلماء في ضبط «الأسيوطي أو السيوطي». على ثلاثة أقوال:

القول الأول: بضم الهمزة والسين نسبة إلى «أسيوط»، قال ابن الأثير في كتابه «اللباب في تهذيب الأنساب»: «الأسيوطي: بضم الألف وسكون السين المهملة وضم الياء المنقوطة بنقطتين من تحت وفي آخرها طاء مهملة بعد الواو، نسبة إلى «أسيوط» وهي بليدة بديار مصر من الريف الأعلى بالصعيد».

ثم قال رحمه الله: «ومنهم من يسقط الألف». ولكنه لم يبين من يفعل ذلك، ولم يذكر وجهاً آخر فيها.

ثم قال: «والمشهور بهذه النسبة: أبو علي الحسن بن علي بن الخضر بن عبد الله الأسيوطي المتوفى سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة. وغيره». اهـ.

وهذا هو الضبط المشهور في نسبة الجلال السيوطي رحمه الله، وهو الذي أورده الفِيرُوزَابَادِي في «القاموس المحيط» وأيده «الزَّبيدي» ــ رحمهما الله ــ في شرحه.

والقول الثاني: بفتح الهمزة، وممن قال به ياقوت الحموي رحمه الله في كتابه: «معجم البلدان»، ومما زاد المسألة إشكالاً أنه تكلم في «أسيوط» وضبطها بفتح الهمزة ــ وبهذا تعرف في أيامنا ــ ولم يذكر قولاً آخر في ضبطها، وقال: هي مدينة في غربي النيل من نواحي صعيد مصر. ونسب إليها «أبا علي الحسن الأسيوطي» الذي ذكره ابن الأثير في «اللباب»، ثم تكلم في موضع آخر في «سيوط» قائلاً:

«هي كورة جليلة في صعيد مصر» ولم يضبطها، ولم يذكر أنها هي «أسيوط» ذاتها أو غيرها، ولكن الظاهر هنا مما يفيده كلام «الزَّبيدي» في شرح القاموس حيث قال: «ولها ــ أي: لأسيوط ــ كورة مضافة إليها مشتملة على قرى جليلة سيأتي ذكر بعضها في هذا الكتاب». اهـ. أن «سيوط» هي هذه الكورة التي ترجم لها في معجم البلدان، فيكون هناك مدينة اسمها «أسيوط»، وكورة ــ أي: ضواحي ــ تابعة لها تدعى «سيوط»، فالنسبة إلى الاسمين واحدة، لذلك يقال: «أسيوطي» و «سيوطي». بالضم فيهما على الأصح.

أما القول الثالث: فهي «أسيوط» بالألف، مضمومة ومفتوحة ومكسورة، و «سيوط» من دون الألف مضمومة ومفتوحة ومكسورة أيضاً، فهي ست لغات.

هذا ما نقله «الزَّبيدي» عن شيخه أبي عبد الله محمد بن الطيب الفاسي المتوفى عام سبعين ومائة بعد الألف. واستغربه الزبيدي، واستغرب أيضاً القول بأنها بفتح الهمزة.

والغريب أيضاً في هذه المسألة: أن يختلف في ضبطها «ابن الأثير» صاحب «اللباب» المتوفى عام ثلاثين وستمائة، و «الحموي» صاحب «معجم البلدان» المتوفى عام ستة وعشرين وستمائة وهما عالمان متعاصران، وأبناء الجيل الواحد لا يختلفون عادة في أسماء المدن المشهورة على هذا النحو.

وعلى كل حال، فإن ما يتعارف عليه الناس في ضبط الأسماء ليس بحجة.

هذا التفسير

لم يضع الجلالان رحمهما الله تعالى لهذا التفسير اسماً، بل عُرف بين العلماء بـ «تفسير الجلالين» وبـ «الجلالين» ــ اختصاراً ــ نسبة إليهما، وسماه بعضهم: «كتاب الجلالين في تفسير القرآن العظيم».

وقد اعتمد الجلالان في تفسيرهما هذا على عدد من التفاسير، أشار إليها الجلال السيوطي رحمه الله في كتابه: «بُغية الوعاة في تراجم اللُّغويين والنُّحاة» عند ترجمته للإمام موفَّق الدين: «أحمد بن يوسف الكَواشي المَوْصلي» المفسِّر، المتوفَّى عام ستين وثمانمائة (٨٦٠هـ الموافق ١٤٥٥م) حيث قال:

«وله التفسير الكبير والصغير، جوَّد فيه الإعراب وحرَّر أنواع الوقوف[١]، وأرسل منه نسخة إلى مكة والمدينة والقدس، قلت[٢]: وعليه اعتمد الشيخ جلال الدين المحلي في تفسيره، واعتمدت عليه أنا في تكملته مع الوجيز[٣]، وتفسير البيضاوي[٤] وابن كثير»[٥].

ولم يكتب الجلال المحلي مقدمةً ولا خاتمة للقسم الذي فسره، أما الجلال السيوطي فقد كتب مقدمة مختصرة في أول سورة «البقرة»، وكتب خاتمة للقسم الذي فسره، وقد نقلناها من حيث كانت في آخر تفسير سورة «الإسراء» إلى هنا في هذه المقدمة لإفساح المجال ثمة للتفسير، مع بيان ما ألحق بهذه الخاتمة، وهذا نصها:

خاتمة السيوطي

قال مؤلفه: «هذا آخر ما كملت به تفسير القرآن الكريم، الذي ألَّفه الشيخ الإمام العالم العلاَّمة المحقق جلال الدين المحلي الشافعي رضي الله عنه، وقد أفرغت فيه جُهْدي، وبذلت فكري فيه، في نفائس أراها إن شاء الله تعالى تُجْدي، وألفته في مدة قدر ميعاد الكليم ــ [أي: في أربعين يوماً] ــ وجعلته وسيلة للفوز بجنات النعيم، وهو في الحقيقة مستفاد من الكتاب المكمَّل، وعليه في الآي المتشابهة الاعتماد والمعوَّل.

فرحم الله امرءاً نظر بعين الإنصاف إليه، ووقف فيه على خطأ فأطلعني عليه، وقد قلت:

حَمَـدْتُ الله ربـي إذْ هـداني	لما أبديت مع عجزي وضعفي
فَمَـنْ لـي بـالخَطَـا فـأُردَّ عنـه	ومن لي بالقبول ولو بحرف؟

هذا: ولم يكن قطُّ في خلدي أن أتعرض لذلك، لعلمي بالعجز عن الخوض في هذه المسالك، وعسى الله أن ينفع به نفعاً جماً، ويفتح به قلوباً غلفاً وأعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وكأني بمن اعتاد بالمطولات ــ وقد أضرب عن هذه التكملة وأصلها ــ حَسْماً، فَعَدَل إلى صريح العناد ولم يوجه إلى دقائقها فهماً ﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى﴾.

---

(١) قوله: «وحرر أنواع الوقوف» أي، بيَّن مواضع الوقف في القرآن الكريم وأنواعها. كالوقف التام والحسن والقبيح. . إلخ.

(٢) قوله: «قلت» أي: الجلال السيوطي رحمه الله.

(٣) قوله: «مع الوجيز»: هو تفسير مختصر للشيخ أبي الحسن: علي بن أحمد الواحدي النيسابوري المتوفى عام ٤٦٨هـ.

(٤) قوله: «وتفسير البيضاوي»: هو التفسير المسمى: «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» لمؤلفه: القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي ــ نسبة إلى مدينة «البيضاء» بفارس ــ المتوفى عام ٦٨٥هـ. وقال ابن السبكي: عام ٦٩١هـ. ولقد يَسَّر الله لنا فاختصرناه في كتاب سميناه: «مواهب الجليل».

(٥) قوله: «وابن كثير» أي: وتفسير ابن كثير وهو الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى عام ٧٧٤هـ.

رزقنا الله به هداية إلى سبيل الحق وتوفيقاً، واطلاعاً على دقائق كلماته وتحقيقاً، وجعلنا به من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

وفُرِغَ من تأليفه: يوم الأحد عاشر شوال سنة سبعين وثمانمائة، وكان الابتداء: في يوم الأربعاء مستهل رمضان من السنة المذكورة، وفُرِغَ من تبييضه: يوم الأربعاء سادس صفر سنة إحدى وسبعين وثمانمائة[1]، والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب».

قال الشيخ شمس الدين محمد بن أبي بكر الخطيب الطوخي: أخبرني صديقي الشيخ عَلاَمة كمال الدين المحلي، أخو شيخنا الشيخ جلال الدين المحلي رحمهما الله تعالى، أنه رأى أخاه الشيخ جلال الدين المذكور في النوم، وبين يديه صديقنا الشيخ العلامة المحقق جلال الدين السيوطي مصنف هذه التكملة، وقد أخذ الشيخ هذه التكملة في يديه وتصفحها، ويقول لمصنفها المذكور: أيهما أحسن وضعي أو وضعك؟ فقال: وضعي، انظر، ــ وعرض عليه مواضع فيها كأنه يشير إلى اعتراض فيها بلطف ــ ومصنف هذه التكملة كلما أورد عليه شيئاً يجيبه، والشيخ يبتسم ويضحك.

قال شيخنا الإمام العلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي مصنف هذه التكملة:

«الذي أعتقده وأجزم به أن الوضع الذي وضعه الشيخ جلال الدين المحلي رحمه الله تعالى في قطعته، أحسن من وضعي أنا بطبقات كثيرة، كيف لا؟ وغالب ما وضعته هنا مقتبس من وضعه ومستفاد منه، لا مرية عندي في ذلك.

وأما الذي رؤي في المنام المكتوب أعلاه، فلعل الشيخ أشار به إلى المواضع القليلة التي خالفتُ وَضْعَهُ فيها لنكتة، وهي يسيرة جداً ما أظنها تبلغ عشرة مواضع، منها:

أن الشيخ قال في صورة «ص»: والروح «جسم لطيف يحيا به الإنسان بنفوذه فيه»، وكنت تبعته أولاً، فذكرت هذا الحد في سورة «الحجر»، ثم ضربت عليه لقوله تعالى: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾ الآية، فهي صريحة أو كالصريحة في أن الروح من علم الله تعالى لا نعلمه، فالإمساك عن تعريفها أولى، ولذا قال الشيخ تاج الدين ابن السبكي في «جمع الجوامع»: والروح لم يتكلم عليها محمد ﷺ، فنمسك عنها.

ومنها: أن الشيخ قال في «سورة الحج»: «الصابئون فرقة من اليهود» فذكرتُ ذلك في سورة «البقرة» وزدت «أو النصارى»، بياناً لقول ثان، فإنه المعروف خصوصاً عند أصحابنا الفقهاء، وفي «المنهاج»: «وإن خالفتِ السامرةُ اليهودَ، والصابئةُ النصارى في أصل دينهم»، وفي شروحه: أن الشافعي رضي الله عنه نص على أن الصابئين فرقة من النصارى، ولا أستحضر الآن موضعاً ثالثاً[2]، فكأن الشيخ رحمه الله تعالى يشير إلى مثل هذا». انتهت خاتمة السيوطي رحمه الله.

---

(١) جاء في المخطوطة الأولى بعد قوله: «وسبعين وثمانمائة» ما يلي: «على يد مؤلفه العلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. وكتبه لنفسه العبد الفقير إلى الله تعالى المعترف بالتقصير: أحمد بن مغلباي الحنفي لطف الله تعالى به آمين ورحمه، يوم الخميس سادس عشرين جمادى الأول سنة اثنتين وعشرين وتسعماية». ونقول: ومنه يظهر أن خاتمة السيوطي تنتهي عند قوله: «وإليه المرجع والمآب»، وأن ما قاله الشيخ الطوخي، وما نُقِلَ بعد ذلك عن الجلال السيوطي، لم يكتبه السيوطي بيده في خاتمته، بل قاله بعد ذلك، فأضافه إليها بعض النساخ تتميماً للفائدة كما هو واضح من سياق الكلام وما فيه من حوار. وهذا ما قاله «الصاوي» في حاشيته.

(٢) قوله: «ولا أستحضر الآن موضعاً ثالثاً»، لقد أشرنا إلى ذلك في مواضعه من التفسير، وبيَّنا من هم «الصابئة» في تعليقنا ص ١٥١.

مكانته لدى العلماء

لقد حظي «تفسير الجلالين» باهتمام العلماء حتى يومنا هذا، فقام كثير منهم بشرحه وتوضيح دقائقه في مؤلفات وحواشٍ بلغت أحياناً الأربعة مجلدات، من أهمها:

١ ــ حاشية للشيخ محمد بن عبد الرحمن العلقمي المتوفَّى (٩٦٩هـ) سماها: «قَبَسُ النَّيِّرين على تفسير الجلالين» فرغ من تأليفها عام ٩٥٢هـ. ولا تزال مخطوطة في المكتبة الظاهرية بدمشق عمرها الله تعالى.

٢ ــ وحاشية للشيخ محمد بن محمد الكرخي المتوفَّى عام ١٠٠٦هـ سماها: «مَجْمَعُ البحرين ومَطْلعُ البَدْرَيْن على الجلالين» في أربعة مجلدات، وله حاشية أخرى صغرى عليه في مجلدين. (غير مطبوعتين).

٣ ــ وحاشية للشيخ الحافظ الملا علي بن محمد القاري المتوفَّى عام ١٠١٠هـ سماها: «حاشية الجمالين على الجلالين» فرغ من تأليفها عام ١٠٠٤هـ طُبِعَ جزءٌ منها. وقد اطلعتُ على قسم منه من مكتبة الجامعة الأمريكية في بيروت.

٤ ــ وحاشية للشيخ سليمان بن عمر العجيليّ الأزهري المعروف بـ«الجمل» المتوفَّى عام ١٢٠٤هـ سماها: «الفتوحات الإلَهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية» وهي في أربعة مجلدات، مطبوعة معروفة.

٥ ــ وحاشية لتلميذ الشيخ الجمل معروفة بـ«حاشية الصاوي على الجلالين»، ألَّفها الشيخ: أحمد بن محمد الخلوتي الصاوي»، نسبة إلى بلدة «صاء الحجر» في إقليم الغربية بمصر، المتوفَّى عام (١٢٤١هـ) الذي قال في مقدمتها:

«ولما كان كتاب الجلالين من أجلِّ كتب التفسير، وأجمع على الاعتناء به الجمُّ الغفير من أهل البصائر والتنوير، وجاءني الداعي الإلَهي بقراءته، فاشتغلت به على حسب عجزي، ووضعت عليه كتابةً ملخصة من حاشية شيخنا العلاَّمة المحقق المدقق الورع، الشيخ سليمان الجمل. اهـ.

وهاتان الحاشيتان هما المشهورتان، المتداولتان من شروح «تفسير الجلالين».

٦ ــ وحاشية للشيخ سلام الله الدهلوي سماها: «حاشية الكمالين على الجلالين» طبعت عام ١٢٨١هـ.

٧ ــ وحاشية للشيخ محمد بن صالح أبي السعود السباعي الحفناوي المصري المتوفى عام ١٢٦٨هـ في ثلاثة مجلدات ــ مخطوطة ــ.

٨ ــ وحاشية للشيخ سعد الله بن غلام القندهاري سماها: «كشف المحجوبين عن خَدَّي تفسير الجلالين» أو: «على تفسير الجلالين».

٩ ــ وحاشية للشيخ مصطفى الدُّومي المعروف بالدُّوماني ثم الصالحاني المتوفى في أوائل القرن الثالث عشر الهجري في مجلدين سماها: «ضوء النيرين لفهم تفسير الجلالين».

١٠ ـ [١]وحاشية للشيخ علي بن محمد عفيف الدين العقيبي الأنصاري الشافعي محدث الديار اليمنية المتوفَّى عام ١١٠١هـ.

١١ ـ وشرح على الجلالين للشيخ إسماعيل بن عبد الباقي اليازجي المتوفَّى عام ١١٢١هـ.

١٢ ـ وحاشية للشيخ عطية الله بن عطية البرهاني الأجهوري المتوفَّى عام ١١٩٠هـ وسماها: «كتاب الكوكبين النيِّرين في حلِّ ألفاظ الجلالين».

١٣ ـ وحاشية للشيخ عبد الرحمن بن محمد التَّطْواني الحائك المتوفَّى عام ١٢٣٧هـ.

١٤ ـ وحاشية للشيخ عبد الله بن محمد النَّبَراوي المصري المتوفَّى عام ١٢٧٥هـ سماها: «قرة العين ونزهة الفؤاد» في أربعة مجلدات لا تزال بخطه محفوظة في المكتبة الأزهرية.

١٥ ـ وحاشية للشيخ أحمد بن عبد الكريم التِّرمَانيني ـ نسبة إلى «تِرمانين» إحدى قرى حلب ـ المتوفَّى عام ١٢٩٣هـ.

١٦ ـ وحاشية للشيخ محمد بن عبد الله الحسيني الزّواك الحُديدي الزَّيدي المتوفَّى عام ١٣١١هـ.

١٧ ـ وحاشية للشيخ عبد الرحمن بن محمد القصري الفاسي المتوفى عام ١٠٣٦هـ.

١٨ ـ و «مَسَرَّة العينين على تفسير الجلالين» للشيخ محمد بن خليل القاوقجي الطرابلسي المتوفى عام ١٣٠٥هـ.

١٩ ـ وأخيراً كتابنا المختصر هذا الذي سميناه: «قرَّة العينين على تفسير الجلالين».

كما سمعت أن من العلماء المعاصرين مَنْ أَلَّف شارحاً «تفسير الجلالين» ولكني لم أطلع على مؤلفاتهم.

لقد كان «تفسير الجلالين» ـ ولا يزال ـ مرجعاً لكثير ممن ألفوا في هذا الفن، فقد اقتبس منه ونقل عنه كثيراً من عباراته السيد: «عبد الله بن محمد رضا الحسيني» الشهير بـ «شُبَّر» ـ على وزن «سُكَّر» وتعني: «الحَسَن» في لغة فارس ـ من علماء الشيعة الإمامية الاثني عشرية المتوفَّى عام ١٢٤٢هـ في تفسيره المعروف بـ «تفسير شُبَّر» الذي أَلَّفه عام ١٢٣٩هـ.

وأخذه بكامله فأضاف إليه وأعاد سبك بعض عباراته قاضي القضاة في نيجيريا ـ الآن ـ الشيخ أبو بكر محمود جومي في تفسير سماه[٢]: «ردّ الأذهان إلى معاني القرآن» الذي ألفه عام ١٣٩٢هـ. وقد أشار إلى ذلك في خاتمته.

ولقائل يقول: طالما أن العلماء السابقين واللاحقين قد شرحوا هذا التفسير وأطنبوا، فما هو الداعي إلى وضع كتاب جديد عليه؟ نقول:

إن الهدف من عملنا هذا هو: تصويبُ ما في كتاب «تفسير الجلالين» كما أشرنا، وجَمْعُ أكثر ما يمكن من المعلومات الصحيحة، المختصرة، المفيدة، مع إبقائه ـ وما يضاف إليه ـ على هوامش المصحف

(١) هذه الحواشي السبع من الرقم ١٠ إلى ١٧ وردتنا بعد صدور الطبعة الأولى لكتابنا هذا من أحد الإخوة الذي قام بتتبع المؤلفات في «الأعلام» كله فجزاه الله خيراً، كما نأمل ممن لديه أسماء مؤلفات أخرى على «تفسير الجلالين» أن يبعث بها إلينا لضمها إلى هذه اللائحة.

(٢) بناء على طلب دار النشر التي طبعته في بيروت قمت بنفسي بمراجعة التفسير المذكور وإعادة صياغة كثير من عباراته.

الشريف، وهذا غير متحقق حتى الآن، إذ نجد بالعودة إلى ما طُبع من هذا التفسير أنها طبعات لا تحققِ الغاية العلمية التي ذكرناها، بل هي تحقق منافع مادية بحتة للقائمين بها، وهذا هو مقصودهم، أما ما طُبع من شروح «تفسير الجلالين»، فقد وجدنا مؤلفيها ــ على جلالة قدرهم وطول باعهم ــ لا يتوقف أحد منهم عند رواية باطلة، أو قصة إسرائيلية، أو تفسير مبالغ فيه ليبيِّن وجه الصواب فيها، بل لاحظنا أن صاحبي الحاشيتين ــ الصاوي والجمل ــ يُسْهبان في شرح القصة والرواية التي يشير إليها الجلالان، ويضيفان إلى ما أوجزه أحد الجلالين كثيراً من الأمور التي لا أساس لها ولا أصل، ولم يبين أيٌّ واحد منهما في حاشيته ما كان يجب بيانه وتصويبه، فالشيخ «الجمل» يكثر من النقل عن التفاسير الأخرى، ولا يعقب بشيء، وكذلك فعل الشيخ «الصاوي»، إلَّا أن حاشية هذا الأخير تفضل حاشية شيخه بما فيها من بيان وجوه الإعراب والقراءات، وتصويب عبارة الجلالين، وقد استفدت من هذه الحاشية في هذا المجال، أما الشروح الأخرى فلم نطلع عليها، فلا نقول فيها شيئاً.

وعلى كلِّ حالٍ، فهي شروح تدخل في نطاق المطوَّلات، التي لا يرجع إليها إلَّا النادر من طلبة العلم، وليس بمقدور العامة الرجوع إلى هذه المراجع لمعرفة الصواب في مسألة ما، بل لا يرغب فيه كثير من المتعلمين القادرين، فكان مفيداً إيجاز ذلك واختصاره، بعد تصويبه وتنقيحه، لذلك قمنا بهذا العمل لتحقيق تلك الغاية بفضل الله عز وجل وتوفيقه.

منْهَاج العَمَل

لقد اعتمدنا في عملنا هذا منهجاً لم يكن بعضه متبعاً من قبل، نلخصه بما يلي:

أولاً: أضفنا إلى التفسير ــ في سياق كلام المؤلِّفَيْن ــ ما وجدنا الحاجة داعية إليه، لزيادة فائدة، أو لتوضيح عبارة المؤلف، أو تصويبها، معتمدين في ذلك طريقة هي الأولى من نوعها في حقل التأليف والتحقيق ــ والحمد لله ــ بحيث يكون الكلام الذي أضفناه إثباتاً للقول الصحيح، أو نفياً للقول المردود الذي يذكره.

من ذلك ــ على سبيل المثال ــ ما في ص ٣٠٦ الآية ٢٤ من سورة «يوسف» عليه السَّلام، حيث كان نص الجلال السيوطي كما يلي:

﴿ولقد همت به﴾ قصدتْ منه الجماع ﴿وهمَّ بها﴾ قصد ذلك.

فصارت العبارة كما يلي:

﴿ولقد همت به﴾ قصدت منه الجماع [أو: لتبطش به لعصيانه أمرها] ﴿وهمَّ بها﴾ [ليضربها أو ليدفعها عنه، ولا يجوز أن يقال:] قصد ذلك [أي: الجماع، لأنه معصوم عن ذلك].

فقد أثبتنا المعنى الصحيح، وأدخلنا تفسير المؤلف لهمِّ يوسف في سياق النفي، وبذلك يتمكن القارىء من فهم المعنى الصحيح بكل سهولة.

وفي بعض المواضع نقدم القول الصحيح، ونُدخل القولَ الآخر بعد صيغة التضعيف ــ [قيل] ــ وغير ذلك مما سيلاحظه القارىء عندما يقرأ هذا التفسير.

ولكي يعرف القارىء ذلك فقد جعلنا كل ما أضفناه ــ ولو كان كلمة واحدة ــ بين مثل هاتين الحاصرتين ([. . . . .])، فكل ما هو بينهما من كلامنا وليس من قول الجلالين، قليلاً كان أو كثيراً،

ومع ذلك يظل بإمكان القارىء أن يقرأ عبارة المؤلف إذا استثنى كلامنا المحصور بين الحاصرتين المذكورتين، فيدرك كيف كانت العبارة، ثم كيف صارت، وسيلاحظ أن إضافاتنا قد سهلت عليه فهم كلام الجلالين تسهيلاً واضحاً.

إننا لم نلجأ إلى ما يعرف في أيامنا بـ «التهذيب»، الذي يعني الحذفَ من كلام المؤلف، والتعديلَ والتبديل، وهذا في نظرنا نزول بمستوى الكتاب إلى مستوى القارىء، بدلاً من الصعود بمستوى القارىء إلى مستوى الكتاب، حتى رأينا مَنْ هذَّب كتاب: «شرح شذور الذهب» في النحو لابن هشام، وسمعت بأن هناك من يرغب في تهذيب «تفسير الجلالين»، بحذف القراءات والإعراب منه، ولست أدري كيف تهذَّب قواعد اللغة العربية، وماذا يبقى من هذا التفسير إن حذفنا منه هذه المسائل؟!.. بل كيف يفسَّر القرآن من دون الإعراب؟ والعلماء يعتبرون الإعراب فرعاً عن المعنى، فمن فهم أعرب.

إننا لم نلجأ إلى طريقة التهذيب هذه، لأننا لا نرى ذلك تهذيباً لعبارة المؤلف، بل هو تشذيب وحذف، وثمة فرق كبير بين التهذيب والتشذيب، فالتهذيب يكون بإصلاح العبارة، بشرحها وتوضيح غامضها، لا بحذفها، فما عملناه في هذا التفسير هو ــ والحمد لله ــ التهذيبُ الصحيح له.

ولقائل يقول: ماذا يستفيد القارىء العادي من وجوه القراءات والإعراب؟. نقول: إن العلماء ــ ومنهم الجلالان ــ لم يؤلفوا كتبهم للعامة، بل لطلبة العلم بين أيدي العلماء، ولا للذين لا يريدون أن يطلبوا العلم بل ينتظرون مجيئَه إليهم معلَّباً وكأنه عقاقير طبية، لا يلبث أحدهم أن يبتلعها حتى يصبح عالماً.

ومن جهة أخرى، فإن المؤلفات كثيرةٌ ومتفاوتةٌ في سلاسة العبارة، فعلى القارىء أن يختار ما يناسبه منها، لا أن نقوم نحن بإفساد مؤلَّفات العلماء مسايرةً لمثل هؤلاء.

إننا نسمع ــ بكل ألم ــ نقداً من قبل الكثيرين في أيامنا، للعلوم الإسلامية بكل فنونها، ولأساليب علمائها ولمؤلَّفاتهم، فثمة مَنْ ينتقد كتب النحو والصرف، ولا يعجبه سيبويه، ولا ابن هشام، وآخر لا تعجبه كتب الفقه أو التفسير أو الحديث، ويراها كتباً صفراء..، وآخر يطالب بثورة على كل هذه المؤلَّفات، ويدعو إلى التجديد في كل شيء.. هكذا.. من غير وعي ولا تبصر، حتى أوشك أن ينطبق عليهم قول القائل:

نُرقِّعُ دنيانا بتمزيق ديننا ... فلا دينُنا يبقى ولا ما نرقِّعُ

وحجةُ هؤلاء في ثورتهم هذه، أنها علوم معقدة، صعبة، لا يفهمونها. وهذا صحيح، فمن ذا الذي يقول: إن العلم سهل المنال؟.. وماذا يقولون في علم: الطب أو الهندسة إلخ؟ فهل هي علوم سهلة وميسورة، كما يريدون أن يكون عليه حال العلوم الشرعية تلك؟! لا نظن أنهم يقولون: إنها أسهل من شرب الماء البارد، لأننا نرى طلبة هذه العلوم، يمضون قسماً كبيراً من أعمارهم في دراستها وتحصيلها، ولا يبلغون منها ما يرتجون.

فليست العلة في العلوم ولا في الكتب، ولا في الورق الذي طبعت عليه ــ أياً كان لونه ــ، ولا في العلماء الذين ألَّفوها، بل العلةُ والعجز في الهمم التي كلَّتْ، والعزائم التي ضعفتْ، والدنيا التي غرّتْ وخدعتْ، والجهالة التي تَفَشَّتْ وانتشرتْ. فإذا كان لأحد من مطلب في مجال العلم فليكن: الثورةَ على الخمول والكسل، والدعوةَ إلى شدِّ العزم والتطلع إلى معالي الأمور، وحملِ أمانة العلم بكل همة وإخلاص.

ثانياً: وضعنا في أسفل الصفحات تعليقات مهمَّةً مختصرةً، حيث رأينا أن المقام يتطلب شرحاً، أو تصويباً، أو تنبيهاً، أو زيادة فائدة، وقد التزمنا بوضع التعليق ــ وعلى الأقل سطر واحد منه ــ في الصفحة ذاتها التي فيها محور الموضوع المعلَّق عليه، ثم تابعنا التتمة على الصفحة التالية إذا لزم الأمر، وهكذا.. حتى نهاية التعليق. وقد تناولنا في هذه الحواشي كثيراً من المواضيع في: العقائد، والأحكام الشرعية، وأسباب النزول، والتراجم، وقصص الأنبياء، والبلدان والمواقع، والمواعظ والرقائق، والقراءات، والإعراب، واللغة، ووجوه التفسير، وبيان الروايات والإسرائيليات الباطلة والمبالغ فيها، وما لا يجوز أن ينسب إلى الأنبياء والملائكة، وغير ذلك مما تمكن معرفتُه بالرجوع إلى الفهرس، ولكننا لم نتمكن من شرح بعض المواضيع والمسائل كما كنا نتمنى بسبب ضيق المجال المتبقِّي بعد التفسير في أسفل الصفحات، وقد اضطرنا ذلك إلى إلغاء بعض التعليقات المهمة[1].

ثالثاً: قمنا بتخريج الأحاديث والآثار التي ذُكرتْ، أو أشير إليها في التفسير، وبإثبات نص ما لم يثبته المؤلِّف منها، وكـذلك الأقوالُ والروايـاتُ الأخرى، وفعلنا مثل ذلك بأسباب النزول، فاكتفينا بإثبات ما يُقبل منها مما لـم يذكره المؤلِّف، أو ذكـره ولكن باختصار شـديد، ملتزمين بأن يكون سببُ نزول الآية معها في أسفل الصفحة ذاتها، خلافاً لما هو عليه الحال في الطبعات المتداولة، حيث جيء بكتاب: «لباب النُّقول في أسباب النزول» فوزِّع على صفحات التفسير لملء الفراغات فيه، من غير ترتيب ولا بيان ولا تحقيق.

رابعاً: ربطنا ما بين الآيات ذات الموضوع الواحد، فأَحَلْنَا القارىءَ في جميع مواضعه إلى التعليق «الأمِّ» الذي بيّنا فيه ما يتعلق بموضوع ذلك التعليق، فمثلاً: «آيات الخمر»، علَّقْنا على آيات التحريم منها في سورة «المائدة» ص ١٥٥، وأحلنا القارىء إلى هذا التعليق حيث أمكننا ذلك بقولنا في التعليقات: [ارجع إلى تعليقنا حول «تحريم الخمر» ص ١٥٥]، وهكذا سائر المواضيع الأخرى، وأحياناً نشير إلى ذلك في سياق التفسير.

خامساً: قمنا بمساعدة الأخوين الكريمين، الشابين الناشئين في طاعة الله تعالى: «رمزي دمشقية وعبد الحميد شانوحة» بمقابلة نص «تفسير الجلالين» على مخطوطتين نادرتين، قدمهما إلينا الأخ الأستاذ زهير الشاويش حفظه الله تعالى، صاحب «المكتب الإسلامي» من مخطوطات مكتبته العامرة، أطلقنا عليهما اسمي: «المخطوطة الأولى» و «المخطوطة الثانية».

فالمخطوطة الأولى هي بحجم ٢٢ × ١٣ سم، كتبت عام اثنين وعشرين وتسعمائة للهجرة (٩٢٢هـ الموافق ١٥١٦م) أي: بعد وفاة الجلال السيوطي بإحدى عشرة سنة، وهذه المخطوطة هي التي نعنيها بقولنا في التعليقات: (وفي المخطوطة الأولى.. كذا).

أما المخطوطة الثانية فهي بحجم ٣٠ × ٢٠ سم، كتبت عام ثمانية وتسعين ومائة بعد الألف للهجرة، وهذه المخطوطة هي التي نعنيها بقولنا: «وفي المخطوطة الثانية... كذا» (راجع النماذج بعد المقدمة)[2].

كما كان بين أيدينا عدد من الطبعات النادرة، كنا نرجع إليها عند الحاجة وهي:

---

(١) ومنها ــ مثلاً ــ التعليق التالي من ص ٣٥:

قوله: «وأجهده الصوم في الحالين». بيانه: أن الإجهاد شرط لجواز الإفطار في المرض فقط. أما المسافر فيباح له الفطر إلاَّ أن الصوم أفضل عند الشافعية ما لم يُجْهِدْهُ الصوم.

(٢) وحين إعادة النظر في الكتاب للطبعة السادسة، كان بين أيدينا مخطوطة ثالثة قيمة، نثبت نموذجاً منها بعد المقدمة.

١ ــ الطبعة البولاقية لعام ١٢٨٠هـ.
٢ ــ والطبعة البولاقية لعام ١٢٩٨هـ.
٣ ــ والطبعة الميمنية لعام ١٣١٢هـ.
٤ ــ وطبعة المكتبة التجارية الكبرى مع حاشية الصاوي لعام ١٣٧٥هـ.
٥ ــ وطبعة المكتبة التجارية الكبرى مع حاشية الجمل لعام ١٣٧٧هـ.

وقد ظهر لنا من هذه المقابلة، أن في الطبعات المتداولة على هوامش المصحف الشريف من «تفسير الجلالين» أخطاءً كثيرة، وتغييراً وتعديلاً في عبارة الجلالين، وحذفَ عبارات منه وزيادة أخرى، كمقدمة السيوطي ــ مثلاً ــ فهي محذوفة كلها من إحدى الطبعات، ومحذوف بعضها في طبعات أخرى، وقد أشرنا إلى ذلك في مواضع كثيرة من كتابنا هذا، حيث أمكننا ذلك ولم نذكرها كلها بسبب ضيق المجال.

ولكن: يكفي أن نؤكد للقارىء من خلال خبرتنا وعملنا في هذا التفسير، أن النص الذي حققناه ــ والذي هو الآن بين يديه ــ ، يُعْتَبر أصح ما يمكن أن يتوصل إليه التحقيق وأصوبه، وأن باستطاعته أن يصحح جميع الطبعات الأخرى بناء عليه، لأنه لم تُخْدَمْ طبعة من طبعات «تفسير الجلالين» بمثل ما خُدِمَتْ به هذه الطبعة.

ونحن لا نقول ذلك إعجاباً بعملنا ــ معاذ الله ــ بل نصيحة خالصة لوجه الله عز وجل، لأن غاية ما يتمناه طالب العلم، أن يجد بين يديه كتاباً محققاً، منقحاً، موثوقاً، وهذا ما فعلناه بهذا التفسير بفضل الله تعالى وتوفيقه، وله جل شأنه الحمد والمنة.

سادساً: هناك أمور مهمة وجدنا من المفيد تنبيه القارىء إليها، وتوضيح أمور أخرى قد تلفت انتباهه وهو يقرأ هذا الكتاب، فعقدنا هذا البند في ثلاثة عشر تنبيهاً لهذه الغاية.

* **التنبيه الأول:**

وضعنا في آخر الكتاب فهرساً بالمواضيع التي كتبنا فيها، رتبناه على الحروف الهجائية. وفهرساً آخر بالسُّور، وفهرساً بالأجزاء.

* **التنبيه الثاني:**

دمجنا التعريفين بالمصحف الشريف اللذين كانا ملحقين به في تقرير واحد، وضمنَّاه ترجمة موجزة للشيخين: «الحسيني والضبَّاع» رحمهما الله، اعترافاً بما لهما من فضل في ضبط هذا المصحف الشريف ومراجعته.

* **التنبيه الثالث:**

نظراً إلى كثرة المواضيع التي بحثنا فيها، فقد اضطررنا إلى الرجوع إلى عدد كبير من المراجع، في التفسير والحديث والفقه والتاريخ واللغة وغيرها، رأينا أن لا نسردها في ثَبْتٍ واحد لكثرتها.

* **التنبيه الرابع:**

لقد حرصنا على أن تكون بداية كل صفحة من التفسير بأول كلمة من صفحة المصحف الشريف، بحيث يكون تفسير آيات الصفحة معها في الصفحة ذاتها، ولم نخالف ذلك إلاّ في مواضع قليلة اضطرنا إليها ضيق المجال كما سيلاحظه القارىء.

*** التنبيه الخامس:**

عندما يكون التعليق متعلِّقاً بمسألة مهمة، فقد وضعنا في سياق التفسير جملة: ـ [اقرأ التعليق] ـ لتنبيه القارىء إلى ضرورة قراءة ذلك التعليق لسبب وجيهٍ ومُهم.

*** التنبيه السادس:**

اضطررنا إلى تنزيل «حديث الإسراء» في الصفحة ٣٦٤ من أصل التفسير وَوَضْعِهِ ـ بحرف التعليق ـ أسفل الصفحة المذكورة وما يليها، وذلك ليتسع المجال لتفسير الآيات، كما اضطررنا إلى تصغير الحرف قليلاً في «أسماء الله الحسنى» ص ٣٧٩ وقصة موسى والخضر عليهما السَّلام ص ٣٩٠ للغاية ذاتها.

*** التنبيه السابع:**

نقلنا خاتمة الجلال السيوطي رحمه الله ـ مع ملحقاتها ـ من آخر سورة «الإسراء» إلى مقدمتنا هذه كما تقدم.

*** التنبيه الثامن:**

لم يتقيَّد «الجلالان» في تفسيرهما هذا بقراءة أو رواية واحدة ـ كما كان يُظَنُّ ـ ، ولم يلتزما بتقديم قراءة معينة في جميع الآيات، لذلك لا يقال: إن النص القرآني المثبت في التفسير هو برواية حفص، أو: برواية ورش، أو: غيرهما.

وقد ورد في خاطرنا أول الأمر أن نتقيد في الآيات الداخلة في التفسير برواية «حفص عن عاصم»، فلم يتفق لنا ذلك، بسبب ارتباط التفسير بالقراءة أو الرواية التي يقدمها كلا الجلالين، فأبقيناه كما هو.

*** التنبيه التاسع:**

سيلاحظ القارىء أن كلمات القرآن الكريم التي في سياق التفسير قد طبعت بالإملاء المعهود، وقد فعلنا ذلك لا على أنه خط قرآني، بل باعتباره صورة للرسم القرآني الذي كُتِبَ به المصحف الشريف، أي: إننا لا نعتبر تلك الكلمات القرآنية مصحفاً معدّاً للتلاوة، لأنه لا يجوز كتابة المصحف الشريف بغير الرسم العثماني الصحيح، الذي كتبه به أصحاب رسول الله ﷺ، بأمر من الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنهم، لارتباط التلاوة به.

*** التنبيه العاشر:**

سيجد القارىء كثيراً من المفردات والأسماء، في التفسير أو الحواشي، مضبوطةً على نحو ربما ظنَّه البعضُ ضبطاً غير صحيح ـ لمخالفتنا المألوف فيها ـ فلا يَعْجَلَنَّ أحد بتصويب ما يظنُّه من هذه المفردات خطأً، إلاَّ بعد مراجعة معاجم اللغة والتراجم.

*** التنبيه الحادي عشر:**

لقد أكثر الجلالان رحمهما الله من الإشارة إلى القراءات، الصحيحة منها والشاذة، لذلك رأينا بيانها هنا فنقول: قال الإمام الحافظ، شمس الدين: «محمد بن محمد بن محمد الجزري» المتوفَّى عام ثلاثة وثلاثين وثمانمائة رحمه الله في كتابه «منجد المقرئين»: «كل قراءة وافقت العربية مطلقاً، ووافقتْ أحد المصاحف العثمانية ـ ولو تقديراً ـ وتواتر نقلُها، هذه القراءةُ المتواترةُ المقطوعُ بها». ثم وضح ذلك بقوله:

ومعنى «العربية مطلقاً»: أي ولو بوجهٍ من الإعراب، نحو قراءة حمزة ﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحامِ﴾ ـ بالجر ـ .

ومعنى «أحد المصاحف»: واحد من المصاحف التي وجَّهها عثمان رضي الله عنه إلى الأمصار، كقراءة ابن كثير[1] ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار﴾[2]. بزيادة «مِنْ»، فإنها لا توجد إلاَّ في مصحف مكة.

ومعنى «ولو تقديراً» ما يحتمله رسم المصحف، كقراءة مَنْ قرأ ﴿ملك يوم الدين﴾ بالألف، فإنها كتبت بغير الألف للاختصار، فهو موافق للرسم تقديراً.

ونعني بالتواتر: ما رواه جماعة عن جماعة... وهكذا إلى منتهاه، وهو يفيد العلم من غير تعيين عدد، هذا هو الصحيح، وقيل بالتعيين، واختلفوا فيه، فقيل: ستة، وقيل: اثنا عشر، وقيل: عشرون، وقيل: أربعون، وقيل: سبعون ـ أي: راوياً ـ.

والذي جَمَعَ في زماننا هذه الأركان الثلاثة هو: قراءةُ الأئمة العَشَرة التي أجمع الناس على تلقِّيها بالقبول وهم: (أبو جعفر، ونافع، وابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف)، أخذها الخلف عن السلف، إلى أن وصلتْ في زماننا، فقراءة أحدهم كقراءة الباقين في كونها مقطوعاً بها». اهـ. ملخصاً من كلام ابن الجزري رحمه الله.

فهذه هي الأركان الثلاثة الواجب اجتماعها لتكون القراءة صحيحة، وقد جمعها الحافظ ابن الجزري رحمه الله في منظومته: «طيِّبة النشر في القراءات العشر» حيث قال:

فكلُّ ما وافق وَجْهَ نَحْو ... وكان للرسم احتمالاً يَحْوِي

وصحَّ إسناداً هو القرآنُ ... فهذه الثَّلاثة الأركانُ

أما القراءة الشاذة فهي: كل قراءة اختلَّ فيها ركنٌ من أركان القراءة الصحيحة ولو كان قارئُها أحدَ القراء السبعة، وإليها أشار ابن الجزري في «طيبته» بعد البيتين المذكورين حيث قال:

وحيثما يختلُّ ركنٌ أَثْبِتِ ... شُذُوذَهُ لَوَ أَنَّهُ في السَّبعةِ

ونقل أيضاً عن قاضي القضاة «عبد الوهاب ابن السبكي» في كتابه «جمع الجوامع» في الأصول قولَهُ: «والصحيح أن ما وراء العشرة فهو شاذ وفاقاً للبغوي والشيخ الإمام»، يعني والده أبا الحسن عليّ بن عبد الكافي السبكي.

ونقل أيضاً عن الإمام أبي عمر ابن عبد البَرِّ: إجماعَ المسلمين على أنه لا تجوز القراءة بالشاذ، وأنه لا يجوز أن يصلَّى خلف مَنْ يقرأ بها. فلا تجوز القراءة بالشاذ لا في الصلاة ولا في غيرها، وإنما نقلها مَنْ نقلها مِنَ العلماء لفوائد فيها تتعلق بعلم العربية، لا للقراءة بها.

وقال الحافظ ابن الجزري: سئِل الإمام أبو عمرو ابن الصلاح رحمه الله في حدود عام أربعين وستمائة: «هل يجوز أن يقرأ القارىء عَشْراً، كلَّ آية بقراءة ورواية؟». فأجاب: «وإذا شرع القارىء بقراءة ينبغي أن لا يزال يقرأ بها ما بقي للكلام تعلُّقٌ بما ابتدأ به، وما خالف ذلك ففيه جائز وممتنع».

ونقول: والمفهوم من جوابه هذا: أنه لا يصح لمن قرأ آية برواية أو بقراءة أن ينتقل إلى القراءة بغيرها، ما دام للكلام تعلُّق بما ابتدأ به، ومنه يُعْلَم خطأ بعض المقلِّدين في تلاوة القرآن الكريم، الذين يسمع أحدهم

---

(١) هو عبد الله بن كثير أحد القراء السبعة المتوفى عام عشرين ومائة، وهو غير ابن كثير صاحب التفسير الذي تقدمت ترجمته ص (د).

(٢) الآية «١٠٠» من سورة «التوبة»، وهذه القراءة انفرد بها ابن كثير رحمه الله.

رواية أو قراءة في كلمة، فيأتي بها ــ تقليداً ــ من غير دراية بهذا العلم، ولا معرفة بأصول الانتقال من قراءة إلى أخرى، ظاناً أنه طالما يقرأ بقراءة صحيحة فلا بأس بذلك، ولكنه لم يعلم بأنه ــ وإن كان يقرأ بقراءة صحيحة ــ فإنه قد أخطأ في الأداء وخالف قواعد هذا العلم الشريف التي لا يجوز القول فيها بالرأي والتشهي، بل بالتحصيل والتلقي من أفواه الثقات من الشيوخ.

* **التنبيه الثاني عشر:**

أشار كلا الجلالين في أول كل سورة إلى اختلاف العلماء في عدد آيات السُّور، ومنها على سبيل المثال قول الجلال المحلي رحمه الله في أول سورة «الحج»: «وهي: أربع، أو: خمس، أو: ست، أو: سبع، أو: ثمان وسبعون آية»، أي: إن في عدّ آي هذه السورة خمسة أقوال.

واختلاف العلماء في عدد آيات السور يرجع إلى اختلاف رواياتهم في المواضع التي هي آخر الآية، أي: في الفاصلة التي هي آخر كلمة من الآية، نحو: «العالمين»، «نستعين» إلخ.

فأكثر فواصل الآيات متفق عليها، ولكن: هناك بعض الفواصل اختلفت فيها الروايات، وهي قليلة جداً، فاعتبرها بعض علماء العدد آخر آية، ولم يعتبرها آخرون كذلك، فمثلاً، قوله تعالى في سورة «القيامة»: ﴿لا تحرِّك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه﴾، هو عند بعضهم آية واحدة، وعند غيرهم هو آيتان، فعدّوا: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾ آيةً، وعدُّوا: ﴿إن علينا جمعه وقرآنه﴾ آية أخرى.

وقد ألَّف العلماء مصنفاتٍ في هذا الفن من علوم القرآن الكريم، أشهرها كتاب: «البيان» لأبي عمرو الداني، و «ناظمة الزُّهر» للشاطبي رحمهما الله تعالى.

* **التنبيه الثالث عشر:**

سيلاحظ القارىء ــ وربما يستغرب ــ أننا لم نسترسل كثيراً في تفسير الآيات المتضمنة أموراً علمية، ولم نتوقف عند كل آية منها كما فعل البعض، الذين تعقبوا تلك الآيات وفسروها بناءً على الكشوفات العلمية الحديثة، بل شرحنا بعضاً منها وأمررنا البعض الآخر كما هو مع ما قاله المؤلف فيه، ولم يكن ذلك منّا رفضاً لمبدأ تفسيرها بناء على ما أثبته البحث العلمي، ولكننا فعلنا ذلك لسببين اثنين:

أولهما: أن الله تعالى تحدى بالقرآن الثقلين، فقال: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾، فهو معجز في أحكامه وقصصه، ومعجز في نظمه وبيانه، ومعجز أيضاً فيما فيه من آيات الكون والتكوين.

فقد أودع الله تعالى فيه أسراراً لا تنجلي كلُّها في عصر واحد، بل يفهم منها كلُّ عصر بقَدَرِه، فما هو معلوم من معنى هذه الآية في عصرنا لم يكن معلوماً في العصور السابقة، وما هو منها غير واضح بالنسبة إلينا اليوم، سيأتي يوم تكون فيه واضحة المعنى، هذا بالإضافة إلى أن النظريات والاكتشافات العلمية لا تكون قطعية في كل حال، بل لا بد من مضي وقت عليها تتأكد فيه صحتها ومطابقتها للواقع، قبل أن نأخذها على أنها حقيقة علمية مسلَّم بها. فلقد كان معلوماً لقرون خَلَتْ عند علماء الهيئة ــ أي: الجغرافيا ــ أن الشمس ثابتة لا تتحرك أبداً، ثم تبين للباحثين أخيراً أنها ليست ثابتة كما كانوا يظنون في الماضي، بل إن لها مداراً ومساراً مع مجموعتها، وهذا ما جاء صريحاً في قوله تعالى: ﴿والشمس تجري لمستقرٍّ لها ذلك تقدير العزيز العليم. والقمر قدَّرناه منازل حتى عاد كالعُرجون القديم. لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار. وكل في فلك يسبحون﴾.

فكان أولئك الذين يزعمون التمسك بالعلم يعتبرون ما قاله الله تعالى في جريان الشمس غَيْرَ صحيح من الوُجهةِ العلمية، فضلُّوا بذلك ضلالاً بعيداً ﴿وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾، إلى أن أثبت العلم الحديث نفسه خطأ النظرية السابقة، وأكَّد جريان الشمس كما جاء في القرآن الكريم.

لذلك فضلنا عدمَ الخوض في معنى جميع هذه الآيات العلمية، والاكتفاء بما يساعدنا العلم القطعي على فهمه منها، بما يتفق مع المأثور وأوجه اللغة العربية، لئلا يأتي زمان تظهر فيه حقائق علمية تكشف خطأ ما ذهبنا إليه، كما هو حالنا مع العلماء المتقدمين، فإننا رأينا بعضِ أقوالهم في هذه الآيات غريبة وبعيدة كل البعد عن المعنى الصحيح، لا لأننا أعلم منهم، بل لأن التطور العلمي في عصرنا لم يكن موجوداً في عصرهم، فمثلاً: قال بعضهم في قوله تعالى: ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾، «إن ﴿ن﴾ هو: الحوت الذي على ظهره الأرض» وقيل: «هو الحوت الذي عليه الصخرة التي عليها الثور الذي على قرنه الأرض»، وهذا تفسير غريب عجيب، لا سند له من مأثور ولا معقول.

فبيَّنا ــ مثلاً ــ معنى «الرعد والبرق والصاعقة» وفقاً لما حدده العلم الحديث بناء على الحديث النبوي الشريف، (راجع ص ٣٢٢). وشرحنا قوله تعالى: ﴿أولم يرَ الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ الآية «٢٩» من سورة «الأنبياء» ص ٤٢٣، فأظهرنا التطابق الكامل بين اللغة، والمأثور، والحقائق العلمية الحديثة.

أما الآيات الأخرى التي ليست واضحة وضوحاً قطعياً بالنسبة إلينا، كقوله تعالى في سورة «الانشقاق» ص ٨٠٠: ﴿فلا أقسم بالشفق. والليل وما وسق. والقمر إذا اتَّسق. لتركبنَّ طبقاً عن طبق﴾، التي اعتبرها بعضهم تصريحاً بوصول الإنسان إلى القمر والكواكب الأخرى، فإننا نفضل عدم الخوض فيها في الوقت الحاضر، بل تَركَ ذلك إلى وقت آخر، قد تساعدنا فيه ــ أو تساعد غيرنا ــ الكشوفُ العلمية على فهمها فهماً أوضح وأسلم.

ومثل هذه الآيات قوله تعالى: ﴿فلينظر الإنسان ممَّ خُلق. خُلق من ماء دافق. يخرج من بين الصلب والترائب﴾ التي قيل في معناها الكثير من الأقوال في الماضي والحاضر، ومع ذلك فإن المعنى الدقيق لها لا يزال بحاجة إلى بحث وتعمق في دراسة تكوُّن المني ومصدره، وإن لها في ذاكرتي معنى استخلصته لنفسي من قراءتي لما كتبه بعض الباحثين المعاصرين في خلق الإنسان، ولكنني فضَّلت عدم إثباته في هذا الكتاب، لأتيح لنفسي مجالاً أوسع للتأكد من صحة فهمي لمعناها وسلامته، وعدم تعارضه مع نص آخر، أو قول مأثور، أو مقتضيات اللغة، وأيضاً الحقائق العلمية في هذا المجال.

فالمهم في هذا الأمر أن نؤمن إيماناً مطلقاً لا يداخله أدنى ريب، بأن ما جاء في القرآن الكريم هو الحق، سواء أكان المعنى واضحاً بالنسبة إلينا أم لا، وأن ما يخالفه هو الباطل.

وأن لا نَغْتَرَّ بمظاهر العلم الحديث التي لا تتفق مع ما هو واضح الدلالة من الآيات القرآنية، لأن ما هو كذلك وَهْمٌ لا حقيقة.

وأن لا نَردَّ ما أثبته العلم إثباتاً قطعياً بناءً على فهم غير قطعيّ للآية أو الحديث الثابت. مع اعتقادنا الجازم بأن القرآن هو الدليل على صحة ما يثبته البحث العلْمي، ليس العكس.

هذا عملنا في «تفسير الجلالين»، نقدمه «قرة عينين» لكل راغب في فهم آيات القرآن، سائلين الله تعالى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يوفقنا دائماً إلى خدمة كتابه العزيز.

وإننا ــ مع اعتقادنا بأن كل جهْدٍ أمام كتاب الله تعالى قليل وكَليل ــ نقول:

حسبنا أننا حاولنا، وبذلنا في هذا العمل وسعنا وطاقتنا، يدفعنا إلى ذلك صدق نية يعلمها الله تعالى وحده، فإنْ عُثِرَ في كلامنا على هفوة سبق بها قلمنا، فما ذلك بغريب على أمثالنا، ونحن على استعداد للرجوع إلى الحق ــ إن أخطأناه ــ مع دعائنا بالخير لكل ناصح أمين.

وأمَّا ما يجده القارىء في عملنا هذا حسناً، فهو من فضل الله علينا وتوفيقه، فالفضل منه تعالى وإليه، وهو الموفق والهادي.

وصلَّى الله وسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد، وعلى آله وأصحابه، والتابعين بإحسان إلى يوم الدين
والحمد لله رب العالمين

وكتب في «بيروت» في الأول من شهر ذي الحجة الحرام من العام الثاني بعد المائة الرابعة والألف للهجرة

محمد كنعان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدا موافيا لنعمه . مكافيا لمزيده . والصلوة والسلام على محمد وآله وصحبه وجنوده . هذا ما اشتدت اليه حاجة الراغبين . في تكملة تفسير القرآن الكريم الذي ألفه الامام العلامة المحقق جلال الدين محمد بن احمد المحلي الشافعي رحمه الله وتتميم ما فاته وهو من اول سورة البقرة الى اخر الاسراء بتتمة على نمطه من ذكر ما يفهم به كلام الله تعالى والاعتماد على ارجح الاقوال . واعراب ما يحتاج اليه وتنبيه على القراءات المختلفة المشهورة على وجه لطيف . وتعبير وجيز وترك التطويل بذكر اقوال غير مرضية . واعاريب محلها كتب العربية . والله اسأل النفع به في الدنيا واحسن الجزاء عليه في العقبى بمنه وكرمه .

بسم الله الرحمن الرحيم

الم الله اعلم بمراده بذلك ذلك اي هذا الكتاب الذي يقرؤه محمد لا ريب شك فيه انه من عند الله وجملة النفي خبر مبتدؤه ذلك والاشارة به للتعظيم هدى خبر ثان هاد للمتقين اي الصائرين للتقوى بامتثال الاوامر واجتناب النواهي لاتقائهم بذلك النار الذين يؤمنون يصدقون بالغيب بما غاب عنهم من البعث والجنة والنار ويقيمون الصلاة اي ياتون بها بحقوقها ومما رزقناهم اعطيناهم ينفقون يخرجون في طاعة الله والذين يؤمنون بما انزل اليك اي القرآن وما انزل من قبلك اي التوراة والانجيل وغيرهما وبالآخرة هم يوقنون

يعلمون

نموذج رقم «١»
من «المخطوطة الأولى» المكتوبة عام (٩٢٢هـ الموافق ١٥١٦م)
وفيه: مقدمة السيوطي رحمه الله وتفسير أول سورة «البقرة»

لما بيت مع عجزي وضعفي، فمن لي بالخطا فارد عنه، ومن لي بالقبول ولو بحرف

وهذا ولم يكن قط في خلدي أن أتعرض لذلك لعلمي بالعجز عن الخوض في هذه المسالك ومسالي الله

أن ينفع به نفعا جما، ويفتح به قلوبا غلفا وأعينا عميا وآذانا صما، وكأني بمن اعتاد

بالمطولات وقد أضرب عن هذه التكملة وأصلها حسما وعدل إلى صريح العناد ولم

يوجه إلى دقائقها فهما، ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى، رزقنا الله به هداية إلى سبيل

الحق وتوفيقا واطلاعا على دقائق كلماته وتحقيقا، وجعلنا به مع الذين أنعم الله عليهم من

النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، وفرغ

من تأليفه يوم الأحد عاشر شوال سنة سبعين وثمانمائة.

وكان الابتداء فيه يوم الأربعاء مستهل رمضان من السنة المذكورة، وفرغ

من تبييضه يوم الأربعاء سادس صفر سنة إحدى وسبعين وثمانمائة على يد

مؤلفه العلامة جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي، وكتبه لنفسه العبد الفقير

إلى الله تعالى المعترف بالتقصير أحمد بن مغلباي الحنفي لطف الله تعالى به آمين، وفرغ منه

يوم الخميس سادس عشر من جمادى الأول سنة اثنين وعشرين وتسعمائة

قال الشيخ بن أبي بكر الخطيب أخبرني صديقنا الشيخ العلامة كمال الدين المحلي

أخو شيخنا الشيخ الإمام جلال الدين المحلي رحمه الله تعالى أنه رأى أخاه الشيخ جلال الدين

المذكور في النوم وبين يديه صديقنا الشيخ العلامة المحقق جلال الدين السيوطي

على مصنف هذه التكملة وقد أخذ الشيخ هذه التكملة في يده وتصفحها وقال لمصنفها

المذكور أيما أحسن وضعي أو وضعك فقال انظر وعرض عليه مواضع فيها شبها بحسد

والشيخ يتبسم ويضحك، قال شيخنا الشيخ الإمام العالم العلامة جلال

الدين بن أبي بكر السيوطي مصنف هذه التكملة الذي أعتقده وأجزم به أن الوضع الذي

وضعه الشيخ جلال الدين رحمه الله تعالى في قطعته أحسن من وضعي أنا بطبقات كثيرة

نموذج رقم «٢»

من «المخطوطة الأولى» المكتوبة عام (٩٢٢هـ الموافق ١٥١٦م)

وفيه . قسم من خاتمة السيوطي رحمه الله مبيناً فيه تاريخ: التأليف والنسخ

السميع، البصير، الحكم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور
العلي، الكبير، الحفيظ، المقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع،
الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد
المحصي، المبدئ، المعيد، المحيي، المميت، الحي، القيوم، الواجد، الاحد، الصمد، القادر
المقتدر، المقدم، المؤخر، الاول، الاخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعالي، البر
التواب، المنتقم، العفو، الرؤوف، مالك الملك، ذو الجلال والاكرام، المقسط
الجامع، الغني، المغني، المانع، الضار، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث
الرشيد، الصبور. رواه الترمذي. قال تعالى ولا تجهر بصلاتك بقراءتك فيها فيسمعك المشركون
فيسبوك ويسبوا القرآن ومن انزله ولا تخافت تسر بها لينتفع اصحابك وابتغ اقصد بين
ذلك الجهر والمخافتة سبيلا طريقا وسطا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك
الالوهية ولم يكن له ولي ينصره من اجل الذل اي لم يذل فيحتاج الى ناصر وكبره تكبيرا
عظمه عظمة تامة عن اتخاذ الولد والشريك والذل وكل ما لا يليق به وترتيب
الحمد على ذلك للدلالة على انه المستحق لجميع المحامد لكمال ذاته وتفرده في صفاته
روى احمد في مسنده عن معاذ الجهني عن رسول الله صلعم انه كان يقول آية العز الحمد
لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك الى اخر السورة والله تعالى اعلم

قال مؤلفه هذا اخر ما كملت به تفسير القرآن الكريم الذي الفه
الامام العلامة المحقق جلال الدين المحلي الشافعي رضي الله تعالى عنه وقد افرغت
فيه جهدي وبذلت فكري في نفائس اراها ان شاء الله تعالى تجدي والفته في مدة قدر ميعاد
الكليم وجعلته وسيلة للفوز بجنات النعيم وهو في الحقيقة مستفاد من الكتاب
المكمل وعليه في الاي المتشابهة الاعتماد والمعول فرحم الله امرا نظر بعين الانصاف اليه
ووقف فيه على خطأ فاطلعني عليه وقد قلت: حمدت الله ربي اذ هداني

نموذج رقم «٣»
وفيه آخر القسم الذي فسره السيوطي
أي آخر «الإسراء»، وأول خـاتمتـه

الحمد لله حمداً موافياً لنعمه مكافئاً لمزيده والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه
وجنوده هذا ما اشتدت إليه حاجة الراغبين في تكملة تفسير القرآن العظيم الذي ألفه
الإمام العلامة جلال الدين محمد بن أحمد المحلي الشافعي رحمه الله وتتميم ما فاته وهو من أول
سورة البقرة إلى آخر الإسراء بتتمة على نمطه من ذكر ما يفهم به كلام الله تعالى والاعتماد على أرجح
الأقوال وإعراب ما يحتاج إليه وتنبيه على القراءات المختلفة المشهورة على وجه لطيف وتعبير وجيز
وترك التطويل بذكر أقوال غير مرضية وأعاريب محلها كتب العربية والله أسأل النفع به في الدنيا
وحسن الجزاء عليه في العقبى بمنه وكرمه **سورة البقرة مدنية**
مائتان وست أو سبع وثمانون آية **بسم الله الرحمن الرحيم الم** الله أعلم بمراده بذلك
ذلك أي هذا **الكتاب** الذي يقرؤه محمد **لا ريب** لا شك **فيه** أنه من عند الله وجملة النفي خبر مبتدؤه ذلك والإشارة
به للتعظيم **هدى** خبر ثان أي هاد **للمتقين** الصائرين إلى التقوى بامتثال الأوامر واجتناب النواهي لاتقائهم بذلك النار
الذين يؤمنون يصدقون **بالغيب** بما غاب عنهم من البعث والجنة والنار **ويقيمون الصلاة** أي يأتون بها بحقوقها
ومما رزقناهم أعطيناهم **ينفقون** في طاعة الله **والذين يؤمنون بما أنزل إليك** أي القرآن **وما أنزل من قبلك** أي التوراة
والإنجيل وغيرهما **وبالآخرة هم يوقنون** يعلمون **أولئك** الموصوفون بما ذكر **على هدى من ربهم وأولئك هم
المفلحون** الفائزون بالجنة الناجون من النار **إن الذين كفروا** كأبي جهل وأبي لهب ونحوهما **سواء عليهم
أأنذرتهم** بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه
أم لم تنذرهم لا يؤمنون لعلم الله منهم ذلك فلا تطمع في إيمانهم والإنذار إعلام مع تخويف **ختم الله
على قلوبهم** طبع عليها واستوثق فلا يدخلها خير **وعلى سمعهم** أي مواضعه فلا ينتفعون بما يسمعونه من الحق
وعلى أبصارهم غشاوة غطاء فلا يبصرون الحق **ولهم عذاب عظيم** قوي دائم **ونزل في المنافقين**
ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر أي يوم القيامة لأنه آخر الأيام **وما هم بمؤمنين** روعي فيه معنى من
وفي ضمير يقول لفظها **يخادعون الله والذين آمنوا** بإظهار خلاف ما أبطنوه من الكفر ليدفعوا عنهم
أحكامه الدنيوية **وما يخادعون إلا أنفسهم** لأن وبال خداعهم راجع إليهم فيفتضحون في الدنيا بإطلاع
الله نبيه على ما أبطنوه ويعاقبون في الآخرة **وما يشعرون** يعلمون أن خداعهم لأنفسهم والمخادعة هنا
من واحد كعاقبت اللص وذكر الله فيها تحسين وفي قراءة وما يخدعون **في قلوبهم مرض** شك ونفاق فهو

نموذج رقم «٤»

من «المخطوطة الثانية» المكتوبة عام (١١٩٨هـ الموافق ١٧٨٣م)

وفيه: مقدمة الجلال السيوطي، وتفسير أول سورة «البقرة»

نموذج رقم «٥»

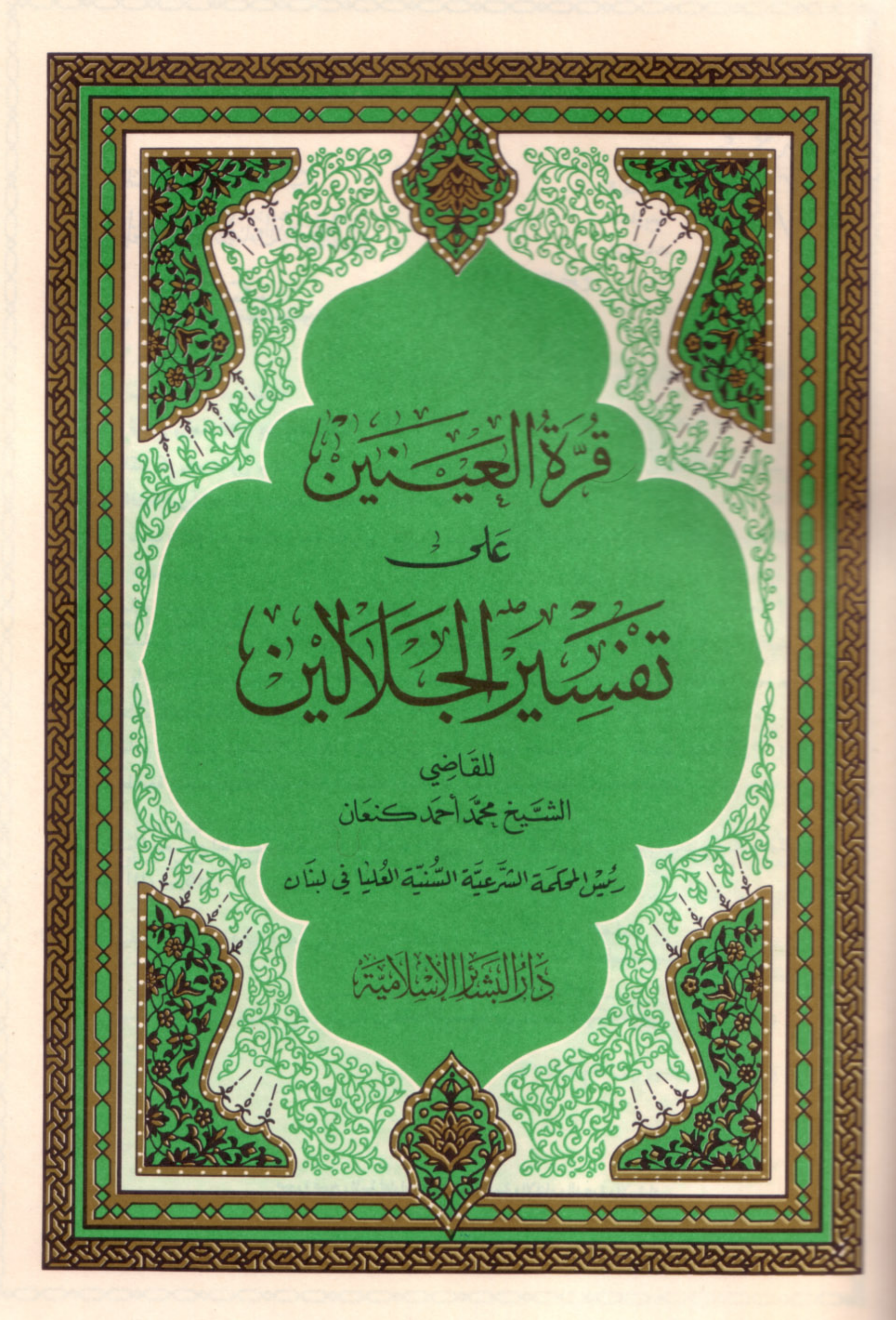
من «المخطوطة الثالثة» وهي غير مؤرخة

(ت)

نموذج رقم «٦»

نموذج من المخطوطة الثالثة

للصفحة الأخيرة من المقدمة



قرة العينين على تفسير الجلالين

للقاضي
الشيخ محمد أحمد كنعان
رئيس المحكمة الشرعية السنية العليا في لبنان

دار البشائر الإسلامية

[قال الإمام جلال الدين المحلّي رحمه الله تعالى]:

﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ ﴾

(مكيّة، سبع آياتٍ بالبسملة إن كانت منها، والسابعة: «صراط الذين» إلى آخرها، وإن لم تكن منها، فالسابعة «غير المغضوب» إلى آخرها، ويُقَدَّر في أولها: «قولوا»، ليكون ما قبل «إياك نعبد» مناسباً له، بكونها من مَقُول العباد)

١ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾. ٢ ﴿الحمد لله﴾ جملة خبرية قُصد بها الثناءُ على الله بمضمونها، من أنه تعالى مالكٌ لجميع الحمد من الخلق، أو مستحق لأن يحمَدوه، و «الله»: عَلَمٌ على المعبود بحقٍّ ﴿رب العالمين﴾ أي: مالك جميع الخلق، من الإنس والجن والملائكة والدوابِّ وغيرهم، وكلٌّ منها يُطْلَقُ عليه «عالَم»، يقال: عالَمُ الإنسِ، وعالَمُ الجن، إلى غير ذلك، وغُلِّب في جمعه بالياء والنون أُولو العلم على غيرهم، وهو [مشتقٌّ] من «العلامة»، لأنه علامة على موجده.



٣ ﴿الرحمن الرحيم﴾ أي: ذي الرحمة، وهي: إرادة الخير لأهله.

٤ ﴿ملك يوم الدين﴾ أي: الجزاء، وهو يوم القيامة، وخُصَّ بالذكر لأنه لا مُلْكَ فيه لأحد إلاّ لله تعالى، «لمن المُلْكُ اليومَ لله [الواحد القهار»،] ومن قرأ «مالك» فمعناه: مالك الأمر كلِّهِ في يوم القيامة، أو: هو موصوف بذلك دائماً كغافر الذنب، فصحَّ وقوعه صفةً لمعرفة.

٥ ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ أي: نَخُصُّك بالعبادة من توحيدٍ وغيره، ونطلب المعونة على العبادة وغيرها.

٦ ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ أي: أرشدنا إليه، ويُبْدَلُ منه:

٧ ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ بالهداية، ويُبدل من «الذين» بصلته: ﴿غير المغضوب عليهم﴾ وهم: اليهود ﴿ولا﴾ وغير ﴿الضالّين﴾[1] وهم: النّصارى، ونكتة البدل، إفادةُ أن المهتدين ليسوا يهوداً ولا نصارى.

---

(١) يُسَنُّ: بعد قراءة الفاتحة قول: «آمين» في الصلاة وغيرها. وهي ليست من كلمات القرآن الكريم باتفاق العلماء. ومعناها: «استجب يا رب» فهي: اسم فعل أمر مبني على الفتح. أخرج الترمذي وحسنه، والنسائي، والحاكم وصححه، والبيهقي في سننه وغيرهم عن وائل بن حُجْرٍ الحضرمي قال: سمعت رسول الله ﷺ قرأ ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ فقال: «آمين» يَمُدُّ بها صوته. وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا قال الإمام ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ فقولوا: آمين، فَمَنْ وافَقَ قولُهُ قولَ الملائكة، غُفر له ما تقدَّم من ذنبه».

[قال الإمام جلال الدين السُّيوطي رحمه الله تعالى]:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً موافياً لنعمه، مكافئاً لمزيده، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وجنوده، وبعد: فهذا ما اشتدَّت إليه حاجةُ الرَّاغبين، في تكملة تفسير القرآن الكريم، الذي ألَّفه الإمام المحقق جلال الدين: محمد بن أحمد المحلِّي الشافعي رحمه الله، وتتميم ما فاته، وهو: من أول سورة «البقرة» إلى آخر «الإسراء»، بتتمة على نَمَطه، مِنْ ذكرِ ما يُفْهَمُ به كلامُ الله تعالى، والاعتمادِ على أرجح الأقوال، وإعرابِ ما يُحْتَاجُ إليه، وتنبيهٍ على القراءات المختلفة المشهورة، على وجهٍ لطيف، وتعبيرٍ وجيزٍ، وترك التطويل بذكر أقوال غير مرضيَّةٍ، وأعاريبَ محلُّها كُتُبُ العربية، واللهَ نسألُ النفعَ به في الدنيا، وأحْسَنَ الجزاء عليه في العُقْبى، بمنِّه وكرمه.



﴿ سُورَةُ البَقَرَةِ ﴾

(مدنية مائتان وست أو سبع وثمانون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿الم﴾[1] الله أعلم بمراده بذلك.

٢ ﴿ذلك﴾ أي: هذا ﴿الكتاب﴾ الذي يقرؤه محمد [ﷺ] ﴿لا ريب﴾ شك ﴿فيه﴾ أنه من عند الله، وجملة النفي خبرٌ مبتدؤه «ذلك»، والإشارة به للتعظيم ﴿هدى﴾ خبرٌ ثانٍ، أي: هادٍ ﴿للمتقين﴾ الصائرين إلى التقوى، بامتثال الأوامر، واجتناب النواهي، لاتقائهم بذلك النار.

٣ ﴿الذين يؤمنون﴾ يصدقون ﴿بالغيب﴾ بما غاب عنهم من البعث، والجنة، والنار ﴿ويقيمون الصلاة﴾ أي: يأتون بها بحقوقها ﴿ومما رزقناهم﴾ أعطيناهم ﴿ينفقون﴾ في طاعة الله.

٤ ﴿والذين يؤمنون بما أنزل إليك﴾ أي: القرآن ﴿وما أنزل من قبلك﴾ أي: التوراة والإنجيل وغيرهما ﴿وبالآخرة هم يوقنون﴾ يعلمون.

---

(١) ليس لهذه الأحرف المنزلة في أوائل بعض السُّوَر معنىً مستقلٌ بالفهم بالنسبة إلينا، بل إنها نزلت متقطِّعة وتُقرأ كذلك، فهي سرُّ الله تعالى في القرآن كما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه، نؤمن بها ونقرؤها كما نزلت، ولكنَّ ذلك لا يمنع من التماس الحكمة من نزولها هكذا، فهي تشير إلى الحروف الهجائية العربية التي بها نزلت آيات القرآن تعجيزاً للعرب، لأنهم زعموا أن محمداً ﷺ يأتي بالقرآن من عنده، وهم يعلمون أنه أميٌّ لم يتعلم القراءة ولا الكتابة، فلو كان زعمهم هذا صحيحاً، لكانوا هم أقدرَ على الإتيان بمثله، بل بأحسن منه، لأنهم أهل اللغة، لكنهم عجزوا وبُهتوا، ولو استطاعوا لفعلوا: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضُهم لبعض ظهيراً﴾.

٥﴿أولئك﴾ الموصوفون بما ذُكِرَ ﴿على هدىً من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾ الفائزون بالجنة، الناجون من النار.
٦﴿إن الذين كفروا﴾ كأبي جهل وأبي لهب ونحوهما ﴿سواء عليهم ءأنذرتهم﴾ بتحقيق الهمزتين [مع مَدَّةٍ بينهما مَدّاً طبيعياً، فهما قراءتان]، وإبدالِ الثانية ألفاً [أي: مَدّاً لازماً بستِّ حركات، وهذه الثالثة]، وتسهيلها و [أي: مع] إدخالِ ألفٍ بين المسَهَّلة والأخرى، وتركِه، [ففيها خمس قراءات سَبْعية] ﴿أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ لعلم الله منهم ذلك، فلا تطمع في إيمانهم، و «الإنذارُ»: إعلامٌ مع تخويف.
٧﴿ختم الله على قلوبهم﴾ طبع عليها [بسبب كفرهم] واستوثق، فلا يدخلها خير ﴿وعلى سمعهم﴾ أي: مواضعه، فلا ينتفعون بما يسمعونه من الحق ﴿وعلى أبصارهم غشاوة﴾ غطاء، فلا يبصرون الحق ﴿ولهم عذاب عظيم﴾ قويٌّ دائم. ٨ونزل في المنافقين: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر﴾ أي: يوم القيامة، لأنه آخر الأيام ﴿وما هم بمؤمنين﴾ روعي فيه معنى «مَنْ»، وفي ضمير «يقول» [روعي] لفظُها.
٩﴿يخادعون الله والذين آمنوا﴾ بإظهار خلاف ما أبطنوه من الكفر، ليدفعوا عنهم أحكامَهُ الدُّنيوية، [كالقتل، والأسر، وضربِ الجزية عليهم] ﴿وما يخادعون إلاَّ أنفسهم﴾ لأن وبالَ خداعهم راجع إليهم، فَيَفْتَضِحُونَ في الدنيا بإطلاع الله نبيَّهُ على ما أبطنوه، ويعاقبون في الآخرة ﴿وما يشعرون﴾ وما يعلمون خداعهم لأنفسهم، و «المخادعة» هنا من واحد، «كعاقبتُ اللِّصَّ» وذِكْرُ الله فيها تحسين، وفي قراءة[1] «وما يخدعون» [من غير ألف] ١٠﴿في قلوبهم مرض﴾ شكٌّ ونفاق، فهو يُمْرِضُ قلوبهم، أي: يضعفها ﴿فزادهم الله مرضاً﴾ بما أنزله من القرآن لكفرهم به ﴿ولهم عذاب أليم﴾ مؤلم ﴿بما كانوا يكذِّبون﴾ بالتشديد، أي: [يُكذِّبون] نبيَّ الله، وبالتخفيف أي: [يَكْذِبون] في قولهم: آمنَّا.
١١﴿وإذا قيل لهم﴾ أي: لهؤلاء ﴿لا تفسدوا في الأرض﴾ بالكفر والتعويق عن الإيمان ﴿قالوا إنما نحن مصلحون﴾ وليس ما نحن فيه بفساد.
١٢قال الله تعالى ردّاً عليهم: ﴿ألا﴾ للتنبيه ﴿إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾ بذلك. ١٣﴿وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس﴾ أصحابُ النَّبي ﴿قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء﴾ الجهال؟ أي: لا نفعل كفعلهم، قال تعالى ردّاً عليهم: ﴿ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون﴾ ذلك.

أُولَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

(١) قوله: «وفي قراءة». يشير كلا الجلالين بقوله هذا إلى القراءة السبعية، أو التي في العشرة. وبقوله: «وقرئ» إلى القراءة الشاذة، وقد أضفنا بعدها كلمة «شذوذاً» لمزيد من البيان، ارجع إلى معنى القراءة الصحيحة والشاذة في المقدمة.

وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۚ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ۖ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ

١٤ ﴿وإذا لقوا﴾ أصله: «لَقِيُوا»، حُذفت «الضمة» للاستثقال، ثم «الياء» لالتقائها ساكنة مع الواو [ثم ضُمَّت القاف للمناسَبَة] ﴿الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا﴾ منهم ورجعوا ﴿إلى شياطينهم﴾ رؤسائهم ﴿قالوا إنا معكم﴾ في الدين ﴿إنما نحن مستهزئون﴾ بهم بإظهار الإيمان. ١٥ ﴿الله يستهزىء بهم﴾ يجازيهم باستهزائهم ﴿ويمدهم﴾ يمهلهم ﴿في طغيانهم﴾ بتجاوزهم الحدَّ بالكفر ﴿يعمهون﴾ يترددون تحيُّراً، حال. ١٦ ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى﴾ أي: استبدلوها به ﴿فما ربحت تجارتهم﴾ أي: ما ربحوا فيها، بل خسروا لمصيرهم إلى النار المؤبَّدة عليهم ﴿وما كانوا مهتدين﴾ فيما فعلوا. ١٧ ﴿مَثَلُهم﴾ صفتُهم في نفاقهم ﴿كمثل الذي استوقد﴾ أوقد ﴿ناراً﴾ في ظلمة ﴿فلما أضاءت﴾ أنارت ﴿ما حوله﴾ فأبصر واستدفأ وأَمِنَ ما يخافه ﴿ذهب الله بنورهم﴾ أطفأه، وجُمِعَ الضمير مراعاةً لمعنى «الذي» ﴿وتركهم في ظلمات لا يبصرون﴾ ما حولهم، متحيِّرين عن الطريق خائفين، فكذلك هؤلاء، أَمِنُوا بإظهار كلمة الإيمان، فإذا ماتوا جاءهم الخوف والعذاب. ١٨ هم ﴿صمٌّ﴾ عن الحق، فلا يسمعونه سماعَ قَبول ﴿بكم﴾ خُرْسٌ عن الخير، فلا يقولونه ﴿عُمي﴾ عن طريق الهدى، فلا يرونه ﴿فهم لا يرجعون﴾ عن الضلالة. ١٩ ﴿أو﴾ مَثَلُهُم ﴿كصيِّب﴾ أي: كأصحاب مطرٍ، وأصله «صَيْوِب» [اجتمعت الواو والياء، وَسَبَقَتْ إحداهما بالسكون، فَقُلبت الواو ياءً، ثم أُدغمتا] من «صاب، يَصُوب» أي: يَنزل ﴿من السماء﴾ السحاب ﴿فيه﴾ أي: السحاب ﴿ظلمات﴾ متكاثفة ﴿ورعد﴾ وهو: الملك الموكَّل به، وقيل: صوته ﴿وبرق﴾(١) لمعانُ سَوْطِه الذي يَزجُره به ﴿يجعلون﴾ أي: أصحاب الصَّيِّب ﴿أصابعهم﴾ أي: أناملها ﴿في آذانهم من﴾ أجل ﴿الصواعق﴾ شِدَّةِ صوت الرعد، لئلا يسمعوها ﴿حَذَرَ﴾ خوفَ ﴿الموت﴾ من سماعها، كذلك هؤلاء: إذا نزل القرآن وفيه ذكرُ الكفر المشبَّه بالظلمات، والوعيدُ عليه المشبَّه بالرعد، والحججُ البيِّنة المشبَّهة بالبرق، يسدُّون آذانهم لئلا يسمعوه، فيميلوا إلى الإيمان وتركِ دينهم، وهو عندهم موت ﴿والله محيط بالكافرين﴾ علماً وقدرة، فلا يفُوتونه.

٢٠ ﴿يكاد﴾ يقرُبُ ﴿البرق يخطَفُ أبصارهم﴾ يأخذها بسرعة ﴿كلما أضاء لهم مشوا فيه﴾ أي: في ضوئه ﴿وإذا أظلم عليهم قاموا﴾ وقفوا، [وهذا] تمثيل لإزعاج ما في القرآن من الحجج قلوبَهم، وتصديقِهِمْ لِمَا سمعوا فيه مما يحبون، ووقوفِهِمْ عما يكرهون ﴿ولو شاء الله لذهب بسمعهم﴾ بمعنى: أسماعهم ﴿وأبصارهم﴾ الظاهرة كما ذهب بالباطنة ﴿إن الله على كلِّ

(١) قوله تعالى: ﴿ورعد وبرق﴾. إن تفسير الجلال السيوطي رحمه الله لهما غير واضح، ارجع إلى تعليقنا حول: «الصاعقة والبرق والرعد» ص ٣٢٢.

شيءٍ﴾ شاءَهُ ﴿قدير﴾ ومنه إذهاب ما ذُكِرَ. ٢١﴿يا أيها الناس﴾ أي: أهل مكة [وغيرها] ﴿اعبدوا﴾ وَحِّدوا ﴿ربكم الذي خلقكم﴾ أنشأكم ولم تكونوا شيئاً ﴿و﴾ خلق ﴿الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ بعبادته عقابَهُ، و «لعلَّ» في الأصل: للترجي، وفي كلامه تعالى: للتحقيق. ٢٢﴿الذي جعل﴾ خلق ﴿لكم الأرض فراشاً﴾ حال، بساطاً يُفْتَرَشُ، لا غايةً في الصلابة أو: الليونة، فلا يمكن الاستقرار عليها ﴿والسماء بناءً﴾ سقفاً ﴿وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من﴾ أنواع ﴿الثمرات رزقاً لكم﴾ تأكلونه، وتَعْلِفُون به دوابَّكم ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً﴾ شركاء في العبادة ﴿وأنتم تعلمون﴾ أنه الخالق و [أن الأندادَ] لا يَخْلُقُون، ولا يكون إلَهاً إلاَّ مَنْ يَخْلُقُ. ٢٣﴿وإن كنتم في ريب﴾ شكٍّ ﴿مما نزَّلنا على عبدنا﴾ محمدٍ من القرآن، أنه من عند الله ﴿فأتوا بسورة من مثله﴾ أي: المنزَّل، و «من» للبيان، أي: هي مثله في البلاغة، وحسنِ النظم، والإخبار عن الغيب، و «السُّورة»: قطعةٌ لها أولٌ وآخر، أقلُّها ثلاثُ آيات ﴿وادعوا شهداءكم﴾ آلهتكم التي تعبدونها ﴿من دون الله﴾ أي: غيره، لتعينكم ﴿إن كنتم صادقين﴾ في أن محمداً قاله من عند نفسه، فافعلوا ذلك، فإنكم عَربيون فصحاءُ مثلُهُ.

٢٤ولما عجزوا عن ذلك قال تعالى: ﴿فإن لم تفعلوا﴾ ما ذُكِرَ لعجزكم ﴿ولن تفعلوا﴾ ذلك أبداً، لظهور إعجازه، [وجملة: «ولن تفعلوا»] اعتراض ﴿فاتقوا﴾ بالإيمان بالله، وأنه ليس من كلام البشر ﴿النار التي وَقودها الناس﴾ الكفار ﴿والحجارة﴾ كأصنامهم منها، يعني: أنها مُفْرِطَةُ الحرارة، تتَّقد بما ذُكِرَ، لا كنَارِ الدنيا تتَّقد بالحطب ونحوه ﴿أُعدت﴾ هُيِّئَتْ ﴿للكافرين﴾ يُعَذَّبون بها، جملة مستأنفة، أو: حال لازمة.

٢٥﴿وبشِّر﴾ أخبر ﴿الذين آمنوا﴾ صدَّقوا بالله ﴿وعملوا الصالحات﴾ من الفروض والنوافل ﴿أن﴾ أي: بأن ﴿لهم جنات﴾ حدائق ذات شجر، ومساكن ﴿تجري من تحتها﴾ أي: تحت أشجارها وقصورها ﴿الأنهار﴾ أي: [تجري] المياه فيها، و «النَهَرُ»: الموضع الذي يجري فيه الماء، لأن الماء يَنْهَرُهُ، أي: يحفره، وإسناد الجري إليه مجاز ﴿كلما رزقوا منها﴾ أُطعِمُوا من تلك الجنات ﴿من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي﴾ أي: مثلُ ما ﴿رزقنا من قبل﴾ أي: قبله في الجنة، لتشابه ثمارها، بقرينة [قوله:] ﴿وأتوا به﴾ أي: جيئوا بالرزق ﴿متشابهاً﴾ يشبه بعضه بعضاً لوناً، ويختلف طعماً ﴿ولهم فيها أزواج﴾ من الحور وغيرها ﴿مطهرة﴾ من الحيض وكلِّ قذر ﴿وهم فيها خالدون﴾ ماكثون أبداً، لا يَفْنَون ولا يخرجون.

٢٦ونزل ردّاً لقولَ اليهود ــ لما ضرب اللَّهُ المثلَ بالذُّباب في قوله: «وإنْ يَسْلُبْهم الذُّبابُ شيئاً»، والعنكبوت في قوله: «كَمَثَلِ العنكبوت»: ــ ما أراد الله بذكر هذه الأشياء الخسيسة؟: ﴿إن الله لا يستحيي

شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ

ربع الحزب

أن يضرب يجعل **﴿مثلاً﴾** مفعول أول **﴿ما﴾** نكرة موصوفة بما بعدها، مفعولٌ ثانٍ، أي: أيَّ مثل كان، أو: زائدة لتأكيد الخسَّة، فما بعدها المفعول الثاني **﴿بعوضةً﴾** مفرد «البعوض» وهو: صغار البَقّ **﴿فما فوقها﴾** أي: أكبر منها، أي: لا يترك بيانه لما فيه من الحِكَم **﴿فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه﴾** أي: المَثَلُ **﴿الحق﴾** الثابت الواقع موقعه **﴿من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً﴾** تمييز، أي: بهذا المثل، و «ما» استفهام إنكار، مبتدأ، و «ذا» بمعنى: «الذي» بصلته خَبَرُه، أي: أيُّ فائدة فيه؟. قال تعالى في جوابهم: **﴿يضلُّ به﴾** أي: بهذا المثل **﴿كثيراً﴾** عن الحق لكفرهم به **﴿ويهدي به كثيراً﴾** من المؤمنين لتصديقهم بهِ **﴿وما يضل به إلاّ الفاسقين﴾** الخارجين عن طاعته.

أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ

٢٧ **﴿الذين﴾** نعت **﴿ينقضون عهد الله﴾** ما عَهِدَه إليهم في الكُتب من الإيمان بمحمد ﷺ **﴿من بعد ميثاقه﴾** توكيدِهِ عليهم **﴿ويقطعون ما أمر الله به أن يوصَلَ﴾** من الإيمان بالنَّبي، و [صلةِ] الرحم، وغير ذلك، و «أن» بدل من ضمير «به» **﴿ويفسدون في الأرض﴾** بالمعاصي والتعويق عن الإيمان **﴿أولئك﴾** الموصوفون بما ذُكِرَ **﴿هم الخاسرون﴾** لمصيرهم إلى النار المؤبَّدة عليهم [إن لم يؤمنوا].

٢٨ **﴿كيف تكفرون﴾** يا أهل مكة **﴿بالله و﴾** قد **﴿كنتم أمواتاً﴾** نُطَفاً في الأصلاب **﴿فأحياكم﴾** في الأرحام والدنيا، بنفخ الروح فيكم؟، والاستفهام: للتعجب من كفرهم مع قيام البرهان، أو: للتوبيخ **﴿ثم يميتكم﴾** عند انتهاء آجالكم **﴿ثم يحييكم﴾** بالبعث **﴿ثم إليه ترجعون﴾** تُرَدُّون بعد البعث، فيجازيكم بأعمالكم.

٢٩ وقال دليلاً على البعث لمَّا أنكروه: **﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض﴾** أي: الأرض وما فيها **﴿جميعاً﴾** لتنتفعوا به وتعتبروا **﴿ثم استوى﴾** بعد خلق الأرض أي: قصد **﴿إلى السماء فسوَّاهن﴾** الضمير يرجع إلى «السماء»، لأنها في معنى الجمع الآيلة إليه [بعد خلقها]، أي: صيَّرها، كما في آية أخرى: «فقضاهُنَّ» **﴿سبع سماوات وهو بكل شيء عليم﴾** مجملاً ومفصلاً، أفلا تعتبرون أن القادر على خلق ذلك ابتداءً ــ وهو أعظم منكم ــ قادرٌ على إعادتكم؟!.

٣٠ **﴿و﴾** اذكر يا محمد **﴿إذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾** يَخْلُفُني في تنفيذ أحكامي فيها، وهو آدم **﴿قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها﴾** بالمعاصي **﴿ويسفك الدماء﴾** يُريقها بالقتل، كما فعل بنو الجانّ، وكانوا فيها، فلما أفسدوا، أرسل الله عليهم الملائكة، فطردوهم إلى الجزائر والجبال **﴿ونحن نسبح﴾** متلبِّسين **﴿بحمدك﴾** أي: نقول سبحان الله وبحمده **﴿ونقدِّس لك﴾** نُنَزِّهك عما لا يليق بك، فاللام زائدة، والجملة: حال، أي: فنحن أحقُّ بالاستخلاف.

﴿قال﴾ تعالى ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾ من المصلحة في استخلاف آدم، وأن ذريته فيهم المطيع والعاصي، فيظهر العدلُ بينهم، فقالوا: لن يخلق ربُّنا خلقاً أكرم عليه منا، ولا أعلم، لسبقنا له [أي: لذلك الخليفة، في الخلق والفضل]، ورؤيتنا ما لم يَرَهُ، فخلق الله تعالى آدم من أديم الأرض، أي: وجهها، بأن قبض منها قبضة من جميع ألوانها، وعُجِنَتْ بالمياه المختلفة، وسوَّاه ونفخ فيه الروح، فصار حيواناً حَسَّاساً، بعد أن كان جماداً. ٣١﴿وعلَّم آدم الأسماء﴾ أي: أسماء المسمَّيات ﴿كلَّها﴾ حتى القَصْعَةَ والقُصَيْعَةَ، والفَسْوَة والفُسَيَّة، والمِغْرَفَةَ، بأن ألقى في قلبه علمَها ﴿ثم عرضهم﴾ أي: المسمَّيات ـ وفيه تغليب العقلاء ـ ﴿على الملائكة فقال﴾ لهم تبكيتاً [وإلزاماً بالحجة، لإظهار مكانة آدم]: ﴿أنبئوني﴾ أخبروني ﴿بأسماء هؤلاء﴾ المسمَّيات ﴿إن كنتم صادقين﴾ في أني لا أخلق أعلَم منكم، أو: أنكم أحق بالخلافة، وجواب الشرط، دلَّ عليه ما قبله.

قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا
ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ
إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ
إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ
أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ
إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ
تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟
إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾
وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا
رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا
فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ

٣٢﴿قالوا سبحانك﴾ تنزيهاً لك عن الاعتراض عليك ﴿لا علم لنا إلاَّ ما علَّمتنا﴾ إياه ﴿إنك أنت﴾ تأكيد للكاف ﴿العليم الحكيم﴾ الذي لا يخرج شيء عن علمه وحكمته. ٣٣﴿قال﴾ تعالى: ﴿يا آدم أنبئهم﴾ أي: الملائكة ﴿بأسمائهم﴾ أي: المسمَّيات، فسمَّى كلَّ شيء باسمه، وذكر حكمتَهُ التي خُلِقَ لها ﴿فلما أنبأهم بأسمائهم قال﴾ تعالى لهم موبخاً [أي: منبِّهاً]: ﴿ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض﴾ ما غاب فيهما ﴿وأعلم ما تُبدون﴾ ما تُظهرون من قولكم: «أتجعل فيها» إلخ ﴿وما كنتم تكتمون﴾ تُسِرُّون من قولكم: «لن يَخْلُقَ الله أكرم عليه منا ولا أعلم»؟. ٣٤﴿و﴾ اذكر ﴿إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ سجود تحية بالانحناء ﴿فسجدوا إلاَّ إبليس﴾ [هو أبو الشياطين، ومن الجن، وقيل:] هو أبو الجن، كان بين الملائكة ﴿أبى﴾ امتنع من السجود ﴿واستكبر﴾ تكبَّر عنه، وقال: أنا خير منه ﴿وكان من الكافرين﴾ في علم الله. ٣٥﴿وقلنا يا آدم اسكن أنت﴾ تأكيد للضمير المستتر لِيُعْطَفَ عليه: ﴿وزوجك﴾ حواءُ، بالمد، وكان خلقُها من ضِلَعِه الأيسر ﴿الجنةَ وكُلا منها﴾ أكلاً ﴿رغداً﴾ واسعاً لا حَجْرَ فيه ﴿حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة﴾ أي: بالأكل منها، وهي: الحنطة، أو: الكرم، أو: غيرهما ﴿فتكونا﴾ فتصيرا ﴿من الظالمين﴾ العاصين.

٣٦﴿فأزلَّهما الشيطان﴾ إبليس [أي:] أذهبهما، وفي قراءة «فأزالهما» [أي:] نحَّاهما ﴿عنها﴾ أي: الجنة بأن قال لهما: «هل أدلُّكما على شجرة الخلد [ومُلْكٍ لا يَبْلَى؟»] وقاسمهما بالله إنه لهما لمن الناصحين، فأكلا منها ﴿فأخرجهما مما كانا فيه﴾ من النعيم ﴿وقلنا اهبطوا﴾ إلى الأرض، أي: أنتما بما اشتملتما عليه من ذريتكما ﴿بعضكم﴾ بعضُ الذرية ﴿لبعض عدوٌّ﴾ من ظلم بعضكم بعضاً ﴿ولكم في الأرض

مستقر﴾ موضع قرار ﴿ومتاع﴾ ما تتمتعون به من نباتها ﴿إلى حين﴾ وقتِ انقضاء آجالكم. ٣٧ ﴿فتلقَّى آدم من ربه كلمات﴾ ألهمه إياها، وفي قراءة: بنصب «آدم» ورفع «كلمات»، أي: جاءه، وهي: [قوله تعالى في سورة «الأعراف»: «قالا] ربَّنا ظلمنا أنفسنا» الآية، فدعا بها ﴿فتاب عليه﴾ قَبِلَ توبته[1] ﴿إنه هو التواب﴾ على عباده ﴿الرحيم﴾ بهم. ٣٨ ﴿قلنا اهبطوا منها﴾ من الجنة ﴿جميعاً﴾ كرَّره ليَعْطف عليه: ﴿فإما﴾ فيه إدغام نون «إنْ» الشرطية في «ما» الزائدة ﴿يأتينَّكم مني هدى﴾ كتابٌ ورسولٌ ﴿فمن تبع هداي﴾ فآمن بي وعمل بطاعتي ﴿فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ في الآخرة بأن يدخلوا الجنة. ٣٩ ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا﴾ كُتُبِنَا ﴿أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ ماكثون أبداً، لا يَفْنَون ولا يَخرجون.

مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ

٤٠ ﴿يا بني إسرائيل﴾ [هم] أولاد يعقوب ﴿اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم﴾ أي: على آبائكم، من الإنجاء من فرعون، وفلقِ البحر، وتظليلِ الغمام، وغيرِ ذلك، بأن تشكروها بطاعتي ﴿وأوفوا بعهدي﴾ الذي عهدته إليكم، من الإيمان بمحمد ﴿أوف بعهدكم﴾ الذي عَهِدتُه إليكم من الثواب عليه بدخول الجنة ﴿وإياي فارهبون﴾ خافونِ في ترك الوفاء به دون غيري.

٤١ ﴿وآمنوا بما أنزلت﴾ من القرآن ﴿مصدِّقاً لما معكم﴾ من التوراة، بموافقته له في التوحيد و [إثبات] النُّبوة ﴿ولا تكونوا أول كافر به﴾ من أهل الكتاب، لأن خَلفَكم تَبَعٌ لكم، فإثمهم عليكم ﴿ولا تشتروا﴾ تستبدلوا ﴿بآياتي﴾ التي في كتابكم من نعت محمد ﷺ ﴿ثمناً قليلاً﴾ عوضاً يسيراً من الدنيا، أي: لا تكتموها خوفَ فوات ما تأخذونه من سَفَلَتكم ﴿وإياي فاتقون﴾ خافون في ذلك دون غيري.

٤٢ ﴿ولا تَلْبِسوا﴾ تَخلطوا ﴿الحق﴾ الذي أنزلتُ عليكم ﴿بالباطل﴾ الذي تفترونه ﴿و﴾ لا ﴿تكتموا الحق﴾ نعتَ محمد ﴿وأنتم تعلمون﴾ [أي: والحال أنكم تعلمون] أنه الحق.

٤٣ ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين﴾ صلُّوا مع المصلِّين، محمدٍ وأصحابِه. ٤٤ ونزل في علمائهم، وكانوا يقولون لأقربائهم المسلمين: اثبتوا على دين محمد فإنه حق: ﴿أتأمرون الناس بالبرِّ﴾ بالإيمان بمحمد ﴿وتنسَوْن أنفسكم﴾ تتركونها فلا تأمرونها به ﴿وأنتم تتلون الكتاب﴾ التوراة، وفيها الوعيدُ على مخالفة القول العملَ؟

---

(١) قوله: «قبل توبته» ارجع إلى تعليقنا حول «آدم والأكل من الشجرة» ص ٤١٧ وما يليها، وحول «حواء» ص ٥٣٣، وحول «إبليس» ص ٣٨٨، وإلى تعليقنا حول «التوبة» ص ٧٥٢، وحول «الجن» ص ٧٧٠.

﴿أفلا تعقلون﴾ سوءَ فعلكم، فترجعون؟، فجملة النسيان [هي] محلُّ الاستفهام الإنكاري [أي: كيف يحصل منكم ذلك؟]. ٤٥ ﴿واستعينوا﴾ اطلبوا المعونة على أموركم ﴿بالصبر﴾ الحبس للنفس على ما تكره ﴿والصلاة﴾ أفردها بالذكر تعظيماً لشأنها، وفي الحديث: «كان ﷺ إذا حَزَبَه أمرٌ بادر إلى الصلاة» [أخرجه أحمد في مسنده، وأبو داود]. وقيل: الخطاب لليهود، لمّا عاقهم عن الإيمان الشَّرَهُ وحبُّ الرِّياسة، أُمِروا بالصبر، وهو: الصوم، لأنه يكسر الشهوة، والصلاةِ، لأنها تورث الخشوع وتنفي الكِبْرَ ﴿وإنها﴾ أي: الصلاة ﴿لكبيرة﴾ ثقيلة ﴿إلاّ على الخاشعين﴾ الساكنين إلى الطاعة. ٤٦ ﴿الذين يظنون﴾ يوقنون ﴿أنهم ملاقو ربهم﴾ بالبعث ﴿وأنهم إليه راجعون﴾ في الآخرة فيجازيهم. ٤٧ ﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم﴾[1] بالشكر عليها بطاعتي ﴿وأني فضلتكم﴾ أي: [فضلت] آباءكم ﴿على العالمين﴾ عالمي زمانهم. ٤٨ ﴿واتقوا﴾ خافوا ﴿يوماً لا تجزي﴾ فيه ﴿نفس عن نفس شيئاً﴾ وهو: يوم القيامة ﴿ولا تُقبل﴾ بالتاء والياء ﴿منها شفاعة﴾ أي: ليس لها شفاعة فَتُقْبَلَ، «فما لنا من شافعين» ﴿ولا يؤخذ منها عدل﴾ فداء ﴿ولا هم ينصرون﴾ يُمنعون من عذاب الله.

٤٩ ﴿و﴾ اذكروا ﴿إذ نجيناكم﴾ أي: آباءكم، والخطاب به وبما بعده، للموجودين في زمن نبينا بما أنعم على آبائهم، تذكيراً لهم بنعمة الله تعالى ليؤمنوا ﴿من آل فرعون يسومونكم﴾ يذيقونكم ﴿سوء العذاب﴾ أَشَدَّهُ، والجملة حال من ضمير «نجّيناكم» ﴿يذبحون﴾ بيان لما قبله ﴿أبناءكم﴾ المولودين ﴿ويستحيون﴾ يستبْقُون ﴿نساءكم﴾ [فلا يقتلونهن،] لقول بعض الكهنة له: إنَّ مولوداً يولد في بني إسرائيل، يكون سبباً لذهاب ملكك ﴿وفي ذلكم﴾ العذاب، أو: الإنجاء ﴿بلاء﴾ ابتلاء، أو: إنعام ﴿من ربكم عظيم﴾.

٥٠ ﴿و﴾ اذكروا ﴿إذ فرقنا﴾ فلقنا ﴿بكم﴾ بسببكم ﴿البحر﴾ حتى دخلتموه هاربين من عدوكم ﴿فأنجيناكم﴾ من الغرق ﴿وأغرقنا آل فرعون﴾ قومَهُ معه ﴿وأنتم تنظرون﴾ إلى انطباق البحر عليهم.

٥١ ﴿وإذا واعدنا﴾ بألف، ودونها ﴿موسى أربعين ليلة﴾ نعطيه عند انقضائها التوراة لتعملوا بها ﴿ثم اتخذتم العجل﴾ الذي صاغه لكم السامريُّ إلهاً [كما سيأتي ص ٤١٥] ﴿من بعده﴾ أي: بعد ذهابه إلى ميعادنا ﴿وأنتم ظالمون﴾ باتخاذه، لوضعكم العبادة في غير محلِّها. ٥٢ ﴿ثم عفونا عنكم﴾ محونا ذنوبكم ﴿من بعد ذلك﴾ الاتخاذ ﴿لعلكم تشكرون﴾ نعمتنا عليكم. ٥٣ ﴿وإذ آتينا موسى الكتاب﴾ التوراة

أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ
إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ
وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ
ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ
يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ
وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم
مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ
وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿٤٩﴾
وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ
تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ
ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم مِّنۢ بَعۡدِ
ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ

(١) قوله تعالى: ﴿يا بني إسرائيل﴾ الآيات. لقد قصَّتِ الآيات (٤٠ ــ ١٢٣) من سورة «البقرة» أخبار بني إسرائيل، واليهود منهم =

﴿والفرقان﴾ عطف تفسير، أي: الفارق بين الحق والباطل، والحلالِ والحرام ﴿لعلكم تهتدون﴾ به من الضلال.
٥٤ ﴿وإذ قال موسى لقومه﴾ الذين عبدوا العجل ﴿يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل﴾ إلٰهاً ﴿فتوبوا إلى بارئكم﴾ خالقكم من عبادته ﴿فاقتلوا أنفسكم﴾ أي: ليقتل البريءُ منكم المجرمَ ﴿ذلكم﴾ القتلُ ﴿خير لكم عند بارئكم﴾ فوفّقكم لفعل ذلك، وأرسل عليكم سحابةً سوداء [مظلمة]، لئلا يُبصر بعضُكم بعضاً فيرحَمَهُ، حتى قُتِلَ منكم نَحْوُ سبعين ألفاً ﴿فتاب عليكم﴾ قَبِلَ توبتكم ﴿إنه هو التواب الرحيم﴾.
٥٥ ﴿وإذ قلتم﴾ وقد خرجتم مع موسى لتعتذروا إلى الله من عبادة العجل، وسمعتم كلامه: ﴿يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة﴾ عِيَاناً ﴿فأخذتكم الصاعقة﴾ الصَّيحة فَمُتُّمْ ﴿وأنتم تنظرون﴾ ما حَلَّ بكم.
٥٦ ﴿ثم بعثناكم﴾ أحييناكم ﴿من بعد موتكم لعلكم تشكرون﴾ نعمتنا بذلك.
٥٧ ﴿وظلّلنا عليكم الغمام﴾ سترناكم بالسحاب الرقيق من حرِّ الشمس في التِّيه ﴿وأنزلنا عليكم﴾ فيه ﴿المنَّ والسلوى﴾ هما التُّرَنْجَبِين [وهو كالعسل الأبيض]، والطيرُ السُّمَانى ــ بتخفيف الميم والقصر ــ وقلنا: ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ ولا تَدَّخروا، فكفروا النعمة وادَّخروا، فَقُطِعَ عنهم ﴿وما ظلمونا﴾ بذلك ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ لأن وباله عليهم.
٥٨ ﴿وإذ قلنا﴾ لهم بعد خروجهم من التيه: ﴿ادخلوا هذه القرية﴾ بيت المقدس، أو: أريحا ﴿فكلوا منها حيث شئتم رغداً﴾ واسعاً لا حَجْرَ فيه ﴿وادخلوا الباب﴾ أي: بابها ﴿سجداً﴾ مُنْحَنِين ﴿وقولوا﴾ مسألَتُنَا ﴿حِطَّةٌ﴾ أي: أن تَحُطَّ عنا خطايانا ﴿نغفر﴾ وفي قراءة بالياء والتاء مبنياً للمفعول فيهما ﴿لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين﴾ بالطاعة ثواباً. ٥٩ ﴿فبدل الذين ظلموا﴾ منهم ﴿قولاً غير الذي قيل لهم﴾ فقالوا: حبةٌ في شَعَرَةٍ، ودخلوا يزحفون على أستاههم [كما في حديث رواه الشيخان سيأتي نصه ص ٢١٩] ﴿فأنزلنا على

وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ
يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ
بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ
عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ
لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ
وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ
وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن
كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ
فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟
حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾
فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى

= خاصة مع موسى عليه السَّلام، وطرفاً من أخبار النصارى، فالتبس على بعض الناس ما فيها من ثناء على بني إسرائيل لما في آيات أخرى من ذم اليهودِ ولعنهم. وسبب ذلك عدمُ التفريق بين «بني إسرائيل» و «اليهود» والظنُّ بأنهما شيء واحد، وهذا خطأ واضح لأن القرآن الكريم فرَّق بينهما، فإذا جمعنا الآيات التي تذكر «بني إسرائيل» في مقابلة الآيات التي نزلت في «اليهود» نرى: أن «إسرائيل» هو لقب نبي الله «يعقوب» بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصَّلاة والسَّلام، وأن «بني إسرائيل» هم أولاده «يوسف وإخوته» وذرياتهم. قال تعالى: ﴿كل الطعام كان حِلاًّ لبني إسرائيل إلاَّ ما حرم إسرائيل ــ أي: يعقوب ــ على نفسه من قبل أن تنزل التوراة﴾. وإسرائيل وبنوه كانوا مسلمين فعندما يذكر الله تعالى =

﴿الذين ظلموا﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر، مبالغةً في تقبيح شأنهم ﴿رجزاً﴾ عذاباً طاعوناً ﴿من السماء بما كانوا يفسقون﴾ بسبب فسقهم، أي: خروجهم عن الطاعة، [قيل]: فهلك منهم في ساعة سبعون ألفاً، أو: أقلُّ. ٦٠ ﴿و﴾ اذكر ﴿إذ استسقى موسى﴾ أي: طلب السُّقْيَا ﴿لقومه﴾ وقد عطشوا في التِّيه ﴿فقلنا اضرب بعصاك الحجر﴾ وهو [الحجر] الذي فَرَّ بثوبه، خفيف مربَّع كرأس الرجل، رخام أو كذَّان [ــ بتشديد الذال ــ حجارة رَخْوَةٌ]، أو: هو مطلق حجر كما سيأتي ص ٥٦١]، فَضَرَبَهُ ﴿فانفجرت﴾ انشقت وسالت ﴿منه اثنتا عشرة عيناً﴾ بعدد الأسباط ﴿قد علم كل أناس﴾ سِبْطٍ منهم ﴿مشربهُم﴾ موضعَ شربهم، فلا يَشْرَكُهُم فيه غيرُهم، وقلنا لهم: ﴿كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ حال مؤكِّدة لعاملها، من «عَثِيَ» بكسر المثلثة [أي:] أفسد.

٦١ ﴿وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام﴾ أي: نوع منه ﴿واحد﴾ وهو: المنُّ والسلوى ﴿فادع لَنا ربك يخرج لنا﴾ شيئاً ﴿مما تُنبت الأرض من﴾ للبيان ﴿بقلها وقثائها وفومها﴾ حنطتها [أو: «ثومها» لقراءة ابن مسعود «وثومها»] ﴿وعدسها وبصلها قال﴾ لهم موسى ﴿أتستبدلون الذي هو أدنى﴾ أخسُّ ﴿بالذي هو خير﴾ أشرف؟، أي: أتأخذونه بدله؟، والهمزة للإنكار، فأبوا أن يرجعوا، فدعا [موسى] الله تعالى [بما طلبوه] فقال تعالى: ﴿اهبطوا﴾ انزلوا ﴿مصراً﴾ من الأمصار [أي: بلدةً من البلدان] ﴿فإن لكم﴾ فيه ﴿ما سألتم﴾ من النبات ﴿وضُربت﴾ جُعلت ﴿عليهم الذلَّة﴾ الذُّلُّ والهوان ﴿والمسكنة﴾ أي: أثر الفقر، من السكون والخزي، فهي لازمة لهم ــ وإن كانوا أغنياء ــ لزومَ الدرهم المضروب لسكَّته [أي: طُبعت عليهم فلا تفارقهم] ﴿وباؤوا﴾ رجعوا ﴿بغضب من الله ذلك﴾ أي: الضرب والغضب ﴿بأنهم﴾ أي: بسبب أنهم ﴿كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين﴾ كزكريا ويحيى ﴿بغير الحق﴾ أي: ظلماً ﴿ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ يتجاوزون الحد في المعاصي، وكرره للتأكيد.

٦٢ ﴿إن الذين آمنوا﴾[1] بالأنبياء من قبلُ ﴿والذين هادوا﴾ هم اليهود ﴿والنصارى والصابئين﴾ طائفة من اليهود، أو: النصارى ﴿من

الجزء الأول

ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ

= «بني إسرائيل» بخير، فالمقصود أولاد يعقوب والصالحون من ذريتهم، لا اليهود، أما اليهود: فهم الذين عبدوا عجل السامري، ثم تابوا، واسمهم هذا مشتق من «هاد» إذا تاب ورجع، ولكن توبتهم لم تكن صادقة ﴿وأُشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم﴾، وهم فئة من بني إسرائيل وليسوا كلَّ بني إسرائيل، فليس كل إسرائيلي يهودياً. كما أنه ليس كل يهودي إسرائيلياً.

(١) قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا﴾ الآية، لا يصح أن يُفهم من هذه الآية، ومن مثيلتها التي في سورة المائدة ص ١٥١ ومن الآية ١٧ =

آمن﴾ منهم ﴿بالله واليوم الآخر﴾ في زمن نبينا ﴿وعمل صالحاً﴾ بشريعته ﴿فلهم أجرهم﴾ أي: ثواب أعمالهم ﴿عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ روعي في ضمير «آمَنَ» و «عَمِلَ» لفظُ: «مَنْ»، وفيما بعده [روعي] معناها.
٦٣﴿و﴾ اذكر ﴿إذ أخذنا ميثاقكم﴾ عَهْدَكم بالعمل بما في التوراة ﴿و﴾ قد ﴿رفعنا فوقكم الطور﴾ الجبل، اقتلعناه من أصله عليكم لمَّا أبيتم قبولها، وقلنا: ﴿خذوا ما آتيناكم بقوة﴾ بِجِدٍّ واجتهاد ﴿واذكروا ما فيه﴾ بالعمل به ﴿لعلكم تتقون﴾ النار، أو: المعاصي. ٦٤﴿ثم توليتم﴾ أعرضتم ﴿من بعد ذلك﴾ الميثاق عن الطاعة ﴿فلولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ لكم بالتوبة، أو: تأخير العذاب ﴿لكنتم من الخاسرين﴾ الهالكين. ٦٥﴿ولقد﴾ لام قسم ﴿علمتم﴾ عرفتم

سُورَةُ البَقَرَةِ ٢

ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾

﴿الذين اعتدوا﴾ تجاوزوا الحد ﴿منكم في السبت﴾ لصيد السمك وقد نهيناهم عنه، وهم أهل «إيلَةَ» [وهي: بلدة عند خليج العقبة] ﴿فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين﴾ مُبْعَدين، فكانوها، وهَلَكوا بعد ثلاثة أيام.
٦٦﴿فجعلناها﴾ أي: تلك العقوبة ﴿نكالاً﴾ عبرةً [لغيرهم] مانعةً من ارتكاب مثل ما عملوا ﴿لما بين يديها وما خلفها﴾ أي: الأمم التي في زمانها وبعدها ﴿وموعظة للمتقين﴾ اللَّه، وخُصُّوا بالذكر، لأنهم المنتفعون بها، بخلاف غيرهم.
٦٧﴿و﴾ اذكر ﴿إذ قال موسى لقومه﴾ وقد قُتِلَ لهم قتيل لا يُدْرَى قاتِلُهُ، وقد سألوه أن يدعو الله أن يُبَيِّنَهُ لهم، فدعاه: ﴿إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هُزُواً﴾ [بالهمز مع ضم الزاي وسكونها، وبضم الزاي مع إبدال الهمزة واواً، أي:] مهزوءاً بنا، حيث تُجيبنا بمثل ذلك؟ ﴿قال أعوذ﴾ أمتنع ﴿بالله﴾ من ﴿أن أكون من الجاهلين﴾ المستهزئين.
٦٨فلما علموا أنه عَزْمٌ [أي: فَرْضٌ لا هزل فيه] ﴿قالوا ادع لنا ربك يبيِّن لنا ما هي﴾ أي: ما سِنُّها؟ ﴿قال﴾ موسى ﴿إنه﴾ أي: الله ﴿يقول إنها بقرة لا فارض﴾ مُسِنَّةٌ ﴿ولا بكر﴾ صغيرة [بل هي] ﴿عوان﴾ نَصَفٌ [في سنِّها] ﴿بين ذلك﴾ المذكور من السِّنَّيْنِ ﴿فافعلوا ما تؤمرون﴾ به من ذبحها.

= من سورة الحج ص ٤٢٥: أن اليهود، أو النصارى، أو الصابئين، أو أحداً من الكافرين، سيدخلون الجنة على ما هم عليه من كفر وضلال، بل إن نجاتهم من النار تتوقف على إيمانهم بما جاء به محمد ﷺ، لا سبيل لهم سواه، وليس في الآية «قواسم مشتركة» بين المسلمين وغيرهم كما يزعم البعض، فالناس: مؤمن أو كافر، لا وسط بينهما، وهذا أصل من أصول العقيدة، لا يجوز التساهل فيه مطلقاً، فمُجمل معنى الآية هو: أن النجاة من العذاب ليست بأماني الناس، بل هي لمن آمن إيماناً صحيحاً كما أمره الله على لسان رسوله، لا كما يهوى الإنسان ويتمنى، ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾، ارجع إلى تعليقنا حول «الصابئين» ص ١٥١.

٦٩﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها﴾ شديد الصفرة ﴿تَسُرُّ الناظرين﴾ إليها بحسنها، أي: تُعجبهم. ٧٠﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي﴾ أسائمة، أم عاملة؟ ﴿إن البقر﴾ أي: جنسُهُ المنعوت بما ذُكر ﴿تشابه علينا﴾ لكثرته، فلم نهتد إلى المقصودة ﴿وإنا إن شاء الله لمهتدون﴾ إليها، وفي الحديث[1] «لو لم يستثنوا لما بُيِّنَتْ لهم آخرَ الأبد». ٧١﴿قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول﴾ غير مذللة بالعمل، [فهي لا] ﴿تثير الأرض﴾ تقلبها للزراعة، والجملة صفة «ذلول» داخلة في النفي [أي: لا تعمل في حراثة الأرض] ﴿ولا تسقي الحرث﴾ الأرض المهيأة للزراعة ﴿مسلَّمة﴾ من العيوب وآثار العمل ﴿لاشية﴾ [لا] لون [آخر] ﴿فيها﴾ غير لونها [الأصفر الفاقع] ﴿قالوا الآن جئت بالحق﴾ نطقت بالبيان التام، فطلبوها فوجدوها عند الفتى البارِّ بأمه، فاشترَوها بملء مَسْكها [ــ بفتح الميم ــ أي: جلدها] ذهباً ﴿فذبحوها وما كادوا يفعلون﴾ لغلاء ثمنها، وفي الحديث[2] «لو ذبحوا أيَّ بقرة كانت لأجزأتهم، ولكنْ شدَّدوا على أنفسهم فشدّد الله عليهم».

٧٢﴿وإذ قتلتم نفساً فادارأتم﴾ فيه إدغام «التاء» في الأصل في «الدال»، أي: تخاصمتم وتدافعتم ﴿فيها﴾ [فاتَّهَمَ بعضُكم بعضاً بقتل تلك النفس] ﴿والله مخرج﴾ مظهر ﴿ما كنتم تكتمون﴾ من أمرها، وهذا اعتراض وهو أول القصة.

٧٣﴿فقلنا اضربوه﴾ أي: القتيل ﴿ببعضها﴾ فضُربَ [بجزء منها، قيل:] بلسانها، أو عَجْبِ[3] ذنبها فَحَيِيَ، وقال: قتلني فلان وفلان ــ لابني عمِّه ــ ومات، فَحُرِما الميراث وقُتِلا، وقال تعالى ﴿كذلك﴾ الإحياء ﴿يحيي الله الموتى ويريكم آياته﴾ دلائلَ قدرته ﴿لعلكم تعقلون﴾ تتدبَّرون، فتعلمون أن القادر على إحياء نفس واحدة، قادر على إحياء نفوس كثيرة، فتؤمنون.

٧٤﴿ثم قست قلوبكم﴾ أيها اليهود، صَلُبت عن قبول الحق ﴿من بعد ذلك﴾ المذكور من إحياء القتيل، وما قبله من الآيات ﴿فهي كالحجارة﴾ في القسوة ﴿أو أشد قسوة﴾ منها ﴿وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق﴾ فيه إدغام «التاء» في الأصل في «الشين» ﴿فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط﴾ ينزل من عُلْوٍ إلى سُفْلٍ ﴿من خشية الله﴾ وقلوبكم لا تتأثر ولا تلين ولا تخشع

قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّـٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَـٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ

(١) قوله: «وفي الحديث الخ» أخرجه الطبري بإسناد منقطع، عن ابن جريج وقتادة السَّدوسي، عن النبي ﷺ، وروي متصلاً.
(٢) قوله: «وفي الحديث: لو ذبحوا. . .» إلخ، أخرجه الطبري وابن أبي حاتم، عن ابن عباس موقوفاً، وأخرج البزار وغيره قريباً منه مرفوعاً.
(٣) قوله: «أو عَجْبُ ذنبها» هو: عظم كالخردلة في العُصْعُص آخر سلسلة الظهر، وهو مختص بالإنسان على الصحيح ولا يوجد في الحيوان.

﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ وإنما يؤخركم لوقتكم، وفي قراءة بالتحتانية، وفيه الالتفات عن الخطاب.
٧٥﴿أفتطمعون﴾ أيها المؤمنون ﴿أن يؤمنوا لكم﴾ أي: اليهود ﴿وقد كان فريق﴾ طائفة ﴿منهم﴾ [هم] أحبارهم ﴿يسمعون كلام الله﴾ في التوراة ﴿ثم يحرفونه﴾ يغيِّرونه[1] ﴿من بعد ما عقلوه﴾ فهموه ﴿وهم يعلمون﴾ أنهم مفترون؟ والهمزة للإنكار، أي: لا تطمعوا [في إيمانهم]، فلهم سابقة بالكفر.
٧٦﴿وإذا لقوا﴾ أي: منافقو اليهود ﴿الذين آمنوا قالوا آمنا﴾ بأن محمداً نبيٌّ، وهو المبشَّر به في كتابنا ﴿وإذا خلا﴾ رجع ﴿بعضهم إلى بعض قالوا﴾ أي: رؤساؤهم الذين لم ينافقوا لمن نافق ﴿أتحدثونهم﴾ أي: المؤمنين ﴿بما فتح الله عليكم﴾ أي: عرَّفكم في التوراة من نعت محمد ﴿ليحاجوكم﴾ ليخاصموكم، واللام للصيرورة [أي: ليصيروا خصماءكم] ﴿به عند ربكم﴾ في الآخرة، ويقيموا عليكم الحجة في ترك اتِّباعه مع علمكم بصدقه؟ ﴿أفلا تعقلون﴾ أنهم يحاجونكم إذا حدَّثتموهم، فتنتهون؟.

سُورَةُ البَقَرَةِ ٢

وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ

٧٧قال تعالى: ﴿أو لا يعلمون﴾ الاستفهام للتقرير، والواو الداخل عليها للعطف ﴿أن الله يعلم ما يُسرون وما يعلنون﴾ ما يُخفون وما يُظهرون، من ذلك وغيره، فيرعَوُوا عن ذلك؟
٧٨﴿ومنهم﴾ أي: اليهود ﴿أميون﴾ عوامُّ ﴿لا يعلمون الكتاب﴾ التوراة ﴿إلَّا﴾ لكن ﴿أماني﴾ أكاذيب تلقوها من رؤسائهم فاعتمدوها ﴿وإن﴾ ما ﴿هم﴾ في جحد نبوة النبي وغيره مما يختلقونه ﴿إلَّا يظنون﴾ ظناً ولا علم لهم [والظن لا يغني من الحق شيئاً].
٧٩﴿فويل﴾ شدةُ عذابٍ ﴿للذين يكتبون الكتاب بأيديهم﴾ أي: مُختلَقاً من عندهم ﴿ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً﴾ من الدنيا، وهم اليهود، غيَّروا صفة النبي في التوراة، وآية الرجم، وغيرَهما، وكتبوها على خلاف ما أُنزِلَ ﴿فويل لهم مما كتبت أيديهم﴾ من المختلق ﴿وويل لهم مما يكسبون﴾ من الرُّشا «جمع رشوة».
٨٠﴿وقالوا﴾ لما وعدهم النبي النار: ﴿لن تمسنا﴾ تصيبنا ﴿النار إلَّا أياماً معدودة﴾ قليلة، أربعين يوماً، مدة عبادة آبائهم العجل، ثم تزول ﴿قل﴾ لهم يا محمد: ﴿أتخذتم﴾ حذفت منه همزة الوصل استغناءً بهمزة الاستفهام ﴿عند الله عهداً﴾ ميثاقاً منه بذلك ﴿فلن يخلف الله عهده﴾ به؟ لا.. [أي: لا عهد لكم عند الله تعالى بذلك] ﴿أم﴾ بل ﴿تقولون

(١) قوله: «يغيرونه»، لا شك في أن التوراة التي أنزلت على موسى عليه السّلام قد حُرِّفت، وأن الإنجيل الذي أنزل على عيسى ابن مريم عليه السّلام قد غيِّر وبُدِّل، وأن الذين فعلوا ذلك هم الأحبار والرهبان، الذين يعلمون الكتاب ويقرؤونه، دون سواهم من عامة اليهود والنصارى.

على الله ما لا تعلمون﴾. ٨١﴿بلى﴾ تمسُّكم [النار] وتخلدون فيها ﴿من كسب سيئة﴾ شركاً ﴿وأحاطت به خطيئته﴾ بالإفراد، والجمع، أي: استولت عليه وأحدقت به من كل جانب، بأن مات مشركاً ﴿فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ روعي فيه معنى «مَنْ»، [فجاء على الجمع]. ٨٢﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾.

٨٣﴿و﴾ اذكر ﴿إذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل﴾ في التوراة وقلنا ﴿لا تعبدون﴾[1] بالتاء والياء ﴿إلاّ الله﴾ خبر بمعنى النهي، وقرىء [شذوذاً]: «لا تعبدوا» [بصيغة النهي] ﴿و﴾ أحْسِنُوا﴿بالوالدين إحساناً﴾ برّاً ﴿وذي القربى﴾ القرابة، عطف على «الوالدين» ﴿واليتامى والمساكين وقولوا للناس﴾ قولاً﴿حَسَناً﴾ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصدق في شأن محمد، والرفقِ بهم، وفي قراءة بضم الحاء وسكون السين، مصدر، وُصِفَ به مبالغةً ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ فقبلتم ذلك ﴿ثم تولَّيتم﴾ أعرضتم عن الوفاء به، فيه التفات عن الغيبة، والمراد آباؤهم ﴿إلاّ قليلاً منكم وأنتم معرضون﴾ عنه كآبائكم. ٨٤﴿وإذ أخذنا ميثاقكم﴾ وقلنا ﴿لا تسفكون دماءكم﴾ تريقونها بقتل بعضكم بعضاً ﴿ولا تخرجون أنفسكم من دياركم﴾ [أي:] لا يُخرج بعضُكم بعضاً من داره ﴿ثم أقررتم﴾ قبلتم ذلك الميثاق ﴿وأنتم تشهدون﴾ على أنفسكم.

٨٥﴿ثم أنتم﴾ يا ﴿هؤلاء تقتلون أنفسكم﴾ يقتل بعضكم بعضاً ﴿وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظّاهرون﴾ فيه إدغام «التاء» في الأصل في «الظاء»، وفي قراءة بالتخفيف على حذفها [أي: حذف التاء، أي:] تتعاونون ﴿عليهم بالإثم﴾ بالمعصية ﴿والعدوان﴾ الظلم ﴿وإن يأتوكم أسارى﴾ وفي قراءة «أسرى» ﴿تُفْدوهم﴾ وفي قراءة «تفادوهم»، تنقذوهم من الأسر بالمال، أو غيره، وهو مما عُهِدَ إليهم ﴿وهو﴾ أي: الشأن ﴿محرم عليكم إخراجهم﴾ متصل بقوله: «وتخرجون»، والجملة بينهما اعتراض، أي: كما حُرِّم ترك الفداء، [حُرِّم عليكم الإخراجُ]، وكانت قريظةُ حالفوا الأوس، والنَّضيرُ [حالفوا] الخزرج، فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه، ويُخربُ ديارهم ويخرجهم، فإذا أُسِرُوا فَدَوْهم، وكانوا إذا سئلوا: لِمَ تقاتلونهم وتفدونهم؟ قالوا: أُمِرْنا بالفداء، فيقال: فلِمَ تقاتلونهم؟ فيقولون: حياءً أن تُسْتَذَلَّ حلفاؤنا، قال تعالى: ﴿أفتؤمنون ببعض

عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ

(١) قوله تعالى: ﴿لا تعبدون﴾ في الآية «٨٣»، و ﴿لا تسفكون﴾ و ﴿لا تُخرِجون﴾ في الآية «٨٤»، جاء الفعل المضارع في المواضع الثلاثة مرفوعاً لأن «لا» التي قبله ليست ناهية، بل هي جمل خبرية، جاء النهيُ فيها بلفظ الخبر، وهو أبلغ من صريح النهي.

الكتاب﴾ وهو الفداء ﴿وتكفرون ببعض﴾ وهو ترك القتلِ والإخراجِ والمظاهرةِ؟ ﴿فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلاَّ خزي﴾ هَوَانٌ وذلٌّ ﴿في الحياة الدنيا﴾ وقد خَزُوا بقتل قريظة، ونفيِ النضير إلى الشام، وضربِ الجزية ﴿ويوم القيامة يردُّون إلى أشد العذاب﴾ [في نار جهنم] ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ بالتاء والياء. ٨٦﴿أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة﴾ بأن آثروها عليها ﴿فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون﴾ يُمنعون منه. ٨٧﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ التوراة ﴿وقفَّينا من بعده بالرسل﴾ أي: أتبعناهم رسولاً في إثر رسول ﴿وآتينا عيسى ابن مريم البينات﴾ المعجزات، كإحياء الموتى، وإبراءِ الأكمه والأبرص ﴿وأيدناه﴾ قوَّيناه ﴿بروح القدس﴾ من إضافة الموصوف إلى الصفة، أي: الروح المقدسة، [وهو:] جبريل لطهارته، [كان] يسير معه حيث سار، [يُعِينُه ويُلهمه العلوم]، فلم تستقيموا ﴿أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى﴾ تُحب ﴿أنفسكم﴾ من الحق ﴿استكبرتم﴾ تكبرتم عن اتباعه؟ جواب «كلَّما»، وهو محل الاستفهام، والمراد به التوبيخ ﴿ففريقاً﴾ منهم ﴿كذبتم﴾ كعيسى ﴿وفريقاً تقتلون﴾ المضارع لحكاية الحال الماضية، أي: قتلتم، كزكريا ويحيى؟.

٨٨﴿وقالوا﴾ [أي: اليهود] للنبي استهزاءً: ﴿قلوبنا غلف﴾[1] جمع «أغلف»، أي: مغشَّاة بأغطية، فلا تعي ما تقول، قال تعالى: ﴿بل﴾ للإضراب ﴿لعنهم الله﴾ أبعدهم من رحمته وخذلهم من القبول ﴿بكفرهم﴾ وليس عدم قبولهم لخلل في قلوبهم ﴿فقليلاً ما يؤمنون﴾ «ما» زائدة لتأكيد القلة، أي: إيمانهم قليل جداً.

٨٩﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم﴾ من التوراة، هو القرآن ﴿وكانوا من قبل﴾ قبل مجيئه ﴿يستفتحون﴾ يستنصرون ﴿على الذين كفروا﴾ يقولون: اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث آخر الزمان ﴿فلما جاءهم ما عرفوا﴾ من الحق، وهو بعثة النبي ﴿كفروا به﴾ حسداً وخوفاً على الرياسة، وجواب «لمَّا» الأولى، دلَّ عليه جوابُ [«فلما»] الثانية ﴿فلعنة الله على الكافرين﴾.

ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾

(١) قوله تعالى: ﴿قلوبنا غلف﴾. جاء ذكر القلب في القرآن بأسماء مختلفة منها: «القلب» مفرداً ومثنى ومجموعاً، و «الفؤاد» بالإفراد والجمع فقط، و «الألباب» جمع «لُبّ»، ولم يَرد إلا مجموعاً. ووصف الله تعالى قلوب الكافرين بأنها: لاهية، عمياء، قاسية، لا تَقبل الحق ولا تلين لذكر الله تعالى، وبيَّن سبب هذه الأمراض فقال تعالى: ﴿كلاَّ بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ أي: إن عملهم السيّء غطَّى قلوبهم، فحجب عنها نور الإيمان، فأصبحوا وكأنهم لا قلوب لهم ولا أعين ولا آذان، لانعدام الفائدة منها، قال تعالى: ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾ أما قلوب =

٩٠ ﴿بئسما اشتروا﴾ باعوا ﴿به أنفسهم﴾ أي: حظَّها من الثواب، و«ما» نكرة بمعنى «شيئاً» تمييز لفاعل «بئس»، [والتقدير: «بئس الشيءُ شيئاً»،] والمخصوص بالذم: ﴿أن يكفروا﴾ أي: كُفرُهم ﴿بما أنزل الله﴾ من القرآن ﴿بغياً﴾ مفعول له لـ «يكفروا»، أي: حسداً على ﴿أن يُنزِلَ الله﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿من فضله﴾ الوحي ﴿على من يشاء﴾ للرسالة ﴿من عباده فباؤوا﴾ رجعوا ﴿بغضب﴾ من الله بكفرهم بما أنزل، والتنكير للتعظيم ﴿على غضب﴾ استحقوه من قَبْلُ بتضييع التوراة والكفرِ بعيسى ﴿وللكافرين عذاب مهين﴾ ذو إهانة.

٩١ ﴿وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله﴾ القرآنِ وغيرِه ﴿قالوا نؤمن بما أنزل علينا﴾ أي: التوراة، قال تعالى ﴿ويكفرون﴾ الواو للحال ﴿بما وراءه﴾ سواه، أو: بعده، من القرآن ﴿وهو الحق﴾ حال ﴿مصدقاً﴾ حال ثانية مؤكِّدة ﴿لما معهم قل﴾ لهم ﴿فَلِمَ تقتلون﴾ أي: قتلتم ﴿أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين﴾ بالتوراة، وقد نهيتم فيها عن قتلهم؟، والخطاب للموجودين في زمن نبينا، بما فعل آباؤهم، لرضاهم به.

٩٢ ﴿ولقد جاءكم موسى بالبينات﴾ المعجزات، كالعصا[1] واليد وفَلْق البحر ﴿ثم اتخذتم العجل﴾ إلهاً ﴿من بعده﴾ من بعد ذهابه إلى الميقات ﴿وأنتم ظالمون﴾ باتخاذه.

٩٣ ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم﴾ على العمل بما في التوراة ﴿و﴾ قد ﴿رفعنا فوقكم الطور﴾ الجبل، حين امتنعتم من قبولها ليسقط عليكم، وقلنا: ﴿خذوا ما آتيناكم بقوة﴾ بجِدٍّ واجتهاد ﴿واسمعوا﴾ ما تؤمرون به سماعَ قبول ﴿قالوا سمعنا﴾ قولَك ﴿وعصينا﴾ أمرَك ﴿وأُشربوا في قلوبهم العجل﴾[2] أي: خالط حبُّه قلوبَهُم كما يخالط الشرابُ [الأبدانَ] ﴿بكفرهم قل﴾ لهم ﴿بئسما﴾ شيئاً ﴿يأمركم به إيمانكم﴾ بالتوراة من عبادة العجل ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ بها كما زعمتم، المعنى: لستم بمؤمنين، لأن الإيمان لا يأمر بعبادة العجل، والمراد آباؤهم، أي: فكذلك أنتم، لستم بمؤمنين بالتوراة وقد كذبتم محمداً، والإيمان بها لا يأمر بتكذيبه [ولا بعبادة غير الله تعالى]. ٩٤ ﴿قل﴾ لهم ﴿إن كانت لكم الدار الآخرة﴾ أي: الجنة ﴿عند الله خالصة﴾ خاصة ﴿من دون الناس﴾ كما زعمتم ﴿فتمنوا الموت إن

بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُواْ ۖ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن



= المؤمنين فعلى العكس من ذلك هي: قلوب صالحة خاشعة. ارجع إلى تعليقنا ص ٤٤٠.

(١) قوله: «كالعصا واليد». ارجع إلى تعليقنا حول «آيات موسى عليه السَّلام» ص ٢٧٨.

(٢) قوله تعالى: ﴿وأشربوا في قلوبهم العجل﴾ أي: عجل السامري الذي عبدوه، ارجع إلى تعليقنا حوله ص ٤١٥، وحول «السامري» ص ٤١٣.

كنتم صادقين﴾ تَعَلَّق بتمنِّيه الشرطان، على أنَّ [الشرط] الأول قيد في الثاني، أي: إن صدقتم في زعمكم أنها لكم، ومن كانت له يؤثرها، والموصل إليها الموتُ، فتمنَّوه. ٩٥﴿ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم﴾ من كفرهم بالنبي المستلزمِ لكذبهم ﴿والله عليم بالظالمين﴾ الكافرين فيجازيهم. ٩٦﴿ولتجدنَّهم﴾ لام قسم ﴿أحرص الناس على حياة﴾ [وهي: الحياة المتطاولة وإن كانت ذليلة] ﴿و﴾ أحرص ﴿من الذين أشركوا﴾ المنكرين للبعث عليها، لعلمهم بأن مصيرهم [إلى] النار، دون المشركين لإنكارهم له [فلا يعلمون ذلك] ﴿يود﴾ يتمنَّى ﴿أحدهم لو يعمَّر ألف سنة﴾ «لو» مصدرية بمعنى «أنْ»، وهي بصلتها في تأويل مصدر مفعول «يودُّ» ﴿وما هو﴾ أي: أحدُهم ﴿بمزحزحه﴾ مُبْعِدِهِ ﴿من العذاب﴾ النار ﴿أن يعمَّر﴾ فاعل «مُزَحْزِحِهِ»، أي: تَعْميرُهُ ﴿والله بصير بما يعملون﴾ بالياء والتاء فيجازيهم. ٩٧وسأل [أحد أحبار اليهود، ويدعى عبد الله] بن صوريا النبيَّ [ﷺ]، أو: عُمَرَ[1]: عمن يأتي بالوحي من الملائكة، فقال: جبريل، فقال [السائل]: هو عدونا يأتي بالعذاب، ولو كان ميكائيل لآمنا، لأنه يأتي بالخصب والسلم، فنزل: ﴿قل﴾ لهم ﴿من كان عدواً لجبريل﴾ فليمت غيظاً ﴿فإنه نزَّله﴾ أي: القرآن ﴿على قلبك بإذن﴾ بأمر ﴿الله مصدقاً لما بين يديه﴾ قبله من الكتب ﴿وهدى﴾ من الضلالة ﴿وبشرى﴾ بالجنة ﴿للمؤمنين﴾. ٩٨﴿من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل﴾ بكسر الجيم وفتحها بلا همز، وبه [أي: بفتح الجيم والراء مقروناً] بياء [بعد الهمز ـ «جَبْرَئيل» ـ على وزن «سلسبيل»]، ودونها [أي: جَبْرَئِل بدون الياء] ﴿وميكال﴾ عطف على الملائكة، من عطف الخاص على العام، وفي قراءة «ميكائيل» بهمز وياء، وفي أخرى بلا ياء ﴿فإن الله عدو للكافرين﴾ أوقعه موقع «لهم» بياناً لحالهم، [إذ لا يقول ذلك إلاَّ الكافرون]. ٩٩﴿ولقد أنزلنا إليك﴾ يا محمد ﴿آيات بينات﴾ أي: واضحات، حال، [وهو] ردٌّ لقول ابن صوريا للنبي: ما جئتنا بشيء ﴿وما يكفر بها إلاَّ الفاسقون﴾. ١٠٠﴿أ﴾ كفروا بها ﴿وكلما عاهدوا﴾ الله ﴿عهداً﴾ على الإيمان بالنبي إن خرج، أو: [عاهدوا] النبيَّ أن لا يعاونوا عليه المشركين ﴿نبذه﴾ طرحه ﴿فريق منهم﴾ بنقضه، [وجملة «نبذه»] جوابُ «كلّما»، وهو محل الاستفهام الإنكاري ﴿بل﴾ للانتقال ﴿أكثرهم لا يؤمنون﴾. ١٠١﴿ولما جاءهم رسول من عند الله﴾ [هو] محمد ﷺ ﴿مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله﴾ أي: التوراة

كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ

(١) قوله: «أو عمر»، لو استغنى عنه الجلال السيوطي لكان أوضح، لأن عمر لم يَسأل ولم يُسأل عمن يأتي بالوحي، وسبب نزول الآية ٩٧ المذكور، مروي عن ابن عباس، قال الحافظ ابن حجر: ولم أقف له على سند، وإنما نزلت رداً على اليهود القائلين ذلك، كما رواه أحمد والطبراني وغيرهما.

﴿وراء ظهورهم﴾ أي: لم يعملوا بما فيها من الإيمان بالرسول وغيره ﴿كأنهم لا يعلمون﴾ ما فيها من أنه نبيٌّ حقٌّ، أو: أنها كتاب الله. ١٠٢ ﴿واتبعوا﴾ عطف على «نبذ» ﴿ما تتلو﴾ أي: تَلَتِ ﴿الشياطين على﴾ عهد ﴿ملك سليمان﴾ من السحر، وكانت دفنته تحت كرسيه لما نُزِعَ ملكُهُ، أو: كانت تسترق السمع، وتضم إليه أكاذيب، وتُلقيه إلى الكهنة فيدونونه، وفشا ذلك، وشاع أن الجن تعلم الغيب، فجمع سُليمان الكتب ودفنها، فلما مات، دلت الشياطينُ عليها الناسَ فاستخرجوها، فوجدوا فيها السحر، فقالوا: إنما ملككم بهذا، فتعلموه ورفضوا كتبَ أنبيائهم، قال تعالى ــ تبرئةً لسليمان، ورداً على اليهود في قولهم: انظروا إلى محمد يذكر سليمان في الأنبياء وما كان إلاَّ ساحراً ــ: ﴿وما كفر سليمان﴾ أي: لم يعمل السحر لأنه كفر ﴿ولكن﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر﴾ الجملة حال من ضمير «كفروا» ﴿و﴾ يعلمونهم ﴿ما أنزل على الملكين﴾ أي: [ما] ألهماه من السِّحر، وقرىء [شذوذاً] بكسر اللام، الكائنين ﴿ببابل﴾ بلد في سواد العراق ﴿هاروت وماروت﴾[1] بدل، أو: عطف بيان لـ«الملكين»، قال ابن عباس: هما ساحران كانا يعلمان السحر، وقيل: مَلَكان أُنزلا لتعليمه ابتلاءً من الله للناس، [وهذا قول أكثر المفسرين، وهو الصحيح في توجيه معنى الآية] ﴿وما يعلمان من﴾ زائدة ﴿أحد حتى يقولا﴾ له نُصْحاً ﴿إنما نحن فتنة﴾ بليّة من الله للناس، ليمتحنهم بتعليمه، فمن تعلّمه كفر، ومن تركه فهو مؤمن ﴿فلا تكفر﴾ بتعلُّمه، فإن أبى إلاَّ التعلُّمَ علَّماه ﴿فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه﴾ بأن يُبَغِّضَ كلاًّ إلى الآخر ﴿وما هم﴾ أي: السَّحرة ﴿بضارِّين به﴾ بالسحر ﴿من﴾ زائدة ﴿أحد إلاَّ بإذن الله﴾ بإرادته ﴿ويتعلمون ما يضرهم﴾ في الآخرة ﴿ولا ينفعهم﴾ وهو السحر ﴿ولقد﴾ لام قسم ﴿علموا﴾ أي: اليهود ﴿لمن﴾ لام ابتداء معلِّقة لما قبلها [عن العمل لفظاً لا محلاً]، و«مَنْ» موصولة ﴿اشتراه﴾ اختاره، أو: استبدله بكتاب الله ﴿ما له في الآخرة من خلاق﴾ نصيب في الجنة ﴿ولبئس ما﴾ شيئاً ﴿شروا﴾ باعوا ﴿به أنفسهم﴾ أي: الشارين، أي: [بئس] حظُّها من الآخرة أنْ تَعَلَّمُوه، حيث أوجب لهم النار ﴿لو كانوا يعلمون﴾ حقيقة ما يصيرون إليه من العذاب، ما تعلَّموه. ١٠٣ ﴿ولو أنهم﴾ أي: اليهود ﴿آمنوا﴾ بالنبي والقرآن ﴿واتقوا﴾ عذاب الله بترك معاصيه كالسحر، وجواب «لو» محذوف، أي: لأُثيبوا، دلَّ عليه: ﴿لمثوبة﴾ ثواب، وهو مبتدأ، واللام فيه للقسم ﴿من عند الله خير﴾ خبره، [أي: المثوبة من عند الله خير] مما شروا به أنفسهم ﴿لو كانوا يعلمون﴾ أنه خير لما آثروه عليه. ١٠٤ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا﴾ للنبي ﴿راعنا﴾ أَمْرٌ من «المراعاة»، وكانوا يقولون له ذلك، وهي بلغة اليهود سبٌّ، من «الرُّعونة»، [أي: الحمق والجهل]، فَسُرُّوا بذلك، وخاطبوا بها النبي، فَنُهِيَ المؤمنون عنها ﴿وقولوا﴾ بدلها ﴿انظرنا﴾ أي: انظر إلينا ﴿واسمعوا﴾

وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ

---

(١) ما ذكره نَقَلَةُ المفسرين في خبر الملكين، وابتلائهما بمحبة المرأة وعقابهما، لم يرد فيه ما يُعْتَدُّ به من الأخبار، بل هو من كتب اليهود وافترائهم.

ما تؤمرون به سماعَ قبول ﴿وللكافرين عذاب أليم﴾ مؤلم، هو النار. ١٠٥ ﴿ما يودُّ الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين﴾ من العرب، عطف على «أهل الكتاب»، و «من» للبيان ﴿أن ينزَّل عليكم من﴾ زائدة ﴿خير﴾ وحي ﴿من ربكم﴾ حسداً لكم، [والمراد بأهل الكتاب هنا اليهود] ﴿والله يختص برحمته﴾ نبوته ﴿من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾.

١٠٦ ولما طعن الكفار في النسخ وقالوا: إن محمداً يأمر أصحابه اليوم بأمر وينهى عنه غداً نزل: ﴿ما﴾ شرطية ﴿ننسخ من آية﴾ أي: نُزِلْ حكمَها، إمَّا مع لفظها، أوْ لا، وفي قراءة بضم النون من «أنسخ» أي: نأمرك، أو [نأمر] جبريل بنسخها ﴿أو ننسأها﴾ أي: نؤخرها فلا نُزِلْ حُكْمَها، و [لكن] نرفعُ تلاوتها، أو: نؤخرها في اللوح المحفوظ، وفي قراءة بلا همز من النسيان، أي: نُنْسِكَها أي: نَمْحُها من قلبك، وجواب الشرط: ﴿نأت بخير منها﴾ أنفع للعباد في السهولة، أو: كثرة الأجر ﴿أو مثلها﴾ في التكليف والثواب ﴿ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير﴾ ومنه النسخ والتبديل، والاستفهام للتقرير [أي: هو على كل شيء قدير].

١٠٧ ﴿ألم تعلم أن الله له ملك السماوات والأرض﴾ يفعل فيهما ما يشاء ﴿وما لكم من دون الله﴾ أي: غيره ﴿من﴾ زائدة ﴿ولي﴾ يحفظكم ﴿ولا نصير﴾ يمنع عذابه عنكم إن أتاكم؟

١٠٨ ونزل لما سأله أهل مكة أن يوسّعها، ويجعل الصَّفا ذهباً: ﴿أم﴾ [بمعنى:] بل [وبمعنى: همزة الإنكار] ﴿تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى﴾ أي: سأله قومه ﴿من قبل﴾ من قولهم: «أرنا الله جَهْرَةً» وغير ذلك ﴿ومن يتبدل الكفر بالإيمان﴾ أي: يأخذه بدله، بترك النظر في الآيات البيّنات، واقتراح غيرها ﴿فقد ضل سواء السبيل﴾ أخطأ الطريق الحق، و «السواء» في الأصل: الوَسَطُ.

أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ

١٠٩ ﴿ودَّ كثير من أهل الكتاب لو﴾ مصدرية ﴿يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً﴾ مفعول له، كائناً ﴿من عند أنفسهم﴾ أي: حملتهم عليه أنفسُهم الخبيثة ﴿من بعد ما تبين لهم﴾ في التوراة ﴿الحق﴾ في شأن النبي ﴿فاعفوا﴾ عنهم، أي: اتركوهم ﴿واصفحوا﴾ أعرضوا، فلا تُجازوهم ﴿حتى يأتي الله بأمره﴾ فيهم من القتال ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾.

١١٠ ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير﴾ طاعة، كصلة [رحم] وصدقة ﴿تجدوه﴾ أي: ثوابه

﴿عند الله إن الله بما تعملون بصير﴾ فيجازيكم به. ١١١﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلَّا من كان هوداً﴾ جمع «هائد» ﴿أو نصارى﴾ قال ذلك يهود المدينة ونصارى نجران، لما تناظروا بين يدي النبي ﷺ[1]، أي: قال اليهود: لن يدخلها إلَّا اليهود، وقال النصارى: لن يدخلها إلَّا النصارى ﴿تلك﴾ القولة ﴿أمانيهم﴾ شهواتهم الباطلة ﴿قل﴾ لهم ﴿هاتوا برهانكم﴾ حُجَّتكم على ذلك ﴿إن كنتم صادقين﴾ فيه. ١١٢﴿بلى﴾ يدخل الجنةَ غيرُهم ﴿من أسلم وجهه لله﴾ أي: انقاد لأمره، وخَصَّ الوجْهَ لأنه أشرف الأعضاء، فغيره أولى ﴿وهو محسن﴾ موحِّد ﴿فله أجره عند ربه﴾ أي: ثواب عمله، الجنةُ ﴿ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ في الآخرة. ١١٣﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شيء﴾ معتدٌّ به، وكفرتْ بعيسى. ﴿وقالت النصارى ليست اليهود على شيء﴾ مُعْتَدٌّ به، وكفرتْ بموسى ﴿وهم﴾ أي: الفريقان ﴿يتلون الكتاب﴾ المنزَّل عليهم، وفي كتاب اليهود تصديق عيسى، وفي كتاب النصارى تصديق موسى، والجملة حال ﴿كذلك﴾ كما قال هؤلاء ﴿قال الذين لا يعلمون﴾ أي: المشركون من العرب وغيرهم ﴿مثلَ قولهم﴾ بيان لمعنى: «ذلك» أي: قالوا لكلِّ ذي دينٍ «ليسوا على شيء». ﴿فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ من أمر الدين، فيُدْخِلُ المحقَّ الجنةَ والمبطلَ النارَ.

١١٤﴿ومن أظلم﴾ أي: لا أحد أظلم ﴿ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه﴾ بالصلاة والتسبيح ﴿وسعى في خرابها﴾ بالهدم، أو: التعطيل، نزلت إخباراً عن الروم الذين خربوا بيت المقدس، أو: في المشركين لما صدُّوا النبي ﷺ عام الحديبية عن البيت، [وصحح القرطبي أنها عامة في كل مسجد إلى يوم القيامة، لأن اللفظ عامٌّ وَرَدَ بصيغة الجمع، فتخصيصها ضعيف] ﴿أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلَّا خائفين﴾ خبر بمعنى الأمر، أي: أخيفوهم بالجهاد، فلا يدخلُها أحد آمناً ﴿لهم في الدنيا خزي﴾ هوان بالقتل والسبي والجزية ﴿ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ هو النار.

١١٥ونزل لما طعن اليهود في نسخ القبلة، أو: في صلاة النافلة على الراحلة في السفر حيثما توجَّهَتْ: ﴿ولله المشرق والمغرب﴾ أي: الأرض كلها، لأنهما ناحيتاها ﴿فأينما تولُّوا﴾ وجوهَكم في الصلاة بأمره ﴿فثَمَّ﴾ هناك ﴿وجه الله﴾ قبلتُه التي رضيها ﴿إن الله

عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ

(١) قوله: «لما تناظروا بين يدي النبي ﷺ»: هذا سهو من الجلال السيوطي رحمه الله. فإن المناظرة التي أشار إليها لم ينزل بشأنها قوله تعالى: ﴿وقالوا لن يدخل الجنة...﴾ بل نزل فيها قوله تعالى: ﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شيء...﴾ الآية ١١٣ الآتية، وذلك أن اليهود قالوا في تلك المناظرة للنصارى: لستم على شيء، وكفروا بعيسى والإنجيل. فقال النصارى لليهود: ما أنتم على شيء، وجحدوا نبوَّة موسى وكفروا =

واسع﴾ يسع فضله كلَّ شيء ﴿عليم﴾ بتدبير خلقه.

١١٦ ﴿وقالوا﴾ بواو ودونها [وهما قراءتان سبعيتان أي:]، اليهود والنصارى، ومن زعم أنَّ الملائكة بناتُ الله ﴿اتخذ الله ولداً﴾ قال تعالى ﴿سبحانه﴾ تنزيهاً له عنه ﴿بل له ما في السماوات والأرض﴾ مُلكاً [فهو مالكهم]، وخَلقاً [فهو خالقهم]، وعبيداً [فهو ربهم]، والملكيَّةُ تنافي الولادة، وعَبَّرَ بـ «ما» تغليباً لما لا يعقل ﴿كلٌّ له قانتون﴾ مطيعون، كلٌّ بما يُرادُ منه، وفيه تغليب العاقل.

١١٧ ﴿بديع السماوات والأرض﴾ موجِدُهما لا على مثال سبق ﴿وإذا قضى﴾ أراد ﴿أمراً﴾ أي: إيجاده ﴿فإنما يقول له كن فيكون﴾ [بالرفع] أي: فهو يكون، وفي قراءة بالنصب جواباً للأمر.

وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ

١١٨ ﴿وقال الذين لا يعلمون﴾ أي: كفار مكة للنبي ﷺ ﴿لولا﴾ هلَّا ﴿يكلمنا الله﴾ أنك رسوله ﴿أو تأتينا آية﴾ مما اقترحناه على صدقك؟ ﴿كذلك﴾ كما قال هؤلاء ﴿قال الذين من قبلهم﴾ من كفار الأمم الماضية لأنبيائهم ﴿مثلَ قولهم﴾ من التعنُّت وطلبِ الآيات ﴿تشابهت قلوبهم﴾ في الكفر والعناد، فيه تسليةٌ للنبي ﷺ ﴿قد بينا الآيات لقوم يوقنون﴾ يعلمون أنها آيات، فيؤمنون، فاقتراحُ آية معها تعنُّتٌ.

١١٩ ﴿إنا أرسلناك﴾ يا محمد ﴿بالحق﴾ بالهدى ﴿بشيراً﴾ [تبشِّر] مَنْ أجاب إليه بالجنة ﴿ونذيراً﴾ [تنذر] مَنْ لم يجب إليه بالنار ﴿ولا تسأل عن أصحاب الجحيم﴾ النار، أي: الكفار، [أي: لا نسألك] ما لهم لم يؤمنوا؟ إنما عليك البلاغ، وفي قراءة بجزم «تَسْأَلْ» [مع فتح التاء على الخطاب] نهياً.

١٢٠ ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملَّتهم﴾ دينهم ﴿قل إن هدى الله﴾ أي: الإسلام ﴿هو الهدى﴾ وما عداه ضلال ﴿ولئن﴾ لام قسم ﴿اتبعت أهواءهم﴾ التي يدعونك إليها فرَضاً ﴿بعد الذي جاءك من العلم﴾ الوحي من الله ﴿ما لك من الله من ولي﴾ يحفظك ﴿ولا نصير﴾ يمنعك منه.

١٢١ ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ مبتدأ ﴿يتلونه حق تلاوته﴾ أي: يقرؤونه كما أُنزل، والجملة حال، و «حَقَّ» نُصِبَ على المصدر، [أي: صفة لمصدر محذوف تقديره: «تلاوةً حقَّ تلاوته»]، والخبر ﴿أولئك يؤمنون به﴾ نزلت في جماعة قدموا من الحبشة وأسلموا ﴿ومن يكفر به﴾ أي: بالكتاب المؤتى، بأن يُحَرِّفَهُ ﴿فأولئك

= بالتوراة فنزلت الآية ١١٣ المذكورة، أخرجه ابن إسحاق وابن جرير وغيرهما عن ابن عباس. وقد ذكر ذلك السيوطي نفسه في كتابيه: «الدر المنثور» و «لباب النقول»، أما هذه الآية، ففيها إخبار عما يظنه كل فريق لنفسه من النجاة، وللآخر من الهلاك.

هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ * وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِۦمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ

﴿هم الخاسرون﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم.

١٢٢ ﴿يابني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين﴾ تقدم مثله [الآية ٤٧ ص ١٠].

١٢٣ ﴿واتقوا﴾ خافوا ﴿يوماً لا تجزي﴾ تغني ﴿نفس عن نفس﴾ فيه ﴿شيئاً ولا يقبل منها عدل﴾ فداءٌ ﴿ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون﴾ يُمنعون من عذاب الله.

١٢٤ ﴿و﴾ اذكر ﴿إذ ابتلى﴾ اختبر ﴿إبراهيم﴾ وفي قراءة «إبراهام» ﴿ربُّه بكلمات﴾ بأوامر ونواهٍ، كلّفه بها، قيل: هي مناسك الحج، وقيل: المضمضة، والاستنشاق، والسِّواك، وقصُّ الشارب، وفَرْقُ [شعر] الرأس، وقَلْمُ الأظفار، ونتف الإبط، وحَلْقُ العانة، والخِتانُ، والاستنجاء، ﴿فأتمهن﴾ أدَّاهن تامَّاتٍ ﴿قال﴾ تعالى له: ﴿إني جاعلك للناس إماماً﴾ قدوةً في الدين ﴿قال ومن ذريتي﴾ أولادي، اجْعَلْ أئمةً ﴿قال لا ينال عهدي﴾ بالإمامة ﴿الظالمين﴾ الكافرين منهم، دلَّ على أنه يَنال غيرَ الظالم.

١٢٥ ﴿وإذ جعلنا البيت﴾ الكعبة ﴿مثابةً للناس﴾ مرجعاً يثوبون إليه من كل جانب ﴿وأمناً﴾ مأمناً لهم من الظلم والإغارات الواقعة في غيره، كان الرجل يلقى قاتلَ أبيه فلا يَهيجُهُ ﴿واتخذوا﴾ أيها الناس ﴿من مقام إبراهيم﴾[1] هو الحَجَرُ الذي قام عليه عند بناء البيت ﴿مصلى﴾ مكان صلاة، بأن تُصَلُّوا خلفه ركعتي الطواف، وفي قراءة [«اتخذوا»] بفتح الخاء، خبر [لا أمر] ﴿وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل﴾ أمرناهما ﴿أن﴾ أي: بأن ﴿طهرا بيتي﴾ من الأوثان ﴿للطائفين والعاكفين﴾ المقيمين فيه ﴿والركَّع السجود﴾ جمع راكع وساجد، [أي:] المصلِّين.

١٢٦ ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا﴾ المكان ﴿بلداً آمناً﴾ ذا أمن، وقد أجاب دعاءه، فجعله حرماً لا يُسفك فيه دم إنسان، ولا يُظلم فيه أحد، ولا يُصاد صيدُه، ولا يُختَلَى خَلاهُ [أي: لا يقطع حشيشُه الرَّطْبُ] ﴿وارزق أهله من الثمرات﴾ وقد فعل بنقل «الطائف» من الشام إليه [كما قيل]، وكان أَقْفَرَ لا زرع فيه ولا ماء ﴿من آمن منهم بالله واليوم الآخر﴾ بدل من «أهله»، وخصَّهم بالدعاء لهم، موافقةً لقوله: «لا ينال عهدي الظالمين» ﴿قال﴾ تعالى ﴿و﴾ أرْزُقُ ﴿من كفر فأمتعه﴾ بالتشديد والتخفيف، في الدنيا بالرزق ﴿قليلاً﴾ مدةَ حياته ﴿ثم أضطره﴾ ألجئه في الآخرة ﴿إلى عذاب

---

(١) قوله تعالى: ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ أخرج البخاري والترمذي والنسائي وغيرهم، عن أنس بن مالك قال: قال عمر بن الخطاب: وافقت ربي في ثلاث، أو وافقني ربي في ثلاث، قلت: يا رسول الله، لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلًّى، فنزلت ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلًّى﴾. وقلت: يا رسول الله، إن نساءك يدخل عليهنَّ البرُّ والفاجر، فلو أمرتهنَّ أن يحتجبن، فنزلت آية الحجاب ﴿وإذا سألتموهنَّ متاعاً =

النار﴾ فلا يجدُ عنها محيصاً ﴿وبئس المصير﴾ المرجع هي. ١٢٧ ﴿و﴾ اذكر ﴿إذ يرفع إبراهيم القواعد﴾ الأسس، أو: الجُدُرَ ﴿من البيت﴾ يَبنيه، متعلِّق بـ «يرفع» ﴿وإسماعيل﴾ عطف على «إبراهيم»، [يبني معه، وهما] يقولان: ﴿ربنا تقبل منا﴾ بناءنا ﴿إنك أنت السميع﴾ للقول ﴿العليم﴾ بالفعل. ١٢٨ ﴿ربنا واجعلنا مسلمين﴾ منقادَيْن ﴿لك و﴾ اجعل ﴿من ذريتنا﴾ أولادنا ﴿أمة﴾ جماعةً ﴿مسلمة لك﴾ و «من» للتبعيض، وأتى به [أي: بالتبعيض]، لتقدُّم قوله: «لا ينال عهدي الظالمين» ﴿وأرنا﴾ علِّمنا ﴿مناسكنا﴾ شرائع عبادتنا، أو: حَجَّنا ﴿وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم﴾ سألاه التوبة مع عصمتهما، تواضعاً وتعليماً لذريتهما.

سُورَةُ البَقَرَةِ ٢

ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ

١٢٩ ﴿ربنا وابعث فيهم﴾ أي: أهل البيت [الحرام] ﴿رسولاً منهم﴾ من أنفسهم، وقد أجاب الله دعاءه بمحمد ﷺ ﴿يتلو عليهم آياتك﴾ القرآن ﴿ويعلمهم الكتاب﴾ القرآن ﴿والحكمة﴾ أي: ما فيه من الأحكام ﴿ويزكيهم﴾ يطهرهم من الشرك ﴿إنك أنت العزيز﴾ الغالب ﴿الحكيم﴾ في صنعه.

١٣٠ ﴿ومن﴾ أي: لا ﴿يرغب عن ملة إبراهيم﴾ فيتركُها ﴿إلا من سفه نفسه﴾ جَهِلَ أنها مخلوقة لله، يجب عليها عبادتُه، أو: استخفَّ بها وامتهنها ﴿ولقد اصطفيناه﴾ اخترناه ﴿في الدنيا﴾ بالرسالة والخُلَّة [فهو خليل الله تعالى] ﴿وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ الذين لهم الدرجات العُلَى.

١٣١ واذكر ﴿إذ قال له ربه أسلم﴾ انقَدْ لله، وأخلص له دينَك ﴿قال أسلمت لرب العالمين﴾.

١٣٢ ﴿ووصَّى﴾ وفي قراءة: «أوصى» ﴿بها﴾ بالملة ﴿إبراهيمُ بنيه ويعقوبُ﴾ [أوصى أيضاً بها] بنيه قال: ﴿يا بني إن الله اصطفى لكم الدين﴾ دينَ الإسلام[1] ﴿فلا تموتن إلاَّ وأنتم مسلمون﴾ [هذا] نَهْيٌ عن ترك الإسلام، وأمرٌ بالثبات عليه إلى مصادفة الموت.

١٣٣ ولما قال اليهود للنبي: ألستَ تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية؟ نزل: ﴿أم كنتم شهداء﴾ حضوراً ﴿إذ حضر يعقوب

= فاسألوهنّ من وراء حجاب﴾، واجتمع على رسول الله ﷺ نساؤه في الغَيرة، فقلت لهن: «عسى ربُّه إن طلَّقكن أن يُبدله أزواجاً خيراً منكنّ» فنزلت كذلك.

(١) قوله: «دين الإسلام»، لأن الإسلام دين الله تعالى، لم يرض للعباد سواه، ولم يأمر بغيره، وبه أرسل الله تعالى جميع المرسلين إلى أممهم وأقوامهم، وهذه الآيات عن إبراهيم ويعقوب تدل على ذلك، فدين الله واحد هو الإسلام، لأنه تعالى واحد، أما الأديان الأخرى التي عرفها الناس، فهي من وضع أصحابها، وما أنزل الله بها من سلطان، وأتباعها جميعاً في الآخرة من الخاسرين. ارجع إلى تعليقنا حول «الأديان» ص ٢٤٥.

﴿الموت إذ﴾ بدل من «إذ» قبله ﴿قال لبنيه ما تعبدون من بعدي﴾ بعد موتي؟ ﴿قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق﴾ عَدُّ إسماعيلَ من الآباء تغليبٌ، ولأن العمَّ بمنزلة الأب ﴿إلَهاً واحداً﴾ بدل من «إلَهك» ﴿ونحن له مسلمون﴾ و «أم» بمعنى همزة الإنكار، أي: لم تحضروه وقت موته، فكيف تَنْسُبُون إليه ما لا يليق به.
١٣٤ ﴿تلك﴾ مبتدأ، والإشارة إلى إبراهيم ويعقوب وبنيهما، وأُنِّثَ لتأنيث خبره ﴿أمة قد خلت﴾ سَلَفَتْ ﴿لها ما كسبت﴾ من العمل، أي: جزاؤه، استئناف ﴿ولكم﴾ الخطاب لليهود ﴿ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون﴾ كما لا يسألون عن عملكم، والجملة تأكيد لما قبلها. ١٣٥ ﴿وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا﴾ «أو» للتفصيل، وقائل الأول «يهود المدينة»، و [قائل] الثاني «نصارى نَجْران» ﴿قل﴾ لهم ﴿بل﴾ نتّبع ﴿ملة إبراهيم حنيفاً﴾ حال من «إبراهيم» [أي:] مائلاً عن الأديان كلها إلى الدين القيم ﴿وما كان من المشركين﴾.
١٣٦ ﴿قولوا﴾ خطاب للمؤمنين ﴿آمنا بالله وما أنزل إلينا﴾ من القرآن ﴿وما أنزل إلى إبراهيم﴾ من الصحف العشر ﴿وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط﴾ أولاده[1] ﴿وما أوتي موسى﴾ من التوراة ﴿وعيسى﴾ من الإنجيل ﴿وما أوتي النبيون من ربهم﴾ من الكتب والآيات ﴿لا نفرق بين أحد منهم﴾ فنؤمنَ ببعض، ونكفرَ ببعض، كاليهود والنصارى ﴿ونحن له مسلمون﴾.
١٣٧ ﴿فإن آمنوا﴾ أي: اليهود والنصارى ﴿بمثل﴾ «مثل» زائدة ﴿ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا﴾ عن الإيمان به ﴿فإنما هم في شقاق﴾ خلافٍ معكم ﴿فسيكفيكهم الله﴾ [أي: فسيكفيك الله] يا محمدُ شقاقَهم ﴿وهو السميع﴾ لأقوالهم ﴿العليم﴾ بأحوالهم، وقد كفاه إياهم، بقتل قريظة ونَفْيِ النضير، وضربِ الجزية عليهم.
١٣٨ ﴿صبغةَ الله﴾ مصدرٌ مؤكِّد لـ «آمنّا»، ونصبُه بفعل مقدَّر، أي: «صَبَغَنَا الله [صِبْغَةً]»، والمراد بها دينُه الذي فطر الناس عليه، لظهور أثره على صاحبه كالصبغ في الثوب ﴿ومن﴾ أي: لا أحد ﴿أحسن

ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ

(١) قوله: «أولاده» أي: أولاد يعقوب، وهو «إسرائيل» عليه السَّلام، وقد اتفق العلماء على أن يوسف بن يعقوب هو نبي، أما إخوته، فقد قال بعضهم: إنهم أنبياء، ودليلهم على ذلك أنهم هم المعنيون بقوله تعالى: ﴿والأسباط﴾، ولكنَّ الصواب: أن إخوة يوسف العشرة ــ أي: ما عدا بنيامين ــ ليسوا بأنبياء قطعاً، لأن ما صدر عنهم نحو أخيهم يوسف ووالدهم، لا يصدر مثلُه عن أنبياء، بل ولا يرضون به، كما سيأتي في «سورة يوسف».
قال القاضي عياض في الشفاء: وأما إخوته فلم تثبت نبوتهم، وقال ابن كثير: لم يقم دليل على نبوتهم، وبمثله قال القرطبي والرازي، وقال السيوطي في رسالة سماها «رفع التعسُّف عن إخوة يوسف»: لم يُنْقَلْ عن أحد من الصحابة والتابعين نبوتُهم، وقال ابن كثير: =

من الله صبغة﴾ تمييز ﴿ونحن له عابدون﴾. ١٣٩ قال اليهود للمسلمين: نحن أهل الكتاب الأول، وقبلتنا أقدمُ، ولم تكن الأنبياء من العرب، ولو كان محمد نبياً لكان مِنّا، فنزل: ﴿قل﴾ لهم ﴿أتحاجُّوننا﴾ تخاصموننا ﴿في الله﴾ أن اصطفى نبيّاً من العرب ﴿وهو ربنا وربكم﴾ فله أن يصطفيَ من عباده مَنْ يشاء ﴿ولنا أعمالنا﴾ نجازَى بها ﴿ولكم أعمالكم﴾ تُجَازَوْنَ بها، فلا يبعد أن يكون في أعمالنا ما نستحق به الإكرام ﴿ونحن له مخلصون﴾ الدين والعمل دونكم، فنحن أولى بالاصطفاء، والهمزة للإنكار، والجمل الثلاث أحوال. ١٤٠ ﴿أم﴾ بل أ ﴿يقولون﴾ بالياء والتاء ﴿إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى قل﴾ لهم ﴿ءأنتم أعلم أم الله؟﴾ أي: الله أعلم،

مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ

وقد بَرَّأ منهما إبراهيم بقوله: «ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً»، والمذكورون معه تَبَعٌ له ﴿ومن أظلم ممن كتم﴾ أخفى عن الناس ﴿شهادة عنده﴾ كائنةً ﴿من الله﴾؟ أي: لا أحد أظلم منه، وهم اليهود، كتموا شهادة الله في التوراة لإبراهيم بالحنيفية [أي: عقيدة التوحيد] ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ تهديد لهم.

١٤١ ﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون﴾ تقدم مثله [في الآية ١٣٤]. ١٤٢ ﴿سيقول السفهاء﴾ الجهّال ﴿من الناس﴾ اليهود والمشركين ﴿ما ولاهم﴾ أيُّ شيء صرف النبيَّ ﷺ والمؤمنين ﴿عن قبلتهم التي كانوا عليها﴾ [أي:] على استقبالها في الصلاة، وهي بيت المقدس؟، والإتيان بالسين الدالة على الاستقبال [في قوله «سيقول»] من الإخبار بالغيب ﴿قل لله المشرق والمغرب﴾ أي: الجهات كلُّها، فيأمر بالتوجه إلى أيِّ جهة شاء، لا اعتراض عليه ﴿يهدي من يشاء﴾ هدايتَهُ ﴿إلى صراط﴾ طريق ﴿مستقيم﴾ دين الإسلام، أي: ومنهم أنتم، دلَّ على هذا [قوله تعالى:]

١٤٣ ﴿وكذلك﴾ كما هديناكم إليه ﴿جعلناكم﴾ يا أمة محمد ﴿أمة وسطاً﴾ خياراً عدولاً ﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾ يوم القيامة، أنَّ رسلَهم بلَّغتهم ﴿ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾ أنه بلَّغكم ﴿وما جعلنا﴾ صيَّرنا ﴿القبلة﴾ لك الآن، الجهةَ ﴿التي كنت عليها﴾ أوّلاً وهي الكعبة، وكان ﷺ يصلِّي إليها، فلما هاجر، أُمر باستقبال بيت المقدس تألُّفاً لليهود، فصلَّى إليه ستة أو سبعة عشر شهراً، ثم حُوِّل [عنها] ﴿إلا لنعلم﴾ [أي:] عِلْمَ ظُهور ﴿من يتبع

= ومَن استدل على نبوتهم بقوله تعالى: ﴿والأسباط﴾ فليس استدلاله بقوي، لأن المراد بالأسباط، «شعوبُ بني إسرائيل»، وكان يوجد فيهم من الأنبياء الذين نزل عليهم الوحي من السماء. اهـ. فبُطون بني إسرائيل يقال لهم «أسباط»، «كالقبائل» في العرب، و «الشعوب» في العجم، ولا وجه لتفسير «الأسباط» بأولاد يعقوب لصلبه، بل إنها تعني الجماعات الكثيرة.

الرسول﴾ فيصدقه ﴿ممن ينقلب على عقبيه﴾ أي: يرجع إلى الكفر، شكّاً في الدين، وظناً أن النبي ﷺ في حَيرة من أمره، وقد ارتدَّ لذلك جماعة ﴿وإن﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف، أي: وإنها ﴿كانت﴾ أي: التولية إليها ﴿لكبيرة﴾ شاقةً على الناس ﴿إلاّ على الذين هدى الله﴾ منهم ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ أي: صلاتكم إلى بيت المقدس، بل يثيبكم عليه، لأن سبب نزولها[1]: السؤالُ عمَّن مات قبل التحويل ﴿إن الله بالناس﴾ المؤمنين ﴿لرؤوف رحيم﴾ في عدم إضاعة أعمالهم، و «الرأفة»: شدةُ الرحمة، وقُدِّمَ الأبلغُ [أي: «الرؤوف» على «الرحيم»، مراعاةً] للفاصلة [أي: لرؤوس الآي]. ١٤٤ [أخرج الشيخان والترمذي والنسائي والبيهقي وغيرهم، عن البراء بن عازب قال: كان النبي ﷺ قد صلّى نحو بيت المقدس ستة عشر، أو سبعة عشر شهراً، وكان يحب أن يصلّي نحوَ الكعبة، فكان يرفع رأسه إلى السماء فنزل:] ﴿قد﴾ للتحقيق ﴿نرى تقلُّب﴾ تصَرُّفَ ﴿وجهك في﴾ جهة ﴿السماء﴾ متطلعاً إلى الوحي، ومتشوّقاً للأمر باستقبال الكعبة، وكان يودُّ ذلك، لأنها قبلة إبراهيم، ولأنه أدْعَى إلى إسلام العرب ﴿فلنولِّينك﴾ نُحَوِّلَنَّك ﴿قبلة ترضاها﴾ تحبها ﴿فولِّ وجهك﴾ استقبل في الصلاة ﴿شطر﴾ نَحْوَ ﴿المسجد الحرام﴾ أي: الكعبة ﴿وحيثما كنتم﴾ خطاب للأمة ﴿فولُّوا وجوهكم﴾ في الصلاة ﴿شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه﴾ أي: التولِّي إلى الكعبة ﴿الحق﴾ الثابت ﴿من ربهم﴾ لما في كتبهم من نعت النبي ﷺ من أنه يتحول إليها ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ بالتاء، أيها المؤمنون، من امتثال أمره، وبالياء، أي: اليهود، من إنكار أمر القبلة.

١٤٥ ﴿ولئن﴾ لام القسم ﴿أتيتَ الذين أوتوا الكتاب بكل آية﴾ على صدقك في أمر القبلة ﴿ما تبعوا﴾ أي: [لا] يتبعون ﴿قبلتك﴾ عناداً ﴿وما أنت بتابع قبلتهم﴾ قطعٌ لطمعه في إسلامهم، وطمعهم في عوده إليها ﴿وما بعضهم بتابع قبلة بعض﴾ أي: اليهود قبلةَ النصارى، وبالعكس ﴿ولئن اتبعت أهواءهم﴾ التي يَدْعونك إليها ﴿من بعدما جاءك من العلم﴾ الوحي ﴿إنك إذاً﴾ إن اتبعتهم فَرَضاً ﴿لمن الظالمين﴾.

ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾

١٤٦ ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه﴾ أي: محمداً ﴿كما يعرفون أبناءهم﴾ بنعته في كتبهم، قال [عبد الله] بن سلام: «لقد عرفْتُهُ حين رأيته، كما أعرف ابني، ومعرفتي لمحمد أَشَدُّ» ﴿وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق﴾ نعتَه [ﷺ] ﴿وهم يعلمون﴾ هذا الذي أنت عليه.

---

(١) قوله: «لأن سبب نزولها الخ»، فقد تساءل الصحابة، عما يقولون في صلاة الذين ماتوا قبل أن تُحوَّل القبلة إلى الكعبة، ولم يدروا ما يقولون فيهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ الآية، روى ذلك البخاري وغيره، عن البراء بن عازب رضي الله عنه.

١٤٧ ﴿الحق﴾ كائن ﴿من ربك فلا تكونن من الممترين﴾ الشاكّين فيه، أي: [لا تكونَنَّ] من هذا النوع، فهو أبلغ من: «لا تَمْتَرِ».
١٤٨ ﴿ولكلٍّ﴾ من الأمم ﴿وجهة﴾ قبلة ﴿هو مولِّيها﴾ وَجْهَهُ في صلاته، وفي قراءة «مُوَلَّاها» [أي: مأمور بالتوجه إليها] ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ بادروا إلى الطاعات وقَبولِها ﴿أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً﴾ يجمعكم يوم القيامة، فيجازيكم بأعمالكم ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾.

ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾

١٤٩ ﴿ومن حيث خرجت﴾ لسفر ﴿فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون﴾ بالتاء، والياء، تقدم مثله [في ختام الآية ١٤٤]، وكرَّره لبيان تساوي حكم السفر وغيره.

١٥٠ ﴿ومن حيث خرجت فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولُّوا وجوهكم شطره﴾ كرَّره للتأكيد ﴿لئلاَّ يكون للناس﴾ اليهود، أو: المشركين ﴿عليكم حجة﴾ أي: مجادلة في التولِّي إلى غيره، أي: لتنتفي مجادلتهم لكم، من قول اليهود: يَجْحَدُ ديننا ويتّبع قبلتنا، وقول المشركين: يَدَّعي ملةَ إبراهيم ويخالف قبلتَه ﴿إلاّ الذين ظلموا منهم﴾ بالعناد، فإنهم يقولون: ما تحوَّل إليها إلاَّ ميلاً إلى دين آبائه، والاستثناء متصل، والمعنى: لا يكون لأحد عليكم كلام إلاّ كلام هؤلاء ﴿فلا تخشوهم﴾ [أي: لا] تخافوا جدالهم في التولِّي إليها ﴿واخشوني﴾ بامتثال أمري ﴿ولأتم﴾ عطف على «لئلاَّ يكون» ﴿نعمتي عليكم﴾ بالهداية إلى معالم دينكم ﴿ولعلكم تهتدون﴾ إلى الحق.

١٥١ ﴿كما أرسلنا﴾ متعلق بـ «أُتِمَّ» أي: إتماماً كإتمامها، بإرسالنا ﴿فيكم رسولاً منكم﴾ محمداً ﷺ ﴿يتلو عليكم آياتنا﴾ القرآن ﴿ويزكيكم﴾ يطهركم من الشرك ﴿ويعلمكم الكتاب﴾ القرآن ﴿والحكمة﴾ ما فيه من الأحكام ﴿ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾.

١٥٢ ﴿فاذكروني﴾ بالصلاة والتسبيح ونحوه ﴿أذكركم﴾ قيل: معناه «أجازيكم»، وفي الحديث [القدسي عن النبي ﷺ] عن الله [تعالى قال:] «مَنْ ذكرني في نفسه، ذكرتُهُ في نفسي، ومَنْ ذكرني في ملأٍ، ذكرتُهُ في ملأٍ خيرٍ من ملئه» [رواه البخاري ومسلم وغيرهما] ﴿واشكروا لي﴾ نعمتي بالطاعة ﴿ولا تكفرون﴾ بالمعصية.

١٥٣﴿يا أيها الذين آمنوا استعينوا﴾ على الآخرة ﴿بالصبر﴾ على الطاعة والبلاء [وعن المعصية] ﴿والصلاة﴾ خصها بالذكر لتكرُّرها وعظمها ﴿إن الله مع الصابرين﴾ بالعون. ١٥٤﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله﴾ هم ﴿أموات﴾ [مثل غيرهم من الأموات] ﴿بل﴾ هم ﴿أحياء﴾ «أرواحهم في حواصل طيور خُضْرٍ، تسرح في الجنة حيث شاءت» لحديث بذلك [رواه مسلم والبيهقي وغيرهما] ﴿ولكن لا تشعرون﴾ [لا] تعلمون ما هم فيه. ١٥٥﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف﴾ للعدو ﴿والجوع﴾ القحط ﴿ونقص من الأموال﴾ بالهلاك ﴿والأنفس﴾ بالقتل والموت والأمراض ﴿والثمرات﴾ بالجوائح [التي تُهلِكُ الزرعَ والثمر،] أي: لنختبرنكم [بهذه المصائب]، فننظر أتصبرون أم لا؟ ﴿وبشر الصابرين﴾ على البلاء بالجنة. ١٥٦وهم: ﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة﴾ بلاءٌ ﴿قالوا إنا لله﴾ ملكاً [وخلقاً] وعبيداً، يفعل بنا ما يشاء ﴿وإنا إليه راجعون﴾ في الآخرة، فيجازينا، وفي الحديث[1]: «من استرجع عند المصيبة، آجره الله فيها، وأخلف الله عليه خيراً»، وفيه: أنَّ مصباح النبي ﷺ طَفِئَ فاسترجع، فقالت عائشة: إنما هذا مصباح، فقال: «كل ما ساء المؤمنَ فهو مصيبة» رواه أبو داود في مراسيله. ١٥٧﴿أولئك عليهم صلوات﴾ مغفرة ﴿من ربهم ورحمة﴾ نعمة ﴿وأولئك هم المهتدون﴾ إلى الصواب. ١٥٨﴿إن الصفا والمروة﴾ جبلان بمكة ﴿من شعائر الله﴾ أعلام دينه، جمع «شعيرة» ﴿فمن حج البيت أو اعتمر﴾ أي: تلبس بالحج أو العمرة، وأصلهما: القصدُ والزيارة ﴿فلا جناح عليه﴾ [أي: لا] إثم عليه ﴿أن يطوّف﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الطاء ﴿بهما﴾ بأن يسعى بينهما سبعاً، نزلت لما كَرِهَ المسلمون ذلك، لأن أهل الجاهلية كانوا يطّوّفون بهما وعليهما صنمان يمسحونهما، وعن ابن عباس: أن السعي غيرُ فرض، لِمَا أفاده رفعُ الإثم من التخيير، وقال الشافعي وغيره: [السعي] ركنٌ، وبيَّن ﷺ فرضيَّتَهُ بقوله: «إن الله كتب عليكم السعي» رواه البيهقي وغيره، وقال: «ابدأوا بما بدأ الله به» يعني الصَّفا، رواه مسلم ﴿ومن تطوّع﴾ وفي قراءة بالتحتية وتشديد الطاء مجزوماً، وفيه إدغام التاء فيها ﴿خيراً﴾ أي: بخير، أي عَمِلَ ما لم يجب عليه، من طواف وغيره ﴿فإن الله شاكر﴾ لعمله بالإثابة عليه ﴿عليم﴾ به.

١٥٩ونزل في اليهود: ﴿إن الذين يكتمون﴾ الناس ﴿ما أنزلنا من البينات والهدى﴾ كآية الرجم ونعت محمد ﷺ ﴿من بعد ما بيناه للناس في الكتاب﴾ التوراة ﴿أولئك يلعنهم الله﴾ يُبعدهم من رحمته ﴿ويلعنهم

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ۞ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۙ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ

ربع الحزب

(١) قوله: «وفي الحديث: من استرجع الخ»، هذا معناه، أما لفظه فقد رواه مسلم عن أم المؤمنين ــ هند بنت حذيفة ــ أم سلمة رضي الله عنها =

اللاعنون﴾ الملائكة والمؤمنون، أو: كلُّ شيء، بالدعاء عليهم باللعنة. ١٦٠ ﴿إلاَّ الذين تابوا﴾ رجعوا عن ذلك ﴿وأصلحوا﴾ عملهم ﴿وبيَّنوا﴾ ما كتموا ﴿فأولئك أتوب عليهم﴾ أقبل توبتهم ﴿وأنا التواب الرحيم﴾ بالمؤمنين.
١٦١ ﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار﴾ حال [أي: لم يؤمنوا قبل الغرغرة، وهي: إذا بلغت الروح التراقي، أي: الحُلقوم، ففي الحديث، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «إن الله يقبل توبةَ العبد ما لم يُغَرْغِرْ» رواه التِّرمذي وحسَّنه] ﴿أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين﴾ أي: هم مستحقون ذلك في الدنيا والآخرة، و «الناس» [في قوله «والناس أجمعين»] قيل: عامٌّ، وقيل: المؤمنون.

سُورَةُ البَقَرَةِ ٢

ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ

١٦٢ ﴿خالدين فيها﴾ أي: اللعنة، أو: النار المدلول بها عليها ﴿لا يخفف عنهم العذاب﴾ طرفةَ عين ﴿ولا هم يُنظرون﴾ يُمهلون لتوبة، أو معذرة.
١٦٣ ونزل لما قالوا: صِف لنا ربك: ﴿وإلٰهكم﴾ المستحق للعبادة منكم ﴿إلٰه واحد﴾ لا نظير له في ذاته، ولا في صفاته، [ولا في أفعاله] ﴿لا إلٰه إلاَّ هو﴾ هو ﴿الرحمن الرحيم﴾.
١٦٤ وطلبوا آيةً على ذلك فنزل: ﴿إن في خلق السماوات والأرض﴾ وما فيهما من العجائب ﴿واختلاف الليل والنهار﴾ بالذهاب والمجيء، والزيادة والنقصان ﴿والفلك﴾ السفن ﴿التي تجري في البحر﴾ ولا ترسب، [وهي] مُوقَرَةٌ [أي: مُثقَلَةٌ] ﴿بما ينفع الناس﴾ من التجارات والحمل ﴿وما أنزل الله من السماء﴾ [أي: السحاب] ﴿من ماء﴾ مطر ﴿فأحيا به الأرض﴾ بالنبات ﴿بعد موتها﴾ يَبَسها ﴿وبثَّ﴾ فرَّق ونَشَرَ به ﴿فيها من كل دابة﴾ لأنهم ينمُون بالخِصْبِ الكائن عنه ﴿وتصريف الرياح﴾ تقليبها جَنوباً وشمَالاً، حارةً وباردةً ﴿والسحاب﴾ الغيم ﴿المُسخر﴾ المذلَّل بأمر الله تعالى، يسير إلى حيث شاء الله ﴿بين السماء والأرض﴾ بلا علاَّقة [أي: بلا شيء يتعلَّق به لئلا يسقط] ﴿لآيات﴾ دلالاتٍ على وحدانيته تعالى ﴿لقوم يعقلون﴾ يتدبرون [فيؤمنون]. ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله﴾ أي: غيره ﴿أنداداً﴾ أصناماً ﴿يحبونهم﴾ بالتعظيم والخضوع ﴿كحب الله﴾ أي: كحبهم له ﴿والذين آمنوا أشد حباً لله﴾ من حبهم للأنداد، لأنهم لا يعدِلون عنه بحالٍ مَّا، والكفارُ يعدِلون [ويرجعون] في الشدة إلى الله [ثم ينسونه بعد زوالها عنهم].

= قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم آجرني في مصيبتي واخلُف لي خيراً منها، إلاَّ آجره في مصيبته، وأخلف له خيراً منها».

﴿ولو ترى﴾ [بالتاء]، تُبصر يا محمد ﴿الذين ظلموا﴾ باتخاذ الأنداد، [لأن الشرك ظلم عظيم] ﴿إذ يرون﴾ بالبناء للفاعل والمفعول، [أي:] يبصرون ﴿العذاب﴾ لرأيت أمراً عظيماً، و «إذ» بمعنى «إذا» ﴿أن﴾ أي: لأنَّ ﴿القوة﴾ القدرة والغلبة ﴿لله جميعاً﴾ حال ﴿وأن الله شديد العذاب﴾ وفي قراءة [«ولو] يَرَى» بالتحتانية، والفاعل [على هذه القراءة] قيل: ضمير السامع، وقيل: «الذين ظلموا»، فهي [أي: «يَرَى»] بمعنى: «يعلم»، و «أنَّ» وما بعدها سدَّت مَسَدَّ المفعولين، وجواب «لو» محذوف، والمعنى: لو علموا في الدنيا شدةَ عذاب الله، وأنَّ القدرة لله وحده وقتَ معاينتهم له، وهو يوم القيامة، لَمَا اتخذوا من دونه أنداداً.

وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً

١٦٦ ﴿إذ﴾ بدل من «إذ» قبله ﴿تبرَّأ الذين اتُّبِعوا﴾ أي: [تبرَّأ] الرؤساء ﴿من الذين اتَّبعوا﴾ أي: [من أتباعهم، و] أنكروا إضلالهم ﴿و﴾ قد ﴿رأوا العذاب وتقطَّعت﴾ عطف على «تبرأ» ﴿بهم﴾ عنهم ﴿الأسباب﴾ الوُصَلُ التي كانت بينهم في الدنيا، من الأرحام والمودة. ١٦٧ ﴿وقال الذين اتَّبعوا لو أن لنا كرَّةً﴾ رجعةً إلى الدنيا ﴿فنتبرأ منهم﴾ أي: المتبوعين ﴿كما تبرؤوا منا﴾ اليوم، و «لو» للتمني، و «نتبرأ» جوابه ﴿كذلك﴾ أي: كما أراهم شدةَ عذابه، وتَبَرُّؤَ بعضِهم من بعض ﴿يريهم الله أعمالهم﴾ السيئة ﴿حسرات﴾ حال، ندامات ﴿عليهم وما هم بخارجين من النار﴾ بعد دخولها.

١٦٨ ونزل فيمن حَرَّم السوائب ونحوَها: ﴿يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً﴾ حال ﴿طيباً﴾ صفة مؤكِّدة، [لأن الحلال لا يكون إلاَّ طيباً]، أي: مستلَذاً ﴿ولا تتبعوا خطوات﴾ طُرُقَ ﴿الشيطان﴾ أي: تزيينه ﴿إنه لكم عدو مبين﴾ بيِّنُ العداوة.

١٦٩ ﴿إنما يأمركم بالسوء﴾ الإثم ﴿والفحشاء﴾ القبيح شرعاً ﴿وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ من تحريم ما لم يحرِّم، وغيره.

١٧٠ ﴿وإذا قيل لهم﴾ أي: الكفار ﴿اتبعوا ما أنزل الله﴾ من التوحيد وتحليل الطيبات ﴿قالوا﴾ لا ﴿بل نتبع ما ألفينا﴾ وجدنا ﴿عليه آباءنا﴾ من عبادة الأصنام، وتحريم السوائب والبحائر. قال تعالى ﴿أ﴾ يتبعونهم ﴿ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً﴾ من أمر الدين ﴿ولا يهتدون﴾ إلى الحق؟ والهمزة للإنكار [والتوبيخ والتعجب، أي: لا يليق بكم ذلك، بل عليكم أن تفكروا، ولا تقلدوا تقليداً أعمى].

١٧١ ﴿ومثل﴾ [أي:] صِفَةُ ﴿الذين كفروا﴾ ومَنْ يدعوهم إلى الهدى، [أي: مَثَلُهم معهم] ﴿كمثل الذي ينعق﴾ يصوِّت ﴿بما لا يسمع إلاَّ دعاءً ونداءً﴾ أي: [يسمع] صوتاً ولا يفهم معناه، أي: هم في سماع الموعظة وعدم تدبرها كالبهائم، تسمع صوت راعيها ولا تفهمه، هم

﴿صمٌّ بكم عمي فهم لا يعقلون﴾ الموعظة.
١٧٢ ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات﴾ حلالات ﴿ما رزقناكم واشكروا لِلَّهِ﴾ على ما أحلَّ لكم ﴿إن كنتم إياه تعبدون﴾.
١٧٣ ﴿إنما حرم عليكم الميتة﴾ أي: أكْلَهَا، إذ الكلامُ فيه، وكذا ما بعدها، وهي ما لم يُذَكَّ شرعاً، وأُلحق بها بالسُّنة، ما أُبين من حيٍّ، [وهو قوله ﷺ: «ما قُطع من حيٍّ فهو ميِّت»، رواه أبو داود، والترمذي وحَسَّنه، والحاكم،] وخُصَّ منها السمك والجراد، [فهما حلال] ﴿والدم﴾ أي: المسفوح كما في «الأنعام» [: «أو دماً مسفوحاً»، ليخرج الكبد والطِّحال، فهما حلال] ﴿ولحم الخنزير﴾ خُصَّ اللحمُ لأنه معظم المقصود، وغيرُه تَبَعٌ له ﴿وما أُهِلَّ به لغير الله﴾ أي: ذُبح على اسم غيره، و «الإهلال»: رفعُ الصوت، وكانوا يرفعونه عند الذبح لآلهتهم ﴿فمن اضطر﴾ ألجأته الضرورة إلى أكل شيء مما ذُكِرَ، فَأَكَلَهُ ﴿غير باغ﴾ خارج على المسلمين ﴿ولا عاد﴾ متعد عليهم بقطع الطريق ﴿فلا إثم عليه﴾ في أكله ﴿إن الله غفور﴾ لأوليائه ﴿رحيم﴾ بأهل طاعته، حيث وسَّع لهم في ذلك، وخرج الباغي والعادي، ويُلْحَقُ بهما كلُّ عاصٍ بسفره، كالآبق [أي: العبد الهارب من سَيِّده،] والمكّاس[1]، فلا يحل لهم أكل شيء من ذلك ما لم يتوبوا، وعليه الشافعي.
١٧٤ ﴿إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب﴾ المشتمل على نعت محمد ﷺ وهم اليهود ﴿ويشترون به ثمناً قليلاً﴾ من الدنيا، يأخذونه بدله من سفلتهم، فلا يظهرونه خوفَ فوته عليهم ﴿أولئك ما يأكلون في بطونهم إلاَّ النار﴾ لأنها مآلهم ﴿ولا يكلمهم الله يوم القيامة﴾ غضباً عليهم ﴿ولا يزكيهم﴾ يطهرهم من دنس الذنوب ﴿ولهم عذاب أليم﴾ مؤلم، هو: النار.
١٧٥ ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى﴾ أخذوها بدله في الدنيا ﴿والعذاب بالمغفرة﴾ المعدة لهم في الآخرة لو لم يكتموا ﴿فما أصبرهم على النار﴾ أي: ما أشد صبرهم! وهو تعجيب للمؤمنين من ارتكابهم موجباتها من غير مبالاة، وإلاّ فأيُّ صبرٍ لهم؟ ١٧٦ ﴿ذلك﴾ الذي ذُكِرَ من أكلهم النار وما بعده ﴿بأن﴾ بسبب أن ﴿الله نزل الكتاب بالحق﴾ متعلق بـ «نزل» فاختلفوا فيه، حيث آمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه بكتمه ﴿وإن الذين اختلفوا في الكتاب﴾ بذلك، وهم اليهود، وقيل: المشركون، [اختلفوا] في القرآن حيث قال بعضهم: شعر، وبعضهم: سحر، وبعضهم: كهانة ﴿لفي شقاق﴾ خلاف ﴿بعيد﴾ عن الحق. ١٧٧ ﴿ليس البرَّ أن تولوا وجوهكم﴾ في الصلاة ﴿قبل المشرق

صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ
تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ
وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ۖ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ
فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ
يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا
قَلِيلًا ۙ أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ
اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ ۚ
فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ
بِالْحَقِّ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ
بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ ۞ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ

نصف الحزب

(١) قوله: «والمكاس»، «المكس» بفتح الميم: الخيانة، ويراد به الذي يأخذ الضريبة ظلماً، أو يسرق من الزكاة.

﴿والمغرب﴾ نزل رداً على اليهود والنصارى، حيث زعموا ذلك ﴿ولكن البر﴾ أي: ذا البر، وقرىء [شذوذاً] بفتح الباء، أي: البارّ ﴿من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب﴾ أي: الكتب ﴿والنبيين وآتى المال على﴾ مع ﴿حبه﴾ له ﴿ذوي القربى﴾ القرابة ﴿واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾ المسافر ﴿والسائلين﴾ الطالبين ﴿وفي﴾ فكّ ﴿الرقاب﴾ المكاتَبين والأسرى ﴿وأقام الصلاة وآتى الزكاة﴾ المفروضة، و [أما] ما [جاء] قبله [وهو قوله تعالى: «وآتى المال»، فهو] في التطوُّع، [فلا تكرار] ﴿والموفون بعهدهم إذا عاهدوا﴾ الله، أو: الناسَ ﴿والصابرين﴾ نُصِبَ على المدح ﴿في البأساء﴾ شدة الفقر ﴿والضراء﴾ المرض ﴿وحين البأس﴾ وقتَ شدة القتال في سبيل الله ﴿أولئك﴾ الموصوفون بما ذُكر ﴿الذين صدقوا﴾ في إيمانهم، أو: ادعاء البرِّ ﴿وأولئك هم المتقون﴾ الله.

١٧٨ ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب﴾ فُرض ﴿عليكم القصاص﴾ المماثلة ﴿في القتلى﴾ وصفاً [أي: في الحرية والإسلام وغيرهما]، و [تجوز المماثلة] فعلاً، [بأن يُقتَلَ القاتلُ بمثل ما قَتَل] ﴿الحر﴾ يُقتَلُ ﴿بالحر﴾ ولا يُقتل بالعبد ﴿والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى﴾ وبيّنت السُّنَّةُ أن الذكر يُقتل بها، [فقد أمر النبي ﷺ برضِّ ـ أي: دَقِّ ـ رأس يهوديٍّ بين حجرين، لرضِّه رأس جارية، رواه الشيخان]، وأنه تُعتبر المماثلةُ في الدِّين، فلا يُقتل مسلم ولو عبداً، بكافر ولو حُرّاً، [لقوله ﷺ: «لا يُقتَلُ مسلم بكافر» رواه البخاري] ﴿فمن عفي له﴾ من القاتلين ﴿من﴾ دم ﴿أخيه﴾ المقتولِ ﴿شيء﴾ بأن تُرِكَ القصاصُ منه، وتنكير «شيء» يفيد سقوط القصاص، بالعفو عن بعضه، و [بالعفو] من بعض الورثة، وفي ذكر «أخيه»، تَعَطُّفٌ داعٍ إلى العفو، وإيذانٌ بأن القتل لا يقطع أخوة الإيمان، و «مَنْ» مبتدأ شرطية، أو: موصولة، والخبر ﴿فاتباعٌ﴾ أي: فعلى العافي اتباعٌ للقاتل [المعفوِّ عنه] ﴿بالمعروف﴾ بأن يطالبه بالدِّية بلا عنف، وترتيب الاتِّباع على العفو، يفيد أن الواجب أحدُهما، وهو أحد قولي الشافعي، و [القول] الثاني: [أن] الواجبَ القصاصُ، والديةُ بدلٌ عنه، فلو عفا ولم يسمِّها فلا شيء، ورُجِّحَ ﴿و﴾ على القاتل ﴿أداء﴾ للدية ﴿إليه﴾ أي: [إلى] العافي، وهو الوارث ﴿بإحسان﴾ بلا مُطل ولا بَخْس ﴿ذلك﴾ الحكم المذكور، من جواز القصاص، والعفو عنه على الدية ﴿تخفيف﴾ تسهيل ﴿من ربكم﴾ عليكم ﴿ورحمة﴾ بكم، حيث وسّع في ذلك، ولم يحتّم واحداً منهما، كما حتّم على اليهود القصاص، وعلى النصارى الدِّية ﴿فمن اعتدى﴾ ظلَم القاتل، بأن قتله، ﴿بعد ذلك﴾ أي: العفو ﴿فله عذاب أليم﴾ مؤلم في الآخرة بالنار، أو: في الدنيا بالقتل.

١٧٩ ﴿ولكم في القصاص حياة﴾ أي: بقاءٌ عظيم ﴿يا أولي الألباب﴾ ذوي العقول، لأن القاتل إذا علم أنه يقتل ارتدع، فأحيا نفسه ومَنْ أراد قتله، فشُرِعَ [القصاص] ﴿لعلكم تتقون﴾ القتلَ لمخافة القَوَدِ. ١٨٠ ﴿كُتب﴾ فُرض ﴿عليكم

وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَٰٓئِكَةِ وَالْكِتَٰبِ وَالنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَٰمَىٰ وَالْمَسَٰكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِى الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَى الزَّكَوٰةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَالصَّٰبِرِينَ فِى الْبَأْسَآءِ وَالضَّرَّآءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِى الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَاتِّبَاعٌۢ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِى الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى الْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ

إذا حضر أحدكم الموت﴾ أي: أسبابُه ﴿إن ترك خيراً﴾ مالاً ﴿الوصية﴾ مرفوع: بـ «كُتِبَ»، متعلِّق «إذا» إن كانت ظرفية [محضة، وتقدير الكلام: «كُتب عليكم الوصية إذا حضر» أي: وقتَ حضور الموت]. ودالٌّ على جوابها إن كانت شرطية، و [هو أيضاً] جواب «إنْ» أي: فليوص ﴿للوالدين والأقربين بالمعروف﴾ بالعدل، بأن لا يزيد على الثلث، ولايفضِّل الغنيَّ ﴿حقاً﴾ مصدر مؤكِّد لمضمون الجملة قبله ﴿على المتقين﴾ اللَّهَ، وهذا [أي: وجوب الوصية] منسوخ بآية الميراث، وبحديث: «لا وصية لوارث» رواه الترمذي [وقال: حديث حسن صحيح]. ١٨١ ﴿فمن بدَّله﴾ أي: الإيصاءَ، من شاهد ووصي ﴿بعد ما سمعه﴾ عَلمه ﴿فإنما إثمه﴾ أي: الإيصاءُ المبدَّل ﴿على الذين يبدلونه﴾ فيه إقامة

إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ

الظاهر مقام المضمر ﴿إن الله سميع﴾ لقول الموصي ﴿عليم﴾ بفعل الوصي، فمجازٍ عليه. ١٨٢ ﴿فمن خاف من موصٍ﴾ مخفَّفاً ومثقَّلاً ﴿جنفاً﴾ ميلاً عن الحق خطأً ﴿أو إثماً﴾ بأن تعمَّد ذلك، بالزيادة على الثلث، أو: تخصيصِ غني مثلاً ﴿فأصلح بينهم﴾ بين الموصِي والموصى له، بالأمر بالعدل ﴿فلا إثم عليه﴾ في ذلك ﴿إن الله غفور رحيم﴾. ١٨٣ ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب﴾ فُرض ﴿عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم﴾ من الأمم ﴿لعلكم تتقون﴾ المعاصي، فإنه يكسر الشهوة التي هي مبدؤها. ١٨٤ ﴿أياماً﴾ نُصِبَ بالصيام، أو: بـ «صوموا» مقدراً ﴿معدودات﴾ أي: قلائل، أو: مؤقتات بعدد معلوم، وهي: رمضان كما سيأتي، وقلَّله تسهيلاً على المكلَّفين ﴿فمن كان منكم﴾ حين شهوده ﴿مريضاً أو على سفر﴾ أي: مسافراً سفرَ القصر، وأجهده الصومُ في الحالين فأفطر ﴿فعدة﴾ فعليه عدةُ ما أفطر ﴿من أيام أخر﴾ يصومها بدله ﴿وعلى الذين﴾ لا ﴿يطيقونه﴾ لكِبَرٍ، أو مرضٍ لا يُرجى بُرْؤهُ ﴿فدية﴾ هي ﴿طعام مسكين﴾ أي: قدر ما يأكله في يومه، وهو مُدٌّ من غالب قوت البلد، لكل يوم، وفي قراءة بإضافة «فدية»، وهي للبيان، وقيل: «لا» غيرُ مقدَّرةٍ، وكانوا مخيَّرين في صدر الإسلام بين الصوم والفدية، ثم نُسخ [التخيير] بتعيين الصوم بقوله: «فمن شهد منكم الشهر فليصمه»، قال ابن عباس: إلاَّ الحامل والمرضع إذا أفطرتا خوفاً على الولد، فإنها باقية بلا نسخ في حقهما ﴿فمن تطوع خيراً﴾ بالزيادة على القدر المذكور في الفدية ﴿فهو﴾ أي: التطوع ﴿خير له وأن تصوموا﴾ مبتدأ، خبره: ﴿خير لكم﴾ من الإفطار والفدية ﴿إن كنتم تعلمون﴾ أنه خير لكم، فافعلوه تلك الأيام.

١٨٥ ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾ من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، في ليلة القدر منه ﴿هدى﴾ حال، هادياً من الضلالة، ﴿للناس وبينات﴾ آيات واضحات ﴿من الهدى﴾ مما يهدي إلى الحق من الأحكام ﴿و﴾ من ﴿الفرقان﴾ مما يفرق بين الحق والباطل ﴿فمن شهد﴾ حضر ﴿منكم

الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر﴾ تقدم مثله [في الآية السابقة]، وكُرِّرَ لئلاَّ يُتَوَهَّمَ نسخُه بتعميم: «مَنْ شهد» ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ ولذا أباح لكم الفطر في المرض والسفر، ولكون ذلك، في معنى العلة أيضاً للأمر بالصوم، [فقد] عطف عليه: ﴿ولتكملوا﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿العدة﴾ أي: عدة صوم رمضان ﴿ولتكبروا الله﴾ عند إكمالها ﴿على ما هداكم﴾ أرشدكم لمعالم دينه ﴿ولعلكم تشكرون﴾ الله على ذلك.

١٨٦ وسأل جماعة النبيَّ ﷺ: أقريبٌ ربنا فنناجيَهُ، أم بعيد فنناديَهُ؟ فنزل: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب﴾ منهم بعلمي، فأخبرهم بذلك ﴿أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾ بإنالته ما سأل ﴿فليستجيبوا لي﴾ دعائي بالطاعة ﴿وليؤمنوا﴾ يدوموا على الإيمان ﴿بي لعلهم يرشدون﴾ يهتدون.

الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ

١٨٧ ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث﴾ بمعنى الإفضاء ﴿إلى نسائكم﴾ بالجماع، نزل نسخاً لما كان في صدر الإسلام من تحريمه، وتحريم الأكل والشرب بعد العشاء، [أو إذا نام قبل ذلك، كما حصل لقيس بن صُرْمَةَ، فغُشي عليه نصف النهار من الجوع، رواه البخاري وغيره] ﴿هنَّ لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾ كناية عن تعانقهما، أو احتياج كلٍّ منهما إلى صاحبه ﴿علم الله أنكم كنتم تختانون﴾ تخونون ﴿أنفسكم﴾ بالجماع ليلة الصيام، وقع ذلك لعمر وغيره ــ [كما رواه أحمد، وابن أبي حاتم، بسند حسن، وغيرهما] ــ واعتذروا إلى النبي ﷺ ﴿فتاب عليكم﴾ قَبِلَ توبتكم ﴿وعفا عنكم فالآن﴾ إذْ أُحِلَّ لكم ﴿باشروهن﴾ جامعوهن ﴿وابتغوا﴾ اطلبوا ﴿ما كتب الله لكم﴾ أي: أباحه من الجماع، أو: قدَّره من الولد ﴿وكلوا واشربوا﴾ الليل كلَّه ﴿حتى يتبين﴾ يظهر ﴿لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾ أي: الصادق، بيان للخيط الأبيض، وبيان الأسود محذوف، أي: من الليل، شُبِّهَ ما يبدو من البياض، وما يمتدُّ معه من الغبش، بخيطين أبيض وأسود، في الامتداد ﴿ثم أتموا الصيام﴾ من الفجر ﴿إلى الليل﴾ أي: إلى دخوله بغروب الشمس ﴿ولا تباشروهن﴾ أي: نساءكم ﴿وأنتم عاكفون﴾ مقيمون بنية الاعتكاف[1] ﴿في المساجد﴾ متعلق بـ «عاكفون»، نَهْيٌ لمن كان يخرج وهو معتكف، فيجامع امرأته ويعود ﴿تلك﴾ الأحكام المذكورة ﴿حدود الله﴾ حدها لعباده ليقفوا عندها ﴿فلا تقربوها﴾ أبلغ من: «لا تعتدوها» المعبَّر به في آية أخرى، [هي الآية «٢٢٩» من هذه السورة] ﴿كذلك﴾ كما بيَّن لكم ما ذُكِرَ ﴿يبين

(١) قوله: «بنية الاعتكاف»، الاعتكاف: هو «الزوم المسجد لطاعة الله تعالى»، وهو سنة في كل وقت، ولا يختص بزمان إلاَّ بالنذر، =

الله آياته للناس لعلهم يتقون﴾ محارمَه. ١٨٨﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم﴾ أي: لا يأكل بعضكم مال بعض ﴿بالباطل﴾ الحرام شرعاً، كالسرقة والغصب ﴿و﴾ لا ﴿تُدْلُوا﴾ تلقوا ﴿بها﴾ أي: بحكومتها [أي: بإقامة الدعوى بها باطلاً]، أو: بالأموال رشوة ﴿إلى الحكام لتأكلوا﴾ بالتحاكم ﴿فريقاً﴾ طائفة ﴿من أموال الناس﴾ متلبسين ﴿بالإثم وأنتم تعلمون﴾ أنكم مبطلون. ١٨٩﴿يسألونك﴾ يا محمد ﴿عن الأهلة﴾ جمع «هلال»: لِمَ تبدو دقيقة، ثم تزيدُ حتى تمتلىءَ نوراً، ثم تعودُ كما بدت، ولا تكونُ على حالة واحدة كالشمس؟ ﴿قل﴾ لهم ﴿هي مواقيت﴾ جمع «ميقات» ﴿للناس﴾ يعلمون بها أوقات زرعهم ومتاجرهم، وعِدَدَ نسائهم، [جمع «عِدَّة» أي: ليحصوا عدة المطلقة أو المتوفَّى عنها زوجها]، وصيامَهم وإفطارَهم ﴿والحج﴾ عطف على «الناس» أي: يُعْلَمَ بها وقته، فلو استمرت على حالة [واحدة] لم يُعرف ذلك ﴿وليس البرُّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها﴾ في الإحرام، بأن تَنْقُبُوا فيها نَقْباً تدخلون منه وتخرجون، وتتركوا الباب، و[هم ناس من الأنصار] كانوا يفعلون ذلك ويزعمونه بِرّاً ﴿ولكن البر﴾ أي: ذا البر ﴿من اتقى﴾ الله بترك مخالفته ﴿وأتوا البيوت من أبوابها﴾ في الإحرام كغيره ﴿واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ تفوزون. ١٩٠ولما صُدَّ ﷺ عن البيت عام الحديبية، وصالح الكفار على أن يعود العام القابل ويُخْلُوا له مكة ثلاثة أيام، وتجهز لعمرة القضاء، وخافوا أن لا تفي قريش ويقاتلوهم، وكره المسلمون قتالهم في الحرم والإحرام والشهر الحرام، نزل: ﴿وقاتلوا في سبيل الله﴾ أي: لإعلاء دينه ﴿الذين يقاتلونكم﴾ من الكفار ﴿ولا تعتدوا﴾ عليهم بالابتداء بالقتال ﴿إنَّ الله لا يحب المعتدين﴾ المتجاوزين ما حَدَّ لهم، وهذا منسوخ بآية «براءة»: [«وقاتلوا المشركين كافَّةً كما يقاتلونكم كافَّة»] وبقوله: ١٩١﴿واقتلوهم حيث ثقفتموهم﴾ وجدتموهم ﴿وأخرجوهم من حيث أخرجوكم﴾ أي: من مكة، وقد فَعَلَ بهم ذلك عام الفتح ﴿والفتنة﴾ الشِّركُ منهم ﴿أشد﴾ أعظم ﴿من القتل﴾ لهم في الحرم، أو: الإحرام، الذي استعظمتموه ﴿ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام﴾ أي: في الحرم ﴿حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم﴾ فيه ﴿فاقتلوهم﴾ فيه، وفي قراءة بلا ألف في الأفعال الثلاثة ﴿كذلك﴾ القتل والإخراج ﴿جزاء الكافرين﴾.

سُورَةُ البَقَرَةِ ٢

ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ * يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ

١٩٢﴿فإن انتهوا﴾ عن الكفر وأسلموا ﴿فإن الله غفور﴾ لهم ﴿رحيم﴾ بهم. ١٩٣﴿وقاتلوهم حتى

= وآكَدُه في شهر رمضان، وآكده اعتكافُ العشر الأواخر منه، فقد روى البخاري وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة قال: «كان النبي ﷺ يعتكف في كل رمضان عشرة أيام، فلما كان العام الذي قُبِضَ فيه اعتكف عشرين»، والأيام العشرة هي العشر الأواخر من رمضان.

لا تكون﴾ توجد ﴿فتنة﴾ شرك ﴿ويكون الدين﴾ العبادة ﴿لله﴾ وحده لا يعبد سواه ﴿فإن انتهوا﴾ عن الشرك فلا تعتدوا عليهم، دل على هذا: ﴿فلا عدوان﴾ اعتداءَ بقتلٍ أو غيره ﴿إلا على الظالمين﴾ ومَن انتهى فليس بظالم، فلا عدوان عليه.

١٩٤ ﴿الشهر الحرام﴾ المحرَّم، مقابَلٌ ﴿بالشهر الحرام﴾ فكما قاتلوكم فيه فاقتلوهم في مثله، ردٌّ لاستعظام المسلمين ذلك ﴿والحرمات﴾ جمع «حُرْمة» [وهو:] ما يجب احترامه ﴿قصاص﴾ أي: يقتص بمثلها إذا انتُهكت ﴿فمن اعتدى عليكم﴾ بالقتال في الحرم، أو: الإحرام، أو: الشهر الحرام ﴿فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ سمَّى مقابلتَه اعتداءً لشبهها بالمقابَل به في الصورة ﴿واتقوا الله﴾ في الانتصار وترك الاعتداء ﴿واعلموا أن الله مع المتقين﴾ بالعون والنصر.

لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَأَتِمُّوا ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ

١٩٥ ﴿وأنفقوا في سبيل الله﴾ طاعته، الجهاد وغيره ﴿ولا تلقوا بأيديكم﴾ أي: أنفسكم، والباء زائدة ﴿إلى التهلكة﴾ الهلاك، بالإمساك عن النفقة في الجهاد، أو: تركِه، لأنه يقوِّي العدو عليكم ﴿وأحسنوا﴾ بالنفقة وغيرها ﴿إن الله يحب المحسنين﴾ أي: يثيبهم.

١٩٦ ﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾ أدُّوهما بحقوقهما ﴿فإن أحصرتم﴾ مُنِعْتُم عن إتمامهما بعدوٍّ[1] ﴿فما استيسر﴾ تيسر ﴿من الهدي﴾ عليكم، وهو: شاة ﴿ولا تحلقوا رؤوسكم﴾ أي: لا تتحلَّلوا ﴿حتى يبلغ الهدي﴾ المذكور ﴿محله﴾ حيث يَحِلُّ ذبحه، وهو: مكان الإحصار عند الشافعي، فيُذْبَحُ فيه بنية التحلل، ويفرَّق على مساكينه، ويَحْلِقُ، وبه يحصل التحلل ﴿فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه﴾ كقمل وصداع، فحلق في الإحرام ﴿ففدية﴾ عليه ﴿من صيام﴾ لثلاثة أيام ﴿أو صدقة﴾ بثلاثة آصُع من غالب قوت البلد، على ستة مساكين ﴿أو نسك﴾ أي: ذبح شاة، و«أو» للتخيير، وأُلحق به مَنْ حلق لغير عذر، لأنه أولى بالكفارة، وكذا من استمتع بغير الحلق، كالطيب واللبس والدهن لعذر، أو: غيره ﴿فإذا أمنتم﴾ العدوَّ، بأن ذهب، أو: لم يكن ﴿فمن تمتع﴾ استمتع ﴿بالعمرة﴾ أي: بسبب فراغه منها، بمحظورات الإحرام ﴿إلى الحج﴾ أي: إلى الإحرام به، بأن يكون أحرم بها في أشهره ﴿فما استيسر﴾ تيسر ﴿من الهدي﴾ عليه، وهو شاة يذبحها بعد الإحرام به، والأفضل [أن يذبحها] يوم النحر ﴿فمن لم يجد﴾ الهدي، لفقده أو: فقد ثمنه ﴿فصيام﴾ أي: فعليه صيام ﴿ثلاثة أيام في الحج﴾ أي: في حال الإحرام به، فيجب حينئذ أن يُحْرِمَ قبل السابع من ذي الحجة، والأفضل قبل السادس، لكراهة صوم يوم عرفة، ولا يجوز صومها أيام التشريق على أصح قولي الشافعي ﴿وسبعة إذا رجعتم﴾ إلى وطنكم، مكة أو غيرها، وقيل: إذا فرغتم من أعمال الحج، وفيه التفات عن الغيبة ﴿تلك عشرة

(١) هذا على القول بأن الحَصْرَ يختصُّ بالعدو، فمن أصابه مرض أو نحوه فلا شيءَ عليه.

كاملة﴾ جملة تأكيدٍ لما قبلها ﴿ذلك﴾ الحكم المذكور، من وجوب الهدي، أو: الصيام على مَنْ تمتع ﴿لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام﴾ بأن لم يكونوا على دون مرحلتين من الحرم، عند الشافعي، فإن كان [أهله حاضري المسجد الحرام]، فلا دم عليه ولا صيام، وإنْ تمتَّع، [والمرحلة: أربعة وعشرون ميلاً، والميل: أربعة آلاف خُطوة]، وفي ذكر «الأهل» إشعار باشتراط الاستيطان، فلو أقام قبل أشهر الحج، ولم يستوطن، وتمتَّع، فعليه ذلك، وهو أحد وجهين عند الشافعي، والثاني: لا، و«الأهل» كناية عن النفس، وأُلحِقَ بالمتمتع فيما ذُكِرَ بالسُّنَّة، القارنُ، وهو: مَنْ أحرم بالعمرة والحج معاً، أو: يُدْخِلُ الحج عليها قبل الطواف ﴿واتقوا الله﴾ فيما يأمركم به وينهاكم عنه ﴿واعلموا أن الله شديد العقاب﴾ لمن خالفه.

كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ

١٩٧ ﴿الحج﴾ وقته ﴿أشهر معلومات﴾ شوال، وذو القَعْدة، وعشر ليال من ذي الحجة، وقيل: كلُّه ﴿فمن فرض﴾ على نفسه ﴿فيهن الحج﴾ بالإحرام به ﴿فلا رفثٌ﴾ جماعٌ فيه ﴿ولا فسوقٌ﴾ معاص ﴿ولا جدالٌ﴾ خصامٌ ﴿في الحج﴾ [بالرفع مع التنوين في الثلاثة]، وفي قراءة بفتح الأولين(١)، والمراد في الثلاثة النهي ﴿وما تفعلوا من خير﴾ كصدقة ﴿يعلمه الله﴾ فيجازيكم به، ونزل في أهل اليمن، وكانوا يحجون بلا زاد فيكونون كَلّاً على الناس ﴿وتزودوا﴾ ما يُبَلِّغكم لسفركم ﴿فإن خير الزاد التقوى﴾ ما يُتَّقَى به سؤالُ الناس وغيره ﴿واتقون يا أولي الألباب﴾ ذوي العقول. ١٩٨ ﴿ليس عليكم جناح﴾ في ﴿أن تبتغوا﴾ تطلبوا ﴿فضلاً﴾ رزقاً ﴿من ربكم﴾ بالتجارة في الحج، نزل رداً لكراهتهم ذلك ﴿فإذا أفضتم﴾ دفعتم ﴿من عرفات﴾ بعد الوقوف بها ﴿فاذكروا الله﴾ بعد المبيت بمزدلفة، بالتلبية والتهليل والدعاء ﴿عند المشعر الحرام﴾ هو: جبل في آخر المزدلفة يقال له «قُزَح»، وفي الحديث: «أنه ﷺ وقف به يذكر الله ويدعو حتى أسفر جداً» رواه مسلم ﴿واذكروه كما هداكم﴾ لمعالم دينه ومناسك حجه، والكاف للتعليل ﴿وإن﴾ مخففة ﴿كنتم من قبله﴾ قبلِ هداه ﴿لمن الضالين﴾. ١٩٩ ﴿ثم أفيضوا﴾ يا قريش [وهو عامٌّ لجميع من حَجّ] ﴿من حيث أفاض الناس﴾ أي: من عرفة، بأن تقفوا بها معهم، وكانوا يقفون بالمزدلفة ترفُّعاً عن الوقوف معهم، و «ثم» للترتيب في الذكر ﴿واستغفروا الله﴾ من ذنوبكم ﴿إن الله غفور﴾ للمؤمنين ﴿رحيم﴾ بهم. ٢٠٠ ﴿فإذا قضيتم﴾ أديتم ﴿مناسككم﴾ عبادات حجكم، بأن رميتم جمرة العقبة، وطفتم، واستقررتم بمنى ﴿فاذكروا الله﴾ بالتكبير والثناء ﴿كذكركم آباءكم﴾ كما كنتم تذكرونهم عند فراغ حجكم بالمفاخرة ﴿أو أشد ذكراً﴾ من ذكركم إياهم ونُصِبَ «أشد» على الحال من «ذكراً» المنصوب بـ «اذكروا»، إذ لو تأخر عنه لكان صفةً له ﴿فمن الناس من يقول ربنا آتنا﴾ نصيبنا ﴿في الدنيا﴾ فيؤتاه فيها ﴿وما له

(١) قوله: «بفتح الأولين» صوابه: «برفع الأولين» منوناً مع بناء الثالث على الفتح. فهذه قراءة، وفي قراءة أخرى، ببناء الثلاثة على الفتح.

في الآخرة من خلاق﴾ [أي:] نصيب. ٢٠١﴿ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة﴾ نعمة ﴿وفي الآخرة حسنة﴾ هي: الجنة ﴿وقنا عذاب النار﴾ بعدم دخولها، وهذا بيان لما كان عليه المشركون، ولحال المؤمنين، والقصدُ به الحثُّ على طلب خير الدارين، كما وعد بالثواب عليه بقوله:

٢٠٢﴿أولئك لهم نصيب﴾ ثواب﴿من﴾ أجل ﴿ما كسبوا﴾ عملوا من الحج والدعاء ﴿والله سريع الحساب﴾ يحاسب الخلق كلَّهم في قَدْرِ نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك[1].

٢٠٣﴿واذكروا الله﴾ بالتكبير عند رمي الجمرات ﴿في أيام معدودات﴾ أي: أيام التشريق الثلاثة ﴿فمن تعجل﴾ أي: استعجل بالنَّفْرِ من مِنَى ﴿في يومين﴾ أي: في ثاني أيام التشريق بعد رمي جماره ﴿فلا إثم عليه﴾ بالتعجيل ﴿ومن تأخر﴾ بها حتى بات ليلة الثالث ورمى جماره ﴿فلا إثم عليه﴾ بذلك، أي: هم مخيَّرون في ذلك، ونفي الإثم ﴿لمن اتقى﴾ الله في حجه، لأنه الحاجُّ في الحقيقة ﴿واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون﴾ في الآخرة، فيجازيكم بأعمالكم.

الجزء الثاني

فِى ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌ

حزب ٤

٢٠٤﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا﴾ ولا يعجبك في الآخرة لمخالفته لاعتقاده ﴿ويشهد الله على ما في قلبه﴾ أنه موافق لقوله ﴿وهو ألدُّ الخصام﴾ شديد الخصومة لك ولأتباعك، لعداوته لك، وهو الأَخْنَسُ بن شَرِيق، كان منافقاً حلو الكلام للنبي ﷺ، يحلف أنه مؤمن به ومحبٌّ له، فَيُدْنِي مَجْلِسَهُ، فأكذبه الله في ذلك، ومرَّ بزرع وحُمُرٍ [أي: حمير] لبعض المسلمين فأحرقه وعقرها ليلاً كما قال تعالى:

٢٠٥﴿وإذا تولى﴾ انصرف عنك﴿سعى﴾ مشى ﴿في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل﴾ من جملة الفساد ﴿والله لا يحب الفساد﴾ أي: لا يرضى به.

٢٠٦﴿وإذا قيل له اتق الله﴾ في فعلك ﴿أخذته العزة﴾ حملته الأَنَفَةُ والحمية على العمل ﴿بالإثم﴾ الذي أُمر باتقائه ﴿فحسبه﴾ كافيه ﴿جهنم ولبئس المهاد﴾ الفراش هي. ٢٠٧﴿ومن الناس من يشري﴾[2] يبيع ﴿نفسه﴾ أي: يبذُلها في طاعة الله ﴿ابتغاء﴾ طلب ﴿مرضاة الله﴾ رضاه، وهو «صهيب»، لما آذاه المشركون، هاجر إلى المدينة وترك لهم ماله ﴿والله رؤوف

---

(١) قوله: «الحديث بذلك». لقد سها الجلال السيوطي رحمه الله، في وصفه نصف النهار بأنه من أيام الدنيا، والصحيح أنه نصف يوم مقداره خمسون ألف سنة، ولقد بيَّنا ذلك مفصلاً في تعليقنا ص ٣٣٧، فارجع إليه.

(٢) قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يشري..﴾ الآية، أخرج الطبراني والحاكم والبيهقي عن صهيب الرومي رضي الله عنه قال: لما خرج =

بالعباد﴾ حيث أرشدهم لما فيه رضاه. ٢٠٨ونزل في عبد الله بن سلام وأصحابه، لمَّا عظَّموا السبت، وكرهوا الإبل، [حيث حَرَّموا أكل لحومها وشرب ألبانها] بعد الإسلام: ﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم﴾[1] بفتح السين وكسرها الإسلام ﴿كافة﴾ حال من «السِّلم»، أي: في جميع شرائعه ﴿ولا تتبعوا خطوات﴾ طرق ﴿الشيطان﴾ أي: تزيينه بالتفريق ﴿إنه لكم عدو مبين﴾ بيِّن العداوة. ٢٠٩﴿فإن زللتم﴾ مِلتم عن الدخول في جميعه﴿من بعد ما جاءتكم البينات﴾ الحجج الظاهرة على أنه حق ﴿فاعلموا أن الله عزيز﴾ لا يعجزه شيء عن انتقامه منكم ﴿حكيم﴾ في صنعه. ٢١٠﴿هل﴾ ما ﴿ينظرون﴾ ينتظر التاركون الدخولَ فيه ﴿إلاَّ أن يأتيهم الله﴾ أي: أمره، كقوله: «أو يأتي أمر ربك» أي: عذابه ﴿في ظلل﴾ جمع «ظلة» ﴿من الغمام﴾ السحاب ﴿والملائكة وقضي الأمر﴾ تَمَّ أمر هلاكهم ﴿وإلى الله تُرْجَعُ الأمور﴾ بالبناء للمفعول والفاعل، في الآخرة، فيجازي [كلًّا بعمله].

بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ۘ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ

٢١١﴿سل﴾ يا محمد ﴿بني إسرائيل﴾ تبكيتاً [وإلزاماً لهم بالحجة] ﴿كم آتيناهم﴾ «كم» استفهامية، معلِّقة «سل» عن المفعول الثاني، وهي [أي: «كم»]، ثاني مفعولي «آتينا»، ومميِّزها [قوله]: ﴿من آية بينة﴾ ظاهرة، كفلق البحر، وإنزال المنِّ والسلوى، فبدَّلوها كفراً ﴿ومن يبدل نعمة الله﴾ أي: ما أنعم به عليه من الآيات، لأنها سبب الهداية ﴿من بعد ما جاءته﴾ كفراً ﴿فإن الله شديد العقاب﴾ له.

٢١٢﴿زين للذين كفروا﴾ من أهل مكة [وغيرها] ﴿الحياة الدنيا﴾ بالتمويه فأحبوها ﴿و﴾ هم ﴿يسخرون من الذين آمنوا﴾ لفقرهم، كبلال وعمار وصهيب، أي: يستهزئون بهم، ويتعالون عليهم بالمال ﴿والذين اتقوا﴾ الشرك، وهم هؤلاء [الفقراء] ﴿فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ أي: رزقاً واسعاً في الآخرة، أو: الدنيا بأن يملِّك المسخور منهم أموالَ الساخرين ورقابَهم. ٢١٣﴿كان الناس أمة واحدة﴾ على الإيمان، فاختلفوا، بأن آمن بعض، [أي: دام على إيمانه]، وكفر بعض ﴿فبعث الله النبيين﴾ إليهم ﴿مبشرين﴾ مَنْ آمن بالجنة ﴿ومنذرين﴾ مَنْ كفر بالنار ﴿وأنزل معهم الكتاب﴾ بمعنى الكتب ﴿بالحق﴾ متعلق بـ«أنزل» ﴿ليحكم﴾ به ﴿بين الناس

= النبي ﷺ إلى المدينة هممت بالخروج، فصدني فتيان من قريش، ثم خرجت، فلحقني منهم ناس بعدما سرت بريداً ليردُّوني، فقلت لهم: هل لكم أن أعطيكم أواقي من ذهب وتخلُّوا سبيلي؟ ففعلوا، فقلت: احفروا تحت أُسْكُفَّة الباب ـ أي: عتبته ـ فإن تحتها الأواقي، وخرجتُ حتى قدمتُ رسولَ الله ﷺ وهو في قُباء قبل أن يتحول منها، فلما رآني قال: «يا أبا يحيى ربح البيع». ثم تلا هذه الآية، و «البريد»: مسافة اثني عشر ميلاً.

(١) قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا. . .﴾ الآية ٢٠٨، هذا نهي عام واضح عن تخيُّر بعض الأحكام بالعمل بها بطريق التشهي والاستنساب اتباعاً للهوى، بل الواجب على المسلم أن يأخذ بالشرع الحنيف كله، مع الرضا والتسليم بحكم الله تعالى، واعتقاد أحَقِّيَّته على كل حال.

فيما اختلفوا فيه﴾ من الدين ﴿وما اختلف فيه﴾ أي: الدين ﴿إلاّ الذين أوتوه﴾ أي: الكتاب، فآمن بعضٌ وكفر بعض ﴿من بعد ما جاءتهم البينات﴾ الحجج الظاهرة على التوحيد، و «من» متعلقة بـ «اختلف»، وهي وما بعدها مقدَّم على الاستثناء في المعنى، [فيكون التقدير: «وما اختلف فيه من بعد ما جاءتهم البينات إلاّ الذين أوتوه»] ﴿بغياً﴾ من الكافرين ﴿بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من﴾ للبيان ﴿الحق بإذنه﴾ بإرادته ﴿والله يهدي من يشاء﴾ هدايَتَهُ ﴿إلى صراط مستقيم﴾ طريق الحق.

٢١٤ونزل في جَهْدٍ ــ [بفتح الجيم: «مشقة»] ــ أصاب المسلمين [يوم الأحزاب، حيث أصاب النبي ﷺ وأصحابه بلاءٌ شديدٌ بعد حصار المدينة]:

فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾

﴿أم﴾ بل أ ﴿حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما﴾ لم ﴿يأتكم مثل﴾ شِبْهُ ما أتى ﴿الذين خلوا من قبلكم﴾ من المؤمنين من المحن، فتصبروا كما صبروا ﴿مسَّتهم﴾ جملة مستأنفة مبيِّنةٌ ما قبلها ﴿البأساء﴾ شدةُ الفقر ﴿والضراء﴾ المرضُ ﴿وزلزلوا﴾ أزعجوا بأنواع البلاء ﴿حتى يقول﴾ بالنصب والرفع، أي: قال ﴿الرسول والذين آمنوا معه﴾ استبطاءً للنصر، لتناهي الشدة عليهم: ﴿متى﴾ يأتي ﴿نصر الله﴾ الذي وُعِدناه؟، فأجيبوا من قبل الله ﴿ألا إن نصر الله قريب﴾ إتيانُهُ.

٢١٥ ﴿يسألونك﴾ يا محمد ﴿ماذا ينفقون﴾ أي: [ما] الذي ينفقونه، والسائل: عمرو بن الجَمُوح، وكان شيخاً ذا مال، فسأل النبي ﷺ ماذا ينفق، وعلى مَنْ ينفق؟ ﴿قل﴾ لهم ﴿ما أنفقتم من خير﴾ بيان لـ «ما»، شاملٌ للقليل والكثير، وفيه بيان [الشيء] المُنْفَق، الذي هو أحد شقَّي السؤال، وأجاب عن المصرف الذي هو الشِّقُّ الآخر بقوله: ﴿فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾ أي: هم أولى به ﴿وما تفعلوا من خير﴾ إنفاق، أو: غيره ﴿فإن الله به عليم﴾ فمجازٍ عليه.

٢١٦﴿كتب﴾ فُرض ﴿عليكم القتال﴾ للكفار ﴿وهو كره﴾ مكروه ﴿لكم﴾ طبعاً، لمشقته ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم﴾ لميل النفس إلى الشهوات الموجبةِ لهلاكها، ونفورها عن التكليفات الموجبةِ لسعادتها، فلعلَّ لكم في القتال ــ وإن كرهتموه ــ خيراً، لأن فيه: إمَّا الظفر والغنيمة، أو: الشهادة والأجر، وفي تركه ــ وإن أحببتموه ــ شراً، لأن فيه: الذلّ والفقر وحرمانَ الأجر ﴿والله يعلم﴾ ما هو خير لكم ﴿وأنتم لا تعلمون﴾ ذلك، فبادروا إلى ما يأمركم به.

٢١٧ وأرسل النبيُّ ﷺ أول سراياه، وعليها عبد الله بن جحش، فقاتَلوا المشركين، وقتلوا [عمرو] بن الحضرمي آخر يوم من جُمادى الآخرة، والتبس عليهم برجب، فعيَّرهم الكفارُ باستحلاله، فنزل: ﴿يسألونك عن الشهر الحرام﴾ المحرم ﴿قتالٍ فيه﴾ بدل اشتمال ﴿قل﴾ لهم ﴿قتال فيه كبير﴾ عظيم وزراً [أي: هو وزر عظيم]، مبتدأ وخبر ﴿وصدٌّ﴾ مبتدأ، منعٌ للناس، ﴿عن سبيل الله﴾ دينه ﴿وكفر به﴾ بالله ﴿و﴾ صدٌّ عن ﴿المسجد الحرام﴾ أي: مكة ﴿وإخراج أهله منه﴾ وهم: النبي ﷺ والمؤمنون، [الذين أخرجهم كفار مكة منها بغير حق، فهاجروا إلى المدينة]، وخبر المبتدأ: ﴿أكبر﴾ أعظم وزراً ﴿عند الله﴾ من القتال فيه ﴿والفتنة﴾ الشرك [بالله] منكم ﴿أكبر من القتل﴾ لكم فيه ﴿ولا يزالون﴾ أي: الكفار ﴿يقاتلونكم﴾ أيها المؤمنون ﴿حتى﴾ كي ﴿يردوكم عن دينكم﴾ إلى الكفر ﴿إن استطاعوا ومن يرتدد[1] منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت﴾ بَطَلَتْ ﴿أعمالهم﴾ الصالحة ﴿في الدنيا والآخرة﴾ فلا اعتداد بها ولا ثواب عليها، والتقييد بالموت عليه يفيد: أنه لو رجع إلى الإسلام لم يبطل عمله، فيثاب عليه ولا يعيده، كالحج مثلاً، وعليه الشافعي ﴿وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾. ٢١٨ ولما ظن السريَّة [أي: أفراد سرية عبد الله بن جحش، المذكورة في الآية السابقة] أنهم إن سلموا من الإثم فلا يحصل لهم أجر، نزل: ﴿إن الذين آمنوا والذين هاجروا﴾ فارقوا أوطانهم ﴿وجاهدوا في سبيل الله﴾ لإعلاء دينه ﴿أولئك يرجون رحمة الله﴾ ثوابه ﴿والله غفور﴾ للمؤمنين ﴿رحيم﴾ بهم. ٢١٩ ﴿يسألونك عن الخمر والميسر﴾ القمار، ما حكمهما؟ ﴿قل﴾ لهم ﴿فيهما﴾ أي: تعاطيهما ﴿إثم كبير﴾ عظيم، وفي قراءة بالمثلثة [«كثير»]، لما يحصل بسببهما من المخاصمة والمشاتمة وقولِ الفُحْشِ ﴿ومنافع للناس﴾ باللذة[2] والفرح في الخمرة، وإصابة المال بلا كدٍّ في الميسر ﴿وإثمهما﴾ أي: ما ينشأ عنهما من المفاسد ﴿أكبر﴾ أعظم ﴿من نفعهما﴾ ولما نزلتْ [هذه الآية]، شربها قوم وامتنع آخرون، إلى أن حرمتها آية «المائدة» ﴿ويسألونك ماذا ينفقون﴾ أي: ما قدره ﴿قل﴾ أنفقوا ﴿العفو﴾ أي: الفاضل عن الحاجة، ولا تنفقوا ما تحتاجون إليه وتضيِّعوا أنفسكم، وفي قراءة بالرفع بتقدير «هو» ﴿كذلك﴾ أي: كما بيَّنَ لكم ما ذكر ﴿يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون﴾.

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾

---

(١) قوله تعالى: ﴿ومن يرتدد منكم﴾، سيأتي تعليق مهمّ حول «الردة» وأسبابها ص ٣٦٠.

(٢) قول المؤلف: «باللذة والفرح في الخمر» تفسير لا وجه له لمنافع الخمر، لأن ما يشعر به السكران ليس لذة ولا فرحاً، ولكنها حالة فقدان الوعي والاتزان، حيث يتحول شارب الخمر في سكره إلى مجنون مؤقت، وما يصدر عن المجنون لا يعتبر في نظر العقلاء سعادة، =

٢٢٠﴿في﴾ أمر ﴿الدنيا والآخرة﴾ فتأخذون بالأصلح لكم فيهما ﴿ويسألونك عن اليتامى﴾ وما يلقونه من الحرج في شأنهم، فإن واكلوهم يأثموا، وإن عزلوا مالهم من أموالهم، وصنعوا لهم طعاماً وحدهم، فَحَرَجٌ ﴿قل إصلاح لهم﴾ في أموالهم بتنميتها ومداخلتكم ﴿خير﴾ من ترك ذلك ﴿وإن تخالطوهم﴾ أي: تخلطوا نفقتكم بنفقتهم ﴿فإخوانكم﴾ أي: فهم إخوانكم في الدين، ومن شأن الأخ أن يخالط أخاه، أي: فلكم ذلك ﴿والله يعلم المفسد﴾ لأموالهم بمخالطته ﴿من المصلح﴾ بها فيجازي كلاً منهما ﴿ولو شاء الله لأعنتكم﴾ لضيق عليكم بتحريم المخالطة ﴿إن الله عزيز﴾ غالب على أمره ﴿حكيم﴾ في صنعه. ٢٢١﴿ولا تَنكحوا﴾ تتزوجوا أيها المسلمون ﴿المشركات﴾ أي: الكافرات ﴿حتى يؤمنَّ ولأمة مؤمنة خير من مشركة﴾ حرة، لأن سبب نزولها: العيبُ على مَنْ[1] تزوج أمةً، وترغيبُهُ في نكاح حرةٍ مشركةٍ ﴿ولو أعجبتكم﴾ لجمالها ومالها، وهذا مخصوص بغير الكتابيات بآية: «والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب» ﴿ولا تُنكحوا﴾ تزوِّجوا ﴿المشركين﴾ أي: الكفارَ المؤمناتِ ﴿حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم﴾ لماله وجماله ﴿أولئك﴾ أي: أهل الشرك ﴿يدعون إلى النار﴾ بدعائهم إلى العمل الموجب لها، فلا تليق مناكحتهم ﴿والله يدعو﴾ على لسان رسله ﴿إلى الجنة والمغفرة﴾ أي: العمل الموجب لهما ﴿بإذنه﴾ بإرادته، فتجب إجابته بتزويج أوليائه ﴿ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون﴾ يتعظون. ٢٢٢[أخرج مسلم والترمذي وغيرهما: أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة منهم، أخرجوها من البيت ولم يؤاكلوها، ولم يجتمعوا معها في البيوت، فسئل رسول الله ﷺ عن ذلك، فنزل:] ﴿ويسألونك عن المحيض﴾ أي: الحيض، أو: مكانه ماذا يُفعل بالنساء فيه؟ ﴿قل هو أذى﴾ قَذَرٌ، أو: مَحَلُّه ﴿فاعتزلوا النساء﴾ اتركوا وطأهن ﴿في المحيض﴾ أي: وقته، أو: مكانه ﴿ولا تقربوهن﴾ بالجماع ﴿حتى يطهرن﴾ بسكون الطاء، وتشديدها والهاءَ، وفيه إدغام التاء في الأصل في الطاء، أي: يغتسلن بعد انقطاعه ﴿فإذا تطهرن فأتوهن﴾ بالجماع ﴿من حيث أمركم الله﴾ بتجنبه في الحيض، وهو القُبُل، ولا تعدُوه إلى غيره ﴿إن الله يحب﴾ يثيب ويكرم ﴿التوابين﴾ من الذنوب ﴿ويحب المتطهرين﴾ من الأقذار. ٢٢٣﴿نساؤكم حرث لكم﴾ أي: محل زرعكم الولد،

فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ

= والقول الصحيح في معنى «المنافع»: إنها «الربح»، فإن العرب كانوا يجلبون الخمر من الشام برخص، فيبيعونها في الحجاز بربح، وكان طالب الخمر يشتريها بثمن غالٍ، فالمنافع المشار إليها في الآية هي مالية بحتة، ارجع إلى تعليقنا حول «تحريم الخمر والميسر» ص ١٥٥.

(١) قوله: «العيب على من تزوج أمةً...» إلخ، هو عبد الله بن رواحة رضي الله عنه، كانت عنده أمة سوداء فأعتقها وتزوجها، فأبوا عليه ذلك وعابوه، هذا وقد أجمع المسلمون، على أنه لا يحلُّ ولا يجوز أن يتزوج المرأةَ المسلمة إلاّ مسلم، فمن أنكر ذلك فهو مرتد.

﴿فأتوا حرثكم﴾ أي: محلّه وهو: القُبُلُ ﴿أنى﴾ كيف ﴿شئتم﴾ من قيام وقعود واضطجاع وإقبالٍ وإدبار، نزل رداً لقول اليهود: مَنْ أتى امرأته في قُبُلِها، أي: من جهة دُبُرها، جاء الولد أحولَ ﴿وقدموا لأنفسكم﴾ العملَ الصالح، كالتسمية عند الجماع ﴿واتقوا الله﴾ في أمره ونهيه ﴿واعلموا أنكم ملاقوه﴾ بالبعث، فيجازيكم بأعمالكم ﴿وبشر المؤمنين﴾ الذين اتقوه، بالجنة. ٢٢٤﴿ولا تجعلوا الله﴾ أي: الحلف به ﴿عرضة﴾ علةً مانعة ﴿لأيمانكم﴾ أي: نُصُباً لها [أي: غَرَضاً مانعاً من فعل الخير]، بأن تُكثروا الحلف به ﴿أن﴾ لا ﴿تبروا وتتقوا﴾ فتُكْرَهُ اليمين على ذلك، ويسنُّ فيه الحِنثُ ويكفِّر، بخلافها على فعل البر ونحوه فهي طاعة ﴿وتصلحوا بين الناس﴾ المعنى: لا تمتنعوا من فعل ما ذُكر من البر ونحوه، إذا حلفتم عليه، بل ائتوه وكفِّروا، لأن سبب نزولها الامتناع من ذلك ﴿والله سميع﴾ لأقوالكم ﴿عليم﴾ بأحوالكم.

٢٢٥﴿لا يؤاخذكم الله باللغو﴾ الكائن ﴿في أيمانكم﴾ وهو ما يسبق إليه اللسان من غير قصد الحلف، نحو: لا والله، وبلى والله، فلا إثم عليه ولا كفارة ﴿ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم﴾ أي: قصدته من الأيمان إذا حنثتم ﴿والله غفور﴾ لما كان من اللغو ﴿حليم﴾ بتأخير العقوبة عن مستحقها.

٢٢٦﴿للذين يؤلون من نسائهم﴾ أي: يحلفون أن لا يجامعوهن ﴿تربص﴾ انتظار ﴿أربعة أشهر فإن فاؤوا﴾ رجعوا فيها أو بعدها عن اليمين إلى الوطء ﴿فإن الله غفور﴾ لهم ما أتوه من ضرر المرأة بالحلف ﴿رحيم﴾ بهم.

٢٢٧﴿وإن عزموا الطلاق﴾ أي: عليه بأن لا يفيئوا فليُوقِعُوه ﴿فإن الله سميع﴾ لقولهم ﴿عليم﴾ بعزمهم، المعنى: ليس لهم بعد تربُّصِ ما ذُكِرَ، إلَّا الفيئةُ أو الطلاقُ.

٢٢٨﴿والمطلقات يتربصن﴾ أي: لينتظرن ﴿بأنفسهن﴾ عن النكاح ﴿ثلاثة قروء﴾ تمضي من حين الطلاق، جمع «قرء» بفتح القاف وهو: الطهر، أو: الحيض، قولان، وهذا في المدخول بهن، أما غيرهن، فلا عدة عليهن، لقوله: «فما لكم عليهن من عدة»، وفي غير الآيسة والصغيرة، فعدتهن ثلاثة أشهر، والحوامل، فعدتهن أن يضعن حملهن، كما في «سورة الطلاق»، والإماء، فعدتهن قَرْءان بالسُّنَّة [كما سيأتي ص ٤٨] ﴿ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن﴾ من الولد أو الحيض ﴿إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن﴾ أزواجهن ﴿أحق بردهن﴾ بمراجعتهن ولو أَبَيْنَ ﴿في ذلك﴾ أي: في زمن التربُّص ﴿إن أرادوا إصلاحاً﴾ بينهما، لا إضرارَ المرأة، وهو تحريض على قصده لا شرط لجواز الرجعة، وهذا في الطلاق الرجعي، و[قوله:] «أحق» لا تفضيل فيه، إذ لا حق لغيرهم في نكاحهن في العدة ﴿ولهن﴾ على الأزواج ﴿مثل الذي﴾ لهم ﴿عليهن﴾ من الحقوق ﴿بالمعروف﴾ شرعاً، من حسن العشرة، وترك الضِّرار، ونحو ذلك ﴿وللرجال عليهن

فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَـٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَـٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَٱلْمُطَلَّقَـٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَـٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَـٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ

درجة﴾ فضيلة في الحق، من وجوب طاعتهن لهم لما ساقوه من المهر والإنفاق ﴿والله عزيز﴾ في ملكه ﴿حكيم﴾ فيما دبره لخلقه.

٢٢٩﴿الطلاق﴾ أي: التطليق الذي يراجَعُ بعده ﴿مرتان﴾ أي: اثنتان ﴿فإمساك﴾ أي: فعليكم إمساكهن بعده بأن تراجعوهن ﴿بمعروف﴾ من غير ضرار ﴿أو تسريح﴾ أي: إرسال لهن ﴿بإحسان ولا يحل لكم﴾ أيها الأزواج ﴿أن تأخذوا مما آتيتموهن﴾ من المهور ﴿شيئاً﴾ إذا طلقتموهن ﴿إلَّا أن يخافا﴾ أي: الزوجان ﴿ألا يقيما حدود الله﴾ أي: أن لا يأتيا بما حدَّه لهما من الحقوق، وفي قراءة «يُخَافا» بالبناء للمفعول [أي: مِنْ قِبَلِ وُلاة الأمور] فـ «أن لا يقيما» بدل اشتمال من الضمير فيه، وقرىء [شذوذاً] بالفوقانية في الفعلين ﴿فإن خفتم أ﴾ ن ﴿لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به﴾ نفسَها من المال ليطلقها، أي: لا حرج على الزوج في أَخْذه، ولا [على] الزوجة في بَذْله ﴿تلك﴾ الأحكام المذكورة ﴿حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعدَّ حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾.

٢٣٠﴿فإن طلقها﴾ الزوج بعد الثنتين ﴿فلا تحل له من بعد﴾ [أي: من بعد] الطلقة الثالثة ﴿حتى تنكح﴾ تتزوج ﴿زوجاً غيره﴾ ويطأها كما في الحديث، رواه الشيخان[1] ﴿فإن طلقها﴾ أي: الزوج الثاني ﴿فلا جناح عليهما﴾ أي: الزوجة والزوج الأول ﴿أن يتراجعا﴾ إلى النكاح بعد انقضاء العدة ﴿إن ظنا أن يقيما حدود الله وتلك﴾ المذكورات ﴿حدود الله يبينها لقوم يعلمون﴾ يتدبرون.

٢٣١﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن﴾ قاربن انقضاء عدتهن ﴿فأمسكوهن﴾ بأن تراجعوهن ﴿بمعروف﴾ من غير ضرار ﴿أو سرحوهن بمعروف﴾ اتركوهن حتى تنقضي عدتهن ﴿ولا تمسكوهن﴾ بالرجعة ﴿ضراراً﴾ مفعول له ﴿لتعتدوا﴾ عليهن، بالإلجاء إلى الافتداء، والتطليق، وتطويلِ الحبس ﴿ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه﴾ بتعريضها إلى عذاب الله ﴿ولا تتخذوا آيات الله هزواً﴾ [بالهمزة، مع ضم الزاي وسكونها، وفي قراءة بضم الزاي وإبدال الهمزة واواً، أي:] مهزوءاً بها بمخالفتها.

الجزء الثاني

دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ
بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا
مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ
فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا
افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ
حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا
تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا
جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ
وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ
النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ
بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ
ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا

٤٦

---

(١) قوله: «رواه الشيخان» أي: وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءت امرأة رفاعة القُرظي إلى رسول الله ﷺ فقالت: إني كنت عند رفاعة فطلقني فَبَتَّ طلاقي، فتزوجني عبد الرحمن بن الزَّبير، وما معه إلاَّ مثلُ هُدْبَةِ الثوب ـ أي: عِنِّيناً ـ فتبسم النبي ﷺ فقال: «أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟.. لا.. حتى تذوقي عُسَيْلَتَهُ ويذوق عُسَيْلَتَكِ». هذا ويجب أن يكون النكاح الثاني مقصوداً لذاته، لا لتحليل المرأة للزوج الأول، فإن قُصِدَ به التحليلُ، كان الطرفان آثمين بالإجماع، مع خلافٍ في صحة العقد، لقوله ﷺ في الحديث الصحيح: «لعن الله المحلِّلَ والمحلَّلَ له» رواه النَّسائي والترمذي.

﴿واذكروا نعمة الله عليكم﴾ بالإسلام ﴿وما أنزل عليكم من الكتاب﴾ القرآن ﴿والحكمة﴾ ما فيه من الأحكام ﴿يعظكم به﴾ بأن تشكروها بالعمل به ﴿واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم﴾ لا يخفى عليه شيء.

٢٣٢﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن﴾ انقضت عِدتهن ﴿فلا تعضلوهن﴾ خطابٌ للأولياء، أي: [فلا] تمنعوهن من ﴿أن ينكحن أزواجهن﴾ المطلِّقين لهن، لأن سبب نزولها: أن أخت معقل بن يسار، طلّقها زوجُها [ولم يراجعها حتى انقضت عدتها]، فأراد أن يراجعها، فمنعها معقل بن يسار، [فلما نزلت هذه الآية قال معقل: «سَمْعٌ لربي وطاعة»، ثم دعاه فقال: أُزوجك وأُكرمك]، كما رواه الحاكم [والبخاري والترمذي والنسائي وغيرهم] ﴿إذا تراضوا﴾ أي: الأزواج والنساء ﴿بينهم بالمعروف﴾ شرعاً[1] ﴿ذلك﴾ النهي عن العَضْل ﴿يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ لأنه المنتفع به ﴿ذلكم﴾ أي: ترك العضل ﴿أزكى﴾ خير ﴿لكم وأطهر﴾ لكم ولهم [أي: للأزواج]، لما يُخْشَى على الزوجين من الريبة بسبب العلاقة بينهما ﴿والله يعلم﴾ ما فيه المصلحة ﴿وأنتم لا تعلمون﴾ ذلك، فاتبعوا أمره.

٢٣٣﴿والوالدات يرضعن﴾ أي: لِيُرْضِعْنَ ﴿أولادهن حولين﴾ عامين ﴿كاملين﴾ صفة مؤكِّدة، ذلك ﴿لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾[2] ولا زيادة عليه ﴿وعلى المولود له﴾ أي: الأب ﴿رزقهن﴾ إطعام الوالدات ﴿وكسوتهن﴾ على الإرضاع، إذا كُنَّ مطلَّقاتٍ ﴿بالمعروف﴾ بقدر طاقته ﴿لا تكلف نفس إلا وسعها﴾ طاقتها ﴿لا تضارّ والدة بولدها﴾ بسببه، بأن تُكْرَهَ على إرضاعه إذا امتنعت ﴿ولا﴾ يضارّ ﴿مولود له بولده﴾ أي: بسببه، بأن يكلَّف فوق طاقته، وإضافة «الولد» إلى كل منهما في الموضعين للاستعطاف ﴿وعلى الوارث﴾ أي: وارث الأب وهو الصبي، أي: على وليه في ماله ﴿مثل ذلك﴾ الذي على الأب للوالدة من الرزق والكسوة ﴿فإن أرادا﴾ أي: الوالدان ﴿فصالا﴾ فطاماً له قبل الحولين، صادراً ﴿عن تراضٍ﴾ اتفاقٍ ﴿منهما وتشاور﴾ بينهما، لتظهر مصلحة الصبي فيه ﴿فلا جناح عليهما﴾ في ذلك ﴿وإن أردتم﴾ خطاب للآباء ﴿أن تسترضعوا أولادكم﴾ مراضعَ غير الوالدات.

وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ ۞ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ ۚ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ

(١) قوله: «شرعاً» أشار بذلك إلى أن المعروف ما عرفه الشرع وجاء به، والمنكر ما أنكره ونهى عنه، ارجع إلى تعليقنا حول معناهما ص ٨٠.

(٢) قوله تعالى: ﴿لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ ارجع إلى تعليقنا حول «الرضاعة وحكمها» ص ٧٤٩.

﴿فلا جناح عليكم﴾ فيه ﴿إذا سلمتم﴾ إليهن ﴿ما آتيتم﴾ أي: أردتم إيتاءه لهن من الأجرة ﴿بالمعروف﴾ بالجميل، كطيب النَّفس ﴿واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير﴾ لا يخفى عليه شيء منه.

٢٣٤﴿والذين يتوفون﴾ يموتون ﴿منكم ويذرون﴾ يتركون ﴿أزواجاً يتربصن﴾ أي: ليتربصن ﴿بأنفسهن﴾ بعدهم عن النكاح ﴿أربعة أشهر وعشراً﴾ من الليالي، وهذا في غير الحوامل، أما الحوامل: فعدتهن أن يضعن حملهن، بآية [سورة] «الطلاق» [وهي قوله تعالى: «وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن»]، والأمَةُ على النصف من ذلك بالسُّنّة[1] ﴿فإذا بلغن أجلهن﴾ انقضت عدة تَرَبُّصهن ﴿فلا جناح عليكم﴾ أيها الأولياء ﴿فيما فعلن في أنفسهن﴾ من التزيُّن والتعرُّض للخُطّاب ﴿بالمعروف﴾ شرعاً ﴿والله بما تعملون خبير﴾ عالم بباطنه كظاهره.

٢٣٥﴿ولا جناح عليكم فيما عرضتم﴾ لوَّحتم ﴿به من خطبة النساء﴾ المتوفى عنهن أزواجهن، في العدة، كقول الإنسان مثلاً: إنك لجميلة، ومَنْ يجدُ مثلكِ؟ ورُبَّ راغبٍ فيكِ ﴿أو أكننتم﴾ أضمرتم ﴿في أنفسكم﴾ من قصد نكاحهن ﴿علم الله أنكم ستذكرونهن﴾ بالخِطبة، ولا تصبرون عنهن، فأباح لكم التعريض ﴿ولكن لا تواعدوهن سراً﴾ أي: نكاحاً ﴿إلاَّ﴾ لكن ﴿أن تقولوا قولاً معروفاً﴾ أي: ما عُرِفَ شرعاً من التعريض، فلكم ذلك، ﴿ولا تعزموا عقدة النكاح﴾ أي: على عقده ﴿حتى يبلغ الكتاب﴾ أي: المكتوب من العدة ﴿أجله﴾ بأن ينتهي ﴿واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم﴾ من العزم وغيره ﴿فاحذروه﴾ أن يعاقبكم إذا عزمتم ﴿واعلموا أن الله غفور﴾ لمن يحذره ﴿حليم﴾ بتأخير العقوبة عن مستحقها.

٢٣٦﴿لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن﴾ وفي قراءة «تُمَاسُّوهن»، [بضم التاء]، أي: تجامعوهن ﴿أو﴾ لم ﴿تفرضوا لهن فريضة﴾ مهراً، و «ما» مصدرية ظرفية، أي: لا تَبِعَة عليكم في الطلاق ــ زَمَنَ عدم المسيس والفَرْضِ ــ بإثم ولا مهرٍ، فطلقوهن ﴿ومتعوهن﴾ أعطوهن ما يتمتعن به ﴿على الموسع﴾ الغني منكم

فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ

(١) قول المصنف: «والأمة على النصف من ذلك بالسنة». قد يُفهم منه ثبوتُ كون عدة الأَمَة المتوفَّى عنها زوجها، نصفَ عدة الحرة بالسُّنَّة أيضاً. وهذا المعنى غير مراد، لأنه لم يثبت ذلك في السنة، بل الوارد فيها بيان عدة الأمة المطلَّقة، في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان» رواه الدارقطني موقوفاً وأخرجه مرفوعاً وضعَّفوه، وأخرجه أبو داود والترمذي عن عائشة رضي الله عنها، قال الحافظ ابن حجر في بلوغ المرام: فاتفقوا على ضعفه.

﴿قَدَره وعلى المقتر﴾ الضيّق الرزق ﴿قَدَره﴾ يفيد أنه لا نظر إلى قَدَر الزوجة ﴿متاعاً﴾ تمتيعاً ﴿بالمعروف﴾ شرعاً، صفة «متاعاً» ﴿حقاً﴾ صفة ثانية، أو: مصدر مؤكِّد ﴿على المحسنين﴾ المطيعين. ٢٣٧﴿وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم﴾ يجب لهن، ويرجع لكم النصف ﴿إلاّ﴾ لكن ﴿أن يعفون﴾ أي: الزوجات فيتركنه ﴿أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح﴾ وهو الزوج، فيترك لها الكل، وعن ابن عباس: [أو يعفو] الولي إذا كانت محجورة، فلا حرج في ذلك ﴿وأن تعفوا﴾ مبتدأ، خبره: ﴿أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم﴾ أي: أن يتفضل بعضكم على بعض ﴿إن الله بما تعملون بصير﴾ فيجازيكم به. ٢٣٨﴿حافظوا على الصلوات﴾ الخمس بأدائها في أوقاتها ﴿والصلاة الوسطى﴾ هي: العصر، أو: الصبح، أو: الظهر، أو: غيرها أقوال [أقواها الأول، لما أخرجه مسلم والترمذي وغيرهما عن ابن مسعود قال: حَبَسَ المشركون رسولَ الله ﷺ عن صلاة العصر حتى احمرَّت الشمس، فقال رسول الله ﷺ: «شغلونا عن الصلاة الوسطى، صلاةِ العصر، ملأ الله أجوافهم وقبورهم ناراً»]، وأفردها بالذكر لفضلها ﴿وقوموا لله﴾ في الصلاة ﴿قانتين﴾ قيل: مطيعين لقوله ﷺ: «كل قنوت في القرآن فهو طاعة» رواه أحمد وغيره، وقيل: ساكتين، لحديث زيد بن أرقم: «كنا نتكلم في الصلاة، حتى نزلت، فأمرنا بالسكوت، ونهينا عن الكلام» رواه الشيخان.

٢٣٩﴿فإن خفتم﴾ من عدوٍّ، أو: سيلٍ، أو: سَبُعٍ ﴿فرجالاً﴾ جمع «راجل» أي: مُشاةً صلّوا ﴿أو ركباناً﴾ جمع «راكب»، أي: كيف أمكن، مستقبلي القبلة أو غيرها، ويومىء بالركوع والسجود ﴿فإذا أمنتم﴾ من الخوف ﴿فاذكروا الله﴾ أي: صلوا ﴿كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾ قبل تعليمه من فرائضها وحقوقها، والكاف بمعنى «مثل»، و «ما» مصدرية، أو: موصولة.

٢٤٠﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً﴾ فليوصوا ﴿وصية﴾ [بالنصب]، وفي قراءة بالرفع، أي: عليهم [وصيةٌ] ﴿لأزواجهم﴾ وليعطوهن ﴿متاعاً﴾ ما يتمتعن به من النفقة والكسوة ﴿إلى﴾ تمام ﴿الحول﴾ من موتهم، الواجب عليهن تربصه ﴿غير إخراج﴾ حال، أي: غير مخرَجات من مسكنهن ﴿فإن خرجن﴾ بأنفسهن ﴿فلا جناح عليكم﴾ يا أولياء الميت ﴿في ما فعلن في أنفسهن من معروف﴾ شرعاً، كالتزين، وترك الإحداد، وقطع النفقة عنها ﴿والله عزيز﴾ في ملكه ﴿حكيم﴾ في صنعه، والوصية المذكورة منسوخة بآية الميراث: [«ولهن الرُّبع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد»]. وتربُّصُ الحول [منسوخ] بآية [«البقرة» ـ «٢٣٤» ـ «يتربصن بأنفسهن] أربعة أشهر وعشراً» السابقة المتأخرة في النزول، والسكنى ثابتة عند الشافعي رحمه الله. ٢٤١﴿وللمطلقات متاع﴾ يُعْطَيْنَهُ ﴿بالمعروف﴾ بقدر الإمكان ﴿حقاً﴾ نُصِبَ بفعله المقدر ﴿على

قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى

المتقين﴾ الله تعالى، كرّره ليعم الممسوسة أيضاً، إذ الآية السابقة في غيرها. ٢٤٢﴿كذلك﴾ كما يبين لكم ما ذكر ﴿يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون﴾ تتدبرون. ٢٤٣﴿ألم ترَ﴾ استفهام تعجيب وتشويق إلى استماع ما بعده، أي: [ألم ينته علمُك ﴿إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف﴾ أربعة، أو: ثمانية، أو: عشرة [آلاف]، أو: ثلاثون، أو: أربعون، أو: سبعون ألفاً ﴿حذر الموت﴾ مفعول له، وهم: قومٌ من بني إسرائيل، وقع الطاعون ببلادهم ففروا[1] ﴿فقال لهم الله موتوا﴾ فماتوا ﴿ثم أحياهم﴾ بعد ثمانية أيام، أو: أكثر، بدعاء نبيهم حزقيل ـ بكسر المهملة والقاف وسكون الزاي ـ فعاشوا دهراً عليهم أثر الموت[2]، لا يلبسون ثوباً إلَّا عاد كالكفن، واستمرت في أسباطهم [كذا قيل، من غير دليل] ﴿إن الله لذو فضل على الناس﴾ ومنه إحياء هؤلاء ﴿ولكن أكثر الناس﴾ وهم الكفار ﴿لا يشكرون﴾ والقصد من ذكر خبر هؤلاء، تشجيعُ المؤمنين على القتال، ولذا عطف عليه: ٢٤٤﴿وقاتلوا في سبيل الله﴾ أي: لإعلاء دينه ﴿واعلموا أن الله سميع﴾ لأقوالكم ﴿عليم﴾ بأحوالكم، فيجازيكم. ٢٤٥﴿من ذا الذين يقرض الله﴾ بإنفاق ماله في سبيل الله ﴿قرضاً حسناً﴾ بأن ينفقه لله عز وجلّ عن طِيبِ قلب ﴿فيضاعفه﴾ وفي قراءةٍ «فيضعِّفه» بالتشديد ﴿له أضعافاً كثيرة﴾ من عشر إلى أكثر من سبعمائة، كما سيأتي [في الآية ٢٦١] ﴿والله يقبض﴾ يمسك الرزق عمن يشاء ابتلاءً ﴿ويبسط﴾ [بالصاد والسين، أي:] يوسعه لمن يشاء امتحاناً ﴿وإليه ترجعون﴾ في الآخرة بالبعث، فيجازيكم بأعمالكم.

٢٤٦﴿ألم تر إلى الملأ﴾ الجماعة ﴿من بني إسرائيل من بعد﴾ موت ﴿موسى﴾ أي: [ألم ينته علمُك] إلى قصتهم وخبرِهم ﴿إذ قالوا لنبي لهم﴾ هو: شموئيل ﴿ابعث﴾ أقم ﴿لنا ملكاً نقاتل﴾ معه ﴿في سبيل الله﴾ تنتظم به كلمتنا ونرجع إليه ﴿قال﴾ النبي لهم ﴿هل عسيتم﴾ بالفتح والكسر ﴿إن كتب عليكم القتال أ﴾ ن ﴿لا تقاتلوا﴾ خبر «عسى»، والاستفهام لتقرير التوقُّع بها ﴿قالوا وما لنا أ﴾ ن ﴿لا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا﴾ بسبيهم وقتلهم، وقد فعَلَ بهم ذلك قومُ جالوت، أي: لا مانع منه مع وجود مقتضيه، قال تعالى: ﴿فلما كتب عليهم القتال تولوا﴾ عنه وجَبُنوا.

ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ * أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟

ثلاثة أرباع الحزب

(١) قوله: «وقع الطاعون ببلادهم ففروا»، وقيل: دعاهم ملكهم إلى الجهاد، فهربوا من وجه عدوهم حذر الموت، وهذا القول أقرب، يؤيده ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وهم ألوف﴾ أي: خافوا من القتال وهم كُثُر، والفرار من الطاعون لا يستدعي الإشارة إلى أنهم ألوف.

(٢) قوله: «فعاشوا دهراً عليهم أثر الموت»، إلى قوله: «واستمرت في أسباطهم». فيه مبالغة لا دليل عليها.

﴿إلاَّ قليلاً منهم﴾ وهم: الذين عبروا النَّهرَ مع طالوت كما سيأتي [في الآية ٢٥٠] ﴿والله عليم بالظالمين﴾ فمجازيهم، وسأل النبيُّ [المذكور في الآية السابقة]، ربَّه إرسالَ مَلِك، فأجابه إلى إرسال طالوت.

٢٤٧ ﴿وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أنى﴾ كيف ﴿يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه﴾ لأنه ليس من سبط المملكة ولا النبوة، وكان دبَّاغاً أو راعياً ﴿ولم يؤت سعة من المال﴾ يستعين بها على إقامة الملك ﴿قال﴾ النبي لهم ﴿إن الله اصطفاه﴾ اختاره للملك ﴿عليكم وزاده بسطة﴾ [بالسين والصاد، أي:] سعة ﴿في العلم والجسم﴾ وكان أعلم بني إسرائيل يومئذ، وأجملهم وأتمهم خَلْقاً ﴿والله يؤتي ملكه من يشاء﴾ إيتاءه لا اعتراض عليه ﴿والله واسع﴾ فضله ﴿عليم﴾ بمن هو أهل له.

سُورَةُ البَقَرَةِ ٢

إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَـٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ

٢٤٨ ﴿وقال لهم نبيهم﴾ لما طلبوا منه آية على ملكه ﴿إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت﴾ الصندوق، كان فيه صور الأنبياء[1]، أنزله الله على آدم واستمر إليهم، فغلبتهم العمالقة عليه وأخذوه، وكانوا يستفتحون به على عدوهم، ويقدِّمونه في القتال، ويسكنون إليه، كما قال تعالى ﴿فيه سكينة﴾ طمأنينة لقلوبكم ﴿من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون﴾ أي: تركاه هما، وهي: نعلا موسى، وعصاه، وعمامةُ هارون، وقفيزُ المَنِّ الذي كان ينزل عليهم، ورُضاضُ [بضم الراء أي: فُتات] من الألواح ﴿تحمله الملائكة﴾ حال من فاعل «يأتيكم» ﴿إن في ذلك لآية لكم﴾ على ملكه ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ فحملته الملائكة بين السماء والأرض، وهم ينظرون إليه، حتى وضعته عند طالوت، فأقروا بملكه، وتسارعوا إلى الجهاد، فاختار من شبابهم سبعين ألفاً.

٢٤٩ ﴿فلما فصل﴾ خرج ﴿طالوت بالجنود﴾ من بيت المقدس، وكان حرّاً شديداً، وطلبوا منه الماء ﴿قال إن الله مبتليكم﴾ مختبركم ﴿بنهر﴾ ليظهر المطيع منكم والعاصي، وهو: بين الأردن وفلسطين ﴿فمن شرب منه﴾ أي: من مائه ﴿فليس مني﴾ أي: من أتباعي ﴿ومن لم يطعمه﴾ يذقه ﴿فإنه مني إلاَّ من اغترف غرفة﴾ بالفتح والضم ﴿بيده﴾ فاكتفى بها ولم يزد عليها، فإنه مني ﴿فشربوا منه﴾ لما وافَوْهُ بكثرة ﴿إلاَّ قليلاً منهم﴾ فاقتصروا على الغُرْفة [التي اغترفها كل واحد منهم، كما تقدم]، روي [ــ وهي رواية ضعيفة جداً ــ] أنها كفتهم لشربهم ودوابهم، وكانوا ثلثمائة وبضعة رجلاً ﴿فلما جاوزه هو والذين

---

(١) قوله: «كان فيه صور الأنبياء». لقد تساهل السيوطي رحمه الله في هذا من غير دليل، ثم إن قوله هذا مخالف لإخباره تعالى عما في التابوت بقوله: ﴿فيه سكينة من ربكم..﴾ إلخ، ولم يقل: «إن فيه صور الأنبياء»، هذا فضلاً أن في إمكان تصوير الأنبياء بُعْدٌ وغرابة، بالإضافة إلى أن حكم التصوير في الشرائع السابقة غير معلوم لدينا، فلنقف عند حدود ما أخبر الله تعالى به، ولنترك المبالغة فإنها غير محمودة.

آمنوا معه﴾ وهم: الذين اقتصروا على الغُرفة ﴿قالوا﴾ أي: الذين شربوا ﴿لا طاقة﴾ قوة ﴿لنا اليوم بجالوت وجنوده﴾ أي: بقتالهم، وجَبُنُوا ولم يجاوزوه ﴿قال الذين يظنون﴾ يوقنون ﴿أنهم ملاقو الله﴾ بالبعث، وهم: الذين جاوزوه ﴿كم﴾ خبرية بمعنى «كثير» ﴿من فئة﴾ جماعة ﴿قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله﴾ بإرادته ﴿والله مع الصابرين﴾ بالعون والنصر.

٢٥٠﴿ولما برزوا لجالوت وجنوده﴾ أي: ظهروا لقتالهم وتصافُّوا ﴿قالوا ربنا أفرغ﴾ اصْبُبْ ﴿علينا صبراً وثبت أقدامنا﴾ بتقوية قلوبنا على الجهاد ﴿وانصرنا على القوم الكافرين﴾.

٢٥١﴿فهزموهم﴾ كسروهم ﴿بإذن الله﴾ بإرادته ﴿وقتل داود﴾ وكان في عسكر طالوت ﴿جالوت وآتاه﴾ أي: داود ﴿الله الملك﴾ في بني إسرائيل ﴿والحكمة﴾ النُّبوة، بعد موت شموئيل وطالوت، ولم يجتمعا [أي: الملك والنبوة] لأحد قبله ﴿وعلمه مما يشاء﴾ كصنعة الدُّروع، ومنطق الطير ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم﴾ بدلُ بعضٍ من «الناس» ﴿ببعض﴾ [أي: ولولا قيامُ المؤمنين بمحاربة الكفرة والأشرار] ﴿لفسدت الأرض﴾ بغلبة المشركين، وقتلِ المسلمين، وتخريبِ المساجد ﴿ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾ فدفَعَ بعضَهم ببعض.

٢٥٢﴿تلك﴾ هذه الآيات ﴿آيات الله نتلوها﴾ نقصُّها ﴿عليك﴾ يا محمد ﴿بالحق﴾ بالصدق ﴿وإنك لمن المرسلين﴾ التأكيد بـ «إنَّ» وغيرها، ردٌّ لقول الكفار له: «لستَ مرسلاً». ٢٥٣﴿تلك﴾ مبتدأ ﴿الرسل﴾ صفة، والخبر ﴿فضلنا بعضهم على بعض﴾ بتخصيصه بِمَنْقَبة ليست لغيره ﴿منهم من كلم الله﴾ كموسى ﴿ورفع بعضهم﴾ أي: محمداً ﷺ ﴿درجات﴾ على غيره، بعموم الدعوة[1]، وختْم النبوة، وتفضيل أمته على سائر الأمم، والمعجزات المتكاثرة، والخصائص العديدة ﴿وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه﴾ قَوَّيناه ﴿بروح القدس﴾[2] جبريل، [كان] يسير معه حيث سار.

ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ ۞ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ

حزب ٥ جزء ٣

---

(١) قوله: «بعموم الدعوة...» إلخ، روى البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: نصرتُ بالرُّعب مسيرة شهر، وجعلتْ لي الأرض مسجداً وطَهوراً فأيُّما رجلٍ من أمتي أدركته الصلاة فليصلِّ، وأحلَّت لي الغنائم ولم تَحِلَّ لأحد قبلي، وأُعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبُعثت إلى الناس عامة».

(٢) قوله تعالى: ﴿بروح القدس﴾ أي: الروح المقدسة، ارجع إلى تعليقنا حول «معاني الروح» ــ ص ٣٧٦.

﴿ولو شاء الله﴾ هُدى الناس جميعاً ﴿ما اقتتل الذين من بعدهم﴾ بعد الرسل، أي: أُمَمُهم ﴿من بعد ما جاءتهم البينات﴾ لاختلافهم، وتضليلِ بعضهم بعضاً ﴿ولكن اختلفوا﴾ لمشيئته ذلك ﴿فمنهم من آمن﴾ ثبت على إيمانه ﴿ومنهم من كفر﴾ كالنصارى بعد المسيح ﴿ولو شاء الله ما اقتتلوا﴾ تأكيد ﴿ولكن الله يفعل ما يريد﴾ من توفيق من شاء، وخُذْلان مَنْ شاء.
٢٥٤ ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم﴾ زكاتَهُ ﴿من قبل أن يأتي يوم لا بيعَ﴾ فداءَ ﴿فيه ولا خلةَ﴾ صداقةَ تنفع ﴿ولا شفاعةَ﴾ بغير إذنه، وهو: يوم القيامة، [بالفتح من غير تنوين في الثلاثة]، وفي قراءة برفع الثلاثة [مع التنوين] ﴿والكافرون﴾ بالله، أو: بما فُرِض عليهم ﴿هم الظالمون﴾ لوضعهم أمر الله في غير محله.

سُورَةُ البَقَرَةِ ٢

وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ وَلَـٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ

٢٥٥ ﴿الله لا إله﴾ أي: لا معبود بحق في الوجود ﴿إلاّ هو الحي﴾ الدائم البقاء ﴿القيوم﴾ المبالغُ في القيام بتدبير خلقه ﴿لا تأخذه سنة﴾ نعاس ﴿ولا نوم له ما في السماوات وما في الأرض﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿من ذا الذي﴾ أي: لا أحد ﴿يشفع عنده إلاَّ بإذنه﴾ له فيها ﴿يعلم ما بين أيديهم﴾ أي: الخلق ﴿وما خلفهم﴾ أي: من أمر الدنيا والآخرة ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه﴾ أي: لا يعلمون شيئاً من معلوماته ﴿إلاَّ بما شاء﴾ أن يُعْلِمَهُم به منها، بإخبار الرسل ﴿وسع كرسيه السماوات والأرض﴾ قيل: أحاط علمه بهما [وهذا قول ضعيف، وإن رجَّحه بعضهم، لأن الأحاديث لا تؤيده، وكذلك اللُّغة] وقيل: ملكه، وقيل: الكرسي نفسه مشتمل عليهما لعظمته، لحديث[1]: «ما السماواتُ السبع في الكرسي، إلاَّ كدراهم سبعة أُلقيت في تُرس» ﴿ولا يؤوده﴾ يثقله ﴿حفظهما﴾ أي: السماوات والأرض ﴿وهو العلي﴾ فوق خلقه بالقهر ﴿العظيم﴾ الكبير.

٢٥٦ ﴿لا إكراه في الدين﴾[2] على الدخول فيه ﴿قد تبين الرشد من الغي﴾ أي: ظهر بالآيات البينات، أن الإيمانَ رُشْد، والكُفرَ غَيٌّ، نزلت فيمن كان له من الأنصار أولاد، أراد أن يكرههم على الإسلام ﴿فمن يكفر بالطاغوت﴾ الشيطان، أو: الأصنام، وهو يُطلَقُ على المفرد والجمع ﴿ويؤمن بالله فقد

---

(١) قوله: «الحديث: ما السماوات السبع...» إلخ، هذا حديث موقوف على ابن عباس رضي الله عنهما، ولم يوجد مسنداً إلى النبي ﷺ. قال القرطبي في تفسيره: والذي تقتضيه الأحاديث، أن الكرسي مخلوق بين يدي العرش، والعرش أعظم منه، وأخرج الآجُرّيُّ وأبو حاتم البستي في صحيح مسنده والبيهقي ــ وذكر أنه صحيح ــ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما السماوات السبع في جنب الكرسي، إلاَّ كحلْقَةٍ ملقاة في أرضٍ فلاةٍ، وفضلُ العرش على الكرسي، كفضل الفَلَاة على الحلْقة»، فالعرش غير الكرسي وأعظم منه، هذا هو الصحيح، وذهب بعضهم إلى أن العرش هو الكرسي، وعلى هذا القول مشى الجلالان في هذا التفسير، وقد نبهنا إلى ذلك في مواضعه.

(٢) قوله تعالى: ﴿لا إكراه في الدين﴾ قال الإمام أبو جعفر النحاس المتوفى عام ٣٣٨ في ناسخه، قولاً سديداً في هذه الآية، منه ما يلي: =

استمسك﴾ تمسَّك ﴿بالعروة الوثقى﴾ بالعَقْد المحكم ﴿لا انفصام﴾ انقطاع ﴿لها والله سميع﴾ لما يقال ﴿عليم﴾ بما يُفعل.

٢٥٧ ﴿الله ولي﴾ ناصر ﴿الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات﴾ الكفر ﴿إلى النور﴾ الإيمان ﴿والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾ ذِكْرُ الإخراج: إما في مقابَلة قوله: «يخرجهم من الظلمات»؛ أو: في كل مَنْ آمن بالنبي قبل بعثته من اليهود، ثم كفر به ﴿أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾.

٢٥٨ ﴿ألم تر إلى الذي حاج﴾ جادل ﴿إبراهيم في ربه﴾ لـ ﴿أن آتاه الله الملك﴾ أي: حمله بَطَرُه بنعمة الله على ذلك، وهو [الملك الكافر] «نُمروذ» ﴿إذ﴾ بدل من «حاجَّ» ﴿قال إبراهيم﴾ لما قال له: مَنْ ربك الذي تدعونا إليه؟ ﴿ربي الذي يحيي ويميت﴾ أي: يخلق الحياة والموت في الأجساد ﴿قال﴾ هو ﴿أنا أحيي وأميت﴾ بالقتل والعفو عنه، ودعا برجلين، فقتل أحدهما وترك الآخر، فلما رآه غبياً ﴿قال إبراهيم﴾ منتقلاً إلى حجة أوضح منها ﴿فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها﴾ أنت ﴿من المغرب فبهت الذي كفر﴾ تَحَيَّر ودَهِشَ ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ بالكفر، إلى مَحَجَّة الاحتجاج.

٢٥٩ ﴿أو﴾ رأيت ﴿كالذي﴾ الكاف زائدة ﴿مر على قرية﴾ هي: بيت المقدس، راكباً على حمار، ومعه سلَّة تين، وقدح عصير، وهو «عُزير» [وقيل: غيره، قال ابن كثير في تاريخه: المشهور أن «عـزيـراً» نبـيٌّ مـن أنبيـاء بني إسرائيل] ﴿وهي خاوية﴾ ساقطة ﴿على عروشها﴾ سقوفها، لمَّا خرَّبها بختنصر ﴿قال أنى﴾ كيف ﴿يحيي هذه الله بعد موتها﴾؟ استعظاماً لقدرته تعالى ﴿فأماته الله﴾ وألبثه ﴿مائة عام ثم بعثه﴾ أحياه، ليريه كيفية ذلك ﴿قال﴾ تعالى لـه ﴿كم لبثت﴾ مكثتَ هنا؟ ﴿قال لبثت يوماً أو بعض يوم﴾ لأنه نام أول النهار فَقُبِضَ، وأُحيي عند الغروب، فظن أنه يوم النوم ﴿قال بل لبثت مائة عام

ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ

= «من العلماء من قال هي منسوخة، ولأن النبي ﷺ قد أكره العرب على دين الإسلام، وقاتلهم، ولم يرض منهم إلاَّ الإسلام.

وقال بعض العلماء: ليست بمنسوخة، ولكنها نزلت في أهل الكتاب، لا يُكرهون على الإسلام إذا أدَّوا الجزية، والذين يُكرَهون أهلُ الأوثان، فهم الذين نزل فيهم ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار﴾، واحتج لذلك بأن عُمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لعجوز نصرانية: أسلمي أيتها العجوز تسلمي، إن الله تعالى بعث محمداً ﷺ بالحق، قالت: أنا عجوز كبيرة والموت إليّ قريب، قال عمر: اللهم اشهد ثم تلا: ﴿لا إكراه في الدين﴾، وممن قال إنها مخصوصة، ابنُ عباس رضي الله عنهما، قال: كانت المرأة تجعل على نفسها، إن عاش لها ولد أن تهوِّده، فلما أُجْلِيَتْ بنو النضير، كان فيهم من أبناء الأنصار، قالت الأنصار: لا نَدَعُ أبناءنا، فأنزلَ الله هذه الآية.

وقول ابن عباس في هذه الآية أولى الأقوال لصحة إسناده، وإن مثله لا يوجد بالرأي». اهـ.

فانظر إلى طعامك﴾ التين ﴿وشرابك﴾ العصير ﴿لم يتسنَّه﴾ لم يتغير مع طول الزمان، و «الهاء» قيل: أصلٌ [في الكلمة] من «سانَهْتُ»، وقيل: للسكت من «سانَيْتُ»، وفي قراءة بحذفها ﴿وانظر إلى حمارك﴾ كيف هو؟ فرآه ميتاً وعظامه بيض تلوح، فَعَلْنا ذلك لتعلم [أن الله على كل شيء قدير] ﴿ولنجعلك آية﴾ على البعث ﴿للناس وانظر إلى العظام﴾ من حمارك ﴿كيف نُنْشِرُها﴾ نحييها، بضم النون [والراء]، وقرىء [شذوذاً] بفتحها، [أي: بفتح النون] من «أنشر» و «نشر» لغتان، وفي قراءة: «ننشزها» بضم النون والزاي، نحرِّكها ونرفعُها ﴿ثم نكسوها لحماً﴾ فنظر إليها وقد تركبت وكُسيت لحماً، ونُفخ فيه الروح ونَهَقَ ﴿فلما تبين له﴾ ذلك بالمشاهدة ﴿قال أعلم﴾ علم مشاهدة ﴿أن الله على كل شيء قدير﴾ وفي قراءة: «اعْلَمْ»، أمرٌ من الله له.

فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ

٢٦٠ ﴿و﴾ اذكر ﴿إذ قال إبراهيم ربِّ أرني كيف تحيي الموتى قال﴾ تعالى له: ﴿أو لم تؤمن﴾ بقدرتي على الإحياء؟ سأله مع علمه بإيمانه بذلك، ليجيبه بما سأله[1]، فيعلم السامعون غرضَهُ ﴿قال بلى﴾ آمنت ﴿ولكن﴾ سألتُك ﴿ليطمئنّ﴾ يسكن ﴿قلبي﴾ بالمعاينة المضمومة إلى الاستدلال ﴿قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك﴾ بكسر الصاد وضمها، أَمِلْهُنَّ إليك وقطِّعهن، واخلط لحمهن وريشهن ﴿ثم اجعل على كل جبل﴾ من جبال أرضك ﴿منهن جزءاً ثم ادعهن﴾ إليك ﴿يأتينك سعياً﴾ سريعاً ﴿واعلم أن الله عزيز﴾ لا يعجزه شيء ﴿حكيم﴾ في صنعه، فأخذ طاووساً، ونَسْراً، وغراباً، وديكاً، وفعل بهن ما ذُكر، وأمسك رؤوسهن عنده ودعاهن، فتطايرت الأجزاء إلى بعضها حتى تكاملت، ثم أقبلتْ إلى رؤوسها.

٢٦١ ﴿مثل﴾ صِفَةُ نفقاتِ ﴿الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله﴾ أي: طاعته، ﴿كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة﴾ فكذلك نفقاته، تُضاعَف لسبعمائة ضعف، [أخرج أحمد والترمذي ــ وحسَّنه ــ وابن حبان وغيرهم، عن خَريم بن فاتك الأزدي قال: قال رسول الله ﷺ: «من أنفق نفقةً في سبيل الله، كُتبتْ له بسبعمائة ضِعْفٍ»] ﴿والله يضاعف﴾ أكثر من ذلك ﴿لمن يشاء والله واسع﴾ فضله ﴿عليم﴾ بمن يستحق المضاعفة. ٢٦٢ ﴿الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناً﴾ على المنفق عليه، بقولهم مثلاً: قد أحْسَنْتُ إليه، وجبرتُ حاله ﴿ولا أذىً﴾ له، بذكر ذلك إلى مَنْ لا يحب وقوفه عليه، ونحوه ﴿لهم أجرهم﴾ ثواب إنفاقهم ﴿عند ربهم ولا خوف

(١) قوله: «بما سأله»، هو هكذا في المخطوطة الثانية، وفي المخطوطة الأولى: «بما سأل» أي: ليجيب إبراهيم عن السؤال ــ «أو لم تؤمن» ــ بمثله أي: بقوله: «بلى أنا مؤمن ولكن ليطمئن قلبي»، فيعلم الناس غرضه من هذا الطلب، وفي بعض النسخ المطبوعة «بما أجاب».

عليهم ولا هم يحزنون﴾ في الآخرة.

٢٦٣﴿قول معروف﴾ كلام حسن، وردٌّ على السائل جميل ﴿ومغفرة﴾ له في إلحاحه ﴿خير من صدقة يتبعها أذىً﴾ بالمنِّ، وتعييرٍ له بالسؤال[1] ﴿والله غني﴾ عن صدقة العباد ﴿حليم﴾ بتأخير العقوبة عن المانِّ والمؤذي.

٢٦٤﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم﴾ أي: أجورها ﴿بالمن والأذى﴾ إبطالاً ﴿كالذي﴾ أي: كإبطال نفقةِ الذي ﴿ينفق ماله رئاء الناس﴾ مرائياً لهم[2]﴿ولا يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ وهو المنافق[3] [أخرج البزار والحاكم وصحَّحه، عن عبد الله بن عمر، عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاقُّ لوالديه، ومُدمِنُ الخمر، والمنّان بما أعطى»] ﴿فمثله كمثل صفوان﴾ حجر أملس ﴿عليه تراب فأصابه وابل﴾ مطر شديد ﴿فتركه صلداً﴾ صلباً أملس لا شيء عليه ﴿لا يقدرون﴾ استئناف لبيان مَثَلِ المنافق المنفق رئاء الناس، وجُمعَ الضمير باعتبار معنى «الذي» ﴿على شيء مما كسبوا﴾ عملوا، أي: لا يجدون له ثواباً في الآخرة، كما لا يوجد على الصفوان شيء من التراب الذي كان عليه، لإذهاب المطر له ﴿والله لا يهدي القوم الكافرين﴾.

٢٦٥﴿ومثل﴾ نفقات ﴿الذين ينفقون أموالهم ابتغاء﴾ طلب ﴿مرضات الله وتثبيتاً من أنفسهم﴾ أي: تحقيقاً للثواب عليه، بخلاف المنافقين الذين لا يرجونه، لإنكارهم له، و «من» ابتدائية ﴿كمثل جنة﴾ بستان ﴿بربوة﴾ بضم الراء وفتحها، مكان مرتفع مستوٍ ﴿أصابها وابل فآتت﴾ أعطت ﴿أكلها﴾ بضم الكاف وسكونها، [أي:] ثمرها ﴿ضعفين﴾ مثلَي ما يُثمر غيرُها ﴿فإن لم يصبها وابل فطلٌّ﴾ مطر خفيف يصيبها ويكفيها، لارتفاعها، المعنى: تُثمِر وتزكو، كَثُرَ المطرُ أم قَلَّ، فكذلك نفقات من ذُكر، تزكو عند الله، كثُرت أم قلَّتْ ﴿والله بما تعملون بصير﴾ فيجازيكم به.

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ

٢٦٦﴿أيود﴾ أيحب ﴿أحدكم أن تكون له جنة﴾ بستان ﴿من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها﴾ ثمر ﴿من كل الثمرات و﴾ قد ﴿أصابه الكبر﴾ فضعف من الكِبَرِ ﴿وله ذرية ضعفاء﴾ أولادٌ صغارٌ لا يقدرون عليه ﴿فأصابها

---

(١) قوله: «وتعيير له بالسؤال» أي: لمن يحل له ذلك، ارجع إلى تعليقنا حول «التكفُّف» ص ٦٩٣.

(٢) قوله: «مرائياً لهم» الرياء: هو الشرك الأصغر، يُبطل ثواب العمل، ارجع إلى تعليقنا حوله ص ٣٩٥.

(٣) قوله: «وهو المنافق» أي: الذي يبطن الكفر ويتظاهر بالإسلام، ارجع إلى تعليقنا حول «النفاق» ص ١٢٦.

إعصار﴾ ريح شديدة ﴿فيه نار فاحترقت﴾ ففقدها أحوج ما كان إليها، وبقي هو وأولاده عَجَزَةً متحيرين، لا حيلة لهم، وهذا تمثيل لنفقة المرائي والمانّ، في ذهابها وعدم نفعها أحوجَ ما يكون إليها في الآخرة، والاستفهام بمعنى النفي [أي: لا يَوَدُّ ذلك]، وعن ابن عباس: هو [مثل] لرجل عمل بالطاعات، ثم بُعث له الشيطان، فعمل بالمعاصي حتى أحرق أعماله ﴿كذلك﴾ كما بيَّن ما ذُكر ﴿يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون﴾ فتعتبرون. ٢٦٧ ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا﴾[1] أي: زكُّوا ﴿من طيبات﴾ جياد ﴿ما كسبتم﴾ من المال ﴿ومـ﴾ ـن طيبات ﴿ما أخرجنا لكم من الأرض﴾ من الحبوب والثمار ﴿ولا تيمموا﴾ تقصدوا ﴿الخبيث﴾ الرديء ﴿منه﴾ أي: المذكور ﴿تنفقونـ﴾ ـه في الزكاة، حال من ضمير «تيمموا» ﴿ولستم بآخذيه﴾ أي: الخبيثَ، لو أُعطيتموه في حقوقكم ﴿إلا أن تغمضوا فيه﴾ بالتساهل وغض البصر، فكيف تؤدُّون منه حق الله؟ ﴿واعلموا أن الله غني﴾ عن نفقاتكم ﴿حميد﴾ محمود على كل حال. ٢٦٨ ﴿الشيطان يعدكم الفقر﴾ يخوفكم به إن تصدَّقتم، فتُمسكون ﴿ويأمركم بالفحشاء﴾ البخلِ ومنع الزكاة ﴿والله يعدكم﴾ على الإنفاق ﴿مغفرة منه﴾ لذنوبكم ﴿وفضلاً﴾ رزقاً خَلَفاً منه ﴿والله واسع﴾ فضله ﴿عليم﴾ بالمنفق. ٢٦٩ ﴿يؤتي الحكمة﴾ أي: العلم النافعَ المؤدِّيَ إلى العمل ﴿من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾ لمصيره إلى السعادة الأبدية ﴿وما يذكَّر﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الذال، [أي:] يتعظ ﴿إلا أولو الألباب﴾ أصحاب العقول. ٢٧٠ ﴿وما أنفقتم من نفقة﴾ أدَّيتم من زكاة، أو: صدقة ﴿أو نذرتم من نذر﴾[2] فوفَّيتم به ﴿فإن الله يعلمه﴾ فيجازيكم عليه ﴿وما للظالمين﴾ بمنع الزكاة أو النَّذر، أو: بوضع الإنفاق في غير محله، في معاصي الله ﴿من أنصار﴾ مانعين لهم من عذابه. ٢٧١ ﴿إن تبدوا﴾ تظهروا ﴿الصدقات﴾ أي: النوافل ﴿فنعماً هي﴾ أي: نعم شيئاً إبداؤها ﴿وإن تخفوها﴾ تُسِرُّوها ﴿وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم﴾ من إبدائها وإيتائها الأغنياء، أما صدقة الفرض: فالأفضل إظهارها ليُقتَدى به، ولئلا يُتَّهم، وإيتاؤها الفقراء متعيِّن ﴿ويكفر﴾ بالياء والنون، مجزوماً بالعطف على محل «فهو»، ومرفوعاً على الاستئناف ﴿عنكم من﴾ بعض ﴿سيآتكم والله بما تعملون

إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

---

(١) قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا﴾ الآية: أخرج الترمذي وصحَّحه، وابن ماجه، والبيهقي في سننه، وغيرهم، عن البراء بن عازب، قال: كان ناس ممن لا يرغب في الخير، يأتي الرجل بالقنو (أي: عذق النخل الذي فيه ثمره) فيه الشِّيصُ والحَشَفُ ــ أي: أردأ التمر ــ ، وبالقنو قد انكسر، فيعلقه في المسجد، فنزلت هذه الآية، قال البراء رضي الله عنه: فكنا بعد ذلك يأتي أحدُنا بصالح ما عنده.

(٢) قوله تعالى: ﴿أو نذرتم من نذر﴾ الأَوْلى أن لا ينذُر الإنسان أصلاً، لأن النذر مكروه، ولأن المسلم ينبغي له أن يكون سبّاقاً إلى فعل الخير، من غير التزام مسبق، أو ما يشبه المعاوضة، فإذا حصل النذر، فقد اتفق العلماء على أنه يكون منعقداً ولازماً، إذا كان المنذور =

نصف الحزب

خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن

﴿خبير﴾ عالم بباطنه كظاهره، لا يخفى عليه شيء منه. ٢٧٢ولمّا مَنَعَ ﷺ من التصدّق على المشركين ليُسلِموا نـزل: ﴿ليس عليك هداهم﴾ أي: الناس إلى الدخول في الإسلام، إنما عليك البلاغ ﴿ولكن الله يهدي من يشاء﴾ هدايته إلى الدخول فيه ﴿وما تنفقوا من خير﴾ مال ﴿فلأنفسكم﴾ لأن ثوابه لها ﴿وما تنفقون إلَّا ابتغاء وجه الله﴾ أي: ثوابه، لا غيره من أعراض الدنيا، خبر بمعنى النهي ﴿وما تنفقوا من خير يوفَّ إليكم﴾ جزاؤه ﴿وأنتم لا تظلمون﴾ تُنْقَصُون منه شيئاً، والجملتان تأكيد للأولى.

٢٧٣﴿للفقراء﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي: الصدقات ﴿الذين أحصروا في سبيل الله﴾ أي: حَبَسوا أنفسهم على الجهاد، نزلت في أهل الصُّفَّة[1]، وهم: أربعمائة من المهاجرين، أُرصدوا لتعلُّم القرآن، والخروج مع السرايا ﴿لا يستطيعون ضرباً﴾ سفراً ﴿في الأرض﴾ للتجارة والمعاش، لشغلهم عنه بالجهاد ﴿يحسبهم الجاهل﴾ بحالهم ﴿أغنياء من التعفف﴾ أي: لتعففهم عن السؤال وتركه، ﴿تعرفهم﴾ يا مخاطب ﴿بسيماهم﴾ علامتهم، من التواضع وأثر الجَهْدِ ﴿لا يسألون الناس﴾ شيئاً فيُلحفون ﴿إلحافاً﴾ أي: لا سؤال لهم أصلاً، فلا يقع منهم إلحاف، وهو: الإلحاح ﴿وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم﴾ فمجازٍ عليه.

٢٧٤﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾.

٢٧٥﴿الذين يأكلون الرِّبا﴾ أي: يأخذونه، وهو: الزيادة في المعاملة، بالنقود والمطعومات، في القَدْر أو الأَجَل ﴿لا يقومون﴾ من قبورهم ﴿إلَّا﴾ قياماً ﴿كما يقوم الذي يتخبطه﴾ يصرعه ﴿الشيطان من المسِّ﴾ الجنون، متعلق بـ«يقومون» ﴿ذلك﴾ الذي نزل بهم ﴿بأنهم﴾ بسبب أنهم ﴿قالوا إنما البيع مثل الربا﴾ في الجواز، وهذا من عكس التشبيه مبالغةً، فقال تعالى ردّاً عليهم: ﴿وأحل الله البيع وحرم الربا فمن

= طاعة أو قربة، مثل: الصلاة، أو الصيام، أو الصدقة، أو الحج، أو قراءة القرآن، واتفقوا كذلك على أن نذر المعصية حرام وباطل، كمن نذر أن يشرب خمراً، وكذلك النذر لغير الله تعالى حرام، كالنذر للأضرحة والمزارات وأصحابها، فقد أخرج مسلم والترمذي والنّسائي، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تنذروا، فإن النّذر لا يُغني من القَدَرِ شيئاً، وإنما يُستخرج به من البخيل» وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي ﷺ رأى شيخاً يُهادَى بين ابنيه، فقالَ: «ما بال هذا؟» قالوا: نذر أن يمشي إلى الكعبة، قال: «إن الله عن تعذيب هذا نَفْسَهُ لغني»، وأمره أن يركب.

(١) قوله: «نزلت في أهل الصفة»، ارجع إلى تعليقنا حولهم ص ٢٥٩.

جاءه﴾ بَلَغه ﴿موعظة﴾ وَعْظٌ ﴿من ربه فانتهى﴾ عن أكله ﴿فله ما سلف﴾ قبل النهي، أي: لا يُسْتَرَدُّ منه ﴿وأمره﴾ في العفو عنه ﴿إلى الله﴾ [وقال البيضاوي: يجازيه على انتهائه إن كان عن قبول الموعظة وصدق النية. اهـ. وهو الأحسن في معنى الآية، لأنه لا مؤاخذة في فعل شيء قبل تحريمه] ﴿ومن عاد﴾ إلى أكله، مشبِّهاً له بالبيع في الحِلّ ﴿فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾. ٢٧٦﴿يمحق الله الربا﴾ ينقصه ويذهب بركته، [فقد أخرج أحمد والحاكم وصحَّحه، والبيهقي في «شُعَب الإيمان» وغيرهم، عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: «إنَّ الربا وإن كثُرَ، فإن عاقبتَه تصير إلى قُلّ»] ﴿ويُرْبي الصدقات﴾ يزيدها وينمِّيها ويضاعف ثوابها، [روى البخاري ومسلم وغيرهما، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «من تصدَّق بعَدْلِ تمرة من كسب طيِّب، ولا يقبل الله إلاَّ طيِّباً، فإن الله يقبلها بيمينه، ثم يُرَبِّيها لصاحبها، كما يُرَبِّي أحدُكم فَلُوَّهُ ــ أي: مُهْرَه ــ حتى تكونَ مثلَ الجبل»] ﴿والله لا يحب كل كفار﴾ بتحليل الربا ﴿أثيم﴾ فاجر بأكله، أي: يعاقبه. ٢٧٧﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾. ٢٧٨﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا﴾ اتركوا ﴿ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين﴾ صادقين في إيمانكم، فإن من شأن المؤمن امتثالَ أمر الله تعالى؛ نزلت لمَّا طالب بعضُ الصحابة، بعد النهي، برباً كان لهم قبل. ٢٧٩﴿فإن لم تفعلوا﴾ ما أُمرتم به [من ترك الربا كله] ﴿فأذنوا﴾ اعلموا [واستيقنوا] ﴿بحرب من الله ورسوله﴾ لكم، فيه تهديد شديد لهم، ولما نزلت قالوا: لا يَدَيْ لنا بحربه[1] ﴿وإن تبتم﴾ رجعتم عنه ﴿فلكم رؤوس﴾ أصول ﴿أموالكم لا تظلمون﴾ بزيادة ﴿ولا تُظلمون﴾ بنقص. ٢٨٠﴿وإن كان﴾ وقع غريم ﴿ذو عسرة فنظرة﴾ له، أي: عليكم تأخيره ﴿إلى ميسرة﴾ بفتح السين وضمها، أي: وقت يُسْرٍ ﴿وأن تصَّدَّقوا﴾ بالتشديد على إدغام التاء في الأصل، [وهو «تتصدقوا»،] في الصاد، وبالتخفيف على حذفها، أي: تتصدَّقوا على المعسر بالإبراء ﴿خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ أنه خير فافعلوه، في الحديث «من أنظر مُعْسراً أو وضع عنه، أظلَّه الله في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلاَّ ظلُّه» رواه مسلم. ٢٨١﴿واتقوا يوماً ترجعون﴾ بالبناء للمفعول، تُرَدُّون، وللفاعل: تصيرون ﴿فيه إلى الله﴾ هو يوم القيامة ﴿ثم توفَّى﴾ فيه ﴿كل نفس﴾ جزاء ﴿ما كسبت﴾ عملت من خير وشر.

جَاءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ

---

(١) قوله: «لا يدي لنا بحربه». أي: لا قدرة ولا طاقة لنا بحربه، والقائل قبيلة «ثقيف»، ونص مقالتهم كما نقلها البيضاوي: «لا يدي لنا بحرب الله ورسوله» هكذا بتثنية «يد» وحذفت النون تخفيفاً، وقد أجمع المسلمون على تحريم الربا قليله وكثيره، وأنه من كبائر الذنوب، روى =

﴿وهم لا يظلمون﴾ بنقص حسنة، أو: زيادة سيئة. ٢٨٢ ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم﴾ تعاملتم ﴿بدين﴾ كسَلَم وقرض ﴿إلى أجل مسمى﴾ معلوم ﴿فاكتبوه﴾ استيثاقاً ودفعاً للنزاع ﴿وليكتب﴾ كتاب الدين ﴿بينكم كاتب بالعدل﴾ بالحق في كتابته، لا يزيد في المال والأجل ولا ينقص ﴿ولا يأب﴾ يمتنع ﴿كاتب﴾ من ﴿أن يكتب﴾ إذا دُعي إليها ﴿كما علمه الله﴾ أي: فضّله بالكتابة، فلا يبخل بها، والكاف متعلقة بـ «يأب» ﴿فليكتب﴾ تأكيد ﴿وليملل﴾ يُمْلِ الكاتبَ [الشخصُ] ﴿الذي عليه الحق﴾ الدَّينُ، لأنه المشهود عليه، فَيُقِرُّ، ليُعلَم ما عليه ﴿وليتق الله ربه﴾ في إملائه ﴿ولا يبخس﴾ ينقص ﴿منه﴾ أي: الحق ﴿شيئاً فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً﴾ مبذِّراً ﴿أو ضعيفاً﴾ عن الإملاء، لصغر أو كبر ﴿أو لا يستطيع أن يملَّ هو﴾ لخرس أو جهل باللغة، أو: نحو ذلك ﴿فليملل وليه﴾ متولِّي أمره، من والد ووصي وقيِّم ومترجم ﴿بالعدل واستشهدوا﴾ أشهدوا على الدَّين ﴿شهيدين﴾ شاهدين ﴿من رجالكم﴾ أي: بالغي المسلمين الأحرار ﴿فإن لم يكونا﴾ أي: الشهيدان ﴿رجلين فرجل وامرأتان﴾ يشهدون ﴿ممن ترضون من الشهداء﴾ لدينه وعدالته، وتعدد النساء لأجل ﴿أن تضل﴾ تنسى ﴿إحداهما﴾ الشهادة، لنقص عقلهن وضبطهن، [بسبب غلبة عاطفتهن، وليس هذا انتقاصاً من مكانة المرأة، بل هو إعلان للواقع، من أجل ضمان حقوق العباد] ﴿فتُذْكِر﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿إحداهما﴾ الذاكرةُ ﴿الأخرى﴾ الناسيةَ، وجملة الإذكار محل العلة، أي: لتذكَّر إنْ ضلَّت، ودخلت [«أنْ»] على الضلال، لأنه سببه، [أي: سبب التذكير]، وفي قراءة بكسر «أنْ» شرطيةً، ورفع «تُذَكِّر» استئنافٌ، [والجملة المؤلفة من: المبتدأ المحذوفِ والفعلِ والفاعلِ]، جوابُهُ، [والتقدير: «إنْ تضلَّ إحداهما فالحكمُ: تُذَكِّرُ» إلخ] ﴿ولا يأب الشهداء إذا ما﴾ زائدة ﴿دُعوا﴾ إلى تحمل الشهادة وأدائها ﴿ولا تسأموا﴾ تملُّوا من ﴿أن تكتبوه﴾ أي: ما شهدتم عليه من الحق، لكثرة وقوع ذلك ﴿صغيراً﴾ كان ﴿أو كبيراً﴾ قليلاً أو كثيراً ﴿إلى أجله﴾ وقت حلوله، حال من الهاء في «تكتبوه» ﴿ذلكم﴾ أي: الكَتْبُ ﴿أقسط﴾ أعدل ﴿عند الله وأقوم للشهادة﴾ أي: أعون على إقامتها، لأنه يذكِّرها ﴿وأدنى﴾ أقرب إلى ﴿أ﴾ ن ﴿لا ترتابوا﴾ تشكُّوا في قدر الحق والأجل ﴿إلاَّ أن تكون﴾ تقع ﴿تجارةٌ حاضرةٌ﴾ [بالرفع]، وفي قراءة بالنصب، فـ «تكون» ناقصة، واسمها ضمير التجارة ﴿تديرونها بينكم﴾ أي: تقبضونها ولا أجل فيها،

وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم
بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ
كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ
فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ
وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا
أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ
وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ
فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ
إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ
إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا
إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ
أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ

= مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «لعن رسولُ الله: آكلَ الرِّبا وموكِلَه وكاتبه وشاهديه» وقال: «هم سواء»، أي: في الإثم واستحقاق اللعنة، ولا يُغيِّر من الأمر شيئاً أن يُسمَّى «الربا» ـ احتيالاً ـ: «فائدة» أو «ريعاً» أو «فائضاً»، أو غير ذلك من الأسماء والأوصاف، فإن هذا مخادعة لا يقع فيها إلاَّ فاعلها، ﴿يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلاَّ أنفسهم وما يشعرون﴾، فالربا حرام إلى يوم القيامة، تحريماً =

﴿فليس عليكم جناح﴾ في ﴿أ﴾ ن ﴿لا تكتبوها﴾ والمراد بها، المتَّجَرُ فيه ﴿وأشهدوا إذا تبايعتم﴾ عليه، فإنه أدفع للاختلاف، وهذا وما قبله أمر نَدْبٍ ﴿ولا يضار كاتبٌ ولا شهيدٌ﴾ صاحبَ الحق ومَنْ عليه، بتحريف، أو امتناعٍ من الشهادة، أو: الكتابة، أو: لا يضرُّهما صاحبُ الحق، بتكليفهما ما لا يليق في الكتابة والشهادة ﴿وإن تفعلوا﴾ ما نُهيتم عنه ﴿فإنه فسوق﴾ خروج عن الطاعة لاحقٌ ﴿بكم واتقوا الله﴾ في أمره ونهيه ﴿ويعلمكم الله﴾ مصالح أموركم، حال مقدَّرة، أو: مستأنف ﴿والله بكل شيء عليم﴾.

٢٨٣﴿وإن كنتم على سفر﴾ أي: مسافرين وتداينتم ﴿ولم تجدوا كاتباً فرُهُنٌ﴾ وفي قراءة «فرهان» [وكلاهما] جمع «رَهْنٍ»، ﴿مقبوضة﴾ تستوثقون بها، وبينت السُّنةُ، جوازَ الرهن في الحَضَر[1]، و [مع] وجودِ الكاتب، فالتقييد بما ذُكر، لأنَّ التوثيقَ فيه أشد، وأفاد قولُه: «مقبوضة»، اشتراطَ القبض في الرهن، والاكتفاءَ به من المرتهن ووكيله ﴿فإن أمن بعضكم بعضاً﴾ أي: الدائن المَدِينَ على حقه، فلم يَرْتهن ﴿فليؤد الذي اؤتمن﴾ أي: المَدِينُ ﴿أمانته﴾ دينه ﴿وليتق الله ربه﴾ في أدائه ﴿ولا تكتموا الشهادة﴾ إذا دُعيتم لإقامتها ﴿ومن يكتمها فإنه آثم قلبه﴾ خُصَّ [القلب] بالذكر، لأنه محل الشهادة، ولأنه إذا أثم تبعه غيره، فيُعاقَب عليه معاقبةَ الآثمين ﴿والله بما تعملون عليم﴾ لا يخفى عليه شيء منه.

٢٨٤﴿لله ما في السماوات وما في الأرض وإن تبدوا﴾ تُظْهِروا ﴿ما في أنفسكم﴾ من السوء والعزم عليه ﴿أو تخفوه﴾ تُسِرُّوه ﴿يحاسبكم﴾ يخبركم ﴿به الله﴾ يوم القيامة ﴿فيغفرْ لمن يشاء﴾ المغفرةَ له ﴿ويعذبْ من يشاء﴾ تعذيبه، والفعلان بالجزم، عطفاً على جواب الشرط، والرفع، أي: فهو [«يغفرُ ويعذبُ»] ﴿والله على كل شيء قدير﴾ ومنه محاسبتكم وجزاؤكم.

٢٨٥﴿آمن﴾ صَدَّق ﴿الرسول﴾ محمد ﷺ ﴿بما أنزل إليه من ربه﴾ من القرآن ﴿والمؤمنون﴾ عطف عليه ﴿كلٌّ﴾ تنوينه عوض من المضاف إليه ﴿آمن بالله وملائكته وكتبه﴾ بالجمع والإفراد [قراءتان سَبْعيتان] ﴿ورسله﴾ يقولون ﴿لا نفرق بين أحد

فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَاتَّقُوا۟ اللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِى اؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ الشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِّلَّهِ مَا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ

= لا يؤثر فيه إبدال اسم مكان اسم، ثم إن في تحريم الربا مع إيجاب الزكاة في المال، ما يدفع صاحب المال إلى تشغيل ماله وعدم كنزه، وتشغيلُ المال يؤدي إلى الإكثار من فُرصِ العمل، وإلى زيادة الإنتاج، فتنتهي بذلك مشكلة البطالة، وتكثر السلع، فترخص الأسعار، ويعمُّ الناسَ الرخاءُ والبحبوحة، أما النظام الربوي، فإنه يشجع على تجميد الأموال في المصارف، وهذا التجميد، تعطيل لدَوْر المال في تحريك عجلة الحياة.

(١) قوله: «وبينت السنة جواز الرهن في الحضر الخ» فقد روى البخاري في «صحيحه» عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ اشترى طعاماً من يهودي إلى أجل، ورهنه درعاً من حديد».

﴿من رسله﴾ فنؤمن ببعض ونكفرَ ببعض، كما فعل اليهود والنصارى ﴿وقالوا سمعنا﴾ أي: ما أمرنا به سَمَاعَ قَبُول ﴿وأطعنا﴾، نسألك ﴿غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ المرجع بالبعث، ولما نزلت الآية [التي] قبلها، شكا المؤمنون من الوسوسة، وشقَّ عليهم المحاسبةُ بها، فنزل: ٢٨٦﴿لا يكلف الله نفساً إلاَّ وسعها﴾ أي: ما تسعه قدرتها ﴿لها ما كسبت﴾ من الخير، أي: ثوابه ﴿وعليها ما اكتسبت﴾ من الشر، أي: وزره، ولا يؤخذ أحد بذنب أحد، ولا بما لم يكسبه، مما وسوستْ به نفسه، وقالوا: ﴿ربنا لا تؤاخذنا﴾ بالعقاب ﴿إن نسينا أو أخطأنا﴾ تركنا الصوابَ، لا عن عَمْدٍ، كما آخَذْتَ به مَن قَبْلَنا، وقد رَفع الله ذلك عن هذه الأمة، كما ورد في الحديث [الصحيح: «إن الله تجاوز لي عن أمتي: الخطأَ، والنسيانَ، وما استُكْرِهوا عليه» رواه الطبرانيّ وابن حبَّان والبيهقي في سننه وغيرهم]، فسؤاله اعتراف بنعمة الله ﴿ربنا ولا تحمل علينا إصراً﴾ أمراً يثقل علينا حمله ﴿كما حملته على الذين من قبلنا﴾ أي: بني إسرائيل، مِنْ قتل النفس في التوبة، وإخراج ربع المال في الزكاة، وقَرْضِ موضع النجاسة[1] ﴿ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة﴾ قوة ﴿لنا به﴾ من التكاليف والبلاء ﴿واعف عنا﴾ امح ذنوبنا ﴿واغفر لنا وارحمنا﴾ في الرحمة زيادةٌ على المغفرة ﴿أنت مولانا﴾ سيدنا ومتولي أمورنا ﴿فانصرنا على القوم الكافرين﴾ بإقامة الحجة، والغلبة في قتالهم، فإن من شأن المولَى، أن ينصر مواليه على الأعداء، وفي الحديث: لما نزلت هذه الآية فقرأها ﷺ، قيل له عقب كل كلمة: «قد فعَلْتُ» [رواه أحمد ومسلم، من حديث عبد الله بن عباس، وأخرج الحاكم وصحَّحه، والبيهقي في «الشُّعَب»، عن أبي ذرٍّ الغفاري، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله ختم سورة البقرة، بآيتين أعطانيهما من كنزه الذي تحت العرش، فتعلَّموهما، وعلِّموهما نساءكم وأبناءكم، فإنهما صلاةٌ وقرآنٌ ودعاء»].

مِن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرًا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

(٣) سورة آل عمران مدنية وآياتها مائتان

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ

﴿ سورة آل عمران ﴾

(مدنية، مائتان أو: إلاَّ آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿الـم﴾[2] الله أعلم بمراده بذلك. ٢ ﴿الله لا إله إلاَّ هو الحي القيوم﴾. ٣ ﴿نزّل

(١) في هامش المخطوطة الأولى بعد قوله: «موضع النجاسة» مع الإشارة إلى أنه في نسخة ما يلي: «وفقءِ العين من النظر إلى ما لا يحل».

(٢) قوله تعالى: ﴿الم﴾، هو من المتشابهات التي لا ينبغي أن نطلب لها تأويلاً، ارجع إلى تعليقنا حول هذه الحروف ص ٣.

عليك﴾ يا محمد ﴿الكتاب﴾ القرآن متلبساً ﴿بالحق﴾ بالصدق في أخباره ﴿مصدقاً لما بين يديه﴾ قبله من الكتب ﴿وأنزل التوراة والإنجيل﴾. ٤﴿من قبل﴾ أي: قبل تنزيله ﴿هدى﴾ حال، بمعنى: هاديَيْنِ من الضلالة ﴿للناس﴾ ممن تبعهما، وعَبَّر فيهما بـ «أنزل»، وفي القرآن بـ «نزّل» المقتضي للتكرير، لأنهما أُنزلا دفعة واحدة بخلافه ﴿وأنزل الفرقان﴾ بمعنى الكتب الفارقة بين الحق والباطل، وذِكْرُهُ بعد ذكر الثلاثة، ليعم ما عداها، [كصحف إبراهيم، وكل وحي أنزله الله على نبي] ﴿إن الذين كفروا بآيات الله﴾ القرآن وغيره ﴿لهم عذاب شديد والله عزيز﴾ غالب على أمره، فلا يمنعه شيء من إنجاز وعده ووعيده ﴿ذو انتقام﴾ عقوبة شديدة ممن عصاه، لا يقدر على مثلها أحد. ٥﴿إن الله لا يخفى عليه شيء﴾ كائن ﴿في الأرض ولا في السماء﴾ لعلمه بما يقع في العالم، من كُلّي وجزئي(١)، وخصهما بالذكر، لأن الحسَّ لا يتجاوزهما.

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ٣

عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ

٦﴿هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء﴾ من ذكورة وأنوثة، وبياض وسواد، وغير ذلك ﴿لا إله إلا هو العزيز﴾ في ملكه ﴿الحكيم﴾ في صنعه.

٧﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات﴾ واضحات الدلالة ﴿هن أم الكتاب﴾ أصله المعتمد عليه في الأحكام ﴿وأخر متشابهات﴾ لا تُفهم معانيها، كأوائل السور، وجَعْلُه كلّه محكماً، [كما جاء] في قوله [تعالى: «كتاب] أُحكمت آياته [ثم فصلت من لدن حكيم خبير»] بمعنى: أنه ليس فيه عيب، [لا في ألفاظه، ولا في معانيه،] و [جَعْلُه] متشابهاً في قوله [تعالى: «الله نَزَّل أحسن الحديث] كتاباً متشابهاً»، بمعنى: أنه يشبه بعضه بعضاً في الحُسْن والصدق ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ﴾ ميل عن الحق ﴿فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء﴾ طلب ﴿الفتنة﴾ لجُهّالهم، بوقوعهم في الشبهات واللَّبْس ﴿وابتغاء تأويله﴾ تفسيره، [فيفسرونه تفسيراً باطلاً لا أصل له] ﴿وما يعلم تأويله﴾ تفسيره ﴿إلا الله﴾ وحده ﴿والراسخون﴾ الثابتون المتمكنون ﴿في العلم﴾ مبتدأ خبره: ﴿يقولون آمنا به﴾ أي: بالمتشابه أنه من عند الله، ولا نعلم معناه ﴿كلٌ﴾ من المحكم والمتشابه ﴿من عند ربنا وما يذكر﴾ بإدغام التاء في الأصل في الذال، أي: يتعظ ﴿إلا أولو الألباب﴾ أصحاب العقول، ويقولون أيضاً، إذا رأوا من يَتَّبعه [أي: المتشابه]: ٨﴿ربنا لا تزغ قلوبنا﴾ [لا] تُمِلْها عن الحق، بابتغاء تأويله الذي لا يليق بنا، كما أزغت قلوب أولئك ﴿بعد إذ هديتنا﴾ أرشدتنا إليه ﴿وهب لنا من لدنك﴾ من عندك

(١) قوله: «من كليٍّ وجزئيٍّ» أشار بذلك إلى الرد على الفلاسفة، الذين زعموا أن الله يعلم الكليات، ولا يعلم الجزئيات، فكفروا بذلك، كما كفروا بقولهم بقدم العالم مادة أو نوعاً، وبإنكارهم حشر الأجساد، وقولهم: إن الحشر للأرواح فقط، والحق: أن البعث بالروح والجسد معاً.

﴿رحمة﴾ تثبيتاً ﴿إنك أنت الوهاب﴾. ٩يا ﴿ربنا إنك جامع الناس﴾ تجمعهم ﴿ليوم﴾ أي: في يوم ﴿لا ريب﴾ شك ﴿فيه﴾ هو يوم القيامة، فتجازيهم بأعمالهم، كما وَعَدْتَ بذلك ﴿إن الله لا يخلف الميعاد﴾ موعده بالبعث، فيه التفات عن الخطاب، ويحتمل أن يكون من كلامه تعالى، والغرضُ من الدعاء بذلك: بيانُ أن هَمَّهم أمرُ الآخرة، ولذلك سألوا الثبات على الهداية، لينالوا ثوابها، روى الشيخان [وغيرهما] عن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسولُ الله ﷺ هذه الآية: «هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات» إلى آخرها، وقال: «فإذا رأيتم الذين يَتَّبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سَمَّى اللَّهُ فاحذروهم»، وروى الطبراني في «الكبير»، عن أبي موسى الأشعري، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «ما أخاف على أمتي، إلاَّ ثلاثَ خلال»، وذكر منها: «أن يُفتح لهم الكتاب، فيأخذه المؤمن يبتغي تأويله، وليس يعلم تأويله إلاَّ الله، والراسخون في العلم يقولون: آمنا به، كلٌّ من عند ربنا، وما يَذَّكَّر إلاَّ أولو الألباب»، الحديث.

رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ

١٠﴿إن الذين كفروا لن تغني﴾ تدفع ﴿عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله﴾ أي: عذابه ﴿شيئاً وأولئك هم وقود النار﴾ بفتح الواو، ما توقد به.

١١دأبهم ﴿كدأب﴾ كعادة ﴿آل فرعون والذين من قبلهم﴾ من الأمم، كعاد وثمود ﴿كذبوا بآياتنا فأخذهم الله﴾ أهلكهم ﴿بذنوبهم﴾ والجملة مفسِّرة لما قبلها ﴿والله شديد العقاب﴾.

١٢ونزل لما أَمَرَ النبيُّ ﷺ اليهودَ بالإسلام، مَرْجِعَهُ من بدر، فقالوا له: لا يَغُرَّنَّك [من نفسك]، أن قتلتَ نفراً من قريش، أغماراً لا يعرفون القتال: ﴿قل﴾ يا محمد ﴿للذين كفروا﴾ من اليهود ﴿ستغلبون﴾ بالتاء والياء، في الدنيا بالقتل والأسر وضرب الجزية، وقد وقع ذلك ﴿وتحشرون﴾ بالوجهين، في الآخرة ﴿إلى جهنم﴾ فتدخلونها ﴿وبئس المهاد﴾ الفراشُ هي.

١٣﴿قد كان لكم آية﴾ عبرة، وذُكِّرَ الفعلُ، للفصل [بينه وبين اسمه بالخبر] ﴿في فئتين﴾ فرقتين ﴿التقتا﴾ يوم بدر للقتال ﴿فئة تقاتل في سبيل الله﴾ أي: طاعته، وهم: النبي وأصحابه، وكانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً، معهم فَرَسَان، وست أدرع، وثمانية سيوف، وأكثرهم رَجَّالة ﴿وأخرى كافرة يرونهم﴾ أي: الكفارَ ﴿مثليهم﴾ أي: [مثلي] المسلمين، أي: أكثر منهم، وكانوا نحو ألف ﴿رأي العين﴾ أي: رؤية ظاهرة معاينة، وقد نصرهم الله مع قلتهم ﴿والله يؤيد﴾ يقوِّي ﴿بنصره من يشاء﴾ نصرَهُ ﴿إن في ذلك﴾ المذكور ﴿لعبرة لأولي الأبصار﴾ لذوي البصائر، أفلا تعتبرون بذلك فتؤمنون؟

١٤﴿زين للناس حب الشهوات﴾ ما تشتهيه النفس وتدعو إليه، زَيَّنها الله ابتلاءً، أو: [زينها] الشيطانُ ﴿من النساء والبنين والقناطير﴾ الأموال الكثيرة ﴿المقنطرة﴾ المجمعة ﴿من الذهب والفضة والخيل المسومة﴾ الحسان،

﴿والأنعام﴾ أي: الإبل والبقر والغنم ﴿والحرث﴾ الزرع ﴿ذلك﴾ المذكور ﴿متاع الحياة الدنيا﴾ يُتَمَتَّعُ به فيها، ثم يفنى ﴿والله عنده حسن المآب﴾ المرجع، وهو الجنة، فينبغي الرغبة فيه دون غيره.

١٥ ﴿قل﴾ يا محمد لقومك ﴿أؤنبئكم﴾ أخبركم ﴿بخير من ذلكم﴾ المذكور من الشهوات؟ استفهام تقرير ﴿للذين اتقوا﴾ الشرك ﴿عند ربهم﴾ خبر، مبتدؤه: ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين﴾ أي: مقدَّرين [ومنتظرين] الخلود ﴿فيها﴾ إذا دخلوها ﴿وأزواج مطهرة﴾ من الحيض وغيره، مما يستقذر ﴿ورضوان﴾ بكسر أوَّله وضَمِّه، لغتان، [وهما قراءتان سبعيتان] أي: رضىً كثير ﴿من الله والله بصير﴾ عالم ﴿بالعباد﴾ فيجازي كلًّا منهم بعمله.

وَالْأَنْعَٰمِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ الْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌۢ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّٰبِرِينَ وَالصَّٰدِقِينَ وَالْقَٰنِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُۥ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَٰمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ

١٦ ﴿الذين﴾ نعت أو بدل من «الذين» قبله، [في قوله تعالى: «للذين اتقوا»] ﴿يقولون﴾ يا ﴿ربنا إننا آمنا﴾ صدَّقنا بك وبرسولك ﴿فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار﴾.

١٧ ﴿الصابرين﴾[1] على الطاعة وعن المعصية، نعت ﴿والصادقين﴾ في الإيمان ﴿والقانتين﴾ المطيعين لله ﴿والمنفقين﴾ المتصدقين ﴿والمستغفرين﴾ الله بأن يقولوا: اللهم اغفر لنا ﴿بالأسحار﴾ أواخر الليل، خُصَّتْ بالذكر، لأنها وقت الغفلة ولذة النوم.

١٨ ﴿شهد الله﴾ بيَّن لخلقه بالدلائل والآيات ﴿أنه لا إله﴾ أي: لا معبود في الوجود بحق ﴿إلاَّ هو و﴾ شهد بذلك ﴿الملائكة﴾ بالإقرار ﴿وأولو العلم﴾ من الأنبياء والمؤمنين، بالاعتقاد واللفظ ﴿قائماً﴾ بتدبير مصنوعاته، ونصبه على الحال، والعامل فيها معنى الجملة، أي: تفرَّد ﴿بالقسط﴾ بالعدل ﴿لا إله إلاَّ هو﴾ كرره تأكيداً ﴿العزيز﴾ في ملكه ﴿الحكيم﴾ في صنعه.

١٩ ﴿إن الدين﴾ المرضيَّ ﴿عند الله﴾ [والذي لا يقبل من العباد سواه] هو: ﴿الإسلام﴾ أي: الشرع [وهو: الدين] المبعوث به الرسل [أجمعون]، المبنيُّ على التوحيد [لقوله تعالى: «ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين»]، وفي قراءة بفتح «إنَّ»، بدل من «أنه إلخ» بدل اشتمال ﴿وما اختلف الذين أوتوا الكتاب﴾ اليهود والنصارى، في الدِّين، بأن وَحَّد بعضٌ، [فآمنوا إيماناً صحيحاً]، وكفر بعض، [أي: أصروا على كفرهم، فلم يؤمنوا] ﴿إلاَّ من بعد ما جاءهم العلم﴾ بالتوحيد ﴿بغياً﴾ من الكافرين ﴿بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب﴾ أي: المجازاة له.

٢٠ ﴿فإن حاجوك﴾ خاصمك الكفارُ يا محمد، في الدين ﴿فقل﴾ لهم:

---

(١) قوله تعالى: ﴿الصابرين﴾، ارجع إلى تعليقنا حول معاني «الصبر» ص ٦٠٧.

﴿أسلمت وجهي لله﴾ انقدتُ له، أنا ﴿ومن اتبعن﴾ وخُصَّ الوجه بالذكر لشرفه، فغيره أولى ﴿وقل للذين أوتوا الكتاب﴾ اليهود والنصارى ﴿والأميين﴾ مشركي العرب ﴿ءأسلمتم﴾ [استفهام قُصِدَ به الأمر] أي: أسلموا ﴿فإن أسلموا فقد اهتدوا﴾ من الضلال ﴿وإن تولوا﴾ عن الإسلام ﴿فإنما عليك البلاغ﴾ التبليغ للرسالة ﴿والله بصير بالعباد﴾ فيجازيهم بأعمالهم، وهذا [التساهل، كان] قبل الأمر بالقتال.

٢١ ﴿إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون﴾ وفي قراءة «يقاتلون» ﴿النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط﴾ بالعدل ﴿من الناس﴾ وهم اليهود، روي: أنهم قتلوا ثلاثة وأربعين نبياً، فنهاهم مائة وسبعون من عُبَّادهم، فقتلوهم من يومهم ﴿فبشرهم﴾ أَعْلِمْهُمْ ﴿بعذاب أليم﴾ مؤلم، وذِكْرُ البشارة تهكم بهم [وتَهَزُّؤ،] ودخلت الفاء في خبر «إنَّ»، لشَبَه اسمها الموصول بالشرط.

أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ

٢٢ ﴿أولئك الذين حبطت﴾ بطلت ﴿أعمالهم﴾ ما عملوا من خير، كصدقة وصلة رحم ﴿في الدنيا والآخرة﴾ فلا اعتداد بها، لعدم شرطها [وهو الإيمان الصحيح] ﴿وما لهم من ناصرين﴾ مانعين من العذاب.

٢٣ ﴿ألم تر﴾ تنظر ﴿إلى الذين أوتوا نصيباً﴾ حظاً ﴿من الكتاب﴾ التوراة ﴿يُدْعَون﴾ حال ﴿إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولّى فريق منهم وهم معرضون﴾ عن قبول حكمه، نزل في اليهود، زنى منهم اثنان[1]، فتحاكموا إلى النبي ﷺ، فحكم عليهما بالرجم فأبوا، فجيء بالتوراة فوُجد [حكمُ الرجم] فيها، فرُجما، فغضبوا.

٢٤ ﴿ذلك﴾ التولّي والإعراض ﴿بأنهم قالوا﴾ أي: بسبب قولهم ﴿لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات﴾ أربعين يوماً، مُدَّةَ عبادة آبائهم العجل، ثم تزول عنهم ﴿وغرهم في دينهم﴾ متعلق بقوله: ﴿ما كانوا يفترون﴾ من قولهم ذلك [و «ما» فاعل «غرهم»، وتقدير الكلام: وغرهم ما كان يفترون في دينهم، أي: بظنهم أن ما افتروه في الدِّين حق].

٢٥ ﴿فكيف﴾ حالهم ﴿إذا جمعناهم ليوم﴾ أي: في يوم ﴿لا ريب﴾ شك ﴿فيه﴾ هو يوم القيامة ﴿ووفيت كل نفس﴾ من أهل الكتاب وغيرهم، جزاءَ ﴿ما كسبت﴾ عملت من خير وشر.

---

(١) قوله: «زنى منهم اثنان» أي: يهود خيبر، هذا قول الكلبي في سبب نزول هذه الآية، وقال السُّدي: إنه ﷺ دعا اليهود إلى الإسلام، فقال له أحدهم: هلمَّ يا محمد نخاصمك إلى الأحبار، فقال رسول الله ﷺ: «بل إلى كتاب الله» فقال: بل إلى الأحبار... فنزلت... وهناك أقوال أخرى، وعلى كلٍّ: فالمقصود بالآية هم اليهود، وقيل: اليهود والنصارى.

﴿وهم﴾ أي: الناس ﴿لا يُظلمون﴾ بنقص حسنة، أو: زيادة سيئة.

٢٦ونزل لمَّا وعَد ﷺ أمتَهُ ملكَ فارس والروم، فقال المنافقون: هيهات ﴿قل اللهم﴾ يا ألله ﴿مالك الملك تؤتي﴾ تعطي ﴿الملك من تشاء﴾ من خلقك ﴿وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء﴾ بإيتائه [المُلك] ﴿وتذل من تشاء﴾ بنزعه منه ﴿بيدك﴾ بقدرتك ﴿الخير﴾ أي: والشر ﴿إنك على كل شيء قدير﴾.

٢٧﴿تولج﴾ تُدخل ﴿الليل في النهار وتولج النهار﴾ تُدخله ﴿في الليل﴾ فيزيد كلٌّ منهما بما نقص من الآخر ﴿وتُخرج الحي من الميت﴾[1] كالإنسان والطائر، من النُّطفة والبيضة ﴿وتخرج الميت﴾ كالنطفة والبيضة ﴿من الحي وترزق من تشاء بغير حساب﴾ أي: رزقاً واسعاً.

٢٨﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء﴾ يوالونهم ﴿من دون﴾ أي: غير ﴿المؤمنين ومن يفعل ذلك﴾ أي: يواليهم ﴿فليس من﴾ دين ﴿الله في شيء إلاّ أن تتقوا منهم تقاة﴾ مصدر «تَقَيْتُهُ»، أي: «تخافوا مخافةً»، فلكم موالاتهم باللسان دون القلب، [قال ابن عباس رضي الله عنهما: «التُّقَاةُ»: التكلُّم باللسان، والقلبُ مطمئنٌّ بالإيمان». رواه البيهقي في «السُّنن»، والحاكم وغيرهما]. وهذا قبل عِزَّة الإسلام، ويجري [حكم «التَّقية»،] في [كل] بلدة ليس [الإسلام] قوياً فيها ﴿ويحذركم﴾ يخوفكم﴿الله نفسه﴾ أن يغضب عليكم، إن واليتموهم ﴿وإلى الله المصير﴾ المرجع، فيجازيكم.

٢٩﴿قل﴾ لهم ﴿إن تخفوا ما في صدوركم﴾ قلوبكم، من موالاتهم ﴿أو تبدوه﴾ تظهروه ﴿يعلمه الله و﴾ هو ﴿يعلم ما في السماوات وما في الأرض والله على كل شيء قدير﴾ ومنه تعذيب مَنْ والاهم.

٣٠اذكر ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت﴾ ـه ﴿من خير محضراً وما عملت﴾ ـه ﴿من سوء﴾ مبتدأ خبره: ﴿تود لو أن بينها وبينه

وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ

---

(١) قوله تعالى: ﴿وتخرج الحي من الميت...﴾ الآية، ذُكِرَ الإخراج هذا، في أربعة مواضع من القرآن الكريم: هنا، وفي سورة «الأنعام» ص ١٧٨، وفي «يونس» ص ٢٧١، وفي «الروم» ص ٥٣٢، والمراد بالحي هو: مَنْ كانت فيه حياة، وبالميت: مَنْ لا حياة فيه، و «الإخراج» إشارة إلى الأسباب التي خلقها الله تعالى ويخلق منها، فالإنسان والحيوان كائنات حية، يُخرج الله منها، ما هو سبب للخلق، كالنطفة من الإنسان وبعض الحيوان؛ وكالبيضة من الطيور وبعض الزواحف، فالمني والبيضة، جعلهما الله تعالى مهيأين، لتكون منهما بدايةُ خلقِ كائنٍ حيّ، فمن المني يبدأ خلق الإنسان وبعض الحيوان، والمنيّ: ليس كائناً حياً كما يظن البعض، بل فيه قابلية للنَّمي، إذا استقر في الرحم، والبيضة ليست كائناً حياً أيضاً بل هي كالمني صالحة للفَقْس غالباً، وما قلناه في النطفة والبيضة، يقال أيضاً في الحبوب والبقول، فإنها لا تنبت مرة أخرى، إلاّ إذا يبست وجفت، فلو أعيدت زراعة البصلِ أو القمح ـ مثلاً ـ قبل يبسها تماماً فإنها تفسد في الأرض ولا تنبت.

أمداً بعيداً﴾ غاية في نهاية البعد، فلا يصل إليها ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ كُرِّر للتأكيد ﴿والله رؤوف بالعباد﴾.

٣١ونزل لما قالوا: ما نعبد الأصنام، إلاَّ حباً لله، ليقربونا إليه: ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ بمعنى: أنه يثيبكم ﴿ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور﴾ لمن اتبعني، ما سلف منه قبل ذلك ﴿رحيم﴾ به.

٣٢﴿قل﴾ لهم ﴿أطيعوا الله والرسول﴾ فيما يأمركم به من التوحيد ﴿فإن تولوا﴾ أعرضوا عن الطاعة ﴿فإن الله لا يحب الكافرين﴾ فيه إقامة الظاهر مقام المضمر، أي: لا يحبهم، بمعنى: أنه يعاقبهم.

الجزء الثالث

أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا

٦٨

ربع الحزب

٣٣﴿إن الله اصطفى﴾ اختار ﴿آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران﴾ بمعنى أنفسهما[1] ﴿على العالمين﴾ بجعل الأنبياء من نسلهم.

٣٤﴿ذرية بعضها من﴾ ولد ﴿بعض﴾ منه ﴿والله سميع عليم﴾.

٣٥اذكر ﴿إذ قالت امرأة عمران﴾ [واسمها] «حَنَّة» لما أسنَّت واشتاقت للولد، فدعت الله، وأحست بالحمل: يا ﴿رب إني نذرت﴾ أن أجعل ﴿لك ما في بطني محرراً﴾ عتيقاً خالصاً من شواغل الدنيا، لخدمة بيتك المقدس ﴿فتقبل مني إنك أنت السميع﴾ للدعاء ﴿العليم﴾ بالنيات، وهلك عمران [أي: ماتَ] وهي حامل.

٣٦﴿فلما وضعتها﴾ ولدتها جارية، وكانت ترجو أن يكون غلاماً، إذ لم يكن يحرَّر إلاَّ الغلمان ﴿قالت﴾ معتذرة يا ﴿رب إني وضعتها أنثى والله أعلم﴾ أي: عالم ﴿بما وضعتْ﴾ جملة اعتراض من كلامه تعالى، وفي قراءة: بضم التاء ﴿وليس الذكر﴾ الذي طلبتُ ﴿كالأنثى﴾ التي وُهِبْتُ، لأنه يقصد للخدمة، وهي لا تصلح لها، لضعفها وعورتها، وما يعتريها من الحيض ونحوه ﴿وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها﴾ أولادها ﴿من الشيطان الرجيم﴾ المطرود، في الحديث: «ما من مولود يولَدُ إلاَّ مسَّه الشيطان حين يولد، فيستهلُّ صارخاً إلاَّ مريم وابنها» رواه الشيخان [وغيرهما].

٣٧﴿فتقبلها ربها﴾ أي: قَبِلَ مريم من أمها ﴿بقبول حسن وأنبتها نباتاً

---

(١) قوله: «بمعنى أنفسهما» الأولى في اللغة أن يقال: «نفسيهما»، أي: نفس إبراهيم، ونفس عمران، كما هو منحى السيوطي في تفسيره هذا، ولكن: لا داعي إلى هذا المذهب، طالما أن الآية صريحة في ذكر «الآل»، مع كل من: «إبراهيم» و «عمران»، أي: إن الله تعالى اصطفى إبراهيم وعمران، واصطفى الأنبياء والصالحين من ذريتهما، ولا يُفهم من الآية بحالٍ، الثناءُ على مَنْ كفر من الذريَّتين.

حسناً﴾ أنشأها بخَلْق حسن، فكانت تَنْبُتُ في اليوم، كما ينبت المولود في العام، وأتت بها أمها الأحبارَ، سدنةَ بيت المقدس فقالت: دونكم هذه النَّذيرة، فتنافسوا فيها، لأنها بنت إمامهم، فقال زكريا: أنا أحق بها، لأن خالتها عندي، فقالوا: لا حتى نقترع، فانطلقوا ــ وهم تسعة وعشرون ــ إلى نهر الأردن، وألقوا أقلامهم، على أنَّ من ثَبَتَ قلمُه في الماء وصعد، فهو أولى بها، [ومن غرق قلمه، أو ذهب مع الماء، فلا حق له فيها]، فثبت قلم زكريا، فأخذها، وبنى لها غرفة في المسجد بسُلَّم، لا يصعد إليها غيره، وكان يأتيها بأكلها وشربها ودهنها، فيجد عندها فاكهة الصيف بالشتاء وفاكهة الشتاء بالصيف، كما قال تعالى ﴿وكفلها زكريا﴾ ضمها إليه، وفي قراءة: بالتشديد ونصب «زكريا» ممدوداً [بهمز]، ومقصوراً [بلا همز]، والفاعل: الله ﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب﴾ الغرفة، وهي: أشرف المجالس ﴿وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنى﴾ من أين ﴿لك هذا؟ قالت﴾ وهي صغيرة: ﴿هو من عند الله﴾ يأتيني به من الجنة ﴿إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ رزقاً واسعاً بلا تَبِعة.

حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ

٣٨﴿هنالك﴾ أي: لما رأى زكريا ذلك، وعلم أن القادر على الإتيان بالشيء في غير حينه، قادر على الإتيان بالولد على الكِبَر، وكان أهلُ بيته انقرضوا ﴿دعا زكريا ربه﴾ لما دخل المحراب للصلاة جوف الليل ﴿قال رب هب لي من لدنك﴾ من عندك ﴿ذرية طيبة﴾ ولداً صالحاً ﴿إنك سميع﴾ مجيب ﴿الدعاء﴾.

٣٩﴿فنادته الملائكة﴾ أي: جبريل ﴿وهو قائم يصلي في المحراب﴾ أي: المسجد ﴿أن﴾ أي: بأن، وفي قراءة: بالكسر بتقدير القول ﴿الله يبشِّرك﴾ مثقلاً ومخففاً ﴿بيحيى مصدقاً بكلمة﴾ كائنة ﴿من الله﴾ أي: بعيسى أنه روح الله، [أي: أمره وكلمته، فروح المسيح مخلوقة كباقي أرواح المخلوقات]، وسمي «كلمة» لأنه خُلِقَ بكلمة: «كُنْ» ﴿وسيداً﴾ متبوعاً ﴿وحصوراً﴾ ممنوعاً من النساء، [من غير علَّة، أي: لا يرغب فيهن لشغله بالطاعة] ﴿ونبياً من الصالحين﴾ روي: أنه لم يعمل خطيئةً، ولم يَهُمَّ بها. ٤٠﴿قال ربي أنى﴾ كيف ﴿يكون لي غلام﴾ ولد ﴿وقد بلغني الكبر﴾ أي: بلغت نهاية السن، مائةً وعشرين سنة ﴿وامرأتي عاقر﴾ بلغت ثمانيَ وتسعين ﴿قال﴾ الأمر ﴿كذلك﴾ من خَلْقِ غلام منكما ﴿الله يفعل ما يشاء﴾ لا يعجزه عنه شيء، ولإظهار هذه القدرة العظيمة، أُلهم السؤالَ، ليجاب بها. ٤١ولما تاقت نفسه إلى سرعة المبشَّر به ﴿قال رب اجعل لي آية﴾ أي: علامة على حمل امرأتي ﴿قال آيتك﴾ عليه ﴿أ﴾ ن ﴿لا تكلم الناس﴾ أي: تُمنع من كلامهم، بخلاف ذكر الله تعالى، [فلا تُمنع عنه] ﴿ثلاثة أيام﴾ أي: بلياليها ﴿إلاَّ رمزاً﴾ إشارة ﴿واذكر ربك كثيراً وسبح﴾ صَلِّ ﴿بالعشي والإبكار﴾ أواخر النهار وأوائله.

٤٢﴿و﴾ اذكر ﴿إذ قالت الملائكة﴾ أي: جبريل ﴿يا مريم إن الله اصطفاك﴾ اختارك ﴿وطهرك﴾ من مَسيس الرجال

﴿واصطفاك على نساء العالمين﴾ أي: أهل زمانك.

٤٣ ﴿يا مريم اقنتي لربك﴾ أطيعيه ﴿واسجدي واركعي مع الراكعين﴾ أي: صلِّي مع المصلين.

٤٤ ﴿ذلك﴾ المذكور من أمر زكريا ومريم ﴿من أنباء الغيب﴾ أخبار ما غاب عنك ﴿نوحيه إليك﴾ يا محمد ﴿وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم﴾ في الماء يقترعون، ليظهر لهم ﴿أيهم يكفل﴾ يربي ﴿مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون﴾ في كفالتها، فتعرف ذلك فتخبر به، وإنما عرفتَهُ من جهة الوحي.

٤٥ اذكر ﴿إذ قالت الملائكة﴾ أي: جبريل ﴿يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه﴾ أي: ولد ﴿اسمه المسيح عيسى ابن مريم﴾ خاطبها بنسبته إليها، تنبيهاً على أنها تلده بلا أب، إذ عادة الرجال، نسبتُهم إلى آبائهم ﴿وجيهاً﴾ ذا جاه ﴿في الدنيا﴾ بالنُّبوة ﴿والآخرة﴾ بالشفاعة[1] والدرجات العلا ﴿ومن المقربين﴾ عند الله.

٤٦ ﴿ويكلم الناس في المهد﴾ أي: طفلاً قبل وقت الكلام، [وقد كلمهم قائلاً: «إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً...» الآيات من سورة «مريم»] ﴿و﴾ [يُكلمهم أيضاً] ﴿كهلاً و﴾ [جعلناه] ﴿من الصالحين﴾.

٤٧ ﴿قالت رب أنى﴾ كيف ﴿يكون لي ولد ولم يمسسني بشر﴾ بتزوُّج ولا غيره؟ ﴿قال﴾ الأمرُ ﴿كذلك﴾ من خَلْقِ ولدٍ منك بلا أب ﴿الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً﴾ أراد خلقه ﴿فإنما يقول له كن فيكون﴾ أي: فهو يكون.

٤٨ ﴿ونعلمه﴾ بالنون والياء ﴿الكتاب﴾ الخطَّ ﴿والحكمة والتوراة والإنجيل﴾.

٤٩ ﴿و﴾ نجعله ﴿رسولاً إلى بني إسرائيل﴾ في الصِّبا، أو: بعد البلوغ، فنفخ جبريل في جَيب درعها فحملت، وكان من أمرها ما ذُكِرَ في سورة «مريم»، فلما بعثه الله إلى بني إسرائيل قال لهم: إني رسول الله إليكم ﴿أني﴾ أي: بأني ﴿قد جئتكم بآية﴾ علامة على صدقي ﴿من ربكم﴾ هي: ﴿أني﴾ وفي قراءة: بالكسر استئنافاً ﴿أخلق﴾ أصوِّر[2] ﴿لكم من الطين

وَاصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ

(١) قوله: «بالشفاعة»، ارجع إلى تعليقنا حول «الشفاعة» يوم القيامة ص ٦١٢.

(٢) قوله: «أصوِّر». إن تفسير الخلق هنا بالتصوير هو الصواب، لأنه لا يجوز إسناد فعل الخلق بمعنى الإيجاد إلى غير الله تعالى ﴿الله خالق كل شيء﴾، ﴿هل من خالق غير الله؟﴾ فلا خالق غيره تعالى، وما فعله المسيح عليه السَّلام، كانت معجزات أجراها الله تعالى على يديه تصديقاً له، ليؤمن بنو إسرائيل برسالته ويتبعوه.

كهيئة الطير﴾ مثلَ صورته، فالكاف اسم مفعول ﴿فأنفخ فيه﴾ الضمير للكاف [أي: في المصوَّر] ﴿فيكون طيراً﴾ وفي قراءة: «طائراً» ﴿بإذن الله﴾ بإرادته، فخلق لهم «الخُفَّاش»، لأنه أكمل الطير خلقاً، فكان يطير وهم ينظرونه، فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتاً، [ليتميز ما فيه فعل المخلوق من خلق الخالق] ﴿وأبرىء﴾ أشفي ﴿الأكمه﴾ الذي وُلد أعمى ﴿والأبرص﴾ وخُصَّا بالذكر، لأنهما داءا إعياءٍ، وكان بعثُه في زمن الطب، فأبرأ في يوم خمسين ألفاً[1] بالدعاء بشرط الإيمان ﴿وأحيي الموتى بإذن الله﴾ كرَّره لنفي توهُّم الألوهية فيه، فأحيا عازَرَ صديقاً له، وابن العجوز، وابنة العاشر، [أي: جابي العُشْر]، فعاشوا ووُلِدَ لهم، وسام بن نوح ومات في الحال [اقرأ التعليق] ﴿وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون﴾ تخبئون ﴿في بيوتكم﴾ مما لم أعاينه، فكان يخبر الشخص بما أكل وبما لم يأكل بعد ﴿إن في ذلك﴾ المذكور ﴿لآية لكم إن كنتم مؤمنين﴾. ٥٠ ﴿و﴾ جئتكم ﴿مصدقاً لما بين يدي﴾ قبلي ﴿من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم﴾ فيها، فأحل لهم من السمك والطير، ما لا صِيْصِيَةَ له [أي: ما لا شوكة له يؤذي بها]، وقيل: أحل الجميع، فـ«بعض» بمعنى «كل» ﴿وجئتكم بآية من ربكم﴾ كرَّره تأكيداً، وليبني عليه: ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ فيما آمركم به من توحيد الله وطاعته. ٥١ ﴿إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا﴾ الذي آمركم به ﴿صراط﴾ طريق ﴿مستقيم﴾ فكذبوه ولم يؤمنوا به. ٥٢ ﴿فلما أحس﴾ علم ﴿عيسى منهم الكفر﴾ وأرادوا قتله ﴿قال من أنصاري﴾ أعواني، ذاهباً ﴿إلى الله﴾ لأنصر دينه ﴿قال الحواريون نحن أنصار الله﴾ أعوان دينه، وهم: أصفياء عيسى أولُ من آمن به، وكانوا اثني عشر رجلاً، من «الحُوْر» وهو: البياض الخالص، وقيل: كانوا قصارين يحورون الثياب أي: يبيضونها ﴿آمنا﴾ صدقنا ﴿بالله واشهد﴾ يا عيسى ﴿بأنا مسلمون﴾. ٥٣ ﴿ربنا آمنا بما أنزلت﴾ من الإنجيل ﴿واتبعنا الرسول﴾ عيسى ﴿فاكتبنا مع الشاهدين﴾ لك بالوحدانية، ولرسولك بالصدق. ٥٤ قال تعالى: ﴿ومكروا﴾ أي: كفار بني إسرائيل بعيسى، إذ وكلوا به من يقتله غِيلةً ﴿ومكر الله﴾ بهم، بأن ألقى شبه عيسى على من قصد قتله[2] فقتلوه، ورَفَعَ عيسى إلى السماء ﴿والله خير الماكرين﴾ أعلمهم به.

كَهَيْئَةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ

٥٥ اذكر ﴿إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك﴾ قابضك ﴿ورافعك إلي﴾ من الدنيا من غير موت ﴿ومطهرك﴾ مبعدك ﴿من الذين

---

(١) قوله: «وأبرأ في يوم خمسين ألفاً إلخ»، وأنه أحيا فلاناً وفلاناً.. إلخ.. إن هذا لم يرد فيه خبر موثوق، وليس هو مما يصح أن يُفَسَّر بالرأي، لأنها معجزة، فيجب الإيمان بما جاء في القرآن الكريم بخصوصها بلا زيادة ولا نقصان.

(٢) قوله: «بأن ألقى شبهه على من قصد قتله»، الصحيح أن الذي أُلقي شبه عيسى عليه كان أحد تلاميذه، لحديث بذلك، أشرنا إليه ص ١٣٠.

كفروا وجاعل الذين اتبعوك﴾ صدقوا بنبوتك من المسلمين، [وهم الذين اتبعوا محمداً ﷺ]، والنصارى [الذين كانوا على دين المسيح، الذي هو الإسلام، قبل بعثة محمد ﷺ] ﴿فوق الذين كفروا﴾ بك، وهم: اليهود [ومن حرَّف دين المسيح من النصارى]، يَغْلُونَهم بالحجة والسيف ﴿إلى يوم القيامة ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون﴾ من أمر الدين. ٥٦ ﴿فأما الذين كفروا فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا﴾ بالقتل والسَّبي والجزية ﴿والآخرة﴾ بالنار ﴿وما لهم من ناصرين﴾ مانعين منه. ٥٧ ﴿وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم﴾ بالياء والنون ﴿أجورهم والله لا يحب الظالمين﴾ أي: يعاقبهم، روي أن الله تعالى أرسل إليه سحابة فرفعته، فتعلقت به أمه وبكت، فقال لها: إن القيامة تجمعنا، وكان ذلك ليلة القدر ببيت المقدس، وله ثلاث وثلاثون سنة، وعاشت أمه بعده ست سنين، وروى الشيخان: «أنه ينزل قربَ الساعة، ويحكم بشريعة نبينا، ويقتل الدجال والخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الجزية» وفي حديث مسلم: «أنه يمكث سبع سنين»، وفي حديث عند أبي داود الطيالسي(١): «أربعين سنة ويتوفَّى ويُصَلَّى عليه»، فيحتمل أن المراد، مجموعُ لُبثه في الأرض، قبل الرفع وبعده. ٥٨ ﴿ذلك﴾ المذكور من أمر عيسى ﴿نتلوه﴾ نقصه ﴿عليك﴾ يا محمد ﴿من الآيات﴾ حال من الهاء في «نتلوه»، وعامله: ما في «ذلك» من معنى الإشارة ﴿والذكر الحكيم﴾ المحكم، أي: القرآن. ٥٩ ﴿إن مثل عيسى﴾ شأنه الغريب ﴿عند الله كمثل آدم﴾ كشأنه في خلقه من غير أب، وهو من تشبيه الغريب بالأغرب، ليكون أقطع للخصم وأوقعَ في النفس ﴿خلقه﴾ أي: آدم، أي: قالبه ﴿من تراب ثم قال له كن﴾ بشراً ﴿فيكون﴾ أي: فكان، وكذلك عيسى، قال له: كن من غير أب، فكان. ٦٠ ﴿الحق من ربك﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي: أمر عيسى ﴿فلا تكن من الممترين﴾ الشاكِّين فيه. ٦١ ﴿فمن حاجك﴾ جادلك من النصارى ﴿فيه من بعد ما جاءك من العلم﴾ بأمره ﴿فقل﴾ لهم ﴿تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم﴾ فنجمعهم ﴿ثم نبتهل﴾ نتضرع في الدعاء ﴿فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ بأن نقول: «اللهم العن الكاذبَ في شأن عيسى»، وقد دعا ﷺ وفد نجران لذلك، لمَّا حاجُّوه فيه، فقالوا: حتى ننظر في أمرنا ثم نأتيك، فقال ذو رأيهم: لقد عرفتم نبوته، وأنه ما باهل قوم نبياً إلَّا هلكوا، فوادِعوا الرجل وانصرفوا، فأتوا الرسول ﷺ، وقد خرج ومعه الحسن والحسين وفاطمة وعلي، وقال لهم: «إذا دعوتُ فأمِّنوا»، فأبوا أن يلاعنوا وصالحوه على الجزية، رواه أبو نُعيم [في الدلائل، وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما قريباً منه]، و [روى أحمد] عن ابن عباس قال: «لو خرج الذين يباهلون، لرجعوا لا يجدون مالاً ولا أهلاً»، وروي: «لو خرجوا لاحترقوا». ٦٢ ﴿إن هذا﴾ المذكور ﴿لهو القصص﴾ الخبر

كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ

(١) قوله: «الطيالسي» هو صاحب المسند، الذي قال فيه ابن الأثير في «اللباب»: إنه من حَسَن الحديث، ونص الحديث مرفوعاً: =

﴿الحق﴾ الذي لا شك فيه ﴿وما من﴾ زائدة ﴿إله إلاَّ الله وإن الله لهو العزيز﴾ في ملكه ﴿الحكيم﴾ في صنعه.
٦٣﴿فإن تولوا﴾ أعرضوا عن الإيمان ﴿فإن الله عليم بالمفسدين﴾ فيجازيهم، وفيه وضع الظاهر موضع المضمر.
٦٤﴿قل يا أهل الكتاب﴾ اليهود والنصارى﴿تعالوا إلى كلمة سواء﴾ مصدر بمعنى: مستوٍ أمرها ﴿بيننا وبينكم﴾ هي: ﴿أ﴾ ن ﴿لا نعبد إلاَّ الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله﴾ كما اتخذتم الأحبار والرهبان [حيث أطعتموهم فيما حللوه لكم وحرَّموه عليكم] ﴿فإن تولوا﴾ أعرضوا عن التوحيد ﴿فقولوا﴾ أنتم لهم ﴿اشهدوا بأنا مسلمون﴾ موحدون.

ٱلْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ

٦٥ونزل لما قال اليهود: إبراهيم يهودي ونحن على دينه. وقال النصارى كذلك: ﴿يا أهل الكتاب لِمَ تحاجون﴾ تخاصمون ﴿في إبراهيم﴾ بزعمكم أنه على دينكم ﴿وما أنزلت التوراة والإنجيل إلاَّ من بعده﴾ بزمن طويل، وبعد نزولهما حدثت اليهودية والنصرانية[1]؟ ﴿أفلا تعقلون﴾ بطلان قولكم؟
٦٦﴿ها﴾ للتنبيه ﴿أنتم﴾ مبتدأ، يا ﴿هؤلاء﴾ والخبر ﴿حاججتم فيما لكم به علم﴾ من أمر موسى وعيسى، وزعمكم أنكم على دينهما ﴿فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم﴾ من شأن إبراهيم ﴿والله يعلم﴾ شأنه ﴿وأنتم لا تعلمون﴾.
٦٧قال تعالى تبرئة لإبراهيم: ﴿ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً﴾ مائلاً عن الأديان كلها إلى الدين القيم ﴿مسلماً﴾ موحداً ﴿وما كان من المشركين﴾ [كما يزعمون].
٦٨﴿إن أولى الناس﴾ أحقهم ﴿بإبراهيم للذين اتبعوه﴾ في زمانه ﴿وهذا النبي﴾ محمد، لموافقته له في [الإيمان الصحيح، وفي] أكثر شرعه ﴿والذين آمنوا﴾ من أمته، فهم الذين ينبغي أن يقولوا: نحن على دينه، لا أنتم ﴿والله

= «يمكث عيسى في الأرض بعدما ينزل أربعين سنة، ثم يموت ويصلِّي عليه المسلمون ويدفنونه»، وهذا الحديث أيضاً في سنن أبي داود السِّجستاني، وقد طعن في هذه الأحاديث وفي غيرها، نفر من الزنادقة في عصرنا، ابتغاء التشكيك في السنة النبوية، التي هي المرجع في فهم أحكام القرآن الكريم، بحجة أنها لا توافق عقولهم أي: أهواءهم، والغريب أن هؤلاء لا علم لهم بشيء من علوم الحديث، بل إن منهم من لا يحسن القراءة، ولكنها فتنة، نعوذ بالله من شرها وشر أهلها.

(١) قوله: «وبعد نزولهما حدثت اليهودية والنصرانية» هذا لف ونشر مرتب، أي: ما حدثت اليهودية إلاَّ بعد نزول التوراة، وما حدثت النصرانية إلاَّ بعد نزول الإنجيل، فالذين آمنوا مع موسى وعيسى، هم مسلمون، لأن كلاًّ منهما قد جاء بالإسلام لا بسواه، فليست «اليهودية» ديناً لموسى، ولا «النصرانية» ديناً للمسيح، بل أحدث ذلك الذين كفروا من قومهما بعدهما. ارجع إلى تعليقنا ص ١٠.

ولي المؤمنين﴾ ناصرهم وحافظهم. ٦٩ونزل لما دعا اليهود معاذاً وحذيفة وعماراً إلى دينهم: ﴿ودَّت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلاَّ أنفسهم﴾ لأن إثم إضلالهم عليهم، والمؤمنون لا يطيعونهم فيه ﴿وما يشعرون﴾ بذلك. ٧٠﴿يا أهل الكتاب لِمَ تكفرون بآيات الله﴾ القرآن، المشتمل على نعت محمد ﷺ [مطابقاً لما تقرؤونه في كتبكم من نعته] ﴿وأنتم تشهدون﴾ تعلمون أنه حق؟ ٧١﴿يا أهل الكتاب لِمَ تلبسون﴾ تخلطون ﴿الحق بالباطل﴾ بالتحريف والتزوير ﴿وتكتمون الحق﴾ أي: نعت النبي ﴿وأنتم تعلمون﴾ أنه حق؟. ٧٢﴿وقالت طائفة من أهل الكتاب﴾[1] اليهود، لبعضهم ﴿آمنوا بالذي أُنزل على الذين آمنوا﴾ أي: بالقرآن ﴿وجه النهار﴾ أوله ﴿واكفروا﴾ به ﴿آخره لعلهم﴾ أي: المؤمنين ﴿يرجعون﴾ عن دينهم، إذ يقولون: ما رجع هؤلاء عنه بعد دخولهم فيه ــ وهم أولو علم ــ إلاَّ لعلمهم بطلانه.

٧٣وقالوا أيضاً: ﴿ولا تؤمنوا﴾ تصدقوا ﴿إلاَّ لمن﴾ اللام زائدة ﴿تبع﴾ وافق ﴿دينكم﴾ قال تعالى: ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿إن الهدى هدى الله﴾ الذي هو الإسلام، وما عداه ضلال، والجملة اعتراض ﴿أن﴾ أي: بأن ﴿يؤتى أحد مثل ما أوتيتم﴾ من الكتاب والحكمة والفضائل، و «أن» مفعول «تؤمنوا»، والمستثنى منه «أحد»، قُدِّم عليه المستثنى، المعنى: لا تُقِرُّوا بأن أحداً يؤتى ذلك إلاَّ لمن تبع دينكم ﴿أو﴾ بأن ﴿يحاجوكم﴾ أي: المؤمنون، يغلبوكم ﴿عند ربكم﴾ يوم القيامة، لأنكم أصح ديناً، وفي قراءة «أأن» بهمزة التوبيخ، [مع تسهيل الهمزة الثانية] أي: أَإيتاءُ أحدٍ مثلَه تقرُّون به؟ قال تعالى: ﴿قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء﴾ فمن أين لكم أنه لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم؟ ﴿والله واسع﴾ كثير الفضل ﴿عليم﴾ بمن هو أهله.

٧٤﴿يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾.

٧٥﴿ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار﴾ أي: بمال كثير ﴿يؤده إليك﴾ لأمانته، كعبد الله بن سلام، أودعه رجل ألفاً ومائتي أوقية ذهباً فأداها إليه.

وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ * وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ

ثلاثة أرباع الحزب

(١) قوله تعالى: ﴿وقالت طائفة...﴾ الآية، هو بيان لأسلوب خبيث اتبعه أعداء الإسلام لضربه من الداخل، وذلك بأن يتظاهروا بالدخول فيه، أو بأنهم مسلمون، أو بالحرص عليه، ثم بعد أن يستقر في أذهان العامة أنهم صادقون، يشرعون في التخريب تحت ستار الإصلاح.

وهذا ما فعلته «الحركة الماسونية» أي: «جمعية البنائين الأحرار» بالقضاء على «الخلافة» بواسطة «يهود الدونمة» والمتعاونين معهم الذين تظاهروا بالإسلام، إن الحركة الماسونية ومتفرعاتها مثل: نوادي «الروتاري» و «الليونز» هي منظمات سريَّة يهودية الأصل والمسار والهدف، لأن شعارها «هيكل سليمان»، وهدفها إعادة بنائه، بكل ما يعنيه ذلك من أمور خطيرة، وأتباع الماسونية وفروعها يعملون في خدمة =

﴿ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك﴾ لخيانته ﴿إلاَّ ما دمت عليه قائماً﴾ لا تفارقه، فمتى فارقته أنكره، ككعب بن الأشرف، استودعه قرشي ديناراً فجحده ﴿ذلك﴾ أي: تركُ الأداء ﴿بأنهم قالوا﴾ بسبب قولهم ﴿ليس علينا في الأميين﴾ أي: العرب ﴿سبيل﴾ أي: إثم، لاستحلالهم ظلم من خالف دينهم، ونسبوه إليه تعالى، قال تعالى: ﴿ويقولون على الله الكذب﴾ في نسبة ذلك إليه ﴿وهم يعلمون﴾ أنهم كاذبون. ٧٦﴿بلى﴾ عليهم فيه سبيل ﴿من أوفى بعهده﴾ الذي عاهد عليه، أو: بعهد الله إليه، من أداء الأمانة وغيره ﴿واتقى﴾ الله، بترك المعاصي وعمل الطاعات ﴿فإن الله يحب المتقين﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر، أي: يحبهم، بمعنى: يثيبهم. ٧٧ونزل في اليهود لمَّا بدَّلوا نعت النبي، وعَهْدَ الله إليهم في التوراة، أو: فيمن حلف كاذباً في دعوى[1]، أو: في بيع سلعة: ﴿إن الذين يشترون﴾ يستبدلون ﴿بعهد الله﴾ إليهم، في الإيمان بالنبي وأداء الأمانة ﴿وأيمانهم﴾ حلفهم به تعالى كاذبين ﴿ثمناً قليلاً﴾ من الدنيا ﴿أولئك لا خلاق﴾ نصيب ﴿لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله﴾ غضباً عليهم ﴿ولا ينظر إليهم﴾ يرحمهم ﴿يوم القيامة ولا يزكيهم﴾ يطهرهم ﴿ولهم عذاب أليم﴾ مؤلم. ٧٨﴿وإن منهم﴾ أي: أهل الكتاب ﴿لفريقاً﴾ طائفة، ككعب بن الأشرف ﴿يلوون ألسنتهم بالكتاب﴾ أي: يعطفونها بقراءته عن المنزَّل، إلى ما حرفوه من نعت النبي ونحوه ﴿لتحسبوه﴾ أي: المحرَّف ﴿من الكتاب﴾ الذي أنزله الله ﴿وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾ أنهم كاذبون. ٧٩ونزل لما قال نصارى نجران: إن عيسى أمَرَهم أن يتخذوه رباً، أو: لما طلب بعضُ المسلمين السجودَ له ﷺ، [والقول الأول هو الصحيح في سبب النزول]: ﴿ما كان﴾ ينبغي ﴿لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم﴾ أي: الفهم للشريعة ﴿والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن﴾ يقول:

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ٣

وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن

= اليهود مقابل مصالح ومكاسب دنيوية خاصة، لذلك: نحذر المسلمين من الماسونية وبَنَاتها وبناتيها ــ الأحرار ــ، كي لا ينجرفوا في تيارها، فإن أول الماسونية مُغري، ثم بعده خزي وخسران، وهل بعد الإسلام إلاَّ الكفر والضلال؟..

(١) قوله: «أو فيمن حلف كاذباً في دعوى» أخرج البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من حلف على يمين صَبْرٍ ــ أي: حلف جراءة ــ ليقتطع بها مال امرىء مسلم، لقي الله وهو عليه غضبان»، فأنزل الله تصديق ذلك ﴿إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً﴾ الآية قال ــ أي: ابن مسعود ــ: فدخل الأشعث بن قيس وقال: ما يحدِّثكم أبو عبد الرحمن ــ أي: ابن مسعود ــ؟ قلنا: كذا وكذا، قال: فيَّ أُنزلت، كانت لي بئر في أرض ابن عم لي ــ اسمه «مَعْدان»، وفي رواية للبخاري أيضاً: وكانت بيني وبين رجل من اليهود فجحدني ــ قال النبي ﷺ: «بيِّنتك أو يمينه» فقلت: إذن يحلفَ يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: «من حلف على يمين صَبْرٍ يقتطع بها مال امرىء مسلم وهو فيها فاجر ــ أي: كاذب غير ناس ولا جاهل ولا مكره ــ لقي الله وهو عليه غضبان».

﴿كونوا ربانيين﴾ علماء عاملين[1]، و[الربَّانيُّ] هو: الكامل في العلم والعمل، منسوب إلى «الرب» بزيادة ألف ونون تفخيماً [والأصل: «رَبِّيُّون»] ﴿بما كنتم تعلمون﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿الكتاب وبما كنتم تدرسون﴾ أي: بسبب ذلك، فإن فائدته أن تعملوا. ٨٠﴿ولا يأمركم﴾ بالرفع استئنافاً، أي: الله، والنصب: عطفاً على «يقول»، أي: البشر ﴿أن تتَّخذوا الملائكة والنبيين أرباباً﴾ كما اتخذت الصابئةُ الملائكةَ، واليهودُ عزيراً، والنصارى عيسى ﴿أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾؟ لا ينبغي له هذا. ٨١﴿و﴾ اذكر ﴿إذ﴾ حين ﴿أخذ الله ميثاق النبيين﴾ عهدهم ﴿لما﴾ بفتح اللام، للابتداء وتوكيدِ معنى القسم الذي في أخذ الميثاق، وكسرها، متعلقة بـ «أخذ»، و «ما» موصولة على الوجهين، أي: للذي ﴿آتيتكم﴾ إياه، وفي قراءة «آتيناكم» ﴿من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم﴾ من الكتاب والحكمة، وهو محمد ﷺ ﴿لتؤمنن به ولتنصرنه﴾ جواب القسم، [أي: تؤمنون به وتنصرونه] إن أدركتموه، وأُمَمُهم تبعٌ لهم في ذلك ﴿قال﴾ تعالى لهم ﴿ءأقررتم﴾ بذلك ﴿وأخذتم﴾ قبلتم ﴿على ذلكم إصري﴾ عهدي ﴿قالوا أقررنا قال فاشهدوا﴾ على أنفسكم وأتباعكم بذلك ﴿وأنا معكم من الشاهدين﴾ عليكم وعليهم. ٨٢﴿فمن تولى﴾ أعرض ﴿بعد ذلك﴾ الميثاق ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾.

٨٣﴿أفغير دين الله يبغون﴾ بالياء، أي: المتولون، والتاء، ﴿وله أسلم﴾[2] انقاد ﴿من في السماوات والأرض طوعاً﴾ بلا إباء ﴿وكرهاً﴾ بالسيف، ومعاينةِ ما يلجىء إليه ﴿وإليه ترجعون﴾ بالتاء والياء، والهمزة [في أول الآية] للإنكار.

٨٤﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط﴾ أولاده[3] [أي: الأنبياء منهم ومن ذريتهم] ﴿وما أوتي موسى وعيسى والنبيون

كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ

(١) قوله: «علماء عاملين». إن ثمرة العلم العمل به، والعلم إن لم ينتفع به صاحبه كان وبالاً عليه. فلقد شبه الله تعالى بني إسرائيل الذين تركوا العمل بالتوراة، بالحمار يحمل على ظهره كتباً، فقال: ﴿إن الذين حمِّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين﴾. فالحمار يتساوى عنده حمل أسفار الحكمة، وحمل سواها من الأثقال، ولا يشعر من هذه وتلك، إلا بما يعانيه من تعب وإرهاق، فنعوذ بالله تعالى من علم لا ينفع، ومن قول بلا عمل.

(٢) قوله تعالى: ﴿وله أسلم من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً﴾، اختار الحافظ ابن كثير في تفسيره أن معناه: «أي: استسلم له من فيهما طوعاً وكرهاً، كما قال تعالى: ﴿ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً﴾، فالمؤمن يستسلم بقلبه وقالبه لله، والكافر يستسلم لله كَرْهاً، فإنه تحت التسخير والقهر والسلطان الذي لا يخالَفُ ولا يمانَعُ»، أما المعنى الذي ذكره الجلال السيوطي رحمه الله فليس وافياً كما يدركه المتأمل.

(٣) قوله: «أولاده»، ليس جميع أولاد يعقوب أنبياء، و «الأسباط» هم: شعوب بني إسرائيل، ارجع إلى تعليقنا حولهم ص ٢٦.

من ربهم لا نفرق بين أحد منهم﴾ بالتصديق والتكذيب ﴿ونحن له مسلمون﴾ مخلصون في العبادة.

٨٥﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ لمصيره إلى النار المؤبَّدة عليه.

٨٦[ونزل فيمن ارتدّ[1] ولحق بالكفار]: ﴿كيف﴾ أي: لا ﴿يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم وشهدوا﴾ أي: وشهادتهم ﴿أن الرسول حق و﴾ قد ﴿جاءهم البينات﴾ الحجج الظاهرات على صدق النبي ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ أي: الكافرين.

مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ

٨٧﴿أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين﴾.

٨٨﴿خالدين فيها﴾ أي: اللعنة، أو: النار المدلول بها عليها [أي: باللعنة على النار] ﴿لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون﴾ يُمهَلُون.

٨٩﴿إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا﴾ عملهم ﴿فإن الله غفور﴾ لهم ﴿رحيم﴾ بهم.

٩٠ونزل في اليهود: ﴿إن الذين كفروا﴾ بعيسى ﴿بعد إيمانهم﴾ بموسى ﴿ثم ازدادوا كفراً﴾ بمحمد ﴿لن تقبل توبتهم﴾ إذا غرغروا[2]، أو: ماتوا كفاراً ﴿وأولئك هم الضالون﴾.

٩١﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض[3]﴾ مقدار ما يملؤها ﴿ذهباً ولو افتدى به﴾ أدخل الفاء في خبر «إن» لشبه «الذين» بالشرط، وإيذاناً بتسبب عدم القبول عن الموت على الكفر ﴿أولئك لهم عذاب

---

(١) قولنا: «ونزل فيمن ارتد» أخرج النسائي وابن حبان والبيهقي في سننه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رجل من الأنصار ــ هو: الحارث بن سويد ــ فأسلم ثم ارتد ولحق بالمشركين، ثم ندم فأرسل إلى قومه: قائلاً: أرسلوا إلى رسول الله ﷺ هل لي من توبة؟ فسألوه فقال ﷺ: «نعم».

وقال العلامة هبة الله بن سلامة في كتابه «الناسخ والمنسوخ»: نزلت في ستة رهط ارتدوا عن الإسلام، ثم استثنى الله واحداً منهم، ــ هو الحارث المذكور ــ فصارت فيه توبة، وفي كل نادم إلى يوم القيامة، أي: لم يتب منهم غيره. [ارجع إلى تعليقنا حول «التوبة» ص ٧٥٢].

(٢) قوله: «إذا غرغروا». أي: إذا بلغت الروحُ الحلقومَ، روى الترمذي وحسَّنه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ، قال: «إن الله عز وجلّ يقبل توبةَ العبد ما لم يُغَرغِر». أي: يقبل التوبة من جميع المعاصي ومنها الكفر، والتوبة منه تكون بالإيمان.

(٣) قوله تعالى: ﴿فلن يقبل من أحدهم﴾. أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يُجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له: أرأيت لو كان لك ملءُ الأرض ذهباً أكنت مفتدياً به؟، فيقول: نعم. فيقال: لقد سُئلت ما هو أيسر من ذلك ــ يعني: الإيمان ــ فذلك قوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار...﴾» الآية..

﴿أليم﴾ مؤلم ﴿وما لهم من ناصرين﴾ مانعين منه. ٩٢ ﴿لن تنالوا البر﴾ أي: ثوابَهُ، وهو: الجنة ﴿حتى تنفقوا﴾ تَصَدَّقوا ﴿مما تحبون﴾ من أموالكم ﴿وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم﴾ فيجازي عليه.

٩٣ ونزل لمّا قال اليهود: إنك تزعم أنك على ملة إبراهيم، وكان لا يأكل لحوم الإبل وألبانها: ﴿كل الطعام كان حلاًّ﴾ حلالاً ﴿لبني إسرائيل إلاّ ما حرم إسرائيل﴾ يعقوب ﴿على نفسه﴾ وهو الإبل، لما حصل له عرق «النَّسا»، بالفتح والقصر، فنذر إن شُفي لا يأكلها، فَحُرِّمَ عليه ﴿من قبل أن تنزل التوراة﴾ وذلك بعد إبراهيم، ولم تكن على عهده حراماً كما زعموا ﴿قل﴾ لهم ﴿فأتوا بالتوراة فاتلوها﴾ ليتبين صدقُ قولكم ﴿إن كنتم صادقين﴾ فيه، فبُهتوا ولم يأتوا بها.

أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ

٩٤ قال تعالى: ﴿فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك﴾ أي: ظهور الحجة بأن التحريم إنما كان من جهة يعقوب، لا على عهد إبراهيم ﴿فأولئك هم الظالمون﴾ المتجاوزون الحقَّ إلى الباطل.

٩٥ ﴿قل صدق الله﴾ في هذا، كجميع ما أخبر به ﴿فاتبعوا ملة إبراهيم﴾ التي أنا عليها ﴿حنيفاً﴾ مائلاً عن كلِّ دينٍ إلى الإسلام ﴿وما كان من المشركين﴾.

٩٦ ونزل لما قالوا: قِبلَتُنا قبل قبلتكم ﴿إن أول بيت وضع﴾ متعبَّداً ﴿للناس﴾ في الأرض ﴿للذي ببكة﴾ بالباء، لغة في «مكة»، سميت بذلك، لأنها تَبُكُّ أعناق الجبابرة، أي: تدقُّها، بناه الملائكة قبل خلق آدم، ووضع بعده الأقصى، وبينهما أربعون سنة كما في حديث الصحيحين [عن أبي ذر قال: قلت يا رسول الله، أيُّ مسجد وضع أول؟ قال: «المسجد الحرام» قلت: ثم أيّ؟. قال: «المسجد الأقصى». قلت: كم كان بينهما؟. قال: «أربعون سنة»]، وفي حديث [أخرجه الطبراني والبيهقي في الشُّعب عن ابن عمر موقوفاً عليه]: أنه أول ما ظهر على وجه الماء عند خلق السماوات والأرض، زَبَدَةٌ [بفتح الزاي، أي: كتلة من الزَّبَد] بيضاء، فدُحيت الأرض من تحته، ﴿مباركاً﴾ حال من «الذي» أي: ذا بركة ﴿وهدى للعالمين﴾ لأنه قبلتهم.

٩٧ ﴿فيه آيات بينات﴾ منها ﴿مقام إبراهيم﴾ أي: الحَجَر الذي قام عليه عند بناء البيت، فأثّر قدماه فيه، وبقي إلى الآن، مع تطاول الزمان وتداول الأيدي عليه، ومنها تضعيف الحسنات فيه، و[لا دليل على] أن الطير لا يعلوه [إلاّ استشفاءً كما قيل] ﴿ومن دخله كان آمناً﴾ لا [يجوز أن] يُتَعَرَّضَ إليه بقتل، أو: ظلم، أو غير ذلك ﴿ولله على الناس حج البيت﴾ [أي:] واجبٌ، بكسر الحاء وفتحها: لغتان في مصدر «حَجَّ»، بمعنى «قصد»، [وهما قراءتان سبعيتان]، ويبدل من «الناس» ﴿من استطاع إليه سبيلاً﴾ طريقاً، فسَّره ﷺ «بالزاد والراحلة»، رواه الحاكم وغيره ﴿ومن كفر﴾ بالله، أو بما فرضه من الحج ﴿فإن الله غني عن العالمين﴾ الإنس والجن والملائكة، وعن عبادتهم. ٩٨ ﴿قل يا أهل الكتاب لم تكفرون

بآيات الله﴾ القرآن ﴿والله شهيد على ما تعملون﴾ فيجازيكم عليه. ٩٩﴿قل يا أهل الكتاب لم تصدون﴾ تَصْرفون ﴿عن سبيل الله﴾ أي: دينه ﴿من آمن﴾ بتكذيبكم النبي، وكتم نعته ﴿تبغونها﴾ أي: تطلبون السبيل ﴿عوجاً﴾ مصدر بمعنى معوجة، أي: مائلة عن الحق ﴿وأنتم شهداء﴾ عالمون بأن الدين المرضيَّ القيم، دينُ الإسلام، كما في كتابكم ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ من الكفر والتكذيب، وإنما يؤخركم إلى وقتكم ليجازيكم.

١٠٠ونزل لما مرَّ بعض اليهود على الأوس والخزرج، وغاظهم تآلفهم، فذكَّرهم بما كان بينهم في الجاهلية من الفتن، فتشاجروا وكادوا يقتتلون: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين﴾.

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ٣

بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ

١٠١﴿وكيف تكفرون﴾ استفهام تعجيب وتوبيخ ﴿وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم﴾ يتمسك ﴿بالله﴾ [أي: بدينه] ﴿فقد هدي إلى صراط مستقيم﴾.

١٠٢﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته﴾ [أخرج عبد الرزاق، والحاكم وصحَّحه، والطبراني وغيرهم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ فسَّر قوله تعالى «حقَّ تقاته»]: «بأن يُطاع فلا يُعْصَى، ويُشْكَرَ فلا يُكفر، ويُذْكَرَ فلا يُنْسى» فقالوا: يا رسول الله ومَن يقوى على هذا؟ فنُسخ بقوله تعالى: «فاتقوا الله ما استطعتم»[1] ﴿ولا تموتن إلاَّ وأنتم مسلمون﴾ موحدون.

١٠٣﴿واعتصموا﴾ تمسكوا ﴿بحبل الله﴾ أي: دينه ﴿جميعاً ولا تفرقوا﴾ بعد الإسلام ﴿واذكروا نعمة الله﴾ إنعامه ﴿عليكم﴾ يا معشر الأوس والخزرج ﴿إذ كنتم﴾ قبل الإسلام ﴿أعداء فألف﴾ جمع ﴿بين قلوبكم﴾ بالإسلام ﴿فأصبحتم﴾ فصرتم ﴿بنعمته إخواناً﴾ في الدين والولاية ﴿وكنتم على شفا﴾ طرف ﴿حفرة من النار﴾ ليس بينكم وبين الوقوع فيها إلاَّ أن تموتوا كفاراً ﴿فأنقذكم منها﴾ بالإيمان ﴿كذلك﴾ كما بيَّنَ لكم ما ذُكر ﴿يبين الله لكم آياته

(١) قوله تعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾. هذه الآية ــ كما قال الجلال السيوطي رحمه الله ــ ناسخة لقوله تعالى: ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾ لأنه يتعذر على العبد ذلك بسبب ما جُبِلَ عليه من ضعف، فخفف الله على عباده، فقبل منهم وُسْعَهم وطاقتهم، فظن بعض الناس أن المطلوب منهم هو الحد الأدنى من التقوى، أي: ما تيسر لهم منها، زاعمين أن هذا هو معنى «الاستطاعة»، ــ والتقوى فيها شدة على النفس ــ ولكي ندرك المعنى الدقيق لها نضرب هذا المثل، نقول: لو أُدخل أحدُ الناس إلى مكان مملوء بالذهب والمجوهرات وقيل له: احمل ما تستطيع، فهل سيكتفي بقبضة من ذهب ويقول: هذه استطاعتي؟ لا، بل إنه سيحمل ويحمل حتى يضطر إلى التخفيف ليتمكن من النهوض؟.. فحملُه بأقصى طاقته هي: «الاستطاعة»، وكذلك الحال في التقوى، فإن المطلوب بذل أقصى ما نستطيع في عمل الواجب وترك المحرمات، ما لم تصل إلى حد الحرج أو الضرورة، فعندهما فقط، نخرج عن التكليف، ونأخذ بالرُّخص وتباح لنا الضرورات، قال تعالى: ﴿ما جعل عليكم في الدين من حرج﴾.

لعلكم تهتدون﴾. ١٠٤﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير﴾ الإسلام ﴿ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر[1] وأولئك﴾ الداعون، الآمرون، الناهون ﴿هم المفلحون﴾ الفائزون، و «من» للتبعيض، لأن ما ذُكر، فرضُ كفاية لا يلزم كل الأمة، ولا يليق بكل أحدٍ كالجاهل، وقيل: زائدة، أي: لتكونوا أمةً. ١٠٥﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا﴾ عن دينهم ﴿واختلفوا﴾ فيه ﴿من بعد ما جاءهم البينات﴾ وهم: اليهود والنصارى ﴿وأولئك لهم عذاب عظيم﴾. ١٠٦﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾ أي: يوم القيامة ﴿فأما الذين اسودت وجوههم﴾ وهم الكافرون، فَيُلْقَون في النار، ويقال لهم توبيخاً: ﴿أكفرتم بعد إيمانكم﴾ يوم أخذ الميثاق ﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾.

١٠٧﴿وأما الذين ابيضت وجوههم﴾ وهم المؤمنون ﴿ففي رحمة الله﴾ أي: جنته ﴿هم فيها خالدون﴾.

١٠٨﴿تلك﴾ أي: هذه الآيات ﴿آيات الله نتلوها عليك﴾ يا محمد ﴿بالحق وما الله يريد ظلماً للعالمين﴾ بأن يأخذهم بغير جُرم.

١٠٩﴿ولله ما في السماوات وما في الأرض﴾ ملكاً [فهو مالكهم]، وخلقاً [فهو خالقهم]، وعبيداً [فهو ربهم] ﴿وإلى الله ترجع﴾ تصير ﴿الأمور﴾.

١١٠﴿كنتم﴾ يا أمة محمد، في علم الله تعالى ﴿خير أمة أخرجت﴾ أظهرت ﴿للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن

لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ

---

(١) قوله تعالى: ﴿ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ المعروف: هو ما عرفه الشرع، والمنكر: هو ما أنكره الشرع، فكل أمر يقبل به الشرع ويرضاه فهو: «معروف»، وكل أمر لا يقبل به الشرع ويأباه فهو: «منكر»، وأعلى أنواع المعروف: «الإيمان»، وأشنع المنكرات: «الكفر بالله تعالى».

والمنكر يظل منكراً إلى يوم القيامة، ومثله المعروف، فتعارُفُ الناس على «منكر» لا يجعله «معروفاً»، وكذلك تركهم «المعروف» واستغرابهم إياه لا يجعله منكراً، فالشرع هو المرجع في معرفة الحلال والحرام، والحَسَن والقبيح، والمعروف والمنكر.

إنَّ ترخيص الدول بالمنكرات مثل: إباحة التعامل بالربا أو الزنا أو الخمور. إلخ.. لا يُذهب عنها وصفَ «المنكر»، ولا يجعلها «معروفاً» عند الله عز وجل، ولا يُعْفي المسلمين من مُهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، روى الإمام مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»، وقوله ﷺ: «وذلك أضعف الإيمان» ليس مدحاً لمن كانت هذه حالته، بل هو تحذير للمسلمين من التهاون في إنكار المنكر، لئلا يصلوا إلى أضعف الإيمان أي: إلى درجة يكون المؤمن فيها ضعيفاً، في مواجهة الكفرة والفاسقين، عاجزاً حتى عن التلفظ بقول الحق.

أهل الكتاب لكان﴾ الإيمان ﴿خيراً لهم منهم المؤمنون﴾ [أي: منهم من آمن]، كعبد الله بن سلام رضي الله عنه وأصحابه ﴿وأكثرهم الفاسقون﴾ الكافرون، [أخرج ابن جرير، عن قتادة السَّدوسي، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ هذه الآية ثم قال: «من سرَّه أن يكون من تلكم الأمة، فليحقِّق شرطَ الله منها»، أي: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإيمان بالله].

١١١﴿لن يضروكم﴾ أي: اليهود يا معشر المسلمين بشيء ﴿إلاَّ أذى﴾ باللسان، من سبٍّ ووعيد ﴿وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار﴾ منهزمين ﴿ثم لا ينصرون﴾ عليكم، بل لكم النصر عليهم.

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ٣

أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ

ربع الحزب

١١٢﴿ضُربت عليهم الذلة[١] أين ما ثقفوا﴾ حيثما وُجدوا، فلا عزَّ لهم ولا اعتصام ﴿إلاَّ﴾ كائنين ﴿بحبل من الله وحبل من الناس﴾ المؤمنين، وهو: عهدهم إليهم بالأمان، على [شرط] أداء الجزية، أي: لا عصمة لهم غير ذلك ﴿وباؤوا﴾ رجعوا ﴿بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة﴾ [كما يُضْرَب البيت على أهله، فاليهودي يُظْهِرُ من نفسه الفقْرَ وإن كان غنياً] ﴿ذلك بأنهم﴾ أي: بسبب أنهم ﴿كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك﴾ تأكيد ﴿بما عصوا﴾ أَمْرَ الله ﴿وكانوا يعتدون﴾ يتجاوزون الحلال إلى الحرام.

١١٣﴿ليسوا﴾[٢] أي: أهل الكتاب ﴿سواء﴾ مستوين ﴿من أهل الكتاب أمة قائمة﴾ مستقيمة ثابتة على الحق، كعبد الله بن سلام رضي الله عنه وأصحابه ﴿يتلون آيات الله﴾ [أي: القرآن الكريم] ﴿آناء الليل﴾ أي: في ساعاته ﴿وهم يسجدون﴾ يصلُّون، حال.

١١٤﴿يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك﴾ الموصوفون بما ذُكر ﴿من الصالحين﴾ ومنهم من ليسوا كذلك، وليسوا من الصالحين.

١١٥﴿وما تفعلوا﴾ بالتاء، أيتها الأُمة، والياء أي: الأمة القائمة ﴿من خير فلن تكفروه﴾ بالوجهين [أي: بالتاء والياء] أي: تُعدموا ثوابه، بل تجازَون عليه ﴿والله عليم بالمتقين﴾. ١١٦﴿إن الذين

---

(١) قوله تعالى: ﴿ضربت عليهم الذلة...﴾ الآية، رجح الرازيُّ في معنى ﴿الذلة﴾: أن يحارَبوا ويُقتلوا، وتُغنم أموالهم، وتُسبى ذراريهم، وتملك أراضيهم. أي: هكذا يجب أن يعاملوا أينما وُجدوا، إلاَّ بعهد من الله، وعصمة وذمام من الله ومن المؤمنين، فبعهد الأمان، لا قتل ولا غنيمة ولا سبي، وهذا المعنى أوضح من غيره، ومثله قوله تعالى في المنافقين: ﴿أينما ثقفوا أُخذوا وقُتِّلوا تقتيلاً﴾.

(٢) قوله تعالى: ﴿ليسوا سواء...﴾ الآية، أخرج ابن جرير والطبراني والبيهقي في الدلائل وغيرهم، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أسلم عبد الله بن سلام، وثعلبة بن سعية، وأسيد بن سعية، وأسد بن عبيد، ومَنْ أسلم من يهود معهم، فآمنوا وصدقوا ورغبوا في الإسلام، =

كفروا لن تغني﴾ تدفعَ ﴿عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله﴾ أي: من عذابه ﴿شيئاً﴾ وخصهما بالذكر، لأن الإنسان يدفع عن نفسه، تارةً بفداء المال، وتارةً بالاستعانة بالأولاد ﴿وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾.

١١٧﴿مثل﴾ صفةُ ﴿ما ينفقون﴾ أي: الكفار ﴿في هذه الحياة الدنيا﴾ في [سبيل التحريض على] عداوة النبي، أو صدقةٍ ونحوها ﴿كمثل ريح فيها صر﴾ حرٌّ، أو: برد شديد ﴿أصابت حرث﴾ زرع ﴿قوم ظلموا أنفسهم﴾ بالكفر والمعصية ﴿فأهلكته﴾ فلم ينتفعوا به، فكذلك نفقاتهم ذاهبة لا ينتفعون بها ﴿وما ظلمهم الله﴾ بضياع نفقاتهم ﴿ولكن أنفسهم يظلمون﴾ بالكفر الموجب لضياعها.

كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا

١١٨﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة﴾ أصفياء، تُطلعونهم على سرِّكم ﴿من دونكم﴾ أي: غيركم، من اليهود والنصارى والمنافقين ﴿لا يألونكم خبالاً﴾ نُصِبَ بنزع الخافض، أي: لا يقصرون لكم في الفساد ﴿ودوا﴾ تمنوا ﴿ما عنتم﴾ أي: عَنَتَكُم، وهو: شدَّة الضَّرر ﴿قد بدت﴾ ظهرت ﴿البَغضاء﴾ العداوة لكم ﴿من أفواههم﴾ بالوقيعة فيكم، وإطلاع المشركين على سرِّكم ﴿وما تخفي صدورهم﴾ من العداوة ﴿أكبر قد بينا لكم الآيات﴾ على عداوتهم ﴿إن كنتم تعقلون﴾ ذلك، فلا توالوهم.

١١٩﴿ها﴾ للتنبيه ﴿أنتم﴾ يا ﴿أولاء﴾ المؤمنين ﴿تحبونهم﴾ لقرابتهم منكم وصداقتكم ﴿ولا يحبونكم﴾ لمخالفتهم لكم في الدين ﴿وتؤمنون بالكتاب كله﴾ أي: بالكتب كلها، ولا يؤمنون بكتابكم ﴿وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل﴾ أطراف الأصابع ﴿من الغيظ﴾ شدة الغضب، لما يرون من ائتلافكم، ويعبَّر عن شدة الغضب بِعَضِّ الأنامل مجازاً، وإنْ لم يكن ثَمَّ عَضٌّ [في الواقع] ﴿قل موتوا بغيظكم﴾ أي: ابقوا عليه إلى الموت، فلن تروا ما يَسُرُّكم ﴿إن الله عليم بذات الصدور﴾ بما في القلوب، ومنه ما يضمره هؤلاء.

١٢٠ ﴿إن تمسسكم﴾ تصبكم ﴿حسنة﴾ نعمة، كنصر وغنيمة ﴿تسؤهم﴾ تُحزِنْهم ﴿وإن تصبكم سيئة﴾ كهزيمة وجدب ﴿يفرحوا بها﴾ وجملة الشرط [«إن تمسسكم..إلخ..»] متصلة بالشرط قبل [أي: بقوله: «إذا لقوكم...»]، وما بينهما [وهو قوله: «قل موتوا..»] اعتراض، والمعنى: أنهم متناهون في عداوتكم، فلِمَ توالونهم؟ فاجتنبوهم.

= قالت أحبار يهود وأهل الكفر منهم: ما آمن بمحمد وتبعه إلاّ شرارنا، ولو كانوا خيارنا، ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره، فأنزل الله في ذلك ﴿ليسوا سواء..﴾ الآية. ارجع إلى ترجمة عبد الله بن سلام في تعليقنا ص ٣٢٧.

﴿وإن تصبروا﴾ على أذاهم ﴿وتتقوا﴾ الله، في موالاتهم وغيرها ﴿لا يَضِرْكم﴾ بكسر الضاد وسكون الراء [من «ضار» «يضير»]، وضمِّها وتشديدها [من «ضرّ» «يضرُّ»] ﴿كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون﴾ بالياء والتاء[1] ﴿محيط﴾ عالم، فيجازيهم به. ١٢١ ﴿و﴾ اذكر يا محمد ﴿إذ غدوت من أهلك﴾ من المدينة ﴿تبوىء﴾ تنزل ﴿المؤمنين مقاعد﴾ مراكز يقفون فيها ﴿للقتال والله سميع﴾ لأقوالكم ﴿عليم﴾ بأحوالكم، وهو يوم أحد، خرج النبي ﷺ بألف أو: إلاَّ خمسين رجلاً، والمُشركون ثلاثة آلاف، ونزل بالشِّعب، يوم السبت، سابع شوال، سنة ثلاثٍ من الهجرة، وجعل ظهره وعسكره إلى أُحد، وسوَّى صفوفهم، وأجلس جيشاً من الرماة، وأمَّر عليهم عبد الله بن جبير بسفح الجبل، وقال:

وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿١٢٠﴾ وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذۡ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمۡ أَن تَفۡشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقۡطَعَ طَرَفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡ يَكۡبِتَهُمۡ

«انضحوا عنا بالنبل، لا يأتونا من ورائنا، ولا تبرحوا، غُلبنا أو نُصرنا». ١٢٢ ﴿إذ﴾ بدل من «إذ» قبله ﴿همت طائفتان منكم﴾ [هما] بنو سَلِمَةَ وبنو حارثة جناحا العسكر، [روى ذلك الشيخان وغيرهما] ﴿أن تفشلا﴾ تَجْبُنا عن القتال، وترجعا لمّا رجع عبد الله بن أُبيّ المنافق وأصحابه وقال: عَلاَمَ نقتل أنفسنا وأولادنا؟ وقال لأبي جابر السُّلمي ــ القائل له: أنشدكم اللّه في نبيكم وأنفسكم ــ: لو نعلم قتالاً لاتبعناكم، فثبتهما الله ولم ينصرفا ﴿والله وليهما﴾ ناصرهما ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ ليثقوا به دون غيره. ١٢٣ ونزل لما هُزموا، تذكيراً لهم بنعمة الله: ﴿ولقد نصركم الله ببدر﴾ موضع بين مكة والمدينة ﴿وأنتم أذلة﴾ بقلة العدد والسلاح ﴿فاتقوا الله لعلكم تشكرون﴾ نعمه. ١٢٤ ﴿إذ﴾ ظرف لـ«نصركم» ﴿تقول للمؤمنين﴾ توعدهم تطميناً ﴿ألن يكفيكم أن يمدكم﴾ يعينكم ﴿ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين﴾ بالتخفيف والتشديد. ١٢٥ ﴿بلى﴾ يكفيكم ذلك، وفي «الأنفال»: «بألفٍ»، لأنه أَمَدَّهم أوّلاً بها، ثم صارت ثلاثة، ثم صارت خمسة، كما قال تعالى ﴿إن تصبروا﴾ على لقاء العدو ﴿وتتقوا﴾ الله في المخالفة ﴿ويأتوكم﴾ أي: المشركون ﴿من فورهم﴾ وقتهم ﴿هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين﴾ بكسر الواو [أي: معلِّمين أنفسهم، أو خيلهم]، وفتحها، أي: معلَّمين. وقد صبروا، وأنجز الله وعده، بأن قاتلت معهم الملائكة على خيل بلق، عليهم عمائم صفر، أو بيض، أرسلوها بين أكتافهم. ١٢٦ ﴿وما جعله الله﴾ أي: الإمداد ﴿إلاَّ بشرى لكم﴾ بالنصر ﴿ولتطمئن﴾ تسكن ﴿قلوبكم به﴾ فلا تجزع من كثرة العدو وقلتكم ﴿وما النصر إلاَّ من عند الله العزيز الحكيم﴾ يؤتيه من يشاء، وليس بكثرة الجند. ١٢٧ ﴿ليقطع﴾ متعلق بـ«نصركم» أي: ليهلك ﴿طرفاً من الذين كفروا﴾ بالقتل والأسر ﴿أو يكبتهم﴾ يُذلهم بالهزيمة.

---

(١) قوله: «بالياء والتاء». قراءة الياء متفق عليها، أما قراءة التاء فهي شاذة، وقد سها السيوطي عن التنبيه إلى ذلك بقوله: «وقرىء بالتاء».

﴿فينقلبوا﴾ يرجعوا ﴿خائبين﴾ لم ينالوا ما راموه. ١٢٨ ونزل[1] لما كسرت ربَاعِيَتُهُ ﷺ، وشُج وجهه يوم أحد، وقال: «كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم»: ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ بل الأمر لله، فاصبر ﴿أو﴾ بمعنى: «إلى أن» ﴿يتوب عليهم﴾ بالإسلام ﴿أو يعذبهم فإنهم ظالمون﴾ بالكفر. ١٢٩ ﴿ولله ما في السموات وما في الأرض﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿يغفر لمن يشاء﴾ المغفرة له ﴿ويعذب من يشاء﴾ تعذيبه ﴿والله غفور﴾ لأوليائه ﴿رحيم﴾ بأهل طاعته.
١٣٠ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة[2]﴾ بألِفٍ ودونها، بأن تزيدوا في المال عند حلول الأجل وتؤخروا الطلب ﴿واتقوا الله﴾ بتركه ﴿لعلكم تفلحون﴾ تفوزون. ١٣١ ﴿واتقوا النار التي أعدت للكافرين﴾ أن تعذَّبوا بها. ١٣٢ ﴿وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون﴾. ١٣٣ ﴿وسارعوا﴾ بواو ودونها ﴿إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض﴾ أي: كعرضهما لو وصلت إحداهما بالأخرى، والعَرض: السعة ﴿أعدت للمتقين﴾ اللَّهَ، بعمل الطاعات. ١٣٤ ﴿الذين ينفقون﴾ [أموالهم] في طاعة الله ﴿في السراء والضراء﴾ اليسر والعسر ﴿والكاظمين الغيظ﴾ الكافِين عن إمضائه مع القدرة ﴿والعافين عن الناس﴾ ممن ظلمهم، أي: التاركين عقوبتهم ﴿والله يحب المحسنين﴾ بهذه الأفعال، أي: يثيبهم.
١٣٥ ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة﴾ ذنباً قبيحاً كالزنا ﴿أو ظلموا أنفسهم﴾ بما دونه كالقُبلة ﴿ذكروا الله﴾ أي: وعيده ﴿فاستغفروا لذنوبهم ومن﴾ أي: لا ﴿يغفر

الجزء الرابع

فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ * وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ

نصف الحزب

(١) قوله: «ونزل لما كسرت رباعيته» الخ «الرَّباعية» ــ على وزن «الثمانية» ــ هي: السِّن التي بين الثَّنِيَّة والنَّاب، و«الثنية» واحدة «الثنايا» وهما: السنان الأماميان، يليهما من كل ناحية «الرَّباعية»، ثم «الناب»، ثم «الأضراس»، ويقال لكل ضرس «رَحى»، ومن الأضراس «النواجذ» وللإنسان أربعة «نواجذ» واحد في كل جهة، وهو آخر الأضراس يليه «ضرس الحُلُم» أي: ضرس العقل لأنه ينبت بعد البلوغ وكمال العقل..
أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ كُسرت ربَاعيته يوم أُحد، وشُج في وجهه حتى سال الدم على وجهه، فقال: «كيف يُفلح قوم فعلوا هذا بنبيِّهم وهو يدعوهم إلى ربهم؟». فنزلت.
(٢) ــ قوله تعالى: ﴿أضعافاً مضاعفة﴾ يقول السفهاء من الناس: إن الربا المحرم هو ما كان أضعافاً مضاعفة، وهو ما يسمونه «الربا الفاحش» فقط، وهذا خطأ كبير، وفهم سقيم، روى ابن ماجه والحاكم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الربا ثلاثة وسبعون باباً أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه»، فالآية لا تحرم الربا الفاحش فحسب، بل فيها تحريم الربا أساساً، وذكر التضعيف فيها، إشارة إلى نتائج الربا وآثاره السيئة، فالربا يتكاثر، كلما مددت فترة أجل الدين، كما هي عادة المرابين، وهذا تنبيه إلى خطورة الربا وأضراره التي منها: إغراق المدين في الدين. ارجع إلى آيات تحريم الربا الأخرى في سورة «البقرة» وتعليقنا هناك ص ٥٩.

الذنوب إلاّ الله ولم يصروا﴾[1] يُقيموا ﴿على ما فعلوا﴾ [من الذنوب]، بل أقلعوا عنه ﴿وهم يعلمون﴾ أن الذي أتوه معصية.

١٣٦ ﴿أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾ حال مقدرة، أي: مقدرين الخلود فيها إذا دخلوها ﴿ونعم أجر العاملين﴾ بالطاعة، هذا الأجرُ.

١٣٧ ونزل في هزيمة أُحد: ﴿قد خلت﴾ مضت ﴿من قبلكم سنن﴾ طرائق في الكفار، بإمهالهم ثم أخذهم ﴿فسيروا﴾ أيها المؤمنون ﴿في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ [الذين كذبوا] الرسل، أي: آخر أمرهم من الهلاك، فلا تحزنوا لغلبتهم، فإنما أمهلهم لوقتهم.

١٣٨ ﴿هذا﴾ القرآن ﴿بيان للناس﴾ كلِّهم ﴿وهدى﴾ من الضلالة ﴿وموعظة للمتقين﴾ منهم. ١٣٩ ﴿ولا تهنوا﴾ تضعفوا عن قتال الكفار ﴿ولا تحزنوا﴾ على ما أصابكم بأُحد ﴿وأنتم الأعلون﴾ بالغلبة عليهم ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ حقاً، وجوابه دل عليه مجموع ما قبله [أي: إن كنتم مؤمنين، فلا تهنوا ولا تحزنوا]. ١٤٠ ﴿إن يمسسكم﴾ يصبكم بأحد ﴿قرح﴾ بفتح القاف وضمها [وهما قراءتان سبعيتان. و «قَرح» بفتح القاف معناه: الجراحة. وبضمها: ألم الجراحة، أي:] جَهْدٌ من جرح ونحوه ﴿فقد مس القوم﴾ الكفار ﴿قرح مثله﴾ ببدر ﴿وتلك الأيام نداولها﴾ نصرفها ﴿بين الناس﴾ يوماً لفرقة ويوماً لأخرى، ليتعظوا ﴿وليعلم الله﴾ علم ظهور [أي: ليَظْهَرَ ما عَلِمَهُ وهو: تمييز] ﴿الذين آمنوا﴾ أخلصوا في إيمانهم، من غيرهم ﴿ويتخذ منكم شهداء﴾ يكرمهم بالشهادة ﴿والله لا يحب الظالمين﴾ الكافرين، أي: يعاقبهم، وما ينعم به عليهم استدراج. ١٤١ ﴿وليمحص الله الذين آمنوا﴾ يطهرهم من الذنوب بما يصيبهم ﴿ويمحق﴾ يهلك ﴿الكافرين﴾. ١٤٢ ﴿أم﴾ بل أ﴿حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما﴾ لم ﴿يعلم الله الذين جاهدوا منكم﴾ علم ظهور ﴿ويعلم الصابرين﴾ في الشدائد.

ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾

---

(١) قوله تعالى: ﴿ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾، فيه مسألتان: الإصرار على المعصية، وفعلُها من غير علم بتحريمها.

أما الإصرار فهو: الإكثار من المعصية وتكرار فعلها، والمراد بالمعصية هنا ما كان من صغائر الذنوب دون كبائرها، كالنظرة والقبلة، فتكفرها الحسنات كالصلاة والوضوء، ما لم يعاودها فاعلها إلى حد الإصرار، من غير توبة بعد كل مرةٍ، لأنها بذلك تصبح كبيرة من الكبائر، قال الإمام ابن حجر الهيتمي في كتابه «كفُّ الرَّعاع»: «والحاصل: أن المعتمد عندنا، أن ذلك ــ أي: سماع المعازف ــ من الصغائر، حيث لم يحصل إدمان عليه، حتى غلبت معاصيه طاعاته، وإلاّ التحق بالكبائر، في إبطال العدالة وردِّ الشهادة»، أي: ووجوب التوبة على الفور.

وأما فعل المعصية بغير علم بتحريمها، فإن الإنسان لا يُعْذَرُ بجهله في أحكام الشرع، إلاّ إذا كان ممن نشأ في بادية بعيداً عن أهل العلم، أو كان قريب عهد بالإسلام، ارجع إلى تعليقنا حول «التوبة» ص ٧٥٢.

١٤٣ ﴿ولقد كنتم تمنون﴾ فيه ح ذف إحدى التاءين في الأصل ﴿الموت من قبل أن تلقوه﴾ حيث قلتم: ليت لنا يوماً كيوم بدر، لننال ما نال شهداؤه ﴿فقد رأيتموه﴾ أي: سَبَبَهُ [وهو:] الحرب ﴿وأنتم تنظرون﴾ أي: بصراء تتأملون الحال كيف هي، فَلِمَ انهزمتم؟ ١٤٤ ونزل في هزيمتهم، لمَّا أشيع أن النبي قُتِلَ وقال لهم المنافقون: إنْ كان قُتل فارجعوا إلى دينكم: ﴿وما محمد إلاَّ رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل﴾ كغيره ﴿انقلبتم على أعقابكم﴾ رجعتم إلى الكفر، والجملة الأخيرة محل الاستفهام الإنكاري، أي: ما كان [محمد] معبوداً فترجعوا [بموته] ﴿ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً﴾ وإنما يضر نفسه ﴿وسيجزي الله الشاكرين﴾ [الذين يشكرون] نعمه، بالثبات [في القتال].

وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا

١٤٥ ﴿وما كان لنفس أن تموت إلاَّ بإذن الله﴾ بقضائه ﴿كتاباً﴾ مصدر: أي: كتب الله ذلك [كتاباً] ﴿مؤجلاً﴾ مؤقتاً، لا يتقدم ولا يتأخر، فلمَ انهزمتم، والهزيمةُ لا تدفع الموت، والثباتُ لا يقطع الحياة؟ ﴿ومن يُرد﴾ بعمله ﴿ثواب الدنيا﴾ أي: جزاءه منها ﴿نؤته منها﴾ ما قُسم له، ولا حظَّ له في الآخرة ﴿ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها﴾ أي: من ثوابها ﴿وسنجزي الشاكرين﴾. ١٤٦ ﴿وكأين﴾ كم ﴿من نبي قُتِلَ﴾ [بالبناء للمفعول]، وفي قراءة «قاتل»، والفاعل[1] [أو نائبه على القراءة الأولى]، ضميرُهُ ﴿معه﴾ خبر [مقدمٌ] مبتدؤه: ﴿ربيون كثير﴾ جموع كثيرة ﴿فما وهنوا﴾ جَبُنوا ﴿لما أصابهم في سبيل الله﴾ من الجراح وقتل أنبيائهم وأصحابهم ﴿وما ضعفوا﴾ عن الجهاد ﴿وما استكانوا﴾ خضعوا لعدوهم، كما فعلتم حين قيل: قُتل النبي ﴿والله يحب الصابرين﴾ على البلاء، أي: يثيبهم. ١٤٧ ﴿وما كان قولهم﴾ عند قَتْلِ نبيهم، مع ثباتهم وصبرهم ﴿إلاَّ أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا﴾ تجاوزنا الحد ﴿في أمرنا﴾ [قالوا هذا] إيذاناً بأن ما أصابهم لسوء فعلهم، وهضماً لأنفسهم ﴿وثبت أقدامنا﴾ بالقوة على الجهاد ﴿وانصرنا على القوم الكافرين﴾. ١٤٨ ﴿فآتاهم الله ثواب الدنيا﴾ [فأعطاهم] النصر والغنيمة

---

(١) قوله: «والفاعل ضميره» أو نائبه. فعلى قراءة من قرأ: «قاتل»، يكون الفاعل «ربيون»، أو «ضميراً» مستتراً فيه تقديره: «هو» يعود إلى «نبيّ»، وعلى قراءة من قرأ: «قُتِلَ» بالمبني للمجهول، يكون نائب الفاعل «ربيون»، أو «ضميراً» مستتراً فيه تقديره: «هو» يعود إلى «نبيّ».

والمؤلف رحمه الله أعرب «ربيون» مبتدأ مؤخراً، خبره مقدم عليه هو شبه الجملة: «معه»، فيكون بذلك قد اختار أن يكون الفاعل ضميراً مستتراً في «قاتل»، أو: نائبه ضميراً مستتراً في «قُتِلَ»، فيكون الفعل مسنداً إلى «نبي» فقط، وتقدير الكلام: «كم من نبي قاتل أعداءه أو قُتِلَ، كان معه جموع كثيرة، فما وهنوا في قتالهم معه، أو: بعد موت نبيهم».

ويصح إعراب «ربيون» فاعلاً لـ «قاتل»، أو نائب فاعل لـ «قُتِلَ»، وتعليقُ «معه» بالفعل المذكور، فيكون الفعل مسنداً إلى «ربيون» =

﴿وحسن ثواب الآخرة﴾ أي: الجنة، وحُسْنُهُ [هو]: التفضلُ فوق الاستحقاق ﴿والله يحب المحسنين﴾.

١٤٩ ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا﴾ فيما يأمرونكم به ﴿يردوكم﴾ إلى الكفر ﴿على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين﴾. ١٥٠ ﴿بل الله مولاكم﴾ ناصركم ﴿وهو خير الناصرين﴾ فأطيعوه دونهم.

١٥١ ﴿سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب﴾ بسكون العين وضمها: الخوف، وقد عزموا بعد ارتحالهم من أُحد، على العود واستئصال المسلمين، فَرَعِبُوا ولم يرجعوا ﴿بما أشركوا﴾ بسبب إشراكهم ﴿بالله ما لم ينزل به سلطاناً﴾ حُجَّةً على عبادته، وهو: الأصنام ﴿ومأواهم النار وبئس مثوى﴾ مأوى ﴿الظالمين﴾ الكافرين هي.

وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْآخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ

١٥٢ ﴿ولقد صدقكم الله وعده﴾ إياكم بالنصر ﴿إذ تحسونهم﴾ تقتلونهم ﴿بإذنه﴾ بإرادته ﴿حتى إذا فشلتم﴾ جبنتم عن القتال ﴿وتنازعتم﴾ اختلفتم ﴿في الأمر﴾ أي: أَمْرِ النبي ﷺ، بالمقام في سفح[1] الجبل للرمي، فقال بعضكم: نذهب فقد نُصر أصحابنا، و [قال] بعضكم: لا نخالف أمر النبي ﷺ ﴿وعصيتم﴾ أمره، فتركتم المركز لطلب الغنيمة ﴿من بعدما أراكم﴾ الله ﴿ما تحبون﴾ من النصر، وجواب «إذا» دل عليه ما قبله، أي: منعكم نصره ﴿منكم من يريد الدنيا﴾ فترك المركز للغنيمة ﴿ومنكم من يريد الآخرة﴾ فثبت به حتى قُتِلَ، كعبد الله بن جبير وأصحابه ﴿ثم صرفكم﴾ عطف على جواب «إذا» المقدَّر، [أي: «منعكم نَصْرَهُ، ثم صرفكم» أي:] ردَّكم للهزيمة ﴿عنهم﴾ أي: الكفار ﴿ليبتليكم﴾ ليمتحنكم، فيظهر المخلص من غيره، [فهربتم] ﴿ولقد عفا عنكم﴾ ما ارتكبتموه ﴿والله ذو فضل على المؤمنين﴾ بالعفو.

١٥٣ اذكروا ﴿إذ تصعدون﴾ تُبعدون في الأرض هاربين ﴿ولا تلوون﴾ تُعَرِّجُون ﴿على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم﴾ أي: من ورائكم يقول: «إليَّ عباد الله، إليَّ عباد الله» [رواه الطبري وابن المنذر عن ابن عباس، ورواه بعضهم عن الحسن البصري وقتادة السَّدوسي] ﴿فأثابكم﴾ فجازاكم ﴿غماً﴾ بالهزيمة ﴿بغم﴾ بسبب غمكم للرسول بالمخالفة، وقيل: الباء بمعنى «على»، أي: مضاعفاً على غَمِّ فوتِ الغنيمة ﴿لكيلا﴾ متعلق بـ «عفا» [في الآية السابقة]، أو بـ «أثابكم»، فـ «لا» زائدة ﴿تحزنوا على ما فاتكم﴾ من الغنيمة

= فقط كما ذكرنا، وعليه يكون معنى الآية: «لماذا ضعفتم أيها المسلمون، بسبب ما أصابكم يوم أُحد؟... فإن كثيراً من الأنبياء من قبل، كان يقاتل مع النبي منهم أصحابه، فيصابون فيصبرون ويثبتون، فكونوا مثلهم صابرين ثابتين».

(١) قوله: «في سفح الجبل للرمي»، إن موقع الرماة لم يكن في سفح جبل أُحُد كما هو شائع، بل كان على تلَّة صغيرة مشرفة على =

﴿ولا ما أصابكم﴾ من القتل والهزيمة ﴿والله خبير بما تعملون﴾. ١٥٤ ﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة﴾[1] أمناً ﴿نعاساً﴾ بدل ﴿يغشى﴾ بالياء والتاء ﴿طائفة منكم﴾ وهم المؤمنون، فكانوا يميدون تحت الحَجَف [بالفتح جمع «حَجَفة» وهي: الترس من جلد،] وتسقط السيوف منهم ﴿وطائفة قد أهمتهم أنفسهم﴾ أي: حملتهم على الهمِّ، فلا رغبة لهم إلاَّ نجاتُها، دون النبي وأصحابه، فلم يناموا، وهم المنافقون ﴿يظنون بالله﴾ ظناً ﴿غير﴾ الظن ﴿الحق ظن﴾ أي: كظن ﴿الجاهلية﴾ حيث اعتقدوا أن النبي قُتل، أو: لا يُنصر ﴿يقولون هل﴾ ما ﴿لنا من الأمر﴾ أي: النصر الذي وُعدناه ﴿من شيء قل﴾ لهم ﴿إن الأمر كلَّه﴾ بالنصب[2] توكيد، والرفعِ مبتدأ خبره ﴿لله﴾ أي: القضاء له يفعل ما يشاء ﴿يخفون في أنفسهم ما لا يبدون﴾ يظهرون ﴿لك يقولون﴾ بيان لما قبله ﴿لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا﴾ أي: لو كان الاختيار إلينا، لم نخرج فلم نقتل، لكن أخرجنا كَرهاً ﴿قل﴾ لهم ﴿لو كنتم في بيوتكم﴾ وفيكم من كتب الله عليه القتل ﴿لبرز﴾ خرج ﴿الذين كتب﴾ قضي ﴿عليهم القتل﴾ منكم ﴿إلى مضاجعهم﴾ مصارعهم فيقتلوا، ولم ينجهم قعودهم، لأن قضاءه تعالى كائن لا محالة ﴿و﴾ فَعل ما فَعل بأحد ﴿ليبتلي﴾ يختبر ﴿الله ما في صدوركم﴾ قلوبكم، من الإخلاص والنفاق ﴿وليمحص﴾ يميز ﴿ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور﴾ بما في القلوب، لا يخفى عليه شيء، وإنما يَبتلي ليُظهر [ما في قلوبكم] للناس.

١٥٥ ﴿إن الذين تولوا منكم﴾ عن القتال ﴿يوم التقى الجمعان﴾ جمع المسلمين وجمع الكفار بأحد، وهم المسلمون إلاَّ اثني عشر رجلاً ﴿إنما استزلهم﴾ أزلهم ﴿الشيطان﴾ بوسوسته ﴿ببعض ما كسبوا﴾ من الذنوب، وهو مخالفة أمر النبي ﴿ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور﴾ للمؤمنين ﴿حليم﴾ لا يُعجِّل على العصاة.

١٥٦ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا﴾ أي: المنافقين ﴿وقالوا لإخوانهم﴾ أي: في شأنهم ﴿إذا

وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْۗ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَاۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا

= أرض المعركة، وذلك أن النبي ﷺ أمر خمسين رجلاً من الرماة، بقيادة عبد الله بن جبير رضي الله عنه، بأن يثبتوا على تلك التلة، ليدفعوا خيل المشركين بالنَّبل، لئلا يأتوهم من ورائهم، كما تقدم في تفسير الآية (١٢١) ص ٨٣.

(١) قوله تعالى: ﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغم. .﴾ الآية، أخرج البخاري والترمذي والنسائي وابن حبان والبيهقي وغيرهم، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن أبا طلحة قال: غَشِيَنَا ــ أي: النعاس ــ ونحن في مصافِّنا يوم أحد. حدّث ــ أبو طلحة ــ أنه كان ممن غشيه النعاس يومئذٍ، قال: فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه، ويسقط وآخذه، فذلك قوله: ﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً يغشى طائفة منكم﴾ والطائفة الأخرى: هم المنافقون، ليس لهم همّ إلاَّ أنفسُهم، أجبن قوم وأرعبه، وأخذله للحق ﴿يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية﴾، كذَّبهم، إنما هم أهل شك وريبة في الله عزّ وجل.

(٢) أي: بنصب «كلّه» ورفعه، قراءتان سبعيتان.

﴿ضربوا﴾ سافروا ﴿في الأرض﴾ فماتوا ﴿أو كانوا غزًّى﴾ جمع «غازٍ»، فقتلوا ﴿لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا﴾ أي: لا تقولوا كقولهم ﴿ليجعل الله ذلك﴾ القول في عاقبة أمرهم ﴿حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت﴾ فلا يمنع عن الموت قعودٌ ﴿والله بما تعملون﴾ بالتاء والياء ﴿بصير﴾ فيجازيكم به.

١٥٧ ﴿ولئن﴾ لام قسم ﴿قتلتم في سبيل الله﴾ أي: الجهاد ﴿أو متم﴾ بضم الميم وكسرها، [فعلى الضم] من «مات يموت»، و [على الكسر من «مات] يَمَاتُ» [كـ «خاف يخاف»] أي: أتاكم الموت فيه ﴿لمغفرة﴾ كائنة ﴿من الله﴾ لذنوبكم ﴿ورحمة﴾ منه لكم على ذلك، واللام ومدخولها، [أي: «المغفرة من الله ورحمة»]، جوابُ القسم، وهو: [أي: «المغفرة»] في موضع الفعل، [تقديره: لئن قتلتم ليغفرن الله لكم ويرحمكم، وهو] مبتدأ خبره: ﴿خير مما تجمعون﴾ من الدنيا، بالتاء والياء.

سُورَةُ آلِ عِمۡرَانَ ٣

ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمۡ أَوۡ قُتِلۡتُمۡ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ

١٥٨ ﴿ولئن﴾ لام قسم ﴿متم﴾ بالوجهين، [أي: بضم الميم وكسرها] ﴿أو قتلتم﴾ في الجهاد وغيره ﴿لإلى الله﴾ لا إلى غيره ﴿تحشرون﴾ في الآخرة، فيجازيكم.

١٥٩ ﴿فبما﴾ «ما» زائدة ﴿رحمة من الله لنت﴾ يا محمد ﴿لهم﴾ أي: سهلت أخلاقك إذ خالفوك ﴿ولو كنت فظاً﴾ سيِّىء الخُلُق ﴿غليظ القلب﴾ جافياً، فأغلظت لهم ﴿لانفضوا﴾ تفرقوا ﴿من حولك فاعف﴾ تجاوز ﴿عنهم﴾ ما أتوه ﴿واستغفر لهم﴾ ذنبهم حتى أغفر لهم ﴿وشاورهم﴾ استخرج آراءهم ﴿في الأمر﴾ أي: شأنك، من الحرب وغيره، تطييباً لقلوبهم، وليُسْتَنَّ بك، وكان ﷺ كثيرَ المشاورة لهم ﴿فإذا عزمت﴾ على إمضاء ما تريد بعد المشاورة ﴿فتوكل على الله﴾ ثق به بعد المشاورة ﴿إن الله يحب المتوكلين﴾ عليه.

١٦٠ ﴿إن ينصركم الله﴾ يعنكم على عدوكم، كيوم بدر ﴿فلا غالب لكم وإن يخذلكم﴾ يترك نصركم، كيوم أُحد ﴿فمن ذا الذي ينصركم من بعده﴾ أي: بعد خذلانه، أي: لا ناصر لكم ﴿وعلى الله﴾ لا غيره ﴿فليتوكل﴾ ليثق ﴿المؤمنون﴾.

١٦١ ونزل لما فُقدت قطيفة حمراء[1] يوم بدر، فقال بعض الناس: لعل النبي أخذها: ﴿وما كان﴾ ما ينبغي ﴿لنبي أن يَغُلّ﴾ يخون في الغنيمة، فلا تظنوا به ذلك، وفي قراءة بالبناء للمفعول، أي: يُنسب إلى الغلول ﴿ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة﴾ حاملاً له على عنقه ﴿ثم توفَّى كل نفس﴾ الغالُّ وغيره، جزاءَ ﴿ما كسبت﴾ عملت ﴿وهم

(١) قوله: «ونزل لما فقدت قطيفة حمراء»، أخرج سبب النزول هذا، الترمذي ــ وحسّنه ــ وابن جرير الطبري وغيرهما، عن ابن عباس رضي الله عنهما، و «القَطِيفة» على وزن «الصَّحيفة» هي: دثارٌ مُخْمَلٌ.

لا يظلمون﴾ شيئاً. ١٦٢ ﴿أفمن اتبع رضوان الله﴾ فأطاع ولم يَغُل ﴿كمن باء﴾ رجع ﴿بسخط من الله﴾ لمعصيته وغلوله ﴿ومأواه جهنم وبئس المصير﴾ المرجع هي؟، لا.

١٦٣ ﴿هم درجات﴾ أي: أصحاب درجات ﴿عند الله﴾ أي: مختلفو المنازل، فلمن اتبع رضوانه الثواب، ولمن باء بسخطه العقاب ﴿والله بصير بما يعملون﴾ فيجازيهم به.

١٦٤ ﴿لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم﴾ أي: عربياً مثلهم، ليفهموا عنه ويَشْرُفُوا به، لا مَلَكاً، ولا عجمياً ﴿يتلو عليهم آياته﴾ القرآن ﴿ويزكيهم﴾ يطهرهم من الذنوب ﴿ويعلمهم الكتاب﴾ القرآن ﴿والحكمة﴾ السُّنة ﴿وإنْ﴾ مخففة أي: إنهم ﴿كانوا من قبل﴾ أي: قبل بعثه ﴿لفي ضلال مبين﴾ بيّن.

الجزء الرابع

لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ

٩٠

١٦٥ ﴿أولما أصابتكم مصيبة﴾ بأُحد، بقتل سبعين منكم ﴿قد أصبتم مثليها﴾ ببدر، بقتل سبعين، وأسر سبعين منهم ﴿قلتم﴾ متعجبين ﴿أنى﴾ من أين لنا ﴿هذا﴾ الخذلان ونحن مسلمون ورسول الله فينا؟ والجملة الأخيرة [أي: قولهم: «أنى هذا»، هي] محل الاستفهام الإنكاري، ﴿قل﴾ لهم ﴿هو من عند أنفسكم﴾ لأنكم تركتم المركز[1] فخذلتم ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ ومنه النصر ومنعُه، وقد جازاكم بخلافكم، [أي: بسبب مخالفتكم أمر النبي ﷺ بالبقاء خلف المسلمين].

١٦٦ ﴿وما أصابكم يوم التقى الجمعان﴾ بأُحُد ﴿فبإذن الله﴾ بإرادته ﴿وليعلم﴾ اللهُ علمَ ظهور ﴿المؤمنين﴾ حقاً، [أي: لِيَظْهَرَ ما علمه من صدق إيمانهم].

١٦٧ ﴿وليعلم الذين نافقوا و﴾ الذين ﴿قيل لهم﴾ لما انصرفوا عن القتال، وهم: عبد الله بن أُبَيّ وأصحابه ﴿تعالوا قاتلوا في سبيل الله﴾ أعداءه ﴿أو ادفعوا﴾ عنّا القوم، بتكثير سوادكم إن لم تقاتلوا ﴿قالوا لو نعلم﴾ نحسن ﴿قتالاً لاتبعناكم﴾ قال تعالى تكذيباً لهم: ﴿هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان﴾ بما أظهروا من خذلانهم للمؤمنين، وكانوا قبلُ أقرب إلى الإيمان من حيث الظاهر ﴿يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم﴾ ولو علموا قتالاً لم يتبعوكم.

---

(١) قوله: «تركتم المركز»، أي: حيث أمر النبي ﷺ جماعة من الرماة بالبقاء، بقيادة «عبد الله بن جبير» رضي الله عنه، على تلة مشرفة على أرض المعركة يوم أُحُد، لحماية المسلمين من خلفهم، كما تقدم ص ٨٧.

﴿والله أعلم بما يكتمون﴾ من النفاق. ١٦٨ ﴿الذين﴾ بدل من «الذين» قبله، أو: نعت ﴿قالوا لإخوانهم﴾ في الدين ﴿و﴾ قد ﴿قعدوا﴾ عن الجهاد ﴿لو أطاعونا﴾ ــ أي: شهداء أحد، أو إخواننا ــ في القعود ﴿ما قُتلوا قل﴾ لهم ﴿فادرؤوا﴾ ادفعوا ﴿عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين﴾ في أن القعود ينجي منه. ١٦٩ ونزل في الشهداء: [أي: شهداء أُحُد، قالوا: من يبلِّغ إخواننا، أنا أحياء في الجنة نُرْزَق، لئلا يَنْكُلُوا عن الحرب، ولا يزهدوا في الجهاد؟، فقال الله تعالى: «أنا أبلِّغهم عنكم»، كما في حديث رواه أبو داود وأحمد] ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿في سبيل الله﴾ أي: لأجل دينه ﴿أمواتاً بل﴾ هم ﴿أحياء عند ربهم﴾ «أرواحهم في حواصل طيور خضر، تسرح في الجنة حيث شاءت»، كما ورد في الحديث [الذي رواه مسلم والبيهقي وغيرهما] ﴿يرزقون﴾ يأكلون من ثمار الجنة. ١٧٠ ﴿فرحين﴾ حال من ضمير «يرزقون» ﴿بما آتاهم الله من فضله و﴾ هم ﴿يستبشرون﴾ يفرحون ﴿بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم﴾ من إخوانهم المؤمنين، ويبدل من «الذين»: ﴿أ﴾ن أي: بأن ﴿لا خوف عليهم﴾ أي: الذين لم يلحقوا بهم ﴿ولا هم يحزنون﴾ في الآخرة، المعنى: يفرحون بأمنهم وفرحهم. ١٧١ ﴿يستبشرون بنعمة﴾ ثواب ﴿من الله وفضل﴾ زيادةٍ عليه ﴿وأن﴾ بالفتح عطفاً على «نعمة»، والكسر استئنافاً ﴿الله لا يضيع أجر المؤمنين﴾ بل يأجرهم. ١٧٢ ﴿الذين﴾ مبتدأ ﴿استجابوا لله والرسول﴾[1] دعاءه، بالخروج للقتال، لمّا أراد أبو سفيان وأصحابه العَوْدَ، وتواعدوا مع النبي ﷺ وأصحابه سوق بدر العام المقبل من يوم أحد ﴿من بعد ما أصابهم القرح﴾ بأحد، وخبر المبتدأ: ﴿للذين أحسنوا منهم﴾ بطاعته ﴿واتقوا﴾ مخالفته ﴿أجر عظيم﴾ هو: الجنة. ١٧٣ ﴿الذين﴾ بدل من «الذين» قبله أو: نعت ﴿قال لهم الناس﴾ أي: نعيمُ بن مسعود الأشجعي، [وقد أرسله أبو سفيان، ليثبط المسلمين وهم يستعدون للخروج للقاء المشركين في موسم بدر] ﴿إن الناس﴾ أبا سفيان وأصحابه ﴿قد جمعوا لكم﴾ الجموع ليستأصلوكم، [إن خرجتم للقائهم] ﴿فاخشوهم﴾ ولا تأتوهم ﴿فزادهم﴾ ذلك القول ﴿إيماناً﴾ تصديقاً بالله ويقيناً ﴿وقالوا حسبنا الله﴾ هو كافينا أمرهم ﴿ونعم الوكيل﴾ المفوض إليه الأمرُ هو، وخرجوا مع النبي ﷺ فوافَوا سوق بدر، وألقى الله الرعب في قلب أبي سفيان وأصحابه، فلم يأتوا، وكان معهم تجارات، فباعوا وربحوا، قال تعالى:

١٧٤ ﴿فانقلبوا﴾ رجعوا من بدر ﴿بنعمة من الله وفضل﴾ بسلامة وربح ﴿لم يمسسهم سوء﴾ من قتل أو جرح ﴿واتبعوا

وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ

حزب ٨

(١) قوله تعالى: ﴿الذين استجابوا لله والرسول..﴾ الآية، ما ذكره الجلال السيوطي، هو قول مجاهد وعكرمة، قال القرطبي: وقد شذَّ في =

رضوان الله﴾ بطاعته وطاعة رسوله في الخروج ﴿والله ذو فضل عظيم﴾ على أهل طاعته. ١٧٥ ﴿إنما ذلكم﴾ أي: القائل لكم: إن الناس إلخ ﴿الشيطان يخوف﴾كم ﴿أولياءه﴾ الكفار ﴿فلا تخافوهم وخافون﴾ في ترك أمري ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ حقاً. ١٧٦ ﴿ولا يُحْزِنك﴾ بضم الياء وكسر الزاي [مِنْ: «أحزنه»]، وبفتحها وضم الزاي من «حزنه»، [وهي] لغة في «أحزنه» ﴿الذين يسارعون في الكفر﴾ يقعون فيه سريعاً بنصرته، وهم أهل مكة، أو: المنافقون، أي: لا تهتم لكفرهم ﴿إنهم لن يضروا الله شيئاً﴾ بفعلهم، وإنما يضرون أنفسهم ﴿يريد الله ألا يجعل لهم حظاً﴾ نصيباً ﴿في الآخرة﴾ أي: الجنة، فلذلك خذلهم ﴿ولهم عذاب عظيم﴾ في النار. ١٧٧ ﴿إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان﴾ أي: أخذوه بدله ﴿لن يضروا الله﴾ بكفرهم ﴿شيئاً ولهم عذاب أليم﴾ مؤلم. ١٧٨ ﴿ولا يحسبن﴾ بالياء والتاء ﴿الذين كفروا أنما نملي﴾ أي: إملاءنا ﴿لهم﴾ بتطويل الأعمار وتأخيرهم ﴿خير لأنفسهم﴾ و «أنَّ» ومعمولاها، [أي: واسمها وخبرها]، سدَّت مسدَّ المفعولين في قراءة التحتانية، [وتقدير الكلام: «ولا يحسبنَّ الكافرون إملاءنا لهم خيراً لأنفسهم»]، و [سدَّت] مسدَّ [المفعول] الثاني في [القراءة] الأخرى، [فيكون الفاعل ضميراً مستتراً، و «الذين» هو المفعول الأول، والجملة من «أن» واسمها وخبرها، في محل نصب المفعول الثاني لـ «تحسبنَّ»] ﴿إنما نملي﴾ نمهل ﴿لهم ليزدادوا إثماً﴾ بكثرة المعاصي ﴿ولهم عذاب مهين﴾ ذو إهانة في الآخرة. ١٧٩ ﴿ما كان الله ليذر﴾ ليترك ﴿المؤمنين على ما أنتم﴾ أيها الناس ﴿عليه﴾ من اختلاط المخلص بغيره ﴿حتى يميز﴾ بالتخفيف والتشديد: يفصل ﴿الخبيث﴾ المنافق ﴿من الطيب﴾ المؤمن، بالتكاليف الشاقة المبينة لذلك، ففعل ذلك يوم أحد ﴿وما كان الله ليطلعكم على الغيب﴾ فتعرفوا المنافق من غيره قبل التمييز ﴿ولكن الله يجتبي﴾ يختار ﴿من رسله من يشاء﴾ فيطلعه على غيبه، كما أطلع النبي ﷺ على حال المنافقين ﴿فآمنوا بالله ورسله وإن تؤمنوا وتتقوا﴾ النفاق ﴿فلكم أجر عظيم﴾.

رِضْوَانَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾

= قولهما هذا، وقال ابن إسحاق والواقدي: إنها نزلت ثناء على المسلمين الذين شهدوا مع رسول الله ﷺ معركة أحد، ثم خرجوا معه في اليوم التالي ليوم أحد، لطلب عدوهم على ما بهم من ألم وجراح، فساروا ثمانية أميال من المدينة، وكانوا ستمائة وثلاثين رجلاً، حتى بلغوا موضعاً يقال له: «حمراء الأسد»، فأقاموا به بضعة أيام، ثم رجعوا إلى المدينة من غير أن يلقوا عدوهم، فعُرفت هذه بغزوة «حمراء الأسد»، وكانت جبراً لخللهم يوم أحد، عندما خالفوا أمر النبي ﷺ وتفرقوا عنه، قال القرطبي: هذا تفسير الجمهور لهذه الآية، وقيل: هم سبعون رجلاً، انتدبهم النبي ﷺ ليذهبوا في أثر كفار مكة، مخافة أن يرجعوا.

١٨٠ ﴿ولا يحسبن﴾[1] بالياء والتاء ﴿الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله﴾ أي: بزكاته ﴿هو﴾ أي: بخلهم ﴿خيراً لهم﴾ مفعول ثان، والضمير للفصل [لا محل له من الإعراب]، و [المفعول] الأول: «بُخْلهم» مقدراً قبل الموصول، على الفوقانية، [فيكون التقدير: ولا تحسبنّ بخلَ الباخلين خيراً لهم]، و [مقدَّراً] قبل الضمير على التحتانية [أي: ولا يحسبن الباخلون بخلَهم خيراً لهم] ﴿بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به﴾ أي: بزكاته من المال ﴿يوم القيامة﴾ بأن يُجْعَلَ حية في عنقه تنهشه، كما ورد في الحديث[2] ﴿ولله ميراث السماوات والأرض﴾ يرثهما بعد فناء أهلهما ﴿والله بما تعملون﴾ بالتاء والياء ﴿خبير﴾ فيجازيكم به. ١٨١ ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء﴾ وهم اليهود، قالوه لما نزل [قوله تعالى]: «من ذا الذي يُقرض الله قرضاً حسناً» وقالوا: لو كان غنياً ما استقرضنا ﴿سنكتب﴾ نأمر بكتب ﴿ما قالوا﴾ في صحائف أعمالهم ليجازوا عليه، وفي قراءة بالياء مبنياً للمفعول ﴿و﴾ نكتب ﴿قتلهم﴾ بالنصب [على القراءة الأولى]، والرفع [على قراءة الياء] ﴿الأنبياء بغير حق ونقول﴾ بالنون والياء، أي: [يقول] الله لهم في الآخرة على لسان الملائكة ﴿ذوقوا عذاب الحريق﴾ النار. ١٨٢ ويقال لهم إذا أُلقوا فيها: ﴿ذلك﴾ العذاب ﴿بما قدمت أيديكم﴾ عَبَّرَ بها [أي: بالأيدي]، عن الإنسان [كله، ولم يقل: «قدمتم»]، لأن أكثر الأفعال تُزاول بها ﴿وأن الله ليس بظلام﴾ أي: بذي ظلم ﴿للعبيد﴾ فيعذبهم بغير ذنب. ١٨٣ ﴿الذين﴾ نعت لـ «الذين» قبله ﴿قالوا﴾ لمحمد ﴿إن الله﴾ قد ﴿عهد إلينا﴾ في التوراة ﴿ألا نؤمن لرسول﴾ [أن لا] نصدقه ﴿حتى يأتينا بقربان تأكله النار﴾ فلا نؤمن لك حتى تأتينا به، وهو ما يُتقرب به إلى الله، من نَعَم وغيرها، فإن قُبِلَ جاءت نار بيضاء من السماء فأحرقته، وإلاّ بقيَ مكانه، وعُهِدَ إلى بني إسرائيل ذلك، إلاّ في المسيح ومحمد، قال تعالى ﴿قل﴾ لهم توبيخاً ﴿قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات﴾ بالمعجزات ﴿وبالذي قلتم﴾ كزكريا ويحيى، فقتلتموهم، والخطاب لمن في زمن نبيِّنا محمد ﷺ، وإن كان الفعل لأجدادهم، لرضاهم به ﴿فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين﴾ في أنكم تؤمنون عند الإتيان به؟. ١٨٤ ﴿فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤوا بالبينات﴾ المعجزات ﴿والزبر﴾ كصحف إبراهيم ﴿والكتاب﴾ وفي قراءة بإثبات الباء فيهما، [أي: «وبالزبر وبالكتاب»] ﴿المنير﴾ الواضح، هو: التوراة والإنجيل، فاصبر كما صبروا.

وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾

---

(١) قوله تعالى: ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون﴾ ارجع إلى تعليقنا حول «البخل» ص ٧٢٣.

(٢) قوله: «كما ورد في الحديث» أي: الذي رواه البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من آتاه =

١٨٥ ﴿كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم﴾ جزاء أعمالكم ﴿يوم القيامة فمن زحزح﴾ بُعِّدَ ﴿عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾ نال غاية مطلوبه، [فقد أخرج الترمذي والحاكم وصَحَّحاه، وابن حبان وغيرهم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن موضع سَوْطِ أحدكم في الجنة، خير من الدنيا وما فيها، اقرؤوا إن شئتم: فمن زُحزح عن النار وأُدخل الجنةَ فقد فاز»] ﴿وما الحياة الدنيا﴾ أي: العيش فيها ﴿إلاّ متاع الغرور﴾ الباطل [الخادع الذي لا يدوم، بل] يُتَمَتَّع به قليلاً ثم يفنى. ١٨٦ ﴿لتبلون﴾[1] حذف منه نون الرفع لتوالي النونان، و [حذفت] الواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين: لتُختَبَرُنَّ ﴿في أموالكم﴾ بالفرائض فيها، [كفريضة الزكاة] والجوائح [التي تجتاحها، كالسيول والعواصف والقحط وغيرها] ﴿وأنفسكم﴾ بالعبادات [التي تكلّفون بها]، والبلاء [الذي يصيبكم] ﴿ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ اليهود والنصارى ﴿ومن الذين أشركوا﴾ من العرب ﴿أذىً كثيراً﴾ من السب والطعن والتشبيب بنسائكم [وغير ذلك] ﴿وإن تصبروا﴾ على ذلك ﴿وتتقوا﴾ الله ﴿فإن ذلك من عزم الأمور﴾ أي: من معزوماتها التي يُعزم عليها لوجوبها. ١٨٧ ﴿و﴾ اذكر ﴿إذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب﴾ أي: العهد عليهم في التوراة ﴿ليبيننه﴾ أي: الكتاب ﴿للناس ولا يكتمونه﴾ أي: الكتاب، بالياء والتاء بالفعلين ﴿فنبذوه﴾ طرحوا الميثاق ﴿وراء ظهورهم﴾ فلم يعملوا به ﴿واشتروا به﴾ أخذوا بدله ﴿ثمناً قليلاً﴾ من الدنيا من سفلتهم، برياستهم في العلم، فكتموه خوف فوته عليهم ﴿فبئس ما يشترون﴾ [أي: بئس الشراءُ] شراؤهم هذا. ١٨٨ ﴿لا تحسبن﴾ بالتاء والياء ﴿الذين يفرحون بما أتوا﴾ فعلوا في إضلال الناس ﴿ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا﴾ من التمسك بالحق وهم على ضلال ﴿فلا تحسبنهم﴾ بالوجهين [أي: بالتاء وبالياء]، تأكيد ﴿بمفازة﴾ بمكان ينجون فيه ﴿من العذاب﴾ في الآخرة، بل هم في مكان يعذبون فيه وهو: جهنم ﴿ولهم عذاب أليم﴾ مؤلم فيها، ومفعولاً «تحسب» الأولى، دل عليهما مفعولاً [«تحسب»] الثانية على قراءة التحتانية، وعلى الفوقانية حُذِفَ [المفعول] الثاني فقط، [وتقديره: «فلا تحسبنَّهم ناجين»].

كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ

ربع الحزب

١٨٩ ﴿ولله ملك السماوات والأرض﴾ خزائن المطر والرزق والنبات وغيرها ﴿والله على كل شيء

= الله مالاً فلم يؤدِّ زكاته، مُثِّلَ له ماله شجاعاً ـ أي: حية ـ أقرع له زبيبتان يطوّقه يوم القيامة، يأخذ بِلِهْزِمَتَيْه ـ يعني: بشدقيه وهما: جانبا فمه ـ يقول: أنا مالك... أنا كنزك» ثم تلا النبي ﷺ هذه الآية.

(١) قوله تعالى: ﴿لتبلونّ﴾ إلخ... أصل الفعل «تُبْلَوُونَ» الواو الأولى هي: لام الفعل «بَلَوَ» والواو الثانية هي: «واو الجماعة»، أضيف =

قديرٌ﴾ ومنه تعذيب الكافرين وإنجاء المؤمنين. ١٩٠ ﴿إن في خلق السماوات والأرض﴾ وما فيهما من العجائب ﴿واختلاف الليل والنهار﴾ بالمجيء والذهاب، والزيادة والنقصان ﴿لآيات﴾ دلالات على قدرته تعالى ﴿لأولي الألباب﴾ لذوي العقول. ١٩١ ﴿الذين﴾ نعت لما قبله، أو: بدل ﴿يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم﴾ مضطجعين أي: في كل حال، وعن ابن عباس: يصلُّون كذلك[1] حسب الطاقة ﴿ويتفكرون في خلق السماوات والأرض﴾ ليستدلوا به على قدرة صانعهما، يقولون: ﴿ربنا ما خلقت هذا﴾ الخلق الذي نراه ﴿باطلاً﴾ حال [أي:] عبثاً، بل [خلقته] دليلاً على كمال قدرتك ﴿سبحانك﴾ تنزيهاً لك عن العبث ﴿فقنا عذاب النار﴾. ١٩٢ ﴿ربنا إنك من تدخل النار﴾ للخلود فيها ﴿فقد أخزيته﴾ أهنته ﴿وما للظالمين﴾ [أي:] الكافرين، فيه وضعُ الظاهر موضع المضمر، [حيث قال: «وما للظالمين» ولم يقل: «وما لهم»]، إشعاراً بتخصيص الخزي بهم ﴿من﴾ زائدة [للتوكيد] ﴿أنصار﴾ يمنعونهم من عذاب الله تعالى. ١٩٣ ﴿ربما إننا سمعنا منادياً ينادي﴾ يدعو الناس ﴿للإيمان﴾ أي: إليه، وهو محمد [ﷺ]، أو القرآن ﴿أن﴾ أي: بأن ﴿آمنوا بربكم فآمنا﴾ به ﴿ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر﴾ غطِّ ﴿عنا سيآتنا﴾ فلا تُظهرها بالعقاب عليها ﴿وتوفنا﴾ اقبض أرواحنا ﴿مع﴾ في جملة ﴿الأبرار﴾ الأنبياء والصالحين.

١٩٤ ﴿ربنا وآتنا﴾ أعطنا ﴿ما وعدتنا﴾ به ﴿على﴾ ألسنة ﴿رسلك﴾ من الرحمة والفضل، وسؤالهم ذلك ـ وإن كان وعدُه تعالى لا يُخلَفُ ـ سؤالُ أن يجعلهم من مستحقيه، لأنهم لم يتيقنوا استحقاقهم له، وتكرير «ربَّنا» مبالغة في التضرُّع ﴿ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد﴾ الوعد بالبعث والجزاء.

١٩٥ ﴿فاستجاب لهم ربهم﴾ دعاءهم ﴿أني﴾ أي: بأني ﴿لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم﴾ كائن ﴿من بعض﴾ أي: الذكور من الإناث وبالعكس، والجملة مؤكِّدة لما قبلها، أي: هم سواء في المجازاة بالأعمال وترك تضييعها، نزلت لما قالت أم سلمة: [ـ وهي: أم المؤمنين هند بنت حذيفة بن المغيرة المخزومية رضي الله عنها ـ] يا رسول الله إني لا أسمع ذكر النساء في الهجرة بشيء ﴿فالذين هاجروا﴾ من مكة إلى المدينة ﴿وأخرجوا من ديارهم وأوذوا

سُورَةُ آل عِمرَان ٣

قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُولِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟

= إليه نون التوكيد فصار «تبلوونَّ». فحذفت «نون الرفع» لتوالي النونات، وحذفت «الواو» ضمير الجمع لالتقاء الساكنين، فصار «لتبلونَّ».

(١) قوله: «يصلون كذلك» فيه إشارة إلى صلاة المريض، فقد روى البخاري في صحيحه، عن عمران بن حُصَين رضي الله عنه قال: كانت بي بواسير، فسألت النبي ﷺ عن الصلاة فقال: «صلِّ قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جَنْبٍ».

في سبيلي﴾ ديني ﴿وقاتلوا﴾ الكفار ﴿وقُتلوا﴾ بالتخفيف والتشديد، وفي قراءة بتقديمه ﴿لأكفِّرن عنهم سيئاتهم﴾ أسترها بالمغفرة ﴿ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً﴾ مصدر من معنى: «لأكفرن» مؤكِّد له ﴿من عند الله﴾ فيه التفات عن التكلم ﴿والله عنده حسن الثواب﴾ الجزاء. ١٩٦ ونزل لما قال المسلمون: أعداءُ الله فيما نرى من الخير، ونحن في الجَهْد: ﴿لا يغرنك تقلب الذين كفروا﴾ تَصَرُّفهم ﴿في البلاد﴾ بالتجارة والكسب، [فإن الدنيا لا تدوم]. ١٩٧ هو ﴿متاع قليل﴾ يتمتعون به يسيراً في الدنيا ويفنى ﴿ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد﴾ الفراش هي. ١٩٨﴿لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين﴾ أي: مقدَّرين الخلود ﴿فيها﴾ [عندما يدخلونها] ﴿نزلاً﴾ وهو ما يُعَدُّ للضيف، ونصبه على الحال من «جنات»، والعامل فيها معنى الظرف: ﴿من عند الله﴾ [تقديره: «نزلاً عند الله»] ﴿وما عند الله﴾ من الثواب ﴿خير للأبرار﴾ من متاع الدنيا. ١٩٩﴿وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه، والنجاشي[1]، [آمنوا بالله] ﴿وما أنزل إليكم﴾ أي: القرآن ﴿وما أنزل إليهم﴾ أي: التوراة والإنجيل ﴿خاشعين﴾ حال من ضمير «يؤمن»، مراعىً فيه معنى «مَنْ»، أي: متواضعين ﴿لله لا يشترون بآيات الله﴾ التي عندهم في التوراة والإنجيل من بعث النبي ﴿ثمناً قليلاً﴾ من الدنيا بأن يكتموها خوفاً على الرياسة كفعل غيرهم من اليهود ﴿أولئك لهم أجرهم﴾ ثواب أعمالهم ﴿عند ربهم﴾ يؤتونه مرتين كما في [الآيات ٥٠ حتى ٥٥ من سورة] «القصص» ﴿إن الله سريع الحساب﴾ يحاسب الخلق في قدر نصف نهار [مقدارُه خمسون ألف سنة، لحديث بذلك، رواه ابن حبان في صحيحه، وليس] من أيام الدنيا[2]. ٢٠٠﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا﴾ على الطاعات [وفي القتال]، والمصائب، وعن المعاصي ﴿وصابروا﴾ الكفار فلا يكونوا أشد صبراً منكم [فإن النصر مع الصبر] ﴿ورابطوا﴾ أقيموا على الجهاد ﴿واتقوا الله﴾ في جميع أحوالكم ﴿لعلكم تفلحون﴾ تفوزون بالجنة وتنجون من النار.

فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

(١) قوله: «والنجاشي». روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه «أن النبي ﷺ كتب إلى كسرى، وإلى قيصر، وإلى النجاشي، وإلى كل جبار، يدعوهم إلى الله، وليس بالنجاشي الذي صلّى عليه رسول الله ﷺ»، فيُعْلَم من هذا أنه قد مَلَكَ الحبشة في حياة النبي ﷺ ملكان أولهما: «أَصْحَمَة» الذي هاجر إليه جماعات من المسلمين سنة خمس من النبوة، فرفض تسليمهم إلى أهل مكة وأمَّنهم، ثم أسلم، وقد نعاه النبي ﷺ يوم توفي، وصلّى عليه في المدينة منصرفَهُ من «تبوك»، في شهر رجب من السنة التاسعة للهجرة، ثم بعد وفاته تولى مكانه ملك آخر، فكتب إليه رسول الله ﷺ يدعوه إلى الإسلام، ولم يُعْلَم جوابه، والظاهر أنه لم يُسلم. ارجع إلى ترجمة «عبد الله بن سلام» ص ٣٢٧.

(٢) قوله: «من أيام الدنيا» هذا سهو من الجلال السيوطي رحمه الله، والصحيح ما صوبناه في التفسير وما بيناه في تعليقنا ص ٣٣٧ فارجع إليه.

﴿ سُورَةُ النِّسَاءِ ﴾

(مدنية: مائة وخمس، أو: ست، أو: سبع وسبعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١﴿يا أيها الناس﴾ أي: أهل مكة [وغيرها] ﴿اتقوا ربكم﴾ أي: عقابه بأن تطيعوه ﴿الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ آدم ﴿وخلق منها زوجها﴾ حواء بالمد، [خلقها] من ضِلَع من أضلاعه، [أي: أضلاع آدم] اليسرى ﴿وبث﴾ فرّق ونشر ﴿منهما﴾ من آدم وحواء[1] ﴿رجالاً كثيراً ونساء﴾ كثيرة ﴿واتقوا الله الذي تسّاءلون﴾ [بتشديد السين]، فيه إدغام التاء في الأصل في السين، وفي قراءة بالتخفيف بحذفها، أي: تتساءلون ﴿به﴾ فيما بينكم، حيث يقول بعضكم لبعض: «أسألك بالله»، و «أَنْشُدُكَ بالله» ﴿و﴾ اتقوا ﴿الأرحام﴾ أن تقطعوها، وفي قراءة: بالجر عطفاً على الضمير في «به»، وكانوا يتناشدون بالرحم ﴿إن الله كان عليكم رقيباً﴾ حافظاً لأعمالكم، فيجازيكم بها، أي: لم يزل متصفاً بذلك. ٢ ونزل في يتيم، طَلَبَ من وليه ماله فمنعه، [والولي: رجل من غطفان، كان عنده مال كثير لابن أخ له يتيم، فترافعا إلى النبي ﷺ]: ﴿وآتوا اليتامى﴾ الصغار الأُلى لا أب لهم ﴿أموالهم﴾ إذا بلغوا ﴿ولا تتبدلوا الخبيث﴾ الحرام ﴿بالطيب﴾ الحلال: أي [لا] تأخذوه بدله، كما تفعلون من أخذ الجيد من مال اليتيم، وجعل الرديء من مالكم مكانه ﴿ولا تأكلوا أموالهم﴾ مضمومة ﴿إلى أموالكم إنه﴾ أي: أكلها ﴿كان حوباً﴾ ذنباً ﴿كبيراً﴾ عظيماً، ولما نزلت تحرَّجوا من ولاية اليتامى، وكان فيهم مَنْ تحته العشر، أو: الثمان من الأزواج، فلا يَعْدِلُ بينهن، فنزل [في بيان العدد المباح جمعهن من الزوجات، وفي وجوب العدل بينهن، مثلما تجب المحافظة على مال اليتامى]. ٣﴿وإن خفتم أ﴾ن ﴿لا تقسطوا﴾ تَعْدِلوا ﴿في اليتامى﴾ فتحرَّجتم من أمرهم، فخافوا أيضاً أن لا تعدلوا بين النساء إذا نكحتموهن ﴿فانكحوا﴾ تَزَوَّجوا ﴿ما﴾ بمعنى «مَنْ» ﴿طاب لكم من النساء[2] مثنى وثلاث ورباع﴾ أي: اثنتين اثنتين، وثلاثاً ثلاثاً، وأربعاً أربعاً، ولا تزيدوا على ذلك ﴿فإن خفتم أ﴾ن ﴿لا تعدلوا﴾ فيهن بالنفقة والقَسْم ﴿فواحدة﴾ انكحُوها ﴿أو﴾ اقتصروا على ﴿ما ملكت

(٤) سُورَةُ النِّسَاءِ مَدَنِيَّة
وآياتها ستٌّ وسبعون ومائة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ

نصف الحزب

(١) قوله: «من آدم وحواء»، ارجع إلى تعليقنا حول آدم عليه السّلام ص ٤١٧، و «حواء» عليها السّلام ص ٥٣٣.

(٢) قوله تعالى: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾، ارجع إلى تعليقنا حول «تعدد الزوجات والعدل بينهن» ص ١٢٤.

أيمانكم﴾ من الإماء، إذ ليس لهن من الحقوق ما للزوجات ﴿ذلك﴾ أي: نكاح الأربع فقط، أو الواحدة، أو التسرّي [بملك اليمين] ﴿أدنى﴾ أقرب إلى ﴿ألا تعولوا﴾ تجوروا.

٤ ﴿وآتوا﴾ أعطوا ﴿النساء صدقاتهن﴾ جمع «صَدُقَة»، [أي:] «مهورهن» ﴿نحلة﴾ مصدر: [أي:] عطية عن طيب نفس ﴿فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً﴾ تمييز محول عن الفاعل، أي: طابت أنفسهن لكم عن شيء من الصداق، فوهبنه لكم ﴿فكلوه هنيئاً﴾ طيباً ﴿مريئاً﴾ محمود العاقبة، لا ضرر فيه عليكم في الآخرة، نزلت رداً على من كره ذلك.

أَيْمَـٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ

٥ ﴿ولا تؤتوا﴾ أيها الأولياء ﴿السفهاء﴾ [أي:] المبذّرين من الرجال والنساء والصبيان ﴿أموالكم﴾ أي: أموالهم التي في أيديكم ﴿التي جعل الله لكم قياماً﴾ مصدر «قام»، أي: تقوم بمعاشكم وصلاح أوَدِكم، فيضيعوها في غير وجهها، وفي قراءة: «قِيَماً»، جمع «قيمة»، ما تُقَوَّم به الأمتعة ﴿وارزقوهم فيها﴾ أطعموهم منها ﴿واكسوهم وقولوا لهم قولاً معروفاً﴾ عِدُوهم عِدَةً جميلة، بإعطائهم أموالهم إذا رَشَدُوا.

٦ ﴿وابتلوا﴾ اختبروا ﴿اليتامى﴾ قبل البلوغ، في دينهم، وتصرفهم في أحوالهم ﴿حتى إذا بلغوا النكاح﴾ أي: صاروا أهلاً له بالاحتلام، أو السن، وهو: استكمال خمس عشرة سنة [قمرية]، عند الشافعي ﴿فإن آنستم﴾ أبصرتم ﴿منهم رشداً﴾ صلاحاً في دينهم ومالهم ﴿فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها﴾ أيها الأولياء ﴿إسرافاً﴾ بغير حق، حال ﴿وبداراً﴾ أي: مبادرين إلى إنفاقها، مخافة ﴿أن يكبروا﴾ رشداء، فيلزمكم تسليمها إليهم ﴿ومن كان﴾ من الأولياء ﴿غنياً فليستعفف﴾ أي: يَعِفَّ عن مال اليتيم، ويمتنع من أكله ﴿ومن كان فقيراً فليأكل﴾ منه ﴿بالمعروف﴾ بقدر أجرة عمله ﴿فإذا دفعتم إليهم﴾ أي: إلى اليتامى ﴿أموالهم فأشهدوا عليهم﴾ أنهم تسلّموها وبرئتم، لئلا يقع اختلافٌ، فترجعوا إلى البينة، وهذا أمر إرشاد [لا وجوب] ﴿وكفى بالله﴾ الباء زائدة ﴿حسيباً﴾ حافظاً لأعمال خلقه ومحاسبهم.

٧ ونزل رداً لما كان عليه الجاهلية، من عدم توريث النساء والصغار: ﴿للرجال﴾ الأولاد والأقرباء ﴿نصيب﴾ حظ ﴿مما ترك الوالدان والأقربون﴾ المتوفَّون ﴿وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه﴾ أي: المال ﴿أو كثر﴾ جعله الله ﴿نصيباً مفروضاً﴾ مقطوعاً بتسليمه إليهم.

٨ ﴿وإذا حضر القسمة﴾ للميراث ﴿أولو القربى﴾ ذوو القرابة ممن لا يرث.

﴿واليتامى والمساكين فارزقوهم منه﴾ شيئاً قبل القسمة ﴿وقولوا﴾ أيها الأولياء ﴿لهم﴾ إذا كان الورثة صغاراً ﴿قولاً معروفاً﴾ جميلاً، بأن تعتذروا إليهم: أنكم لا تملكونه، وأنه للصغار، وهذا، قيل: إنه منسوخ، وقيل: لا، ولكنْ تهاون الناس في تركه، وعليه فهو ندب، وعن ابن عباس: واجب. ٩ ﴿وليخش﴾ أي: ليخَفْ على اليتامى ﴿الذين لو تركوا﴾ أي: قاربوا أن يتركوا ﴿من خلفهم﴾ أي: بعد موتهم ﴿ذرية ضعافاً﴾ أولاداً صغاراً ﴿خافوا عليهم﴾ الضياع ﴿فليتقوا الله﴾ في أمر اليتامى، وليأتوا إليهم ما يحبون أن يُفعل بذريتهم من بعدهم ﴿وليقولوا﴾ للميت [أي: لمن حضرته الوفاة] ﴿قولاً سديداً﴾ صواباً، بأن يأمروه أن يتصدق بدون ثلثه، ويدعَ الباقي لورثته، ولا يتركهم عالة.

وَالْيَتَٰمَىٰ وَالْمَسَٰكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ

١٠ ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً﴾ بغير حق ﴿إنما يؤكلون في بطونهم﴾ أي: مِلأها ﴿ناراً﴾ لأنه يؤول إليها ﴿وسيصلون﴾ بالبناء للفاعل، أو: المفعول: يدخلون ﴿سعيراً﴾ ناراً شديدة يحترقون فيها. ١١ ﴿يوصيكم﴾ يأمركم ﴿الله في﴾ شأن ﴿أولادكم﴾ بما يُذكَرُ: ﴿للذكر﴾ منهم ﴿مثل حظ﴾ نصيب ﴿الأنثيين﴾ إذا اجتمعتا معه، فله نصف المال، ولهما النصف، فإن كان معه واحدة فلها الثلث وله الثلثان، وإن انفرد حاز المال ﴿فإن كن﴾ أي: الأولاد ﴿نساء﴾ فقط ﴿فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك﴾ الميت، وكذا الاثنتان، لأنه للأختين بقوله: «فلهما الثلثان مما ترك» فهما أولى، ولأن البنت تستحق الثلث مع الذكر، فمع الأنثى أولى، و «فوق»، قيل: صلة، وقيل: لدفع توهُّم زيادة النصيب بزيادة العدد، لَمَّا فُهِمَ استحقاقُ البنتين الثلثين، من جَعْلِ الثلث للواحدة مع الذكر ﴿وإن كانت﴾ المولودة ﴿واحدة﴾ وفي قراءة: بالرفع فـ «كان» تامة ﴿فلها النصف ولأبويه﴾ أي: الميت، ويبدل منهما: ﴿لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد﴾ ذكر أو أنثى، ونكتة البدل، إفادةُ أنهما لا يشتركان فيه، وألحق بالولد ولدُ الابن، وبالأب الجدُّ ﴿فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه﴾ فقط، أو: مع زوج [رجلاً كان أو امرأة] ﴿فلأمه﴾ بضم الهمزة، وكسرها فراراً من الانتقال من ضمة إلى كسرة لثقله في الموضعين ﴿الثلث﴾ أي: ثلث المال [كله، إذا كان الوارث الأب والأم فقط]، أو [ثلث] ما يبقى بعد [فرض] الزوج، [إذا كان الورثة: زوجاً أو زوجة وأماً وأباً، وهذه هي المسألة المعروفة بـ «الغرّاوين»] والباقي للأب ﴿فإن كان له إخوة﴾ أي: اثنان فصاعداً، ذكورٌ أو: إناث ﴿فلأمه السدس﴾ والباقي للأب، ولا شيء للإخوة، وإرث مَنْ ذُكر ما ذُكر ﴿من بعد﴾ تنفيذ ﴿وصية يوصي﴾ بالبناء للفاعل والمفعول ﴿بها أو﴾ قضاء ﴿دين﴾ عليه، وتقديم الوصية على الدين، وإن كانت مؤخرة عنه في الوفاء، للاهتمام بها ﴿آباؤكم وأبناؤكم﴾ مبتدأ خبره ﴿لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً﴾ في الدنيا والآخرة، فظانٌّ أن ابنه أنفع له فيعطيه الميراث، فيكون الأب أنفع، وبالعكس، وإنما العالِمُ بذلك هو الله، ففرض لكم الميراث ﴿فريضة من الله إن الله

كان عليماً﴾ بخلقه ﴿حكيماً﴾ فيما دبَّره لهم، أي: لم يزل متصفاً بذلك.

١٢ ﴿ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد﴾ منكم أو: من غيركم ﴿فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين﴾ وأُلحق بالولد في ذلك، ولدُ الابن بالإجماع ﴿ولهن﴾ أي: الزوجات، تعددن أو: لا ﴿الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد﴾ منهن أو: من غيرهن ﴿فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين﴾ وولد الابن في ذلك كالولد إجماعاً ﴿وإن كان رجل يورث﴾ [جملة: «يورَثُ، في محل رفع] صفة [لـ «رجل»]، والخبر [أي: خبر «كان»]: ﴿كلالةً﴾[1] [مصدر «كلَّ»] أي: لا والد له ولا ولد ﴿أو امرأة﴾ تورث كلالةً ﴿وله﴾ أي: للموروث كلالةً ﴿أخ أو أخت﴾ أي: من أم، وقرأ به ابن مسعود وغيره، [وهذه القراءة تفسير للآية، وبيان من الصحابي لمعناها] ﴿فلكل واحد منهما السدس﴾ مما ترك ﴿فإن كانوا﴾ أي: الإخوة والأخوات من الأم ﴿أكثر من ذلك﴾ أي: من واحد ﴿فهم شركاء في الثلث﴾ يستوي فيه ذَكَرُهم وأنثاهم ﴿من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضارٍّ﴾ حال من ضمير «يوصَى»، أي: غير مدخل الضررَ على الورثة، بأن يوصي [المورِّث] بأكثر من الثلث ﴿وصية﴾ مصدر مؤكِّد لـ «يوصيكم» ﴿من الله والله عليم﴾ بما دبره لخلقه من الفرائض ﴿حليم﴾ بتأخير العقوبة عمن خالفه، وخَصَّت السُّنَّة توريث مَنْ ذُكر، بمن ليس فيه مانع، من قتل، أو: اختلاف دين، أو: رقٍّ، [فلا يرث مَنْ فيه مانع مِنْ موانع الميراث هذه، قال ﷺ: «لا يرث المسلمُ الكافر، ولا يرث الكافرُ المسلم» متفق عليه].

كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ * وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ

١٣ ﴿تلك﴾ الأحكام المذكورة من أمر اليتامى، وما بعده ﴿حدود الله﴾ شرائعه التي حدها لعباده، ليعملوا بها ولا يتعدوها ﴿ومن يطع الله ورسوله﴾ في ما حكم به ﴿يدخله﴾ بالياء، والنون التفاتاً ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم﴾. ١٤ ﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده

---

(١) قوله تعالى: ﴿كلالة﴾ قال أحدهم في تعريفها:

«كلالةٌ»، مصدرُ كَلَّ وانْفَرَدْ ... أي: لم يرثه والد ولا ولد

أي: من كان ورثته من الإخوة والأخوات، أشقاء أو لأب أو لأم، أو منهم جميعاً.

وقد ذُكرت «الكلالة» في القرآن الكريم مرتين، الأولى: هنا في هذه الآية، حيث بيَّن الله تعالى ميراث «الإخوة والأخوات لأم»، والثانية: في آخر آية من «سورة النساء» ص ١٣٣، حيث بيان أحكام ميراث «الإخوة والأخوات» لأبوين، أو لأب فقط.

يدخله﴾ بالوجهين [أي: بالياء وبالنون] ﴿ناراً خالداً فيها وله﴾ فيها ﴿عذاب مهين﴾ ذو إهانة، وروعي في الضمائر في الآيتين لفظ «مَنْ»، و [روعي] في «خالدين» معناها. ١٥ ﴿واللاتي يأتين الفاحشة﴾ الزنا ﴿من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم﴾ أي: من رجالكم المسلمين ﴿فإن شهدوا﴾ عليهن بها ﴿فأمسكوهن﴾ احبسوهن ﴿في البيوت﴾ وامنعوهنَ من مخالطة الناس ﴿حتى يتوفاهن الموت﴾ أي: ملائكته ﴿أو﴾ إلى أن ﴿يجعل الله لهن سبيلاً﴾ طريقاً إلى الخروج منها، أُمِروا بذلك أول الإسلام، ثم جَعَلَ لهنَّ سبيلاً: بجلد البكر مائة وتغريبها عاماً، ورجم المحصنة، وفي الحديث لما بيَّن الحد قال [ﷺ]: «خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً، [الثيِّب تُرْجَمُ والبكرُ تُجلد]» رواه مسلم. ١٦ ﴿واللذان﴾

يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟

بتخفيف النون وتشديدها ﴿يأتيانها﴾ أي: الفاحشة، الزنا، أو: اللواط ﴿منكم﴾ أي: الرجال ﴿فآذوهما﴾ بالسَّبِّ والضرب بالنعال ﴿فإن تابا﴾ منها ﴿وأصلحا﴾ العمل ﴿فأعرضوا عنهما﴾ ولا تؤذوهما ﴿إن الله كان تواباً﴾ على من تاب ﴿رحيماً﴾ به، وهذا منسوخ بالحد إن أريد بها الزنا، وكذا إن أريد بها اللواط عند الشافعي، لكن المفعول به لا يرجم عنده ــ وإن كان محصناً ــ بل يجلد ويغرَّب، وإرادة اللواط أظهر، بدليل تثنية الضمير [في «يأتيانها»]. و [صاحب القول] الأوَّل قال: أراد بهما الزاني والزانية، ويردُّه تبيينهما بـ «مِنْ»، المتصلة بضمير الرجال [ــ «منكم» ــ]، واشتراكُهما في الأذى والتوبة والإعراض، وهو مخصوص بالرجال، لما تقدم في النساء من الحبس ١٧ ﴿إنما التوبة على الله﴾ أي: التي كتب على نفسه قبولَها بفضله ﴿للذين يعملون السوء﴾ المعصية ﴿بجهالة﴾ حال، أي: جاهلين إذ عصوا ربهم[1] ﴿ثم يتوبون من﴾ زمن ﴿قريب﴾ قبل أن يغرغروا ﴿فأولئك يتوب الله عليهم﴾ يقبل توبتهم ﴿وكان الله عليماً﴾ بخلقه ﴿حكيماً﴾ في صنعه بهم. ١٨ ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات﴾ الذنوب ﴿حتى إذا حضر أحدهم الموت﴾ وأخذ في النزع ﴿قال﴾ عند مشاهدة ما هو فيه ﴿إني تبت الآن﴾ فلا ينفعه ذلك ولا يقبل منه ﴿ولا الذين يموتون وهم كفار﴾ إذا تابوا في الآخرة عند معاينة العذاب لا تقبل منهم ﴿أولئك أعتدنا﴾ أعددنا ﴿لهم عذاباً أليماً﴾ مؤلماً. ١٩ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء﴾ أي: ذاتهن ﴿كرهاً﴾ بالفتح والضم لغتان [وقراءتان]، أي: مكرهين على ذلك، كانوا في الجاهلية يرثون نساء أقربائهم، فإن شاؤوا تزوجوهن بلا صداق، أو: زوَّجوهن وأخذوا صداقهن، أو: عضلوهن [أي: منعوهن عن الزواج] حتى يفتدين بما ورثنه، أو: يمتن فيرثوهن، فنُهوا عن ذلك ﴿ولا﴾ أن ﴿تعضلوهن﴾ أي: تمنعوا أزواجكم عن نكاح غيركم، بإمساكهن ولا رغبة لكم فيهن، ضراراً ﴿لتذهبوا

(١) قال مجاهد وغيره: «كلُّ عامل بمعصية الله، فهو جاهل حين عملها».

ببعض ما آتيتموهن﴾ من المهر ﴿إلا أن يأتين بفاحشة مبينة﴾ بفتح الياء وكسرها، أي: بُيِّنَتْ، أو: هي بيِّنة، أي: زناً، أو: نشوز، فلكم أن تضارُّوهن، حتى يفتدين منكم ويختلعن ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾ أي: بالإجمال في القول والنفقة والمبيت ﴿فإن كرهتموهن﴾ فاصبروا ﴿فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾ ولعله يجعل فيهن ذلك، بأن يرزقكم منهن ولداً صالحاً.

٢٠ ﴿وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج﴾ أي: أخذ بدلها بأن طلقتموها ﴿و﴾ قد ﴿آتيتم إحداهن﴾ أي: الزوجات ﴿قنطاراً﴾ مالاً كثيراً صداقاً ﴿فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتاناً﴾ ظلماً ﴿وإثماً مبيناً﴾ بيِّناً؟، ونصبهما على الحال، والاستفهام للتوبيخ وللإنكار في:

بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴿١٩﴾ وَإِنۡ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ مَّكَانَ زَوۡجٖ وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا فَلَا تَأۡخُذُواْ مِنۡهُ شَيۡـًٔاۚ أَتَأۡخُذُونَهُۥ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴿٢٠﴾ وَكَيۡفَ تَأۡخُذُونَهُۥ وَقَدۡ أَفۡضَىٰ بَعۡضُكُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ وَأَخَذۡنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَمَقۡتٗا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُمۡ وَعَمَّٰتُكُمۡ وَخَٰلَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُ ٱلۡأَخِ وَبَنَاتُ ٱلۡأُخۡتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمۡ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن

٢١ ﴿وكيف تأخذونه﴾ أي: بأيِّ وجه ﴿وقد أفضى﴾ وصل ﴿بعضكم إلى بعض﴾ بالجماع، المقرِّر [والمؤكِّد] للمهر ﴿وأخذن منكم ميثاقاً﴾ عهداً ﴿غليظاً﴾ شديداً، وهو: ما أمر الله به، من إمساكهن بمعروف أو تسريحهن بإحسان.

٢٢ [كان أهل الجاهلية يتزوجون أزواج آبائهم، فنُهوا عن ذلك بقوله تعالى]: ﴿ولا تنكحوا ما﴾ بمعنى «مَنْ» ﴿نكح آباؤكم من النساء إلا﴾ لكن ﴿ما قد سلف﴾ مِنْ فعلكم ذلك [قبل التحريم]، فإنه معفو عنه ﴿إنه﴾ أي: نكاحهن ﴿كان فاحشة﴾ قبيحاً ﴿ومقتاً﴾ سبباً للمقت من الله، وهو: أشد البغض ﴿وساء﴾ بئس ﴿سبيلاً﴾ طريقاً ذلك.

٢٣ ﴿حرمت عليكم أمهاتكم﴾ أن تنكحوهن، وشملت الجدات من قبل الأب، أو: الأم ﴿وبناتكم﴾ وشملت بنات الأولاد وإن سفلن ﴿وأخواتكم﴾ من جهة الأب، أو: الأم ﴿وعماتكم﴾ أي: أخوات آبائكم وأجدادكم ﴿وخالاتكم﴾ أي: أخوات أمهاتكم وجداتكم ﴿وبنات الأخ وبنات الأخت﴾ ويدخل فيهن أولادهم ﴿وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم﴾ قبل استكمال الحولين، خَمْسَ رضعات كما بينه الحديث[1] ﴿وأخواتكم من الرضاعة﴾ ويُلحق بذلك بالسُّنة البناتُ منها، وهنَّ من أرضعتهن موطوأته، والعماتُ، والخالات، وبنات الأخ، وبنات الأخت منها، لحديث: «يَحْرُمُ من الرضاع ما يحرم من النَّسَب» رواه البخاري ومسلم ﴿وأمهات نسائكم وربائبكم﴾ جمع «ربيبة» وهي: بنت الزوجة من غيره ﴿اللاتي في حجوركم﴾ تربونهن، صفة موافقة للغالب، فلا مفهوم لها [أي: ليست بقيد، فتَحْرُمُ بنت الزوجة على زوج أمها، ولو لم يربِّها هو] ﴿من

---

(1) قوله: «كما بينه الحديث» أي: الذي رواه مسلم ومالك وعن عائشة قالت: كان فيما أنزل من القرآن «عشر رضعات معلومات يحرِّمْنَ، ثم نسخن بخمس معلومات، فتوفي رسول الله ﷺ وهي فيما يقرأ من القرآن» تعني بذلك قربَ عهدِ النسخ من وفاته ﷺ، ارجع إلى ص ٧٤٩.

نسائكم اللاتي دخلتم بهن﴾ أي: جامعتموهن ﴿فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم﴾ في نكاح بناتهن إذا فارقتموهن ﴿وحلائل﴾ أزواج ﴿أبنائكم الذين من أصلابكم﴾ بخلاف مَنْ تبنيتموهم، فلكم نكاح حلائلهم [وسيأتي بيان حكم التبني في سورة «الأحزاب» ص ٥٤٩] ﴿وأن تجمعوا بين الأختين﴾ من نسب أو رضاع بالنكاح، ويلحق بهما ـ بالسُّنَّة ـ الجمعُ بينها وبين عمتها، أو: خالتها، [فقد قال ﷺ: «لا يُجمع بين المرأة وعمتها، ولا بين المرأة وخالتها» رواه الشيخان]، ويجوز نكاح كل واحدة على الانفراد، وملكُهما معاً، ويطأ واحدة ﴿إلاَّ﴾ لكن ﴿ما قد سلف﴾ في الجاهلية، من نكاحكم بعض ما ذكر، فلا جناح عليكم فيه ﴿إن الله كان غفوراً﴾ لما سلف منكم قبل النهي ﴿رحيماً﴾ بكم في ذلك. ٢٤ ﴿و﴾ حرمت عليكم ﴿المحصنات﴾ أي: ذوات الأزواج ﴿من النساء﴾ أن تنكحوهن قبل مفارقة أزواجهن، حرائر مسلماتٍ كُنَّ، أو: لا ﴿إلاَّ ما ملكت أيمانكم﴾ من الإماء بالسبي، فلكم وطؤهن وإن كان لهن أزواج في دار الحرب، بعد الاستبراء [أي: تبيُّن براءة رحمها من الحمل بحيضة] ﴿كتاب الله﴾ نصب على المصدر، أي: كَتَبَ ذلك ﴿عليكم وأحَلَّ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول ﴿لكم ما وراء ذلكم﴾ أي: سِوَى ما حرم عليكم من النساء ﴿أن تبتغوا﴾ تطلبوا النساء ﴿بأموالكم﴾ بصداق أو ثمن ﴿محصنين﴾ متزوجين ﴿غير مسافحين﴾ زانين ﴿فما﴾ فمن ﴿استمتعتم﴾ تمتعتم[1] ﴿به منهن﴾ ممن تزوجتم بالوطء ﴿فآتوهن أجورهن﴾ مهورهن التي فرضتم لهن ﴿فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم﴾ أنتم وهُنَّ ﴿به من بعد الفريضة﴾ من حطِّها، أو: [حَطِّ] بعضِها، أو: زيادة عليها ﴿إن الله كان عليماً﴾ بخلقه ﴿حكيماً﴾ فيما دبره لهم. ٢٥ ﴿ومن لم يستطع منكم طولاً﴾ أي: غِنىً لـ ﴿أن ينكح المحصنات﴾ الحرائر ﴿المؤمنات﴾ هو جري على الغالب، فلا مفهوم له [أي: ليس قيداً، فيجوز نكاح المحصنات من أهل الكتاب أيضاً] ﴿فمن ما ملكت أيمانكم﴾ ينكح ﴿من فتياتكم المؤمنات والله أعلم بإيمانكم﴾ فاكتفوا بظاهره، وكِلوا السرائر إليه، فإنه العالم بتفصيلها، ورُبَّ أمةٍ تفضُل الحرة فيه، وهذا تأنيس بنكاح الإماء ﴿بعضكم من بعض﴾ أي: أنتم وهن سواء في الدين، فلا تستنكفوا من نكاحهن ﴿فانكحوهن بإذن أهلهن﴾ مواليهن ﴿وآتوهن﴾ أعطوهن

﴿نِسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمۡ تَكُونُواْ دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٢٣﴾ ۞ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ أَن تَبۡتَغُواْ بِأَمۡوَٰلِكُم مُّحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَۚ فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٢٤﴾ وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ﴾

(١) قوله تعالى: ﴿فما استمتعتم به منهن...﴾. الصحيح أن هذه الآية تعني لزوم المهر وتأكده بالدخول بالزوجة، وقد جاء في بعض الروايات أنها نزلت في «نكاح المتعة»، وهو الزواج إلى أجل معلوم بلفظ «المتعة» كمتعتك، أخرج ذلك ابن حميد وابن جرير عن مجاهد، وأخرجه أيضاً الطبراني والبيهقي في «سننه» عن ابن عباس، ثم نسخت، وعلى كل حال فقد أجمع المسلمون على تحريم «نكاح المتعة»، =

﴿أجورهن﴾ مهورهن ﴿بالمعروف﴾ من غير مطل ونقص ﴿محصنات﴾ عفائف، حال ﴿غير مسافحات﴾ زانيات جهراً ﴿ولا متخذات أخدان﴾ أخِلّاء يزنون بهن سراً ﴿فإذا أحصن﴾ زُوِّجنَ، وفي قراءة بالبناء للفاعل: تَزَوَّجْنَ ﴿فإن أتين بفاحشة﴾ زناً ﴿فعليهن نصف ما على المحصنات﴾ الحرائر الأبكار إذا زنين ﴿من العذاب﴾ [أي:] الحد، فيجلدن خمسين، ويُغَرَّبْنَ نصف سنة، ويقاس عليهن العبيد، ولم يُجْعَل الإحصان شرطاً لوجوب الحد، بل لإفادة أنه لا رجم عليهن أصلاً ﴿ذلك﴾ أي: نكاح المملوكات عند عدم الطول ﴿لمن خشي﴾ خاف ﴿العنت﴾ الزنا، وأصله: المشقة، سمي به الزنا، لأنه سببها، بالحد في الدنيا والعقوبةِ في الآخرة ﴿منكم﴾ بخلاف من لا يخافه من الأحرار، فلا يحل له نكاحها، وكذا مَن استطاع طَوْلَ حرة، وعليه الشافعي، وخَرَجَ بقوله: «من فتياتكم المؤمنات»، [الإماءُ] الكافرات، فلا يحل له نكاحها، [أي: الأمة الكافرة]، ولو عدم [القدرة] وخاف [العنت] ﴿وأن تصبروا﴾ عن نكاح المملوكات ﴿خير لكم﴾ لئلا يصير الولد رقيقاً ﴿والله غفور رحيم﴾ بالتوسعة في ذلك.

٢٦ ﴿يريد الله ليبين لكم﴾ شرائع دينكم ومصالح أمركم ﴿ويهديكم سنن﴾ طرائق ﴿الذين من قبلكم﴾ الأنبياء، في التحليل والتحريم، فتتبعوهم ﴿ويتوب عليكم﴾ يرجع بكم عن معصيته التي كنتم عليها، إلى طاعته ﴿والله عليم﴾ بكم ﴿حكيم﴾ فيما دبره لكم. ٢٧ ﴿والله يريد أن يتوب عليكم﴾ كرره ليبني عليه: ﴿ويريد الذين يتبعون الشهوات﴾ اليهود والنصارى، أو: المجوس، أو: الزناة ﴿أن تميلوا ميلاً عظيماً﴾ تعدلوا عن الحق، بارتكاب ما حُرِّم عليكم فتكونوا مثلهم.

٢٨ ﴿يريد الله أن يخفف عنكم﴾ يسهل عليكم أحكام الشرع ﴿وخلق الإنسان ضعيفاً﴾ لا يصبر عن النساء والشهوات. ٢٩ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ بالحرام في الشرع، كالربا والغصب ﴿إلا﴾ لكن ﴿أن تكون﴾ تقع ﴿تجارة﴾ [بالرفع فـ«تكون» تامة]، وفي قراءة بالنصب، أي: تكونَ الأموالُ أموالَ تجارة صادرة ﴿عن تراض منكم﴾ وطيب نفس، فلكم أن تأكلوها ﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾ بارتكاب ما يؤدي إلى هلاكها، أياً كان، في الدنيا، أو: الآخرة، بقرينة ﴿إن الله كان بكم رحيماً﴾ في منعه لكم من ذلك. ٣٠ ﴿ومن يفعل ذلك﴾ أي: ما نهي عنه ﴿عدواناً﴾ تجاوزاً للحلال، حال ﴿وظلماً﴾ تأكيد ﴿فسوف نصليه﴾ ندخله ﴿ناراً﴾ يحترق فيها.

أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا

= وعلى أن الذي أعلن تحريمها هو رسول الله ﷺ، جاء في تحريمها أحاديث كثيرة... منها ما أخرجه ابن أبي شيبة وأحمد ومسلم، عن سَبْرَةَ الجُهَنِيّ رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ قائماً بين الركن والباب ـ أي: من الكعبة ـ وهو يقول: «يا أيها الناس، إني كنتُ أذنت =

﴿وكان ذلك على الله يسيراً﴾ هيناً. ٣١﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه﴾ وهي ما ورد عليها وعيد، كالقتل والزنا والسرقة، وعن ابن عباس: هي [أي: الكبائر] إلى السبعمائة أقرب، [وفي رواية أخرى عنه: إنها إلى السبعين أقربُ، وهذه الرواية أصحهما عنه] ﴿نكفر عنكم سيئاتكم﴾ الصغائر بالطاعات ﴿وندخلكم مدخلاً﴾ بضم الميم وفتحها، أي: إدخالاً، أو: موضعاً ﴿كريماً﴾ هو الجنة. ٣٢﴿ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض﴾ من جهة الدنيا، أو: الدين، لئلا يؤدي إلى التحاسد والتباغض ﴿للرجال نصيب﴾ ثواب ﴿مما اكتسبوا﴾ بسبب ما عملوا من الجهاد وغيره ﴿وللنساء نصيب مما اكتسبن﴾ من طاعة أزواجهن، وحفظ فروجهن، نزلت لما قالت [أم المؤمنين] أم سلمة [رضي الله عنها]: «ليتنا كنا رجالاً، فجاهدنا، وكان لنا مثلُ أجر الرجال» ﴿واسألوا﴾ بهمزة ودونها ﴿الله من فضله﴾ ما احتجتم إليه، يعطكم ﴿إن الله كان بكل شيء عليماً﴾ ومنه: محلُّ الفضل، وسؤالُكم. ٣٣﴿ولكل﴾ من الرجال والنساء ﴿جعلنا موالي﴾ [ورثةً و] عَصَبَةً، يُعْطَوْن ﴿مما ترك الوالدان والأقربون﴾ لهم من المال ﴿والذين عاقدت﴾ بألف ودونها ﴿أيمانكم﴾ جمع «يمين» بمعنى القسم، أو: اليد، أي: الحلفاء الذين عاهدتموهم في الجاهلية على النُّصرة والإرث ﴿فآتوهم﴾ الآن ﴿نصيبهم﴾ حظوظهم من الميراث وهو: السدس ﴿إن الله كان على كل شيء شهيداً﴾ مطَّلعاً، ومنه حالكم، وهذا منسوخ بقوله: «وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض». ٣٤﴿الرجال قوامون﴾ مسلَّطون ﴿على النساء﴾ يؤدبونهن، ويأخذون على أيديهن ﴿بما فضل الله بعضهم على بعض﴾ أي: بتفضيله لهم عليهن، بالعلم والعقل والولاية وغير ذلك ﴿وبما أنفقوا﴾ عليهن ﴿من أموالهم فالصالحات﴾ منهن ﴿قانتات﴾ مطيعات لأزواجهن ﴿حافظات للغيب﴾ أي: لفروجهن وغيرها في غيبة أزواجهن ﴿بما حفظ﴾ لهن ﴿الله﴾ حيث أوصى عليهن الأزواج ﴿واللاتي تخافون نشوزهن﴾ عصيانهن لكم، بأن ظهرت أمارته ﴿فعظوهن﴾ فخوفوهن الله ﴿واهجروهن في المضاجع﴾ اعتزلوا إلى فراش آخر، إن أظهرن النشوز ﴿واضربوهن﴾ ضرباً غير مبرح، إن لم يرجعن بالهجران ﴿فإن أطعنكم﴾ فيما يراد منهن ﴿فلا تبغوا﴾ تطلبوا ﴿عليهن سبيلاً﴾ طريقاً إلى ضربهن ظلماً.

وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا

= لكم في الاستمتاع، ألا وإن الله حرمها إلى يوم القيامة، فمن كان عنده منهن شيء فليخلِّ سبيلها، ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً»، وأخرج البيهقي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه خطب فقال: «ما بال رجال ينكحون هذه المتعة، وقد نهى رسول الله ﷺ عنها!؟. لا أُوتى بأحد نكحها إلاَّ رجمته»، وأخرج البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ: «نهى عن متعة النساء يوم خيبر، وعن أكل لحوم الحُمُرِ الإنسية» أي: الحمير الأهلية.

إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَـٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ

ربع الحزب

﴿إنَّ الله كان علياً كبيراً﴾ فاحذروه أن يعاقبكم إن ظلمتموهنّ. ٣٥﴿وإن خفتم﴾ علمتم ﴿شقاق﴾ خلاف ﴿بينهما﴾ بين الزوجين، والإضافة للاتساع، [أي: على التوسع في اللغة]، أي: شقاقاً بينهما [وهو الأصل، فأضيف المصدر إلى ظرفه مثل: «مكر الليل»، أي: «مكرٌ في الليل»] ﴿فابعثوا﴾ إليهما برضاهما ﴿حكماً﴾ رجلاً عدلاً ﴿من أهله﴾ أقاربه ﴿وحكماً من أهلها﴾ ويوكِّل[1] الزوجُ حَكَمَهُ في طلاقٍ، وقبولِ عوضٍ عليه، وتوكِّل هي حَكَمَها في الاختلاع، فيجتهدان، ويأمران الظالم بالرجوع، أو: يفرّقان إن رأياه، قال تعالى: ﴿إن يريدا﴾ أي: الحكمان [وقيل: الزوجان] ﴿إصلاحاً﴾ [بصدق نيتهما فيه] ﴿يوفق الله بينهما﴾ بين الزوجين، أي: يقدِّرهما على ما هو الطاعة، من إصلاح أو: فراق ﴿إن الله كان عليماً﴾ بكل شيء ﴿خبيراً﴾ بالبواطن كالظواهر.

٣٦﴿واعبدوا الله﴾ وحِّدوه ﴿ولا تشركوا به شيئاً و﴾ أحسنوا ﴿بالوالدين إحساناً﴾ برّاً ولين جانب ﴿وبذي القربى﴾ القرابة ﴿واليتامى والمساكين والجار ذي القربى﴾ القريب منك، في الجوار، أو: النسب ﴿والجار الجنب﴾ البعيد عنك في الجوار أو: النسب ﴿والصاحب بالجنب﴾ الرفيق، في سفر، أو: صناعة، وقيل: الزوجة ﴿وابن السبيل﴾ المنقطع في سفره ﴿وما ملكت أيمانكم﴾ من الأرقاء ﴿إن الله لا يحب من كان مختالاً﴾ متكبراً ﴿فخوراً﴾ على الناس بما أوتي.

٣٧﴿الذين﴾ مبتدأ ﴿يبخلون﴾ بما يجب عليهم ﴿ويأمرون الناس بالبخل﴾ به ﴿ويكتمون ما آتاهم الله من فضله﴾ من العلم والمال، وهم اليهود، [كانوا يقولون للأنصار: لا تنفقوا أموالكم على محمد، فإنا نخشى عليكم الفقر، وكانوا أيضاً: يكتمون ما علموه من صدق النبي ﷺ، ولا يقولون الحق وهم يعلمونه.] وخبر المبتدأ [محذوف، تقديره]: «لهم وعيد شديد» ﴿وأعتدنا للكافرين﴾ بذلك وبغيره ﴿عذاباً مهيناً﴾ ذا إهانة. ٣٨﴿والذين﴾ عطف على «الذين» قبله ﴿ينفقون أموالهم رئاء الناس﴾ مرائين لهم[2] ﴿ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر﴾ كالمنافقين وأهل مكة ﴿ومن يكن الشيطان له قريناً﴾ صاحباً يعمل بأمره كهؤلاء ﴿فساء﴾ بئس ﴿قريناً﴾[3] هو. ٣٩﴿وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر

---

(١) قوله: «ويوكِّل الزوج»، اشتراط التوكيل هو مذهب الشافعية والأحناف، لأن مهمة الحكمين عندهم منحصرة في الإصلاح، وليس لهما أن يفرقا بين الزوجين إلاّ بتفويض منهما، أما المذهب المالكي، فيمنح الحكمين حق الحكم بالتفريق، من دون اشتراط توكيل الزوجين لهما.

(٢) قوله: «مرائين لهم» الرياء هو: الشرك الأصغر الذي يبطل ثواب العمل الصالح، ارجع إلى تعليقنا حوله ص ٣٩٥.

(٣) قوله تعالى: ﴿فَسَاءَ قريناً﴾ ارجع إلى تعليقنا حول «القرين» بجميع معانيه ص ٦٣٣.

وأنفقوا مما رزقهم الله﴾ أي: أيُّ ضرر عليهم في ذلك؟، والاستفهام للإنكار، و «لو» مصدرية، أي: لا ضرر فيه، وإنما الضرر فيما هم عليه ﴿وكان الله بهم عليماً﴾ فيجازيهم بما عملوا. ٤٠ ﴿إن الله لا يظلم﴾ أحداً ﴿مثقال﴾ وزن ﴿ذرة﴾ أصغر نملة، بأن ينقصها من حسناته، أو يزيدها في سيئاته ﴿وإن تك﴾ الذرة ﴿حسنةً﴾ من مؤمن، وفي قراءة بالرفع، فـ «كان» تامة ﴿يضاعفها﴾ من عشر إلى أكثر من سبعمائة، وفي قراءة «يضعِّفها» بالتشديد ﴿ويؤت من لدنه﴾ من عنده مع المضاعفة ﴿أجراً عظيماً﴾ لا يقدِّره أحد. ٤١ ﴿فكيف﴾ حال الكفار ﴿إذا جئنا من كل أمة بشهيد﴾ يشهد عليها بعملها، وهو: نبيها ﴿وجئنا بك﴾ يا محمد ﴿على هؤلاء شهيداً﴾. ٤٢ ﴿يومئذ﴾ يوم المجيء ﴿يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو﴾ أي: أن ﴿تُسَوَّى﴾ بالبناء للمفعول، وللفاعل مع حذف إحدى التاءين في الأصل [أي: «تَسَوَّى»،] ومع إدغامها في السين، أي: [تَسَّوَّى، والمعنى:] تتسوى ﴿بهم الأرض﴾ بأن يكونوا تراباً مثلها، لعظم هوله، كما في آية أخرى: «ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً» ﴿ولا يكتمون الله حديثاً﴾ مما عملوه، وفي وقتٍ آخر يكتمونه، ويقولون: «والله ربِّنا ما كنا مشركين». ٤٣ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة﴾ أي: لا تُصَلُّوا ﴿وأنتم سكارى﴾[1] من الشراب، لأن سبب نزولها: صلاةُ جماعةٍ في حالة السُّكر ﴿حتى تعلموا ما تقولون﴾ بأن تَصْحُوا ﴿ولا جنباً﴾ بإيلاج، أو: إنزال، ونصبه على الحال، وهو يطلق على المفرد وغيره ﴿إلاَّ عابري﴾ مجتازي ﴿سبيل﴾ طريق، أي: مسافرين ﴿حتى تغتسلوا﴾ فلكم أن تصلوا، واستثناء المسافر، لأن له حكماً آخر [هو «التيمم»،] سيأتي [ص ١٣٧]، وقيل: المراد النهيُ عن قربان [الجُنُب] مواضعَ الصلاة، أي: المساجدَ، إلاَّ عبورها من غير مكثٍ [فيها فجائز] ﴿وإن كنتم مرضى﴾ مرضاً يضره الماء ﴿أو على سفر﴾ أي: مسافرين، وأنتم جنب، أو محدثون ﴿أو جاء أحد منكم من الغائط﴾ هو: المكان المعدّ لقضاء الحاجة، أي: أحدث ﴿أو لامستم النساء﴾ وفي قراءة بلا ألف، وكلاهما بمعنى «اللمس»، وهو: الجَسُّ باليد،

سُورَةُ النِّسَاءِ ٤

وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ

قاله ابن عمر، وعليه الشافعي، وأُلحِقَ به الجَسُّ بباقي البشرة، وعن ابن عباس: هو الجماع ﴿فلم تجدوا ماء﴾ تتطهرون به للصلاة، بعد الطلب والتفتيش، وهو راجع إلى ما عدا المرضى ﴿فتيمموا﴾ اقصدوا بعد دخول الوقت ﴿صعيداً طيباً﴾ تراباً طاهراً، فاضربوا به ضربتين ﴿فامسحوا بوجوهكم وأيديكم﴾ مع المرفقين منه، و «مَسَح» يتعدى بنفسه وبالحرف ﴿إن الله كان عفواً غفوراً﴾. ٤٤ ﴿ألم ترَ إلى الذين أوتوا نصيباً﴾ حظاً ﴿من الكتاب﴾ وهم اليهود ﴿يشترون

(١) الآية «٤٣» قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى...﴾ الآية، أخرج الترمذي، وأبو داود والحاكم وغيرهم =

﴿الضلالة﴾ بالهدى ﴿ويريدون أن تضلوا السبيل﴾ تخطئوا الطريق الحقَّ، لتكونوا مثلهم. ٤٥ ﴿والله أعلم بأعدائكم﴾ منكم، فيخبركم بهم لتجتنبوهم ﴿وكفى بالله ولياً﴾ حافظاً لكم منهم ﴿وكفى بالله نصيراً﴾ مانعاً لكم من كيدهم. ٤٦ ﴿من الذين هادوا﴾ قوم ﴿يحرفون﴾ يغيرون ﴿الكلم﴾ الذي أنزل الله في التوراة، من نعت محمد ﷺ ﴿عن مواضعه﴾ التي وضع عليها ﴿يقولون﴾ للنبي ﷺ، إذا أَمَرَ بشيء ﴿سمعنا﴾ قولك ﴿وعصينا﴾ أمرك ﴿واسمع غير مسمع﴾ حال بمعنى الدعاء [على النبي ﷺ]، أي: «لا سمعتَ» ﴿و﴾ يقولون له ﴿راعنا﴾ وقد نهي [المؤمنون] عن خطابه بها [في قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا»]، وهي: كلمة سبٌّ بلغتهم ﴿ليّاً﴾ تحريفاً ﴿بألسنتهم وطعناً﴾ قدحاً ﴿في الدين﴾ الإسلام ﴿ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا﴾ بدل «وعصينا» ﴿واسمع﴾ فقط ﴿وانظرنا﴾ انظر إلينا، بدل «راعنا» ﴿لكان خيراً لهم﴾ مما قالوه ﴿وأقوم﴾ أعدل منه ﴿ولكن لعنهم الله﴾ أبعدهم عن رحمته ﴿بكفرهم فلا يؤمنون إلاّ قليلاً﴾ منهم، كعبد الله بن سلام وأصحابه. ٤٧ ﴿يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا﴾ من القرآن ﴿مصدقاً لما معكم﴾ من التوراة ﴿من قبل أن نطمس وجوهاً﴾ نمحو ما فيها من العين والأنف والحاجب ﴿فنردها على أدبارها﴾ فنجعلها كالأقفاء لوحاً واحداً ﴿أو نلعنهم﴾ نمسخهم قردة ﴿كما لعنا﴾ مَسَخْنَا ﴿أصحاب السبت﴾ منهم ﴿وكان أمر الله﴾ قضاؤه ﴿مفعولاً﴾ ولما نزلت، أسلم عبد الله بن سلام، فقيل: كان وعيداً بشرط، فلما أسلم بعضهم رُفِعَ، وقيل: يكون طمس ومسخ قبل قيام الساعة. ٤٨ ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك﴾ أي: الإشراكَ ﴿به ويغفر ما دون﴾ سوى ﴿ذلك﴾ من الذنوب ﴿لمن يشاء﴾ المغفرة له، بأن يدخله الجنة بلا عذاب، ومَنْ شاء، عذَّبه مِنَ المؤمنين بذنوبه ثم يدخله الجنة ﴿ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً﴾ ذنباً ﴿عظيماً﴾ كبيراً.
٤٩ ﴿ألم ترَ إلى الذين يزكون أنفسهم﴾ وهم اليهود، حيث قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، أي: ليس الأمر بتزكيتهم أنفسهم ﴿بل الله

ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ

= عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاماً، فدعانا وسقانا من الخمر فأخذت الخمر منا، وحضرت الصلاة فقدموني فقرأت: ﴿قل يا أيها الكافرون * لا أعبد ما تعبدون﴾ ونحن نعبد ما تعبدون، فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون﴾. اهـ. وفي هذه الرواية اختلاف في السند والمتن، وأصح ما في هذا الباب، ما رواه الحاكم وصححه، وأيّده الذهبي، عن علي قال: «دعانا رجل من الأنصار، قبل تحريم الخمر، فحضرت صلاة المغرب، فتقدم رجل فقرأ: ﴿قل يا أيها الكافرون﴾، فالتبس عليه، فنزلت»، ثم عقّب الحاكم عليه: بأن نسبة السُّكر وهذه القراءة، إلى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه غير صحيحة، ونقول: إن وجود علي بن أبي طالب، مع هؤلاء النفر من الصحابة، في تلك الدعوة لا يقدح فيه، ولا في غيره منهم، ولا يُعتبر عيباً يشوب حياته الناصعة بالعلم والفضل والجهاد، طالما أن ذلك قد حصل قبل نزول التحريم، هذا وقد أجمع المسلمون على أن قوله تعالى: ﴿لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾ منسوخ حكمه بآيات «المائدة» ص ١٥٥.

يزكي﴾ يطهر ﴿من يشاء﴾ بالإيمان ﴿ولا يظلمون﴾ يُنْقَصُون من أعمالهم ﴿فتيلاً﴾ قَدْرَ قشرة[1] النواة. ٥٠﴿انظر﴾ متعجباً ﴿كيف يفترون على الله الكذب﴾ بذلك ﴿وكفى به إثماً مبيناً﴾ بيِّناً. ٥١ ونزل في كعب بن الأشرف، ونحوه من علماء اليهود، لمّا قدموا مكة وشاهدوا قتلى بدر، وحرَّضوا المشركين على الأخذ بثأرهم ومحاربةِ النبي ﷺ: ﴿ألم ترَ إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت﴾ صنمان لقريش ﴿ويقولون للذين كفروا﴾ أبي سفيان وأصحابه، حين قالوا لهم: أنحن أهدى سبيلاً ــ ونحن ولاة البيت، نسقي الحاج، ونَقْري الضيفَ، ونفكُّ العاني [أي: الأسير]، ونفعلُ ــ أَمْ: محمدٌ... وقد خالف دين آبائه، وقطع الرحم، وفارق الحرم؟: ﴿هؤلاء﴾ أي: [أجابوهم]: أنتم ﴿أهدى من الذين آمنوا سبيلاً﴾ أقوم طريقاً.

يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا

٥٢﴿أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن﴾ ــه ﴿الله فلن تجد له نصيراً﴾ مانعاً من عذابه. ٥٣﴿أم﴾ بل أ﴿لهم نصيب من الملك﴾ أي: ليس لهم شيء منه، ولو كان ﴿فإذاً لا يؤتون الناس نقيراً﴾ أي: شيئاً تافهاً قدر النُّقْرَةِ في ظهر النواة، لفرط بخلهم. ٥٤﴿أم﴾[2] بل أ﴿يحسدون﴾ [أي: اليهودُ] ﴿الناس﴾ أي: النبي ﷺ ﴿على ما آتاهم الله من فضله﴾ من النبوة وكثرة النساء، أي: يتمنون زواله عنه، ويقولون لو كان نبياً لاشتغل عن النساء ﴿فقد آتينا آل إبراهيم﴾ جدّه، [أي: جدَّ محمد ﷺ الأعلى،] كموسى وداود وسليمان ﴿الكتاب والحكمة﴾ النبوة ﴿وآتيناهم ملكاً عظيماً﴾ فكان لداود: تسع وتسعون امرأة، ولسليمان: ألف ما بين حرة وسُرِّيَّة.

٥٥﴿فمنهم من آمن به﴾ بمحمد ﷺ ﴿ومنهم من صدَّ﴾ أعرض ﴿عنه﴾ فلم يؤمن ﴿وكفى بجهنم سعيراً﴾ عذاباً لمن لا يؤمن. ٥٦﴿إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم﴾ ندخلهم ﴿ناراً﴾ يحترقون فيها ﴿كلما نضجت﴾[3] احترقت ﴿جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها﴾ بأن تعاد إلى حالها الأول غير محترقة ﴿ليذوقوا

---

(١) قوله: «قدر قشرة النواة» هذا سبق قلم من الجلال السيوطي رحمه الله، لأن هذا معنى «القطمير»، أما «الفتيل» فهو: الخيط الذي في بطن النواة، و «النقير» سيأتي ذكره هنا في الآية «٥٣»، وهذه الثلاثة يضرب بها المثل في القلة.

(٢) قوله تعالى: ﴿أم يحسدون الناس...﴾ إن الفضل الذي بسببه حسده اليهودُ هو: النبوة، والكرامة الحاصلة بسببها في الدين والدنيا. ولا يعْدِلُ النبوةَ كرامة، فَذِكْرُ الجلال السيوطي كثرةَ النساء والزوجات تساهل منه، فاليهود لم يحسدوه على كثرة الزوجات، لأن العرب كان من عادتهم ذلك، ولكنهم قصدوا التعريض به ليطعنوا بنبوته، فهم حسدوه على النبوة فقط، لذلك ردَّ الله عليهم، فذكَّرهم بما أعطى آل إبراهيم من الملك والنبوة ــ لا من النساء ــ ومع ذلك فإن اليهود لم يحسدوهم، فلماذا يحسدون محمداً وحده؟!.

(٣) قوله تعالى: ﴿كلما نضجت جلودهم...﴾ إن الإحساس بألم الجرح أو الحرق أو الضرب، منحصر في الطبقة الجلدية من الجسم، فإذا احترق الجلد ذهب الإحساس بالألم، لذلك جاء التعبير القرآني هنا بلفظ «كلما» التي تفيد التكرار مع الاستمرار، فكلما احترقت =

العذاب﴾ ليقاسوا شدته ﴿إن الله كان عزيزاً﴾ لا يعجزه شيء ﴿حكيماً﴾ في خلقه. ٥٧ ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً لهم فيها أزواج مطهرة﴾ من الحيض وكل قذر ﴿وندخلهم ظلاً ظليلاً﴾ دائماً لا تنسخه شمس، وهو: ظل الجنة. ٥٨ ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات﴾ أي: ما اؤتمن عليه من الحقوق ﴿إلى أهلها﴾ نزلت لمّا أخذ علي رضي الله عنه، مفتاحَ الكعبة، من عثمان بن طلحة الحَجَبيّ سادنها، قسراً، لمّا قدم النبي ﷺ مكة عام الفتح، ومنعه [المفتاح]، وقال [ابن طلحة المذكور]: لو علمتُ أنه رسول الله لم أمنعه، فأمر رسول الله ﷺ برده إليه وقال: «هاكَ خالدةً تالدةً» [وأخرجه الطبراني عن ابن عباس بلفظ: «خذوها بني طلحة، خالدةً تالدةً لا ينتزعها منكم إلاَّ ظالم» يعني: حجابة البيت، ومعنى قوله: «خالدة تالدة» أي: تنتقل من الآباء والأجداد، إلى الأولاد والأحفاد دائماً]، فعجب [طلحة] من ذلك، فقرأ له عليٌّ الآية فأسلم، وأعطاه عند موته لأخيه «شَيبة»، فبقي في ولده. والآية وإن وردت على سبب خاص، فعمومها معتبر بقرينة الجمع، [فالأمر فيها يشمل الأمانات كافة] ﴿وإذا حكمتم بين الناس﴾ يأمركم ﴿أن تحكموا بالعدل إن الله نعمّا﴾ فيه إدغام ميم «نِعْمَ» في «ما» النكرة الموصوفة، أي: «نعم شيئاً» ﴿يعظكم به﴾ [ألا وهو:] تأدية الأمانة، والحكم بالعدل ﴿إن الله كان سميعاً﴾ لما يُقال ﴿بصيراً﴾ بما يُفْعَلُ. ٥٩ ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي﴾ أصحاب ﴿الأمر﴾ أي: الولاة ﴿منكم﴾ إذا أمروكم بطاعة الله ورسوله [أو: هم أهل القرآن والعلم، واختاره الإمام مالك] ﴿فإن تنازعتم﴾ اختلفتم ﴿في شيء فردوه إلى الله﴾ أي: إلى كتابه ﴿والرسول﴾ مدة حياته، وبعده إلى سنته، أي: اكشفوا عليه، [أي: على حكم الله]، منهما، [أي: من الكتاب والسنة] ﴿إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك﴾ أي: الردُّ إليهما ﴿خير﴾ لكم من التنازع والقولِ بالرأي ﴿وأحسن تأويلاً﴾ مآلاً [وعاقبةً]. ٦٠ ونزل لما اختصم يهودي ومنافق، فدعا [المنافقُ] إلى كعب بن الأشرف، ليحكم بينهما، ودعا اليهودي إلى النبي ﷺ، فأتياه، فقضى لليهودي، فلم يرض المنافق، وأتيا عمر، فذكر له اليهودي ذلك، فقال للمنافق: أكذلك قال؟ قال: نعم، فقتله: ﴿ألم ترَ إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت﴾ الكثير الطغيان، وهو: كعب بن الأشرف ﴿وقد أمروا أن يكفروا به﴾ ولا يوالوه.

ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ

نصف الحزب

= جلود الكافرين بدلهم الله جلوداً أخرى، ليذوقوا بها العذاب، وهو من إعجاز القرآن الذي سبق ما أثبته العلم بقرون. ومثلها قوله تعالى في سورة المعارج: ﴿كلاَّ إنها لظى * نزاعة للشوى﴾ أي: جلدة الرأس، وقوله تعالى في سورة الحج: ﴿فالذين كفروا قطّعت لهم ثياب من نار يُصَبُّ من فوق رؤوسهم الحميم * يُصْهَرُ به ما في بطونهم والجلودُ﴾ أي: وتُصهر به جلودهم. ارجع إلى تعليقنا حول العذاب والنعيم ص ٦٧٤.

﴿ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً﴾ عن الحق.

٦١ ﴿وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله﴾ في القرآن من الحكم ﴿وإلى الرسول﴾ ليحكم بينكم ﴿رأيت المنافقين يصدون﴾ يعرضون ﴿عنك﴾ إلى غيرك ﴿صدوداً﴾.

٦٢ ﴿فكيف﴾ يصنعون ﴿إذا أصابتهم مصيبة﴾ عقوبة ﴿بما قدمت أيديهم﴾ من الكفر والمعاصي، أي: أيقدرون على الإعراض والفرار منها؟ لا ﴿ثم جاؤوك﴾ معطوف على «يصدون» ﴿يحلفون بالله إن﴾ ما ﴿أردنا﴾ بالمحاكمة إلى غيرك ﴿إلاَّ إحساناً﴾ صلحاً ﴿وتوفيقاً﴾ تأليفاً بين الخصمين، بالتقريب في الحكم، دون الحمل على مُرِّ الحق.

وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم

٦٣ ﴿أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم﴾ من النفاق، وكذبهم في عذرهم ﴿فأعرض عنهم﴾ بالصفح ﴿وعظهم﴾ خوفهم الله ﴿وقل لهم في﴾ شأن ﴿أنفسهم قولاً بليغاً﴾ مؤثراً فيهم، أي: ازجرهم، ليرجعوا عن كفرهم.

٦٤ ﴿وما أرسلنا من رسول إلاَّ ليطاع﴾ فيما يأمر به ويحكم ﴿بإذن الله﴾ بأمره، لا ليُعصَى ويُخالَف ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم﴾ بتحاكمهم إلى الطاغوت ﴿جاؤوك﴾ تائبين ﴿فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول﴾ فيه التفات عن الخطاب، تفخيماً لشأنه ﴿لوجدوا الله تواباً﴾ عليهم ﴿رحيماً﴾ بهم.

٦٥ ﴿فلا﴾ «لا» زائدة [لتأكيد القسم] ﴿وربك لا يؤمنون[1] حتى يحكموك فيما شجر﴾ اختلط ﴿بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً﴾ ضيقاً، أو: شكاً ﴿مما قضيت﴾ به ﴿ويسلموا﴾ ينقادوا لحكمك ﴿تسليماً﴾ من غير معارضة.

٦٦ ﴿ولو أنا كتبنا عليهم أن﴾ مفسِّرة ﴿اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم﴾ كما كتبنا على بني إسرائيل

---

(١) قوله تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون...﴾ الآية. أخرج البخاري ومسلم وغيرهما، أن عروة بن الزبير، حدَّث عن الزبير بن العوام، أنه خاصم رجلاً من الأنصار، إلى رسول الله ﷺ في ماء كانا كلاهما يسقيان به النخل، فقال الأنصاري للزُّبَير: سَرِّح الماء يَمُرُّ، فأبى عليه. فقال رسول الله ﷺ: «اسْقِ يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك». فغضب الأنصاري وقال: يا رسول الله أنْ كان ابن عمتك!؟... أي: قضيت له لأنه ابن عمتك؟!. فتلوَّن وجهُ رسول الله ﷺ ثم قال: «اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجَدْر ثم أرسل الماء إلى جارك». قال الزبير: ما أحسب هذه الآية نزلت إلاَّ في ذلك. والأنصاري هو: «حاطب بن أبي بلتعة» كما في رواية لابن أبي حاتم، عن سعيد بن المسيِّب، وقد كان بنوه وإخوته في مكة، ولهذا كتب حاطب إلى كبار قريش عام الفتح، يخبرهم بعزم النبي ﷺ على حربهم، وهذا سبب توهُّم البعض أنه ليس أنصارياً.

قال ابن الأثير في «النهاية»: الجَدْر: هو ما رفع حول المزرعة كالجدار، وقيل: هو أصل الجدار، وروي: «الجُدُر» جمع «جدار»، وروي «الجَذْر» بالذال المعجمة: أي: مبلغ تمام الشرب.

﴿ما فعلوه﴾ أي: المكتوب عليهم ﴿إلا قليل﴾ بالرفع على البدل، والنصب [ــ «قليلا» ــ] على الاستثناء [وهما قراءتان سبعيتان] ﴿منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به﴾ من طاعة الرسول ﴿لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً﴾ تحقيقاً لإيمانهم.

٦٧ ﴿وإذاً﴾ أي: لو ثبتوا ﴿لآتيناهم من لدنا﴾ من عندنا ﴿أجراً عظيماً﴾ هو: الجنة.

٦٨ ﴿ولهديناهم صراطاً مستقيماً﴾.

٦٩ قال بعض الصحابة للنبي ﷺ: كيف نراك في الجنة، وأنت في الدرجات العلا، ونحن أسفل منك؟ فنزل: ﴿ومن يطع الله والرسول﴾ فيما أمر به ﴿فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين﴾ أفاضل أصحاب الأنبياء، [وسمُّوا «صديقين»]، لمبالغتهم في الصدق والتصديق ﴿والشهداء﴾ القتلى في سبيل الله[1] ﴿والصالحين﴾ غير مَنْ ذكر ﴿وحسن أولئك رفيقاً﴾ رفقاء في الجنة، بأن يَسْتَمْتِعَ فيها برؤيتهم وزيارتهم والحضور معهم، وإن كان مقرهم في الدرجات العالية، بالنسبة إلى غيرهم.

٧٠ ﴿ذلك﴾ أي: كونه مع من ذُكر، مبتدأ خبره: ﴿الفضل من الله﴾ تفضل به عليهم، لا أنهم نالوه بطاعتهم ﴿وكفى بالله عليماً﴾ بثواب الآخرة، أي: فثقوا بما أخبركم به «ولا ينبّئك مثلُ خبير».

٧١ ﴿يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم﴾ من عدوكم، أي: احترزوا منه وتيقظوا له ﴿فانفروا﴾ انهضوا إلى قتاله ﴿ثبات﴾ متفرقين، سرية بعد أخرى ﴿أو انفروا جميعاً﴾ مجتمعين [جيشاً واحداً]. ٧٢ ﴿وإن منكم لمن ليبطئن﴾ ليتأخرن عن القتال، كعبد الله بن أُبيّ المنافق وأصحابه، وجَعْلُه منهم من حيث الظاهر، واللام في الفعل [«ليبطِّئن»] للقسم ﴿فإن أصابتكم مصيبة﴾ كقتل وهزيمة ﴿قال قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيداً﴾ حاضراً فأُصاب. ٧٣ ﴿ولئن﴾ لام قسم ﴿أصابكم فضل من الله﴾ كفتح وغنيمة ﴿ليقولن﴾ نادماً ﴿كأن﴾ مخففة واسمها محذوف، أي: كأنه ﴿لم يكن﴾ بالياء والتاء ﴿بينكم وبينه مودة﴾ معرفة وصداقة، وهذا راجع إلى قوله: «قد أنعم الله علي»، اعترِضَ به بين القول ومقوله وهو: ﴿يا﴾ للتنبيه ﴿ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً﴾ آخذ حظاً وافراً من الغنيمة. ٧٤ قال تعالى: ﴿فليقاتل في سبيل الله﴾ لإعلاء دينه

مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ

(١) قوله: «القتل في سبيل الله»، هم الذين قاتلوا لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الله هي: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» أي: إعلاءً لدينه، وكلمة الكافرين هي: كفرهم بالله تعالى، ارجع إلى تعليقنا حول «الجهاد» ص ١١٨.

﴿الذين يشرون﴾ يبيعون ﴿الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل﴾ يستشهد ﴿أو يغلب﴾ يظفر بعدوه ﴿فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾ ثواباً جزيلاً.

٧٥﴿وما لكم لا تقاتلون﴾ استفهام توبيخ، أي: لا مانع لكم من القتال ﴿في سبيل الله﴾ في تخليص ﴿المستضعفين من الرجال والنساء والولدان﴾ الذين حبسهم الكفار عن الهجرة وآذوهم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كنت أنا وأمي منهم ﴿الذين يقولون﴾ داعين: يا ﴿ربنا أخرجنا من هذه القرية﴾ مكة ﴿الظالم أهلها﴾ بالكفر ﴿واجعل لنا من لدنك﴾ من عندك ﴿ولياً﴾ يتولى أمورنا ﴿واجعل لنا من لدنك نصيراً﴾ يمنعنا منهم، وقد استجاب الله دعاءهم، فيسَّر لبعضهم الخروج، وبقي بعضهم إلى أن فُتحت مكة، وولَّى ﷺ عتَّابَ بن أُسيد، فأنصف مظلومهم من ظالمهم.

ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَـٰعُ

٧٦﴿الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت﴾ الشيطان ﴿فقاتلوا أولياء الشيطان﴾ أنصار دينه، تغلبوهم، لقوتكم بالله ﴿إن كيد الشيطان﴾ بالمؤمنين ﴿كان ضعيفاً﴾ واهياً، لا يقاوم كيد الله بالكافرين.

٧٧﴿ألم ترَ إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم﴾[1] عن قتال الكفار، لمَّا طلبوه بمكة، لأذى الكفار لهم، وهم: جماعة من الصحابة ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب﴾ فُرض ﴿عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون﴾ يخافون ﴿الناس﴾ الكفار، أي: عذابهم بالقتل ﴿كخشية﴾ ـهم عذابَ ﴿الله أو أشد خشية﴾ من خشيتهم له، ونصب «أشدَّ» على الحال، وجواب «لمَّا»، دل عليه «إذا» وما بعدها، أي: [فلما كتب عليهم القتال]، فاجأتهم الخشية ﴿وقالوا﴾ جزعاً من الموت ﴿ربنا لم كتبت علينا القتال؟ لولا﴾ هلاَّ ﴿أخرتنا إلى أجل قريب قل﴾ لهم ﴿متاع

(١) قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم...﴾، جاء في سبب نزول هذه الآية رواية، لم تخل من خلل، فقد أخرج النَّسائي والحاكم والبيهقي في سننه وغيرهم عن ابن عباس: أن عبد الرحمن بن عوف وأصحاباً له أتوا النبي ﷺ فقالوا: يا نبي الله كنا في عزٍّ ونحن مشركون، فلما آمنا صرنا أذلة ــ وهم بذلك يطلبون الإذن بالقتال في مكة ــ فقال ﷺ: «إني أمرت بالعفو، فلا تقاتلوا القوم»، فلما حوَّله الله إلى المدينة، أمره الله بالقتال فكفُّوا، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

والذي رجَّحه القرطبي: أن هذه الآية في وصف المنافقين، وثمة وجه آخر، هو قول مجاهد بأنها نزلت في اليهود، على نحو ما تقدم في قصة «طالوت» من سورة «البقرة» ص «٥٠».

ويصح توجيه رواية ابن عباس، بأن الذين انخذلوا بعد فرض القتال، هم نفر ممن كان مع عبد الرحمن بن عوف، من ضعاف الإيمان، وهذا يوافق نص الآية ﴿إذا فريق منهم...﴾ ويبرىء ابن عوف من هذا الموقف المشين.

﴿الدنيا﴾ ما يتمتع به فيها، أو الاستمتاع بها ﴿قليل﴾ آيل إلى الفناء ﴿والآخرة﴾ أي: الجنة ﴿خير لمن اتقى﴾ عقاب الله، بترك معصيته ﴿ولا تظلمون﴾ بالتاء والياء: تُنقصون من أعمالكم ﴿فتيلاً﴾ قدر قشرة النواة[1]، فجاهدوا.

٧٨﴿أين ما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج﴾ حصون ﴿مشيدة﴾ مرتفعة، فلا تخشوا القتال خوف الموت ﴿وإن تصبهم﴾ أي: اليهود ﴿حسنة﴾ خصب وسعة ﴿يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة﴾ جدب وبلاء، كما حصل لهم عند قدوم النبي ﷺ المدينة ﴿يقولوا هذه من عندك﴾ يا محمد، أي: بشؤمك ﴿قل﴾ لهم ﴿كل﴾ من الحسنة والسيئة ﴿من عند الله﴾ من قِبَلِهِ ﴿فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون﴾ أي: لا يقاربون أن يفهموا ﴿حديثاً﴾ يلقى إليهم، و «ما» استفهام تعجيب من فرط جهلهم، ونفيُ مقاربة الفعل أشد من نفيه.

الجزء الخامس

ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ

٧٩﴿ما أصابك﴾ أيها الإنسان ﴿من حسنة﴾ خير ﴿فمن الله﴾ أتتك، فضلاً منه ﴿وما أصابك من سيئة﴾ بلية ﴿فمن نفسك﴾ أتتك، حيث ارتكبت ما يستوجبها من الذنوب ﴿وأرسلناك﴾ يا محمد ﴿للناس رسولاً﴾ حال مؤكدة ﴿وكفى بالله شهيداً﴾ على رسالتك.

٨٠﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله[2] ومن تولى﴾ أعرض عن طاعته، فلا يُهمنّك ﴿فما أرسلناك عليهم حفيظاً﴾ حافظاً لأعمالهم، بل نذيراً، وإلينا أمرهم فنجازيهم، وهذا قبل الأمر بالقتال.

٨١﴿ويقولون﴾ أي: المنافقون إذا جاؤوك: أمرُنا ﴿طاعة﴾ لك ﴿فإذا برزوا﴾ خرجوا ﴿من عندك بيّت طائفة منهم﴾ بإدغام التاء في الطاء، وتركه، أي: أضمرتْ ﴿غير الذي تقول﴾ لك في حضورك من الطاعة، أي: عصيانك ﴿والله يكتب﴾ يأمر بكتب ﴿ما يبيتون﴾ في صحائفهم، ليجازوا عليه ﴿فأعرض عنهم﴾ بالصفح ﴿وتوكل على الله﴾ ثق به، فإنه كافيك ﴿وكفى بالله وكيلاً﴾ مفوّضاً إليه.

٨٢﴿أفلا يتدبرون﴾ يتأملون ﴿القرآن﴾ وما فيه من المعاني البديعة ﴿ولو كان

---

(١) قوله: «قدر قشرة النواة» هذا سبق قلم من الجلال السيوطي، فهذا معنى «القطمير»، أما «الفتيل» فهو: الخيط الذي في بطن النواة، و «النقير» هي: النقرة في ظهر النواة. وهذه الثلاثة يُضرب بها المثل في إرادة القلة.

(٢) قوله تعالى: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ نص صريح في وجوب العمل بسنة الرسول ﷺ، التي نقلت إلينا بواسطة الثقات من العلماء والرواة، وهي معروفة مشهورة، لا يماري فيها إلا كل متكبر مريض القلب، فقد أخرج أبو داود والترمذي وابن ماجه، عن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا هل عسى رجلٌ يبلغه الحديث عني، وهو متكئ على أريكته فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله... فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه، وما وجدنا فيه حراماً حرمناه، وإن ما حَرّم رسولُ الله، كما حرّمه الله».

من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ تناقضاً في معانيه وتبايناً في نظمه. ٨٣﴿وإذا جاءهم أمر﴾ عن سرايا النبي ﷺ، بما حصل لهم ﴿من الأمن﴾ بالنصر ﴿أو الخوف﴾ بالهزيمة ﴿أذاعوا به﴾ أفشوه، نزل في جماعة من المنافقين، أو: في ضعفاء المؤمنين، كانوا يفعلون ذلك، فتضعف قلوب المؤمنين ويتأذى النبيّ ﴿ولو ردوه﴾ أي: الخبر ﴿إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم﴾ أي: ذوي الرأي في أكابر الصحابة، أي: لو سكتوا عنه حتى يُخْبَروا به ﴿لعلمه﴾ ـ هل هو مما ينبغي أن يذاع أو: لا ـ ﴿الذين يستنبطونه﴾ يتبعونه ويطلبون علمه، وهم: المذيعون ﴿منهم﴾ من الرسول وأولي الأمر ﴿ولولا فضل الله عليكم﴾ بالإسلام ﴿ورحمته﴾ لكم بالقرآن ﴿لاتبعتم الشيطان﴾ فيما يأمركم به

مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ

من الفواحش ﴿إلا قليلاً﴾. ٨٤﴿فقاتل﴾ يا محمد ﴿في سبيل الله لا تكلَّف إلا نفسك﴾ فلا تهتم بتخلفهم عنك، المعنى: قاتل ولو وحدك، فإنك موعود بالنصر ﴿وحرض المؤمنين﴾ حثهم على القتال ورغبهم فيه ﴿عسى الله أن يكف بأس﴾ حرب ﴿الذين كفروا والله أشد بأساً﴾ منهم ﴿وأشد تنكيلاً﴾ تعذيباً منهم، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لأخرجن ولو وحدي» [رواه البيهقي في الدلائل]، فخرج بسبعين[1] راكباً إلى بدر الصغرى، فكف الله بأس الكفار، بإلقاء الرعب في قلوبهم، ومنع أبي سفيان عن الخروج، كما تقدم في آل عمران[2]. ٨٥﴿من يشفع﴾ بين الناس ﴿شفاعة حسنة﴾ موافقة للشرع ﴿يكن له نصيب﴾ من الأجر ﴿منها﴾ بسببها ﴿ومن يشفع شفاعة سيئة﴾ مخالفة له ﴿يكن له كفل﴾ نصيب من الوزر ﴿منها﴾ بسببها ﴿وكان الله على كل شيء مقيتاً﴾ مقتدراً، فيجازي كل أحد بما عمل. ٨٦﴿وإذا حييتم بتحية﴾ كأن قيل لكم: سلام عليكم ﴿فحيوا﴾ المحَيِّي ﴿بأحسن منها﴾ بأن تقولوا له: عليك السَّلام ورحمة الله وبركاته ﴿أو ردوها﴾ بأن تقولوا كما قال، أي: الواجب أحدهما، والأول أفضل ﴿إن الله كان على كل شيء حسيباً﴾ محاسباً، فيجازي عليه، ومنه ردُّ السَّلام، وخَصَّت السُّنة، الكافرَ والمبتدعَ والفاسقَ، والمسلِّم على قاضي الحاجة، ومَنْ في الحمام، والآكلَ، فلا يجب الرد عليهم، بل يكره في غير الأخير، ويقال للكافر: «وعليك». ٨٧﴿الله لا إله إلا هو﴾ واللَّهِ ﴿ليجمعنكم﴾ من قبوركم ﴿إلى﴾ في ﴿يوم القيامة لا ريب﴾ شك ﴿فيه ومن﴾ أي: لا أحد ﴿أصدق

---

(١) قوله: «فخرج في سبعين راكباً»، الصحيح أنه خرج في ألف وخمسمائة في السنة الرابعة للهجرة، قاله: أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي ـ نسبة إلى جده «واقد» ـ المتوفى عام سبع ومائتين هجرية.

(٢) قوله: «كما تقدم في آل عمران» أي: صفحة ٩١، فارجع إليها فإن فيها تصويبات مفيدة في سبب نزول الآيتين ١٧٢ و ١٧٣ منها.

من الله حديثاً﴾ قولاً. ٨٨ ولما رجع ناس من [معركة] أحد، [وهم: المنافقون]، اختلف الناس فيهم، فقال فريق: نقتلهم، وقال فريق: لا، فنزل ﴿فما لكم﴾ أي: ما شأنكم صرتم ﴿في المنافقين فئتين﴾ فرقتين؟ ﴿والله أركسهم﴾ ردهم [من عز الإسلام إلى ذل الكفر] ﴿بما كسبوا﴾ من الكفر والمعاصي ﴿أتريدون أن تهدوا من أضل﴾ ـه ﴿الله﴾ أي: تعدُّوهم من جملة المهتدين؟ والاستفهام في الموضعين للإنكار ﴿ومن يضلل﴾ ـه ﴿الله فلن تجد له سبيلاً﴾ طريقاً إلى الهدى.

٨٩﴿ودوا﴾ تمنوا ﴿لو تكفرون كما كفروا فتكونون﴾ أنتم وهم ﴿سواء﴾ في الكفر ﴿فلا تتخذوا منهم أولياء﴾ توالونهم، وإن أظهروا الإيمان ﴿حتى يهاجروا في سبيل الله﴾ هجرة صحيحة تحقق إيمانهم[1] ﴿فإن تولوا﴾ وأقاموا على ما هم عليه ﴿فخذوهم﴾ بالأسر ﴿واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم ولياً﴾ توالونه ﴿ولا نصيراً﴾ تنتصرون به على عدوكم.

٩٠﴿إلا الذين يصلون﴾ يلجأون ﴿إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾ عهد، بالأمان لهم ولمن وصل إليهم، كما عاهده ﷺ، هلالَ بن عويمر الأسلمي، [على أن لا يُعين على النبي ﷺ ولا يعينه، وعلى أن من لجأ إليه، لا يتعرض الرسول ﷺ له] ﴿أو﴾ الذين ﴿جاؤوكم﴾ وقد ﴿حصرت﴾ ضاقت ﴿صدورهم﴾ عن ﴿أن يقاتلوكم﴾ مع قومهم ﴿أو يقاتلوا قومهم﴾ معكم أي: ممسكين عن قتالكم وقتالهم، فلا تتعرضوا إليه بأخذ ولا قتل، وهذا [النهي عن التعرض لهم] وما بعده، منسوخ بآية السيف ﴿ولو شاء الله﴾ تسليطهم عليكم ﴿لسلطهم عليكم﴾ بأن يقوّي قلوبهم ﴿فلقاتلوكم﴾ ولكنه لم يشأه، فألقى في قلوبهم الرعب ﴿فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السَّلم﴾ الصلح، أي: انقادوا ﴿فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً﴾ طريقاً بالأخذ والقتل.

٩١﴿ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم﴾ بإظهار الإيمان عندكم ﴿ويأمنوا قومهم﴾ بالكفر إذا رجعوا إليهم، وهم: [بنو] أسد وغطفان ﴿كلما ردوا إلى الفتنة﴾ دُعوا إلى الشرك

الجزء الخامس

مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ۞ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ

حزب ١٠

---

(١) قوله: «هجرة صحيحة تحقق إيمانهم»، قال القرطبي: هجرة المنافقين كانت الخروج مع النبي ﷺ في الغزوات، وقال أيضاً في معنى الآيات (٨٨ ـ ٩٠): اقتلوا المنافقين الذين اختلفتم فيهم إلاَّ أن يهاجروا، وإلاَّ أن يتصلوا بمن بينكم وبينهم ميثاق، فيدخلوا فيما دخلوا فيه فلهم حكمهم، وإلاَّ الذين جاؤوكم قد حصرت صدورهم، عن أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم، فدخلوا فيكم فلا تقتلوهم. اهـ. وهذه الأحكام منسوخة بآية السيف كما ذكر المؤلف، أما نزول الآية «٨٨» في المنافقين فقد رواه البخاري ومسلم والترمذي.

﴿أركسوا فيها﴾ وقعوا أشد وقوع ﴿فإن لم يعتزلوكم﴾ بترك قتالكم ﴿و﴾ لم ﴿يلقوا إليكم السلم و﴾ لم ﴿يكفوا أيديهم﴾ عنكم ﴿فخذوهم﴾ بالأسر ﴿واقتلوهم حيث ثقفتموهم﴾ وجدتموهم ﴿وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً﴾ برهاناً بيّناً ظاهراً على قتلهم وسبيهم لغدرهم. ٩٢﴿وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً﴾ أي: ما ينبغي أن يصدر منه قتل له ﴿إلاّ خطأً﴾ مخطئاً في قتله من غير قصد ﴿ومن قتل مؤمناً خطأً﴾ بأن قصد رمي غيره، كصيد أو شجر، فأصابه، أو ضربه بما لا يقتل غالباً [فقتله] ﴿فتحرير﴾ عتق ﴿رقبة﴾ نَسَمَةٍ ﴿مؤمنة﴾ عليه ﴿ودية مسلمة﴾ مؤداة ﴿إلى أهله﴾ أي: ورثة المقتول ﴿إلاّ أن يصدقوا﴾ يتصدقوا عليه بها، بأن يعفوا عنها، وبيّنت السُّنة [فيما رواه الدارقطني]: أنها مئة من الإبل، عشرون بنت خاض[1]، وكذا بنات لبون وبنون لبون، وحِقاق، وجذاع، وأنها على عاقلة القاتل، وهم: عصبته، إلاّ الأصل والفرع، موزعة عليهم على ثلاث سنين، على الغني منهم نصف دينار، والمتوسط ربع كلّ سنة، فإن لم يفوا فمن بيت المال، فإن تعذر فعلى الجاني ﴿فإن كان﴾ المقتول ﴿من قوم عدو﴾ حرب ﴿لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة﴾ على قاتله كفارةً، ولا دية تسلّم إلى أهله لحرابتهم ﴿وإن كان﴾ المقتول ﴿من قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾ عهد كأهل الذِّمة ﴿فدية﴾ له ﴿مسلمة إلى أهله﴾ وهي: ثلث دية المؤمن، إن كان يهودياً أو نصرانياً، وثلثا عشرها إن كان مجوسياً ﴿وتحرير رقبة مؤمنة﴾ على قاتله ﴿فمن لم يجد﴾ الرقبة، بأن فقدها وما يحصِّلها به ﴿فصيام شهرين متتابعين﴾ عليه، كفارةً، ولم يذكر الله تعالى الانتقال إلى الطعام كالظِّهار، وبه أخذ الشافعي في أصح قوليه ﴿توبة من الله﴾ مصدر منصوب بفعله المقدر ﴿وكان الله عليماً﴾ بخلقه ﴿حكيماً﴾ فيما دبره لهم. ٩٣﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً﴾ بأن يقصد قتله بما يَقْتُلُ غالباً، عالماً بإيمانه ﴿فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه﴾ أبعده عن رحمته ﴿وأعد له عذاباً عظيماً﴾ في النار، وهذا مؤوّل بمن يستحله، أو: بأنّ هذا جزاؤه إن جوزي، ولا بِدْعَ في خُلْف الوعيد لقوله: «ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء»، وعن ابن عباس أنها على ظاهرها، وأنها ناسخة لغيرها من آيات المغفرة، وبينت آية «البقرة» أن قاتل العمد يُقتل به، وأن عليه الدية إن عُفي عنه، وسبق قَدْرُها، وبينت السُّنة [فيما رواه أبو داود والنَّسائي، وصححه ابن حبان]: أن بين العمد والخطأ قتلاً يسمى: شِبْهَ العمد، وهو: أن يقتله بما لا يقتل غالباً، فلا قصاص فيه، بل دية كالعمد، [أي: كديته]، في الصفة [المذكورة]، و [كالقتل] الخطأ، في التأجيل [ثلاث سنين]، و [في] الحَمْلِ [على العاقلة]، وهو والعَمْدُ أولى بالكفارة من الخطأ. ٩٤ ونزل لمَّا مر نفر من الصحابة، برجل من بني سُلَيم، وهو يسوق غَنَماً، فسلم عليهم فقالوا: ما سلم علينا إلاّ تقية، فقتلوه واستاقوا غنمه: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم﴾ سافرتم للجهاد ﴿في سبيل الله

أُرْكِسُواْ فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ

(١) هي: أنثى الإبل التي أتمّت السنة الأولى. و «اللَّبون»: التي أتمت الثانية. و «الحِقَّة»: التي أتمت الثالثة، و «الجَذَعة»: التي أتمت الرابعة.

﴿فتبينوا﴾ وفي قراءة: بالمثلثة[1] في الموضعين ﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السَّلام﴾ بألف ودونها، أي: التحية، أو: الانقياد، بقوله كلمةَ الشهادة، التي هي أمارة على الإسلام ﴿لست مؤمناً﴾ وإنما قلتَ هذا تقية لنفسك ومالك، فتقتلوه ﴿تبتغون﴾ تطلبون بذلك ﴿عرض الحياة الدنيا﴾ متاعها من الغنيمة ﴿فعند الله مغانم كثيرة﴾ تغنيكم عن قتل مثله لماله ﴿كذلك كنتم من قبل﴾ تُعْصَمُ دماؤكم وأموالكم، بمجرد قولكم الشهادة ﴿فمنَّ الله عليكم﴾ بالاشتهار بالإيمان والاستقامة ﴿فتبينوا﴾ أن تقتلوا مؤمناً، وافعلوا بالداخل في الإسلام كما فُعل بكم ﴿إن الله كان بما تعملون خبيراً﴾ فيجازيكم به. ٩٥ ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين﴾ عن الجهاد ﴿غير أولي الضرر﴾ بالرفع صفة، والنصب استثناء، من زَمَانه، أو: عميً، أو: نحوه ﴿والمجاهدون في سبيل الله[2] بأموالهم وأنفسهم فضَّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين﴾ لضرر ﴿درجة﴾ فضيلة، لاستوائهما في النية، وزيادة المجاهدين بالمباشرة ﴿وكلّاً﴾ من الفريقين ﴿وعد الله الحسنى﴾ الجنة ﴿وفضل الله المجاهدين على القاعدين﴾ لغير ضرر ﴿أجراً عظيماً﴾ ويبدل منه:

٩٦ ﴿درجات منه﴾ منازل بعضها فوق بعض من الكرامة ﴿ومغفرة ورحمة﴾ منصوبان بفعلهما المقدر ﴿وكان الله غفوراً﴾ لأوليائه ﴿رحيماً﴾ بأهل طاعته.

٩٧ و [روى البخاري والنسائي وغيرهما عن ابن عباس قال:] نزل في جماعة أسلموا ولم يهاجروا، [وخرجوا مع المشركين، يكثِّرون سوادهم على رسول الله ﷺ] فقُتلوا يوم بدر مع الكفار: ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾ بالمقام مع الكفار وترك الهجرة ﴿قالوا﴾ لهم موبخين ﴿فيم كنتم﴾ أي: في أيِّ شيء كنتم في أمر دينكم؟ ﴿قالوا﴾ معتذرين ﴿كنا مستضعفين﴾ عاجزين عن إقامة الدين ﴿في الأرض﴾ أرض مكة ﴿قالوا﴾ لهم توبيخاً ﴿ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾ من أرض الكفر إلى بلد آخر كما فعل غيركم؟ قال الله تعالى: ﴿فأولئك مأواهم جهنم وساءت

فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَـٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ

(١) قوله: «وفي قراءة بالمثلثة»، أي: «فتثبتوا»، وقوله: «في الموضعين» أي: هذا والذي في آخر الآية، ومثلهما الموضع الذي في «الحجرات».

(٢) قوله تعالى: ﴿في سبيل الله﴾. ينال المجاهد في سبيل الله تعالى إحدى الحسنيين، النصرَ على العدو، والظفر بالغنيمة، أو الشهادةَ إذا كان قتاله في سبيل الله، روى الشيخان عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أن أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، الرجلُ يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل ليُذكر، والرجل يقاتل ليُرى مكانُه، وفي رواية: يقاتل شجاعة، ويقاتل حميَّة، فمن في سبيل الله؟ فقال ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»، وينال شرف الشهادة، من قُتِل دفاعاً عن ماله أو دينه، روى الشيخان قوله ﷺ: «من قُتِل دون ماله فهو شهيد»، وزاد أبو داود والترمذي: «ومن قُتل دون دمه فهو شهيد، ومن قُتل دون دينه فهو شهيد، ومن قُتل دون أهله فهو شهيد».

مصيراً﴾ هي. ٩٨ ﴿إلاّ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان﴾ الذين ﴿لا يستطيعون حيلة﴾ لا قوة لهم على الهجرة ولا نفقة ﴿ولا يهتدون سبيلاً﴾ طريقاً إلى أرض الهجرة. ٩٩ ﴿فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً﴾. ١٠٠ ﴿ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً﴾ مُهَاجراً، [أي: أماكن يهاجر إليها] ﴿كثيراً وسعة﴾ في الرزق ﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت﴾ في الطريق، كما وقع لجُنْدَع بن ضَمْرَةَ اللَّيثي ﴿فقد وقع﴾ ثبت ﴿أجره على الله وكان الله غفوراً رحيماً﴾. ١٠١ ﴿وإذا ضربتم﴾ سافرتم ﴿في الأرض فليس عليكم جناح﴾ في ﴿أن تقصروا من الصلاة﴾[1] بأن تردُّوها من أربع إلى اثنتين ﴿إن خفتم أن يفتنكم﴾ أي: ينالكم بمكروه ﴿الذين كفروا﴾

مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ ۖ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟

بيان للواقع إذ ذاك، فلا مفهوم له، [أي: ليس خوف المكروه شرطاً في جواز القصر]، وبينت السُّنة [فيما رواه ابن خزيمة، موقوفاً على ابن عباس بإسناد صحيح]: أن المراد بالسفر الطويلُ، وهو: أربعة بُرُدٍ، [جمع «بَريد»، والبريد اثنا عشر ميلاً]، وهي: مرحلتان [أي: سير يومين معتدلين]، ويؤخذ من قوله: «فليس عليكم جناح» أنه رخصة لا واجب، وعليه الشافعي ﴿إن الكافرين كانوا لكم عدواً مُبيناً﴾ بيِّني العداوة.

١٠٢ ﴿وإذا كنت﴾ يا محمد حاضراً ﴿فيهم﴾ وأنتم تخافون العدو ﴿فأقمت لهم الصلاة﴾ [أي: صلاة الخوف]، وهذا جري على عادة القرآن في الخطاب، فلا مفهوم له، [أي: ليس حضوره ﷺ شرطاً لإقامة صلاة الخوف] ﴿فلتقم طائفة منهم معك﴾ وتتأخر طائفة ﴿وليأخذوا﴾ أي: الطائفة التي قامت معك ﴿أسلحتهم﴾ معهم ﴿فإذا سجدوا﴾ أي: صلوا ﴿فليكونوا﴾ أي: الطائفة الأخرى ﴿من ورائكم﴾ يحرسون إلى أن تقضوا الصلاة، وتذهب هذه الطائفة تحرس ﴿ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا

---

(١) قوله تعالى: ﴿أن تقصروا من الصلاة﴾. «قَصْر الصلاة» هو: «أداء الصلاة الرباعية ركعتين» وهي: صلاة الظهر والعصر والعشاء، أما الفجر والمغرب، فلا يلحقهما القصر، بل يصلَّيان كما هما، وقصر الصلاة مشروع بإجماع المسلمين، ثبتت مشروعيته بنص القرآن الكريم والسُّنة الصحيحة، فقد روى البخاري ومسلم عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «أول ما فُرضت الصلاة ركعتين، فأُقِرَّتْ صلاة السفر وأُتمت صلاة الحضر». وللبخاري، «ثم هاجر ـ أي: رسول الله ﷺ ـ ففرضت أربعاً، وأقرت صلاة السفر على الأول». وزاد الإمام أحمد: «إلاّ المغرب فإنها وَتْر النهار، وإلاّ الصبح فإنها تُطَوَّل فيها القراءة». وروى البخاري ومسلم ـ واللفظ للبخاري ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ من المدينة إلى مكة، فكان يصلي ركعتين حتى رجعنا إلى المدينة»، وللمسافر أيضاً أن يجمع صلاتي الظهر والعصر، وصلاتي المغرب والعشاء، جمع تقديم: بأن يصلي العصر في وقت الظهر معها، ويصلي العشاء في وقت المغرب معها، وجمع تأخير: بأن يؤخر الظهر ليصليه مع صلاة العصر في وقتها، ويؤخر المغرب ليصليها مع صلاة العشاء في وقتها.

فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم﴾ معهم إلى أن تقضوا الصلاة، وقد فعل النبي ﷺ كذلك[1] ببطن نخل رواه الشيخان ﴿ود الذين كفروا لو تغفلون﴾ إذا قمتم إلى الصلاة ﴿عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة﴾ بأن يحملوا عليكم فيأخذوكم، وهذا علة الأمر بأخذ السلاح ﴿ولا جناح عليكم إن كان بكم أذىً من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم﴾ فلا تحملوها، وهذا يفيد إيجاب حملها عند عدم العذر، وهو: أحد قولين للشافعي، والثاني: أنه سنة، ورُجِّح ﴿وخذوا حذركم﴾ من العدو، أي: احترزوا منه ما استطعتم ﴿إن الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً﴾ ذا إهانة.
١٠٣ ﴿فإذا قضيتم الصلاة﴾ فرغتم منها ﴿فاذكروا الله﴾ بالتهليل والتسبيح ﴿قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم﴾ مضطجعين، أي: في كل حال ﴿فإذا اطمأننتم﴾ أمنتم ﴿فأقيموا الصلاة﴾ أدوها بحقوقها ﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً﴾ مكتوباً، أي: مفروضاً ﴿موقوتاً﴾ أي: مقدَّراً وقتها، فلا تؤخَّر عنه.
١٠٤ و [قيل:] نزل لما بعث ﷺ طائفة في طلب أبي سفيان وأصحابه، لمَّا رجعوا من أُحد، [والصحيح: لما خرج ﷺ مع المسلمين إلى «حمراء الأسد» كما تقدم ص ٩١] فشكوا الجراحات: ﴿ولا تهنوا﴾ تضعفوا ﴿في ابتغاء﴾ طلب ﴿القوم﴾ الكفار لتقاتلوهم ﴿إن تكونوا تألمون﴾ تجدون ألم الجراح ﴿فإنهم يألمون كما تألمون﴾ أي: مثلكم، ولا يجبنون عن قتالكم ﴿وترجون﴾ أنتم ﴿من الله﴾ من النصر والثواب عليه ﴿ما لا يرجون﴾ هم، فأنتم تزيدون عليهم بذلك، فينبغي أن تكونوا أرغب منهم فيه ﴿وكان الله عليماً﴾ بكل شيء ﴿حكيماً﴾ في صنعه.
١٠٥ وسرق طُعمة بن أبيرق درعاً، وخبأها عند يهودي، [يدعى زيد بن السَّمين]، فوُجدت عنده، فرماه طعمة بها، وحلف أنه ما سرقها، فسأل قومه النبي ﷺ، أن يجادل عنه ويبرئه، [بعد ما شهدوا الزُّور على براءة صاحبهم] فنزل: ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب﴾ القرآن ﴿بالحق﴾ متعلق بـ «أنزل» ﴿لتحكم بين الناس بما أراك﴾ أعلمك ﴿الله﴾ فيه ﴿ولا تكن للخائنين﴾ كطعمة [وقومه وأمثالهم] ﴿خصيماً﴾ مخاصماً عنهم. ١٠٦ ﴿واستغفر الله﴾ مما هممت به، [فقد همّ بقطع يد اليهودي، فأعلمه الله الحال بالوحي، فهمّ أن يقضي على طعمة، فهرب إلى مكة وارتدّ، وهناك نقب حائطاً ليسرق، فسقط عليه فقتله، فمات مرتداً] ﴿إن الله كان غفوراً رحيماً﴾.

فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾

(١) قوله: «وقد فعل النبي ﷺ كذلك إلخ». أي: صلَّى صلاة الخوف. بعد أن نزلت هذه الآية.
فقد أخرج عبد الرزاق، وأحمد وأبو داود والنسائي، وغيرهم، عن أبي عياش الزُّرَقي ــ وهو زيد بن الصامت ــ رضي الله عنه قال: =

١٠٧﴿ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم﴾ يخونونها بالمعاصي، لأن وبال خيانتهم عليهم ﴿إن الله لا يحب من كان خواناً﴾ كثير الخيانة ﴿أثيماً﴾ أي: يعاقبه.
١٠٨﴿يستخفون﴾ أي: طعمة وقومه حياءً ﴿من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم﴾ بعلمه ﴿إذ يبيتون﴾ يضمرون ﴿ما لا يرضى من القول﴾ من عزمهم على الحلف على نفي السرقة، ورمي اليهودي بها ﴿وكان الله بما يعملون محيطاً﴾ علماً. ١٠٩﴿ها أنتم﴾ يا ﴿هؤلاء﴾[1] خطاب لقوم طعمة ﴿جادلتم﴾ خاصمتم ﴿عنهم﴾ أي: عن طعمة وذويه، وقرىء [شذوذاً]: «عنه» ﴿في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة﴾ إذا عذبهم ﴿أم من يكون عليهم وكيلاً﴾ يتولى أمرهم ويذب عنهم؟، أي: لا أحد يفعل ذلك.
١١٠﴿ومن يعمل سوءاً﴾ ذنباً يسوء به غيره، كرمي «طُعْمَةَ» اليهوديَّ [بالسرقة] ﴿أو يظلم نفسه﴾ يعمل ذنباً قاصراً عليه ﴿ثم يستغفر الله﴾ منه، أي: يَتُبْ ﴿يجد الله غفوراً﴾ له ﴿رحيماً﴾ بـه.
١١١﴿ومن يكسب إثماً﴾ ذنباً ﴿فإنما يكسبه على نفسه﴾ لأن وباله عليها، ولا يضر غيره ﴿وكان الله عليماً﴾ [بخلقه] ﴿حكيماً﴾ في صنعه.
١١٢﴿ومن يكسب خطيئة﴾ ذنباً صغيراً ﴿أو إثماً﴾ ذنباً كبيراً ﴿ثم يرم به بريئاً﴾ منه ﴿فقد احتمل﴾ تحمَّل ﴿بهتاناً﴾ برميه ﴿وإثماً مبيناً﴾ بيِّناً بكسبه.
١١٣﴿ولولا فضل الله عليك﴾ يا محمد ﴿ورحمته﴾ بالعصمة ﴿لهمت﴾ أضمرت ﴿طائفة منهم﴾ من قوم طعمة ﴿أن يضلوك﴾ عن القضاء بالحق، بتلبيسهم عليك ﴿وما يضلون إلا أنفسهم

سُورَةُ النِّسَاءِ ٤

وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ

= «كنا مع النبي ﷺ بعُسْفَان، فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد، وهم بيننا وبين القبلة، فصلى بنا النبي ﷺ الظهر، فقالوا: قد كانوا على حال لو أصبنا غِرَّتهم. . ثم قالوا: يأتي عليهم الآن صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم وأنفسهم. فنزل جبريل بهذه الآيات بين الظهر والعصر»، فصلَّى الرسول ﷺ بالمسلمين صلاة الخوف. قال ابن حجر في الفتح: أوّل ما صُلّيت صلاة الخوف في «عُسفان»، وقال الزّيلعي في «نصب الرّاية»: الذي استقر عند أهل السِّيَر والمغازي، أن النبي ﷺ صلَّى صلاة الخوف في أربعة مواضع هي: في «عُسْفَان» وهي: قرية جامعة على نحو يومين من مكة على طريق المدينة، وفي «بطن نخل» وهو: موضع من نجد على نحو يومين شرقي المدينة. وفي «غزوة ذات الرقاع» السنة الرابعة للهجرة، وفي «ذي قَرَد» وهو موضع على نحو يوم من المدينة.

(١) قوله تعالى: ﴿ها أنتم هؤلاء...﴾ الآية. إن معنى الآية عام، وفيها تحريم الدفاع عن الباطل وأهله أيّاً كان السبب، لأن الحقَّ أحقُّ أن يتَّبع، وهي تعني بصورة واضحة «المحامين»، الذين اتخذوا من الدفاع عن المتخاصمين مهنةً لهم، فلا يجوز «للمحامي» أن يتخذ من مبدأ «حق الدفاع» ذريعة للوقوف ضد «الحق» وهو يعلم، ولو أن كل «محام» تحرى الحق قبل أن يقبل الوكالة، فلم يدافع إلاَّ عن صاحب الحق، لضاقت السبل على المعتدين والظالمين، ففي رفض الدفاع عن الباطل، إعلاءٌ للحق ونصر لأصحابه، وهذا واجب على كل إنسان.

﴿وما يضرونك من﴾ زائدة ﴿شيء﴾ لأن وبال إضلالهم عليهم ﴿وأنزل الله عليك الكتاب﴾ القرآن ﴿والحكمة﴾ ما فيه من الأحكام ﴿وعلمك ما لم تكن تعلم﴾ من الأحكام والغيب ﴿وكان فضل الله عليك﴾ بذلك وغيره ﴿عظيماً﴾.

١١٤﴿لا خير في كثير من نجواهم﴾ أي: الناس، أي: ما يتناجون فيه ويتحدثون ﴿إلا﴾ نجوى ﴿من أمر بصدقة أو معروف﴾ عَمَل برٍّ ﴿أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك﴾ المذكور ﴿ابتغاء﴾ طلب ﴿مرضات الله﴾ لا غيره من أمور الدنيا ﴿فسوف نؤتيه﴾ بالنون والياء، أي: الله ﴿أجراً عظيماً﴾.

وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ

نصف الحزب

١١٥﴿ومن يشاقق﴾ يخالف ﴿الرسول﴾ فيما جاء به من الحق ﴿من بعد ما تبين له الهدى﴾ ظهر له الحق بالمعجزات ﴿ويتبع﴾ طريقاً ﴿غير سبيل المؤمنين﴾[1] أي: طريقهم الذي هم عليه من الدين، بأن يكفر ﴿نوله ما تولى﴾ نجعله والياً لما تولاّه من الضلال، بأن نخلّي بينه وبينه في الدنيا ﴿ونصله﴾ ندخله في الآخرة ﴿جهنم﴾ فيحترق فيها ﴿وساءت مصيراً﴾ مرجعاً هي.

١١٦﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً﴾ عن الحق.

١١٧﴿إن﴾ ما ﴿يدعون﴾ يعبد المشركون ﴿من دونه﴾ أي: الله، أي: غيره ﴿إلا إناثاً﴾ أصناماً مؤنثة[2]، كاللات، والعُزّى، ومَناة ﴿وإن﴾ ما ﴿يدعون﴾ يعبدون بعبادتها ﴿إلا شيطاناً مريداً﴾ خارجاً عن الطاعة، لطاعتهم له فيها وهو: إبليس[3].

١١٨﴿لعنه الله﴾ أبعده عن رحمته ﴿وقال﴾ أي: الشيطان ﴿لأتخذن﴾ لأجعلن لي ﴿من عبادك نصيباً﴾ حظاً ﴿مفروضاً﴾ مقطوعاً أدعوهم إلى طاعتي.

١١٩﴿ولأضلنهم﴾ عن الحق بالوسوسة ﴿ولأمنينهم﴾ ألقي في قلوبهم طول الحياة: أن لا بعث ولا حساب ﴿ولآمرنهم

---

(١) قوله تعالى: ﴿ويتبع غير سبيل المؤمنين﴾ فيه دليل واضح على أن الحق لا يكون في غير سبيل المؤمنين، وهو أيضاً تحذير من مخالفة الجماعة والشذوذ عنها، فقد أخرج الترمذي والبيهقي في «الأسماء والصفات»، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يجمع الله هذه الأمة على الضلالة أبداً، ويد الله على الجماعة، فمن شذَّ شذَّ في النار».

(٢) قوله: «أصناماً مؤنثة»، أي: أسماؤها مؤنثة، فاللات مأخوذ من «إله»، والعزى من «العزيز» ومناة من «المنان»، وهذا بيان لشدة جهلهم وضلالهم، وسُخْفِ عقولهم، إذ هم يكرهون الأنثى، ويحتقرونها، ومع ذلك يدعون أصناماً سمَّوْها أسماء الإناث.

(٣) قوله: «وهو إبليس»، ارجع إلى تعليقنا حوله ص ٣٨٨.

فليبتكن﴾ يقطعنّ ﴿آذان الأنعام﴾ وقد فُعِلَ ذلك بالبحائر[1] ﴿ولآمرنهم فليغيرن خلق الله﴾ دينَه، بالكفر، وإحلال ما حرَّم، وتحريم ما أحلّ ﴿ومن يتخذ الشيطان ولياً﴾ يتولاه ويطيعه ﴿من دون الله﴾ أي: غيره ﴿فقد خسر خسراناً مبيناً﴾ بيّناً، لمصيره إلى النار المؤبدة عليه. ١٢٠ ﴿يعدهم﴾ طول العمر ﴿ويمنيهم﴾ نَيْلَ الآمال في الدنيا، وأن لا بعث ولا جزاء ﴿وما يعدهم الشيطان﴾ بذلك ﴿إلاّ غروراً﴾ باطلاً. ١٢١ ﴿أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصاً﴾ مَعْدلاً بذلك. ١٢٢ ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً وعد الله حقاً﴾ أي: وعدهم الله ذلك، وحَقَّهُ حقاً ﴿ومن﴾ أي: لا أحد ﴿أصدق من الله قيلاً﴾ أي: قولاً. ١٢٣ ونزل لما افتخر المسلمون وأهل الكتاب[2]: ﴿ليس﴾ الأمر منوطاً ﴿بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب﴾ بل بالعمل الصالح ﴿من يعمل سوءاً يجز به﴾ إما في الآخرة، أو: في الدنيا بالبلاء والمحن كما ورد في الحديث[3] ﴿ولا يجد له من دون الله﴾ أي: غيره ﴿ولياً﴾ يحفظه ﴿ولا نصيراً﴾ يمنعه منه.

١٢٤ ﴿ومن يعمل﴾ شيئاً ﴿من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يُدخلون﴾ بالبناء للمفعول والفاعل ﴿الجنة ولا يظلمون نقيراً﴾ قدر نُقرة النواة.

١٢٥ ﴿ومن﴾ أي: لا أحد ﴿أحسن ديناً ممن أسلم وجهه﴾ أي: انقاد وأخلص عمله ﴿لله وهو محسن﴾ موحد ﴿واتبع ملة إبراهيم﴾ الموافقة لملة الإسلام ﴿حنيفاً﴾ حال، أي: مائلاً عن الأديان كلها إلى الدين القيم

فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ

(١) قوله: «وقد فعل ذلك بالبحائر» جمع «بَحيرة» وهي: الناقة تلد أربعة بطون، وتأتي في البطن الخامس بذكر، فكانوا لا يحملون عليها، ويتركونها للطواغيت، ويشقون آذانها علامةً على ذلك.

(٢) قوله: «ونزل لما افتخر المسلمون وأهل الكتاب» هذا وجه غير قوي، إذ لو حصلت هذه المفاخرة لكان المسلمون فيها على حق قطعاً، فلا يعقل أن ينزل القرآن فيردَّ عليهم، والروايات التي وردت فيها هذه المفاخرة ليست قوية من حيث سندها، فعدم الأخذ بها أولى، وعن مجاهد بن جبر رحمه الله: أن هذه المفاخرة كانت بين مشركي العرب وأهل الكتاب حيث قال العرب: لا نُبعث ولا نُحاسب، وقالت اليهود والنصارى: لن يدخل الجنة إلاّ من كان هوداً أو نصارى، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وهذا هو الصحيح، يؤيده سياق الآيات.

(٣) قوله: «كما ورد في الحديث» أي: عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا رسول الله كيف الصلاح بعد هذه الآية ﴿ليس بأمانيكم﴾ فكل سوء جُزينا به؟، فقال النبي ﷺ: «غفر الله لك يا أبا بكر، ألستَ تنصَب؟ ـ أي: تتعب ـ ألستَ تمرض؟، ألستَ تحزن؟، ألست تصيبك اللَّأْوَاءُ؟» قال: بلى، قال: «فهو ما تُجزون به»، رواه أحمد وابن حبان وغيرهما أي: تكون هذه المصائب كفارةً لذنوبكم، يؤيده قوله ﷺ: «ما يزال البلاءُ بالمؤمن والمؤمنة، في نفسه وولده وماله، حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة» رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾ صفياً خالص المحبة له. ١٢٦ ﴿ولله ما في السماوات وما في الأرض﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿وكان الله بكل شيء محيطاً﴾ علماً وقدرة، أي: لم يزل متصفاً بذلك. ١٢٧ ﴿ويستفتونك﴾ يطلبون منك الفتوى ﴿في﴾ شأن ﴿النساء﴾ وميراثهن، [وكان أهل الجاهلية، لا يورِّثون المولود حتى يَكْبَرَ، ولا يورثون المرأة] ﴿قل﴾ لهم ﴿الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب﴾ القرآن من آية الميراث، ويفتيكم أيضاً ﴿في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب﴾ فرض ﴿لهن﴾ من الميراث ﴿وترغبون﴾ أيها الأولياء، عن ﴿أن تنكحوهن﴾ لدمامتهن، وتعضلونهن [أي: تمنعونهن] أن يتزوجن، طمعاً في ميراثهن، أي: يفتيكم أن لا تفعلوا ذلك ﴿و﴾ في ﴿المستضعفين﴾ الصغار ﴿من الولدان﴾ أن تعطوهم حقوقهم ﴿و﴾ يأمركم ﴿أن تقوموا لليتامى بالقسط﴾ بالعدل في الميراث والمهر ﴿وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليماً﴾ فيجازيكم به.

وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا ﴿١٢٦﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ۖ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ ۚ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِنْ تُصْلِحُوا

١٢٨ ﴿وإن امرأة﴾ مرفوع بفعل يفسره: ﴿خافت﴾ توقعت ﴿من بعلها﴾ زوجها ﴿نشوزاً﴾ ترفعاً عليها، بترك مضاجعتها، والتقصيرِ في نفقتها، لبغضها، وطموح عينه إلى أجمل منها ﴿أو إعراضاً﴾ عنها بوجهه ﴿فلا جناح عليهما أن يصَّالحا﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد، وفي قراءة: «يُصْلحا» من «أصلح» ﴿بينهما صلحاً﴾ في القَسْم والنفقة، بأن تترك له شيئاً، طلباً لبقاء الصحبة، فإن رضيت بذلك، وإلاَّ فعلى الزوج أن يوفِّيها حقها، أو: يفارقها ﴿والصلح خير﴾ من الفرقة والنشوز والإعراض، [وعن ابن عباس: فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز]، قال تعالى في بيان ما جبل عليه الإنسان: ﴿وأحضرت الأنفس الشح﴾ شدة البخل، أي: جُبلت عليه، فكأنها حاضرته لا تغيب عنه، المعنى: أن المرأة لا تكاد تسمح بنصيبها من زوجها، والرجلُ لا يكاد يسمح عليها بنفسه، إذا أحبَّ غيرها ﴿وإن تحسنوا﴾ عشرة النساء ﴿وتتقوا﴾ الجور عليهن ﴿فإن الله كان بما تعملون خبيراً﴾ فيجازيكم به.

١٢٩ ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا﴾[1] تُسَوُّوا ﴿بين النساء﴾ في المحبة ﴿ولو حرصتم﴾ على ذلك ﴿فلا تميلوا كل الميل﴾ إلى التي تحبونها في القَسم والنفقة ﴿فتذروها﴾ أي: تتركوا المُمَالَ عنها ﴿كالمعلقة﴾ التي لا هي أيِّمٌ [من غير زوج]، ولا [هي] ذات بعل ﴿وإن تصلحوا﴾ بالعدل في القسم

(١) قوله تعالى: ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء...﴾ لا يستطيع الإنسان أن يعدل بين زوجاته في محبة القلب، وهذا حق لا خلاف فيه، ولكن لا عذر له في عدم العدل في البيتوتة والنفقة بجميع أنواعها، فعدم المساواة بينهن في ذلك ظلم، والظلم ظلمات يوم القيامة، والرسول عليه الصّلاة والسّلام، كان الأسوة الحسنة للزوج العادل، المحسن إلى أهله، وفيه يجب أن يأتسي المسلمون، فقد أخرج أحمد =

﴿وتتقوا﴾ الجور ﴿فإن الله كان غفوراً﴾ لما في قلبكم من الميل ﴿رحيماً﴾ بكم في ذلك. ١٣٠﴿وإن يتفرقا﴾ أي: الزوجان بالطلاق ﴿يغن الله كلاً﴾ عن صاحبه ﴿من سعته﴾ أي: فضله، بأن يرزقها زوجاً غيره، ويرزقه غيرها ﴿وكان الله واسعاً﴾ لخلقه في الفضل ﴿حكيماً﴾ فيما دبره لهم. ١٣١﴿ولله ما في السماوات وما في الأرض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب﴾ بمعنى: الكتب ﴿من قبلكم﴾ أي: اليهود والنصارى ﴿وإياكم﴾ يا أهل القرآن ﴿أن﴾: بأن ﴿اتقوا الله﴾ خافوا عقابه، بأن تطيعوه ﴿و﴾ قلنا لهم ولكم ﴿إن تكفروا﴾ بما وُصِّيتم به ﴿فإن لله ما في السماوات وما في الأرض﴾ خلقاً، وملكاً وعبيداً، فلا يضره كفركم ﴿وكان الله غنياً﴾ عن خلقه وعبادتهم ﴿حميداً﴾ محموداً في صنعه بهم.

وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا

١٣٢﴿ولله ما في السماوات وما في الأرض﴾ كرره تأكيداً لتقرير موجب التقوى ﴿وكفى بالله وكيلاً﴾ شهيداً بأن ما فيهما له.

١٣٣﴿إن يشأ يذهبكم﴾ يا ﴿أيها الناس ويأت بآخرين﴾ بدلكم ﴿وكان الله على ذلك قديراً﴾.

١٣٤﴿من كان يريد﴾ بعمله ﴿ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة﴾ لمن أراده لا عند غيره، فَلِمَ يطلب أحدكم الأخسَّ؟ وهلاَّ طلب الأعلى بإخلاص له، حيث كان مطلبه لا يوجد إلاَّ عنده؟! ﴿وكان الله سميعاً بصيراً﴾.

١٣٥﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين﴾ قائمين ﴿بالقسط﴾ بالعدل ﴿شهداء﴾ بالحق ﴿لله ولو﴾ كانت الشهادة ﴿على أنفسكم﴾ فاشهدوا عليها، بأن تقرُّوا بالحق ولا تكتموه ﴿أو﴾ على ﴿الوالدين والأقربين إن يكن﴾ المشهود عليه ﴿غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما﴾ [أي: بالمشهود له والمشهود عليه] منكم، وأعلم بمصالحهما

= وأبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان النبي ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول: «اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك» يعني: محبة القلب، وقد حذر من عدم العدل بين الزوجات، فقال ﷺ: «من كانت له امرأتان، فمال إلى إحداهما، جاء يوم القيامة وأحد شِقَّيْه ساقط»، رواه أبو داود والترمذي والنَّسائي وغيرهم، ولقد أباح الله تعالى للمسلم القادر أن يجمع في عصمته أربع زوجات، بعد أن كان التعدد في الجاهلية مطلقاً لا حدَّ له، ونبَّه إلى وجوب الاكتفاء بواحدة أو بملك اليمين، عند الخوف من عدم العدل بينهن، فقال تعالى: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم أن لا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم﴾.

إن إباحة تعدد الزوجات دليل على صراحة الإسلام، في معالجة قضايا الإنسان الخاصة، أما الذين لم تعجبهم إباحة التعدد، فإنهم رفضوا الحلال وأباحوا لأنفسهم وللناس الحرام، فشرعوا للناس قوانين تمنع التعدد وتعاقب عليه، وتبيح الزنا ولا تعاقب عليه، إذا حصل برضا الطرفين، فأيُّ الأمرين خير للمرأة؟ أن تكون زوجة شريفة، أم أن تكون خليلة؟، ثم: إن الإسلام لم يفرض التعدد، بل أباحه مع التشديد على وجوب العدل، والإباحة تعني: أنه معلق بإرادة الرجل والمرأة، فلماذا تقبل المرأة أن تكون «ضَرَّة» لامرأة أخرى؟، فإذا كان التعدد غير لائق ــ كما يزعمون ويزعمن ــ فإن بإمكان النساء وحدهن منعه، بامتناعهن عن القبول بزوج متزوج... وهذا ما لا يفعلنه.

﴿فلا تتبعوا الهوى﴾ في شهادتكم، بأن تحابوا الغني لرضاه، أو: الفقيرَ رحمة له، لـ ﴿أن﴾ لا ﴿تعدلوا﴾ تميلوا عن الحق [إن اتبعتم الهوى] ﴿وإن تلووا﴾ تحرِّفوا الشهادة، وفي قراءة بحذف الواو الأولى تخفيفاً ﴿أو تعرضوا﴾ عن أدائها ﴿فإن الله كان بما تعملون خبيراً﴾ فيجازيكم به.

١٣٦ ﴿يا أيها الذين آمَنوا آمِنوا﴾ داوموا على الإيمان ﴿بالله ورسوله والكتاب الذي نُزِّلَ على رسوله﴾ محمد ﷺ، وهو القرآن ﴿والكتاب الذي أُنزِلَ من قبل﴾ على الرسل، بمعنى «الكتب» وفي قراءة: بالبناء للفاعل في الفعلين ﴿ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر﴾ [والقدر خيره وشره، فيكفر بها جميعاً أو بشيء منها] ﴿فقد ضل ضلالاً بعيداً﴾ عن الحق.

١٣٧ ﴿إن الذين آمنوا﴾ بموسى، وهم: اليهود ﴿ثم كفروا﴾ بعبادة العجل ﴿ثم آمنوا﴾ بعده بعيسى ﴿ثم ازدادوا كفراً﴾ بمحمد ﴿لم يكن الله ليغفر لهم﴾ ما أقاموا عليه ﴿ولا ليهديهم سبيلاً﴾ طريقاً إلى الحق.

١٣٨ ﴿بشر﴾ أخبر يا محمد ﴿المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً﴾[1] مؤلماً، هو: عذاب النار.

١٣٩ ﴿الذين﴾ بدل، أو: نعت للمنافقين ﴿يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين﴾ لما يتوهمون فيهم من القوة ﴿أيبتغون﴾ يطلبون ﴿عندهم العزة﴾ استفهام إنكار، أي: لا يجدونها عندهم ﴿فإن العزة لله جميعاً﴾ في الدنيا والآخرة ولا ينالها إلاّ أولياؤه. [﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾].

١٤٠ ﴿وقد نزل﴾ بالبناء للفاعل والمفعول، ﴿عليكم في الكتاب﴾ القرآن، في سورة «الأنعام»، ـ [هو وقوله تعالى فيها: ﴿وإذا رأيتَ الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾] ـ ﴿أن﴾ مخففة واسمها محذوف، أي: أنه ﴿إذا سمعتم آيات الله﴾ القرآن ﴿يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم﴾ أي: الكافرين والمستهزئين ﴿حتى يخوضوا

فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ

(١) قوله تعالى: ﴿بشر المنافقين...﴾ الآية، النفاق قسمان: نفاق عملي، ونفاق اعتقادي.

أمّا النفاق العملي، أي: في الأعمال، فبمثل ما جاء في الحديث الشريف، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «أربع من كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خَصْلَةٌ منهن، كانت فيه خَصلة من نفاق حتى يَدَعها: إذا اؤتمن خان، وإذ حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فَجَر» متفق عليه، و «نفاق العمل» معصية، لا تُخرج فاعلها من الإيمان.

وأما النفاق الاعتقادي، فهو: إظهار الإسلام كإعلان الشهادتين، والصلاة أمام الناس، مع إخفاء الكفر في القلب، وعلى هذا النوع يطلق اسم «النفاق» بلا قيد، فإذا قيل: فلان منافق، أو: من المنافقين، فذلك يعني نفاق الاعتقاد، كعبد الله بن أُبيٍّ السَّلُولي وجماعته، والآيات التي تتحدث عن المنافقين، نزلت فيهم وفي أمثالهم. =

في حديث غيره إنكم إذاً﴾ إن قعدتم معهم ﴿مثلهم﴾ في الإثم ﴿إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً﴾ كما اجتمعوا في الدنيا على الكفر والاستهزاء.

١٤١ ﴿الذين﴾ بدل من «الذين» قبله ﴿يتربصون﴾ ينتظرون ﴿بكم﴾ الدوائر ﴿فإن كان لكم فتح﴾ ظَفَر وغنيمة ﴿من الله قالوا﴾ لكم ﴿ألم نكن معكم﴾ في الدين والجهاد، فأعطونا من الغنيمة ﴿وإن كان للكافرين نصيب﴾ من الظفر عليكم ﴿قالوا﴾ لهم ﴿ألم نستحوذ﴾ نستول ﴿عليكم﴾ ونَقدر على أخذكم وقتلكم، فأبقينا عليكم؟ ﴿و﴾ ألم ﴿نمنعكم من المؤمنين﴾ أن يظفروا بكم، بتخذيلهم ومراسلتكم بأخبارهم؟ فلنا عليكم المنة، قال تعالى: ﴿فالله يحكم بينكم﴾ وبينهم ﴿يوم القيامة﴾ بأن يدخلكم الجنة ويدخلهم النار ﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً﴾ طريقاً بالاستئصال.

١٤٢ ﴿إن المنافقين يخادعون الله﴾ بإظهار خلاف ما أبطنوه من الكفر، ليدفعوا عنهم أحكامه الدنيوية [كالقتل والأسر] ﴿وهو خادعهم﴾ مجازيهم على خداعهم، فيفتضحون في الدنيا، بإطلاع الله نبيَّه على ما أبطنوه، ويعاقَبون في الآخرة ﴿وإذا قاموا إلى الصلاة﴾ مع المؤمنين ﴿قاموا كسالى﴾ متثاقلين ﴿يراؤون الناس﴾(١) بصلاتهم ﴿ولا يذكرون الله﴾ يصلون ﴿إلاّ قليلاً﴾ رياء.

١٤٣ ﴿مذبذبين﴾ مترددين ﴿بين ذلك﴾ الكفر والإيمان ﴿لا﴾ منسوبين ﴿إلى هؤلاء﴾ أي: الكفار ﴿ولا إلى هؤلاء﴾ أي: المؤمنين، [روى مسلم في «صحيحه» عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ المنافق، كمثل الشاة العائرة ــ المترددة والحائرة ــ بين الغنمَين، تَعِيرُ إلى هذه مرةً، وإلى هذه مرةً»] ﴿ومن يضلل﴾ ـه ﴿الله فلن تجد له سبيلاً﴾ طريقاً إلى الهدى.

١٤٤ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن

فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن

= والنفاق الاعتقادي من أشنع أنواع الكفر وأخطرها، لذلك لن يكونوا في النار فحسب، بل في الدرك الأسفل منها لقوله تعالى: ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً﴾، والآيات ١٣٧ ــ ١٤٥ من «سورة النساء»، تكشف طرفاً من مكائدهم، وستأتي في سورة «التوبة» آيات أخرى فيهم.

(١) قوله تعالى: ﴿يراؤون الناس﴾، «الرياء» هو: الشرك الأصغر، يَحبَط به ثوابُ الطاعة، وهو من صفات المنافقين، وكذلك قيامهم إلى الصلاة وهم كسالى، وعدم ذكرهم لله تعالى في الصلاة إلاّ قليلاً، ففي بيان صفاتهم، تحذير للمسلمين الصادقين منها ومنهم. ارجع إلى تعليقنا حول «الرياء» ص ٣٩٥.

تجعلوا لله عليكم﴾ بموالاتهم ﴿سلطاناً مبيناً﴾ برهاناً بيّناً على نفاقكم؟ ١٤٥ ﴿إن المنافقين في الدرك﴾ المكان ﴿الأسفل من النار﴾ وهو قعرها ﴿ولن تجد لهم نصيراً﴾ مانعاً من العذاب.

١٤٦ ﴿إلاّ الذين تابوا﴾ من النفاق [فآمنوا] ﴿وأصلحوا﴾ عملهم ﴿واعتصموا﴾ وَثِقُوا ﴿بالله وأخلصوا دينهم لله﴾ من الرياء ﴿فأولئك مع المؤمنين﴾ فيما يؤتونه ﴿وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيماً﴾ في الآخرة، وهو: الجنة.

١٤٧ ﴿ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم﴾ نِعَمَهُ ﴿وآمنتم﴾ به، والاستفهام بمعنى النفي، أي: لا يعذبكم [إن شكرتم وآمنتم] ﴿وكان الله شاكراً﴾ لأعمال المؤمنين بالإثابة ﴿عليماً﴾ بخلقه.

١٤٨ ﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول﴾ [أي: بالدعاء] من أحد [على أحد]، أي: يعاقبه عليه ﴿إلاّ من ظلم﴾[1] فلا يؤاخذه بالجهر به، بأن يخبر عن ظلم ظالمه ويدعو عليه، [وإن يصبر فهو خير له]، ﴿وكان الله سميعاً﴾ لما يقال ﴿عليماً﴾ بما يُفعل.

١٤٩ ﴿وإن تبدوا﴾ تظهروا ﴿خيراً﴾ من أعمال البر ﴿أو تخفوه﴾ تعملوه سراً ﴿أو تعفوا عن سوء﴾ ظلم ﴿فإن الله كان عفواً قديراً﴾.

١٥٠ ﴿إن الذين يكفرون بالله ورسله[2] ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله﴾ بأن يؤمنوا به دونهم ﴿ويقولون نؤمن ببعض﴾ من الرسل ﴿ونكفر ببعض﴾ منهم ﴿ويريدون أن يتخذوا بين ذلك﴾ الكفر والإيمان ﴿سبيلاً﴾ طريقاً يذهبون إليه.

١٥١ ﴿أولئك هم الكافرون حقاً﴾ مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله ﴿وأعتدنا

تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ * لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا

(١) قوله تعالى: ﴿إلاّ من ظُلِمَ﴾. لقد حرم الله تعالى الظلم بين العباد، وأوعد الظالمين بالعقاب الشديد، ووعد المظلومين بالنصر بعد الصبر، قال تعالى في الحديث القدسي المشهور: «يا عبادي إني حرّمت الظلم على نفسي ـ أي: تنزهتُ عنه، فلا أظلم أحداً ـ وجعلته بينكم محرّماً فلا تظالموا». أي: لا يظلم بعضكم بعضاً. وقال ﷺ: «اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة». رواهما مسلم.

وفي حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، عندما بعثه النبي ﷺ داعياً إلى الإسلام قال له: «واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»، رواه الشيخان، أي: إن دعوته مقبولة مستجابة.

(٢) قوله تعالى: ﴿إن الذين يكفرون بالله ورسله...﴾ الآية.

أخرج ابن جرير وابن حميد، عن قتادة بن دعامة السّدوسي في هذه الآية أنه قال: أولئك أعداء الله اليهود والنصارى، آمنت اليهود بالتوراة وموسى، وكفروا بالإنجيل وعيسى، وآمنت النصارى بالإنجيل وعيسى، وكفروا بالقرآن ومحمد، فاتخذوا اليهودية والنصرانية، وهما: بدعتان ليستا من الله، وتركوا الإسلام وهو دين الله الذي بعث به رسله. ارجع إلى تعليقنا حول «الأديان» ص ٢٤٥.

للكافرين عذاباً مهيناً﴾ ذا إهانة، وهو عذاب النار.
١٥٢﴿والذين آمنوا بالله ورسله﴾ كلهم ﴿ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف نؤتيهم﴾ بالنون والياء ﴿أجورهم﴾ ثواب أعمالهم ﴿وكان الله غفوراً﴾ لأوليائه ﴿رحيماً﴾ بأهل طاعته.
١٥٣﴿يسألك﴾ يا محمد ﴿أهل الكتاب﴾ اليهود ﴿أن تنزل عليهم كتاباً من السماء﴾ جملةً كما أنزل على موسى، [سألوه ذلك] تعنتاً، فإن استكبرتَ ذلك ﴿فقد سألوا﴾ أي: آباؤهم ﴿موسى أكبر﴾ أعظم ﴿من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة﴾[1] عياناً ﴿فأخذتهم الصاعقة﴾ الموت عقاباً لهم ﴿بظلمهم﴾ حيث تعنتوا في السؤال ﴿ثم اتخذوا العجل﴾ إلهاً ﴿من بعد ما جاءتهم البينات﴾ المعجزات على وحدانية الله ﴿فعفونا عن ذلك﴾ ولم نستأصلهم [بالعذاب الشامل] ﴿وآتينا موسى سلطاناً مبيناً﴾ تسلطاً بيناً ظاهراً عليهم، حيث أمرهم بقتل أنفسهم توبةً، فأطاعوه، [فقتل بعضهم بعضاً].
١٥٤﴿ورفعنا فوقهم الطور﴾ الجبل ﴿بميثاقهم﴾ بسبب أخذ الميثاق عليهم، ليخافوا فيقبلوه ﴿وقلنا لهم﴾ وهو مُظِلٌّ عليهم: [«خذوا ما آتيناكم بقوة»، ثم قلنا لهم]: ﴿ادخلوا الباب﴾ باب القرية ﴿سجداً﴾ سجود انحناء ﴿وقلنا لهم لا تعدوا﴾ وفي قراءة: بفتح العين وتشديد الدال، وفيه إدغام التاء في الأصل في الدال، أي: لا تعتدوا ﴿في السبت﴾ باصطياد الحيتان فيه ﴿وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً﴾ على ذلك، فنقضوه.
١٥٥﴿فبما نقضهم﴾ «ما» زائدة، والباء للسببية متعلقة بمحذوف، أي: لعناهم بسبب نقضهم ﴿ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم﴾ للنبي ﷺ ﴿قلوبنا غلف﴾ لا تعي كلامك ﴿بل طبع﴾ ختم ﴿الله عليها بكفرهم﴾ فلا تعي وعظاً ﴿فلا يؤمنون إلا قليلاً﴾ منهم، كعبد الله بن سلام وأصحابه.
١٥٦﴿وبكفرهم﴾ ثانياً بعيسى، وكرر الباء، للفصل بينه وبين ما عُطف عليه ﴿وقولهم

سورة النساء ٤

لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ
وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ
وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن
تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ
مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ
ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن
ذَٰلِكَ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ
ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا
لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾
فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ
ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا
بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ

(١) قوله تعالى: ﴿فقالو أرنا الله جهرة﴾.
إن طلب يهود بني إسرائيل هذا، من موسى عليه السّلام، يذكّرنا بالملحدين في هذا العصر الذين يقولون: أين الله؟ أرونا الله، وإذا كان موجوداً فلماذا لا نراه؟... إلخ. ويظن أحدهم أنه بقوله هذا، يحقق إنجازاً باهراً، ويعبر عن تقدمية!، ولكنه لم يدر أن قوله هذا رجعية وتخلُّف، وعودة بالعقل البشري المتعلِّم، إلى عصور الانحطاط، الذي كان يسيطر على يهود بني إسرائيل منذ ثلاثة آلاف سنة، إن عاقلاً لا يمكنه أن يصدق، ولا أن يقبل، بتشكيك الناس في الله تعالى خالق السماوات والأرض ﴿أفي الله شك فاطر السماوات والأرض...؟﴾ لا نشك ربَّنا.. إلاَّ في سلامة عقول الملحدين، وآمنا بك ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولاً.

على مريم بهتاناً عظيماً﴾ حيث رموها بالزنا. ١٥٧﴿وقولهم﴾ مفتخرين: ﴿إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله﴾ في زعمهم، أي: بمجموع ذلك عذبناهم، قال تعالى تكذيباً لهم في قتله: ﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبِّه لهم﴾ المقتول والمصلوب ــ وهو صاحبهم[1] ــ بعيسى، أي: ألقى الله عليه شبهه، فظنوه إياه ﴿وإن الذين اختلفوا فيه﴾ أي: في عيسى ﴿لفي شك منه﴾ من قتله، حيث قال بعضهم لما رأوا المقتول: الوجهُ وجه عيسى، والجسد ليس بجسده، فليس به، وقال آخرون: بل هو هو ﴿ما لهم به﴾ بقتله ﴿من علم إلاَّ اتباع الظن﴾ استثناء منقطع، أي: لكن يتبعون فيه الظن الذي تخيلوه ﴿وما قتلوه يقيناً﴾ حال مؤكِّدة لنفي القتل، [أي: لم يقتلوا المسيح ذاته].

عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ

١٥٨﴿بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً﴾ في ملكه ﴿حكيماً﴾ في صنعه.

١٥٩﴿وإن﴾ ما ﴿من أهل الكتاب﴾ أحد ﴿إلاَّ ليؤمننَّ به﴾ بعيسى [أنه عبد الله ورسوله] ﴿قبل موته﴾ أي: [قبل موت] الكتابيِّ، [فيؤمن] حين يعاين ملائكة الموت، فلا ينفعه إيمانه، أو: قبل موت عيسى، لمَّا ينزل قرب الساعة، كما ورد في حديث[2] ﴿ويوم القيامة يكون﴾ عيسى ﴿عليهم شهيداً﴾ بما فعلوه لما بُعِث إليهم.

١٦٠﴿فبظلم﴾ أي: فبسبب ظلم ﴿من الذين هادوا﴾ هم: اليهود ﴿حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم﴾ هي التي في قوله تعالى: [﴿وعلى الذين هادوا] حرَّمنا كلَّ ذي ظُفُر﴾ الآية [١٤٦ من سورة «الأنعام»] ﴿وبصدهم﴾ الناس ﴿عن سبيل الله﴾ دينه صدّاً ﴿كثيراً﴾.

١٦١﴿وأخذهم الربا وقد نهوا عنه﴾ في التوراة ﴿وأكلهم أموال الناس بالباطل﴾ بالرشا في الحكم ﴿وأعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً﴾ مؤلماً.

١٦٢﴿لكن الراسخون﴾ الثابتون ﴿في العلم منهم﴾ كعبد الله بن سلام ﴿والمؤمنون﴾ المهاجرون والأنصار ﴿يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك﴾ من الكتب ﴿والمقيمين الصلاة﴾ نُصِبَ على المدح، وقرىء [شذوذاً]: بالرفع ﴿والمؤتون

---

(١) قوله: «وهو صاحبهم» أي: هو من اليهود. ولكن الصحيح: أن الذي صُلب شابٌّ من تلاميذ المسيح عليه السَّلام، كان أحدثهم سناً، رضي بأن يُلقى عليه شبه المسيح، ويقتل مكانه، ليكون رفيقه في الجنة، جاء ذلك في حديث إسناده صحيح أخرجه ابن أبي حاتم والنسائي عن ابن عباس موقوفاً.

(٢) قوله: «كما ورد في حديث» هو: ما أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم، حكَماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويُفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة خيراً من الدنيا وما فيها» وفي مسلم: «كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم، فأمَّكم منكم» أي: بكتاب ربكم وسنة نبيكم... =

الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم﴾ بالنون والياء ﴿أجراً عظيماً﴾ هو الجنة. ١٦٣ ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده و﴾ كما ﴿أوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق﴾ ابنيه ﴿ويعقوب﴾ بن إسحاق ﴿والأسباط﴾ أولاده، [أي: الأنبياء من ذرية يعقوب] ﴿وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا﴾ أباه ﴿داود زبوراً﴾ بالفتح، اسم للكتاب المؤتى، وبالضم، مصدر بمعنى: مزبوراً، أي: مكتوباً. ١٦٤ ﴿و﴾ أرسلنا ﴿رسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك﴾ روي[1]: أنه تعالى بعث ثمانية آلاف نبي، أربعة آلاف من إسرائيل، وأربعة آلاف من سائر الناس، قاله الشيخ [جلال الدين المحلي] في سورة «غافر» [عند قوله تعالى: «ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك»] ﴿وكلّم الله موسى﴾ بلا واسطة ﴿تكليماً﴾.

١٦٥ ﴿رسلاً﴾ بدل من «رسلاً» قبله ﴿مبشرين﴾ بالثواب من آمن ﴿ومنذرين﴾ بالعقاب من كفر أرسلناهم ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة﴾ تقال ﴿بعد﴾ إرسال ﴿الرسل﴾ إليهم، فيقولوا: «ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين»، فبعثناهم لقطع عذرهم ﴿وكان الله عزيزاً﴾ في ملكه ﴿حكيماً﴾ في صنعه.

١٦٦ ونزل لما سُئل اليهود عن نبوته ﷺ فأنكروه: ﴿لكن الله يشهد﴾ يبين نبوتك ﴿بما أنزل إليك﴾ من القرآن المعجز ﴿أنزله﴾ متلبساً ﴿بعلمه﴾ أي: عالماً به، أو: وفيه علمه ﴿والملائكة يشهدون﴾ لك أيضاً ﴿وكفى بالله شهيداً﴾ على ذلك.

١٦٧ ﴿إن الذين كفروا﴾ بالله ﴿وصدوا﴾ الناس ﴿عن سبيل الله﴾ دين الإسلام، بكتمهم نعت محمد ﷺ، وهم: اليهود ﴿قد ضلوا ضلالاً بعيداً﴾ عن الحق. ١٦٨ ﴿إن الذين كفروا﴾ بالله

سُورَةُ النِّسَاءِ ٤

ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟

= فيحكم بالإسلام، وبشريعة محمد ﷺ، لا بشرع جديد، لأنه لا نبي بعد محمد ﷺ، وعند أبي داود وأحمد بإسناد صحيح: «ويدعو الناس إلى الإسلام ويضع الجزية». أي: أن الجزية مُغيّاة بنزول المسيح، فإذا نزل أسقطها، ولا تُفرض من بعد ذلك.

(١) قوله: «روي أنه تعالى بعث... إلخ»، يشير الجلال السيوطي إلى حديث ضعيف، رواه أبو يعلى في مسنده، عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً، والصحيح: أنه لم يَرِد في عدد الأنبياء والرسل، نصٌّ يصح الاحتجاج به، أما الحديث الذي أخرجه ابن حبان وصححه، والذي جاء فيه أن «عدد الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، وعدد الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة»، فقد أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات، وقال السيوطي في الدر المنثور: إنه ضعيف، لا صحيح ولا موضوع، ومع ذلك يتساهل السيوطي هنا تبعاً للمحلّي، في نقل هذه الرواية، ولو أشارا إلى وجوب الإيمان بالأنبياء والمرسلين جملةً، بمن لم يسمهم الله تعالى، وتفصيلاً بمن سماهم، كآدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصّلاة والسّلام، لكان ذلك أولى وأنفع، لأنه الصحيح في هذا الباب.

﴿وظلموا﴾ نبيَّه بكتمان نعته ﴿لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً﴾ من الطرق.

١٦٩ ﴿إلاَّ طريق جهنم﴾ أي: الطريق المؤدي إليها ﴿خالدين﴾ مقدَّرين الخلود ﴿فيها﴾ إذا دخلوها ﴿أبداً وكان ذلك على الله يسيراً﴾ هيناً.

١٧٠ ﴿يا أيها الناس﴾ أي: أهل مكة [وغيرها] ﴿قد جاءكم الرسول﴾ محمد ﷺ ﴿بالحق من ربكم فآمنوا﴾ به، واقصدوا ﴿خيراً لكم﴾ مما أنتم فيه ﴿وإن تكفروا﴾ به ﴿فإن لله ما في السماوات والأرض﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً، فلا يضرُّه كفركم ﴿وكان الله عليماً﴾ بخلقه ﴿حكيماً﴾ في صنعه به.

١٧١ ﴿يا أهل الكتاب﴾ الإنجيل ﴿لا تغلوا﴾[1] تتجاوزوا الحد ﴿في دينكم ولا تقولوا على الله إلاَّ﴾ القول ﴿الحق﴾ من تنزيه عن الشريك والولد ﴿إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها﴾ أوصلها الله ﴿إلى مريم وروح﴾ أي: ذو روح ﴿منه﴾ [أي: مخلوقة كما خلقت الأرواح الأخرى، و] أضيف [الروح] إليه تعالى تشريفاً له، وليس كما زعمتم: ابنَ الله، أو: إلٰهاً معه، أو: ثالث ثلاثة، لأن ذا الروح مركَّب، والإلٰه منزه عن التركيب، وعن نسبة المركَّب إليه ﴿فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا﴾ الآلهة ﴿ثلاثة﴾ الله، وعيسى، وأمه ﴿انتهوا﴾ عن ذلك، وَأْتُوا ﴿خيراً لكم﴾ منه، وهو: التوحيد ﴿إنما الله إلٰه واحد سبحانه﴾ تنزيهاً له عن ﴿أن يكون له ولد له ما في السماوات وما في الأرض﴾ خلقاً وملكاً وعبيداً، والملكية تنافي البنوة ﴿وكفى بالله وكيلاً﴾ شهيداً على ذلك.

١٧٢ ﴿لن يستنكف﴾ يتكبر ويأنف ﴿المسيح﴾ الذي زعمتم أنه إلٰه عن ﴿أن يكون عبداً

وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا

(١) قوله تعالى: ﴿لا تغلوا في دينكم﴾. الغلوُّ في الدين أمر خطير ومردود، مثل التفريط، فاليهود الذين قالوا عن المسيح عليه السَّلام: إنه ابن زنى كفروا، مثل الذين قالوا عنه: إنه إلٰه، ولم يسلم من الكفر وعواقبه، إلاَّ المسلمون المؤمنون، الذين آمنوا بالمسيح على أنه عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح من عنده، وليس النهي عن الغلو في الدين خاصاً في أهل الكتاب، بل إن أمة محمد ﷺ، مَنْهِيَّة أيضاً عن الغلوّ في دينها، والرسول عليه الصَّلاة والسَّلام، حذر المسلمين من الوقوع في شَرَك الغلو، فقد أخرج البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تُطْروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله»، ولقد ضلَّ كثيرون في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فأبغضه قوم حتى أكفروه، وهم «الخوارج»، وغالى في حبه آخرون حتى ألَّهوه، وفي هاتين الطائفتين أخرج البخاري في تاريخه، والحاكم وصححه، عن علي رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: «إن لك في عيسى مثلاً، أبغضته اليهود حتى بَهَتُوا أمَّه ــ أي: رموها كذباً بالزنا ــ وأحبته النصارى حتى أنزلوه المنزل الذي ليس له».

لله ولا الملائكة المقربون﴾ عند الله، لا يستنكفون أن يكونوا عبيداً، وهذا من أحسن الاستطراد، ذُكِرَ للرد على من زعم أنها آلهة، أو: بنات الله، كما رَدَّ بما قَبْله على النصارى، الزاعمين ذلك، المقصودِ خطابُهم ﴿ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً﴾ في الآخرة.

١٧٣ ﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم﴾ ثواب أعمالهم ﴿ويزيدهم من فضله﴾ ما لا عينٌ رأتْ، ولا أُذُنٌ سمعتْ، ولا خَطَر على قلبِ بشرٍ ﴿وأما الذين استنكفوا واستكبروا﴾ عن عبادته ﴿فيعذبهم عذاباً أليماً﴾ مؤلماً، هو: عذاب النار ﴿ولا يجدون لهم من دون الله﴾ أي: غيره ﴿ولياً﴾ يدفعه عنهم ﴿ولا نصيراً﴾ يمنعهم منه.

سُورَةُ النِّسَاءِ ٤

لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً

١٧٤ ﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان﴾ حجة ﴿من ربكم﴾ [لكم إن اتبعتموه، و] عليكم [إن كفرتم به]، وهو النبي ﷺ ﴿وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾ بيِّناً، وهو القرآن، [لتهتدوا بهديه، وتحكموا بما أنزل الله فيه].

١٧٥ ﴿فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا﴾ [تقوّوا بإيمانهم] ﴿به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطاً﴾ طريقاً ﴿مستقيماً﴾ هو دين الإسلام.

١٧٦ ﴿يستفتونك﴾ في الكلالة ﴿قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ﴾ مرفوع بفعل يفسره: ﴿هلك﴾ مات ﴿ليس له ولد﴾ أي: ولا والد، وهو: الكلالة ﴿وله أخت﴾ من أبوين، أو: أب ﴿فلها نصف ما ترك وهو﴾ أي: الأخ كذلك ﴿يرثها﴾ جميع ما تركت ﴿إن لم يكن لها ولد﴾ فإن كان لها ولد ذَكَر، فلا شيء له، أو: أنثى، فله ما فضل عن نصيبها، ولو كانت الأخت أو الأخ من أم، ففرضه السدس كما تقدم أول[1] السورة ﴿فإن كانتا﴾ أي: الأختان ﴿اثنتين﴾ أي: فصاعداً، لأنها نزلت في جابر، وقد مات عن [سبع] أخوات، [فقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن جابر بن عبد الله قال: دخل عليَّ رسول الله ﷺ، وأنا مريض لا أعقل، فتوضأ ثم صبَّ عليَّ فعقلت، فقلت: إنه لا يرثني إلّا كلالة ـ أي: غير الأصول والفروع ـ فكيف الميراث؟ فنزلت هذه الآية]، ﴿فلهما الثلثان مما ترك﴾ الأخ ﴿وإن كانوا﴾ أي: الورثة ﴿إخوة رجالاً ونساء

(١) قوله: «كما تقدم أول السورة» أي: في تفسير الآية ١٢ من سورة «النساء» ص ١٠٠ حيث بين الله تعالى ميراث ﴿الكلالة﴾ فيما إذا ترك الميت «إخوة أو أخوات لأم»، وقد ذكرنا في تعليقنا هناك معنى «الكلالة».

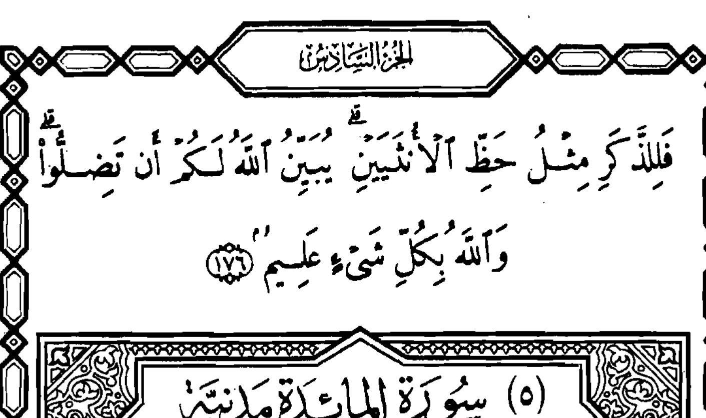
فللذكر﴾ منهم ﴿مثل حظ الأنثيين يبين الله لكم﴾ شرائع دينكم لِـ ﴿أن﴾ لا ﴿تضلوا والله بكل شيء عليم﴾ ومنه الميراث، روى الشيخان، عن البراء [بن عازب رضي الله عنه]: أنها آخر آية نزلت، أي: من الفرائض.

﴿ سُورَةُ المَائِدَةِ ﴾(1)

(مدنية: وآياتها مائة وعشرون، «أو: وثنتان، أو: وثلاث»، آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾ العهود المؤكَّدة، التي بينكم وبين الله، [مما أحلَّ وحرَّم وفرض، في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ]، و[تلك التي بينكم وبين] الناس ﴿أحلت لكم بهيمة الأنعام﴾ الإبل والبقر والغنم، أكلاً بعد الذبح ﴿إلاَّ ما يتلى عليكم﴾ تحريمه في: «حرمت عليكم الميتة» الآية، فالاستثناء منقطع، ويجوز أن يكون متصلاً، والتحريم لما عرض من الموت ونحوه ﴿غير محلي الصيد وأنتم حرم﴾ أي: محرمون، ونُصِبَ «غير» على الحال من ضمير «لكم» ﴿إن الله يحكم ما يريد﴾ من التحليل وغيره، لا اعتراض عليه. ٢﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله﴾ جمع «شعيرة»، أي: معالم دينه بالصيد في الإحرام ﴿ولا الشهر الحرام﴾ بالقتال فيه ﴿ولا الهدي﴾ ما أهدي إلى الحرم من النَّعم، [فلا تُحِلُّوه] بالتعرض له ﴿ولا القلائد﴾ جمع «قلادة»، وهي: ما كان يقلَّد به من شجر الحرم ليأمن، أي: فلا تتعرضوا لها ولا لأصحابها ﴿ولا﴾ تحلوا ﴿آمِّين﴾ قاصدين ﴿البيت الحرام﴾ بأن تقاتلوهم ﴿يبتغون فضلاً﴾ رزقاً ﴿من ربهم﴾ بالتجارة ﴿ورضواناً﴾ منه بقصده بزعمهم الفاسد، [لأن الله لا يرضى عن الكافرين]، وهذا منسوخ بآية(2) براءة ﴿وإذا حللتم﴾ من الإحرام ﴿فاصطادوا﴾ أمر إباحة، [أي: يباح لكم الصيد] ﴿ولا يجرمنكم﴾ يكسبنكم ﴿شنآن﴾ بفتح النون وسكونها [أي:] بُغْضُ



الجزء السادس

فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾

(٥) سُورَةُ المَائِدَةِ مَدَنِيَّة وآياتها عشرون ومائة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ

---

(١) قوله: «سورة المائدة». أخرج الإمام أحمد والنسائي، والحاكم وصححه، والبيهقي في سننه وغيرهم، عن جُبير بن نُفير الحضرمي رحمه الله ــ وهو من كبار التابعين، أدرك الجاهلية، وأسلم في خلافة الصديق ــ قال: حججت، فدخلت على عائشة فقالت لي: يا جُبير، تقرأ المائدة؟ فقلت: نعم. فقالت: أما إنها آخر سورة نزلت، فما وجدتم فيها من حلال فاستحلُّوه، وما وجدتم من حرام فحرموه.

(٢) قوله: «بآية براءة» أي: سورة «التوبة» وهي قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا﴾ الآية ٢٨ منها ص ٢٤٤، وعامهم كان السنة التاسعة للهجرة، حيث بعث النبي ﷺ علياً رضي الله عنه، فقرأ على الناس سورة «براءة» هذه، وإعلانَ: أنه لا يحج بعد هذا العام مشرك، ولا يطوفَنَّ بالبيت عُريان، ولا يدخل الجنة إلاَّ نفس مؤمنة، ارجع إلى تفسير أول سورة «التوبة» ص ٢٣٩.

﴿قوم﴾ لأجل ﴿أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا﴾ عليهم بالقتل وغيره ﴿وتعاونوا على البر﴾ بفعل ما أمرتم به ﴿والتقوى﴾ بترك ما نُهيتم عنه ﴿ولا تعاونوا﴾ فيه حذف إحدى التاءين في الأصل ﴿على الإثم﴾ المعاصي ﴿والعدوان﴾ التعدي في حدود الله ﴿واتقوا الله﴾ خافوا عقابه، بأن تطيعوه ﴿إن الله شديد العقاب﴾ لمن خالفه.

٣﴿حرمت عليكم الميتة﴾ أي: أكلها ﴿والدم﴾ أي: المسفوح، كما في «الأنعام»، [ليخرج الكبد والطحال، فهما حلال كما بيّنا ص ١٨٧] ﴿ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به﴾ بأن ذبح على اسم غيره ﴿والمنخنقة﴾ الميتة خنقاً ﴿والموقوذة﴾ المقتولة ضرباً ﴿والمتردية﴾ الساقطة من علو إلى أسفل فماتت ﴿والنطيحة﴾ المقتولة بنطح أخرى لها

قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ

﴿وما أكل السبع﴾ منه ﴿إلاّ ما ذكيتم﴾ أي: أدركتم فيه الروح من هذه الأشياء، فذبحتموه ﴿وما ذبح على﴾ اسم ﴿النصب﴾ جمع «نصاب»، وهي: الأصنام ﴿وأن تستقسموا﴾ تطلبوا القَسْمَ والحكم ﴿بالأزلام﴾ جمع «زلم»، بفتح الزاي وضمها، مع فتح اللام [هو:] «قِدْح»، بكسر القاف، صغير لا ريش له ولا نصل، وكانت سبعة، عند سادن الكعبة، عليها أعلام، وكانوا يحكّمونها، فإن أمرتهم ائتمروا، وإن نهتهم انتهوا ﴿ذلكم﴾ [المذكور من المحرمات، فعلُه] ﴿فسق﴾ خروج عن الطاعة. ونزل يوم عرفة، عام حجة الوداع، [السنة العاشرة للهجرة]: ﴿اليوم يئس الذين كفروا من دينكم﴾ أن ترتدوا عنه، بعد طمعهم في ذلك، لمَا رأوا من قوته ﴿فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم﴾ أحكامه وفرائضه، فلم ينزل بعدها[1] حلال ولا حرام [اقرأ التعليق] ﴿وأتممت عليكم نعمتي﴾ بإكماله، وقيل بدخول مكة آمنين ﴿ورضيت﴾ أي: اخترتُ ﴿لكم الإسلام ديناً فمن اضطر في مخمصة﴾ مجاعة، إلى أكل شيء مما حُرِّم عليه، فأكله ﴿غير متجانف﴾ مائل ﴿لإثم﴾ معصية ﴿فإن الله غفور﴾ له ما أكل ﴿رحيم﴾ به في إباحته له، بخلاف المائل لإثم، أي: المتلبّس به، كقاطع الطريق والباغي مثلاً، فلا يحل له الأكل. ٤﴿يسألونك﴾ يا محمد ﴿ماذا أحل لهم﴾ من الطعام ﴿قل أحل لكم الطيبات﴾ المستلذات ﴿و﴾ صيد ﴿ما علمتم من الجوارح﴾ الكواسب، من الكلاب والسباع والطير

(١) قوله: «فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام»، هذا قول جماعة، منهم محمد بن مروان، المعروف بالسُّدّي الصغير ـ وكان ضعيفاً منكرالحديث ـ ولكن الثابت في الصحيحين وغيرهما: أن آيات الرِّبا والدَّين والكلالة، قد نزلت بعد ذلك، ولا تنافي بين ما جاء فيها من إكمال الدين، وبين القول بنزول تلك الأحكام بعدها، وقد وجه ابن جرير هذا الإشكال فقال: الأولى أن يُتَأوّل على أنه أكمل لهم دينهم، بإفرادهم بالبلد الحرام، وإجلاء المشركين عنه، حتى حجّه المسلمون، لا يخالطهم المشركون. اهـ. ارجع إلى تعليقنا ص ٢٦٤.

﴿مكلبين﴾ حال، من «كلّبت الكلب» بالتشديد، أي: أرسلته على الصيد ﴿تعلمونهن﴾ حال من ضمير «مكلّبين»، أي: تؤدبونهن ﴿مما علمكم الله﴾ من آداب الصيد، أي: [من طريقة إمساكه] ﴿فكلوا مما أمسكن عليكم﴾ ـ وإن قتلنه ـ إن لم يأكلن منه، بخلاف غير المعلَّمة، فلا يحل صيدها، وعلامتها: أن تُسْتَرسَلَ إذا أُرسلت، وتنزجر إذا زُجرت، وتُمسك الصيد، ولا تأكل منه، وأقل ما يُعرف به ذلك، ثلاثُ مرات، فإن أكَلَتْ منه، فليس مما أمسكن على صاحبها، فلا يحل أكله، كما في حديث الصحيحين[1] وفيه: أن صيد السهم، إذا أرسل وذُكر اسم الله عليه، كصيد المعلَّم من الجوارح ﴿واذكروا اسم الله عليه﴾ عند إرساله ﴿واتقوا الله إن الله سريع الحساب﴾.

مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ فَكُلُوا مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ

٥ ﴿اليوم أحل لكم الطيبات﴾ المستلذات ﴿وطعام الذين أوتوا الكتاب﴾ أي: ذبائح اليهود والنصارى ﴿حل﴾ حلال ﴿لكم وطعامكم﴾ إياهم ﴿حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات﴾ الحرائر ﴿من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ حل لكم أن تنكحوهن ﴿إذا آتيتموهن أجورهن﴾ مهورهن ﴿محصنين﴾ متزوجين ﴿غير مسافحين﴾ معلنين بالزنا بهن ﴿ولا متخذي أخدان﴾ منهن، تُسِرُّون بالزنا بهن ﴿ومن يكفر بالإيمان﴾ أي: يرتد ﴿فقد حبط عمله﴾ الصالح قبل ذلك، فلا يُعتدُّ به، ولا يثاب عليه. ﴿وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ إذا مات عليه.

٦ ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم﴾ أي: أردتم القيام ﴿إلى الصلاة﴾ وأنتم محدثون ﴿فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق﴾ أي: معها، كما بينته السُّنة، [فيما رواه البزّار والطبراني في «الكبير»، من حديث وائل بن حُجْر الحضرمي، أن النبي ﷺ: «غَسَل في وضوئه: يمينَه ويسارَه، حتى جاوز المرفق، ثلاثاً، وغسل رجليه، حتى جاوز الكعب»] ﴿وامسحوا برؤوسكم﴾ الباء للإلصاق، أي: ألصقوا المسح بها، من غير إسالة ماء، وهو: اسم جنس، فيكفي أقل ما يصدق عليه، وهو: مسح بعض الشعر، وعليه الشافعي ﴿وأرجلكم﴾ بالنصب، عطفاً على «أيديكم»، وبالجر على الجِوَارِ ﴿إلى الكعبين﴾ أي: معهما، كما بينته السُّنة [في حديث وائل المذكور]، وهما العظمان الناتئان في كل رجل، عند مَفْصِل الساق والقدم، والفصل بين الأيدي والأرجل المغسولة، بالرأس الممسوح، يفيد وجوبَ الترتيب، في طهارة هذه الأعضاء، وعليه الشافعي، ويؤخذ من السنة، [وهو قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات»]، وجوبُ النية فيه، كغيره من العبادات ﴿وإن كنتم جنباً فاطهروا﴾ فاغتسلوا ﴿وإن كنتم مرضى﴾ مرضاً يضره الماء ﴿أو على سفر﴾ أي: مسافرين ﴿أو جاء

(١) قوله: «كما في حديث الصحيحين»، ونصه عن عديّ بن حاتم الطائي قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أرسلت كلبك، فاذكر اسم الله عليه، =

أحد منكم من الغائط﴾ أي: أحدث، [بخروج غائط أو بول أو ريح] ﴿أو لامستم النساء﴾ سبق مثله في آية «النساء» [رقم ٤٣ صفحة ١٠٧] ﴿فلم تجدوا ماء﴾[1] بعد طلبه [في الوقت] ﴿فتيمَّموا﴾ اقصدوا ﴿صعيداً طيباً﴾ تراباً طاهراً ﴿فامسحوا بوجوهكم وأيديكم﴾ مع المرفقين ﴿منه﴾ بضربتين، والباء للإلصاق، وبيَّنت السنة [في حديثٍ، صحَّحَ الأئمةُ وَقْفَهُ على ابن عمر]: أن المراد استيعابُ العضوين بالمسح ﴿ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج﴾ ضيق بما فرض عليكم، من الوضوء والغسل والتيمم ﴿ولكن يريد ليطهركم﴾ من الأحداث والذنوب ﴿وليتم نعمته عليكم﴾ بالإسلام، ببيان شرائع الدين ﴿لعلكم تشكرون﴾ نعمه. ٧﴿واذكروا نعمة الله عليكم﴾ بالإسلام ﴿وميثاقه﴾ عهده ﴿الذي واثقكم به﴾ عاهدكم عليه ﴿إذ قلتم﴾ للنبي ﷺ حين بايعتموه ﴿سمعنا وأطعنا﴾ في كل ما تأمر به وتنهى، مما نُحب ونكره ﴿واتقوا الله﴾ في ميثاقه أن تنقضوه ﴿إن الله عليم بذات الصدور﴾ بما في القلوب، فبغيره أولى. ٨﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين﴾ قائمين ﴿لله﴾ بحقوقه ﴿شهداء بالقسط﴾ بالعدل ﴿ولا يجرمنكم﴾ يحملنكم ﴿شنآن﴾ بغض ﴿قوم﴾ أي: الكفار ﴿على ألا تعدلوا﴾ فتنالوا منهم لعداوتهم ﴿اعدلوا﴾ في العدوِّ والولي ﴿هو﴾ أي: العدل ﴿أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾ فيجازيكم به. ٩﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ وعداً حسناً ﴿لهم مغفرة وأجر عظيم﴾ هو الجنة. ١٠﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم﴾.
١١﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم

أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ

= فإن أمسك عليك فأدركته حيّاً فاذبحه، وإن أدركته قد قُتل ولم يأكل منه فكله، وإن وجدت مع كلبك كلباً غيره وقد قُتل، فلا تأكل، فإنك لا تدري أيُّهما قتَلَه، وإن رميت بسهمك، فاذكر اسم الله تعالى، فإن غاب عنك، فلم تجد فيه إلاَّ أثر سهمك، فكل إن شئت، وإن وجدته غريقاً في الماء فلا تأكل».

(١) قوله تعالى: ﴿فلم تجدوا ماءً فتيمموا...﴾ الآية. هذه «آية الطهارة»، بينت أهم أحكام: «الوضوء»، و «الغُسل»، و «التيمم»، وفصلت السنة النبوية، كيفية فعلها على وجه الكمال، «فالوضوء» يكون كما يلي:
يسمِّي المتوضِّئُ الله تعالى، ويغسل كفّيه ثلاثاً، ثم يتمضمض ثلاثاً، ثم يستنشق ثلاثاً مع الاستنثار، ثم يغسل وجهه ثلاثاً، ثم يده اليمنى فاليسرى مع المرفقين ثلاثاً، ثم يمسح رأسه كلّه، يبدأ بمقدَّم رأسه حتى يذهبْ بيديه إلى قفاه، ثم يردُّهما إلى المكان الذي بدأ منه، ثم يُدخل أصبعيه السبابتين، فيمسح بهما باطن أذنيه، ويمسح بإبهاميه ظاهرهما، ثم يغسل رجليه مع الكعبين ثلاثاً، اليمنى ثم اليسرى، مصاحباً النية في جميع أعمال الوضوء.
أما «الغُسل»: فالواجب فيه: نية رفع الحدث الأكبر، وغَسْل البدن كله، وكيفية غُسل النبي ﷺ هي، كما رواها الشيخان عن عائشة رضي الله عنها ــ واللفظ لمسلم ــ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا اغتسل من الجنابة، يبدأ فيغسل يديه، ثم يُفْرِغ بيمينه على شماله فيغسل فرجه، ثم يتوضأ، ثم يأخذ الماء، فيُدخل أصابعه في أصول الشعر، ثم حَفَنَ على رأسه ثلاث حَفَنَات، ثم أفاض على سائر جسده، ثم غسل رجليه». =

إذ همّ قوم﴾ هم قريش ﴿أن يبسطوا﴾ يمدوا ﴿إليكم أيديهم﴾ ليفتكوا بكم ﴿فكف أيديهم عنكم﴾ وعصمكم مما أرادوا بكم ﴿واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾. ١٢ ﴿ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل﴾ بما يُذكر بعدُ ﴿وبعثنا﴾ فيه التفات عن الغَيبة، [أي:] أقمنا ﴿منهم اثني عشر نقيباً﴾ من كل سبط نقيب، يكون كفيلاً على قومه بالوفاء بالعهد، توثقةً عليهم ﴿وقال﴾ لهم ﴿الله إني معكم﴾ بالعون والنصرة ﴿لئن﴾ لام قسم ﴿أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم﴾ نصرتموهم ﴿وأقرضتم الله قرضاً حسناً﴾ بالإنفاق في سبيله ﴿لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك﴾ الميثاق ﴿منكم فقد ضل سواء السبيل﴾ أخطأ طريق الحق، و «السواء» في الأصل: «الوَسَطُ»، فنقضوا الميثاق.

١٣ قال الله تعالى: ﴿فبما نقضهم﴾ «ما» زائدة ﴿ميثاقهم لعناهم﴾ أبعدناهم عن رحمتنا ﴿وجعلنا قلوبهم قاسية﴾ لا تلين لقبول الإيمان ﴿يحرفون الكلم﴾ الذي في التوراة، من نعت محمد ﷺ وغيره ﴿عن مواضعه﴾ التي وضعه الله عليها، أي: يبدِّلونه ﴿ونسوا﴾ تركوا ﴿حظاً﴾ نصيباً ﴿مما ذكروا﴾ أُمروا ﴿به﴾ في التوراة، من اتِّباع محمد ﴿ولا تزال﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿تطلع﴾ تظهر ﴿على خائنة﴾ أي: خيانة ﴿منهم﴾ بنقض العهد وغيره ﴿إلا قليلاً منهم﴾ ممن أسلم ﴿فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين﴾ وهذا [الأمر بالعفو والصفح وأمثاله]، منسوخ بآية السيف، [وهي الآية الخامسة من سورة «التوبة»].

١٤ ﴿ومن الذين قالوا إنا نصارى﴾[1] متعلق بقوله:

إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰٓ

ثلاثة أرباع الحزب

= أما «التيمم»: فالواجب فيه: نية التيمم، والصعيد الطاهر، وهو: طهارة تَعَبُّدِيَّة بحتة، بدلاً عن الوضوء والغُسل، أو عن أحدهما، إذا فقد الماء، أو تعذر استعماله لمانع كمرض.

(١) قوله تعالى: ﴿قالوا إنا نصارى﴾. أي: هم سمّوا أنفسهم نصارى، أخرج عبد الرزاق وغيره عن قتادة بن دعامة السَّدوسي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ومن الذين قالوا إنا نصارى﴾ قال: «كانوا بقرية يقال لها الناصرة، كان عيسى ابن مريم ينزلها، وهو اسم تسمّوا به ولم يؤمروا به». اهـ.

أما الذين آمنوا بالمسيح كما أمرهم الله ــ أي: أنه عبد الله ورسوله ــ قبل بعثة محمد ﷺ، فهم «مسلمون»، ودينهم هو الإسلام، لأن الإسلام دينُ الله إلى جميع خلقه، أرسل به رسله كافة، قال تعالى: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ وقال: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾، أما بعد مبعث محمد ﷺ، فلا نجاة لأحد، إلا بالإيمان به واتباعه.

و «النصارى» جمع، مفرده: «نَصْران»، مثل: «حَيَارَى»، و «حَيْران»، والنِّسبة: «نَصْرانيّ»، وهو مأخوذ من «النصر»، لأن الأولين منهم، زعموا أنهم نصروا المسيح عليه السَّلام.

ارجع إلى تعليقنا حول «الأديان» ص ٢٤٥.

﴿أخذنا ميثاقهم﴾ [أي: أخذنا من الذين قالوا: «إنا نصارى» ميثاقهم]، كما أخذنا على بني إسرائيل[1] العهود ﴿فنسوا حظاً مما ذكروا به﴾ في الإنجيل، من الإيمان وغيره، ونقضوا الميثاق ﴿فأغرينا﴾ أوقعنا ﴿بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة﴾ بتفريقهم واختلاف أهوائهم، فكل فرقة تُكفِرُ الأخرى ﴿وسوف ينبئهم الله﴾ في الآخرة ﴿بما كانوا يصنعون﴾ فيجازيهم عليه.

١٥ ﴿يا أهل الكتاب﴾ اليهود والنصارى ﴿قد جاءكم رسولنا﴾ محمد ﴿يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون﴾ تكتمون ﴿من الكتاب﴾ التوراة والإنجيل، كآية الرجم، وصفته [أخرج الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: من كفر بالرجم، فقد كفر بالقرآن من حيث لا يحتسب ـ أخذاً من هذه الآية ـ لأن الرجم كان مما أخفوا] ﴿ويعفو عن كثير﴾ من ذلك، فلا يبينه، إذا لم يكن فيه مصلحة إلاَّ افتضاحكم ﴿قد جاءكم من الله نور﴾ هو النبي ﷺ ﴿وكتاب﴾ قرآن ﴿مبين﴾ بَيِّنٌ ظاهر.

١٦ ﴿يهدي به﴾ أي: بالكتاب ﴿الله من اتبع رضوانه﴾ بأن آمن ﴿سبل السلام﴾ طرق السلامة ﴿ويخرجهم من الظلمات﴾ الكفر ﴿إلى النور﴾ الإيمان ﴿بإذنه﴾ بإرادته ﴿ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾ دين الإسلام.

١٧ ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾ حيث جعلوه إلَهاً، وهم: اليعقوبية، فرقة من النصارى[2]، [بل هذا هو معتقد عامَّتهم] ﴿قل فمن يملك﴾ أي: يدفع ﴿من﴾ عذاب ﴿الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً﴾ أي: لا أحد يملك ذلك، ولو كان المسيح إلَهاً لقدر عليه ﴿ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء﴾ شاءه ﴿قدير﴾. ١٨ ﴿وقالت اليهود

أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ

(١) قوله: «كما أخذنا على بني إسرائيل العهود» يظن كثير من الناس: أن «اليهود» هم كل بني إسرائيل، والواقع: أن «اليهود» كانوا فئة من بني إسرائيل، ولم يكن بنو إسرائيل جميعُهُم يهوداً، وأن الميثاق قد أُخذ على بني إسرائيل جميعاً ـ بمن فيهم اليهود ـ بأن يؤمنوا بموسى، ويعملوا بما أنزل الله تعالى في التوراة، وبأن يؤمنوا بكل رسول يأتي من بعده، وبمحمد ﷺ خاصة، ووصفه لهم في التوراة، ليعرفوه، وكذلك أُخذ العهد على الذين قالوا: إنا نصارى، بأن يؤمنوا بمحمد ﷺ، ووصفه لهم في الإنجيل، وسماه لهم عيسى عليه السلام باسمه، فآمن بعضهم وكفر آخرون من الفريقين، ارجع إلى تعليقنا حول بني إسرائيل ص ١٠.

(٢) وهؤلاء هم أتباع الكنيسة «الأرثوذكسية»، ومعناها باليونانية: «المذهب المستقيم».

والنصارى﴾ أي: [قال] كل منهما ﴿نحن أبناء الله﴾ أي: كأبنائه في القُرب[1] والمنزلة، وهو كأبينا في الرحمة والشفقة [كما يظنون] ﴿وأحباؤه قل﴾ لهم يا محمد ﴿فلم يعذبكم بذنوبكم﴾ إن صدقتم في ذلك، ولا يعذب الأبُ ولده، ولا الحبيب حبيبه، وقد عذبكم [في الدنيا بالقتل والأسر]، فأنتم كاذبون ﴿بل أنتم بشر ممن﴾ مِنْ جملة مَنْ ﴿خلق﴾ من البشر، لكم ما لهم، وعليكم ما عليهم ﴿يغفر لمن يشاء﴾ المغفرة له ﴿ويعذب من يشاء﴾ تعذيبه، لا اعتراض عليه ﴿ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما وإليه المصير﴾ المرجع.

١٩﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا﴾ محمد ﴿ليبيّن لكم﴾ شرائع الدين ﴿على فترة﴾ انقطاع ﴿من الرسل﴾ إذ لم يكن بينه وبين عيسى رسول، ومدة ذلك خمسماية وتسع وستون سنة، لـ ﴿أن﴾ لا ﴿تقولوا﴾ إذا عُذِّبتم ﴿ما جاءنا من﴾ زائدة ﴿بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير﴾ فلا عذر لكم إذاً ﴿والله على كل شيء قدير﴾ ومنه تعذيبكم إن لم تتبعوه.

٢٠﴿و﴾ اذكر ﴿إذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم﴾ أي: منكم ﴿أنبياء وجعلكم ملوكاً﴾ أصحاب خدم وحشم، [عن ابن عباس قال: «كان الرجل من بني إسرائيل، إذا كانت له الزوجة والخادم والدار، يسمّى ملكاً»، أخرجه عبد الرزاق وابن جرير وغيرهما] ﴿وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين﴾ [في زمانكم]، من المنّ والسَّلوى، وفَلْق البحر، وغير ذلك.

٢١﴿يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة﴾ [المباركة، أو] المطهرة ﴿التي كتب الله لكم﴾ [أي:] أمركم بدخولها، وهي: [بلاد] الشام ﴿ولا ترتدوا على أدباركم﴾ تنهزموا خوف العدو ﴿فتنقلبوا خاسرين﴾ في سعيكم.

٢٢﴿قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين﴾ من بقايا «عاد»، طوالاً ذوي قوة ﴿وإنا لن ندخلها

وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا

(١) قوله: «أي: كأبنائه في القرب والمنزلة إلخ...».
هذا هو ظن الذين كفروا.. اليهود والنصارى..
ولكن هل قولهم «نحن أبناء الله» ولو على سبيل المجاز، قول جائز لا كفر فيه؟.. لقد ظن البعض، أنه يجوز إطلاق «ابن الله» مجازاً على من يحبه الله، فأولوا معتقد النصارى، وحملوه على هذا المحمل، وهذا ظن سيّىء ومذهب خطير، لا يجوز اعتقاده ولا اعتماده بحال، فإن استعمال الألفاظ في غير ما وضعت له، اعتماداً على الرأي والقياس، غير مقبول في اللغة، فلا يصح، قياساً على قولنا: فلان أسد أي: شجاع، أن نقول: «كل قَيئاً» ونعني «عَسَلاً»، بجامع أن النحل تمتص الرحيق، مثلما يأكل الإنسان، ثم تصبه من فمها كما يقيء الإنسان! ولو جازت مثل هذه الاستعمالات، لأدى ذلك إلى ضياع اللغة وفسادها، حيث يعمد كل إنسان إلى حمل كلامه على المعنى الذي يريده هو، زاعماً أنه يستعمل الكلمة مجازاً لا حقيقة، وفوق ذلك كله، فإن الله تعالى، حكم بالكفر على الذين وصفوه بالأبوة، ووصفوا المسيح بالبنوة له، بقوله تعالى: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾.

حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون﴾ لها. ٢٣﴿قال﴾ لهم ﴿رجلان من الذين يخافون﴾ مخالفة أمر الله، وهما: «يوشع وكالب»، من النقباء الذين بعثهم موسى في كشف أحوال الجبابرة ﴿أنعم الله عليهما﴾ بالعصمة [عن إفشاء السرّ]، فكتما ما اطلعا عليه من حالهم، إلاّ عن موسى، بخلاف بقية النقباء، فأفشوه فجبنوا ﴿ادخلوا عليهم الباب﴾ [أي: بيت المقدس]، ولا تخشوهم، فإنهم أجساد بلا قلوب ﴿فإذا دخلتموه فإنكم غالبون﴾ قالا ذلك تيقناً بنصر الله وإنجاز وعده ﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾.
٢٤﴿قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا﴾ هم ﴿إنا ها هنا قاعدون﴾ عن القتال.

حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ

حزب ١٢

٢٥﴿قال﴾ موسى حينئذ ﴿ربِّ إني لا أملك إلاّ نفسي و﴾ إلاّ ﴿أخي﴾ ولا أملك غيرهما، فأجبرهم على الطاعة ﴿فافرق﴾ فافصل ﴿بيننا وبين القوم الفاسقين﴾. ٢٦﴿قال﴾ تعالى له ﴿فإنها﴾ أي: الأرض المقدسة ﴿محرمة عليهم﴾ أن يدخلوها ﴿أربعين سنة يتيهون﴾ يتحيرون ﴿في الأرض﴾ وهي تسعة فراسخ، قاله ابن عباس ﴿فلا تأس﴾ تحزن ﴿على القوم الفاسقين﴾ روي أنهم كانوا يسيرون الليل جادّين، فإذا أصبحوا، إذا هم في الموضع الذي ابتدأوا منه، ويسيرون النهار كذلك، حتى انقرضوا كلهم، إلاّ من لم يبلغ العشرين، قيل: وكانوا ستمائة ألف، ومات هارون وموسى في التيه، وكان رحمةً لهما وعذاباً لأولئك، «وسأل موسى ربه عند موته، أن يُدْنِيَهُ من الأرض المقدسة رميةً بحجر فأدناه»، كما في الحديث [الذي رواه مسلم]، ونُبىء يوشع بعد الأربعين، وأمر بقتال الجبارين فسار بمن بقي معه وقاتلهم، وكان يوم الجمعة ووقفت له الشمس ساعة حتى فرغ من قتالهم، [كماسيأتي] وروى أحمد في مسنده حديث: «إن الشمس لم تُحبس على بشر، إلاّ ليوشع، ليالي سار إلى بيت المقدس»، [وأخرج عبد الرزاق والحاكم وصححه قوله ﷺ: «إن نبياً من الأنبياء قاتل أهل مدينة، حتى إذا كاد أن يفتحها، خشي أن تغرب الشمس فقال: أيتها الشمس، إنك مأمورة وأنا مأمور، بحرمتي عليك، إلاّ وقفت ساعةً من النهار، قال: فحبسها الله تعالى، حتى افتتح المدينة»]. ٢٧﴿واتل﴾ يا محمد ﴿عليهم﴾ على قومك ﴿نبأ﴾ خبر ﴿ابني آدم﴾ هابيل وقابيل ﴿بالحق﴾ متعلق بـ«اتل» ﴿إذ قربا قرباناً﴾ إلى الله، وهو: كبش لهابيل، وزرع لقابيل ﴿فتُقُبِّل من أحدهما﴾ وهو هابيل، بأن نزلت نار من السماء، فأكلت قربانه ﴿ولم يُتَقَبَّل من الآخر﴾ وهو قابيل، فغضب وأضمر الحسد في نفسه، إلى أن حج آدم ﴿قال﴾ له ﴿لأقتلنك﴾ قال لِمَ؟ قال: لِتقبل قربانك دوني ﴿قال إنما يتقبل الله من المتقين﴾. ٢٨﴿لئن﴾ لام قسم ﴿بسطت﴾ مددت ﴿يدك إليَّ لتقتلني ما أنا بباسط

يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين﴾ في قتلك. ٢٩﴿إني أريد أن تبوء﴾ ترجع ﴿بإثمي﴾ بإثم قتلي ﴿وإثمك﴾ الذي ارتكبته من قبل ﴿فتكون من أصحاب النار﴾ ولا أريد أن أبوء بإثمك إذا قتلتك، فأكون منهم، قال تعالى: ﴿وذلك جزاء الظالمين﴾. ٣٠﴿فطوعت﴾ زينت ﴿له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح﴾ فصار ﴿من الخاسرين﴾ بقتله، ولم يدر ما يصنع به، لأنه أول ميت[1] على وجه الأرض، من بني آدم، فحمله على ظهره. ٣١﴿فبعث الله غراباً يبحث في الأرض﴾ ينبش التراب بمنقاره وبرجليه، ويثيره على غراب ميت معه، حتى واراه ﴿ليريه كيف يواري﴾ يستر ﴿سوأة﴾ جيفة ﴿أخيه قال يا ويلتى أعجزت﴾ عن ﴿أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فأصبح من النادمين﴾ على حمله، [لا على قتله]، وحفر له وواراه، [وهذه الآية أصل في دفن الميت]. ٣٢﴿من أجل ذلك﴾ الذي فعله قابيل ﴿كتبنا على بني إسرائيل أنه﴾ أي: الشأن ﴿من قتل نفساً بغير نفس﴾ قتلها ﴿أو﴾ بغير ﴿فساد﴾ أتاه ﴿في الأرض﴾ من كفر، أو: زناً، أو: قطع طريق[2] أو: نحوه ﴿فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها﴾ بأن امتنع عن قتلها ﴿فكأنما أحيا الناس جميعاً﴾ قال ابن عباس: من حيث انتهاك حرمتها وصونها ﴿ولقد جاءتهم﴾ أي: بني إسرائيل ﴿رسلنا بالبينات﴾ المعجزات ﴿ثم إن كثيراً منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون﴾ مجاوزون الحد، بالكفر، والقتل، وغير ذلك. ٣٣ ونزل في العُرنيين، لمّا قدموا المدينة وهم مرضى، فأذن لهم النبي ﷺ، أن يخرجوا إلى الإبل، ويشربوا من أبوالها وألبانها، فلما صَحُّوا، قتلوا راعي النبي ﷺ، واستاقوا الإبل، [فبعث رسول الله ﷺ في آثارهم، فأُتي بهم، فقطع أيديهم وأرجلهم، وسمل أعينهم ــ فقأها بحديدة ــ فتُركوا في الحَرّة، حتى ماتوا على حالهم. رواه البخاري ومسلم وغيرهما، وإنما فعل بهم ذلك، لأنهم فعلوا بالرعاة مثله]: ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله﴾ بمحاربة المسلمين

يَدَكَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ

(١) قوله: «لأنه أول ميت على وجه الأرض من بني آدم» أي: وكان قابيل أول قاتل، روى الشيخان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ليس من نفس تُقتل ظلماً، إلا كان على ابن آدم الأول كِفْلٌ ــ نصيب ــ من دمها، لأنه كان أول من سنّ القتل».

(٢) قوله: «من كفر أو زناً أو قطع طريق»، يشير بالسببين الأولين إلى ما رواه الشيخان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل دم امرىء مسلم، إلا بإحدى ثلاث: الثيّب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»، أي: يرجم الزاني حتى الموت، إذا كان ثيّباً أي: محصناً، و«المُحْصَنُ» هو: الذي حصل منه وطء، ولو مرة بعد التكليف، في نكاح صحيح، رجلاً كان أو امرأة، وذلك بالشروط الشرعية في هذا الباب، وكذلك يُقتل القاتل عمداً بغير حق، ويُقتل أيضاً المرتد عن الإسلام بعد استتابته، أما قوله: «أو قطع طريق» فيشير به إلى قوله تعالى: ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله﴾ الآية ٣٣ التالية.

﴿ويسعون في الأرض فساداً﴾ بقطع الطريق ﴿أن يقتّلوا أو يصلّبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف﴾ أي: أيديهم اليمنى وأرجلهم اليسرى ﴿أو ينفوا من الأرض﴾ «أو» لترتيب الأحوال، فالقتل: لمن قَتَل فقط، والصلب: لمن قتل وأخذ المال، والقطع: لمن أخذ المال ولم يقتل، والنفي: لمن أخاف فقط، قاله ابن عباس، وعليه الشافعي، وأصح قوليه: أن الصلب ثلاثاً بعد القتل، وقيل: قبله قليلاً، ويُلحق بالنفي، ما أشبه في التنكيل، من الحبس وغيره ﴿ذلك﴾ الجزاء المذكور ﴿لهم خزي﴾ ذل ﴿في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ هو: عذاب النار. ٣٤﴿إلاّ الذين تابوا﴾ من المحاربين والقُطّاع ﴿من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور﴾ لهم ما أتوه

وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ

﴿رحيم﴾ بهم، عَبَّرَ بذلك دون: «فلا تحُدُّوهم»، ليفيد أنه لا يسقط عنه بتوبته، إلاّ حدود الله، دون حقوق الآدميين، كذا ظهر لي، ولم أر من تعرَّض له، والله أعلم، فإذا قَتَل وأخذ المال: يقتل ويقطع[1] ولا يصلب، وهو أصح قولي الشافعي، [ولكن المعتمد في مذهبه: أنه يقتل ويصلب ثلاثة أيام من غير قَطع]، ولا تفيد توبته بعد القدرة عليه شيئاً، وهو أصح قوليه أيضاً. ٣٥﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله﴾ خافوا عقابه، بأن تطيعوه ﴿وابتغوا﴾ اطلبوا ﴿إليه الوسيلة﴾ ما يقربكم إليه من طاعته ﴿وجاهدوا في سبيله﴾ لإعلاء دينه ﴿لعلكم تفلحون﴾ تفوزون.

٣٦﴿إن الذين كفروا لو﴾ ثبت ﴿أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم﴾.

٣٧﴿يريدون﴾ يتمنون ﴿أن يخرجوا من النار﴾ [ويطلبون ذلك قائلين: «ربنا أخرجنا منها»] ﴿وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم﴾ دائم.

٣٨﴿والسارق والسارقة﴾ «أل» فيهما موصولة مبتدأ، [وصلتها هي الصفة الصريحة أي: الذي سرق، والتي سرقت]، ولشبهه بالشرط، دخلت الفاء في خبره وهو: ﴿فاقطعوا أيديهما﴾ أي: يمينَ كلٍّ منهما من الكوع، [وهو: ما يلي الإبهام، أي: من مَفْصِل الكف عن الساعد]، وبينت السُّنة: أن الذي يُقْطَعُ فيه، ربعُ دينار فصاعداً، [قال ﷺ: «لا تُقطع يد السارق، إلاّ في ربع دينار فصاعداً»]، وأنه إذا عاد قطعت رجله اليسرى، من مفصل القدم، ثم اليد اليسرى، ثم الرجل اليمنى، وبعد ذلك يعزَّر [بما يراه الإمام من عقوبة، روى ذلك البيهقي في سُننه، وأبو يعلى] ﴿جزاء﴾ نصب على المصدر ﴿بما كسبا نكالاً﴾ عقوبةً لهما ﴿من الله والله عزيز﴾ غالب على أمره ﴿حكيم﴾ في خلقه. ٣٩﴿فمن تاب من بعد ظلمه﴾ رجع عن السرقة

---

(١) قوله: «يقتل ويقطع» فيه تقديم وتأخير وحقه أن يقول: «يقطع ويقتل» لئلا يفهم أن القطع يكون بعد القتل، لأن القطع بعد القتل =

﴿وأصلح﴾ عمله ﴿فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم﴾ في التعبير بهذا، ما تقدم [من سقوط حق الله تعالى]، فلا يسقط بتوبته حق الآدمي، من القطع وردُّ المال، نعم بيَّنت السُّنة: أنه إن عفا عنه قبل الرفع[1] إلى الإمام، سقط القطع، وعليه الشافعي. ٤٠ ﴿ألم تعلم﴾ الاستفهام فيه للتقرير ﴿أن الله له ملك السماوات والأرض يعذب من يشاء﴾ تعذيبه ﴿ويغفر لمن يشاء﴾ المغفرة له ﴿والله على كل شيء قدير﴾ ومنه التعذيب والمغفرة.

٤١ ﴿يا أيها الرسول لا يحزنك﴾ صُنْعُ ﴿الذين يسارعون في الكفر﴾ يقعون فيه بسرعة، أي: يظهرونه إذا وجدوا فرصة ﴿من﴾ للبيان ﴿الذين قالوا آمنا بأفواههم﴾ بألسنتهم، متعلق بـ «قالوا» ﴿ولم تؤمن قلوبهم﴾ وهم: المنافقون ﴿ومن الذين هادوا﴾ قوم ﴿سماعون للكذب﴾ الذي افترته أحبارهم، سماعَ قبول ﴿سماعون﴾ منك ﴿لقوم﴾ لأجل قوم ﴿آخرين﴾ من اليهود ﴿لم يأتوك﴾ وهم: أهل خيبر، زنى فيهم محصنان، فكرهوا رجمهما، فبعثوا قريظة ليسألوا النبي ﷺ عن حكمهما ﴿يحرفون الكلم﴾ الذي في التوراة، كآية الرجم ﴿من بعد مواضعه﴾ التي وضعه الله عليها، أي: يبدلونه ﴿يقولون﴾ لمن أرسلوهم ﴿إن أوتيتم هذا﴾ الحُكمَ المحرَّف، أي: الجلد، أي: [إن] أفتاكم به محمد ﴿فخذوه﴾ فاقبلوه ﴿وإن لم تؤتوه﴾ بل أفتاكم بخلافه ﴿فاحذروا﴾ أن تقبلوه ﴿ومن يرد الله فتنته﴾ إضلاله ﴿فلن تملك له من الله شيئاً﴾ في دفعها ﴿أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم﴾ من الكفر، ولو أراده لكان ﴿لهم في الدنيا خزي﴾ ذلٌّ بالفضيحة والجزية ﴿ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ [هو عذاب النار]. ٤٢ هم ﴿سماعون للكذب أكالون للسحت﴾ بضم الحاء وسكونها، أي: الحرام كالرشا ﴿فإن جاؤوك﴾ لتحكم بينهم ﴿فاحكم بينهم أو أعرض عنهم﴾ هذا التخيير منسوخ بقوله: «وأن احكم بينهم [بما أنزل الله»] الآية، فيجب الحكم بينهم إذا ترافعوا إلينا، وهو أصح قولي الشافعي، فلو ترافعوا إلينا مع مسلم، وجب إجماعاً ﴿وإن تعرض

وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ

= تمثيل بالقتيل وهو غير جائز، أي: تقطع يده ورجله من خلاف، ثم يقتل ويصلب، وهذا قول ضعيف، خرَّجه أبو الطيب محمد بن المفضل بن سلمة البغدادي، المتوفى عام ثمانية وثلاثمائة، وليس هو أصحَّ قولي الشافعي كما ذكر الجلال السيوطي.

(١) قوله: «إن عفا عنه قبل الرفع». أما إذا كان العفو بعد الرفع إلى الإمام، فلا يسقط القطع، جاء ذلك فيما أخرجه عبد الرزاق في المصنف عن أول حدٍّ أقيم في الإسلام، على رجل أُتي به رسول الله ﷺ وقد سرق، فشهدوا عليه، فأمر به النبي ﷺ فَقُطِعَ، فتأثر الرسول ﷺ وهو يراه تقطع يده، فلما رأوا ذلك منه قالوا: فأرسله ــ أي: اتركه ولا تقطع يده ــ قال: «فهلاَّ قبل أن تأتوني به؟ إن الإمام إذا أُتي بحدٍّ لم يَسُغْ له أن يعطله»، وأخرج الإمام أحمد والترمذي والنسائي والحاكم وصححه وغيرهم: أن رجلاً شَفَعَ في سارق سرق له رداءه، عند رسول الله ﷺ لما أمر بقطع يده، فقال له ﷺ: «هلاَّ كان ذلك قبل أن تأتيني به؟»، وفي تأثره ﷺ، حثٌّ لصاحب الحق، على الستر والعفو، أملاً في صلاح أمر السارق وتوبته.

عنهم فلن يضروك شيئاً وإن حكمت﴾ بينهم ﴿فاحكم بينهم بالقسط﴾ بالعدل ﴿إن الله يحب المقسطين﴾ العادلين في الحكم، أي: يثيبهم. ٤٣ ﴿وكيف يحكمونك وعندهم التوراة﴾ [التي جاءهم بها موسى] ﴿فيها حكم الله﴾ بالرجم، استفهام تعجيب، أي: لم يقصدوا بذلك معرفة الحق، بل ما هو أهون عليهم ﴿ثم يتولون﴾ يعرضون عن حكمك بالرجم الموافق لكتابهم ﴿من بعد ذلك﴾ التحكيم ﴿وما أولئك بالمؤمنين﴾. ٤٤ ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى﴾ من الضلالة ﴿ونور﴾ بيان للأحكام ﴿يحكم بها النبيون﴾ من بني إسرائيل ﴿الذين أسلموا﴾ انقادوا لله، [وكل الأنبياء مسلمون] ﴿للذين هادوا و﴾ [يحكم بها لهم] ﴿الربانيون﴾ العلماء منهم ﴿والأحبار﴾ الفقهاء ﴿بما﴾ أي: بسبب الذي ﴿استحفظوا﴾ استُودعوه، أي: استحفظهم الله إياه ﴿من كتاب الله﴾ أن يبدلوه ﴿وكانوا عليه شهداء﴾ أنه حق ﴿فلا تخشوا الناس﴾ أيها اليهود، في إظهار ما عندكم من نعت محمد ﷺ، والرجم وغيرهما ﴿واخشون﴾ في كتمانه ﴿ولا تشتروا﴾ تستبدلوا ﴿بآياتي ثمناً قليلاً﴾ من الدنيا، تأخذونه على كتمانها ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ به[1]. ٤٥ ﴿وكتبنا﴾ فرضنا ﴿عليهم فيها﴾ أي: التوراة ﴿أن النفس﴾ تُقتل ﴿بالنفس﴾ إذا قتلتها ﴿والعين﴾ تُفقأ ﴿بالعين والأنف﴾ يُجدع ﴿بالأنف والأذن﴾ تُقطع ﴿بالأذن والسن﴾ تقلع ﴿بالسن﴾ [بنصب الجميع]، وفي قراءة بالرفع في الأربعة ـ [أي: في «والعين» وما بعدها ـ] ﴿والجروح﴾ بالوجهين [أي: بالرفع والنصب، عند نصب الجميع، أما عند رفع الأربعة، فبالرفع فقط] ﴿قصاص﴾ أي: يقتص فيها إذا أمكن، كاليد والرِّجل والذَّكر ونحو ذلك، وما لا يمكن فيه [القصاص، ففيه] الحكومة، [بأن يقدَّر المجني عليه رقيقاً، ثم يُنظر إلى نسبة النقص الذي سببه العدوان في قيمته، فيؤخذ مثلُها من الدية،] وهذا الحكم، وإن كُتِبَ عليهم، فهو مقرر في شرعنا ﴿فمن تصدق به﴾ أي: بالقصاص بأن مَكَّنَ من نفسه ﴿فهو كفارة له﴾ لما أتاه ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله﴾ في القصاص وغيره ﴿فأولئك هم

عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ

(١) قوله تعالى: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾. ختام الآية «٤٤»، ثم قوله تعالى: ﴿فأولئك هم الظالمون﴾ ختام الآية «٤٥»، ثم قوله تعالى: ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾ ختام الآية «٤٧»، اشتبه على بعضهم معنى هذه الآيات، إلى حد الإعلان بعدم الرضا، عما جاء عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في تفسيرها، وهذا شطط لا داعي إليه، فتبياناً لوجه الصواب نقول:

أولاً: إن هذه الآيات هي لجميع الأمم، المسلمين منهم وأهل الكتاب على السواء، وإن نزلت في أهل الكتاب خاصة، هذا هو القول الصحيح فيها، وهو قول عبد الله بن عباس، وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهما، وقول سعيد بن جبير والحسن البصري رحمهما الله تعالى، كما سنبين. =

﴿الظالمون﴾. ٤٦ ﴿وقفينا﴾ أتبعنا ﴿على آثارهم﴾ أي: النبيين ﴿بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه﴾ قبله ﴿من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى﴾ من الضلالة ﴿ونور﴾ بيان للأحكام ﴿ومصدقاً﴾ حال ﴿لما بين يديه من التوراة﴾ لما فيها من الأحكام ﴿وهدى وموعظة للمتقين﴾.

٤٧ ﴿و﴾ قلنا ﴿ليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه﴾ من الأحكام، [والدلائل الدالة على نبوة محمد ﷺ، من غير تحريف ولا تبديل]، وفي قراءة بنصب «يحكم»، وكسر لامه، عطفاً على معمول «آتيناه»، [ويصح اعتبار الواو استئنافية، وقوله «ليحكم» متعلقاً بمحذوف، تقديره: وآتيناه ذلك ليحكم، وهذا التوجيه أحسن] ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾.

٤٨ ﴿وأنزلنا إليك﴾ يا محمد ﴿الكتاب﴾ القرآن ﴿بالحق﴾ متعلق بـ «أنزلنا» ﴿مصدقاً لما بين يديه﴾ قبله ﴿من الكتاب ومهيمناً﴾ شاهداً ﴿عليه﴾ و «الكتاب» بمعنى: الكتب ﴿فاحكم بينهم﴾ بين أهل الكتاب، إذا ترافعوا إليك ﴿بما أنزل الله﴾ إليك ﴿ولا تتبع أهواءهم﴾ عادلاً ﴿عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم﴾ أيها الأمم ﴿شرعة﴾ شريعة ﴿ومنهاجاً﴾ طريقاً واضحاً في الدين يمشون عليه ﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾ على شريعة واحدة ﴿ولكن﴾ فرقكم فرقاً ﴿ليبلوكم﴾ ليختبركم ﴿فيما آتاكم﴾ من الشرائع المختلفة، لينظر المطيع منكم والعاصي ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ سارعوا إليها ﴿إلى الله مرجعكم جميعاً﴾ بالبعث ﴿فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ من أمر الدين، ويجزي كلاً منكم بعمله. ٤٩ ﴿و﴾ [أنزلنا إليك]: ﴿أن احكم بينهم بما أنزل الله

ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ

= ثانياً: لقد وصف الله تعالى مَنْ لم يحكم بما أنزله، بأوصاف ثلاثة هي: «الكفر»، و«الظلم»، و «الفسق»، وصفاً عاماً مطلقاً، والسبب في هذا الوصف المتعدد، واحد، هو: «الحكم بغير ما أنزل الله»، فلا يصح والحالة هذه، أن نأخذ وصفاً واحداً منها، ونُلزم أنفسنا بالحكم على أساسه، مع صرف النظر عن الصفتين الأخريين، فإذا تمسك إنسان بوصف «الكفر» في قوله تعالى: ﴿فأولئك هم الكافرون﴾، ليحكم بناء عليه بالخروج من الإسلام، على كل من لم يحكم بما أنزل الله مطلقاً، فماذا يفعل بوصف «الظلم» و «الفسق»، والسبب للأوصاف الثلاثة واحد؟!...

لقد حسم حبر الأمة، عبد الله بن عباس الموضوع، بتفسير موجز مفيد، فقد أخرج الحاكم وصححه، والبيهقي في سننه، وغيرهما عنه رضي الله عنه، في الآيات الثلاثة المذكورات أنه قال: «كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق»، لقد صدق رضي الله تعالى عنه فيما قال، وكيف لا وهو ترجمان القرآن؟ وما الغرابة في ذلك، ما دامت اللغة تساعد، والنصوص عليه متضافرة؟

فللكفر في اللغة معنيان: أحدهما، أنه ضد الإيمان، والآخر: جحود النعمة، وهو ضد «الشكر»، ويقال للكفر بمعنييه: إنه =

قال تعالى: ﴿حبطت﴾ بطلت ﴿أعمالهم﴾ الصالحة ﴿فأصبحوا﴾ صاروا ﴿خاسرين﴾ الدنيا بالفضيحة والآخرة بالعقاب. ٥٤ ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرْتَدِدْ﴾ بالفك والإدغام: يرجع ﴿منكم عن دينه﴾ إلى الكفر، إخبار بما علم الله وقوعه، وقد ارتد جماعة، بعد موت النبي ﷺ ﴿فسوف يأتي الله﴾ بدلهم ﴿بقوم يحبهم ويحبونه﴾ قال ﷺ: «هم قوم هذا» وأشار إلى أبي موسى الأشعري، رواه الحاكم في صحيحه ﴿أذلة﴾ عاطفين ﴿على المؤمنين أعزة﴾ أشداء ﴿على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ فيه، كما يخاف المنافقون لوم الكفار ﴿ذلك﴾ المذكور من الأوصاف ﴿فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع﴾ كثير الفضل ﴿عليم﴾ بمن هو أهله. ٥٥ ونزل لما قال[عبد الله] بن سلام: يا رسول الله، إن قومنا [يهود قريظة والنضير، قد] هجرونا [لأننا أسلمنا]: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ خاشعون، أو: يصلون صلاة التطوع. ٥٦ ﴿ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا﴾ فيعينهم وينصرهم ﴿فإن حزب الله هم الغالبون﴾ لنصره إياهم، أوقعه موقع «فإنهم»، بياناً لأنهم من حزبه، أي: أتباعه. ٥٧ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزؤاً﴾ [بالهمز، هنا وفي الآية التالية، مع ضم الزاي وسكونها، وفي قراءة: بالواو مع ضم الزاي]، مهزوءاً به ﴿ولعباً من﴾ للبيان ﴿الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار﴾ المشركين، بالجر والنصب ﴿أولياء واتقوا الله﴾ بترك موالاتهم ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ صادقين في إيمانكم. ٥٨ ﴿و﴾ الذين ﴿إذا ناديتم﴾ دعوتم ﴿إلى الصلاة﴾ بالأذان، [وسيأتي بيان مشروعيته ص ٧٤٢] ﴿اتخذوها﴾ أي: الصلاة ﴿هزواً ولعباً﴾ بأن يستهزئوا بها ويتضاحكوا ﴿ذلك﴾ الاتخاذ ﴿بأنهم﴾ أي بسبب أنهم ﴿قوم لا يعقلون﴾.

حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ
يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ
يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ
فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا
وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ
ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا
وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ
وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ
ٱتَّخَذُوهَا هُزُوٗا وَلَعِبٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ﴿٥٨﴾

= والمراد بذلك التغليظ، أو بيان أن هذه الأفعال من أخلاق الكفار، فهذا كفر دون كفر، صحيح أن الظلم أو الفسق عند الإطلاق، يُفهم منه ما دون الكفر من الذنوب، لكن قد يُقصد به «الكفر» أيضاً، فمن أكل حق غيره يقال: له «ظالم»، ومن كفر بالله فهو أيضاً ظالم، فهذا ظلم دون ظلم، ومن شرب الخمر من غير استحلال فهو «فاسق»، ومن كفر بالله تعالى فهو فاسق أيضاً، فهذا فسق دون فسق، فيقال للكافر بالله هو: كافر وظالم وفاسق، ويوصف العاصي أيضاً بكفر النعمة، وبالظلم وبالفسق. ولهذه المسألة نظائر معروفة، منها: أن «الشرك» نوعان: «الشرك الأكبر»، وهو المخرج عن الإيمان، و «الشرك الأصغر»، وهو: «الرياء»، فهذا شرك دون شرك. . . اقرأ تعليقنا حول الرياء ص ٣٩٥.

ومنها أن «النفاق» أيضاً نوعان هما: «نفاق الاعتقاد»، وهو كفر خالص، مثل نفاق عبد الله بن أُبيٍّ السَّلولي، و «نفاق العمل» وهو خصال سيئة، لا يخرج فاعلها عن الإسلام بفعلها، كالتي في الحديث الذي أخرجه الشيخان: «إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر» فهذا نفاق دون نفاق، ارجع إلى تعليقنا حول «النفاق» ص ١٢٦.

فإذا كان هذا الحاكم، لا يحكم بما أنزل الله جحوداً منه لحكم الله، أو استهزاء به، أو شكاً في صلاحه للحياة، أو لنحو ذلك، فهو «كفر» يُخرجه عن الإسلام وهو في الوقت نفسه، «ظلم» و «فسق»، وأما إذا كان يؤمن، بأن حكم الله هو الحق، وهو الصالح =

٥٩ ونزل لما قال اليهود للنبي ﷺ: بمن تؤمن من الرسل؟ فقال: «بالله وما أنزل إلينا» الآية، فلما ذَكر عيسى، قالوا: لا نعلم ديناً شراً من دينكم: ﴿قل يا أهل الكتاب هل تنقمون﴾ تنكرون ﴿منا إلاَّ أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل﴾ إلى الأنبياء ﴿وأن أكثركم فاسقون﴾ عطف على: «أنْ آمنا»، المعنى: ما تنكرون إلاَّ إيماننا، ومخالفتكم في عدم قبوله، المعبَّرَ عنه بالفسق اللازم عنه، وليس هذا مما يُنكَرُ. ٦٠﴿قل هل أنبئكم﴾ أخبركم ﴿بشرٍ من﴾ أهل ﴿ذلك﴾ [الدِّين] الذي تنقمونه ﴿مثوبة﴾ ثواباً، بمعنى: جزاءً [بالعقاب، وتسمية العقاب «مثوبة»، تهكُّم بهم، مثل «فبشِّرهم بعذاب أليم»] ﴿عند الله﴾؟ [ثم بيَّن مَن هو شر الناس، والمستحق للعقاب في واقع الأمر فقال:] هو ﴿من لعنه الله﴾

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ

أبعده من رحمته ﴿وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير﴾ بالمسخ ﴿و﴾ من ﴿عبد الطاغوت﴾ الشيطان بطاعته، وروعي في: «منهم»، معنى: «مَن»، [أي: الجمع]، [وروعي] فيما قبله لفظها، [فجاء مفرداً]، وهم: اليهود، وفي قراءة: بضم باء «عبد»، وإضافته إلى ما بعده، [وهو] اسم جمع لـ «عَبْد»، ونَصْبُهُ بالعطف على «القردة» ﴿أولئك شر مكاناً﴾ تمييز، لأن مأواهم النار ﴿وأضل عن سواء السبيل﴾ طريق الحق، وأصل «السَّواء»: الوسَط، وذَكَرَ «شرّ» [في الآية مرتين]، و «أضلّ»، في مقابلة قولهم: لا نعلم ديناً شرّاً من دينكم. ٦١﴿وإذا جاؤوكم﴾ أي: منافقو اليهود [ـ وكانوا إذا دخلوا على الرسول ﷺ، أظهروا له الإيمان نفاقاً ـ] ﴿قالوا آمنَّا و﴾ [الواقع أنهم] ﴿قد دخلوا﴾ إليكم، متلبسين ﴿بالكفر وهم قد خرجوا﴾ من عندكم متلبسين ﴿به﴾ ولم يؤمنوا ﴿والله أعلم بما كانوا يكتمون﴾ ـه من النفاق. ٦٢﴿وترى كثيراً منهم﴾ أي: اليهود ﴿يسارعون﴾ يقعون سريعاً ﴿في الإثم﴾ الكذب ﴿والعدوان﴾ الظلم ﴿وأكلهم السحت﴾ الحرام كالرُّشا ﴿لبئس ما كانوا يعملون﴾ ـه [أي: بئس العملُ] عملُهم هذا.

٦٣﴿لولا﴾ هلاَّ ﴿ينهاهم الربانيون والأحبار﴾ منهم ﴿عن قولهم الإثم﴾ الكذب ﴿وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون﴾ ـه، [وهو:] ترك نهيهم. ٦٤﴿وقالت اليهود﴾ لما ضيِّق عليهم، بتكذيبهم النبي ﷺ، بعد أن كانوا أكثر الناس مالاً ﴿يد الله مغلولة﴾ مقبوضة عن إدرار الرزق علينا، كنَّوا به عن البخل ـ تعالى الله عن ذلك ـ ، قال تعالى: ﴿غلت﴾ أُمسكَتْ ﴿أيديهم﴾ عن فعل الخيرات، [هذا] دعاءٌ عليهم، [جاء بلفظ الخبر، أو: هو إخبار عما سيحل بهم في نار جهنم، حيث تُشدُّ أيديهم إلى أعناقهم عقاباً لهم على كفرهم] ﴿ولعنوا بما قالوا

= والمصلح على كل حال، وفي كل زمان ومكان، ولكنه لسبب ما في نفسه، من ضعف إيمان، أو حب للدنيا، =

بل يداه مبسوطتان﴾ مبالغة بالوصف بالجود، وثنَّى اليد، لإفادة الكثرة، إذ غاية ما يبذله السخي من ماله، أن يعطي بيديه ﴿ينفق كيف يشاء﴾ من توسيع وتضييق، لا اعتراض عليه ﴿وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك﴾ من القرآن ﴿طغياناً وكفراً﴾ لكفرهم به ﴿وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة﴾ فكل فرقة منهم تخالف الأخرى ﴿كلما أوقدوا ناراً للحرب﴾ أي: لحرب النبي ﷺ، [بتعاطي أسبابها] ﴿أطفأها الله﴾ أي: كلما أرادوه [بسوء]، بزعمهم [أنه ليس رسولاً]، ردَّهم ﴿ويسعون في الأرض فساداً﴾ أي: مفسدين بالمعاصي ﴿والله لا يحب المفسدين﴾ بمعنى أنه يعاقبهم. ٦٥﴿ولو أن أهل الكتاب﴾ [أي: اليهود والنصارى] ﴿آمنوا﴾ بمحمد ﷺ ﴿واتقوا﴾ الكفر ﴿لكفَّرنا عنهم سيآتهم ولأدخلناهم جنات النعيم﴾.

٦٦﴿ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل﴾ بالعمل بما فيهما، ومنه الإيمان بالنبي ﷺ ﴿وما أنزل إليهم﴾ من الكتب ﴿من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾ بأن يوسَّعَ عليهم الرزقُ، ويَفِيضَ من كل جهة ﴿منهم أمة﴾ جماعة ﴿مقتصدة﴾ تعمل به، وهم من آمن بالنبي ﷺ، كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿وكثير منهم ساء﴾ بئس ﴿ما﴾ شيئاً ﴿يعملون﴾ ـه.

٦٧﴿يا أيها الرسول بلِّغ﴾ جميع ﴿ما أنزل إليك من ربك﴾ ولا تكتم شيئاً منه[1]، خوفاً أن تُنال بمكروه ﴿وإن لم تفعل﴾ أي: لم تبلغ جميع ما أنزل إليك ﴿فما بلغت رسالته﴾ بالإفراد والجمع، لأن كتمان بعضها ككتمان كلها ﴿والله يعصمك من الناس﴾ أن يقتلوك، وكان ﷺ يُحرس حتى نزلت، فقال: [: «يا أيها الناس] انصرفوا فقد عصمني الله» رواه الحاكم [والترمذي، والبيهقي في «الدلائل» وغيرهم، عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها] ﴿إن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾. ٦٨﴿قل يا أهل

بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ

= حكم بغيره، فهذا يقال فيه: إنه كَفَر بنعمة الله ـ وحكمُ الله من أعاظم النعم ـ وفعله هذا: ظلم وفسق، فليس الأمر واحداً على كل حال، بل لكل «حاكم»... «حُكْمٌ»... بحسب اعتقاده وموقفه من حكم الله تعالى، فكما أنه لا يجوز تبرئة «الحاكمين»، الذين لا يحكمون بما أنزل الله بالجملة، فكذلك لا يجوز «إكفارهم» بالجملة...

(١) قوله: «ولا تكتم شيئاً منه» مما هو واجب على المسلم اعتقادُه: أن نبينا محمداً ﷺ ـ وقبله جميع الأنبياء ـ قد بلغ كل ما أنزل إليه من ربه، وأنه لم يكتم شيئاً منه، فقد روى الترمذي وصححه وغيره، عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «لو كان النبي ﷺ كاتماً شيئاً من الوحي، لكتم هذه الآية: ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه ـ بالإسلام وهو زيد بن حارثة ـ وأنعمت عليه ـ بالعتق ـ أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾ الآية ٣٧ من سورة «الأحزاب» ص ٥٥٥، ولكنه ﷺ بلغ هذه الآية، وهي تخاطبه وحده، امتثالاً لأمر الله تعالى، وبياناً لأحكام الإسلام الحنيف.

الكتاب لستم على شيء﴾ من الدين معتدٌّ به ﴿حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم﴾ بأن تعملوا بما فيه، ومنه الإيمان بي ﴿وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك﴾ من القرآن ﴿طغياناً وكفراً﴾ لكفرهم به ﴿فلا تأس﴾ تحزن ﴿على القوم الكافرين﴾ إن لم يؤمنوا بك، أي: لا تهتم بهم.

٦٩ ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا﴾[1] هم اليهود، مبتدأ ﴿والصابئون﴾ فرقة منهم[2]، [أو: من النصارى] ﴿والنصارى﴾ ويبدل من المبتدأ: ﴿من آمن﴾ منهم ﴿بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ في الآخرة، خبر المبتدأ، ودالٌّ على خبر «إن». ٧٠ ﴿لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل﴾ على الإيمان بالله ورسله ﴿وأرسلنا إليهم رسلاً كلما جاءهم رسول﴾ منهم ﴿بما لا تهوى أنفسهم﴾ من الحق، كذَّبوه ﴿فريقاً﴾ منهم ﴿كذبوا﴾ ه ﴿وفريقاً﴾ منهم ﴿يقتلون﴾ كزكريا ويحيى، والتعبير به [أي: بـ «يقتلون»] دون «قتلوا»، حكاية للحال الماضية، [ومراعاة] للفاصلة، [أي: رؤوس الآي].

٧١ ﴿وحسبوا﴾ ظنوا ﴿ألَّا تكون﴾ بالرفع، فـ «أن» مخففة، والنصب: فهي ناصبة، أي: تقع ﴿فتنة﴾ عذاب بهم، على تكذيب الرسل وقتلهم ﴿فعموا﴾ عن الحق، فلم يبصروه ﴿وصموا﴾ عن استماعه ﴿ثم تاب الله عليهم﴾ لما تابوا ﴿ثم عموا وصموا﴾ ثانياً ﴿كثير منهم﴾ بدل من الضمير ﴿والله بصير بما يعملون﴾ فيجازيهم به.

٧٢ [ثم شرع في بيان قبائح النصارى، بعد ذكر قبائح اليهود فقال تعالى:] ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾ سبق مثله [في سورة «النساء»، في قوله تعالى: «ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم» الآية ١٧١] ﴿وقال﴾ لهم ﴿المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم﴾ فإني عبد ولست بإله

ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ
وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ
إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ
وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا
فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ
بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ
بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾
وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ
ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾
لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ
وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ

---

(١) قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا﴾ الآية. ارجع إلى تعليقنا على الآية «٦٢» المماثلة من سورة «البقرة» ص ١٢.

(٢) قوله: «فرقة منهم» أي: من اليهود، لقد وافق الجلال السيوطي هنا، الجلالَ المحلي في تعريف «الصابئة»، بأنهم «فرقة من اليهود»، وزاد في «سورة البقرة»: «أو النصارى»، بياناً لقول ثان معروف عند فقهاء الشافعية ــ كما ذكر في خاتمته ــ ففي شروح المنهاج: أن الشافعي رحمه الله نصَّ على أن الصابئين فرقة من النصارى، وقال الإمام أبو حنيفة رحمه الله: إنهم يعظمون النجوم ولا يعبدونها، وعند صاحبيه: هم الذين يعبدون الكواكب.

ولكن ما يفيده كلام الإمام الشهرستاني، في «الملل والنحل»، أن الصابئة ليسوا من اليهود ولا من النصارى، حيث قال: «الصابئة» في اللغة من «صبأ الرجل» إذا مال وزاغ، فبحكم ميل هؤلاء عن سنن الحق، وزيغهم عن نهج الأنبياء قيل لهم: «الصابئة»، وإنما مدار مذهبهم التعصب للروحانيين، أي: للملائكة. ثم يقول: مذهب هؤلاء، أن للعالم صانعاً فاطراً حكيماً، ويقولون: الواجب علينا معرفة العجز عن الوصول إلى جلاله، وإنما يتقرب إليه بالمتوسطات المقربين لديه، وهم الروحانيون المطهرون المقدسون، قد جُبلوا على الطهارة، =

[وقال لهم أيضاً:] ﴿إنه من يشرك بالله﴾ في العبادة غيره ﴿فقد حرم الله عليه الجنة﴾ منعه أن يدخلها ﴿ومأواه النار وما للظالمين من﴾ زائدة ﴿أنصار﴾ يمنعونهم من عذاب الله. ٧٣﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث﴾ آلهة ﴿ثلاثة﴾ أي: أحدها، والآخران: عيسى وأمه، وهم: فرقة من النصارى ﴿وما من إلّه إلاّ إلّه واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون﴾ من التثليث ويوحّدوا ﴿ليمسن الذين كفروا﴾ أي: ثبتوا على الكفر ﴿منهم عذاب أليم﴾ مؤلم، وهو: النار.

٧٤﴿أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه﴾ مما قالوا؟، استفهام توبيخ ﴿والله غفور﴾ لمن تاب ﴿رحيم﴾ به.

٧٥﴿ما المسيح ابن مريم إلاّ رسول قد خلت﴾ مضت ﴿من قبله الرسل﴾ فهو يمضي مثلهم، وليس بإلّه كما زعموا، وإلاّ لَمَا مضى ﴿وأمه صدّيقة﴾ مبالِغَةٌ في الصدق ﴿كانا يأكلان الطعام﴾ كغيرهما من الحيوانات، [أي: الكائنات الحية التي تتغذى من الطعام]، ومن كان كذلك، لا يكون إلّهاً، لتركيبه وضعفه، وما ينشأ منه من البول والغائط ﴿انظر﴾ متعجباً ﴿كيف نبين لهم الآيات﴾ على وحدانيتنا ﴿ثم انظر أنى﴾ كيف ﴿يؤفكون﴾ يصرفون عن الحق، مع قيام البرهان.

٧٦﴿قل أتعبدون من دون الله﴾ أي: غيره ﴿ما لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً والله هو السميع﴾ لأقوالكم ﴿العليم﴾ بأحوالكم، والاستفهام للإنكار.

٧٧﴿قل يا أهل الكتاب﴾ اليهود والنصارى ﴿لا تغلوا﴾ تجاوزوا الحد ﴿في دينكم﴾ غلواً ﴿غير الحق﴾ بأن تَضَعُوا عيسى، [أي: تنقصوه عن مرتبته]، أو ترفعوه فوق حقه ﴿ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل﴾ بغلوهم، وهم أسلافهم ﴿وأضلوا كثيراً﴾ من الناس ﴿وضلوا عن سواء السبيل﴾ طريق الحق، «والسواء» في الأصل الوَسَط. ٧٨﴿لعن الذين كفروا

إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ
وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ
ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ
عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾
أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾
مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ
وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ
ٱلْأَيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ
ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ
كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ

= وفطروا على التقديس والتسبيح، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، وإنما أرشدنا إلى هذا معلمنا الأول «عاذيمون وهرمس» ــ أي: شيت وإدريس عليهما السّلام ــ فنحن نتقرب إليهم ــ أي: إلى الملائكة ــ ونتوكل عليهم، فهم أربابنا وآلهتنا ووسائلنا، وشفعاؤنا عند الله، وهو رب الأرباب، وإلّه الآلهة، ويقولون أيضاً: الأنبياء أمثالنا في النوع، وأشكالنا في الصورة، يشاركوننا في المادة، يأكلون مما نأكل، ويشربون مما نشرب، ويساهموننا في الصورة، أناس بشر مثلنا، فمن أين لنا طاعتهم، وبأية مزية لهم لزم متابعتهم، ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذاً لخاسرون (انتهى، بتصرف).

فمن هذا نعلم: أن الصابئة يعبدون الملائكة، وينكرون النبوة، وكما قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله، فهم يعظمون النجوم، لأنها مسيَّرة بقوة الملائكة، ولا يعبدونها، وبناء عليه فهم ليسوا أهل كتاب، فلا يجوز نكاح نسائهم، ولا أكل ذبائحهم، والله أعلم.

من بني إسرائيل على لسان داود﴾ بأن دعا عليهم[1]، فمسخوا قردة، وهم: أصحاب «إيلة»، [الذين اعتدوا في السبت، بأخذ الحيتان، على ما سيأتي في سورة «الأعراف»] ﴿وعيسى ابن مريم﴾ بأن دعا عليهم، فمسخوا[1] خنازير، وهم: أصحاب المائدة ﴿ذلك﴾ اللعن ﴿بما عصوا وكانوا يعتدون﴾. ٧٩ ﴿كانوا لا يتناهون﴾ أي: لا ينهى بعضهم بعضاً ﴿عن﴾ معاودة ﴿منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلونـ﴾ ـه [أي: بئس الفعل] فعلُهم هذا. ٨٠ ﴿ترى﴾ يا محمد ﴿كثيراً منهم يتولون الذين كفروا﴾ من أهل مكة، بغضاً لك ﴿لبئس ما قدمت لهم أنفسهم﴾ من العمل لمعادهم، الموجب لهم ﴿أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون﴾. ٨١ ﴿ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي﴾ محمد ﴿وما أنزل إليه ما اتخذوهم﴾ أي: الكفار ﴿أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون﴾ خارجون عن الإيمان. ٨٢ ﴿لتجدن﴾[2] يا محمد ﴿أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا﴾ من أهل مكة، لتضاعف كفرهم وجهلهم، وانهماكهم في اتباع الهوى ﴿ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك﴾ أي: قُرْبُ مودتهم للمؤمنين ﴿بأن﴾ بسبب أن ﴿منهم قسيسين﴾ علماء ﴿ورهباناً﴾ عبَّاداً ﴿وأنهم لا يستكبرون﴾ عن اتباع الحق، كما يستكبر اليهود وأهل مكة، نزلت في وفد النجاشي، القادمين عليه من الحبشة، قرأ ﷺ سورة «يس»، فبكوا وأسلموا، وقالوا: ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى. ٨٣ قال تعالى: ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول﴾ من القرآن ﴿ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا﴾ صدقنا بنبيك وكتابك ﴿فاكتبنا

مِنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ
ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ
عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩ تَرَىٰ كَثِيرٗا
مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ
أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِى ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ٨٠
وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ
أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨١ ۞ لَتَجِدَنَّ
أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ
وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ
ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ٨٢
وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ
ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا

(١) قوله: «بأن دعا عليهم فمسخوا قردة»، وقوله بعد ذلك: «بأن دعا عليهم فمسخوا خنازير» ليس دقيقاً، بيانه كما يلي:

إن داود وعيسى عليهما السلام لعنا الكفرة من بني إسرائيل، بسبب عصيانهم وعدوانهم، أما مسخ أصحاب السبت قردة، فلأنهم اعتدوا فيه وخالفوا، ولا داعي لربط المسخ بدعاء داود، وأما مسخ أصحاب المائدة خنازير، فقد جاء في حديث ضعيف، لا تقوم به الحجة، سيأتي في تفسير الآية «١١٥»، وحصر اللَّعن في هاتين الفئتين، غير صحيح، لأن الآية تعم جميع الكفرة من بني إسرائيل.

(٢) قوله تعالى: ﴿لتجدن أشد الناس عداوة﴾ الآية، ذكر الإمام السيوطي هنا، أنها نزلت في وفد النجاشي القادمين عليه من الحبشة، ولكن القول المشهور في كتب السير والتفاسير، أنها نزلت في النجاشي وأصحابه، بعدما سمعوا «سورة مريم»، من جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، لما قدم عليهم المسلمون في الهجرة الأولى خوفاً من مشركي مكة، ففاضت أعينهم من الدمع، مما عرفوا من الحق، ثم أسلم النجاشي، وبعث يُعلم النبي ﷺ بإسلامه، ومما يجب التنبيه إليه، أن هذه الآيات لا تشمل جميع النصارى كما يتوهم البعض، فإن عداوتهم للمسلمين ظاهرة، ووقائع التاريخ، في الأندلس، والحروب الصليبية، حتى عصرنا، تشهد على ذلك، بل تشير الآيات إلى جماعة موصوفة منهم، سمعوا القرآن، ففاضت أعينهم من الدمع لمعرفة الحق، ثم آمنوا، ففي هؤلاء نزلت الآيات، لا في مطلق نصراني، أو قسيس، أو راهب، هذا مع القطع، بأن اليهود، هم أشد الكافرين عداوة للمسلمين، ارجع إلى تعليقنا حول «النجاشي» ص ٩٦.

مع الشاهدين﴾ المقرِّين بتصديقهما. ٨٤﴿و﴾ قالوا في جواب من عيَّرهم بالإسلام من اليهود ﴿ما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق﴾ القرآن، أي: لا مانع لنا من الإيمان، مع وجود مقتضيه ﴿ونطمع﴾ عطف على «نؤمن» ﴿أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين﴾ المؤمنين الجنة. ٨٥ قال تعالى: ﴿فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين﴾ بالإيمان. ٨٦﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم﴾. ٨٧ ونزل لما هَمَّ قوم من الصحابة، أن يلازموا الصوم والقيام، ولا يقربوا النساء والطيب، ولا يأكلوا اللحم، ولا يناموا على الفراش، [أخرج أصله الشيخان وغيرهما]: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا﴾ تتجاوزوا أمر الله ﴿إن الله لا يحب المعتدين﴾ [وهذه الآية، أصل في ترك التنطُّع والتشدد في التعبد]. ٨٨﴿وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً﴾ مفعول، والجار والمجرور قبله، حال متعلق به، [والمعنى: «كلوا الحلال الطيب مما رزقكم الله»] ﴿واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون﴾. ٨٩﴿لا يؤاخذكم الله[(١)] باللغو﴾ الكائن ﴿في أيمانكم﴾ هو: ما يسبق إليه اللسان، من غير قصد الحلف، كقول الإنسان: لا والله، وبلى والله، [روى ذلك البخاري، عن عائشة رضي الله عنها] ﴿ولكن يؤاخذكم بما عقدتم﴾ بالتخفيف والتشديد، وفي قراءة «عاقدتم» ﴿الأيمان﴾ عليه، بأن حلفتم عن قصد ﴿فكفارته﴾ أي: اليمين، إذا حنثتم فيه ﴿إطعام عشرة مساكين﴾ لكل مسكين «مُدٌّ» ﴿من أوسط ما تطعمون﴾ منه ﴿أهليكم﴾ أي: أَقصَدُهُ وأَغلَبُه، لا أعلاه، ولا أدناه ﴿أو كسوتهم﴾ بما يسمى كسوة، كقميص وعمامة وإزار، ولا يكفي دفع ما ذُكر إلى مسكين واحد، وعليه الشافعي ﴿أو تحرير﴾ عتق ﴿رقبة﴾ أي: مؤمنة، كما في كفارة القتل والظهار، حملاً للمطلق على المقيَّد ﴿فمن لم يجد﴾ واحداً مما ذكر ﴿فصيام ثلاثة أيام﴾ كفارتُهُ، وظاهره أنه لا يشترط التتابع، وعليه الشافعي ﴿ذلك﴾ المذكور ﴿كفارة

مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ

(١) قوله تعالى: ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم﴾ الآية ٨٩.

لا ينبغي للمسلم أن يحلف إلاَّ إذا استُحْلِفَ، وإذا أراد أن يحلف، فليحلف بالله تعالى أو ليدع، فقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت»، فلا يجوز الحلف بمخلوق كالأنبياء، والملائكة، والملوك، والكعبة، والشَّرَف، وحياة الابن أو الأب، إلخ...

واليمين أنواع ثلاثة هي: «اللغو» وقد أشار إليها السيوطي هنا، لا مؤاخذة فيها ولا كفارة، «واليمين الغموس»، وهي: التي يحلفها =

أيمانكم إذا حلفتم﴾ وحنثتم ﴿واحفظوا أيمانكم﴾ أن تنكثوها، ما لم تكن على فعل برٍّ، أو إصلاح بين الناس، [فافعلوه وكفّروا]، كما [تقدّم] في سورة «البقرة» [الآية ٢٢٤] ﴿كذلك﴾ أي: مثل ما بيّن لكم ما ذُكر ﴿يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرونـ﴾ ـه على ذلك. ٩٠﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر﴾[1] المسكر الذي يخامر العقل ﴿والميسر﴾ القمار ﴿والأنصاب﴾ الأصنام ﴿والأزلام﴾ قداح الاستقسام، [تقدم شرحها ص ١٣٥] ﴿رجس﴾ خبيث مستقذر ﴿من عمل الشيطان﴾ الذي يزينه ﴿فاجتنبوه﴾ أي: الرجس، المُعَبَّر به عن هذه الأشياء، أن تفعلوه ﴿لعلكم تفلحون﴾ [والأمر بالاجتناب أبلغ في إفادة التحريم]. ٩١﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر﴾ إذا

أَيْمَـٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَـٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ

أتيتموهما، لما يحصل فيهما من الشر والفتن ﴿ويصدكم﴾ بالاشتغال بهما ﴿عن ذكر الله وعن الصلاة﴾ خصها بالذكر تعظيماً لها ﴿فهل أنتم منتهون﴾ عن إتيانهما؟ أي: انتهوا، [وهذه الآية أصل في تحريم الخمر، وكل مسكر، قليلاً أو كثيراً، وفي تحريم القمار بأنواعه]. ٩٢﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا﴾ المعاصي ﴿فإن توليتم﴾ عن الطاعة ﴿فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين﴾ الإبلاغ البيّن، وجزاؤكم علينا. ٩٣ [روى البخاري ومسلم: أنه بعد نزول تحريم الخمر، قال بعضهم: قُتل فلان وقتل فلان، وهي في بطونهم، فنزل]: ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا﴾ [شربوا و] أكلوا، من الخمر والميسر، قبل التحريم ﴿إذا ما اتقوا﴾ المحرمات ﴿وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا﴾ ثبتوا على التقوى والإيمان ﴿ثم اتقوا وأحسنوا﴾ العمل ﴿والله يحب المحسنين﴾ بمعنى أنه يثيبهم. ٩٤﴿يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم﴾ ليختبرنكم ﴿الله بشيء﴾ يرسله لكم ﴿من الصيد

= صاحبها كاذباً وهو يعلم، وسميت بالغموس، لأنها تغمس صاحبها في الإثم، وهي من كبائر الذنوب.

«واليمين المنعقدة»، وهي: التي يحلفها الإنسان، قاصداً فعلَ شيء، أو عدم فعله في المستقبل، ففي الحِنث فيها الكفارةُ المذكورة في الآية.

(١) قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر﴾ الآيات (٩٠ ـ ٩٣). أجمع المسلمون على أن هذه الايات محكمات، وأنها ناسخة لما نزل في الخمر والميسر قبلها، وعلى أنها تفيد التحريم القطعي، للخمور والقمار، على اختلاف مصادرها وأسمائها، وأن من أنكر تحريمهما فقد كفر، ومما يزيد في بيان تحريم الخمر، إقامةُ الحد على شاربها، وهو من الحدود المعروفة في الشرع، فقد أخرج الشيخان عن أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ أُتي برجل قد شرب الخمر، فجلده بجريدتين نحو أربعين، قال أنس: وفعله أبو بكر، فلما كان عمر استشار الناس، فقال عبد الرحمن بن عوف: أخَفُّ الحدود ثمانون، فأمر به عمر، وسبب هذه الاستشارة، ما أخرجه أبو داود والنسائي: أن خالد بن الوليد كتب إلى عمر: «إن الناس قد انهمكوا في الخمر، وتحاقروا العقوبة»، وعند عمر المهاجرون والأنصار، فسألهم فأجمعوا على أن يضرب ثمانين. و «الخمر» هو كل شراب يُسكر، قليله وكثيره في الحرمة سواء، قال ﷺ: «كلُّ مسكر خمر، وكلُّ مسكر حرام» رواه مسلم، وقال ﷺ: «ما أسكر كثيره فقليله حرام» رواه أحمد وابن حبان وصححه، والترمذي وحسّنه وغيرهم.

تناله﴾ أي: الصغارَ منه ﴿أيديكم و﴾ [تنال] ﴿رماحُكم﴾ الكبارَ منه، وكان ذلك بالحديبية وهم محرمون، فكانت الوحش والطير تغشاهم في رحالهم ﴿ليعلم الله﴾ علم ظهور ﴿من يخافه بالغيب﴾ حال، أي: غائباً لم يره، فيجتنب الصيد ﴿فمن اعتدى بعد ذلك﴾ النهي عنه، فاصطاده ﴿فله عذاب أليم﴾. ٩٥ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم﴾ محرمون بحج أو عمرة ﴿ومن قتله منكم متعمداً فجزاءٌ﴾ بالتنوين ورفع ما بعده، أي: فعليه جزاءٌ ﴿مثل ما قتل من النعم﴾ أي: شبهه في الخلقة، وفي قراءة بإضافة «جزاء» ﴿يحكم به﴾ أي: بالمثل، رجلان ﴿ذوا عدل منكم﴾ لهما فطنة يميزان بها أشبه الأشياء به، وقد حكم ابن عباس وعمر وعلي رضي الله عنهم، في النَّعامة ببَدَنَةٍ، وابن عباس وأبو عبيدة، في بقر الوحش وحماره ببقرة، وابن عمر وابن عوف، في الظبي بشاة، وحكم بها [أي: بالبَدَنة]، ابنُ عباس وعمر وغيرهما، في الحمام [كما في النَّعامة]، لأنه يشبهها في العَبِّ، [أي: شُرْبِ الماء بلا مَصٍّ] ﴿هدياً﴾ حال من «جزاء» ﴿بالغ الكعبة﴾ أي: يبلغ به الحرم، فَيُذبح فيه، ويُتَصَدَّق به على مساكينه، ولا يجوز أن يُذبح حيث كان، ونصبه نعتاً لما قبله، وإن أضيف، لأن إضافته لفظية، لا تفيد تعريفاً، فإن لم يكن للصيد مِثْلٌ من النَّعم، كالعصفور والجراد، فعليه قيمته ﴿أو﴾ عليه ﴿كفارة﴾ غير الجزاء، وإن وجده، هي: ﴿طعام مساكين﴾ من غالب قوت البلد، ما يساوي قيمة الجزاء، لكل مسكين مُدّ، وفي قراءة بإضافة «كفارة» لما بعده، وهي للبيان ﴿أو﴾ عليه ﴿عدل﴾ مثل ﴿ذلك﴾ الطعام ﴿صياماً﴾ يصومه، عن كل مد يوماً، وإن وجده ووجب ذلك عليه ﴿ليذوق وبال﴾ ثقل جزاء ﴿أمره﴾ الذي فعله ﴿عفا الله عما سلف﴾ من قتل الصيد قبل تحريمه ﴿ومن عاد﴾ إليه ﴿فينتقم الله منه والله عزيز﴾ غالب على أمره ﴿ذو انتقام﴾ ممن عصاه، والحق بقتله متعمداً، فيما ذُكِرَ [من لزوم الجزاء]، الخطأُ [والغلطُ والنسيانُ، وإن كان لا إثم فيها]. ٩٦ ﴿أحل لكم﴾ أيها الناس، حلالاً كنتم أو محرمين ﴿صيد البحر﴾ أن تأكلوه، وهو: ما لا يعيش إلاّ فيه، كالسمك، بخلاف ما يعيش فيه وفي البر، كالسرطان ﴿وطعامه﴾ ما يقذفه ميتاً ﴿متاعاً﴾ تمتيعاً ﴿لكم﴾ تأكلونه ﴿وللسيارة﴾ المسافرين منكم، يتزودونه ﴿وحرم عليكم صيد البر﴾ وهو: ما يعيش فيه من الوحش المأكول، أن تصيدوه ﴿ما دمتم حرماً﴾ فلو صاده حلال [لنفسه]، فللمحرم أكلُه، كما بينته السُّنة، [في قوله ﷺ: «صيدُ البر حلال لكم، ما لم تَصيدوه أو يُصَدْ لكم»، رواه أصحاب السنن] ﴿واتقوا الله الذي إليه تحشرون﴾. ٩٧ ﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام﴾ المحرّم ﴿قياماً للناس﴾ يقوم به أمر دينهم، بالحج إليه، ودنياهم، بأمن داخله، وعدمِ التعرُّض له، وجَبْي ثمرات كل شيء إليه، وفي قراءة: «قِيَماً» بلا ألف، مصدر «قام» غير مُعَلّ. ﴿والشهر الحرام﴾ بمعنى: الأشهر الحرام، ذو القَعْدة، وذو الحِجّة، والمحرم، ورجب،

تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

[جعلها الله] قياماً لهم، بأمنهم من القتال فيها ﴿والهدي والقلائد﴾ قياماً لهم، بأمن صاحبهما من التعرض له ﴿ذلك﴾ الجَعْلُ المذكور ﴿لتعلموا أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم﴾ فإنَّ جَعْلَهُ ذلك ــ لجلب المصالح لكم، ودفع المضارِّ عنكم قبل وقوعها ــ دليلٌ على علمه بما هو في الوجود، وما هو كائن.

٩٨﴿اعلموا أن الله شديد العقاب﴾ لأعدائه ﴿وأن الله غفور﴾ لأوليائه ﴿رحيم﴾ بهم.

٩٩﴿ما على الرسول إلَّا البلاغ﴾ الإبلاغ لكم ﴿والله يعلم ما تبدون﴾ تظهرون من العمل ﴿وما تكتمون﴾ تُخفون منه، فيجازيكم به. ١٠٠﴿قل لا يستوي الخبيث﴾ الحرام ﴿والطيب﴾ الحلال ﴿ولو أعجبك﴾ أي: سَرَّك ﴿كثرة الخبيث﴾

وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ

[والمقصود بالخطاب أمته ﷺ، لذلك وَجَّه الأمر إليهم بقوله]: ﴿فاتقوا الله﴾ في تركه ﴿يا أولي الألباب لعلكم تفلحون﴾ تفوزون.

١٠١ ونزل لما أكثروا سؤاله ﷺ [فسأله أحدهم: يا رسول الله من أبي؟ قال «أبوك فلان»، وكان يُطْعَنُ فيه، أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما، وكانوا يسألونه استهزاءً، فيقول الرجل ــ تضل ناقته ــ: أين ناقتي؟، ولمَّا نزلت آية الحج قال أحدهم: أفي كل عام يا رسول الله؟، فقال: «لو قلت نعم لوجبت، ولما استطعتم»، أخرجه مسلم والترمذي]: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد﴾ تُظهر ﴿لكم تسؤكم﴾ لما فيها من المشقة ﴿وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن﴾ في زمن النبي ﷺ ﴿تبد لكم﴾ المعنى: إذا سألتم عن أشياء في زمنه، ينزل القرآن بإبدائها، ومتى أبداها ساءتكم، فلا تسألوا عنها، قد ﴿عفا الله عنها﴾ عن مسألتكم، فلا تعودوا ﴿والله غفور حليم﴾.

١٠٢﴿قد سألها﴾ أي: الأشياء [المحرجة] ﴿قوم من قبلكم﴾ أنبياءَهم، فأجيبوا ببيان أحكامها ﴿ثم أصبحوا﴾ صاروا ﴿بها كافرين﴾ بتركهم العمل بها.

١٠٣﴿ما جعل﴾ شرع ﴿الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام﴾ كما كان أهل الجاهلية يفعلونه، روى البخاري عن سعيد بن المسيَّب، قال: «البَحِيرَةُ» [هي]: التي يُمنح دَرُّها للطواغيت، فلا يحلبها أحد من الناس، و«السائبة»: التي كانوا يُسيبونها لآلهتهم، فلا يُحمَلُ عليها شيء، و«الوَصِيلَة»: الناقةُ البكر، تُبْكِرُ في أول نتاج الإبل بأنثى، ثم تثنِّي بَعْدُ بأنثى، وكانوا يسيِّبونها لطواغيتهم، إن وَصَلَتْ إحداهما بأخرى، ليس بينهما ذكر، و«الحامُ»: فحل الإبل يَضْرِبُ الضراب المعدود، فإذا قضى ضِرَابَهُ، وَدَعُوه للطواغيت، وأعفوه من الحمل عليه، فلا يُحمل عليه شيء، وسمَّوه «الحامي» ﴿ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب﴾ في ذلك، وفي نسبته إليه ﴿وأكثرهم لا يعقلون﴾ أن ذلك افتراء، لأنهم قلَّدوا فيه آباءَهم. ١٠٤﴿وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله

﴿وإلى الرسول﴾ أي: إلى حكمه، من تحليل ما حرمتم ﴿قالوا حسبنا﴾ كافينا ﴿ما وجدنا عليه آباءنا﴾ من الدين والشريعة، قال تعالى: ﴿أ﴾ حسبهم ذلك ﴿ولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون﴾ إلى الحق؟ والاستفهام للإنكار.

١٠٥﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم﴾ أي: احفظوها وقوموا بصلاحها ﴿لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ قيل: المراد، لا يضركم من ضل من أهل الكتاب، وقيل: المراد غيرهم، لحديث أبي ثعلبة الخُشني: سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: «ائتمروا بالمعروف، وتناهَوا عن المنكر، حتى إذا رأيتَ شُحّاً مطاعاً، وهوىً متَّبعاً، ودنيا مؤثَرة، وإعجابَ كل ذي رأي برأيه، فعليك [بخاصَّة] نفسك» رواه الحاكم وغيره [وصححه الترمذي، وروى أبو داود والترمذي والنسائي، بأسانيد صحيحة، عن أبي بكر الصديق قال: إنكم تقرؤون هذه الآية، وتضعونها في غير موضعها، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم، فلم يأخذوا على يديه، أوشك أن يَعُمَّهُمُ الله بعقاب منه»] ﴿إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ فيجازيكم به.

١٠٦﴿يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت﴾ أي: أسبابه ﴿حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم﴾ خبر بمعنى الأمر، أي: ليشهد، وإضافة شهادة لـ «بين»، على الاتساع، [إذ الأصل فيه: «شهادة ما بينكم»، أي: «فرض عليكم أن يشهد الوصيةَ بينكم اثنان»، فَحُذف المفعول به، وأضيفت الشهادة إلى الظرف، وهو المسمى عند النحويين، بالمفعول على السَّعة، ومنه قوله تعالى: «هذا فراقُ بيني وبينك»، أي: «ما بيني وبينك»] و «حين» بدل من «إذا»، أو: ظرف لـ «حضر» ﴿أو آخران من غيركم﴾ أي: غير ملتكم ﴿إن أنتم ضربتم﴾ سافرتم ﴿في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما﴾ توقفونهما ــ صفة «آخران» ــ ﴿من بعد الصلاة﴾ أي: صلاة العصر ﴿فيقسمان﴾ يحلفان ﴿بالله إن ارتبتم﴾ شككتم فيهما، ويقولان: ﴿لا نشتري به﴾ بالله ﴿ثمناً﴾ عوضاً نأخذه بدله من الدنيا، بأن نحلف به، أو نشهد كذباً لأجله ﴿ولو كان﴾ المقسَمُ له، أو: المشهود له ﴿ذا قربى﴾ قرابة منا ﴿ولا نكتم شهادة الله﴾ التي أمرنا بها ﴿إنا إذاً﴾ إن كتمناها ﴿لمن الآثمين﴾. ١٠٧﴿فإن عثر﴾ اطُّلع بعد حلفهما ﴿على أنهما استحقا إثماً﴾ أي: فَعَلا ما يوجبه، من خيانة، أو: كذب في الشهادة، بأن وُجدَ عندهما ــ مثلاً ــ ما اتُّهما به، وادعيا أنهما ابتاعاه من الميت، [كما سيأتي]، أو: [أنه] وَصَّى لهما به ﴿فآخران يقومان مقامهما﴾ في توجيه اليمين عليهما ﴿من الذين استحق عليهم﴾ الوصية، وهم: الورثة، ويبدل من «آخران»: ﴿الأوليان﴾ بالميت، أي: الأقربان إليه، وفي قراءة «الأولين» جمع «أوّل» صفةٌ، أو: بدلٌ من «الذين» ﴿فيقسمان بالله﴾ على خيانة الشاهدين ويقولان:

وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ

لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾ ۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم

﴿لشهادتنا﴾ يميننا **﴿أحق﴾** أصدق **﴿من شهادتهما﴾** يمينهما **﴿وما اعتدينا﴾** تجاوزنا الحق في اليمين **﴿إنا إذاً لمن الظالمين﴾** المعنى: ليُشهِد المحتضِر على وصيته اثنين، أو: يوصي إليهما من أهل دينه، أو: غيرهم، إن فقدهم لسفر ونحوه، فإن ارتاب الورثة فيهما، فادَّعوا أنهما خانا بأخذ شيء، أو دفعه إلى شخص زعما أن الميت أوصى له به، فليحلفا ــ إلى آخره ــ، فإن اطُّلع على أمارة تكذيبهما، فادعيا دافعاً له، حَلَفَ أقربُ الورثة على كذبهما، وصِدْق ما ادعوه، والحكم ثابت في الوصيَّين، منسوخٌ في الشاهدين، وكذا شهادة غير أهل الملة، منسوخة [بقوله تعالى: «وأشهدوا ذوي عدل منكم»]، واعتبار صلاة العصر للتغليظ، وتخصيص الحلف في الآية، باثنين من أقرب الورثة، [ــ مع أنه يصح الحلف من واحد وأكثر ــ] لخصوص الواقعة التي نزلت لها، وهي: ما رواه البخاري، «أن رجلاً من بني سهم، خرج مع تميم الداري، وعديّ بن بَدَّاء، ــ وهما نصرانيان ــ فمات السهمي بأرض ليس فيها مسلم، فلما قدما بتركته، فقدوا جاماً [أي: إناءً] من فضة، مَخُوصاً [أي: منقوشاً] بالذهب، فرُفِعا إلى النبي ﷺ فنزلت، فأحلفهما، ثم وُجِدَ الجام بمكة، فقالوا: ابتعناه من تميم وعديّ، فنزلت الآية الثانية، فقام رجلان من أولياء السهمي فحلفا»، وفي رواية الترمذي: فقام عمرو بن العاص، ورجل آخر منهم، [هو: المطلب ابن أبي وداعة]، فحلفا، وكانا أقرب إليه، وفي رواية: فمرض [السهمي] فأوصى إليهما، [أي: إلى تميم وعدي]، وأمرهما أن يبلِّغا ما ترك أهلَهُ، فلما مات، أخذا الجام، ودفعا إلى أهله ما بقي. ١٠٨ **﴿ذلك﴾** الحكم المذكور، من ردِّ اليمين على الورثة **﴿أدنى﴾** أقرب إلى **﴿أن يأتوا﴾** أي: الشهود، أو: الأوصياء **﴿بالشهادة على وجهها﴾** الذي تحملوها عليه، من غير تحريف ولا خيانة **﴿أو﴾** أقرب إلى أن **﴿يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم﴾** على الورثة المدعين، فيحلفون على خيانتهم وكذبهم، فيفتضحون ويغرَّمون، فلا يكذبوا **﴿واتقوا الله﴾** بترك الخيانة والكذب **﴿واسمعوا﴾** ما تؤمرون به سماع قبول **﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾** الخارجين عن طاعته، إلى سبيل الخير. ١٠٩ اذكر **﴿يوم يجمع الله الرسل﴾** هو يوم القيامة **﴿فيقول﴾** لهم، توبيخاً لقومهم **﴿ماذا﴾** أي: الذي **﴿أجبتم﴾** به، حين دعوتم إلى التوحيد **﴿قالوا لا علم لنا﴾** بذلك **﴿إنك أنت علام الغيوب﴾** ما غاب عن العباد، وذهب عنهم علمه، لشدة هول يوم القيامة وفزعهم، ثم يشهدون على أممهم، لمَّا يسكنون [ويطمئنون]. ١١٠ اذكر **﴿إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك﴾** اشكرها **﴿إذ أيدتك﴾** قويتك **﴿بروح القدس﴾** جبريل، [كان يسير معه حيث سار] **﴿تكلم الناس﴾** حال من الكاف في «أيدتك» **﴿في المهد﴾** أي: طفلاً **﴿و﴾** [تكلمهم] **﴿كهلاً﴾** [وهذا] يفيد نزوله قبل الساعة، لأنه رُفِع قبل الكهولة، كما سبق في «آل عمران». **﴿وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق﴾** [تجعل وتصوِّر] **﴿من الطين كهيئة﴾** كصورة

﴿الطير﴾ والكاف اسم بمعنى «مثل»، مفعول [لـ «تخلق»] ﴿بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني﴾ بإرادتي ﴿وتبرىء الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى﴾ من قبورهم أحياءً ﴿بإذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك﴾ حين هموا بقتلك ﴿إذ جئتهم بالبينات﴾ المعجزات ﴿فقال الذين كفروا منهم إن﴾ ما ﴿هذا﴾ الذي جئت به ﴿إلاّ سحر مبين﴾ وفي قراءة «ساحر»، أي: عيسى.

١١١ ﴿وإذ أوحيت إلى الحواريين﴾ أمرتهم على لسانه ﴿أن﴾ أي: بأن ﴿آمنوا بي وبرسولي﴾ عيسى ﴿قالوا آمنا﴾ بك وبرسولك ﴿واشهد بأننا مسلمون[1]﴾. ١١٢ اذكر ﴿إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع﴾ أي: [هل] يفعل ﴿ربك﴾ وفي قراءة بالفوقانية ونصب ما بعده، [أي: «هل تستطيع ربَّك»]، أي: [هل] تقدر أن تسأله؟ ﴿أن ينزل علينا مائدة من السماء قال﴾ لهم عيسى ﴿اتقوا الله﴾ في اقتراح الآيات ﴿إن كنتم مؤمنين﴾.

١١٣ ﴿قالوا نريد﴾ سؤالها من أجل ﴿أن نأكل منها وتطمئن﴾ تسكن ﴿قلوبنا﴾ بزيادة اليقين ﴿ونعلم﴾ نزداد علماً ﴿أن﴾ مخففة أي: أنك ﴿قد صدقتنا﴾ في ادعاء النبوة ﴿ونكون عليها من الشاهدين﴾.

١١٤ ﴿قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا﴾ أي: يوم نزولها ﴿عيداً﴾ نعظمه ونشرفه ﴿لأولنا﴾ بدل من «لنا»، بإعادة الجار ﴿وآخرنا﴾ لمن يأتي بعدنا ﴿وآية منك﴾ على قدرتك ونبوتي ﴿وارزقنا﴾ إياها ﴿وأنت خير الرازقين﴾.

١١٥ ﴿قال الله﴾ مستجيباً له ﴿إني منزلها﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿عليكم فمن يكفر بعد منكم﴾ أي: بعد نزولها ﴿فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين﴾ فنزلت الملائكة بها من السماء، عليها سبعة أرغفة، وسبعة أحوات، فأكلوا منها حتى شبعوا، قاله ابن عباس، وفي حديث: [موقوف على عمار بن ياسر، قال:] «أنزلت المائدة من السماء، خبزاً ولحماً، فأمروا أن لا يخونوا، ولا يدخروا لغَدٍ، فخانوا وادخروا، فمُسخوا قردة وخنازير» [رواه الترمذي وقال: حديث غريب].

بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ

١١٦ ﴿و﴾ اذكر ﴿إذ قال﴾ أي: يقول ﴿الله﴾ لعيسى في القيامة، توبيخاً لقومه ﴿يا عيسى ابن مريم

(١) قوله تعالى: ﴿واشهد بأننا مسلمون﴾. إشارة إلى أن الدين الذي جاء به عيسى عليه السّلام هو «الإسلام»، وقد التبس هذا الأمر على كثير من الناس، فظنوا أن «الإسلام» جاء به محمد ﷺ وحده، وأن لكل نبي ديناً خاصاً به، وهذا خطأ فاحش، والصواب أن الإسلام دين الله تعالى، أرسل به جميع أنبيائه، ولا يقبل الله تعالى من العباد سواه ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ راجع ص ٢٤٥.

﴿أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال﴾ عيسى ــ وقد أرْعَدَ ــ ﴿سبحانك﴾ تنزيهاً لك عما لا يليق بك، من شريك وغيره ﴿ما يكون﴾ ما ينبغي ﴿لي أن أقول ما ليس لي بحق﴾ خبر «ليس»، و «لي» للتبيين ﴿إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما﴾ أخفيه ﴿في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾ أي: ما تخفيه من معلوماتك ﴿إنك أنت علام الغيوب﴾. ١١٧ ﴿ما قلت لهم إلاَّ ما أمرتني به﴾ وهو ﴿أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنتُ عليهم شهيداً﴾ رقيباً أمنعهم مما يقولون ﴿ما دمت فيهم فلما توفيتني﴾ قبضتني[1] بالرفع إلى السماء ﴿كنت أنت الرقيب عليهم﴾ الحفيظ لأعمالهم ﴿وأنت على كل شيء﴾ من قولي لهم وقولهم بعدي وغير ذلك ﴿شهيد﴾ مطلع عالم به. ١١٨ ﴿إن تعذبهم﴾[2] أي: من أقام على الكفر منهم ﴿فإنهم عبادك﴾ وأنت مالكهم، تتصرف فيهم كيف شئت، لا اعتراض عليك ﴿وإن تغفر لهم﴾ أي: لمن آمن منهم ﴿فإنك أنت العزيز﴾ الغالب على أمره ﴿الحكيم﴾ في صنعه. ١١٩ ﴿قال الله هذا﴾ أي: يوم القيامة ﴿يوم ينفع الصادقين﴾ في الدنيا، كعيسى ﴿صدقهم﴾ لأنه يومُ الجزاء ﴿لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم﴾ بطاعته ﴿ورضوا عنه﴾ بثوابه ﴿ذلك الفوز العظيم﴾ ولا ينفع الكاذبين في الدنيا صدقهم فيه، كالكفار لمَّا يؤمنون عند رؤية العذاب. ١٢٠ ﴿لله ملك السماوات والأرض﴾ خزائن المطر والنبات والرزق وغيرها ﴿وما فيهن﴾ أتى بـ «ما»، تغليباً لغير العاقل ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ ومنه إثابة الصادق، وتعذيب الكاذب، وخصَّ العقلُ ذاتَهُ [تعالى]، فليس عليها بقادر[3]، [أي: لا تتعلق بها قدرتُه تعالى، لأن القدرة تتعلق بالممكنات فقط، لا بالواجب ولا بالمستحيل، والله تعالى واجب الوجود وحده].

ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾

(١) قوله: «قبضتني بالرفع إلى السماء»، أي: من غير موت، يؤيده ما رواه أبو داود في سننه عن النبي ﷺ وفيه: «ويمكث ــ أي: المسيح بعد نزوله ــ أربعين سنة ويُتَوَفَّى، ويصلِّي عليه المسلمون»، ارجع إلى تفسير الآية «٥٧» من سورة «آل عمران» ص ٧٢، وإلى تعليقنا ص ١٣٠.

(٢) قوله تعالى: ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك...﴾. أخرج مسلم والنسائي وابن حبان وغيرهم، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ، تلا قول الله في إبراهيم: ﴿ربِّ إنهن أضللن كثيراً من الناس﴾ الآية، وقول عيسى ابن مريم: ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك﴾ الآية، فرفع يديه فقال: «أمتي أمتي» وبكى... فقال الله: «يا جبريل، اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءُك».

(٣) قوله: «وخص العقل ذاته إلخ»، لو استغنى الجلال السيوطي عنه لكان أحسن، لأن ما قصد نَفْيَهُ، لا يخطر على بال عامة الناس بالفطرة، بل فيه إثارة شكوك وأفكار، قد تكون وخيمة العاقبة، فلا داعي إلى تخصيص ما لا خصوص له في الواقع، ولا فائدة فيه، فالعموم في قوله تعالى: ﴿كل شيء﴾ لا خصوص له، لأن المراد به ما سوى الله، والله تعالى ــ وإن كان يسمَّى شيئاً لا كالأشياء، لقوله تعالى: ﴿قل أي شيء أكبر شهادة؟ قل الله﴾ ــ، لا تدخل ذاته العلية تحت العموم، ليخصصها العقل، كما ذكر المؤلف السيوطي رحمه الله تعالى.

﴿سُورَةُ الأَنْعَامِ﴾ (1)

(مكية إلاَّ: «وما قَدَروا الله» الآيات الثلاث، وإلاَّ: «قل تعالَوا» الآيات الثلاث،
وهي: مائة وخمس، أو: وستٌّ وستون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(٦) سُورَةُ الأَنْعَامِ مَكِّيَّة
وآياتها خمس وستون ومائة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ

١﴿الحمد﴾ وهو: الوصف بالجميل، ثابت ﴿لله﴾ وهل المراد: الإعلامُ بذلك، للإيمان به، أو: الثناء به، أو: هما؟ احتمالات أُفيَدُها الثالث، [أي: للإيمان والثناء معاً]، قاله الشيخ [الجلال المحلي]، في [تفسير أول] سورة «الكهف» ﴿الذي خلق السماوات والأرض﴾ خصهما بالذكر، لأنهما أعظم المخلوقات للناظرين ﴿وجعل﴾ خلق ﴿الظلمات والنور﴾ أي: كل ظلمة ونور، وجمعها دونه، لكثرة أسبابها، وهذا من دلائل وحدانيته ﴿ثم الذين كفروا﴾ مع قيام هذا الدليل ﴿بربهم يعدلون﴾ يسوون به غيره في العبادة. ٢﴿هو الذي خلقكم من طين﴾ بخلق أبيكم آدمَ منه ﴿ثم قضى أجلاً﴾ لكم تموتون عند انتهائه ﴿وأجل مسمى﴾ مضروب ﴿عنده﴾ لبعثكم ﴿ثم أنتم﴾ أيها الكفار ﴿تمترون﴾ تشكُّون في البعث، بعد علمكم أنه [تعالى] ابتدأ خلقكم، ومن قدر على الابتداء، فهو على الإعادة أقدر. ٣﴿وهو الله﴾ مستحق للعبادة ﴿في السماوات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم﴾ ما تُسرون، وما تجهرون به بينكم ﴿ويعلم ما تكسبون﴾ تعملون من خير وشر. ٤﴿وما تأتيهم﴾ أي: أهل مكة ﴿من﴾ زائدة، [أو تبعيضية] ﴿آية من آيات ربهم﴾ من القرآن ﴿إلاّ كانوا عنها معرضين﴾ [وإعراضهم كان بسبب تقليدهم الأعمى، للآباء والأجداد، لا عن تفكر وتأمل]. ٥﴿فقد كذبوا بالحق﴾ القرآن ﴿لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء﴾ عواقب ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ [وهو القتل والأسر في الدنيا، والعذاب الدائم في الآخرة]. ٦﴿ألم يروا﴾ في أسفارهم إلى الشام وغيرها ﴿كم﴾ خبرية بمعنى: كثيراً

---

(١) قوله: «سورة الأنعام»، أخرج الطبراني، والبيهقي في «شعب الإيمان»، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «نزلت عليَّ سورة الأنعام، ومعها موكب من الملائكة، يسد ما بين الخافقين، لهم زَجَلٌ وتسبيح، والأرض ترتجُّ»، قال أنس: ورسول الله ﷺ يقول: «سبحان الله العظيم، سبحان الله العظيم»، وأخرج الحاكم وصححه، والبيهقي في «الشُّعب»، عن جابر رضي الله عنه قال: لما نزلت سورة الأنعام، سبح رسول الله ﷺ، ثم قال: «لقد شَيَّع هذه السورة من الملائكة ما سَدَّ الأُفق».

﴿أهلكنا من قبلهم من قرن﴾ أمة من الأمم الماضية ﴿مكناهم﴾ أعطيناهم مكاناً ﴿في الأرض﴾ بالقوة والسعة ﴿ما لم نمكن﴾ نعط ﴿لكم﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿وأرسلنا السماء﴾ المطر ﴿عليهم مدراراً﴾ متتابعاً ﴿وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم﴾ تحت مساكنهم ﴿فأهلكناهم بذنوبهم﴾ بتكذيبهم الأنبياء ﴿وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين﴾.

٧ [ونـزل في النضر بن الحارث، وعبد الله بن أمية، ونوفل بن خويلد، لمّا قالوا: لن نؤمن لك، حتى تأتينا بكتاب من عند الله، ومعه أربعة من الملائكة يشهدون عليه، أنه من عند الله، وأنك رسوله]: ﴿ولو نزلنا عليك كتاباً﴾ مكتوباً ﴿في قرطاس﴾ رَقٍّ، كما اقترحوه ﴿فلمسوه بأيديهم﴾ أبلغ من «عاينوه»، لأنه أنفى للشك ﴿لقال الذين كفروا إن﴾ ما ﴿هذا إلاّ سحر مبين﴾ تعنتاً وعناداً.

أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ

٨ ﴿وقالوا﴾ [أي: كفار مكة] ﴿لولا﴾ هلاّ ﴿أنزل عليه﴾ على محمد ﷺ ﴿ملك﴾ يصدقه ﴿ولو أنزلنا ملكاً﴾ كما اقترحوا، فلم يؤمنوا ﴿لقضي الأمر﴾ بهلاكهم ﴿ثم لا ينظرون﴾ يمهلون، لتوبة أو معذرة، كعادة الله فيمن قبلهم، من إهلاكهم عند وجود مُقْتَرَحِهِم، إذا لم يؤمنوا.

٩ ﴿ولو جعلناه﴾ أي: المنزَّل إليهم ﴿ملكاً لجعلناه﴾ أي: الملك ﴿رجلاً﴾ أي: على صورته، ليتمكنوا من رؤيته، إذ لا قوة للبشر على رؤية الملك ﴿و﴾ لو أنزلناه وجعلناه رجلاً ﴿للبسنا﴾ شبهنا ﴿عليهم ما يلبسون﴾ على أنفسهم، بأن يقولوا: «ما هذا إلاّ بشر مثلكم».

١٠ ﴿ولقد استهزىء برسل من قبلك﴾ فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿فحاق﴾ نزل ﴿بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون﴾ وهو العذاب، فكذا يحيق بمن استهزأ بك.

١١ ﴿قل﴾ لهم ﴿سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ الرسلَ، من هلاكهم بالعذاب، ليعتبروا.

١٢ ﴿قل لمن ما في السماوات والأرض قل لله﴾ إن لم يقولوه، [فإنه] لا جواب غيره ﴿كتب﴾ قَضَى ﴿على نفسه الرحمة﴾[1] فضلاً منه، وفيه تلطف في دعائهم إلى الإيمان ﴿ليجمعنكم إلى

---

(١) قوله تعالى: ﴿كتب على نفسه الرحمة﴾، أخرج مسلم وأحمد، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، عن سلمان الفارسي رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «خلق الله يوم خلق السماوات والأرض، مائة رحمة، منها رحمة يتراحم بها الخلق، وتسع وتسعون ليوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة» أي: فتعود مائة رحمة، يرحم الله بها عباده المؤمنين يوم القيامة.

وأخرج الترمذي وصححه، وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله الخلق، كتب كتاباً بيده على نفسه: إن رحمتي تغلب غضبي»، فرحمته تعالى في الدنيا عامة لجميع الخلق بلا استثناء، فهو خالقهم ورازقهم ومدبر أمورهم، أما في الآخرة، فإن رحمة الله لا تكون إلاّ للمؤمنين، ولا رحمة ولا مغفرة لمن كفر بالله تعالى، بل عليه لعنة وغضب من الله، ومأواه جهنم خالداً فيها أبداً. ارجع إلى تعليقنا حول «الدعاء للكافر والاستغفار له» ص ٢٦١.

يوم القيامة﴾ ليجازيكم بأعمالكم ﴿لا ريب﴾ شك ﴿فيه الذين خسروا أنفسهم﴾ بتعريضها للعذاب، مبتدأ، خبره: ﴿فهم لا يؤمنون﴾. ١٣ ﴿وله﴾ تعالى ﴿ما سكن﴾ حلَّ ﴿في الليل والنهار﴾ أي: كل شيء، فهو ربه وخالقه ومالكه ﴿وهو السميع﴾ لما يقال ﴿العليم﴾ بما يُفعل. ١٤ ﴿قل﴾ لهم ﴿أغير الله أتخذ ولياً﴾ أعبده ﴿فاطر السماوات والأرض﴾ مبدعهما ﴿وهو يُطعم﴾ يَرْزُقُ ﴿ولا يطعَم﴾ يُرْزَقُ [؟. فسيكون الجواب الذي لا جواب غيره، وهو:] لا ﴿قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم﴾ لله من هذه الأمة ﴿و﴾ قيل لي: ﴿لا تكونن من المشركين﴾ به. ١٥ ﴿قل إني أخاف إن عصيت ربي﴾ بعبادة غيره ﴿عذاب يوم عظيم﴾ هو: يوم القيامة. ١٦ ﴿من يصرف﴾ بالبناء للمفعول، أي: العذاب، و [في قراءة بالبناء] للفاعل أي: الله، والعائد محذوف [تقديره: «يصرفه»] ﴿عنه يومئذ فقد رحمه﴾ تعالى، أي: أراد له الخير ﴿وذلك الفوز المبين﴾ أي: النجاة الظاهرة. ١٧ ﴿وإن يمسسك الله بضر﴾ بلاء، كمرض وفقر ﴿فلا كاشف﴾ رافع ﴿له إلاّ هو وإن يمسسك بخير﴾ كصحة وغنى ﴿فهو على كل شيء قدير﴾ ومنه مَسُّك به، [أي: بالخير، وبالضُّر]، ولا يقدر على رده عنك غيره. ١٨ ﴿وهو القاهر﴾ القادر الذي لا يعجزه شيء، مستعلياً ﴿فوق عباده وهو الحكيم﴾ في خلقه ﴿الخبير﴾ ببواطنهم كظواهرهم. ١٩ ونزل لما قالوا للنبي ﷺ: ائتنا بمن يشهد لك بالنبوة، فإن أهل الكتاب أنكروك: ﴿قل﴾ لهم ﴿أي شيء أكبر شهادة﴾ تمييز محوَّل عن المبتدأ، [والأصل: شهادةُ أيِّ شيءٍ أكبر]؟ ﴿قل الله﴾ إن لم يقولوه، لا جواب غيره، هو ﴿شهيد بيني وبينكم﴾ على صدقي ﴿وأوحي إليَّ هذا القرآن لأنذركم﴾ أخوفكم يا أهل مكة [وغيرها] ﴿به ومن بلغ﴾ عطف على ضمير «أنذركم»[1] أي: [ولينذر به كلُّ مَنْ] بلغه القرآن، من الإنس والجن، [قال محمد بن كعب القرظي: من بَلَغَهُ القرآنُ، فكأنما أبلغه محمد ﷺ، أي: كأنه رأى محمداً ﷺ، وسمع منه، فعلى كل ذي علم، من كتاب الله وسنة نبيه، أن يبلِّغه إلى غيره، قال ﷺ: «بلِّغوا عني ولو آية» رواه البخاري، وقال ﷺ: «نضَّر الله امرأً سمع منا شيئاً، فبلَّغه كما سمعه، فَرُبَّ مبلَّغ أوعى من سامع» رواه الترمذي وقال: حسن صحيح].

يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَـٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ

(١) قوله: «عطف على ضمير ـ أنذركم ـ إلخ» يحتمل وجهين ذكرهما العلماء:

أحدهما: أن اسم الموصول ـ «مَنْ» ـ معطوف على ضمير الفاعل المستتر في: «أنذركم»، أي: «لأنذركم بالقرآن ولينذر به من بلغه من الثقلين».

وثانيهما: أن اسم الموصول المذكور، معطوف على الضمير ـ المفعول ـ من: «أنذركم»، أي: «لأنذركم به ولأنذر به مَنْ بلغه من الثقلين»، والمعنى الأول أوضح كما هو الظاهر، والله أعلم.

﴿أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى﴾؟ استفهام إنكار ﴿قل﴾ لهم ﴿لا أشهد﴾ بذلك ﴿قل إنما هو إله واحد وإنني بريء مما تشركون﴾ معه من الأصنام [وغيرها].

٢٠ ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه﴾ أي: محمداً، بنعته في كتابهم ﴿كما يعرفون أبناءهم﴾ [فالذين آمنوا به فازوا، و] ﴿الذين خسروا أنفسهم﴾ منهم [بإدخالها النار المؤبدة عليهم] ﴿فهم لا يؤمنون﴾ به.

٢١ ﴿ومن﴾ أي: لا أحد ﴿أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ بنسبة الشريك إليه ﴿أو كذب بآياته﴾ القرآن ﴿إنه﴾ أي: الشأن ﴿لا يفلح الظالمون﴾ بذلك.

أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ
قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾
ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ
ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ
ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟
أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ
إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ
كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾
وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن
يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا
حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ

٢٢ ﴿و﴾ اذكر ﴿يوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا﴾ توبيخاً ﴿أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون﴾ أنهم شركاء لله؟

٢٣ ﴿ثم لم تكن﴾ بالتاء والياء ﴿فتنتهم﴾ بالنصب والرفع[1]، أي: معذرتهم ﴿إلا أن قالوا﴾ أي: قولهم [وهم في النار يعذبون]: ﴿والله ربنا﴾ بالجر نعت، و [على قراءة] النصب نداء، [أي: «والله يا ربنا»] ﴿ما كنا مشركين﴾ [بك].

٢٤ قال تعالى: ﴿انظر﴾ يا محمد ﴿كيف كذبوا على أنفسهم﴾ بنفي الشرك عنهم ﴿وضل﴾ غاب ﴿عنهم ما كانوا يفترون﴾ ـه على الله من الشركاء.

٢٥ ﴿ومنهم من يستمع إليك﴾ إذا قرأت ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة﴾ أغطية، لـ ﴿أن﴾ لا ﴿يفقهوه﴾ يفهموا القرآن ﴿وفي آذانهم وقراً﴾ صمماً، فلا يسمعونه سماع قبول ﴿وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاؤوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن﴾ ما ﴿هذا﴾ القرآن

---

(١) قوله: «بالنصب والرفع».
إن ما ذكره السيوطي هنا ليس واضحاً ولا مفصلاً، وبيانه: أن في هذه الآية ثلاث قراءات سبعية ضبطها كما يلي:

على قراءة «تكن» بالتاء، يصح رفع «فتنتهم» اسماً لها، ويصح نصبها خبراً مقدماً، وعلى كلا الحالتين يتعين جر «ربنا»، فهنا قراءتان:

الأولى: «ولم تكن فتنتُهم ــ بالرفع ــ إلاَّ أن قالوا والله ربِّنا ــ بالجر ــ».
الثانية: «ولم تكن فتنتَهم ــ بالنصب ــ إلاَّ أن قالوا والله ربِّنا ــ بالجر ــ أيضاً».

وعلى قراءة «يكن»: ــ بالياء ــ فليس إلاَّ نصب «فتنتهم» خبراً مقدماً، ويتعين نصب «ربنا»، أي: «ولم يكن فتنتَهم ــ بالنصب فقط ــ إلاَّ أن قالوا والله ربَّنا ــ بالنصب فقط ــ على النداء أي: يا ربنا»... وهذه هي القراءة الثالثة.

﴿إلاّ أساطير﴾ أكاذيب ﴿الأولين﴾ كالأضاحيك والأعاجيب، جمع «أسطورة» بالضم.

٢٦﴿وهم ينهون﴾ الناس ﴿عنه﴾ عن اتباع النبي ﷺ ﴿وينأون﴾ يتباعدون ﴿عنه﴾ فلا يؤمنون به، وقيل: نزلت في [عمه] «أبي طالب» كان ينهى عن أذاه ولا يؤمن به ﴿وإن﴾ ما ﴿يهلكون﴾ بالنأي عنه ﴿إلاّ أنفسهم﴾ لأن ضرره عليهم ﴿وما يشعرون﴾ بذلك.

٢٧﴿ولو ترى﴾ يا محمد ﴿إذ وقفوا﴾ عرضوا ﴿على النار فقالوا يا﴾ للتنبيه ﴿ليتنا نرد﴾ إلى الدنيا ﴿ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين﴾ برفع الفعلين استئنافاً، ونصبهما في جواب التمني، ورفع الأول ونصب الثاني، [فهذه ثلاث قراءات سبعية، أما نصب الأول ورفع الثاني، فهي قراءة شاذة] وجواب «لو» [تقديره:] لرأيت أمراً عظيماً.

إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَـٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَـٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَـٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ

٢٨ قال تعالى: ﴿بل﴾ للإضراب عن إرادة الإيمان، المفهوم من التمني ﴿بدا﴾ ظهر ﴿لهم ما كانوا يخفون من قبل﴾ يكتمون، بقولهم: «والله ربنا ما كنا مشركين»، بشهادة جوارحهم، فتمنوا ذلك ﴿ولو ردوا﴾ إلى الدنيا فرضاً ﴿لعادوا لما نهوا عنه﴾ من الشرك ﴿وإنهم لكاذبون﴾ في وعدهم بالإيمان.

٢٩﴿وقالوا﴾ أي: منكرو البعث ﴿إن﴾ ما ﴿هي﴾ أي: الحياة ﴿إلاّ حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين﴾ [الحياة أخرى].

٣٠﴿ولو ترى إذ وقفوا﴾ عرضوا ﴿على ربهم﴾ لرأيت أمراً عظيماً ﴿قال﴾ لهم على لسان الملائكة توبيخاً: ﴿أليس هذا﴾ البعث والحساب ﴿بالحق قالوا بلى وربنا﴾ إنه لحق ﴿قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ به في الدنيا.

٣١﴿قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله﴾ بالبعث ﴿حتى﴾ غاية للتكذيب ﴿إذا جاءتهم الساعة﴾ القيامة ﴿بغتة﴾ فجأة ﴿قالوا يا حسرتنا﴾ هي: شدة التألم، ونداؤها مجاز، أي: هذا أوانك فاحضري ﴿على ما فرطنا﴾ قصّرنا ﴿فيها﴾ أي: الدنيا ﴿وهم يحملون أوزارهم﴾ [أي: ذنوبهم، كالكفر وغيره] ﴿على ظهورهم﴾ بأن تأتيهم عند البعث، في أقبح شيء صورة، وأنتنه ريحاً، فتركبهم ﴿ألا ساء﴾ بئس ﴿ما يزرون﴾ يحملونه، [أي: بئس الحِمْلُ] حملهم ذلك.

٣٢﴿وما الحياة الدنيا﴾ أي: الاشتغال بها ﴿إلاّ لعب ولهو﴾ وأما الطاعات، وما يُعين عليها، فمن أمور الآخرة.

﴿وللدار الآخرة﴾ وفي قراءة: «ولدار الآخرة»، أي: الجنة ﴿خير للذين يتقون﴾ الشرك ﴿أفلا يعقلون﴾ ــ بالياء والتاء ــ ذلك، فيؤمنون؟. ٣٣﴿قد﴾ للتحقيق[1] ﴿نعلم إنه﴾ أي: الشأن ﴿ليحزنك الذي يقولون﴾ لك من التكذيب ﴿فإنهم لا يكذبونك﴾ في السر، لعلمهم أنك صادق، وفي قراءة بالتخفيف [أي: بفتح الياء وكسر الذال مخففة] أي: لا ينسبونك إلى الكذب ﴿ولكن الظالمين﴾ [الكافرين]، وضعه موضع المضمر [فقال: «ولكن الظالمين» بدل «ولكنهم»] ﴿بآيات الله﴾ القرآن ﴿يجحدون﴾ يكذبون. ٣٤﴿ولقد كذبت رسل من قبلك﴾ فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا﴾ بإهلاك قومهم، فاصبر حتى يأتيك النصر بإهلاك قومك ﴿ولا مبدل لكلمات الله﴾ مواعيده [بالنصر لرسله وعباده المؤمنين] ﴿ولقد جاءك من نبأ المرسلين﴾ ما يسكن به قلبك.

وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكَ إِعۡرَاضُهُمۡ فَإِنِ ٱسۡتَطَعۡتَ أَن تَبۡتَغِيَ نَفَقٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ سُلَّمٗا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأۡتِيَهُم بِـَٔايَةٖۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ۞ إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَۘ وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةٗ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٧﴾

حزب ١٤

٣٥﴿وإن كان كبر﴾ عظم ﴿عليك إعراضهم﴾ عن الإسلام، لحرصك عليهم ﴿فإن استطعت أن تبتغي نفقاً﴾ سَرَباً ﴿في الأرض أو سلماً﴾ مصعداً ﴿في السماء فتأتيهم بآية﴾ مما اقترحوا [ليؤمنوا]، فافعل، المعنى: أنك لا تستطيع ذلك، فاصبر حتى يحكم الله [بينك وبينهم] ﴿ولو شاء الله﴾ هدايتهم ﴿لجمعهم على الهدى﴾ ولكن لم يشأ ذلك، فلم يؤمنوا ﴿فلا تكونن من الجاهلين﴾ بذلك، [هذا نهي له ﷺ عن هذه الحالة، وهذا النهي لا يقتضي إقدامه على ذلك، كما أن قوله: «ولا تطع الكافرين والمنافقين»، لا يعني أنه أطاعهم وقَبِلَ دينهم، وإنما ذلك مجرد تنبيه، لتثبيته والتخفيف من حرصه عليهم].

٣٦﴿إنما يستجيب﴾ دعاءك إلى الإيمان ﴿الذين يسمعون﴾ سماع تفهم واعتبار ﴿والموتى﴾ أي: الكفار، شبّههم[2] بهم في عدم السماع ﴿يبعثهم الله﴾ في الآخرة ﴿ثم إليه يرجعون﴾ يردُّون، فيجازيهم بأعمالهم.

٣٧﴿وقالوا﴾ أي: كفار مكة ﴿لولا﴾ هلاَّ ﴿نزل عليه آية من ربه﴾ كالناقة والعصا والمائدة ﴿قل﴾ لهم ﴿إن الله قادر على أن ينزل﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿آية﴾ مما اقترحوا ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ أن نزولها بلاء عليهم، لوجوب هلاكهم إن جحدوها.

---

(١) قوله: «للتحقيق» أي: إن مجيء الفعل المضارع بعد «قد»، في هذه الآية وأمثالها من القرآن الكريم، لا يجعلها تفيد «التقليل» كما هي القاعدة، هذا ما حكاه بعض النحويين، وعليه مشى الجلالان في هذا التفسير، ولكنَّ العلامة ابن هشام في كتابه «مغني اللبيب»، يؤيد إبقاء المعنى على أساس القاعدة، وأنها تفيد التقليل، ارجع إلى بيان قوله هذا في تعليقنا ص ٤٦٩.

(٢) قوله: «شبههم بهم في عدم السماع»، ارجع إلى تعليقنا حول «سماع الموتى» ص ٥٣٧.

٣٨﴿وما من﴾ زائدة ﴿دابة﴾ تمشي ﴿في الأرض ولا طائر يطير﴾ في الهواء ﴿بجناحيه إلاَّ أمم أمثالكم﴾ في تدبير خلقها ورزقها وأحوالها ﴿ما فرطنا﴾ تركنا ﴿في الكتاب﴾ اللوح المحفوظ ﴿من﴾ زائدة ﴿شيء﴾ فلم نكتبه ﴿ثم إلى ربهم يحشرون﴾ فيقضي بينهم، ويقتصُّ للجَمَّاء من القرناء، ثم يقول: لهم كونوا تراباً[،أخرج ذلك عبد الرزاق، والحاكم وصححه، عن أبي هريرة مرفوعاً، وروى مسلم عنه رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لَتُؤَدُّنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقادَ للشاة الجَلْحاء ـ أي: التي لا قرن لها ـ من الشاة القرناء»].

٣٩﴿والذين كذبوا بآياتنا﴾ القرآن ﴿صم﴾ عن سماعها سماع قبول ﴿وبكم﴾ عن النطق بالحق ﴿في الظلمات﴾ [أي: في] الكفر ﴿من يشأ الله﴾ إضلاله ﴿يضلله ومن يشأ﴾ هدايته ﴿يجعله على صراط﴾ طريق ﴿مستقيم﴾ دين الإسلام.

٤٠﴿قل﴾ يا محمد لأهل مكة ﴿أرأيتكم﴾ أخبروني ﴿إن أتاكم عذاب الله﴾ في الدنيا ﴿أو أتتكم الساعة﴾ القيامة المشتملة عليه، بغتةً ﴿أغير الله تدعون﴾؟ لا ﴿إن كنتم صادقين﴾ في أن الأصنام تنفعكم، فادعوها.

٤١﴿بل إياه﴾ لا غيره ﴿تدعون﴾ في الشدائد ﴿فيكشف﴾ اللّهُ ﴿ما تدعون إليه﴾ أن يكشفه عنكم، من الضر ونحوه ﴿إن شاء﴾ كشفه ﴿وتنسون﴾ تتركون ﴿ما تشركون﴾ معه من الأصنام، فلا تَدْعونه.

٤٢﴿ولقد أرسلنا إلى أمم من﴾ زائدة ﴿قبلك﴾ رسلاً فكذبوهم ﴿فأخذناهم بالبأساء﴾ شدة الفقر ﴿والضراء﴾ المرض، [وعن سعيد بن جبير قال: «البأساء والضراء»، خوفُ السلطان، وغلا السعر، أي: يسلط الله عليهم ولاةً ظالمين، وتصبح معيشتهم في الحياة الدنيا صعبة لا هناءة فيها] ﴿لعلهم يتضرعون﴾ يتذللون فيؤمنون.

٤٣﴿فلولا﴾ فهلاَّ ﴿إذ جاءهم بأسنا﴾ عذابنا ﴿تضرعوا﴾ أي: لم يفعلوا ذلك، مع قيام المقتضي له ﴿ولكن قست قلوبهم﴾ فلم تَلِنْ للإيمان ﴿وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون﴾ من المعاصي، فأصروا عليها[1].

٤٤﴿فلما نسوا﴾ تركوا ﴿ما ذكروا﴾ وُعظوا وخُوِّفوا ﴿به﴾ من البأساء والضراء، فلم يتعظوا ﴿فتحنا﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿عليهم أبواب كل شيء﴾ من النعم استدراجاً لهم ﴿حتى إذا فرحوا

وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟

(١) قوله: «فأصروا عليها»، إن الإصرار على الصغائر من الذنوب يجعلها كبائر، ارجع إلى تعليقنا حول «الإصرار على المعصية» ص ٨٥، وتعليقنا حول «كبائر الذنوب وصغائرها» ص ٦٤٢، وحول «محقرات الذنوب» ص ٧٠٢.

بما أوتوا﴾ فَرَحَ بَطَرٍ ﴿أخذناهم﴾ بالعذاب ﴿بغتة﴾ فجأة ﴿فإذا هم مبلسون﴾ آيسون من كل خير.

٤٥ ﴿فقطع دابر القوم الذين ظلموا﴾ أي: آخرهم، بأن استؤصلوا ﴿والحمد لله رب العالمين﴾ على نصر الرسل وإهلاك الكافرين.

٤٦ ﴿قل﴾ لأهل مكة [وغيرهم] ﴿أرأيتم﴾ أخبروني ﴿إن أخذ الله سمعكم﴾ أصمَّكم ﴿وأبصاركم﴾ أعماكم

بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾

﴿وختم﴾ طبع ﴿على قلوبكم﴾ فلا تعرفون شيئاً ﴿من إله غير الله يأتيكم به﴾ بما أخذه منكم بزعمكم؟ ﴿انظر كيف نصرف﴾ نبين ﴿الآيات﴾ الدلالات على وحدانيتنا ﴿ثم هم يصدفون﴾ يعرضون، فلا يؤمنون.

٤٧ ﴿قل﴾ لهم ﴿أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة﴾ ليلاً أو نهاراً ﴿هل يهلك إلاَّ القوم الظالمون﴾ الكافرون؟، أي: ما يُهلك إلاَّ هم.

٤٨ ﴿وما نرسل المرسلين إلاَّ مبشرين﴾ من آمن بالجنة ﴿ومنذرين﴾ من كفر بالنار ﴿فمن آمن﴾ بهم ﴿وأصلح﴾ عمله ﴿فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ في الآخرة.

٤٩ ﴿والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون﴾ يخرجون عن الطاعة.

٥٠ ﴿قل﴾ لهم ﴿لا أقول لكم عندي خزائن الله﴾[1] التي منها يرزق ﴿ولا﴾ أني ﴿أعلم الغيب﴾ ما غاب عني ولم يوح إلي ﴿ولا أقول لكم إني ملك﴾ من الملائكة ﴿إن﴾ ما ﴿أتبع إلاَّ ما يوحى إلي قل هل يستوي الأعمى﴾ الكافر ﴿والبصير﴾ المؤمن؟ لا ﴿أفلا تتفكرون﴾ في ذلك، فتؤمنون[2]؟.

---

(١) قوله تعالى: ﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله﴾، الآية، هكذا وبكل صراحة أمر الله تعالى رسوله محمداً ﷺ، أن يقول للمعاندين، الذين طلبوا رزقاً أوسع ومعجزات أخرى، وهذا من أوضح الأدلة على صدقه عليه الصَّلاة والسَّلام، فإنه لم يَمدْهم بشيء مما طلبوا، ولم يسايرهم، ولم يدَّعِ ما ليس بيده، بل أعلن لهم أنه رسول الله، ولا يتبع إلاَّ ما يوحى إليه من ربه، وأنه جاء ليدعوهم إلى الله عز وجل، فينالوا بالإيمان، شرف الدنيا وحسن ثواب الآخرة ﴿وذلك هو الفوز المبين﴾.

(٢) قوله: «فتؤمنون» هو هكذا، مرفوع بثبوت النون، كما في المخطوطات، لأنه معطوف على «تتفكرون»، وليس جواباً للنفي لينصب، ومثل هذه الكلمة يتكرر كثيراً في هذا التفسير، وهي في بعض الطبعات المتداولة بحذف النون، وهو خطأ.

٥١ ﴿وأنذر﴾ خوف ﴿به﴾ أي: القرآن ﴿الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه﴾ أي: غيره ﴿ولي﴾ ينصرهم ﴿ولا شفيع﴾ يشفع لهم، وجملة النفي، حال من ضمير: «يُحشروا»، وهي محل الخوف، والمراد بهم المؤمنون العاصون ﴿لعلهم يتقون﴾ الله، بإقلاعهم عما هم فيه، وعمل الطاعات. ٥٢ ﴿ولا تطرد الذين يدعون[1] ربهم بالغداة والعشي يريدون﴾ بعبادتهم ﴿وجهه﴾ تعالى، لا شيئاً من أعراض الدنيا، وهم الفقراء، وكان المشركون طعنوا فيهم، وطلبوا أن يطردهم ليجالسوه، وأراد النبي ﷺ ذلك، طمعاً في إسلامهم ﴿ما عليك من حسابهم من﴾ زائدة ﴿شيء﴾ إن كان باطنهم غير مرضي ﴿وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم﴾ جواب النفي ﴿فتكون من الظالمين﴾ إن فعلت ذلك.

٥٣ ﴿وكذلك فتنا﴾ ابتلينا ﴿بعضهم ببعض﴾ أي: الشريف بالوضيع، والغني بالفقير، بأن قدمناه بالسبق إلى الإيمان ﴿ليقولوا﴾ أي: الشرفاء والأغنياء منكرين: ﴿أهؤلاء﴾ الفقراء ﴿مَنَّ الله عليهم من بيننا﴾ بالهداية؟، أي: لو كان ما هم عليه هدى ما سبقونا إليه، قال تعالى: ﴿أليس الله بأعلم بالشاكرين﴾ له، فيهديهم؟ بلى [هو أعلم بالشاكرين].

٥٤ ﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل﴾ لهم ﴿سلام عليكم كتب﴾ قضى ﴿ربكم على نفسه الرحمة إنه﴾ [بالكسر] أي: الشأن، وفي قراءة: بالفتح بدل من «الرحمة» ﴿من عمل منكم سوءاً بجهالة﴾ منه حيث ارتكبه ﴿ثم تاب﴾ رجع ﴿من بعده﴾ بعد عمله، عنه ﴿وأصلح﴾ عمله ﴿فإنه﴾ [بالكسر] أي: الله ﴿غفور﴾ له ﴿رحيم﴾ به، وفي قراءة بالفتح، أي: فالمغفرة له.

٥٥ ﴿وكذلك﴾ كما بيّنّا ما ذُكِرَ ﴿نفصل﴾ نبين ﴿الآيات﴾ القرآن، ليظهر الحق فيُعمل به ﴿ولتستبين﴾ تظهر ﴿سبيل﴾ طريق ﴿المجرمين﴾ فتُجتنب، وفي قراءة بالتحتانية، وفي أخرى بالفوقانية ونصب «سبيل»، خطابٌ للنبي ﷺ.

٥٦ ﴿قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون﴾ تعبدون ﴿من دون الله

وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ

---

(١) قوله تعالى: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم...﴾ الآية.

أخرج مسلم وأحمد والنسائي وابن ماجه وغيرهم، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: لقد نزلت هذه الآية في ستة: أنا وعبد الله بن مسعود وبلال ورجل من هذيل واثنين... قال بعض العرب للنبي ﷺ: اطردهم، فإنا نستحي أن نكون تبعاً لهؤلاء، فوقع في نفس النبي ﷺ ما شاء الله أن يقع، فأنزل الله هذه الآية. وفي مثل ذلك نزل أيضاً قوله تعالى في سورة «الكهف»: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تَعْدُ عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً...﴾ «الآيتين ٢٨ و ٢٩»، وكذلك قال قوم نوح من قبل: ﴿وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي﴾ وطلبوا منه =

قل لا أتبع أهواءكم﴾ في عبادتها ﴿قد ضللت إذاً﴾ إن اتبعتها ﴿وما أنا من المهتدين﴾. ٥٧﴿قل إني على بينة﴾ بيان ﴿من ربي و﴾ قد ﴿كذبتم به﴾ بربي، حيث أشركتم ﴿ما عندي ما تستعجلون به﴾ من العذاب ﴿إن﴾ ما ﴿الحكم﴾ في ذلك وغيره ﴿إلاّ لله يقْضِ﴾ [بالضاد المعجمة]، القضاءَ ﴿الحق وهو خير الفاصلين﴾ الحاكمين، وفي قراءة «يقصُّ» [بالصاد المهملة] أي: يقول. ٥٨﴿قل﴾ لهم ﴿لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم﴾ بأن أعجله لكم وأستريح، ولكنه عند الله ﴿والله أعلم بالظالمين﴾ متى يعاقبهم. ٥٩﴿وعنده﴾ تعالى ﴿مفاتح الغيب﴾ خزائنه، أو الطرق الموصلة إلى علمه ﴿لا يعلمها إلاّ هو﴾ وهي الخمسة التي في قوله: «إن الله عنده علم الساعة» الآية، كما رواه البخاري[1] ﴿ويعلم ما﴾ يحدث ﴿في البر﴾ القفار ﴿والبحر﴾ القرى التي على الأنهار[2] ﴿وما تسقط من﴾ زائدة ﴿ورقة إلاّ يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس﴾ عطف على «ورقة» ﴿إلاّ في كتاب مبين﴾ هو: اللوح المحفوظ، والاستثناء بدل اشتمال من الاستثناء قبله. ٦٠﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل﴾ يقبض أرواحكم عند النوم ﴿ويعلم ما جرحتم﴾ كسبتم ﴿بالنهار ثم يبعثكم فيه﴾ أي: النهار، بردِّ أرواحكم ﴿ليقضى أجل مسمى﴾ هو أجل الحياة ﴿ثم إليه مرجعكم﴾ بالبعث ﴿ثم ينبئكم بما كنتم تعملون﴾ فيجازيكم به. ٦١﴿وهو القاهر﴾ مستعلياً ﴿فوق عباده ويرسل عليكم

قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ
ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ
مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ
ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى
مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ
بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ
إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ
إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ
وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم
بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ
أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ

= أن يطردهم، فأجابهم نوح عليه السّلام: ﴿وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقو ربهم ولكني أراكم قوماً تجهلون * ويا قوم من ينصرني من الله إن طردتهم أفلا تذكرون﴾، وبذلك حطم المرسلون جبروت الطغاة والكافرين.

(١) قوله: «كما رواه البخاري»، أي: وأحمد وغيرهما عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «مفاتح الغيب خمس: إن الله عنده علم الساعة، وينزل الغيث، ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت، إن الله عليم خبير»، الآية الأخيرة من «سورة لقمان» ص ٥٤٤، فلا يعلم متى «يوم القيامة» إلاّ الله ﴿لا يُجَلِّيها لوقتها إلاّ هو﴾، وهو تعالى الذي ينزل المطر بمقدار ما يشاء، ومتى يشاء، وأين يشاء، لا يقدر على ذلك غيره، أما نشرات مراكز «الرصد الجَوِّيّ»، بخصوص الطقس والمطر، فما هي إلاّ توقعات، مبنية على تقلب التيارات الهوائية، وليست إخباراً بالغيب، وهو تعالى وحده الذي يعلم ما في «الأرحام» قال تعالى: ﴿ونُقِرُّ في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى﴾ أي: نثبت فيها الجنين، ذكراً أو أنثى، واحداً أو أكثر، إن الإنسان لا يعلم شيئاً من ذلك، بل هو عاجز عن أن يعرف ماذا سيفعل في المستقبل، بل كثيراً ما يعجز عن فعل ما كان يريد أن يفعله، ويفعلُ غيره، كما أنه لا يدري أين يموت، ولا يعلم متى يموت، فسبحان الله علاّم الغيوب.

(٢) قوله: «القرى التي على الأنهار»، إن تفسير «البحر» بهذا، لا وجه له، والصحيح الذي عليه جمهور المفسرين: أن المراد «بالبر والبحر» المعروفان، وفيهما من عجائب المخلوقات ما لا يعلمه إلاّ الله تعالى، والآية في معرض بيان سعة علمه تعالى، فليس معنى قوله: ﴿ويعلم ما في البر والبحر﴾ أنه يعلم ما يحدث فيهما فقط، بل وما خلق فيهما من مخلوقات.

حفظة﴾ ملائكة تحصي أعمالكم ﴿حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته﴾ وفي قراءة «توفاه» ﴿رسلنا﴾ الملائكة الموكلون بقبض الأرواح ﴿وهم لا يفرطون﴾ يقصرون فيما يؤمرون به. ٦٢﴿ثم رُدُّوا﴾ أي: الخلق ﴿إلى الله مولاهم﴾ مالكهم ﴿الحق﴾ الثابت العدل، ليجازيهم ﴿ألا له الحكم﴾ القضاء النافذ فيهم ﴿وهو أسرع الحاسبين﴾ يحاسب الخلق كلهم، في قدر نصف نهار، [مقداره خمسون ألف سنة، ـ وليس] من أيام الدنيا[1] ـ لحديث بذلك [رواه ابن حبان في صحيحه]. ٦٣﴿قل﴾ يا محمد لأهل مكة [وغيرهم] ﴿من ينجيكم من ظلمات البر والبحر﴾ أهوالهما، في أسفاركم، حين ﴿تدعونه تضرعاً﴾ علانيةً ﴿وخفية﴾ سرّاً، تقولون: ﴿لئن﴾ لام قسم ﴿أنجيتنا﴾ وفي قراءة «أنجانا»، أي: الله ﴿من هـذه﴾ الظلمات والشدائد ﴿لنكونن من الشاكرين﴾ المؤمنين. ٦٤﴿قل﴾ لهم ﴿الله ينجيكم﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿منها ومن كل كرب﴾ غَمّ سواها ﴿ثم أنتم تشركون﴾ به. ٦٥﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم﴾ من السماء، كالحجارة والصيحة ﴿أو من تحت أرجلكم﴾ كالخسف ﴿أو يلبسكم﴾ يخلطكم ﴿شيعاً﴾ فرقاً مختلفة الأهواء ﴿ويذيق بعضكم بأس بعض﴾ بالقتال، قال ﷺ لما نزلت: «هذه أهون وأيسر»، ولما نزل ما قبله: [قال:] «أعوذ بوجهك»، رواه البخاري، وروى مسلم حديث: «سألتُ ربي ألا يجعل بأس أمتي بينهم، فمنَعَنيها»، وفي حديث [أخرجه أحمد والترمذي ـ وحسّنه ـ عن سعد بن أبي وقاص قال:] لما نزلت قال ﷺ: «أما إنها كائنة، ولم يأت تأويلها بعدُ» ﴿انظر كيف نصرّف﴾ نبين لهم ﴿الآيات﴾ الدلالات على قدرتنا ﴿لعلهم يفقهون﴾ يعلمون أن ما هم عليه باطل. ٦٦﴿وكذب به﴾ بالقرآن ﴿قومك وهو الحق﴾ الصدق ﴿قل﴾ لهم ﴿لست عليكم بوكيل﴾ فأجازيكم، إنما أنا منذر، وأمركم إلى الله، وهذا قبل الأمر بالقتال[2]. ٦٧﴿لكل نبإ﴾ خبر ﴿مستقر﴾ وقت يقع فيه ويستقر، ومنه عذابكم ﴿وسوف تعلمون﴾ تهديد لهم. ٦٨﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا﴾ القرآن بالاستهزاء ﴿فأعرض عنهم﴾ ولا تجالسهم

حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ

---

(١) قوله: «من أيام الدنيا»، هذا سبق قلم من الجلال السيوطي رحمه الله، فصوبنا العبارة على النحو المذكور في التفسير، وبيّنا ذلك مع الأدلة في تعليقنا ص ٣٣٧ فارجع إليه.

(٢) قوله: «وهذا قبل الأمر بالقتال» يتكرر كثيراً في هذا التفسير، ومعناه: أن الآيات التي فيها مهادنة الكفار، أو طلب الكف عنهم، أو الصبر على أذاهم وعدم مقاتلتهم، كلها منسوخة الحكم بالأمر بالقتال، وخصوصاً آية السيف وهو قوله تعالى: ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحُرُم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ الآية الخامسة من سورة «التوبة».

﴿حتى يخوضوا في حديث غيره وإما﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» المزيدة ﴿ينسينك﴾ بسكون النون والتخفيف، وفتحها والتشديد ﴿الشيطان﴾ فقعدت معهم ﴿فلا تقعد بعد الذكرى﴾ أي: [بعد] تَذَكُّره ﴿مع القوم الظالمين﴾[1] فيه وضع الظاهر موضع المضمر.

٦٩ وقال المسلمون[2]: إن قمنا كلما خاضوا، لم نستطع أن نجلس في المسجد، وأن نطوف، فنزل: ﴿وما على الذين يتقون﴾ الله ﴿من حسابهم﴾ أي: الخائضين ﴿من﴾ زائدة ﴿شيء﴾ إذا جالسوهم ﴿ولكن﴾ عليهم ﴿ذكرى﴾ تذكرة لهم وموعظة ﴿لعلهم يتقون﴾ الخوض.

حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ

٧٠ ﴿وذر﴾ اترك ﴿الذين اتخذوا دينهم﴾ الذي كُلِّفُوه ﴿لعباً ولهواً﴾ باستهزائهم به ﴿وغرتهم الحياة الدنيا﴾ فلا تتعرض لهم، وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿وذكر﴾ عظ ﴿به﴾ بالقرآن الناس لـ ﴿أن﴾ لا ﴿تبسل نفس﴾ تُسَلَّمَ إلى الهلاك ﴿بما كسبت﴾ عملت ﴿ليس لها من دون الله﴾ أي: غيره ﴿ولي﴾ ناصر ﴿ولا شفيع﴾ يمنع عنها العذاب ﴿وإن تعدل كل عدل﴾ تَفْدِ كلَّ فداء ﴿لا يؤخذ منها﴾ ما تفدي به ﴿أولئك الذين أبسلوا﴾ [أي: أهلكوا أنفسهم] ﴿بما كسبوا لهم شراب من حميم﴾ ماء بالغ نهاية الحرارة ﴿وعذاب أليم﴾ مؤلم ﴿بما كانوا يكفرون﴾ [أي:] بكفرهم.

٧١ ﴿قل أندعو﴾ أنعبد ﴿من دون الله ما لا ينفعنا﴾ بعبادته ﴿ولا يضرنا﴾ بتركها، وهو: الأصنام [وغيرها] ﴿ونرد على أعقابنا﴾ نرجع مشركين ﴿بعد إذ هدانا الله﴾ إلى الإسلام ﴿كالذي استهوته﴾ أضلته ﴿الشياطين في الأرض حيران﴾ متحيراً لا يدري أين يذهب، حال من الهاء، [أي: الضمير في «استهوته»] ﴿له أصحاب﴾ رفقة ﴿يدعونه إلى الهدى﴾ أي: ليهدوه الطريق، يقولون له ﴿ائتنا﴾ فلا يجيبهم فيهلك، والاستفهام [في: «أندعو»] للإنكار، [أي: لن نفعل ذلك]، وجملة التشبيه، حال من ضمير «نُرَدُّ» ﴿قل إن هدى الله﴾ الذي هو الإسلام ﴿هو الهدى﴾ وما عداه ضلال

---

(١) قوله تعالى: ﴿فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾. يؤخذ من هذه الآية، وجوب اجتناب مجالس الملحدين والزنادقة وأهل اللغو والفجور، والخطاب له ﷺ ولأمته جميعاً في كل زمان ومكان، فما أكثر الذين يضلون الناس ويسعون في الأرض فساداً، فعلى المسلم واجب الدفاع عن دينه والوقوف في وجه أعدائه أجمعين.

(٢) هذا أحد قولين في الآية، وعليه، فحكمها منسوخ بقوله تعالى: ﴿إنكم إذاً مثلهم﴾ الآية «١٣٩» من سورة «النساء» المماثلة، وعلى القول الآخر يكون المعنى: إذا تجنبوهم فلم يجلسوا معهم، فقد برئوا من عهدتهم، وتخلصوا من إثمهم، ولو خاضوا في آيات الله بعد ذلك.

﴿وأمرنا لنسلم﴾ أي: بأن نسلم ﴿لرب العالمين﴾. ٧٢﴿وأن﴾ أي: [وأمرنا] بأن ﴿أقيموا الصلاة واتقوه﴾ تعالى ﴿وهو الذي إليه تحشرون﴾ تجمعون يوم القيامة للحساب [والجزاء]. ٧٣﴿وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق﴾ أي: محقاً، [لِحِكَم ومنافع لعباده، لا عبثاً] ﴿و﴾ اذكر ﴿يوم يقول﴾ للشيء ﴿كن فيكون﴾ هو يوم القيامة، يقول للخلق: قوموا فيقوموا ﴿قوله الحق﴾ الصدق الواقع لا محالة ﴿وله الملك يوم ينفخ في الصور﴾ القرن، النفخةُ الثانية من إسرافيل، لا مُلك فيه لغيره، «لمن الملك اليوم لله [الواحد القهار»] ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ ما غاب [عن وسائل إدراك الناس، وهي: الحواسُّ الخمس]، وما شوهد [أي: أُدرك بها] ﴿وهو الحكيم﴾ في خلقه ﴿الخبير﴾ بباطن الأشياء كظاهرها.

وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا

٧٤﴿و﴾ اذكر ﴿إذ قال إبراهيم لأبيه آزر﴾ هو: لقبه واسمه «تارخ» ﴿أتتخذ أصناماً آلهة﴾ تعبدها؟ استفهام توبيخ ﴿إني أراك وقومك﴾ باتخاذها ﴿في ضلال﴾ عن الحق ﴿مبين﴾ بيِّن. ٧٥﴿وكذلك﴾ كما أريناه إضلال أبيه وقومه ﴿نري إبراهيم ملكوت﴾ ملك ﴿السماوات والأرض﴾ ليستدل به على وحدانيتنا، [تعليماً لقومه] ﴿وليكون من الموقنين﴾ بها، وجملة: «وكذلك» وما بعدها، اعتراض [بين الآية التي قبلها والتي بعدها]، وعَطَفَ على «قال» [قولَهُ:]

٧٦﴿فلما جن﴾ أظلم ﴿عليه الليل رأى كوكباً﴾ قيل: هو «الزُّهرة» ﴿قال﴾ لقومه وكانوا نجامين ﴿هذا ربي﴾[1] في زعمكم ﴿فلما أفل﴾ غاب ﴿قال لا أحب الآفلين﴾ أن أتخذهم أرباباً، لأن الرب لا يجوز عليه التغير والانتقال، لأنهما من شأن الحوادث، فلم يَنجع فيهم ذلك. ٧٧﴿فلما رأى القمر بازغاً﴾ طالعاً ﴿قال﴾ لهم ﴿هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي﴾ يثبتني على الهدى ﴿لأكونن من القوم الضالين﴾ تعريض لقومه بأنهم على ضلال، فلم ينجع فيهم ذلك. ٧٨﴿فلما رأى الشمس بازغة قال هذا﴾ ذكَّره لتذكير خبره

---

(١) قوله تعالى عن إبراهيم عليه السّلام: ﴿قال هذا ربي﴾ في المواضع الثلاثة، لقد تَوَهَّم بعض الناس أن قول إبراهيم عليه الصّلاة والسّلام عن النجم، ثم القمر، ثم الشمس: «هذا ربي» كان عن اعتقاد منه بألوهيتها، وهذا ضلال كبير، لأن الأنبياء معصومون عن عبادة غير الله تعالى، قبل النبوة وبعدها، والذي يجب فهمه من الآيات هو: أن إبراهيم ﷺ لم يقل ذلك اعتقاداً منه باستحقاقها الربوبية، بل كان قوله هذا من باب: التسليم الجدلي بقول الخصم، مع علمه بأنه مبطل، فالذي يُسَلِّم لخصمه جَدَلاً، يحكي قول خصمه أولاً وينقله ــ كما هو ــ غير متعصب، ثم يكرُّ عليه فيبطله بالحجة، وهذا ما فعله إبراهيم ﷺ، حيث بيَّن لهم بالدليل المحسوس، أن هذه الكواكب التي يعبدونها، ما هي إلاّ مخلوقات مسخَّرة بأمر خالقها، تظهر ثم تأفل وتغيب، فهي لا تستحق أن تُعبد، ثم وجههم إلى الإيمان بالله تعالى خالق كل شيء، وكان مناظراً لقومه، ولم يكن في مقام الاستدلال لنفسه، ولهذا سمى الله تعالى برهانه هذا «حجة»، في قوله تعالى: ﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه﴾، فكيف يفهم عاقل من «الحجة»، أنها اعتراف بألوهية الكواكب؟!.

رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۖ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۖ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ

﴿ربي هذا أكبر﴾ من الكوكب والقمر ﴿فلما أفلت﴾ وقويت عليهم الحجة، ولم يرجعوا ﴿قال يا قوم إني بريء مما تشركون﴾ بالله؛ من الأصنام والأجرام المحدثة، المحتاجة إلى محدث، فقالوا له: ما تعبد؟... ٧٩ قال [مجيباً] ﴿إني وجهت وجهي﴾ قصدت بعبادتي ﴿للذي فطر﴾ خلق ﴿السماوات والأرض﴾ أي: الله ﴿حنيفاً﴾ مائلاً إلى الدين القيم، [دين التوحيد] ﴿وما أنا من المشركين﴾ به. ٨٠ ﴿وحاجَّه قومه﴾ جادلوه في دينه، وهددوه بالأصنام أن تصيبه بسوء إن تركها ﴿قال أتحاجوني﴾ بتشديد النون، وتخفيفها بحذف إحدى النونين، وهي: نونُ الرفع عند النحاة، ونونُ الوقاية عند الفرّاء، [أي:] أتجادلونني ﴿في﴾ وحدانية ﴿الله وقد هدان﴾ تعالى إليها ﴿ولا أخاف ما تشركونـ﴾ ـه ﴿به﴾ من الأصنام أن تصيبني بسوء، لعدم قدرتها على شيء ﴿إلاَّ﴾ لكن ﴿أن يشاء ربي شيئاً﴾ من المكروه يصيبني، فيكون ﴿وسع ربي كل شيء علماً﴾ أي: وسع علمه كل شيء ﴿أفلا تذكرون﴾ هذا فتؤمنون؟ ٨١ ﴿وكيف أخاف ما أشركتم﴾ بالله، وهي لا تضر ولا تنفع ﴿ولا تخافون﴾ أنتم من الله ﴿أنكم أشركتم بالله﴾ في العبادة ﴿ما لم ينزل به﴾ بعبادته ﴿عليكم سلطاناً﴾ حجة وبرهاناً، وهو القادر على كل شيء ﴿فأي الفريقين أحق بالأمن﴾ أنحن أم أنتم؟ ﴿إن كنتم تعلمون﴾ من الأحق به ــ أي: وهو نحن ــ فاتبعوه. ٨٢ قال تعالى: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا﴾ يخلطوا ﴿إيمانهم بظلم﴾ أي: شرك، كما فُسِّرَ بذلك في حديث الصحيحين، [فقد أخرج الشيخان وغيرهما ــ واللفظ لمسلم ــ عن عبد الله بن مسعود قال: لما نزلت هذه الآية، شقَّ ذلك على الناس، فقالوا: يا رسول الله، وأيُّنا لا يظلم نفسه؟ قال: «إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح ــ أي: لقمان ــ إن الشرك لظلم عظيم، إنما هو الشرك»] ﴿أولئك لهم الأمن﴾ من العذاب ﴿وهم مهتدون﴾. ٨٣ ﴿وتلك﴾ مبتدأ، ويبدل منه: ﴿حجتنا﴾ التي احتج بها إبراهيم على وحدانية الله، من أفول الكوكب وما بعده، والخبر ﴿آتيناها إبراهيم﴾ أرشدناه لها، حجة ﴿على قومه نرفع درجاتٍ من نشاء﴾ بالإضافة والتنوين: في العلم والحكمة ﴿إن ربك حكيم﴾ في صنعه ﴿عليم﴾ بخلقه. ٨٤ ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب﴾ ابنه[1]

---

(١) قوله: «ابنه»، أي: يعقوب بن إسحاق، فقد رُزق إبرهيم عليه السَّلام ولدين هما: «إسماعيل» الذبيح، والدته «هاجر»، وهو جد العرب المستعربة «العدنانيين»، ومن نسله خاتم الأنبياء محمد ﷺ، و«إسحاق» والدته «سارة»، وهو أبو «يعقوب» الذي هو «إسرائيل»، ومن ذريته «بنو إسرائيل» أي: يوسف عليه السَّلام وإخوته وذرياتهم. ارجع إلى تعليقنا حول «بني إسرائيل» ص ١٠، وإلى كتابنا: «بنو إسرائيل واليهود، تاريخ ومصير».

﴿كلاً﴾ منهما ﴿هدينا ونوحاً هدينا من قبل﴾ أي: قبل إبراهيم ﴿ومن ذريته﴾ أي: نوح ﴿داود وسليمان﴾ ابنه ﴿وأيوب ويوسف﴾ بن يعقوب ﴿وموسى وهارون وكذلك﴾ كما جزيناهم ﴿نجزي المحسنين﴾. ٨٥﴿وزكريا ويحيى﴾ ابنه ﴿وعيسى﴾ ابن مريم، [وهذا] يفيد: أن الذرية تتناول أولاد البنت، [لأن عيسى لا والد له] ﴿وإلياس﴾ بن [هارون][1] أخي موسى ﴿كل﴾ منهم ﴿من الصالحين﴾. ٨٦﴿وإسماعيل﴾ بن إبراهيم ﴿واليسع﴾ اللام زائدة[2] ﴿ويونس[3] ولوطاً﴾ بن هاران أخي إبراهيم ﴿وكلاً﴾ منهم ﴿فضلنا على العالمين﴾ بالنبوة.

٨٧﴿ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم﴾ عطف على «كلاً»، أو: «نوحاً»، و «من» للتبعيض، لأن بعضهم لم يكن له ولد، وبعضهم كان في ولده كافر ﴿واجتبيناهم﴾ اخترناهم ﴿وهديناهم إلى صراط مستقيم﴾.

٨٨﴿ذلك﴾ الدين الذي هُدوا إليه ﴿هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا﴾ فَرْضاً ﴿لحبط عنهم ما كانوا يعملون﴾.

٨٩﴿أولئك الذين آتيناهم الكتاب﴾ بمعنى: الكُتُب ﴿والحكم﴾ الحكمة ﴿والنبوة فإن يكفر بها﴾ أي: بهذه الثلاثة ﴿هؤلاء﴾ أي: أهل مكة ﴿فقد وكلنا بها﴾ أرصدنا لها ﴿قوماً ليسوا بها بكافرين﴾ هم: المهاجرون والأنصار، [ومن سار على خطاهم].

٩٠﴿أولئك الذين هدى﴾ هم ﴿الله فبهداهم﴾ طريقهم إلى التوحيد والصبر ﴿اقتده﴾ بهاء السكت وقفاً ووصلاً، وفي قراءة: بحذفها وصلاً ﴿قل﴾ لأهل مكة ﴿لا أسألكم عليه﴾ أي: القرآن ﴿أجراً﴾ تعطونيه ﴿إن هو﴾ ما القرآن ﴿إلاّ ذكرى﴾ عظة

كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ

(١) قوله: «ابن هارون أخي موسى»، في المخطوطة الأولى: «ابنِ أخي هارون» وهو سهو، والصحيح ما ذكرناه أخذاً من المخطوطة الثانية، «فإلياس» من ذرية «هارون»، بعثه الله تعالى بعد «سليمان» إلى أهل «بعلبك»، ارجع إلى تعليقنا حول «بعلبك» ص ٥٩٤.

(٢) قوله «اللام زائدة» أي: والألف أيضاً، لأن أصل الاسم هو: «يَسَع» وهو معرفة فلا تدخله «أل» التعريف، إذ لا يتعرف الاسم من وجهين، وفي قراءة: «اللَّيْسَع»، أصله: «ليسع» نكرة، فدخلت عليه «أل التعريف»، وهو من أنبياء بني إسرائيل، وقد أُرسل إلى قوم «إلياس» بعد وفاته أي: إلى أهل بعلبك، وقيل: إلى «بانياس» إحدى مدن ساحل الشام، والله أعلم.

(٣) قوله تعالى: ﴿ويونس﴾ هو: «يونس بن مَتّى» و «متّى» هو اسم أبيه على الأصح، وهذا ما رواه الشيخان وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «ما ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى»، قال ابن عباس: «ونسبه إلى أبيه»، وهذا ما رجحه الحافظ ابن حجر في «الفتح»، وقيل: هو اسم أمه، وهو من بني إسرائيل، يعود نسبه إلى «بنيامين» شقيق «يوسف» عليه السَّلام، وهو «ذو النون» ــ أي: «صاحب الحوت» ــ أرسله الله تعالى إلى أهل «نينوى» من بلاد العراق، وكانوا من عبدة الأوثان، فغاضبوه فتركهم، ثم عاد إليهم فآمنوا جميعاً، كما سيأتي في سورة «الصافات» ص ٥٩٥.

﴿للعالمين﴾ الإنس والجن. ٩١﴿وما قدروا﴾ أي: اليهود ﴿الله حق قدره﴾ أي: ما عظموه حق عظمته، أو: ما عرفوه حق معرفته ﴿إذ قالوا﴾ للنبي ﷺ ــ وقد خاصموه في القرآن ــ: [يا محمد، أنزل الله عليك كتاباً؟ قال: «نعم» فقالوا:] ﴿ما أنزل الله على بشر من شيء قل﴾ لهم ﴿مَنْ أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس يجعلونه﴾ بالياء والتاء، في المواضع الثلاثة[1] ﴿قراطيس﴾ أي: يكتبونه في دفاتر مقطعة ﴿يبدونها﴾ أي: ما يحبون إبداءه منها ﴿ويخفون كثيراً﴾ مما فيها، كنعت محمد ﷺ ﴿وعُلِّمتم﴾ أيها اليهود في القرآن ﴿ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم﴾ من التوراة، ببيان ما التبس عليكم واختلفتم فيه ﴿قل الله﴾ أنزله، إن لم يقولوه، [فإنه] لا جواب غيره ﴿ثم ذرهم في خوضهم﴾ باطلهم ﴿يلعبون﴾ [«حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون»]. ٩٢﴿وهذا﴾ القرآن ﴿كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه﴾ قبله من الكتب ﴿ولتنذر﴾ بالتاء والياء، عطف على معنى ما قبله، أي: أنزلناه للبركة والتصديق، ولتنذر به ﴿أم القرى ومن حولها﴾ أي: أهل مكة وسائر الناس ﴿والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون﴾ خوفاً من عقابها، [أي: خوفاً من عقاب تاركها، وخص الصلاة بالذكر، لأنها أشرف العبادات، وأفضلها بعد الإيمان]. ٩٣﴿ومن﴾ أي: لا أحد ﴿أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾[2] بادعاء النبوة ولم يُنَبَّأ ﴿أو قال أوحي إليَّ ولم يوح إليه شيء﴾ نزلت في مسيلمة [الكذاب] ﴿و﴾ مِنْ ﴿من قال سأنزل مثل ما أنزل الله﴾ وهم: المستهزئون، قالوا: لو نشاء لقلنا مثل هذا ﴿ولو ترى﴾ يا محمد ﴿إذ الظالمون﴾ المذكورون ﴿في غمرات﴾ سكرات ﴿الموت والملائكة باسطو أيديهم﴾ إليهم بالضرب والتعذيب، يقولون لهم تعنيفاً: ﴿أخرجوا أنفسكم﴾ إلينا لنقبضها، [أو: خلِّصوها من العذاب إن استطعتم] ﴿اليوم تجزون عذاب الهون﴾ الهوان

لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ

(١) قوله: «في المواضع الثلاثة»، أي: «يجعلونه»، وفي: «يبدونها» و «يخفون» التاليين في هذه الآية.

(٢) قوله تعالى: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ الآية، قال القرطبي في هذه الآية قولاً حسناً ملخصه: أنها نزلت في مسيلمة الكذاب، والأسود العنسي، وسجاح زوجة مسيلمة، وكلهم تنبأ وزعم أن الله قد أوحى إليه. وأضاف: ومن هذا النمط مَنْ أعرض عن العلم والفقه والسُّنن، وما كان عليه السلف الصالح من السُّنن، فيقول: وقع في خاطري كذا... أو أخبرني قلبي بكذا... ــ أو: حدَّثني قلبي عن ربي ــ فيحكمون بما يقع في قلوبهم ويغلب على خواطرهم، ويزعمون أن ذلك لصفائها من الأكدار، وخلوها عن الأغيار، فتتجلى لهم العلوم الإلهية، والحقائق الربانية، فيستغنون بها عن أحكام الشرائع، ويزعمون: أن الخاصة لا يحتاجون لتلك النصوص. وهذا القول زندقة وكفر». اهـ.

ونقول: لقد ترك هؤلاء العبادات ــ كالصلاة ــ زاعمين أنها تنفع العامة فقط، أما من كان في مرتبتهم فليس مخاطباً بها، وهذا مذهب خطير يؤدي إلى تعطيل النصوص والعمل بالهوى، واتباعُ الهوى ضلال مبين.

بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ * إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ

﴿بما كنتم تقولون على الله غير الحق﴾ بدعوى النبوة والإيحاء كذباً ﴿وكنتم عن آياته تستكبرون﴾ تتكبرون عن الإيمان بها، وجواب «لو»: لرأيت أمراً فظيعاً. ٩٤﴿و﴾ يقال لهم إذا بُعثوا: ﴿لقد جئتمونا فرادى﴾ منفردين عن الأهل والمال والولد ﴿كما خلقناكم أول مرة﴾ أي: حفاةً عراةً[1]، غُرْلاً [كما كنتم قبل الختان، غير مقطوعي القُلفة] ﴿وتركتم ما خولناكم﴾ أعطيناكم من الأموال ﴿وراء ظهوركم﴾ في الدنيا بغير اختياركم ﴿و﴾ يقال لهم توبيخاً ﴿ما نرى معكم شفعاءكم﴾ الأصنام ﴿الذين زعمتم أنهم فيكم﴾ أي: في استحقاق عبادتكم ﴿شركاء﴾ لله ﴿لقد تقطع بينكم﴾ [بالرفع أي:] وصلُكم، أي: تشتت جمعكم، وفي قراءة بالنصب: ظرف، أي: وصلكم بينكم ﴿وضل﴾ ذهب ﴿عنكم ما كنتم تزعمون﴾ في الدنيا من شفاعتها.

٩٥﴿إن الله فالق﴾ شاق ﴿الحب﴾ عن النبات ﴿والنوى﴾ عن النخل ﴿يخرج الحي من الميت﴾ كالإنسان والطائر، من النطفة والبيضة[2] ﴿ومخرج الميت﴾ النطفة والبيضة ﴿من الحي ذلكم﴾ الفالق المخرج ﴿الله فأنى تؤفكون﴾ فكيف تصرفون عن الإيمان، مع قيام البرهان؟.

٩٦﴿فالق الإصباح﴾ مصدر بمعنى: الصبح أي: شاق عمود الصبح، وهو: أول ما يبدو من نور النهار، عن ظلمة الليل ﴿وجاعل الليل﴾ [بجر «الليل» بالإضافة، وفي قراءة «وجَعَلَ الليلَ» بنصبه مفعولاً لـ «جعل»] ﴿سكناً﴾ تسكن فيه الخلق من التعب ﴿والشمس والقمر﴾ بالنصب، عطفاً على محل «الليل»، [على قراءة الإضافة] ﴿حسباناً﴾ حساباً للأوقات، أو: الباء محذوفة، وهو حال من مقدر أي: يجريان بحسبان، كما في آية «الرحمن»: [«الشمس والقمر بحسبان»] ﴿ذلك﴾ المذكور ﴿تقدير العزيز﴾ في ملكه ﴿العليم﴾ بخلقه.

٩٧﴿وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر﴾ في الأسفار ﴿قد فصلنا﴾ بيّنا ﴿الآيات﴾ الدلالات على قدرتنا ﴿لقوم يعلمون﴾ يتدبرون.

٩٨﴿وهو الذي أنشأكم﴾ خلقكم ﴿من نفس واحدة﴾ هي: آدم ﴿فمستقر﴾ منكم في الرحم ﴿ومستودَع﴾ منكم في الصلب، وفي قراءة بفتح القاف، أي: مكان قرار لكم ﴿قد فصلنا الآيات

---

(١) قوله: «حفاة عراة غرلاً»، جاء ذلك في حديث الشيخين، عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يحشر الناس يوم القيامة حفاةً عراةً غُرْلاً» قلت: يا رسول الله، الرجال والنساء جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض؟! قال: «يا عائشة إن الأمر أشد من أن يُهمهم ذلك» وفي رواية: «الأمر أهم من أن ينظر بعضهم إلى بعض».

(٢) قوله: «كالإنسان والطائر من النطفة والبيضة»، ارجع إلى تعليقنا حول ذلك عند الآية المماثلة، ص ٦٧.

لقوم يفقهون﴾ ما يقال لهم. ٩٩ ﴿وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿به﴾ بالماء ﴿نبات كل شيء﴾ ينبت ﴿فأخرجنا منه﴾ أي: النبات شيئاً ﴿خضراً﴾ بمعنى: أخضر ﴿نخرج منه﴾ من «الخَضِر»[1] ﴿حباً متراكباً﴾ يركب بعضه بعضاً، كسنابل الحنطة ونحوها ﴿ومن النخل﴾ خبر، ويبدل منه: ﴿من طلعها﴾ أول ما يخرج منها، والمبتدأ ﴿قنوان﴾ [جمع «قِنْو»، أي:] عراجين [جمع «عُرجون»] ﴿دانية﴾ قريب بعضها من بعض ﴿و﴾ أخرجنا به ﴿جنات﴾ بساتين ﴿من أعناب والزيتون والرمان مشتبهاً﴾ ورقُهما، حال ﴿وغير متشابه﴾ ثمرهما ﴿انظروا﴾ يا مخاطبين نظر اعتبار ﴿إلى ثمره﴾ بفتح الثاء والميم وبضمهما، وهو جمع «ثمرة»، كـ «شجرة» و «شجَر»، و «خشبة» و «خُشُب» ﴿إذا أثمر﴾ أول ما يبدو، كيف هو؟ ﴿و﴾ إلى ﴿ينعه﴾ نضجه إذا أدرك، كيف يعود؟ ﴿إن في ذلكم لآيات﴾ دلالات على قدرته تعالى على البعث وغيره ﴿لقوم يؤمنون﴾ خُصُّوا بالذكر، لأنهم المنتفعون بها في الإيمان، بخلاف الكافرين. ١٠٠ ﴿وجعلوا لله﴾ مفعول ثان[2] ﴿شركاء﴾ مفعول أول، ويبدل منه: ﴿الجن﴾ [أو: «شركاء» مفعول ثان مقدم، و «الجن» مفعول أول مؤخر، أي: جعلوا الجنَّ شركاء لله]، حيث أطاعوهم في عبادة الأوثان ﴿و﴾ قد ﴿خلقهم﴾ فكيف يكونون شركاءه ﴿وخرقوا﴾ بالتخفيف والتشديد، أي: اختلقوا ﴿له بنين وبنات بغير علم﴾ حيث قالوا: عزير ابن الله، والملائكة بنات الله ﴿سبحانه﴾ تنزيهاً له ﴿وتعالى عما يصفون﴾ بأن له ولداً. ١٠١ هو ﴿بديع السماوات والأرض﴾ مبدعهما من غير مثال سبق ﴿أنى﴾ كيف ﴿يكون له ولد ولم تكن له صاحبة﴾ زوجة ﴿وخلق كل شيء﴾ من شأنه أن يُخلق ﴿وهو بكل شيء عليم﴾.

١٠٢ ﴿ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه﴾ وحِّدوه ﴿وهو على كل شيء وكيل﴾ حفيظ. ١٠٣ ﴿لا تدركه الأبصار﴾ أي: لا تراه، وهذا مخصوص، برؤية المؤمنين له في الآخرة [ارجع إلى ص ٢٧٠] لقوله تعالى: «وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة»، وحديث الشيخين: «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر»، وقيل: المراد، لا تحيط به، [وهذا قول جمهور المفسرين] ﴿وهو يدرك الأبصار﴾ أي: يراها ولا تراه، ولا يجوز في غيره [تعالى]، أن يدرك البصَرَ، وهو لا يدركه، أو: يحيط بها علماً ﴿وهو اللطيف﴾ بأوليائه

لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ

(١) قوله: «من الخضر» وهي المعروفة في الاصطلاح العلمي اليوم بـ «المادة الخضراء» ــ الـ «كلوروفيل» ــ.

(٢) قوله: «مفعول ثان»، هذا وجه أجازه الزمخشري وغيره، واستبعده كثيرون، والظاهر أن: «لله» متعلق بـ «شركاء» ــ المفعول الثاني المقدم ــ و «الجنّ» هو المفعول الأول المؤخر، كما بينا في متن التفسير.

﴿الخبير﴾ بهم. ١٠٤ قل يا محمد لهم: ﴿قد جاءكم بصائر﴾ حجج ﴿من ربكم فمن أبصر﴾ ها فآمن ﴿فلنفسه﴾ أبصر، لأن ثواب إبصاره له ﴿ومن عمي﴾ عنها فضلّ ﴿فعليها﴾ وبال إضلاله ﴿وما أنا عليكم بحفيظ﴾ رقيب لأعمالكم، إنما أنا نذير. ١٠٥ ﴿وكذلك﴾ كما بينا ما ذكر ﴿نصرف﴾ نبين ﴿الآيات﴾ ليعتبروا ﴿وليقولوا﴾ أي: الكفار في عاقبة الأمر ﴿دارست﴾ ذاكرت أهل الكتاب، [فتعلمت منهم]، وفي قراءة «درست»، أي: [قرأت] كتب الماضين، وجئت بهذا منها ﴿ولنبينه لقوم يعلمون﴾. ١٠٦ ﴿اتبع ما أوحي إليك من ربك﴾ أي: القرآن ﴿لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين﴾. ١٠٧ ﴿ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظاً﴾ رقيباً، فتجازيهم بأعمالهم ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ فتجبرهم على الإيمان، وهذا قبل الأمر بالقتال. ١٠٨ [أخرج عبد الرزاق، عن قتادة السَّدوسي قال: كان المسلمون يسبون أصنام الكفار، فيسب الكفارُ الله، فأنزل الله تعالى:] ﴿ولا تسبوا الذين[1] يدعون﴾ هم ﴿من دون الله﴾ أي: [لا تسبوا] الأصنام ﴿فيسبوا﴾ [أي: فيسبَّ عابدوها] ﴿الله عدواً﴾ اعتداءً وظلماً ﴿بغير علم﴾ أي: جهلاً منهم بالله ﴿كذلك﴾ كما زينا لهؤلاء ما هم عليه ﴿زينا لكل أمة عملهم﴾ من الخير والشر فأتوه ﴿ثم إلى ربهم مرجعهم﴾ في الآخرة ﴿فينبئهم بما كانوا يعملون﴾ فيجازيهم به.

١٠٩ ﴿وأقسموا﴾ أي: كفار مكة ﴿بالله جهد أيمانهم﴾ أي: غاية اجتهادهم فيها ﴿لئن جاءتهم آية﴾ مما اقترحوا ﴿ليؤمنن بها قل﴾ لهم ﴿إنما الآيات عند الله﴾ ينزلها كما يشاء، وإنما أنا نذير ﴿وما يشعركم﴾ يدريكم بإيمانهم إذا جاءت، أي: أنتم لا تدرون ذلك ﴿إنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾ لما سبق في علمي، وفي قراءة: بالتاء خطاباً للكفار، وفي أخرى: [«أنها»] بفتح «إن» بمعنى: «لعل»، أو: معمولة لما قبلها.

١١٠ ﴿ونقلب أفئدتهم﴾ نحوّل قلوبهم عن الحق، فلا يفهمونه ﴿وأبصارهم﴾ عنه فلا يبصرونه ولا يؤمنون ﴿كما لم

ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ

(١) قوله تعالى: ﴿ولا تسبوا الذين﴾ الآية ١٠٨. قال أبو بكر ابن العربي رحمه الله في «أحكام القرآن»:

اتفق العلماء على أن معنى الآية: لا تسبوا آلهة الكفار فيسبوا إلٰهكم، وكذلك هو، فإن السبَّ في غير الحُجَّة فعل الأدنياء، فمنع الله تعالى في كتابه أحداً أن يفعل فعلاً يؤدي إلى محظور، ولأجل هذا تعلق علماؤنا بهذه الآية في «سد الذرائع»، وهو: كل عقد ــ أو فعل ــ جائز في الظاهر، يؤول أو يمكن أن يتوصل به إلى محظور. اهـ. أي: ما أدى إلى شيء أخذ حكمه، وإن لم يكن هو كذلك، فما أدى إلى الحرام فهو حرام، وما أدى إلى المكروه فهو مكروه، وما لا يتم الواجب إلاّ به فهو واجب، كالأكل ــ مثلاً ــ فهو في الأصل مباح، ولحفظ الحياة واجب، وهو مكروه فوق الحاجة، وإن بلغ حدود الضرر فهو حرام.

يؤمنوا به﴾ أي: بما أنزل من الآيات ﴿أول مرة ونذرهم﴾ نتركهم ﴿في طغيانهم﴾ ضلالهم ﴿يعمهون﴾ يترددون متحيرين.

١١١ ﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى﴾ كما اقترحوا ﴿وحشرنا﴾ جمعنا ﴿عليهم كل شيء قبلاً﴾ بضمتين، جمع «قبيل» [أي:] فوجاً فوجاً، وبكسر القاف وفتح الباء، أي: معاينة، فشهدوا بصدقك ﴿ما كانوا ليؤمنوا﴾[1] لما سبق في علم الله ﴿إلاّ﴾ لكن ﴿أن يشاء الله﴾ إيمانهم فيؤمنوا ﴿ولكن أكثرهم يجهلون﴾ ذلك.

يُؤْمِنُوا بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ

١١٢ ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً﴾ كما جعلنا هؤلاء أعداءك، ويبدل منه: ﴿شياطين﴾ مردة ﴿الإنس والجن﴾[2] يوحي﴾ يوسوس ﴿بعضهم إلى بعض زخرف القول﴾ مُمَوَّهَهُ من الباطل ﴿غروراً﴾ أي: ليغروهم ﴿ولو شاء ربك ما فعلوه﴾ أي: الإيحاء المذكور ﴿فذرهم﴾ دع الكفار ﴿وما يفترون﴾ من الكفر وغيره، مما زيِّن لهم، وهذا قبل الأمر بالقتال.

١١٣ ﴿ولتصغى﴾ عطف على «غروراً»، أي: تميلَ ﴿إليه﴾ أي: الزخرف ﴿أفئدة﴾ قلوب ﴿الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا﴾ يكتسبوا ﴿ما هم مقترفون﴾ من الذنوب، فيعاقبوا عليه.

١١٤ ونزل لما طلبوا من النبي ﷺ، أن يجعل بينه وبينهم حكماً، قل: ﴿أفغير الله أبتغي﴾ أطلب ﴿حكماً﴾ قاضياً بيني وبينكم ﴿وهو الذي أنزل إليكم الكتاب﴾ القرآن ﴿مفصلاً﴾ مبيناً فيه الحق من الباطل ﴿والذين آتيناهم الكتاب﴾ التوراة، كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿يعلمون أنه منزل﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين﴾ الشاكِّين فيه، والمراد بذلك التقريرُ للكفار أنه حق.

١١٥ ﴿وتمت كلمة ربك﴾ بالأحكام والمواعيد ﴿صدقاً وعدلاً﴾ تمييز ﴿لا مبدل لكلماته﴾ بنقضٍ أو: خُلْفٍ ﴿وهو السميع﴾ لما يقال

---

(١) قوله تعالى: ﴿ما كانوا ليؤمنوا﴾. هذا حال الجاحدين والمعاندين في كل زمان، لا يقبل أحدهم الحق ولو لمسه بيده، فعقليتهم في الماضي والحاضر واحدة لم تتبدل، لأن قلوبهم عمياء قاسية لا تعي، ولا تلين لذكر الله وما نزل من الحق.

(٢) قوله تعالى: ﴿شياطين الإنس والجن﴾ ومثله قوله تعالى في سورة «الناس»: ﴿من الجنّة والناس﴾، فيه بيان وجود شياطين من الجن هم: إبليس وذريته وجنوده، وشياطين من الإنس هم: أصحاب الضلال والفسوق من بني آدم، الذين يَغُرُّون الناس ويخدعونهم بكلامهم المعسول وقولهم المزخرف، فيضلونهم عن طريق الحق، وأكثر شياطين الإنس، هم من الذين يزعمون أنهم «الأصحاب» و«الأصدقاء»، لذلك قال تعالى: ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلاّ المتقين﴾. ارجع إلى تعليقنا حول «إبليس» ص ٣٨٨.

﴿العليم﴾ بما يفعل. ١١٦﴿وإن تطع أكثر من في الأرض﴾ أي: الكفار ﴿يضلوك عن سبيل الله﴾ دينه ﴿إن﴾ ما ﴿يتبعون إلاَّ الظن﴾ في مجادلتهم لك في أمر الميتة، إذ قالوا: ما قَتَلَ الله، أحقُّ أن تأكلوه مما قتلتم ﴿وإن﴾ ما ﴿هم إلاَّ يخرصون﴾ يكذبون في ذلك.

١١٧﴿إن ربك هو أعلم﴾ أي: عالم ﴿من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ فيجازي كلاًّ منهم.

١١٨﴿فكلوا مما ذكر اسم الله عليه﴾[1] أي: ذُبح على اسمه ﴿إن كنتم بآياته مؤمنين﴾.

١١٩﴿وما لكم أن لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه﴾ من الذبائح ﴿وقد فصل﴾ بالبناء للمفعول وللفاعل، في الفعلين [أي: «فصل» و «حرم»] ﴿لكم ما حرم عليكم﴾ في آية «حُرمت عليكم الميتة» [من «سورة المائدة»] ﴿إلاَّ ما اضطررتم إليه﴾ منه، فهو أيضاً حلال لكم، [في حدود الضرورة][2]، المعنى: لا مانع لكم من أكل ما ذُكر، وقد بين لكم المحرَّم أكلُه، وهذا ليس منه، ﴿وإن كثيراً ليضلون﴾ بفتح الياء وضمها ﴿بأهوائهم﴾ بما تهواه أنفسهم، من تحليل الميتة وغيرها ﴿بغير علم﴾ يعتمدونه في ذلك ﴿إن ربك هو أعلم بالمعتدين﴾ المتجاوزين الحلال إلى الحرام.

١٢٠﴿وذروا﴾ اتركوا ﴿ظاهر الإثم وباطنه﴾ علانيته وسره، و «الإثم» قيل: الزنا، وقيل: كل معصية [وهو الأولى] ﴿إن الذين يكسبون الإثم سيجزون﴾ في الآخرة ﴿بما كانوا يقترفون﴾ يكتسبون.

١٢١﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه﴾ بأن مات أو ذبح على اسم غيره، وإلاَّ فما ذبحه المسلم، ولم يسمِّ فيه عمداً أو نسياناً، فهو حلال، قاله ابن عباس، وعليه الشافعي ﴿وإنه﴾ أي: الأكل منه ﴿لفسق﴾ خروج عما يحلُّ ﴿وإن الشياطين ليوحون﴾ يوسوسون ﴿إلى أوليائهم﴾ الكفار ﴿ليجادلوكم﴾ في تحليل الميتة ﴿وإن أطعتموهم﴾ فيه ﴿إنكم لمشركون﴾.

ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَـٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا۟ ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾

---

(١) قوله تعالى: ﴿فكلوا مما ذكر اسم الله عليه...﴾ الآيات. الصحيح: أن هذه الآيات، نزلت رداً على المشركين من العرب، الذين قالوا للمسلمين: تأكلون مما قتلتم ولا تأكلون مما قتل الله؟ يعنون: الميتة، روى ذلك أبو داود والطبراني وابن ماجه، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وفي بعض الروايات: أن قائل ذلك هم اليهود، ويردُّه: أن اليهود لا يرون إباحة الميتة حتى يجادلوا فيها، وأن الآية في سورة «الأنعام» وهي مكية، وأنه ليس في أكثر الروايات ذكر اليهود.

(٢) قولنا: «في حدود الضرورة»، «الضرورة»: هي الحالة الملجئة لتناول ما هو ممنوع شرعاً، فهي عذر لصاحبها، تسمح له بتعاطي المحرم كالخمر والميتة بما يدفعها، لأن الضرورات تبيح المحظورات، ولأن الضرورة ضرر، و «الضرر يُزال».

١٢٢ ونزل في أبي جهل وغيره [من الكافرين]: ﴿أَوَمَنْ كان ميتاً﴾[1] بالكفر ﴿فأحييناه﴾ بالهدى ﴿وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس﴾ يتبصر به الحق من غيره، وهو: الإيمان ﴿كمن مثله﴾ «مَثَل» زائدة، أي: كمن هو ﴿في الظلمات ليس بخارج منها﴾ وهو الكافر؟ لا ﴿كذلك﴾ كما زُين للمؤمنين الإيمان ﴿زين للكافرين ما كانوا يعملون﴾ من الكفر والمعاصي.

١٢٣ ﴿وكذلك﴾ كما جعلنا فُسّاق مكة أكابرها ﴿جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها﴾ بالصَّدّ عن الإيمان ﴿وما يمكرون إلاّ بأنفسهم﴾ لأن وباله عليهم ﴿وما يشعرون﴾ بذلك. ١٢٤ ﴿وإذا جاءتهم﴾ أي: أهل مكة ﴿آية﴾ على صدق النبي ﷺ ﴿قالوا لن نؤمن﴾ به ﴿حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله﴾ من الرسالة والوحي إلينا، لأننا أكثر مالاً وأكبر سناً، قال تعالى: ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ بالجمع والإفراد، و«حيث» مفعول به لفعل دل عليه «أعلم»، أي: يعلم الموضع الصالح لوضعها فيه فيضعها، وهؤلاء ليسوا أهلاً لها، [وذلك أنهم قالوا: «لولا أُنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم»، أي: مكة والطائف] ﴿سيصيب الذين أجرموا﴾ بقولهم ذلك ﴿صغار﴾ ذل ﴿عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون﴾ أي: بسبب مكرهم.

١٢٥ ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾ بأن يقذف في قلبه نوراً، فينفسح له ويقبله، كما ورد في حديث [أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات»، وعبد الرزاق في «المصنَّف»، وابن المبارك في «الزهد»] ﴿ومن يرد﴾ الله ﴿أن يضله يجعل صدره ضيقاً﴾ بالتخفيف والتشديد: عن قبوله ﴿حرجاً﴾ شديد الضِّيق، بكسر الراء صفة، وفتحها مصدر، وُصِفَ فيه مبالغة ﴿كأنما يصعّد﴾ وفي قراءة «يصّاعد»، وفيهما إدغام التاء في الأصل في الصاد، وفي أخرى بسكونها ﴿في السماء﴾ إذا كُلِّفَ الإيمان، لشدته عليه ﴿كذلك﴾ [أي: مثل ذلك] الجَعْل ﴿يجعل الله الرجس﴾ العذاب، أو: الشيطان، أي: يسلّطه ﴿على الذين لا يؤمنون﴾ ١٢٦ ﴿وهذا﴾ الذي أنت عليه يا محمد ﴿صراط﴾ طريق ﴿ربك مستقيماً﴾ لا عوج فيه، ونصبه على الحال المؤكِّدة للجملة، والعامل فيها معنى الإشارة

أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَـٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَـٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَـٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ

(١) قوله تعالى: ﴿أَوَمَنْ كان ميتاً فأحييناه﴾، إن الحياة الكاملة النافعة هي حياة القلب بالإيمان، والمؤمن هو الحي الذي يعرف معنى الحياة، أما الكافر فهو وإن كان حياً في جسده إلاّ أنه ميت القلب، وما قيمة حياة الجسد إذا كان القلب ميتاً والبصيرة عمياء؟.

﴿قد فصلنا﴾ بيّنا ﴿الآيات لقوم يذكرون﴾ فيه إدغام التام في الأصل في الذال، أي: يتعظون، وخُصُّوا بالذكر، لأنهم هم المنتفعون. ١٢٧﴿لهم دار السلام﴾ أي: السلامة، وهي: الجنة ﴿عند ربهم وهو وليهم﴾ [في الدنيا بنصره وهداه، وفي الآخرة برحمته ورضاه] ﴿بما كانوا يعملون﴾. ١٢٨﴿و﴾ اذكر ﴿يوم نحشرهم﴾ بالنون والياء، أي: [يحشر] الله الخلق ﴿جميعاً﴾ ويقال لهم: ﴿يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس﴾ بإغوائكم ﴿وقال أولياؤهم﴾ الذين أطاعوهم ﴿من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض﴾ انتفع الإنسُ بتزيين الجن لهم الشهوات، والجنُّ بطاعة الإنس لهم ﴿وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا﴾ وهو يوم القيامة، وهذا تَحَسُّرٌ منهم ﴿قال﴾ تعالى لهم على لسان

قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ * لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ

الملائكة: ﴿النار مثواكم﴾ مأواكم ﴿خالدين فيها إلا ما شاء الله﴾(١) من الأوقات التي يخرجون فيها لشرب الحميم، فإنه خارجها، كما قال: «ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم»، وعن ابن عباس: أنه فيمن علم الله أنهم يؤمنون، فـ«ما» بمعنى: «مَنْ» ﴿إن ربك حكيم﴾ في صنعه ﴿عليم﴾ بخلقه.

١٢٩﴿وكذلك﴾ كما متّعنا عصاة الإنس والجن، بعضَهم ببعض ﴿نولّي﴾ من الولاية ﴿بعض الظالمين بعضاً﴾ أي: على بعض ﴿بما كانوا يكسبون﴾ من المعاصي.

١٣٠﴿يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم﴾ أي: من مجموعكم، أي: بعضكم الصادق بالإنس، ورسل الجن: نُذُرهم الذين يستمعون كلام الرسل، فيبلغون قومهم ﴿يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا﴾ أن قد بَلَغَنا [ذلك من الرسل]، قال تعالى: ﴿وغرتهم الحياة الدنيا﴾ فلم يؤمنوا ﴿وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين﴾.

١٣١﴿ذلك﴾ أي: إرسال الرسل ﴿أن﴾ اللام مقدرة، وهي مخففة، أي: لأنه ﴿لم يكن ربك مهلك القرى بظلم﴾ منها ﴿وأهلها غافلون﴾ لم يرسل إليهم رسولاً يبين لهم.

١٣٢﴿ولكل﴾ من العاملين ﴿درجات﴾ جزاء

---

(١) قوله تعالى: ﴿خالدين فيها إلا ما شاء الله﴾.

لقد تكرر هذا الاستثناء مرات في القرآن الكريم، فلا يفهمنّ أحد، أن خلود الكافرين في النار معلق بالمشيئة، بحيث يمكن أن يخرجوا منها ولو بعد حين، فخلود الكافرين في العذاب أبدي لا ينتهي، وقد قطعت الجدل حوله آياتُ القرآن الصريحة، مثل قوله تعالى: ﴿يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها﴾، قلنا هذا قبل البحث في المراد بهذا الاستثناء، حسماً لأيّ جدل، وقطعاً للشك، إذ هو أمر خطير تجرأ عليه بعض الزنادقة، فقالوا بعدم استمرار العذاب إلى ما لا نهاية له للكافرين.


أما الاستثناء ــ ﴿إلاّ ما شاء الله﴾ ــ الوارد في هذه الآية، وفي قوله تعالى في سورة «هود»: ﴿فأما الذين شَقُوا ففي النار خالدين =

﴿مما عملوا﴾ من خير وشر ﴿وما ربك بغافل عما يعملون﴾ بالياء والتاء. ١٣٣﴿وربك الغني﴾ عن خلقه وعبادتهم ﴿ذو الرحمة إن يشأ يذهبكم﴾ يا أهل مكة، بالإهلاك ﴿ويستخلف من بعدكم ما يشاء﴾ من الخلق ﴿كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين﴾ أذهبهم، ولكنه أبقاكم رحمة لكم. ١٣٤﴿إن ما توعدون﴾ من الساعة والعذاب ﴿لآت﴾ لا محالة ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ فائتين عذابنا. ١٣٥﴿قل﴾ لهم ﴿يا قوم اعملوا على مكانتكم﴾ حالتكم ﴿إني عامل﴾ على حالتي ﴿فسوف تعلمون من﴾ موصولة، مفعول العلم ﴿تكون له عاقبة الدار﴾ أي: العاقبة المحمودة في الدار الآخرة، أنحن أم أنتم؟ ﴿إنه لا يفلح﴾ يَسْعَد ﴿الظالمون﴾ الكافرون. ١٣٦﴿وجعلوا﴾ أي: كفار مكة ﴿لله مما ذرأ﴾ خلق ﴿من الحرث﴾ الزرع ﴿والأنعام نصيباً﴾ يصرفونه إلى الضيفان والمساكين، ولشركائهم نصيباً، يصرفونه إلى سدنتها ﴿فقالوا هذا لله بزَعمهم﴾ بالفتح والضم، [أي: بفتح الزاي وضمها، قراءتان سبعيتان] ﴿وهذا لشركائنا﴾ فكانوا إذا سقط في نصيب الله شيء من نصيبها التقطوه، أو: في نصيبها شيء من نصيبه تركوه، وقالوا: إن الله غني عن هذا، كما قال تعالى: ﴿فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله﴾ أي: لجهته ﴿وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء﴾ بئس ﴿ما يحكمون﴾ [أي:] حُكْمُهم هذا.

١٣٧﴿وكذلك﴾ كما زُين لهم ما ذُكر ﴿زَين لكثير من المشركين قتل أولادهم﴾ بالوأد ﴿شركاؤهم﴾ من الجن، بالرفع فاعل «زين»، وفي قراءة: ببنائه للمفعول، ورفع «قتل»، ونصب الأولاد به، وجر «شركائهم» بإضافته، وفيه الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول، ولا يضر، وإضافة القتل إلى الشركاء، لأمرهم به ﴿ليردوهم﴾ يهلكوهم ﴿وليلبسوا﴾ يخلطوا ﴿عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون﴾.

سُورَةُ الأَنْعَامِ ٦

مِمَّا عَمِلُوا۟ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾

= فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك﴾. الآية «١٠٦ ص ٣٠٠». ففي توجيهه أقوال كثيرة لعل أقربها هو: أن الآية في أولها، تعني جميع الخلق، كفاراً ومؤمنين عُصاةً، ثم جاء التهديد بالعذاب والخلود فيه للكافرين، مع استثناء المؤمنين من الخلود إذا دخلوا النار، لأنهم يخرجون منها بشفاعة الشافعين، ومن لم تنله شفاعة، خرج برحمة أرحم الراحمين، ولا يبقى في النار، إلا من وجب عليه الخلود فيها من الكافرين، قال ابن كثير: وهذا الذي عليه كثير من العلماء قديماً وحديثاً، واختاره الطبري، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما.

أما الاستثناء الآخر في قوله تعالى في سورة «هود»: ﴿فأما الذين سُعِدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك﴾. «الآية ١٠٧ ص ٣٠٠». فقال فيه ابن كثير رحمه الله: معنى الاستثناء ها هنا، أن دوامهم فيما هم فيه من النعيم، ليس أمراً واجباً بذاته، بل هو موكول إلى مشيئة الله تعالى، فله المنة عليهم دائماً. اهـ. أي: لو شاء الله عدم خلودهم لما كان لهم خلود، ولكنّ خلودهم واجب الوقوع، لأن الله تعالى وعدهم به ووعده تعالى لا يُخْلَفُ، وقال قتادة السَّدوسي: الله أعلم بثُنَيَّاه، أي: بمراده بهذا الاستثناء.

١٣٨ ﴿وقالوا هذه أنعام وحرث حجر﴾ حرام ﴿لا يطعمها إلا من نشاء﴾ من خدَمة الأوثان وغيرهم ﴿بزعمهم﴾ أي: لا حجة لهم فيه ﴿وأنعام حرمت ظهورها﴾ فلا تُركب، كالسوائب والحوامي[1] ﴿وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها﴾ عند ذبحها، بل يذكرون اسم أصنامهم، ونسبوا ذلك إلى الله ﴿افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون﴾ عليه.

١٣٩ ﴿وقالوا ما في بطون هذه الأنعام﴾ المحرمة، وهي: السوائب والبحائر ﴿خالصة﴾ حلال ﴿لذكورنا ومحرم على أزواجنا﴾ أي: النساء ﴿وإن يكن ميتة﴾ بالرفع [باعتبار «كان» تامة]، والنصب، مع تأنيث الفعل وتذكيره [على قراءتي الرفع والنصب، فهي أربع قراءات سبعية] ﴿فهم فيه شركاء سيجزيهم﴾ الله ﴿وصفهم﴾ ذلك، بالتحليل والتحريم، أي: جزاءه ﴿إنه حكيم﴾ في صنعه ﴿عليم﴾ بخلقه.

١٤٠ ﴿قد خسر الذين قتلوا﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿أولادهم﴾ بالوأد ﴿سفهاً﴾ جهلاً ﴿بغير علم وحرموا ما رزقهم الله﴾ مما ذكر ﴿افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين﴾.

١٤١ ﴿وهو الذي أنشأ﴾ خلق ﴿جنات﴾ بساتين ﴿معروشات﴾ مبسوطات على الأرض، كالبطيخ ﴿وغير معروشات﴾ بأن ارتفعت على ساق، كالنخل ﴿و﴾ أنشأ ﴿النخل والزرع مختلفاً أكله﴾ ثمره وحبه، في الهيئة والطعم ﴿والزيتون والرمان متشابهاً﴾ ورقُهما، حال ﴿وغير متشابه﴾ طعمهما ﴿كلوا من ثمره إذا أثمر﴾ قبل النضج ﴿وآتوا حقه﴾ زكاته[2] ﴿يوم حصاده﴾ بالفتح والكسر، من العُشر [فيما سُقي بماء المطر]، أو: نصفه [فيما سُقي بآلة] ﴿ولا تسرفوا﴾ بإعطاء كله[3]، فلا يبقى لعيالكم شيء ﴿إنه لا يحب المسرفين﴾ المتجاوزين ما حد لهم.

١٤٢ ﴿و﴾ أنشأ ﴿من الأنعام

وَقَالُوا۟ هَـٰذِهِۦٓ أَنْعَـٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَـٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَـٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَـٰذِهِ ٱلْأَنْعَـٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعْرُوشَـٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَـٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ

(١) قوله: «كالسوائب والحوامي» جمع «سائبة»، و«حام». تقدم بيان معناها ص ١٥٧

(٢) هذا أحد قولين في الآية، والقول الآخر: هي الصدقة في الحبوب والثمار غير الزكاة.

(٣) قوله: «بإعطاء كله فلا يبقى لعيالكم شيء»، إن تفسير الإسراف بهذا، هو قول محمد بن مروان المعروف بالسُّدِّي الصغير، وهو قول غير قوي، وفسره بعضهم بمنع الزكاة وهو غريب، لأن منعها من أبواب البخل لا الإسراف، إلا إذا أراد: أنهم أسرفوا على أنفسهم بالبخل، والصحيح الذي اختاره ابن جرير الطبري، قول عطاء بن أبي رباح، رحمه الله ــ كما نقله عنه ابن كثير ــ: أنه نهي عن الإسراف في كل شيء. ولا شك أنه صحيح، لكن الظاهر ــ والله أعلم ــ من سياق الآية، أن يكون عائداً على الأكل، أي: لا تسرفوا في الأكل، لما فيه من مضرة العقل والبدن كقوله تعالى: ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾ وفي صحيح البخاري تعليقاً عن النبي ﷺ قال: «كلوا واشربوا والبسوا، من غير إسراف ولا مَخيلَة»، وهذا من هذا والله أعلم. اهـ. ارجع إلى تعليقنا حول «الإسراف والتبذير» ص ٣٦٨.

حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ

﴿حَمُولة﴾ صالحة للحمل عليها، كالإبل الكبار ﴿وفرشاً﴾ لا تصلح له، كالإبل الصغار والغنم، سميت «فرشاً»، لأنها كالفرش للأرض، لدنوها منها، [وللآية وجه آخر هو: أن للأنعام منفعتين، إحداهما: استعمالها للحمل، والثانية: الفرش المتخذ من أشعارها وأوبارها وجلودها] ﴿كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ طرائقه، من التحريم والتحليل ﴿إنه لكم عدو مبين﴾ بيِّن العداوة.

١٤٣ ﴿ثمانية أزواج﴾ أصناف، بدل من «حَمولة وفرشاً»، [أي: أنشأ من الأنعام حَمولةً وفرشاً، ثمانيةَ أزواج] ﴿من الضأن﴾ زوجين ﴿اثنين﴾ ذكر وأنثى ﴿ومن المعز﴾ بالفتح والسكون ﴿اثنين قل﴾ يا محمد، لمن حرم ذكور الأنعام تارة، وإناثها أخرى، ونَسَب ذلك إلى الله: ﴿آلذَّكرين﴾ من الضأن والمعز ﴿حرم﴾ الله عليكم ﴿أم الأنثيين﴾ منهما ﴿أمَّا اشتملت عليه أرحام الأنثيين﴾ [وهو الجنين]، ذكراً كان أو أنثى؟ ﴿نبئوني بعلم﴾ عن كيفية تحريم ذلك ﴿إن كنتم صادقين﴾ فيه، المعنى: من أين جاء التحريم؟ فإن كان من قبل الذكورة، فجميع الذكور حرام، أو [من قبل] الأنوثة، فجميع الإناث، أو: [من قبل] اشتمال الرحم، فالزوجان [حرام]، فمن أين التخصيص؟، والاستفهام للإنكار.

١٤٤ ﴿ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين أم﴾ بل أ﴿كنتم شهداء﴾ حضوراً ﴿إذ وصاكم الله بهذا﴾ التحريم فاعتمدتم ذلك؟ لا، بل أنتم كاذبون فيه ﴿فمن﴾ أي: لا أحد ﴿أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ بذلك ﴿ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾.

١٤٥ ﴿قل لا أجد فيما أوحي إلي﴾ شيئاً ﴿محرماً على طاعم يطعمه إلَّا أن يكون﴾ بالياء والتاء ﴿ميتة﴾ بالنصب، وفي قراءة [ثالثة: «تكون مَيْتةٌ»] بالرفع مع التحتانية[1] ﴿أو دماً مسفوحاً﴾ سائلاً، بخلاف غيره، كالكبد والطِّحال، [فهما حلال][2] ﴿أو لحم خنزير فإنه رجس﴾ [نجس] حرام ﴿أو﴾ إلَّا أن يكون ﴿فسقاً أهل لغير الله به﴾ أي: ذُبح على اسم غيره ﴿فمن اضطر﴾ إلى شيء مما ذكر فأكله ﴿غير باغ ولا عاد فإن ربك

---

(١) قوله: «بالرفع مع التحتانية» هو هكذا في المخطوطتين والنسخ المطبوعة ــ وهو سبق قلم، إذ لم يقرأ به أحد ــ وصوابه: «بالرفع مع الفوقانية» أي: «تكونَ ميتةٌ» كما أثبتناها في متن التفسير.

(٢) قولنا: «فهما حلال» لما رواه أحمد والبيهقي والحاكم، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «أحلت لنا ميتتان ودمان، فأما الميتتان: فالحوت ــ أي: السمك ــ والجراد، وأما الدمان: فالكَبِدُ والطِّحال». وهذا حديث موقوف على ابن عمر على الصحيح، قال البيهقي: هذا إسناد صحيح وهو في معنى المسند، وقال النووي: هو ــ وإن كان الصحيحُ وقفَه ــ في حكم المرفوع، إذ لا يقال من قِبَل الرأي، أي: =

غفور﴾ لـه ما أكـل ﴿رحيم﴾ بـه، ويلحق بمـا ذُكـر بالسُّنة: كلُّ ذي ناب من السباع، ومخلبٍ من الطير، [قال ﷺ: «كـلّ ذي نـاب مـن السبـاع، فأكلـه حـرام» رواه مسلم، وزاد في روايـة أخـرى لـه: «وكـلّ ذي مخلـب مـن الطيـر»].
١٤٦ ﴿وعلـى الذيـن هـادوا﴾ أي: اليهـود ﴿حرمنـا كـل ذي ظفـر﴾ وهـو: ما لم تفرق أصابعه، كالإبل والنّعام ﴿ومن البقـر والغنـم حرمنـا عليـهم شحومهمـا﴾ الثُّروب، [جمـع «ثَـرْب»، وهـو هنـا: الشحم الذي يغشـى الكرش فقـط]، وشحم الكلى ﴿إلاّ ما حملت ظهورهما﴾ أي: ما علق بها منه ﴿أو﴾ حملته ﴿الحوايا﴾ الأمعاء، جمع «حاوياء» أو «حاوية» ﴿أو ما اختلط بعظم﴾ منه، وهو: شحم الأَلْيَة، [ـ بفتح الهمزة وسكون اللام ـ]، فإنه قد أُحل لهم ﴿ذلك﴾ التحريم ﴿جزيناهم﴾ به ﴿ببغيهم﴾ بسبب ظلمهم، بما سبق في سورة «النساء»، [في قوله تعالى: «فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم»] ﴿وإنا لصادقون﴾ في أخبارنا ومواعيدنا. ١٤٧ ﴿فإن كذبوك﴾ فيما جئت به ﴿فقل﴾ لهم ﴿ربكم ذو رحمة واسعة﴾ حيث لم يعاجلكم بالعقوبة، وفيه تلطف بدعائهم إلى الإيمان ﴿ولا يرد بأسه﴾ عذابه إذا جاء ﴿عن القوم المجرمين﴾. ١٤٨ ﴿سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا﴾[1] نحن ﴿ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء﴾ فإشراكنا وتحريمنا بمشيئته، فهو راض به، قال تعالى ﴿كذلك﴾ كما كذَّب هؤلاء ﴿كذب الذين من قبلهم﴾ رسلهم ﴿حتى ذاقوا بأسنا﴾ عذابنا ﴿قل هل عندكم من علم﴾ بـأن الله راضٍ بـذلـك ﴿فتخرجـوه لنـا؟﴾ أي: لا علم عندكم ﴿إن﴾ ما ﴿تتبعون﴾ في ذلك ﴿إلاّ الظن وإن﴾ ما ﴿أنتم إلاّ تخرصون﴾ تكذبون فيه. ١٤٩ ﴿قل﴾ إن لم تكن لكم حجة ﴿فلله الحجة البالغة﴾ التامة ﴿فلو شاء﴾ هدايتكم ﴿لهداكم أجمعيـن﴾. ١٥٠ ﴿قـل هلـم﴾ أحضـروا ﴿شهداءكـم الـذيـن يشهـدون أن الله حـرم هذا﴾ الذي حرمتموه ﴿فإن شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الـذيـن كـذبوا بـآيـاتنـا

غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا

= فيتم به الاحتجاج، فالكبد حلال بالإجماع، وخالف في «الطحال» من لا يعتد بخلافه، وأما ميتة البحر فحلال أيضاً لحديث ابن عمر المذكور ولما رواه أصحاب السنن الأربعة وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «هو الطَّهور ماؤه الحِلُّ مَيْتَتُهُ» وهو حديث صحيح.

(١) قوله تعالى: ﴿لو شاء الله ما أشركنا﴾ هكذا قال المشركون، مُبَرِّرين ـ في ظنهم ـ كفرهم، ومثل قولهم هذا يقول ضعاف الإيمان، الذين إذا قيل لأحدهم «لماذا لا تصلي؟» أجابك: «حتى الله يريد».

صحيح أن كل شيء يحدث، فعلاً أو تركاً، هو بمشيئة الله تعالى وإرادته، ولكن على هؤلاء أن لا ينسوا، أن علم الله تعالى وإرادته، غيب لا يطلعون عليه، فمَن الذي أدرى الكافر، أن الله تعالى أراد له أن لا يؤمن أبداً؟ وما أدرى تارك الصلاة ـ مثلاً ـ أن الله شاء له أن لا يصلي طول عمره؟ فلو أن الكافر آمن كما أمره الله، ولو أن العاصي تاب، أفلا تكون التوبة أيضاً قد حصلت بمشيئة الله؟.. بلى.

والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون﴾ يشركون.

١٥١﴿قل تعالوا أتل﴾ أقرأ ﴿ما حرم ربكم عليكم أ﴾ ن مفسرة ﴿لا تشركوا به شيئاً و﴾ أحسنوا ﴿بالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم﴾ بالوأد ﴿من﴾ أجل ﴿إملاق﴾ فقر تخافونه ﴿نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش﴾ الكبائر كالزنا ﴿ما ظهر منها وما بطن﴾ أي: علانيتها وسرها ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلاَّ بالحق﴾ كالقَوَدِ [أي: القصاص]، وحدِّ الردة، ورجم المحصن، [كل ذلك بشروطه المقررة شرعاً] ﴿ذلكم﴾ المذكور ﴿وصاكم به لعلكم تعقلون﴾ تتدبرون.

وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾

١٥٢﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلاَّ بالتي﴾ أي: بالخَصلة التي ﴿هي أحسن﴾ وهي ما فيه صلاحه ﴿حتى يبلغ أشده﴾ بأن يحتلم، [وتأنسوا منه رُشداً] ﴿وأوفوا الكيل والميزان بالقسط﴾ بالعدل وترك البخس ﴿لا نكلف نفساً إلاَّ وسعها﴾ طاقتها في ذلك، فإن أخطأ في الكيل والوزن، ـ والله يعلم صحة نيته ـ ، فلا مؤاخذة عليه، كما ورد في حديث [مرسل، أخرجه ابن مردويه عن سعيد بن المُسَيَّبِ] ﴿وإذا قلتم﴾ في حكم أو غيره ﴿فاعدلوا﴾ بالصدق ﴿ولو كان﴾ المقول له، أو عليه ﴿ذا قربى﴾ قرابة ﴿وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تَذَّكرون﴾ بالتشديد[1] والتخفيف: تتعظون.

١٥٣﴿وأن﴾[2] بالفتح [أي: بفتح الهمزة مع سكون النون وتشديدها]، على تقدير اللام، والكسر [وتشديد النون] استئنافاً ﴿هذا﴾ الذي وصيتكم به ﴿صراطي مستقيماً﴾ حال، [وهو الإسلام] ﴿فاتبعوه ولا تتبعوا السبل﴾ الطرق المخالفة له ﴿فتفرق﴾ فيه حذف إحدى التاءين، [والأصل: «تتفرق»، أي:] تميلَ ﴿بكم عن سبيله﴾ دينه ﴿ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾.

---

(١) قوله: «بالتشديد والتخفيف» أي: بتشديد الذال وتخفيفها، هو هكذا في المخطوطتين، وأشار في هامش الثانية إلى نسخة جاء فيها: «بالتشديد والسكون» وهو خطأ، إذ لم يقرأ أحد بسكون الذال.

(٢) قوله تعالى: ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً﴾ الآية: أخرج أحمد والنسائي والحاكم وغيرهم، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: خطَّ رسول الله ﷺ خطاً بيده ثم قال: «هذا سبيل الله مستقيماً»، ثم خط خطوطاً عن يمين ذلك الخط وعن شماله ثم قال: «وهذه السُّبُل، ليس منها سبيل إلاَّ عليه شيطان يدعو إليه»، ثم قرأ هذه الآية. إن تفسير النبي ﷺ الآية بهذا المثل العملي معجزة له ﷺ، إذ هو إشارة صريحة إلى «الأحزاب» المعروفة في هذه الأيام، بعقائدها وأهدافها المضلّة عن سبيل الله، فلكل «حزب» سبيل خاص، وله دعاةٌ يدعون الناس إليه، بل ويكرهونهم على اعتناق مبادئه، وكلها سُبُل تُبعد الناس عن السبيل المستقيم، عن «الإسلام»، الذي لا يقبل الله تعالى من العباد سواه.

فعلى المسلم أن يحذر دعاة الضلال هؤلاء، وأن لا ينخدع بكلامهم المعسول، فإنه ينطبق على شعاراتهم المثل القائل: «اقرأ تفرح، جرِّب تحزن».

١٥٤ ﴿ثم آتينا موسى الكتاب﴾[1] التوراة، و «ثم» لترتيب الأخبار، [أي: في ذكرها، لا في زمن نزولها، لأن التوراة نزلت قبل القرآن] ﴿تماماً﴾ للنعمة ﴿على الذي أحسن﴾ بالقيام به ﴿وتفصيلاً﴾ بياناً ﴿لكل شيء﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿وهدى ورحمة لعلهم﴾ أي: بني إسرائيل ﴿بلقاء ربهم﴾ بالبعث [بعد الموت] ﴿يؤمنون﴾.

١٥٥ ﴿وهذا﴾ القرآن ﴿كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه﴾ يا أهل مكة، [وغيرها] بالعمل بما فيه ﴿واتقوا﴾ الكفر ﴿لعلكم ترحمون﴾.

١٥٦ أنزلناه لـ ﴿أن﴾ لا ﴿تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين﴾ اليهود والنصارى ﴿من قبلنا وإن﴾ مخففة واسمها محذوف، أي: إنا ﴿كنا عن دراستهم﴾ قراءتهم ﴿لغافلين﴾ لعدم معرفتنا لها، إذ ليست بلغتنا.

١٥٧ ﴿أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم﴾ لجودة أذهاننا ﴿فقد جاءكم بينة﴾ بيان ﴿من ربكم وهدى ورحمة﴾ لمن اتبعه ﴿فمن﴾ أي: لا أحد ﴿أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف﴾ أعرض ﴿عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب﴾ أي: أشدَّهُ ﴿بما كانوا يصدفون﴾.

١٥٨ ﴿هل ينظرون﴾ ما ينتظر المكذبون ﴿إلا أن تأتيهم﴾ بالتاء والياء ﴿الملائكة﴾ لقبض أرواحهم ﴿أو يأتي ربك﴾ أي: أمره، بمعنى: عذابُهُ ﴿أو يأتي بعض آيات ربك﴾ أي: علاماته الدالة على الساعة ﴿يوم يأتي بعض آيات ربك﴾ وهي: طلوع الشمس من مغربها، كما في حديث الصحيحين [عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل». ثم قرأ هذه الآية] ﴿لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت

ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ

---

(١) قوله تعالى: ﴿ثم آتينا موسى الكتاب﴾ الآية، عندما يذكر الله تعالى التوراة والإنجيل، وما فيهما من هدى ونور ورحمة، ويحث بني إسرائيل على العمل بما أنزل فيهما، فالمراد من ذلك التوراة التي أنزلها الله تعالى على موسى عليه السَّلام، قبل أن تنالها أيدي المحرفين، والإنجيل الذي أنزله على عيسى ابن مريم عليه السَّلام قبل ضياعه، فالتوراة الموجودة اليوم، ليست بتلك التي جاء بها موسى، وإنجيل عيسى لم يبق كما هو، بل وضعوا مكانه أناجيل كثيرة، اتفقوا في نهاية أمرهم على اعتماد أربعة منها هي: «متى، ويوحنا، ولوقا، ومرقس» وردُّوا ما عداها.

فإن قال قائل: إن القرآن الكريم، يأمر بالعمل بما في التوراة والإنجيل، قيل له: إنهما المنزلان من عند الله تعالى، لا ما وضعته أيدي الناس، فما جاء من عند الله هو الهدى، وأما ما كتبوه بأيديهم فهو: الهوى، واتباع الهوى ضلال كبير، ولو أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى، لم يغيِّروا ولم يبدِّلوا، لآمنوا بخاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ وبما جاء به، لأن الرسل جميعاً أصحاب رسالة واحدة، والكتب السماوية وحي إلهي إلى كل واحد منهم، و «المسلمون» هم: الرسل ومن آمن معهم، كلٌّ في عصره.

من قبل﴾ الجملة صفة النفس ﴿أو﴾ نفساً لم تكن ﴿كسبت في إيمانها خيراً﴾ طاعة، أي: لا تنفعها توبتها، كما في الحديث [عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها، تاب الله عليه» رواه مسلم] ﴿قل انتظروا﴾ أحد هذه الأشياء ﴿إنا منتظرون﴾ ذلك. ١٥٩ ﴿إن الذين فرقوا دينهم﴾ باختلافهم فيه، فأخذوا بعضه وتركوا بعضه ﴿وكانوا شيعاً﴾ فِرَقاً في ذلك، وفي قراءة «فارقوا»، أي: تركوا دينهم الذي أمروا به، وهم: اليهود والنصارى، [وأخرج الطبراني، من حديث أبي هريرة وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، بإسنادين جيدين، ولهما شواهد، قال ﷺ: «هم أهل البدع والأهواء من هذه الأمة»، فهي تحذير للمسلمين، من الفُرقة واتِّباع الأهواء، والإعراض عن الشريعة السمحة] ﴿لست منهم في شيء﴾ أي: فلا تتعرض لهم ﴿إنما أمرهم إلى الله﴾ يتولاه ﴿ثم ينبئهم﴾ في الآخرة ﴿بما كانوا يفعلون﴾ فيجازيهم به، وهذا منسوخ بآية السيف، [على اعتبار نزولها في اليهود والنصارى فقط].

١٦٠ ﴿من جاء بالحسنة﴾[1] أي: «لا إله إلا الله» [إذ هي أفضل القول، والآية تعني كل عمل صالح] ﴿فله عشر أمثالها﴾ أي: جزاء عشر حسنات ﴿ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها﴾ أي: جزاءه، [إذا لم يُغفر له] ﴿وهم لا يظلمون﴾ [لا] يُنقصون من جزائهم شيئاً.

١٦١ ﴿قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم﴾ ويبدل من محله: ﴿ديناً قيماً﴾ مستقيماً ﴿ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾.

١٦٢ ﴿قل إن صلاتي ونسكي﴾ عبادتي، من حج وغيره ﴿ومحياي﴾ حياتي ﴿ومماتي﴾ موتي ﴿لله رب العالمين﴾.

١٦٣ ﴿لا شريك له﴾ في ذلك ﴿وبذلك﴾ أي: التوحيد ﴿أمرت وأنا أول المسلمين﴾ من هذه الأمة.

١٦٤ ﴿قل أغير الله أبغي رباً﴾ إلهاً، أي: لا أطلب غيره ﴿وهو رب﴾ مالك ﴿كل شيء ولا تكسب كل نفس﴾ ذنباً ﴿إلا عليها ولا تزر﴾ تحمل نفس ﴿وازرة﴾ آثمة ﴿وزر﴾ نفس ﴿أخرى﴾ [فلا يؤخذ أحد بفعل أحد] ﴿ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾.

مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾

---

(١) قوله تعالى: ﴿من جاء بالحسنة﴾ الآية ١٦٠.

أخرج الشيخان وغيرهما عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال: «من همّ بحسنة فلم يعملها كُتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشراً، إلى سبعمائة، إلى أضعاف كثيرة، ومن همّ بسيئة فلم يعملها، كتبت له حسنة، فإن عملها، كتبت له واحدة أو يمحوها الله»، وهذا من فضل الله تعالى على عباده المؤمنين.

١٦٥ ﴿وهو الذي جعلكم خلائف الأرض﴾ جمع خليفة، أي: يخلف بعضكم بعضاً فيها ﴿ورفع بعضكم فوق بعض درجات﴾[1] بالمال والجاه وغير ذلك ﴿ليبلوكم﴾ ليختبركم ﴿فيما آتاكم﴾ أعطاكم إياه، ليظهر المطيع منكم والعاصي ﴿إن ربكَ سريع العقاب﴾ لمن عصاه ﴿وإنه لغفور﴾ للمؤمنين ﴿رحيم﴾ بهم.

﴿ سُورَةُ الأَعْرَافِ ﴾

(مكية: إلَّا «واسألهم عن القرية» الثمان أو الخمس آيات، مائتان وخمس: أو: ست آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿المص﴾ الله أعلم بمراده بذلك. ٢ هذا ﴿كتاب أنزل إليك﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿فلا يكن في صدرك حرج﴾ ضَيْقٌ ﴿منه﴾ أن تبلغه، مخافة أن تُكَذَّب ﴿لتنذر﴾ متعلق بـ«أنزل»، أي: للإنذار ﴿به وذكرى﴾ تذكرة ﴿للمؤمنين﴾ به. ٣ قل لهم: ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم﴾ أي: القرآن ﴿ولا تتبعوا﴾ تتخذوا ﴿من دونه﴾ أي: الله، أي: غيره ﴿أولياء﴾ تطيعونهم في معصيته تعالى ﴿قليلاً ما تَذَكّرون﴾ بالتاء والياء، تتعظون، وفيه إدغام التاء في الأصل في الذال، وفي قراءة بسكونها[2]، و«ما» زائدة لتأكيد القلة. ٤ ﴿وكم﴾ خبرية مفعول ﴿من قرية﴾ أُريدَ أهلُها ﴿أهلكناها﴾ أردنا إهلاكها ﴿فجاءها بأسنا﴾ عذابنا ﴿بياتاً﴾ ليلاً ﴿أو هم قائلون﴾ نائمون بالظهيرة، و «القيلولة»: استراحة نصف النهار، وإن لم يكن معها نوم، أي: مرة جاءها ليلاً، ومرة نهاراً. ٥ ﴿فما كان دعواهم﴾ [أي]: قولهم

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٥﴾

(٧) سُورَةُ الأَعْرَافِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا سِتٌّ وَمِائَتَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المص ﴿١﴾ كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۗ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ

حزب ٣٢ / ١٦

(١) قوله تعالى: ﴿ورفع بعضكم فوق بعض درجات﴾، ومثله قوله تعالى في سورة «الزخرف» ص ٦٥٠: ﴿ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سُخرياً﴾ أي: ليشغِّل بعض الناس بعضاً. لقد التبس على البعض معنى هاتين الآيتين، فظنوا أن الإسلام دينٌ طبقية يكرّس الظلم، وهذا فهم غير صحيح، ولا هو من معاني القرآن الكريم، إذ من المعلوم: أن الإسلام حرم الظلم، بكل صُوَرِهِ وأنواعه تحريماً شديداً، ووضع من الحدود والأحكام ما يردع الظالم، ولكنه لم يعالج الظلم بظلم آخر، كما فعل ويفعل اليوم، مدعو الإصلاح والدفاع عن مصالح الفقراء والكادحين، فالله تعالى رفع بعض الناس فوق بعض درجات، بأن خلقهم متفاوتين في الذكاء والقول والطول وغير ذلك، ولولا هذا التفاوت، لما عمل أحد لأحد عملاً، فلو فرضنا أن الناس جميعاً في مستوى واحد من الذكاء أو القوة، فلن يكون هناك دافع يدفع إلى العمل، إذ يأنف الإنسان أن يشتغل عند نظيره، وطبيعي مع هذا الاختلاف في الطاقات أن تتفاوت المهن، فيرتضي كل فريق مهنة، فتختلف مداخيل الناس، وتتباين بالتالي مستويات معايشهم، وهذا أمر لا يمكن إنكاره، وهو موجود وظاهر في كل العالم حتى في البلاد الرافضة لهذا المنطق.

(٢) قوله: «وفي قراءة بسكونها» جاء هكذا في المخطوطتين والنسخ المطبوعة، وهو سهو صوابه: «بتخفيفها» أي: الذال، وحاصله: أن في ﴿تذكرون﴾ ثلاث قراءات سبعية هي: «تذكرون» بالتاء مع تشديد الذال وتخفيفها، و «يتذكرون» بياء قبل التاء.

﴿إذ جاءهم بأسنا إلاَّ أن قالوا إنا كنا ظالمين﴾.

٦﴿فلنسألن الذين أرسل إليهم﴾ أي: الأمم، عن إجابتهم الرسل، وعملهم فيما بلغهم ﴿ولنسألن المرسلين﴾ عن الإبلاغ.

٧﴿فلنقصن عليهم بعلم﴾ لنخبرنهم عن علم بما فعلوه ﴿وما كنا غائبين﴾ عن إبلاغ الرسل، والأمم الخالية فيما عملوا.

٨﴿والوزن﴾ للأعمال، أو: لصحائفها، بميزان له لسان وكِفَّتان، كما ورد في حديث[1]، كائن ﴿يومئذ﴾ أي: يوم السؤال المذكور، وهو يوم القيامة ﴿الحق﴾ العدل، صفة «الوزن» ﴿فمن ثقلت موازينه﴾ بالحسنات ﴿فأولئك هم المفلحون﴾ الفائزون.

٩﴿ومن خفت موازينه﴾ بالسيئات ﴿فأولئك الذين خسروا أنفسهم﴾ بتصييرها إلى النار ﴿بما كانوا بآياتنا يظلمون﴾ يجحدون.

١٠﴿ولقد مكناكم﴾ يا بني آدم ﴿في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش﴾ بالياء، [ولا تُقرأ بالهمز، أي: جعلنا لكم] أسباباً تعيشون بها، «جمع معيشة» ﴿قليلاً ما﴾ [«ما» زائدة] لتأكيد القلة، [و «قليلاً» صفة مصدر محذوف، أي: شكراً قليلاً] ﴿تشكرون﴾ على ذلك.

١١﴿ولقد خلقناكم﴾ أي: أباكم آدم ﴿ثم صورناكم﴾ أي: صورناه وأنتم في ظهره ﴿ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ سجود تحية بالانحناء ﴿فسجدوا إلاَّ إبليس﴾ أبا الجن[2]، كان بين الملائكة، [وليس منهم] ﴿لم يكن من الساجدين﴾.

١٢﴿قال﴾ تعالى ﴿ما منعك أ﴾ ن ﴿لا﴾ زائدة ﴿تسجد إذ﴾ حين ﴿أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾.

١٣﴿قال فاهبط منها﴾ أي: من الجنة، وقيل: من السماوات ﴿فما يكون﴾ ينبغي ﴿لك أن تتكبر فيها فاخرج﴾ منها ﴿إنك

إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ

(١) قوله: «كما ورد في حديث»، جاء ذكر الكفتين في أحاديث كثيرة، منها ما أخرجه أحمد بسند حسن، والترمذي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم ــ وصححه ــ والبيهقي، عن عبد الله بن عَمْرو رضي الله عنهما، مرفوعاً إلى النبي ﷺ، وهو حديث البطاقة وفيه: «فتوضع السجلاَّت في كفة، والبطاقة ــ التي فيها لا إلّه إلاَّ الله ــ في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله شيء». وأخرج البيهقي في «الشُّعب» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «الميزان له لسان وكِفتان، يوزن فيه الحسنات والسيئات»، وهو ميزان ظاهر يراه الخلق، إظهاراً للعدل وقطعاً للعذر.

(٢) قوله: «أبا الجن»، الصحيح أنه واحد من الجن، ليس أباهم، ارجع إلى تعليقنا حول «إبليس» ص ٣٨٨، وحول «الجن» ص ٧٧٠.

من الصاغرين﴾ الذليلين. ١٤﴿قال أنظرني﴾ أخرني ﴿إلى يوم يبعثون﴾ أي: الناس. ١٥﴿قال إنك من المنظرين﴾ وفي آية أخرى: «إلى يوم الوقت المعلوم»، أي: يوم النفخة الأولى.

١٦﴿قال فبما أغويتني﴾ أي: بإغوائك لي، والباء للقسم، وجوابه: ﴿لأقعدن لهم﴾ أي: لبني آدم ﴿صراطك المستقيم﴾ أي: على الطريق الموصل إليك، [لأصرفهم عنه]. ١٧﴿ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم﴾ أي: من كل جهة، فأمنعهم من سلوكه، قال ابن عباس: ولا يستطيع أن يأتي من فوقهم، لئلا يحول بين العبد وبين رحمة الله تعالى ﴿ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾ مؤمنين، [أخرج أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان، عن عبد الله بن عمر قال: لم يكن رسول الله ﷺ، يَدَعُ هؤلاء الدعوات، حين يُصبح وحين يُمسي: «اللهم احفظني من بين يديَّ ومن خلفي، وعن يميني وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بك أن أُغتال من تحتي»].

١٨﴿قال اخرج منها مذؤوماً﴾ بالهمزة، معيباً، أو: ممقوتاً ﴿مدحوراً﴾ مبعَداً عن الرحمة ﴿لمن تبعك منهم﴾ من الناس، واللام للابتداء، أو: موطئة للقسم، وهو: ﴿لأملأن جهنم منكم أجمعين﴾ أي: منك بذريتك، ومن الناس، وفيه تغليب الحاضر على الغائب، وفي الجملة معنى جزاء «مَنْ» الشرطية، أي: مَنْ تبعك أعذبه.

١٩﴿و﴾ قال ﴿يا آدم اسكن أنت﴾ تأكيد للضمير في «اسكن»، ليعطف عليه ﴿وزوجك﴾ «حواء» بالمد ﴿الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة﴾ بالأكل منها، وهي: الحنطة[1] ﴿فتكونا من الظالمين﴾.

٢٠﴿فوسوس لهما الشيطان﴾[2] إبليس ﴿ليبدي﴾ يظهر ﴿لهما ما وُوري﴾ على وزن «فُوعِلَ»، من المواراة [أي: الستر] ﴿عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا﴾ كراهة ﴿أن تكونا ملكين﴾ [بفتح اللام]، وقرىء [شذوذاً] بكسر اللام ﴿أو تكونا من الخالدين﴾ أي: وذلك لازم عن الأكل منها، كما في آية أخرى: «هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى». ٢١﴿وقاسمهما﴾ أي: أقسم لهما بالله ﴿إني لكما لمن الناصحين﴾ في ذلك. ٢٢﴿فدلاهما﴾ حطهما عن منزلتهما ﴿بغرور﴾ منه ﴿فلما ذاقا

مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا

(١) قوله: «وهي الحنطة»: ثمة أقوال كثيرة في بيان نوع «الشجرة»، والصحيح أنه لا دليل يثبت شيئاً منها، فالإمساك عن التعيين هو الأحسن.

(٢) قوله تعالى: ﴿فوسوس لهما الشيطان﴾، اختلف العلماء في كيفية الوسوسة، فقال ابن مسعود، وابن عباس، وجمهور العلماء: أغواهما مشافهة، وقال بعضهم: أغواهما بسلطانه ووسواسه وشيطانه، التي أعطاه الله تعالى، وقيل غير ذلك، والله أعلم. ارجع إلى تعليقنا حول «آدم» ص ٤١٧، و «حواء» ص ٥٣٣، و «إبليس» ص ٣٨٨.

الشجرة﴾ أي: أكلا منها ﴿بدت لهما سوآتهما﴾ أي: ظهر لكل منهما قُبُلُه، وقُبُلُ الآخرِ ودُبُرُه، وسُمي كل منهما «سوأة»، لأن انكشافه يسوء صاحبه ﴿وطفقا يخصفان﴾ أخذا يلزقان ﴿عليهما من ورق الجنة﴾ ليستترا به ﴿وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين﴾ بيِّن العداوة؟، والاستفهام للتقرير، [أي: قد قلت لكما ذلك]. ٢٣﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا﴾ بمعصيتنا[1] ﴿وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾. ٢٤﴿قال اهبطوا﴾ أي: آدم وحواء، بما اشتملتما عليه من ذريتكما ﴿بعضكم﴾ بعض الذرية ﴿لبعض عدو﴾ مَن ظلم بعضهم بعضاً ﴿ولكم في الأرض مستقر﴾ مكان استقرار ﴿ومتاع﴾ تَمَتُّعٌ ﴿إلى حين﴾ تنقضي فيه آجالكم، [وهو: الموت]. ٢٥﴿قال فيها﴾ أي: الأرض ﴿تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون﴾ بالبعث، بالبناء للفاعل والمفعول. ٢٦﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً﴾[2] أي: خلقناه لكم ﴿يواري﴾ يستر ﴿سوآتكم وريشاً﴾ هو: ما يتجمل به من الثياب، [وهذا دليل على وجوب ستر العورة] ﴿ولباس التقوى﴾ العمل الصالح والسمت الحسن، بالنصب عطف على «لباساً»، والرفع مبتدأ، خبره جملة: ﴿ذلك خير ذلك من آيات الله﴾ دلائل قدرته ﴿لعلهم يذكرون﴾ فيؤمنون، فيه التفات عن الخطاب. ٢٧﴿يا بني آدم لا يفتننكم﴾ يضلنكم ﴿الشيطان﴾ أي: لا تتبعوه، فتُفتنوا ﴿كما أخرج أبويكم﴾ بفتنته ﴿من الجنة ينزع﴾ حال، [والنزع: أخذ الشيء بقوة وسرعة] ﴿عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما إنه﴾ أي: الشيطان ﴿يراكم هو وقبيله﴾ جنوده ﴿من حيث لا ترونهم﴾[3] للطافة أجسادهم، أو: عدم ألوانهم ﴿إنا جعلنا الشياطين

ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ

(١) قوله: «بمعصيتنا»، ارجع إلى تعليقنا حول «آدم» عليه السّلام ص ٤١٧ وما يليها، وإلى تعليقنا حول «حواء» عليها السّلام ص ٥٣٣.

(٢) قوله تعالى: ﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً...﴾ الآية، هذا تصريح بأن الملابس نعمة من الله تعالى، علَّم الإنسان صنعها واتخاذها، وبأن ستر العورة واجب، وهو المتفق مع فطرة الإنسان، فليس التعري تشريفاً للإنسان، بل هو إهانة له وتحقير، وتشبُّه بغير العقلاء من الحيوان.

(٣) قوله تعالى: ﴿من حيث لا ترونهم﴾ قال بعض العلماء: هذا دليل على أن الجن لا يُرَوْنَ، وقيل: رؤيتهم جائزة، وقال أبو جعفر النحاس: إنهم لا يُرَوْنَ إلاَّ في وقت نبي، ليكون ذلك دلالةً على نبوته، لأن الله عزَّ وجلَّ خلقهم خلقاً لا يُرَوْنَ فيه، وإنما يُرَوْنَ إذا نُقلوا عن صورهم، ذكر ذلك القرطبي وقال: وقد جاء في رؤيتهم أخبار صحيحة، وقال البغوي في «شرح السنة»: إن رؤية الجن غير مستحيلة، والآية تعني الأعم والأغلب من الآدميين، امتحنهم بذلك ليفزعوا إليه عزَّ وجلَّ، ويستعيذوا به من شرهم، انتهى قوله.

والصحيح في هذه المسألة: أن الجن لا يُرَوْنَ على صورتهم الحقيقية غيرَ متشكلين بصورة أخرى، وذلك أن أحداً غير النبي ﷺ، لم يَرَ جنياً على صورته الحقيقية، فقد روى البخاريُّ معلَّقاً في فضل «آية الكرسي»، حديثاً طويلاً، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه كان يحرس زكاة الفطر، فأتاه آتٍ، فجعل يحثو من الطعام، فأخذه ليرفعه إلى النبي ﷺ، ثم تركه، وبعد ثلاث ليال حضر فيها ذلك الآتي، قال له =

﴿أولياء﴾ أعواناً وقرناء ﴿للذين لا يؤمنون﴾. ٢٨﴿وإذا فعلوا فاحشة﴾ كالشرك، وطوافهم بالبيت عراة قائلين: لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها، فَنُهوا عنها ﴿قالوا وجدنا عليها آباءنا﴾ فاقتدينا بهم ﴿والله أمرنا بها﴾ أيضاً ﴿قل﴾ لهم ﴿إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ أنه قاله؟ استفهام إنكار. ٢٩﴿قل أمر ربي بالقسط﴾ العدل ﴿وأقيموا﴾ معطوف على معنى «بالقسط»، أي: [«أمر ربي فـ»] ـقال: أقسطوا وأقيموا، أو: قَبْلَهُ «فأقسطوا» مقدَّراً، [أي: قل أمر ربي بالقسط، فأقسطوا وأقيموا] ﴿وجوهكم﴾ لله ﴿عند كل مسجد﴾ أي: أخلصوا له سجودكم ﴿وادعوه﴾ اعبدوه ﴿مخلصين له الدين﴾ من الشرك ﴿كما بدأكم﴾ خلقكم ولم تكونوا شيئاً ﴿تعودون﴾ أي: يعيدكم أحياء يوم القيامة. ٣٠﴿فريقاً﴾ منكم ﴿هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله﴾ أي: غيره ﴿ويحسبون أنهم مهتدون﴾. ٣١﴿يا بني آدم خذوا زينتكم﴾ ما يستر عورتكم ﴿عند كل مسجد﴾ عند الصلاة والطواف ﴿وكلوا واشربوا﴾ ما شئتم ﴿ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾[1]. ٣٢﴿قل﴾ إنكاراً عليهم ﴿من حرم زينة الله التي أخرج لعباده﴾ من اللباس [وغيره] ﴿والطيبات﴾ المستلذات ﴿من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا﴾ بالاستحقاق، وإن شاركهم فيها غيرهم ﴿خالصة﴾ [أي:] خاصة بهم، بالرفع [خبر «هي»، و «للذين آمنوا» متعلق بـ«خالصة»]، والنصب، حال ﴿يوم القيامة﴾ [فلا يشاركهم فيها غيرهم، لأنها تكون في الجنة، والكافرون في النار] ﴿كذلك نفصل الآيات﴾ نبينها مثلَ ذلك التفصيل ﴿لقوم

أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ۗ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ

ربع الحزب

= رسول الله ﷺ: «ذاك شيطان»، وروى الشيخان: أن عفريتاً من الجنّ، تَعَرّض للنبي ﷺ فجاةً، ليقطع عليه صلاته، فأخذه، فأراد أن يربطه على سارية من سواري المسجد، لينظر المسلمون إليه، قال ﷺ: «فذكرتُ دعوة أخي سليمان: ﴿ربِّ هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي﴾. فرددته خاسئاً»، فالشيطان الذي همَّ به النبي ﷺ، تبدَّى وظهر له، في صفته التي خلقه الله عليها، وكذلك كانوا في خدمة سليمان عليه السّلام، أما الشيطان الذي ظهر لأبي هريرة، فكان على هيئة الآدميين، ولهذا لم يعرفه أبو هريرة، بل ظنَّه سارقاً، حتى أخبره النبي ﷺ بأنه شيطان. ارجع إلى تعليقنا حول «الجن» ص ٧٧٠، ففيه أمور مهمة عنهم.

(١) قوله تعالى: ﴿إنه لا يحب المسرفين﴾، أباح الله تعالى للإنسان: الأكل والشرب والمسكن والملبس، وسائر متع الحياة الدنيا، في حدود كفايته، بما يحقق له السعادة والراحة والطمأنينة، ليقبل على عبادة ربه شاكراً راضياً، فلا ينبغي أن تكون الدنيا أكبر همِّه، بحيث يتجاوز حدود الحاجة، فإنَّ تجاوزَها في الأمور المباحة «إسراف»، والله تعالى لا يحب المسرفين، فعلى المسلم أن يأكل بلا إسراف، وأن يسكن بلا إسراف، وأن يلبس ويركب بلا إسراف، حتى ولو كان ثرياً، فلا يجوز للغني أن يضيع المال في غير حاجة، لأن للمال مهمة هي: تشغيل الناس ــ مع دفع الزكاة عنه ــ ببناء المعامل وإنشاء المزارع، أخرج ابن ماجه والبيهقي، عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إن من الإسراف أن تأكل كلَّ ما اشتهيت». أي: لا ينبغي للمسلم أن يكون أسير رغباته، أما «التبذير» فسيأتي الكلام فيه في تعليقنا ص ٣٦٨.

يعلمون﴾ يتدبرون، فإنهم المنتفعون بها. ٣٣﴿قل إنما حرم ربي الفواحش﴾ الكبائر، كالزنا ﴿ما ظهر منها وما بطن﴾ أي: جهرها وسرها ﴿والإثم﴾ المعصية ﴿والبغي﴾ على الناس ﴿بغير الحق﴾ وهو الظلم ﴿وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به﴾ بإشراكه ﴿سلطاناً﴾ حجة، [ومعنى هذا: أن الشرك بالله، لا يقبله عاقل سليم الطبع، إذ لا حجة لمشرك أبداً] ﴿وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾[1] من تحريم ما لم يحرم، وغيره.

٣٤﴿ولكل أمة أجل﴾ مدة ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون﴾ عنه ﴿ساعة ولا يستقدمون﴾ عليه. [فالأمم مثل الواحد من الناس، لها أجل محدد تزول بانتهائه، مثلما يموت الإنسان إذا جاء أجله].

يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟

٣٥﴿يا بني آدم إما﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» المزيدة ﴿يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى﴾ الشرك ﴿وأصلح﴾ عمله ﴿فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ في الآخرة.

٣٦﴿والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا﴾ تكبروا ﴿عنها﴾ فلم يؤمنوا بها ﴿أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾.

٣٧﴿فمن﴾ أي: لا أحد ﴿أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿أو كذب بآياته﴾ القرآن ﴿أولئك ينالهم﴾ يصيبهم ﴿نصيبهم﴾ حظهم ﴿من الكتاب﴾ مما كُتب لهم في اللوح المحفوظ، من الرزق والأجل، وغير ذلك ﴿حتى إذا جاءتهم رسلنا﴾ أي: الملائكة ﴿يتوفونهم قالوا﴾ لهم تبكيتاً [وإلزاماً لهم بالحجة]: ﴿أين ما كنتم تدعون﴾ تعبدون ﴿من دون الله قالوا ضلوا﴾ غابوا ﴿عنا﴾ فلم نَرَهُمْ ﴿وشهدوا على أنفسهم﴾ عند الموت ﴿أنهم كانوا

---

(١) قوله تعالى: ﴿وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾، معناه ــ كما ذكر المفسر ــ أن يحلل الإنسان ويحرم، من غير دليل ولا حجة مقبولة شرعاً، أي: أن يتبع هواه، فيحرم على هواه، ويحلل على هواه، وهذه حال الظالمين من الحاكمين والمتكبرين، الذين لا يقبلون بالحق ــ وما أكثرهم في أيامنا ــ فمنهم من يحكم بحكم الجاهلية وملل الكفر، ومع ذلك يصوِّر للناس، أن حكمه هذا مطابق لحكم الله تعالى، ومنهم من يُبيح المحرمات كالربا، تحت ستار اسم «الفائدة» أو «الريع»، زاعمين أن الله حرم الربا إذا كانت أضعافاً مضاعفة، أو زاعمين أن هذه «الفوائد» التي تعطيها المصارف ــ البنوك ــ اليوم، ليست بالربا الذي حرمه الله، إلى غير ذلك من الحجج الواهية، ارجع إلى تعليقنا حول تحريم الربا ص ٥٩.

ومنهم من خرَّب بيوت الناس، وأفسد الحياة الزوجية بين الأزواج، بتحريض المرأة على أهلها وزوجها وحثها على التعري والفساد والإفساد تحت شعار: «تحرير المرأة»، وغير ذلك من الضلالات والأهواء، يؤيدهم في ذلك نفر من علماء السوء، يزينون لهم الباطل ويحثونهم عليه، والعياذ بالله تعالى.

كافرين﴾. ٣٨﴿قال﴾ تعالى لهم يوم القيامة: ﴿ادخلوا في﴾ جملة ﴿أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار﴾ متعلق بـ «ادخلوا» ﴿كلما دخلت أمة﴾ النار ﴿لعنت أختها﴾ التي قبلها، لضلالها بها ﴿حتى إذا ادَّاركوا﴾ تلاحقوا ﴿فيها جميعاً قالت أخراهم﴾ وهم: الأتباع ﴿لأولاهم﴾ أي: لأجلَّائهم، وهم: المتبوعون ﴿ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً﴾ مضعفاً ﴿من النار قال﴾ تعالى: ﴿لكل﴾ منكم ومنهم ﴿ضعف﴾ عذاب مضعف ﴿ولكن لا يعلمون﴾ ـ بالياء والتاء ـ ما لكل فريق. ٣٩﴿وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل﴾ لأنكم لم تكفروا بسببنا، [أي: ليس ذنبكم أهون من ذنبنا، ليكون عذابكم أخف]، فنحن وأنتم سواء [في ارتكاب الكفر]، قال تعالى لهم: ﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون﴾. ٤٠﴿إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا﴾ تكبروا ﴿عنها﴾ فلم يؤمنوا بها ﴿لا تفتح لهم أبواب السماء﴾ إذا عُرِجَ بأرواحهم إليها بعد الموت، فيهبط بها إلى «سِجِّين» [في الأرض السابعة]، بخلاف المؤمن، فتفتح له، ويُصعد بروحه إلى السماء السابعة، كما ورد في حديث[1] ﴿ولا يدخلون الجنة حتى يلج﴾ يدخل ﴿الجمل﴾ [هو: ذَكَرُ الناقة، وقرىء شذوذاً: «الجُمَّلُ»، أي: حبل السفينة] ﴿في سم الخياط﴾ ثقب الإبرة، وهو غير ممكن، فكذا دخولهم [الجنة] ﴿وكذلك﴾ الجزاء ﴿نجزي المجرمين﴾ بالكفر.

٤١﴿لهم من جهنم مهاد﴾ فراش ﴿ومن فوقهم غواش﴾ أغطية من النار، جمع «غاشية»، وتنوينه عوض من الياء ﴿وكذلك نجزي الظالمين﴾. ٤٢﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿لا نكلف نفساً إلا وسعها﴾ طاقتها من العمل، اعتراض بينه وبين خبره وهو: ﴿أولئك أصحاب الجنة

كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ

(١) قوله: «كما ورد في حديث»، رواه أحمد والنسائي والبيهقي وغيرهم، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «الميت تحضره الملائكة، فإذا كان الرجل صالحاً قال ـ أي: الملك ـ: اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، اخرجي حميدةً، وأبشري برَوْح وريحان وربٍّ راض غير غضبان، فلا يزال يقال لها ذلك، حتى تنتهي إلى السماء السابعة ـ أي: للعرض على ربها ـ فإذا كان الرجل السُّوء، قال: اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، اخرجي ذميمة، وأبشري بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يُعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان، فيقال: لا مرحباً بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، ارجعي ذميمة، فإنها لا تفتح لك أبواب السماء، فترسل من السماء ثم تصير إلى القبر».

أما مستقر الأرواح ما بين الموت إلى يوم القيامة ـ أي: في عالم البرزخ ـ ففيه أقوال كثيرة، سببها كثرة الأحاديث الواردة في ذلك، وهي أحاديث يصدق بعضها بعضاً ولا تعارض بينها.

فالصحيح: أنه ليس لجميع أرواح المؤمنين أو الكافرين مستقر واحدة في فترة البرزخ كلها، بل هي متفاوتة في مستقرها تفاوتاً كبيراً بحسب أصحابها، فمنها أرواح في أعلى عليين في الملأ الأعلى، وهي أرواح الأنبياء، ومنها في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث =

هم فيها خالدون﴾. ٤٣﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾ حقد كان بينهم في الدنيا ﴿تجري من تحتهم﴾ تحت قصورهم ﴿الأنهار وقالوا﴾ عند الاستقرار في منازلهم ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا﴾ العمل، الذي هذا جزاؤه ﴿وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾ حُذف جواب «لولا»، لدلالة ما قبله عليه ﴿لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن﴾ مخففة، أي: أنه، أو: مفسرة، في المواضع الخمسة ﴿تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون﴾.

٤٤﴿ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار﴾ تقريراً وتبكيتاً، [أي: إلزاماً لهم بالحجة] ﴿أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا﴾ من الثواب ﴿حقاً فهل وجدتم ما وعد﴾ كم ﴿ربكم﴾ من العذاب ﴿حقاً قالوا نعم فأذن مؤذن﴾ نادى مناد ﴿بينهم﴾ بين الفريقين أسمعهم: ﴿أن لعنة الله على الظالمين﴾.

٤٥﴿الذين يصدون﴾ الناس ﴿عن سبيل الله﴾ دينه ﴿ويبغونها﴾ أي: يطلبون السبيل ﴿عوجاً﴾ معوجةً، [أي: كانوا في الدنيا، يبحثون عن الضلال ويسعون إليه] ﴿وهم بالآخرة كافرون﴾.

٤٦﴿وبينهما﴾ أي: أصحاب الجنة والنار ﴿حجاب﴾ حاجز، قيل: هو سور الأعراف ﴿وعلى الأعراف﴾ وهو: سور الجنة ﴿رجال﴾ استوت حسناتهم وسيآتهم، كما في الحديث[1] ﴿يعرفون كلاًّ﴾ من أهل الجنة والنار ﴿بسيماهم﴾ بعلامتهم، وهي: بياض الوجوه للمؤمنين، وسوادها للكافرين، لرؤيتهم لهم، إذ موضعهم عال ﴿ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم﴾ قال تعالى: ﴿لم يدخلوها﴾ أي: [لم يدخل] أصحابُ الأعراف الجنةَ ﴿وهم يطمعون﴾ في دخولها، قال الحسن: لم يُطمِعهم إلاّ لكرامة يريدها بهم، وروى الحاكم [والبيهقي وعبد الرزاق]، عن حذيفة [بن اليمان موقوفاً عليه] قال[2]: «بينما هم كذلك، إذ اطّلع عليهم ربك فقال: قوموا ادخلوا الجنة، فقد غفرتُ لكم». ٤٧﴿وإذا صرفت أبصارهم﴾ أي: أصحاب الأعراف ﴿تلقاء﴾ جهة

هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ۖ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ۚ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ

نصف الحزب

= شاءت، وهي أرواح الشهداء، ما لم يحبسها عن ذلك حقُّ عَبْد. وروح المؤمن طير يَعْلُق في شجر الجنة، حتى يَرْجعهُ الله تعالى إلى جسده يوم يبعثه، فللروح شأن غير شأن البدن، فهي مع كونها في الجنة هي في السماء، وتتصل بفناء القبر وبالبدن فيه، وهي أسرع حركة وانتقالاً وصعوداً وهبوطاً، ومنها مرسلة ومحبوسة، وعلوية وسفلية، ولها بعد مفارقة الجسد إحساس بالألم أو النعيم، أكثر مما كان لها وقت اتصالها بالبدن بكثير، وبالإجمال: فأرواح المؤمنين في «الجنة»، وأرواح الكافرين في «سجين». ارجع إلى تعليقنا حول «عذاب القبر ونعيمه» ص ٣٣٤، وتعليقنا حول «سماع الموتى» ص ٥٣٧.

(١) قوله: «كما في الحديث»، سيأتي نصه، وبيان من هم أصحاب الأعراف، في تعليقنا في الصفحة التالية ـ ص ٢٠٠.

(٢) سنذكر نصه كاملاً في تعليقنا التالي ص ٢٠٠.

﴿أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا﴾ في النار ﴿مع القوم الظالمين﴾.

٤٨ ﴿ونادى أصحاب الأعراف[1] رجالاً﴾ من أصحاب النار ﴿يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم﴾ من النار ﴿جمعكم﴾ المال، أو: كثرتكم ﴿وما كنتم تستكبرون﴾ أي: واستكباركم عن الإيمان، ويقولون لهم، مشيرين إلى ضعفاء المسلمين:

٤٩ ﴿أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة﴾ قد قيل لهم: ﴿ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون﴾ وقرىء «أُدْخِلُوا»، بالبناء للمفعول، و[قرىء] «دَخَلُوا» [وهما قراءتان شاذتان]، فجملة النفي حال، أي: مقولاً لهم ذلك.

٥٠ ﴿ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله﴾ من الطعام ﴿قالوا إن الله حرمهما﴾ منعهما ﴿على الكافرين﴾.

٥١ ﴿الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا﴾ [فاغترُّوا بها ولم يؤمنوا، وظنوا أن ما اعتادوه من الباطل سينفعهم] ﴿فاليوم ننساهم﴾ نتركهم في النار ﴿كما نسوا لقاء يومهم هذا﴾ بتركهم العمل له ﴿وما كانوا بآياتنا يجحدون﴾ أي: وكما جحدوا.

٥٢ ﴿ولقد جئناهم﴾ أي: أهل مكة ﴿بكتاب﴾ قرآن ﴿فصلناه﴾ بيناه، بالأخبار والوعد والوعيد ﴿على علم﴾ حال، أي: عالمين بما فُصِّل فيه ﴿هدى﴾ حال من «الهاء» [في: «فصَّلناه»] ﴿ورحمة لقوم يؤمنون﴾ به.

٥٣ ﴿هل ينظرون﴾ ما ينتظرون ﴿إلا تأويله﴾ عاقبة ما فيه ﴿يوم يأتي تأويله﴾ هو يوم القيامة ﴿يقول الذين نسوه من

أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُواْ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن

(١) قوله تعالى: ﴿ونادى أصحاب الأعراف﴾.

«الأعراف» في اللغة: الشيء المشرف، وهي: جمع «عَرْف»، ومنه «عَرْف الديك»، و«عَرْف الفرس»، فالأعراف هي: شُرَفُ السور، أي: الحجاب الفاصل بين الجنة والنار، وبه قال ابن عباس رضي الله عنهما.

أما «أصحاب الأعراف»: ففي بيان مَنْ هم، عشرة أقوال مختلفة، ليس لواحد منها دليل قوي، ولكن أقربها وأقواها، هو ما ذكره السيوطي هنا في تفسير الآية «٤٦» من أنهم: رجال استوت حسناتهم وسيئاتهم.

أما الحديث الذي أشار إليه المؤلف في تفسير الآية «٤٦» فهو: ما رواه ابن مردويه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سئل رسول الله ﷺ عمَّن استوت حسناته وسيئاته فقال: «أولئك أصحاب الأعراف لم يدخلوها وهم يطمعون».

وأخرج عبد الرزاق والبيهقي والحاكم، عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: «أصحاب الأعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، جُعلوا على سور بين الجنة والنار، حتى يُقضى بين الناس، فبَينما هم كذلك إذ اطلع عليهم ربهم فقال لهم: قوموا فادخلوا الجنة فإني غفرت لكم». وهذا أيضاً قول ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما.

قبل﴾ [أي:] تركوا الإيمان به ﴿قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو﴾ هل ﴿نرد﴾ إلى الدنيا ﴿فنعمل غير الذي كنا نعمل﴾ [بأن] نوحِّد الله ونترك الشرك؟ فيقال لهم: لا، قال تعالى ﴿قد خسروا أنفسهم﴾ إذ صاروا إلى الهلاك ﴿وضلّ﴾ ذهب ﴿عنهم ما كانوا يفترون﴾ من دعوى الشريك.

٥٤ ﴿إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام﴾ من أيام الدنيا، أي: في قدرها، لأنه لم يكن ثَمَّ شمس، ولو شاء خلقهن في لمحة، والعدول عنه لتعليم خلقه التثبت ﴿ثم استوى على العرش﴾ هو في اللغة: سرير المَلِك، استواءً يليق به[1] ﴿يغشي الليل النهار﴾ مخففاً ومشدداً، أي: يغطي كلاً منهما بالآخر ﴿يطلبه﴾ يطلب كل منهما الآخر

قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ

طلباً ﴿حثيثاً﴾ سريعاً، [أي: يتعاقبان] ﴿والشمس والقمر والنجوم﴾ بالنصب عطفاً على «السماوات»، والرفع مبتدأ، خبره: ﴿مسخرات﴾ مذللات ﴿بأمره﴾ بقدرته ﴿ألا له الخلق﴾ جميعاً ﴿والأمر﴾ كله ﴿تبارك﴾ تعاظم ﴿الله رب﴾ مالك ﴿العالمين﴾.

٥٥ ﴿ادعوا ربكم تضرعاً﴾ حال، تذللاً ﴿وخفية﴾ سراً ﴿إنه لا يحب المعتدين﴾ في الدعاء، بالتشدق ورفع الصوت، [والخروج على أدب الدعاء].

٥٦ ﴿ولا تفسدوا في الأرض﴾ بالشرك والمعاصي ﴿بعد إصلاحها﴾ ببعث الرسل ﴿وادعوه خوفاً﴾ من عقابه ﴿وطمعاً﴾ في رحمته ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾ المطيعين، وتذكير «قريب»، المُخْبَرِ به عن «رحمة»، لإضافتها إلى الله.

٥٧ ﴿وهو الذي يرسل الرياح نُشُراً بين يدي رحمته﴾ [بضم النون والشين]، أي: متفرقةً قُدَّام المطر، وفي قراءة: [«الرياح، والريح نُشْراً»] بسكون الشين تخفيفاً، وفي أخرى: بسكونها وفتح النون مصدراً، [أي: «الريح نَشْراً»]، وفي أخرى: بسكونها وضم الموحدة بدل النون، أي: [«الرياح» بُشْراً]، ومفرد الأولى «نَشُور» «كرسول» والآخرة [مفردها] «بشير» ﴿حتى إذا أقلت﴾ حملت الرياح ﴿سحاباً ثقالاً﴾ بالمطر ﴿سقناه﴾ أي: السحاب، وفيه التفات عن الغيبة [إلى التكلم، فقد كان مقتضى السياق أن يقول: «ساقه»] ﴿لبلد ميت﴾ لا نبات به، أي: لإحيائها ﴿فأنزلنا به﴾ بالبلد

---

(١) قوله: «استواء يليق به» أي: لا يجوز أن يُفْهَمَ من الاستواء معنىً لا يليق بالله عز وجل مثل: الاستقرار، أو الجلوس، أو القعود، أو المكان، لأنه تعالى كان ولا مكان، ولا زمان، ولا عرش، ولا خَلْقَ، ثم خلق الخلق، ثم استوى على العرش كما وصف نفسه من غير تعطيل، ولا تشبيه، ﴿ليس كمثله شيء﴾، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، عن سفيان الثوري رحمه الله قال: كنت عند ربيعة بن أبي عبد الرحمن شيخ الإمام مالك فسأله رجل فقال: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ كيف استوى؟ فقال: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله =

﴿الماء فأخرجنا به﴾ بالماء ﴿من كل الثمرات كذلك﴾ الإخراج ﴿نخرج الموتى﴾ من قبورهم بالإحياء ﴿لعلكم تذكرون﴾ فتؤمنون. ٥٨﴿والبلد الطيب﴾ العذب التراب ﴿يخرج نباته﴾ حسناً ﴿بإذن ربه﴾ هذا مَثَلٌ للمؤمن، يسمع الموعظة فينتفع بها ﴿والذي خبث﴾ ترابه ﴿لا يخرج﴾ نباته ﴿إلاَّ نكداً﴾ عسراً بمشقة، وهذا مَثَلٌ للكافر ﴿كذلك﴾ كما بينا ما ذُكر ﴿نصرف﴾ نبين ﴿الآيات لقوم يشكرون﴾ الله، فيؤمنون. ٥٩﴿لقد﴾ جواب قسم محذوف ﴿أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ بالجر صفة لـ «إله»، [مراعاة للفظ]، و [في قراءة أخرى على] الرفع بدل من محله، [ومحل «إله» رفع بالابتداء، خبره «لكم» المتقدم عليه و «من» زائدة، ولم تعمل «ما» عمل ليس، بسبب تقدُّم الخبر، فهي مهملة، أي: نافية فقط] ﴿إني أخاف عليكم﴾ إن عبدتم غيره ﴿عذاب يوم عظيم﴾ هو يوم القيامة. ٦٠﴿قال الملأ﴾ [أي: الكبراء و] الأشراف ﴿من قومه إنا لنراك في ضلال مبين﴾ بيِّن.

٦١﴿قال يا قوم ليس بي ضلالة﴾ هي أعم من «الضلال»، فنفيها أبلغ من نفيه، [أي: ليس بي أيُّ نوع من أنواع الضلال] ﴿ولكني رسول من رب العالمين﴾.

٦٢﴿أبلغكم﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿رسالات ربي وأنصح﴾ أريد الخير ﴿لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ [فآمنوا بما جئتكم به، لأنه الحق].

٦٣﴿أ﴾ كذبتم ﴿وعجبتم أن جاءكم ذكر﴾ موعظة ﴿من ربكم على﴾ لسان ﴿رجل منكم لينذركم﴾ العذاب، إن لم تؤمنوا ﴿ولتتقوا﴾ الله ﴿ولعلكم ترحمون﴾ بها؟!. ٦٤﴿فكذبوه فأنجيناه والذين معه﴾ من الغرق [في مياه الطوفان]﴿في الفلك﴾ السفينة ﴿وأغرقنا الذين

ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ

= الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التصديق».
وروى البيهقي بإسناد صحيح، عن عبد الله بن وهب المصري، أحد رواة الموطأ قال: كنت عند مالك، فدخل رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن «الرحمن على العرش استوى»، كيف استوى؟ فأطرق مالك وأخذته الرُّحَضَاءُ ـ أي: عرق عرقاً شديداً ـ ثم رفع رأسه فقال: «الرحمن على العرش استوى كما وصف نفسه، ولا يقال: كيف؟ وكيف عنه مرفوع، وأنت صاحب بدعة، أخرجوه».

وروى جوابَ الإمام مالك هذا، الإمامُ عبد الله القيرواني في كتابه «الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ» بلفظ: «الاستواء غير مجهول، والكيف منه غير معقول، والسؤال عنه بدعة، والإيمان به واجب، وأراك صاحب بدعة، أخرجوه».

فما يروى عن مالك رحمه الله أنه قال: «والكيف مجهول»، غير صحيح، ولم يثبت ذلك عنه، خلافاً لما هو شائع، ولأنه يُثبت كيفية للاستواء، وهو باطل بالإجماع.

وقال ابن كثير رحمه الله في تفسيره عند هذه الآية: وأما قوله تعالى ﴿ثم استوى على العرش﴾ فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جداً ليس هذا موضع بسطها، وإنما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح، مالك، والأوزاعي، والثوري، والليث بن سعد، والشافعي، وأحمد، وإسحاق بن راهويه، وغيرهم من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً وهو: إمرارُها كما جاءت، من غير تكييف، ولا =

كذبوا بآياتنا﴾ بالطوفان ﴿إنهم كانوا قوماً عمين﴾ عن الحق [فلم يؤمنوا].

٦٥ ﴿و﴾ أرسلنا ﴿إلى عاد﴾ الأولى[١] ﴿أخاهم هوداً﴾ [عن ابن عباس قال: ليس بأخيهم في الدين، ولكنه أخوهم في النسب، لأنه منهم] ﴿قال يا قوم اعبدوا الله﴾ وحدوه ﴿ما لكم من إلٰه غيره أفلا تتقون﴾ تخافونه، فتؤمنون؟.

٦٦ ﴿قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة﴾ جهالة ﴿وإنا لنظنك من الكاذبين﴾[٢] في رسالتك.

٦٧ ﴿قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين﴾. ٦٨ ﴿أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين﴾ مأمون على الرسالة.

كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ * وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ

٦٩ ﴿أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على﴾ لسان ﴿رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء﴾ في الأرض ﴿من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة﴾ قوة وطولاً، وكان طويلهم مائة ذراع[٣]، وقصيرهم ستين [ذراعاً] ﴿فاذكروا آلاء الله﴾ نعمه ﴿لعلكم تفلحون﴾ تفوزون.

٧٠ ﴿قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر﴾ نترك ﴿ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا﴾ به من العذاب ﴿إن كنت من الصادقين﴾ في قولك.

٧١ ﴿قال قد وقع﴾ وجب ﴿عليكم من ربكم

= تشبيه، ولا تعطيل؛ والظاهرُ المتبادرُ إلى أذهان المشبهين منفيٌّ عن الله، فإن الله لا يشبهه شيءٌ من خلقه، وليس كمثله شيء وهو السميع البصير، بل الأمر كما قال الأئمة ـ منهم نعيم بن حماد الخُزاعي، شيخُ البخاري ـ قال: «مَنْ شبه الله بخلقه كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ـ ولا رسولُه ـ تشبيه». فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة، على الوجه الذي يليق بجلال الله، ونفى عن الله تعالى النقائص، فقد سلك سبيل الهدى. اهـ.

(١) قوله: «إلى عاد الأولى» هم: قوم نبي الله «هود» عليه السلام؛ جاء وصفهم بذلك في سورة النجم في قوله تعالى: ﴿وأنه أهلك عاداً الأولى﴾، ارجع إلى تعليقنا حولهم ص ٢٩١، أما عاد الآخرة ـ وهم المعنيون بـ «عاد» عند الإطلاق ـ فهم «ثمود» قوم نبي الله صالح عليه السلام، ارجع إلى تعليقنا حولهم ص ٢٩٣.

(٢) قوله تعالى: ﴿وإنا لنظنك من الكاذبين﴾ أي: لسنا على يقين من صدقك، وهذه حال الكافرين، إنهم دائماً على الظن، وصدق الله: ﴿إن يتبعون إلاّ الظن﴾، ولو تخطوا «الظن»، وأعرضوا عن الأوهام، لوصلوا إلى اليقين، أي: إلى الإيمان، لأنهم يكونون بذلك قد فكروا وتأملوا، أي: استعملوا عقولهم، فَعَدَمُ التفكير ذنب يعترف به الكافرون يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ـ أي: في الدنيا ـ ما كنا في أصحاب السّعير * فاعترفوا بذنبهم فَسُحْقاً لأصحاب السعير﴾.

(٣) قوله: «وكان طويلهم مائة ذراع وقصيرهم ستين» لو استغنى عنه الجلال السيوطي رحمه الله، واكتفى بما قاله قبله، لكان أحسن، لأن تحديد طول أطولهم وأقصرهم بما ذكره، مخالف لما جاء في الصحيح في وصف آدم عليه السلام، ففي الصحيحين وغيرهما: أن طول =

رجس﴾ عذاب ﴿وغضب أتجادلونني في أسماء سميتموها﴾ أي: سميتم بها ﴿أنتم وآباؤكم﴾ أصناماً تعبدونها ﴿ما نزل الله بها﴾ أي: بعبادتها ﴿من سلطان﴾ حجة وبرهان ﴿فانتظروا﴾ العذاب ﴿إني معكم من المنتظرين﴾ ذلكم، بتكذيبكم لي، فأرسلتْ عليهم الريحُ العقيم، [«ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم»].
٧٢﴿فأنجيناه﴾ أي: هوداً ﴿والذين معه﴾ من المؤمنين ﴿برحمة منا وقطعنا دابر﴾ القوم ﴿الذين كذبوا بآياتنا﴾ أي: استأصلناهم ﴿وما كانوا مؤمنين﴾ عطف على «كذبوا». ٧٣﴿و﴾ أرسلنا ﴿إلى ثمود﴾[1] بترك الصرف، [أي: بالمنع من الصرف، للعلمية والتأنيث]، مراداً به القبيلة ﴿أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة﴾ معجزة ﴿من ربكم﴾ على صدقي ﴿هذه ناقة الله لكم آية﴾ حال، عاملها معنى الإشارة، وكانوا سألوه أن يخرجها لهم من صخرة عيّنوها ﴿فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء﴾ بعَقْر أو ضرب ﴿فيأخذكم عذاب أليم﴾.
٧٤﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء﴾ في الأرض ﴿من بعد عاد وبوأكم﴾ أسكنكم ﴿في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً﴾ تسكنونها في الصيف ﴿وتنحتون الجبال بيوتاً﴾ تسكنونها في الشتاء، ونصبه على الحال المقدرة، [أي: تنحتونها مقدّرين جعلها بيوتاً لكم] ﴿فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا﴾ [بفتح الثاء باتفاق القراء، من «عَثِيَ»، بكسر الثاء، «عَثَى»، بفتحتين] ﴿في الأرض مفسدين﴾ [حال مؤكدة لمعنى الفعل «تعثوا»].
٧٥﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه﴾[2] تكبروا عن الإيمان به ﴿للذين استضعفو

رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟

= آدم ستون ذراعاً ــ ارجع إلى تعليقنا ص ٤١٧ ــ وفي رواية لمسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «وطوله ــ أي: آدم ــ ستون ذراعاً، فلم يزل الخلق ينقص بعده حتى الآن»، فهذا الحديث صريح في أنه ليس بعد آدم من هو أطول منه.

(١) قوله تعالى: ﴿إلى ثمود﴾، ارجع إلى تعليقنا حول «ثمود» ص ٢٩٣.

(٢) قوله تعالى: ﴿وقال الملأ﴾ (الآيتين ٧٥و ٧٦) هذا أسلوب أهل الكفر والضلال في كل زمان لتشكيك المؤمنين في إيمانهم، فقوم صالح قالوا منذ آلاف السنين للمؤمنين: ﴿أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه﴾؟... أي: هل أنتم واثقون من صدقه؟ وقصدهم بهذا السؤال، إلقاء الشك في نفوس المؤمنين، وهذا ما يفعله الزنادقة والملحدون في هذه الأيام، حيث يثيرون في عقول الناس ــ والشباب منهم خاصة ــ تساؤلات تحمل الشك في الله تعالى ورسالاته، بقصد إبعادهم عن الإسلام، ثم إخراجهم منه، ليعتنقوا عقائد باطلة وضعها أعداء هذا الدين، ليصرفوا الناس بها عن سبيل الله تعالى، إنه الأسلوب عينه، أخبث أسلوب استخدمه أعداء الإسلام ولا يزالون، فعلى المؤمن أن لا يكترث بهم، وأن يواجههم بمزيد من الوعي والفقه في الدين وأن يفنّد مزاعمهم، فإنهم لا حجة لهم ولا برهان ﴿إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس﴾، ارجع إلى تعليقنا حول «الكبر» ص ٣٤٨.

لمن آمن منهم﴾ أي: من قومه، بدل مما قبله، بإعادة الجار ﴿أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه﴾ إليكم؟ ﴿قالوا﴾ نعم ﴿إنا بما أرسل به مؤمنون﴾. ٧٦﴿قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون﴾. ٧٧ وكانت الناقة، لها يوم في الماء، ولهم يوم، فملُّوا ذلك ﴿فعقروا الناقة﴾ عقرها قُدار [بن سالف] بأمرهم، بأن قتلها بالسيف ﴿وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا﴾ به من العذاب، على قتلها ﴿إن كنت من المرسلين﴾. ٧٨﴿فأخذتهم الرجفة﴾ الزلزلة الشديدة من الأرض، والصيحة من السماء ﴿فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾ باركين على الركب، ميتين. ٧٩﴿فتولى﴾ أعرض صالح ﴿عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين﴾. ٨٠﴿و﴾ اذكر ﴿لوطاً﴾ ويبدل منه ﴿إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة﴾ أي: أدبار الرجال[1] ﴿ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾ الإنس والجن. ٨١﴿أإنكم﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية وإدخال الألف بينهما على الوجهين، [وفي قراءة: ﴿إنكم﴾ بهمزة واحدة على الخبر] ﴿لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون﴾ متجاوزون الحلال إلى الحرام. ٨٢﴿وما كان جواب قومه إلاَّ أن قالوا أخرجوهم﴾ أي: لوطاً وأتباعه ﴿من قريتكم إنهم أناس يتطهرون﴾ من أدبار الرجال[1]. ٨٣﴿فأنجيناه وأهله إلاَّ امرأته

لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ

---

(١) قوله: «أدبار الرجال».

عُرف قوم لوط عليه السلام بارتكاب هذه الفاحشة، فكانت أشنع ما فعلوه بعد كفرهم، وقد أجمع المسلمون على أن هذه الفاحشة من كبائر الذنوب.

روى أبو داود والترمذي وابن ماجه والبيهقي، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط، فاقتلوا الفاعل والمفعول به».

قال الإمام البغوي: اختلف أهل العلم في حد اللوطي، فذهب بعضهم إلى أنه يحدُّ حد الزنا، فإن كان محصناً يرجم، وإن لم يكن محصناً يجلد مائة، وهو قول سعيد بن المسيب، وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، وقتادة والثوري والأوزاعي، وهو قول للشافعي، وعلى المفعول به عند الشافعي على هذا القول: جلدُ مائة وتغريب عام، رجلاً كان أو امرأة، محصناً كان أو غير محصن، وذهب قوم إلى أن اللوطي يُرجم، محصناً كان أو غير محصن، رواه سعيد بن جبير ومجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وبه قال الزهري، وهو قول مالك وأحمد، والقول الآخر للشافعي: أنه يُقْتَلُ الفاعل والمفعول به، كما جاء في الحديث. اهـ.

ولكن الراجح في مذهب الشافعي رحمه الله: أنه يُحَدُّ حدَّ الزنا بجميع أحكامه وأحواله، ففي غير المحصن جلد مائة وتغريب عام، وفي المحصن الرجم، وهو أيضاً قول أبي يوسف ومحمد صاحبي أبي حنيفة رحمهم الله تعالى، ما عدا التغريب، وقال أبو حنيفة: يُعَزَّرُ ولا يقام عليه الحدُّ، وهو الراجح في مذهبه.

ولا شك في أن هذه الفواحش أعمال شاذة يتنزه عنها المسلم الذي هذَّبه الإسلام وكلُّ عاقل، لأن الله تعالى حرمها بنص القرآن الكريم وصريح السنَّة النبوية، وانعقد الإجماع على ذلك كما ذكرنا، ثم لأن في فعل هذه الفاحشة ضرراً وأذى على الفاعل والمفعول به، فالله تعالى =

كانت من الغابرين﴾ الباقين في العذاب. ٨٤﴿وأمطرنا عليهم مطراً﴾ هو حجارة السجيل، فأهلكتهم ﴿فانظر كيف كان عاقبة المجرمين﴾. ٨٥﴿و﴾ أرسلنا ﴿إلى مدين أخاهم شعيباً قال: يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إلّه غيره قد جاءتكم بينة﴾ معجزة ﴿من ربكم﴾ على صدقي ﴿فأوفوا﴾ أتموا ﴿الكيل والميزان ولا تبخسوا﴾[1] تنقصوا ﴿الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض﴾ بالكفر والمعاصي ﴿بعد إصلاحها﴾ ببعث الرسل ﴿ذلكم﴾ المذكور ﴿خير لكم إن كنتم مؤمنين﴾ مريدي الإيمان، فبادروا إليه. ٨٦﴿ولا تقعدوا بكل صراط﴾ طريق ﴿توعدون﴾ تخوفون الناس بأخذ ثيابهم، أو: المَكْس منهم. [وهو بفتح الميم وسكون الكاف: الضريبة ــ وأصله في اللغة الخيانة ــ و «المكّاس» هو: آخذها، قال ﷺ: «لا يدخل الجنة صاحب مَكْس»، رواه أحمد، وأبو داود، وصححه الحاكم،] ﴿وتصدون﴾ تصرفون ﴿عن سبيل الله﴾ دينه ﴿من آمن به﴾ بتوعدكم إياه بالقتل ﴿وتبغونها﴾ تطلبون الطريق ﴿عوجاً﴾ معوجة ﴿واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين﴾ قبلكم، بتكذيب رسلهم، أي: آخر أمرهم من الهلاك، [فاعتبروا واتعظوا].

٨٧﴿وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا﴾ به ﴿فاصبروا﴾ انتظروا ﴿حتى يحكم الله بيننا﴾ وبينكم، بإنجاء المحق وإهلاك المبطل ﴿وهو خير الحاكمين﴾ أعدلهم. ٨٨﴿قال الملأ الذين استكبروا

كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ * قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟

حزب ١٧ جزء ٩

= نهى عن إتيان الزوجة أثناء الحيض بسبب الأذى، قال تعالى: ﴿يسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن﴾، فما بالنا بعمل قوم لوط؟. هذا فضلاً أن الطباع البشرية السليمة تأنف ذلك وتأباه، قال الخليفة عبد الملك بن مروان: والله لولا أن هذا الفعل ذُكر في القرآن الكريم، لما ظننتُ أنه يكون.

(١) قوله تعالى: ﴿فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾، الأمر بإيفاء المكيال والميزان، هو: عدم التطفيف، الذي بينه الله تعالى في أول سورة «المطففين» بقوله: ﴿ويل للمطففين * الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون * وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون...﴾ الآيات.

أما النهي عن بخس الناس أشياءهم، فهو نهي عام، يدخل فيه المنع من: الغصب، والسرقة، وأخذ الرّشوة، وقطع الطريق، وانتزاع المال بطريق الحيل، والغش، والإجحاف في تقييم سلعة الغير، والقول لصاحب الشيء: بضاعتك فاسدة، أو غير جيدة، أو رديئة، إذا كان ذلك خلافاً للواقع، بقصد شرائها برُخص.

إن القارىء المتأمل في قصص الأنبياء، يرى: أن الله تعالى قد أخبر عن كل قوم، بما عُرِفَ فيهم من فواحش ومنكرات، بعد الكفر بالله عز وجل، فأخبرنا عن قوم لوط عليه السلام بأنهم: كانوا يأتون الذكران من العالمين، ويفعلون في ناديهم المنكر، وعن قوم شعيب عليه السلام بأنهم: كانوا ينقصون المكيال والميزان، ويبخسون الناس أشياءهم، وعن بني إسرائيل بأنهم: كانوا يأخذون الربا وقد نُهوا عنه، ويأكلون أموال الناس بالباطل، وأن أولئك الأقوام جميعهم، كانوا متكبرين لا يقبلون الحق، ويسخر كبراؤهم من عامتهم. =

من قومه﴾ عن الإيمان ﴿لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا[1] أو لتعودن﴾ ترجعن ﴿في ملتنا﴾ ديننا، وغلّبوا في الخطاب الجمعَ على الواحد، لأن شعيباً لم يكن في ملتهم قط، وعلى نحوه أجاب ﴿قال أَ﴾ نعود فيها ﴿ولو كنا كارهين﴾ لها؟ استفهام إنكار.

٨٩﴿قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون﴾ ينبغي ﴿لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا﴾ ذلك، فيخذلنا ﴿وسع ربنا كل شيء علماً﴾ أي: وسع علمه كل شيء، ومنه حالي وحالكم ﴿على الله توكلنا[2] ربنا افتح﴾ احكم ﴿بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين﴾ الحاكمين. ٩٠﴿وقال الملأ الذين كفروا من قومه﴾ أي: قال بعضهم لبعض ﴿لئن﴾ لام قسم ﴿اتبعتم شعيباً إنكم إذاً لخاسرون﴾.

٩١﴿فأخذتهم الرجفة﴾ الزلزلة الشديدة ﴿فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾ باركين على الرُّكب، ميتين.

٩٢﴿الذين كذبوا شعيباً﴾ مبتدأ خبره ﴿كأن﴾ مخففة واسمها محذوف، أي: كأنهم ﴿لم يغنوا﴾ يقيموا ﴿فيها﴾ في ديارهم ﴿الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين﴾ التأكيدُ بإعادة الموصول وغيره، للرد عليهم في قولهم السابق.

٩٣﴿فتولى﴾ أعرض [شعيب] ﴿عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم﴾ فلم تؤمنوا ﴿فكيف آسى﴾ أحزن

مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ

= لقد قصَّ الله تعالى هذه الأخبار، لتكون لنا فيها عبرة، فلا نفعل ما فعلوا، وفيها أيضاً إشارة إلى اختلاف الأقوام والقرى، في اعتيادهم بعض المنكرات واشتهارهم بها، وأن ذلك يمكن أن يكون في كل زمان، فكما عُرف قوم لوط بفاحشتهم في الماضي، عرف أيضاً أقوام كثيرون في عصرنا بارتكابها، وهي التي تسمى اليوم: «الشذوذ الجنسي بين الرجال»، حتى وضعت بعض تلك الدول ـ ومنها: بريطانيا ـ قوانين بممارسة هذه الفاحشة من غير حرج ولا مانع، كما يُعرف قوم أو بلدة، هنا وهناك، بأكل الربا، أو الزنا، أو شرب الخمور، أو القمار، أو المخدِّرات، أو عدم إكرام الضيف، أو السرقة والنشل، أو سبِّ اسم الله تعالى، وسبِّ الدين، أو الإكثار من ألفاظ الطلاق، وغيرها من المنكرات والمفاسد ـ والعياذ بالله تعالى ـ. وقد غابت عن أولئك سلطة الحاكم المسلم، الذي يغير المنكر بيده، وعجزت عن الإصلاح أصوات الآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر، الذين لا يملكون تغيير المنكر بغير ألسنتهم، وأخلد عامة المسلمين إلى كتمان سخطهم على مرتكبي المنكرات، راضين بمرتبة: أضعف الإيمان، وكان دون هؤلاء ـ وهم كثير ـ أناس، رضوا بالمنكرات وإن لم يفعلوها، واعتبروا النهي عنها تدخلاً في حرية الإنسان، فكان من نتاج كل هذا، ما كان من بلاء وشقاء، ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾، فاللّهم عفوك وغفرانك. ارجع إلى تعليقنا حول «المعروف والمنكر» ص ٨٠.

(١) قوله تعالى: ﴿من قريتنا﴾ هي «مَدْيَن». ارجع إلى تعليقنا حولها ص ٢٩٦.

(٢) قوله تعالى: ﴿على الله توكلنا﴾ يظن بعض الناس: أن التوكل هو: ترك الأخذ بالأسباب، والخمول، والاعتمادُ على المحسنين من الناس، =

﴿على قوم كافرين؟﴾ استفهام بمعنى النفي، [أي: لن أحزن عليكم]. ٩٤﴿وما أرسلنا في قرية من نبي﴾ فكذبوه ﴿إلاَّ أخذنا﴾ عاقبنا ﴿أهلها بالبأساء﴾ شدة الفقر ﴿والضراء﴾ المرض ﴿لعلهم يضرعون﴾ يتذللون، فيؤمنون. ٩٥﴿ثم بدلنا﴾ أعطيناهم ﴿مكان السيئة﴾ العذاب ﴿الحسنة﴾ الغنى والصحة ﴿حتى عفوا﴾ كثروا ﴿وقالوا﴾ كفراً للنعمة ﴿قد مس آباءنا الضراء والسراء﴾ كما مسنا، وهذه عادة الدهر، وليست بعقوبة من الله، فكونوا على ما أنتم عليه، قال تعالى: ﴿فأخذناهم﴾ بالعذاب ﴿بغتة﴾ فجأة ﴿وهم لا يشعرون﴾ بوقت مجيئه قبله. ٩٦﴿ولو أن أهل القرى﴾ المكذبين ﴿آمنوا﴾ بالله ورسلهم ﴿واتقوا﴾ الكفر والمعاصي ﴿لفتحنا﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿عليهم بركات من السماء﴾ بالمطر ﴿والأرض﴾ بالنبات ﴿ولكن كذبوا﴾ الرسل ﴿فأخذناهم﴾ عاقبناهم ﴿بما كانوا يكسبون﴾. ٩٧﴿أفأمن أهل القرى﴾ المكذبون ﴿أن يأتيهم بأسنا﴾ عذابنا ﴿بياتاً﴾ ليلاً ﴿وهم نائمون﴾ غافلون عنه. ٩٨﴿أوَأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى﴾ نهاراً ﴿وهم يلعبون﴾.

٩٩﴿أفأمنوا مكر الله﴾ استدراجه إياهم بالنعمة، وأخذهم بغتة ﴿فلا يأمن مكر الله إلاَّ القوم الخاسرون﴾.

١٠٠ ﴿أولم يهد﴾ يتبين ﴿للذين يرثون الأرض﴾ بالسكنى ﴿من بعد﴾ هلاك ﴿أهلها أن﴾ فاعل[1]، مخففة واسمها محذوف، أي: أنه ﴿لو نشاء أصبناهم﴾ بالعذاب ﴿بذنوبهم﴾ كما أصبنا مَنْ قبلهم، والهمزة في المواضع الأربعة[2] للتوبيخ، والفاء والواو الداخلة، [أي: التي دخلت الهمزةُ] عليهما، للعطف، وفي قراءة بسكون الواو في الموضع الأول[3]، عطفاً بـ «أو» ﴿و﴾ نحن ﴿نطبع﴾ نختم

عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ
أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾
ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ
مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ
لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟
لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن
كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ
ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾
أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ
يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا
ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ
مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ

= في نفقته وحاجاته، وهذا غير صحيح. ارجع إلى تعليقنا حول «التوكل» ص ٣٣١.

(١) قوله: «فاعل مخففة واسمها محذوف أي: أنه» هو هكذا، كما في المخطوطتين وبعض النسخ المطبوعة، أي: إن الجملة المؤلفة من «أنَّ» واسمها وخبرها في محل رفع فاعل «يهد»، قال الإمام العُكْبُري: وتقديره: «أولم يتبين لهم علمهم بمشيئتنا؟». وقيل: فاعل «يهْد» هو ضمير اسم الله تعالى، وتقديره: «أو لم يبيِّن اللَّهُ لهؤلاء أنه قادر على إهلاكهم»؟! وهذا استفهام تقرير، أي: قد بيَّن لهم ذلك، ولكنهم لا يفقهون.

(٢) قوله: «والهمزة في المواضع الأربعة للتوبيخ»، أي: هي همزة استفهام خرج عن معناه الأصلي، وأريد به توبيخهم على كفرهم وضلالهم وإعراضهم عن الحق، والمواضع الأربعة هي: ﴿أفأمن أهل القرى﴾ أول الآية «٩٧»، و ﴿أو أمن أهل القرى﴾ أول الآية «٩٨»، و ﴿أفأمنوا مكر الله﴾ أول الآية «٩٩»، و ﴿أو لم يهد﴾ أول الآية «١٠٠».

(٣) قوله: «في الموضع الأول» أي: من الموضعين، اللذين جاء فيهما بعد الهمزة واو، وهما: «أَوَأمن» أول الآية «٩٨»، وهذا هو الموضع الذي فيه القراءة بسكون الواو عطفاً بـ «أو»، كما ذكر السيوطي، وأما الموضع الثاني فهو: «أَوَلَم يهد» أول الآية «١٠٠»، والقراءة فيه على الاستفهام فقط، باتفاق القراء.

عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا

﴿على قلوبهم فهم لا يسمعون﴾ الموعظة سماع تدبر. ١٠١﴿تلك القرى﴾ التي مرَّ ذكرها ﴿نقص عليك﴾ يا محمد ﴿من أنبائها﴾ أخبار أهلها ﴿ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ المعجزات الظاهرات ﴿فما كانوا ليؤمنوا﴾ عند مجيئهم ﴿بما كذبوا﴾ كفروا به ﴿من قبل﴾ قبل مجيئهم، بل استمروا على الكفر ﴿كذلك﴾ [أي: مثل ذلك] الطبع ﴿يطبع الله على قلوب الكافرين﴾. ١٠٢﴿وما وجدنا لأكثرهم﴾ أي: الناس ﴿من عهد﴾ أي: وفاءٍ بعهدهم، يوم أَخَذَ الميثاق [عليهم، بقوله تعالى: «ألست بربكم؟ قالوا: بلى»] ﴿وإن﴾ مخففة [من الثقيلة واسمها محذوف، أي: وإنا] ﴿وجدنا أكثرهم لفاسقين﴾ [بترك الوفاء بالعهد، واللام في «لفاسقين» لازمة لها، لتفصل بين «إنْ» المخففة، و «إنْ» التي بمعنى «ما»].

١٠٣﴿ثم بعثنا من بعدهم﴾ أي: الرسل المذكورين ﴿موسى بآياتنا﴾ التسع[1] ﴿إلى فرعون وملائه﴾ قومه ﴿فظلموا﴾ كفروا ﴿بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾ بالكفر، من إهلاكهم.

١٠٤﴿وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين﴾ إليك، فكذَّبه.

١٠٥﴿حقيق﴾ جدير [صفة لـ «رسول»، أو خبر ثان] ﴿على أن﴾ أي: بأن ﴿لا أقول على الله إلاّ الحق﴾ وفي قراءة: [«حقيق عليَّ»] بتشديد الياء، فـ «حقيق» مبتدأ، خبره: «أنْ» وما بعدها ﴿قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي﴾ إلى الشام ﴿بني إسرائيل﴾ وكان استعبدهم.

١٠٦﴿قال﴾ فرعون له ﴿إن كنت جئت بآية﴾ على دعواك ﴿فأت بها إن كنت من الصادقين﴾ فيها.

١٠٧﴿فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين﴾ حية عظيمة[2].

١٠٨﴿ونزع يده﴾ أخرجها من جيبه ﴿فإذا

---

(١) قوله: «التسع» سيأتي بيانها تعليقاً ص ٢٧٨.

(٢) قوله: «حية عظيمة» هذا بيان لمعنى «الثعبان»، الوارد في هذه الآية، بما جاء في غيرها، كقوله تعالى: ﴿فإذا هي حية تسعى﴾، فالحية تطلق على الأنثى والذكر، وأما «الثعبان» فيطلق على «الحية الضخمة»، وقد ذكر بعضهم اتفاق أهل اللغة، على أن «الثعبان» هو: الحية الضخمة، الذكر، ولكن صاحب «القاموس المحيط» يقول في الثعبان: «إنه الحية الضخمة، أو الذكر خاصة، أو عامٌّ». فعصا موسى قد انقلبت حية ضخمة، أي: «ثعباناً» سريع الحركة كالجان، قال في القاموس: و «الجانُّ» أيضاً حية بيضاء وزرقاء، وهو نوع من الحيات سريع الحركة والاهتزاز، قال تعالى: ﴿فلما رآها تهتز كأنها جانّ ولى مدبراً ولم يعقِّب﴾.

هي بيضاء﴾ ذات شعاع، [من غير برص[1] ولا مرض] ﴿للناظرين﴾ خلاف ما كانت عليه من الأُدْمة، [أي: السُّمرة].
١٠٩﴿قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم﴾ فائق في علم السحر[2]، وفي «الشعراء»: أنه من قول فرعون نفسه، فكأنهم قالوه معه على سبيل التشاور. ١١٠﴿يريد أن يخرجكم من أرضكم﴾ [بسحره] ﴿فماذا تأمرون﴾.
١١١﴿قالوا أرجه وأخاه﴾ أَخِّرْ أمرهما ﴿وأرسل في المدائن حاشرين﴾ جامعين. ١١٢﴿يأتوك بكل ساحر﴾ وفي قراءة «سحَّار» ﴿عليم﴾ يفضل موسى في علم السحر، فجُمِعُوا. ١١٣﴿وجاء السحرة فرعون قالوا أئن﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما [وتركه]، على الوجهين ﴿لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين﴾؟. ١١٤﴿قال نعم وإنكم لمن المقربين﴾. ١١٥﴿قالوا يا موسى إما أن تلقي﴾ عصاك ﴿وإما أن نكون نحن الملقين﴾ ما معنا. ١١٦﴿قال ألقوا﴾ أمر، للإذن بتقديم إلقائهم، توصلاً به إلى إظهار الحق ﴿فلما ألقوا﴾ حبالهم وعصيهم ﴿سحروا أعين الناس﴾ صرفوها عن حقيقة إدراكها ﴿واسترهبوهم﴾ خوفوهم، حيث خيلوها حيات تسعى ﴿وجاؤوا بسحر عظيم﴾. ١١٧﴿وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف﴾ بحذف إحدى التاءين في الأصل، [وهو «تتلقف»، أي:] تبتلع ﴿ما يأفكون﴾ يقلبون، بتمويههم. ١١٨﴿فوقع الحق﴾ ثبت وظهر ﴿وبطل ما كانوا يعملون﴾ من السحر. ١١٩﴿فغلبوا﴾ أي: فرعون وقومه ﴿هنالك وانقلبوا صاغرين﴾ صاروا ذليلين. ١٢٠﴿وألقي السحرة ساجدين﴾ [أي: ألقَوْا بأنفسهم سُجَّداً، والتعبير بصيغة المجهول: «أُلقي»، لبيان أن سجودهم كان من غير تردُّد، فكأن أحداً ألقاهم]. ١٢١﴿قالوا آمنا

هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ
هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ
فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ
حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ
فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾
قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ
أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟
فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو
بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ * وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ
عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ
وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟
صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا



---

(١) أضفنا هذا الإيضاح رداً على ما في كتب أهل الكتاب من أن يد موسى: «خرجت برصاء مثل الثلج»، ومعلوم أن «البرص» مرض منفِّر، لا يصاب به الأنبياء عليهم السَّلام.

(٢) قوله: «في علم السحر». جمهور العلماء على أن «السحر» له حقيقة، تحدث عند نطق الساحر ببعض الكلام، أو فعل بعض الأشياء، وقيل: إنه تخييل باطل، لا أثر له غير تفريق الزوجين، والقول الأول هو الصحيح، والسحر: معدود من الأمراض والأمور الروحانية، يسري للبدن نفعاً وضراً، فلقد ثبت في الصحيحين: أن النبي ﷺ سحره لبيد بن الأعصم، كما سيأتي في تعليقنا على سبب نزول «المعوذتين» ص ٨٢٦، ولكن العلماء لم يختلفوا في حرمة تعلم السحر وتعليمه، إلاَّ بقصد التحذير منه وتجنبه، كما لم يختلفوا في كون العمل بالسحر حراماً ولو لفك مسحور، لأن فك السحر بالسحر لا يجوز، بل يفك بالآيات والذكر، كما فعل رسول الله ﷺ عندما نزلت عليه «المعوذتان».

و «السحر» من كبائر الذنوب: فقد روى الشيخان وغيرهما، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات» ــ أي: المهلكات ــ قالوا: يا رسول الله وما هنَّ؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلاَّ بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولِّي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»، والسحر من الكبائر ما دون الكفر، إذا لم يكن فيه ما يؤدي إلى الكفر، وإلاَّ كان كفراً، والعياذ بالله تعالى.

برب العالمين﴾. ١٢٢﴿رب موسى وهارون﴾ لعلمهم بأن ما شاهدوه من العصا، لا يأتي بالسحر، [بل هو معجزة]. ١٢٣﴿قال فرعون ءأمنتم﴾ بتحقيق الهمزتين، [وبعدهما ألف ممدودة، أي: بالاستفهام]، وإبدال الثانية ألفاً [أي: بهمزة واحدة بعدها ألف، على سبيل الخبر الذي معناه الاستفهام] ﴿به﴾ بموسى ﴿قبل أن آذن﴾ أنا ﴿لكم إن هذا﴾ الذي صنعتموه ﴿لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون﴾ ما ينالكم مني. ١٢٤﴿لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف﴾ أي: يد كل واحدٍ اليمنى، ورجله اليسرى ﴿ثم لأصلبنكم أجمعين﴾. ١٢٥﴿قالوا إنا إلى ربنا﴾ بعد موتنا، بأيِّ وجه كان ﴿منقلبون﴾ راجعون في الآخرة.

بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا

١٢٦﴿وما تنقم﴾ تُنكر ﴿منا إلاَّ أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبراً﴾ عند فعل ما توعدنا به، لئلا نرجع كفاراً ﴿وتوفنا مسلمين﴾ [عن ابن عباس: قال: كانوا في أول النهار سحرة، وفي آخر النهار شهداء، قال الكلبي: إن فرعون قطع أيديهم وأرجلهم وصلبهم، ورجحه الرازي في تفسيره، وقال غيره: إنه لم يقدر عليهم].

١٢٧﴿وقال الملأ من قوم فرعون﴾ له ﴿أتذر﴾ تترك ﴿موسى وقومه ليفسدوا في الأرض﴾ بالدعاء إلى مخالفتك ﴿ويذرك وآلهتك﴾ وكان صنع لهم أصناماً صغاراً يعبدونها وقال: أنا ربكم وربها، ولذا قال: «أنا ربكم الأعلى» ﴿قال سنقتل﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿أبناءهم﴾ المولودين ﴿ونستحيي﴾ نستبقي ﴿نساءهم﴾ [لاستعبادهنّ] كفعلنا بهم من قبل ﴿وإنا فوقهم قاهرون﴾ قادرون، ففعلوا بهم ذلك، فشكا بنو إسرائيل [إلى موسى الأمر].

١٢٨﴿قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا﴾ على أذاهم ﴿إن الأرض لله[1] يورثها﴾ يعطيها ﴿من يشاء من عباده والعاقبة﴾ المحمودة ﴿للمتقين﴾ [أي: للذين يتقون] الله. ١٢٩﴿قالوا أوذينا

---

(١) قوله تعالى: ﴿إن الأرض لله يورثها من يشاء...﴾ الآية، المراد بالأرض التي يذكر معها الإرث في القرآن الكريم، هذه الأرض المعهودة التي نعيش عليها، ولم يختلف العلماء في ذلك إلاَّ في قوله تعالى: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾، وفي قوله تعالى: ﴿وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء﴾ فقال بعضهم: «الأرض» فيهما هي الجنة في الآخرة، والصحيح: أنها هذه الأرض التي نعيش عليها في الدنيا، ولقد بيَّنا وجه الصواب في هذا القول، في تعليقنا آخر سورة «الزمر» ص ٦١٦.

من قبل أن تأتينا﴾ [أي: من قبل أن تبعث إلينا رسولاً] ﴿ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض﴾ [فتصبحوا فيها سادة أقوياء، وقد أنجز الله وعده، فأنجاهم وأغرق فرعون وقومه] ﴿فينظر كيف تعملون﴾ فيها، [أتشكرون أم تكفرون؟]. ١٣٠ ﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين﴾ بالقحط ﴿ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون﴾ يتعظون، فيؤمنون. ١٣١ ﴿فإذا جاءتهم الحسنة﴾ الخصب والغنى ﴿قالوا لنا هذه﴾ أي: [نحن] نستحقها، ولم يشكروا عليها ﴿وإن تصبهم سيئة﴾ جدب وبلاء ﴿يطيروا﴾[1] يتشاءموا ﴿بموسى ومن معه﴾ من المؤمنين [بقولهم: إن ما أصابنا من بلاء، نَحْسٌ سببه موسى ومن معه] ﴿ألا إنما طائرهم﴾ شؤمهم ﴿عند الله﴾ يأتيهم به [إذا شاء] ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ أن ما يصيبهم من عنده [تعالى بذنوبهم، لا من عند موسى وقومه].

١٣٢ ﴿وقالوا﴾ لموسى ﴿مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين﴾ فدعا عليهم، [فاستجبنا له].

١٣٣ ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان﴾ وهو: ماء دخل بيوتهم، ووصل إلى حلوق الجالسين، سبعة أيام ﴿والجراد﴾ فأكل زرعهم وثمارهم كذلك ﴿والقُمَّل﴾ السوس، أو: هو نوع من القراد، فتتبع ما تركه الجراد ﴿والضفادع﴾ فملأت بيوتهم وطعامهم ﴿والدم﴾ في مياههم ﴿آيات مفصلات﴾ مبينات، [سيأتي بيانها ص ٢٧٨] ﴿فاستكبروا﴾ عن الإيمان بها ﴿وكانوا قوماً مجرمين﴾.

١٣٤ ﴿ولما وقع عليهم الرجز﴾ العذاب ﴿قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك﴾ من كشف العذاب عنا إن آمنا ﴿لئن﴾ لام قسم ﴿كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل﴾ [وكانوا يستخدمونهم].

مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾

---

(١) قوله تعالى: ﴿يطيروا﴾ أصله: عادة الجاهليين قبل الإسلام، في التطيُّر بالسَّوانح والبوارح، من الطير والظِّباء ــ أي: الغزلان ــ وغيرها.

و «السانح» هو: ما والاك ميامنة، بأن يمر عن يسارك إلى يمينك، و «البارح»، عكسه، فكانوا ينفِّرون الظباء والطير، فإن أخذت ذات اليمين، تبركوا بها، ومضوا في حوائجهم، وإن أخذت ذات الشمال، رجعوا عن ذلك، وتشاءموا بها، فأبطل الشرع ذلك ونفاه، وأخبر أنه لا تأثير له في نفع أو ضرر، وجاء النهي عامّاً عن التشاؤم بأي شيء.

روى أبو داود بإسناد صحيح، عن عروة بن عامر رضي الله عنه قال: ذُكِرَت الطِيَرَة عند رسول الله ﷺ فقال: «أحسنها الفأل، ولا تَرُدُّ مسلماً، فإذا رأى أحدُكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلاَّ أنت، ولا يدفع السيئات إلاَّ أنت، ولا حول ولا قوة إلاَّ بك»، ومعنى: قوله ﷺ: «ولا ترد مسلماً» أي: لا ترده الطِيَرَةُ عما عزم عليه، لأنه يعلم أن الأمر كلّه لله.. وفسّر النبي ﷺ «الفأل» بأنه «كلمة صالحة»، روى ذلك البخاري ومسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه ونصه: «لا طيرة، وخيرها الفأل» قيل: يا رسول الله وما الفأل؟ قال: «الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم».

١٣٥ ﴿فلما كشفنا﴾ بدعاء موسى ﴿عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون﴾ ينقضون عهدهم، ويصرون على كفرهم. ١٣٦ ﴿فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم﴾ البحر الملح[1] ﴿بأنهم﴾ بسبب أنهم ﴿كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾ لا يتدبرونها.

١٣٧ ﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون﴾ بالاستعباد، وهم: بنو إسرائيل ﴿مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها﴾ بالماء والشجر، صفة للأرض، وهي: [أرض] الشام ﴿وتمت كلمة ربك الحسنى﴾ وهي قوله: «ونريد أن نمنَّ على الذين استُضعفوا في الأرض» إلخ ﴿على بني إسرائيل بما صبروا﴾ على أذى عدوهم ﴿ودمرنا﴾ أهلكنا ﴿ما كان يصنع فرعون وقومه﴾ من العمارة ﴿وما كانوا يعرشون﴾ بكسر الراء وضمها، يرفعون من البنيان.

١٣٨ ﴿وجاوزنا﴾ عبرنا ﴿ببني إسرائيل البحر﴾ [وأغرقنا فرعون وجنوده فيه] ﴿فأتوا﴾ فمروا ﴿على قوم يعكفون﴾ بضم الكاف وكسرها ﴿على أصنام لهم﴾ يقيمون على عبادتها، [وكانت تماثيلَ بقر، فلهذا أخرج لهم السامري عجلاً، كما سيأتي في سورة «طه»] ﴿قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً﴾ صنماً نعبده ﴿كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون﴾ حيث قابلتم نعمة الله عليكم بما قلتموه. ١٣٩ ﴿إن هؤلاء متبر﴾ هالك ﴿ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون﴾ [فكيف تريدون أن تكونوا مثلهم؟]. ١٤٠ ﴿قال أغير الله أبغيكم إلهاً﴾ معبوداً، وأصله: «أبغي لكم» ﴿وهو فضلكم على العالمين﴾ في زمانكم، بما ذكره في قوله: ١٤١ ﴿و﴾ اذكر ﴿إذ أنجيناكم﴾ وفي قراءة «أنجاكم» ﴿من آل فرعون يسومونكم﴾ يكلِّفونكم ويذيقونكم

فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ
يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ
الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي
بَارَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ
بِمَا صَبَرُوا ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ
وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ
فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا يَا مُوسَى
اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ
تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى
الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ

---

(١) قوله: «البحر الملح» هو إشارة إلى أن غرق فرعون وقومه، لم يكن في نهر النيل، كما يظن البعض، لأن العرب كانت تسمي كل ماء كبير بحراً، ومن ذلك سمي «النِّيل» بحراً، و «الفرات» بحراً، ولكن الله أغرقهم في البحر الملح أي: في مياه البحر الأحمر، في المنطقة المعروفة اليوم بخليج السويس، وكان ذلك في يوم العاشر من محرم، فقد روى البخاري في صحيحه ـ واللفظ له ـ ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قَدِم النبي ﷺ المدينة واليهود تصوم يوم عاشوراء، فقالوا: هذا يوم ظهر فيه موسى على فرعون، قال النبي ﷺ: «أنتم أحق بموسى منهم فصوموا»، وسئل ﷺ عن صيام يوم عاشوراء فقال: «يكفِّر السنة الماضية» رواه مسلم.

قال النووي رحمه الله في شرح مسلم: «قال الشافعي وأصحابه، وأحمد وإسحاق وآخرون: يستحب صوم التاسع والعاشر جميعاً، لأن النبي ﷺ صام العاشر، ونوى صيام التاسع» انتهى. وذلك أخذاً مما رواه مسلم، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «لئن بقيت إلى قابل، لأصومنَّ التاسع»، ومذهب ابن عباس: أن عاشوراء هو اليوم التاسع فقط، فقد رَوَى مسلم عنه، أن النبي ﷺ حين صام يوم عاشوراء وأمر بصيامه قالوا: يا رسول الله، إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى، فقال ﷺ: «فإذا كان العام المقبل إن شاء الله، صمنا اليوم التاسع»، فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله ﷺ.

﴿سوء العذاب﴾ أَشَدَّهُ، وهو: ﴿يقتلون أبناءكم ويستحيون﴾ يستبقون ﴿نساءكم﴾ [فلا يقتلونهنَّ] ﴿وفي ذلكم﴾ الإنجاء، أو العذاب ﴿بلاء﴾ إنعام، أو ابتلاء ﴿من ربكم عظيم﴾ أفلا تتعظون، فتنتهون عما قلتم؟. ١٤٢ ﴿وواعدنا﴾ بألف ودونها ﴿موسى ثلاثين ليلة﴾ نكلِّمه عند انتهائها، بأن يصومها، وهي: «ذو القعدة»، فصامها، فلما تَمَّتْ، أنكر خُلُوفَ فمه، فاستاك، فأمره الله بعشرة أخرى، ليكلِّمه بخلوف فمه [أخرجه الديلمي عن ابن عباس مرفوعاً] كما قال تعالى: ﴿وأتممناها بعشر﴾ من ذي الحجة ﴿فتم ميقات ربه﴾ وقتُ وعده بكلامه إياه ﴿أربعين﴾ حال ﴿ليلة﴾ تمييز ﴿وقال موسى لأخيه هارون﴾ عند ذهابه إلى الجبل للمناجاة ﴿اخلفني﴾ كن خليفتي ﴿في قومي وأصلح﴾ أمرهم ﴿ولا تتبع سبيل المفسدين﴾ بموافقتهم على المعاصي.

سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿١٤١﴾ ۞ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ

١٤٣ ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا﴾ أي: للوقت الذي وعدناه، للكلام فيه ﴿وكلمه ربه﴾ بلا واسطة، كلاماً سمعه من كلِّ جهة ﴿قال رب أرني﴾ نفسك ﴿أنظر إليك قال لن تراني﴾ أي: لا تقدر على رؤيتي، والتعبير به دون: «لن أُرَى»، يفيد إمكان رؤيته تعالى ﴿ولكن انظر إلى الجبل﴾ الذي هو أقوى منك ﴿فإن استقر﴾ ثبت ﴿مكانه فسوف تراني﴾ أي: تَثْبت لرؤيتي، وإلا فلا طاقة لك ﴿فلما تجلى ربه﴾ أي: ظهر من نوره قَدْرُ نصف أنملة الخنصر، كما في حديث[1] صححه الحاكم [اقرأ التعليق] ﴿للجبل جعله دكاً﴾ بالقصر والمد، أي: مدكوكاً مستوياً بالأرض ﴿وخر موسى صعقاً﴾ مغشياً عليه، لهول ما رأى ﴿فلما أفاق قال سبحانك﴾ تنزيهاً لك ﴿تبت إليك﴾ من سؤال ما لم أؤمر به ﴿وأنا أول المؤمنين﴾ في زماني. ١٤٤ ﴿قال﴾ تعالى له: ﴿يا موسى إني اصطفيتك﴾ اخترتك ﴿على الناس﴾ أهل زمانك ﴿برسالاتي﴾ بالجمع والإفراد ﴿وبكلامي﴾ أي: تكليمي إياك ﴿فخذ ما آتيتك﴾ من الفضل ﴿وكن من الشاكرين﴾ لأنعمي.

١٤٥ ﴿وكتبنا له في الألواح﴾ أي: ألواح التوراة، و[قيل:] كانت من سدر الجنة، أو: زبرجد، أو: زمرد. سبعة، أو: عشرة [والصحيح عدم تحديد نوعها، أو عددها، لأنه لا دليل على ذلك] ﴿من كل شيء﴾ يحتاج إليه في الدين

---

(١) قوله: «كما في حديث صححه الحاكم»، وروى أحمد والترمذي مثله، ولو لم يُشِر الجلال السيوطي إلى هذا الحديث لكان أحسن وأسلم، لأن في رواته من اختلف فيه، ولم يسلم من طعن، فالصحيح في تفسير الآية هو: «فلما تجلى رب موسى وظهر للجبل ــ بعد أن خلق في الجبل حياةً وإدراكاً ورؤيةً ــ رأى الجبلُ اللّهَ، كما سيراه المؤمنون في الآخرة، فاندكَّ الجبلُ من شدة هيبته تعالى، وسقط موسى مغشياً عليه، لهول ما رأى من اندكاكه»، وقال بمثل هذا القرطبي والنسفي في تفسيريهما. ارجع إلى تعليقنا حول رؤيته تعالى ص ٢٧٠.

﴿موعظة وتفصيلاً﴾ تبييناً ﴿لكل شيء﴾ بدل من الجار والمجرور قبله ﴿فخذها﴾ قَبْلَهُ: «قلنا» مقدراً، [أي: قلنا له فخذها] ﴿بقوة﴾ بجد واجتهاد ﴿وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين﴾ فرعون وأتباعه، وهي: مصر، لتعتبروا بها.

١٤٦﴿سأصرف عن آياتي﴾ دلائل قدرتي، من المصنوعات وغيرها ﴿الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق﴾ بأن أخذلهم، فلا يتفكرون فيها ﴿وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل﴾ طريق ﴿الرشد﴾ الهدى الذي جاء من عند الله ﴿لا يتخذوه سبيلاً﴾ يسلكوه ﴿وإن يروا سبيل الغي﴾ الضلال ﴿يتخذوه سبيلاً ذلك﴾ الصرف ﴿بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾ تقدم مثله [في الآية ١٣٥، أي: لا يتدبرونها]. ١٤٧﴿والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة﴾ البعث، وغيره [من الحساب والجزاء يوم القيامة] ﴿حبطت﴾ بطلت ﴿أعمالهم﴾ ما عملوه في الدنيا من خير، كصلة رحم وصدقة، فلا ثواب لهم [عليه في الآخرة]، لعدم شرطه [وهو: الإيمان، ولكنهم يجازون عليه في الدنيا، روى مسلم، عن أنس بن مالك قال: قال النبي ﷺ: «إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة، يُعْطَى بها في الدنيا، ويُجزى بها في الآخرة، أما الكافر فَيُطْعَمُ بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة، لم تكن له حسنة يُجزى بها»] ﴿هل﴾ ما ﴿يجزون إلا﴾ جزاء ﴿ما كانوا يعملون﴾ من التكذيب والمعاصي.

١٤٨﴿واتخذ قوم موسى من بعده﴾ أي: بعد ذهابه إلى المناجاة ﴿من حليهم﴾ الذي استعاروه[1] من قوم فرعون بِعِلّة عرس، فبقي عندهم ﴿عجلاً﴾ صاغه لهم منه السامري ﴿جسداً﴾ بدل [من «عجلاً»، أي:] لحماً ودماً ﴿له خوار﴾ أي: صوت يُسمع، انقلب كذلك، بوضع التراب الذي أخذه من حافر فرس جبريل في فمه، فإنَّ أثَره الحياةُ فيما يوضع فيه، [كما سيأتي في سورة «طه» ص ٤١٤]، ومفعول «اتخذ» الثاني محذوف، أي: إلَهاً ﴿ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً﴾ فكيف يتخذ إلَهاً؟ ﴿اتخذوه﴾ إلَهاً ﴿وكانوا ظالمين﴾ باتخاذه.

سُورَةُ الأَعْرَافِ ٧

مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

١٤٩﴿ولما سُقط في أيديهم﴾ أي: ندموا على عبادته ﴿ورأوا﴾ علموا ﴿أنهم قد ضلوا﴾ بها، بعد رجوع موسى ﴿قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا﴾ بالياء والتاء فيهما، [فعلى قراءة الياء، يكون: «ربنا» مرفوعاً على الفاعلية، وعلى قراءة التاء، يكون: «ربنا» منصوباً على النداء] ﴿لنكونن من الخاسرين﴾.

(١) معظم المفسرين ذهب هذا المذهب، وهو من أقاويل بني إسرائيل، والصحيح هو: أن الحلي هي لبني إسرائيل، ولا صحة لرواية استعارته، والإضافة في قوله: «حليهم» هي إضافة ملك.

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ

١٥٠ ﴿ولما رجع موسى إلى قومه غضبان﴾ من جهتهم ﴿أسفاً﴾ شديد الحزن ﴿قال﴾ لهم ﴿بئسما﴾ أي: بئس خلافةً ﴿خلفتمونيـ﴾ ـها ﴿من بعدي﴾ [أي: بئست] خلافتُكم هذه، [أي: بئس ما عملتم بعدي]، حيث أشركتم ﴿أعجلتم أمر ربكم﴾ [بما فعلتم، ولم تنتظروا حتى أرجع إليكم بأمره تعالى؟] ﴿وألقى الألواح﴾ ألواح التوراة، غضباً لربه، فتكسرت[1] ﴿وأخذ برأس أخيه﴾ [هارون]، أي: بشعره بيمينه، ولحيته بشماله ﴿يجره إليه﴾ غضباً ﴿قال﴾ [هارون:] يا ﴿ابن أم﴾ بكسر الميم وفتحها، أراد: أمي، وذِكْرُها أعطف لقلبه ﴿إن القوم استضعفوني وكادوا﴾ قاربوا ﴿يقتلونني فلا تشمت﴾ تُفرح ﴿بي الأعداء﴾ بإهانتك إياي ﴿ولا تجعلني مع القوم الظالمين﴾ بعبادة العجل، في المؤاخذة.

١٥١ ﴿قال رب اغفر لي﴾ ما صنعت بأخي ﴿ولأخي﴾ أشركَهُ في الدعاء، إرضاءً له، ودفعاً للشماتة به ﴿وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين﴾. ١٥٢ قال تعالى: ﴿إن الذين اتخذوا العجل﴾ إلهاً ﴿سينالهم غضب﴾ عذاب ﴿من ربهم وذلة في الحياة الدنيا﴾ فعُذبوا، بالأمر بقتل أنفسهم، وضربت عليهم الذلة إلى يوم القيامة ﴿وكذلك﴾ كما جزيناهم ﴿نجزي المفترين﴾ على الله بالإشراك وغيره. ١٥٣ ﴿والذين عملوا السيئات ثم تابوا﴾ رجعوا عنها ﴿من بعدها وآمنوا﴾ بالله ﴿إن ربك من بعدها﴾ أي: التوبة ﴿لغفور﴾ لهم ﴿رحيم﴾ بهم. ١٥٤ ﴿ولما سكت﴾ سكن ﴿عن موسى الغضب أخذ الألواح﴾ التي ألقاها ﴿وفي نسختها﴾ أي: ما نُسخ فيها، أي: كُتِبَ ﴿هدى﴾ من الضلالة ﴿ورحمة للذين هم لربهم يرهبون﴾ يخافون، وأدخل اللام على المفعول، [أي: «لربهم»]، لتقدُّمه، [أصله: «يرهبون ربهم»]. ١٥٥ ﴿واختار موسى قومه﴾ أي: من قومه

---

(١) قوله: «فتكسرت، وأخذ برأس أخيه»، إن تكسُّر الألواح جاء في رواية لحديث رواه أحمد والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعاً ونصه: «ليس الخبر كالمعاينة، إن الله أخبر موسى بما صنع قومه في العجل، فلم يلق الألواح، فلما عاين ما صنعوا، ألقى الألواح، فانكسرت»، فقوله: «فانكسرت» زيادة عما في رواية أخرى، ولعله من إدراج بعض الرواة، قال الفخر الرازي في تفسيره: «ولقائل أن يقول: ليس في القرآن إلاَّ أنه «ألقى الألواح» أما أنه ألقاها بحيث تكسرت، فهذا ليس في القرآن، وإنه لجراءة عظيمة على كتاب الله، ومثله لا يليق بالأنبياء عليهم السَّلام». اهـ. ونقول: إن قول الرازي هذا هو الصواب، فإن موسى عليه السَّلام كان غضبان قبل وصوله إلى قومه، فلا علاقة لغضبه بإلقاء الألواح، فغضبه كان على قومه الذين ضلوا بعده، ثم إن إلقاءها كان لا بد منه، إذ لا يعقل أن يظل يحملها.

أما أخذه برأس أخيه وجرُّه إليه، وما حصل بينهما، فقد بالغ بعضهم في تفسيره، فاعتبره عملاً لا يليق بالأنبياء، حتى اضطر آخرون إلى الدفاع، ولكن الأمر ليس كما قالوا، فلا شيء غير لائق فيما فعله موسى وهارون عليهما السَّلام أو قالاه، فهما معاً يحملان رسالة واحدة، والعادة جارية على التوسع والمباسطة بين ذوي القربى والأصحاب، ومن هذا القبيل قول سيدنا محمد ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه، في حديث صححه الترمذي: «ثكلتك أمك معاذ» أي: فقدتك أمك، وهذا دعاء عليه، لو قاله غيره ﷺ لربما غضب معاذ، فلو كان ذلك غير لائق لما قاله، وهو ﷺ أدرى الناس بما يليق وبما لا يليق.

﴿سبعين رجلاً﴾ ممن لم يعبدوا العجل، بأمره تعالى ﴿لميقاتنا﴾ أي: للوقت الذي وعدناه بإتيانهم فيه، ليعتذروا من عبادة أصحابهم العجل، فخرج بهم ﴿فلما أخذتهم الرجفة﴾ الزلزلة الشديدة، قال ابن عباس: لأنهم لم يزايلوا قومهم، [ولم يفارقوهم] حين عبدوا العجل، قال: وهم غير الذين سألوا الرؤية، وأخذتهم الصاعقة ﴿قال﴾ موسى ﴿رب لو شئت أهلكتهم من قبل﴾ أي: قبل خروجي بهم، ليعاين بنو إسرائيل ذلك، ولا يتهموني [بقتلهم] ﴿وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا﴾ استفهام استعطاف، أي: لا تعذبنا بذنب غيرنا ﴿إن﴾ ما ﴿هي﴾ أي: الفتنة التي وقع فيها السفهاء ﴿إلا فتنتك﴾ ابتلاؤك ﴿تضل بها من تشاء﴾ إضلاله ﴿وتهدي من تشاء﴾ هدايته ﴿أنت ولينا﴾ متولِّي أمورنا ﴿فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين﴾. ١٥٦ ﴿واكتب﴾ أوجب ﴿لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة﴾ حسنة ﴿إنا هدنا﴾ تبنا ﴿إليك قال﴾ تعالى: ﴿عذابي أصيب به من أشاء﴾ تعذيبه ﴿ورحمتي وسعت﴾ عمت ﴿كل شيء﴾ في الدنيا ﴿فسأكتبها﴾ في الآخرة ﴿للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون﴾ [فهم وحدهم الذين تنالهم رحمة الله يوم القيامة]. ١٥٧ [ثم بين الله تعالى، صفات الذين كتب الله لهم الرحمة في الآخرة، لكيلا يظن أهل الكتاب، أن رحمته تعالى ستنالهم، فقال:] ﴿الذين يتبعون الرسول النبيَّ الأمي﴾ محمداً ﷺ ﴿الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل﴾ باسمه وصفته ﴿يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات﴾ مما حرم في شرعهم ﴿ويحرم عليهم الخبائث﴾ من الميتة ونحوها ﴿ويضع عنهم إصرهم﴾[1] ثِقَلَهم ﴿والأغلال﴾ الشدائد ﴿التي كانت عليهم﴾ كقتل النفس في التوبة، وقطع أثر النجاسة [من الثوب، وعدم طهارته بالغَسْل]

سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ

(١) قوله تعالى: ﴿ويضع عنهم إصرهم﴾، من المعلوم: أن بني إسرائيل شددوا على أنفسهم، فشدد الله عليهم، كما فعلوا في قصة أمرهم بذبح بقرة، لذلك حذر النبي ﷺ من التشدد والتنطع فقال: «إن الدِّين يُسْرٌ ولن يُشادَّ الدِّينَ أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا» رواه البخاري، وقال ﷺ: «هلك المُتَنَطِّعُون»، قالها ثلاثاً، رواه مسلم، وهم المتعمِّقون المشدِّدون في غير موضع التشديد.

ومن الأمثلة على التنطع المذموم: ما رواه البخاري، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: بينما ﷺ يخطب إذا هو برجل قائم، فسأل عنه، فقالوا: أبو إسرائيل ــ واسمه: يُسَيْرُ بن عروة الأنصاري ــ نذر أن يقوم في الشمس ولا يقعدَ، ولا يستظلَّ، ولا يتكلمَ، ويصومَ، فقال النبي ﷺ: «مُروه فليتكلم، وليستظل، وليقعد، وليتم صومه»، فرد عليه بدْعَتَهُ، وأمره بإتمام الصوم، لأنه عبادة مشروعة.

وروى الشيخان عن أنس رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ، يسألون عن عبادته، فلما أخبروا، كأنهم تقالّوها ــ أي: وجدوها قليلة في حقهم هم ــ وقالوا: أين نحن من النبي ﷺ، وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر أبداً ولا أفطر، وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: =

﴿فالذين آمنوا به﴾ منهم ﴿وعزروه﴾[1] وقّروه ﴿ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه﴾ أي: القرآن ﴿أولئك هم المفلحون﴾.

١٥٨﴿قل﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلاّ هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته﴾ القرآن ﴿واتبعوه لعلكم تهتدون﴾ ترشدون. ١٥٩﴿و﴾ [كان] ﴿من قوم موسى﴾ [في زمانه] ﴿أمة﴾ جماعة ﴿يهدون﴾ الناس ﴿بالحق وبه يعدلون﴾ في الحكم.

١٦٠ [ثم رجع السياق، إلى بيان أحوال بني إسرائيل، وكيف كانوا يقابلون نعم الله عليهم، قال تعالى:] ﴿وقطعناهم﴾ فرقنا بني إسرائيل ﴿اثنتي عشرة﴾ حال ﴿أسباطاً﴾ بدل منه، أي: قبائل ﴿أمماً﴾ بدل مما قبله ﴿وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه﴾ في التيه ﴿أن اضرب بعصاك الحجر﴾ فضربه ﴿فانبجست﴾ انفجرت ﴿منه اثنتا عشرة عيناً﴾ بعدد الأسباط[2] ﴿قد علم كل أناس﴾ سبط منهم ﴿مشربهم وظللنا عليهم الغمام﴾ في التيه، من حر الشمس ﴿وأنزلنا عليهم المن والسلوى﴾ هما التُّرَنْجَبِين [وهو: شيء حلو]، والطير السُّمانَى، بتخفيف الميم والقصر، وقلنا لهم: ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ [فأكلوا، ولم يشكروا الله على ذلك] ﴿وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾. ١٦١﴿و﴾ اذكر ﴿إذ قيل

الجزء التاسع

فَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا۟ النُّورَ الَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِى لَهُۥ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِىِّ الْأُمِّىِّ الَّذِى يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمُ اثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ اسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانۢبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ

- «أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد ــ أي: أنام من الليل ــ وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني».

(١) قوله تعالى: ﴿وعزروه﴾ جاء في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع: أولها: في الآية «١٢» من سورة «المائدة» ص١٣٨، حيث قال تعالى خطاباً لبني إسرائيل: ﴿وآمنتم برسلي وعزرتموهم﴾، وثانيها: هنا في «الأعراف»، والموضع الثالث: في سورة «الفتح» الآية التاسعة منها ص ٦٧٩، حيث قال تعالى: ﴿لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه﴾.

وللتعزير في اللغة معنيان متضادان، فيقال: «عزّره»: أي: لامه، وعزّر الجاني: إذا ضربه مؤدباً دون الحد»، ومنه: «التعزير» الموكول إلى الحاكم، أي: التأديب على ما لا عقوبة دنيوية محددة فيه.

ويقال أيضاً: «عزّره: أجلّه وعظّمه ووقّره، وأعانه وقواه، ونصره بسيفه ولسانه» وهذا هو المعنى المراد من «التعزير» في المواضع الثلاثة المذكورة.

(٢) قوله: «بعدد الأسباط» هم أولاد يعقوب عليه السّلام، يوسف وإخوته الأحد عشر، فهؤلاء وذرياتهم هم «بنو إسرائيل». ارجع إلى تعليقنا حول «الأسباط» ص ٢٦، وحول «بني إسرائيل» ص ١٠.

لهم اسكنوا هذه القرية﴾ بيت المقدس ﴿وكلوا منها حيث شئتم وقولوا﴾ أَمْرُنا ﴿حطة﴾ [أي: طَلَبُنا أن تَحُطَّ ذنوبنا، ليكون ذلك اعترافاً منهم بها] ﴿وادخلوا الباب﴾ أي: باب القرية ﴿سجداً﴾ سجود انحناء ﴿نغفر﴾ بالنون، والتاء[1] مبنياً للمفعول ﴿لكم خطاياكم سنزيد المحسنين﴾ بالطاعة ثواباً.

١٦٢﴿فبدل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم﴾ فقالوا[2] [مستهزئين]: «حبة في شعَرَة»، ودخلوا يزحَفُون على أستاهم، [جمع «سَتَه»، أي: أوراكهم] ﴿فأرسلنا عليهم رجزاً﴾ عذاباً ﴿من السماء بما كانوا يظلمون﴾.

لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا

١٦٣﴿واسألهم﴾ يا محمد، توبيخاً ﴿عن القرية التي كانت حاضرة البحر﴾ مجاورة بحر القُلْزم، [أي: البحر الأحمر]، وهي: «إيلة»، [عند خليج العقبة]، ما وقع بأهلها؟ ﴿إذ يعدون﴾ يعتدون ﴿في السبت﴾ بصيد السمك، المأمورين بتركه فيه ﴿إذ﴾ ظرف لـ «يعدون» ﴿تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً﴾ ظاهرة على الماء ﴿ويوم لا يسبتون﴾ لا يعظمون السبت، أي: سائر الأيام ﴿لا تأتيهم﴾ ابتلاء من الله ﴿كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون﴾ ولما صادوا السمك، افترقت القرية أثلاثاً: ثلث صادوا معهم، وثلث نهوهم، وثلث أمسكوا عن الصيد والنهي.

١٦٤﴿وإذ﴾ عطف على «إذ» قبله ﴿قالت أمة منهم﴾ لم تَصِدْ، ولم تَنْهَ، لمن نَهَى: ﴿لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً؟ قالوا﴾ موعظتنا ﴿معذرة﴾ نعتذر بها ﴿إلى ربكم﴾ لئلا ننسب إلى تقصير في ترك النهي ﴿ولعلهم يتقون﴾ الصيد.

١٦٥﴿فلما نسوا﴾ تركوا ﴿ما ذكروا﴾ وُعظوا ﴿به﴾ فلم يرجعوا ﴿أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا﴾ بالاعتداء [في السبت] ﴿بعذاب بئيس﴾ شديد ﴿بما كانوا يفسقون﴾. ١٦٦﴿فلما

---

(١) قوله: «بالنون والتاء» الحاصل: أن في قوله تعالى: ﴿نغفر لكم خطيئاتكم﴾ أربع قراءات سبعية، اثنتان منها بالنون واثنتان بالياء، الأولى: «نَغْفِرْ لكم خطيئاتِكم». الثانية: «نَغْفِرْ لكم خطاياكم». الثالثة: «تُغْفَرْ لكم خطيئتُكم» بالإفراد. الرابعة: «تُغْفَرْ لكم خطيئاتُكُم» بالجمع.

(٢) قوله: «فقالوا» إلخ. أخرج البخاري ومسلم والترمذي، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «قيل لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجداً وقولوا: حطة، فدخلوا يزحَفُون على أستاهِهم، فبدَّلوا وقالوا: حطة... حبة في شَعَرَة». وفي رواية قالوا: «حنطة» بدل «حطة»، وذلك استهزاءً منهم.

عتوا﴾ تكبروا ﴿عن﴾ ترك ﴿ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين﴾ صاغرين، فكانوها، وهذا تفصيل لما قبله، قال ابن عباس: ما أدري ما فُعل بالفرقة الساكتة، وقال عكرمة: لم تَهلك، لأنها كرهت ما فعلوه وقالت: «لم تعظون»؟إلخ، وروى الحاكم عن ابن عباس: أنه رجع إليه، [أي: إلى قول عكرمة]، وأعجبه. ١٦٧ ﴿وإذ تأذن﴾[1] أعلم ﴿ربك ليبعثن عليهم﴾ أي: اليهود [من بني إسرائيل] ﴿إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب﴾ بالذل وأخذ الجزية، فبعث عليهم سليمان، وبعده بختنصر، فقتلهم وسباهم، وضرب عليهم الجزية، فكانوا يؤدونها إلى المجوس، إلى أن بُعث نبينا ﷺ، فضربها عليهم ﴿إن ربك لسريع العقاب﴾ لمن عصاه ﴿وإنه لغفور﴾ لأهل طاعته ﴿رحيم﴾ بهم. ١٦٨ ﴿وقطعناهم﴾ فرقناهم ﴿في الأرض أمماً﴾ فرقاً ﴿منهم الصالحون﴾ [وهم الذين آمنوا بمحمد ﷺ، وحَسُنَ إسلامهم] ﴿ومنهم﴾ ناس ﴿دون ذلك﴾ [هم] الكفار والفاسقون ﴿وبلوناهم بالحسنات﴾ بالنعم ﴿والسيئات﴾ النقم ﴿لعلهم يرجعون﴾ عن فسقهم.

١٦٩ ﴿فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب﴾ التوراة عن آبائهم ﴿يأخذون عرض هذا الأدنى﴾ أي: حطام هذا الشيء الدنيء، أي: الدنيا من حلال وحرام، [لشدة حرصهم ونهمهم] ﴿ويقولون سيغفر لنا﴾ ما فعلنا ﴿وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه﴾ الجملة حال، أي: يرجون المغفرة، وهم عائدون إلى ما فعلوه، مصرُّون عليه، وليس في التوراة وَعْدُ المغفرة، مع الإصرار ﴿ألم يؤخذ﴾ استفهام تقرير، [أي: قد أُخِذَ] ﴿عليهم ميثاق الكتاب﴾ الإضافة بمعنى «في»، [أي: ميثاقٌ في الكتاب] ﴿أن لا يقولوا على الله إلاّ الحق ودرسوا﴾ عطف على «يؤخذ»، [أي:] قرؤوا ﴿ما فيه﴾ فلِمَ كذبوا عليه، بنسبة المغفرة إليه مع الإصرار؟ ﴿والدار الآخرة خير للذين يتقون﴾ الحرام ﴿أفلا يعقلون﴾ بالياء والتاء، أنها خير، فيؤثرونها على الدنيا؟.

١٧٠ ﴿والذين يمسكون﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿بالكتاب﴾ منهم، [فأسلموا] ﴿وأقاموا الصلاة﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿إنا لا نضيع أجر المصلحين﴾ الجملة خبر «الذين»، وفيه وضع الظاهر موضع المضمر، أي: «أجرهم». ١٧١ ﴿و﴾ اذكر ﴿إذ نتقنا

عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ * وَإِذْ نَتَقْنَا

حزب ١٨

(١) قوله تعالى: ﴿وإذ تأذن ربك﴾ الآية «١٦٧»، أخرج الإمام مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة، حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبىء اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقولَ الحجر والشجر: يا مسلم، يا عبد الله... هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، إلاّ الغرقد فإنه من شجر اليهود». و «الغَرْقَدُ»: نوع من الشجر له شوك، قال الدينوري: «العوسجة» إذا عظمت صارت «غَرْقَدَة».

الجبل﴾ رفعناه من أصله ﴿فوقهم كأنه ظلة وظنوا﴾ أيقنوا ﴿أنه واقع بهم﴾ ساقط عليهم، بوعد الله إياهم بوقوعه، إن لم يقبلوا أحكام التوراة، وكانوا أبَوْها لثقلها، فقبلوا، وقلنا لهم: ﴿خذوا ما آتيناكم بقوة﴾ بجد واجتهاد ﴿واذكروا ما فيه﴾ بالعمل به ﴿لعلكم تتقون﴾.

١٧٢ ﴿و﴾ اذكر ﴿إذ﴾ حين ﴿أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم﴾ بدل اشتمال مما قبله، بإعادة الجارّ ﴿ذريتهم﴾ بأن أخرج بعضهم من صلب بعض، من صلب آدم، نسلاً بعد نسل، كنحو ما يتوالدون، كالذر، [جمعهم] بنُعمان [ــ مكان بجنب عرفة ــ] يومَ عرفة، ونصب لهم دلائل على ربوبيته، وركَّبَ فيهم عقلاً ﴿وأشهدهم على أنفسهم﴾ قال: ﴿ألست بربكم؟ قالوا بلى﴾ أنت ربنا ﴿شهدنا﴾ بذلك، والإشهاد لـ ﴿أن﴾ لا ﴿يقولوا﴾ بالياء والتاء في الموضعين، [هذا والذي بعده]، أي: [لئلا يقول] الكفار ﴿يوم القيامة إنا كنا عن هذا﴾ التوحيد ﴿غافلين﴾ لا نعرفه.

١٧٣ ﴿أو يقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل﴾ أي: قبلنا ﴿وكنا ذرية من بعدهم﴾ فاقتدينا بهم ﴿أفتهلكنا﴾ تعذبنا ﴿بما فعل المبطلون﴾ من آبائنا، بتأسيس الشرك؟ المعنى: لا يمكنهم الاحتجاج بذلك، مع إشهادهم على أنفسهم بالتوحيد، والتذكيرُ به على لسان صاحب المعجزة، قائم مقام ذكره في النفوس.

١٧٤ ﴿وكذلك نفصل الآيات﴾ نبينها، مثل ما بينا الميثاق، ليتدبروها ﴿ولعلهم يرجعون﴾ عن كفرهم.

١٧٥ ﴿واتل﴾ يا محمد ﴿عليهم﴾ أي: اليهود ﴿نبأ﴾ خبر ﴿الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها﴾ خرج بكفره، كما تخرج الحية من جلدها، وهو: بَلْعَم بن باعُوراء، من علماء بني إسرائيل، سئل أن يدعو على موسى [وقومه]، وأُهدي إليه شيء، فدعا [عليهم]، فانقلب [دعاؤه] عليه، واندلع لسانه على صدره ﴿فأتبعه الشيطان﴾ فأدركه، فصار قَرِينه[1] ﴿فكان من الغاوين﴾.

١٧٦ ﴿ولو شئنا لرفعناه﴾ إلى منازل العلماء ﴿بها﴾ بأن نوفقه للعمل ﴿ولكنه أخلد﴾ سكن ﴿إلى الأرض﴾ أي: الدنيا، ومال إليها ﴿واتبع هواه﴾ في دعائه إليها، فوضعناه [وأهنّاه] ﴿فمثله﴾ صفته ﴿كمثل الكلب إن تحمل عليه﴾ بالطرد والزجر ﴿يلهث﴾ يَدْلَعْ لسانَهُ ﴿أو﴾ إن ﴿تتركه يلهث﴾ وليس غيره من الحيوان كذلك، وجملتا الشرط حال، أي: لاهثاً ذليلاً بكل حال، والقصد التشبيه في الوضع والخسة، بقرينة «الفاء»، المشعرة بترتيب ما بعدها على ما قبلها، من الميل إلى الدنيا واتباع الهوى، وبقرينة قوله: ﴿ذلك﴾ المثل ﴿مثل القوم الذين

ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ

(١) قوله: «فصار قرينه»، ارجع إلى تعليقنا حول معاني «القرين» ص ٦٣٣.

كذبوا بآياتنا فاقصص القصص﴾ على اليهود، [وعلى غيرهم] ﴿لعلهم يتفكرون﴾ يتدبرون فيها، فيؤمنون.
١٧٧﴿ساء﴾ بئس ﴿مثلاً القوم﴾ أي: مثل القوم ﴿الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون﴾ بالتكذيب.
١٧٨﴿من يهد الله فهو المهتدي﴾ [بإثبات الياء هنا، وصلاً ووقفاً، باتفاق القراء] ﴿ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون﴾.
١٧٩﴿ولقد ذرأنا﴾ خلقنا ﴿لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها﴾ الحق ﴿ولهم أعين لا يبصرون بها﴾ دلائل قدرة الله، بصرَ اعتبار ﴿ولهم آذان لا يسمعون بها﴾ الآيات والمواعظ، سماعَ تدبر واتعاظ ﴿أولئك كالأنعام﴾ في عدم الفقه والبصر والاستماع ﴿بل هم أضل﴾ من الأنعام، لأنها تطلب منافعها، وتهرب من مضارها، وهؤلاء يقدمون على النار معاندة ﴿أولئك هم الغافلون﴾.
١٨٠﴿ولله الأسماء الحسنى﴾ التسعة والتسعون، الوارد بها الحديث(1) و «الحسنى»: مؤنث «الأحسن» ﴿فادعوه﴾ سموه ﴿بها وذروا﴾ اتركوا ﴿الذين يلحدون﴾ [بضم الياء وكسر الحاء]، من «ألحد»، [وبفتحهما من «لحد»، [أي:] يميلون عن الحق ﴿في أسمائه﴾ حيث اشتقوا منها أسماء لآلهتهم، كاللات من «الله»، والعزَّى من «العزيز»، ومناة من «المنان» ﴿سيجزون﴾ في الآخرة، جزاءَ ﴿ما كانوا يعملون﴾ وهذا قبل الأمر بالقتال.
١٨١﴿وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ هم أمة محمد ﷺ، كما في حديث [موقوف على بعض التابعين، كقتادة، أخرجه ابن جرير الطبري وغيره، وهذا تفسير تابعي].
١٨٢﴿والذين كذبوا بآياتنا﴾ القرآن، من أهل مكة [وغيرها] ﴿سنستدرجهم﴾ نأخذهم قليلاً قليلاً ﴿من حيث لا يعلمون﴾.
١٨٣﴿وأملي لهم﴾ [أي: وأطوِّل لهم ما هم فيه، و] أمهلهم ﴿إن كيدي متين﴾ شديد لا يطاق.

كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُولَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾

---

(1) قوله: «الوارد بها الحديث»، أي: الذي رواه الترمذي، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقد ذكره السيوطي بتمامه في آخر سورة الإسراء ص ٣٧٩. وجاء ذكر أسماء الله الحسنى، في عدد من الأحاديث، من غير تعداد، فقد روى الشيخان وغيرهما، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها ـ أي: حفظها ـ دخل الجنة»، أما تعدادها اسماً اسماً، فلم يخرَّج في الصحيحين، بل ذكره عدد من أئمة الحديث، منهم ابن ماجه والترمذي مع تقديم وتأخير، وزيادة ونقصان، واهتم بها البيهقي وتعقبها في كتابه «الأسماء والصفات»، ولكن رواية الترمذي التي أشرنا إليها هي المعروفة والمتداولة.

قال ابن حجر: واختلف الحفاظ في أن سردها، هل هو من مُدْرَجات الراوي، أي: مدرج في الخبر، من بعض الرواة الذين جمعوها =

١٨٤﴿أو لم يتفكروا﴾ فيعلموا ﴿ما بصاحبهم﴾ محمد ﷺ ﴿من جنة﴾ جُنون ﴿إن﴾ ما ﴿هو إلاَّ نذير مبين﴾ بيِّن الإنذار؟.

١٨٥﴿أو لم ينظروا في ملكوت﴾ ملك ﴿السماوات والأرض و﴾ في ﴿ما خلق الله من شيء﴾ بيان لـ «ما»، فيستدلوا به على قدرة صانعه ووحدانيته؟ ﴿و﴾ في ﴿أن﴾ [مخففة من الثقيلة،] أي: أنه ﴿عسى أن يكون قد اقترب﴾ قرب ﴿أجلهم﴾ فيموتوا كفاراً، فيصيروا إلى النار، فيبادروا إلى الإيمان ﴿فبأي حديث بعده﴾ أي: القرآن ﴿يؤمنون﴾؟.

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ

١٨٦﴿من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم﴾ بالياء والنون مع الرفع استئنافاً، [وفي قراءة بالياء] والجزم، عطفاً على محل ما بعد الفاء، [الواقعة في جواب الشرط، فهي ثلاث قراءات سبعية] ﴿في طغيانهم يعمهون﴾ يترددون تحيراً.

١٨٧﴿يسألونك﴾ أي: أهل مكة ﴿عن الساعة﴾ القيامة ﴿أيان﴾ متى ﴿مرساها﴾ [قيامها]؟ ﴿قل﴾ لهم ﴿إنما علمها﴾ متى تكون ﴿عند ربي لا يجليها﴾ يظهرها ﴿لوقتها﴾ اللام بمعنى «في»، [أي: في وقتها] ﴿إلاَّ هو ثقلت﴾ عَظُمت ﴿في السماوات والأرض﴾ على أهلهما لهولها ﴿لا تأتيكم إلاَّ بغتة﴾ فجأة ﴿يسألونك كأنك حفي﴾ مبالغ في السؤال ﴿عنها﴾ حتى علمتها ﴿قل إنما علمها عند الله﴾ تأكيد ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ أن علمها عنده تعالى، [لأنهم ليسوا مؤمنين].

١٨٨﴿قل لا أملك لنفسي نفعاً﴾ أجلبه ﴿ولا ضراً﴾ أدفعه ﴿إلاَّ ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب﴾ ما غاب عني ﴿لاستكثرت من الخير وما مسني السوء﴾ من فقر وغيره، لاحترازي عنه باجتناب المضار ﴿إن﴾ ما ﴿أنا إلاَّ نذير﴾ بالنار للكافرين ﴿وبشير﴾ بالجنة ﴿لقوم

= من القرآن الكريم، أو هو مرفوع، أي: من كلامه ﷺ؟. ورُجّح الأول، فليس تعدادها من قوله ﷺ ولا من قول الصحابي ـ أبي هريرة ـ راوي الحديث. قال الداودي: لم يثبت أن النبي ﷺ عيّن الأسماء المذكورة.

وعلى كل حال، فإنه ما من اسم منها إلاَّ ورد به الكتاب والسنة الصحيحة، غيرَ اسم «الصبور»، فإنه لم يرد في القرآن الكريم، بل جاء في حديث الشيخين، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «ليس أحد، أو: ليس شيء أصبر على أذى سمعه من الله، إنهم ليدعون له ولداً، وإنه ليعافيهم ويرزقهم» يعني: الكفار، فلم يعاجلهم بالعقوبة.

وليست أسماؤه تعالى منحصرة في التسعة والتسعين المشار إليها، بدليل حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ وفيه: «أسألك بكل اسم هو لك، سميتَ به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علّمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همّي» رواه أحمد، وابن حبان في صحيحه.

يؤمنون﴾. ١٨٩﴿هو﴾ أي: الله ﴿الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ أي: آدم ﴿وجعل﴾ خلق ﴿منها زوجها﴾ حواء ﴿ليسكن إليها﴾ [ليطمئن إليها] ويألفها ﴿فلما تغشاها﴾ جامعها ﴿حملت حملاً خفيفاً﴾ هو النطفة ﴿فمرت به﴾ ذهبت وجاءت، لخفَّته ﴿فلما أثقلت﴾ بكبر الولد في بطنها، وأشفقا أن يكون بهيمة ﴿دعوا الله ربهما لئن آتيتنا﴾ ولداً ﴿صالحاً﴾ سوياً ﴿لنكونن من الشاكرين﴾ لك عليه. ١٩٠﴿فلما آتاهما﴾ ولداً ﴿صالحاً جعلا له شركاء﴾[1] وفي قراءة: [«شِرْكاً»] بكسر الشين والتنوين، أي: شريكاً ﴿فيما آتاهما﴾ بتسميته عبد الحارث، ولا ينبغي أن يكون عبداً إلاَّ لله، وليس بإشراك في العبودية، لعصمة آدم. وروى سَمُرة [بن جُنْدب] عن النبي ﷺ قال: «لما ولدت حواء، طاف بها إبليس، وكان لا يعيش لها ولد، فقال: سمِّيه عبد الحارث، فإنه يعيش، فسمَّته، فعاش، فكان ذلك من وحي الشيطان وأمره» رواه الحاكم وقال: صحيح، والترمذيُّ وقال: حسن غريب [اقرأ التعليق] ﴿فتعالى الله عما يشركون﴾ أي: أهل مكة، به من الأصنام، والجملة مسبَّبة، عطف على «خلقكم»، وما بينهما اعتراض. ١٩١﴿أيشركون﴾ به في العبادة ﴿ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون﴾. ١٩٢﴿ولا يستطيعون لهم﴾ أي: لعابديهم ﴿نصراً ولا أنفسهم ينصرون﴾ بمنعها ممن أراد بهم سوءاً، من كَسْرٍ وغيره، والاستفهام للتوبيخ.

١٩٣﴿وإن تدعوهم﴾ أي: الأصنام ﴿إلى الهدى لا يتبعوكم﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿سواء عليكم أدعوتموهم﴾ إليه ﴿أم أنتم صامتون﴾ عن دعائهم، [فإنهم] لا يتَّبعون، لعدم سماعهم. ١٩٤﴿إن الذين تدعون﴾ تعبدون ﴿من دون الله عباد﴾ مملوكة ﴿أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم﴾ دعاءكم ﴿إن كنتم صادقين﴾ في أنها آلهة. ١٩٥ ثم بيَّنَ غاية عجزهم، وفضْلَ عابديهم عليهم فقال: ﴿ألهم أرجل يمشون بها؟ أم﴾ بل أ ﴿لهم أيد﴾ جمع: «يد» ﴿يبطشون بها؟ أم﴾ بل أ ﴿لهم أعين يبصرون بها؟ أم﴾ بل أ ﴿لهم

يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ

ربع الحزب

(١) قوله تعالى: ﴿جعلا له شركاء﴾. اختلف المفسرون في الشرك الوارد في هذه الآية، فقال قوم: إن الكلام في آدم وحواء، وفسَّروا الشرك بأنه في تسميتهما الولد «عبدَ الحارث»، لا في الصفة والربوبية، واحتجوا على ذلك بالحديث الذي ذكره السيوطي هنا، ورواه الحاكم والترمذي، وقال آخرون: إن ما في الآيتين ١٨٩ و ١٩٠، لا يعني آدم وزوجه، بل يعم جنس الآدميين، ويبين عن حال المشركين من ذريتهما، وهذا الذي يعوَّل عليه، فقوله تعالى: ﴿جعلا له﴾ يعني: الجنسين أي: الذكر والأنثى الكافرين، دل على هذا قوله تعالى بعد ذلك: ﴿فتعالى الله عما يشركون﴾ ولم يقل: يشركان. قال القرطبي: هذا قول حَسَن، ونقل ابن كثير في تفسيره عن قتادة قال: كان الحسن يقول: «هم اليهود والنصارى، رزقهم الله أولاداً، فهوَّدوا ونصَّروا»، وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن البصري رحمه الله، أنه فسر الآية بذلك، =

آذان يسمعون بها؟﴾ استفهام إنكار، أي: ليس لهم شيء من ذلك، مما هو لكم، فكيف تعبدونهم، وأنتم أتم حالاً منهم؟!. ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿ادعوا شركاءكم﴾ إلى هلاكي ﴿ثم كيدون فلا تنظرون﴾ [أي: فلا] تمهلونِ، فإني لا أبالي بكم.

١٩٦﴿إن وليي الله﴾ متولِّي أموري ﴿الذي نزل الكتاب﴾ القرآن ﴿وهو يتولى الصالحين﴾ بحفظه. ١٩٧﴿والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون﴾ فكيف أبالي بهم؟. ١٩٨﴿وإن تدعوهم﴾ أي: الأصنام ﴿إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم﴾ أي: الأصنام يا محمد ﴿ينظرون إليك﴾ أي: يقابلونك كالناظر ﴿وهم لا يبصرون﴾. ١٩٩﴿خذ العفو﴾ [أي:] اليُسر من أخلاق الناس، [أخرجه البخاري، عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما]، ولا تبحث عنها، [وأخرج الطبراني وغيره، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «أمرالله نبيه، أن يأخذ العفو من أخلاق الناس»] ﴿وأمر بالعرف﴾ المعروف ﴿وأعرض عن الجاهلين﴾ فلا تقابلهم بسفههم. ٢٠٠﴿وإما﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية، في «ما» المزيدة ﴿ينزغنك من الشيطان نزغ﴾ أي: إن يصرفْك عما أُمرت به صارفٌ ﴿فاستعذ بالله﴾ جواب الشرط، وجواب الأمر محذوف، أي: يَدْفَعْهُ عنك ﴿إنه سميع﴾ للقول ﴿عليم﴾ بالفعل، [وفي هذه الآية، استحبابُ التعوذ عند الغضب والوسوسة][(١)].

٢٠١﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم﴾ أصابهم ﴿طيف﴾ وفي قراءة «طائف»، أي: شيء ألَمَّ بهم ﴿من الشيطان تذكروا﴾ عقاب الله وثوابه ﴿فإذا هم مبصرون﴾ الحق من غيره، فيرجعون. ٢٠٢﴿وإخوانهم﴾ أي: إخوان الشياطين من الكفار ﴿يمدونهم﴾ أي: الشياطين ﴿في الغي﴾ [أي: في الضلال] ﴿ثم﴾ هم ﴿لا يقصرون﴾ يكفون عنه بالتبصُّر، كما تبصَّر المتقون.

٢٠٣﴿وإذا لم تأتهم﴾ أي: أهل مكة ﴿بآية﴾ مما اقترحوا ﴿قالوا لولا﴾ هلاَّ ﴿اجتبيتها﴾ أنشأتها من قبل نفسك؟! ﴿قل﴾ لهم ﴿إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي﴾ وليس لي أن آتي من عند نفسي بشيء ﴿هذا﴾ القرآن ﴿بصائر﴾ حُجج

ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى هَٰذَا بَصَآئِرُ

= وهو من أحسن التفاسير وأولى ما حُملت عليه الآية». ثم بعد أن بيَّن ابن كثير، ما في هذه الروايات التي فيها ذِكر آدم وحواء، من علل، وما عليها من مآخذ، قال: «وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري رحمه الله في هذا، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء، وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته». اهـ. ونقول: إن هذا هو الحق، والمتفق مع منزلة الأنبياء عليهم السّلام.

(١) قولنا: «عند الغضب والوسوسة»، روى الشيخان عن سليمان بن صُرَد الخُزاعي رضي الله عنه قال: كنت جالساً مع النبي ﷺ =

﴿من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾. ٢٠٤ ﴿وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا﴾ عن الكلام ﴿لعلكم ترحمون﴾ نزلت في ترك الكلام في الخطبة، وعبر عنها بالقرآن، لاشتمالها عليه، [وأخرج عبد الرزاق وغيره عن مجاهد قال: «وجب الإنصات في اثنتين: في الصلاة والإمامُ يقرأ، وفي الجمعة والإمامُ يخطب»] وقيل: في قراءة القرآن مطلقاً.

٢٠٥ ﴿واذكر ربك في نفسك﴾ أي: سرّاً ﴿تضرعاً﴾ تذللاً ﴿وخيفة﴾ خوفاً منه ﴿و﴾ فوق السر ﴿دون الجهر من القول﴾ أي: قصداً بينهما ﴿بالغدو والآصال﴾ أوائل النهار وأواخره ﴿ولا تكن من الغافلين﴾ عن ذكر الله. ٢٠٦ ﴿إن الذين عند ربك﴾ أي: الملائكة ﴿لا يستكبرون﴾ يتكبرون ﴿عن عبادته ويسبحونه﴾ ينزهونه عما لا يليق به ﴿وله يسجدون﴾[1] أي: يخصونه بالخضوع والعبادة، فكونوا مثلهم.

﴿سُورَةُ الأَنفَال﴾

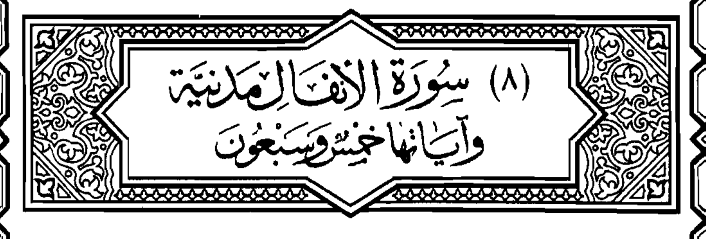
(مدنية أو: إلاَّ «وإذ يمكر بك»
الآيات السبع، فمكية، خمس، أو: ست،
أو: سبع وسبعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١ لما اختلف المسلمون في غنائم بدر، فقال الشُّبان: هي لنا، لأنا باشرنا القتال، وقال الشيوخ: كنا رِدْءاً، [أي: عوناً] لكم تحت الرايات، ولو انكشفتم لفئتم إلينا، فلا تستأثروا بها، نزل: ﴿يسألونك﴾ يا محمد ﴿عن الأنفال﴾ الغنائم، لمن هي؟ ﴿قل﴾ لهم ﴿الأنفال لله والرسول﴾ يجعلانها حيث شاءا، فقسمها ﷺ بينهم على السواء، رواه الحاكم في «المستدرك» ﴿فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم﴾ أي: حقيقة ما بينكم، بالمودة وترك النزاع ﴿وأطيعوا الله ورسوله

مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ
الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾
وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ
الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾
إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ
وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾ ۩

سجدة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ

نصف الحزب

= ورجلان يستبّان، وأحدهما قد احمرَّ وجهه، وانتفخت أوداجه، فقال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ذهب عنه ما يجد»، فقالوا له: إن النبي ﷺ قال: تعوَّذ بالله من الشيطان الرجيم.

(١) قوله تعالى: ﴿وله يسجدون﴾. عندما يقرأ المسلم آية من آيات السجدة في القرآن أو يسمعها، يُسَنُّ له أن يسجد سجدةً واحدة، مثل سجوده في الصلاة، تسمى «سجدة التلاوة»، فقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ يقرأ علينا القرآن، فيقرأ السورة فيها السجدة، فيسجد ونسجد معه، حتى لا يجد أحدنا مكاناً لوضع جبهته»، وأخرج مسلم وابن ماجه والبيهقي، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد، اعتزل الشيطان يبكي، يقول: يا ويله... أُمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأُمرت بالسجود فأبيت فلي النار».
هذا: ويشترط لصحة سجود التلاوة، ما يشترط لصحة الصلاة، من الطهارة واستقبال القبلة وغيرهما.

إن كنتم مؤمنين﴾ حقاً. ٢﴿إنما المؤمنون﴾ الكاملون الإيمانَ ﴿الذين إذا ذكر الله﴾[1] أي: وعيده ﴿وجلت﴾ خافت ﴿قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً﴾ تصديقاً ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ به يثقون، لا بغيره. ٣﴿الذين يقيمون الصلاة﴾ يأتون بها بحقوقها ﴿ومما رزقناهم﴾ أعطيناهم ﴿ينفقون﴾ في طاعة الله. ٤﴿أولئك﴾ الموصوفون بما ذُكر ﴿هم المؤمنون حقاً﴾ صدقاً بلا شك ﴿لهم درجات﴾ منازل في الجنة ﴿عند ربهم ومغفرة ورزق كريم﴾ في الجنة. ٥﴿كما أخرجك ربك من بيتك بالحق﴾ متعلق بـ «أخرج» ﴿وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون﴾ الخروج، والجملة حال من كاف «أخرجك»، و «كما» خبر مبتدأ محذوف، أي: هذه الحال [أي: قسمة الأنفال]، في حال كراهتهم لها، مثلُ إخراجك [إلى بدر]، في حال كراهتهم، وقد كان خيراً لهم، فكذلك [قسم الغنائم] أيضاً. وذلك: أن أبا سفيان، قدم بعير من الشام، فخرج النبي ﷺ وأصحابه ليغنموها، فعلمت قريش، فخرج أبو جهل ومقاتلو مكة ليذبوا عنها، وهم النفير، وأخذ أبو سفيان بالعير طريق الساحل، فنجت، فقيل لأبي جهل: ارجع، فأبى، وسار إلى بدر، فشاور النبي ﷺ أصحابه، وقال: «إن الله وعدني إحدى الطائفتين»، فوافقوه على قتال النفير، [أخرجه ابن إسحاق وابن جرير، عن ابن عباس رضي الله عنهما]، وكره بعضهم ذلك وقالوا: لم نستعدَّ له، كما قال تعالى: ٦﴿يجادلونك في الحق﴾ القتال ﴿بعدما تبين﴾ ظهر لهم ﴿كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون﴾ إليه عياناً في كراهتهم له. ٧﴿و﴾ اذكر ﴿إذ يعدكم الله إحدى الطائفتين﴾ العير أو النفير ﴿أنها لكم وتودون﴾ تريدون ﴿أن غير ذات الشوكة﴾ أي: البأس والسلاح، وهي: العير ﴿تكون لكم﴾ لقلة عَدَدِها وعُدَدِها، بخلاف النفير ﴿ويريد الله أن يحق الحق﴾ يظهره ﴿بكلماته﴾ السابقة، بظهور الإسلام ﴿ويقطع دابر الكافرين﴾ آخرهم، بالاستئصال. ٨ فأمَرَكم بقتال النفير ﴿ليحق الحق ويبطل﴾ يمحق ﴿الباطل﴾ الكفر ﴿ولو كره المجرمون﴾ المشركون ذلك. ٩ اذكر ﴿إذ تستغيثون

سُورَةُ الأَنفَال ٨

إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ

(١) قوله تعالى: ﴿إذا ذكر الله﴾ الآيات، بين الله تعالى فيها، أهم صفات المؤمنين حقاً، فوصفهم بأن قلوبهم تَوْجَلُ وتمتلىء خشية، إذا سمعوا ذكر الله، ويزدادون إيماناً بسماع آياته، ويتوكلون على الله ويثقون به وحده، ولا يكون المسلم كذلك، إلاّ إذا كان مقيماً للصلاة، مؤدياً للزكاة وسائر الفرائض، وليس في هذه الآيات ما يفيد ترتيباً بين هذه الصفات، كما توهم بعضهم، من أرباب الطُّرق، فاعتبر أنها جعلت «الذكر» ـ أي: الورد الذي يعنونه هم ـ في المقام الأول، ثم جاءت الصلاة في المرتبة الرابعة، وهذا خطأ فاحش، لأن الصلاة أفضل الأعمال بعد الشهادتين، وهي أكبر الذكر وأفضله، هذا مع العلم بأن الآية لا تعني «الذّاكرين»، بل الذين إذا سمعوا ذكر الله خافت قلوبهم.

ربكم﴾ تطلبون منه الغوث، بالنصر عليهم ﴿فاستجاب لكم أني﴾ أي: بأني ﴿ممدكم﴾ معينكم ﴿بألف من الملائكة مردفين﴾ متتابعين، يردف بعضهم بعضاً، وَعَدهُمْ بها [أي: بالألف] أولاً، ثم صارت ثلاثة آلاف، ثم خمسة [كما في الآيتين ١٢٤ و ١٢٥ من] «آل عمران»، وقرىء [شذوذاً] «بآلُفٍ» [جمع «ألف»]، كأفْلُس جَمع [«فَلْس»].
١٠ ﴿وما جعله الله﴾ أي: الإمداد ﴿إلاَّ بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلاَّ من عند الله إن الله عزيز حكيم﴾.
١١ اذكر ﴿إذ يغشاكم النعاسُ أمنة﴾ أمناً مما حصل لكم من الخوف، [وفي قراءة: «يغشِّيكم»، بضم الياء وتشديد الشين، وفي أخرى: بتخفيف الشين وضم الياء، مع نصب «النعاس» في هاتين القراءتين، ورفعه في الأولى] ﴿منه﴾ تعالى ﴿وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به﴾ من الأحداث والجَنَابَات ﴿ويذهب عنكم رجز الشيطان﴾ وسوسته إليكم، بأنكم لو كنتم على الحق، ما كنتم ظمأى محدثين، [لا تجدون ماء تتطهرون به]، والمشركون على الماء ﴿وليربط﴾ يحبس ﴿على قلوبكم﴾ باليقين والصبر ﴿ويثبت به الأقدام﴾ أن تسوخ في الرمل. ١٢ ﴿إذ يوحي ربك إلى الملائكة﴾ الذين أمد بهم المسلمين ﴿أني﴾ أي: بأني ﴿معكم﴾ بالعون والنصر ﴿فثبتوا الذين آمنوا﴾ بالإعانة والتبشير ﴿سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب﴾ الخوف ﴿فاضربوا فوق الأعناق﴾ أي: الرؤوس ﴿واضربوا منهم كل بنان﴾ أي: أطراف [الأصابع، والمقصود قطع] اليدين والرجلين، فكان الرجل، يقصد ضرب رقبة الكافر، فتسقط قبل أن يصل إليه سيفه[1]، و [فيها جاء[2] أنه ﷺ]، رماهم بقبضة من الحصى [وقال: «شاهت الوجوه»]، فلم يبق مشرك، إلاَّ دخل في عينيه منها شيء، فهُزموا. ١٣ ﴿ذلك﴾ العذاب الواقع بهم ﴿بأنهم شاقوا﴾ خالفوا ﴿الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب﴾ له. ١٤ ﴿ذلكم﴾ العذاب ﴿فذوقوه﴾ أيها الكفار في الدنيا ﴿وأن للكافرين﴾ في الآخرة ﴿عذاب النار﴾. ١٥ ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين

رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ

---

(١) قوله: «قبل أن يصل إليه سيفه» أخرج ذلك أبو الشيخ وابن مردويه، عن أبي أمامة بن سهل الأنصاري عن أبيه، يؤيده ما رواه مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما رجل من المسلمين يومئذٍ، يشتدُّ في أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس فوقه يقول: أقدم حيزوم ــ هو: اسم فرس المَلَك ــ، فنظر إلى المشرك أمامه، فخرَّ مستلقياً، فنظر إليه، فإذا هو قد خُطم أنفه وشُقَّ وجهه، فجاء الأنصاري، فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال: «صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة».

(٢) أي: في معركة بدر الكبرى، روى ذلك الطبراني بإسناد حسن، والواقدي وغيرهما، وروى مسلم أنه ﷺ فعل ذلك وقال: «شاهت الوجوه» يوم حنين، ولا تعارض، فلعلَّه فعل ذلك في الموقعتين.

كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ ۚ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ * إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ

كفروا زحفاً أي: مجتمعين، كأنهم لكثرتهم يزحفون **﴿فلا تولوهم الأدبار﴾** منهزمين. ١٦ **﴿ومن يولهم يومئذ﴾** أي: يوم لقائهم **﴿دبره إلاَّ متحرفاً﴾** منعطفاً **﴿لقتال﴾** بأن يريهم الفرَّة مكيدةً، وهو يريد الكَرَّةَ **﴿أو متحيزاً﴾** منضماً **﴿إلى فئة﴾** جماعة من المسلمين، يستنجد بها، [أو يُنْجِدُها] **﴿فقد باء﴾** رجع **﴿بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير﴾** المرجع هي، وهذا مخصوص، بما إذا لم يزد الكفار على الضِّعْف[1].

١٧ **﴿فلم تقتلوهم﴾** ببدر بقوتكم **﴿ولكن الله قتلهم﴾** بنصره إياكم **﴿وما رميت﴾** يا محمد، أعينَ القوم **﴿إذ رميت﴾** بالحصى [في وجوه الكافرين يوم بدر، كما تقدم]، لأن كفاً من الحصى، لا يملأ عيون الجيش الكثير برمية بشرٍ **﴿ولكن الله رمى﴾** بإيصال ذلك إليهم، فعل ذلك، ليقهر الكافرين **﴿وليبلي المؤمنين منه بلاء﴾** عطاء **﴿حسناً﴾** هو الغنيمة **﴿إن الله سميع﴾** لأقوالهم **﴿عليم﴾** بأحوالهم.

١٨ **﴿ذلكم﴾** الإبلاء حق **﴿وأن الله موهن﴾** مضعف **﴿كيد الكافرين﴾**.

١٩ **﴿إن تستفتحوا﴾** أيها الكفار، إن تطلبوا الفتح، أي: القضاء، حيث قال أبو جهل منكم: اللهم أيُّنا كان أقطع للرحم، وأتانا بما لا نعرف، فأَحِنْهُ الغداة، أي: أهلكه، [و «الحَيْنُ»، بالفتح: الهلاك،] **﴿فقد جاءكم الفتح﴾** القضاء بهلاك من هو كذلك، وهو أبو جهل ومن قُتل معه، دون النبي ﷺ والمؤمنين **﴿وإن تنتهوا﴾** عن الكفر والحرب **﴿فهو خير لكم وإن تعودوا﴾** لقتال النبي ﷺ **﴿نعد﴾** لنصره عليكم **﴿ولن تغني﴾** تدفع **﴿عنكم فئتكم﴾** جماعاتكم **﴿شيئاً ولو كثرت وإن الله مع المؤمنين﴾** بكسر «إنَّ» استئنافاً، وفتحها على تقدير اللام.

٢٠ **﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا﴾** تعرضوا **﴿عنه﴾** بمخالفة أمره **﴿وأنتم تسمعون﴾** القرآن والمواعظ. ٢١ **﴿ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون﴾** سماع تدبر واتعاظ، وهم: المنافقون: أو: المشركون. ٢٢ **﴿إن شر الدواب﴾** [أي: ما دَبَّ على وجه الأرض] **﴿عند الله**

---

(١) قوله: «وهذا مخصوص بما إذا لم يزد الكفار على الضِّعْف»، أي: فلا يحرم التولِّي حينئذٍ، وهذا قول الشافعي رحمه الله، قال الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب»، وابن حجر الهيتمي في «الزواجر»: كان الشافعي رضي الله عنه يقول: إذا غزا المسلمون فلقوا ضعفهم من العدو، حَرُمَ عليهم أن يُوَلُّوا، إلاَّ متحرِّفين لقتال أو متحيزين إلى فئة، وإن كان المشركون أكثر من ضِعفهم، لم أحب لهم أن يولُّوا، ولا يستوجبون السخط عندي من الله، لو ولَّوا عنهم على غير التحرُّف للقتال أو التحيز إلى فئة، وهذا مذهب ابن عباس المشهور عنه. اهـ. فقد قال ابن عباس: «إن فرَّ رجل من رجلين فقد فرَّ، وإن فرَّ من ثلاثة لم يفر»، قال أبو بكر الجصاص في «أحكام القرآن»: وهذا الحكم عندنا ـ أي: الأحناف ـ ثابت، ما لم يبلغ عدد جيش المسلمين اثني عشر ألفاً، لا يجوز لهم أن ينهزموا عن مثيلهم، إلاَّ متحرفين لقتال، =

﴿الصم﴾ عن سماع الحق ﴿البكم﴾ عن النطق به ﴿الذين لا يعقلون﴾ ـه، [روى البخاري وغيره، عن عبد الله بن عباس قال: إن هذه الآية، نزلت في نفر من بني عبد الدار، من قريش، كانوا يقولون: نحن صم بكم عمي، عما جاء به محمد، وتوجهوا مع أبـي جهل، لقتال النبي ﷺ وأصحابه ببدر، فقتلوا جميعاً، ولم يؤمن منهم، إلاَّ: مصعب بن عمير، وسويبط بن حرملة]. ٢٣﴿ولو علم الله فيهم خيراً﴾ صلاحاً بسماع الحق ﴿لأسمعهم﴾ سماع تفهم ﴿ولو أسمعهم﴾ فَرَضاً، وقد علم أن لا خير فيهم ﴿لتولوا﴾ عنه ﴿وهم معرضون﴾ عن قبوله، عناداً وجحوداً. ٢٤﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول﴾ بالطاعة ﴿إذا دعاكم لما يحييكم﴾ من أمر الدين، لأنه سبب الحياة الأبدية ﴿واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾ فلا يستطيع أن يؤمن أو يكفر، إلاَّ بإرادته ﴿وأنه إليه تحشرون﴾ فيجازيكم بأعمالكم. ٢٥﴿واتقوا فتنة﴾ إن أصابتكم ﴿لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾ بل تعمهم وغيرهم، واتقاؤها، بإنكار موجبها من المُنْكَر ﴿واعلموا أن الله شديد العقاب﴾ لمن خالفه. ٢٦﴿واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض﴾ أرض مكة ﴿تخافون أن يتخطفكم الناس﴾ يأخذكم الكفار بسرعة ﴿فآواكم﴾ إلى المدينة ﴿وأيدكم﴾ قواكم ﴿بنصره﴾ يوم بدر، بالملائكة ﴿ورزقكم من الطيبات﴾ الغنائم ﴿لعلكم تشكرون﴾ نعمه. ٢٧ ونزل في أبـي لبابة: مروان [وقيل: رفاعة] بن عبد المنذر [الأنصاري]، وقد بعثه ﷺ إلى بني قريظة لينزلوا على حكمه، [وفي رواية أخرى: على حكم سعد بن معاذ، فأرسله رسول الله ﷺ إليهم]، فاستشاروه، فأشار إليهم [بيده إلى حلقه:] أنه الذبح، لأن عياله وماله فيهم، [ثم ندم على ذلك، فربط نفسه[1] إلى سارية من سواري المسجد، حتى تاب الله عليه، فجاءه رسول الله، فحلَّه بيده، رواه الواحدي وغيره في أسباب النزول]: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول و﴾ لا ﴿تخونوا أماناتكم﴾ ما اؤتمنتم عليه، من الدين وغيره ﴿وأنتم تعلمون﴾.
٢٨﴿واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ لكم صادَّة عن أمور الآخرة ﴿وأن الله عنده أجر عظيم﴾ فلا تفوِّتوه، بمراعاة الأموال والأولاد والخيانة لأجلهم. ٢٩ ونزل في توبته: ﴿يا أيها الذين آمنوا

ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَٱذْكُرُوٓا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا

= أو متحيزين إلى فئة من المسلمين يقاتلونهم معهم، قال محمد بن الحسن ــ صاحب أبـي حنيفة ــ: إن الجيش إذا بلغوا ذلك ــ أي: اثني عشر ألفاً ــ فليس لهم أن يفروا من عدوهم وإن كثر عددهم، ولم يذكر خلافاً بين أصحابنا فيه. اهـ. ونقل «الجصاص» عن الإمام مالك مثل قول محمد بن الحسن.

ونقول: أما في أيامنا، فلم يبق لعدد الجند في الجيوش تلك الأهمية التي كانت له في الماضي، بل أصبحت الآلات والأسلحة الحربية هي المهمة في الحروب، بحسب نوعها وكميتها، فينبغي اعتبار ذلك عند الكلام في الفرار من القتال في زماننا.

(١) قولنا: «فربط نفسه»، هذه هي المرة الأولى، التي ربط بها أبو لُبابة نفسه، والمرة الثانية كانت بسبب تخلفه عن رسول الله ﷺ في غزوة =

إن تتقوا الله﴾ بالإنابة وغيرها ﴿يجعل لكم فرقاناً﴾ بينكم وبين ما تخافون، فتنجوا ﴿ويكفر عنكم سيآتكم ويغفر لكم﴾ ذنوبكم ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾. ٣٠ ﴿و﴾ اذكر يا محمد[1] ﴿إذ يمكر بك الذين كفروا﴾ وقد اجتمعوا للمشاورة في شأنك، بدار الندوة ﴿ليثبتوك﴾ يوثقوك ويحبسوك، [حتى تموت] ﴿أو يقتلوك﴾ كلهم، قِتْلَةَ رجل واحد، [ليضيع دمك في القبائل] ﴿أو يخرجوك﴾ من مكة ﴿ويمكرون﴾ بك ﴿ويمكر الله﴾ بهم بتدبير أمرك، بأن أوحى إليك ما دبروه، وأمرك بالخروج ﴿والله خير الماكرين﴾ أعلمهم به، [فأمره الله تعالى بالهجرة، ونجاه من كيدهم ومكرهم]. ٣١ ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا﴾ القرآن ﴿قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا﴾ قاله النضر بن الحارث، لأنه كان يأتي الحيرة يتَّجر، فيشتري كتب أخبار الأعاجم، ويحدث بها أهل مكة ﴿إن﴾ ما ﴿هذا﴾ القرآن ﴿إلاَّ أساطير﴾ أكاذيب ﴿الأولين﴾. ٣٢ ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا﴾ الذي يقرؤه محمد ﴿هو الحق﴾ المنزل ﴿من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ مؤلم على إنكاره، قاله النضر أو غيره [وهو أبو جهل، كما رواه البخاري والبيهقي عن أنس بن مالك، قال ذلك] على سبيل الاستهزاء، أو الإيهام، أنه على بصيرة، وجَزْم ببطلانه. ٣٣ قال تعالى: ﴿وما كان الله ليعذبهم﴾ بما سألوه ﴿وأنت فيهم﴾ لأن العذاب إذا نزل عمَّ، ولم تعذَّب أمة، إلاَّ بعد خروج نبيها والمؤمنين منها ﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ حيث يقولون في طوافهم: غفرانك، غفرانك، وقيل: هم المؤمنون المستضعفون فيهم، كما قال تعالى: «لو تزيَّلوا [ــ أي: لو خرج المؤمنون من بين الكافرين ــ] لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً».
٣٤ ﴿وما لهم أ﴾ ن ﴿لا يعذبهم الله﴾ بالسيف، بعد خروجك، و[خروج] المستضعفين [من المؤمنين]، وعلى القول الأول [أي: بإعادة ضمير: «هم يستغفرون»، إلى الكفار]، هي ناسخة لما قبلها، وقد عذبهم الله ببدر وغيرها ﴿وهم يصدون﴾ يمنعون النبي ﷺ والمسلمين ﴿عن المسجد الحرام﴾ أن يطوفوا به ﴿وما كانوا أولياءه﴾ كما زعموا ﴿إن﴾ ما ﴿أولياؤه إلاَّ المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ أن لا ولاية لهم عليه. ٣٥ ﴿وما كان صلاتهم عند البيت إلاَّ

إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا

= تبوك، فربط نفسه في سارية المسجد، فنزل فيه وفيمن تخلف معه قوله تعالى: ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم﴾ الآية ١٠٢ من سورة «التوبة» ص ٢٥٩.

(١) قوله تعالى: ﴿وإذ يمكر بك. . .﴾، هذا إخبار بما اجتمع عليه المشركون، من المكر بالنبي ﷺ في دار الندوة، فأجمع رأيهم على قتله، فبيَّتوه ورصدوه على باب منزله طول ليلتهم، ليقتلوه إذا خرج، فأمر ﷺ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، بأن ينام على فراشه، ثم خرج وقد =

مكاء﴾ صفيراً ﴿وتصدية﴾[1] تصفيقاً، أي: جعلوا ذلك موضع صلاتهم التي أمروا بها ﴿فذوقوا العذاب﴾ ببدر [من القتل والسبي، أو يقال: لهم ذلك يوم القيامة] ﴿بما كنتم تكفرون﴾. ٣٦﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم﴾ في حرب النبي ﷺ ﴿ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون﴾ في عاقبة الأمر ﴿عليهم حسرة﴾ ندامة، لفواتها وفوات ما قصدوه ﴿ثم يغلبون﴾ في الدنيا ﴿والذين كفروا﴾ منهم ﴿إلى جهنم﴾ في الآخرة ﴿يحشرون﴾ يساقون. ٣٧﴿ليميز﴾ متعلق بـ «تكونُ»، بالتخفيف والتشديد، أي: يفصل ﴿الله الخبيث﴾ الكافر ﴿من الطيب﴾ المؤمن ﴿ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً﴾ يجمعه متراكماً بعضه على بعض ﴿فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون﴾. ٣٨﴿قل للذين كفروا﴾ كأبي سفيان وأصحابه ﴿إن ينتهوا﴾ عن الكفر وقتال النبي ﷺ ﴿يغفر لهم ما قد سلف﴾ من أعمالهم، [لأن الإسلام يَجُبُّ ما قبله] ﴿وإن يعودوا﴾ إلى قتاله ﴿فقد مضت سنة الأولين﴾ أي: سُنّتنا فيهم بالهلاك، فكذا نفعل بهم. ٣٩﴿وقاتلوهم حتى لا تكون﴾ توجد ﴿فتنة﴾ شرك ﴿ويكون الدين كله لله﴾ وحده، ولا يُعبد غيره ﴿فإن انتهوا﴾ عن الكفر ﴿فإن الله بما يعملون بصير﴾ فيجازيهم به.

٤٠﴿وإن تولوا﴾ عن الإيمان ﴿فاعلموا أن الله مولاكم﴾ ناصركم ومتولي أموركم ﴿نعم المولى﴾ هو ﴿ونعم النصير﴾ أي: الناصر لكم.

٤١﴿واعلموا أنما غنمتم﴾ أخذتم من الكفار قهراً ﴿من شيء فأن لله خمسه﴾ يأمر فيه بما يشاء ﴿وللرسول ولذي

مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ * وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى

= غشيهم النوم، فوضع على رؤوسهم تراباً، فلما أصبحوا، خرج عليهم عليٌّ، فأخبرهم أنه ليس في الدار أحد، فعلموا أنه ﷺ قد فاتهم ونجا، والخبر مشهور في السيرة وغيرها.

(١) قوله تعالى: ﴿إلاّ مكاء وتصدية﴾ الآية ٣٥ وما يليها، قال القرطبي في تفسيره: قال ابن عباس رضي الله عنهما: كانت قريش تطوف بالبيت عراة، يصفقون ويصفرون، فكان ذلك عبادة في ظنهم، وفي معنى الآية رد على الجهال من المتصوفة، الذين يرقصون ويصفقون ويصعقون، وذلك كله منكر يتنزه عن مثله العقلاء، ويتشبه فاعله بالمشركين، فيما كانوا يفعلونه عند البيت. اهـ. وقال السيوطي في «الإكليل»: ففيه ذم التصفيق والصفير بالفم أو القصب، وقال ابن حجر في «كف الرعاع»، قال ابن عبد السلام: «أما الرقص والتصفيق، فخفة ورعونة، لا يفعلهما إلاّ أرعن ــ أي: أحمق ــ أو متصنع جاهل، ويدل على جهالة فاعلهما، أن الشريعة لم ترد بهما في كتاب ولا سنة، ولا فعل ذلك أحد من الأنبياء، ولا معتبر من أتباع الأنبياء، وإنما يفعله الجهال السفهاء الذين التبست عليهم الحقائق بالأهواء». اهـ.

وملخص القول في حكم هذه الأعمال: أن «الصفير»: خفة ورعونة لا تليق بالمسلم، أما الصفير بالآلة: فلا بأس به إذا كان لحاجة «كصفارة الشرطي»، وما عداه مذموم، وأن «التصفيق»: جائز في الصلاة للنساء فقط، إذا سها الإمام، لحديث البخاري: «التسبيح للرجال، والتصفيق للنساء». وذلك بأن تضرب بباطن الكف اليمنى على ظاهر الكف اليسرى، أما التصفيق خارج الصلاة فهو مكروه، ولو كان استحساناً أو تأييداً، للرجال وللنساء على السواء.

=

﴿القربى﴾ قرابة النبي ﷺ، من بني هاشم وبني المطلب ﴿واليتامى﴾ أطفال المسلمين، الذين هلك آباؤهم وهم فقراء ﴿والمساكين﴾ ذوي الحاجة، من المسلمين ﴿وابن السبيل﴾ المنقطع في سفره، من المسلمين، أي: يستحقه النبيُّ ﷺ، والأصنافُ الأربعة، على ما كان يقسمه، من أن لكلٍّ خُمُسَ الخُمُس، والأخماس الأربعة الباقية للغانمين ﴿إن كنتم آمنتم بالله﴾ فاعلموا ذلك ﴿وما﴾ عطف على «بالله» ﴿أنزلنا على عبدنا﴾ محمد ﷺ، من الملائكة والآيات ﴿يوم الفرقان﴾ أي: يوم بدر، الفارق بين الحق والباطل ﴿يوم التقى الجمعان﴾ المسلمون والكفار ﴿والله على كل شيء قدير﴾ ومنه نصركم، مع قلتكم وكثرتهم. ٤٢ ﴿إذ﴾ بدل من «يوم» ﴿أنتم﴾ كائنون ﴿بالعدوة الدنيا﴾ القربى من المدينة، وهي بضم العين وكسرها [قراءتان سبعيتان، أي:] جانب الوادي ﴿وهم بالعدوة القصوى﴾ البُعْدَى منها ﴿والركب﴾ العير، كائنون بمكان ﴿أسفل منكم﴾ مما يلي البحر [الأحمر] ﴿ولو تواعدتم﴾ أنتم والنفير، للقتال ﴿لاختلفتم في الميعاد ولكن﴾ جمعكم بغير ميعاد ﴿ليقضي الله أمراً كان مفعولاً﴾ في علمه، وهو: نصر الإسلام ومَحْقُ الكفر، فَعَلَ ذلك ﴿ليهلك﴾ يكفر ﴿من هلك عن بينة﴾ أي: بعد حجة ظاهرة قامت عليه، وهي: نصر المؤمنين مع قلتهم، على الجيش الكثير، [قاله ابن إسحاق، أو: ليموت من يموت عن بينة رآها، وعبرة عاينها، فقامت عليه الحجة]، ﴿ويحيى﴾ يؤمن ﴿من حيَّ عن بينة وإن الله لسميع عليم﴾. ٤٣ اذكر ﴿إذ يريكهم الله في منامك﴾ أي: نومك ﴿قليلاً﴾ فأخبرت به أصحابك، فَسُرُّوا ﴿ولو أراكهم كثيراً لفشلتم﴾ جبنتم ﴿ولتنازعتم﴾ اختلفتم ﴿في الأمر﴾ أمر القتال ﴿ولكن الله سلم﴾ ـكم من الفشل والتنازع ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ بما في القلوب.

٤٤ ﴿وإذ يريكموهم﴾ أيها المؤمنون ﴿إذ التقيتم في أعينكم قليلاً﴾ نحو سبعين، أو: مائة، وهم ألف، لتُقْدِمُوا عليهم ﴿ويقللكم في أعينهم﴾ لِيُقْدِمُوا، ولا يرجعوا عن قتالكم، وهذا [التقليل، كان] قبل التحام الحرب، فلما التحم، أراهم إياهم مثليهم، [أي: مثلي الكفار، لإلقاء الرعب في قلوبهم من المؤمنين]، كما في «آل عمران»: [«يرونهم مثلَيهم رأي العين»] ﴿ليقضي الله أمراً كان مفعولاً وإلى الله ترجع﴾ تصير ﴿الأمور﴾. ٤٥ ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة﴾ جماعة كافرة

ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً

= وأن «الرقص» الشائع في عصرنا غير جائز مطلقاً، وأشنعه رقص الراقصات العاريات على المسارح، أما إذا كان لعباً بالسلاح على هيئة الراقص، فهو جائز، لما جاء في صحيح مسلم وغيره عن عائشة رضي الله عنها: أن الحبشة جاءوا يَزْفِنُون ـ أي: يرقصون ـ في يوم عيدٍ في المسجد، فدعاها النبي ﷺ لتنظر إليهم معه، وكانوا يلعبون بحرابهم.

﴿فاثبتوا﴾ لقتالهم، ولا تنهزموا ﴿واذكروا الله كثيراً﴾ ادعوه بالنصر ﴿لعلكم تفلحون﴾ تفوزون. ٤٦﴿وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا﴾ تختلفوا فيما بينكم ﴿فتفشلوا﴾ تجبنوا ﴿وتذهب ريحكم﴾ قوتكم ودولتكم ﴿واصبروا إن الله مع الصابرين﴾ بالنصر والعون.

٤٧﴿ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم﴾ ليمنعوا عيرهم، ولم يرجعوا بعد نجاتها، [وهم أهل مكة] ﴿بطراً ورئاء الناس﴾ حيث قالوا: لا نرجع حتى نشربَ الخمر، وننحر الجزور، وتضرب علينا القيان[1] ببدر، فيتسامع بذلك الناس ﴿ويصدون﴾ الناس ﴿عن سبيل الله والله بما يعملون﴾ بالياء والتاء ﴿محيط﴾ علماً، فيجازيهم به.

٤٨﴿و﴾ اذكر ﴿إذ زين لهم الشيطان﴾ إبليس ﴿أعمالهم﴾ بأن شجعهم على لقاء المسلمين، لما خافوا الخروج، من أعدائهم بني بكر، [من قبيلة «كنانة»، وكان بينهم وبين قريش حروب كثيرة] ﴿وقال﴾ لهم ﴿لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم﴾ [أي: مجير ومعين]من «كنانة»، وكان أتاهم في صورة سُراقة بن مالك، سيد تلك الناحية ﴿فلما تراءت﴾ التقت ﴿الفئتان﴾ المسلمة والكافرة، ورأى الملائكة ــ وكانت يده في يد الحارث بن هشام ــ ﴿نكص﴾ رجع ﴿على عقبيه﴾ هارباً ﴿وقال﴾ لما قالوا له: أتخذلنا على هذا الحال: ﴿إني بريء منكم﴾ من جواركم ﴿إني أرى ما لا ترون﴾ من الملائكة ﴿إني أخاف الله﴾ أن يهلكني ﴿والله شديد العقاب﴾.

٤٩﴿إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض﴾ ضعف اعتقاد ﴿غر هؤلاء﴾ أي: المسلمين ﴿دينهم﴾ إذ خرجوا مع قلتهم، يقاتلون الجمع الكثير، توهماً أنهم ينصرون بسببه، قال تعالى في جوابهم: ﴿ومن يتوكل على الله﴾ يَثِق به، يَغلِبْ ﴿فإن الله عزيز﴾ غالب على أمره ﴿حكيم﴾ في صنعه. ٥٠﴿ولو ترى﴾ يا محمد ﴿إذ يتوفى﴾ بالياء والتاء ﴿الذين كفروا الملائكة يضربون﴾ حال ﴿وجوههم

فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ

(١) قوله: «وتضربَ علينا القيانُ» هي: جمع «قَيْنة» و «قَيْن» بفتح القاف وسكون الياء فيهما، و «القينة» هي: الأمة المملوكة المغنية، وقيل: لو كانت غير مغنية، و «القين»: العبد. و «القين» في الأصل هو: الحداد، وجمعه على هذا المعنى: «قيون» و «أقيان»، وله بَوَّبَ البخاري في صحيحه فقال: «بابُ: ذكر القَيْن والحداد»، فَعَطَفَ «الحداد» على «القين» عَطْفَ تفسير، ليعلم أن مراده من «القين» الحداد لا غيره، وقال الخليل بن أحمد: «التقْيين» معناه: «التزيين»، ومنه سميت المغنية «قينة»، لأن من شأنها الزينة.

نقول: لعل قصدَه أن من شأنها التزيين، لأن المغنية تزيِّن الكلامَ، وتنغِّمه به لتستميل قلوب السامعين، وهي المسمّاة في أيامنا «بالمطربة أو المطرب»، ويغلب على هؤلاء جميعاً الفساد والدعوة إليه، ارجع إلى تعليقنا حول «الغناء» ص ٥٣٩.

وأدبارهم﴾ بمقامع من حديد ﴿و﴾ يقولون لهم ﴿ذوقوا عذاب الحريق﴾ أي: النار، وجواب «لو» [محذوف، تقديره]: لرأيت أمراً عظيماً. ٥١ ﴿ذلك﴾ التعذيب ﴿بما قدمت أيديكم﴾ عَبَّر بها، [أي: بالأيدي]، دون غيرها، لأن أكثر الأفعال تُزاول بها ﴿وأن الله ليس بظلام﴾ أي: بذي ظلم ﴿للعبيد﴾ فيعذبهم بغير ذنب.

٥٢ دَأْبُ هؤلاء ﴿كدأب﴾ كعادة ﴿آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله﴾ بالعقاب ﴿بذنوبهم﴾ جملة: «كفروا» وما بعدها، مفسِّرة لما قبلها، [أي: مفسرة لعادة آل فرعون، والذين من قبلهم] ﴿إن الله قوي﴾ على ما يريده ﴿شديد العقاب﴾ [لمن كفر به، وفَسَقَ عن أمره].

سُورَةُ الأَنفَالِ ٨

وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

٢٣٥

٥٣ ﴿ذلك﴾ أي: تعذيب الكفرة ﴿بأن﴾ أي: بسبب أن ﴿الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم﴾ مبدلاً لها بالنقمة ﴿حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ يبدلوا نعمتهم كفراً، كتبديل كفار مكة إطعامَهُمْ من جوع، وأمْنَهم من خوف، وبَعْثَ النبي ﷺ إليهم بالكفر، والصدِّ عن سبيل الله، وقتالِ المؤمنين ﴿وأن الله سميع عليم﴾.

٥٤ ﴿كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون﴾ قومه معه ﴿وكل﴾ من الأمم المكذبة ﴿كانوا ظالمين﴾.

٥٥ ونزل في [يهود] قريظة[1]: ﴿إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون﴾.

٥٦ ﴿الذين عاهدت منهم﴾ أن لا يعينوا المشركين ﴿ثم ينقضون عهدهم في كل مرة﴾ عاهدوا فيها ﴿وهم لا يتقون﴾ اللّهَ، في غدرهم.

٥٧ ﴿فإما﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» المزيدة ﴿تثقفنهم﴾ تجدنهم ﴿في الحرب فشرد﴾ فرِّق ﴿بهم من خلفهم﴾ من المحاربين، بالتنكيل بهم والعقوبة ﴿لعلهم﴾ أي: الذين خلفهم ﴿يذكرون﴾ يتعظون بهم.

---

(١) قوله: «ونزل في قريظة»: هم قوم من اليهود ــ من حلفاء الأوس ــ استوطنوا وادياً في ضاحية المدينة، على مسافة ميلين أو ثلاثة، إلى الجنوب الشرقي من المدينة، قرب منازل يهود «بني النضير»، الذين أجلاهم النبي ﷺ عن المدينة السنة الرابعة، بعد أن نقضوا العهد وهموا بقتله ﷺ، وفيهم نزلت «سورة الحشر» التي كان يسميها عبد الله بن عباس رضي الله عنهما «سورة النضير»، كما رواه عنه البخاري، وقد بينا ذلك في تعليقنا ص ٧٢٩.

أما يهود «بني قريظة»، فقد نقضوا العهد، وحاربوا رسول الله ﷺ مع الأحزاب أيام الخندق سنة خمس فحاصرهم النبي ﷺ، فقتل مقاتلتهم، وسبى نساءهم وذراريهم، وغنم أموالهم.

قال ابن إسحاق: «وكان ﷺ عند مقدمه المدينة، قد كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه يهود، وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم، وشرط عليهم واشترط لهم».

وقد فعل النبي ﷺ ذلك من دون طلب منهم، ولا مفاوضة معهم، فوادعهم وأعطاهم الأمان لِيَقُوهُ شرهم، ولكنهم نقضوا العهد ــ كعادتهم ــ وغدروا، فانتقم منهم.

٥٨﴿وإما تخافن من قوم﴾ عاهدوك ﴿خيانة﴾ في عهد، بأمارة تلوح لك ﴿فانبذ﴾ اطرح عهدهم ﴿إليهم على سواء﴾ حال، أي: مستوياً أنت وهم، في العلم بنقض العهد، بأن تُعلمهم به، لئلا يتهموك بالغدر ﴿إن الله لا يحب الخائنين﴾.

٥٩ ونزل فيمن أفلت يوم بدر: ﴿ولا تحسبن﴾ يا محمد ﴿الذين كفروا سبقوا﴾ الله، أي: فاتوه ﴿إنهم لا يعجزون﴾ لا يفوتونه، وفي قراءة بالتحتانية [مع كسر «إنهم»]، فالمفعول الأول محذوف، أي: «أنفسهم»، وفي أخرى بفتح «إن» على تقدير اللام، [مع التحتانية أيضاً، فهي ثلاث قراءات سبعية]. ٦٠﴿وأعدوا لهم﴾ لقتالهم ﴿ما استطعتم من قوة﴾ قال ﷺ: «هي الرمي» رواه مسلم[1]، ﴿ومن رباط الخيل﴾ مصدر بمعنى: حَبْسُها في سبيل الله ﴿ترهبون﴾ تخوفون ﴿به عدو الله وعدوكم﴾ أي: كفار مكة ﴿وآخرين من دونهم﴾ أي: غيرهم، وهم: المنافقون، أو: اليهود، [أو: كل عدو]﴿لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم﴾ جزاؤه ﴿وأنتم لا تظلمون﴾ تنقصون منه شيئاً.

٦١﴿وإن جنحوا﴾ مالوا ﴿للسلم﴾[2] بكسر السين وفتحها، [أي: الهدنة و] الصلح ﴿فاجنح لها﴾ وعاهدهم، قال ابن عباس: هذا منسوخ بآية السيف، و[قال] مجاهد: مخصوص بأهل الكتاب، إذ نزلت في بني قريظة ﴿وتوكل على الله﴾ ثق به ﴿إنه هو السميع﴾ للقول ﴿العليم﴾ بالفعل [اقرأ التعليق]. ٦٢﴿وإن يريدوا أن يخدعوك﴾ بالصلح، ليستعدوا لك ﴿فإن حسبك﴾ كافيك ﴿الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين﴾.

٦٣﴿وألّف﴾ جمع ﴿بين قلوبهم﴾ بعد الإحَنِ ﴿لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألّف بينهم﴾ بقدرته ﴿إنه عزيز﴾ غالب على أمره ﴿حكيم﴾ لا يخرج شيء عن حكمته. ٦٤﴿يا أيها النبي حسبك الله و﴾ حسبك ﴿من اتبعك من

وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ

(١) قوله: «رواه مسلم». فقد أخرج مسلم وأحمد وغيرهما، عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول وهو على المنبر: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي» قالها ثلاثاً.

(٢) قوله تعالى: ﴿وإن جنحوا للسلم﴾ أخرج عبد الرزاق وأبو جعفر النحاس في «ناسخه»، وغيرهما، عن قتادة السَّدوسي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وإن جنحوا للسلم﴾، أي: الصلح، قال: كانت قبل نزول «براءة»، وكان النبي ﷺ يوادع الناس إلى أَجَل، فإما أن يُسلموا، وإما أن يقاتلهم، ثم نُسخ ذلك في «براءة»، فقال تعالى: ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ الآية الخامسة منها، وهي المعروفة بآية السيف، فنبذ إلى كل ذي عهد عهده، وأمره أن يقاتلهم، حتى يقولوا: لا إله إلاّ الله، ويُسلموا، وأن لا يقبل منهم إلاّ ذلك.

فما ذكره السيوطي عن ابن عباس، من أن الناسخ لهذه الآية هو آية السيف، هو قول قتادة، أما ابن عباس فقال: إن الناسخ لها هو =

الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ

المؤمنين﴾ [أي: كافيك الله ناصراً، وكافيك المهاجرون والأنصار جنداً، قاله الحسن البصري، واختاره أبو جعفر النحاس وغيره، وقيل: المعنى: كافيك اللَّهُ، وكافي من اتبعك، فهو ناصركم ومؤيدكم على عدوكم]. ٦٥ **﴿يا أيها النبي حرض﴾** حُثَّ **﴿المؤمنين على القتال﴾** للكفار **﴿إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين﴾** منهم **﴿وإن يكن﴾** بالياء والتاء **﴿منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم﴾** أي: بسبب أنهم **﴿قوم لا يفقهون﴾** وهذا خبر بمعنى الأمر، أي: ليقاتل العشرون منكم المائتين، والمائةُ الألفَ، ويثبتوا لهم، ثم نُسخ لمَّا كثروا بقوله: ٦٦ **﴿الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً﴾** بضم الضاد وفتحها، عن قتال عشرة أمثالكم **﴿فإن يكن﴾** بالياء والتاء **﴿منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين﴾** منهم **﴿وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله﴾** بإرادته، وهو خبر بمعنى الأمر، أي: لتقاتلوا مثليكم، وتثبتوا لهم **﴿والله مع الصابرين﴾** بعونه.

٦٧ ونزل(١) لما أخذوا الفداء من أسرى بدر: **﴿ما كان لنبي أن تكون﴾** بالتاء والياء **﴿له أسرى حتى يثخن في الأرض﴾** يبالغ في قتل الكفار **﴿تريدون﴾** أيها المؤمنون **﴿عرض الدنيا﴾** حطامها، بأخذ الفداء **﴿والله يريد﴾** لكم **﴿الآخرة﴾** أي: ثوابها، بقتلهم **﴿والله عزيز حكيم﴾** وهذا، [أي: تعيُّنُ قتل الأسير]، منسوخ بقوله: «فإمَّا منّاً بعدُ وإمَّا فداءً».

٦٨ **﴿لولا كتاب من الله سبق﴾** بإحلال الغنائم والأسرى لكم **﴿لمسكم فيما أخذتم﴾** من الفداء **﴿عذاب عظيم﴾**. ٦٩ **﴿فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً واتقوا الله إن الله غفور رحيم﴾**.

٧٠ **﴿يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسارى﴾** وفي قراءة «الأسرى» **﴿إن يعلم**

= قوله تعالى: ﴿فلا تهنوا وتدعوا إلى السَّلم وأنتم الأعلون﴾ (الآية ٣٥ محمد) أي: لا تضعُفوا ولا تدعوا إلى السلم مع قوتكم واستعلائكم، وفي رواية أخرى عن ابن عباس: أن الناسخ لها هو: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله﴾ (الآية ٢٩ التوبة)، لأن هدف القتال هو حمل الناس على الدخول في الإسلام، فإن لم يفعلوا، قُبلَتْ منهم الجزية إن كانوا من أهلها، وهذا معنى قول مجاهد الذي أشار إليه المؤلف، أي: عاهِدْ أهلَ الكتاب فقط، مقابل الجزية منهم.

(١) قوله: «ونزل لما أخذوا الفداء»، فقد أخرج مسلم في «صحيحه»، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر والتقوا، فهزم الله المشركين، وقُتل منهم سبعون رجلاً، وأُسر سبعون رجلاً، استشار النبي ﷺ أبا بكر وعمر، فقال أبو بكر: يا نبي الله، هم بنو العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية، فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «ما ترى يا ابن الخطاب؟» قال: قلت لا والله يا رسول الله، ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تمكننا فنضرب أعناقهم، فتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه، وتمكني من فلان ـ نسيباً لعمر ـ فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها، أي: أشرافها، فهَوِيَ ـ أي: أحبَّ ـ رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلتُ، فلما كان من الغد؛ جئتُ فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدين وهما يبكيان، قلت: يا رسول الله، أخبرني من أيِّ شيء تبكي أنت وصاحبك، فإن وجدت بكاء بكيت، =

الله في قلوبكم خيراً﴾ إيماناً وإخلاصاً ﴿يؤتكم خيراً مما أخذ منكم﴾ من الفداء، بأن يضعفه لكم في الدنيا، ويثيبكم في الآخرة ﴿ويغفر لكم﴾ ذنوبكم ﴿والله غفور رحيم﴾. ٧١﴿وإن يريدوا﴾ أي: الأسرى ﴿خيانتك﴾ بما أظهروا من القول ﴿فقد خانوا الله من قبل﴾ قبل بدر، بالكفر ﴿فأمكن منهم﴾ ببدر، قتلاً وأسراً، فليتوقعوا مثل ذلك إن عادوا ﴿والله عليم﴾ بخلقه ﴿حكيم﴾ في صنعه. ٧٢﴿إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله﴾ وهم المهاجرون ﴿والذين آووا﴾ النبي ﷺ ﴿ونصروا﴾ وهم الأنصار[1] ﴿أولئك بعضهم أولياء بعض﴾ في النصرة والإرث ﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم﴾ بكسر الواو وفتحها ﴿من شيء﴾ فلا إرث بينكم وبينهم، ولا نصيب لهم في الغنيمة ﴿حتى يهاجروا﴾ وهذا منسوخ بآخر السورة، [أي: بقوله تعالى: «وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض»] ﴿وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر﴾ لهم على الكفار ﴿إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾ عهد، فلا تنصروهم عليهم، وتنقضوا عهدهم ﴿والله بما تعملون بصير﴾. ٧٣﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض﴾ في النصرة والإرث، فلا إرث بينكم وبينهم ﴿إلا تفعلوه﴾ أي: تولّي المسلمين وقمع الكفار ﴿تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾ بقوة الكفر، وضَعْف الإسلام.

٧٤﴿والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً

اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ
لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ
خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن
وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ۚ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي
الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ۗ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ
كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ
اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ

= وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما، فقال رسول الله ﷺ: «أبكي للذي عرض عليّ أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عُرِض عليّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة» ــ شجرة قريبة منه ﷺ ــ فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى﴾ إلى قوله: ﴿فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً﴾ فأحل الله الغنيمة لهم.

(1) قوله: «وهم الأنصار» إنهم أهل المدينة، الذين آووا رسول الله ﷺ والمسلمين المهاجرين، ونصروهم وساعدوهم وآثروهم على أنفسهم، وفيهم نزل قوله تعالى ثناء عليهم: ﴿والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾، لذلك كان ﷺ يحبهم، واعتبر حبَّهم علامةً على صدق الإيمان، فقد روى البخاري، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار»، رضي الله عنهم، وعن أصحاب رسول الله أجمعين.

هذا وقد حذر النبي ﷺ من الطعن في أصحابه وسبِّهم، لما لهم من فضل على من سواهم، ولسابقتهم في الإسلام، فهم خير القرون بلا خلاف، لأنهم قرن النبي ﷺ، فقد روى مسلم عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: سئل رسول الله ﷺ: أيُّ الناس خير؟ قال: «القرن الذي أنا فيه، ثم الثاني، ثم الثالث»، وروى الشيخان وأبو داود والترمذي، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان بين خالد بن الوليد، وبين عبد الرحمن بن عوف شيء، فسبَّه خالد، فقال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أحداً من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أُحُد ذهباً، ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه» أي: ولا نصف مُدِّه، لما جعل الله لهم من الأجر، بفضل صحبتهم وجهادهم مع النبي ﷺ.

لهم مغفرة ورزق كريم﴾ في الجنة. ٧٥﴿والذين آمنوا من بعد﴾ أي: بعد السابقين إلى الإيمان والهجرة ﴿وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم﴾ أيها المهاجرون والأنصار ﴿وأولو الأرحام﴾ ذوو القرابات ﴿بعضهم أولى ببعض﴾ في الإرث، من التوارث بالإيمان والهجرة المذكورة في الآية السابقة، ﴿في كتاب الله﴾ اللوح المحفوظ ﴿إن الله بكل شيء عليم﴾ ومنه حكمة الميراث.

لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰٓئِكَ مِنكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾

(٩) سُورَةُ التَّوْبَةِ مَدَنِيَّةٌ وَآيَاتُهَا تِسْعٌ وَعِشْرُونَ وَمِائَةٌ

بَرَآءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى الَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوٓا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ

﴿ سُورَةُ التَّوْبَةِ ﴾

(مدنية أو: إلاّ الآيتين آخرها، مائة وثلاثون، أو: إلاّ آية)

ولم تُكتب فيها البسملة، لأنه لم يؤمر بذلك، كما يؤخذ من حديث رواه الحاكم، وأخرج في معناه عن عليّ: أن البسملة أمان، وهي نزلت لرفع الأمن بالسيف، وعن حذيفة: إنكم تسمونها سورة التوبة، وهي سورة العذاب، وروى البخاري، عن البراء [بن عازب]: أنها آخر سورة نزلت، [أي: من آخر ما نزل، وقد نزلت بعدها سورة «المائدة»، كما قالت السيدة عائشة رضي الله عنها، فيما رواه عنها الترمذي والحاكم، وليس في هذه الأقوال، شيء مرفوع إلى النبي ﷺ، بل ذاك اجتهاد من الصحابي، أو أنه أَخْبَرَ بذلك، عن آخِرِ ما سمعه هو من النبي ﷺ، ولم يسمع ما سمعه غيره].

١ هذه ﴿براءة من الله ورسوله﴾ واصلةٌ ﴿إلى الذين عاهدتم من المشركين﴾ عهداً مطلقاً، أو دون أربعة أشهر، أو فوقها، ونقضُ العهد بما يذكر في قوله:

٢﴿فسيحوا﴾ سيروا آمنين، أيها المشركون ﴿في الأرض أربعة أشهر﴾ أولها شوال، [وآخرها: محرم]، بدليل ما سيأتي، ولا أمان لكم بعدها ﴿واعلموا أنكم غير معجزي الله﴾ أي: فائتي عذابه ﴿وأن الله مخزي الكافرين﴾ مُذِلُّهم في الدنيا بالقتل [والأسر]، وفي الآخرة بالنار.

٣﴿وأذان﴾ إعلام ﴿من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر﴾ يوم النحر، [رواه البخاري وعليه الأكثرون، وقيل: هو يوم عرفة] ﴿أن﴾ أي: بأن ﴿الله بريء من المشركين﴾ وعهودهم ﴿ورسوله﴾ بريء أيضاً، وقد بعث النبي ﷺ علياً من السَّنة، وهي: سنة تسع، فأذَّن يوم النحر بمنىً، بهذه الآيات، وأن لا يحجَّ بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عُريان، رواه البخاري، [وزاد الإمام أحمد والترمذي: ولا يدخل الجنة إلاّ نفس مؤمنة، وكان من عادة بعض العرب في الجاهلية، أن يطوفوا حول الكعبة عراةً، زاعمين أنهم لا يطوفون بثياب عَصَوا الله فيها]، ﴿فإن تبتم﴾ من الكفر ﴿فهو

خير لكم وإن توليتم﴾ عن الإيمان ﴿فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر﴾ أخبر ﴿الذين كفروا بعذاب أليم﴾ مؤلم، وهو: القتل والأسر في الدنيا، والنار في الآخرة.

٤ ﴿إلاّ الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً﴾ من شروط العهد ﴿ولم يظاهروا﴾ يعاونوا ﴿عليكم أحداً﴾ من الكفار ﴿فأتموا إليهم عهدهم إلى﴾ انقضاء ﴿مدتهم﴾ التي عاهدتم عليها، [وهؤلاء هم: «بنو ضَمْرَة»، من قبائل «بني بكر»، من «كِنانة»، لم ينقضوا عهدهم مع النبي ﷺ، فأمرَ بإتمام عهدهم إلى مدتهم] ﴿إن الله يحب المتقين﴾ بإتمام العهود، [أما الذين نقضوا العهد، فمدتهم أربعة أشهر].

الجزء العاشر

خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ فَمَا ٱسْتَقَٰمُواْ

٥ [ثم بيَّن تعالى، حُكم أولئك الذين نقضوا العهد، وهم «قريش»، الذين أعانوا حلفاءهم «بني دِئل» من «بني بكر»، على «خُزاعة» حلفاء النبي ﷺ فقال:] ﴿فإذا انسلخ﴾ خرج ﴿الأشهر الحرم﴾ وهي آخر مدة التأجيل، [المنقضية بنهاية شهر المحرم، وهو ليس من الأشهر الحرم، وجمعه مع ما قبله منها تغليباً] ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ في حِلٍّ أو حرم ﴿وخذوهم﴾ بالأسر ﴿واحصروهم﴾ في القلاع والحصون، حتى يضطروا إلى القتل، أو الإسلام ﴿واقعدوا لهم كل مرصد﴾ طريق يسلكونه، ونُصب «كل» على نزع الخافض، [وتقديره: «في كل»] ﴿فإن تابوا﴾ من الكفر، [فآمنوا] ﴿وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم﴾ ولا تتعرضوا لهم ﴿إن الله غفور رحيم﴾ لمن تاب، [وهذه هي الآية المعروفة بـ«آية السيف»، التي نسخت جميع آيات الأمر بالصفح عن المشركين، والصبر على أذاهم].

٦ ﴿وإن أحد من المشركين﴾ مرفوع بفعل يفسره: ﴿استجارك﴾ استأمنك من القتل ﴿فأجره﴾ أمّنه ﴿حتى يسمع كلام الله﴾ القرآن ﴿ثم أبلغه مأمنه﴾ أي: موضع أمنه، وهو دار قومه، إن لم يؤمن، لينظر في أمره ﴿ذلك﴾ المذكور ﴿بأنهم قوم لا يعلمون﴾ دين الله، فلا بد لهم من سماع القرآن ليعلموا.

٧ ﴿كيف﴾ أي: لا ﴿يكون للمشركين﴾ الناقضين للعهد ﴿عهد عند الله وعند رسوله﴾ وهم الكافرون، [أي: هم] بهما غادرون، [ثم استثنى الله تعالى، الذين لم ينقضوا العهد منهم، وأمر بالاستقامة لهم ما استقاموا للمؤمنين فقال:] ﴿إلاّ الذين عاهدتم عند المسجد الحرام﴾ يوم الحديبية، [بدخولهم في عهد قريش، وهم «بنو ضَمْرَة» على الصحيح كما تقدم]، و[قيل:] هم قريش، المستثنَون من قبل ﴿فما استقاموا

لكم﴾ أقاموا على العهد، ولم ينقضوه ﴿فاستقيموا لهم﴾ على الوفاء به، و «ما» شرطية ﴿إن الله يحب المتقين﴾ وقد استقام النبي ﷺ على عهدهم، حتى نقضوا بإعانة[1] «بني بكر» على «خزاعة» [اقرأ التعليق].
[ثم رجع السياق، إلى الكلام عن قريش وأعوانهم، الذين نقضوا العهد، قال تعالى:]
٨ ﴿كيف﴾ يكون لهم عهد ﴿وإن يظهروا عليكم﴾ يظفروا بكم ﴿لا يرقبوا﴾ يراعوا ﴿فيكم إلاًّ﴾ قرابة ﴿ولا ذمة﴾ عهداً، بل يؤذوكم ما استطاعوا، وجملة الشرط حال ﴿يرضونكم بأفواههم﴾ بكلامهم الحسن ﴿وتأبى قلوبهم﴾ الوفاء به ﴿وأكثرهم فاسقون﴾ ناقضون للعهد.

سُورَةُ التَّوْبَةِ ٩

لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

٩ ﴿اشتروا بآيات الله﴾ القرآن ﴿ثمناً قليلاً﴾ من الدنيا، أي: تركوا اتباعها، للشهوات والهوى ﴿فصدوا عن سبيله﴾ دينه ﴿إنهم ساء﴾ بئس ﴿ما كانوا يعملون﴾ ـه، [أي:] عملهم هذا.

١٠ ﴿لا يرقبون في مؤمن إلاًّ﴾ قرابة ﴿ولا ذمةً﴾ عهداً ﴿وأولئك هم المعتدون﴾.

١١ ﴿فإن تابوا﴾ [فآمنوا] ﴿وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم﴾ أي: فهم إخوانكم ﴿في الدين ونفصل﴾ نبين ﴿الآيات لقوم يعلمون﴾ يتدبرون.

١٢ ﴿وإن نكثوا﴾ نقضوا ﴿أيمانهم﴾ مواثيقهم ﴿من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم﴾ عابوه ﴿فقاتلوا أئمة الكفر﴾ رؤساءه، فيه وضع الظاهر موضع المضمر ﴿إنهم لا أيمان﴾ عهود ﴿لهم﴾ وفي قراءة بالكسر: [«لا إيمان لهم»] ﴿لعلهم ينتهون﴾ عن الكفر.

١٣ ﴿ألا﴾ للتحضيض ﴿تقاتلون قوماً نكثوا﴾ نقضوا ﴿أيمانهم﴾ عهودهم ﴿وهموا بإخراج الرسول﴾ من مكة، لمَّا تشاوروا فيه بدار الندوة، [وفي ذلك نزل قوله تعالى: «وإذ يمكُر بك الذين كفروا ليُثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك»] ﴿وهم بدؤوكم﴾ بالقتال ﴿أول مرة﴾ حيث قاتلوا «خُزاعة» حلفاءكم، مع «بني بكر» [حلفاء قريش]، فما يمنعكم أن تقاتلوهم؟ ﴿أتخشونهم﴾ أتخافونهم؟ ﴿فالله أحق أن تخشوه﴾ في ترك قتالهم ﴿إن كنتم مؤمنين﴾.

(١) قوله: «حتى نقضوا عهدهم، بإعانة بني بكر على خزاعة»، هذا بناء على ما ذهب إليه السيوطي هنا، ومثله فعل ابن كثير: من أن الاستثناء راجع إلى «قريش». والصحيح ـ كما بينا في تفسير الآيات «٤ و ٥ و ٧»: أن المستثنى هم «بنو ضَمْرَة»، من قبائل «بني بكر»، من حلفاء قريش، الذين لم ينقضوا العهد، وقد جاء استثناؤهم وتخصيصهم، من عموم كلمة «المشركين»، لئلا يدخلوا في حكم «قريش» و «بني الدِّئل» من «بني بكر» الناقضين للعهد، الذين حَرَّضَ الله تعالى على قتالهم في هذه الآيات.

١٤ ﴿قاتلوهم يعذبهم الله﴾[1] يقتلهم ﴿بأيديكم ويخزهم﴾ يذلهم بالأسر والقهر ﴿وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين﴾ مما فُعِلَ بهم، وهم «بنو خُزاعة». ١٥ ﴿ويذهب غيظ قلوبهم﴾ كربها ﴿ويتوب الله على من يشاء﴾ بالرجوع إلى الإسلام، كأبي سفيان [الذي أسلم عام الفتح] ﴿والله عليم حكيم﴾. ١٦ ﴿أم﴾ بمعنى همزة الإنكار، [أي: أ] ﴿حسبتم أن تتركوا ولما﴾ لم ﴿يعلم الله﴾ علم الظهور، [أي: بإظهار ما علمه من حال] ﴿الذين جاهدوا منكم﴾ بإخلاص ﴿ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة﴾ بطانة وأولياء، المعنى: ولم يظهر المخلصون ــ وهم الموصوفون بما ذكر ــ من غيرهم ﴿والله خبير بما تعملون﴾. ١٧ ﴿ما كان للمشركين أن يعمروا مسجد الله﴾ بالإفراد، [أي: المسجد الحرام]، والجمع [أي: كل مسجد]، بدخوله والقعود فيه ﴿شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت﴾ بطلت ﴿أعمالهم﴾ لعدم شرطها، [وهو: الإيمان الصحيح] ﴿وفي النار هم خالدون﴾. ١٨ ﴿إنما يعمر مساجد الله[2] من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش﴾ أحداً ﴿إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾. ١٩ ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام﴾ أي: أَهْلَ ذلك، [والقائمين به] ﴿كمن آمن بالله

قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ * أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ

ثلاثة أرباع الحزب

---

(١) قوله تعالى: ﴿قاتلوهم﴾ الآيتين، فيهما بيان السبيل الموصل إلى النصر، ألا وهو «الجهاد»، وردّ على ضعاف النفوس، الذين يريدون النصر ويتوقعونه، بلا عمل ولا إعداد قوة، كما أمر الله تعالى، بل إن كثيراً من الذين يحادُّون الله ورسوله، يتوهمون أن النصر سيكون حليفهم، ولكن النصر من عند الله، ينصر به عباده المؤمنين الذين ينصرونه، ليس غيرهم.

(٢) قوله تعالى: ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله﴾. الآية، روى أحمد والترمذي، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد، فاشهدوا له بالإيمان» قال تعالى: ﴿إنما يعمر مساجد الله﴾ الآية. وفي رواية للترمذي: «يتعاهد المسجد».

فقد أثبت الله تعالى الإيمان، لمن عمر المساجد، بالصلاة فيها، وتنظيفها، وإصلاح ما وهى وضعف منها وترميمها، وروى عبد الرزاق، عن عمرو بن ميمون الأَوْدي التابعي، المتوفى عام أربعة وسبعين: قال: أدركت أصحاب محمد ﷺ وهم يقولون: «إن المساجد بيوت الله في الأرض، وإنه حق على الله أن يكرم من زاره فيها».

أما بناء المساجد وإنشاؤها، فأجره عظيم وثوابه جزيل، فقد روى الشيخان وغيرهما، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «من بنى مسجداً يبتغي به وجه الله، بنى الله له مثله في الجنة».

ولكي ينال الباني هذا الأجر، لا بُدَّ له من شرطين، أولهما: أن يكون بناؤه لله تعالى، لا رياء ولا سمعة، قال ابن الجوزي: من كتب اسمه على مسجد بناه، فهو بعيد من الإخلاص، أما الشرط الثاني: فأن يبنيه من مال حلال ــ غير الزكاة ــ كما جاء مصرحاً به في رواية البيهقي، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ ولفظه: «من بنى لله بيتاً يُعْبَدُ اللَّهُ فيه، من مال حلال، بنى له بيتاً في الجنة، من دُرٍّ وياقوت».

والیوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله﴾ في الفضل ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ الكافرين. نزلت رداً على من قال ذلك، وهو العباس[1] أو غيره.

٢٠ ﴿الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة﴾ رتبة ﴿عند الله﴾ من غيرهم ﴿وأولئك هم الفائزون﴾ الظافرون بالخير. ٢١ ﴿يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم﴾ دائم. ٢٢ ﴿خالدين﴾ حال مقدَّرة، [أي: خالدين فيها إذا دخلوها] ﴿فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم﴾.

٢٣ ونزل فيمن ترك الهجرة، لأجل أهله وتجارته: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا﴾[2] اختاروا ﴿الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون﴾.

٢٤ ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم﴾ أقرباؤكم، وفي قراءة: «عشيراتكم» ﴿وأموال اقترفتموها﴾ اكتسبتموها ﴿وتجارة تخشون كسادها﴾ عدم نفاقها ﴿ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله

وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ

---

(١) قوله: «وهو العباس أو غيره»، أخرج ابن أبي حاتم، وابن جرير الطبري وغيرهما، عن عبد الله بن عباس قال: قال العباس ــ يعني: والده ــ حين أسر يوم بدر: إن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد، لقد كنا نعمر المسجد الحرام، ونسقي الحاج، ونفكُّ العاني، فأنزل الله: ﴿أجعلتم سقاية الحاج﴾ الآية. وروى القاضي أبو سليمان، يحيى بن يعمر العَوْفي، عن ابن عباس في تفسيره هذه الآية قال: إن المشركين قالوا: عمارة بيت الله، وقيامٌ على السقاية، خير ممن آمن وجاهد، فنزلت رداً عليهم.

وقد جاء في تفسيرهما حديث مرفوع إلى النبي ﷺ، فقد روى مسلم وأبو داود وابن حبان وغيرهم، عن النعمان بن بشير الأنصاري رضي الله عنهما قال: كنت عند منبر رسول الله ﷺ في نفر من أصحابه، فقال رجل منهم: ما أبالي أن لا أعمل لله عملاً بعد الإسلام، إلاَّ أن أسقي الحاج، وقال آخر: بل عمارة المسجد الحرام، وقال آخر: بل الجهاد في سبيل الله خير مما قلتم، فزجرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ ــ وذلك يوم الجمعة ــ ولكن إذا صليت الجمعة، دخلت على رسول الله ﷺ فاستفتيته فيما اختلفتم فيه، قال: ففعل، فأنزل الله: ﴿أجعلتم سقاية الحاج﴾ الآية، أي: ليست السِّقاية والعمارة وأمثالها، خيراً من الجهاد في سبيل الله، بعد الإيمان.

(٢) قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم﴾ «الآيتين ٢٣ و ٢٤»، إن المؤمن يكره الكفر، كما يكره أن يلقى في النار، ويحب الله ورسوله أكثر من أيِّ شيء آخر، وهذان الأمران هما من الخصال التي إذا وُجِدَتْ في إنسان، ذاق حلاوة الإيمان، وأدرك قيمة هذه النعمة التي مَنَّ الله تعالى بها عليه، نعني بها نعمة الإيمان والإسلام، فقد أخرج البخاري، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاث من كُنَّ فيه، وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرءَ لا يحبه إلاَّ لله، وأن يكره أن يعود في الكفر، كما يكره أن يُقْذَفَ في النار».

وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ

وجهاد في سبيله﴾ فقعدتم لأجله عن الهجرة والجهاد ﴿فتربصوا﴾ انتظروا ﴿حتى يأتي الله بأمره﴾ تهديد لهم ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾.

٢٥ ﴿لقد نصركم الله في مواطن﴾ للحرب ﴿كثيرة﴾ كبدر وقريظة والنضير ﴿و﴾ اذكر ﴿يوم حنين﴾ [هو:] واد بين مكة والطائف، أي: يوم قتالكم فيه «هوازن»، وذلك في شوال، سنة ثمان، [بعد فتح مكة] ﴿إذ﴾ بدل من «يوم» ﴿أعجبتكم كثرتكم﴾ فقلتم: لن نُغلب اليوم من قلة، وكانوا اثني عشر ألفاً، والكفار أربعة آلاف ﴿فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت﴾ «ما» مصدرية، أي: مع رحبها، أي: سعتها، فلم تجدوا مكاناً تطمئنون إليه، لشدة ما لحقكم من الخوف ﴿ثم وليتم مدبرين﴾ منهزمين، وثبت النبي ﷺ على بغلته البيضاء، وليس معه غير [عمه] العباس، [وهو آخذ بلجام بغلته ﷺ]، و [ابن عمه]: أبو سفيان[1] آخذ بركابه.

٢٦ ﴿ثم أنزل الله سكينته﴾ طمأنينته ﴿على رسوله وعلى المؤمنين﴾ فَرَدُّوا إلى النبي ﷺ، لما ناداهم العباس، بإذنه [ﷺ]، وقاتلوا ﴿وأنزل جنوداً لم تروها﴾ ملائكة [التثبّت المؤمنين] ﴿وعذب الذين كفروا﴾ بالقتل والأسر ﴿وذلك جزاء الكافرين﴾.

٢٧ ﴿ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء﴾ منهم بالإسلام ﴿والله غفور رحيم﴾ [والإسلام يَجُبُّ ما قبله].

٢٨ ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس﴾ قَذَرٌ، لخبث باطنهم ﴿فلا يقربوا المسجد الحرام﴾ أي: لا يدخلوا الحرم[2] ﴿بعد عامهم هذا﴾ عام تسع من الهجرة ﴿وإن خفتم عيلة﴾ فقراً، بانقطاع تجارتهم عنكم ﴿فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء﴾ وقد أغناهم بالفتوح والجزية ﴿إن الله عليم حكيم﴾.

٢٩ ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر﴾ وإلا، لآمنوا بالنبي ﷺ ﴿ولا يحرمون

---

(١) قوله: «وأبو سفيان آخذ بركابه» هو أبو سفيان: المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب، ابن عم النبي ﷺ وأخوه من الرضاعة، أرضعتهما حليمة السعدية، كان ممن يؤذي النبي ويهجوه، وإليه يشير حسان بن ثابت رضي الله عنه في قوله:

هَجَوْتَ محمداً فأجبتُ عنه وعند الله في ذاك الجزاء

ولكنه أسلم يوم الفتح، والنبي ﷺ متوجه إلى مكة، وشهد معركة «حنين»، أما المتبادر إلى الذهن عند الإطلاق عادة فهو: أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية، أسلم أيضاً عام الفتح، فرضي الله عنهما.

(٢) قوله: «فلا يدخلوا الحرم»، هذا ما نادى به منادي النبي ﷺ، كما تقدم في تفسير أول «سورة التوبة» ص ٢٣٩.

ما حرم الله ورسوله﴾ كالخمر [والربا والخنزير وغيرهما، فإنهم مخاطبون بفروع الشريعة بعد الإيمان، وسيعذبون عليها زيادةً على عذاب الكفر] ﴿ولا يدينون دين الحق﴾ الثابت، الناسخ [لما سبقه من الشرائع السماوية، والمبطل] لغيره من الأديان[1]، وهو: دين الإسلام ﴿من الذين﴾ بيان لـ «الذين» ﴿أوتوا الكتاب﴾ أي: اليهود والنصارى ﴿حتى يعطوا الجزية﴾ الخراج المضروب عليهم كل عام ﴿عن يد﴾ حال، أي: منقادين، أو: بأيديهم، لا يوكّلون بها ﴿وهم صاغرون﴾ أذلاء، منقادون لحكم الإسلام.

٣٠﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح﴾ عيسى ﴿ابن الله ذلك قولهم بأفواههم﴾ لا مستند لهم عليه، بل ﴿يضاهئون﴾ يشابهون به ﴿قول الذين كفروا من قبل﴾ من آبائهم، تقليداً لهم ﴿قاتلهم﴾ لعنهم ﴿الله أنّى﴾ كيف ﴿يؤفكون﴾ يصرفون عن الحق، مع قيام الدليل؟.

٣١﴿اتخذوا أحبارهم﴾ علماء اليهود ﴿ورهبانهم﴾ عبّاد النصارى ﴿أرباباً من دون الله﴾ حيث اتبعوهم، في تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل، [قال ﷺ بعد أن قرأ هذه الآية: «أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلُّوا لهم شيئاً استحلُّوه، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرَّموه» رواه الترمذي ــ وحسَّنه ــ والبيهقي وغيرهما] ﴿والمسيح ابن مريم﴾ [اتخذوه إلٰهاً] ﴿وما أمروا﴾ في التوراة والإنجيل ﴿إلاّ ليعبدوا﴾ أي: بأن يعبدوا ﴿إلٰهاً واحداً لا إلٰه إلاّ هو سبحانه﴾ تنزيهاً له ﴿عمّا يشركون﴾.

٣٢﴿يريدون أن يطفئوا نور الله﴾ شرعه وبراهينه ﴿بأفواههم﴾ بأقوالهم فيه ﴿ويأبى الله إلاّ أن يتم﴾ يظهر ﴿نوره ولو كره الكافرون﴾ ذلك.

٣٣﴿هو الذي أرسل رسوله﴾ محمداً ﷺ ﴿بالهدى ودين الحق ليظهره﴾ يُعْلِيَهُ ﴿على الدّين كلّه﴾ جميع الأديان[1] المخالفة له ﴿ولو كره المشركون﴾ ذلك.

٣٤﴿يا أيها الذين آمنوا إن

سُورَةُ التَّوۡبَةِ ٩

مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ

جزء ١٠

(١) قوله: «الأديان»، لقد شاع إطلاق «الأديان السماوية»، على كل من: «اليهودية» و «النصرانية» و «الإسلام»، على ظن أن اليهودية أوالنصرانية دين سماوي، وهذا خطأ... لأن اليهودية ليست ديناً سماوياً، ولا هي دين موسى عليه السَّلام، بل وضعها أحبار اليهود من بعده، وكذلك النصرانية، فليست ديناً سماوياً، ولا هي دين المسيح عليه السَّلام، بل هي من وضع رؤساء الكنيسة وكهنتها، فاليهود والنصارى ليسوا أصحاب دين سماوي، بل هم «أهل كتاب سماوي»، والله تعالى أنزل التوراة والإنجيل، ولم ينزل ديناً اسمه «اليهودية» أو «النصرانيّة»؛ فالدين السماوي الوحيد هو: «الإسلام»، جاء به الرسل جميعاً إلى قومهم، فهو دين موسى وعيسى وإبراهيم ومحمد وغيرهم، عليهم الصلاة =

كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون﴾ يأخذون ﴿أموال الناس بالباطل﴾ كالرُّشا في الحكم ﴿ويصدون﴾ الناس ﴿عن سبيل الله﴾ دينه ﴿والذين﴾[1] مبتدأ ﴿يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها﴾ أي: الكنوز ﴿في سبيل الله﴾ أي: لا يؤدون منها حقه من الزكاة، والخبر [أي: خبر المبتدأ، جملة:]، ﴿فبشرهم﴾ أخبرهم ﴿بعذاب أليم﴾ مؤلم.

٣٥﴿يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى﴾ تُحرَق ﴿بها جباههم وجنوبهم وظهورهم﴾ وتوسَّع جلودهم، حتى توضع عليهم [كنوزهم] كلها، ويقال لهم: ﴿هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾ أي: جزاءه.

٣٦﴿إن عدة الشهور﴾ المعتد بها للسنَّة ﴿عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله﴾ اللوح المحفوظ ﴿يوم خلق السماوات والأرض منها﴾ أي: الشهور ﴿أربعة حرم﴾ محرمة [هي:] ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب ﴿ذلك﴾ أي: تحريمها ﴿الدين القيم﴾ المستقيم ﴿فلا تظلموا فيهن﴾ أي: الأشهر الحرم ﴿أنفسكم﴾ بالمعاصي، فإنها فيها أعظم وزراً، وقيل: في الأشهر كلها ﴿وقاتلوا المشركين كافة﴾ جميعاً، في كل الشهور ﴿كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين﴾ بالعون والنصر.

٣٧﴿إنما النسيء﴾ أي: التأخير لحرمة شهر إلى آخر، كما كانت الجاهلية تفعله، من تأخير حرمة «المحرم»، إذا هلَّ وهم في القتال، إلى «صَفَر» ﴿زيادة في الكفر﴾ لكفرهم بحكم الله فيه ﴿يضل﴾ بضم الياء [مبنياً للمجهول]، وفتحها [مع كسر الضاد مبنياً للمعلوم]﴿به الذين كفروا يحلونه﴾ أي: النسيء ﴿عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا﴾ يوافقوا، بتحليل شهر وتحريم آخر بدله ﴿عدة﴾ عدد ﴿ما حرم الله﴾ من الأشهر، فلا يزيدون على تحريم أربعة أشهر، ولا ينقصون، ولا ينظرون إلى أعيانها

كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ

= والسلام، و «اليهودية» انحراف بعد موسى عن دينه، و «النصرانية» انحراف بعد عيسى عن دينه. قال تعالى: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ وقال: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾، فلا يجوز إطلاق «الأديان السماوية» مراداً بها اليهودية والنصرانية مع الإسلام، ولكن يقال فيما جاء به الرسل من الشريعة: «الشرائع السماوية»، فالشرائع تختلف أحكامها من عصر إلى عصر، قال تعالى: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً﴾ أما الدين فهو واحد.

(١) قوله تعالى: ﴿والذين يكنزون﴾ الآية، ثم قوله أيضاً: ﴿يوم يحمى عليها﴾ الآية.

أخرج ابن مردويه والبيهقي، عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله، إن لي أوضاحاً من ذهب أو فضة، أفكنز هو؟ قال ﷺ: «كل شيء تؤدى زكاته فليس بكنز»، والأوضاح: هي نوع من الحلي يعمل من فضة، وسمي بذلك لبياضه.

وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «ما من صاحب ذهب ولا فضة =

﴿فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم﴾ فظنوه حسناً ﴿والله لا يهدي القوم الكافرين﴾. ٣٨ ونزل لما دعا ﷺ الناس إلى غزوة تبوك، وكانوا في عسرة وشدة حر، فشقّ عليهم: ﴿يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم﴾ بإدغام التاء في الأصل في المثلثة، واجتلاب همزة الوصل، أي: تباطأتم وملتم عن الجهاد ﴿إلى الأرض﴾ والقعود فيها؟ والاستفهام للتوبيخ ﴿أرضيتم بالحياة الدنيا﴾ ولذّاتها ﴿من الآخرة﴾ أي: بدل نعيمها؟ ﴿فما متاع الحياة الدنيا في﴾ جنب متاع ﴿الآخرة إلا قليل﴾ حقير. ٣٩ ﴿إلاّ﴾ بإدغام نون «إنْ» الشرطية، في «لا» في الموضعين: [هذا والذي في أول الآية «٤٠»] ﴿تنفروا﴾ تخرجوا مع النبي ﷺ للجهاد ﴿يعذبكم عذاباً أليماً﴾ مؤلماً ﴿ويستبدل قوماً غيركم﴾ أي: يأت بهم بدلكم ﴿ولا تضروه﴾ أي: الله، أو: النبي ﷺ ﴿شيئاً﴾ بترك نصره، فإن الله ناصر دينه ﴿والله على كل شيء قدير﴾ ومنه نصر دينه ونبيه. ٤٠ ﴿إلاّ تنصروه﴾ أي النبي ﷺ ﴿فقد نصره الله إذ﴾ حين ﴿أخرجه الذين كفروا﴾ من مكة، أي: ألجأوه إلى الخروج، لمّا أرادوا قتله، أو: حَبْسَه، أو: نفيه بدار الندوة ﴿ثاني اثنين﴾ حال، أي: أحد اثنين، والآخَرُ أبو بكر، المعنى: نصره الله في مثل تلك الحالة، فلا يخذله في غيرها ﴿إذ﴾ بدل من «إذ» قبله ﴿هما في الغار﴾ نَقْبٌ في جبل ثور ﴿إذ﴾ بدل ثان ﴿يقول لصاحبه﴾ أبي بكر، وقد قال له، لمّا رأى أقدام المشركين: لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا ﴿لا تحزن إن الله معنا﴾ بنصره ﴿فأنزل الله سكينته﴾ طمأنينته ﴿عليه﴾ قيل: على النبي ﷺ، وقيل: على أبي بكر ﴿وأيده﴾ أي: النبيَّ ﷺ ﴿بجنود لم تروها﴾ ملائكة، في الغار ومواطن قتاله ﴿وجعل كلمة الذين كفروا﴾ أي: دعوة الشرك ﴿السفلى﴾ المغلوبة ﴿وكلمة الله﴾ أي: كلمة الشهادة ﴿هي العليا﴾ الظاهرة الغالبة ﴿والله عزيز﴾ في ملكه ﴿حكيم﴾ في صنعه.

٤١ ﴿انفروا خفافاً وثقالاً﴾ نُشَاطاً وغير نُشَّاط، وقيل: أقوياء وضعفاء: أو: أغنياء وفقراء، وهي، [أي: الآية في عمومها]، منسوخة[1] بآية «ليس على الضعفاء» ﴿وجاهدوا بأموالكم

فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ

= لا يؤدي حقها إلاّ صُفِّحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يُقْضَى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار» الحديث.. واللفظ لمسلم. ارجع إلى تعليقنا حول «الزكاة» ص ٧٦٦.

(١) قوله: «منسوخة بآية» إلخ، هي قوله تعالى: ﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله﴾ الآية ٩١ من سورة «التوبة». فأسقط الله تعالى الجهاد، عن الذين لهم عذرهم كالضعفاء، وهم: الزَّمنى، والهرمون، وكالمرضى والذين لا يجدون نفقة الخروج، وجعل لهم ثواب المجاهدين، إذا كانوا يتمنون الخروج لو استطاعوا، =

وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ أنه خير لكم، فلا تتثاقلوا.

٤٢ ونزل في المنافقين الذين تخلفوا: ﴿لو كان﴾ ما دعوتهم إليه ﴿عرضاً﴾ متاعاً من الدنيا، ﴿قريباً﴾ سهل المأخذ ﴿وسفراً قاصداً﴾ وسطاً ﴿لاتَّبعوك﴾ طلباً للغنيمة ﴿ولكن بعدت عليهم الشقة﴾ المسافة، فتخلفوا [عن الخروج معك يوم «تبوك»] ﴿وسيحلفون بالله﴾ إذا رجعتم إليهم ﴿لو استطعنا﴾ الخروج ﴿لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم﴾ بالحلف الكاذب ﴿والله يعلم إنهم لكاذبون﴾ في قولهم ذلك.

وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ * وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾

ربع الحزب

٤٣ وكان ﷺ، أذن لجماعة في التخلف، باجتهاد منه، فنزل عتاباً له، وقدّم العفو تطميناً لقلبه: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾ في التخلف، وهلاَّ تركتهم ﴿حتى يتبين لك الذين صدقوا﴾ في العذر ﴿وتعلم الكاذبين﴾ فيه.؟

٤٤ ﴿لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ في التخلف عن ﴿أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين﴾.

٤٥ ﴿إنما يستأذنك﴾ في التخلف ﴿الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت﴾ شكّت ﴿قلوبهم﴾ في الدين ﴿فهم في ريبهم يترددون﴾ يتحيرون.

٤٦ ﴿ولو أرادوا الخروج﴾ معك ﴿لأعدوا له عدة﴾ أُهبة، من الآلة والزاد ﴿ولكن كره الله انبعاثهم﴾ أي: لم يرد خروجهم ﴿فثبطهم﴾ كسّلهم ﴿وقيل﴾ لهم ﴿اقعدوا مع القاعدين﴾ المرضى والنساء والصبيان، أي: قدّر الله تعالى ذلك.

= كما حصل لبعض الصحابة، فقد أخرج مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كنا مع النبي ﷺ في غزاة فقال: «إن بالمدينة لرجالاً، ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً، إلاّ كانوا معكم، حبسهم المرض». وروى البخاري، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: رجعنا من غزوة تبوك مع النبي ﷺ فقال: «إنّ أقواماً خَلْفَنَا بالمدينة، ما سلكنا شِعْباً ولا وادياً إلاّ وهم معنا، حبسهم العذر».

ومن منعه العذر عن الجهاد وكان موسراً، وجب عليه أن يجاهد بماله، ومن جهز غازياً في سبيل الله بما يحتاج إليه من العُدّة والمؤونة، نال ثواب الجهاد، وكُتب مع المجاهدين، فقد روى الشيخان، عن زيد بن خالد رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «من جهّز غازياً في سبيل الله فقد غزا، ومن خَلَف غازياً في أهله بخير فقد غزا» ومعنى قوله ﷺ: «ومن خَلَف غازياً في أهله بخير»، أي: صان غيبته في عرضه وماله، ورعى أسرته وساعدها:

٤٧ ﴿لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلاَّ خبالاً﴾ فساداً، بتخذيل المؤمنين ﴿ولأوضعوا خلالكم﴾ أي: أسرعوا بالمشي بينكم بالنميمة[1] ﴿يبغونكم﴾ يطلبون لكم ﴿الفتنة﴾ بإلقاء العداوة ﴿وفيكم سماعون لهم﴾ ما يقولون، سماعَ قبول ﴿والله عليم بالظالمين﴾.

٤٨ ﴿لقد ابتغوا﴾ لك ﴿الفتنة من قبل﴾ أول ما قدمت المدينة ﴿وقلبوا لك الأمور﴾ أي: أجالوا الفكر، في كيدك وإبطال دينك ﴿حتى جاء الحق﴾ النصر ﴿وظهر﴾ عزَّ ﴿أمر الله﴾ دينه ﴿وهم كارهون﴾ له، فدخلوا فيه ظاهراً.

٤٩ ﴿ومنهم من يقول ائذن لي﴾ في التخلف ﴿ولا تفتني﴾ وهو الجَدُّ بن قيس، قال له النبي ﷺ: «هل لك في جِلَادِ بني الأصفر؟» [أي: ملوك الروم]، فقال: إني مغرم بالنساء، وأخشى إن رأيت نساء بني الأصفر، أن لا أصبر عنهن فأفتتن، قال تعالى: ﴿ألا في الفتنة سقطوا﴾ بالتخلف، وقرىء [شذوذاً]: «سقط» ﴿وإن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ لا محيص لهم عنها.

لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا

٥٠ ﴿إن تصبك حسنة﴾ كنصر وغنيمة ﴿تسؤهم وإن تصبك مصيبة﴾ شدة ﴿يقولوا قد أخذنا أمرنا﴾ بالحزم حين تَخَلَّفْنَا ﴿من قبل﴾ قبل هذه المصيبة ﴿ويتولوا وهم فرحون﴾ بما أصابك.

٥١ ﴿قل﴾ لهم ﴿لن يصيبنا إلاَّ ما كتب الله لنا﴾ إصابتَه ﴿هو مولانا﴾ ناصرنا ومتولي أمورنا ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾.

٥٢ ﴿قل هل تربصون﴾ فيه حذف إحدى التاءين من الأصل، أي: تنتظرون أن يقع ﴿بنا إلاَّ إحدى﴾ العاقبتين ﴿الحسنيين﴾ تثنية «حسنى»، تأنيث «أحسن»، النصر أو الشهادة ﴿ونحن نتربص﴾ ننتظر ﴿بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده﴾ بقارعة من السماء ﴿أو بأيدينا﴾ بأن يؤذن لنا في قتالكم ﴿فتربصوا﴾ بنا ذلك ﴿إنا معكم متربصون﴾ عاقبتكم.

٥٣ ﴿قل أنفقوا﴾ في طاعة الله ﴿طوعاً

---

(١) قوله: «بالمشي بينكم بالنميمة»... «النميمة» هي: «نقل الكلام بين الناس، على جهة الإفساد» أي: بقصده، وناقله «نمّام» وهو الذي يمشي بين الناس بالنميمة، وهي من كبائر الذنوب، لما ورد فيها من وعيد شديد، قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة نَمّام» رواه الشيخان، وهي أيضاً من أسباب عذاب القبر، فقد روى الشيخان ــ واللفظ للبخاري في إحدى رواياته ــ عن عبد الله بن عباس، أن رسول الله ﷺ مرَّ بقبرين فقال: «إنهما ليعذبان، وما يعذَّبان في كبير، بلى إنه كبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله».
أما نقل الكلام على سبيل الإصلاح بين الناس فجائز، قال رسول الله ﷺ: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، فَيَنْمِي خيراً ــ أي: يُبَلِّغ خيراً على وجه الإصلاح ــ أو يقول خيراً» رواه الشيخان.

أو كرهاً لن يتقبل منكم﴾ ما أنفقتموه ﴿إنكم كنتم قوماً فاسقين﴾ والأمر هنا بمعنى الخبر، [أي: إن نفقتكم طوعاً أو كرهاً غير مقبولة، وذلك أن الجَدَّ بن قيس، لمَّا اعتذر عن الخروج، قال للنبي ﷺ: ولكن أعينك بمالي، فنزلت فيه وفي أمثاله من المنافقين].

٥٤﴿وما منعهم أن تقبل﴾ بالتاء والياء ﴿منهم نفقاتهم إلاّ أنهم﴾ [وجملة: «أنهم كفروا»، في محل رفع] فاعل: [«منعهم»]، و «أن تقبل»، [أي: المصدر المؤوَّل منها، هو:] مفعول [«منعهم»، وتقدير الكلام: «وما منعهم قبولَ نفقاتهم منهم، إلاّ كُفرُهم بالله»] ﴿كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلاّ وهم كسالى﴾ متثاقلون[1] ﴿ولا ينفقون إلاّ وهم كارهون﴾ النفقةَ، لأنهم يعدونها مغرماً.

٥٥﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم﴾ أي: لا تستحسن نعمنا عليهم، فهي استدراج ﴿إنما يريد الله ليعذبهم﴾ أي: أن يعذبهم ﴿بها في الحياة الدنيا﴾ بما يلقون في جمعها من المشقة، وفيها من المصائب ﴿وتزهق﴾ تخرج ﴿أنفسهم وهم كافرون﴾ فيعذبهم في الآخرة أشد العذاب.

٥٦﴿ويحلفون بالله إنهم لمنكم﴾ أي: مؤمنون [مثلكم] ﴿وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون﴾ يخافون أن تفعلوا بهم كالمشركين، فيحلفون تقية.

٥٧﴿لو يجدون ملجأ﴾ يلجؤون إليه ﴿أو مغارات﴾ سراديب ﴿أو مدخلاً﴾ موضعاً يدخلونه ﴿لولّوا إليه وهم يجمحون﴾ يسرعون في دخوله والانصراف عنكم، إسراعاً لا يرده شيء، كالفرس الجموح.

٥٨﴿ومنهم من يلمزك﴾ يعيبك ﴿في﴾ قسم ﴿الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يُعطوا منها إذا هم يسخطون﴾ [أي: يغضبون ولا يرضون].

٥٩﴿ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله ﴾ من الغنائم ونحوها ﴿وقالوا حسبنا﴾ كافينا ﴿الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله﴾ من غنيمة أخرى ما يكفينا ﴿إنا إلى الله راغبون﴾ أن يغنينا، وجواب «لو» [محذوف، تقديره:] لكان خيراً لهم.

الجزء العاشر

أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾

٢٥٠

---

(١) قوله: «متثاقلون»، التثاقل عن الصلاة صفة من صفات المنافقين، وعلامة على ضعف الإيمان، روى البزار في حديث قصة الإسراء وفرض الصلاة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ثم أتى ــ يعني: النبيّ ﷺ ــ على قوم تُرضخ رؤوسهم ــ أي: تُدَقُّ وتكسر ــ بالصخر، كلما رُضخت عادت كما كانت ولا يُفَتَّر عنهم من ذلك شيء»، قال: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين تثاقلت رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة»، وروى البخاري مثله في حديث طويل، عن سَمُرَة بن جُندُب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ ولفظه: «أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يُثْلَغُ ــ أي: يكسر ــ بالحجر فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه، وينام عن الصلاة المكتوبة».

٦٠﴿إنما الصدقات﴾ الزكوات مصروفة ﴿للفقراء﴾ الذين لا يجدون ما يقع موقعاً من كفايتهم ﴿والمساكين﴾ الذين لا يجدون ما يكفيهم ﴿والعاملين عليها﴾ أي: الصدقات، من: جابٍ، وقاسم، وكاتب وحاشر ﴿والمؤلفة قلوبهم﴾ ليُسلموا، أو: يثبت إسلامهم، أو: يُسْلم نظراؤهم، أو: يذبُّوا عن المسلمين، أقسام، والأول والأخير لا يعطيان اليوم عند الشافعي، لعزّ الإسلام، بخلاف الآخرين، فيعطيان على الأصح ﴿وفي﴾ فك ﴿الرقاب﴾ أي: المكاتبين ﴿والغارمين﴾ أهل الدَّين، إن استدانوا لغير معصية، أو تابوا وليس لهم وفاء، أو: لإصلاح ذات البين ولو أغنياء ﴿وفي سبيل الله﴾ أي: القائمين بالجهاد، ممن لا فيء لهم، ولو أغنياء ﴿وابن السبيل﴾ المنقطع في سفره ﴿فريضة﴾ نُصِبَ بفعلـه المقـدر ﴿من الله والله عليـم﴾ بخلقـه ﴿حكيم﴾ في صنعه، فلا يجوز صرفها لغير هؤلاء، ولا منع صنف منهم إذا وُجد، فيقسمها الإمام عليهم على السواء، وله تفضيل بعض آحاد الصنف على بعض، وأفادت «اللام»، وجوب استغـراق أفـراده، [أي: أفـراد كـل صنـف، بإعطائهم جميعاً]، لكن: لا يجب [ذلك] على صاحب المال إذا قَسَم، لعُسره، بل يكفي إعطاء ثلاثة من كل صنف، ولا يكفي دونها، كما أفادته صيغة الجمع، وبيَّنت السُّنَّة [في أحاديث في الصحيحين]، أن شرط المعطَى منها: الإسلامُ، وأن لا يكون هاشمياً ولا مُطَّلبياً. ٦١﴿ومنهم﴾ أي: المنافقين ﴿الذين يؤذون النبي﴾ بعيبه، وبنقل حديثه ﴿ويقولون﴾، إذا نُهوا عن ذلك، لئلا يَبْلُغَـهُ: ﴿هـو أذن﴾ أي: يسمـع كـل قيـل ويقبله، فإذا حلفنا له أنا لم نقل، صَدَّقنا ﴿قل﴾ هو ﴿أذن﴾ مُسْتَمِعُ ﴿خير لكم﴾ لا مستمع شر ﴿يؤمن بالله ويؤمن﴾ يصدق ﴿للمؤمنين﴾ فيما أخبروه به، لا لغيرهم، واللام زائدة، للفرق بين إيمان التسليم وغيره ﴿ورحمة﴾ بالرفع عطفاً على «أذن»، والجر عطفاً على «خير» ﴿للذين آمنوا منكـم والـذيـن يـؤذون رسـول الله لهـم عـذاب أليم﴾.

٦٢﴿يحلفون بالله لكم﴾ أيها المؤمنون، فيما بلغكم عنهم من أذى الرسول، أنهم ما أتوه ﴿ليرضـوكم والله ورسـولـه أحق أن يـرضـوه﴾ بالطاعة ﴿إن كانوا مؤمنين﴾ حقاً، وتوحيد الضمير [في «يرضوه»] لتلازم الرِّضاءَين، وخبر «الله»، أو: «رسوله»، محذوف، [لأن: «أحقُّ»، خَبَرُ أحدهما]. ٦٣﴿ألـم يعلمـوا أنـه﴾ أي: الشأن ﴿مـن يحـادد﴾ يشاقـق ﴿الله ورسولـه فـأن لـه نـار جهنـم﴾ جزاءً ﴿خـالـداً فيهـا ذلـك الخـزي العظيـم﴾. ٦٤﴿يـحـذر﴾ يـخـاف ﴿المنافقـون أن تـنـزل عليهـم﴾ أي: المؤمنيـن ﴿سـورة تنبئهـم بما في قلوبهـم﴾ مـن النفـاق، وهم مع ذلـك يستهزئـون ﴿قـل استهـزئـوا﴾ أمـر تهـديـد ﴿إن الله مخرج﴾ مظهر ﴿مـا تحذرون﴾ إخراجَهُ من نفاقكم. ٦٥﴿ولئن﴾ لام قسم ﴿سألتهم﴾ عن استهزائهم بك والقرآن، وهم سائرون معك إلى «تبوك» ﴿ليقولن﴾ معتذرين ﴿إنما كنا نخوض

* إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ

وَنَلْعَبُ﴾ في الحديث، لنقطع به الطريق، ولم نقصد ذلك ﴿قل﴾ لهم ﴿أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون؟﴾.

٦٦ ﴿لا تعتذروا﴾ عنه ﴿قد كفرتم بعد إيمانكم﴾ أي: ظهر كفركم، بعد إظهار الإيمان ﴿إن يُعْفَ﴾ بالياء: مبنياً للمفعول، والنون مبنياً للفاعل ﴿عن طائفة منكم﴾ بإخلاصها وتوبتها، كَمَخْشِيّ بن حُمَيِّر[1] الأشجعي ﴿تُعَذَّب﴾ بالتاء والنون ﴿طائفةٌ﴾ [بالرفع والنصب، ففيها قراءتان سبعيتان: الأولى: «إن يُعْفَ عن طائفة منكم تُعَذَّبْ طائفةٌ» والثانية: «إن نَعْفُ عن طائفة منكم نُعَذِّبْ طائفةً» بالنصب] ﴿بأنهم كانوا مجرمين﴾ مصرِّين على النفاق والاستهزاء.

وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ هِيَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا ۚ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ

٦٧ ﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض﴾ أي: متشابهون في الدين، كأبعاض الشيء الواحد ﴿يأمرون بالمنكر﴾ الكفر والمعاصي ﴿وينهون عن المعروف﴾[2] الإيمان والطاعة ﴿ويقبضون أيديهم﴾ عن الإنفاق في الطاعة ﴿نسوا الله﴾ تركوا طاعته ﴿فنسيهم﴾ تركهم من لطفه ﴿إن المنافقين هم الفاسقون﴾.

٦٨ ﴿وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم﴾ جزاءً وعقاباً ﴿ولعنهم الله﴾ أبعدهم عن رحمته ﴿ولهم عذاب مقيم﴾ دائم.

٦٩ أنتم أيها المنافقون ﴿كالذين من قبلكم﴾ [من القرون السابقة، كعاد وثمود وقوم فرعون] ﴿كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمتعوا﴾ تمتعوا ﴿بخلاقهم﴾ نصيبهم من الدنيا ﴿فاستمتعتم﴾ أيها المنافقون ﴿بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم﴾ في الباطل، والطعن في النبي ﷺ ﴿كالذي خاضوا﴾ أي: كخوضهم ﴿أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة

---

(١) قوله: «كَمَخْشِيّ بن حُمَيِّر الأشجعي» هذا هو الصواب كما في المخطوطتين و«الإصابة»، وما في بعض النسخ المطبوعة: «كجحش بن حميّر» تصحيف، قال الحافظ ابن حجر في الإصابة: له ذكر في مغازي ابن إسحاق في غزوة تبوك؛ وجاء في تفسير ابن الكلبي بسنده إلى ابن عباس، وبسند آخر إلى ابن مسعود: أنه ممن نزل فيه ﴿ولئن سألتهم ليقولن...﴾ الآية «٦٥» قال ـ أي: ابن الكلبي ـ فكان ممن عُفي عنه مخشيّ بن حمَيِّر، فقال: يا رسول الله، غير اسمي واسم أبي، فسماه رسول الله ﷺ «عبد الله بن عبد الرحمن»، فدعا مخشي ربه أن يُقتل شهيداً حيث لا يُعلم به، فقُتل يوم اليمامة، ولم يُعلم له أثر.

(٢) قوله تعالى: ﴿وينهون عن المعروف﴾، ارجع إلى تعليقنا حول معنى «المعروف والمنكر» ص ٨٠.

وأولئك هم الخاسرون﴾. ٧٠﴿ألم يأتهم نبأ﴾[1] خبر ﴿الذين من قبلهم قوم نوح وعاد﴾ قوم هود ﴿وثمود﴾ قوم صالح ﴿وقوم إبراهيم﴾ [هم: الملك الكافر نمروذ وقومه] ﴿وأصحاب مدين﴾ قوم شعيب ﴿والمؤتفكات﴾ قرى قوم لوط. أي: [ألم يأتكم نبأ] أهلها؟ ﴿أتتهم رسلهم بالبينات﴾ بالمعجزات، فكذبوهم، فأُهلكوا ﴿فما كان الله ليظلمهم﴾ بأن يعذبهم بغير ذنب ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بارتكاب الذنب.

٧١﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ [أي: قلوبهم متحدة في التوادِّ، والتحابِّ[2] والتعاطف، وما يتبع ذلك من نصرة وعون؛ ثم بيَّن حالهم، في حياتهم العامة والخاصة، فقال تعالى:] ﴿يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز﴾ لا يعجزه شيء، عن إنجاز وعده ووعيده ﴿حكيم﴾ لا يضع شيئاً إلاَّ في محله.

٧٢﴿وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن﴾ إقامة ﴿ورضوان من الله أكبر﴾ أعظم من ذلك كله ﴿ذلك هو الفوز العظيم﴾.

٧٣﴿يا أيها النبي جاهد الكفار﴾ بالسيف ﴿والمنافقين﴾ باللسان والحجة، [لأنه لم يؤمر بقتل المنافقين، حتى لا يقول الناس: إن محمداً يقتل أصحابه]﴿واغلظ عليهم﴾ [جميعاً]، بالانتهار والمقت[3] ﴿ومأواهم جهنم وبئس

وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ

(١) قوله تعالى: ﴿ألم يأتهم نبأ..﴾ الآية ٧٠، ارجع إلى تعليقنا حول «عاد» ص ٢٩١، و «ثمود» ص ٢٩٣، و «مدين» ص ٢٩٦، و «المؤتفكات» ص ٢٩٥.

(٢) قولنا: «والتحاب والتعاطف»، روى الشيخان ــ واللفظ لمسلم ــ عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم، مَثَلُ الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحُمَّى» أي: على المؤمنين أن يكونوا كذلك؛ فقد روى الشيخان أيضاً، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» وشبَّك ﷺ بين أصابعه.

(٣) قوله: «بالانتهار والمقت»، أي: البغض والكره، فعلى المؤمن أن يحب لله، وفي الله، وأن يكره كذلك، فيحب المؤمنين ويوادُّهم ويشفق عليهم، ويخفض لهم جناحه، ويظهر العزة والقوة أمام الكافرين، لينبههم إلى أنهم مكروهون لكفرهم وضلالهم، وأن المؤمن لا يرضى عن الكافر ولا يحبه، لكفره لا لشخصه لأن الله لا يرضى عن القوم الكافرين، تماماً كما رسول الله وأصحابه حيث وصفهم الله بقوله: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشدَّاء على الكفار رحماءُ بينهم﴾.

﴿المصير﴾ المرجع هي. ٧٤**﴿يحلفون﴾** أي: المنافقون **﴿بالله ما قالوا﴾** ما بلغك عنهم من السب، [وكانوا يذكرون النبي ﷺ ودينه بالسوء، فإذا سألهم، حلفوا بالله: ما قالوا شيئاً من ذلك] **﴿ولقد قالوا كلمة االكفر وكفروا بعد إسلامهم﴾** أظهروا الكفر بعد إظهار الإسلام **﴿وهموا بما لم ينالوا﴾** من الفتك بالنبي ليلة العقبة، عند عوده من تبوك، وهم بضعة عشر رجلاً، فضرب[1] عمار بن ياسر وجوهَ الرَّواحل، لمَّا غَشَوْهُ، فَرَدُّوا **﴿وما نقموا﴾** أنكروا **﴿إلاَّ أن أغناهم الله ورسوله من فضله﴾** بالغنائم بعد شدة حاجتهم، والمعنى: لم ينلهم منه إلاَّ هذا، وليس مما يُنْقَمُ، [أي: يُكْرَهُ] **﴿فإن يتوبوا﴾** عن النفاق، ويؤمنوا بك **﴿يك خيراً لهم وإن يتولوا﴾** عن الإيمان **﴿يعذبهم الله عذاباً أليماً في الدنيا﴾** بالقتل **﴿والآخرة﴾** بالنار **﴿وما لهم في الأرض من ولي﴾** يحفظهم منه **﴿ولا نصير﴾** يمنعهم. ٧٥**﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن﴾** فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد **﴿ولنكونن من الصالحين﴾** وهو: ثعلبة بن حاطب[2]، سأل النبي ﷺ: أن يدعو له أن يرزقه الله مالاً، ويؤدِّي منه كلَّ ذي حق حقه، فدعا له، فوُسِّعَ عليه، فانقطع عن الجمعة والجماعة، ومنع الزكاة، كما قال تعالى: [اقرأ التعليق]. ٧٦**﴿فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا﴾** عن طاعة الله **﴿وهم معرضون﴾**.

٧٧**﴿فأعقبهم﴾** أي: فصيَّر عاقبتهم **﴿نفاقاً﴾** ثابتاً **﴿في قلوبهم إلى يوم يلقونه﴾** أي: الله، وهو يوم القيامة **﴿بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون﴾** فيه، فجاء بعد ذلك، إلى النبي ﷺ بزكاته، فقال: «إن الله منعني أن أقبل منك»، فجعل يحثو التراب على رأسه، ثم جاء بها إلى أبي بكر، فلم يقبلها، ثم إلى عمر، فلم يقبلها، ثم إلى عثمان، فلم يقبلها، ومات في زمانه، [«تنبيه»: هذه القصة غير صحيحة، اقرأ التعليق].

٧٨**﴿ألم يعلموا﴾** أي: المنافقون **﴿أن الله يعلم سرهم﴾** ما أسروه في أنفسهم **﴿ونجواهم﴾** ما تناجوا به بينهم **﴿وأن الله علام الغيوب﴾** ما غاب عن العيان.

٧٩ ولما نزلت آية الصدقة، جاء رجل فتصدق بشيء كثير، فقال المنافقون: مُرَاءٍ، وجاء رجل فتصدق بصاع، فقالوا: إن الله غني عن صدقة هذا فنزل: **﴿الذين﴾** مبتدأ **﴿يلمزون﴾** يعيبون **﴿المطوعين﴾** المتنفلين **﴿من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون**

ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ

(١) قوله: «فضرب عمار»، روى ذلك أحمد والطبراني والبزار وغيرهم.

(٢) قوله: «هو ثعلبة بن حاطب إلخ». إن هذه القصة التي أشار إليها السيوطي، والتي قيل: إن هذه الآيات نزلت فيها، هي قصة متداولة على الألسن، نقلها بعض المفسرين كما رُويت، ولم ينكروا نسبتها إلى ثعلبة، مثلُ ابن كثير في تفسيره، والسيوطي هنا وفي «الدر المنثور»، =

إلا جهدهم﴾ طاقتهم، فيأتون به ﴿فيسخرون منهم﴾ والخبر: ﴿سخر الله منهم﴾ جازاهم على سُخْريتهم ﴿ولهم عذاب أليم﴾. ٨٠﴿استغفر﴾ يا محمد ﴿لهم أو لا تستغفر لهم﴾ تخيير له في الاستغفار وتركه، قال ﷺ: «إني خُيِّرت فاخترت»، يعني: الاستغفار، رواه البخاري ﴿إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾ قيل: المراد بالسبعين، المبالغة في كثرة الاستغفار، وفي البخاري، [في صلاته ﷺ على عبد الله بن أُبيٍّ السَّلوليّ]، حديث: «لو أعلم أني لو زدت على السبعين غَفَرَ [له]، لزدتُ عليها» وقيل: المراد العدد المخصوص لحديثه [أي البخاري] أيضاً «وسأزيد على السبعين»، فبين له حسم المغفرة بآية: «سواءٌ عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم [لن يغفر الله لهم]» ﴿ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ [فكفَّ عن ذلك].

٨١﴿فرح المخلفون﴾ عن تبوك ﴿بمقعدهم﴾ أي: بقعودهم ﴿خلاف﴾ أي: بعد ﴿رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا﴾ أي: قال بعضهم لبعض ﴿لا تنفروا﴾ تخرجوا إلى الجهاد ﴿في الحر قل نار جهنم أشد حراً﴾ من تبوك، فالأولى أن يتقوها بترك التخلف ﴿لو كانوا يفقهون﴾ يعلمون ذلك، ما تخلفوا.

٨٢﴿فليضحكوا قليلاً﴾ في الدنيا ﴿وليبكوا﴾ في الآخرة ﴿كثيراً جزاءً بما كانوا يكسبون﴾ خَبَّرَ عن حالهم بصيغة الأمر.

٨٣﴿فإن رجعك﴾ ردك ﴿الله﴾ من تبوك ﴿إلى طائفة منهم﴾ ممن تخلف بالمدينة من المنافقين ﴿فاستأذنوك للخروج﴾ معك إلى غزوة أخرى ﴿فقل﴾ لهم ﴿لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدواً إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين﴾ المتخلفين عن الغزو، من النساء والصبيان وغيرهم. ٨٤ ولما صلّى النبي ﷺ، على [عبد الله] بن أُبيٍّ [السَّلولي المنافق] نزل: ﴿ولا تصل على أحد منهم

سُورَةُ التَّوْبَةِ ٩

إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا أَن يُجَٰهِدُوا بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِى ٱلْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا مَعِىَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم

= وغيرهما، ونقلها آخرون وتعقَّبوها بالنقد، واستبعدوا نزولها في حق صحابي شهد معركة بدر، فقال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: رواه الطبراني، وفيه علي بن يزيد الألهاني، وهو متروك. اهـ. وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج أحاديث الكشاف»: «أخرجه الطبراني، والبيهقي في «الدلائل» و «الشعب»، وابن أبي حاتم، والطبري، وابن مردويه، كلهم من طريق علي بن يزيد، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبي أمامة، وهذا إسناد ضعيف جداً». اهـ، وقال ابن حجر مثل ذلك في كتابه «الإصابة».

وقال القرطبي في تفسيره، بعد أن أورد القصة: قلتُ: وثعلبة، بدريٌّ، أنصاريٌّ. وممن شهد الله له ورسوله بالإيمان، فما رُوي عنه غير صحيح، وقال الضحاك: نزلت في رجال من المنافقين هم: نَبْتَلُ بن الحارث، وجَدُّ بن قيس، ومُعتِّبُ بن قُشير، وهذا أشبه في نزول الآية فيهم. اهـ. فالصواب: أنها لم تنزل في ثعلبة بن حاطب، ولا في غيره من المسلمين، والقصة المشار إليها مردودة لا يصح قبولها، فإن كانت هذه الآيات قد نزلت في أناس بعينهم، فهم منافقون أصلاً، والدليل على ذلك: سياقُ *الآيات التي جاءت تبين أفعال* =

مات أبداً ولا تقم على قبره﴾ لدفن أو زيارة ﴿إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون﴾ كافرون، [وذلك: أن ابنه عبد الله، سأل النبي ﷺ أن يعطيه قميصه ليكفنه فيه، فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه، فصلى عليه، فنزلت هذه الآية، فترك الصلاة على المنافقين، أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما].

٨٥ ﴿ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق﴾ تخرج ﴿أنفسهم وهم كافرون﴾.

٨٦ ﴿وإذا أنزلت سورة﴾ أي: طائفة من القرآن ﴿أن﴾ أي: بأن ﴿آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول﴾ ذوو الغنى ﴿منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين﴾.

٨٧ ﴿رضوا بأن يكونوا مع الخوالف﴾ جمع «خالفة»، أي: النساء اللاتي تخلَّفن في البيوت ﴿وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون﴾ الخير.

٨٨ ﴿لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات﴾ في الدنيا والآخرة ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ أي: الفائزون.

٨٩ ﴿أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم﴾.

٩٠ ﴿وجاء المعذرون﴾ بإدغام التاء في الأصل في الذال، أي: المعتذرون، بمعنى: «المعذورين» [أي: الذين لهم عذر مقبول، يمنعهم عن الخروج للقتال]، وقرىء[1] به ﴿من الأعراب﴾ إلى النبي ﷺ ﴿ليؤذن لهم﴾ في القعود، لعذرهم، فأذن لهم ﴿وقعد الذين كذبوا الله ورسوله﴾ في ادعاء الإيمان، من منافقي الأعراب، عن المجيء للاعتذار ﴿سيصيب

مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ

= المنافقين: [اقرأ الآيات ٧٣ ــ ١١٠]، وأيضاً: نصُّ هذه الآية، فقوله تعالى: ﴿ومنهم﴾ يعني: ومن المنافقين، أي: عندما عاهدوا الله، كان كل واحد منهم منافقاً، ولم يكن مؤمناً ثم نافق بنقضه العهد، وقوله ﴿فأعقبهم﴾ أي: الذين نقضوا العهد، وهذا يعني أنهم جماعة، ولو كان واحداً لقال: «فأعقبه»، ومن غرائب ما في هذه القصة: رفضُ النبي ﷺ قبول زكاته، وكذلك الخلفاء الثلاثة من بعده، وهل يردُّ الرسول ﷺ تائباً جاءه معتذراً؟ وبذلك يتبين لنا رجحان قول الضحاك بن مزاحم رحمه الله تعالى أنها نزلت في رجال من المنافقين كما تقدم، وأنه لا علاقة لثعلبة بن حاطب رضي الله عنه بهذه القصة ولا لأحد من المسلمين الصادقين.

(١) قوله: «وقرىء به» أي: بما بمعناه «أنهم معذورون»، أي: «المُعْذِرون» وهذه القراءة بضم الميم وسكون العين وكسر الذال مخففة، من «أَعْذَرَ، يُعْذِرُ» ــ وهذه ليست قراءة شاذة كما يفهم من قول السيوطي: «وقرىء به» على عادته في الإشارة إلى القراءات الشاذة، بل هي قراءة في العشرة قرأ بها يعقوب بن إسحاق الحضرمي، أما الباقون من العشرة غيره فقرؤوا بفتح العين وكسر الذال مشددة، وفي المعنى على هذه القراءة قولان، أحدهما: ما ذكره المؤلف ومشى عليه، وثانيهما: أن «المعذِّر» ــ بالتشديد قد يكون غير محق في عذره، أي: يعتذر ولا عذر له، فيكون معنى قوله: ﴿وجاء المعذِّرون﴾ ــ على هذا القول ــ : أي: الذين اعتذروا كاذبين لأنهم في الواقع لا عذر لهم، وكلا المعنيين لا بأس به.

الذين كفروا منهم عذاب أليم﴾.

٩١﴿ليس على الضعفاء﴾ كالشيوخ ﴿ولا على المرضى﴾ كالعُمْي والزَّمْنَى ﴿ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون﴾ في الجهاد ﴿حرج﴾ إثم في التخلف[1] عنه ﴿إذا نصحوا لله ورسوله﴾ في حال قعودهم، بعدم الإرجاف [أي: نقل الأخبار، إثارةً للفتنة]، والتثبيط، والطاعة [لله ورسوله، وفيه: ترغيب الغازي، بطاعة الإمام، وعدم مخالفته] ﴿ما على المحسنين﴾ بذلك ﴿من سبيل﴾ طريق بالمؤاخذة ﴿والله غفور﴾ لهم ﴿رحيم﴾ بهم، في التوسعة في ذلك.

سُورَةُ التَّوْبَةِ ٩

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ

حزب ٢١ جزء ١١

٩٢[ثم نفى المؤاخذة أيضاً، عن الذين لم يجد النبي ﷺ ما يحملهم عليه فقال:] ﴿ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم﴾ معك إلى الغزو، وهم سبعة من الأنصار، وقيل بنو مُقَرِّن[2] ﴿قلت لا أجد ما أحملكم عليه﴾ حال ﴿تولوا﴾ جواب «إذا»، أي: انصرفوا ﴿وأعينهم تفيض﴾[3] تسيل ﴿من﴾ للبيان ﴿الدمع حزناً﴾ لأجل ﴿ألا يجدوا ما ينفقون﴾ في الجهاد.

٩٣﴿إنما السبيل﴾ [أي: المؤاخذة]﴿على الذين يستأذنونك﴾ في التخلف ﴿وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون﴾ تقدم مثله [في الآية ٨٧].

٩٤﴿يعتذرون إليكم﴾ في التخلف ﴿إذا رجعتم إليهم﴾ من الغزو ﴿قل﴾ لهم ﴿لا تعتذروا لن نؤمن لكم﴾ نصدقكم ﴿قد نبأنا الله من أخباركم﴾ أي: أخبرنا بأحوالكم ﴿وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون﴾ بالبعث ﴿إلى عالم الغيب والشهادة﴾ أي: الله ﴿فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ فيجازيكم عليه. ٩٥﴿سيحلفون

---

(١) قوله: في «التخلف عنه»، ارجع إلى تعليقنا حول «التخلف على الجهاد» ص٢٤٧؛ وإلى تعليقنا حول «التولِّي يوم الزحف» ص ٢٢٩.

(٢) قوله: «بنو مقرّن»، هم من «مُزَيْنَة»، كانوا سبعة إخوة، كلهم صحبوا النبي ﷺ، وفيهم نزلت هذه الآية، وعليه جمهور المفسرين، وهم: «عبد الله، وعبد الرحمن، وعقيل، ومعقل، والنعمان، وسويد، وسنان»، وقيل: نزلت في غيرهم، وعلى كل حال: فالذين طلبوا من النبي ﷺ أن يحملهم كثيرون.

(٣) قوله تعالى: ﴿وأعينهم تفيض من الدمع﴾، هكذا كان حرص أصحاب رسول الله ﷺ على الجهاد في سبيل الله، فأعظم به من إيمان، وأكرم بهم من مسلمين صادقين، وروى مسلم عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما قال: كنا مع النبي ﷺ في غزاة ـ هي: تبوك ـ فقال: «إن بالمدينة لرجالاً، ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً، إلاَّ كانوا معكم، حبسهم المرض»، وفي رواية له: «إلاَّ شركوكم في الأجر».

بالله لكم إذا انقلبتم﴾ رجعتم ﴿إليهم﴾ من تبوك، أنهم معذورون في التخلف ﴿لتعرضوا عنهم﴾ بترك المعاتبة ﴿فأعرضوا عنهم إنهم رجس﴾ قذر، لخبث باطنهم ﴿ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون﴾.

٩٦ ﴿يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين﴾ أي: عنهم، [فأقام الظاهر مقام المضمر]، ولا ينفع رضاكم مع سخط الله.

٩٧ ﴿الأعراب﴾[1] أهل البدو ﴿أشد كفراً ونفاقاً﴾ من أهل المدن، لجفائهم وغلظ طباعهم، وبعدهم عن سماع القرآن ﴿وأجدر﴾ أولى ﴿أ﴾ن، أي: بأن ﴿لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله﴾ من الأحكام والشرائع ﴿والله عليم﴾ بخلقه ﴿حكيم﴾ في صنعه بهم.

٩٨ ﴿ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق﴾ في سبيل الله ﴿مغرماً﴾ غرامة وخسراناً، لأنه لا يرجو ثوابه، بل ينفقه خوفاً، وهم: بنو «أَسَد» و «غَطَفَان» ﴿ويتربص﴾ ينتظر ﴿بكم الدوائر﴾ دوائر الزمان أن تنقلب عليكم، فيتخلصوا [من الإنفاق] ﴿عليهم دائرة السوء﴾ بالضم والفتح، أي: يدور العذاب والهلاك عليهم، لا عليكم ﴿والله سميع﴾ لأقوال عباده ﴿عليم﴾ بأفعالهم.

٩٩ ﴿ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ كـ «جُهينة» و «مُزينة» ﴿ويتخذ ما ينفق﴾ في سبيل الله ﴿قربات﴾ تقربه ﴿عند الله و﴾ وسيلة إلى ﴿صلوات﴾ دعوات ﴿الرسول﴾ له ﴿ألا إنها﴾ أي: نفقتهم ﴿قربة﴾ بضم الراء وسكونها ﴿لهم﴾ عنده، [يتقربون بها إلى الله] ﴿سيدخلهم الله في رحمته﴾ جنته ﴿إن الله غفور﴾ لأهل طاعته ﴿رحيم﴾ بهم.

١٠٠ ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار﴾ وهم: من شهد بدراً، أو: جميع الصحابة ﴿والذين

الجزء الحادي عشر

بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ۚ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ

(١) قوله تعالى: ﴿الأعراب﴾: يطلق على سكان البادية من العرب؛ ويقال لهم: «أعاريب»، وهو لفظ فصيح، والنسبة إلى «الأعراب»: «أعرابي»، لأنه لا واحد له، وليس «الأعراب» جمعاً للعرب، وإنما «العرب» اسم جنس، مفرده «عربيّ» منسوباً، وتصغير «العرب»: «عريب»، وإذا قيل للأعرابي: يا عربي فرح، وإذا قيل للعربي: يا أعرابي غضب، والمهاجرون والأنصار عرب لا أعراب، والعرب أصلان هما: العرب العاربة، وهم أولاد، «يعرب بن قحطان»، والعرب المستعربة، وهم العرب «العدنانيون»، واسم لغة العرب: «العربية» وهي اللغة التي نزل بها القرآن الكريم.

اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ

﴿اتبعوهم﴾ إلى يوم القيامة **﴿بإحسان﴾** في العمل **﴿رضي الله عنهم﴾** بطاعته **﴿ورضوا عنه﴾** بثوابه **﴿وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾** وفي قراءة بزيادة «مِنْ»، [أي: «من تحتها»، وهي قراءة سبعية] **﴿خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم﴾**. ١٠١ **﴿وممن حولكم﴾** يا أهل المدينة **﴿من الأعراب منافقون﴾** كـ «أسْلَم»، و «أشْجَع»، و «غِفار»، [أي: بعضٌ من هذه القبائل، لا كلها] **﴿ومن أهل المدينة﴾** منافقون أيضاً **﴿مردوا على النفاق﴾** لَجُوا فيه واستمروا **﴿لا تعلمهم﴾** خطاب للنبي ﷺ **﴿نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين﴾** بالفضيحة، أو: القتل، في الدنيا، [والفضيحة في الدنيا، هي عذاب المرة الأولى على الصحيح، لأن أحكام الإسلام، جارية عليهم في الظاهر]، و [المرة الثانية:] عذاب القبر **﴿ثم يردون﴾** في الآخرة **﴿إلى عذاب عظيم﴾** هو النار.

١٠٢ **﴿و﴾** قوم **﴿آخرون﴾** مبتدأ **﴿اعترفوا بذنوبهم﴾** من التخلف، [وجملة: «اعترفوا بذنوبهم»] نعته، [أي: صفة المبتدأ]، والخبر [جملة]: **﴿خلطوا عملاً صالحاً﴾** وهو: جهادهم قبل ذلك، أو: اعترافهم بذنوبهم، أو: غير ذلك **﴿وآخر سيئاً﴾** وهو: تخلفهم **﴿عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم﴾** نزلت[1] في أبي لبابة وجماعة، أوثقوا أنفسهم في سواري المسجد، لما بلغهم ما نزل في المتخلفين، وحلفوا لا يحلهم إلا النبي ﷺ، فحلَّهم، لما نزلت.

١٠٣ **﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾** من ذنوبهم، فأخذ ثلث أموالهم، وتصدَّق بها **﴿وصل عليهم﴾** أي: ادع لهم **﴿إن صلاتك سكن﴾** رحمة **﴿لهم﴾** وقيل: طمأنينة بقبول توبتهم **﴿والله سميع عليم﴾**.

١٠٤ **﴿ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ﴾** يقبل **﴿الصدقات وأن الله هو التواب﴾** على عباده، بقبول توبتهم **﴿الرحيم﴾** بهم؟ والاستفهام للتقرير، والقصد به، تهييجهم إلى التوبة والصدقة، [وترغيبهم فيهما].

١٠٥ **﴿وقل﴾** لهم، أو: للناس **﴿اعملوا﴾** ما شئتم **﴿فسيرى الله عملكم ورسوله﴾**

---

(١) قوله: «نزلت في أبي لبابة» الخ. أخرج ذلك البيهقي في «الدلائل»، وابن جرير وغيرهما، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه: أنهم كانوا عشرة رهط، تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، ورواه الواحدي في «أسباب النزول»، ولم يسم أحداً منهم، وأبو لبابة: هو: مروان، وقيل: رفاعة بن عبد المنذر، كان من أهل الصفة، وقد تقدم في سورة «الأنفال» ص ٢٣٠ أنه ربط نفسه مرة قبل هذه، بسبب يهود بني قريظة، ثم حلّه رسول الله ﷺ بعد نزول توبته.

و «أهل الصفة» هم: فقراء المهاجرين، كانوا يأوون إلى موضع مظلّل في المسجد، حبسوا أنفسهم للجهاد وتعليم القرآن، عدّهم أبو نُعيم في «الحلية» أكثر من مائة، وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني: كانوا يكثُرون حتى يبلغوا نحو المائتين، ويَقلُّون.

والمؤمنون وستردون﴾ بالبعث ﴿إلى عالم الغيب والشهادة﴾ أي: الله ﴿فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ [أي]: يجازيكم به.
١٠٦ ﴿وآخرون﴾ من المتخلفين ﴿مرجؤون﴾ بالهمز وتركه، مؤخرون عن العقوبة ﴿لأمر الله﴾ فيهم بما شاء ﴿إما يعذبهم﴾ بأن يميتهم بلا توبة ﴿وإما يتوب عليهم والله عليم﴾ بخلقه ﴿حكيم﴾ في صنعه بهم، وهم الثلاثة الآتون بعد: «مُرارة بن الربيع»، و«كعب بن مالك»، و«هلال بن أمية»، تخلفوا كسلاً، وميلاً إلى الدَّعة [والراحة]، لا نفاقاً، ولم يعتذروا إلى النبي ﷺ كغيرهم، فوقف أمرَهم خمسين ليلة، وهجرهم الناسُ، حتى نزلت توبتهم بعدُ، [كما سيأتي في الآية ١١٨]. ١٠٧ ﴿و﴾ منهم ﴿الذين اتخذوا مسجداً﴾ وهم اثنا عشر من المنافقين ﴿ضراراً﴾ مضارة لأهل مسجد «قُباء» ﴿وكفراً﴾ لأنهم بنوه بأمر «أبي عامر» الراهب، ليكون معقلاً له، يقدم فيه مَنْ يأتي من عنده، وكان ذهب ليأتي بجنود من قيصر، لقتال النبي ﷺ ﴿وتفريقاً بين المؤمنين﴾ الذين يصلّون بقباء، بصلاة بعضهم في مسجدهم ﴿وإرصاداً﴾ ترقباً ﴿لمن حارب الله ورسوله من قبل﴾ أي: قبل بنائه، وهو: أبو عامر المذكور ﴿وليحلفن إن﴾ ما ﴿أردنا﴾ ببنائه ﴿إلا﴾ الفعلة ﴿الحسنى﴾ من الرفق بالمسكين، في المطر والحر، والتوسعة على المسلمين ﴿والله يشهد إنهم لكاذبون﴾ في ذلك، وكانوا سألوا النبي ﷺ أن يصلي فيه، [وهمّ أن يفعل]، فنزل: ١٠٨ ﴿لا تقم﴾ تصلِّ ﴿فيه أبداً﴾ فأرسل جماعة هدموه وحرقوه، وجعلوا مكانه «كُناسة» تلقى فيها الجيف ﴿لمسجد أسس﴾ بنيت قواعده ﴿على التقوى من أول يوم﴾ وُضِعَ [فيه أساسه]، يوم حللت بدار الهجرة، وهو مسجد «قُباء» كما في البخاري ﴿أحق﴾ منه ﴿أن﴾ أي: بأن ﴿تقوم﴾ تصلي ﴿فيه، فيه رجال﴾ هم الأنصار ﴿يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين﴾ أي: يثيبهم، وفيه إدغام التاء في الأصل في الطاء، روى ابن خزيمة في صحيحه، عن عُوَيْم بن ساعدة، أنه ﷺ أتاهم في مسجد «قباء» فقال: «إن الله تعالى قد أحسن عليكم الثناء في الطُّهور، في قصة مسجدكم، فما هذا الطهور الذي تطهرون به؟» قالوا: والله يا رسول الله، ما نعلم شيئاً، إلا أنه كان لنا جيران من اليهود، وكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط، فغسلنا كما غسلوا. وفي حديث رواه البزار: فقالوا: نُتْبِعُ الحجارةَ بالماء، فقال: «هو ذاك، فعليكموه».

وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾

١٠٩ ﴿أفمن أسس بنيانه على تقوى﴾ مخافة ﴿من الله و﴾ رجاء ﴿رضوان﴾ منه ﴿خير أم من أسس بنيانه على شفا﴾ طَرَف ﴿جرف﴾ بضم الراء وسكونها، جانبٍ ﴿هارٍ﴾ مشرف على السقوط ﴿فانهار به﴾ سقط مع بانيه ﴿في نار جهنم﴾ [؟ وخبر «مَنْ» الثانية محذوف، تقديره:] «خير»، [وهذا] تمثيل للبناء على ضد التقوى، بما يؤول إليه [من الخسران]، والاستفهام للتقرير، أي: الأول خير. وهو مثال مسجد «قُباء»، والثاني: مثال مسجد «الضِّرار» ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾.

١١٠ ﴿لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة﴾ شكّاً، [أي: سبباً للريبة] ﴿في قلوبهم إلاَّ أن تقطع﴾ تنفصل ﴿قلوبهم﴾ بأن يموتوا ﴿والله عليم﴾ بخلقه ﴿حكيم﴾ في صنعه بهم.

١١١ ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم﴾ بأن يبذلوها في طاعته، كالجهاد ﴿بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون﴾ جملة استئناف، بيان للشراء، وفي قراءة بتقديم المبني للمفعول، أي: فيُقْتَلُ بعضُهم، ويقاتِل الباقي ﴿وعداً عليه حقاً﴾ مصدران منصوبان بفعلهما المحذوف ﴿في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله﴾ أي: لا أحد أوفى منه ﴿فاستبشروا﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿ببيعكم الذي بايعتم به وذلك﴾ البيع ﴿هو الفوز العظيم﴾ المُنيل غاية المطلوب.

لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ

١١٢ ﴿التائبون﴾ رُفع على المدح بتقدير مبتدأ، [أي: هم التائبون] من الشرك والنفاق ﴿العابدون﴾ المخلصون العبادة لله ﴿الحامدون﴾ له على كل حال ﴿السائحون﴾ الصائمون ﴿الراكعون الساجدون﴾ أي: المصلون ﴿الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله﴾ لأحكامه، بالعمل بها ﴿وبشر المؤمنين﴾ بالجنة.

١١٣ ونزل في استغفاره ﷺ لعمه أبي طالب[1]، واستغفار بعض الصحابة لأبويه المشركَيْنِ: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى﴾ ذوي قرابة [كأبي طالب] ﴿من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم﴾ النار، بأن ماتوا على الكفر، [ذلك، لأن الله لا يغفر أن يشرك به].

١١٤ ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه

---

(١) قول السيوطي: «ونزل في استغفاره ﷺ لعمه» أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما، وسيأتي نصه ص ٥١٥ مع سبب نزول قوله تعالى: ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾.

وأما استغفار بعض الصحابة لأبويه المشركين، فقد أخرجه الترمذي والنسائي وغيرهما، واحتجوا على ذلك، باستغفار إبراهيم لأبيه، فنزلت هذه الآية والتي بعدها في النهي عن ذلك، أما حكم الاستغفار للمشرك أيّاً كان سبب كفره والدعاء له، فبيانه:

أنه يجوز طلب المغفرة للكافر الحي، بقصد أن يهتدي للإسلام بمثل: «غفر الله لك» أي: هداك للإيمان الذي هو سبب المغفرة، ولكنّ الاستغفار له ــ إذا كان حياً ــ بقصد أن تغفر ذنوبه مع بقائه على الكفر، لا يجوز، وكذلك لا يجوز الترحم عليه بقول: «المرحوم»، أو طلب المغفرة له بقول: «المغفور له»، إذا كان ميتاً، لأنه لا رحمة ولا مغفرة لمن مات كافراً، بل إن اعتقاد غفران الشرك مع العلم بمعنى قوله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾ كُفْرٌ.

أما الدعاء للكافر، فيجوز بمثل ما ورد في الحديث، فقد روى البخاري، أن يهودياً عطس، فقال له النبي ﷺ: «يهديكم الله =

﴿إلاّ عن موعدة وعدها إياه﴾ بقوله: «سأستغفر لك ربي»، رجاءَ أن يُسلم ﴿فلمّا تبين له أنه عدو لله﴾ بموته على الكفر ﴿تبرأ منه﴾ وترك الاستغفار له ﴿إن إبراهيم لأواه﴾ كثير التضرع والدعاء ﴿حليم﴾ صبور على الأذى. ١١٥﴿وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم﴾ للإسلام ﴿حتى يبين لهم ما يتقون﴾ من العمل، فلا يتقوه، فيستحقوا الإضلال ﴿إن الله بكل شيء عليم﴾ ومنه مستحق الإضلال والهداية. ١١٦﴿إن الله له ملك السماوات والأرض يحيي ويميت وما لكم﴾ أيها الناس ﴿من دون الله﴾ أي: غيره ﴿من ولي﴾ يحفظكم منه، [أي: من الإضلال] ﴿ولا نصير﴾ يمنع عنكم ضرره. ١١٧﴿لقد تاب الله﴾ أي: أدام توبته ﴿على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة﴾ أي: وقتها، وهي حالهم في غزوة «تبوك»، كان الرجلان يقتسمان تمرة، والعشرة يَعْتَقِبُون البعير الواحد، واشتد الحر، حتى شربوا [ماء] الفَرْث، [فكان أحدهم ينحر بعيره، فيعصر ما في كرشه من فَرْثٍ، فيشربه] ﴿من بعد ما كاد تزيغ﴾ بالتاء والياء: تميل ﴿قلوب فريق منهم﴾ عن اتباعه إلى التخلف، لما هم فيه من الشدة ﴿ثم تاب عليهم﴾ بالثبات ﴿إنه بهم رؤوف رحيم﴾.

١١٨﴿و﴾ تاب ﴿على الثلاثة الذين خُلِّفوا﴾[(١)] عن التوبة عليهم، [بسبب تخلفهم عن الخروج يوم تبوك]، بقرينة: ﴿حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت﴾ أي: مع رحبها، أي: سعتها، فلا يجدون مكاناً يطمئنون إليه ﴿وضاقت عليهم أنفسهم﴾ قلوبهم للغمّ والوحشة، بتأخير توبتهم، فلا يسعها سرور ولا أنس ﴿وظنوا﴾ أيقنوا ﴿أن﴾ مخففة، [أي: أنه] ﴿لا ملجأ من الله إلاّ إليه ثم تاب عليهم﴾ وفّقهم للتوبة ﴿ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم﴾. ١١٩﴿يا أيها الذين

الجزء الحادي عشر

إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

= ويصلح بالكم». ولكن لا يجوز الدعاء له بمثل: «قوّاك الله»، أو: «أدام الله ملكك»، أو: «أطال الله عمرك».

(١) قوله تعالى: ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾ أي: الذين أخّر الرسول ﷺ أمرهم، وهم: كعب بن مالك، ومُرارة بن ربيعة العامري، وهلال بن أمية الواقفي، وكلهم من الأنصار.

أخرج البخاري ومسلم، حديثهم وقصتهم، وهي طويلة جداً، لا متسع لذكرها هنا، وملخصها: أن هؤلاء الثلاثة تخلفوا عن رسول الله ﷺ يوم تبوك، من غير عذر ولا سبب مانع، فلما رجع ﷺ إلى المدينة، أتاه المتخلفون يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعةً وثمانين رجلاً، فكان يقبل منهم عذرهم، ويستغفر لهم، ويترك سرائرهم إلى الله تعالى، أما هؤلاء الثلاثة، فقد صدقوا رسول الله ﷺ، ولم يتحلوا عذراً، بل صرحوا بأن تخلفهم كان من غير عذر، فأخّر الرسول ﷺ أمرهم، وأمر المسلمين بمقاطعتهم، فقاطعهم المسلمون جميعاً مدة خمسين يوماً، حتى نزلت توبتهم في هذه الآية الكريمة. اقرأ قصتهم بتمامها في الصحيحين، أو: في كتاب: «رياض الصالحين» باب: «التوبة».

ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ

آمنوا اتقوا الله﴾ بترك معاصيه ﴿وكونوا مع الصادقين﴾[1] في الإيمان والعهود، بأن تلزموا الصدق [في كل أمر].

١٢٠ ﴿ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله﴾ إذا غزا ﴿ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه﴾ بأن يصونوها عما رضيه لنفسه من الشدائد، وهو نهي بلفظ الخبر ﴿ذلك﴾ أي: النهي عن التخلف ﴿بأنهم﴾ بسبب أنهم ﴿لا يصيبهم ظمأ﴾ عطش ﴿ولا نصب﴾ تعب ﴿ولا مخمصة﴾ جوع ﴿في سبيل الله ولا يطؤون موطئاً﴾ مصدر، بمعنى: «وَطْأً» ﴿يغيظ﴾ يُغضب ﴿الكفار ولا ينالون من عدو﴾ لله ﴿نيلاً﴾ قتلاً، أو: أسراً، أو: نهباً ﴿إلا كتب لهم به عمل صالح﴾ ليجازَوْا عليه ﴿إن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ أي: أجرهم، بل يثيبهم.

١٢١ ﴿ولا ينفقون﴾ فيه ﴿نفقة صغيرة﴾ ولو تمرة ﴿ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً﴾ بالسير ﴿إلا كتب لهم﴾ ذلك ﴿ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون﴾ أي: جزاءه.

١٢٢ ولما وُبِّخوا على التخلف، وأرسل النبي ﷺ سريةً، نفروا جميعاً، فنزل: ﴿وما كان المؤمنون لينفروا﴾ إلى الغزو ﴿كافة فلولا﴾ فهلاً ﴿نفر من كل فرقة﴾ قبيلة ﴿منهم طائفة﴾ جماعة ومكث الباقون ﴿ليتفقهوا﴾[2] أي: الماكثون ﴿في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم﴾ من الغزو، بتعليمهم ما تعلموه من الأحكام ﴿لعلهم يحذرون﴾ عقاب الله، بامتثال أمره ونهيه، قال ابن عباس: فهذه مخصوصة بالسرايا، والتي قبلها، بالنهي عن تخلف واحد، فيما إذا خرج النبي ﷺ.

١٢٣ ﴿يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار﴾ أي: الأقرب فالأقرب منهم

(١) قوله تعالى: ﴿وكونوا مع الصادقين﴾، إن الصدق من أخلاق المسلم، والكذب خصلة من خصال النفاق، روى البخاري ومسلم، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إن الصدق يهدي ـ أي: يوصل ـ إلى البرّ، وإن البرّ يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدقُ حتى يكتب عند الله صِدِّيقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذبُ حتى يكتب عند الله كذاباً»، وقوله: «إن الرجل»، أي: الإنسان المسلم، ذكراً كان أو أنثى.

(٢) قوله تعالى: ﴿ليتفقهوا في الدين﴾، «الفِقْهُ» في اللغة: الفهم، و«فَقِه» الرجل بكسر القاف، «فِقْهاً» أي: فَهِمَ، ويقال للعالم بالفقه: «فقيه»، وقد «فَقُه» بضم القاف، أي: صار فقيهاً، روى الشيخان وأحمد، عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «من يُرد الله به خيراً يُفَقِّهْهُ في الدين».

﴿وليجدوا فيكم غلظة﴾ شدة أي: أغلظوا عليهم ﴿واعلموا أن الله مع المتقين﴾ بالعون والنصر. ١٢٤ ﴿وإذا ما أنزلت سورة﴾ من القرآن ﴿فمنهم﴾ أي: المنافقين ﴿من يقول﴾ لأصحابه استهزاء ﴿أيكم زادته هذه إيماناً﴾ تصديقاً؟ قال تعالى: ﴿فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً﴾ لتصديقهم بها ﴿وهم يستبشرون﴾ يفرحون بها. ١٢٥ ﴿وأما الذين في قلوبهم مرض﴾ ضعف اعتقاد ﴿فزادتهم رجساً إلى رجسهم﴾ كفراً إلى كفرهم، لكفرهم بها ﴿وماتوا وهم كافرون﴾. ١٢٦ ﴿أو لا يرون﴾ بالياء، أي: المنافقون، والتاء: أيها المؤمنون ﴿أنهم يفتنون﴾ يُبتلون ﴿في كل عام مرة أو مرتين﴾ بالقحط والأمراض ﴿ثم لا يتوبون﴾ من نفاقهم ﴿ولا هم يذكرون﴾ يتعظون. ١٢٧ ﴿وإذا ما أنزلت سورة﴾ فيها ذكرهم، وقرأها النبي ﷺ ﴿نظر بعضهم إلى بعض﴾ يريدون الهرب، يقولون: ﴿هل يراكم من أحد﴾ إذا قمتم؟، فإن لم يرهم أحد، قاموا [وانصرفوا]، وإلاّ ثبتوا ﴿ثم انصرفوا﴾ على كفرهم ﴿صرف الله قلوبهم﴾ عن الهدى ﴿بأنهم قوم لا يفقهون﴾ الحقَّ، لعدم تدبرهم. ١٢٨ ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾[1] أي: منكم، [هو] محمد ﷺ ﴿عزيز﴾ شديد ﴿عليه ما عنتم﴾ أي: عنتكم، أي: مشقتكم ولقاؤكم المكروه ﴿حريص عليكم﴾ أن تهتدوا ﴿بالمؤمنين رؤوف﴾ شديد الرحمة ﴿رحيم﴾ يريد لهم الخير. ١٢٩ ﴿فإن تولوا﴾ عن الإيمان بك ﴿فقل حسبي﴾ كافيَّ ﴿الله لا إله إلاّ هو عليه توكلت﴾ به وثقت، لا بغيره ﴿وهو رب العرش﴾ الكرسي[2] ﴿العظيم﴾ خصه بالذكر، لأنه أعظم المخلوقات، وروى الحاكم في المستدرك، عن أبيّ بن كعب قال: آخر[3] آية نزلت: «لقد جاءكم رسول» إلى آخر السورة، [وهو قول ضعيف].

وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

(١) قوله تعالى: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ الآية ١٢٨.

قال القرطبي في تفسيره: الخطاب للعرب في قول الجمهور، وهذا على جهة تعديد النعمة عليهم في ذلك، إذ جاء بلسانهم وبما يفهمونه، وشرفوا به غابر الأيام، وقال الزجاج: هي مخاطبة لجميع العالم، والأول أصوب. اهـ.

وفي صحيح مسلم، عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم».

(٢) قوله: «الكرسي»، إن تفسير الجلال السيوطي رحمه الله «العرش» بأنه «الكرسي» ــ ومثله فعل الجلال المحلي رحمه الله ــ هو جري على القول بأنهما شيء واحد، ولكن الصحيح: أن «العرش» غير «الكرسي»، وقد قدمنا بيان ذلك مع الأدلة، في تعليقنا ص ٥٣ فارجع إليه.

(٣) قوله: «آخر آية نزلت»، الصحيح: أن آخر ما نزل آيات الربا من سورة «البقرة»، التي آخرها قوله تعالى: ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾ الآية، ليس قوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ كما هو شائع ــ راجع تعليقنا ص ١٣٥ ــ أما آية الكلالة، فهي آخر ما نزل في المواريث، كما تقدم في تفسيرها ص ١٣٤. وأما أول القرآن نزولاً، فهو قوله تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ الآيات من أول سورة «العلق»، قولاً واحداً.

﴿ سُورَةُ يُونُسَ ﴾

[عليه السَّلام]

(مكية، إلاَّ: «فإن كنت في شك» الآيتين، أو: الثلاث، أو: «ومنهم من يؤمن به» الآية، مائة وتسع، أو: وعشر آيات)

(١٠) سُورَةُ يُونُسَ مَكِّيَّة وَآيَاتُهَا تِسْعٌ وَمِائَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿الر﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تلك﴾ أي: هذه الآيات ﴿آيات الكتاب﴾ القرآن، والإضافة بمعنى: «مِن» ﴿الحكيم﴾ المحكم.

٢ ﴿أكان للناس﴾ أي: أهل مكة، استفهام إنكار، والجار والمجرور حال من قوله: ﴿عجباً﴾ بالنصب، خبر «كان»، و[في قراءة] بالرفع اسمها، والخبر: وهو اسمها على [القراءة] الأولى: ﴿أن أوحينا﴾ أي: إيحاؤنا ﴿إلى رجل منهم﴾ محمد ﷺ ﴿أن﴾ مفسرة ﴿أنذر﴾ خوِّف ﴿الناس﴾ الكافرين بالعذاب ﴿وبشر الذين آمنوا أن﴾ أي: بأن ﴿لهم قدم﴾ سَلَفَ ﴿صدق عند ربهم﴾ أي: أجراً حسناً، بما قدموه من الأعمال ﴿قال الكافرون إن هذا﴾ القرآن، المشتمل على ذلك ﴿لسحر مبين﴾ بيِّن، وفي قراءة: «لساحر»، والمشار إليه النبي [ﷺ].

٣ ﴿إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام﴾ من أيام الدنيا، أي:[1] في قدرها، لأنه لم يكن ثَمَّ شمس ولا قمر، ولو شاء لخلقهن في لمحة، والعدول عنه، لتعليم خلقه التثبُّت. ﴿ثم استوى على العرش﴾ استواءً يليق به[2] ﴿يدبر الأمر﴾ بين الخلائق ﴿ما من﴾ زائدة ﴿شفيع﴾ يشفع لأحد ﴿إلاَّ من بعد إذنه﴾ رد لقولهم: إن الأصنام تشفع لهم ﴿ذلكم﴾ الخالق المدبر ﴿الله ربكم فاعبدوه﴾ وحِّدوه ﴿أفلا تذَّكَّرون﴾ بإدغام التاء في الأصل في الذال، [وفي قراءة أخرى، بتخفيف الذال].

٤ ﴿إليه﴾ تعالى ﴿مرجعكم جميعاً وعدالله حقاً﴾ مصدران منصوبان بفعلهما المقدر، [أي: وعده وعداً، وحقَّه حقاً].

---

(١) قوله: «أي: في قدرها» هذا هو القول الصحيح في تفسير ﴿ستة أيام﴾، وقد خالف السيوطي في مواضع أخرى ما قاله هنا، ومثله فعل الجلال المحلي رحمهما الله تعالى، ولقد بينا ذلك كله في تعليقنا ص ٦٣٠ فارجع إليه.

(٢) قوله: «استواء يليق به»، ارجع إلى تعليقنا حول «الإستواء» ص ٢٠١، وإلى معنى «العرش» ص ٥٣.

﴿إنه﴾ بالكسر استئنافاً، والفتح على تقدير اللام ﴿يبدأ الخلق﴾ أي: بدأه بالإنشاء ﴿ثم يعيده﴾ بالبعث ﴿ليجزي﴾ يثيب ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط﴾ [بالعدل[1] مع الفضل] ﴿والذين كفروا لهم شراب من حميم﴾ ماء بالغ نهاية الحرارة ﴿وعذاب أليم﴾ مؤلم ﴿بما كانوا يكفرون﴾ أي: بسبب كفرهم.

٥ ﴿هو الذي جعل الشمس ضياء﴾ ذات ضياءٍ، أي: نورٍ [فيه حرارة ودفء] ﴿والقمر نوراً وقدره﴾ من حيث سيره ﴿منازل﴾ ثمانية وعشرين منزلاً، في ثمان وعشرين ليلة، من كل شهر، ويستتر ليلتين، إن كان الشهر ثلاثين يوماً، أو: ليلةً، إن كان تسعة وعشرين يوماً ﴿لتعلموا﴾ بذلك ﴿عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك﴾ المذكور ﴿إلا بالحق﴾ لا عبثاً، تعالى عن ذلك ﴿يفصل﴾ بالياء والنون: يبين ﴿الآيات لقوم يعلمون﴾ يتدبرون.

٦ ﴿إن في اختلاف الليل والنهار﴾ بالذهاب والمجيء، والزيادة والنقصان ﴿وما خلق الله في السماوات﴾ من ملائكة، وشمس وقمر ونجوم، وغير ذلك ﴿و﴾ في ﴿الأرض﴾ من حيوان، وجبال، وبحار، وأنهار، وأشجار، وغيرها ﴿لآيات﴾ دلالات على قدرته تعالى ﴿لقوم يتقون﴾ ـه فيؤمنون، خصهم بالذكر، لأنهم المنتفعون بها.

٧ ﴿إن الذين لا يرجون لقاءنا﴾ بالبعث ﴿ورضوا بالحياة الدنيا﴾ بدل الآخرة، بإنكارهم لها ﴿واطمأنوا بها﴾ سكنوا إليها ﴿والذين هم عن آياتنا﴾ دلائل وحدانيتنا ﴿غافلون﴾ تاركون النظر فيها.

٨ ﴿أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون﴾ من الشرك والمعاصي.

٩ ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم﴾ يرشدهم ﴿ربهم بإيمانهم﴾ به، بأن يجعل لهم نوراً، يهتدون به يوم القيامة، [كما قال تعالى في «سورة الحديد»: ﴿يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم﴾] ﴿تجري من تحتهم﴾ [أي: من تحت منازلهم] ﴿الأنهار في جنات النعيم﴾. ١٠ ﴿دعواهم

إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ

(١) قولنا: «بالعدل مع الفضل» أي: يحاسب الخلق جميعاً بالعدل كما قال تعالى: ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾، ﴿ولا يظلم ربك أحداً﴾، والظلم يكون إما بنقص الحسنات أو بالزيادة في السيئات، فلا ظلم يوم القيامة، قال تعالى: ﴿اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب﴾، ثم يعامل المؤمنين بفضله تعالى، ويثيبهم بأحسن مما عملوا، ويتغمدهم برحمته ورضوانه، فعمل الإنسان مهما كان صالحاً وكثيراً، فإنه لا يَعْدِل نِعمَ الله تعالى عليه، لذلك يظل الإنسان مفتقراً ــ في كل حال ــ إلى فضل الله ورحمته، قال رسول الله ﷺ: «قاربوا وسدِّدوا، واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلاَّ أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل»، رواه مسلم.

فيها﴾ طلبهم لما يشتهونه في الجنة، أن يقولوا: ﴿سبحانك اللهم﴾ أي: يا الله، فإذا ما طلبوه بين أيديهم ﴿وتحيتهم﴾ فيما بينهم ﴿فيها سلام وآخر دعواهم أن﴾ مفسّرة ﴿الحمد لله رب العالمين﴾.

١١ ونزل لمّا استعجل المشركون العذاب[1]: ﴿ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم﴾ أي: كاستعجالهم ﴿بالخير لقضي﴾ بالبناء للمفعول وللفاعل ﴿إليهم أجلهم﴾ بالرفع والنصب، بأن يهلكهم، ولكن يمهلهم ﴿فنذر﴾ نترك ﴿الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون﴾ يترددون متحيرين.

١٢ ﴿وإذا مس الإنسان﴾ الكافر ﴿الضر﴾ المرض والفقر ﴿دعانا لجنبه﴾ أي: مضطجعاً ﴿أو قاعداً أو قائماً﴾ أي: في كل حال ﴿فلما كشفنا عنه ضره مرّ﴾ على كفره ﴿كأن﴾ مخففة واسمها محذوف، أي: كأنه ﴿لم يدعنا إلى ضر مسه كذلك﴾ كما زُيّنَ له الدعاء عند الضر، والإعراضُ عند الرخاء ﴿زين للمسرفين﴾ المشركين ﴿ما كانوا يعملون﴾ [أما المؤمن، فإنه يشكر على النعمة، ويصبر على المصيبة، قال رسول الله ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن، إن أمْرَه كلَّه له خير، وليس ذلك لأحد إلاَّ للمؤمن، إن أصابته سَرَّاءُ شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضَرَّاءُ صبر، فكان خيراً له» رواه مسلم].

١٣ ﴿ولقد أهلكنا القرون﴾ الأمم ﴿من قبلكم﴾ يا أهل مكة ﴿لما ظلموا﴾ بالشرك ﴿و﴾ قد ﴿جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ الدلالات على صدقهم ﴿وما كانوا ليؤمنوا﴾ عطف على «ظلموا» ﴿كذلك﴾ كما أهلكنا أولئك ﴿نجزي القوم المجرمين﴾ الكافرين.

١٤ ﴿ثم جعلناكم﴾ يا أهل مكة ﴿خلائف﴾ جمع «خليفة» ﴿في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون﴾ فيها، وهل تعتبرون بهم، فتصدقوا رسلنا؟.

١٥ ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا﴾ القرآن ﴿بينات﴾ ظاهرات، حال ﴿قال الذين لا يرجون لقاءنا﴾ لا يخافون البعث [وما بعده، من الحساب والجزاء] ﴿ائت بقرآن

فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ

---

(١) قوله: «ونزل لما استعجل المشركون العذاب».

قال قتادة السَّدوسي، ومجاهد بن جبر، وسعيد بن جبير، رحمهم الله تعالى في معنى هذه الآية: إنه دعاء الرجل على نفسه وماله وولده، بما يكره أن يُستجاب له، أخرج مسلم، وأبو داود، وابن خزيمة في صحيحه، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على خدمكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعةً، يُسأل فيها عطاءً فيستجيبَ لكم»، أي: فتندموا، وهذا نهي صريح، عن الدعاء بالسوء، على من لا يستحقه، وسيأتي بيان فضل الدعاء بالخير ص ٦٢٦.

غير هذا﴾ ليس فيه عيب آلهتنا ﴿أو بدله﴾ من تلقاء نفسك ﴿قل﴾ لهم ﴿ما يكون﴾ ينبغي ﴿لي أن أبدله من تلقاء﴾ قِبَلِ ﴿نفسي إن﴾ ما ﴿أتبع إلاّ ما يوحى إلي إني أخاف إن عصيت ربي﴾ بتبديله ﴿عذاب يوم عظيم﴾ هو: يوم القيامة.

١٦ ﴿قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم﴾ أعلمكم ﴿به﴾ و «لا» نافية، عطف على «ما» قبله، وفي قراءة: [«ولأدراكم»] بلام، جوابُ «لو»، أي: [لو شاء الله ما تلوتُهُ عليكم، و] لأَعْلَمكم به على لسان غيري ﴿فقد لبثت﴾ مكثت ﴿فيكم عمراً﴾ سنين أربعين ﴿من قبله﴾ لا أحدثكم بشيء ﴿أفلا تعقلون﴾ أنه ليس من قِبَلِي؟.

غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ

١٧ ﴿فمن﴾ أي: لا أحد ﴿أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ بنسبة الشريك إليه ﴿أو كذب بآياته﴾ القرآن ﴿إنه﴾ أي: الشأن ﴿لا يفلح﴾ يسعد ﴿المجرمون﴾ المشركون.

١٨ ﴿ويعبدون من دون الله﴾ أي: غيره ﴿ما لا يضرهم﴾ إن لم يعبدوه ﴿ولا ينفعهم﴾ إن عبدوه، وهو: الأصنام ﴿ويقولون﴾ عنها ﴿هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل﴾ لهم ﴿أتنبئون الله﴾ تخبرونه ﴿بما لا يعلم﴾ [ـه من الشركاء] ﴿في السماوات ولا في الأرض﴾ استفهام إنكار، أي: لو كان له شريك [في ملكه تعالى]، لَعَلِمَه، إذ لا يخفى عليه شيء [في الأرض، ولا في السماء] ﴿سبحانه﴾ تنزيهاً له ﴿وتعالى عما يشركون﴾ ـه معه.

١٩ ﴿وما كان الناس إلاّ أمة واحدة﴾ على دين واحد[1]، وهو الإسلام، من لدن آدم إلى نوح، [وهذا[2] قول ابن عباس رضي الله عنهما]، وقيل: من عهد إبراهيم إلى عمرو بن لُحَيٍّ، [الذي كان أول من سنَّ عادات الجاهلية] ﴿فاختلفوا﴾ بأن ثبت بعض، وكفر بعض ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ بتأخير الجزاء إلى يوم القيامة ﴿لقضي بينهم﴾ أي: الناس في الدنيا ﴿فيما فيه يختلفون﴾ من الدين، بتعذيب الكافرين. ٢٠ ﴿ويقولون﴾ أي: أهل مكة ﴿لولا﴾ هلاّ ﴿أنزل

---

(١) قوله: «على دين واحد وهو الإسلام»، فالإسلام دين الله، ولا يقبل من العباد سواه، وهو دين جميع الأنبياء والمرسلين، أُرسلوا به إلى الناس ليُسْلِموا لله رب العالمين، ارجع إلى تعليقنا حول «الأديان» ص ٢٤٥.

(٢) وهذا هو القول الصحيح، فإن قوم نوح عليه السَّلام كانوا أول من كفر بالرحمن وعبد الأوثان من الأمم، وكان نوح عليه السَّلام أول رسول واجه قوماً كافرين، فعاندوا وأصروا واستكبروا حتى أهلكهم الله بالطوفان.

عليه﴾ على محمد ﷺ ﴿آية من ربه﴾ كما كان للأنبياء، من الناقة [لصالح]، والعصا واليد [لموسى] ﴿فقل﴾ لهم ﴿إنما الغيب﴾ ما غاب عن العباد، أي: أمره ﴿لله﴾ ومنه الآيات، فلا يأتي بها إلاّ هو، وإنما عليَّ التبليغ ﴿فانتظروا﴾ العذاب، إن لم تؤمنوا ﴿إني معكم من المنتظرين﴾[1].

٢١﴿وإذا أذقنا الناس﴾ أي: كفار مكة [وغيرها] ﴿رحمة﴾ مطراً وخصباً ﴿من بعد ضراء﴾ بؤس وجدب ﴿مستهم إذا لهم مكر في آياتنا﴾ بالاستهزاء والتكذيب ﴿قل﴾ لهم ﴿الله أسرع مكراً﴾ مجازاة ﴿إن رسلنا﴾ الحفظة ﴿يكتبون ما تمكرون﴾ بالتاء[2] والياء، [وستحاسبون عليه].

عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ

٢٢﴿هو الذي يسيركم﴾ وفي قراءة: «ينشركم»، [وهي سبعية] ﴿في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك﴾ السفن ﴿وجرين بهم﴾ فيه التفات عن الخطاب [إلى الغيبة] ﴿بريح طيبة﴾ لينة ﴿وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف﴾ شديدة الهبوب، تكسر كل شيء ﴿وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم﴾ أي: أهلكوا ﴿دعوا الله مخلصين له الدين﴾ الدعاء ﴿لئن﴾ لام قسم ﴿أنجيتنا من هذه﴾ الأهوال ﴿لنكونن من الشاكرين﴾ الموحدين.

٢٣﴿فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق﴾ بالشرك ﴿يا أيها الناس إنما بغيكم﴾ ظلمكم ﴿على أنفسكم﴾ لأن إثمه عليها، هو ﴿متاعُ الحياة الدنيا﴾ [برفع «متاع»، خبراً للمبتدأ المقدر، أي:] تُمتعون فيها قليلاً ﴿ثم إلينا مرجعكم﴾ بعد الموت ﴿فننبئكم بما كنتم تعملون﴾ فنجازيكم عليه، وفي قراءة بنصب «متاع»، أي: تتمتعون [متاعَ الحياة الدنيا، وهو متاع زائل لا دوام له، قال رسول الله ﷺ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافراً منها شَرْبَةَ ماء»، رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح].

٢٤﴿إنما مثل﴾ صفة ﴿الحياة الدنيا كماء﴾ مطر

---

(١) قوله تعالى: ﴿إني معكم من المنتظرين﴾، أَمَرَ الله تعالى رسوله محمداً ﷺ بأن يقول ذلك، في مقابلة قولهم له: ﴿شاعر نتربص به ريب المنون﴾، فهم كانوا ينتظرون هلاكه ــ بزعمهم ــ لذلك قال لهم: إني أنتظر عذابكم إن لم تؤمنوا، مثلما تنتظرون أنتم هلاكي، فلننتظر معاً.

(٢) قوله: «بالتاء والياء»، قرأ بالياء ــ التحتانية ــ أبو الحسن رَوْحُ بن عبد المؤمن، عن يعقوب بن إسحاق الحضرمي، والباقون بالتاء.

﴿أنزلناه من السماء فاختلط به﴾ بسببه ﴿نبات الأرض﴾ واشتبك بعضه ببعض ﴿مما يأكل الناس﴾ من البرّ والشعير وغيرهما ﴿والأنعام﴾ من الكلأ ﴿حتى إذا أخذت الأرض زخرفها﴾ بهجتها، من النبات [والعمران] ﴿وازينت﴾ بالزهر [وغيره]، وأصله: «تزينت»، أبدلت التاء زاياً، وأدغمت في الزاي ﴿وظن أهلها أنهم قادرون عليها﴾ متمكنون من تحصيل ثمارها ﴿أتاها أمرنا﴾ قضاؤنا، أو: عذابنا ﴿ليلاً أو نهاراً فجعلناها﴾ أي: زرعها [وعمرانها] ﴿حصيداً﴾ كالمحصود بالمناجل، [أي: خراباً] ﴿كأن﴾ مخففة، أي: كأنها ﴿لم تغن﴾ تكن ﴿بالأمس كذلك نفصل﴾ نبين ﴿الآيات لقوم يتفكرون﴾. ٢٥ ﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾ أي: السلامة، وهي: الجنة، بالدعاء إلى الإيمان [المؤدي إليها] ﴿ويهدي من يشاء﴾ هدايته ﴿إلى صراط مستقيم﴾ دين الإسلام.

٢٦ ﴿للذين أحسنوا﴾ بالإيمان ﴿الحسنى﴾ الجنة ﴿وزيادة﴾ هي النظر إليه تعالى، كما في حديث مسلم[1] ﴿ولا يرهق﴾ يغشى ﴿وجوههم قتر﴾ سواد ﴿ولا ذلة﴾ كآبة ﴿أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾. ٢٧ ﴿والذين﴾ عطف على «للذين أحسنوا»، أي: وللذين ﴿كسبوا السيئات﴾ عملوا الشرك ﴿جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من﴾ زائدة ﴿عاصم﴾ مانع ﴿كأنما أغشيت﴾ ألبست ﴿وجوههم قطعاً﴾ بفتح الطاء، جمع «قطعة»، وإسكانها: أي: جزءاً ﴿من الليل مظلماً أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾. ٢٨ ﴿و﴾ اذكر ﴿يوم نحشرهم﴾ أي: الخلق ﴿جميعاً﴾

الجزء الحادي عشر

أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ * لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا

حزب ٢٢

(١) قوله: «كما في حديث مسلم». أي: وغيره، كأحمد والترمذي وابن ماجه والبيهقي، عن صهيب بن سنان رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ وقال ﷺ: «إذا ادخلَ أهلُ الجنةِ الجنّةَ، وأهلُ النارِ النارَ، نادى منادٍ: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكُمُوه، فيقولون: وما هو؟ ألم تُثَقِّل موازيننا، وتُبَيِّض وجوهَنا، وتدخِلْنا الجنة، وتُزَحزِحْنا عن النار؟... قال: فَيَكْشِف لهم الحجابَ فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم الله شيئاً، أحبَّ إليهم من النظر إليه ولا أقرَّ لأعينهم».

وأخرج البخاري في صحيحه، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن أناساً في زمن النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربَّنا يوم القيامة؟ قال النبي ﷺ: «نعم، هل تُضارُّون في رؤية الشمس بالظهيرة، ضوءٌ ليس فيها سحاب؟» قالوا: لا، قال: «وهل تضارُّون في رؤية القمر ليلة البدر، ضوءٌ ليس فيها سحاب؟» قالوا: لا، قال النبي ﷺ: «ما تضارُّون في رؤية الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة، إلَّا كما تضارُّون في رؤية أحدهما».

فرؤية الله تعالى في الجنة، رؤيةٌ حقيقية تليق بجلاله تعالى، أما رؤية الله تعالى في الدنيا، فلم تتم لأحد من الناس، فلم يره موسى عليه الصّلاة والسّلام، وكذلك لم يره محمد ﷺ بعيني رأسه ليلة المعراج، خلافاً لما رجحه النووي في شرح مسلم، وأما ما ورد في بعض الروايات، عن ابن عباس وأنس بن مالك رضي الله عنهما، من أنه ﷺ قد رأى ربه تلك الليلة، فهو محمول على رؤية الفؤاد، يؤيد هذا =

ثم نقول للذين أشركوا مكانكم﴾ نُصِبَ بـ «الزموا» مقدراً ﴿أنتم﴾ تأكيد للضمير، المستتر في الفعل المقدر [المذكور]، ليعطف عليه: ﴿وشركاؤكم﴾ أي: الأصنام ﴿فزيلنا﴾ مَيَّزنا ﴿بينهم﴾ وبين المؤمنين، كما في آية: «وامتازوا اليوم أيها المجرمون» ﴿وقال﴾ لهم ﴿شركاؤهم﴾ [أي: الآلهة التي عبدوها من دون الله] ﴿ما كنتم إيانا تعبدون﴾ «ما» نافية، وقدم المفعول للفاصلة، [أي: لرؤوس الآي]. ٢٩﴿فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم إن﴾ مخففة، أي: إنا ﴿كنا عن عبادتكم لغافلين﴾ [أي: لا علم لنا بذلك]. ٣٠﴿هنالك﴾ أي: ذلك اليوم ﴿تبلو﴾ من البلوى، وفي قراءة: [«تتلو»] بتاءين، من التلاوة، [وهي قراءة سبعية] ﴿كل نفس ما أسلفت﴾ قدمت من العمل ﴿وردوا إلى الله مولاهم الحق﴾ الثابت الدائم ﴿وضل﴾ غاب ﴿عنهم ما كانوا يفترون﴾ عليه [تعالى]، من الشركاء. ٣١﴿قل﴾ لهم ﴿من يرزقكم من السماء﴾ بالمطر ﴿والأرض﴾ بالنبات ﴿أمن يملك السمع﴾ بمعنى: الأسماع، أي: خلقها ﴿والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج[1] الميت من الحي ومن يدبر الأمر﴾ بين الخلائق؟ ﴿فسيقولون﴾ هو ﴿الله فقل﴾ لهم ﴿أفلا تتقون﴾ ـه فتؤمنون؟. ٣٢﴿فذلكم﴾ الفعَّال لهذه الأشياء ﴿الله ربكم الحق﴾ الثابت، [الذي لا شك فيه] ﴿فماذا بعد الحق إلا الضلال؟﴾ استفهام تقرير، أي: ليس بعده غيره، فمن أخطأ الحق ـ وهو عبادة الله ـ وقع في الضلال ﴿فأنى﴾ كيف ﴿تصرفون﴾ عن الإيمان مع قيام البرهان؟.

٣٣﴿كذلك﴾ كما صُرِفَ هؤلاء عن الإيمان ﴿حقت كلمة ربك على الذين فسقوا﴾ كفروا، وهي: «لأملأن جهنم»، الآية [«١١٩» من سورة «هود»]، أو هي: ﴿أنهم لا يؤمنون﴾.

٣٤﴿قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده

سُورَةُ يُونُسَ ١٠

ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ

= حديث مسلم، عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: سألتُ رسول الله ﷺ: هل رأيتَ ربك؟ قال: «نور أنّى أراه؟»، أي: حجابه نور، فكيف أراه؟، أي: منعني النور عن رؤيته، وقد جاء لفظ: «حجابه النور»، في حديث لمسلم، عن أبي موسى الأشعري، عن النبي ﷺ، وأخرج مسلم عن أبي ذر قال: سألتُ رسول الله ﷺ: هل رأيتَ ربك؟ فقال: «رأيت نوراً»، أي: لم أر غير النور، وقال أبو ذر: رآه بقلبه، ولم يره ببصره، وعلى هذا يُحمل قوله تعالى في سورة «النجم»: ﴿ولقد رآه نَزْلةً أخرى﴾ إن أعيد الضمير إلى الله تعالى، وهذا وجه غير وجيه في تفسير هذه الآية، وذلك لأن الضمير في: «رآه»، يعود إلى جبريل عليه السّلام، لما جاء في حديث مسلم أيضاً، عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً في قوله تعالى: ﴿ولقد رآه بالأفق المبين﴾ وقوله: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾: قالت: أنا أول من سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: «إنما هو جبريل عليه السّلام، لم أره على صورته التي خُلق عليها، غير هاتين المرتين».

وهذا ما اعتمده المحليُّ في سورة «النجم» كما سيأتي ص «٧٠١»، أما الاستدلال بقول ابن عباس وأنس، على أنه ﷺ رأى ربه ببصره ليلة المعراج، فهو معارض بما ذكرناه، خاصة وأن حديث عائشة مرفوع، والمرفوع مقدم على الموقوف.

(١) قوله تعالى: ﴿ويخرج الميت من الحي﴾، ارجع إلى معنى إخراج الحي من الميت والعكس، في تعليقنا ص ٦٧.

قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون﴾ [أي: كيف] تصرفون عن عبادته مع قيام الدليل؟.

٣٥﴿قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق﴾ بنصب الحجج، وخلق[1] الاهتداء؟ ﴿قل الله يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق﴾ وهو: الله ﴿أحق أن يُتَّبَعَ أمَّن لا يَهِدِّي﴾ يهتدي: [بنفسه] ﴿إلاَّ أن يُهْدى﴾ أحق أن يُتَّبع؟ [وهذا] استفهامُ تقريرٍ وتوبيخٍ، أي: الأول أحق [أن يُتَّبع، وهو الله تعالى لأنه الهادي إلى الحقِّ] ﴿فما لكم كيف تحكمون﴾ هذا الحكمَ الفاسد، من اتباع ما لا يحقُّ اتباعه؟.

٣٦﴿وما يتبع أكثرهم﴾ في عبادة الأصنام ﴿إلاَّ ظناً﴾ حيث قلدوا فيه آباءهم ﴿إن الظن لا يغني من الحق شيئاً﴾ فيما المطلوب منه العلم ﴿إن الله عليم بما يفعلون﴾ فيجازيهم عليه.

٣٧﴿وما كان هذا القرآن أن يفترى﴾ أي: [ما كان] افتراء ﴿من دون الله﴾ أي: غيره [أي: لا يقدر أحد على أن يأتي به، من عند غير الله تعالى] ﴿ولكن﴾ أُنزلَ ﴿تصديقَ الذي بين يديه﴾ من الكتب ﴿وتفصيل الكتاب﴾ تبيين ما كتبه الله، من الأحكام وغيرها ﴿لا ريب﴾ شك ﴿فيه من رب العالمين﴾ متعلق بـ «تصديق»، أو: بـ «أُنزل» المحذوف، وقرىء [شذوذاً] برفع: «تصديق» و «تفصيل»، بتقدير: «هو».

٣٨﴿أم﴾ بل أ ﴿يقولون افتراه﴾ اختلقه محمد ﴿قل فأتوا بسورة مثله﴾ في الفصاحة والبلاغة، على وجه الافتراء، فإنكم عربيون فصحاء مثلي ﴿وادعوا﴾ للإعانة عليه ﴿من استطعتم من دون الله﴾ أي: غيره ﴿إن كنتم صادقين﴾ في أنه افتراء، فلم يقدروا على ذلك.

٣٩ قال تعالى: ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه﴾ أي: القرآن، ولم يتدبروه ﴿ولما﴾ لم ﴿يأتهم تأويله﴾ عاقبة ما فيه من الوعيد ﴿كذلك﴾ [أي: مثل ذلك] التكذيب ﴿كذب الذين من قبلهم﴾ رُسُلَهم ﴿فانظر كيف

قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ

(١) قوله: «وخلق الاهتداء»، أشار الجلال السيوطي رحمه الله بقوله هذا، إلى أن المقصود من الهداية، إذا كانت مسندة إلى الله تعالى، هو: خَلقُها، فالله يهدي من يشاء، أي: يخلق في قلبه الهداية فيؤمن، أما إذا كانت الهداية مسندة إلى المخلوق، كقوله تعالى خطاباً للنبي ﷺ: ﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾ فيكون المعنى: إنك تدل الناس وتوجههم إلى الطريق المستقيم، إلى الإيمان بالله تعالى، لذلك خاطبه الله تعالى بقوله: ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾ عندما أظهرحرصاً شديداً على إيمان عمه أبي طالب، أي: خفِّف على نفسك يا محمد، فإنك لا تملك خلق الهداية في قلب مَن تُحِبُّ، لأن الهدى هدى الله تعالى.

كان عاقبة الظالمين﴾ بتكذيب الرسل، أي: آخرُ أمرهم من الهلاك، فكذلك نُهلكُ هؤلاء.
٤٠﴿ومنهم﴾ أي: أهل مكة ﴿من يؤمن به﴾ لِعِلْم الله ذلك منه ﴿ومنهم من لا يؤمن به﴾ أبداً ﴿وربك أعلم بالمفسدين﴾ تهديد لهم.
٤١﴿وإن كذبوك فقل﴾ لهم ﴿لي عملي ولكم عملكم﴾ أي: لكلٍّ جزاء عمله ﴿أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون﴾ وهذا منسوخ بآية السيف[1]. ٤٢﴿ومنهم من يستمعون إليك﴾ إذا قرأت القرآن ﴿أفأنت تسمع الصم﴾ شبَّههم بهم، في عدم الانتفاع بما يتلى عليهم ﴿ولو كانوا﴾ مع الصمم ﴿لا يعقلون﴾ يتدبرون؟.

كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ

٤٣﴿ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون؟﴾ شبَّههم بهم، في عدم الاهتداء، بل أعظم [من العُمي]، «فإنها لا تعمى الأبصارُ ولكن تعمى القلوبُ التي في الصدور».
٤٤﴿إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون﴾ [بالكفر والعصيان].
٤٥﴿ويوم نحشرهم﴾ [بالنون والياء] ﴿كأن﴾ [مخففة من الثقيلة]، أي: كأنهم ﴿لم يلبثوا﴾ في الدنيا، أي: القبور ﴿إلاَّ ساعة من النهار﴾ لهول ما رأوا، وجملة التشبيه، حال من الضمير [في: «نحشرهم»] ﴿يتعارفون بينهم﴾ يعرف بعضهم بعضاً، إذا بُعثوا، ثم ينقطع التعارف لشدة الأهوال، والجملة حال مقدَّرة، [أي: يوم نحشرهم متعارفين بينهم]، أو: متعلَّقُ الظرف: [«يوم»، وتقدير الكلام: «يتعارفون بينهم يوم نحشرهم»، ثم أخبر الله تعالى، عن سوء حالهم يوم القيامة فقال:] ﴿قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله﴾ بالبعث، [فدخلوا النار] ﴿وما كانوا مهتدين﴾.
٤٦﴿وإما﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية، في «ما» المزيدة ﴿نرينك بعض الذين نعدهم﴾ به من العذاب، في حياتك، وجواب الشرط محذوف، أي: فذاك ﴿أو نتوفينك﴾ قبل تعذيبهم ﴿فإلينا مرجعهم ثم الله شهيد﴾ مُطَّلع ﴿على ما يفعلون﴾ من تكذيبهم وكفرهم، فيعذبهم أشد العذاب. ٤٧﴿ولكل

---

(١) قوله: «بآية السيف». هي الآية الخامسة من سورة «التوبة»، قوله تعالى: ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم﴾.
وقد نسخت آية السيف هذه، آيات كثيرة، قال الحافظ ابن خزيمة: إنها مائة وثلاث عشرة آية، وقال غيره: هي أكثر من ذلك؛ والآيات التي نسختها آية السيف، هي تلك التي فيها الأمر بالصبر على الكافرين، والحث على الصفح عنهم، وعدم قتالهم.

﴿أمة﴾ من الأمم ﴿رسول فإذا جاء رسولهم﴾ إليهم، فكذبوه ﴿قضي بينهم بالقسط﴾ بالعدل، فيعذبون، وينجّى الرسول ومَنْ صدَّقه ﴿وهم لا يظلمون﴾ بتعذيبهم بغير جرم، فكذلك نفعل بهؤلاء.

٤٨﴿ويقولون﴾ [استهزاءً وسخرية بالمؤمنين] ﴿متى هذا الوعد﴾ بالعذاب ﴿إن كنتم صادقين﴾ فيه؟.

٤٩﴿قل لا أملك لنفسي ضراً﴾ أدفعه ﴿ولا نفعاً﴾ أَجْلِبُهُ ﴿إلاَّ ما شاء الله﴾ أن يقدِّرني عليه، فكيف أملك لكم حلول العذاب؟ ﴿لكل أمة أجل﴾ مدة معلومة لهلاكهم ﴿إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون﴾ يتأخرون عنه ﴿ساعة ولا يستقدمون﴾ يتقدمون عليه.

أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَـٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟

٥٠﴿قل أرأيتم﴾ أخبروني ﴿إن أتاكم عذابه﴾ أي: الله ﴿بياتاً﴾ ليلاً ﴿أو نهاراً ماذا﴾ أيُّ شيء ﴿يستعجل منه﴾ أي: العذاب ﴿المجرمون﴾ المشركون؟، فيه وضع الظاهر: [«المجرمون»]، موضع المضمر: [«يستعجلون منه»]، وجملة الاستفهام، [أي: «ماذا يستعجل إلخ»؟ هي] جواب الشرط: [«إن أتاكم»] كقولك: إذا أتيتك، ماذا تعطيني؟، والمراد به التهويل، أي: ما أعظم ما استعجلوه.

٥١﴿أثمَّ إذا ما وقع﴾ حلَّ بكم ﴿آمنتم به﴾ أي: الله، أو: العذاب عند نزوله، والهمزة لإنكار التأخير، فلا يُقبل منكم[1]، ويقال لكم: ﴿آلآن﴾ تؤمنون ﴿وقد كنتم به﴾ [أي: بالعذاب] ﴿تستعجلون﴾ استهزاء؟.

٥٢﴿ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد﴾ أي: الذي تخلدون فيه ﴿هل﴾ ما ﴿تجزون إلاَّ﴾ جزاء ﴿بما كنتم تكسبون﴾.

٥٣﴿ويستنبئونك﴾ يستخبرونك ﴿أحق هو﴾ أي: ما وعدتنا به من العذاب والبعث؟، [وليس سؤالهم هذا، للعلم والاعتبار، بل للاستهزاء والاستغراب] ﴿قل إي﴾ نعم ﴿وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين﴾ بفائتين العذاب.

٥٤﴿ولو أن لكل نفس ظلمت﴾ كفرت ﴿ما في الأرض﴾ جميعاً من الأموال ﴿لافتدت به﴾ من العذاب يوم القيامة ﴿وأسرّوا الندامة﴾ على ترك الإيمان ﴿لما رأوا

---

(١) قوله: «فلا يقبل منكم»، لذلك لم يقبل إيمان فرعون عندما أدركه الغرق، وكذلك لا تُقبل التوبة إذا بلغت الروح الحُلْقُوم، قال ﷺ: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر» رواه الترمذي وحسَّنه، وقال تعالى: ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدَهم الموتُ قال إني تبت الآن﴾، وكذلك لا تُقبل التوبة عندما تطلع الشمسُ من مغربها قبل يوم القيامة، قال رسول الله ﷺ: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه» رواه مسلم. ارجع إلى تعليقنا حول «التوبة» ص ٧٥٢.

العذاب﴾ أخفاها ـ [أي: الندامة] ـ رؤساؤهم، عن الضعفاء الذين أضلوهم، مخافة التعيير ﴿وقضي بينهم﴾ بين الخلائق ﴿بالقسط﴾ بالعدل ﴿وهم لا يظلمون﴾ شيئاً.
٥٥﴿ألا إن لله ما في السموات والأرض ألا إن وعد الله﴾ بالبعث والجزاء ﴿حق﴾ ثابت ﴿ولكن أكثرهم﴾ أي: الناس ﴿لا يعلمون﴾ ذلك.
٥٦﴿هو يحيي ويميت وإليه ترجعون﴾ في الآخرة، فيجازيكم بأعمالكم.
٥٧﴿يا أيها الناس﴾ أي: أهل مكة [وغيرها] ﴿قد جاءتكم موعظة من ربكم﴾ كتاب، فيه ما لكم وما عليكم، وهو: القرآن ﴿وشفاء﴾ دواء ﴿لما في الصدور﴾ من العقائد الفاسدة والشكوك ﴿وهدى﴾ من الضلال ﴿ورحمة للمؤمنين﴾ به.
٥٨﴿قل بفضل الله﴾ الإسلام ﴿وبرحمته﴾ القرآن ﴿فبذلك﴾ الفضل والرحمة ﴿فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾ من الدنيا، بالياء والتاء.
٥٩﴿قل أرأيتم﴾ أخبروني ﴿ما أنزل الله﴾ خلق ﴿لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً﴾ كالبحيرة، والسائبة[1]، والميتة، [عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: هم أهل الشرك، كانوا يُحلُّون من الحرث والأنعام ما شاؤوا، ويحرِّمون ما شاؤوا] ﴿قل آلله أذن لكم﴾ في ذلك، بالتحليل والتحريم؟ لا ﴿أم﴾ بل ﴿على الله تفترون﴾ تكذبون، بنسبة ذلك إليه.
٦٠﴿وما ظن الذين يفترون على الله الكذب﴾ أي: أيُّ شيء ظنهم به ﴿يوم القيامة﴾؟ أيحسبون أنه لا يعاقبهم؟ لا ﴿إن الله لذو فضل على الناس﴾ بإمهالهم والإنعام عليهم ﴿ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾.
٦١﴿وما تكون﴾ يا محمد ﴿في شأن﴾ أمر ﴿وما تتلو منه﴾ أي: من الشأن، أو: الله ﴿من قرآن﴾ أنزله عليك ﴿ولا تعملون﴾ خاطبه وأمته ﴿من عمل إلا كنا

ٱلْعَذَابَ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا

(١) قوله: «كالبحيرة والسائبة»، سبق شرحها في تفسير قوله تعالى: ﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة﴾ الآية (١٠٣) من سورة «المائدة» ص١٥٧ فيما رواه البخاري، عن سعيد بن المسيَّب رحمه الله قال: «البحيرة» بفتح الباء: هي الناقة التي يُمنع لبنها للطواغيت، أي: لأصنامهم، فلا يحلبها أحد من الناس، و«السائبة»: هي الإبل التي كانوا يسيِّبونها لآلهتهم، فلا يُحمل عليها شيء، وهذا كان من عادات الجاهلية الفاسدة، فلما جاء الإسلام منع ذلك كله، وأمر الناس بالإيمان، وبالرجوع إلى حكم الشرع، في كل أمر وشأن.

عليكم شهوداً﴾ رقباء ﴿إذ تفيضون﴾ تأخذون ﴿فيه﴾ أي: العمل ﴿وما يعزب﴾ [بضم الزاي وكسرها]، يغيب ﴿عن ربك من مثقال﴾ وزن ﴿ذرة﴾ أصغر نملة ﴿في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر﴾ [بنصب «أصغر» و «أكبر»، ورفعهما] ﴿إلاّ في كتاب مبين﴾ بيّن، هو: اللوح المحفوظ.

٦٢ ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ في الآخرة.

٦٣ هم: ﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ الله، بامتثال أمره ونهيه.

٦٤ ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا﴾ فُسّرت في حديثٍ صححه الحاكم، بالرؤيا[1] الصالحة، يراها الرجل، أو تُرى له ﴿وفي الآخرة﴾ الجنة والثواب ﴿لا تبديل لكلمات الله﴾ لا خُلف لمواعيده ﴿ذلك﴾ المذكور ﴿هو الفوز العظيم﴾.

٦٥ ﴿ولا يحزنك قولهم﴾ لك: «لستَ مرسلاً» وغَيْرَهُ ﴿إن﴾ استئناف ﴿العزة﴾ القوة ﴿لله جميعاً هو السميع﴾ للقول ﴿العليم﴾ بالفعل، فيجازيهم، وينصرك.

٦٦ ﴿ألا إن لله من في السماوات ومن في الأرض﴾ عبيداً وملكاً وخلقاً ﴿وما يتبع الذين يدعون﴾ يعبدون ﴿من دون الله﴾ أي: غيره أصناماً ﴿شركاء﴾ له على الحقيقة، تعالى عن ذلك ﴿إن﴾ ما ﴿يتبعون﴾ في ذلك ﴿إلاّ الظن﴾ أي: ظنهم أنها آلهة تشفع لهم ﴿وإن﴾ ما ﴿هم إلاّ يخرصون﴾ يكذبون في ذلك.

٦٧ ﴿هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً﴾ إسناد الإبصار إليه مجاز، لأنه يُبْصَرُ فيه ﴿إن في ذلك لآيات﴾ دلالات على وحدانيته تعالى ﴿لقوم

عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ

---

(١) قوله: «بالرؤيا الصالحة...».

ما يراه الإنسان أثناء نومه: إن كان شيئاً يَسُرُّه، فتلك الرؤيا الصالحة، وهي بشارة من الله تعالى، قال ﷺ: «لم يبق من النبوة إلاّ المبشّرات» قالوا: وما المبشرات؟ قال: «الرؤيا الصالحة» رواه البخاري، وقال ﷺ: «إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها، فإنما هي من الله تعالى، فليحمد الله عليها وليحدّث بها» رواه الشيخان، وفي رواية: «فلا يحدث بها إلاّ من يحب»، وإن كانت لا تسره، فذلك حُلْمٌ من الشيطان، فقد أخرج البخاري، ومسلم واللفظ له، عن أبي قتادة ــ اسمه الحارث على المشهور ــ ابن رِبْعِيٍّ السَّلَمِيُّ الأنصاري رضي الله عنه قال: كنت أرى الرؤيا فتُمرضني، حتى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الرؤيا من الله، والحُلْمُ من الشيطان، فإذا رأى أحدكم شيئاً يكرهه، فلْينفُثْ عن يساره ثلاث مرات، وليتعوّذ من شرها، فإنها لا تضرُّه»، وفي رواية أخرى له: «وليتحوّل عن جنبه الذي كان عليه».

فلا ينبغي للمسلم أن يقلق لحُلْمٍ يراه في منامه، فقد بيّن لنا الرسول ﷺ أن لا ضرر منه، بل إن ذلك من وسوسة الشيطان، روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله رأيت في المنام كأن رأسي قُطع، قال: فضحك النبي ﷺ وقال: «إذا لعب الشيطان بأحدكم في منامه، فلا يحدّث به الناس». أي: ولا يلقي له بالاً، فإنه لاضرر منه بإذن الله كما تقدم، لأنه من الشيطان. =

يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَٰذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ * وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ

نصف الحزب

يسمعون﴾ سماع تدبر واتعاظ. ٦٨ ﴿قالوا﴾ أي: اليهود والنصارى، ومَنْ زعم أن الملائكة بنات الله ﴿اتخذ الله ولداً﴾ قال تعالى لهم: ﴿سبحانه﴾ تنزيهاً له عن الولد ﴿هو الغني﴾ عن كل أحد، وإنما يَطلب الولَد، مَنْ يحتاج إليه ﴿له ما في السماوات وما في الأرض﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿إن﴾ ما ﴿عندكم من سلطان﴾ حجة ﴿بهذا﴾ الذي تقولونه ﴿أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ استفهام توبيخ. ٦٩ ﴿قل إن الذين يفترون على الله الكذب﴾ بنسبة الولد إليه ﴿لا يفلحون﴾ لا يسعدون. ٧٠ لهم ﴿متاع﴾ قليل ﴿في الدنيا﴾ يتمتعون به مدة حياتهم، [قال ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»، رواه مسلم] ﴿ثم إلينا مرجعهم﴾ بالموت ﴿ثم نذيقهم العذاب الشديد﴾ بعد الموت ﴿بما كانوا يكفرون﴾. ٧١ ﴿واتل﴾ يا محمد ﴿عليهم﴾ أي: كفار مكة ﴿نبأ﴾ خبر ﴿نوح﴾ ويبدل منه ﴿إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر﴾ شق ﴿عليكم مقامي﴾ لُبثي فيكم ﴿وتذكيري﴾ وَعْظي إياكم ﴿بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم﴾ [أي:] اعْزِمُوا على أمر تفعلونه بي ﴿وشركاءكم﴾ الواو بمعنى: «مع» ﴿ثم لا يكن أمركم عليهم غمة﴾ مستوراً، بل أظهروه وجاهروني به ﴿ثم اقضوا إلي﴾ امضوا فيما أردتموه ﴿ولا تنظرون﴾ تُمهلون، فإني لست مبالياً بكم. ٧٢ ﴿فإن توليتم﴾ عن تذكيري ﴿فما سألتكم من أجر﴾ ثوابٍ عليه، فتَوَلَّوا [بسببه] ﴿إن﴾ ما ﴿أجري﴾ ثوابي ﴿إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين﴾.

٧٣ ﴿فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك﴾ السفينة

= وكل ما يراه المسلم في منامه، قد يكون من تمثيل الشيطان إلاّ رؤية النبي محمد ﷺ، فهي حق لا شك فيه، فقد روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل بي»، وروى الشيخان عن أبي هريرة أيضاً، عن النبي ﷺ قال: «من رآني في المنام، فسيراني في اليقظة» وهذه بشارة لمن رآه ﷺ، بحُسن الخاتمة والوفاة على الإيمان.

أما تعبير الرؤيا: فقد روى الشيخان وغيرهما، عن سَمُرَةَ بن جُنْدُب رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا صلّى الصبح، أقبل عليهم بوجهه فقال: هل رأى أحد منكم البارحة رؤيا؟، فكان ﷺ يقصّ عليهم رؤياه، ويَعْبُرُ لهم ما يرون وما يرى، فمما رآه النبي ﷺ وعَبَرَهُ: أنه رأى الناس يُعرضون عليه وعليهمْ قُمُصٌ، منها ما يبلغ الثُّديّ، ومنها ما يبلغ دون ذلك، ومرّ عليه عمر بن الخطاب وعليه قميص يَجُرُّهُ، قالوا: ما أَوَّلتَهُ يا رسول الله؟ قال: «الدِّين»، وأَوَّلَ «اللَّبَنَ» بالعلم، رواهما الشيخان والترمذي، ومما أوَّلَهُ لأصحابه: ما رواه الشيخان، أن أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها، قَصَّتْ عليه رؤيا لأخيها عبد الله بن عمر فقال ﷺ: «إن أخاك رجل صالح»، وفي هذا الباب أحاديث كثيرة في الصحيحين والسُّنن.

وأما ما يتداوله الناس في تأويل الأحلام من كتب، فليس له في معظمه أصل يعتمد عليه، ولهذا فهو مما يزيد في قلق الإنسان واضطرابه، فلا ينبغي التعويل على جميعه، وكذلك لا يصح أن يُبْنَى على رؤيا أحد من الناس حكم شرعي، لا في حق الرائي ولا غيره، إلاّ رؤيا الأنبياء، فإنها وحي وأمر، قال تعالى عن إسماعيل عليه السّلام: ﴿قال يا أبت افعل ما تؤمر﴾ يريد به قول أبيه لـه: ﴿إني أرى في المنام أني أذبحك﴾. وفي صحاح السنة: أن أول ما بُدىء به رسول الله ﷺ من الوحي، الرؤيا الصالحة، فكان لا يرى رؤيا إلاّ جاءت مثل فَلَق الصبح.

﴿وجعلناهم﴾ أي: من معه ﴿خلائف﴾ في الأرض، [أي: مستخلفين فيها] ﴿وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا﴾ بالطوفان ﴿فانظر كيف كان عاقبة المنذرين﴾ من إهلاكهم، فكذلك نفعل بمن كذبك.

٧٤﴿ثم بعثنا من بعده﴾ أي: نوح ﴿رسلاً إلى قومهم﴾ كإبراهيم وهود وصالح ﴿فجاؤوهم بالبينات﴾ المعجزات ﴿فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل﴾ أي: قبل بعث الرسل إليهم ﴿كذلك نطبع﴾ نختم ﴿على قلوب المعتدين﴾ فلا تَقْبَلُ الإيمانَ، كما طبعنا على قلوب أولئك.

٧٥﴿ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون إلى فرعون وملائه﴾ قومه ﴿بآياتنا﴾ التسع[1] ﴿فاستكبروا﴾ عن الإيمان بها ﴿وكانوا قوماً مجرمين﴾.

وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ

٧٦﴿فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إن هذا لسحر مبين﴾ بَيِّنٌ ظاهر.

٧٧﴿قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم﴾ إنه لسحر ﴿أسحر هذا﴾؟ وقد أفلح من أتى به، وأبطل سحر السحرة ﴿ولا يفلح الساحرون﴾ والاستفهام في الموضعين للإنكار.

٧٨﴿قالوا أجئتنا لتلفتنا﴾ لتردّنا ﴿عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء﴾ الملك ﴿في الأرض﴾ أرض مصر ﴿وما نحن لكما بمؤمنين﴾ مصدقين.

٧٩﴿وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم﴾ فائق في علم السحر.

٨٠﴿فلما جاء السحرة قال لهم موسى﴾ بعد ما قالوا له: «إما أن تلقي وإما أن نكون نحن المُلْقين»:

---

(١) قوله: «التسع»، تقدم في سورة الأعراف منها ثمانية ص ٢١٢، والتاسعة ستأتي في الآية ٨٨ ص ٢٨٠، وهذه الآيات التسع، كانت لفرعون وقومه، وهم: «القِبطُ»، ليؤمنوا به ويصدقوه، وهي: «العصا»: التي صارت ثعباناً، و «اليد»: أي: يد موسى التي خرجت من جيبه بيضاء للناظرين، و «الطوفان»: وهو ماء دخل بيوتهم ووصل إلى حلوقهم، و «الجراد»: فأكل زرعهم وثمارهم. و «القُمَّل»: هو «السوس» أو «الأرضة»، أو: نوع من القراد، وقيل: هو القمل المعروف، و «الضفادع»: فملأت بيوتهم وطعامهم، و «الدم»: فصارت مياههم كلها دماً أحمر، حتى أجهدهم العطش، و «طمس الأموال»: فصارت دنانيرهم ومعادنهم حجارة منقوشة. و «السِّنون ونقص الثمرات»: فاحتبس عنهم المطر، وهلكت ثمارهم بالآفات، فطلبوا من موسى أن يدعو لهم ليكشف الله ما بهم فيؤمنوا، فدعا لهم، فكشف الله عنهم العذاب، فلم يؤمنوا.

أما الآيات التي أوتيها موسى عليه السّلام، لحمل قومه بني إسرائيل على الاستقامة، أو لحمل المنحرفين منهم على الرجوع إلى الحق فهي: «فلق البحر» حيث نجاهم الله تعالى وأغرق فرعون وجنوده، و «إنزال المنِّ والسلوى»، «وتظليل الغمام» في التيه، ليقيهم حر الشمس، و «تفجير الماء من الحجر» بعد أن ضربه موسى، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، و «نَتْقُ الجبل» بأن رفعه الله فوق =

﴿ألقوا ما أنتم ملقون﴾. ٨١﴿فلما ألقوا﴾ حبالهم وعصيهم ﴿قال موسى ما﴾ استفهامية مبتدأ، خبره: ﴿جئتم به ءآلسحر﴾ [بهمزة الاستفهام قبل همزة «أل»، أي: أهو السحر؟]، بدل [من «ما» الاستفهامية، والمعنى: «ما هذا الذي جئتم به؟ أهو السحر»؟] وفي قراءة بهمزة واحدة، [هي همزة الوصل، فهو] «[إخبار]»، فـ «ما» [على هذه القراءة، اسم] موصول مبتدأ، [خبره: «السحر»] ﴿إن الله سيبطله﴾ أي: سيمحقه ﴿إن الله لا يصلح عمل المفسدين﴾.

٨٢﴿ويحق﴾ يثبت ويظهر ﴿الله الحق بكلماته﴾ بمواعيده ﴿ولو كره المجرمون﴾. ٨٣﴿فما آمن لموسى إلاَّ ذرية﴾ طائفة ﴿من﴾ أولاد ﴿قومه﴾ أي: [قوم موسى، وقيل: قوم] فرعون ﴿على خوف من فرعون وملائهم أن يفتنهم﴾

أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ

يصرفهم عن دينه، بتعذيبهم ﴿وإن فرعون لعال﴾ متكبر ﴿في الأرض﴾ أرض مصر ﴿وإنه لمن المسرفين﴾ المتجاوزين الحد، بادعاء الربوبية. ٨٤﴿وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين﴾. ٨٥﴿فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين﴾ أي: لا تُظهرهم علينا، فيظنوا أنهم على الحق، فيفتتنوا بنا. ٨٦﴿ونجنا برحمتك من القوم الكافرين﴾. ٨٧﴿وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوآ﴾ اتخذا ﴿لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة﴾ مصلًّى تصلون فيه، لتأمنوا من الخوف[1]، وكان فرعون منعهم من الصلاة ﴿وأقيموا الصلاة﴾ أتموها ﴿وبشر المؤمنين﴾ بالنصر والجنة. ٨٨﴿وقال موسى ربنا إنك آتيت

= رؤوسهم كأنه ظلة، ليأخذوا ما جاءهم به موسى بجد واجتهاد، و «المسخ» بجعل الذين عتوا منهم، وتكبروا عما نُهوا عنه، قردةً خاسئين، و «مجيء الحيتان يوم السبت» بينما لا تأتيهم في غيره، و «الرجفة» وهي زلزلة شديدة أصابتهم بعد أن عبد بعضهم العجل، و «الصاعقة» التي أخذت الذين قالوا لموسى: ﴿لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة﴾، و «إحياء الميت القتيل»، المذكور في قصة «ذبح البقرة» في قوله تعالى: ﴿فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون﴾، و «إحياؤهم بعد الموت» وهم ﴿الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم﴾. ارجع إلى تعليقنا حول «السحر» ص ٢١٠.

(١) قوله: «مصلًّى تصلون فيه لتأمنوا من الخوف»، هو تفسير لقوله تعالى: ﴿بيوتكم﴾ أي: اتخذوا لأنفسكم أماكن خاصة للصلاة، ولم يُرد بالبيوت المنازل المسكونة، وهذا قول أكثر المفسرين، وذلك أن بني إسرائيل، كانوا لا يصلّون إلاّ في مساجدهم، وكانت ظاهرة، فلما أرسل موسى أمر فرعون بتخريبها كلها ومنعهم عن الصلاة، فأوحى الله إلى موسى وهارون، بأن يتخيَّرا لبني إسرائيل بيوتاً بمصر، تكون مساجد للصلاة، وقيل: معناه صلوا في بيوتكم سراً لتأمنوا من فرعون، وهذا قول ضعيف، لأن جواز الصلاة في غير المساجد، من خصوصيات نبينا محمد ﷺ، ففي الحديث الصحيح: «وجُعلت لي الأرض مسجداً وطَهُوراً، فأيُّما رجلٍ من أمتي أدركته الصلاة فليصلِّ»، فنحن نصلي في المساجد والبيوت، وحيثُ أدركتنا الصلاة، إلاّ أن النافلة في المنازل أفضل منها في المساجد، فقد روى =

الجزء الحادي عشر

فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ * وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ

فرعون وملأه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا ربنا﴾ آتيتهم ذلك ﴿ليضلوا﴾ في عاقبته ﴿عن سبيلك﴾ دينك ﴿ربنا اطمس على أموالهم﴾ امسخها، [أخرج عبد الرزاق وغيره، عن قتادة السَّدوسي قال: بلغنا أن زروعهم وأموالهم، تحوَّلت حجَارة] ﴿واشدد على قلوبهم﴾ اطبع عليها واستوثق ﴿فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم﴾ المؤلم، دعا عليهم، وأمَّن هارون على دعائه. ٨٩﴿قال﴾ تعالى: ﴿قد أجيبت دعوتكما﴾ فمسخت أموالهم حجارة، ولم يؤمن فرعون حتى أدركه الغرق، [فلم ينفعه إيمانه، كما سيأتي بيانه] ﴿فاستقيما﴾ على الرسالة والدعوة، إلى أن يأتيهم العذاب ﴿ولا تتبعانِّ سبيل الذين لا يعلمون﴾ في استعجال قضائي، روي: أنه، [أي: نزول العذاب بهم]، مكث [وتأخر] بعدها، [أي: بعد دعوتهما]، أربعين سنة، [أخرجه الحكيم الترمذي عن مجاهد، وهو قول ضعيف].

٩٠﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم﴾ لحقهم ﴿فرعون وجنوده بغياً وعدواً﴾ مفعول له ﴿حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه﴾ أي: بأنه، وفي قراءة بالكسر استئنافاً ﴿لا إلٰه إلاَّ الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين﴾ كرره، ليُقبل منه، فلم يُقبل، ودسَّ جبريل في فيه من حَمْأة البحر، ــ [أي: طينه] ــ مخافة أن تناله الرحمة[1] وقال له: ٩١﴿آلآن﴾ تؤمن ﴿وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين﴾ بضلالك وإضلالك عن الإيمان. ٩٢﴿فاليوم ننجيك﴾ نخرجك من البحر ﴿ببدنك﴾ جسدك الذي لا روح فيه ﴿لتكون لمن خلفك﴾ بعدك ﴿آية﴾ عبرة، فيعرفوا عبوديتك، ولا يقدموا على مثل فعلك، وعن ابن عباس: أن بعض بني إسرائيل شكُّوا في موته، فأُخرج لهم ليروه ﴿وإن كثيراً من الناس﴾ أي: أهل مكة [وغيرهم] ﴿عن آياتنا لغافلون﴾ لا يعتبرون بها. ٩٣﴿ولقد بوأنا﴾ أنزلنا ﴿بني إسرائيل مبوأ صدق﴾ منزل كرامة، وهو: الشام ومصر ﴿ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا﴾ بأن آمن بعض، وكفر بعض ﴿حتى

= مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان ﷺ يصلي في بيتي قبل الظهر أربعاً، ثم يخرج فيصلي بالناس ثم يدخل فيصلي ركعتين، وكان يصلي بالناس المغرب، ثم يدخل فيصلي ركعتين، ثم يصلي بالناس العشاء، ويدخل بيتي فيصلي ركعتين..» الحديث، وروى الشيخان وغيرهما، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم، ولا تتخذوها قبوراً» يعني: صلاة النافلة.

(١) قوله: «مخافة أن تناله الرحمة» أخرج الطبراني في «الأوسط»، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «قال لي جبريل: ما كان على الأرض شيء أبغض إليّ من فرعون، فلما آمن ــ أي: حين لا ينفع الإيمان ــ جعلتُ أحشو فاه حَمْأَةً وأنا أَغُطُّه، خشية أن تدركه الرحمة»، وأخرج أحمد والترمذي والبيهقي والحاكم وصححه، عن ابن عباس رضي الله عنهما مثل حديث أبي هريرة.

وقد اعترض بعضهم كالرازي في تفسيره على هذه الأحاديث، وطعن آخرون فيها لجهة سندها، وهي اعتراضات غير قوية، =

جاءهم العلم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ من أمر الدين، بإنجاء المؤمنين، وتعذيب الكافرين. ٩٤ ﴿فإن كنت﴾ يا محمد، [أو: الخطاب لأمته ﷺ] ﴿في شك مما أنزلنا إليك﴾ من القصص، فرضاً ﴿فاسأل الذين يقرؤون الكتاب﴾ التوراة ﴿من قبلك﴾ فإنه ثابت عندهم، يخبروك بصدقه، قال ﷺ[1]: «لا أشكُّ ولا أسأل» ﴿لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين﴾ الشاكِّين فيه. ٩٥ ﴿ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين﴾ [أو المراد بالخطاب أمته ﷺ، فإن فيهم الشاكّ والمكذبَ]. ٩٦ ﴿إن الذين حقت﴾ وجبت ﴿عليهم كلمة ربك﴾ بالعذاب ﴿لا يؤمنون﴾ . ٩٧ ﴿ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم﴾ .

جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَـَٔامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ

٩٨ ﴿فلولا﴾ فهلاَّ ﴿كانت قرية﴾ أريد أهلها ﴿آمنت﴾ قبل نزول العذاب بها ﴿فنفعها إيمانها﴾ [والمراد بالتحضيض النفي، أي: ما آمنت قرية عند رؤية أمارات العذاب، فنفعها إيمانها] ﴿إلاَّ﴾ لكن ﴿قوم يونس لما آمنوا﴾ عند رؤية أمارة العذاب، ولم يؤخِّروا إلى حلوله ﴿كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين﴾ انقضاء آجالهم.

٩٩ ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس﴾[2] بما لم يشأه الله منهم ﴿حتى يكونوا مؤمنين﴾؟ لا.

١٠٠ ﴿وما كان لنفس أن تؤمن

= فالأحاديث يقوي بعضها بعضاً من حيث السند، ولا إشكال فيها من حيث المعنى، لأن إيمان فرعون كان في وقت الغرغرة، التي لا يصح عندها الإيمان ولا يُقبل، فلا فائدة له من إيمانه في هذه الحالة، ودسُّ جبريل الطين في فمه، تحقير له وإذلال، لأنه لم يكن أهلاً لرحمة الله تعالى قبل ذلك.

(١) قوله: «قال ﷺ...» الحديث، هو حديث ضعيف أخرجه عبد الرزاق وابن جرير الطبري، عن قتادة بن دعامة السَّدوسي رحمه الله ــ مرسلاً ــ يرفعه إلى النبي ﷺ قال ــ أي: قتادة ــ ذُكر لنا أن رسول الله ﷺ قال: «لا أشك ولا أسأل»، وروى ابن أبي حاتم وآخرون عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لم يشك رسول الله ﷺ ولم يسأل» فخطابه ﷺ بهذا تأكيد لصدقه، وليفعل الشاكُّون ذلك فيسألوا، أو: أن المراد بالخطاب سواه ﷺ.

(٢) قوله تعالى: ﴿أفأنت تُكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾، ليس معناه ــ كما يظن بعض الناس ــ أن الإنسان حر في عقيدته، والإيمان بما يشاء ولو باطلاً، وفهموا مثل ذلك من قوله تعالى: ﴿لا إكراه في الدين﴾، ارجع إلى تعليقنا حول هذه الآية ص ٥٣.

والصواب: أن الإنسان ليس حراً في اعتقاد ما يهوى من العقائد الباطلة، بل هو مكلف بالإيمان، ومأمور بترك الكفر بجميع صوره وأنواعه، على نحو ما بيَّنه الله تعالى على لسان رسله، وهذه الآية من باب التخفيف عن النبي ﷺ وتسليته، لأنه كان شديد الحرص على إيمان الناس، إلى حدٍّ يصوِّرُهُ قولهُ تعالى: ﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً﴾ أي: خفِّفْ عنك يا محمد، فأنت لا تملك إكراههم على ما تريده لهم من الإيمان، فاتركهم، ثم نسخ هذا الحكم بآية السيف، وأمره الله تعالى بقتالهم: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ــ أي: شرك ــ ويكون الدين كلُّه لله﴾.

﴿إلاَّ بإذن الله﴾ بإرادته ﴿ويجعل الرجس﴾ العذاب ﴿على الذين لا يعقلون﴾ [أي: لا] يتدبرون آيات الله.
١٠١﴿قل﴾ لكفار مكة ﴿انظروا ماذا﴾ أي: الذي ﴿في السماوات والأرض﴾ من الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى ﴿وما تغني الآيات والنذر﴾ جمع «نذير»، أي: الرسل ﴿عن قوم لا يؤمنون﴾ في علم الله، أي: ما تنفعهم؟.
١٠٢﴿فهل﴾ فما ﴿ينتظرون﴾ بتكذيبك ﴿إلاَّ مثل أيام الذين خلوا من قبلهم﴾ من الأمم، أي: مثل وقائعهم، من العذاب ﴿قل فانتظروا﴾ ذلك ﴿إني معكم من المنتظرين﴾.
١٠٣﴿ثم ننجي﴾ المضارع لحكاية الحال الماضية، [أي: كنا نفعل ذلك] ﴿رسلنا والذين آمنوا﴾ [معهم] من العذاب ﴿كذلك﴾ [أي: مثل ذلك] الإنجاء ﴿حقاً علينا ننج المؤمنين﴾ النبي ﷺ وأصحابه، حين تعذيب المشركين.
١٠٤﴿قل يا أيها الناس﴾ أي: يا أهل مكة [وغيرها] ﴿إن كنتم في شك من ديني﴾ أنه حق ﴿فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله﴾ أي: غيره، وهو: الأصنام، لشككم فيه ﴿ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم﴾ يقبض أرواحكم ﴿وأمرت أن﴾ أي: بأن ﴿أكون من المؤمنين﴾ [وقد وصف: «الله» بأنه: «الذي يتوفاكم»، ليذكرهم بالآخرة، التي هم عنها معرضون].
١٠٥﴿و﴾ قيل لي ﴿أن أقم وجهك للدين[1] حنيفاً﴾ مائلاً إليه ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ [وهذا النهي موجَّه حقيقةً إلى الناس، لا إلى النبي ﷺ، لأن الأنبياء معصومون عن الشرك بالله تعالى، قبل النبوة وبعدها، ومثله قوله تعالى:]
١٠٦﴿ولا تدع﴾ تعبد ﴿من دون الله ما لا ينفعك﴾ إن عبدته ﴿ولا يضرك﴾ إن لم تعبده ﴿فإن فعلت﴾ ذلك فرضاً ﴿فإنك إذاً من الظالمين﴾ [أي: لا تفعلوا ذلك أيها الناس، حتى لا تكونوا من الظالمين، فتخسروا أنفسكم].
١٠٧﴿وإن يمسسك﴾ يصبك ﴿الله بضر﴾ كفقر ومرض ﴿فلا كاشف﴾ رافع

إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ

(١) قوله تعالى: ﴿أقم وجهك للدين حنيفاً﴾ أي: مسلماً لم يعبد غير الله تعالى، و«الحنيف»: هو الصحيح الميل إلى الإسلام، وكان إبراهيم ﷺ حنيفاً، وملته «الحنيفية» أي: التوحيد، وهي ملة الأنبياء جميعاً، التي أمر الله تعالى رسوله محمداً ﷺ باتباعها وتبليغها بقوله: ﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾، وقال ﷺ: «بُعثتُ بالحنيفيَّة السَّمحة» أي: الشريعة المائلة عن كل باطل، فهي: «حنيفية» في التوحيد، «سمحة» في العمل، وضد الأمرين: الشرك، وتحريم الحلال، وقد ضعَّف الحافظ العراقي سند هذا الحديث، ولكن قال المناوي في شرح الجامع الصغير: له طرق ثلاث، ليس يبعد أن لا ينزل بسببها عن درجة «الحَسَن».

﴿له إلاَّ هو وإن يردك بخير فلا راد﴾ دافع ﴿لفضله﴾ الذي أرادك به ﴿يصيب به﴾ أي: بالخير ﴿من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم﴾.

١٠٨ ﴿قل يا أيها الناس﴾ أي: أهل مكة [وغيرها] ﴿قد جاءكم الحق من ربكم﴾ [فآمنوا به، إن أردتم الخير لأنفسكم] ﴿فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه﴾ لأن ثواب اهتدائه له ﴿ومن ضل فإنما يضل عليها﴾ لأن وبال ضلاله عليها ﴿وما أنا عليكم بوكيل﴾ [أي: موكول إليَّ أمركم]، فأجبركم على الهدى.

١٠٩ ﴿واتبع ما يوحى إليك﴾ من ربك ﴿واصبر﴾ على الدعوة وأذاهم ﴿حتى يحكم الله﴾ فيهم بأمره ﴿وهو خير الحاكمين﴾ أَعْدَلُهم، وقد صبر [ﷺ]، حتى حكم على المشركين بالقتال، و[على] أهل الكتاب بالجزية[1].

لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

(١١) سُورَةُ هُودٍ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ وَمِائَةٌ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ

﴿سُورَةُ هُودٍ﴾[2]

[عليه السَّلام]

(مكيَّة، إلاَّ: «[و] أقم الصلاة» الآية، أو: إلاَّ «فلعلك تارك» الآية، و«أولئك يؤمنون به» الآية، مائة واثنتان، أو: وثلاث وعشرون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ﴿الر﴾ الله أعلم بمراده بذلك، هذا ﴿كتاب أحكمت آياته﴾ بعجيب النظم، وبديع المعاني ﴿ثم فصلت﴾ بُيِّنَتْ، بالأحكام والقصص والمواعظ ﴿من لدن حكيم خبير﴾ أي: الله.

٢ ﴿أن﴾ أي: بأن ﴿لا تعبدوا إلاَّ الله إنني لكم منه

---

(١) قوله: «حتى حكم على المشركين بالقتال وأهل الكتاب بالجزية»، المراد بالمشركين هنا: الذين يعبدون الأصنام كمشركي العرب، فلا تُقبل منهم الجزية، بل يقاتَلون إلى أن يُسْلموا أو يُقتلوا، أما أهل الكتاب فإن الهدف من قتالهم حملهم على الإسلام، لأنه الخير لهم في الدنيا والآخرة، أو إخضاعهم لحكم الله تعالى، لأنه خير لهم في الدنيا، فإن لم يؤمنوا وطلبوا الدخول في ذمة المسلمين، فإنه يُقبل ذلك منهم، ويقَرُّون على دينهم، وتؤخذ منهم الجزية على نحو ما هو مبيَّن في مواضعه من كتب الفقه.

(٢) قوله: «سورة هود»، أخرج الترمذي وحسَّنه، والطبراني بسند صحيح، والبيهقي وغيرهم، من طرق كثيرة، عن عدد من الصحابة، أن أبا بكر رضي الله عنه قال: يا رسول الله قد شِبْتَ، قال: «أجل شيبتني هود وأخواتها: الواقعة، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت»، وفي روايات أخرى مع «هود»، غير هذه السور، وذلك لما في هذه السور، من العبر التي قصها الله تعالى في أخبار الأولين ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾، ولما جاء فيها من آيات الترهيب والوعيد، كقوله تعالى: في سورة «عم يتساءلون»: ﴿فذوقوا فلن نزيدكم إلاَّ عذابا﴾.

﴿نذير﴾ بالعذاب، إن كفرتم ﴿وبشير﴾ بالثواب، إن آمنتم. ٣ ﴿وأن استغفروا ربكم﴾ من الشرك ﴿ثم توبوا﴾ ارجعوا ﴿إليه﴾ بالطاعة ﴿يمتعكم﴾ في الدنيا ﴿متاعاً حسناً﴾ بطيب عيش، وسعة رزق ﴿إلى أجل مسمى﴾ هو: الموت ﴿ويؤت﴾ في الآخرة ﴿كل ذي فضل﴾ في العمل ﴿فضله﴾ [أي:] جزاءه ﴿وإن تولوا﴾ فيه حذف إحدى التاءين، [والأصل: «تتولوا»،] أي: تُعرضوا ﴿فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير﴾ هو: يوم القيامة. ٤ ﴿إلى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير﴾ ومنه الثواب والعذاب. ٥ ونزل، كما رواه البخاري عن ابن عباس: فيمن كان [من الناس غير المؤمنين]، يستحيي أن يتخلى [لقضاء حاجته]، أو يجامع [زوجته]، فيفضي إلى السماء، وقيل: في المنافقين، [كانوا يُضمرون خلاف ما يعلنون، ويظنون أن ذلك يخفى على الله تعالى]: ﴿ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه﴾ أي: الله ﴿ألا حين يستغشون ثيابهم﴾ يتغطَّون بها ﴿يعلم﴾ تعالى ﴿ما يسرون وما يعلنون﴾ فلا يغني استخفاؤهم ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ أي: بما في القلوب. ٦ ﴿وما من﴾ زائدة ﴿دابة في الأرض﴾ هي ما دَبَّ عليها ﴿إلا على الله رزقها﴾ تكفَّل به، فضلاً منه تعالى ﴿ويعلم مستقرها﴾ مسكنها في الدنيا، أو: الصُّلب ﴿ومستودعها﴾ بعد الموت، أو: [في] الرحم ﴿كلٌّ﴾ مما ذكر ﴿في كتاب مبين﴾ بيِّن، هو: اللوح المحفوظ. ٧ ﴿وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام﴾ أولها الأحد[1]، وآخرها الجمعة ﴿وكان عرشه﴾ قبل خلقهما ﴿على الماء﴾ وهو على[2] متن الريح، [روى البخاري عن عمران بن حصين، أنه ﷺ سئل عن أحوال هذا العالم فقال: «كان الله ـ أي: في الأزل ـ ولم يكن شيءٌ غيره، وكان عرشه على الماء»] ﴿ليبلوكم﴾ متعلق بـ «خلق»، أي: خلقهما، وما فيهما من منافع لكم ومصالح، ليختبركم ﴿أيكم أحسن عملاً﴾ أي: أطوع لله ﴿ولئن قلت﴾ يا محمد لهم ﴿إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن﴾ ما ﴿هذا﴾ القرآن، الناطق بالبعث، والذي تقوله ﴿إلا سحر مبين﴾ بيِّن، وفي قراءة: «ساحر»، والمشار إليه النبي ﷺ.

نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾

حزب ٢٣ جزء ١٢

(١) قوله: «أولها الأحد وآخرها الجمعة»، تبع السيوطيُّ في هذا المحليَّ وغيره، وهو يخالف ما سبق، في تفسير: الآية ٣ من سورة «يونس» ص ٢٦٥، حيث قال: «ستة أيام من أيام الدنيا، أي: في قدرها لأنه لم يكن ثَمَّ شمس ولا قمر»، وقال مثل ذلك ص ٢٠١، وهذا هو الصحيح، ارجع إلى تعليقنا حول خلق السماوات والأرض ص ٦٣٠.

(٢) قوله: «وهو على متن الريح» هذا قول مروي عن ابن عباس ومعناه: أن الريح مخلوقة قبل الماء، والصحيح: أن أول مخلوق هو «الماء»، لحديث البخاري الذي ذكرناه في التفسير، فخلق الماء سابق على خلق العرش، وقد جاء ذلك صريحاً فيما رواه أحمد، والترمذي وصححه، مرفوعاً: «إن الماء خُلق قبل العرش»، وروى السُّدي الصغير في تفسيره بأسانيده: أن الله تعالى لم يخلق شيئاً مما خلق قبل الماء، وأوَّلية خلق غيره أوَّلية نسبية.

٨﴿ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى﴾ مجيء ﴿أمة﴾ أوقات ﴿معدودة ليقولن﴾ استهزاء ﴿ما يحبسه﴾ ما يمنعه من النزول؟، قال تعالى: ﴿ألا يوم يأتيهم ليس مصروفاً﴾ مدفوعاً ﴿عنهم وحاق﴾ نزل ﴿بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ من العذاب.
٩﴿ولئن أذقنا الإنسان﴾ الكافر ﴿منا رحمة﴾ غنى وصحة ﴿ثم نزعناها منه إنه ليؤوس﴾ قنوط من رحمة الله ﴿كفور﴾ شديد الكفر به.

وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾

١٠﴿ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء﴾ فقرٍ وشدَّةٍ ﴿مسته ليقولن ذهب السيئات﴾ المصائب ﴿عني﴾ ولم يتوقع زوالها، ولا شكر عليها ﴿إنه لفرح﴾ بَطِرٌ ﴿فخور﴾ على الناس بما أوتي.
١١﴿إلا﴾ لكن ﴿الذين صبروا﴾ على الضَّرَّاء ﴿وعملوا الصالحات﴾ في النَّعماء ﴿أولئك لهم مغفرة وأجر كبير﴾ هو: الجنة.
١٢﴿فلعلك﴾[1] يا محمد ﴿تارك بعض ما يوحى إليك﴾ فلا تبلغهم إياه، لتهاونهم به ﴿وضائق به صدرك﴾ بتلاوته عليهم، لأجلِ ﴿أن يقولوا لولا﴾ هلاَّ ﴿أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك﴾ يصدقه، كما اقترحنا ﴿إنما أنت نذير﴾ فما عليك إلاَّ البلاغ، لا الإتيان بما اقترحوه ﴿والله على كل شيء وكيل﴾ حفيظ، فيجازيهم.
١٣﴿أم﴾ بل أ ﴿يقولون افتراه﴾ أي: القرآن؟ ﴿قل فأتوا بعشر سور مثله﴾ في الفصاحة والبلاغة ﴿مفتريات﴾ فإنكم عربيون فصحاء مثلي، تحدَّاهم بها أولاً، ثم [تحدَّاهم] بسورة، [في قوله تعالى في سورة «البقرة»: «وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله»] ﴿وادعوا﴾ للمعاونة على ذلك ﴿من استطعتم من دون الله﴾ أي: غيره ﴿إن كنتم صادقين﴾ في أنه افتراء، [فعجزوا، ولو استطاعوا ذلك لفعلوه].

---

(١) قوله تعالى: ﴿فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك﴾ الآية. فيه بيان لحرص النبي ﷺ على إيمان الناس، وتسلية له ﷺ، أي: لا يضيقنَّ صدرك بقولهم ومطالبهم، ولا تغتم لذلك، بل بلِّغهم وأنذرهم، وإن تهاونوا وعاندوا وجحدوا، فما أنت إلاَّ نذير، فليس معنى صدر هذه الآية، أنه ﷺ فكَّر بترك شيء مما يوحى إليه، فإن ذلك لم يحصل، وهو معصوم عنه، بل إن الآية، تنشيط للنبي ﷺ، وحث له على متابعة تبليغ الرسالة، رغم كل المصاعب والمتاعب، وهذا ما حصل.

فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُوْلَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أُوْلَـٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٨﴾

١٤﴿فإ﴾ ن **﴿لم يستجيبوا لكم﴾** أي: مَنْ دعوتموه للمعاونة **﴿فاعلموا﴾** خطاب للمشركين **﴿أنما أنزل﴾** متلبِّساً[1] **﴿بعلم الله﴾** وليس افتراء عليه **﴿وأن﴾** مخففة، أي: أنه **﴿لا إلَه إلاَّ هو فهل أنتم مسلمون﴾** بعد هذه الحجة القاطعة؟، أي: أسلموا. **١٥﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها﴾** بأن أصر على الشرك، وقيل: هي في المرائين **﴿نوفِّ إليهم أعمالهم﴾** أي: جزاء ما عملوه من خير، كصدقة وصلة رحم **﴿فيها﴾** بأن نوسع عليهم رزقهم **﴿وهم فيها﴾** أي: الدنيا **﴿لا يبخسون﴾** ينقصون شيئاً. **١٦﴿أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلاَّ النار وحبط﴾** بطل **﴿ما صنعو﴾** ه **﴿فيها﴾** أي: [حبط عملهم في]الآخرة، فلا ثواب له **﴿وباطل ما كانوا يعملون﴾** [في الدنيا من الخيرات، لأنهم لم يؤمنوا، روى مسلم عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يظلم مؤمناً حسنةً، يُعطَى بها في الدنيا، ويُجزى بها في الآخرة، أما الكافر فيُطْعَم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة، لم تكن له حسنة يُجْزى بها»].

١٧﴿أفمن كان على بينة﴾ بيان **﴿من ربه﴾** وهو: النبي ﷺ، أو: المؤمنون، و[البينة] هي: القرآن **﴿ويتلوه﴾** يتبعه **﴿شاهد﴾** له بصدقه **﴿منه﴾** أي: من الله، وهو: جبريل **﴿ومن قبله﴾** أي: القرآن **﴿كتاب موسى﴾** التوراة، شاهد له أيضاً **﴿إماماً ورحمة﴾**؟ حال. [أي: أيكون من كان على بينة]، كمن ليس كذلك؟ لا **﴿أولئك﴾** أي: من كان على بينة **﴿يؤمنون به﴾** أي: بالقرآن، فلهم الجنة **﴿ومن يكفر به من الأحزاب﴾** جميع الكفار **﴿فالنار موعده فلا تك في مرية﴾** شك **﴿منه﴾** من القرآن **﴿إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس﴾** أي: أهل مكة [وأمثالهم] **﴿لا يؤمنون﴾**.

١٨﴿ومن﴾ أي: لا أحد **﴿أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾** بنسبة الشريك والولد إليه **﴿أولئك يعرضون على ربهم﴾** يوم القيامة في جملة الخلق **﴿ويقول الأشهاد﴾** جمع «شاهد»، وهم: الملائكة، يشهدون للرسل بالبلاغ، وعلى الكفار بالتكذيب **﴿هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين﴾** [أي:] المشركين، [قال تعالى: «إن الشرك لظلم عظيم»].

---

(1) قوله: «متلبساً» بتقديم التاء على اللام، هذا هو الصواب، من «تَلَبَّس بالشيء» إذا خالطه، وأما تقديم اللام ــ ملتبساً ــ كما في بعض النسخ، فهو تصحيف، لأنها من الالتباس فيقال: التبس عليه الأمر، أي: اختلط واشتبه، وهو غير مراد هنا، وقد تكررت هذه الكلمة في مواضع كثيرة، فصوَّبناها جميعها، ونبهنا عند بعضها.

١٩﴿الذين يصدون عن سبيل الله﴾ دين الإسلام ﴿ويبغونها﴾ يطلبون السبيل ﴿عوجاً﴾ معوجة ﴿وهم بالآخرة هم﴾ تأكيد ﴿كافرون﴾.

٢٠﴿أولئك لم يكونوا معجزين﴾ الله ﴿في الأرض وما كان لهم من دون الله﴾ أي: غيره ﴿من أولياء﴾ أنصار يمنعونهم من عذابه ﴿يضاعف لهم العذاب﴾ بإضلالهم غيرهم ﴿ما كانوا يستطيعون السمع﴾ للحق، [بسبب عنادهم وتكبرهم] ﴿وما كانوا يبصرونـ﴾ـه أي: لفرط كراهتهم له، كأنهم لم يستطيعوا ذلك.

٢١﴿أولئك الذين خسروا أنفسهم﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم ﴿وضل﴾ غاب ﴿عنهم ما كانوا يفترون﴾ على الله، من دعوى الشريك.

٢٢﴿لا جرم﴾[1] [أي: حَقّ] حقاً ﴿أنهم في الآخرة هم الأخسرون﴾.

٢٣﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا﴾ سكنوا واطمأنوا، أو: أنابوا ﴿إلى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾.

٢٤﴿مثل﴾ صفة ﴿الفريقين﴾ الكفار والمؤمنين ﴿كالأعمى والأصم﴾ ـ هذا مثل الكافر ـ ﴿والبصير والسميع﴾ ـ هذا مثل المؤمن ـ ﴿هل يستويان مثلاً﴾؟ لا، ﴿أفلا تذكّرون﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الذال، [وفي قراءة: بتخفيف الذال مفتوحة]، تتعظون.

٢٥﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه أني﴾ أي: بأني، وفي قراءة بالكسر على حذف القول، [تقديره: قال إني] ﴿لكم نذير مبين﴾ بيّنُ الإنذار.

٢٦﴿أن﴾ أي: بأن ﴿لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم﴾ إن عبدتم غيره ﴿عذاب يوم

سُورَةُ هُودٍ ١١

ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ

ربع الحزب

(١) قوله تعالى: ﴿لا جرم﴾، جاء في خمسة مواضع في القرآن الكريم: واحد منها هنا، وثلاثة في «النحل»: (الآية ٢٣ ص ٣٤٧، والآية ٦٢ ص ٣٥٣، والآية ١٠٩ ص ٣٦١) والموضع الخامس: الآية ٤٣ ص ٦٢٣ «غافر». وفيه ـ من حيث اللفظ ـ قولان: أحدهما: أنهما كلمتان رُكّبتا فصارتا كلمة واحدة، معناها: «حقاً»، وهي منصوبة بفعل محذوف تقديره: «حُقّ حقاً»، و«أنّ» وما بعدها في محل رفع فاعل، أي: «حُقّ خسرانهم»، وهذا قول لسيبويه والفراء والخليل، حكاه عنهم أبو جعفر النحاس.

والقول الثاني: أنهما كلمتان غير مركّبتين، معناهما: «لا بد ولا محالة»، فلا نافية للجنس، و«جرم» اسمها مبني على الفتح في محل نصب، وجملة «أنهم في الآخرة...» في محل رفع خبرها، وهذا قول آخر للفراء والخليل، حكاه عنهما الثعلبي.

وقال بعضهم: إن «لا» نافية، تنفي أماني الكافرين، و«جرم» فعل ماض بمعنى: «حُقّ وثبت»، وجملة: «أنهم في الآخرة...» في محل رفع فاعل لـ«جرم»، فيكون المعنى: لا عبرة بأمانيهم، بل حُقّ وثبت خسرانهم في الآخرة، وقيل فيها غير ذلك، والذي ذكرناه أحسنه.

أليم﴾ مؤلم في الدنيا والآخرة. ٢٧﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه﴾ وهم الأشراف ﴿ما نراك إلاَّ بشراً مثلنا﴾ ولا فضل لك علينا ﴿وما نراك اتبعك إلاَّ الذين هم أراذلنا﴾ أسافلنا، كالحاكة والأساكفة، [جمع «إسكاف»، وهو: صانع النعال] ﴿بادىء الرأي﴾ بالهمز وتركه، أي: ابتداءً، من غير تفكُّر فيك، ونَصبه على الظرف، أي: [اتبعوك] وقتَ حدوث أول رأيهم ﴿وما نرى لكم علينا من فضل﴾ تستحقون به الاتباع منا ﴿بل نظنكم كاذبين﴾ في دعوى الرسالة، أدرجوا قومه معه في الخطاب.

٢٨﴿قال يا قوم أرأيتم﴾ أخبروني ﴿إن كنت على بينة﴾ بيان ﴿من ربي وآتاني رحمة﴾ نبوة ﴿من عنده فَعَمِيَتْ﴾ [بتخفيف الميم والبناء للفاعل، أي:] خَفيت ﴿عليكم﴾ وفي قراءة بتشديد الميم والبناء للمفعول ﴿أنلزمكموها﴾ أنجبركم على قبولها ﴿وأنتم لها كارهون﴾ [أي:] لا نقدر على ذلك، [قال قتادة بن دِعامة السَّدوسي[1]: والله لو استطاع نبي الله نوح عليه السَّلام، لألزمها قومه، ولكنه لم يملك ذلك].

٢٩﴿ويا قوم لا أسألكم عليه﴾ على تبليغ الرسالة ﴿مالاً﴾ تعطونيه ﴿إنْ﴾ ما ﴿أجري﴾ ثوابي ﴿إلاَّ على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا﴾ كما أمرتموني ﴿إنهم ملاقو ربهم﴾ بالبعث، فيجازيهم، ويأخذ لهم ممن ظلمهم وطردهم ﴿ولكني أراكم قوماً تجهلون﴾ عاقبة أمركم.

٣٠﴿ويا قوم من ينصرني﴾ يمنعني ﴿من الله﴾ أي: عذابه ﴿إن طردتهم﴾ أي: لا ناصر لي ﴿أفلا﴾ فهلاَّ ﴿تَذَكَّرون﴾ بإدغام التاء الثانية في الأصل في الذال، [وفي قراءة: بتخفيف الذال مفتوحة]، تتعظون.

٣١﴿ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا﴾ إني ﴿أعلم الغيب ولا أقول إني ملك﴾ بل أنا بشر مثلكم ﴿ولا أقول للذين تزدري﴾ تحتقر ﴿أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً الله أعلم بما في أنفسهم﴾[2] قلوبهم ﴿إني إذاً﴾ إن قلت ذلك ﴿لمن

أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ

(١) قولنا: «قتادة» هو التابعي المشهور الثقة: «قتادة بن دِعامة بن قتادة السَّدوسي البصري» نسبة إلى سدوس بن شيبان الوائلي، توفي عام سبعة عشر ومائة هجرية رحمه الله تعالى.

(٢) قوله تعالى: ﴿الله أعلم بما في أنفسهم﴾، روى الشيخان عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: مرّ رجل على النبي ﷺ، فقال لرجل عنده جالس: «ما رأيك في هذا؟» فقال: رجل من أشراف النّاس، هذا والله حريٌ إن خطب أن يُنكح، وإن شَفَع أن يُشفَّع، فسكت رسول الله ﷺ، ثم مر رجل آخر، فقال له رسول الله ﷺ: «ما رأيك في هذا؟» فقال: يا رسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حريٌ إن خطب أن لا يُنكح، وإن شَفَع أن لا يُشفَّع، وإن قال أن لا يُسمع لقوله، فقال رسول الله ﷺ: «هذا خير من ملء الأرض مثلَ هذا»، أي: ليست العبرة دائماً بمظاهر الجاه والغنى، بل المهم ما في القلب من الإيمان، وما تنطوي عليه النفس من الأخلاق الحسنة، وما يصدر عن الإنسان من عمل صالح، والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة وصريحة، فالمهم هو الاعتبار والاتعاظ.

الظالمين﴾. ٣٢﴿قالوا يا نوح قد جادلتنا﴾[1] خاصمتنا ﴿فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا﴾ به من العذاب ﴿إن كنت من الصادقين﴾ فيه.
٣٣﴿قال إنما يأتيكم به الله إن شاء﴾ تعجيله لكم، فإن أمره إليه، لا إليَّ ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ بفائتين الله.
٣٤﴿ولا ينفعكم نصحي﴾ [أي: إبلاغي، واجتهادي في إيمانكم] ﴿إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم﴾ أي: إغواءكم، [بسبب رفضكم النصيحة]، وجواب الشرط دل عليه: «ولا ينفعكم نصحي» ﴿هو ربكم وإليه ترجعون﴾.

ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ

٣٥ قال تعالى: ﴿أم﴾ بل أ ﴿يقولون﴾ أي: كفار مكة ﴿افتراه﴾ اختلق محمد القرآن ﴿قل إن افتريته فعليّ إجرامي﴾ إثمي، أي: عقوبتُه ﴿وأنا بريء مما تجرمون﴾ [أي:] من إجرامكم، في نسبة الافتراء [إليّ].
٣٦﴿وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس﴾ تحزن ﴿بما كانوا يفعلون﴾ من الشرك، فدعا عليهم بقوله: «رب لا تذر على الأرض» إلخ، فأجاب الله دعاءه وقال:
٣٧﴿واصنع الفلك﴾ السفينة ﴿بأعيننا﴾ بمرأى منا وحفظنا ﴿ووحينا﴾ أمرنا ﴿ولا تخاطبني في الذين ظلموا﴾ كفروا، بترك إهلاكهم ﴿إنهم مغرقون﴾.
٣٨﴿ويصنع الفلك﴾ حكاية حال ماضية، [أي: فأخذ يصنعها] ﴿وكلما مرّ عليه ملأ﴾ جماعة ﴿من قومه سخروا منه﴾ استهزأوا به ﴿قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون﴾ إذا نجونا وغرقتم. ٣٩﴿فسوف تعلمون

---

(١) قوله تعالى: ﴿قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا﴾، هذه مغالطة منهم، بل هم الذين جادلوه فأكثروا الجدال، و«الجَدَل» هو: شدة الخصومة بالباطل، و«المجادل» هو: المخاصم الذي لا يرغب في معرفة الحق، بل يكابر ويعاند، لذلك اعتبر النبي ﷺ «الجَدَلَ» من أسباب الضلال، فقد روى أحمد والترمذي ــ وقال: حسن صحيح ــ والبيهقي وغيرهم، عن أبي أمامة الباهلي ــ واسمه: صُدَيّ بن عجلان مشهور بكنيته ــ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما ضلَّ قوم بعد هدى كانوا عليه إلاَّ أوتوا الجدل» ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ما ضربوه لك إلاَّ جدلاً بل هم قوم خَصِمون﴾. وروى الشيخان وغيرهما، عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: «إن أبغض الرجال إلى الله الألَدُّ الخَصِمُ»، أي: الشديد الخصومة بالباطل، قال القاضي عياض: المراد التعصب لترويج المذاهب الكاسدة، والعقائد الزائغة، لا المناظرة لإظهار الحق، واستعلام ما ليس معلوماً عنده، أو تعليم غيره ما عنده، لأنه فرض كفاية، خارج عما نهى عنه الحديث.

من﴾ موصولة، مفعول العِلْم ﴿يأتيه عذاب يخزيه ويحل﴾ ينزل ﴿عليه عذاب مقيم﴾ دائم. ٤٠ ﴿حتى﴾ غاية للصنع ﴿إذا جاء أمرنا﴾ بإهلاكهم ﴿وفار التنور﴾ للخباز بالماء ـ وكان ذلك علامة لنوح ـ ﴿قلنا احمل فيها﴾ في السفينة ﴿من كلٍّ زوجين﴾ أي: ذكرٍ وأنثى، أي: من كل أنواعهما [احمل] ﴿اثنين﴾ ذكراً وأنثى، وهو مفعول [«احمل»]، أي: «احمل اثنين من كل زوجين»، وفي قراءة أخرى: «كلّ» بالتنوين، فـ «زوجين» مفعول «احمل»، و «اثنين» تأكيد]، وفي القصة: أن الله حشر لنوح السباع والطير وغيرهما، فجعل يضرب بيديه في كل نوع، فتقع يده اليمنى على الذكر، واليسرى على الأنثى، فيحملهما في السفينة ﴿وأهلك﴾ أي: زوجته وأولاده، [أي: احملهم معك فيها] ﴿إلاَّ من سبق عليه القول﴾

مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ * وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾

أي: منهم بالإهلاك، وهو: زوجته وولده «كنعان»[1]، بخلاف «سام» و «حام» و «يافث»، فحملهم وزوجاتهم الثلاث ﴿ومن آمن وما آمن معه إلاَّ قليل﴾ قيل: كانوا ستة رجال ونساءهم، وقيل: جميع من كان في السفينة ثمانون، نصفهم رجال، ونصفهم نساء. ٤١ ﴿وقال﴾ نوح ﴿اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها﴾ بفتح الميمين[2] وضمهما، مصدران، أي: جريها، [أو: إجراؤها] ورسوها، أي: منتهى سيرها ﴿إن ربي لغفور رحيم﴾ حيث لم يهلكنا. ٤٢ ﴿وهي تجري بهم في موج كالجبال﴾ في الارتفاع والعِظم ﴿ونادى نوح ابنه﴾ كنعان ﴿وكان في معزل﴾ عن السفينة ﴿يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين﴾. ٤٣ ﴿قال سآوي إلى جبل يعصمني﴾ يمنعني ﴿من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله﴾ عذابه ﴿إلاَّ﴾ لكن ﴿من رحم﴾ الله، فهو المعصوم، قال تعالى: ﴿وحال بينهما الموج فكان من المغرقين﴾. ٤٤ ﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك﴾ الذي نبع منك، فشربته، دون ما نزل من السماء، فصار أنهاراً وبحاراً[3] ﴿ويا سماء أقلعي﴾ أمسكي عن المطر، فأمسكت ﴿وغيض﴾ نقص ﴿الماء وقضي الأمر﴾ تَمَّ أمر هلاك قوم نوح ﴿واستوت﴾ وقفت السفينة ﴿على الجودي﴾ جبل بالجزيرة، بقرب «المَوْصِل»، ﴿وقيل بعداً﴾ هلاكاً ﴿للقوم الظالمين﴾ الكافرين.

---

(١) قوله: «وولده كنْعان»، على افتراض صحة تسمية ابن نوح هذا بـ «كَنْعان»، فإنه غير «كنعان» جد «الكنعانيين»، بل الظاهر أن جدهم هو: كنعان بن سام بن نوح، وليس الهالك المغرق. ارجع إلى تعليقنا حول «كنعان» ص ٣١٥.

(٢) قوله: «بفتح الميمين» أي: «مجريها ومرساها»، هو سبق قلم صوابه: «بضم الميمين، وفتح الأولى مع ضم الثانية»، لأن فتح ميم «مرساها» مع الإمالة قراءة شاذة.

(٣) قوله: «فصار أنهاراً وبحاراً» ليس صحيحاً، لأن البحار والأنهار كانت قبل الطوفان، قال تعالى: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها * أخرج منها ماءها ومرعاها﴾، ولقوله تعالى بعدُ: «وغيض الماء» أي: ابتلعته الأرض.

٤٥ ﴿ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني﴾ كنعان ﴿من أهلي﴾ وقد وعدتني بنجاتهم ﴿وإن وعدك الحق﴾ الذي لا خُلف فيه ﴿وأنت أحكم الحاكمين﴾ أعلمهم وأعدلهم.

٤٦ ﴿قال﴾ تعالى: ﴿يا نوح إنه ليس من أهلك﴾ الناجين، أو: من أهل دينك ﴿إنه﴾ أي: سؤالك إياي بنجاته ﴿عمل غير صالح﴾ فإنه كافر، ولا نجاة للكافرين، وفي قراءة بكسر ميم «عمِل»، ونصب «غيرَ»، فالضمير لابنه ﴿فلا تسألَنِّ﴾ بالتشديد [مع فتح اللام]، والتخفيف، [أي: بكسر النون مع سكون اللام] ﴿ما ليس لك به علم﴾ من إنجاء ابنك ﴿إني أعظك أن تكون من الجاهلين﴾ بسؤالك ما لم تعلم.

سُورَةُ هُودٍ ١١

وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾

٤٧ ﴿قال رب إني أعوذ بك﴾ من ﴿أن أسألك ما ليس لي به علم وإلاَّ تغفر لي﴾ ما فرط مني ﴿وترحمني أكن من الخاسرين﴾.

٤٨ ﴿قيل يا نوح اهبط﴾ انزل من السفينة ﴿بسلام﴾ بسلامة، أو: بتحية ﴿منا وبركات﴾ خيرات ﴿عليك وعلى أمم ممن معك﴾ في السفينة، أي: من أولادهم وذريتهم، وهم المؤمنون ﴿وأمم﴾ بالرفع، ممن معك [أي: من ذريتهم] ﴿سنمتعهم﴾ في الدنيا ﴿ثم يمسهم منا عذاب أليم﴾ في الآخرة، وهم الكفار.

٤٩ ﴿تلك﴾ أي: هذه الآيات المتضمنة قصة نوح ﴿من أنباء الغيب﴾ أخبار ما غاب عنك ﴿نوحيها إليك﴾ يا محمد ﴿ما كنت تعلمها أنت[1] ولا قومك من قبل هذا﴾ القرآن ﴿فاصبر﴾ على التبليغ وأذى قومك، كما صبر نوح ﴿إن العاقبة﴾ [النهاية] المحمودة ﴿للمتقين﴾.

٥٠ ﴿و﴾ أرسلنا ﴿إلى عاد أخاهم﴾[2] من القبيلة ﴿هوداً قال يا قوم اعبدوا الله﴾ وحّدوه ﴿ما لكم من﴾ زائدة ﴿إله غيره إن﴾ ما ﴿أنتم﴾ في عبادتكم الأوثان ﴿إلاَّ مفترون﴾ كاذبون على الله.

(١) قوله تعالى: ﴿ما كنت تعلمها أنت ولا قومك﴾، فيه رد على الكافرين الذين زعموا أن القرآن من عند محمد ﷺ، وأن أُناساً من أهل الكتاب أعانوه عليه.

(٢) قوله تعالى: ﴿إلى عاد﴾ كانت مساكن «عاد»، قبيلة نبي الله «هود»، في أرض «الأحقاف»، وهي اليوم منطقة رملية، تقع بين عُمان والرُّبع الخالي واليمن، وقد وجدت أخيراً آثار كثيرة في تلك المنطقة.

كانوا يعبدون الأصنام من دون الله عزَّ وجلَّ، ذكرت قصتهم مراراً في القرآن الكريم، وقد أهلكهم الله ﴿بريح صرصر عاتية * سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً﴾ كما سيأتي في سورة «الحاقة» ص ٧٦١.

٥١﴿يا قوم لا أسألكم عليه﴾ على التوحيد ﴿أجراً إن﴾ ما ﴿أجري إلاّ على الذي فطرني﴾ خلقني ﴿أفلا تعقلون﴾.

٥٢﴿ويا قوم استغفروا ربكم﴾[1] من الشرك ﴿ثم توبوا﴾ ارجعوا ﴿إليه﴾ بالطاعة ﴿يرسل السماء﴾ المطر ـ وكانوا قد مُنِعُوهُ ـ ﴿عليكم مدراراً﴾ كثير الدُّرور ﴿ويزدكم قوة إلى﴾ مع ﴿قوتكم﴾ بالمال والولد ﴿ولا تتولوا مجرمين﴾ مشركين.

٥٣﴿قالوا يا هود ما جئتنا ببينة﴾ ببرهان على قولك ﴿وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك﴾ أي: لقولك ﴿وما نحن لك بمؤمنين﴾.

يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ

٥٤﴿إن﴾ ما ﴿نقول﴾ في شأنك ﴿إلاّ اعتراك﴾ أصابك ﴿بعض آلهتنا بسوء﴾ فخبلك[2]، لسبِّك إياها، فأنت تهذي ﴿قال إني أُشهد الله﴾ عليَّ ﴿واشهدوا أني بريء مما تشركون﴾ ـه به.

٥٥﴿من دونه فكيدوني﴾ احتالوا في هلاكي ﴿جميعاً﴾ أنتم وأوثانكم ﴿ثم لا تنظرون﴾ تمهلون﴾.

٥٦﴿إني توكلت على الله ربي وربكم ما من﴾ زائدة ﴿دابة﴾ نَسَمَةٍ تدب على الأرض ﴿إلاّ هو آخذ بناصيتها﴾ أي: مالكها وقاهرها، فلا نفع ولا ضرر إلاّ بإذنه، وخَصَّ «الناصية» بالذِّكر، لأن مَنْ أُخِذَ بناصيته، يكون في غاية الذل ﴿إن ربي على صراط مستقيم﴾ أي: طريق الحق والعدل، [أي: هو عادل، لا يأخذهم إلاّ بالحق].

٥٧﴿فإن تولوا﴾ فيه حذف إحدى التاءين، [أصله: تتولوا]، أي: تُعرضوا ﴿فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم ويستخلف ربي قوماً غيركم ولا تضرونه شيئاً﴾ بإشراككم ﴿إن ربي على كل

---

(١) قوله تعالى: ﴿ويا قوم استغفروا ربكم﴾ الآية، الواضح من هذه الآية الكريمة: أن الاستغفار والتوبة سبب من أسباب السعة في المعيشة، كما أن الإصرار على الذنب وعدم التوبة، سبب للشقاء وصعوبة الحياة في الدنيا، حيث ينزع الله تعالى البركة من الأرزاق والأقوات، فتتعقد حياة الناس، ويظلون في قلق واضطراب، وتقسو القلوب ويعم الظلم والطغيان، روى أبو داود والنسائي، وابن حبان وصححه، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من لزم الاستغفار، جعل الله له من كل ضيق مخرجاً، ومن كل هَمّ فرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب» ولفظ النسائي: «من أكثر الاستغفار. . إلخ». ارجع إلى تعليقنا حول «التوبة» ص ٧٥٢.

(٢) قوله: «فخبلك» يقال: «خَبَلَهُ خَبْلاً» إذا أفسده، و «رجل به خَبَلٌ وخَبْلٌ» أي: فساد في عقله، «ورجل مخبول» أي: مسَّه الخابل، أي: الجنيُّ، ويقال: «أصاب الناس خَبْلٌ» أي: فتنة من قتل وجراح، و «فلان به خبل» أي: فساد عضو، من داء أو قطع، و «طينة الخبال، ورَدْغَةُ الخبال» أي: عصارة أهل النار، روى أبو داود والطبراني، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ومن قال في مؤمن ما ليس فيه، أسكنه الله رَدْغَةَ الخبال، حتى يَخرج مما قاله».

شيء حفيظ﴾ رقيب.
٥٨﴿ولما جاء أمرنا﴾ عذابنا ﴿نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة﴾ هداية ﴿منا ونجيناهم من عذاب غليظ﴾ شديد.
٥٩﴿وتلك عاد﴾ إشارة إلى آثارهم[1]، أي: فسيحوا في الأرض، وانظروا إليها، ثم وصف أحوالهم فقال: ﴿جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله﴾ جُمِعَ[2]، لأن من عصى رسولاً، عصى جميع الرسل، لاشتراكهم في أصل ما جاؤوا به، وهو: التوحيد ﴿واتبعوا﴾ أي: السَّفلة [والعامة] ﴿أمر كل جبار عنيد﴾ معاند للحق، من رؤسائهم.

سُورَةُ هُودٍ ١١

شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِـَٔايَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي



٦٠﴿وأُتبعوا في هذه الدنيا لعنة﴾ من الناس ﴿ويوم القيامة﴾ لعنةً على رؤوس الخلائق ﴿ألا إن عاداً كفروا﴾ جحدوا ﴿ربهم ألا بُعداً﴾ من رحمة الله ﴿لعاد قوم هود﴾ [وهؤلاء هم: «عاد الأولى»، الوارد ذكرهم في قوله تعالى: في سورة «النجم»: «وأنه أهلك عاداً الأولى»، وأما عاد الثانية، فهم: «ثمود»، قوم نبي الله صالح، عليه السَّلام].
٦١﴿و﴾ أرسلنا ﴿إلى ثمود أخاهم﴾[3] من القبيلة ﴿صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله﴾ وحِّدوه ﴿ما لكم من إله غيره هو أنشأكم﴾ ابتدأ خلقكم ﴿من الأرض﴾ بخلق أبيكم آدم منها ﴿واستعمركم فيها﴾ جعلكم عماراً، تسكنون بها ﴿فاستغفروه﴾ من الشرك ﴿ثم توبوا﴾ ارجعوا ﴿إليه﴾ بالطاعة ﴿إن ربي قريب﴾ من خلقه بعلمه ﴿مجيب﴾ لمن سأله.
٦٢﴿قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجواً﴾ نرجو أن تكون سيداً ﴿قبل هذا﴾ الذي صدر منك ﴿أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا﴾ من الأوثان ﴿وإننا لفي شك مما تدعونا إليه﴾ من التوحيد ﴿مريب﴾ موقع في الريب.
٦٣﴿قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة﴾ بيان ﴿من ربي وآتاني منه رحمة﴾ نبوة ﴿فمن ينصرني﴾ يمنعني

---

(١) قوله: «إشارة إلى آثارهم... إلخ» لعلّ الجلال السيوطي يعني: أنها إشارة إلى البلاد التي كانوا فيها، وهي: «الأحقاف»، لأنه لم يبق لعاد آثار ظاهرة تشاهد، بل موضع بلادهم اليوم رمال. ارجع إلى تعليقنا حولهم ص ٢٩١.

(٢) قوله: «جمع» أي: أخبر تعالى أن عاداً جحدوا رسله ـ بالجمع ـ ولم يقل رسوله وهو هود، للسبب الذي ذكره السيوطي.

(٣) قوله تعالى: ﴿وإلى ثمود﴾ «ثمود» اسم للقبيلة التي منها نبي الله صالح عليه السلام، كانوا من العرب العاربة، وكانت مساكنهم في «الحِجْر» ـ بكسر الحاء ـ بين الحجاز والشام، إلى الجنوب الشرقي من «مدين»، أرض شعيب عليه السَّلام، القريبة من خليج العقبة، وتعرف اليوم بـ «فَجّ الناقة»، وهم: «أصحاب الحجر»، ومدائنهم ظاهرة إلى اليوم، تعرف بـ «مدائن صالح» وفيها عبرة لأولي الألباب، كانوا يعبدون الأوثان من دون الله تعالى. ذُكرت قصتهم مراراً في القرآن الكريم، أهلكهم الله تعالى «بالصيحة»، بعد أن عقروا الناقة التي طلبوها آية، كما سيأتي.

﴿من الله﴾ أي: عذابه ﴿إن عصيته﴾ [بعدم إبلاغكم ونصحكم]؟ ﴿فما تزيدونني﴾ بأمركم لي بذلك ﴿غير تخسير﴾ تضليل.

٦٤﴿ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية﴾ حال، عاملُهُ [اسم] الإشارة، [لما فيه من معنى الفعل، وتقديره: «خذوها»] ﴿فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء﴾ عَقْرٍ ﴿فيأخذكم عذاب قريب﴾ إن عقرتموها.

٦٥﴿فعقروها﴾ عقرها قُدار [بن سالف]، بأمرهم، [فأسند الفعل إليهم، لرضاهم به]﴿فقال﴾ صالح ﴿تمتعوا﴾ عيشوا ﴿في داركم ثلاثة أيام﴾ ثم تَهْلِكُون ﴿ذلك وعد﴾ [أي: ميعاد] ﴿غير مكذوب﴾ فيه.

٦٦﴿فلما جاء أمرنا﴾ بإهلاكهم ﴿نجينا صالحاً والذين آمنوا معه﴾ وهم أربعة آلاف[1] ﴿برحمة منا و﴾ نجيناهم ﴿من خزي يومئذٍ﴾ بكسر الميم إعراباً، وفتحها بناءً لإضافته إلى مبني، وهو الأكثر [في اللغة، أما قراءةً فهما سواء] ﴿إن ربك هو القوي العزيز﴾ الغالب.

٦٧﴿وأخذ الذين ظلموا الصيحة﴾ [الشديدة، وهي: «الطاغية»، كما في سورة «الحاقّة»] ﴿فأصبحوا في ديارهم جاثمين﴾ باركين على الركب، ميتين.

٦٨﴿كأن﴾ مخففة، واسمها محذوف، أي: كأنهم ﴿لم يغنوا﴾ يقيموا ﴿فيها﴾ في دارهم ﴿ألا إن ثموداً كفروا ربهم ألا بعداً لثمودٍ﴾ بالصرف وتركه[2]، على معنى الحيِّ، والقبيلة.

٦٩﴿ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى﴾ بإسحاق، ويعقوب، بعده ﴿قالوا سلاماً﴾ مصدر ﴿قال سلام﴾ عليكم ﴿فما لبث أن جاء بعجل حنيذٍ﴾ مشويّ، [وفي «الذاريات»: ﴿فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين * فقربه إليهم قال ألا تأكلون﴾؟!].

٧٠﴿فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم﴾ بمعنى: أنكرهم ﴿وأوجس﴾ أضمر في نفسه ﴿منهم خيفة﴾ خوفاً، [لأن الضيف، إذا امتنع عن الأكل من طعام مضيفه، فقد يكون يضمر له سوءاً] ﴿قالوا لا تخف

مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ

---

(١) قوله: «وهم أربعة آلاف» وقيل: هم أكثر من ذلك بكثير، والأحسن عدم التعيين، لأنه لا دليل على عددهم، ولا عدد غيرهم من الأمم والقبائل السابقة، إلا قوم «يونس»، فقد قال تعالى فيهم: ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾.

(٢) قوله: «بالصرف وتركه، على معنى الحي والقبيلة»، هذا لف ونشر مرتب، إشارة إلى قراءتين سبعيتين، فإن اسم «ثمود» يُصرف، إذا أطلق مراداً به الأب الأكبر أو الحي، أي: ديارهم، ويمنع من الصرف للعلمية والتأنيث، إذا أريد به «القبيلة».

إنا أرسلنا إلى قوم لوط﴾ لنهلكهم. ٧١ ﴿وامرأته﴾ أي: امرأة إبراهيم «سارة» ﴿قائمة﴾ تخدمهم ﴿فضحكت﴾ استبشاراً بهلاكهم ﴿فبشرناها بإسحاق ومن وراء﴾ بعد ﴿إسحاق يعقوب﴾ ولده، تعيش إلى أن تراه. ٧٢ ﴿قالت يا ويلتى﴾ كلمة تقال عند أمر عظيم، والألف مبدلة من ياء الإضافة ﴿ءألد وأنا عجوز﴾ لي تسع وتسعون سنة ﴿وهذا بعلي شيخاً﴾ له مائة، أو: وعشرون سنة؟ ونصبه على الحال، والعامل فيه، ما في «ذا» من الإشارة ﴿إن هذا لشيء عجيب﴾ أن يولد ولد لهرمين. ٧٣ ﴿قالوا أتعجبين من أمر الله﴾ قدرته ﴿رحمة الله وبركاته عليكم﴾ يا ﴿أهل البيت﴾ بيت إبراهيم ﴿إنه حميد﴾ محمود ﴿مجيد﴾ كريم. ٧٤ ﴿فلما ذهب عن إبراهيم الروع﴾ الخوف ﴿وجاءته البشرى﴾ بالولد أخذ ﴿يجادلنا﴾ يجادل رسلنا ﴿في﴾ شأن ﴿قوم لوط﴾[1].

سُورَةُ هُودٍ ١١

إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَـٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَـٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَـٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَـٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ

٧٥ ﴿إن إبراهيم لحليم﴾ كثير الأناة ﴿أواه منيب﴾ رجّاع، فقال لهم: أتهلكون قرية فيها ثلثمائة مؤمن؟ قالوا: لا، قال: أفتهلكون قرية فيها مائتا مؤمن؟ قالوا: لا، قال: أفتهلكون قرية فيها أربعون مؤمناً؟ قالوا: لا. قال: أفتهلكون قرية فيها أربعة عشر مؤمناً؟ قالوا: لا. قال: أفرأيتم إن كان فيها مؤمن واحد؟ قالوا: لا. قال: «إن فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها»، [وقد رُوِيَ بعضُ هذا الحوار عن قتادة السّدوسي، وبعضُه عن سعيد بن جُبَير رحمهما الله، وليس شيء منه مرفوعاً إلى النبي ﷺ].

٧٦ فلما أطال مجادلتهم قالوا: ﴿يا إبراهيم أعرض عن هذا﴾ الجدال ﴿إنه قد جاء أمر ربك﴾ بهلاكهم ﴿وإنهم آتيهم عذاب غير مردود﴾.

٧٧ ﴿ولما جاءت رسلنا لوطاً سيءَ بهم﴾ حزن بسببهم ﴿وضاق بهم ذرعاً﴾ صدراً، لأنهم حسان الوجوه، في صورة أضياف، فخاف عليهم قومَهُ ﴿وقال هذا يوم عصيب﴾ شديد.

٧٨ ﴿وجاءه قومه﴾ لما علموا بهم ﴿يهرعون﴾ يسرعون ﴿إليه ومن قبل﴾ قبل مجيئهم ﴿كانوا يعملون السيئات﴾ وهي: إتيان الرجال في الأدبار ﴿قال﴾ لوط ﴿يا قوم هؤلاء بناتي﴾ [أي: انصرفوا إلى النساء] فتزوجوهن، [قال قتادة ومجاهد وغيرهما: لم يكنَّ بناته، ولكنْ كُنَّ من أمَّته، وكل نبي أبو أُمّته، وقال ابن جريج: أمرهم أن يتزوجوا النساء، ولم يَعْرِضْ عليهم سفاحاً، أي: زناً] ﴿هن

---

(١) قول تعالى: ﴿في قوم لوط﴾، أرسل نبي الله لوط عليه السّلام إلى قومه، وكانت مدائنهم خمساً، عُرفتْ بـ «قرى» قوم لوط، وبـ «المؤتفكة»، أكبرها «سدوم»، بالدال المهملة، وهي التي كان يقيم فيها لوط، من بلاد الأردن على البحر الميت، وفي «معجم البلدان»: «سَدُوم» مدينة من مدائن قوم لوط، وقال أبو حاتم: إنما هو «سذوم» بالذال المعجمة، والدال خطأ، قال الأزهري: وهو الصحيح.

وعرف قوم لوط ـ بالإضافة إلى كفرهم ـ بإتيان الذكور وارتكاب الفواحش في ناديهم علانية؛ فأهلكهم الله، بأن جعل عالي قراهم سافلها، وأمطر عليهم حجارة من سجيل، كما سيأتي، ارجع إلى ص ٢٠٥.

أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون﴾ تفضحون ﴿في ضيفي﴾ أضيافي[1] ﴿أليس منكم رجل رشيد﴾ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؟.

٧٩﴿قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك﴾ [أي: نساء قومك] ﴿من حق﴾ حاجة، ﴿وإنك لتعلم ما نريد﴾ من إتيان الرجال. ٨٠﴿قال لو أن لي بكم قوة﴾ طاقة ﴿أو آوي إلى ركن شديد﴾ عشيرة تنصرني، لبطشت بكم.

٨١ فلما رأت الملائكة ذلك ﴿قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك﴾ بسوء ﴿فأسر بأهلك بقطع﴾ طائفة ﴿من الليل ولا يلتفت منكم أحد﴾ لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم ﴿إلا امرأتك﴾ بالرفع، بدل من «أحد»، وفي قراءة بالنصب، استثناء من الأهل: أي فلا تُسرِ بها ﴿إنه مصيبها ما أصابهم﴾ فقيل: لم يخرج بها، وقيل: خرجت والتفتت فقالت: واقوماه، فجاءها حجر فقتلها، وسألهم [لوط] عن وقت هلاكهم فقالوا: ﴿إن موعدهم الصبح﴾ فقال: أريد أعجل من ذلك. قالوا: ﴿أليس الصبح بقريب؟﴾. ٨٢﴿فلما جاء أمرنا﴾ بإهلاكهم ﴿جعلنا عاليها﴾ أي: قراهم ﴿سافلها﴾ أي: بأن رفعها جبريل إلى السماء، وأسقطها مقلوبة إلى الأرض ﴿وأمطرنا عليها حجارة من سجيل﴾ طين طبخ بالنار ﴿منضود﴾ متتابع. ٨٣﴿مسوَّمة﴾ معلَّمة، عليها اسم من يُرمَى بها ﴿عند ربك﴾ ظرف لها، [أي: للحجارة] ﴿وما هي﴾ الحجارة، أو: بلادهم ﴿من الظالمين﴾ أي: أهل مكة ﴿ببعيد﴾.

٨٤﴿و﴾ أرسلنا ﴿إلى مدين[2] أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله﴾ وحدوه ﴿ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير﴾ نعمة تغنيكم عن التطفيف ﴿وإني أخاف عليكم﴾ إن لم تؤمنوا

أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِيٓ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ الَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ * وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ

حزب ٢٤

(١) قوله: «أضيافي»، الضيافة من مكارم الأخلاق وآداب الإسلام، ومن خُلُق النبيين والصالحين، ولقد حث النبي ﷺ على إكرام الضيف، فقد أخرج الشيخان، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليسكت».

وروى البخاري، عن أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «الضيافة ثلاثة أيام، فما كان وراء ذلك فهو صدقة»، ورواه أحمدُ وأبو داود، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) قوله تعالى: ﴿وإلى مدين﴾. أرسل نبي الله شعيب عليه السَّلام إلى «مدين»، وهم: «أصحاب الأيكة»، و«الأيكة» هي: الغيضة ذات الشجر الكثير، وتقع «مدين» في بلاد الحجاز مما يلي الشام، في الجهة الشمالية لخليج العقبة، وكان أهلها من العرب، سميت بلدتهم باسم «مدين» أحد أولاد إبراهيم عليه السَّلام، ومع شركهم كانوا يبخسون المكيال والميزان ويفسدون في الأرض، فأهلكهم الله تعالى بالصيحة كما سيأتي.

﴿عذاب يوم محيط﴾ بكم، يهلككم، ووصف اليوم به مجاز، لوقوعه فيه.

٨٥﴿ويا قوم أوفوا المكيال والميزان﴾ أتموهما ﴿بالقسط﴾ بالعدل ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ لا تنقصوا من حقهم شيئاً ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ بالقتل وغيره، من «عَثِي» بكسر المثلثة: أفسد، و «مفسدين» حال مؤكِّدة لمعنى عاملها: «تعثوا».

٨٦﴿بقيَّة الله﴾ رزقه، الباقي لكم بعد إيفاء الكيل والوزن ﴿خير لكم﴾ من البخس ﴿إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ﴾ رقيب، أجازيكم بأعمالكم، إنما بُعثت نذيراً.

سُورَةُ هُودٍ ١١

عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾

٢٩٧

٨٧﴿قالوا﴾ له استهزاء ﴿يا شعيب أصلاتك تأمرك﴾ بتكليف، [أي: بتكليفنا] ﴿أن نترك ما يعبد آباؤنا﴾ من الأصنام ﴿أو﴾ نترك ﴿أن نفعل﴾ [أي: وأن لا نفعل] ﴿في أموالنا ما نشاء﴾؟ المعنى هذا أمر باطل، لا يدعو إليه داع بخير ﴿إنك لأنت الحليم الرشيد﴾ [أي: كما تزعم أنت لنفسك، أو:] قالوا ذلك استهزاءً، [من فرط جهلهم وعنادهم].

٨٨﴿قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقاً حسناً﴾ [واسعاً] حلالاً؟ أفأشوبه بالحرام، من البخس والتطفيف[1]؟! ﴿وما أريد أن أخالفكم﴾ وأذهب ﴿إلى ما أنهاكم عنه﴾ فأرتكبه ﴿إن﴾ ما ﴿أريد إلاَّ الإصلاح﴾ لكم، [أي: أن تُصلحوا دنياكم] بالعدل، [وآخرتكم بالعبادة] ﴿ما استطعت وما توفيقي﴾ قدرتي على ذلك وغيره من الطاعات ﴿إلاَّ بالله عليه توكلت وإليه أُنيب﴾ أرجع.

٨٩﴿ويا قوم لا يجرمنكم﴾ يُكْسِبَنَّكم[2] ﴿شقاقي﴾ خلافي، [وهو] فاعل: «يَجْرِم»، والضمير مفعول أول، [والمفعول] الثاني، [هو: المصدر المؤول من جملة:] ﴿أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح﴾ من العذاب، [أي: لا يُكسبنّكم خلافُكم لي، الإصابةَ بالعذاب، مثلَ ما أصاب غيركم، أي: لا تخالفوني فتهلكوا] ﴿وما قوم لوط﴾ أي: منازلهم، أو: زمن هلاكهم ﴿منكم ببعيد﴾ فاعتبروا.

---

(١) قوله: «والتطفيف»، سيأتي معناه في أول سورة المطفِّفين» ص ٧٩٦، وتقدم معنى «البخس» ص ٢٠٦.

(٢) قوله: «يكسبنكم» هذا معنى من معاني «يجرمنكم» وبه قال الزجاج، وعليه جرى السيوطي في تفسير الآية، وتابعنا توضيحها، وهناك معنى آخر لا بأس به هو: «يحملنكم» فيكون معنى الآية: «لا يحملنكم خلافكم لي، على ترك الإيمان، فيصيبكم ما أصاب الكفار قبلكم» قاله الحسن البصري وقتادة السَّدوسي رحمهما الله تعالى.

٩٠﴿واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم﴾[1] بالمؤمنين ﴿ودود﴾ محب لهم.

٩١﴿قالوا﴾ إيذاناً بقلة المبالاة ﴿يا شعيب ما نفقه﴾ نفهم ﴿كثيراً مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفاً﴾ ذليلاً ﴿ولولا رهطك﴾ عشيرتك ﴿لرجمناك﴾ بالحجارة ﴿وما أنت علينا بعزيز﴾ كريم عن الرجم، وإنما رهطك هم الأعزة.

٩٢﴿قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله﴾ فتتركوا[2] قتلي لأجلهم، ولا تحفظوني لله ﴿واتخذتموه﴾ أي: الله ﴿وراءكم ظهرياً﴾ [أي: جعلتم أمره] منبوذاً خلف ظهوركم، لا تراقبونه؟ ﴿إن ربي بما تعملون محيط﴾ علماً، فيجازيكم.

٩٣﴿ويا قوم اعملوا على مكانتكم﴾ حالتكم ﴿إني عامل﴾ على حالتي ﴿سوف تعلمون من﴾ موصولة، مفعول العِلْم ﴿يأتيه عذاب يخزيه﴾ [فليس كل عذاب يخزي ويُذِل، وفيه ردٌّ على تهديدهم له، بالرجم والتعذيب، أي: ليس ما تتوعدونني به من العذاب، هو المخزي، بل ما سيأتيكم من عذاب الله] ﴿و﴾ [ستعلمون أيضاً عند مجيء العذاب] ﴿من هو كاذب وارتقبوا﴾ انتظروا عاقبة أمركم ﴿إني معكم رقيب﴾ منتظر.

٩٤﴿ولما جاء أمرنا﴾ بإهلاكهم ﴿نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة﴾ صاح بهم جبريل ﴿فأصبحوا في ديارهم جاثمين﴾ باركين على الركب، ميتين.

٩٥﴿كأن﴾ مخففة، أي: كأنهم ﴿لم يغنوا﴾ يقيموا ﴿فيها ألا بعداً لمدين[3] كما بعدت ثمود﴾.

٩٦﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين﴾ برهان بيِّن ظاهر[4].

الجزء الثاني عشر

وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾

(١) قوله تعالى: ﴿واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه﴾ الآية
ارجع إلى تعليقنا ص ٢٩٢ حيث بينا بعض فضائل الاستغفار ومنافعه الدنيوية، وإلى تعليقنا حول «التوبة» ص ٧٥٢.

(٢) قوله: «فتتركوا»، هو منصوب بأن مضمرة وجوباً، بعد فاء السببية المسبوقة بالاستفهام، وفي بعض النسخ المطبوعة: «فتتركون» بثبوت النون وهو خطأ.

(٣) قوله تعالى: ﴿ألا بعداً لمدين كما بَعِدت ثمود﴾، ارجع إلى تعليقنا حول «مدين» ص ٢٩٦، و «ثمود» ص ٢٩٣.

(٤) قوله: «برهان بيِّن ظاهر» لقد أوتي موسى عليه الصلاة والسلام، آيات ومعجزات كثيرة، لفرعون وقومه من القبط، كاليد والعصا، ليؤمنوا به ويتبعوه، وكذلك أوتي آيات ومعجزات أخرى، لقومه بني إسرائيل، ليأخذوا ما جاءهم به من التوراة بجد واجتهاد، وليعودوا عن غيهم، وقد بينا ذلك كله في تعليقنا ص ٢٧٨، فارجع إليه ففيه فوائد.

٩٧﴿إلى فرعون وملائه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد﴾ سديد.

٩٨﴿يقدم﴾ يتقدم ﴿قومه يوم القيامة﴾ فيتبعونه كما اتبعوه في الدنيا ﴿فأوردهم﴾ أدخلهم ﴿النار وبئس الورد المورود﴾ هي.

٩٩﴿وأتبعوا في هذه﴾ أي: الدنيا ﴿لعنة ويوم القيامة﴾ لعنةً ﴿بئس الرِّفْد﴾ العون، [وهي اللعنة في الدنيا] ﴿المرفود﴾ رِفدُهم [أي: أُرفدت اللَّعنة الأولى، بلعنة أخرى تقويها، وتسميتها «رفداً»، تهكُّم بهم].

إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ﴿٩٧﴾ يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ ٱلۡمَرۡفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَۖ مِنۡهَا قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡۖ فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٖ مَّعۡدُودٖ ﴿١٠٤﴾ يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ

١٠٠﴿ذلك﴾ المذكور، مبتدأ، خبره ﴿من أنباء القرى نقصه عليك﴾ يا محمد، [لتخبر به قومك، ليعتبروا] ﴿منها﴾ أي: القرى ﴿قائم﴾ هلك أهله دونه ﴿و﴾ منها ﴿حصيد﴾ هلك بأهله، فلا أثر له، كالزرع المحصود بالمناجل.

١٠١﴿وما ظلمناهم﴾ بإهلاكهم بغير ذنب ﴿ولكن ظلموا أنفسهم﴾ بالشرك ﴿فما أغنت﴾ دفعت ﴿عنهم آلهتهم التي يدعون﴾ يعبدون ﴿من دون الله﴾ أي: غيره ﴿من﴾ زائدة ﴿شيء لما جاء أمر ربك﴾ عذابه ﴿وما زادوهم﴾ بعبادتهم لها ﴿غير تتبيب﴾ تخسير.

١٠٢﴿وكذلك﴾ مثل ذلك الأخذ ﴿أخذ ربك إذا أخذ القرى﴾ أريد أهلها ﴿وهي ظالمة﴾[1] بالذنوب، أي: فلا يغني عنهم من أخذه شيء ﴿إن أخذه أليم شديد﴾ روى الشيخان، عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله لَيُمْلي[2] للظالم حتى إذا أخذه لم يُفْلِتْهُ» ثم قرأ رسول الله ﷺ: «وكذلك أخذ ربك» الآية.

١٠٣﴿إن في ذلك﴾ المذكور من القصص ﴿لآية﴾ لعبرة ﴿لمن خاف عذاب الآخرة ذلك﴾ أي: يوم القيامة ﴿يوم مجموع له﴾ فيه ﴿الناس وذلك يوم مشهود﴾ يشهده جميع الخلائق.

١٠٤﴿وما نؤخره إلاّ لأجل معدود﴾ لوقت معلوم عند الله.

١٠٥﴿يوم يأتِ﴾ ذلك اليوم ﴿لا تكلم﴾ فيه حذف إحدى التاءين، [أصله: لا تتكلم] ﴿نفس إلاّ بإذنه﴾ تعالى.

---

(١) قوله تعالى: ﴿وهي ظالمة﴾، ارجع إلى تعليقنا حول «الظلم» ص ١٢٨.

(٢) قوله ﷺ: «ليملي للظالم»، أي: يُمْهله، يقال: «أملى له في غَيِّه، وأملى الله له: أمهله وطَوَّل له»، ومنه قوله تعالى في الكافرين: ﴿وأُملي لهم﴾ أي: أمهلهم ﴿إن كيدي متين﴾.

﴿فمنهم﴾ أي: الخلق ﴿شقي و﴾ منهم ﴿سعيد﴾ كتب كل ذلك في الأزل. ١٠٦﴿فأما الذين شقوا﴾ في علمه تعالى ﴿ففي النار لهم فيها زفير﴾ صوت شديد ﴿وشهيق﴾ صوت ضعيف[1]. ١٠٧﴿خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض﴾ أي: مدة دوامهما في الدنيا ﴿إلّا﴾ غير ﴿ما شاء ربك﴾ من الزيادة على مدتهما، مما لا منتهى له، والمعنى: خالدين فيها أبداً ﴿إن ربك فعال لما يريد﴾. ١٠٨﴿وأما الذين سعدوا﴾ بفتح السين وضمها ﴿ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلّا﴾ غير ﴿ما شاء ربك﴾ كما تقدم، ودل عليه، [أي: على الخلود] فيهم، [أي: في السعداء] قولُه: ﴿عطاء غير مجذوذ﴾ مقطوع، وما تقدم من التأويل، هو الذي ظهر، وهو خالٍ من التكلُّف، والله أعلم بمراده[2]. ١٠٩﴿فلا تك﴾ يا محمد ﴿في مرية﴾ شك ﴿مما يعبد هؤلاء﴾ من الأصنام، إنا نعذبهم كما عذبنا من قبلهم، وهذا تسلية للنبي ﷺ ﴿ما يعبدون إلّا كما يعبد آباؤهم﴾ أي: كعبادتهم ﴿من قبل﴾ وقد عذبناهم ﴿وإنا لموفوهم﴾ مثلهم ﴿نصيبهم﴾ حظهم من العذاب ﴿غير منقوص﴾ أي: تاماً. ١١٠﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ التوراة ﴿فاختلف فيه﴾ بالتصديق والتكذيب، كالقرآن ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ بتأخير الحساب والجزاء للخلائق، إلى يوم القيامة ﴿لقضي بينهم﴾ في الدنيا، فيما اختلفوا فيه ﴿وإنهم﴾ أي: المكذبين به ﴿لفي شك منه مريب﴾ موقع في الريبة.

١١١﴿وإن﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿كلًّا﴾ أي: كل الخلائق ﴿لما﴾ [بتخفيف الميم، و]، «ما» زائدة، واللام موطئة لقسم مقدر، أو: فارقة [بين «إن» المهملة والنافية]، وفي قراءة بتشديد «لما»، بمعنى: «إلّا»، [فالقراءات أربع سبعية]، فـ «إن» [على قراءة التخفيف، بمعنى «ما»]، نافية ﴿ليوفينهم ربك أعمالهم﴾ أي: جزاءها ﴿إنه بما يعملون خبير﴾ عالم ببواطنه كظواهره.

١١٢﴿فاستقم﴾ على العمل بأمر ربك، والدعاء إليه ﴿كما أمرت و﴾ ليستقم ﴿من تاب﴾ آمن ﴿معك ولا تطغوا﴾ تجاوزوا حدود الله ﴿إنه بما تعملون

فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۖ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ ۚ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

ربع الحزب

---

(١) قوله: «صوت ضعيف»ما ذكره السيوطي في تفسير «الزفير والشهيق» مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورُوي عن آخرين أقوال أخرى، ولكن الصحيح الذي تساعد عليه اللغة: أن «الزفير» هو: أول صوت الحمار، و «الشهيق» آخره، وكلاهما يصدران عن الحمار بقوة وشدة، ولولا ذلك لَمَا كان صوته أنكر الأصوات، ومعلوم أن الزفير: صوت يحدث عند إخراج الهواء من الصدر بقوة، والشهيق عند استنشاقه. وهما يصدران عن الإنسان أيضاً، إذا كان مرهقاً من التعب، ولا تعب أشد من عذاب النار، أي تنفسهم «زفير»، وأخذهم النَّفَسَ «شهيق».

(٢) قوله: «والله أعلم بمراده» أي: بالاستثناء في هاتين الآيتين، فوجهه السيوطي بما ذكره، ولقد فصلنا القول في معنى هذا الاستثناء في تعليقنا على قوله تعالى: ﴿قال النار مثواكم خالدين فيها إلّا ما شاء الله﴾ الآية «١٢٧» من سورة «الأنعام» ص ١٨٤، فارجع إليه ففيه فوائد.

بصير﴾ فيجازيكم به ١١٣﴿ولا تركنوا﴾ تميلوا ﴿إلى الذين ظلموا﴾ بمودة، أو: مداهنة، أو: رضا بأعمالهم ﴿فتمسكم﴾ تصيبكم ﴿النار وما لكم من دون الله﴾ أي: غيره ﴿من﴾ زائدة ﴿أولياء﴾ يحفظونكم منه ﴿ثم لا تنصرون﴾ تمنعون من عذابه.

١١٤﴿وأقم الصلاة طرفي النهار﴾ الغداة والعشي، أي: الصبح والظهر والعصر ﴿وزلفاً﴾ جمع «زُلفة»، أي: طائفة ﴿من الليل﴾ المغرب والعشاء ﴿إن الحسنات﴾[1] كالصلوات الخمس ﴿يذهبن السيئات﴾ الذنوب الصغائر، نزلت فيمن قبّل أجنبية، [هو أبو اليَسَر: كعب بن عمرو السَّلَمي الأنصاري، وقيل غيره] فأخبره ﷺ، فقال: ألِيَ هذا؟ فقال: «لجميع أمتي كلِّهم» رواه الشيخان، [ولفظ البخاري: «لمن عمل بها من أمتي»] ﴿ذلك ذكرى للذاكرين﴾ عظة للمتعظين.

١١٥﴿واصبر﴾ يا محمد على أذى قومك، أو: على الصلاة ﴿فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ بالصبر على الطاعة.

١١٦﴿فلولا﴾ فهلاّ ﴿كان من القرون﴾ الأمم الماضية ﴿من قبلكم أولو بقية﴾ أصحاب دين وفضل ﴿ينهون عن الفساد في الأرض﴾ المراد به النفي، أي: ما كان فيهم ذلك ﴿إلاّ﴾ لكن ﴿قليلاً ممن أنجينا منهم﴾ نَهَوْا فَنَجَوْا، و«منْ» للبيان ﴿واتبع الذين ظلموا﴾ بالفساد وترك النهي ﴿ما أترفوا﴾ نعموا ﴿فيه وكانوا مجرمين﴾.

١١٧﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم﴾ منه لها ﴿وأهلها مصلحون﴾ مؤمنون.

١١٨﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة﴾ أهلَ دينٍ واحد ﴿ولا يزالون مختلفين﴾ في الدين. ١١٩﴿إلاّ من رحم ربك﴾ أراد لهم الخير، فلا يختلفون فيه ﴿ولذلك خلقهم﴾ أي: أهل الاختلاف له، وأهل الرحمة لها ﴿وتمت كلمة ربك﴾ وهي ﴿لأملأن جهنم من الجنة﴾ الجن ﴿والناس أجمعين﴾ [أي: من الكافرين من الثقلين، وهذا يدل على دخول الجن النار، وعذابهم فيها، كالإنس].

١٢٠﴿وكُلاًّ﴾ نُصب بـ«نَقُصُّ»، وتنوينه عوض عن المضاف إليه، أي: كلَّ ما يُحْتَاجُ إليه ﴿نقص عليك

بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ

(١) قوله تعالى: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾، وروى أحمد والترمذي ـ وقال: حسن صحيح ـ والحاكم وغيرهم، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «اتق الله حيثما كنتَ، وأَتْبِع السيئةَ الحسنة تمحها، وخالق الناس بخُلُقٍ حَسَنٍ»، يعني: لا يُعجزنك أيها الإنسان إذا فرطت منك سيئة، أن تتبعها بحسنة كصلاة وصدقة، فإن هذه تُذهب تلك، ولكن لا يجوز استسهال الذنوب واستهوانها، كما يفعل بعض الجهلة، الذين يقترفون الخطايا من الصغائر ثم يقولون: «هذه ليست كبائر، وبعد قليل سنتوضأ ونصلي، فهذه بتلك»، فهذا من خداع الشيطان وغروره، وهو ما حذرنا منه النبي ﷺ فقد روى أحمد ـ ورواته محتج بهم في الصحيح ـ عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، =

من أنباء الرسل ما﴾ بدل من «كلاً» ﴿نثبت﴾ نطمئن ﴿به فؤادك﴾ قلبك ﴿وجاءك في هذه﴾ الأنباء، أو: الآيات ﴿الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين﴾ خصوا بالذكرى، لانتفاعهم بها في الإيمان، بخلاف الكفار.

١٢١ ﴿وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم﴾ حالتكم ﴿إنا عاملون﴾ على حالتنا، تهديد لهم.

١٢٢ ﴿وانتظروا﴾ عاقبة أمركم ﴿إنا منتظرون﴾ ذلك.

١٢٣ ﴿ولله غيب السماوات والأرض﴾ أي: علم ما غاب فيهما ﴿وإليه يَرْجِعُ﴾ بالبناء للفاعل، [أي:] يعود، و [في قراءة بالبناء] للمفعول، [أي:] «يُرَدُّ» ﴿الأمر كله﴾ فينتقم ممن عصى ﴿فاعبده﴾ وَحْدَهُ ﴿وتوكل عليه﴾ ثق به، فإنه كافيك ﴿وما ربك بغافل عما يعملون﴾ وإنما يؤخرهم لوقتهم، وفي قراءة بالفوقانية.

مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

(١٢) سُورَةُ يُوسُفَ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا إِحْدَى عَشْرَةَ وَمِائَة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ

﴿سُورَةُ يُوسُفَ(١)﴾
[عليه السلام]

(مكية، مائة وإحدى عشرة آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ﴿الر﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تلك﴾ هذه الآيات ﴿آيات الكتاب﴾ القرآن، الإضافة بمعنى: «مِنْ» ﴿المبين﴾ المظهر للحق من الباطل.

٢ ﴿إنا أنزلناه قرآناً عربياً﴾ بلغة العرب ﴿لعلكم﴾ يا أهل مكة، [وغيرها من العرب] ﴿تعقلون﴾ تفهمون معانيه، [لأنكم عربيون فصحاء]. ٣ ﴿نحن نقص عليك

= أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم ومحقَّرات الذنوب، فإنما مَثَلُ محقَّرات الذنوب، كمثل قوم نزلوا بطن وادٍ، فجاء ذا بعود، وجاء ذا بعود، حتى حملوا ما أنضجوا به خبزهم، وإن محقَّرات الذنوب، متى يؤخَذْ بها صاحبها تهلكْهُ»، أي: متى يدان ويحاسب بها يوم القيامة يهلك مع الهالكين.

وروى الطبراني وأبو يعلى مثله، عن ابن مسعود مرفوعاً ورواه الطبراني والبيهقي عن ابن مسعود أيضاً موقوفاً عليه.

(١) قوله: «سورة يوسف» ذكرت قصة يوسف عليه السلام في هذه السورة فقط، ولم تذكر في غيرها، وهي من عجائب القصص القرآني، لأنها تروي بكل صراحة ووضوح، كيف مالت امرأة العزيز إلى يوسف، وشغفها حباً، بأسلوب رصين، لا يثير في نفس القارىء شعوراً سيئاً، ولو أن قصة يوسف هذه، جاءت في غير القرآن، لكانت قصة تَفْتِن الناس، وهذا من إعجاز القرآن الكريم، قال عالم الحجاز عطاء بن أبي رباح: «لا يسمع سورة يوسف محزون إلاّ استراح».

ومما ينبغي التنبيه إليه: أن بعض القُصّاص والمفسرين، يتوسعون في تفصيل القصص الواردة في القرآن الكريم، بما لا دليل لهم عليه، بل وأحياناً بما لا يجوز أن يُنسب إلى نبي، فكانت قصة يوسف عليه السّلام مجالاً واسعاً لهم، فدسُّوا فيها من الأخبار والأقوال، ما لا يليق بيوسف ــ وهو الرسول ــ خاصةً عند تفسير قوله تعالى: ﴿ولقد هَمَّت به وهمَّ بها﴾، كما سيأتي ص ٣٠٦، ولقد بيَّنّا وجه الصواب في جميع ما قيل عن الأنبياء في مواضعه، بما يكشف الغشاوة، ويزيل الشك، بفضل الله تعالى.

أحسن القصص بما أوحينا﴾ بإيحائنا ﴿إليك هذا القرآن وإن﴾ مخففة، أي: وإنه ﴿كنت من قبله لمن الغافلين﴾. ٤ اذكر ﴿إذ قال يوسف لأبيه﴾ يعقوب ﴿يا أبتِ﴾ بالكسر، دلالة على ياء الإضافة المحذوفة، والفتح دلالة على ألف محذوفة، قُلبت عن الياء ﴿إني رأيت﴾ في المنام[1] ﴿أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم﴾ تأكيد ﴿لي ساجدين﴾ جمع بالياء والنون، للوصف بالسجود، الذي هو من صفات العقلاء.

٥ ﴿قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً﴾ يحتالوا في هلاكك[2] حسداً، لعلمهم بتأويلها، من أنهم [هم]: الكواكب، والشمسَ: أُمُّك، والقمرَ: أبوك ﴿إن الشيطان للإنسان عدو مبين﴾ ظاهر العداوة.

أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ۞ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ

نصف الحزب

٦ ﴿وكذلك﴾ كما رأيت ﴿يجتبيك﴾ يختارك ﴿ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث﴾ تعبير الرؤيا ﴿ويتم نعمته عليك﴾ بالنبوة ﴿وعلى آل يعقوب﴾ أولاده ﴿كما أتمها﴾ بالنبوة ﴿على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم﴾ بخلقه ﴿حكيم﴾ في صنعه بهم.

٧ ﴿لقد كان في﴾ خبر ﴿يوسف وإخوته﴾[3] وهم أحد عشر ﴿آيات﴾ عِبَرٌ ﴿للسائلين﴾ عن خبرهم.

٨ اذكر ﴿إذ قالوا﴾ أي: بعض إخوة يوسف لبعضهم ﴿ليوسف﴾ مبتدأ ﴿وأخوه﴾ شقيقه «بنيامين» ﴿أحب﴾ خبر [المبتدأ] ﴿إلى أبينا منا ونحن عصبة﴾ جماعة ﴿إن أبانا لفي ضلال﴾ خطأ ﴿مبين﴾ بيِّن، بإيثارهما علينا.

٩ [ثم تشاوروا بينهم، فيما يفعلونه بيوسف، فقال بعضهم:] ﴿اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً﴾ أي: بأرض بعيدة ﴿يخل

---

(١) قوله: «في المنام» ارجع إلى تعليقنا حول «الرؤيا والحُلم» ص ٢٧٦.

(٢) قوله: «يحتالوا في هلاكك حسداً»، «الحسد»: هو «تمني زوال النعمة عن صاحبها»، سواء كانت نعمة دين أو نعمة دنيا، وهو من أمراض القلوب، التي أمرنا الله بالاستعاذة من شر صاحبها بقوله: ﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾ وروى أبو داود، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب» أو قال: «العشب»؛ وجاء في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، الذي رواه الشيخان قوله ﷺ: «ولا تحاسدوا».

أما أن يتمنى الإنسان لنفسه مثلَ ما عند غيره، فهذه هي «الغبطة»، وهي محمودة لا شيء فيها، وإياها يعني النبيُّ ﷺ بالحسد، في الحديث الذي رواه الشيخان، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا حسد إلاّ في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً، فسلّطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة، فهو يقضي بها ويعلمها» وفي رواية أخرى لهما عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، ذُكر فيها المال، و «رجل آتاه الله القرآن، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار».

(٣) قوله تعالى: ﴿لقد كان في يوسف وإخوته﴾، هؤلاء هم بنو إسرائيل أولاد يعقوب عليه السلام، ارجع إلى تعليقنا حول «الأسباط» لمعرفة الأنبياء منهم ص ٢٦، وإلى تعليقنا حول «بني إسرائيل» ص ١٠، وإلى كتابنا: «بنو إسرائيل واليهود، تاريخ ومصير».

لكم وجه أبيكم﴾ بأن يقبل عليكم، ولا يلتفت لغيركم ﴿وتكونوا من بعده﴾ أي: بعد قتل يوسف أو طرحه ﴿قوماً صالحين﴾ بأن تتوبوا.

١٠ ﴿قال قائل منهم﴾ هو «يهوذا» ﴿لا تقتلوا يوسف وألقوه﴾ اطرحوه ﴿في غيابت الجب﴾[1] مظلم البئر، وفي قراءة: [«غيابات»] بالجمع ﴿يلتقطه بعض السيارة﴾ المسافرين ﴿إن كنتم فاعلين﴾ ما أردتم، من التفريق [بين يوسف وأبيه]، فاكتفُوا بذلك، [ثم تشاوروا بينهم مرة أخرى، لتنفيذ كيدهم، فاتفقوا على أخذه من أبيه بحيلة، فأتوا والدهم].

١١ ﴿قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون﴾ لقائمون بمصالحه.

لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا

١٢ ﴿أرسله معنا غداً﴾ إلى الصحراء ﴿نرتع ونلعب﴾ بالنون والياء فيهما، نَنْشَطْ [بالمسابقة ورمي السهام]، ونتسع [بأكل الثمار والطعام] ﴿وإنا له لحافظون﴾.

١٣ ﴿قال إني ليحزنني أن تذهبوا﴾ أي: ذهابكم ﴿به﴾ لفراقه ﴿وأخاف أن يأكله الذئب﴾ المراد به الجنس، وكانت أرضهم كثيرة الذئاب ﴿وأنتم عنه غافلون﴾ مشغولون.

١٤ ﴿قالوا لئن﴾ لام قسم ﴿أكله الذئب ونحن عصبة﴾ جماعة ﴿إنا إذاً لخاسرون﴾ عاجزون. [أي: نحن نحميه من الذئاب، فلا تَخَفْ عليه]، فأرْسَلَه معهم.

١٥ ﴿فلما ذهبوا به وأجمعوا﴾ عزموا ﴿أن يجعلوه في غيابت الجب﴾ وجواب «لمَّا» محذوف، أي: فعلوا ذلك، بأن نزعوا قميصه، بعد ضربه وإهانته، وإرادة قتله، وأَدْلَوْه، فلما وصل إلى نصف البئر، ألقوه ليموت، فسقط في الماء، ثم أوى إلى صخرة، فنادوه فأجابهم ـ يظن رحمتهم ـ فأرادوا رضخه بصخرة، فمنعهم «يهوذا» ﴿وأوحينا إليه﴾ في الجُبِّ، وحيَ حقيقة[2]، وله سبع عشرة سنة، أو دونها، تطميناً لقلبه ﴿لتنبئنهم﴾ بعد اليوم ﴿بأمرهم﴾ بصنيعهم ﴿هذا وهم لا يشعرون﴾ بك حالَ الإنباء.

١٦ ﴿وجاؤوا أباهم عشاء﴾ وقت المساء ﴿يبكون﴾.

١٧ ﴿قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق﴾ نرمي ﴿وتركنا يوسف عند متاعنا﴾ ثيابنا ﴿فأكله الذئب وما أنت بمؤمن﴾ بمصدق ﴿لنا

---

(١) قوله تعالى: ﴿في غيابات الجب﴾، قال «ياقوت الحموي» في «معجم البلدان»: كان مقام يعقوب في قرية يقال لها «سَيْلُون»، بأرض «نابلس»، وبه الجُبُّ الذي ألقي يوسف فيه، معروف بين «سِنْجِل» و «نابلس»، عن يمين الطريق. اهـ.

(٢) قوله: «وحي حقيقة» أي: بواسطة جبريل عليه السّلام. وقيل: هو وحي إلهام، أي: ألهمه الله تعالى بما سيحصل له بعد ذلك، ولا مانع من القول بأحد هذين القولين، لأن المقصود هنا من الإيحاء إليه، تطمين قلبه عليه السّلام، وإيناسه والتخفيف عليه.

ولو كنا صادقين﴾ عندك، لاتَّهمتنا في هذه القصة، لمحبة يوسف، فكيف وأنت تسيء الظن بنا؟. ١٨﴿وجاؤوا على قميصه﴾ محله نصب على الظرفية، أي: فوقه ﴿بدم كذب﴾ أي: ذي كذب، بأن ذبحوا «سَخْلَة»، [ــ وهي المولودة لساعتها من الغنم، والمعز ــ] ولطخوه بدمها، وذَهَلُوا عن شَقِّه، [أي: عن شق القميص]، وقالوا: إنه دمه ﴿قال﴾ يعقوب، لمَّا رآه صحيحاً، وعلم كذبهم: ﴿بل سوَّلت﴾ زينت ﴿لكم أنفسكم أمراً﴾ ففعلتموه به ﴿فصبر جميل﴾ لا جزع فيه، وهو خبر مبتدأ محذوف، أي: أمري، [أي: أما أمري، فصبر جميل] ﴿والله المستعان﴾ المطلوب منه العون ﴿على ما تصفون﴾ تذكرون من أمر يوسف. ١٩﴿وجاءت سيارة﴾ مسافرون من «مَدْيَنَ»[1] إلى مصر، فنزلوا قريباً من جب

سُورَةُ يُوسُفَ ١٢

وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۢ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ

٣٠٥

يوسف ﴿فأرسلوا واردهم﴾ الذي يرد الماء، ليستقي منه ﴿فأدلى﴾ أرسل ﴿دلوه﴾ في البئر، فتعلق بها يوسف، فأخرجه، فلما رآه ﴿قال يا بشراي﴾ وفي قراءة: «بشرى»، ونداؤها مجاز، أي: احضري فهذا وقتك ﴿هذا غلام﴾ فعلم به إخوته، [أي: إخوة يوسف، وكانوا منتظرين قرب البئر]، فأتوه ﴿وأسروه﴾ أي: أخفوا أمره، جاعليه ﴿بضاعة﴾ بأن قالوا: هذا عبدنا أَبَقَ، وسكت يوسف، خوفاً أن يقتلوه ﴿والله عليم بما يعملون﴾. ٢٠﴿وشروه﴾ باعوه منهم ﴿بثمن بخس﴾ ناقص ﴿دراهم معدودة﴾ عشرين، أو: اثنين وعشرين ﴿وكانوا﴾ أي: إخوته [أو الذين اشتروه] ﴿فيه من الزاهدين﴾ فجاءت به السيارة إلى مصر، فباعه الذي اشتراه، [قيل:] بعشرين ديناراً، وزوجي نعل وثوبين. ٢١﴿وقال الذي اشتراه من مصر﴾ وهو: «قطفير» العزيز ﴿لامرأته﴾ زَليخا ﴿أكرمي مثواه﴾ مقامه عندنا ﴿عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً﴾ وكان [العزيز] حصوراً، [لا يأتي النساء، مع قدرته على ذلك، أو عقيماً] ﴿وكذلك﴾ كما نجيناه من القتل والجُبِّ، وعَطَّفْنا عليه قلب العزيز ﴿مكَّنا ليوسف في الأرض﴾ أرض مصر، حتى بلغ ما بلغ ﴿ولنعلمه من تأويل الأحاديث﴾ تعبير[2] الرؤيا، عطف على مقدَّر، متعلِّق بـ «مكَّنَّا»، أي: لنملِّكه، أو الواو زائدة، ﴿والله غالب على أمره﴾ تعالى، لا يعجزه شيء، [وقال سعيد بن جبير: فعَّال لما يشاء] ﴿ولكن أكثر الناس﴾ وهم الكفَّار ﴿لا يعلمون﴾ ذلك. ٢٢﴿ولما بلغ أشده﴾ وهو ثلاثون سنة، أو: وثلاث ﴿آتيناه حكماً﴾ حكمة ﴿وعلماً﴾ فقهاً في الدين، قبل أن يُبعث نبياً ﴿وكذلك﴾ كما جزيناه ﴿نجزي المحسنين﴾ لأنفسهم. ٢٣﴿وراودته التي هو في بيتها﴾ هي زليخا ﴿عن نفسه﴾ أي: طلبت منه أن يواقعها

---

(١) قوله: «مدين» هي: بلدة «شعيب» عليه السَّلام وقومه، ارجع إلى تعليقنا «حولها» ص ٢٩٦.

(٢) قوله: «تعبير الرؤيا»، ارجع إلى تعليقنا حول «الرؤيا والحُلم» ص ٢٧٦ ففيه فوائد.

﴿وغلقت الأبواب﴾ للبيت ﴿وقالت﴾ له ﴿هيت لك﴾ أي: هلمَّ، واللام للتبيين، وفي قراءة، بكسر الهاء [مع فتح التاء، كـ «قيل»]، و [في قراءة] أخرى، بضم التاء [مع فتح الهاء، كـ «حَيْثُ»] ﴿قال معاذ الله﴾ أعوذ بالله من ذلك ﴿إنه﴾ الذي اشتراني ﴿ربي﴾ سيدي ﴿أحسن مثواي﴾ مقامي، فلا أخونه في أهله، [أو: أن الضمير في: «إنه ربي»، يعود إلى الله تعالى، وهو الأقرب والأحسن] ﴿إنه﴾ أي: الشأن ﴿لا يفلح الظالمون﴾ الزناة.

٢٤ ﴿ولقد همت به﴾[1] قصدت منه الجماع، [أو: لتبطش به، لعصيانه أمرها] ﴿وهمَّ بها﴾ [ليضربها، أو: ليدفعها عنه، ولا يجوز أن يقال:] قصد ذلك، [أي: الجماع، لأنه معصوم عن ذلك] ﴿لولا أن رأى برهان ربه﴾ قال ابن عباس [في قوله تعالى: «لولا أن رأى برهان ربه»]: «مَثَّلَ له يعقوب، فضرب صدره فخرجت شهوته من أنامله»، [رواه الحاكم وصحَّحه، وأقرَّه الذهبي]، [قيل:] وجواب «لولا»: «لجامعها» [اقرأ التعليق] ﴿كذلك﴾ أريناه البرهان ﴿لنصرف عنه السوء﴾ الخيانة ﴿والفحشاء﴾ الزنا ﴿إنه من عبادنا المخلَصين﴾ في الطاعة، [بكسر اللام]، وفي قراءة بفتح اللام، أي: المختارين.

٢٥ ﴿واستبقا الباب﴾ بادر إليه يوسف للفرار، وهي للتشبث فيه، فأمسكت ثوبه وجذبته إليها ﴿وقدت﴾ شقت ﴿قميصه من دبر وألفيا﴾ وجدا ﴿سيدها﴾ زوجها ﴿لدى الباب﴾ فنزهت نفسها، ثم ﴿قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً﴾ زناً ﴿إلا أن يسجن﴾ يحبس، أي: [إما] سِجْنٌ ﴿أو عذابٌ أليم﴾ مؤلم، بأن يُضرب.

٢٦ ﴿قال﴾ يوسف متبرئاً ﴿هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها﴾ ابن عمها، روي أنه كان في المهد، [أخرج ذلك أحمد والبيهقي وغيرهما عن ابن عباس]، فقال [الشاهد]: ﴿إن كان قميصه قُدَّ﴾ شُقَّ ﴿من قُبل﴾ قُدَّامٍ ﴿فصدقت وهو من الكاذبين﴾.

٢٧ ﴿وإن كان قميصه قُدَّ من دبر﴾ خلف ﴿فكذبت وهو من الصادقين﴾.

٢٨ ﴿فلما رأى﴾ زوجها ﴿قميصه قد من دبر قال إنه﴾ أي: قولُكِ «ما جزاء من أراد» إلخ ﴿من كيدكن﴾ [مكركن وخداعكن] ﴿إن كيدكن﴾ أيها النساء ﴿عظيم﴾. ٢٩ ثم قال: يا ﴿يوسف أعرض عن هذا﴾ الأمر، ولا تذكره، لئلا يشيع

وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا

(١) قوله تعالى: ﴿ولقد همّت به وهمّ بها﴾ الآية ٢٤. دع عنك ما ذهب إليه السيوطي وغيره في تفسير هذه الآية، ولا تلتفت إليه، ولا تعتمد عليه، لأنهم نقلوا من غير تحقيق، وفسّروا الآية معتمدين على روايات لا يجوز الاعتماد عليها، وإليك خلاصة جُهْدٍ يعلم الله تعالى وحده مداه، بذلناه في تتبع تلك الروايات، التي نُسجت حول قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز، بحثاً عن تفسير صحيح لهذه الآية، =

﴿واستغفري﴾ يا زليخا ﴿لذنبك إنك كنت من الخاطئين﴾ الآثمين، واشتهر الخبر وشاع. ٣٠﴿وقال نسوة في المدينة﴾ بمدينة مصر ﴿امرأة العزيز تراود فتاها﴾ عبدها ﴿عن نفسه قد شغفها حباً﴾ تمييز، أي: دخل حبه شغاف قلبها، أي: غلافه ﴿إنا لنراها في ضلال﴾ أي: في خطأ ﴿مبين﴾ بيِّن، بحبها إياه. ٣١﴿فلما سمعت بمكرهن﴾ غِيبتِهِنَّ لها ﴿أرسلت إليهن وأعتدت﴾ أعدت ﴿لهن متكأً﴾ طعاماً يُقطع بالسكين، للاتكاء عنده، [على عادة المتكبرين]، وهو: الأُترجُّ ﴿وآتت﴾ أعطت ﴿كل واحدة منهن سكيناً وقالت﴾ ليوسف ﴿أخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه﴾ أعظمنه ﴿وقطعن أيديهن﴾ بالسكاكين، ولم يشعرن بالألم، لشغل قلبهن بيوسف ﴿وقلن حاش لله﴾ تنزيهاً له ﴿ما هذا﴾ أي: يوسف ﴿بشراً إن﴾ ما ﴿هذا إلاَّ ملك كريم﴾ لما حواه من الحسن، الذي لا يكون عادةً في النَّسَمَة البشرية، وفي الحديث: «أنه أعطي شطر الحُسْن»، [رواه مسلم في حديث المعراج، وغيرُهُ].
٣٢﴿قالت﴾ امرأة العزيز، لمَّا رأت ما حلَّ بهن: ﴿فذلكن﴾ فهذا هو ﴿الذي لمتنني فيه﴾ في حبه، بيان لعذرها ﴿ولقد راودته عن نفسه فاستعصم﴾ امتنع ﴿ولئن لم يفعل ما آمره﴾ به ﴿ليسجنن وليكوناً من الصاغرين﴾ الذليلين. [وفي قولها هنا: «ليسجنَنَّ»، وقوله قبله: «إلاَّ أن يُسجن أو عذاب أليم»، ثم اعترافُها جهرةً أمام الملك، إشارة إلى تسلُّط النساء في ذلك الوقت، على الرجال، حتى في الحكم].
٣٣ فقلن له: أطع مولاتك ﴿قال رب السجن أحب إليَّ مما يدعونني إليه وإلاَّ تصرف عني كيدهن أصب﴾ أمل ﴿إليهن وأكن﴾ أصِر ﴿من الجاهلين﴾ المذنبين، والقصد بذلك الدعاء، فلذا قال تعالى: ٣٤﴿فاستجاب له ربه﴾ دعاءه

سُورَةُ يُوسُفَ ١٢

وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ

٢٠٧

= لا يتعارض مع غيرها من الآيات، ولا يتناقض مع منزلة الأنبياء، ولكي يكون المعنى واضحاً، فقد حددنا من الآية مسائل، ثم شرحناها، مراعين الأمور التالية:

١ ــ اختلف علماء اللغة في جواز تقديم جواب «لولا» عليها، فقال بعضهم: بالجواز، وعليه: فإن يوسف لم يهمّ بها أصلاً، وقال آخرون: بعدم جوازه، وعليه: فإن يوسف قد همّ بها كما سنبيِّن.

٢ ــ وأما قُرّاء القرآن، فقد اتفق جمهورهم على الوقف عند قوله تعالى: ﴿ولقد همت به﴾، إذ بهذا الوقف يتخلص القارىء من شيء لا يليق بنبي، وهو: أن يَهُمّ بامرأة، وينفصل قوله تعالى: ﴿وهمّ بها﴾ من حكم القَسَم قبله، أي: «ولقد»، ويصير: ﴿وهمّ بها﴾، مُستأنفاً، إذ الهمُّ منه منفيٌّ لوجود البرهان.

٣ ــ وأمامنا أيضاً روايات ــ ملفقة باطلة ــ قالت عن يوسف: إنه حلَّ سراويله، وقعد منها مقعد الخائن، أو: مقعد الرجل من المرأة، ثم امتنع بعد أن رأى والده يعقوب عاضاً على أصبعه يقول له: يوسف.. يوسف... إلى غير ذلك من الإسرائيليات المردودة.

٤ ــ وأمامنا كذلك، أقوال الذين فسروا هذه الآية، بناءً على تلك الروايات، ولم يُظهروا ما فيها من خلل، خلافاً لما هو الواجب.

٥ ــ وبين أيدينا أقوال علماء آخرين، ممن تَصَدُّوا لتلك الأقوال والروايات، بالمناقشة والتحقيق والبيان فمع ملاحظة هذه الأمور، سنبحث في المسائل الآتية فنقول: =

﴿فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع﴾ للقول ﴿العليم﴾ بالفعل. ٣٥ ﴿ثم بدا﴾ ظهر ﴿لهم من بعد ما رأوا الآيات﴾ الدالات على براءة يوسف، أن يسجنوه، دلّ على هذا: ﴿ليسجننه حتى﴾ إلى ﴿حين﴾ ينقطع فيه كلام الناس، فسُجن. ٣٦ ﴿ودخل معه السجن فتيان﴾ غلامان للملك، أحدهما ساقيه، والآخر صاحب طعامه، فرأياه يَعْبُرُ الرؤيا، فقالا: لنختبرنه ﴿قال أحدهما﴾ وهو: الساقي ﴿إني أراني أعصر خمراً﴾ أي: عنباً [نتخذ منه خمراً] ﴿وقال الآخر﴾ وهو: صاحب الطعام ﴿إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه نبئنا﴾ خبِّرنا ﴿بتأويله﴾ بتعبيره ﴿إنا نراك من المحسنين﴾. ٣٧ ﴿قال﴾ لهما، مخبراً أنه عالم بتعبير الرؤيا: ﴿لا يأتيكما طعام ترزقانه﴾ في منامكما ﴿إلا نبأتكما بتأويله﴾ في اليقظة ﴿قبل أن يأتيكما﴾ تأويله ﴿ذلكما مما علمني ربي﴾ فيه حث على إيمانهما، ثم قواه بقوله ﴿إني تركت ملة﴾ دين ﴿قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم﴾ تأكيد ﴿كافرون﴾. ٣٨ ﴿واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان﴾ ينبغي ﴿لنا أن نشرك بالله من﴾ زائدة ﴿شيء﴾ لعصمتنا ﴿ذلك﴾ التوحيد ﴿من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس﴾ وهم الكفار ﴿لا يشكرون﴾ الله، فيشركون. ٣٩ ثم صرح بدعائهما إلى الإيمان فقال: ﴿يا صاحبي﴾ ساكني ﴿السجن أأرباب

فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ

= * أولاً: «من هو يوسف؟».

أخرج البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسولُ الله ﷺ: أيُّ الناس أكرم؟.. قال: «أكرمهُم عند الله أتقاهم»، قالوا: ليس عن هذا نسألُك، قال: «فأكرم الناس: يوسُفُ، نبيُّ الله، ابن نبيِّ الله، ابن نبيِّ الله، ابن خليل الله». الحديث... يعني: ابن يعقوب، بن إسحاق، بن إبراهيم، عليهم الصلاة والسلام.

هذا هو «يوسف» كما وصفه رسولنا محمد ﷺ في هذا الحديث الصحيح، فهل يفعل أكرم الناس، ما قيل في تلك الروايات إنه فعله مع امرأة العزيز؟.

* ثانياً: «ماذا قال العلماء في هذه الروايات؟».

قال الشهاب الخفاجي في «شرح الشفا»: وما وقع في القصص من حلّ السراويل وما بعده.. كذب لا أصل له. اهـ. حتى إن الزمخشري في «الكشاف»، ردّها بشدة، ومثله فعل الرازي في تفسيره، وقال الزمخشري: «ولو أن أوقح الزناة وأشطرهم، وأحدُّهم حَدَقَةً ــ أي: أوقحهم ــ وأصلحهم وجهاً، لقي بأدنى ما لقي به نبيُّ الله، مما ذكروا، لما بقي له عرق يَنْبض، ولا عضوٌ يتحرك، فيا له من مذهب ما أفحشه، ومن ضلال ما أبينه» اهـ.

ونضيف إلى ذلك: أنه ليس في تلك الروايات، رواية واحدة صحيحة ومقبولة، بل لا شيء منها يُقْبَلُ، لا من حيث السند ولا المتن، لأنها تتعارض مع نص القرآن وعصمة الأنبياء كما سنرى.

* ثالثاً: «حصول الهمِّ منه عليه السّلام».

وهذا على القول، بعدم جواز تقديم جواب «لولا» عليها، فماذا قال العلماء في هذا الشأن؟ قال الشهاب الخفاجي: ضمير: «هَمَّتْ» لامرأة العزيز، وضمير: «همَّ» ليوسف. =

مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن
دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ
بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ
إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾
يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ
وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ
ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا
ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ
فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ
بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ
وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ
لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ

متفرقون خير أم الله الواحد القهار﴾ خير؟ استفهام تقرير. ٤٠﴿ما تعبدون من دونه﴾ أي: غيره ﴿إلاَّ أسماءً سميتموها﴾ سميتم بها أصناماً ﴿أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها﴾ بعبادتها ﴿من سلطان﴾ حجة وبرهان ﴿إن﴾ ما ﴿الحكم﴾ القضاء ﴿إلا لله﴾ وحده ﴿أمر ألا تعبدوا إلاَّ إياه ذلك﴾ التوحيد ﴿الدين القيم﴾ المستقيم ﴿ولكن أكثر الناس﴾ وهم الكفار ﴿لا يعلمون﴾ ما يصيرون إليه من العذاب، فهم يشركون. ٤١﴿يا صاحبي السجن أما أحدكما﴾ أي: الساقي، فيخرج بعد ثلاث ﴿فيسقي ربه﴾ سيده ﴿خمراً﴾ على عادته ﴿وأما الآخر﴾ فيخرج بعد ثلاث ﴿فيصلب فتأكل الطير من رأسه﴾ هذا تأويل رؤياكما، فقالا: ما رأينا شيئاً، فقال: ﴿قضي الأمر الذي فيه تستفتيان﴾ [أي: سيقع الأمر الذي] سألتما عنه، صدقتما أم كذبتما. ٤٢﴿وقال للذي ظن﴾ أيقن ﴿أنه ناج منهما﴾ وهو: الساقي ﴿اذكرني عند ربك﴾ سيدك، فقل له: إن في السجن غلاماً محبوساً ظلماً، فخرج ﴿فأنساه﴾ أي: الساقي ﴿الشيطان ذكر﴾ يوسف عند ﴿ربه فلبث﴾ مكث يوسف ﴿في السجن بضع سنين﴾ قيل: سبعاً، وقيل: اثنتي عشرة.

٤٣﴿وقال الملك﴾ ملك مصر: «الريَّان بن الوليد» ﴿إني أرى﴾ أي: رأيت [في المنام] ﴿سبع بقرات سمان يأكلهن﴾ يبتلعهن ﴿سبع﴾ من البقر ﴿عجاف﴾ جمع «عجفاء»، [أي: هزلاء] ﴿وسبع سنبلات خضر وأخر﴾ أي: سبع سنبلات ﴿يابسات﴾ قد الْتَوَتْ على الخضر، وعَلَتْ عليها ﴿يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي﴾ بينوا لي تعبيرها ﴿إن كنتم للرؤيا تعبرون﴾ فاعبروها. ٤٤﴿قالوا﴾ هذه ﴿أضغاث﴾ أخلاط ﴿أحلام وما نحن

= و «الهمّ»: يكون بمعنى: «العزم المصمَّم على أمر»، وبمعنى: «ميل طبيعي غير اختياري»، وهمُّها بالمعنى الأول وهو: إرادتُها الفاحشة، وهمُّه بالمعنى الثاني، وهو غير مذموم، بل هو ممدوح يؤجر عليه، وبمثله قال القرطبي والقاضي عياض مضيفاً: أن هذا مذهبُ المحققين من الفقهاء والمتكلمين، وقد ذكروا معاني أخرى لهمِّ يوسف، منها ما في «شرح الشفاء»، قيل: هَمَّ بضربها ودفعها حين أمسكته، ولكنه لم يفعل، لأن الله تعالى أراه برهانه، بأنه لو ضربها لثبتت عليه التهمة، ولصدقوها في قولها بلا خلاف، وأضاف الرازيّ هنا: أنه تعالى أعْلَمَ يوسف، أنه لو همَّ بدفعها لقتلته، أو: لكانت تأمر الحاضرين بقتله، وأضاف القرطبي هنا أيضاً: إذ لو ضربها لأوهم أنه قصدها بالحرام، فامتنعت، فضربها. اهـ. ونقول: هذا التفسير أقرب لأذهان العامة، وينبغي التعويل عليه، وبه صوبنا الكلام في تفسير الآية.

* رابعاً: «لم يحصل منه هَمٌّ أصلاً»:

وهذا على القول بجواز تقديم جواب لولا عليها، قال القاضي عياض: وقد حكى أبو حاتم عن أبي عبيدة: أن يوسف لم يَهُمّ، وأن الكلام فيه تقديم وتأخير، أي: لقد همَّتْ به، ولولا أن رأى برهان ربه لهمَّ بها، وبمثله قال الرازي، وأضاف: وهذا لوجوب عصمة الأنبياء. .

* خامساً: «ما هو البرهان الذي رآه يوسف عليه السَّلام؟». .

أصح شيء في هذا الباب، حديث الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما، في «البرهان» قال: «مَثَل له يعقوب، فضرب صدره، =

بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ

بتأويل الأحلام بعالمين﴾. ٤٥ **﴿وقال الذي نجا منهما﴾** أي: من الفتيين، وهو: الساقي **﴿وادَّكر﴾** فيه إبدال التاء في الأصل دالاً، وإدغامها في الذال، أي: تذكر **﴿بعد أمة﴾** [أي: بعد] حين، حالَ يوسفَ [في السجن]: **﴿أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون﴾** فأرسلوه، فأتى يوسف، فقال [له]: ٤٦ يا **﴿يوسف أيها الصديق﴾** الكثير الصدق **﴿أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع إلى الناس﴾** أي: الملك وأصحابه **﴿لعلهم يعلمون﴾** تعبيرها. ٤٧ **﴿قال تزرعون﴾** أي: ازرعوا **﴿سبع سنين دأباً﴾** متتابعة، وهي تأويل «السبع السِّمان» **﴿فما حصدتم فذروه﴾** أي: اتركوه **﴿في سنبله﴾** لئلا يفسد **﴿إلاّ قليلاً مما تأكلون﴾** فادرسوه. ٤٨ **﴿ثم يأتي من بعد ذلك﴾** أي: السبع المخصبات **﴿سبع شداد﴾** مجدبات صعاب، وهي تأويل «السَّبع العجاف» **﴿يأكلن ما قدمتم لهن﴾** من الحب المزروع في السنين المخصبات، أي: تأكلونه فيهن **﴿إلاّ قليلاً مما تحصنون﴾** تدخرون [للبذر]. ٤٩ **﴿ثم يأتي من بعد ذلك﴾** أي: السبع المجدبات **﴿عام فيه يغاث الناس﴾** بالمطر **﴿وفيه يعصرون﴾** الأعناب وغيرها، لخصبه. ٥٠ **﴿وقال الملك﴾** لما جاءه الرسول، وأخبره بتأويلها **﴿ائتوني به﴾** أي: الذي عبرها **﴿فلما جاءه﴾** أي: يوسف **﴿الرسول﴾** وطلبه للخروج **﴿قال﴾** قاصداً إظهار براءته **﴿ارجع إلى ربك فاسأله﴾** أن يسأل **﴿ما بال﴾** حال **﴿النسوة اللاتي قطعن أيديهن؟ إن ربي﴾** سيدي، [أو: «ربي» يعني الله تعالى، وهو الأحسن] **﴿بكيدهن عليم﴾** فرجع، فأخبر الملك، فجمعهن. ٥١ **﴿قال ما خطبكن﴾** شأنكن **﴿إذ راودتن**

= فخرجت شهوته من أنامله»، قال ابن كثير في تفسيره: ولا حجة قاطعة على تعيين شيء من ذلك ـ الذي ذكر في الروايات ـ فالصواب: أن يُطلَقَ كما قال الله تعالى، وبمثله قال القرطبي، وذكر الرازي أربعة وجوه لمعنى البرهان، أحدها: أنه «النبوة» المانعة من ارتكاب الفواحش، اهـ. أي: لو لم يكن نبياً لهمَّ بها كما همت به، فإذا أردنا أن نحدِّد للبرهان معنى، فإنَّ حملَه على «النبوة» أسلم ما يُحمل عليه، وإلاَّ فليترك المعنى مطلقاً، كما صوَّبه ابن كثير، يضاف إلى كل ذلك، أننا لو عُدنا إلى آيات سورة يوسف، لوجدناها متضافرة، على أنه عليه السلام، لم يفعل شيئاً غير لائق مطلقاً، والدليل عليه ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وراودته التي هو في بيتها عن نفسه﴾ فلم يستجب لمراودتها، وهي التي ﴿غلقت الأبواب﴾ لكي لا يهرب، ﴿وقالت هيت لك﴾ أي: «تعَالَ، وهلمَّ»، فقال فوراً: ﴿معاذ الله﴾ أي: أعوذ بالله منك، ومما أردته مني من الفاحشة، وقول يوسف: ﴿هي راودتني عن نفسي﴾، وقوله بعد ذلك: ﴿رب السجن أحبّ إليَّ مما يدعونني إليه﴾، وشهادة الشاهد من أهلها، التي جاء الواقع يؤيدها، وقول العزيز لما رأى قميصه قُدَّ من دُبُر: ﴿إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم﴾، ثم قوله ليوسف: ﴿يوسفُ أعرض عن هذا﴾، وقوله لامرأته: ﴿واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين﴾، فلم يوجِّهْ لوماً إلى يوسف، مع أن القضية خطيرة تتعلق بامرأته.. وهو عزيز مصر.

وقولها لنساء المدينة اللاتي لُمْنَها: ﴿ولقد راودته عن نفسه فاستعصم﴾ أي: امتنع لعصمة الله له.. وهذا يؤيد تفسير «البرهان» بالنبوة، ثم قولُها أخيراً: ﴿الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين﴾، وقول النسوة جميعاً: ﴿حاشَ لله ما علمنا عليه من سوء﴾، ورفضهُ الخروج من السجن إلاّ بعد إعلان براءته.. وهذا ما حدث، ثم استخلصه الملك لنفسه، وجعله على خزائن الأرض.

يوسف عن نفسه﴾؟ هل وجدتن منه ميلاً إليكن؟ ﴿قلن حاشَ لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص﴾ وضح ﴿الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين﴾ في قوله: «هي راودتني عن نفسي»، فأُخبر يوسف بذلك[1] فقال:

٥٢﴿ذلك﴾ أي: طلب البراءة ﴿ليعلم﴾ العزيز ﴿أني لم أخنه﴾ في أهله ﴿بالغيب﴾ حال ﴿وأن الله لا يهدي كيد الخائنين﴾ ثم تواضع لله فقال: ٥٣﴿وما أبرىء نفسي﴾ من الزلل ﴿إن النفس﴾ الجنس ﴿لأمّارة﴾ كثيرة الأمر ﴿بالسوء إلّا ما﴾ بمعنى «مَنْ» ﴿رحم ربي﴾ فعصمه ﴿إن ربي غفور رحيم﴾ [اقرأ التعليق].

يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ

حزب ٢٥ جزء ١٣

٥٤﴿وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي﴾ أجعله خالصاً لي دون شريك، فجاءه الرسول وقال: أجب الملك، فقام، وودع أهل السجن، ودعا لهم، ثم اغتسل ولبس ثياباً حسنة، ودخل عليه ﴿فلما كلمه قال﴾ له ﴿إنك اليوم لدينا مكين أمين﴾ ذو مكانة وأمانة على أمرنا، فماذا ترى أن نفعل؟ قال: اجمع الطعام، وازرع زرعاً كثيراً في هذه السنين المخصبة، وادَّخر الطعام في سنبله، فتأتي إليك الخلق ليمتاروا، [ــ أي: ليأخذوا الميرة، وهي: الطعام ــ] منك، فقال: ومن لي بهذا؟

٥٥﴿قال﴾ يوسف ﴿اجعلني على خزائن الأرض﴾ أرض مصر ﴿إني حفيظ عليم﴾ ذو حفظ وعلم بأمرها، وقيل: كاتب حاسب.

٥٦﴿وكذلك﴾ كإنعامنا عليه، بالخلاص من السجن ﴿مكّنا ليوسف في الأرض﴾ أرض مصر ﴿يتبوأ﴾ ينزل ﴿منها حيث يشاء﴾ بعد الضِّيق والحبس، وفي القصة: أن الملك تَوَّجَهُ وختَّمه، [أي: حلاّه بخاتمه]، وولاّه مكان العزيز وعزله، ومات [العزيز] بعدُ، فزوَّجه امرأته، فوجدها عذراء، وولدت له ولدين، وأقام العدل بمصر، ودانت له الرقاب ﴿نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين﴾. ٥٧﴿ولأجر الآخرة خير﴾ من أجر الدنيا ﴿للذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ ودخلت سِنُو القحط، وأصاب [القحطُ] أرض كنعان والشام.

٥٨﴿وجاء إخوة يوسف﴾ إلّا «بنيامين»، ليمتاروا، لمَّا بلغهم: أن عزيز مصر يعطي الطعام بثمنه

(١) قوله: «فأُخبر يوسف بذلك فقال»، إن جعل الآيتين ٥٢ و ٥٣ من كلام يوسف عليه السّلام، هو قول الطبري، وبعض التابعين كمجاهد وسعيد بن جبير والحسن البصري وغيرهم، ولكن سياق الآيات لا يؤيده، قال ابن كثير: إن الكلام كله، من كلام امرأة العزيز بحضرة الملك، ولم يكن يوسف عندهم، بل بعد ذلك أحضره الملك، وهذا هو القول الأشهر والأليق، والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام، وهو الأقوى والأظهر، ويكون المعنى ﴿ذلك﴾ أي: اعترافي بهذا على نفسي ﴿ليعلم﴾ زوجي ﴿أني لم أخنه بالغيب﴾ بفعل الفاحشة، وإنما راودت هذا الشاب مراودة فامتنع، ثم قالت: ﴿وما أبرىء نفسي﴾ فإن النفس تهوى وتتمنى، ولهذا راودته ﴿إن النفس لأمّارة بالسوء إلّا ما رحم ربي﴾ أي: إلّا من عصمه الله.

﴿فدخلوا عليه فعرفهم﴾ أنهم إخوته ﴿وهم له منكرون﴾ لا يعرفونه، لبعد عهدهم به، وظنهم هلاكه، فكلموه بالعبرانية، فقال كالمنكر عليهم: ما أقدمكم بلادي؟ فقالوا: للميرة، فقال: لعلكم عيون، قالوا: معاذ الله، قال: فمن أين أنتم؟ قالوا: من بلاد كنعان، وأبونا يعقوب نبي الله، قال: وله أولاد غيركم؟ قالوا: نعم، كنا اثني عشر، فذهب أصغرنا، هلك في البرية، وكان أحبنا إليه، وبقي شقيقه، فاحتبسه ليتسلّى به عنه، فأمر بإنزالهم وإكرامهم.

٥٩ ﴿ولما جهزهم بجهازهم﴾ وَفّى لهم كيلهم ﴿قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم﴾ أي: «بنيامين»، لأعلم صدقكم فيما قلتم ﴿ألا ترون أني أوفي الكيل﴾ أتمه من غير بخس ﴿وأنا خير المنزلين﴾؟.

فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا

٦٠ ﴿فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي﴾ أي: ميرة ﴿ولا تقربون﴾ نهي، أو: عطف على محل: «فلا كيل»، أي: تُحرَمُوا ولا تَقرَبوا، [أي: لا كيل ولا قُرْب].

٦١ ﴿قالوا سنراود عنه أباه﴾ سنجتهد في طلبه منه ﴿وإنا لفاعلون﴾ ذلك.

٦٢ ﴿وقال لفتيته﴾ وفي قراءة: «لفتيانه»، غلمانه ﴿اجعلوا بضاعتهم﴾ التي أتوا بها ثمن الميرة، وكانت دراهم ﴿في رحالهم﴾ أوعيتهم ﴿لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم﴾ وفرّغوا أوعيتهم ﴿لعلهم يرجعون﴾ إلينا، لأنهم لا يستحلّون إمساكها.

٦٣ ﴿فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل﴾ إن لم ترسل أخانا إليه ﴿فأرسل معنا أخانا نكتل﴾ بالنون والياء ﴿وإنا له لحافظون﴾.

٦٤ ﴿قال هل﴾ ما ﴿آمنكم عليه إلاّ كما أمنتكم على أخيه﴾ يوسف ﴿من قبل﴾ وقد فعلتم به ما فعلتم؟ ﴿فالله خيرٌ حِفظاً﴾ وفي قراءة: «حافظاً»، تمييز، كقولهم: لله دَرُّه فارساً ﴿وهو أرحم الرحمين﴾ فأرجو أن يمنّ بحفظه.

٦٥ ﴿ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا يا أبانا ما نبغي﴾ «ما» استفهامية، أي شيء نطلب من إكرام الملك، أعظم من هذا؟ وقرىء [شذوذاً: «تبغي»] بالفوقانية، خطاباً ليعقوب، وكانوا ذكروا له إكرامه لهم ﴿هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا﴾ نأتي بالميرة لهم، وهي: الطعام ﴿ونحفظ أخانا

ونزداد كيل بعير﴾ لأخينا ﴿ذلك كيل يسير﴾ سهل على الملك، لسخائه.

٦٦ ﴿قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقاً﴾ عهداً ﴿من الله﴾ بأن تحلفوا ﴿لتأتنني به إلاَّ أن يحاط بكم﴾ بأن تموتوا أو تُغلبوا، فلا تطيقوا الإتيان به، فأجابوه إلى ذلك ﴿فلما آتوه موثقهم﴾ بذلك ﴿قال الله على ما نقول﴾ نحن وأنتم ﴿وكيل﴾ شهيد، وأرسله معهم.

٦٧ ﴿وقال يا بنيَّ لا تدخلوا﴾ مصر ﴿من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة﴾ لئلا تصيبكم العين[1] ﴿وما أغني﴾ أدفع ﴿عنكم﴾ بقولي ذلك ﴿من الله من﴾ زائدة ﴿شيء﴾ قدَّره عليكم، وإنما ذلك شفقة ﴿إن﴾ ما ﴿الحكم إلاَّ لله﴾ وحده ﴿عليه توكلت﴾ به وثقت ﴿وعليه فليتوكل المتوكلون﴾.

٦٨ قال تعالى: ﴿ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم﴾ أي: متفرقين ﴿ما كان يغني عنهم من الله﴾ أي: قضائه ﴿من شيء إلاَّ﴾ لكن ﴿حاجة في نفس يعقوب قضاها﴾ وهي: إرادة دفع العين شفقة ﴿وإنه لذو علم لما علمناه﴾ لتعليمنا إياه ﴿ولكن أكثر الناس﴾ وهم الكفار ﴿لا يعلمون﴾ إلهام الله لأصفيائه.

٦٩ ﴿ولما دخلوا على يوسف آوى﴾ ضم ﴿إليه أخاه قال إني أنا أخوك فلا تبتئس﴾ تحزن ﴿بما كانوا يعملون﴾ من الحسد لنا، وأَمَرَهُ أن لا يخبرهم، وتَواطَأَ معه، على أنه سيحتال، [أي: سيفعل حيلة]، على أن يبقيه عنده.

٧٠ ﴿فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية﴾ هي: صاع من ذهب مرصع بالجوهر، [كان الملك يشرب فيه] ﴿في رحل أخيه﴾ بنيامين

وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ

(١) قوله: «لئلا تصيبكم العين». أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «العين حق» أي: الإصابة بها ثابتة موجودة، ولها تأثير في النفوس، وزاد مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «ولو كان شيءٌ سابِقَ القَدَر، لسبَقَتْهُ العينُ» أي: أن العين من القدر، ولأن العين قد تصيب، فإن على الناظر «العائن»، إذا رأى شيئاً أثار إعجابه، أن يذكر الله عزَّ وجلَّ، أو يدعو بالبركة، فقد روى النسائي، عن عامر بن ربيعة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأى أحدكم من نفسه أو ماله أو أخيه شيئاً يعجبه، فليدع بالبركة، فإن العين حق»، وأخرج البزار، وابن السُّني، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «من رأى شيئاً فأعجبه فقال: ما شاء الله، لا قوة إلاَّ بالله، لم يضرَّه».

ويُعَوِّذُ «المعيون» الذي أصابته عين، بآيات القرآن العظيم، والأذكار الواردة، فقد روى البخاري عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يعوِّذ الحسن والحسين: «أعيذكما بكلمات الله التَّامَّة، من كل شيطانٍ وهامَّةٍ، ومن كلِّ عينٍ لامَّة»، و «الهامَّة»: كل ذات سم يقتل كالحية، و «العين اللامَّة»: هي التي تصيب ما نظرت إليه بسوء، أما الأحاديث الواردة في النهي عن الرُّقى، فهي محمولة على ما كان منها بغير اللسان العربي، وبغير أسماء الله وصفاته وكلامه، أو أن يعتقد الإنسان أن الرُّقية نافعة لا محالة، فيتكل عليها.

ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ * قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾

﴿ثم أذن مؤذن﴾ نادى منادٍ، بعد انفصالهم عن مجلس يوسف ﴿أيتها العير﴾ القافلة ﴿إنكم لسارقون﴾. ٧١﴿قالوا و﴾ قد ﴿أقبلوا عليهم ماذا﴾ ما الذي ﴿تفقدونـ﴾ـه؟. ٧٢﴿قالوا نفقد صواع﴾ صاع ﴿الملك ولمن جاء به حمل بعير﴾ من الطعام ﴿وأنا به﴾ بالحمل ﴿زعيم﴾ كفيل. ٧٣﴿قالوا تالله﴾ قَسَمٌ، فيه معنى التعجب ﴿لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين﴾ ما سرقنا قط. ٧٤﴿قالوا﴾ أي: المؤذن وأصحابه ﴿فما جزاؤه﴾ أي: السارق ﴿إن كنتم كاذبين﴾ في قولكم: ما كنا سارقين، ووُجد فيكم؟.

٧٥﴿قالوا جزاؤه﴾ مبتدأ، خبره: ﴿من وجد في رحله﴾ يُسْتَرَقُّ، ثم أكد بقوله ﴿فهو﴾ أي: السارق ﴿جزاؤه﴾ أي: المسروق، لا غير، وكانت سُنَّةَ آل يعقوب ﴿كذلك﴾ الجزاء ﴿نجزي الظالمين﴾ بالسرقة، فصرحوا ليوسف بتفتيش أوعيتهم.

٧٦﴿فبدأ بأوعيتهم﴾ ففتشها ﴿قبل وعاء أخيه﴾ لئلا يُتَّهم ﴿ثم استخرجها﴾ أي: السقاية ﴿من وعاء أخيه﴾، قال تعالى ﴿كذلك﴾ الكيد ﴿كدنا ليوسف﴾ علمناه الاحتيال في أخذ أخيه ﴿ما كان﴾ يوسف ﴿ليأخذ أخاه﴾ رقيقاً عن السرقة ﴿في دين الملك﴾ حكم ملك مصر، لأن جزاءه: الضربُ، وتغريم مثلي المسروق، لا الاسترقاق ﴿إلا أن يشاء الله﴾ أخذه بحكم أبيه، أي: لم يتمكن من أخذه، إلَّا بمشيئة الله، بإلهامه سؤالَ إخوته، وجوابَهم بسنتهم ﴿نرفع درجاتٍ من نشاء﴾ بالإضافة والتنوين، في العلم، كيوسف ﴿وفوق كل ذي علم﴾ من المخلوقين ﴿عليم﴾ أعلم منه، حتى ينتهي إلى الله تعالى.

٧٧﴿قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل﴾ أي: يوسف، فقد سرق[1] لأبي أمه صنماً من ذهب، فكسره لئلا يعبده ﴿فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها﴾ يظهرها ﴿لهم﴾ والضمير للكلمة التي في قوله: ﴿قال﴾ في نفسه ﴿أنتم شر مكاناً﴾ من يوسف وأخيه، لسرقتكم أخاكم من أبيكم، وظلمكم له ﴿والله أعلم﴾ عالم ﴿بما تصفون﴾ تذكرون من أمره.

---

(١) قوله: «فقد سرق لأبي أمه صنماً إلخ»، روى ذلك ابن مردويه عن ابن عباس مرفوعاً، وقيل سرق صنماً لخاله، وقيل: سرق مُكْحُلَةً لخالته، وقيل: سرق ميلين من ذهب ــ والميل: هو ما تكحَّل به العين ــ وقيل: سرق تمثالاً من كنيسة، وهذا أعجب الأقوال، لأنه لم يكن في ذلك الزمان «كنيسٌ» ولا «كنيسة»، وقيل: كان يسرق من طعام المائدة لإطعام المساكين، وكل هذه الأقوال باطلة لا أصل لها، ولم تثبت مرفوعة ولا موقوفة، ولا هي من كلام التابعين، بل هي من وضع القُصَّاص، الذين يحبون الإغراب في نقل الأخبار ووضع الحوادث، لتنزيل معنى الآية عليها، والصحيح في هذه الآية: أن قولهم هذا، كذب منهم على يوسف وأخيه فيما نسبوه إليهما، وهذا قول الحسن البصري كما نقله عنه القرطبي، وليست هذه أول مرة يكذبون فيها، فهم الذين قالوا لأبيهم بعد إلقائه في الجب: ﴿إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف =

قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾

٧٨﴿قالوا يا أيها العزيز إن له أباً شيخاً كبيراً﴾ يحبه أكثر منا، ويتسلّى به عن ولده الهالك، ويحزنه فراقه **﴿فخذ أحدنا﴾** استعبده **﴿مكانه﴾** بدلاً منه **﴿إنا نراك من المحسنين﴾** في أفعالك. ٧٩**﴿قال معاذ الله﴾** نُصِبَ على المصدر، حُذِفَ فعله وأضيف إلى المفعول، أي: نعوذ بالله من **﴿أن نأخذ إلاَّ من وجدنا متاعنا عنده﴾** لم يقل: «مَنْ سَرَق»، تحرُّزاً من الكذب **﴿إنا إذاً﴾** إن أخذنا غيره **﴿لظالمون﴾**. ٨٠**﴿فلما استيأسوا﴾** يئسوا **﴿منه خلصوا﴾** اعتزلوا **﴿نجياً﴾** مصدر يصلح للواحد وغيره، أي: يناجي بعضهم بعضاً **﴿قال كبيرهم﴾** سنّاً، «روبيل»، أو: رأياً، «يهوذا» **﴿ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً﴾** عهداً **﴿من الله﴾** في أخيكم **﴿ومن قبل ما﴾** زائدة **﴿فرطتم في يوسف﴾** وقيل: «ما» مصدرية مبتدأ [مؤخر، تقديره: و«تفريطكم»]، خبره: «من قبل» **﴿فلن أبرح﴾** أفارق **﴿الأرض﴾** أرض مصر **﴿حتى يأذن لي أبي﴾** بالعودة إليه **﴿أو يحكم الله لي﴾** بخلاص أخي **﴿وهو خير الحاكمين﴾** أعدَلُهم. ٨١**﴿ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق وما شهدنا﴾** عليه **﴿إلاَّ بما علمنا﴾** تَيَقّنَّا، من مشاهدة الصاع في رحله **﴿وما كنا للغيب﴾** لما غاب عنا، حين إعطاء الموثق **﴿حافظين﴾** ولو علمنا أنه يسرق، لم نأخذه. ٨٢**﴿واسأل القرية التي كنا فيها﴾** هي مصر، أي: أرسل إلى أهلها فاسألهم **﴿والعير﴾** أي: أصحاب العير **﴿التي أقبلنا فيها﴾** وهم قوم من «كنعان»[1] **﴿وإنا لصادقون﴾** في قولنا، فرجعوا إليه، وقالوا له ذلك.

٨٣**﴿قال بل سولت﴾** زينت **﴿لكم أنفسكم أمراً﴾** ففعلتموه، اتهمهم لما سبق منهم من أمر يوسف **﴿فصبر جميل﴾** [خبر لمبتدأ محذوف، تقديره:] صبري [أو: أمري] **﴿عسى الله أن يأتيني بهم﴾** بيوسف وأخويه **﴿جميعاً إنه هو العليم﴾** بحالي **﴿الحكيم﴾** في صنعه.

= عند متاعنا فأكله الذئب﴾ وأكّدوا كذبهم ﴿وجاؤوا على قميصه بدم كذب﴾. ارجع إلى تعليقنا حول «الأسباط» ص ٢٦.

(١) قوله: «وهم قوم من كنعان»، قال «ياقوت» في «معجم البلدان»: «كنعان» بالفتح ثم السكون، وعين مهملة وآخره نون، وقال الأزهري: كنعان بن سام بن نوح، إليه ينسب الكنعانيون، وكانوا يتكلمون بلغة تضارع العربية، قال ياقوت: هذا حسن مستقيم، وقال ابن الكلبي: والشام ـ أي: فلسطين والأردن، ولبنان وسورية اليوم ـ منازل الكنعانيين، ولفظ «كنعان» عجميّ، وله في العربية مخارج، يجوز أن يكون من قولهم: «أَكْنَعَ به» أي: أَحْلِفُ، أو: من «الكُنُوع» وهو الذل، أو: من «الكَنَع» وهو النقصان، وقيل غير ذلك، اهـ. منه ملخصاً.

وعلى كل حال: فإن الأسماء من مثل هذا يصعب تعليلها، هذا على فرض أنه في الأصل من الأسماء المنقولة لا المرتجلة، فالظاهر أن «كنعان»، الذي يقال إنه اسم ابن نوح الذي أهلكه الله تعالى بالطوفان، هو غير «كنعان» جد «الكنعانيين»، لأنه لو كان اسمُ الغريق «كنعان»، فمن أين جاء الكنعانيون؟ فجد الكنعانيين هو: كنعان بن سام بن نوح، وليس ابن نوح الذي أغرقه الله، أيّاً كان اسمه.

٨٤﴿وتولّى عنهم﴾ تاركاً خطابهم ﴿وقال يا أسفى﴾ الألف بدل من ياء الإضافة، أي: يا حزني ﴿على يوسف وابيضت عيناه﴾ انمحق سوادهما، وبُدِّلَ بياضاً، من بكائه ﴿من الحزن﴾ عليه ﴿فهو كظيم﴾ مغموم مكروب، لا يُظهر كربه.

٨٥﴿قالوا تالله﴾ لا ﴿تفتأ﴾ تزال﴿تذكر يوسف حتى تكون حرضاً﴾ مشرفاً على الهلاك، لطول مرضك، وهو مصدر يستوي فيه الواحد وغيره ﴿أو تكون من الهالكين﴾ الموتى.

٨٦﴿قال﴾ لهم ﴿إنما أشكو بثِّي﴾ هو: عظيم الحزن، الذي لا يُصْبَرُ عليه، حتى يُبَثَّ إلى الناس ﴿وحزني إلى الله﴾ لا إلى غيره، فهو الذي تنفع الشكوى إليه ﴿وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ من أن رؤيا يوسف صدق، وهو حيٌّ، ثم قال:

٨٧﴿يا بنيَّ اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه﴾ اطلبوا خبرهما ﴿ولا تيأسوا﴾ تقنطوا ﴿من روح الله﴾[١] رحمته ﴿إنه لا ييأس من روح الله إلاَّ القوم الكافرون﴾ فانطلقوا نحو مصر ليوسف.

٨٨﴿فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر﴾ الجوع ﴿وجئنا ببضاعة مزجاة﴾ مدفوعة [مردودة]، يدفعها كل من رآها لرداءتها، وكانت دراهم زيوفاً[٢]، أو غيرها ﴿فأوف﴾ أتمَّ ﴿لنا الكيل وتصدق علينا﴾ بالمسامحة عن رداءة بضاعتنا ﴿إن الله يجزي المتصدقين﴾ يثيبهم، فَرَقَّ عليهم، وأدركته الرحمة، ورفع الحجاب بينه وبينهم.

٨٩ ثم ﴿قال﴾ لهم توبيخاً ﴿هل علمتم ما فعلتم بيوسف﴾ من الضرب [والإلقاء في الجب]، و [ما كان بعد ذلك من] البيع، وغير ذلك ﴿وأخيه﴾ [بنيامين]، من هضمكم له بعد فراق أخيه ﴿إذ أنتم جاهلون﴾ ما يؤول إليه أمر يوسف؟

٩٠﴿قالوا﴾ بعد أن عرفوه، لمَا ظهر من شمائله، مثبتين: ﴿أئنك﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين[٣] ﴿لأنت يوسف؟ قال أنا يوسف وهذا أخي قد منّ﴾ أنعم ﴿الله علينا﴾ بالاجتماع ﴿إنه من

وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ مَن

(١) قوله تعالى: ﴿من رَوْح الله﴾ بفتح الراء أي: رحمته، ارجع إلى تعليقنا حول معاني «الروح» ص ٣٧٦.

(٢) قوله: «زيوفاً» هي: جمع «زَيْف» بسكون الياء، وهو الذي خلط به نحاس أو غيره مع الفضة، ففقد صفة الجودة، ولم يخرج من اسم «الدراهم»، أي: هي دراهم من فضة مخلوطة بمعدن آخر، وبيت المال كان لا يقبل هذا النوع من الدراهم، فقبلها يوسف منهم، رحمة بهم وشفقة عليهم.

(٣) قوله: «على الوجهين» أي: التحقيق والتسهيل، فالقراءات أربع سبعية، وثمة قراءة خامسة سبعية أيضاً هي: «إنك» بهمزة واحدة.

يتق﴾ يَخَفِ الله ﴿ويصبر﴾ على ما يناله ﴿فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر.
٩١ ﴿قالوا تالله لقد آثرك﴾ فَضَّلك ﴿الله علينا﴾ بالملك وغيره ﴿وإن﴾ مخففة أي: إنا ﴿كنا لخاطئين﴾ آثمين في أمرك، فأذللناك.
٩٢ ﴿قال لا تثريب﴾ عتب ﴿عليكم اليوم﴾ خصه بالذكر، لأنه مَظِنَّةُ التثريب، فغيره أولى ﴿يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين﴾ وسألهم عن أبيه فقالوا: ذهبت عيناه فقال:
٩٣ ﴿اذهبوا بقميصي هذا﴾ وهو قميص إبراهيم[1]، الذي لبسه حين ألقي في النار، كان في عنقه في الجب، وهو: من الجنة، أمره جبريل بإرساله، وقال: إن فيه ريحها، ولا يلقى على مبتلى إلاّ عوفي ﴿فألقوه على وجه أبي يأت﴾ يَصِرْ ﴿بصيراً وأتوني بأهلكم أجمعين﴾.

يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾
قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَـٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾
قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ
أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ
وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾
وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ
لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَـٰلِكَ
ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ
فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ
مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا
كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ
هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ

٩٤ ﴿ولما فصلت العير﴾ خرجت من عريش مصر ﴿قال أبوهم﴾ لمن حضر من بنيه وأولادهم ﴿إني لأجد ريح يوسف﴾ أوصلته إليه «الصَّبَا»[2] بإذنه تعالى، من مسيرة ثلاثة أيام، أو ثمانية، أو: أكثر ﴿لولا أن تفندون﴾ تسفِّهونِ، لصدقتموني.
٩٥ ﴿قالوا﴾ له ﴿تالله إنك لفي ضلالك﴾ خطئك ﴿القديم﴾ من إفراطك في محبته، ورجاء لقائه على بُعد العهد، [قال الحسن البصري رحمه الله: هذا عقوق].
٩٦ ﴿فلما أن﴾ زائدة ﴿جاء البشير﴾ «يهوذا» بالقميص، وكان قد حمل قميص الدم، فأحب أن يفرحه كما أحزنه ﴿ألقاه﴾ طرح القميص ﴿على وجهه فارتد﴾ رجع ﴿بصيراً قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون﴾.
٩٧ ﴿قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين﴾[3].
٩٨ ﴿قال سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم﴾ أخَّر ذلك إلى السَّحَر، ليكون أقرب إلى الإجابة، أو: إلى ليلة الجمعة، ثم توجهوا إلى مصر، وخرج يوسف والأكابر لتلقِّيهم. ٩٩ ﴿فلما دخلوا على يوسف﴾ في مضربه ﴿آوى﴾ ضَمَّ

---

(١) قوله: «وهو قميص إبراهيم، إلخ» فيه مبالغة لا دليل عليها، بل هو قميص من قمصان يوسف نفسه.
(٢) قوله: «الصَّبا»، هي: ريح مهبها من مطلع الشمس، إذا استوى الليل والنهار، ومقابلتها: «الدَّبور»، روى الشيخان وأحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «نصرتُ بالصَّبا، وأهلكت عاد بالدَّبور».
(٣) قوله تعالى: ﴿إنا كنا خاطئين﴾ الآية ٩٧. الصحيح: أن إخوة يوسف ـ ما عدا بنيامين ـ ليسوا بأنبياء، وقد قدمنا القول مفصلاً في ذلك ص ٢٦.

إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ

نصف الحزب

﴿إليه أبويه﴾ أباه وأمَّه، أو: خالته ﴿وقال﴾ لهم ﴿ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين﴾ فدخلوا، وجلس يوسف على سريره.

١٠٠﴿ورفع أبويه﴾ أجلسهما معه ﴿على العرش﴾ السرير ﴿وخروا﴾ أي: أبواه وإخوته ﴿له سجداً﴾ سجود انحناء، لا وضع جبهة، وكان [هذا السجود]، تحيتَهم في ذلك الزمان ﴿وقال يا أبتِ هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً وقد أحسن بي﴾ إلي ﴿إذ أخرجني من السجن﴾ لم يقل: من الجب، تكرُّماً، لئلا يُخجل إخوته ﴿وجاء بكم من البدو﴾ البادية ﴿من بعد أن نزغ﴾ أفسد ﴿الشيطان بيني وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم﴾ بخلقه ﴿الحكيم﴾ في صنعه، وأقام عنده أبوه، أربعاً وعشرين سنة، أو سبع عشرة سنة، وكانت مدة فراقه: ثماني عشرة، أو أربعين، أو ثمانين سنة [والله أعلم]، وحضره الموت، فوصى يوسفَ أن يحمله ويدفنه عند أبيه، فمضى بنفسه ودفنه ثمة، ثم عاد إلى مصر، وأقام بعده ثلاثاً وعشرين سنة.

١٠١ ولما أتم أمره، وعلم أنه لا يدوم، تاقت نفسه إلى المُلْك الدائم فقال: ﴿رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث﴾ تعبير[1] الرؤيا ﴿فاطر﴾ خالق ﴿السماوات والأرض أنت وليي﴾ متولِّي مصالحي ﴿في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين﴾ من آبائي، فعاش بعد ذلك أسبوعاً، أو أكثر، ومات وله مائة وعشرون سنة، وتشاحَّ [أي: اختلف] المصريون في قبره، فجعلوه في صندوق من مرمر، ودفنوه[2] في أعلى النيل، لتعم البركة جانبيه، فسبحان من لا انقضاء لملكه.

١٠٢﴿ذلك﴾ المذكور من أمر يوسف ﴿من أنباء﴾ أخبار ﴿الغيب﴾ ما غاب عنك يا محمد ﴿نوحيه إليك وما كنت لديهم﴾ لدى إخوة يوسف ﴿إذ أجمعوا أمرهم﴾ في كيده، أي: عزموا عليه ﴿وهم يمكرون﴾ به، أي: لم تحضرهم فتعرف قصتهم، فتخبر بها، وإنما حصل لك علمها من جهة الوحي.

١٠٣﴿وما أكثر الناس﴾ أي: أهل مكة [وغيرهم] ﴿ولو حرصت﴾ على إيمانهم ﴿بمؤمنين﴾.

١٠٤﴿وما تسألهم عليه﴾ أي: القرآن ﴿من أجر﴾ تأخذه ﴿إن﴾ ما ﴿هو﴾ أي: القرآن ﴿إلا ذكر﴾ عظة

---

(١) قوله: «تعبير الرؤيا»، ارجع إلى تعليقنا حول «الرؤيا والحُلُم» ص ٢٧٦.

(٢) قوله ﷺ: «دفنوه في أعلى النيل»، أي: في مكان ما، ثم نقله موسى عليه السَّلام من حيث دفن في مصر، إلى فلسطين، كما جاء في الأحاديث، ارجع إلى تعليقنا حول ذلك ص ٤٨٩.

﴿للعالمين﴾. ١٠٥﴿وكأين﴾ وكم ﴿من آية﴾ دالة على وحدانية الله ﴿في السماوات والأرض يمرون عليها﴾ يشاهدونها ﴿وهم عنها معرضون﴾ لا يتفكرون بها.

١٠٦﴿وما يؤمن أكثرهم بالله﴾ حيث يقرون بأنه الخالق الرازق ﴿إلاّ وهم مشركون﴾ به، بعبادة الأصنام، ولذا كانوا يقولون في تلبيتهم: «لبيك لا شريك لك، إلاّ شريكاً هو لك، تملكه وما ملك»، يعنونها.

١٠٧﴿أفأمنوا أن تأتيهم غاشية﴾ نقمة تغشاهم ﴿من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة﴾ فجأة ﴿وهم لا يشعرون﴾ بوقت إتيانها.

لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَـٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ

١٠٨﴿قل﴾ لهم ﴿هذه سبيلي﴾ وفسرها بقوله: ﴿أدعو إلى﴾ دين ﴿الله﴾ [وهنا الوقف. أي: سبيلي هي الدعوة إلى الله] ﴿على بصيرة﴾ حجة واضحة ﴿أنا ومن اتبعني﴾ آمن بي، عطف على «أنا» المبتدأ، المخبر عنه بما قبله [أي: أنا ومن اتبعني على بصيرة] ﴿وسبحان الله﴾ تنزيهاً له عن الشركاء ﴿وما أنا من المشركين﴾ من جملة سبيله أيضاً.

١٠٩﴿وما أرسلنا من قبلك إلاّ رجالاً يوحَى﴾ [بالياء مبنياً للمجهول]، وفي قراءة بالنون وكسر الحاء ﴿إليهم﴾ لا ملائكة ﴿من أهل القرى﴾ الأمصار، لأنهم أعلم وأحلم، بخلاف أهل البوادي، لجفائهم وجهلهم ﴿أفلم يسيروا﴾ أهل مكة [وغيرها] ﴿في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ أي: آخر أمرهم، من إهلاكهم، بتكذيبهم رسلهم؟ ﴿ولدار الآخرة﴾ أي: الجنة ﴿خير للذين اتقوا﴾ الله ﴿أفلا تعقلون﴾ بالتاء والياء، أي: يا أهل مكة هذا، فتؤمنون؟

١١٠﴿حتى﴾ غاية لما دل عليه: «وما أرسلنا من قبلك إلاّ رجالاً»، أي: فتراخى نصرهم، حتى ﴿إذا استيأس﴾ يئس ﴿الرسل وظنوا﴾ أيقن الرسل ﴿أنهم قد كُذِّبوا﴾ بالتشديد، تكذيباً لا إيمان بعده، والتخفيف، أي: ظن الأمم، أن الرسل أُخلِفوا ما وعُدوا به من النصر ﴿جاءهم نصرنا فننجي﴾ بنونين، مشدداً[1] ومخففاً [؛فعل مضارع]، وبنون مشدداً [فعل] ماضٍ [مبني للمفعول] ﴿من نشاء ولا يرد بأسنا﴾ عذابنا ﴿عن القوم المجرمين﴾ المشركين. ١١١﴿لقد كان في قصصهم﴾ أي: الرسل

---

(١) قوله: «بنونين مشدداً» هذه قراءة شاذة، خلافاً لما يوهمه كلام السيوطي، والقراءتان الأخريان اللتان ذكرهما المؤلف سبعيتان وهما: «فَنُنْجِي» بنونين والثانية ساكنة مخففة وتخفيف الجيم وإسكان الياء، والثانية: «فَنُجِّيَ» بنون واحدة مضمومة، وتشديد الجيم مكسورة، وفتح الياء.

﴿عبرة لأولي الألباب﴾ أصحاب العقول، [أي: لم نقصها عليكم إلاَّ لتعتبروا، ولا يعتبر إلاَّ العقلاء] ﴿ما كان﴾ هذا القرآن ﴿حديثاً يفترى﴾ يُختلق، [وليست القَصَصُ التي فيه أَسَاطير الأولين، كما قال الكافرون] ﴿ولكن﴾ كان ﴿تصديق الذي بين يديه﴾ قبله من الكتب ﴿وتفصيل﴾ تبيين ﴿كل شيء﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿وهدى﴾ من الضلالة ﴿ورحمة لقوم يؤمنون﴾ خصوا بالذكر، لانتفاعهم به، دون غيرهم.

عِبْرَةٌ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

(١٣) سُورَةُ الرَّعْدِ مَدَنِيَّة وَآيَاتُهَا ثَلَاثٌ وَأَرْبَعُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ

﴿ سُورَةُ الرَّعْدِ ﴾

(مكية، إلاَّ: «ولا يزال الذين كفروا» الآية، «ويقول الذين كفروا لست مرسلاً» الآية. أو: مدنية، إلاَّ: «ولو أن قرآناً» الآيتين، [وهي:] ثلاث، أو: أربع، أو: خمس، أو: ست وأربعون آية).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿المر﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تلك﴾ هذه الآيات ﴿آيات الكتاب﴾ القرآن، والإضافة بمعنى: «مِنْ» ﴿والذي أنزل إليك من ربك﴾ أي: القرآن، مبتدأ، خبره: ﴿الحق﴾ لا شك فيه ﴿ولكن أكثر الناس﴾ أي: أهل مكة [وغيرها] ﴿لا يؤمنون﴾ بأنه من عنده تعالى.

٢ [ثم بيَّن الله تعالى، ما في خلقه من آياتٍ، في السماء والأرض، تدل على قدرته عزَّ وجلَّ، على ما أنكروه من بعث الموتى، وإنزال الوحي على المرسلين، وهي آيات ظاهرة للعيان، يرونها ويلمسونها، فالتفكر فيها ميسور لكل عاقل فقال:] ﴿الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها﴾ أي: «العَمَد»، جمع «عماد»، وهو: الأسطوانة، [أي: إن العمد موجودة، ولكنكم لا ترونها]، وهو صادق بأن لا عمد أصلاً[1]، ﴿ثم استوى على العرش﴾ استواء يليق به ﴿وسخر﴾ ذلك ﴿الشمس والقمر كل﴾ منهما ﴿يجري﴾ في فلكه ﴿لأجل مسمى﴾ يوم القيامة ﴿يدبر الأمر﴾ يقضي أمر ملكه ﴿يفصل﴾ يبيِّن ﴿الآيات﴾ دلالات قدرته ﴿لعلكم﴾ يا أهل مكة [وغيرها] ﴿بلقاء

---

(١) قوله: «وهو صادق بأن لا عمد أصلاً»، هو إشارة إلى الوجه الثاني، على القول بأن جملة «ترونها» صفة لـ «عمد»، والضمير عائد إليها، والمعنى: «رفعها خالية عن عمد مرئية»، وانتفاء العمد المرئية يحتمل انتفاء الرؤية فقط، أي: لها عمد ولكنها غير مرئية، ويحتمل انتفاء العمد والرؤية جميعاً أي: لا عمد أصلاً، كما ذكر الجلال السيوطي. وفي قول آخر: جملة «ترونها» مستأنفة، وضميرها يعود لـ «السماوات»، والمعنى: رفعها بلا عمد أصلاً، وأنتم ترونها كذلك، وسيأتي مثيل هذه الآية في سورة «لقمان» ص ٥٤٠.

ربكم﴾ بالبعث ﴿توقنون﴾ . ٣﴿وهو الذي مد﴾ بسط ﴿الأرض وجعل﴾ خلق ﴿فيها رواسي﴾ جبالاً ثوابت ﴿وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين﴾ من كل نوع ﴿يغشي﴾ يغطي ﴿الليل﴾ بظلمته ﴿النهار إن في ذلك﴾ المذكور ﴿لآيات﴾ دلالات على وحدانيته تعالى ﴿لقوم يتفكرون﴾ في صنع الله. ٤﴿وفي الأرض قطع﴾ بقاع مختلفة ﴿متجاورات﴾ متلاصقات، فمنها طيب [يُنبت]، ومنها سَبِخٌ [لا يُنبت شيئاً]، و [منها] قليل الرَّيع وكثيره، وهو من دلائل قدرته تعالى: ﴿وجنات﴾ بساتين ﴿من أعناب وزرع﴾ بالرفع، عطفاً على «جنات»، والجَرِّ [عطفاً] على «أعناب»، وكذا قوله: ﴿ونخيل صنوان﴾ جمع: «صنو»، وهي: النُّخَيلات يجمعها أصل واحد، وتتشعب فروعها ﴿وغير صنوان﴾ منفردة ﴿تسقى﴾ بالتاء، أي: الجناتُ وما فيها، والياء أي: المذكور ﴿بماء واحد ونفضل﴾ بالنون والياء[1] ﴿بعضها على بعض في الأكل﴾ بضم الكاف وسكونها، فمن حلو[2] ومن حامِض، وهو من دلائل قدرته تعالى: ﴿إن في ذلك﴾ المذكور ﴿لآيات لقوم يعقلون﴾ يتدبرون. ٥﴿وإن تعجب﴾ يا محمد، من تكذيب الكفار لك ﴿فعجب﴾ حقيق بالعجب ﴿قولهم﴾ منكرين للبعث ﴿أإذا كنا تراباً أإنا لفي خلق جديد﴾ لأن القادر على إنشاء الخلق، وما تقدم، على غير مثال، قادرٌ على إعادتهم، وفي الهمزتين في الموضعين: التحقيق، وتحقيق الأولى وتسهيل الثانية، وإدخال الألف بينهما، على الوجهين، [أي: على التحقيق والتسهيل]، وتركها. [فهذه أربع قراءات]، وفي قراءة: بالاستفهام في الأول، والخبر في الثاني، [وفي قراءة] أخرى عكسه ﴿أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾. ٦ ونزل في استعجالهم العذاب استهزاء: ﴿ويستعجلونك بالسيئة﴾ العذاب ﴿قبل الحسنة﴾ الرحمة ﴿وقد خلت من قبلهم المثلات﴾ جمع: «المَثُلَة»، بوزن «السَّمُرَة»، [وهي: شجرة طويلة]، أي: عقوبات أمثالهم من المكذبين، أفلا يعتبرون بها؟ ﴿وإن ربك لذو مغفرة للناس على﴾ مع ﴿ظلمهم﴾ وإلا لم يترك على ظهرها من دابة ﴿وإن ربك

رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ * وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ

(١) قوله: «بالنون والياء»، حاصله: أن في قوله تعالى: ﴿تسقى بماء واحد ونفضل﴾ ثلاث قراءات سبعية: الأولى والثانية: «تُسْقَى ــ بالتاء ــ ونُفَضِّلُ ــ بالنون وبالياء»، والثالثة: «يُسْقَى ــ بالياء ــ ونُفَضِّلُ ــ بالنون فقط».

(٢) قوله: «فمن حلو ومن حامض»، روى الترمذي وحسنه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿ونفضل بعضها على بعض في الأكل﴾ قال: «الدَّقَل والفارسي، والحلو والحامض»، و «الدقل» بفتح الدال المهملة، وفتح القاف هو: رديء التمر، و «الفارسي»: الجيد.

لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا

لشديد العقاب﴾ لمن عصاه. ٧﴿ويقول الذين كفروا لولا﴾ هلاّ ﴿أنزل عليه﴾ على محمد ﴿آية من ربه﴾ كالعصا واليد والناقة؟ قال تعالى: ﴿إنما أنت منذر﴾ مخوِّف للكافرين، وليس عليك إتيان الآيات ﴿ولكل قوم هاد﴾ نبيٌّ يدعوهم إلى ربهم، بما يعطيه من الآيات، لا بما يقترحون. ٨﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى﴾ من ذكر وأنثى، وواحد ومتعدد، وغير ذلك ﴿وما تغيض﴾ تنقص ﴿الأرحام﴾ من مدة الحمل ﴿وما تزداد﴾ منه ﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾ بقَدْرٍ وحَدٍّ، لا يتجاوزه. ٩﴿عالم الغيب والشهادة﴾ ما غاب، وما شوهد ﴿الكبير﴾ العظيم ﴿المتعال﴾ على خلقه بالقهر، بياء ودونها. ١٠﴿سواء منكم﴾ في علمه تعالى ﴿من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف﴾ مستتر ﴿بالليل﴾ بظلامه ﴿وسارب﴾ ظاهر، بذهابه في سَرْبِه، أي: طريقه ﴿بالنهار﴾ [وفي «القاموس المحيط»: «السارب: الذاهب على وجهه في الأرض» وهذا المعنى أدقُّ] ١١﴿له﴾ للإنسان ﴿معقبات﴾ ملائكة تَعْتَقِبه ﴿من بين يديه﴾ قدامه ﴿ومن خلفه﴾ ورائه ﴿يحفظونه من أمر الله﴾ أي: بأمره، من الجن وغيرهم ﴿إن الله لا يغير ما بقوم﴾ لا يسلبهم نعمته ﴿حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ من الحالة الجميلة، بالمعصية ﴿وإذا أراد الله بقوم سوءاً﴾ عذاباً ﴿فلا مرد له﴾ من المعقِّبات ولا غيرها ﴿وما لهم﴾ لمن أراد الله بهم سوءاً ﴿من دونه﴾ أي: غير الله ﴿من﴾ زائدة ﴿والٍ﴾ يمنعه عنهم. ١٢﴿هو الذي يريكم البرق خوفاً﴾[1] للمسافرين [وغيرهم]، من الصواعق ﴿وطمعاً﴾ للمقيم [وغيره]، في المطر، [بما يخرج به] ﴿وينشىء﴾ يخلق ﴿السحاب الثقال﴾ بالمطر. ١٣﴿ويسبح الرعد﴾ هو: ملك موكَّل بالسحاب، يسوقه متلبساً ﴿بحمده﴾ أي: يقول: سبحان الله وبحمده ﴿و﴾ تسبح ﴿الملائكة من خيفته﴾ أي: الله ﴿ويرسل الصواعق﴾ وهي: نار تخرج من السحاب ﴿فيصيب بها

---

(١) قوله تعالى: ﴿هو الذي يريكم البرق﴾ الآية ١٢ والتي بعدها.. عن ابن عباس أن النبي ﷺ سئل عن الرعد ما هو؟ فقال: «مَلَكٌ من الملائكة موكَّل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله»، فقالوا: فما هو الصوت الذي نسمع؟ فقال: «زَجْرُهُ بالسحاب إذا زجره حتى ينتهي إلى حيث أُمِر» رواه الترمذي وقال: حسن صحيح. ولم يردْ في السُّنة حديث أو أثر آخر في بيان ظاهرتي: الرعد، والبرق، ومعنى هذا الحديث أن الرعد والبرق يحدثان بسبب زجر الملك للسحاب لا أن الرعد هو الملك نفسه أو صوته، ولا أن البرق هو لمعان سوطه كما قيل. وهذا يتفق مع التعريف العلمي لظاهرة «الصاعقة» وبيانه: أن «الصاعقة» هي: عملية تفريغ كهربائي تحصل خلال طقس عاصف بين غيوم مشحونة كهربائياً بعضها موجب وبعضها الآخر سالب، أو: بين هذه الغيوم والأرض، فتنتج عن عملية التفريغ هذه ظاهرةٌ مرئيةٌ مضيئةٌ تُعْرف «بالبرق»، وظاهرة أخرى صوتية تسببها موجات الضغط الناتجة عن عملية التفريغ ويعرف هذا الصوت «بالرعد»، والطقس العاصف هذا يسببه سوق الملك للسحاب وزجره له، إذ لولا التهييج والسوق العنيفان للسحاب لما حصل تلاقي الموجب والسالب المسبِّب لظاهرة الصاعقة كما بيَّنا، فالبرق والرعد هما معاً «الصاعقة» لا أنها غيرهما، فمنها الصواعق المدمرة المهلكة، ومنها ما هو سبب لهطول الأمطار الذي هو محط الأنظار.

من يشاء﴾ فتحرقه، نزل في رجل، بعث إليه النبي ﷺ مَنْ يدعوه، فقال: مَنْ رسول الله؟ وما الله؟ أمن ذهب هو؟ أو من فضة؟ أم من نحاس؟ فنزلت به صاعقة، فذهبت بِقِحْفِ رأسه، [ــ أي: عظم رأسه ــ أخرجه البزار والنسائي، عن أنس بن مالك] ﴿وهم﴾ أي: الكفار ﴿يجادلون﴾ يخاصمون النبي ﷺ ﴿في الله وهو شديد المحال﴾ القوة، أو: الأخذ.

١٤ ﴿له﴾ تعالى ﴿دعوة الحق﴾ أي: كلمته، وهي: «لا إلّه إلاّ الله» ﴿والذين يدعون﴾ بالياء، [هي القراءة المتواترة الصحيحة]، و [أما قراءة] التاء[1] [ــ «تدعون» ــ فشاذة، ولغير الأربعة، أي:] يعبدون ﴿من دونه﴾ أي: غيره، وهم الأصنام ﴿لا يستجيبون لهم بشيء﴾ مما يطلبونه ﴿إلاّ﴾ استجابة ﴿كباسط﴾ أي: كاستجابة باسط ﴿كفيه إلى الماء﴾ على شفير البئر، يدعوه ﴿ليبلغ فاه﴾ بارتفاعه من البئر إليه ﴿وما هو ببالغه﴾ أي: [ببالغ] فاه أبداً، فكذلك، ما هم بمستجيبين لهم ﴿وما دعاء الكافرين﴾ [أي:] عبادتهم الأصنام، أو: حقيقة الدعاء ﴿إلاّ في ضلال﴾ ضياع.

١٥ ﴿ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعاً﴾ كالمؤمنين ﴿وكرهاً﴾ كالمنافقين، ومن أُكره بالسيف ﴿و﴾ يسجد ﴿ظلالهم بالغدو﴾ البُكَرِ، [جمع: «بُكرة»] ﴿والآصال﴾ العشايا.

١٦ ﴿قل﴾ يا محمد لقومك ﴿من رب السماوات والأرض؟ قل الله﴾ إن لم يقولوه، لا جواب غيره ﴿قل﴾ لهم ﴿أفاتخذتم من دونه﴾ أي: غيره ﴿أولياء﴾ أصناماً تعبدونها ﴿لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً﴾ وتركتم مالكهما؟ استفهام توبيخ ﴿قل هل يستوي الأعمى والبصير﴾ الكافر والمؤمن؟ ﴿أم هل تستوي الظلمات﴾ الكفر ﴿والنور﴾ الإيمان؟ لا ﴿أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق﴾ أي: خلقُ الشركاء بخلق الله ﴿عليهم﴾ فاعتقدوا استحقاق عبادتهم بخلقهم؟ استفهام إنكار، أي: ليس الأمر كذلك، ولا يستحق العبادة إلاّ الخالق ﴿قل الله خالق كل شيء﴾ لا شريك له فيه فلا شريك له في العبادة ﴿وهو الواحد القهار﴾ لعباده. ١٧ ثم ضرب مثلاً للحق والباطل فقال: ﴿أنزل﴾ تعالى ﴿من السماء ماء﴾ مطراً ﴿فسالت أودية بقدرها﴾ بمقدار ملئها ﴿فاحتمل السيل زبداً

سُورَةُ الرَّعْدِ ١٣

مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا

سجدة

(١) قوله: «بالياء والتاء»، يوهم أنهما قراءتان صحيحتان، ولكن الصواب ما ذكرناه في التفسير، فكان الأولى أن يقول: «وقرئ بالتاء» كما هي عادته في الإشارة إلى القراءة الشاذة، ارجع إلى معنى القراءة الصحيحة والشاذة في المقدمة.

رابياً﴾ عالياً عليه، [و «الزبد»] هو: ما على وجهه، من قذر ونحوه ﴿ومما توقدون﴾ بالتاء والياء ﴿عليه في النار﴾ من جواهر الأرض، كالذهب والفضة والنحاس ﴿ابتغاء﴾ طلب ﴿حلية﴾ زينة ﴿أو متاع﴾ ينتفع به، كالأواني إذا أذيبت ﴿زبد مثله﴾ أي: مثل زبد السيل، وهو خَبَثُه الذي ينفيه الكير ﴿كذلك﴾ المذكور ﴿يضرب الله الحق والباطل﴾ أي: [يضرب] مَثَلَهما ﴿فأما الزبد﴾ من السَّيل وما أُوقد عليه، من الجواهر [والمعادن] ﴿فيذهب جفاء﴾ باطلاً مرمياً به، [وهذا مَثَلُ الباطل] ﴿وأما ما ينفع الناس﴾ من الماء والجواهر [والمعادن] ﴿فيمكث﴾ يبقى ﴿في الأرض﴾ زماناً، [وهذا مَثَلُ الحق]، كذلك الباطل يضمحل وينمحق، وإن علا على الحق في بعض الأوقات، والحق ثابت باقٍ ﴿كذلك﴾ المذكور ﴿يضرب﴾ يبين ﴿الله الأمثال﴾.

رَابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ۚ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٨﴾ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا

حزب ٢٦

١٨ ﴿للذين استجابوا لربهم﴾ أجابوه بالطاعة ﴿الحسنى﴾ الجنة ﴿والذين لم يستجيبوا له﴾ وهم الكفار، [لهم النار يعذبون فيها، دلَّ عليه:] ﴿لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به﴾ من العذاب ﴿أولئك لهم سوء الحساب﴾ وهو: المؤاخذة بكل ما عملوه، لا يُغفر منه شيء ﴿ومأواهم جهنم وبئس المهاد﴾ الفراش هي.

١٩ نزل في حمزة وأبي جهل[1]: ﴿أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق﴾ فآمن به ﴿كمن هو أعمى﴾ لا يعلمه، ولا يؤمن به؟ لا ﴿إنما يتذكر﴾ يتعظ ﴿أولو الألباب﴾ أصحاب العقول.

٢٠ ﴿الذين يوفون بعهد الله﴾ المأخوذ عليهم وهم في عالم الذَّرِّ، [عندما أشهدهم على أنفسهم: «ألستُ بربكم؟ فقالوا: بلى»]، أو: كل عهد ﴿ولا ينقضون الميثاق﴾ بترك الإيمان، أو: الفرائض.

٢١ ﴿والذين يَصِلون ما أمر الله به أن يوصل﴾ من الإيمان والرحم، وغير ذلك ﴿ويخشون ربهم﴾ أي: وعيده ﴿ويخافون سوء الحساب﴾ تقدم مثله [ختام الآية ١٨، أي: المؤاخذةَ بكل ما عملوه، لا يُغفر منه شيء]. ٢٢ ﴿والذين صبروا﴾ على الطاعة والبلاء، وعن المعصية[2] ﴿ابتغاء﴾ طلب ﴿وجه ربهم﴾ لا غيره من أعراض الدنيا ﴿وأقاموا

---

(١) قوله: «ونزل في حمزة وأبي جهل» هذا قول ضعيف، والصحيح: أنها عامة، لأن هذه الآيات تفرق ما بين المؤمن والكافر، وتعدِّد أهم صفات المؤمنين، وطرفاً من خُلُق الكافرين.

(٢) قوله: «وعن المعصية»، ارجع إلى تعليقنا حول معاني الصبر ص ٦٠٧ ففيه فوائد.

﴿الصلاة وأنفقوا﴾ في الطاعة ﴿مما رزقناهم سراً وعلانية ويدرؤون﴾ يدفعون ﴿بالحسنة السيئة﴾ كالجهل بالحلم، والأذى بالصبر ﴿أولئك لهم عقبى الدار﴾ أي: العاقبة المحمودة، في الدار الآخرة.

٢٣ هي ﴿جنات عدن﴾ إقامة ﴿يدخلونها﴾ هم ﴿ومن صلح﴾ آمن ﴿من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم﴾ وإن لم يعملوا[1] بعملهم، يكونون في درجاتهم، تكرمةً لهم ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب﴾ من أبواب الجنة، أو: القصور، أولَ دخولهم، للتهنئة، يقولون:

ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِ

٢٤ ﴿سلام عليكم﴾ هذا الثواب ﴿بما صبرتم﴾ بصبركم في الدنيا ﴿فنعم عقبى الدار﴾ عقباكم.

٢٥ ﴿والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض﴾ بالكفر والمعاصي ﴿أولئك لهم اللعنة﴾ البعد من رحمة الله ﴿ولهم سوء الدار﴾ العاقبة السيئة في الدار الآخرة، وهي: جهنم.

٢٦ ﴿الله يبسط الرزق﴾ يوسعه ﴿لمن يشاء ويقدر﴾ يُضَيِّقه لمن يشاء[2] ﴿وفرحوا﴾ أي: أهل مكة [وأمثالهم]، فَرَحَ بطرٍ ﴿بالحياة الدنيا﴾ أي: بما نالوه فيها ﴿وما الحياة الدنيا في﴾ جنب حياة ﴿الآخرة إلاَّ متاع﴾ شيء قليل، يُتمتع به ويذهب.

٢٧ ﴿ويقول الذين كفروا﴾ من أهل مكة ﴿لولا﴾ هلاَّ ﴿أنزل عليه﴾ على محمد ﴿آية من ربه﴾ كالعصا واليد والناقة ﴿قل﴾ لهم ﴿إن الله يضل من يشاء﴾ إضلاله، فلا تغني عنه الآيات شيئاً ﴿ويهدي﴾ يرشد ﴿إليه﴾ إلى دينه ﴿مَنْ أناب﴾ رجع إليه، ويبدل من «مَنْ»: [قوله:]

٢٨ ﴿الذين آمنوا وتطمئن﴾ تسكن ﴿قلوبهم بذكر الله﴾ أي: وعده

---

(١) قوله: «وإن لم يعملوا بعملهم»، أي: بأن كانت أعمالهم الصالحة أقل، وكانوا من أهل الجنة، قال ابن كثير: أي: يجمع بينهم وبين أحبابهم فيها، من الآباء والأهلين والأبناء، ممن هو صالح لدخول الجنة من المؤمنين، لتقرَّ أعينهم بهم.

(٢) قوله: «يضيقه لمن يشاء» هذا هو معنى «يقدر» أي: يقلل مقداره على من يشاء، وقد تكررت هذه الكلمة في القرآن، كقوله تعالى في سورة «الفجر»: ﴿وأما إذا ما ابتلاه فقَدَر عليه رزقه﴾ أي: ضيقه، وليس معنى «يقدر» هنا «يستطيع» كما يظن البعض لأول وهلة.

أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ

﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ أي: قلوب المؤمنين.

٢٩ ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ مبتدأ، خبره: ﴿طوبى﴾ مصدر من «الطِّيب»، أو: شجرة في الجنة[1]، يسير الراكب في ظلها مائة عام، ما يقطعها ﴿لهم وحسن مآب﴾ مرجع [لهم].

٣٠ ﴿كذلك﴾ كما أرسلنا الأنبياء قبلك ﴿أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو﴾ تقرأ ﴿عليهم الذي أوحينا إليك﴾ أي: القرآن ﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾ حيث قالوا، لما أُمروا بالسجود له: وما الرحمن؟ ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿هو ربي لا إله إلاّ هو توكلت وإليه متاب﴾.

٣١ ونزل لما قالوا له: إن كنتَ نبياً فسيِّر عنا جبال مكة، واجعل لنا فيها أنهاراً وعيوناً، لنغرس ونزرع، وابعث لنا آباءنا الموتى، يكلمونا أنك نبي، [أخرجه الطبراني وغيره، عن ابن عباس]: ﴿ولو أن قرآناً سيرت به الجبال﴾ نُقلت عن أماكنها ﴿أو قطعت﴾ شُقِّقت ﴿به الأرض أو كُلِّم به الموتى﴾ بأن يحيوا، [أي: لو فعل الله ذلك]، لما آمنوا ﴿بل لله الأمر جميعاً﴾ لا لغيره، فلا يؤمن إلاّ من شاء إيمانه، دون غيره، وإن أوتوا ما اقترحوا، ونزل لمَّا أراد الصحابة إظهارَ ما اقترحوا، طمعاً في إيمانهم: ﴿أفلم ييأس﴾ يعلم[2] ﴿الذين آمنوا أن﴾ مخففة، أي: أنه ﴿لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً﴾ إلى الإيمان، من غير آية ﴿ولا يزال الذين كفروا﴾ من أهل مكة ﴿تصيبهم بما صنعوا﴾ بصنعهم، أي: كفرهم ﴿قارعة﴾ داهية، تقرعهم بصنوف البلاء، من القتل والأسر والحرب والجدب ﴿أو تحل﴾ [أي: تنزل]، يا محمد بجيشك ﴿قريباً من دارهم﴾ مكة ﴿حتى يأتي وعد الله﴾ بالنصر عليهم ﴿إن الله لا يخلف الميعاد﴾ وقد حلَّ بالحديبية، حتى أتى فتحُ مكة.

٣٢ ﴿ولقد استهزىء برسل من قبلك﴾ كما استهزىء بك، وهذه تسلية للنبي ﷺ ﴿فأمليت﴾ أمهلت ﴿للذين كفروا ثم أخذتهم﴾ بالعقوبة ﴿فكيف كان عقاب﴾ أي: هو واقع موقعه، فكذلك أفعل بمن استهزأ بك. ٣٣ ﴿أفمن هو قائم﴾ [أي:] رقيب

---

(١) قوله: «شجرة في الجنة إلخ...» روى أحمد، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رجلاً قال: يا رسول الله، طُوبى لمن رآك وآمن بك، قال: «طُوبى لمن رآني وآمن بي، وطُوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني»، فقال له رجال: وما طوبى؟ قال: «شجرة في الجنة مسيرتها مائة عام»، وروى الشيخان، عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها».

(٢) قوله: «يعلم»، إن تفسير المؤلف الجلال السيوطي اليأسَ بالعلم، جاء على لغة «هوازن»، الذين يطلقون «يئس» على معنى «علم».

﴿على كل نفس بما كسبت﴾ عملت من خير أو شر، وهو: «الله»، كمن ليس كذلك من الأصنام؟. لا، دل على هذا: ﴿وجعلوا لله شركاء قل سموهم﴾ له، مَنْ هم؟ ﴿أم﴾ بل أ ﴿تنبؤونه﴾ تخبرون الله ﴿بما﴾ أي: بشريك ﴿لا يعلمـ﴾ ـه ﴿في الأرض؟﴾ استفهام إنكار، أي: لا شريك له، إذ لو كان [له شريك] لعلمه، تعالى عن ذلك ﴿أم﴾ بل تسمونهم شركاء ﴿بظاهر من القول﴾ بظنٍّ باطل، لا حقيقة له في الباطن؟ ﴿بل زين للذين كفروا مكرهم﴾ كفرهم ﴿وصدوا عن السبيل﴾ طريق الهدى ﴿ومن يضلل الله فما له من هاد﴾.

٣٤﴿لهم عذاب في الحياة الدنيا﴾ بالقتل والأسر ﴿ولعذاب الآخرة أشق﴾ أشد منه ﴿وما لهم من الله﴾ أي: عذابه ﴿من واق﴾ مانع.

عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٣٤﴾ ۞ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا ۖ وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ ۚ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ

٣٥﴿مثل﴾ صفة ﴿الجنة التي وعد المتقون﴾ مبتدأ، خبره محذوف، أي: فيما نَقُصُّ عليكم [من الآيات] ﴿تجري من تحتها الأنهار أكلها﴾ ما يؤكل فيها ﴿دائم﴾ لا يفنى ﴿وظلها﴾ دائم، لا تنسخه شمس، لعدمها فيها ﴿تلك﴾ أي: الجنة ﴿عقبى﴾ عاقبة ﴿الذين اتقوا﴾ الشرك ﴿وعقبى الكافرين النار﴾.

٣٦﴿والذين آتيناهم الكتاب﴾ كعبد الله بن سلام[1]، وغيره من مؤمني اليهود، [أي: ممن آمن وأسلم من اليهود] ﴿يفرحون بما أنزل إليك﴾ لموافقته ما عندهم ﴿ومن الأحزاب﴾ الذين تحزبوا عليك بالمعاداة، من المشركين واليهود ﴿من ينكر بعضه﴾ كذكر «الرحمن»، و[ينكرون] ما عدا القصص [من القرآن] ﴿قل إنما أمرت﴾ فيما أنزل إلي ﴿أن﴾ أي: بأن ﴿أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعو وإليه مآب﴾ مرجعي.

٣٧﴿وكذلك﴾ الإنزال ﴿أنزلناه﴾ أي: القرآن ﴿حكماً عربياً﴾ بلغة العرب، تحكم به بين الناس ﴿ولئن اتبعت أهواءهم﴾ أي: الكفار، فيما يدعونك إليه من ملتهم، فَرَضاً ﴿بعد ما جاءك من العلم﴾ بالتوحيد

---

(١) قوله: «كعبد الله بن سلام»، هو عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، من بني قينقاع، من يهود المدينة، كان اسمه «الحُصَين»، فسماه النبي ﷺ «عبد الله» لما أسلم، وكنيته: أبو يوسف، كان حليفاً للخزرج، رأى في منامه ما رواه الشيخان عنه قال: رأيت كأني في روضة، ووسط الروضة عمود، في أعلى العمود عروة، فقيل لي: ارقَهْ، فقلت: لا أستطيع، فأتاني وصيفٌ ـ أي: غلام خادم ـ فرفع ثيابي، فرقِيت فاستمسكت بالعروة، فانتهيت وأنا مستمسك بها، فقصصتُها على رسول الله ﷺ فقال له: «تلك الروضة روضة الإسلام، وذلك العمود عمود الإسلام، وتلك العُروة، عُروة الوثقى، لا تزال مستمسكاً بها حتى تموت»، وهذه بشارة له بالوفاة على الإسلام، توفي بالمدينة عام ثلاثة وأربعين للهجرة رضي الله عنه.

﴿مالك من الله من﴾ زائدة ﴿ولي﴾ ناصر ﴿ولا واق﴾ مانع من عذابه.

٣٨ ونزل لما عيروه بكثرة النساء، [بقصد الطعن في نبوته ﷺ]: ﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية﴾ أولاداً، وأنت مثلهم ﴿وما كان لرسول﴾ منهم ﴿أن يأتي بآية إلاَّ بإذن الله﴾ لأنهم عبيد مربوبون ﴿لكل أجل﴾ مدة ﴿كتاب﴾ مكتوب فيه تحديده.

٣٩ ﴿يمحو الله﴾ منه ﴿ما يشاء ويثبت﴾ ـ بالتخفيف والتشديد ـ فيه، [أي: في الكتاب]، ما يشاء من الأحكام وغيرها[1] ﴿وعنده أم الكتاب﴾ أصله، الذي لا يتغير منه شيء، وهو ما كتبه في الأزل.

٤٠ ﴿وإما﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» المزيدة ﴿نرينك بعض الذي نعدهم﴾ به من العذاب، في حياتك، وجواب الشرط محذوف: أي: فذاك ﴿أو نتوفينك﴾ قبل تعذيبهم ﴿فإنما عليك البلاغ﴾ لا عليك إلاَّ التبليغ ﴿وعلينا الحساب﴾ إذا صاروا إلينا، فنجازيهم.

٤١ ﴿أو لم يروا﴾ أي: أهل مكة [وغيرها] ﴿أنا نأتي الأرض﴾ نقصد أرضهم ﴿ننقصها من أطرافها﴾ بالفتح على النبي ﷺ ﴿والله يحكم﴾ في خلقه بما يشاء ﴿لا معقب﴾ لا راد ﴿لحكمه وهو سريع الحساب؟﴾.

٤٢ ﴿وقد مكر الذين من قبلهم﴾ من الأمم بأنبيائهم، كما مكروا بك ﴿فللّه المكر جميعاً﴾ وليس مكرهم كمكره لأنه تعالى ﴿يعلم ما تكسب كل نفس﴾ فيُعِدُّ لها جزاءه، وهذا هو المكر كله، لأنه يأتيهم به من حيث لا يشعرون ﴿وسيعلم الكافر﴾ المراد به الجنس، وفي قراءة: «الكفار» ﴿لمن عقبى الدار﴾ أي: العاقبة المحمودة، في الدار الآخرة، ألهم أم للنبي ﷺ وأصحابه؟.

٤٣ ﴿ويقول الذين كفروا﴾ لك ﴿لست مرسلاً قل﴾ لهم ﴿كفى بالله شهيداً بيني وبينكم﴾ على صدقي ﴿و﴾ [يشهد على رسالتي أيضاً] ﴿من عنده علم الكتاب﴾ من مؤمني اليهود والنصارى[2].

مَالَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾

(١) قوله: «من الأحكام وغيرها». الصحيح هو الاقتصار على قوله: «من الأحكام»، فالمحو والإثبات حاصلان في الأحكام فقط، وهو الناسخ والمنسوخ، هذا هو الصواب في توجيه معنى هذه الآية؛ وأما ما يروى عن بعض الصحابة والتابعين، من أن المحو والإثبات يشمل كلَّ شيء، ما عدا الرزق والأجل، أو يشملهما أيضاً، فلم يثبت شيء من ذلك عنهم، وأما قوله تعالى: ﴿وعنده أم الكتاب﴾ فقد فسره بعضهم باللوح المحفوظ، والأحسن أنه: «ما سبق في علم الله تعالى». ارجع إلى تعليقنا حول دعاء «نصف شعبان» ص ٦٥٦.

(٢) قوله: «من مؤمني اليهود والنصارى» أي: ممن آمن وأسلم من علماء أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام الذي كان من أحبار اليهود وسيداً =

﴿سُورَةُ إبْرَاهِيمَ﴾

[عليه السلام]

(مكية، إلاَّ: «ألم تر إلى الذين بدلوا» الآيتين.. فمدنيتان، وآياتها، إحدى، أو: اثنتان، أو: أربع، أو: خمس وخمسون آية)

(١٤) سُورَةُ إبراهيم مكية وآياتها اثنتان وخمسون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

١﴿الر﴾ الله أعلم بمراده بذلك[1]، هذا القرآن ﴿كتاب أنزلناه إليك﴾ يا محمد ﴿لتخرج الناس من الظلمات﴾ الكفر ﴿إلى النور﴾ الإيمان ﴿بإذن﴾ بأمر ﴿ربهم﴾ ويبدل من «إلى النور»: ﴿إلى صراط﴾ طريق ﴿العزيز﴾ الغالب ﴿الحميد﴾ المحمود.

٢﴿الله﴾ بالجر بدل، أو: عطف بيان، وما بعده صفة، والرفع مبتدأ، خبرُه: ﴿الذي له ما في السماوات وما في الأرض﴾ ملكاً [فهو مالكهم]، وخلقاً [فهو خالقهم]، وعبيداً [فهو ربهم] ﴿وويل للكافرين من عذاب شديد﴾.

٣﴿الذين﴾ نعت ﴿يستحبون﴾ يختارون ﴿الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون﴾ الناس ﴿عن سبيل الله﴾ دين الإسلام ﴿ويبغونها﴾ أي: السبيل ﴿عوجاً﴾ معوجة، [أي: يحبون أن تكون سبيل الله عوجاً، مائلةً، عائلةً، وهي مستقيمة في نفسها، لا يضرها من خالفها، ولا من خذلها] ﴿أولئك في ضلال بعيد﴾ عن الحق.

٤﴿وما أرسلنا من رسول إلاَّ بلسان﴾ بلغة ﴿قومه ليبين لهم﴾ لِيُفَهِّمَهُمْ ما أتى به ﴿فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز﴾ في ملكه ﴿الحكيم﴾ في صنعه.

= فيهم، وذلك لأن عامة اليهود والنصارى لم يكونوا يعلمون التوراة والإنجيل، ولا يحفظون منها شيئاً، بل هم يتلقونها من أحبارهم ورهبانهم، وهؤلاء كانوا يقرأون نعت النبي ﷺ في كتبهم، ويعرفون أنه رسول الله حقاً وصدقاً، ولكنهم يكتمون ذلك عن الناس، لئلا يؤمنوا بمحمد ﷺ، قال تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾.

(١) قوله: «الله أعلم بمراده بذلك» هذا هو القول الصحيح في تفسير هذه الأحرف، [ارجع إلى تعليقنا حولها ص ٣].

٥ ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا﴾ التسع[1]، وقلنا له: ﴿أن أخرج قومك﴾ بني إسرائيل ﴿من الظلمات﴾ الكفر ﴿إلى النور﴾ الإيمان ﴿وذكرهم بأيام الله﴾ بنعمه ﴿إن في ذلك﴾ التذكير ﴿لآيات لكل صبار﴾ على الطاعة ﴿شكور﴾ للنعم.

٦ ﴿و﴾ اذكر ﴿إذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم﴾ المولودين ﴿ويستحيون﴾ يستبقون ﴿نساءكم﴾ [فلا يقتلونهن]، لقول بعض الكهنة: إن مولوداً يولد في بني إسرائيل، يكون سببَ ذهاب ملك فرعون ﴿وفي ذلكم﴾ الإنجاء، أو: العذاب ﴿بلاء﴾ [أي:] إنعام [عليكم بإنجائكم]، أو: ابتلاء [لكم بما أصابكم من العذاب] ﴿من ربكم عظيم﴾.

٧ ﴿وإذ تأذن﴾ أعلم ﴿ربكم لئن شكرتم﴾ نعمتي، بالتوحيد والطاعة ﴿لأزيدنكم ولئن كفرتم﴾ جحدتم النعمة، بالكفر والمعصية، لأعذبنكم، دلَّ عليه: ﴿إن عذابي لشديد﴾.

٨ ﴿وقال موسى﴾ لقومه ﴿إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني﴾ عن خلقه ﴿حميد﴾ محمود في صنعه بهم[2].

٩ ﴿ألم يأتكم﴾ استفهام تقرير، [أي: قد أتاكم] ﴿نبأ﴾ خبر ﴿الذين من قبلكم قوم نوح وعاد﴾ قوم هود ﴿وثمود﴾ قوم صالح ﴿والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله﴾ لكثرتهم؟ ﴿جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ الحجج الواضحة، على صدقهم ﴿فردوا﴾ أي: الأمم ﴿أيديهم في أفواههم﴾ أي: إليها، ليَعَضُّوا عليها، من شدة الغيظ ﴿وقالوا إنا كفرنا بما

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ

(١) قوله: «التسع». وهي آيات: اليد، والعصا، والسِّنين، وطمس الأموال، والطوفان، والجراد، والقُمَّل، والضفادع، والدم. جاء بها موسى عليه السلام إلى فرعون وقومه «القبط»، ليؤمنوا به ويُسلموا معه لله رب العالمين، وأوتي آيات أخرى كثيرة لحمل قومه بني إسرائيل على الرجوع عن الضلال، أو على أخذ ما في التوراة، وقد بيّنا ذلك مفصلاً في تعليقنا ص ٢٧٨.

(٢) قوله: «محمود في صنعه بهم»، صُنْعُ الله بهم، يعني: العقاب، سواء أكان في الدنيا أم في الآخرة، وهذه إشارة إلى أن القصاص أو العقوبة لمستحقها عدل، والعدل محمود غير مذموم، وكذلك فاعل العدل، فلا يصح أن ينسب إلى العادل في المعاقبة ظلم، فالله تعالى قد أهلك القرون الأولى بظلمهم وكفرهم، وأوجب عقوبات صارمة على المعتدين على دماء الناس وأموالهم وأعراضهم، لردعهم وتأمين الناس من شرهم، وهذا عين العدل.

فعجبٌ قولهم عن أحكام الإسلام هذه: إنها همجية قاسية، إذ تأخذهم الرأفة بالمجرمين والظالمين المعتدين، ولا تأخذهم الرأفة بالمعتدى عليهم، المظلومين، المقهورين، المضطهدين، وفيهم الأرامل والأيتام، الذين جنت عليهم أيدي أولئك المجرمين، فلا حياة إلاَّ في ظلال العدل كما قال تعالى: ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون﴾.

أرسلتم به﴾ على زعمكم ﴿وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب﴾ موقع في الريبة.

١٠ ﴿قالت رسلهم أفي الله شك؟﴾ استفهام إنكار، أي: لا شك في توحيده، للدلائل الظاهرة عليه ﴿فاطر﴾ خالق ﴿السماوات والأرض يدعوكم﴾ إلى طاعته ﴿ليغفر لكم من ذنوبكم﴾ «من» زائدة، فإن الإسلام يُغفر به ما قبله، أو: [هي] تبعيضية، لإخراج حقوق العباد ﴿ويؤخركم﴾ بلا عذاب ﴿إلى أجل مسمى﴾ أجل الموت ﴿قالوا إن﴾ ما ﴿أنتم إلاَّ بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا﴾ من الأصنام ﴿فأتونا بسلطان مبين﴾ حجة ظاهرة، على صدقكم.

أَرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ﴿٩﴾ ۞ قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿١٠﴾ قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأۡتِيَكُم بِسُلۡطَٰنٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ

١١ ﴿قالت لهم رسلهم إن﴾ ما ﴿نحن إلاَّ بشر مثلكم﴾ كما قلتم ﴿ولكن الله يمن على من يشاء من عباده﴾ بالنبوة ﴿وما كان﴾ ما ينبغي ﴿لنا أن نأتيكم بسلطان﴾ [أي: آية وبرهان، على صدق ما نقول] ﴿إلاَّ بإذن الله﴾ بأمره، لأنا عبيد مربوبون ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ يثقوا به[1].

١٢ ﴿وما لنا أ﴾ ن ﴿لا نتوكل على الله﴾ أي: لا مانع لنا من ذلك ﴿وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا﴾ على أذاكم ﴿وعلى الله فليتوكل المتوكلون﴾.

١٣ ﴿وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن﴾ لتصيرُنَّ ﴿في ملتنا﴾ ديننا ﴿فأوحى إليهم ربهم لنهلكن

---

(١) قوله: «يثقوا به». هذا هو التفسير الصحيح لمعنى «التوكل» إنه: «الثقة بالله»، فالمتوكل: هو الواثق بما عند الله تعالى، المعتمد عليه وحده، موقناً بأنه: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، مطمئنة بذلك نفسه، ففي التوكل إيمان بوحدانية الله تعالى وكمال صفاته، وليس التوكل ترك الأسباب، وعدم العمل والسعي في الرزق، كما يتوهم البعض، فإن هذا «تواكل» وليس توكلاً، فالتاجر ــ مثلاً ــ يفتح متجره، ويضع فيه بضاعة، ويجلس فيه، وهذه كلها أسباب، أما الرزاق فهو الله تعالى، الذي يسوق إليه رزقه المقسوم له.

فأساس التوكل وعماده: الاعتماد على الله والثقة به تعالى وحده، في كل حال وشأن، ولا ينافي هذا المعنى أن يعمل العبد بالأسباب، مع اعتقاده بأنها لا تضر ولا تنفع، ولا تعطي ولا تمنع، بل إن فاعل ذلك كله وخالقه هو الله تعالى، روى الترمذي وحسَّنه، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً ــ أي: ضامرة البطون من الجوع ــ وتروح ــ أي: ترجع آخر النهار ــ بطاناً» أي: ممتلئة البطون، نلاحظ قوله ﷺ: «تغدو، وتروح»، أي: فلو لم تفعل الطير ذلك، لماتت في أعشاشها.

﴿الظالمين﴾ الكافرين. ١٤ ﴿ولنسكننكم الأرض﴾ أرضهم ﴿من بعدهم﴾ بعد هلاكهم ﴿ذلك﴾ النصر وإيراث الأرض ﴿لمن خاف مقامي﴾ أي: مقامه بين يديَّ ﴿وخاف وعيد﴾ بالعذاب. ١٥ ﴿واستفتحوا﴾ استنصر الرسل بالله على قومهم ﴿وخاب﴾ خسر ﴿كل جبار﴾ متكبر عن طاعة الله ﴿عنيد﴾ معاند للحق. ١٦ ﴿من ورائه﴾ أي: أمامه[1] ﴿جهنم﴾ يدخلها ﴿ويسقى﴾ فيها ﴿من ماء صديد﴾ هو: ما يسيل من جوف أهل النار، مختلطاً بالقيح والدم.

١٧ ﴿يتجرعه﴾ يبتلعه، مرةً بعد مرة، لمرارته [وقَذَارته] ﴿ولا يكاد يسيغه﴾ يزدرده، لقبحه وكراهته ﴿ويأتيه الموت﴾ أي: أسبابه المقتضية له، من أنواع العذاب ﴿من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه﴾ [أي:] بعد ذلك العذاب ﴿عذاب غليظ﴾ قوي متصل.

ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٨﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعٗا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ قَالُواْ لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ

١٨ ﴿مثل﴾ صفة ﴿الذين كفروا بربهم﴾ مبتدأ، ويبدل منه ﴿أعمالهم﴾ الصالحات، كصلة [رحم] وصدقة، في عدم الانتفاع بها ﴿كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف﴾ شديد هبوب الريح، فجعلته هباءً منثوراً، لا يُقْدَرُ عليه، والجار والمجرور خبر المبتدأ ﴿لا يقدرون﴾ أي: الكفار ﴿مما كسبوا﴾ عملوا في الدنيا ﴿على شيء﴾ أي: لا يجدون له ثواباً [في الآخرة]، لعدم شرطه، [وهو: الإيمان، بل يثابون عليه في الدنيا، قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة، يعطى بها في الدنيا، ويجزى بها في الآخرة، أما الكافر، فَيُطْعَمُ بحسناتِ ما عمل بها لله، في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة، لم تكن له حسنة يُجْزى بها» رواه مسلم] ﴿ذلك﴾ [أي: كفرهم بربهم، وخسرانهم ثواب أعمالهم بسببه] ﴿هو الضلال﴾ [الذي أدّى بهم إلى الهلاك] ﴿البعيد﴾ [صفة «الضلال»، لبيان شدة ضلالهم، وبعدهم عن الإيمان]. ١٩ ﴿ألم تر﴾ تنظر يا مخاطب، استفهام تقرير ﴿أن الله خلق السماوات والأرض بالحق﴾؟ متعلق بـ «خلق» ﴿إن يشأ يذهبكم﴾ أيها الناس ﴿ويأت بخلق جديد﴾ بدلكم. ٢٠ ﴿وما ذلك على الله بعزيز﴾ شديد.

٢١ ﴿وبرزوا﴾ أي: الخلائق، والتعبير فيه، وفيما بعده بالماضي، لتحقق وقوعه ﴿لله جميعاً فقال الضعفاء﴾ الأتباع ﴿للذين استكبروا﴾ المتبوعين ﴿إنا كنا لكم تبعاً﴾ جمع «تابع» ﴿فهل أنتم مغنون﴾ دافعون ﴿عنا من عذاب الله من شيء﴾ «مِنْ» الأولى للتبيين، والثانية للتبعيض ﴿قالوا﴾ أي: المتبوعون ﴿لو هدانا الله

---

(١) قوله: «أي: أمامه» ومثله قوله تعالى في سورة «الكهف»: ﴿وكان وراءهم ملك﴾ أي: أمامهم، قال أبو جعفر النحاس المتوفى عام (٣٣٨هـ) في قوله تعالى: ﴿من ورائه جهنم﴾ أي: من أمامه، فهي من: «توارى» أي: استتر، وقال أبو منصور الأزهري اللغوي المتوفى عام (٣٧٠هـ): إن «وراء»، تكون بمعنى: «خلف وأمام» فهو من الأضداد، واشتقاقها مما توارى واستتر، قال القرطبي: وهو حسن. اهـ. فجهنم لا يراها الكافر الآن، بل هو مقبل إليها، فهي أمامه.

لَهَدَيْنَٰكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ

﴿لهديناكم﴾ لدعوناكم إلى الهدى **﴿سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من﴾** زائدة **﴿محيص﴾** ملجأ.

٢٢ **﴿وقال الشيطان﴾** إبليس **﴿لما قضي الأمر﴾** وأُدخل أهلُ الجنةِ الجنَّةَ، وأهلُ النار النارَ، واجتمعوا عليه [يلومونه]: **﴿إن الله وعدكم وعد الحق﴾** بالبعث والجزاء، فَصَدَقَكُمْ **﴿ووعدتكم﴾** أنه غير كائن **﴿فأخلفتكم وما كان لي عليكم من﴾** زائدة **﴿سلطان﴾** قوة وقدرة، أقهركم على متابعتي **﴿إلاَّ﴾** لكن **﴿أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني﴾** [على دعوتي] **﴿ولوموا أنفسكم﴾** على إجابتي، [فإنكم استجبتم لي بمحض إرادتكم واختياركم، فكفُّوا عن اللوم، فلن ينفعنا شيء من ذلك الآن] **﴿ما أنا بمصرخكم﴾** بمغيثكم **﴿وما أنتم بمصرخي﴾** بفتح الياء وكسرها **﴿إني كفرت بما أشركتمون﴾** بإشراككم إياي مع الله **﴿من قبل﴾** في الدنيا، قال تعالى: **﴿إن الظالمين﴾** الكافرين **﴿لهم عذاب أليم﴾** مؤلم.

٢٣ **﴿وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين﴾** حال مقدَّرة، [أي: مقدَّراً خلودهم] **﴿فيها بإذن ربهم تحيتهم فيها﴾** من الله، ومن الملائكة، وفيما بينهم **﴿سلام﴾**.

٢٤ **﴿ألم تر﴾** تنظر **﴿كيف ضرب الله مثلاً﴾** ويبدل منه **﴿كلمة طيبة﴾** أي: «لا إله إلاَّ الله» **﴿كشجرة طيبة﴾** هي: النخلة[1] **﴿أصلها ثابت﴾** في الأرض **﴿وفرعها﴾** غصنها [وجذعها طويل عالٍ] **﴿في السماء﴾**؟

٢٥ **﴿تؤتي﴾** تعطي **﴿أكلها﴾** ثمرها **﴿كل حين بإذن ربها﴾** بإرادته، كذلك كلمة الإيمان، ثابتة في قلب المؤمن، وعمله [الصالح]، يصعد إلى السماء، ويناله بركته وثوابه كل وقت **﴿ويضرب﴾** يبين **﴿الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون﴾** يتعظون، فيؤمنون.

٢٦ **﴿ومثل كلمة خبيثة﴾** هي: كلمة الكفر **﴿كشجرة خبيثة﴾** هي: [شجرة] «الحنظل»

---

(١) قوله: «هي النخلة»، إن تفسير «الشجرة الطيبة» في هذه الآية «بالنخلة»، وتفسير «الشجرة الخبيثة» في الآية «٢٦» «بالحَنْظَلَة»، جاء في روايات عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً في بعضها إلى النبي ﷺ، كما في روايات ابن جرير وابن أبي حاتم وأبي يعلى، ورواية عند الترمذي من حديث حمَّاد بن سلمة، ولكن الأصح ــ كما قال الترمذي ــ والمشهور لدى العلماء: أنه موقوف على أنس رضي الله عنه، فهو تفسير صحابي، وقد جاء في الصحيحين، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «أخبروني عن شجرة تشبه الرجل المسلم، لا يتحاتُّ ورقها صيفاً ولا شتاء، وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها»، قال ابن عمر: فوقع في نفسي: أنها النخلة، ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان، فكرهت أن أتكلم، فقال رسول الله ﷺ: «هي النخلة»، وهذا تفسير واضح للشجرة الطيبة، في الآية.

و «الحنظلة»: شجرة صحراوية لا ساق لها تمتد فروعها على الأرض كما يمتد زرع البطيخ، ثمرها شبيه بثمر البطيخ الأصفر الصغير وهو مرّ كريه، يجتثها الزارع حيث وجدها، وبها ضرب النبي ﷺ مثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن فقال: «ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة، ليس لها ريح ــ أي: طيب ــ وطعمها مر»، رواه الشيخان من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

﴿اجتثت﴾ استؤصلت [لانعدام الخير منها] ﴿من فوق الأرض ما لها من قرار﴾ مستقرٌ وثبات، كذلك كلمة الكفر، لا ثبات لها، ولا فرع، ولا بركة. ٢٧﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت﴾ هي: كلمة التوحيد ﴿في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ أي: [في] القبر[1]، لمَّا يسألهم الملكان، عن ربهم ودينهم ونبيهم، فيجيبون بالصواب، كما في حديث الشيخين، ﴿ويضل الله الظالمين﴾ الكفار، فلا يهتدون للجواب بالصواب، بل يقولون: لا ندري، كما في الحديث [اقرأ التعليق] ﴿ويفعل الله ما يشاء﴾. ٢٨﴿ألم تر﴾ تنظر ﴿إلى الذين بدلوا نعمة الله﴾ أي: شكرها ﴿كفراً﴾ هم كفار قريش ﴿وأحلوا﴾ أنزلوا ﴿قومهم﴾ بإضلالهم إياهم ﴿دار البوار﴾ الهلاك؟ ٢٩﴿جهنم﴾ عطف بيان ﴿يصلونها﴾ يدخلونها ﴿وبئس القرار﴾ المَقرُّ هي.

٣٠﴿وجعلوا لله أنداداً﴾ شركاء ﴿ليضلوا﴾ بفتح الياء وضمها ﴿عن سبيله﴾ دين الإسلام ﴿قل﴾ لهم ﴿تمتعوا﴾ بدنياكم قليلاً ﴿فإن مصيركم﴾ مرجعكم ﴿إلى النار﴾.

٣١﴿قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية من قبل أن يأتي يوم لا بيع﴾ فداء ﴿فيه ولا خلال﴾ مخالَّة، أي: صداقة تنفع، هو: يوم القيامة.

٣٢﴿الله الذي خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك﴾ السفن ﴿لتجري في البحر﴾ بالركوب والحمل ﴿بأمره﴾ بإذنه ﴿وسخر لكم الأنهار﴾. ٣٣﴿وسخر لكم الشمس والقمر دائبين﴾ جاريين في فَلَكِهما، لا يَفْتُران

اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٣١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ

---

(١) قوله: «أي: في القبر لما يسألهم الملكان» إلخ، «القبر»: إما روضة من رياض الجنة، وإما حفرة من حفر النار، فإن كان ما فيه خيراً فما بعده خير منه، وإن كان ما فيه شراً فما بعده شر منه، وسؤال الملكين في القبر حق، فقد أخرج الشيخان وغيرهما، واللفظ للبخاري، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولّى وذهب أصحابه، حتى إنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه مَلَكان فأقعداه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل، محمد ﷺ؟ فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار، أبدلك الله به مقعداً من الجنة»، قال النبي ﷺ: «فيراهما جميعاً، وأما المنافق فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دَرَيْتَ ولا تَلَيْتَ، ثم يُضرب بمطرقة من حديد ضربةً بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين» ـ أي: الإنس والجن ـ وهذا هو الحديث الذي أشار إليه السيوطي في تفسير الآية، واسم الملَكين: «مُنكر ونكير» كما في حديث حسنه الترمذي.

وعذاب القبر حق: فقد روى البخاري، عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ: مرّ بقبرين فقال: «إنهما يعذّبان، وما يعذّبان في كبير، بلى إنه كبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله»، ارجع إلى تعليقنا حول النميمة ص ٢٤٩، وقد صحّ عن النبي ﷺ أنه كان يستعيذ بالله تعالى من عذاب القبر.

ومما ينبغي أن يُعلم: أن عذاب القبر ونعيمه، اسم لعذاب البرزخ ونعيمه، و «البرزخ» هو: ما بين الدنيا والآخرة، فكل من مات =

وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ
وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ
كَفَّارٞ ﴿٣٤﴾ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا
وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ
كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي
فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ
غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ
فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ
ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ
مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ
وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى
ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾

﴿وسخر لكم الليل﴾ لتسكنوا فيه ﴿والنهار﴾ لتبتغوا فيه من فضله. ٣٤﴿وآتاكم من كل ما سألتموه﴾ على حسب مصالحكم ﴿وإن تعدوا نعمة الله﴾ بمعنى: إنعامه [عليكم] ﴿لا تحصوها﴾ لا تطيقوا عدها ﴿إن الإنسان﴾ الكافر ﴿لظلوم كفار﴾ كثير الظلم لنفسه، بالمعصية، والكفر لنعمة ربه، [أما المؤمن الصالح، فهو شاكر لأنعم الله تعالى].

٣٥﴿ و ﴾ اذكر ﴿إذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد﴾ مكة ﴿آمناً﴾ ذا أمن، وقد أجاب الله دعاءه، فجعله حرماً، لا يسفك فيه دم إنسان، ولا يظلم فيه أحد، ولا يصاد صيده، ولا يُخْتَلَى خَلاه، [أي: لا يُقطع حشيشُه النابت بنفسه] ﴿واجنبني﴾ بَعِّدْني ﴿وبنيَّ﴾ عن ﴿أن نعبد الأصنام﴾. ٣٦﴿رب إنهن﴾ أي: الأصنام ﴿أضللن كثيراً من الناس﴾ بعبادتهم لها ﴿فمن تبعني﴾ على التوحيد ﴿فإنه مني﴾ من أهل ديني ﴿ومن عصاني فإنك غفور رحيم﴾ [قال إبراهيم] هذا، قبل علمه أنه تعالى لا يغفر الشرك، [أو: أنه يعني: العصيانَ غيرَ الشرك]. ٣٧﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي﴾ أي: بعضها، وهو: «إسماعيل» مع أمه «هاجر» ﴿بواد غير ذي زرع﴾ هو: مكة ﴿عن بيتك المحرم﴾ الذي كان قبل الطوفان ﴿ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة﴾ قلوباً ﴿من الناس تهوي﴾ تميل وتحنُّ ﴿إليهم﴾ قال ابن عباس: لو قال: «أفئدة الناس»، لحنَّت إليه فارس والروم، والناس كلُّهم ﴿وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾ وقد [استجاب الله له ذلك، كما قال: «أو لم نمكِّن لهم حرماً آمناً يُجبى إليه ثمراتُ كل شيءٍ رزقاً من لَدُنَّا»؟ فمع أنه ليس في مكة شجرة مثمرة، فإن الثمرات تجبى إليها من كل مكان، استجابة لدعاء الخليل عليه السلام، وقيل:] فَعَلَ [ذلك]، بنقل الطائف إليه[1]. ٣٨﴿ربنا إنك تعلم ما نخفي﴾ نسر ﴿وما نعلن﴾ [إلى هنا من كلام إبراهيم، وأما قوله:] ﴿وما يخفى على الله من﴾ زائدة ﴿شيء في الأرض ولا في السماء﴾ [فإنه] يحتمل أن يكون كلامه تعالى، أو: كلام إبراهيم. ٣٩﴿الحمد لله الذي وهب لي﴾ أعطاني ﴿على﴾ مع ﴿الكبر إسماعيل﴾ [وهو الذبيح على الصحيح،] وُلِدَ، وله تسع وتسعون سنة ﴿وإسحاق﴾ ولد، وله مائة واثنتا عشرة سنة ﴿إن ربي لسميع الدعاء﴾.

= وهو مستحق لعذاب، ناله نصيبه منه، قُبر أو لم يُقبَر، فلو أكلته السباع أو أحرق حتى صار رماداً، وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور، ومثله النعيم للصالحين، ارجع إلى تعليقنا حول مستقر الروح بعد الموت ص ١٩٨ وإلى ص ٥٣٧.

(١) قوله: «فعل بنقل الطائف إليه» أي: إلى الحرم، هذا قول لا دليل عليه، فالصحيح هو ما ذكرناه في سياق تفسير الآية.

٤٠ ﴿رب اجعلني مقيم الصلاة و﴾ اجعل ﴿من ذريتي﴾ من يقيمها، وأتى بـ«مِنْ»، لإعلام الله تعالى له، أن منهم كفاراً ﴿ربنا وتقبل دعاء﴾ المذكور.

٤١ ﴿ربنا اغفر لي ولوالدي﴾ هذا قبل أن يتبين له عداوتُهما لله عز وجل، وقيل: أسلمت أمه، وقرىء [شذوذاً]: «والدي» مفرداً، «وَوَلَدَيَّ» [يعني: ابنَيْهِ] ﴿وللمؤمنين يوم يقوم﴾ يثبت ﴿الحساب﴾.

٤٢ قال تعالى: ﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون﴾ الكافرون، من أهل مكة [وغيرها] ﴿إنما يؤخرهم﴾ بلا عذاب ﴿ليوم تشخص فيه الأبصار﴾ لهول ما ترى، يقال: شَخَصَ بصر فلان، أي: فتحه فلم يغمضه.

رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ

٤٣ ﴿مهطعين﴾ مسرعين، حال ﴿مقنعي﴾ رافعي ﴿رؤوسهم﴾ إلى السماء ﴿لا يرتد إليهم طرفهم﴾ بصرهم ﴿وأفئدتهم﴾ قلوبهم ﴿هواء﴾ خالية من العقل، لفزعهم.

٤٤ ﴿وأنذر﴾ خوف يا محمد ﴿الناس﴾ الكفار ﴿يوم يأتيهم العذاب﴾ هو يوم القيامة ﴿فيقول الذين ظلموا﴾ كفروا ﴿ربنا أخرنا﴾ بأن نُرَدَّ إلى الدنيا ﴿إلى أجل قريب نجب دعوتك﴾ بالتوحيد ﴿ونتبع الرسل﴾ فيقال لهم توبيخاً: ﴿أولم تكونوا أقسمتم﴾ حلفتم ﴿من قبل﴾ في الدنيا ﴿ما لكم من﴾ زائدة ﴿زوال﴾ عنها إلى الآخرة؟، [أي: أنكرتم البعث].

٤٥ ﴿وسكنتم﴾ فيها ﴿في مساكن الذين ظلموا أنفسهم﴾ بالكفر من الأمم السالفة ﴿وتبين لكم كيف فعلنا بهم﴾ من العقوبة، فلم تنزجروا ﴿وضربنا﴾ بيّنا ﴿لكم الأمثال﴾ في القرآن، فلم تعتبروا.

٤٦ ﴿وقد مكروا﴾ [أي: كفار مكة]، بالنبي ﷺ ﴿مكرهم﴾ حيث أرادوا قتله، أو تقييده، أو إخراجه ﴿وعند الله مكرهم﴾ أي: علمه، أو: جزاؤه ﴿وإن﴾ ما ﴿كان مكرهم﴾ وإن عظم ﴿لتزول منه الجبال﴾ [لضعفه ووهنه]، المعنى: لا يُعبأ به، ولا يَضُر إلاّ أنفسهم، والمراد بالجبال هنا حقيقتها، وقيل: شرائع الإسلام، المشبهةَ بها في القرار والثبات، وفي قراءة: بفتح لام «لَتَزُول»، ورفع الفعل، فـ«إن» مخففة، [والهاء ضمير الشأن مقدرة، واللام هي الفارقة بين النافية والمخففة، أي: «وإنه كان مكرهم لَتزولُ»]، والمراد تعظيم مكرهم، وقيل: المراد بالمكر كفرهم، ويناسبه على [القراءة] الثانية، [قولُه تعالى في سورة «مريم»:] «تكاد السماوات يتفطّرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدّاً * [أن دعوا للرحمن ولداً]»، وعلى [القراءة] الأولى، [يناسبه] ما قرىء [شذوذاً]: «وما كان». ٤٧ ﴿فلا تحسبن الله

مخلف وعده رسله﴾ بالنصر ﴿إن الله عزيز﴾ غالب، لا يعجزه شيء ﴿ذو انتقام﴾ ممن عصاه. ٤٨ اذكر ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض و﴾ [تُبدَّل] ﴿السماوات﴾ هو يوم القيامة، فَيُحشر الناس، على أرض بيضاء نقية، كما في حديث الصحيحين، [الذي رواه البخاري في «الرِّقاق»، ومسلم في «التوبة»]، وروى مسلم [والترمذي وابن ماجه] حديث: سئل النبي ﷺ، [والسائل هي: أم المؤمنين عائشة قالت: قلت:] أين الناس يومئذ؟ قال: «على الصراط» ﴿وبرزوا﴾ وخرجوا من القبور ﴿لله الواحد القهار﴾. ٤٩ ﴿وترى﴾ يا محمد، تبصر ﴿المجرمين﴾ الكافرين ﴿يومئذ مقرنين﴾ مشدودين مع شياطينهم ﴿في الأصفاد﴾ القيود، أو: الأغلال. ٥٠ ﴿سرابيلهم﴾ قمصهم ﴿من قطران﴾ لأنه أبلغ

مُخۡلِفَ وَعۡدِهِۦ رُسُلَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ ﴿٤٧﴾ يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجۡزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٢﴾



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ﴿١﴾ رُّبَمَا

حزب ٢٧ جزء ١٤

لاشتعال النار ﴿وتغشى﴾ تعلو ﴿وجوههم النار﴾. ٥١ ﴿ليجزي﴾ متعلق بـ «برزوا» ﴿الله كل نفس ما كسبت﴾ من خير وشر ﴿إن الله سريع الحساب﴾ يحاسب جميع الخلق، في قدر نصف نهار من أيام الدنيا، لحديث بذلك(١) [اقرأ التعليق]. ٥٢ ﴿هذا﴾ القرآن ﴿بلاغ للناس﴾ أي: أنزل لتبليغهم ﴿ولينذروا به وليعلموا﴾ بما فيه من الحجج ﴿أنما هو﴾ أي: الله ﴿إله واحد وليذكّر﴾ بإدغام التاء في الأصل في الذال، يتعظ ﴿أولو الألباب﴾ أصحاب العقول.

﴿ سُورَةُ الحِجۡرِ ﴾

(مكية، تسع وتسعون آية)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ﴿الر﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تلك﴾ هذه الآيات ﴿آيات الكتاب﴾ القرآن، والإضافة بمعنى: «مِنْ» ﴿وقرآن مبين﴾ مظهر للحق من الباطل، عُطف بزيادة صفة.

٢ ﴿ربما﴾ بالتشديد والتخفيف، [وهما قراءتان سبعيتان، ولغتان في: «رُبَّ»]

---

(١) قوله: «من أيام الدنيا لحديث بذلك»، لقد سها الجلال السيوطي، بوصفه النهار بأنه «من أيام الدنيا»، وكرر ذلك في ثلاثة مواضع أخرى: ص ٤٠، وص ٩٦، وص ١٧٢، ومثله فعل الجلال المحلي ص ٦١٩، والصواب: أن الله تعالى يحاسب الخلق كلهم في «مقدار نصف نهار»، أما مقدار هذا النهار، فقد جاء مبيناً في قوله تعالى في سورة «المعارج» ﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾، وهو: يوم القيامة، فيتم الحساب في نصف هذا اليوم، لما رواه ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يقوم الناس لرب العالمين مقدار نصف يوم من خمسين ألف سنة، يهوّن ذلك على المؤمن، كتدلّي الشمس للغروب إلى أن تغرب»، ويؤيده ما رواه الشيخان في عقاب مانعي الزكاة في المحشر وفيه قوله ﷺ: «في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يُقْضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»، وروى ابن المبارك في الزهد، وابن أبي حاتم، والحاكم وغيرهم، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ــ موقوفاً عليه ــ قال: «لا ينتصف النهار من يوم القيامة حتى يَقيل هؤلاء وهؤلاء» أي: المؤمنون في الجنة، والكفار في النار، =

﴿يود﴾ يتمنى ﴿الذين كفروا﴾ يوم القيامة، إذا عاينوا حالهم وحال المسلمين ﴿لو كانوا مسلمين﴾ و «رُبَ» للتكثير، فإنه يكثر منهم تمني ذلك، وقيل: للتقليل، [واعتمده النسفي، وقال: من قال «رب» للتكثير فهو سهو، لأن ذلك ضد ما يعرفه أهل اللغة]، فإن الأهوال تدهشهم، فلا يفيقون حتى يتمنوا ذلك، إلاَّ في أحيان قليلة. ٣﴿ذرهم﴾ اترك الكفار يا محمد ﴿يأكلوا ويتمتعوا﴾ بدنياهم ﴿ويلههم﴾ يشغلهم ﴿الأمل﴾ بطول العمر وغيره، عن الإيمان ﴿فسوف يعلمون﴾ عاقبة أمرهم، وهذا قبل الأمر بالقتال. ٤﴿وما أهلكنا من﴾ زائدة ﴿قرية﴾ أريد أهلها ﴿إلاَّ ولها كتاب﴾ أجل ﴿معلوم﴾ محدود لإهلاكها. ٥﴿ما تسبق من﴾ زائدة ﴿أمة أجلها وما يستأخرون﴾ يتأخرون عنه.

يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾

٦﴿وقالوا﴾ أي: كفار مكة للنبي ﷺ ﴿يا أيها الذي نزل عليه الذكر﴾ القرآن في زعمه ﴿إنك لمجنون﴾. ٧﴿لو ما﴾ هلاَّ ﴿تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين﴾ في قولك: إنك نبي، وإن هذا القرآن من عند الله!. ٨ قال تعالى: ﴿ما تَنَزَّلُ﴾ فيه حذف إحدى التاءين، [والأصل: «تتنزل»] ﴿الملائكة إلاَّ بالحق﴾ بالعذاب، [وفي قراءة أخرى: نُنَزِّلُ، بالنون، وبنصب «الملائكة»] ﴿وما كانوا إذاً﴾ أي: حين نزول الملائكة بالعذاب ﴿منظرين﴾ مؤخَّرين. ٩﴿إنا نحن﴾ تأكيد لاسم «إنَّ»، أو [ضمير] فصل، [والإعراب الأول أصح] ﴿نزلنا الذكر﴾ القرآن ﴿وإنا له لحافظون﴾ من التبديل والتحريف، والزيادة والنقص.

١٠﴿ولقد أرسلنا من قبلك﴾ رسلاً ﴿في شيع﴾ فرق ﴿الأولين﴾. ١١﴿وما﴾ كان ﴿يأتيهم من رسول إلاَّ كانوا به يستهزئون﴾ كاستهزاء قومك بك، وهذا تسلية له ﷺ.

١٢﴿كذلك نسلكه﴾ أي: مثل إدخالنا التكذيب في قلوب أولئك، ندخله ﴿في قلوب المجرمين﴾ أي: كفار مكة. ١٣﴿لا يؤمنون به﴾ بالنبي ﷺ ﴿وقد خلت سنة الأولين﴾ أي: سنة الله فيهم، من تعذيبهم بتكذيبهم أنبياءهم، وهؤلاء مثلهم.

١٤﴿ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه﴾ في الباب ﴿يعرجون﴾ يصعدون.

= فيوم القيامة طويل جداً على الفاسقين، وهو أطول على الكافرين ﴿كان يوماً على الكافرين عسيراً﴾، ولكنه يهون على المؤمنين ـ كلٌّ بحسب عمله ـ فمنهم الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، وهم سبعون ألفاً من أمة محمد ﷺ كما في حديث رواه الشيخان، ويكون قصيراً على الفقراء من المسلمين، فيدخلون الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام، كما في حديث رواه الترمذي وصححه الحاكم، وفي رواية لمسلم: قبل أربعين عاماً، بينما الأغنياء محبوسون للحساب على مالهم، من أين اكتسبوه؟ وفيمَ أنفقوه؟.

أما ما رواه أحمد وأبو داود، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «إني لأرجو أن لا تَعْجِزَ أمتي عند ربها أن يؤخرهم نصف يوم» قيل لسعد: وكم نصف يوم؟ قال: خمسمائة عام، فهو محمول على قرب قيام الساعة على الصحيح، =

لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ

١٥ ﴿لقالوا إنما سكِّرت﴾ سُدَّت ﴿أبصارنا بل نحن قوم مسحورون﴾ يخيل إلينا ذلك، [ولمَّا آمنوا]. ١٦ ﴿ولقد جلعنا في السماء بروجاً﴾ اثني عشر: الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسُّنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجَدي، والدلو، والحوت، وهي: منازل الكواكب السبعة السيارة: «المريخ»: وله الحمل والعقرب، و «الشمس»: ولها الأسد، و «الزهرة»: ولها الثور والميزان، و «عطارد»: وله الجوزاء والسنبلة، و «القمر»: وله السرطان، و «المشتري»: وله القوس والحوت؛ و «زُحَل»: وله الجدي والدلو ﴿وزيناها﴾ بالكواكب ﴿للناظرين﴾. ١٧ ﴿وحفظناها﴾ بالشهب ﴿من كل شيطان رجيم﴾ مرجوم. ١٨ ﴿إلاَّ﴾ لكن ﴿من استرق السمع﴾ خطفه ﴿فأتبعه شهاب مبين﴾ [«الشهاب»: شعلة نار تنفصل من الكوكب، على الصحيح، وقيل:] كوكب مضيء يُحرِقُه، أو: يثقبه، أو: يخبله. ١٩ ﴿والأرض مددناها﴾ بسطناها ﴿وألقينا فيها رواسي﴾ جبالاً ثوابت، لئلا تتحرك بأهلها ﴿وأنبتنا فيها من كل شيء موزون﴾ معلوم مقدر. ٢٠ ﴿وجعلنا لكم فيها معايش﴾ بالياء [فقط، ولا يصح همزها، أي: ما تعتاشون به] من الثمار والحبوب ﴿و﴾ جعلنا لكم ﴿من لستم له برازقين﴾ من العبيد والدواب والأنعام، فإنما يرزقهم الله. ٢١ ﴿وإن﴾ ما ﴿من﴾ زائدة ﴿شيء إلاَّ عندنا خزائنه﴾ مفاتيح خزائنه ﴿وما ننزله إلاَّ بقدر معلوم﴾ على حسب المصالح. ٢٢ ﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾[1] تلقح السحاب، فيمتلىء ماء ﴿فأنزلنا من السماء﴾ السحاب ﴿ماء﴾ مطراً ﴿فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين﴾ أي: ليست خزائنه بأيديكم، [أو: لستم أنتم الخازنون له]. ٢٣ ﴿وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون﴾ الباقون، نرثُ جميع الخلق.

٢٤ ﴿ولقد علمنا المستقدمين منكم﴾ أي: من تقدم من الخلق، من لدن آدم ﴿ولقد علمنا المستأخرين﴾ المتأخرين إلى يوم القيامة. ٢٥ ﴿وإن ربك هو يحشرهم إنه حكيم﴾ في صنعه ﴿عليم﴾ بخلقه. ٢٦ ﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾ آدم.

= وليس على يوم الحساب، لذلك أورده أبو داود في باب: «قرب الساعة»، والمعنى: يمهلهم من زماني هذا إلى انتهاء خمسمائة سنة، بحيث لا يكون أقل من ذلك إلى قيام الساعة، ولو زاد فلا مضايقة فيه.

(١) قوله تعالى: ﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾ تفسير السيوطي له غير واضح، والصحيح: أن وصف «الرياح» بـ «اللواقح»، هو من إعجاز القرآن العلمي القطعي، لأنه من الثابت: أن الرياح بتصريف الله تعالى لها، تلقح الزرع والشجر، ولولا ذلك لم تنتج الحب والثمر، وعملية التلقيح هذه هي مثل تأبير النخل الذي يقوم به الإنسان، يؤيده وصفُ الريح بالعقيم في قوله تعالى: ﴿وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم * ما تذر من شيء أتت عليه إلاَّ جعلته كالرميم﴾.

﴿من صلصال﴾ طين يابس [كالفخار]، يسمع له صلصلة، أي: صوت إذا نُقر ﴿من حمأ﴾ طين أسود ﴿مسنون﴾ متغير [من طول مكثه، حتى يتخمر، وقيل: أي: مصوَّر].

٢٧﴿والجان﴾ أبا الجن، [أي: أصلهم، الذي هو كآدم في الإنس]، وهو: إبليس، [قاله الحسن البصري، والصحيح: أنه أبو الشياطين منهم] ﴿خلقناه من قبل﴾ أي: قبل خلق آدم ﴿من نار السموم﴾ هي نار لا دخان لها، تنفذ من المسام.

٢٨﴿و﴾ اذكر ﴿إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون﴾.

مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ

٢٩﴿فإذا سويته﴾ أتممته ﴿ونفخت﴾ أجريت ﴿فيه من روحي﴾[1] [أي: روحه التي خلقتها له]، فصار حياً، وإضافة الروح إليه [تعالى]، تشريف لآدم ﴿فقعوا له ساجدين﴾ سجود تحية بالانحناء.

٣٠﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون﴾ فيه تأكيدان [هما: «كلهم» و «أجمعون»].

٣١﴿إلا إبليس﴾ هو: [من الجن، وأبو الشياطين، وقيل:] أبو الجن كان بين الملائكة[2] ﴿أبى﴾ امتنع من ﴿أن يكون مع الساجدين﴾.

٣٢﴿قال﴾ تعالى: ﴿يا إبليس مالك﴾ ما منعك ﴿أ﴾ ن ﴿لا﴾ زائدة ﴿تكون مع الساجدين؟﴾.

٣٣﴿قال لم أكن لأسجد﴾ لا ينبغي لي أن أسجد ﴿لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون﴾.

٣٤﴿قال فاخرج منها﴾ أي: من الجنة، وقيل: من السماوات ﴿فإنك رجيم﴾ مطرود.

٣٥﴿وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين﴾ الجزاء.

٣٦﴿قال رب فأنظرني﴾ [أي: أمهلني] ﴿إلى يوم يبعثون﴾ أي: الناس.

٣٧﴿قال فإنك من المنظرين﴾.

٣٨﴿إلى يوم الوقت المعلوم﴾ وقت النفخة الأولى، [حيث يموت مع جميع الخلق]. ٣٩﴿قال رب بما أغويتني﴾ أي: بإغوائك لي، والباء للقسم، وجوابه: ﴿لأزينن لهم في الأرض﴾ المعاصي ﴿ولأغوينهم

---

(١) قوله تعالى: ﴿من روحي﴾، ارجع إلى تعليقنا حول «معاني الروح» ص ٣٧٦.

(٢) قوله: «هو أبو الجن كان بين الملائكة»، الصحيح: أنه أبو الشياطين من الجن، وليس أبا الجن جميعاً كما ذكر السيوطي، ارجع إلى تعليقنا حول «إبليس» ص ٣٨٨، وإلى تعليقنا حول «الجن» ص ٧٧٠، وإلى تعليقنا حول «آدم» ص ٤١٧، وإلى تعليقنا حول حواء» ص ٥٣٣.

أجمعين﴾. ٤٠ ﴿إلاَّ عبادك منهم المخلصين﴾ أي: المؤمنين: ، [فإنهم في مأمن مِنْ غوايتي وإضلالي]. ٤١ ﴿قال﴾ تعالى: ﴿هذا﴾ [أي: الإيمان] ﴿صراط عليّ مستقيم﴾ [أي: طريق يوصلهم إلى جنتي، وأضمن ذلك لعبادي المخلصين، أو: هذا عهد لهم عندي]. ٤٢ و [هذا العهد] هو: ﴿إن عبادي﴾ أي: المؤمنين، [الذين قَدَّرتُ لهم الهداية] ﴿ليس لك عليهم﴾ [أي: على قلوبهم] ﴿سلطان﴾ قوة، [فلا تقدر على إغوائهم] ﴿إلاَّ﴾ لكن ﴿من اتبعك من الغاوين﴾ الكافرين [فالاستثناء منقطع]. ٤٣ ﴿وإن جهنم لموعدهم أجمعين﴾ أي: من اتبعك معك. ٤٤ ﴿لها سبعة أبواب﴾ أطباق [بعضها فوق بعض، قاله علي بن أبي طالب، والصحيح: أنها أبواب سبعة، يدخل من كل باب، جزء من أتباع إبليس، كلٌّ بحسب عمله] ﴿لكل باب﴾ منها ﴿منهم جزء﴾ نصيب ﴿مقسوم﴾.

أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ * نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ

٤٥ ﴿إن المتقين في جنات﴾ بساتين ﴿وعيون﴾ تجري فيها. ٤٦ ويقال لهم: ﴿ادخلوها بسلام﴾ أي: سالمين من كل مخوف، أو: مع سلام، أي: سلِّموا وادخلوا ﴿آمنين﴾ من كل فزع.

٤٧ ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾ حقد ﴿إخواناً﴾ حال منهم ﴿على سرر متقابلين﴾ حال أيضاً، أي: لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض، لدوران الأسرة بهم. ٤٨ ﴿لا يمسهم فيها نصب﴾ تعب ﴿وما هم منها بمخرجين﴾ أبداً.

٤٩ ﴿نبىء﴾[1] خبّر يا محمد ﴿عبادي أني أنا الغفور﴾ للمؤمنين ﴿الرحيم﴾ بهم. ٥٠ ﴿وأن عذابي﴾ للعصاة ﴿هو العذاب الأليم﴾ المؤلم.

٥١ ﴿ونبئهم عن ضيف إبراهيم﴾ هم ملائكة، اثنا عشر، أو عشرة، أو ثلاثة، منهم جبريل.

٥٢ ﴿إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً﴾ أي: هذا اللفظ ﴿قال﴾ إبراهيم، لمَّا عرض عليهم الأكل، فلم يأكلوا: ﴿إنا منكم وجلون﴾ خائفون.

٥٣ ﴿قالوا لا توجل﴾ لا تخف ﴿إنا﴾ رسل ربك ﴿نبشرك بغلام عليم﴾ ذي علم كثير، هو: إسحاق، كما ذُكِرَ في [سورة] «هود» [الآية «٧١»].

٥٤ ﴿قال أبشرتموني﴾ بالولد ﴿على أن مسني

(١) قوله تعالى: ﴿نبىء عبادي﴾ الآيتين: (٤٩ و ٥٠)، قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في «رياض الصالحين»:

«اعلم: أن المختار للعبد في حال صحته، أن يكون خائفاً راجياً، ويكون خوفه ورجاؤه سواءً، وفي حال المرض يمحِّض الرجاءُ ــ أي: يغلِّب الرجاءُ على الخوف ــ وقواعد الشرع من نصوص الكتاب والسنة وغير ذلك، متظاهرة على ذلك، قال تعالى: ﴿فلا يأمن مكر الله ــ أي: انتقامه ــ إلاَّ القوم الخاسرون﴾، وقال تعالى: ﴿إنه لا ييأس من رَوْح الله ــ أي: من رحمته ــ إلاَّ القوم الكافرون﴾ والآيات التي جمعت بين الرجاء والخوف كثيرة، وكذلك الأحاديث النبوية، منها: ما رواه مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد»، وروى البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الجنة أقرب إلى أحدكم من شِراك نعله، والنار مثلُ ذلك».

=

﴿الكبر﴾ حال، أي: مع مسه إياي؟ ﴿فبم﴾ فبأي شيء ﴿تبشرون؟﴾ استفهام تعجب. ٥٥﴿قالوا بشرناك بالحق﴾ بالصدق ﴿فلا تكن من القانطين﴾ الآيسين. ٥٦﴿قال ومن﴾ أي: لا ﴿يقنط﴾[1] بكسر النون وفتحها، [وهما قراءتان سبعيتان] ﴿من رحمة ربه إلاّ الضالون﴾ الكافرون. ٥٧﴿قال فما خطبكم﴾ شأنكم ﴿أيها المرسلون﴾.

٥٨﴿قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين﴾ كافرين، أي: قوم لوط، لإهلاكهم. ٥٩﴿إلاّ آل لوط إنا لمنجوهم أجمعين﴾ لإيمانهم. ٦٠﴿إلاّ امرأته قدرنا﴾ [أي: قدَّر الله تعالى] ﴿إنها لمن الغابرين﴾ الباقين في العذاب، لكفرها.

٦١﴿فلما جاء آل لوط﴾ أي: لوطاً ﴿المرسلون﴾.

٦٢﴿قال﴾ لهم ﴿إنكم قوم منكرون﴾ لا أعرفكم.

٦٣﴿قالوا بل جئناك بما كانوا﴾ أي: قومك ﴿فيه يمترون﴾ يشكُّون، وهو: العذاب.

٦٤﴿وأتيناك بالحق وإنا لصادقون﴾ في قولنا.

٦٥﴿فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم﴾ امش خلفهم ﴿ولا يلتفت منكم أحد﴾ لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم ﴿وامضوا حيث تؤمرون﴾ وهو: الشام.

٦٦﴿وقضينا﴾ أوحينا ﴿إليه ذلك الأمر﴾ وهو ﴿أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين﴾ حال، أي: يتم استئصالهم في الصباح.

٦٧﴿وجاء أهل المدينة﴾ مدينة سدوم[2]، وهم: قوم لوط، لمَّا أخبروه أن في بيت لوط مُرْداً حساناً، وهم الملائكة ﴿يستبشرون﴾ حال، طمعاً في فعل الفاحشة بهم. ٦٨﴿قال﴾ لوط ﴿إن هؤلاء

ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ

فعلى المسلم أن لا يغتر بعفو الله ورحمته، فيلازم المعاصي، كما أن عليه أن لا يقنط من رحمة الله، فيظن أن الله لا يغفر له ذنوبه، فلا يتوب، بل: من تاب توبة صحيحة تاب الله عليه قطعاً، ارجع إلى تعليقنا حول «التوبة» ص ٧٥٢.

(١) قوله تعالى: ﴿ومن يقنط من رحمة ربه إلاّ الضالون﴾ لا يجوز للمسلم أن ييأس من رحمة الله تعالى، ولو كانت ذنوبه كبيرة وسيئاته كثيرة، قال تعالى: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم﴾، فالله تعالى يغفر جميع الذنوب إلاّ الشرك به لقوله سبحانه: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾، وروى الترمذي وحسَّنه، عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني، غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عَنان السماء، ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابن آدم، إنك لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً، لأتيتك بقرابها مغفرة»، ارجع إلى تعليقنا حول التوبة وشروطها ص ٧٥٢ وإلى تعليقنا في الصفحة السابقة ٣٤١.

(٢) قوله: «مدينة سدوم» بالدال المهملة، وصحح بعضهم أنها بالذال المعجمة، وهي أكبر مدنهم، ارجع إلى تعليقنا حول قرى قوم لوط وموقعها ص ٢٩٥.

ضيفي فلا تفضحون﴾. ٦٩﴿واتقوا الله ولا تخزون﴾ بقصدكم إياهم، بفعل الفاحشة بهم. ٧٠﴿قالوا أو لم ننهك عن العالمين﴾ عن إضافتهم. ٧١﴿قال هؤلاء بناتي﴾ [أي: انصرفوا إلى النساء] ﴿إن كنتم فاعلين﴾ ما تريدون من قضاء الشهوة، فتزوجوهن، [قال قتادة السَّدوسي، ومجاهد بن جبر، وغيرهما: لم يكنَّ بناته، ولكنْ كُنَّ من أمته، وكل نبي أبو أمته، وقال ابن جُريج: أمرهم أن يتزوجوا النساء، ولم يعرض عليهم سفاحاً، أي: زناً]. ٧٢ قال تعالى: ﴿لعمرك﴾ خطاب للنبي ﷺ، أي: وحياتك[1] ﴿إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ يترددون. ٧٣﴿فأخذتهم الصيحة﴾ صيحة جبريل ﴿مشرقين﴾ وقت شروق الشمس.

سُورَةُ الحِجر ١٥

ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٖ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُمۡ ءَايَٰتِنَا فَكَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُصۡبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقۡنَا

٧٤﴿فجعلنا عاليها﴾ أي: قراهم ﴿سافلها﴾ بأن رفعها جبريل إلى السماء، وأسقطها مقلوبةً إلى الأرض، [فلذلك سُمِّيت: «المؤتفكات»، لأنها قُلبت بأهلها] ﴿وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل﴾ طين طبخ بالنار. ٧٥﴿إن في ذلك﴾ المذكور ﴿لآيات﴾ دلالات على وحدانية الله ﴿للمتوسمين﴾ للناظرين المعتبرين.

٧٦﴿وإنها﴾ أي: قرى قوم لوط ﴿لبسبيل مقيم﴾ طريق قريش إلى الشام، لم تندرس، أفلا تعتبرون بهم؟

٧٧﴿إن في ذلك لآية﴾ لعبرة ﴿للمؤمنين﴾.

٧٨﴿وإن﴾ مخففة أي: إنه ﴿كان أصحاب الأيكة﴾ هي: غيضة شجر بقرب «مدين»، وهم: قوم «شعيب» ﴿لظالمين﴾ بتكذيبهم شعيباً.

٧٩﴿فانتقمنا منهم﴾ بأن أهلكناهم بشدة الحر ﴿وإنهما﴾ أي: قرى قوم لوط، و [أصحاب] الأيكة[2] ﴿لبإمام﴾ طريق ﴿مبين﴾ واضح، أفلا تعتبرون بهم يا أهل مكة؟

٨٠﴿ولقد كذب أصحاب الحجر﴾ واد بين المدينة والشام، وهم: ثمود[3] ﴿المرسلين﴾ بتكذيبهم صالحاً، لأنه تكذيب لباقي الرسل، لاشتراكهم في المجيء بالتوحيد.

٨١﴿وآتيناهم آياتنا﴾ في الناقة ﴿فكانوا عنها معرضين﴾ لا يتفكرون فيها.

٨٢﴿وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين﴾.

٨٣﴿فأخذتهم الصيحة مصبحين﴾ وقت الصباح.

٨٤﴿فما أغنى﴾ دفع ﴿عنهم﴾ العذاب ﴿ما كانوا يكسبون﴾ من بناء الحصون وجمع الأموال. ٨٥﴿وما خلقنا

(١) قوله: أي: «وحياتك» لم يقسم الله تعالى بحياة أحد غير محمد ﷺ، وهذا تكريم له ورفع لمقامه، ولله تعالى أن يقسم بما شاء من مخلوقاته، فأقسم بالضحى والليل وغيرهما، أما نحن فلا يجوز لنا الحلف بغير الله تعالى، وقد بينا ذلك في تعليقنا حول «الأيمان» ص ١٥٤.

(٢) قوله: «قرى قوم لوط، والأيكة»: ارجع إلى تعليقنا حول «قرى قوم لوط» ص ٢٩٥، وحول «أصحاب الأيكة» مدين ص ٢٩٦.

(٣) قوله: «وهم ثمود»، ارجع إلى تعليقنا حولهم ص ٢٩٣.

السماوات والأرض وما بينهما إلاَّ بالحق وإن الساعة لآتية﴾ لا محالة، فيجازى كلُّ أحد بعمله ﴿فاصفح﴾ يا محمد عن قومك ﴿الصفح الجميل﴾ أعرض عنهم، إعراضاً لا جزع فيه، وهذا منسوخ بآية السيف. ٨٦﴿إن ربك هو الخلاق﴾ لكل شيء ﴿العليم﴾ بكل شيء. ٨٧﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني﴾ قال ﷺ: «هي الفاتحة» رواه الشيخان، لأنها تُثنَّى في كل ركعة ﴿والقرآن العظيم﴾. ٨٨﴿لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً﴾ أصنافاً ﴿منهم ولا تحزن عليهم﴾ إن لم يؤمنوا ﴿واخفض جناحك﴾ ألِنْ جانبك ﴿للمؤمنين﴾. ٨٩﴿وقل إني أنا النذير﴾ من عذاب الله، أن ينزل عليكم ﴿المبين﴾ البيِّن الإنذار. ٩٠﴿كما أنزلنا﴾ العذاب ﴿على المقتسمين﴾ اليهود والنصارى. ٩١﴿الذين جعلوا القرآن﴾ أي: كتبهم المنزلة عليهم ﴿عضين﴾ أجزاء، حيث آمنوا ببعض، وكفروا ببعض، [هذا قول ابن عباس، كما أخرجه البخاري وغيره] وقيل: المراد بهم، [أي: بالمقتسمين]، الذين اقتسموا طرق مكة، يصدون الناس عن الإسلام، وقال بعضهم في القرآن: سحر وبعضهم: كهانة، وبعضهم: شعر. ٩٢﴿فوربك لنسألنهم أجمعين﴾ سؤال توبيخ. ٩٣﴿عما كانوا يعملون﴾. ٩٤﴿فاصدع﴾ يا محمد ﴿بما تؤمر﴾ به أي: اجهز به وأمضه ﴿وأعرض عن المشركين﴾ هذا قبل الأمر بالجهاد. ٩٥﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾[1] بك، بإهلاكنا كلاًّ منهم بآفة، وهم: الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، وعدي، [وقيل: الحارث] بن قيس، والأسود بن عبد المطلب، والأسود بن عبد يغوث، [أو: كفيناك إياهم بعصمتك منهم، كقوله تعالى: «والله يعصمك من الناس»، وهذا المعنى أوضح]. ٩٦﴿الذين يجعلون مع الله إلٰهاً آخر﴾ صفة، وقيل: مبتدأ، ولتضمنه معنى الشرط، دخلت الفاء في خبره وهو: ﴿فسوف يعلمون﴾ عاقبة أمرهم. ٩٧﴿ولقد﴾ للتحقيق[2] ﴿نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون﴾ من الاستهزاء والتكذيب، [أي: قد علمنا ذلك]. ٩٨﴿فسبح﴾ متلبساً ﴿بحمد

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلۡ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ

(١) قوله تعالى: ﴿إنا كفيناك﴾ أخرج البزار والطبراني في «الأوسط» عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مرَّ النبي ﷺ على أناس بمكة، فجعلوا يغمزون في قفاه ويقولون: هذا الذي يزعم أنه نبي؟ ومعه جبريل، فغمز جبريل بأصبعه، فوقع مثلُ الظُّفُر في أجسادهم، فصارت قروحاً حتى نتَنُوا، فلم يستطع أحد أن يدنو منهم، فأنزل الله: ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾، وهذا وجه في تفسير الآية، والأحسن منه، ما أضفناه في سياق التفسير.

(٢) قوله: «للتحقيق» جاء الفعل المضارع من: «علم» بعد «قد»، في ستة مواضع من القرآن الكريم، وقد جرى الجلالان المحلي والسيوطي رحمهما الله على اعتبارها للتحقيق، لا للقليل كما هي القاعدة، ولكن ابن هشام في «المغني» يرجح إبقاءها على القاعدة، ارجع إلى تعليقنا حول هذه المسألة ص ٤٦٩ ففيه فوائد.

ربك﴾ أي، قل: سبحان الله وبحمده ﴿وكن من الساجدين﴾ المصلين. ٩٩ ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ الموت.

﴿ سُورَةُ النَّحْلِ ﴾

(مكية، إلاّ: «وإن عاقبتم» إلى آخرها، مائة وثمان وعشرون آية)

رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

(١٦) سُورَةُ النَّحْلِ مَكِّيَّة وَآيَاتُهَا ثَمَانٍ وَعِشْرُونَ وَمِائَة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ

نصف الحزب

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ لما استبطأ المشركون العذاب نزل: ﴿أتى أمر الله﴾ أي: الساعة، و «أتى» بصيغة الماضي، لتحقق وقوعه، أي: قرب ﴿فلا تستعجلوه﴾ تطلبوه قبل حينه، فإنه واقع لا محالة ﴿سبحانه﴾ تنزيهاً له ﴿وتعالى عما يشركون﴾ به غيره.

٢ ﴿ينزل﴾ [الله] ﴿الملائكة﴾ أي: جبريل ﴿بالروح﴾[1] بالوحي ﴿من أمره﴾ بإرادته ﴿على من يشاء من عباده﴾ وهم: الأنبياء ﴿أن﴾ مفسرة ﴿أنذروا﴾ خوّفوا الكافرين بالعذاب، وأعلموهم ﴿أنه لا إله إلاّ أنا فاتقون﴾ خافون.

٣ ﴿خلق السماوات والأرض بالحق﴾ أي: مُحقّاً، [ولحكمة، لا عَبَثاً] ﴿تعالى عما يشركون﴾ به من الأصنام.

٤ ﴿خلق الإنسان من نطفة﴾ مَنِيٍّ، إلى أن صيّره قويّاً شديداً ﴿فإذا هو خصيم﴾ شديد الخصومة ﴿مبين﴾ بيِّنها، في نفي البعث قائلاً: «من يحيي العظام وهي رميم؟»[2].

٥ ﴿والأنعام﴾ الإبل والبقر والغنم، ونَصْبُهُ بفعل مقدر، يفسره: ﴿خلقها﴾[3] ﴿لكم﴾ من جملة الناس ﴿فيها دفء﴾ ما تستدفئون به، من الأكسية [جمع «كساء»]، والأردية [جمع «رداء»، المصنوعة] من أشعارها وأصوافها

---

(١) قوله تعالى: ﴿بالروح﴾ ارجع إلى تعليقنا حول «معاني الروح»، ص ٣٧٦.

(٢) قوله تعالى: ﴿من يحيي العظام وهي رميم﴾، ارجع إلى ختام سورة «يس»، حيث الآيات القاطعة في الدلالة على البعث بعد الموت، ص ٥٨٦.

(٣) قوله تعالى: ﴿خلقها﴾، وسيأتي في الآية «٦٦» ص ٢٥٤ قوله تعالى: ﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه﴾ بضمير المذكر، وفي سورة «المؤمنون»: ص ٤٤٧ الآية «٢١»: ﴿نسقيكم مما في بطونها﴾ بضمير المؤنث، فالتأنيث: باعتبار لفظ «الجماعة»، والتذكير: باعتبار لفظ «الجمع»، وقال ابن الأنباري: «الأنعام يذكّر ويؤنّث»، وعليه فتأنيث الضمير العائد إليها وتذكيره سواء، وهكذا جاء في القرآن الكريم.

﴿ومنافع﴾ من النسل والدَّر، [أي: اللبن]، والرَّكوب ﴿ومنها تأكلون﴾ قدم الظرف، [وهو شبه الجملة: «منها»، مراعاةً للفاصلة، [أي: لرؤوس الآي].

٦﴿ولكم فيها جمال﴾ زينة ﴿حين تريحون﴾ تردونها إلى مراحها، [أي: المكان الذي تبيت فيه] بالعشيّ ﴿وحين تسرحون﴾ تخرجونها إلى المرعى بالغداة.

٧﴿وتحمل أثقالكم﴾ أحمالكم ﴿إلى بلد لم تكونوا بالغيه﴾ واصلين إليه، على غير الإبل ﴿إلا بشق الأنفس﴾ بجَهْدها ﴿إن ربكم لرؤوف رحيم﴾ بكم، حيث خلقها لكم.

وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ
وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ
بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٧﴾
وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا
تَعۡلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ
لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ
لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ
ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ
وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ
فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ

٨﴿و﴾ خلق ﴿الخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة﴾ مفعول له، والتعليل بهما لتعريف النِّعم، لا ينافي خلقها لغير ذلك، كالأكل في الخيل، الثابت [حِلُّه] بحديث الصحيحين[1] ﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾ من الأشياء العجيبة الغريبة، [من وسائل النقل وغيرها].

٩﴿وعلى الله قصد السبيل﴾ أي: بيان الطريق المستقيم ﴿ومنها﴾ أي: السبيل ﴿جائر﴾ حائد عن الاستقامة ﴿ولو شاء﴾ هدايتكم ﴿لهداكم﴾ إلى قصد السبيل ﴿أجمعين﴾ فتهتدون إليه باختيار منكم.

١٠﴿هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب﴾ تشربونه ﴿ومنه شجر﴾ ينبت بسببه ﴿فيه تسيمون﴾ ترعون دوابكم.

١١﴿ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك﴾ المذكور ﴿لآية﴾ دالة على وحدانيته تعالى ﴿لقوم يتفكرون﴾ في صنعه، فيؤمنون.

١٢﴿وسخر لكم الليل والنهار والشمس﴾ بالنصب عطفاً على ما قبله، والرفع مبتدأ ﴿والقمر والنجوم﴾ بالوجهين، [أي: بالنصب والرفع] ﴿مسخرات﴾ بالنصب حال، والرفع خبر ﴿بأمره﴾ بإرادته ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ يتدبرون.

١٣﴿و﴾ سخر لكم ﴿ما ذرأ﴾ خلق ﴿لكم في الأرض﴾ من الحيوان والنبات، وغير ذلك ﴿مختلفاً ألوانه﴾ كأحمر وأصفر وأخضر وغيرها ﴿إن في ذلك لآية لقوم

---

(١) قوله: «بحديث الصحيحين». في الصحيحين حديثان: أحدهما عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «نهى رسول الله ﷺ يوم خيبر عن لحوم الحُمُر الأهلية ــ أي: الحمير ــ وأذن في لحوم الخيل». وثانيهما: عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قالت: «نحرنا على عهد رسول الله ﷺ فرساً فأكلناه»، وما زال أكل لحوم الخيل جارياً في كثير من بلاد المشرق الإسلامي حتى اليوم، وكذلك شرب لبنها.

يذّكرون﴾ يتعظون. ١٤﴿وهو الذي سخر البحر﴾ ذلّله، لركوبه والغوص فيه ﴿لتأكلوا منه لحماً طرياً﴾ هو: السمك ﴿وتستخرجوا منه حلية تلبسونها﴾ هي: اللؤلؤ والمرجان ﴿وترى﴾ تبصر ﴿الفلك﴾ السفن ﴿مواخر فيه﴾ تمخر الماء أي: تشقه بجريها فيه، مقبلةً ومدبرة، بريح واحدة[1] ﴿ولتبتغوا﴾ عطف على: «لتأكلوا»، [أي:] تطلبوا ﴿من فضله﴾ تعالى بالتجارة ﴿ولعلكم تشكرون﴾ الله على ذلك. ١٥﴿وألقى في الأرض رواسي﴾ جبالاً ثوابت لـ ﴿أن﴾ لا ﴿تميد﴾ تتحرك ﴿بكم و﴾ جعل فيها ﴿أنهاراً﴾ كالنّيل ﴿وسبلاً﴾ طُرُقاً ﴿لعلكم تهتدون﴾ إلى مقاصدكم.

١٦﴿و﴾ [جعل لكم] ﴿علامات﴾ تستدلون بها على الطرق، كالجبال بالنهار ﴿وبالنجم﴾ بمعنى: «النجوم» ﴿هم يهتدون﴾ إلى الطرق والقبلة، بالليل. ١٧﴿أفمن يخلق﴾ وهو: الله ﴿كمن لا يخلق﴾ وهو: الأصنام، حيث تشركونها معه في العبادة؟ لا ﴿أفلا تذّكّرون﴾ هذا، فتؤمنون؟ [بتشديد الذال والكاف، وفي قراءة بتخفيف الذال]. ١٨﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ تضبطوها، فضلاً[2] أن تطيقوا شكرها ﴿إن الله لغفور رحيم﴾ حيث ينعم عليكم، مع تقصيركم وعصيانكم. ١٩﴿والله يعلم ما تسرون وما تعلنون﴾ [فاخشوه]. ٢٠﴿والذين تدعون﴾ بالتاء والياء: تعبدون ﴿من دون الله﴾ وهم الأصنام ﴿لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون﴾ يُصَوَّرون، من الحجارة وغيرها. ٢١﴿أموات﴾ لا روح فيهم، خبر ثان، ﴿غير أحياء﴾ تأكيد ﴿وما يشعرون﴾ أي: الأصنام ﴿أيان﴾ وَقْتَ ﴿يبعثون﴾ أي: [لا يعرفون متى يُبعث] الخلقُ، فيكف يُعْبَدون؟ إذ لا يكون إلٰهاً إلاّ الخالق الحيُّ، العالم بالغيب. ٢٢﴿إلٰهكم﴾ المستحق للعبادة منكم ﴿إلٰه واحد﴾ لا نظير له في ذاته، ولا في صفاته، [ولا في أفعاله]، وهو: الله تعالى ﴿فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة﴾ جاحدة للوحدانية ﴿وهم مستكبرون﴾ متكبرون عن الإيمان بها.

٢٣﴿لا جرم﴾[3] حقاً ﴿أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون﴾ فيجازيهم بذلك

يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ

(١) قوله: «بريح واحدة» هذا عندما كانت السفن شراعية تجري بواسطة الريح فقط، أما اليوم فإنّ الفلك تمخر البحار على نحو أظهر، بواسطة المحركات الدافعة القوية، وكلمة «الفلك» تطلق على: الواحد والجمع، والمذكر والمؤنث، بخلاف «فلك» بالفتح، فإن جمعها «أفلاك» أي: مدار النجوم.

(٢) قوله: «فضلاً أن تطيقوا شكرها» هكذا جاء في المخطوطة الأولى من دون «عن» بعد «فضلاً»، خلافاً للطبعات ولما هو شائع، والصحيح ما في المخطوطة، لأن «فضلاً» هنا بمعنى: «بلْهَ» أي: دعْ أو سوى، فلا تأتي بعدها «عن».

(٣) قوله تعالى: ﴿لا جرم﴾، ارجع إلى تعليقنا حول معناه وإعرابه ص ٢٨٧.

﴿إنه لا يحب المستكبرين﴾[1] بمعنى: أنه يعاقبهم. ٢٤ ونزل في النضر بن الحارث: ﴿وإذا قيل لهم ما﴾ استفهامية ﴿ذا﴾ موصولة ﴿أنزل ربكم﴾ على محمد؟ ﴿قالوا﴾ هو ﴿أساطير﴾ أكاذيب ﴿الأولين﴾ [يقولون ذلك] إضلالاً للناس.

٢٥﴿ليحملوا﴾ في عاقبة الأمر ﴿أوزارهم﴾ ذنوبهم ﴿كاملة﴾ لم يُكَفَّر منها شيء ﴿يوم القيامة ومن﴾ بعض ﴿أوزار الذين يضلونهم بغير علم﴾ لأنهم دعوهم إلى الضلال، فاتبعوهم، فاشتركوا في الإثم ﴿ألا ساء﴾ بئس ﴿ما يزرون﴾ يحملونه، [أي: بئس] حملُهم هذا.

٢٦﴿قد مكر الذين من قبلهم﴾ وهو: [الملك الكافر]: «نمرود» [بالدال المهملة، والأصح: أنه بالذال المعجمة]، بنى صرحاً طويلاً، ليصعد منه إلى السماء، ليقاتل أهلها ﴿فأتى الله﴾ قصد ﴿بنيانهم من القواعد﴾ الأساس، فأرسل عليه الريح والزلزلة، فهدمته ﴿فخر عليهم السقف من فوقهم﴾ أي: وهم تحته ﴿وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾ من جهة لا تخطر ببالهم. وقيل: هذا تمثيل، لإفساد ما أبرموه من المكر بالرسل.

٢٧﴿ثم يوم القيامة يخزيهم﴾ يذلهم ﴿ويقول﴾ الله لهم، على لسان الملائكة توبيخاً: ﴿أين شركائي﴾ بزعمكم ﴿الذين كنتم تشاقون﴾ تخالفون المؤمنين ﴿فيهم﴾ في شأنهم؟ ﴿قال﴾ أي: يقول ﴿الذين أوتوا العلم﴾ من الأنبياء والمؤمنين ﴿إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين﴾ يقولونه شماتةً بهم.

٢٨﴿الذين تتوفاهم﴾ بالتاء والياء ﴿الملائكة ظالمي أنفسهم﴾ بالكفر ﴿فألقوا السلم﴾ انقادوا واستسلموا عند الموت، قائلين: ﴿ما كنا نعمل من سوء﴾ شرك، فتقول الملائكة ﴿بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون﴾ فيجازيكم به.

٢٩ويقال لهم: ﴿فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى﴾ مأوى ﴿المتكبرين﴾.

إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾

---

(١) قوله تعالى: ﴿إنه لا يحب المستكبرين﴾، «الكبر» من أمراض القلب الخطيرة، و«المتكبر»: إنسان مريض القلب متابع للشيطان، لأن إبليس ـ أخزاه الله تعالى ـ كان أول من تكبر برفضه السجود لآدم قائلاً: ﴿أنا خير منه﴾، ولقد عَرَّفَ النبيُّ ﷺ «الكِبْرَ» تعريفاً دقيقاً، فأخرج مسلم وأبو داود والترمذي وغيرهم، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرّة من كبر، ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان»، فقال رجل: يا رسول الله، الرجلُ يحب أن يكون ثوبُهُ حسناً ونعلُه حسناً، فقال ﷺ: «إن الله جميل يحبُّ الجمال، الكِبْرُ: مَنْ بَطِرَ الحقَّ، وغَمَصَ الناسَ»، ومعنى: «إن الله جميل»، أي: هو صاحب الكمال المطلق المنزه عن النقائص، و«بَطَرُ الحقِّ»: ردُّهُ وعدمُ القبول به، و«غمصُ الناس» ـ بالصاد ـ أو «غمط» ـ بالطاء ـ فيه روايتان، أي: احتقارهم، فكل من يرفض الحق ويأنف عن قبوله أو يحتقر الناس هو المتكبر الذي يبغضه الله تعالى، فمن واجب المسلم أن يكون متواضعاً، لأن الله تعالى أمر بالتواضع، فقد أخرج مسلم وغيره عن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال في خطبته: «إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد».

٣٠﴿وقيل للذين اتقوا﴾ الشرك ﴿ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً للذين أحسنوا﴾ بالإيمان ﴿في هذه الدنيا حسنة﴾ حياة طيبة ﴿ولدار الآخرة﴾ أي: الجنة ﴿خير﴾ من الدنيا وما فيها، قال تعالى فيها: ﴿ولنعم دار المتقين﴾ هي. ٣١﴿جنات عدن﴾ إقامة، مبتدأ خبره [جملة]: ﴿يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاؤون كذلك﴾ الجزاء ﴿يجزي الله المتقين﴾. ٣٢﴿الذين﴾ نعت ﴿تتوفاهم الملائكة طيبين﴾ طاهرين من الكفر ﴿يقولون﴾ لهم عند الموت ﴿سلام عليكم﴾ ويقال لهم في الآخرة ﴿ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾. ٣٣﴿هل﴾ ما ﴿ينظرون﴾ ينتظر الكفار ﴿إلا أن تأتيهم﴾ بالتاء والياء ﴿الملائكة﴾ لقبض أرواحهم ﴿أو يأتي أمر ربك﴾ العذابُ، أو: القيامةُ المشتملة عليه؟ ﴿كذلك﴾ كما فعل هؤلاء ﴿فعل الذين من قبلهم﴾ من الأمم، كذبوا رسلهم فأهلكوا ﴿وما ظلمهم الله﴾ بإهلاكهم بغير ذنب ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بالكفر.

٣٤﴿فأصابهم سيئات ما عملوا﴾ أي: جزاؤها ﴿وحاق﴾ نزل ﴿بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ أي: العذاب.

٣٥﴿وقال الذين أشركوا﴾[1] من أهل مكة، [وغيرهم من الكافرين] ﴿لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء﴾ من البحائر والسوائب[2]، فإشراكنا وتحريمنا بمشيئته، فهو راض به[3]، قال تعالى: ﴿كذلك فعل

سُورَةُ النَّحْلِ ١٦

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُواْ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ۙ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ

(١) قوله تعالى: ﴿وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء...﴾ الآية، إن قول المشركين هذا زيادة منهم في الكفر، لأنهم قالوا ذلك استهزاء وتبريراً لكفرهم. ولقد بينا ذلك في تعليقنا ص١٨٨ فارجع إليه.

(٢) قوله: «من البحائر والسوائب» هي: جمع «بحيرة» و «سائبة» تقدم بيان معناها عند تفسير قوله تعالى في سورة «المائدة»: ﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام...﴾ الآية، ص ١٥٧، فارجع إليه.

(٣) قوله: «فهو راضٍ به» أي: بعمله الشيء ذاك، إن قول الذين أشركوا في الماضي، لا يختلف عن قولهم وقول بعض العصاة في أيامنا، فكل هؤلاء لا يفرقون بين «المشيئة» و «الرِّضا»، بل يتوهمون أنه تعالى إذا شاء شيئاً فذاك يعني رضاه به ومحبته لفاعله، وهذا غير صحيح، لأن ثمة فرقاً بين «المشيئة» و «الرضا»، فكل ما يحدث من خير أو شر، هو بمشيئة الله تعالى، إذ لا يُعقل أن لا يوجد شيء من دون مشيئته تعالى، وإلاَّ كان مكرهاً وهو محال، ولكن إذا كان الشيء الحاصل خيراً، فهو بمشيئته ورضاه، وإن كان شراً فهو بمشيئته لا برضاه قال تعالى: ﴿إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يَرْضَهُ لكم﴾، بل إن أحدنا نحن البشر، عندما يشرب الدواء المرّ الكريه، فإنما يشربه بإرادته ومشيئته، ولكن من دون رضاه، وهذا مَثَل ضربناه للتفريق بينهما.

فلو آمن الكافر وأطاع خالقه، ألا يكون ذلك بمشيئة الله تعالى؟! فلماذا يتخلف عن الإيمان، ويخالف أمر الرحمن؟!. إنه الضلال المبين، والعياذ بالله تعالى.

﴿الذين من قبلهم﴾ أي: كذبوا رسلهم، فيما جاؤوا به، [وقالوا مثل قولهم] ﴿فهل﴾ [استفهام بمعنى النفي، أي:] فما ﴿على الرسل إلاّ البلاغ المبين﴾ الإبلاغ البيّن، وليس عليهم هداية.

٣٦ ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً﴾ كما بعثناك في هؤلاء ﴿أن﴾ أي: بأن ﴿اعبدوا الله﴾ وحّدوه ﴿واجتنبوا الطاغوت﴾ الأوثان أن تعبدوها ﴿فمنهم من هدى الله﴾ فآمن ﴿ومنهم من حقت﴾ وجبت ﴿عليه الضلالة﴾ في علم الله، فلم يؤمن ﴿فسيروا﴾ يا كفار مكة ﴿في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ رسلهم، من الهلاك.

٣٧ ﴿إن تحرص﴾ يا محمد ﴿على هداهم﴾ ــ وقد أضلهم الله ــ [فإنك] لا تقدر على ذلك ﴿فإن الله لا يُهْدَى﴾ بالبناء للمفعول[1] وللفاعل ﴿من يضل﴾ من يريد إضلاله ﴿وما لهم من ناصرين﴾ مانعين من عذاب الله.

٣٨ ﴿وأقسموا[2] بالله جهد أيمانهم﴾ أي: غاية اجتهادهم فيها ﴿لا يبعث الله من يموت﴾ قال تعالى: ﴿بلى﴾ يبعثهم ﴿وعداً عليه حقاً﴾ مصدران مؤكِّدان، منصوبان بفعلهما المقدر، أي: وعد ذلك وحقَّه حقاً ﴿ولكن أكثر الناس﴾ أي: أهل مكة [وغيرهم] ﴿لا يعلمون﴾ ذلك.

٣٩ [يبعثهم] ﴿ليبين﴾ متعلق بـ «يبعثهم» المقدَّر ﴿لهم الذي يختلفون﴾ مع المؤمنين ﴿فيه﴾ من أمر الدين، بتعذيبهم وإثابة المؤمنين ﴿وليعلم الذين كفروا أنهم كاذبين﴾ في إنكار البعث.

٤٠ ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه﴾ أي: أردنا إيجاده، و «قولنا» مبتدأ، خبره: ﴿أن نقول له كن فيكون﴾ [بالرفع]، أي: فهو يكون، وفي قراءة بالنصب، عطفاً على «نقول»، والآية لتقرير القدرة على البعث.

٤١ ﴿والذين هاجروا في الله﴾ لإقامة دينه ﴿من بعد ما ظلموا﴾ بالأذى من أهل مكة، وهم: النبيُّ ﷺ وأصحابه ﴿لنبوئنهم﴾ ننزلهم ﴿في الدنيا﴾ داراً ﴿حسنة﴾ هي: المدينة ﴿ولأجر الآخرة﴾ أي: الجنة ﴿أكبر﴾ أعظم ﴿لو كانوا

ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخۡتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ

---

(١) قوله: «للمفعول وللفاعل» هما قراءتان سبعيتان، فعلى القراءة بالبناء للمفعول يكون المعنى: «إن الله كتب أن لا هادي لمن أضله» كقوله تعالى: ﴿من يضلل الله فلا هادي له﴾. وعلى الثانية بالبناء للفاعل يكون المعنى: «إن الله لا يهدي من سبق في علمه تعالى أنه من أهل الضلالة».

(٢) قوله تعالى: ﴿وأقسموا﴾ الآية. أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم، والواحدي في «أسباب النزول»، عن أبي العالية قال: كان لرجل من المسلمين على رجل من المشركين دين، فأتاه يتقاضاه، فكان فيما تكلم به: «والذي أرجوه بعد الموت: أنه كذا وكذا». فقال له المشرك: إنك لتزعم أنك تبعث بعد الموت؟ فأقسم بالله جهد يمينه لا يبعث الله من يموت، فنزلت هذه الآية.

يعلمون﴾ أي: الكفار، أو: المتخلفون عن الهجرة، ما للمهاجرين من الكرامة، لوافقوهم. ٤٢ هم ﴿الذين صبروا﴾ على أذى المشركين والهجرة، لإظهار الدين ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ فيرزقهم من حيث لا يحتسبون. ٤٣ ﴿وما أرسلنا من قبلك إلاّ رجالاً نوحي إليهم﴾ لا ملائكة ﴿فاسألوا أهل الذكر﴾ العلماء بالتوراة والإنجيل ﴿إن كنتم لا تعلمون﴾ ذلك، فإنهم يعلمونه، وأنتم إلى تصديقهم، أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد ﷺ. ٤٤ ﴿بالبينات﴾ متعلق بمحذوف، أي: أرسلناهم بالحجج الواضحة ﴿والزُّبر﴾ الكتب ﴿وأنزلنا إليك الذكر﴾ القرآن ﴿لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ فيه من الحلال والحرام ﴿ولعلهم يتفكرون﴾ في ذلك، فيعتبرون. ٤٥ ﴿أفأمن الذين مكروا﴾ المكَرَات ﴿السيئات﴾

يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ ۚ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾

بالنبي ﷺ، في دار الندوة، من: تقييده، أو قتله، أو إخراجه، كما ذكر في «الأنفال» [في قوله تعالى: «وإذ يمكر بك الذين كفروا ليُثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك...» الآية] ﴿أن يخسف الله بهم الأرض﴾ كـ«قارون»، [كما سيأتي في آخر سورة «القصص» ص ٥١٧] ﴿أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾ أي: من جهة لا تخطر ببالهم، وقد أهلكوا ببدر، ولم يكونوا يَقْدِرون[1] ذلك.

٤٦ ﴿أو يأخذهم في تقلبهم﴾ في أسفارهم للتجارة ﴿فما هم بمعجزين﴾ بفائتين العذاب.

٤٧ ﴿أو يأخذهم على تخوف﴾ تَنَقُّص شيئاً فشيئاً، حتى يهلك الجميع، حال من الفاعل، أو المفعول ﴿فإن ربكم لرؤوف رحيم﴾ حيث لم يعاجلهم بالعقوبة.

٤٨ ﴿أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء﴾ له ظلٌّ، كشجرة وجبل ﴿تتفيأ﴾ تتميَّل، [وفي قراءة: «يتفيأ» بالياء] ﴿ظلاله عن اليمين والشمائل﴾ جمع «شمال»، أي: عن جانبيهما، أول النهار وآخره ﴿سُجَّداً لله﴾ حال، أي: خاضعين له بما يراد منهم ﴿وهم﴾ أي: الظلال ﴿داخرون﴾ صاغرون، نُزِّلوا منزلة العقلاء.

٤٩ ﴿ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة﴾ أي: نَسَمَةٍ تدبُّ عليها، أي: يخضع له بما يراد منه، وغُلِّبَ في الإتيان بـ«ما»، ما لا يعقل، لكثرته ﴿والملائكة﴾ خصهم بالذكر تفضيلاً ﴿وهم لا يستكبرون﴾ يتكبرون عن عبادته.

---

(١) قوله: «يقدرون ذلك» هو هكذا بثبوت النون كما في المخطوطة الثانية، وجاء في المخطوطتين الأخريين والنسخ المطبوعة الأخرى: ــ «يقدِّروا» ــ بحذف النون، وقد وجه ذلك العلامة الصاوي وشيخه «الجمل» في حاشيتيهما، بأنها مجزومة، لأنها بدل من «يكونوا» والمبدل من المجزوم مجزوم، أو أن النون حذفت تخفيفاً، وهذا توجيه ضعيف، فالصواب هو ما أثبتناه هنا أي: «يقدرون»، بثبوت النون مرفوعاً، لأن هذه الجملة ليست بدلاً من التي قبلها، بل هي في محلِّ نصب خبر «كان»، أي: «لم يكونوا مقدرين»، ومثلها قوله تعالى في سورة «المؤمن»: ﴿بل لم نكن ندعو من قبل شيئاً﴾ فجاءت «ندعو» غير مجزومة.

٥٠ ﴿يخافون﴾ أي: الملائكة، حال من ضمير: «يستكبرون» ﴿ربهم من فوقهم﴾ حال من «ربهم»، أي: عالياً عليهم بالقهر ﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ به. ٥١ ﴿وقال الله لا تتخذوا إلٰهين اثنين﴾ تأكيد ﴿إنما هو إلٰه واحد﴾ أتى به لإثبات الإلهية والوحدانية ﴿فإياي فارهبون﴾ خافون دون غيري، وفيه التفات عن الغيبة. ٥٢ ﴿وله ما في السموات والأرض﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿وله الدين﴾ الطاعة ﴿واصباً﴾ دائماً، حال من «الدين»، والعامل فيه معنى الظرف، [وهو: الاستقرار، المفهوم من الجار والمجرور، أي: استقر الدين لله دائماً] ﴿أفغير الله تتقون﴾ وهو الإلٰه الحق، ولا إلٰه غيره؟ والاستفهام للإنكار والتوبيخ. ٥٣ ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾ لا يأتي بها غيره، و «ما» شرطية، أو: موصولة ﴿ثم إذا مسكم﴾ أصابكم ﴿الضر﴾ الفقر والمرض ﴿فإليه تجأرون﴾ ترفعون أصواتكم، بالاستغاثة والدعاء، ولا تدعون غيره.

٥٤ ﴿ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون﴾.

٥٥ ﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾ من النعمة ﴿فتمتعوا﴾ باجتماعكم على عبادة الأصنام، أمرُ تهديد ﴿فسوف تعلمون﴾ عاقبة ذلك.

٥٦ ﴿ويجعلون﴾ أي: المشركون ﴿لما لا يعلمون﴾ أنها لا تضر ولا تنفع، وهي: الأصنام ﴿نصيباً مما رزقناهم﴾ من الحَرْث والأنعام، بقولهم: «هذا لله وهذا لشركائنا»، [وقيل: الضمير في «يعلمون» للأوثان، وجرى بالواو والنون مجرى من يعقل، والمعنى: «ويجعل هؤلاء الكفار، للأصنام التي لا تعلم شيئاً نصيباً مما رزقناهم»] ﴿تالله لتُسألن﴾ سؤال توبيخ، وفيه التفات عن الغيبة ﴿عما كنتم تفترون﴾ على الله، من أنه أمركم بذلك.

٥٧ ﴿ويجعلون لله البنات﴾ بقولهم: الملائكة بنات الله ﴿سبحانه﴾ تنزيهاً له عما زعموا ﴿ولهم ما يشتهون﴾ـه أي: البنون، و [شِبْهُ] الجملة، في محل رفع [خبر مقدم، و «ما» مبتدأ مؤخر]، أو: [في محل] نصب بـ «يجعل»، المعنى: يجعلون له البنات التي يكرهونها ــ وهو منزه عن الولد ــ، ويجعلون لهم الأبناء[1] التي يختارونها، فيختصون بالأسنى [والأرفع]، كقوله: «فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون؟». ٥٨ ﴿وإذا بُشِّر أحدهم بالأنثى﴾[2] تُولد له ﴿ظل﴾ صار ﴿وجهه مسوداً﴾ متغيراً تغير مُغْتَمّ ﴿وهو كظيم﴾ ممتلىء غماً، فكيف تُنسب البنات إليه تعالى؟. ٥٩ ﴿يتوارى﴾ يختفي ﴿من القوم﴾ أي: قومه ﴿من سوء ما بشر به﴾ خوفاً من التعيير، متردداً فيما يفعل به ﴿أيمسكه﴾ يتركه بلا قتل ﴿على

يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ ۩ * وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ

(١) قوله: «الأبناء التي يختارونها»، هذا هو الصواب كما في المخطوطتين، لأن التأنيث باعتبار لفظ «الجماعة»، وقد تقدم نظير ذلك ص ٣٤٥.
(٢) قوله تعالى: ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى﴾ الآيتين... هذا وصف دقيق لحال الجاهلية قبل الإسلام، عندما يولد لأحدهم أنثى، فأنكر الله =

هون﴾ هوان وذل ﴿أم يدسه في التراب﴾ بأن يئده ﴿ألا ساء﴾ بئس ﴿ما يحكمون﴾ حكمهم هذا، حيث نسبوا لخالقهم البنات، اللاتي هنَّ عندهم بهذا المحل.

٦٠ ﴿للذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ أي: الكفار ﴿مثل السوء﴾ أي: الصفة السُّوأى، بمعنى: القبيحة، وهي: وأدهم البنات، مع احتياجهم إليهن للنكاح ﴿ولله المثل الأعلى﴾ الصفة العليا، وهي: أنه لا إله إلاَّ هو، [أي: الوحدانية] ﴿وهو العزيز﴾ في ملكه ﴿الحكيم﴾ في خلقه.

٦١ ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم﴾ بالمعاصي ﴿ما ترك عليها﴾ أي: الأرض ﴿من دابة﴾ نَسَمَة تدبُّ عليها ﴿ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون﴾ عنه ﴿ساعة ولا يستقدمون﴾ عليه.

٦٢ ﴿ويجعلون لله ما يكرهون﴾ لأنفسهم من البنات، والشريك في الرياسة، وإهانة الرسل ﴿وتصف﴾ تقول ﴿ألسنتهم﴾ مع ذلك ﴿الكذب﴾ وهو ﴿أن لهم الحسنى﴾ عند الله أي: الجنة، كقوله [تعالى حكاية عن الكافر]: «ولئن رُجِعْتُ إلى ربي إن لي عنده للحسنى»، قال تعالى: ﴿لا جرم﴾[1] حقاً ﴿أن لهم النار وأنهم مفرطون﴾ [بفتح الراء، أي:] متروكون فيها، أو مُقْدمون إليها، وفي قراءة بكسر الراء، أي: متجاوزون الحد.

٦٣ ﴿تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك﴾ رسلاً ﴿فزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ السيئة، فرأوها حسنة، فكذبوا الرسل ﴿فهو وليهم﴾ متولي أمورهم ﴿اليوم﴾ أي: في الدنيا ﴿ولهم عذاب أليم﴾ مؤلم في الآخرة، وقيل: المراد باليوم: يوم القيامة، على حكاية الحال الآتية، أي: لا وليَّ لهم غيره، وهو عاجز عن نصر نفسه، فكيف ينصرهم؟

٦٤ ﴿وما أنزلنا عليك﴾ يا محمد ﴿الكتاب﴾ القرآن ﴿إلاَّ لتبين لهم﴾ للناس ﴿الذي اختلفوا فيه﴾ من أمر الدين ﴿وهدى﴾ عطف على: «لتبيّن» ﴿ورحمة لقوم يؤمنون﴾ به.

٦٥ ﴿والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض﴾ بالنبات ﴿بعد موتها﴾ يبسها ﴿إن في ذلك﴾ المذكور ﴿لآية﴾ دالة على البعث ﴿لقوم

سُورَةُ النَّحْلِ ١٦

هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾
لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰۚ
وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم
مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۖ
فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةًۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾
وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَۚ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ
لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰۚ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾
تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ
أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا
عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِۙ وَهُدًى
وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً
فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ

= تعالى عليهم ذلك، وأعلم الناس جميعاً: أن الولد ذكراً كان أو أنثى، هو هبة من الله تعالى، ونعمة منه، تستقبل بالبشر وتقابل بالشكر.

قال تعالى: ﴿يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً﴾، وفي حديث الشيخين عن عائشة رضي الله عنها قوله ﷺ: «من ابتُلي ـ أي: اختُبِرَ ـ من هذه البنات بشيء، فأحسن إليهنَّ، كُنَّ له سِتراً من النار»، ولا يتم استمرار النوع البشري إلى أجله، إلاَّ بوجود الذكور والإناث، فكيف تُرْفَض الأنثى وهي: الأم، والبنت، والأخت وسائر الأرحام؟

(١) قوله تعالى: ﴿لا جرم﴾، ارجع إلى تعليقنا حول معناه وإعرابه ص ٢٨٧.

﴿يسمعون﴾ سماع تدبر. ٦٦﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة﴾ اعتبارا ﴿نسقيكم﴾ بيان للعبرة ﴿مما في بطونه﴾ أي: [بطون ما ذكرناه من] الأنعام، [قاله الكسائي، وقال ابن العربي: تذكير الضمير في: «بطونه»، باعتبار لفظ «الجمع»، وتأنيثه في سورة «المؤمنون»: «مما في بطونها»، باعتبارها لفظ «الجماعة»، وهو كثير في اللغة، وقال ابن الأنباري: «الأنعام» يذكّر ويؤنّث] ﴿من﴾ للابتداء، متعلقة بـ «نسقيكم» ﴿بين فرث﴾ [هو:] ثُفْلُ الكَرِش [بكسر الراء] ﴿ودم لبناً خالصاً﴾ لا يشوبه شيء من الفرث والدم، من طعم، أو ريح، أو لون، وهو بينهما ﴿سائغاً للشاربين﴾ سهل المرور في حلقهم، لا يُغَصُّ به. ٦٧﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب﴾ ثمر ﴿تتخذون منه سكراً﴾ خمراً يُسكر، سميت بالمصدر، وهذا قبل تحريمها[1] ﴿ورزقاً حسناً﴾ كالتمر والزبيب، والخَلِّ والدبس ﴿إن في ذلك﴾ المذكور ﴿لآية﴾ دلالة على قدرته تعالى ﴿لقوم يعقلون﴾ يتدبرون.

يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ

٦٨﴿وأوحى ربك إلى النحل﴾ وحي إلهام ﴿أن﴾ مفسرة، أو مصدرية ﴿اتخذي من الجبال بيوتاً﴾ تأوين إليها ﴿ومن الشجر﴾ بيوتاً ﴿ومما يعرشون﴾ أي: الناس، [أي:] يبنون لكِ من الأماكن، وإلاّ لم تأوِ إليها.

٦٩﴿ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي﴾ ادخلي ﴿سبل ربك﴾ طرُقه، من طلب المرعى ﴿ذللاً﴾ جمع «ذلول»، حال من «السُبل»، أي: مسخرةً لك، فلا تَعْسُر عليك، وإن توعَّرت، ولا تَضِلّي عن العود منها، وإن بَعُدت، وقيل: [حال] من الضمير في «اسلكي»، أي: منقادة لما يراد منك ﴿يخرج من بطونها شراب﴾ هو: العسل ﴿مختلف ألوانه فيه شفاء للناس﴾ من الأوجاع، قيل: [هو شفاء] لبعضها، كما دلّ عليه تنكير «شفاء»، أو: لكلّها بضميمته إلى غيره، أقول: وبدونها بنيّته، وقد أمر به ﷺ، مَنْ استطلق عليه بطنه، رواه الشيخان[2] ﴿إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾ في صنعه تعالى.

٧٠﴿والله خلقكم﴾ ولم تكونوا شيئاً ﴿ثم يتوفاكم﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿ومنكم من يرد إلى أرذل العمر﴾ أي: أخسّه، من الهرم والخرف ﴿لكي لا يعلم بعد علم شيئاً﴾ قال عكرمة: من قرأ القرآن، لم يَصر بهذه الحالة ﴿إن الله عليم﴾ بتدبير خلقه ﴿قدير﴾ على ما يريده. ٧١﴿والله فضل بعضكم على بعض في الرزق﴾ فمنكم غني وفقير، ومالك ومملوك ﴿فما الذين فضلوا﴾ أي: الموالي ﴿برادي رزقهم

---

(١) قوله: «قبل تحريمها»، ارجع إلى تعليقنا عند آيات التحريم ص ١٥٥.

(٢) قوله: «رواه الشيخان» أي: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن أخي اسْتَطْلَقَ =

على ما ملكت أيمانهم﴾ أي: بجاعلي ما رزقناهم، من الأموال وغيرها، شركةً بينهم وبين مماليكهم ﴿فهم﴾ أي: المماليك والموالي ﴿فيه سواء﴾ شركاء، المعنى: ليس لهم شركاء من مماليكهم في أموالهم، فكيف يجعلون بعض مماليك الله شركاء له؟ ﴿أفبنعمة الله يجحدون﴾ يكفرون حيث يجعلون له شركاء؟.

٧٢﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً﴾ فخلق حواء[1] من ضِلَع آدم، وسائر النساء من نُطَف الرجال والنساء ﴿وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة﴾ أولاد الأولاد ﴿ورزقكم من الطيبات﴾ من أنواع الثمار والحبوب والحيوان ﴿أفبالباطل﴾ الصنم ﴿يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون﴾ بإشراكهم؟. ٧٣﴿ويعبدون من دون الله﴾ أي: غيره ﴿ما لا يملك لهم رزقاً من السماوات﴾ بالمطر ﴿والأرض﴾ بالنبات ﴿شيئاً﴾ بدل من: «رزقاً» ﴿ولا يستطيعون﴾ يقدرون على شيء، وهو: الأصنام. ٧٤﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾ لا تجعلوا لله أشباهاً، تشركونهم به ﴿إن الله يعلم﴾ أن لا مثل له ﴿وأنتم لا تعلمون﴾ ذلك.

٧٥﴿ضرب الله مثلاً﴾ ويبدل منه ﴿عبداً مملوكاً﴾ صفة، تُميزه من الحُرّ، فإنه عبد الله ﴿لا يقدر على شيء﴾ لعدم ملكه ﴿ومن﴾ نكرة موصوفة أي: [و] حُرّاً ﴿رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهراً﴾ أي: يتصرف به كيف يشاء، والأول: مَثَلُ الأصنام، [في عجزها وضعفها]، والثاني: مثله تعالى، [القادر على كل شيء] ﴿هل يستوون﴾ أي: العبيد العجزة، والحر المتصرف؟ لا ﴿الحمد لله﴾ وحده ﴿بل أكثرهم﴾ أي: أهل مكة [وغيرها] ﴿لا يعلمون﴾ ما يصيرون إليه من العذاب، فيشركون.

٧٦﴿وضرب الله مثلاً﴾ ويبدل منه ﴿رجلين أحدهما أبكم﴾ ولد أخرس ﴿لا يقدر على شيء﴾ لأنه لا يَفْهَمُ ولا يُفْهِمُ ﴿وهو كَلٌّ﴾ ثقيل ﴿على مولاه﴾ ولي أمره ﴿أينما يوجهه﴾ يصرفه ﴿لا يأت﴾ منه ﴿بخير﴾ بنُجح، [أي: بشيء نافع]، وهذا مَثَلُ الكافر ﴿هل يستوي هو﴾ أي: الأبكم المذكور ﴿ومن يأمر بالعدل﴾ أي: ومن هو ناطق بما هو نافع للناس، حيث يأمر به ويحث عليه.

عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ

= بطنه، أي: مَشَى بطنه، فقال: «اسقه عسلاً» فسقاه عسلاً، ثم جاء فقال: ما زاده إلاّ استطلاقاً، قال: «اذهب فاسقه عسلاً» فسقاه عسلاً، ثم جاء فقال: ما زاده إلاّ استطلاقاً، قال رسول الله ﷺ: «صدق الله وكذب بطن أخيك، اذهب فاسقه عسلاً» فذهب فسقاه فبَرأ.

(١) قوله: «فخلق حواء من ضلع آدم» إن خلق حواء من آدم ثابت بقوله تعالى: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً﴾، و«النفس الواحدة» هي: نفس آدم، وزوجها هي: «حواء»، وأما خلقها من «ضِلَع آدم»، فثبت بما رواه الشيخان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «استوصوا بالنساء خيراً فإن المرأة خُلقتْ من ضِلَع، وإن أعوج ما في الضِّلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركتَهُ لم يزل ـ أي: ظل ـ أعوج، فاستوصوا بالنساء». ارجع تعليقنا حول «آدم» ص ٤١٧، و «حواء» ص ٥٣٣.

﴿وهو على صراط﴾ طريق ﴿مستقيم﴾ وهو الثاني المؤمن؟ لا، وقيل: هذا مثل لله [تعالى، القادر على كل شيء، المستحق للعبادة وحده]، و «الأبكم»: [مثل] للأصنام، [التي لا تضر ولا تنفع]، والذي قبله [في الآية ٧٥]، مثل الكافر والمؤمن.

٧٧﴿ولله غيب السماوات والأرض﴾ أي: علم ما غاب فيهما ﴿وما أمر الساعة إلاَّ كلمح البصر أو هو أقرب﴾ منه، لأنه بلفظ «كن» فيكون ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾.

٧٨﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً﴾ الجملة حال ﴿وجعل لكم السمع﴾ بمعنى: الأسماع ﴿والأبصار والأفئدة﴾ القلوب ﴿لعلكم تشكرون﴾ ـه على ذلك، فتؤمنون.

٧٩﴿ألم يروا إلى الطير مسخرات﴾ مذللات للطيران ﴿في جو السماء﴾ أي: الهواء، بين السماء والأرض ﴿ما يمسكهن﴾ عند قبض أجنحتهن، أو بسطها، أن يقعن ﴿إلاَّ الله﴾ بقدرته ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ [والآيات] هي: خَلْقُها بحيث يمكنها الطيران، وخَلْقُ الجوِّ، بحيث يمكن الطيران فيه، وإمساكها.

٨٠﴿والله جعل لكم من بيوتكم سكناً﴾ موضعاً تسكنون فيه ﴿وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً﴾ كالخيام والقباب ﴿تستخفونها﴾ للحمل، [أي: يَخِفُّ عليكم حملها] ﴿يوم ظعنكم﴾ سفركم ﴿ويوم إقامتكم ومن أصوافها﴾ أي: الغنم ﴿وأوبارها﴾ أي: الإبل ﴿وأشعارها﴾ أي: المعز ﴿أثاثاً﴾ لبيوتكم، كبُسُط وأكسية ﴿ومتاعاً﴾ تتمتعون به ﴿إلى حين﴾ تبلى فيه.

٨١﴿والله جعل لكم مما خلق﴾ من البيوت والشجر والغمام ﴿ظلالاً﴾ جمع «ظل»، تقيكم حر الشمس ﴿وجعل لكم من الجبال أكناناً﴾ جمع «كِنّ»، وهو ما يُسْتَكَنُّ فيه، كالغار والسَّرَب [أي: البيت في الأرض] ﴿وجعل لكم سرابيل﴾[1] قمصاً ﴿تقيكم الحر﴾ أي: والبرد [أيضاً] ﴿وسرابيل تقيكم بأسكم﴾ حربكم، أي: الطعن والضرب فيها، كالدروع والجواشن، [وهي: أيضاً نوع من الدروع] ﴿كذلك﴾ كما خلق هذه الأشياء

وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ

(١) قوله تعالى: ﴿وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر﴾، أكثر الناس يعرفون أن الملابس والثياب تقيهم البرد، ولا يتنبهون إلى أنها تقيهم الحر أيضاً كما صرح بذلك القرآن الكريم، ولا غرابة في ذلك، فالملابس تخفف عن الجسد وطأة الحرِّ، كما تخفف عنه لذعة البرد، والجسد العاري تصيبه أشعة الشمس رأساً، فيحس بالحرارة أكثر من الجسد المستور، ويمكن التحقق من ذلك بالتجربة بتعريض اليدين ـ وإحداهما مستورة ـ إلى النار من مسافة واحدة.

﴿يتم نعمته﴾ في الدنيا ﴿عليكم﴾ بخلق ما تحتاجون إليه ﴿لعلكم﴾ يا أهل مكة [وغيرها] ﴿تسلمون﴾ توحدونه.
٨٢﴿فإن تولوا﴾ أعرضوا عن الإسلام ﴿فإنما عليك﴾ يا محمد ﴿البلاغ المبين﴾ الإبلاغ البيِّن، وهذا قبل الأمر بالقتال.
٨٣﴿يعرفون نعمة الله﴾[1] أي: يقرُّون بأنها من عنده ﴿ثم ينكرونها﴾ بإشراكهم ﴿وأكثرهم الكافرون﴾.
٨٤﴿و﴾ اذكر ﴿يوم نبعث من كل أمة شهيداً﴾ وهو نبيها، يشهد لها وعليها، وهو: يوم القيامة ﴿ثم لا يؤذن للذين كفروا﴾ في الاعتذار ﴿ولا هم يستعتبون﴾ لا يطلب منهم العُتْبَى، أي: الرجوع إلى ما يرضي الله، [أي: لا يُسْتَرضون، باستجابة طلبهم الرجوع إلى الدنيا، ليعملوا صالحاً].

يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا

٨٥﴿وإذا رأى الذين ظلموا﴾ كفروا ﴿العذاب﴾ النار ﴿فلا يخفف عنهم﴾ العذاب ﴿ولا هم ينظرون﴾ يمهلون عنه، إذا رأوه.
٨٦﴿وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم﴾ من الشياطين وغيرها ﴿قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو﴾ نعبدهم ﴿من دونك فألقوا إليهم القول﴾ أي: قالوا لهم ﴿إنكم لكاذبون﴾ في قولكم: إنكم عبدتمونا، كما في آية أخرى: «ما كانوا إيانا يعبدون»، «سيكفرون بعبادتهم».
٨٧﴿وألقوا إلى الله يومئذ السلم﴾ أي: استسلموا لحكمه ﴿وضل﴾ غاب ﴿عنهم ما كانوا يفترون﴾ من أن آلهتهم تشفع لهم.
٨٨﴿الذين كفروا وصدوا﴾ الناس ﴿عن سبيل الله﴾ دينه ﴿زدناهم عذاباً فوق العذاب﴾ الذي استحقوه بكفرهم، قال ابن مسعود: عقارب، أنيابها كالنخل الطوال، ﴿بما كانوا يفسدون﴾ بصدهم الناس عن الإيمان.
٨٩﴿و﴾ اذكر ﴿يوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم﴾ هو نبيهم ﴿وجئنا بك﴾ يا محمد ﴿شهيداً﴾[2]

---

(١) قوله تعالى: ﴿يعرفون نعمة الله﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد بن جبر ـ المتوفى عام مائة للهجرة ـ رحمه الله، أن أعرابياً أتى النبي ﷺ فسأله فقرأ عليه: ﴿والله جعل لكم من بيوتكم سكناً﴾ قال الأعرابي: نعم، ثم قرأ عليه: ﴿وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم﴾، قال: نعم، ثم قرأ عليه كل ذلك، وهو يقول: نعم، حتى بلغ: ﴿كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون﴾، فولّى الأعرابي، فأنزل الله: ﴿يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون﴾.

(٢) قوله تعالى: ﴿وجئنا بك شهيداً. . .﴾ روى الشيخان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «اقرأ عليَّ القرآن»، فقلت: يا رسول الله، أَقرأ عليك، وعليك أُنزل؟ قال: «إني أحب أن أسمعه من غيري»، فقرأت عليه سورة النساء، حتى جئت إلى هذه الآية: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾ قال: «حَسْبُكَ الآن» فالتفتُّ إليه، فإذا عيناه تَذْرِفان.
وآية «النساء» هذه هي: الآية «٤١» ص ١٠٧، ولم نذكر هذا الحديث ثمة لضيق المجال، فذكرناه هنا لتماثل الآيتين، وحرصاً على الإفادة.

عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

نصف الحزب

على هؤلاء﴾ أي: قومك ﴿ونزلنا عليك الكتاب﴾ القرآن ﴿تبياناً﴾ بياناً ﴿لكل شيء﴾ يحتاج إليه الناس، من أمرِ الشريعة ﴿وهدى﴾ من الضلالة ﴿ورحمة وبشرى﴾ بالجنة ﴿للمسلمين﴾ الموحدين.

٩٠﴿إن الله يأمر بالعدل﴾ التوحيد، أو: الإنصاف ﴿والإحسان﴾ أداء الفرائض، أو: «أن تعبد الله كأنك تراه»، كما في الحديث [الذي أخرجه مسلم، عن عمر بن الخطاب مرفوعاً] ﴿وإيتاء﴾ إعطاء ﴿ذي القربى﴾ القرابة، خصه بالذكر، اهتماماً به ﴿وينهى عن الفحشاء﴾ الزنا ﴿والمنكر﴾ شرعاً، من الكفر والمعاصي ﴿والبغي﴾ الظلم للناس، خصه بالذكر، اهتماماً، كما بدأ بالفحشاء، كذلك ﴿يعظكم﴾ بالأمر والنهي ﴿لعلكم تذَّكَّرون﴾ [بتشديد الذال]، تتعظون، فيه إدغام التاء في الأصل في الذال، [وفي قراءة بتخفيف الذال مفتوحة]، وفي «المستدرك» [للحاكم]، عن ابن مسعود [قال:] «وهذه أجمع آية في القرآن للخير والشر».

٩١﴿وأوفوا بعهد الله﴾ من البيع والأيمان وغيرها ﴿إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها﴾ توثيقها ﴿وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً﴾ بالوفاء، حيث حلفتم به، والجملة حال ﴿إن الله يعلم ما تفعلون﴾ تهديد لهم.

٩٢﴿ولا تكونوا كالتي نقضت﴾ أفسدت ﴿غزلها﴾ ما غزلته ﴿من بعد قوة﴾ إحكام له وبَرْم ﴿أنكاثاً﴾ حال، جمع «نِكْث»، وهو: ما يُنكث أي: يُحَلُّ إحكامُه، وهي امرأة حمقاء [قليلة العقل] من مكة، [اسمها: «رَيْطَةُ بنت عمرو»]، كانت تغزل طول يومها، ثم تنقضه ﴿تتخذون﴾ حال من ضمير «تكونوا»، أي: لا تكونوا مثلها في اتخاذكم ﴿أيمانكم دخلاً﴾ هو: ما يدخل في الشيء وليس منه، أي: [لا تحلفوا غشاً و] فساداً وخديعة ﴿بينكم﴾ بأن تنقضوها ﴿أن﴾ أي: لأن ﴿تكون أمة﴾ جماعة ﴿هي أربى﴾ أكثر ﴿من أمة﴾ وكانوا يحالفون الحلفاء، فإذا وجدوا أكثر منهم وأعزَّ، نقضوا حلف أولئك وحالفوهم، [وهذا نهي للمسلمين، عن العودة إلى ما كانوا عليه في الجاهلية] ﴿إنما يبلوكم﴾ يختبركم ﴿الله به﴾ بما أمر به، من الوفاء بالعهد، لينظر المطيع منكم والعاصي، أو: بكون أمة أربى [وأكثر من أخرى،] لينظر أتفون أم لا؟ ﴿وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون﴾ في الدنيا، من أمر العهد وغيره، بأن يعذب الناكث، ويثيب الوافي.

٩٣﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾ أهل دين واحد ﴿ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسألن﴾ يوم القيامة، سؤالَ تبكيت، [أي: غلبة بالحجة لإفحامهم] ﴿عما كنتم تعملون﴾ لتجازَوْا عليه.

٩٤﴿ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم﴾[1] كرره تأكيداً، [أي: لا تعقدوا الأيمان، مع الانطواء على الخديعة] ﴿فتزل قدم﴾ أي: أقدامكم عن محجة الإسلام ﴿بعد ثبوتها﴾ استقامتها عليها ﴿وتذوقوا السوء﴾ أي: العذاب ﴿بما صددتم عن سبيل الله﴾ أي: بصدكم عن الوفاء بالعهد، أو بصدكم غيركم عنه، لأنه يستن بكم ﴿ولكم عذاب عظيم﴾ في الآخرة.

٩٥﴿ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً﴾ من الدنيا، بأن تنقضوه لأجله ﴿إن ما عند الله﴾ من الثواب ﴿هو خير لكم﴾ مما في الدنيا ﴿إن كنتم تعلمون﴾ ذلك، فلا تنقضوا.

سُورَةُ النَّحْلِ ١٦

وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَـٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَـٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ

٩٦﴿ما عندكم﴾ من الدنيا ﴿ينفد﴾ يفنى ﴿وما عند الله باق﴾ دائم ﴿وليجزين﴾ بالياء والنون ﴿الذين صبروا﴾ على الوفاء بالعهود ﴿أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ «أحسن» بمعنى: «حسن»، [أي: أجراً حسناً، أو أجراً مضاعفاً، الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، «والله يضاعف لمن يشاء»].

٩٧﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة﴾ قيل: هي حياة الجنة، [قاله مجاهد]، وقيل: [هي الحياة] في الدنيا بالقناعة، [قاله الحسن البصري]، أو: الرزق الحلال، [قاله ابن عباس وغيره] ﴿ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾.

٩٨﴿فإذا قرأت القرآن﴾ أي: أردت قراءته ﴿فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ أي، قل: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»[2].

٩٩﴿إنه ليس له سلطان﴾ تسلُّط [بالإغواء والكفر] ﴿على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾.

١٠٠﴿إنما سلطانه على الذين يتولونه﴾ بطاعته، [أي: يطيعونه، يقال: «توليتُه» أي: أطعتُه، و «توليتُ عنه»، أي: أعرضتُ عنه وتركتُه] ﴿والذين هم به﴾ أي: الله ﴿مشركون﴾ [وقيل: ضمير «به»، يرجع إلى الشيطان، والمعنى: الذين هم من أجله وبسببه، مشركون بالله تعالى كافرون]. ١٠١﴿وإذا بدلنا آية مكان آية﴾ بنسخها وإنزال غيرها، لمصلحة العباد ﴿والله أعلم بما ينزل قالوا﴾ أي، الكفار للنبي ﷺ:

---

(١) قوله تعالى: ﴿ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم﴾، ارجع إلى تعليقنا حول «الأيمان» ص ١٥٤.

(٢) هذا هو لفظ الاستعاذة المختار لجميع القراء، والاستعاذة مستحبة قبل القراءة عند أكثر العلماء، وهو الصحيح، وقال بعضهم بوجوبها أخذاً بظاهر الأمر بها في الآية.

﴿إنما أنت مفتر﴾ كذاب، تقوله من عندك ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ حقيقة القرآن، وفائدة النسخ.

١٠٢ ﴿قل﴾ لهم ﴿نزّله روح القدس﴾ جبريل ﴿من ربك بالحق﴾ متعلق بـ «نزّل» ﴿ليثبت الذين آمنوا﴾ بإيمانهم به ﴿وهدى وبشرى للمسلمين﴾.

١٠٣ ﴿ولقد﴾ للتحقيق[١] ﴿نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه﴾ القرآن ﴿بشر﴾ وهو: قَيْنٌ[٢]، [أي: حَدَّاد] نصراني، كان النبي ﷺ يدخل عليه، قال تعالى: ﴿لسان﴾ لغة ﴿الذي يلحدون﴾ [بضم الياء وكسر الحاء، من «ألْحَدَ»، وبفتحهما من «لَحَدَ»، أي:] يميلون ﴿إليه﴾ أنه يُعَلِّمه ﴿أعجمي وهذا﴾ القرآن ﴿لسان عربي مبين﴾ ذو بيان وفصاحة، فكيف يعلِّمه أعجمي؟.

الجزء الرابع عشر

إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾

١٠٤ ﴿إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم﴾ مؤلم.

١٠٥ ﴿إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله﴾ القرآن، بقولهم: هذا من قول البشر ﴿وأولئك هم الكاذبون﴾ والتأكيد بالتكرار، و «إنّ» رَدٌّ لقولهم: «إنما أنت مفتر».

١٠٦ ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه[٣] إلا من أكره﴾ على التلفظ بالكفر، فتلفظ به ﴿وقلبه مطمئن بالإيمان﴾ [فلا شيء عليه]، و «مَن» مبتدأ، أو: شرطية، والخبر، أو: الجواب، [محذوف تقديره]: «لهم وعيد شديد»، دل على هذا: ﴿ولكن من شرح بالكفر صدراً﴾ له، أي: فَتَحَهُ ووسّعه، يعني: طابت به نفسه ﴿فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم﴾.

١٠٧ ﴿ذلك﴾ الوعيد لهم ﴿بأنهم استحبوا الحياة الدنيا﴾ اختاروها ﴿على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾.

---

(١) قوله: «للتحقيق»، القاعدة أن «قد» إذا جاء بعدها فعل مضارع تكون للتقليل، ولا يرى بعض النحويين في هذه القاعدة استثناءً، ولقد فصّلنا القول في هذه المسألة في تعليقنا ص ٤٦٩.

(٢) قوله: «هو قين» اسمه «بلعام»، رومي نصراني، كان قيناً أي: حداداً بمكة، وقيل: سلمان الفارسي، وقيل غيرهما، قال القرطبي: والكل محتمل فإن النبي ﷺ ربما جلس إليهم في أوقات مختلفة ليعلمهم مما علمه الله، وقال أبو جعفر النحاس في ناسخه: وهذه الأقوال ليست متناقضة.

ونقول: لا غرابة في جلوسه ﷺ إلى أهل الكتاب وإلى غيرهم، فهو مبعوث للعالمين، ومأمور بتبليغ رسالته إلى كل من يستطيع الوصول إليه. ارجع إلى تعليقنا حول معنى «القين» ص ٢٣٤.

(٣) قوله تعالى: ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه﴾ الآية، المرتد هو: الذي يكفر بعد إسلامه، ولو هازلاً، طائعاً غير مكره، فمن أشرك بالله، أو جحد ربوبيته، أو وحدانيته، أو صفة من صفاته، أو اتخذ له صاحبة أو ولداً، فهو كافر، وكذلك يكفر كلُّ من ادعى النبوة، أو صدق من ادعاها، أو جحد نبياً من الأنبياء، أو كتاباً من كتب الله، أو شيئاً منه، ومن جحد الملائكة، أو البعث، أو سبَّ الله أو رسولاً من رسله، ويكفر =

١٠٨ ﴿أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون﴾ عما يراد بهم.

١٠٩ ﴿لا جرم﴾[1] حقاً ﴿أنهم في الآخرة هم الخاسرون﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم.

١١٠ ﴿ثم إن ربك للذين هاجروا﴾ إلى المدينة ﴿من بعد ما فتنوا﴾ [بالبناء للمفعول، أي:] عُذِّبوا وتلفظوا بالكفر، وفي قراءة: بالبناء للفاعل، أي: كفروا، أو فتنوا الناس عن الإيمان ﴿ثم جاهدوا وصبروا﴾ على الطاعة ﴿إن ربك من بعدها﴾ أي الفتنة ﴿لغفور﴾ لهم ﴿رحيم﴾ بهم، وخبر «إنَّ» الأولى، دل عليه خبر الثانية.

أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾ ۞ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ

١١١ اذكر ﴿يوم تأتي كل نفس تجادل﴾ تحاجُّ ﴿عن نفسها﴾ لا يهمها غيرها، وهو: يوم القيامة ﴿وتوفَّى كل نفس﴾ جزاء ﴿ما عملت وهم لا يظلمون﴾ شيئاً.

١١٢ ﴿وضرب الله مثلاً﴾ ويبدل منه: ﴿قرية﴾ هي: مكة، والمراد أهلها ﴿كانت آمنة﴾ من الغارات لا تهاج ﴿مطمئنة﴾ [أي: يطمئن فيها ساكنها، و] لا يحتاج إلى الانتقال عنها لضيق أو خوف ﴿يأتيها رزقها رغداً﴾ واسعاً ﴿من كل مكان فكفرت بأنعم الله﴾ بتكذيب النبي ﷺ ﴿فأذاقها الله لباس الجوع﴾ فَقُحِطوا سبع سنين، [كما سيأتي تبيانه في سورة «الدخان» ص ٦٥٧] ﴿والخوف﴾ بسرايا النبي ﷺ ﴿بما كانوا يصنعون﴾.

١١٣ ﴿ولقد جاءهم رسول منهم﴾ محمد ﷺ ﴿فكذبوه فأخذهم العذاب﴾ الجوع والخوف ﴿وهم ظالمون﴾.

١١٤ ﴿فكلوا﴾ أيها المؤمنون ﴿مما رزقكم الله حلالاً طيباً واشكروا نعمة الله

= كذلك كل من استهزأ بالله، أو كتبه، أو رسله، بفعل صريح، أو قول، أو وجد منه امتهان للقرآن، ويكفر أيضاً من قال عن نفسه: يهودي، أو نصراني ـ أو مجوسي، أو لا ديني، أو ملحد ـ أو بريء من الإسلام، أو القرآن، ويكفر أيضاً من لم يُكفِّر من دان بغير الإسلام، أو شك في كفرهم، أو صحّح مذهبهم، ويكفر من اعتقد أن الكنائس بيوت الله، وأن الله يُعبدُ فيها، وأن ما يفعله اليهود والنصارى هو عبادة لله وطاعة له ولرسوله، ومن قال: إن الله تعالى بذاته في كل مكان فقد كفر. اهـ. (من «الإقناع» للعلامة الحجاوي المقدسي الحنبلي بتصرف).

فعلى المسلم: أن يجتنب كل فعل، أو قول، أو اعتقاد يؤدي إلى الكفر، ومن وقع في شيء من ذلك، فليجدد إسلامه، بأن يقول: أشهد أن لا إله إلاَّ الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وليستغفر الله تعالى، فلا شيء أغلى وأشرف وأكرم من الإيمان. ارجع إلى تعليقنا حول حكم النكاح بعد ارتداد أحد الزوجين ص ٧٣٧.

(١) قوله تعالى: ﴿لا جرم﴾، ارجع إلى تعليقنا حول معناه وإعرابه ص ٢٨٧.

إن كنتم إياه تعبدون﴾.

١١٥﴿إنما حرم عليكم الميتة[1] والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم﴾.

١١٦﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم﴾ أي: لوصف ألسنتكم ﴿الكذب هذا حلال وهذا حرام﴾ لِمَا لم يحلّه الله، ولم يحرِّمه ﴿لتفتروا على الله الكذب﴾ بنسبة ذلك إليه ﴿إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون﴾ [قال ابن كثير: ويدخل في معنى هذه الآية، كلُّ من ابتدع بدعة، أو حلل شيئاً مما حرم الله، أو حَرَّم شيئاً مما أباح الله بمجرد رأيه وتشهِّيه].

١١٧ لهم ﴿متاع قليل﴾ في الدنيا ﴿ولهم﴾ في الآخرة ﴿عذاب أليم﴾ مؤلم.

١١٨﴿وعلى الذين هادوا﴾ أي: اليهود ﴿حرمنا ما قصصنا عليك من قبل﴾ في آية[2]: «وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظُفُر»، إلى آخرها ﴿وما ظلمناهم﴾ بتحريم ذلك ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بارتكاب المعاصي الموجبة لذلك.

١١٩﴿ثم إن ربك للذين عملوا السوء﴾ [أي:] الشرك، [قاله ابن عباس، أو: جميع المعاصي] ﴿بجهالة ثم تابوا﴾ رجعوا ﴿من بعد ذلك وأصلحوا﴾ عملهم [وأقلعوا عما كانوا فيه من الكفر] ﴿إن ربك من بعدها﴾ أي: الجهالة، أو: التوبة ﴿لغفور﴾ لهم ﴿رحيم﴾ بهم، [قال ابن كثير، قال بعض السلف: كل من عصى الله فهو جاهل].

١٢٠﴿إن إبراهيم كان أمة﴾ إماماً قدوة، جامعاً لخصال الخير ﴿قانتاً﴾ مطيعاً ﴿لله حنيفاً﴾ مائلاً إلى الدين القيم، [أي: موحِّداً] ﴿ولم يك من المشركين﴾ [وقد زعم كل فريق، أنهم كانوا على دينه، وهم مشركون كافرون، فردّ الله قولهم بهذه الآية، وبقوله تعالى: في سورة «آل عمران»: «ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين»]. ١٢١﴿شاكراً لأنعمه اجتباه﴾ اصطفاه [بالنبوة والرسالة] ﴿وهداه إلى

إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ

(١) قوله تعالى: ﴿إنما حرم عليكم الميتة...﴾ الآية، تقدم تفسير مثل هذه الآية، وهي الآية الثالثة من سورة «المائدة» ص ١٣٥ فارجع إليه.

(٢) قوله: «في آية...» إلخ، هي الآية ١٤٦ من سورة «الأنعام» ص ١٨٨.

صراط مستقيم﴾ [هو: الإسلام]. ١٢٢ ﴿وآتيناه﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿في الدنيا حسنة﴾ هي: الثناء الحسن، في كل أهل الأديان[1] ﴿وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ الذين لهم الدرجات العلى، [أي: معهم في أعلى الجنان].

١٢٣ ﴿ثم أوحينا إليك﴾ يا محمد ﴿أن اتبع ملة﴾ دين ﴿إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾ كرره، رداً على زعم اليهود والنصارى، أنهم على دينه.

١٢٤ ﴿إنما جعل السبت﴾ فُرِضَ تعظيمه ﴿على الذين اختلفوا فيه﴾ على نبيهم، وهم اليهود، أُمروا أن يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة، فقالوا: لا نريده، واختاروا السبت، فَشُدِّدَ عليهم فيه ﴿وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ من أمره، بأن يثيب الطائع، ويعذب العاصي بانتهاك حرمته.

صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبۡتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

١٢٥ ﴿ادع﴾ الناس يا محمد ﴿إلى سبيل ربك﴾ دينه ﴿بالحكمة﴾ بالقرآن ﴿والموعظة الحسنة﴾ مواعظه، [أي: مواعظ القرآن]، أو: القول الرفيق، [أي: الذي فيه رفق بالناس] ﴿وجادلهم بالتي﴾ أي: بالمجادلة التي ﴿هي أحسن﴾ كالدعاء إلى الله بآياته، والدعاء إلى حججه ﴿إن ربك هو أعلم﴾ أي: عالم ﴿بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ فيجازيهم، وهذا قبل الأمر بالقتال.

١٢٦ ونزل لما قُتل حمزة [في معركة «أحد»]، ومُثِّل به، فقال ﷺ وقد رآه: «لأمثِّلن بسبعين منهم مكانك»[2]: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم﴾ عن الانتقام ﴿لهو﴾ أي: الصبر ﴿خير للصابرين﴾[3] فكَفَّ ﷺ وكفَّر عن يمينه، رواه البزار [وغيره، عن أبي هريرة رضي الله عنه].

١٢٧ ﴿واصبر وما صبرك إلا بالله﴾ بتوفيقه ﴿ولا تحزن عليهم﴾ أي: الكفار، إن لم يؤمنوا، لحرصك على إيمانهم ﴿ولا تك في ضيق مما يمكرون﴾ أي: لا تهتم بمكرهم، فأنا ناصرك عليهم.

١٢٨ ﴿إن الله مع الذين اتقوا﴾ الكفر والمعاصي ﴿والذين هم محسنون﴾ بالطاعة والصبر بالعون والنصر.

---

(١) قوله: «أهل الأديان»، ارجع إلى تعليقنا حول «الأديان» ص ٢٤٥.

(٢) قوله: «لأمثلن بسبعين منهم مكانك»، هذه إحدى الروايات، للبزار، وإسنادها ضعيف، وفي رواية أخرى لابن إسحاق أنه ﷺ قال: «لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم»، وهذه أيضاً رواية ضعيفة، فالصحيح: أن الآية نزلت في شأن التمثيل بحمزة رضي الله عنه، كما في صحيح البخاري وغيره، من دون ذكر عدد.

(٣) قوله تعالى: ﴿خير للصابرين﴾، ارجع إلى تعليقنا حول «معاني الصبر» ص ٦٠٧.

﴿ سُورَةُ الإِسْرَاءِ ﴾

(مكية، إلاّ «وإن كادوا ليفتنونك» الآيات الثمان، مائة وعشر، أو: وإحدى عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١٧) سُورَةُ الإِسْرَاءِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا إِحْدَى عَشْرَةَ وَمِائَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ

١ ﴿سبحان﴾ أي: تنزيه ﴿الذي أسرى بعبده﴾ محمد ﷺ ﴿ليلاً﴾ نصب على الظرف، والإسراء: سير الليل، وفائدة ذكره، الإشارة بتنكيره، إلى تقليل مدته ﴿من المسجد الحرام﴾ أي: مكة، ﴿إلى المسجد الأقصى﴾ بيت المقدس، [وصفه بـ«الأقصى»]، لبعده منه ﴿الذي باركنا حوله﴾ بالثمار والأنهار ﴿لنريه من آياتنا﴾ عجائب قدرتنا ﴿إنه هو السميع البصير﴾ أي: العالم بأقوال النبي ﷺ وأفعاله، فأنعم عليه بالإسراء، المشتمل على: اجتماعه بالأنبياء، وعروجه إلى السماء، ورؤية عجائب الملكوت، ومناجاته له تعالى[1]. [اقرأ حديث الإسراء والمعراج، في أسفل الصفحة].

٢ قال تعالى: ﴿وآتينا موسى الكتاب﴾ التوراة ﴿وجعلناه هدىً لبني إسرائيل﴾ لـ ﴿أ﴾ ن ﴿لا يتخذوا من دوني وكيلاً﴾ يفوضون إليه أمرهم، وفي قراءة: «تتخذوا» بالفوقانية التفاتاً، فـ«أن» [على قراءة التاء] زائدة، والقول مضمر. [تقديره: «النقول لهم لا تتخذوا»].

٣ ﴿ذرية من حملنا مع نوح﴾ في السفينة ﴿إنه كان عبداً شكوراً﴾ كثير الشكر لنا، حامداً في جميع أحواله.

٤ ﴿وقضينا﴾ أوحينا ﴿إلى بني إسرائيل في الكتاب﴾ التوراة ﴿لتفسدن في الأرض﴾ أرض الشام بالمعاصي ﴿مرتين ولتعلن علواً كبيراً﴾ تبغون بغياً عظيماً. ٥ ﴿فإذا جاء وعد أولاهما﴾ أولى مرتي الفساد ﴿بعثنا عليكم عباداً لنا﴾ [هم: بُختَ نصّر وقومه، كان قبل المسيح بخمسمائة عام، وهو قول سعيد بن المسيّب، وعن ابن عباس وقتادة السّدوسي: هم: جالوت وجنوده] ﴿أولي بأس

---

(١) قال السيوطي بعد قوله: «ومناجاته له تعالى»:

(فإنه ﷺ قال: «أُتيتُ بالبراق، وهو: دابة أبيض، فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه، فركبته فسار بي حتى أتيت بيت المقدس، فربطت الدابة بالحلْقة التي تربط فيها الأنبياء، [دوابها قال:] ثم دخلت [المسجد] فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت، فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن، فاخترت اللبن، قال جبريل: أصبت الفطرة، قال: ثم عَرَجَ بي إلى السماء الدنيا، فاستفتح جبريل، قيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أُرسل إليه [أي: ليعرج إلى السماوات؟] قال: قد أرسل إليه: ففتح لنا، فإذا أنا بآدم، فرحب بي ودعا لي بالخير، ثم عرج بي إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ فقال: جبريل، قيل: =

شديد﴾ أصحاب قوة، في الحرب والبطش ﴿فجاسوا﴾ ترددوا لطلبكم ﴿خلال الديار﴾ وسط دياركم، ليقتلوكم ويسبوكم ﴿وكان وعداً مفعولاً﴾ [حاصلاً]، و [قيل]: قد أفسدوا الأولى بقتل زكريا، فبعث عليهم جالوت وجنوده، فقتلوهم وسبوا أولادهم، وخربوا بيت المقدس، [وهذا غير صحيح، لأن زكريا كان وقت ولادة المسيح، أما جالوت، فقد قتله داود وهو في جيش طالوت، قبل المسيح بزمن طويل، فكيف يكون قتلهم زكريا، سبباً لبعث جالوت عليهم]؟ ٦ ﴿ثم رددنا لكم الكرة﴾ الدولة والغلبة ﴿عليهم﴾ بعد مائة سنة، بقتل جالوت ﴿وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً﴾ عشيرة. ٧ وقلنا: ﴿إن أحسنتم﴾ بالطاعة ﴿أحسنتم لأنفسكم﴾ لأن ثوابه لها ﴿وإن أسأتم﴾ بالفساد ﴿فلها﴾

شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَاۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأٓخِرَةِ لِيَسُـࣳٔواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَاۚ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأٓخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ

إساءتكم ﴿فإذا جاء وعد﴾ المرة ﴿الآخرة﴾ بعثناهم ﴿ليسوؤوا وجوهكم﴾ يحزنوكم بالقتل والسبي، حزناً يظهر في وجوهكم ﴿وليدخلوا المسجد﴾ بيت المقدس، فيخربوه ﴿كما دخلوه﴾ وخربوه ﴿أول مرة وليتبروا﴾ يهلكوا ﴿ما علوا﴾ غلبوا عليه ﴿تتبيراً﴾ هلاكاً، [قيل: إن الذي خرب بيت المقدس الخراب الثاني، هو: «طيطوس» الروماني، والصحيح: أنه لا دليل على شيء من ذلك، فالتوقف أولى]، و [قيل]: قد أفسدوا ثانياً بقتل يحيى، فبعث عليهم بختنصر، فقتل منهم ألوفاً، وسبى ذريتهم، وخرب بيت المقدس، [وهذا أيضاً غير صحيح، لأن بين «بختنصَّر» و «يحيى» ستمائة عام]. ٨ وقلنا في الكتاب: ﴿عسى ربكم أن يرحمكم﴾ بعد المرة الثانية، إن تبتم ﴿وإن عدتم﴾ إلى الفساد ﴿عدنا﴾ إلى العقوبة، وقد عادوا بتكذيب محمد ﷺ، فسُلِّطَ عليهم، بقتل «قريظة»، ونفي «بني النضير»، وضرب الجزية عليهم ﴿وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً﴾ محبساً وسجناً.

٩ ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي﴾ أي: الطريقة التي ﴿هي أقوم﴾ أعدل وأصوب ﴿ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً﴾. ١٠ ﴿و﴾ يخبر ﴿أن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا﴾ أعددنا ﴿لهم عذاباً أليماً﴾ مؤلماً، هو: النار.

١١ ﴿ويدع الإنسان بالشر﴾ على نفسه وأهله، إذا ضجر ﴿دعاءه﴾ أي: كدعائه له ﴿بالخير وكان الإنسان﴾ الجنس ﴿عجولاً﴾ بالدعاء على نفسه، وعدم النظر في عاقبته، [قال ﷺ: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على خدمكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يُسأل فيها عطاءً، فيستجيب لكم» رواه مسلم وأبو داود]. ١٢ ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين﴾ دالتين على قدرتنا ﴿فمحونا آية

= ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بابني الخالة يحيى وعيسى، فرحبا بي ودعوا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، فقيل: ومن معك؟ =

اللَّيل﴾ طمسنا نورها بالظلام، لتسكنوا فيه، والإضافة للبيان ﴿وجعلنا آية النهار مبصرة﴾ أي: مبصراً فيها بالضوء ﴿لتبتغوا﴾ فيه ﴿فضلاً من ربكم﴾ بالكسب ﴿ولتعلموا﴾ بهما ﴿عدد السنين والحساب﴾ للأوقات ﴿وكل شيء﴾ يحتاج إليه ﴿فصلناه تفصيلاً﴾ بيناه [في القرآن] تبييناً، [فلا عذر، لكم، إن ضللتم بعده]. ١٣﴿وكل إنسان ألزمناه طائره﴾ عمله، يحمله ﴿في عنقه﴾ خُصَّ بالذكر، لأن اللزوم فيه أشد، وقال مجاهد: ما من مولود يولد، إلاَّ وفي عنقه ورقة مكتوب فيها: شقيٌّ أو سعيد ﴿ونخرج له يوم القيامة كتاباً﴾ مكتوباً فيه عمله ﴿يلقاه منشوراً﴾ صفتان لـ «كتاباً».

١٤ ويقال له: ﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾ محاسباً. ١٥﴿من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه﴾ لأن ثواب اهتدائه له ﴿ومن ضل فإنما يضل عليها﴾ لأن إثمه عليها ﴿ولا تزر﴾ نفس ﴿وازرة﴾ آثمة أي: لا تحمل ﴿وزر﴾ نفس ﴿أخرى وما كنا معذبين﴾ أحداً ﴿حتى نبعث رسولاً﴾ يبين له ما يجب عليه.

١٦﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها﴾ مُنَعَّميها، بمعنى: رؤسائها، [أمرناهم] بالطاعة على لسان رسلنا ﴿ففسقوا فيها﴾ فخرجوا عن أمرنا ﴿فحق عليها القول﴾ بالعذاب ﴿فدمرناها تدميراً﴾ أهلكناها، بإهلاك أهلها وتخريبها.

١٧﴿وكم﴾ أي: كثيراً ﴿أهلكنا من القرون﴾ الأمم ﴿من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً﴾ عالماً ببواطنها وظواهرها، وبه يتعلق: «بذنوب».

١٨﴿من كان يريد﴾ بعمله ﴿العاجلة﴾ أي: الدنيا ﴿عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد﴾ التعجيل له، بدل من «له»، بإعادة الجار ﴿ثم جعلنا له﴾ في الآخرة ﴿جهنم يصلاها﴾ يدخلها

ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ
وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَـٰهُ
تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ
وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ
كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ
فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ
وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ
رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا
فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَـٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾
وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ
عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا
لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا

= قال: محمد، فقيل: وقد أرسل إليه؟ قال: قد أرسل إليه، ففُتح لنا، فإذا أنا بيوسف، وإذا هو قد أعطي شطر الحسن، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، فقيل: ومن معك؟ قال: محمد، فقيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، فَفُتح لنا، فإذا أنا بإدريس، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، فقيل: ومن معك؟ قال: محمد، فقيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففُتح لنا، فإذا أنا بهارون، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، فقيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بموسى، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ فقال: جبريل، قيل: ومن معك؟ فقال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بإبراهيم، فإذا هو مستند إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كلَّ يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون، ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى، فإذا أوراقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال، فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت، فما أحد من خلق الله تعالى يستطيع أن يصفها من حسنها، قال: فأوحى الله إلي ما أوحى، وفرض علي في كل يوم وليلة خمسين صلاة، فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فقال: ما فرض ربك =

مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾

رُبع الحزب

﴿مذموماً﴾ ملوماً ﴿مدحوراً﴾ مطروداً عن الرحمة. ١٩ ﴿ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها﴾ عمل عملها اللائق بها ﴿وهو مؤمن﴾ حال ﴿فأولئك كان سعيهم مشكوراً﴾ عند الله، أي: مقبولاً مثاباً عليه.

٢٠ ﴿كلاً﴾ من الفريقين ﴿نمد﴾ نعطي ﴿هؤلاء وهؤلاء﴾ بدل [من: «كُلًّا»] ﴿من﴾ متعلق بـ «نمد» ﴿عطاء ربك﴾ في الدنيا ﴿وما كان عطاء ربك﴾ فيها ﴿محظوراً﴾ ممنوعاً عن أحد.

٢١ ﴿انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض﴾ في الرزق والجاه ﴿وللآخرة أكبر﴾ أعظم ﴿درجات وأكبر تفضيلاً﴾ من الدنيا، فينبغي الاعتناء بها دونها. ٢٢ ﴿لا تجعل﴾ [أيها الإنسان المكلف] ﴿مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولاً﴾ لا ناصر لك، [وتكون عاقبتك النار وبئس المصير].

٢٣ ﴿وقضى﴾ أمر ﴿ربك أ﴾ ن، أي: بأن ﴿لا تعبدوا إلاّ إياه و﴾ أن تحسنوا ﴿بالوالدين إحساناً﴾ بأن تبروهما ﴿إما يبلغن عندك الكبر أحدهما﴾ فاعل ﴿أو كلاهما﴾ وفي قراءة: «يبلغانِّ»، فأحدهما بدل من ألفه، [أي: ألف «يبلغان»، التي هي الفاعل] ﴿فلا تقل لهما أف﴾ بفتح الفاء [من غير تنوين]، وكسرها، منوناً وغير منون، [وهو] مصدر، بمعنى: تبّاً وقبحاً ﴿ولا تنهرهما﴾ تزجرهما ﴿وقل لهما قولاً كريماً﴾ جميلاً ليّناً.

٢٤ ﴿واخفض لهما جناح الذل﴾ ألن لهما جانبك الذليل ﴿من الرحمة﴾ أي: لرقتك عليهما ﴿وقل رب ارحمهما كما﴾ رحماني حين ﴿ربياني صغيراً﴾.

٢٥ ﴿ربكم أعلم بما في نفوسكم﴾ من إضمار البر والعقوق ﴿إن تكونوا صالحين﴾ طائعين لله ﴿فإنه كان للأوابين﴾ الرجاعين إلى طاعته ﴿غفوراً﴾ لما صدر منهم في حق الوالدين، من بادرة، وهم لا يضمرون عقوقاً.

= على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة في كل يوم وليلة، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك لا تطيق ذلك، وإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم، قال: فرجعت إلى ربي، [أي: إلى الموضع الذي ناجيته منه أولاً] فقلت: أي ربِّ خفف عن أمتي، فحط عني خمساً، فرجعتُ إلى موسى، قال: ما فعلت؟ فقلت: قد حط عني خمساً، قال: إن أمتك لا تطيق ذلك، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، قال: فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى، ويحط عني خمساً خمساً، حتى قال: يا محمد، هي خمس صلوات في كل يوم وليلة، بكل صلاة عشر، فتلك خمسون صلاة، ومن همَّ بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشراً، ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب، فإن عملها كتبت له سيئة واحدة، فنزلتُ حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت [منه]». رواه الشيخان، واللفظ لمسلم. وروى الحاكم في «المستدرك» عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت ربي عز وجل»). انتهى نص حديث الإسراء الذي ذكره السيوطي رحمه الله في التفسير، وقد اضطررنا إلى وضعه في ذيل هذه الصفحات، مراعاة لترتيب التفسير والآيات. ارجع إلى تعليقنا ص ٢٧٠ ففيه كل ما تلزم معرفته عن رؤية الله تعالى.

٢٦﴿وآت﴾ أعط ﴿ذا القربى﴾ القرابة ﴿حقه﴾ من البر والصلة ﴿والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً﴾ بالإنفاق في غير طاعة الله[١].

٢٧﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين﴾ أي: على طريقتهم ﴿وكان الشيطان لربه كفوراً﴾ شديد الكفر لنعمه، فكذلك أخوه المبذر.

٢٨﴿وإما تعرضن عنهم﴾ أي: المذكورين، من ذي القربى وما بعدهم، فلم تعطهم ﴿ابتغاء رحمة من ربك ترجوها﴾ أي: لطلب رزق تنتظره يأتيك، فتعطيهم منه ﴿فقل لهم قولاً ميسوراً﴾ ليناً سهلاً، بأن تعدهم بالإعطاء عند مجيء الرزق.

٢٩﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك﴾ أي: لا تمسكها عن الإنفاق كل المسك ﴿ولا تبسطها﴾ في الإنفاق ﴿كل البسط فتقعد ملوماً﴾ راجع للأول، [أي: الإمساك] ﴿محسوراً﴾ منقطعاً لا شيء عندك، راجع للثاني، [أي: الإنفاق].

٣٠﴿إن ربك يبسط الرزق﴾ يوسعه ﴿لمن يشاء ويقدر﴾ يضيقه لمن يشاء ﴿إنه كان بعباده خبيراً بصيراً﴾ عالماً ببواطنهم وظواهرهم، فيرزقهم على حسب مصالحهم.

٣١﴿ولا تقتلوا أولادكم﴾ بالوأد ﴿خشية﴾ مخافة ﴿إملاق﴾ فقر ﴿نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطأً﴾ إثماً ﴿كبيراً﴾ عظيماً.

٣٢﴿ولا تقربوا الزنى﴾ أبلغ من: لا تأتوه ﴿إنه كان فاحشة﴾ قبيحاً ﴿وساء﴾ بئس ﴿سبيلاً﴾ طريقاً هو.

٣٣﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق[٢] ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه﴾ لوارثه ﴿سلطاناً﴾ تسلُّطاً على القاتل ﴿فلا يسرف﴾ يتجاوز الحد ﴿في القتل﴾ بأن يقتل غير قاتله، أو [يقتله] بغير ما قَتَل به، [ولا بأسوأ منه، حتى لو قَتَلَ بالتغريق في ماء عذب، لم يُغَرِّقْهُ في ماء ملح] ﴿إنه كان منصوراً﴾.

وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾

(١) قوله: «بالإنفاق في غير طاعة الله»، هذا تعريف لمعنى «التبذير»، فكل درهم ينفق في سبيل غير مشروع فهو تبذير، كالقمار والخمور والزنا وغيرها. وفاعل ذلك «مبذر»، وهو من إخوان الشياطين، وليس بعد كلام الله تعالى كلام، فليحذر الناس الإنفاق في الحرام، ولا يستهونوا الأمر فإنه عند الله عظيم، أما «الإسراف» فهو: الإنفاق فيما هو مباح، ولكن زيادة على الحاجة، ارجع إلى تعليقنا ص ١٨٦.

(٢) قوله تعالى: ﴿إلاَّ بالحق﴾. لقد بينت السنة النبوية هذا الحق، الذي لا يبقى معه للنفس حرمة، فقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما واللفظ للبخاري، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل دم امرىء مسلم، يشهد أن لا إله إلاَّ الله وأني رسول الله، =

٣٤﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلاَّ بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد﴾ إذا عاهدتم الله، أو: [عاهدتم] الناس ﴿إن العهد كان مسؤولاً﴾ عنه.

٣٥﴿وأوفوا الكيل﴾ أتموه ﴿إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم﴾ الميزان السوي ﴿ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾ مآلاً.

٣٦﴿ولا تقف﴾ تتبع ﴿ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد﴾ القلب ﴿كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾ صاحبه، ماذا فعل به.

وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنَـٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ

٣٧﴿ولا تمش في الأرض مرحاً﴾(١) أي: ذا مرح، بالكبر والخيلاء ﴿إنك لن تخرق الأرض﴾ تثقبها، حتى تبلغ آخرها، بِكِبْرِك ﴿ولن تبلغ الجبال طولاً﴾ المعنى: أنك لا تبلغ هذا المبلغ، فكيف تختال؟!.

٣٨﴿كل ذلك﴾ المذكور، [مما نهى الله ورسوله عنه] ﴿كان سيئة﴾ [بالتاء، أي: عملاً سيئاً] ﴿عند ربك مكروهاً﴾ [وفي قراءة: «سيئُهُ»، بهاء الضمير مضافة، أي: السَّيِّىءُ مما تقدم، وهما قراءتان سبعيتان].

٣٩﴿ذلك مما أوحى إليك﴾ يا محمد ﴿ربك من الحكمة﴾ الموعظة ﴿ولا تجعل مع الله إلَهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً﴾ مطروداً من رحمة الله، [والمقصود بالخطاب هنا، ما سواه ﷺ من المكلفين].

٤٠﴿أفأصفاكم﴾ أخلصكم، يا أهل مكة، ﴿ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثاً؟﴾ بنات لنفسه، بزعمكم ﴿إنكم لتقولون﴾ بذلك ﴿قولاً عظيماً﴾.

٤١﴿ولقد صرفنا﴾ بيَّنا ﴿في هذا القرآن﴾ من الأمثال والوعد والوعيد ﴿ليذكروا﴾ يتعظوا ﴿وما يزيدهم﴾ ذلك

= إلاَّ بإحدى ثلاث: النفسُ بالنفس، والثيِّب الزاني ــ فيُقتل بالرجم ــ والمارق من الدين التارك الجماعة» أي: المرتد عن الإسلام.

(١) قوله تعالى: ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً..﴾، الآية هذا أبلغ وصف للمتكبر، الذي يمشي على الأرض مختالاً فخوراً، وهو في الوقت نفسه تحقير له، وإظهار لضعف نفسه وسُخْفِ عقله، فهو يظن أنه بتكبره واختياله، يزداد في نظر الناس هيبة واحتراماً، بينما هو في واقع الأمر لا يزداد إلاَّ ضعة وهواناً، فالمتكبر: «قليل العقل»، لأن العاقل لا يرى لنفسه فضلاً مهما علا شأنه ولا يتكبر، وهو ضعيف الإيمان، لأن المؤمن يزداد تواضعاً، قال تعالى: ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً ــ أي: بوقار وسكينة ــ وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾. ارجع إلى تعليقنا حول معنى «الكبر» ص ٣٤٨.

﴿إلاَّ نفوراً﴾ عن الحق.

٤٢ ﴿قل﴾ لهم ﴿لو كان معه﴾ أي: الله ﴿آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا﴾ طلبوا [أي: تلك الآلهة] ﴿إلى ذي العرش﴾ أي: الله ﴿سبيلاً﴾ ليقاتلوه.

٤٣ ﴿سبحانه﴾ تنزيهاً له ﴿وتعالى عما يقولون﴾ من الشركاء ﴿علواً كبيراً﴾.

٤٤ ﴿تسبح له﴾ تنزهه ﴿السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن﴾ ما ﴿من شيء﴾ من المخلوقات ﴿إلاَّ يسبح﴾ متلبساً ﴿بحمده﴾ أي: يقول سبحان الله وبحمده ﴿ولكن لا تفقهون﴾ تفهمون ﴿تسبيحهم﴾ لأنه ليس بلغتكم ﴿إنه كان حليماً غفوراً﴾ حيث لم يعاجلكم بالعقوبة.

٤٥ ﴿وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً﴾ أي: ساتراً لك عنهم، فلا يرونك، نزل فيمن أراد الفتك به ﷺ[1] [أو: حجاباً بينهم وبين الهدى، مستوراً عن الأبصار فلا تراه، ورَجَّح الطبري هذا القول].

٤٦ ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة﴾ أغطية ﴿أن يفقهوه﴾ من أن يفهموا القرآن، أي: فلا يفهمونه ﴿وفي آذانهم وقراً﴾ ثقلاً، فلا يسمعونه ﴿وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولَّوا على أدبارهم نفوراً﴾ عنه.

٤٧ ﴿نحن أعلم بما يستمعون به﴾ بسببه من الهزء ﴿إذ يستمعون إليك﴾ قراءتك ﴿وإذ هم نجوى﴾ يتناجون بينهم، أي: يتحدثون ﴿إذ﴾ بدل من «إذ» قبله ﴿يقول الظالمون﴾ [أي: الكافرون] في تناجيهم ﴿إن﴾ ما ﴿تتبعون إلاَّ رجلاً مسحوراً﴾ مخدوعاً، مغلوباً على عقله.

٤٨ قال تعالى [رداً عليهم]: ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال﴾ بالمسحور والكاهن والشاعر ﴿فضلوا﴾ بذلك عن الهدى ﴿فلا يستطيعون

إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْاْ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ

(١) قوله: «نزل فيمن أراد الفتك به ﷺ»، يشير به إلى رواية أخرجها أبو يعلى، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الدلائل» وغيرهم، عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: لما نزلت ﴿تبت يدا أبي لهب وتب﴾ أقبلت العوراء: أم جميل بنت حرب بن أمية، زوجة أبي لهب ولها ولولة وفي يدها فهر، أي: حجر وهي تقول ــ تعني محمداً ﷺ ــ:

مذَمّماً أَبَيْنَا   ودينه قلينا   وأمره عصينا

ورسول الله ﷺ جالس وأبو بكر إلى جنبه، فقال أبو بكر: لقد أقبلت هذه، وإني أخاف أن تراك، فقال: «إنها لن تراني» وقرأ قرآناً اعتصم به، فجاءت حتى قامت على أبي بكر، فلم تر النبي ﷺ فقالت: يا ابن أبي قحافة بلغني أن صاحبك هجاني، فقال أبو بكر: لا ورب هذا البيت ما هجاك، فانصرفت وهي تقول: لقد علمت قريش أني بنت سيدها. اهـ.

وقول الصّديق أبي بكر لها: ما هجاك، صحيح، لأن ما نزل في حقها كان قرآناً من كلام الله تعالى، وليس من قول النبي ﷺ.

سبيلاً﴾ طريقاً إليه. ٤٩﴿وقالوا﴾ منكرين للبعث ﴿أإذا كنا عظاماً ورفاتاً أإنا لمبعوثون خلقاً جديداً﴾.
٥٠﴿قل﴾ لهم ﴿كونوا حجارة أو حديداً﴾ [إذ هما أشدُّ امتناعاً، من العظام والرُّفات].
٥١﴿أو خلقاً مما يكبر في صدوركم﴾ يعظم عن قبول الحياة، فضلاً عن العظام والرفات، فلا بد من إيجاد الروح فيكم ﴿فسيقولون من يعيدنا﴾ إلى الحياة؟ ﴿قل الذي فطركم﴾ خلقكم ﴿أول مرة﴾ ولم تكونوا شيئاً، لأن القادر على البدء، قادر على الإعادة، بل هي أهون ﴿فسينغضون﴾ يحركون ﴿إليك رؤوسهم﴾ تعجباً ﴿ويقولون﴾ استهزاءً ﴿متى هو﴾ أي: البعث ﴿قل عسى أن يكون قريباً﴾ [أي: هو آت لا محالة، وكل آت قريب].

سُورَةُ الإِسْرَاءِ ١٧

سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا ﴿٥١﴾ يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٥٢﴾ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِكُمۡۖ إِن يَشَأۡ يَرۡحَمۡكُمۡ أَوۡ إِن يَشَأۡ يُعَذِّبۡكُمۡۚ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿٥٥﴾ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ

٥٢﴿يوم يدعوكم﴾ يناديكم من القبور على لسان إسرافيل ﴿فتستجيبون﴾ فتجيبون دعوته من القبور ﴿بحمده﴾ بأمره، [وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما]، وقيل: وله الحمد ﴿وتظنون إن﴾ ما ﴿لبثتم﴾ في الدنيا ﴿إلا قليلاً﴾ لهول ما ترون.
٥٣﴿وقل لعبادي﴾ المؤمنين ﴿يقولوا﴾ للكفار[1] الكلمة ﴿التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ﴾ يفسد ﴿بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً﴾ بيِّن العداوة، [قال قتادة السَّدوسي: يحق على كل مسلم عداوة الشيطان، وعداوته: أن تعاديه بطاعة الله].
٥٤ والكلمة التي هي أحسن هي: ﴿ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم﴾ بالتوبة والإيمان ﴿أو إن يشأ﴾ تعذيبكم ﴿يعذبكم﴾ بالموت على الكفر ﴿وما أرسلناك عليهم وكيلاً﴾ فتجبرهم على الإيمان، وهذا قبل الأمر بالقتال.
٥٥﴿وربك أعلم بمن في السماوات والأرض﴾ فيخصهم بما شاء، على قدر أحوالهم ﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض﴾ بتخصيص كلٌ منهم بفضيلة، كموسى بالكلام، وإبراهيم بالخُلَّة، ومحمد بالإسراء ﴿وآتينا داود زبوراً﴾. ٥٦﴿قل﴾ لهم ﴿ادعوا[2] الذين

(١) قوله: «يقولوا للكفار» إلخ. إن ما ذكره الجلال السيوطي، أحد قولين في تفسير هذه الآية والتي بعدها، وعلى هذا الوجه فحكم مسايرة الكفار منسوخ بآية السيف، وهي الآية الخامسة من سورة «التوبة».
والقول الثاني هو: أن الآية تحث المؤمنين على أن يتخاطبوا فيما بينهم بالتي هي أحسن من القول الحسن، وأن يحذروا نزغ الشيطان بينهم ووسوسته لإيقاع العداوة بين المؤمنين، وعليه فإن الآية محكمة، وهو الأوضح والأنسب.
(٢) قوله تعالى: ﴿قل ادعوا﴾ الآية، أخرج البخاري وغيره، عن ابن مسعود رضي الله عنهما: كان ناس من الإنس يعبدون ناساً من الجن، فأسلم الجنيون واستمسك الآخرون بعبادتهم، فأنزل الله ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه﴾ الآية.

زعمتم﴾ أنهم آلهة ﴿من دونه﴾ كالملائكة وعيسى وعزير ﴿فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً﴾ له إلى غيركم.

٥٧﴿أولئك الذين يدعون﴾ ـهم آلهة ﴿يبتغون﴾ يطلبون ﴿إلى ربهم الوسيلة﴾ القربة والطاعة ﴿أيهم﴾ بدل من واو «يبتغون»، أي: يبتغيها الذي هو ﴿أقرب﴾ إليه، فكيف بغيره؟ ﴿ويرجون رحمته ويخافون عذابه﴾ كغيرهم، فكيف تدعونهم آلهة؟ ﴿إن عذاب ربك كان محذوراً﴾ [أي: ينبغي أن يُحْذَرَ منه ويُخَافَ]. ٥٨﴿وإن﴾ ما ﴿من قرية﴾ أُرِيدَ: أهلُها ﴿إلاَّ نحن مهلكوها قبل يوم القيامة﴾ بالموت ﴿أو معذبوها عذاباً شديداً﴾ بالقتل وغيره ﴿كان ذلك في الكتاب﴾ اللوح المحفوظ ﴿مسطوراً﴾ مكتوباً.

٥٩﴿وما منعنا[1] أن نرسل بالآيات﴾ التي اقترحها أهل مكة ﴿إلاَّ أن كذب بها الأولون﴾ لمَّا أرسلناها فأهلكناهم، ولو أرسلناها إلى هؤلاء، لكذبوا بها واستحقوا الإهلاك، وقد حكمنا بإمهالهم، لإتمام أمر محمد ﷺ ﴿وآتينا ثمود﴾ ﴿الناقة﴾ آية ﴿مبصرة﴾ بينة واضحة ﴿فظلموا﴾ كفروا ﴿بها﴾ فأهلكوا ﴿وما نرسل بالآيات﴾ المعجزات ﴿إلاَّ تخويفاً﴾ للعباد ليؤمنوا.

٦٠﴿و﴾ اذكر ﴿إذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس﴾ علماً وقدرة، فهم في قبضته، فبلِّغهم ولا تخف أحداً، فهو يعصمك منهم ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك﴾[2] عياناً ليلة الإسراء، [وليست برؤيا منام] ﴿إلاَّ فتنة للناس﴾ أهل مكة، إذ كذبوا بها، وارتدَّ بعضهم، [أي: من ضعاف الإيمان من المسلمين] لما أخبرهم بها ﴿والشجرة الملعونة في القرآن﴾ وهي: [شجرة] الزَّقوم، التي تنبت في أصل الجحيم، جعلناها فتنة لهم، إذ قالوا: النار تحرق الشجر، فكيف تُنْبِتُهُ؟ ﴿ونخوفهم﴾ بها ﴿فما يزيدهم﴾ تخويفنا ﴿إلاَّ طغياناً كبيراً﴾.

٦١﴿و﴾ اذكر ﴿إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ سجودَ تحية بالانحناء ﴿فسجدوا إلاَّ إبليس

زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَـٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ

---

(١) قوله تعالى: ﴿وما منعنا﴾، أخرج الحاكم والطبراني وغيرهما، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً، وأن ينحي عنهم الجبال فيزرعوا، فقيل له: إن شئت أن تستأني بهم، [أي: أن لا يجابوا]، وإن شئت نؤتهم الذي سالوا، فإن كفروا أهلكوا كما أهلكت من قبلهم، قال: «بلى أستأني بهم»، فأنزل الله: ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات﴾ الآية، وأخرج الطبراني وابن مردويه عن الزبير نحوه.

(٢) قوله تعالى: ﴿وما جعلنا الرؤيا﴾، أخرج أبو يعلى عن أم هانىء: أختْ علي بن أبي طالب، واسمها: «فاختة» على الأشهر، أنه ﷺ لما أسري به، أصبح يحدِّث نفراً من قريش يستهزئون به، فطلبوا منه آية، فوصف لهم بيت المقدس، وذكر لهم قصة العِير، فقال الوليد بن المغيرة: هذا ساحر، فأنزل الله: ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلاَّ فتنة﴾ الآية.

قال ءأسجد لمن خلقت طيناً﴾ نُصِبَ بنزع الخافض، أي: من طين.

٦٢﴿قال أرأيتك﴾ [الكاف توكيد للخطاب]، أي: أخبرني [عن] ﴿هذا الذي كرمت﴾ فضلت ﴿علي﴾ بالأمر بالسجود له؟، [لماذا فضلته عليَّ] وأنا خير منه خلقتني من نار [وخلقتَهُ من طين]؟ ﴿لئن﴾ لام قسم ﴿أخرتني إلى يوم القيامة لأحتنكن﴾ لأستأصلن ﴿ذريته﴾ بالإغواء ﴿إلا قليلاً﴾ منهم ممن عصمتَهُ، [وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله: «إن عبادي ليس لك عليهم سلطان»].

قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ

٦٣﴿قال﴾ تعالى له: ﴿اذهب﴾ مُنْظَراً إلى وقت النفخة الأولى ﴿فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم﴾ أنت وهم ﴿جزاء موفوراً﴾ وافراً كاملاً.

٦٤﴿واستفزز﴾ استَخِفَّ ﴿من استطعت منهم بصوتك﴾ بدعائك، بالغناء والمزامير[1]، وكل داع إلى المعصية ﴿وأجلب﴾ صِحْ ﴿عليهم بخيلك ورَجِلك﴾ وهم: الرُّكَّاب والمشاة في المعاصي ﴿وشاركهم في الأموال﴾ المحرمة، كالربا والغصب ﴿والأولاد﴾ من الزنى ﴿وعدهم﴾ بأن لا بعث ولا جزاء ﴿وما يعدهم الشيطان﴾ بذلك ﴿إلاَّ غروراً﴾ باطلاً.

٦٥﴿إن عبادي﴾ المؤمنين ﴿ليس لك عليهم سلطان﴾ تسلط وقوة ﴿وكفى بربك وكيلاً﴾ حافظاً لهم منك.

٦٦﴿ربكم الذي يزجي﴾ يجري ﴿لكم الفلك﴾ السفن ﴿في البحر لتبتغوا﴾ تطلبوا ﴿من فضله﴾ تعالى بالتجارة ﴿إنه كان بكم رحيماً﴾ في تسخيرها لكم.

٦٧﴿وإذا مسكم الضر﴾ الشدة ﴿في البحر﴾ خوف الغرق ﴿ضل﴾ غاب عنكم ﴿من تدعون﴾ تعبدون من الآلهة، فلا تدعونه ﴿إلاَّ إياه﴾ تعالى، فإنكم تدعونه وحده، لأنكم في شدة لا يكشفها إلاَّ هو ﴿فلما نجاكم﴾ من الغرق وأوصلكم﴿إلى البر أعرضتم﴾ عن التوحيد ﴿وكان الإنسان كفوراً﴾ جحوداً للنعم. ٦٨﴿أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر﴾ أي: الأرض كـ «قارون»[2] ﴿أو يرسل

---

(١) قوله: «بالغناء والمزامير» أي: استَمِلْهُمْ بذلك ليرغبوا في المعاصي.

ارجع إلى تعليقنا حول حكم «اللهو والغناء» أول سورة «لقمان» ص ٥٣٩.

(٢) قوله: «كقارون»، كان من قوم موسى عليه السلام، فبغى عليهم وتكبر، فأهلكه الله، ارجع إلى تعليقنا حوله ص ٥١٧.

عليكم حاصباً﴾ أي: يرميكم بالحصباء، كقوم لوط ﴿ثم لا تجدوا لكم وكيلاً﴾ حافظاً منه. ٦٩﴿أم أمنتم أن يعيدكم فيه﴾ أي: البحر ﴿تارة﴾ مرة ﴿أخرى فيرسل عليكم قاصفاً من الريح﴾ أي: ريحاً شديدة، لا تمر بشيء إلاّ قصفته، فتكسر فُلككم ﴿فيغرقكم بما كفرتم﴾ بكفركم ﴿ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعاً﴾ ناصراً، أو: تابعاً يطالبنا بما فعلنا بكم. ٧٠﴿ولقد كرمنا﴾ فضلنا ﴿بني آدم﴾ [على سائر الدواب]، بالعلم والنطق واعتدال الخلق وغير ذلك، ومنه طهارتهم بعد الموت ﴿وحملناهم في البر﴾ على الدواب ﴿والبحر﴾ على السفن﴿ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا﴾ كالبهائم والوحوش ﴿تفضيلاً﴾ فـ «مَنْ» بمعنى: «ما» [التي لغير العاقل]، أو: [هي] على بابها، [أي: للعاقل]، وتشمل [تفضيل بني آدم على] الملائكة، والمرادُ تفضيل الجنس، ولا يلزم [من تفضيل الجنس]، تفضيلُ [كلِّ فردٍ من] أفراده، إذ هم أفضل من البشر غير الأنبياء، [أما الكافر، فلا فضل له ولا كرامة، لأنه قد أهان نفسه بكفره، فأهانه الله تعالى، «ومن يُهن الله فما له من مُكرم»]. ٧١ اذكر ﴿يوم ندعو كل أناس بإمامهم﴾ نبيهم، فيقال: يا أُمّة فلان، أو: بكتاب أعمالهم، فيقال: يا صاحب الخير، يا صاحب الشر، وهو: يوم القيامة ﴿فمن أوتي﴾ منهم ﴿كتابه بيمينه﴾ وهم السعداء، أولو البصائر في الدنيا ﴿فأولئك يقرؤون كتابهم ولا يظلمون﴾ يُنقصون من أعمالهم ﴿فتيلاً﴾ قدر قشرة النواة[1]. ٧٢﴿ومن كان في هذه﴾ أي: الدنيا ﴿أعمى﴾ عن الحق ﴿فهو في الآخرة أعمى﴾ عن طريق النجاة وقراءة القرآن ﴿وأضل سبيلاً﴾ أبعد طريقاً عنه.

٧٣ ونزل في [وفد] ثقيف، وقد سألوه ﷺ أن يحرِّم واديهم [كما حرَّم مكة، وإنْ كَرِهَ ما يقولون، وخشي كلام العرب، فليقل: الله أمرني بذلك]، وألحوا عليه: ﴿وإن﴾ مخففة ﴿كادوا﴾ قاربوا ﴿ليفتنونك﴾ يستنزلونك ﴿عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذاً﴾ لو فعلت ذلك ﴿لاتخذوك خليلاً﴾ [ورضوا عنك].

عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمۡ أَمِنتُمۡ أَن يُعِيدَكُمۡ فِيهِ تَارَةً أُخۡرَىٰ فَيُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ قَاصِفٗا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغۡرِقَكُم بِمَا كَفَرۡتُمۡ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ عَلَيۡنَا بِهِۦ تَبِيعٗا ﴿٦٩﴾ ۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴿٧٠﴾ يَوۡمَ نَدۡعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمۡۖ فَمَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقۡرَءُونَ كِتَٰبَهُمۡ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلٗا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ﴿٧٣﴾ وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ

٧٤﴿ولولا أن ثبتناك﴾ على الحق بالعصمة ﴿لقد كدت﴾ قاربت ﴿تركن﴾ تميل ﴿إليهم شيئاً﴾ ركوناً ﴿قليلاً﴾ لشدة احتيالهم وإلحاحهم، وهو صريح في أنه ﷺ لم يَرْكَن ولا قارب، [وهذا هو المقبول، في سبب نزول هاتين الآيتين، ولا يلتفت إلى ما سواه]. ٧٥﴿إذاً﴾ لو ركنت ﴿لأذقناك ضعف﴾ عذاب

(١) قوله: «قدر قشرة النواة» هذا سهو من السيوطي، في تفسير «الفتيل»، لأن ما ذكره هو: معنى «القطمير»، أما «الفتيل» فهو: الخيط الذي في بطن النواة.

﴿الحياة وضعف﴾ عذابِ ﴿الممات﴾ أي: مثلي ما يعذب غيرك في الدنيا والآخرة ﴿ثم لا تجد لك علينا نصيراً﴾ مانعاً منه.

٧٦ ونزل لما قال له اليهود: إن كنت نبياً، فَالْحَقْ بالشام، فإنها أرض الأنبياء: ﴿وإن﴾ مخففة، [أي: وإنهم] ﴿كادوا ليستفزونك من الأرض﴾ أرض المدينة ﴿ليخرجوك منها وإذاً﴾ لو أخرجوك ﴿لا يلبثون خلافك﴾ [أي: بعدك] فيها ﴿إلا قليلاً﴾ ثم يهلكون.

سُورَةُ الإِسْرَاءِ ١٧

ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَـٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى

٣٧٥

٧٧ ﴿سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا﴾ أي: كسُنَّتنا فيهم، من إهلاك من أخرجهم ﴿ولا تجد لسنتنا تحويلاً﴾ تبديلاً.

٧٨ ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس﴾ أي: من وقت زوالها ﴿إلى غسق الليل﴾ إقبال ظلمته، أي: الظهر والعصر، والمغرب والعشاء ﴿وقرآن الفجر﴾ [أي: وأقم] صلاة الصبح ﴿إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾ تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار.

٧٩ ﴿ومن الليل فتهجد﴾ فصلِّ ﴿به﴾ بالقرآن ﴿نافلة لك﴾ فريضة زائدة لك، دون أمتك، أو: فضيلةً على الصلوات المفروضة ﴿عسى أن يبعثك﴾ يقيمك ﴿ربك﴾ في الآخرة ﴿مقاماً محموداً﴾ يحمدك فيه الأولون والآخرون، وهو: مقام الشفاعة[1] في فصل القضاء [يوم القيامة].

٨٠ ونزل لما أُمر بالهجرة: ﴿وقل رب أدخلني﴾ المدينة ﴿مدخل صدق﴾ إدخالاً مرضياً، لا أرى فيه ما أكره ﴿وأخرجني﴾ من مكة ﴿مخرج صدق﴾ إخراجاً لا ألتفت بقلبي إليها ﴿واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً﴾ قوة تنصرني بها على أعدائك.

٨١ ﴿وقل﴾ عند دخولك مكة [فاتحاً]: ﴿جاء الحق﴾ الإسلام ﴿وزهق الباطل﴾ بطل الكفر ﴿إن الباطل كان زهوقاً﴾ مضمحلاً زائلاً، وقد دخلها ﷺ وحَوْلَ البيتِ ثلثمائة وستون صنماً، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول ذلك، حتى سقطت [جميعها]، رواه الشيخان. ٨٢ ﴿وننزل من﴾ للبيان ﴿القرآن ما هو شفاء﴾ من الضلالة ﴿ورحمة للمؤمنين﴾ به ﴿ولا يزيد الظالمين﴾ الكافرين ﴿إلا خساراً﴾ لكفرهم به. ٨٣ ﴿وإذا أنعمنا على

---

(١) قوله: «مقام الشفاعة»، فللنبي ﷺ الشفاعة الكبرى يوم القيامة، ارجع إلى تعليقنا حول «الشفاعة» ص ٦١٢.

﴿الإنسان﴾ الكافر ﴿أعرض﴾ عن الشكر ﴿ونأى بجانبه﴾ ثنى عطفه متبختراً ﴿وإذا مسه الشر﴾ الفقر والشدة ﴿كان يؤوساً﴾ قنوطاً من رحمة الله.

٨٤﴿قل كل﴾ منا ومنكم ﴿يعمل على شاكلته﴾ طريقته ﴿فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً﴾ طريقاً، فيثيبه.

٨٥﴿ويسألونك﴾[1] أي: اليهود ﴿عن الروح﴾ الذي يحيا به البدن، [و «الروح» يذكّر ويؤنث] ﴿قل﴾ لهم ﴿الروح من أمر ربي﴾ أي: علمه لا تعلمونه ﴿وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلاً﴾ بالنسبة إلى علمه تعالى.

٨٦﴿ولئن﴾ لام قسم ﴿شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك﴾ أي: القرآن، بأن نمحوه من الصدور والمصاحف ﴿ثم لا تجد لك به علينا وكيلاً﴾.

٨٧﴿إلا﴾ لكن أبقيناه ﴿رحمة من ربك إن فضله كان عليك كبيراً﴾ عظيماً حيث أنزله عليك، وأعطاك المقام المحمود، وغير ذلك من الفضائل.

٨٨﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن﴾ في الفصاحة والبلاغة ﴿لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾ معيناً، نزل رداً لقولهم: لو نشاء لقلنا مثل هذا.

٨٩﴿ولقد صرفنا﴾ بيّنا ﴿للناس في هذا القرآن من كل مثل﴾ صفة لمحذوف، أي: «مَثَلاً من جنس كل مَثَل، ليتعظوا» ﴿فأبى أكثر الناس﴾ أي: أهل مكة [وغيرها] ﴿إلا كفوراً﴾ جحوداً للحق.

٩٠﴿وقالوا﴾ عطف على «أبى» ﴿لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً﴾ عيناً ينبع منها الماء. ٩١﴿أو تكون لك جنة﴾ بستان ﴿من نخيل وعنب فتفجر الأنهار

ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ

(١) قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن الروح﴾ الآية ٨٥.

أخرج البخاري ومسلم وغيرهما، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ في خَرِبِ المدينة وهو متكىء على عسيب، فمر بقوم من اليهود فقال بعضهم لبعض: سلوه، وقال بعضهم: لا تسألوه، فسألوه فقالوا: يا محمد، ما الروح؟ فما زال متوكئاً على العسيب وظننت أنه يوحى إليه، فأنزل الله هذه الآية. اهـ.

ولقد جاء ذكر «الرُوح» ــ بضم الراء ــ في القرآن الكريم مراراً وعلى معانٍ مختلفة.

فمنها: «الرُوح» التي يحيا بها البدن، وهو المعنى الذي يتبادر إلى الذهن عند الإطلاق، ومنه قوله تعالى في آدم عليه السلام: ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي﴾ أي: روحه التي خلقتها له، ومثله قوله تعالى في أم المسيح مريم عليهما السلام: ﴿فنفخنا فيها﴾، و ﴿فنفخنا فيه من روحنا﴾، وإضافة الروح إلى الله تعالى، في آيات آدم والمسيح عليهما السلام، إضافة تشريف، لا بمعنى أن لله تعالى روحاً، =

خلالها﴾ وسطها ﴿تفجيراً﴾ . ٩٢﴿أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً﴾ قطعاً ﴿أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً﴾ مقابلة وعياناً، فنراهم. ٩٣﴿أو يكون لك بيت من زخرف﴾ ذهب ﴿أو ترقى﴾ تصعد ﴿في السماء﴾ على السُّلَّم ﴿ولن نؤمن لرقيك﴾ لو رقيت فيها ﴿حتى تنزل علينا﴾ منها ﴿كتاباً﴾ فيه تصديقك ﴿نقرؤه قل﴾ لهم ﴿سبحان ربي﴾ [هذا] تعجُّب [من قولهم] ﴿هل﴾ ما ﴿كنت إلا بشراً رسولاً﴾ كسائر الرسل، ولم يكونوا يأتون بآية إلاَّ بإذن الله؟.

٩٤﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا﴾ أي: قولهم منكرين: ﴿أبعث الله بشراً رسولاً﴾ ولم يبعث مَلَكاً؟. ٩٥﴿قل﴾[1] لهم: ﴿لو كان في الأرض﴾ بدل البشر ﴿ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً﴾ إذ لا يرسل إلى قوم رسولاً إلاَّ من جنسهم، يمكنهم مخاطبته والفهم عنه.

٩٦﴿قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم﴾ على صدقي ﴿إنه كان بعباده خبيراً بصيراً﴾ عالماً ببواطنهم وظواهرهم. ٩٧﴿ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء﴾ يهدونهم ﴿من دونه ونحشرهم يوم القيامة﴾ ماشين ﴿على وجوههم عمياً وبكماً وصماً مأواهم جهنم كلما خبت﴾ سكن لهبها ﴿زدناهم

خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٌ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبًا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُمۡ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِهِۦۖ وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيًا وَبُكۡمًا وَصُمًّاۖ مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ

= فإن النصارى كفروا بقولهم هذا، فالله حيٌّ قيوم دائم ليس كمثله شيء. وقد سميت الروح روحاً لأنها تروح، أي: ترجع وتعود إلى خالقها ولو بعد حين، وهي سر من الأسرار، لا يعلم حقيقتها إلاَّ الله سبحانه وتعالى، ومنها، «الرُّوح» أي: «جبريل» عليه السلام، كقوله تعالى في سورة القدر: ﴿تنزل الملائكة والروح فيها﴾ وقوله تعالى في سورة مريم: ﴿فأرسلنا إليها روحنا ـ أي جبريل ـ فتمثل لها بشراً سويّاً﴾، وهو «الروح الأمين»، وهو أيضاً «روح القدس»، أي: الروح المقدسة، ولكن ليس على المعنى الذي يفهمه أهل الكتاب، من أنه أحد الأقانيم الثلاثة، التي تؤلف كلها إلهاً واحداً كما يقولون.

ومنها: «الروح» أي الوحي والقرآن، كقوله تعالى في سورة المؤمن: ﴿يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده﴾ أي: الوحي، وقوله تعالى في سورة الشورى: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا﴾ أي: القرآن، أما «الرَّوْح» بفتح الراء، فلها معانٍ أخرى، منها: الراحة والنعيم كقوله تعالى: ﴿فرَوْح وريحان وجنة نعيم﴾، ومنها: «الرحمة» كقوله تعالى في سورة «يوسف»: ﴿ولا تيأسوا من رَوْح الله ـ أي رحمته ـ إنه لا ييأس من رَوْح الله إلاَّ القوم الكافرون﴾.

(١) قوله تعالى: ﴿قل لو كان...﴾ الآية، لقد طلب الكفار، من جملة ما طلبوه، في معرض ردِّهم رسالة النبي ﷺ، أن يرسل إليهم ملكاً رسولاً ليؤمنوا، ولكن طلبهم هذا لا يحقق الغاية من الرسالة ـ إن حصل ـ ولا ينتفع بذلك المطالبون به لسببين، أولهما: أنه لو أرسل إليهم رسولاً من الملائكة لجعله في صورة البشر ليأنسوا به، ويأخذوا عنه، فلا يخرجون به من الإشكال كما قال تعالى: ﴿ولو جعلناه مَلَكاً لجعلناه رجلاً ولَلَبَسْنا عليهم ما يَلْبِسُون﴾. وثانيهما: ما بيَّنه الله في هذه الآية وهو، أنه لو أرسل الله ملكاً على حقيقته، ومكَّن البشر من رؤيته لاستغربوا خلقه ـ كما هي العادة ـ ولأدى هذا الاستغراب إلى وقوع التنافر بينه وبينهم، فلا يطمئن الملك الرسول =

﴿سعيراً﴾ تلهباً واشتعالاً.

٩٨﴿ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا﴾ منكرين للبعث ﴿أإذا كنا عظاماً ورفاتاً أإنا لمبعوثون خلقاً جديداً؟﴾.

٩٩﴿أو لم يروا﴾ يعلموا ﴿أن الله الذي خلق السماوات والأرض﴾ مع عظمهما ﴿قادر على أن يخلق مثلهم﴾ أي: الأناسي في الصغر ﴿وجعل لهم أجلاً﴾ للموت والبعث ﴿لا ريب فيه فأبى الظالمون إلا كفوراً﴾ جحوداً له؟.

١٠٠﴿قل﴾ لهم ﴿لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي﴾ من الرزق والمطر ﴿إذاً لأمسكتم﴾ لبخلتم ﴿خشية الإنفاق﴾ خوف نفادها بالإنفاق، فتقتروا ﴿وكان الإنسان قتوراً﴾ بخيلاً.

١٠١﴿ولقد آتينا موسى تسع[1] آيات بينات﴾ وهي: اليد، والعصا، والطوفان، والجراد، والقُمَّلُ، والضفادع، والدم، والطمس، [أي: طمس الأموال]، والسِّنين، [أي: القحط]، ونقص الثمرات ﴿فاسأل﴾ يا محمد ﴿بني إسرائيل﴾ عنه، سؤال تقرير للمشركين على صدقك، أو: فقلنا له: «اسأل»، وفي قراءة[2] بلفظ الماضي ﴿إذ جاءهم فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحوراً﴾ مخدوعاً مغلوباً على عقلك.

١٠٢﴿قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء﴾ الآيات، ﴿إلا رب السماوات والأرض بصائر﴾ عبراً، ولكنك تعاند، وفي قراءة بضم التاء، [أي: تاء «علمت»، وهي قراءة سبعية] ﴿وإني لأظنك يا فرعون مثبوراً﴾ هالكاً، أو: مصروفاً عن الخير.

١٠٣﴿فأراد﴾ فرعون ﴿أن يستفزهم﴾ يخرج موسى وقومه ﴿من الأرض﴾ أرض مصر ﴿فأغرقناه ومن معه جميعاً﴾. ١٠٤﴿وقلنا

سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟
أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾
۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ
فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ
خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ
ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ
بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ
إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ
مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ
وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم
مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا

حزب ٣٠

= وهو يمشي على الأرض، لأنه مُسْتَغْرَبٌ ومُسْتَغْرِبٌ، ولا يُقبل الناس عليه لأنهم يستغربونه، فلا فائدة إذن من إرساله، ونحن نعرف بالمشاهدة والتجربة: أن الغريب من الناس، لا يستفاد منه إلاَّ بعد أن يألف ويؤلف، ولذلك كان الرسول قبل محمد ﷺ يُبعَثُ إلى قومه خاصة، لأنه يعرفهم وهم يعرفونه، وبُعث محمد ﷺ إلى العالمين لأنه خاتم الأنبياء والمرسلين.

(١) قوله تعالى: ﴿تسع آيات بينات﴾، ارجع إلى تعليقنا حول ما أوتيه موسى من آيات للقبط، أي: لفرعون وقومه، ولبني إسرائيل ص ٢٧٨.

(٢) قوله: «وفي قراءة بلفظ الماضي»، أي: «فسأل» أي، سأل موسى بني إسرائيل، زهو يوهم أنها قراءة صحيحة، والصواب أنها قراءة شاذة ولغير الأربعة، وكان حق الجلال السيوطي أن يقول: «وقرىء» كما هي عادته في الإشارة إلى القراءة الشاذة، ارجع إلى معنى القراءة الصحيحة والشاذة في المقدمة.

من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة﴾ أي: الساعة ﴿جئنا بكم لفيفاً﴾ جميعاً، أنتم وهم. ١٠٥ ﴿وبالحق أنزلناه﴾ أي: القرآن ﴿وبالحق﴾ المشتمل عليه ﴿نزل﴾ كما أنزل، لم يعتره تبديل ﴿وما أرسلناك﴾ يا محمد ﴿إلا مبشراً﴾ من آمن بالجنة ﴿ونذيراً﴾ من كفر بالنار. ١٠٦ ﴿وقرآناً﴾ منصوب بفعل يفسره ﴿فرقناه﴾ نزلناه مفرقاً، في عشرين سنة، أو: وثلاث ﴿لتقرأه على الناس على مكث﴾ مهل وتؤدة، ليفهموه ﴿ونزلناه تنزيلاً﴾ شيئاً بعد شيء، على حسب المصالح. ١٠٧ ﴿قل﴾ لكفار مكة ﴿آمنوا به أو لا تؤمنوا﴾ تهديد لهم ﴿إن الذين أوتوا العلم من قبله﴾ قبل نزوله، وهم: مؤمنو أهل الكتاب ﴿إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً﴾. ١٠٨ ﴿ويقولون سبحان ربنا﴾ تنزيهاً له عن خُلف الوعد ﴿إن﴾ مخففة [أي: أنه] ﴿كان وعد ربنا﴾ بنزوله، وبعث النبي ﷺ ﴿لمفعولاً﴾. ١٠٩ ﴿ويخرون للأذقان يبكون﴾ عطف [على «يخرُّون» الأولى]، بزيادة صفة ﴿ويزيدهم﴾ القرآن ﴿خشوعاً﴾ تواضعاً لله. ١١٠ وكان ﷺ يقول: يا الله، يا رحمن، فقالوا: ينهانا أن نعبد إلهين، وهو يدعو إلهاً آخر معه فنزل: ﴿قل﴾ لهم ﴿ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾ أي: سموه بأيهما، أو: نادوه، بأن تقولوا: «يا الله» «يا رحمن» ﴿أيّاً﴾ شرطية ﴿ما﴾ زائدة، أيَّ هذين ﴿تدعوا﴾ فهو حسن، دل على هذا: ﴿فله﴾ أي: لمسماهما ﴿الأسماء الحسنى﴾ وهذان منها، فإنها كما في الحديث: «الله، الذي لا إله إلا هو، الرحمن، الرحيم، الملكُ، القُدُّوس، السَّلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارىء، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعزُّ، المذلُّ، السميع، البصير، الحَكَمُ، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المعيد، المحيي، المميت، الحي، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعالي، البَرُّ، التواب، المنتقم، العفو، الرؤوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغني، المغني، المانع، الضار، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور» رواه الترمذي، قال تعالى ﴿ولا تجهر بصلاتك﴾ بقراءتك فيها، فيسمعك المشركون فيسبوك، ويسبوا القرآن ومن أنزله [أخرج ذلك البخاري وغيره] ﴿ولا تخافت﴾ [أي: لا] تُسِرَّ ﴿بها﴾ لينتفع أصحابك ﴿وابتغ﴾ اقصد ﴿بين ذلك﴾ الجهر والمخافتة ﴿سبيلاً﴾ طريقاً وسطاً. ١١١ ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك﴾ في الألوهية ﴿ولم يكن له ولي﴾ ينصره ﴿من﴾ أجل ﴿الذل﴾ أي: لم يذل فيحتاج إلى ناصر ﴿وكبره تكبيراً﴾ عظمه

مِنۢ بَعۡدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱسۡكُنُواْ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا ﴿١٠٤﴾ وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿١٠٥﴾ وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴿١٠٦﴾ قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَۤ لِلۡأَذۡقَانِۤ سُجَّدٗا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا۩ ﴿١٠٩﴾ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ﴿١١١﴾

سجدة

عظمة تامة، عن اتخاذ الولد والشريك والذل، وكل ما لا يليق به، وترتيب الحمد على ذلك، للدلالة على أنه المستحق لجميع المحامد، لكمال ذاته وتفرده في صفاته، روى الإمام أحمد في مسنده، عن معاذ الجُهَني، عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول: «آية العزّ: الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك» إلى آخر السورة، والله تعالى أعلم.
[«تنبيه»: لقد نقلنا خاتمة الجلال السيوطي رحمه الله من هنا، حيث كانت، في آخر القسم الذي فسره من القرآن العظيم، وأثبتناها في سياق المقدمة، وأما من أول سورة «الكهف»، فيبدأ القسم الذي فسره الجلال المحلي رحمه الله، قال:].

﴿سُورَةُ الكَهْفِ﴾(1)

(مكية، إلاَّ: «واصبر نفسك» الآية، مائة وعشر آيات، أو: وخمس)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١٨) سُورَةُ الكَهْفِ مَكِّيَّة وآياتها عشر ومائة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا

١ ﴿الحمد﴾ وهو: «الوصف بالجميل»، ثابت ﴿لله﴾ تعالى، وهل المراد الإعلام بذلك للإيمان به، أو: الثناء [على الله تعالى]، أو: هما [معاً] احتمالات، أفيدها الثالث ﴿الذي أنزل على عبده﴾ محمد ﴿الكتاب﴾ القرآن ﴿ولم يجعل له﴾ أي: فيه ﴿عوجاً﴾ اختلافاً وتناقضاً، والجملة حال من «الكتاب». ٢ ﴿قيماً﴾ مستقيماً، حال ثانية مؤكّدة ﴿لينذر﴾ يخوّف الكتابُ الكافرين ﴿بأساً﴾ عذاباً ﴿شديداً من لدنه﴾ من قبل الله ﴿ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً﴾. ٣ ﴿ماكثين فيه أبداً﴾ هو الجنة. ٤ ﴿وينذر﴾ من جملة الكافرين ﴿الذين قالوا اتخذ الله ولداً﴾. ٥ ﴿ما لهم به﴾ بهذا القول ﴿من علم ولا لآبائهم﴾ من قبلهم القائلين له ﴿كبرت﴾ عظمت ﴿كلمة تخرج من أفواههم﴾ «كلمةً» تمييز مفسّر للضمير المبهم، والمخصوص بالذم محذوف، أي: مقالتهم المذكورة ﴿إن﴾ ما ﴿يقولون﴾ في ذلك ﴿إلا﴾ مقولاً ﴿كذباً﴾.
٦ ﴿فلعلك باخع﴾ مهلك ﴿نفسك على آثارهم﴾ بَعْدَهُم، أي: بَعْدَ توليهم عنك ﴿إن لم يؤمنوا بهذا الحديث﴾ القرآن ﴿أسفاً﴾ غيظاً وحزناً منك، لحرصك على إيمانهم، ونصبه على المفعول له. ٧ ﴿إنا جعلنا ما على الأرض﴾ من الحيوان والنبات والشجر والأنهار وغير ذلك ﴿زينة لها

---

(1) قوله: «سورة الكهف»، روى البخاري واللفظ له، والترمذي عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف، وإلى جانبه حصانٌ مربوط بشَطَنَيْن ــ أي: حبلين متينين ــ فتغشته سحابة، فجعلت تدنو وتدنو، وجعل فرسه يَنْفِرُ، فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال: «تلك السَّكينةُ تنزّلت بالقرآن». وأخرج أحمد ومسلم والنسائي، عن أبي الدّرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من حفظ عشر آيات من أوّل سورة الكهف عُصِمَ من فتنة الدَّجّال».

﴿لنبلوهم﴾ لنختبر الناس، ناظرين إلى ذلك ﴿أيهم أحسن عملاً﴾ فيه، أي: أزهد له، [أي: أكثر ميلاً إلى العمل الصالح].

٨﴿وإنا لجاعلون ما عليها﴾ [أي: الأرض] ﴿صعيداً﴾ فتاتاً [كالتراب] ﴿جرزاً﴾ يابساً لا يُنْبِتُ.

٩﴿أم حسبت﴾ أي: ظننت ﴿أن أصحاب الكهف﴾[1] الغار في الجبل ﴿والرقيم﴾ اللوح [من رصاص، رواه البخاري عن ابن عباس]، المكتوب فيه أسماؤهم وأنسابهم، وقد سئل ﷺ عن قصتهم ﴿كانوا﴾ في قصتهم ﴿من﴾ جملة ﴿آياتنا عجباً﴾ خبر «كان»، وما قبله: [أي: «من آياتنا»] حال، أي: كانوا عجباً دون باقي الآيات؟ أو: [كانوا] أعجبها؟ ليس الأمر كذلك.

لِّيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾

١٠ اذكر ﴿إذ أوى الفتية إلى الكهف﴾ جمع «فتى»، وهو: الشباب الكامل، خائفين على إيمانهم من قومهم، الكفار، [قال ابن كثير: فذكر تعالى أنهم فتية، وهم الشباب، وهم أقبل للحق، وأهدى للسبيل من الشيوخ، الذين قد عتوا وانغمسوا في دين الباطل] ﴿فقالوا ربنا آتنا من لدنك﴾ من قبلك ﴿رحمة وهيِّىء﴾ أصلح ﴿لنا من أمرنا رشداً﴾ هداية.

١١﴿فضربنا على آذانهم﴾ أي: أنمناهم ﴿في الكهف سنين عدداً﴾ معدودة.

١٢﴿ثم بعثناهم﴾ أيقظناهم ﴿لنعلم﴾ علم مشاهدة ﴿أي الحزبين﴾ الفريقين المختلفين في مدة لبثهم ﴿أحصى﴾ [على وزن:] «أفْعَل»، بمعنى: «أضْبَط» ﴿لما لبثوا﴾ للبثهم، متعلق بما بعده ﴿أمداً﴾ غاية.

١٣﴿نحن نقص﴾ نقرأ ﴿عليك نبأهم بالحق﴾ بالصدق ﴿إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾.

١٤﴿وربطنا على قلوبهم﴾ قويناهم على قول الحق ﴿إذ قاموا﴾ بين يدي ملكهم، وقد أمرهم بالسجود للأصنام ﴿فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعو من دونه﴾ أي: غيره ﴿إلهاً لقد قلنا إذاً شططاً﴾ أي: قولاً ذا شطط، أي: إفراط في الكفر، إن دعونا إلّهاً غير الله، فَرَضاً.

١٥﴿هؤلاء﴾ مبتدأ ﴿قومنا﴾ عطف بيان ﴿اتخذوا من دونه آلهة لولا﴾ هلاَّ ﴿يأتون عليهم﴾ على عبادتهم ﴿بسلطان بيِّن﴾ بحجة ظاهرة ﴿فمن أظلم﴾ أي: لا أحد أظلم ﴿ممن افترى على الله كذباً﴾ بنسبة الشريك إليه تعالى؟.

---

(١) قوله تعالى: ﴿أصحاب الكهف﴾ قال ابن الأثير في «الكامل»: «كان أصحاب الكهف أيام ملك من ملوك الطوائف اسمه: «دقيوس»، ويقال: «دقيانوس» وكانوا بمدينة للروم اسمها «أفسوس» وملكهم يعبد الأصنام، وكانوا فتية آمنوا بربهم كما ذكر الله تعالى، و «الرقيم» خبرهم، كتب =

١٦ قال بعض الفتية لبعض: ﴿وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلاّ الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيِّىء لكم من أمركم مرفقاً﴾ بكسر الميم وفتح الفاء، وبالعكس: ما ترتفقون به، من غَداء وعَشاء.
١٧ ﴿وترى الشمس إذا طلعت تزاور﴾ بالتشديد، والتخفيف، تميل ﴿عن كهفهم ذات اليمين﴾ ناحيته ﴿وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال﴾ تتركهم وتتجاوز عنهم، فلا تصيبهم ألبتة ﴿وهم في فجوة منه﴾ متسع من الكهف، ينالهم برد الريح ونسيمها ﴿ذلك﴾ المذكور ﴿من آيات الله﴾ دلائل قدرته ﴿من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً﴾.

وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ * وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ

ربع الحزب

١٨ ﴿وتحسبهم﴾ لو رأيتهم ﴿أيقاظاً﴾ أي: منتبهين، لأن أعينهم منفتحة، جمع «يقظ» بكسر القاف ﴿وهم رقود﴾ نيام، جمع «راقد» ﴿ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال﴾ لئلا تأكل الأرض لحومهم ﴿وكلبهم باسط ذراعيه﴾ يديه ﴿بالوصيد﴾ بفناء الكهف، وكانوا إذا انقلبوا انقلب؛ وهو مثلهم في النوم واليقظة ﴿لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿منهم رعباً﴾ بسكون العين وضمها[1]، منعهم الله بالرعب، من دخول أحد عليهم.
١٩ ﴿وكذلك﴾ كما فعلنا بهم ما ذكرنا ﴿بعثناهم﴾ أيقظناهم ﴿ليتساءلوا بينهم﴾ عن حالهم ومدة لبثهم ﴿قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم﴾ لأنهم دخلوا الكهف عند طلوع الشمس، وبُعثُوا عند غروبها، فظنوا أنه غروب يوم الدخول، ثم ﴿قالوا﴾ متوقفين في ذلك: ﴿ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم﴾ بسكون الراء وكسرها، [مع فتح الواو فيها، أي:] بفضتكم ﴿هذه إلى المدينة﴾ يقال: إنها المسماة الآن: «طَرَسُوس» بفتح الراء.

= في لوح، وجعل على باب الكهف الذي أووا إليه، وكانوا قبل إيمانهم يعبدون الأوثان فهداهم الله، وكانت شريعتهم شريعة عيسى عليه السلام. وزعم بعضهم: أنهم كانوا قبل المسيح، والأول أصح، وكانوا من الروم»، وقال في «معجم البلدان»: «أفسوس» بضم الهمزة بلد بثغور «طرَسُوس»، يقال إنها بلد أصحاب الكهف، و «طرَسوس» ــ بالسين بعد الراء ــ بفتح أوله وثانيه، وهي مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب، وفيها قبر «المأمون». اهـ.

وهناك من يقول: إن موضع الكهف هو في بلاد الأردن حالياً، جنوب شرقي «عمّان»، وعلى كل حال، فإن المهم هو الاعتبار بقصتهم والاتعاظ بها، وأما معرفة المكان فليس أمراً مهماً.

(١) قوله: «بسكون العين وضمها» حاصله: أن في قوله تعالى: ﴿ولملئت منهم رعباً﴾ ثلاث قراءات سبعية لا أكثر هي: «ولملئت ــ بتخفيف اللام ــ منهم رُعْباً» بسكون العين وبضمها فهما قراءتان، والقراءة الثالثة: «ولملّئت ــ بتشديد اللام ــ منهم رُعْباً» بسكون العين فقط.

فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ
وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ
يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾
وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ
ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟
ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ
أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ
رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا
بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ
بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً
ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ
لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ

﴿فلينظر أيها أزكى طعاماً﴾ أي: أيّ أطعمة المدينة أحل **﴿فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحداً﴾**.

٢٠ **﴿إنهم إن يظهروا عليكم﴾** [بأن يعلموا مكانكم] **﴿يرجموكم﴾** يقتلوكم بالرجم **﴿أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذاً﴾** أي: إن عدتم في ملتهم **﴿أبداً﴾**.

٢١ **﴿وكذلك﴾** كما بعثناهم **﴿أعثرنا﴾** أطلعنا **﴿عليهم﴾** قومهم والمؤمنين **﴿ليعلموا﴾** أي: قومهم **﴿أن وعد الله﴾** بالبعث **﴿حق﴾** بطريق: أن القادر على إنامتهم المدة الطويلة، وإبقائهم على حالهم بلا غذاء، قادر على إحياء الموتى **﴿وأن الساعة لا ريب﴾** [لا] شك **﴿فيها إذ﴾** معمول لـ «أعثرنا» **﴿يتنازعون﴾** أي: المؤمنون والكفار **﴿بينهم أمرهم﴾** أمر الفتية، في البناء حولهم **﴿فقالوا﴾** أي: الكفار **﴿ابنوا عليهم﴾** أي: حولهم **﴿بنياناً﴾** يسترهم **﴿ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم﴾** أمر الفتية، وهم المؤمنون **﴿لنتخذن عليهم﴾** حولهم **﴿مسجداً﴾** يصلى فيه، وفُعِلَ ذلك على باب الكهف.

٢٢ **﴿سيقولون﴾** أي: المتنازعون في عدد الفتية، في زمن النبي ﷺ أي: يقول بعضهم لبعض: هم **﴿ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون﴾** أي: بعضهم **﴿خمسة سادسهم كلبهم﴾** والقولان لنصارى «نَجْران» **﴿رجماً بالغيب﴾** أي: ظناً في الغيبة عنهم، وهو راجع إلى القولين معاً، ونصبه على المفعول له، أي: لظنهم ذلك **﴿ويقولون﴾** أي: المؤمنون **﴿سبعة وثامنهم كلبهم﴾** الجملة من المبتدأ وخبره، صفة «سبعة» بزيادة الواو، وقيل تأكيد ودلالة، على لصوق الصفة بالموصوف، وَوَصْفُ [القولين] الأولين بالرجم، دون الثالث، دليل على أنه مَرْضِيٌّ وصحيح **﴿قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل﴾** قال ابن عباس: «أنا من القليل»، وذَكَرَهُم سبعةً **﴿فلا تمار﴾** تجادل **﴿فيهم إلا مراءً ظاهراً﴾** مما أنزل عليك **﴿ولا تستفت فيهم﴾** تطلب الفتيا **﴿منهم﴾** من أهل الكتاب اليهود **﴿أحداً﴾**.

٢٣ وسأله أهل مكة، عن خبر أهل الكهف فقال: «أخبركم به غداً»، ولم يقل: إن شاء الله، [أخرجه ابن إسحاق] فنزل: **﴿ولا تقولن لشيء﴾** أي: لأجل شيء **﴿إني فاعل ذلك غداً﴾** أي: فيما يستقبل من الزمان. ٢٤ **﴿إلا أن يشاء الله﴾** أي: إلا متلبساً بمشيئة الله تعالى، بأن تقول: «إن شاء الله».

وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُۥ غَيْبُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَاتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا

﴿واذكر ربك﴾ أي: مشيئته معلقاً بها ﴿إذا نسيت﴾ التعليق بها، ويكون ذكرها بعد النسيان، كذكرها مع القول، قال الحسن وغيره: ما دام في المجلس، [فإذا قام الناسي من مجلسه، لم يكن ذِكْرُها بعد ذلك كذكرها مع القول] ﴿وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا﴾ من خبر أهل الكهف، في الدلالة على نبوتي ﴿رشداً﴾ هداية، وقد فعل الله ذلك.

٢٥﴿ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة﴾ بالتنوين ﴿سنين﴾ عطف بيان لـ «ثلاثمائة»، وهذه السنون الثلاثمائة عند أهل الكتاب، شمسيةٌ، وتزيد القمرية عليها، عند العرب، تسعَ سنين، وقد ذكرت في قوله: ﴿وازدادوا تسعاً﴾ أي: تسع سنين، فـ «الثلاثمائة» الشمسيةُ، [هي:] ثلاثمائة وتسع قمرية. ٢٦﴿قل الله أعلم بما لبثوا﴾ ممن اختلفوا فيه، وهو ما تقدم ذكره ﴿له غيب السماوات والأرض﴾ أي: علمه ﴿أبصر به﴾ أي: الله، هي صيغة تعجب ﴿وأسمع﴾ به كذلك، بمعنى: ما أبصره وما أسمعه، وهما على جهة المجاز، والمراد أنه تعالى، لا يغيب عن بصره وسمعه شيء ﴿ما لهم﴾ لأهل السماوات والأرض ﴿من دونه من ولي﴾ ناصر ﴿ولا يشرك في حكمه أحداً﴾ لأنه غني عن الشريك. ٢٧﴿واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحداً﴾ ملجأ. ٢٨﴿واصبر نفسك﴾ احبسها ﴿مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون﴾ بعبادتهم ﴿وجهه﴾ تعالى لا شيئاً من أعراض الدنيا، وهم الفقراء ﴿ولا تعد﴾ تنصرف ﴿عيناك عنهم﴾ عبر بهما، [أي: بالعينين]، عن صاحبهما، [أي: لا تَنْصَرِفْ عنهم] ﴿تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾ أي: القرآن، هو عيينة بن حصن وأصحابه[1] ﴿واتبع هواه﴾ في الشرك ﴿وكان أمره فرطاً﴾ إسرافاً [ومجاوزةً للحد، وقيل: من «التفريط»، الذي هو التقصير بترك الإيمان].

٢٩﴿وقل﴾ له ولأصحابه: هذا القرآن [هو] ﴿الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ تهديد لهم ﴿إنا أعتدنا للظالمين﴾ أي: الكافرين ﴿ناراً أحاط بهم سرادقها﴾ ما أحاط بها [أي: سورها].

---

(١) قوله: «هو عيينة بن حصن وأصحابه»، أخرج الواحدي في أسباب النزول، والبيهقي في «الشعب» وغيرهما، عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: جاءت المؤلفة قلوبهم: عيينة بن حصن الفِزَاري، والأقرع بن حابس وذووهما فقالوا: يا رسول الله إنك لو جلست في صدر المجلس، ونَحّيْتَ عنا هؤلاء وأرواح جبابهم ـ يعنون: سلمان وأبا ذر وفقراء المسلمين ـ فأنزل الله هذه الآية، قال «في الاستيعاب»: عيينة بن حصن، هو من المؤلفة قلوبهم، وكان من الأعراب الجفاة، اهـ. وهو الذي دخل على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأغضبه حتى هَمَّ أن يبطش به لولا أن ذكّرَهُ الحُرُّ بن قيس بقوله تعالى: ﴿وأعرض عن الجاهلين﴾.

﴿وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل﴾ كعكر الزيت ﴿يشوي الوجوه﴾ من حَرِّه إذا قُرِّبَ إليها ﴿بئس الشراب﴾ هو ﴿وساءت﴾ أي: النار ﴿مرتفقاً﴾ تمييز منقول عن الفاعل، أي: قَبُحَ مرتفقها، وهو مقابل لقوله الآتي في الجنة: «وحسنت مرتفقاً»، وإلاَّ، فأيُّ ارتفاق في النار؟.

٣٠﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾ الجملة خبر: «إن الذين»، وفيها إقامة الظاهر مقام المضمر، والمعنى: أجرهم. أي: نثيبهم بما تضمنه.

سُورَةُ الكَهْفِ ١٨

وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ

٣١﴿أولئك لهم جنات عدن﴾ إقامة ﴿تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور﴾ قيل: «من» زائدة، وقيل: للتبعيض، وهي جمع «أسورة» كـ«أحمرة»، جمع «سوار» ﴿من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس﴾ [هو] ما رَقَّ من الديباج، [أي: الحرير] ﴿وإستبرق﴾ ما غلظ منه، وفي آية [سورة] «الرحمن»: «بطائنها [أي: الفُرُش] من إستبرق» ﴿متكئين فيها على الأرائك﴾ جمع «أريكة»، وهي: السرير في الحجلة، وهي: بيت يزين بالثياب والستور للعروس ﴿نعم الثواب﴾ الجزاء الجنة ﴿وحسنت مرتفقاً﴾.

٣٢﴿واضرب﴾ اجعل ﴿لهم﴾ للكفار مع المؤمنين ﴿مثلاً رجلين﴾ بدل، وهو وما بعده تفسير للمَثَل ﴿جعلنا لأحدهما﴾ الكافر [منهما]﴿جنتين﴾ بساتين ﴿من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً﴾ يقتات به.

٣٣﴿كلتا الجنتين﴾ كلتا مفرد [لفظاً]، يدل على التثنية [معنى]، مبتدأ ﴿آتت﴾ خبره ﴿أكلها﴾ ثمرها ﴿ولم تظلم﴾ تنقص ﴿منه شيئاً وفجرنا﴾ أي: شققنا ﴿خلالهما نهراً﴾ يجري بينهما.

٣٤﴿وكان له﴾ مع الجنتين ﴿ثمر﴾ بفتح الثاء والميم، وبضمهما، وبضم الأول وسكون الثاني، وهو جمع «ثمرة»، كـ«شجرة» و«شجَر»، و«خشبة» و«خشُب»، و«بدنة» و«بدْن» ﴿فقال لصاحبه﴾ المؤمن ﴿وهو يحاوره﴾ يفاخره ﴿أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً﴾ عشيرة. ٣٥﴿ودخل جنته﴾ بصاحبه، يطوف به فيها، ويريه أثمارها، ولم يقل: «جنتيه»، إرادة للروضة، وقيل: اكتفاء بالواحد ﴿وهو ظالم لنفسه﴾ بالكفر ﴿قال

ما أظن أن تبيد﴾ تنعدم ﴿هذه أبداً﴾.
٣٦﴿وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي﴾ في الآخرة على زعمك ﴿لأجدن خيراً منها منقلباً﴾ مرجعاً.
٣٧﴿قال له صاحبه وهو يحاوره﴾ يجاوبه ﴿أكفرت بالذي خلقك من تراب﴾ لأن آدم خلق منه ﴿ثم من نطفة﴾ مَنِيٍّ ﴿ثم سواك﴾ عدلك وصيرك ﴿رجلاً﴾.
٣٨﴿لكنا﴾ أصله: «لكنْ أنا»، نُقِلَتْ حركة الهمزة إلى النون، أو: حذفت الهمزة، ثم أدغمت النون في مثلها ﴿هو﴾ ضمير الشأن [مبتدأ]، تفسّره الجملة بعده، والمعنى: أنا أقول: [هو] ﴿الله ربي ولا أشرك بربي أحداً﴾.

مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ

٣٩﴿ولولا﴾ هلَّا ﴿إذ دخلت جنتك قلت﴾ عند إعجابك بها: هذا ﴿ما شاء الله لا قوة إلا بالله﴾ وفي الحديث[1]: «من أعطي خيراً، من أهل أو مال، فيقول عند ذلك: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، لم ير فيه مكروهاً» ﴿إن ترن أنا﴾ ضمير فصل بين المفعولين، [لا محل له من الإعراب] ﴿أقل منك مالاً وولداً﴾.
٤٠﴿فعسى ربي أن يؤتين خيراً من جنتك﴾ جواب الشرط ﴿ويرسل عليها حسباناً﴾ جمع «حسبانة»، أي: صواعق ﴿من السماء فتصبح صعيداً زلقاً﴾ أرضاً ملساء، لا يثبت عليها قدم.
٤١﴿أو يصبح ماؤها غوراً﴾ بمعنى: غائراً، عطف على «يرسل»، دون «تصبح»، لأن غور الماء لا يتسبب عن الصواعق[2] ﴿فلن تستطيع له طلباً﴾ حيلة تدركه بها.
٤٢﴿وأحيط بثمره﴾ ـ بأوجه الضبط السابقة[3] ـ مع جنته بالهلاك، فهلكت ﴿فأصبح يقلب كفيه﴾ ندماً وتحسراً ﴿على ما أنفق فيها﴾ في عمارة جنته ﴿وهي خاوية﴾ ساقطة ﴿على عروشها﴾ دعائمها، بأن سقطت [الدعائم]، ثم سقط الكَرْمُ ﴿ويقول يا﴾ للتنبيه ﴿ليتني لم أشرك بربي أحداً﴾.
٤٣﴿ولم تكن﴾ بالتاء والياء ﴿له فئة﴾ جماعة ﴿ينصرونه من دون الله﴾ عند هلاكها.

---

(١) قوله: «وفي الحديث... إلخ»، أخرجه البيهقي في «الشُّعَب» وغيرُه، عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً إلى النبي ﷺ بلفظ: «ما أنعم الله على عبد نعمة، من أهلٍ أو مالٍ أو ولد، فيقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، إلا دفع الله عنه كل آفة، حتى تأتيه منيته». فالذي ذكره المحلي هنا هو معنى الحديث لا نصه.

(٢) قوله: «عن الصواعق»، ارجع إلى تعليقنا حول معنى «الصاعقة» ص ٣٢٢.

(٣) قوله: «بأوجه الضبط السابقة» أي: إن في قوله تعالى ﴿بثمره﴾ قراءات ثلاث كالتي تقدمت في ﴿وكان له ثمر﴾ الآية «٣٤» الصفحة السابقة.

﴿وما كان منتصراً﴾ عند هلاكها بنفسه. ٤٤ ﴿هنالك﴾ أي: يوم القيامة ﴿الولاية﴾ بفتح الواو: «النُّصرة»، وبكسرها: «المُلك» ﴿لله الحق﴾ بالرفع صفة «الولاية»، وبالجر صفة الجلالة ﴿هو خير ثواباً﴾ من ثواب غيره، لو كان يثبت ﴿وخير عقباً﴾ بضم القاف وسكونها: عاقبةً للمؤمنين، ونصبهما على التمييز. ٤٥ ﴿واضرب﴾ صَيِّر ﴿لهم﴾ لقومك ﴿مثل الحياة الدنيا﴾ مفعول أول ﴿كماء﴾ مفعول ثان ﴿أنزلناه من السماء فاختلط به﴾ تكاثف بسبب نزول الماء ﴿نبات الأرض﴾ وامتزج الماء بالنبات، فَروِيَ وحَسُنَ ﴿فأصبح﴾ صار النبات ﴿هشيماً﴾ يابساً متفرقة أجزاؤه ﴿تذروه﴾ تنثره وتفرقه ﴿الرياح﴾ فتذهب به، المعنى: شَبَّه الدنيا بنبات حسن، فيبس، فتكسر، ففرقته الرياح، وفي قراءة: «الريح» ﴿وكان الله على كل شيء مقتدراً﴾ قادراً. ٤٦ ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾ يتجمل بهما فيها ﴿والباقيات الصالحات﴾[1] هي: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»، زاد بعضهم: «ولا حول ولا قوة إلا بالله» ﴿خير عند ربك ثواباً وخير أملاً﴾ أي: ما يأمُلُه الإنسان، ويرجوه عند الله تعالى. ٤٧ ﴿و﴾ اذكر ﴿يوم تُسَيَّر الجبال﴾ [بالتاء مبنياً للمفعول، ورفع «الجبال»، أي:] يذهب بها عن وجه الأرض، فتصير هباء منبثاً، وفي قراءة بالنون وكسر الياء، ونصب «الجبال» ﴿وترى الأرض بارزة﴾ ظاهرة ليس عليها شيء، من جبل ولا غيره ﴿وحشرناهم﴾ المؤمنين والكافرين ﴿فلم نغادر﴾ نترك ﴿منهم أحداً﴾.

٤٨ ﴿وعرضوا على ربك صفاً﴾ حال، أي: مصطفين، كل أمة صف، ويقال لهم: ﴿لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة﴾ أي: فرادى حفاةً عراةً غُرْلاً، [جمع «أغرَل»، أي: كحالهم قبل الختان، روى الشيخان عن أم المؤمنين عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُحشر الناس يوم القيامة حفاةً عراةً غُرْلاً»، قلت: يا رسول الله الرجال والنساءُ جميعاً، ينظر بعضهم إلى بعض؟ قالت: قال: «يا عائشة، الأمرُ ـ أي: هولُ الموقف ـ أشدُّ من أن ينظر بعضهم إلى بعض»]، ويقال لمنكري البعث: ﴿بل زعمتم أ﴾ ن مخففة من الثقيلة؛ أي: أنه ﴿لن نجعل لكم موعداً﴾ للبعث.

٤٩ ﴿ووضع الكتاب﴾ كتاب كل امرىء، في يمينه من المؤمنين، وفي شماله من الكافرين ﴿فترى المجرمين﴾ الكافرين ﴿مشفقين﴾ خائفين ﴿مما فيه ويقولون﴾ عند معاينتهم ما فيه من السيئات ﴿يا﴾ للتنبيه ﴿ويلتنا﴾ هلكتنا، وهو مصدر لا فعل له من لفظه ﴿ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة﴾ من ذنوبنا ﴿إلا أحصاها﴾ عدَّها وأثبتها، تعجبوا منه في ذلك ﴿ووجدوا ما عملوا

وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟

(١) قوله تعالى: ﴿والباقيات الصالحات﴾. أخرج أحمد وابن حبان، والحاكم وصححه، وغيرهم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «استكثروا من الباقيات الصالحات» قيل: وما هنَّ يا رسول الله؟ قال: «التكبير، والتهليل، والتسبيح، والتحميد، ولا حول ولا قوة إلا بالله»، وهذا الحديث يجمع كل ما ذكره المحلي في تفسير الآية.

﴿حاضراً﴾ مثبتاً في كتابهم ﴿ولا يظلم ربك أحداً﴾ لا يعاقبه بغير جرم، ولا ينقص من ثواب مؤمن. ٥٠ ﴿وإذ﴾ منصوب بـ «اذكر» ﴿قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ سجود انحناء ــ لا وضع جبهة ــ تحيةً له ﴿فسجدوا إلا إبليس كان من الجن﴾[1] قيل: [ــ وهذا قول مردود ــ]: هم نوع من الملائكة، فالاستثناء متصل، وقيل: منقطع، و «إبليس» هو: أبو الجن، [أي: أبو الشياطين منهم]، فله ذرية ذُكرت معه بَعْدُ، والملائكة لا ذرِّيَة لهم، [اقرأ التعليق] ﴿ففسق عن أمر ربه﴾ أي: خرج عن طاعته بترك السجود ﴿أفتتخذونه وذريته﴾ الخطاب لآدم وذريته، والهاء في الموضعين لإبليس ﴿أولياء من دوني﴾ تطيعونهم ﴿وهم لكم عدو﴾ أي: أعداء ﴿بئس للظالمين بدلاً﴾ إبليس وذريته، في إطاعتهم، بدلَ إطاعة الله. ٥١ ﴿ما أشهدتهم﴾ أي: إبليس وذريته ﴿خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم﴾ أي: لم أُحْضِر بعضَهم خلقَ بعض ﴿وما كنت متخذ المضلين﴾ الشياطين ﴿عضداً﴾ أعواناً في الخلق، فكيف تطيعونهم؟.

٥٢ ﴿ويوم﴾ منصوب بـ «اذكر» [مقدراً] ﴿يقول﴾ بالياء والنون ﴿نادوا شركائي﴾ الأوثان ﴿الذين زعمتم﴾ ليشفعوا لكم بزعمكم ﴿فدعوهم فلم يستجيبوا لهم﴾ لم يجيبوهم ﴿وجعلنا بينهم﴾ بين الأوثان وعابديها ﴿موبقاً﴾ وادياً من أودية جهنم، يهلكون فيه جميعاً، وهو من «وَبَقَ» بالفتح: «هلك».

٥٣ ﴿ورأى المجرمون النار فظنوا﴾ أي: أيقنوا ﴿أنهم مواقعوها﴾ أي: واقعون فيها ﴿ولم يجدوا عنها مصرفاً﴾ معدلاً. ٥٤ ﴿ولقد صرفنا﴾ بينا ﴿في هذا القرآن للناس من كل مثل﴾ صفة لمحذوف، أي: مَثَلاً من جنس كل مثل، ليتعظوا ﴿وكان الإنسان﴾ أي: الكافر ﴿أكثر شيء جدلاً﴾ خصومة في الباطل، وهو تمييز منقول من اسم «كان»، المعنى: وكان جدلُ الإنسان أكثر شيء فيه.

٥٥ ﴿وما منع الناس﴾ أي: كفار مكة ﴿أن يؤمنوا﴾ مفعول ثان ﴿إذ جاءهم الهدى﴾ القرآن ﴿ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم

حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ

(١) قوله تعالى: ﴿إلا إبليس كان من الجن﴾ . . . «إبليس» هو الاسم العلم لجني كان صالحاً فعاش مع الملائكة في السماء، ولما خلق الله تعالى آدم، أُمر الملائكة بالسجود له، فسجدوا جميعاً إلاَّ إبليس، وعلّلَ رفضه بقوله: ﴿أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ فطرده من رحمته ولعنه وأخرجه من الجنة فسمي «الشيطان»، وأصبح عدواً لبني آدم إلى يوم القيامة، فالذي لا مجال للخلاف فيه ــ وإن ظن بعضهم أن فيه خلافاً ــ أن إبليس جنيٌّ من الجن لقوله تعالى: ﴿كان من الجن﴾، وليس أباهم، بل هو أبو الشياطين لقوله تعالى: ﴿أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني﴾، وأنه ليس من الملائكة، ولا هو نوع من الملائكة كما زعم البعض، لأنه خلق من نار، والملائكة خُلقت من نور كما =

سنة الأولين﴾ فاعل، أي: سنتنا فيهم، وهي: الإهلاك المقدَّر عليهم ﴿أو يأتيهم العذاب قِبَلاً﴾ [بكسر القاف وفتح الباء، أي:] مقابلة وعياناً، وهو القتل يوم بدر، وفي قراءة بضمتين، جمع: «قبيل»، أي: أنواعاً. ٥٦ ﴿وما نرسل المرسلين إلاَّ مبشرين﴾ للمؤمنين ﴿ومنذرين﴾ مخوفين للكافرين ﴿ويجادل الذين كفروا بالباطل﴾ بقولهم: «أَبَعَثَ الله بشراً رسولاً» ونحوه ﴿ليدحضوا به﴾ ليبطلوا بجدالهم ﴿الحق﴾ القرآن ﴿واتخذوا آياتي﴾ أي: القرآن ﴿وما أنذروا﴾ به من النار ﴿هزواً﴾ سخرية.

٥٧ ﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه﴾ ما عمل من الكفر والمعاصي ﴿إنا جعلنا على قلوبهم أكنة﴾ أغطية ﴿أن يفقهوه﴾ أي: من أن يفهموا القرآن، أي: فلا يفهمونه ﴿وفي آذانهم وقراً﴾ ثقلاً، فلا يسمعونه ﴿وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذاً﴾ أي: بالجَعْل المذكور ﴿أبداً﴾.

٥٨ ﴿وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم﴾ في الدنيا ﴿بما كسبوا لعجل لهم العذاب﴾ فيها ﴿بل لهم موعد﴾ وهو: يوم القيامة ﴿لن يجدوا من دونه موئلاً﴾ ملجأ. ٥٩ ﴿وتلك القرى﴾ أي: أهلها كعاد وثمود وغيرهما ﴿أهلكناهم لما ظلموا﴾ كفروا ﴿وجعلنا لمُهْلَكهم﴾ [بضم الميم، وفتح اللام، أي:] لإهلاكهم، وفي قراءة: بفتح الميم [واللام، وروى حفص بكسر اللام] أي: لهلاكهم ﴿موعداً﴾. ٦٠ ﴿و﴾ اذكر ﴿إذ قال موسى﴾ هو ابن عمران ﴿لفتاه﴾ يوشع بن نون، كان يتبعه، ويخدمه، ويأخذ عنه العلم ﴿لا أبرح﴾ لا أزال أسير ﴿حتى أبلغ مجمع البحرين﴾[1] ملتقى بحر الروم وبحر فارس، مما يلي المشرق، أي: المكان الجامع لذلك ﴿أو أمضي حقباً﴾ دهراً طويلاً في بلوغه، إنْ بَعُدَ.

٦١ ﴿فلما بلغا مجمع بينهما﴾ بين البحرين ﴿نسيا حوتهما﴾ نسي يوشع حَمْلَه عند الرحيل، ونسي موسى تذكيره.

سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا

= في حديث مسلم عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «خُلقَت الملائكةُ من نور، وخُلقَ إبليس من مارج من نار، وخُلق آدمُ مما وُصِف لكم»، وأن الملائكة كلهم معصومون ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ وليس الجن والإنس كذلك، وأن إبليس كان مأموراً بالسجود كما أمرت الملائكة، وقد أدرك هو نفسه ذلك. فعندما قال الله تعالى له: ﴿ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك﴾ لم يقل إبليس: إن الأمر لا يعنيني، أو: لم تأمرني يا رب؛ بل قال: ﴿أنا خير منه﴾، فما روي وما قيل خلاف ما ذكرناه، مردود، لمخالفته صريح القرآن الكريم.

(١) قوله تعالى: ﴿مجمع البحرين﴾، إن ما ذكره المؤلف في بيان «مجمع البحرين» غير واضح، ولكن: ما سيأتي ص ٣٩١ في قوله تعالى: ﴿حتى إذا أتيا أهل قرية﴾ من أقوال، يساعدنا في توضيح المراد، فقيل: «القرية» هي «أنطاكية»، وعليه يكون «مجمع البحرين» هو: المضيق الجامع بين البحرين «الأبيض المتوسط» و «الأسود»، وقيل: إن «القرية» هي: «بَرْقة» في المغرب، وعليه يكون «مجمع البحرين» هو: المضيق المعروف بمضيق جبل طارق، الجامع بين البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي، وهذان الاحتمالان، من أقرب ما يمكن حمل المعنى على أحدهما، والله أعلم.

﴿فاتخذ﴾ الحوت ﴿سبيله في البحر﴾ أي: جعله بجعل الله ﴿سرباً﴾ أي: مثل السَّرَب، وهو: الشقّ الطويل لا نفاذ له. وذلك أن الله تعالى، أمسك عن الحوت جري الماء، فانجاب عنه، فبقي كالكوَّة لم يلتئم، وجَمَدَ ما تحته منه. ٦٢﴿فلما جاوزا﴾ ذلك المكان، بالسير إلى وقت الغداء، من ثاني يوم ﴿قال﴾ موسى ﴿لفتاه آتنا غداءنا﴾ هو: ما يؤكل أول النهار ﴿لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً﴾ تعباً، وحصولُهُ بعد المجاوزة. ٦٣﴿قال أرأيت﴾ أي: تنبَّهْ ﴿إذ أوينا إلى الصخرة﴾ بذلك المكان ﴿فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلاَّ الشيطان﴾ يبدل من الهاء: ﴿أن أذكره﴾ بدل اشتمال، أي: أنساني ذكره ﴿واتخذ﴾ الحوت ﴿سبيله في البحر عجباً﴾ مفعول ثان، أي: يتعجب منه موسى وفتاه، لما تقدم في بيانه. ٦٤﴿قال﴾ موسى ﴿ذلك﴾ أي: فَقْدُنا الحوت ﴿ما﴾ أي: الذي ﴿كنا نبغ﴾ نطلبه، فإنه علامة لنا على وجود من نطلبه ﴿فارتدا﴾ رجعا ﴿على آثارهما﴾ يَقُصَّانها ﴿قصصاً﴾ فأتيا الصخرة. ٦٥﴿فوجدا عبداً من عبادنا﴾ هو الخَضِرُ ﴿آتيناه رحمة من عندنا﴾ نبوةً في قول، [وصححه جماعة، وهو الأقوى]، وولايةً في آخر، وعليه أكثر العلماء ﴿وعلمناه من لدنا﴾ قِبَلنا ﴿علماً﴾ مفعول ثان، أي: معلوماً من المغيَّبات، روى البخاري [ومسلم] حديث: «إن موسى، قام خطيباً في بني إسرائيل فسئل: أيُّ الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه، إذ لم يَرُدَّ العلم إليه، فأوحى الله إليه: إن لي عبداً بمجمع البحرين، هو أعلم منك، قال موسى: يا رب، فكيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتاً، فتجعله في مِكْتَلٍ، [أي: قُفَّة]، فحيثما فقدتَ الحوت، فهو ثَمَّ، فأخذ حوتاً فجعله في مكتل، ثم انطلق، وانطلق معه فتاه يوشع بن نون، حتى أتيا الصخرة، ووضعا رأسيهما فناما، واضطرب الحوت في المكتل، فخرج منه فسقط في البحر، فاتخذ سبيله في البحر سَرَباً، وأمسك الله عن الحوت جريه بالماء، فصار عليه مثل الطاق، فلما استيقظ نسي صاحبُه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما، حتى إذا كانا من الغداة، قال موسى لفتاه: «آتنا غداءنا»، إلى قوله: «واتخذ سبيله في البحر عجباً»، قال: وكان [أي: ممر الحوت] للحوت سرباً، ولموسى ولفتاه عجباً» إلخ. ٦٦﴿قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً﴾ [بفتح الراء والشين]، أي: صواباً أرشد به، وفي قراءة بضم الراء وسكون الشين، وسأله ذلك، لأن الزيادة في العلم مطلوبة. ٦٧﴿قال إنك لن تستطيع معي صبراً﴾. ٦٨﴿وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً﴾ في الحديث السابق، عقب هذه الآية [قال الخضر:] «يا موسى، إني على علم من الله علَّمنيه، لا تعلمه، وأنت على علم من الله علَّمَكَهُ الله، لا أعلمه»، وقوله: «خبراً»، مصدر لمعنى: «لم تحط»، أي: لم تُخْبَرْ حقيقته. ٦٩﴿قال ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي﴾ أي: وغير عاص ﴿لك أمراً﴾ تأمرني به، وقيد بالمشيئة، لأنه لم يكن على ثقة من نفسه، فيما التزم به، وهذه عادة الأنبياء والأولياء، أن لا يثقوا بأنفسهم طَرْفَةَ عين.

فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيۡتَ إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبٗا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٦٧﴾ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا ﴿٧٠﴾

فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ * قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾

٧٠﴿قال فإن اتبعتني فلا تسألني﴾ وفي قراءة، بفتح اللام وتشديد النون ﴿عن شيء﴾ تنكره مني في علمك، واصبر ﴿حتى أحدث لك منه ذكراً﴾ أي: أذكره لك بعلّته، فقبل موسى شرطه، رعايةً لأدب المتعلم مع العالم. ٧١﴿فانطلقا﴾ يمشيان على ساحل البحر ﴿حتى إذا ركبا في السفينة﴾ التي مرت بهما ﴿خرقها﴾ الخضر، بأن اقتلع لوحاً أو لوحين منها، من جهة البحر بفأس، لما بلغت اللُّجَّ ﴿قال﴾ له موسى ﴿أخرقتها لتغرق﴾ [بضم التاء وكسر الراء، ونصب] ﴿أهلها﴾ وفي قراءة: بفتح التحتانية والراء، ورفع: «أهلها» ﴿لقد جئت شيئاً إمراً﴾ أي: عظيماً منكراً، روي: أن الماء لم يدخلها. ٧٢﴿قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً﴾. ٧٣﴿قال لا تؤاخذني بما نسيت﴾ أي: غفلت عن التسليم لك، وتركِ الإنكار عليك ﴿ولا ترهقني﴾ تكلِّفني ﴿من أمري﴾ مشقةً، في صحبتي إياك، أي: عاملني فيها بالعفو واليسر. ٧٤﴿فانطلقا﴾ بعد خروجهما من السفينة يمشيان ﴿حتى إذا لقيا غلاماً﴾ لم يبلغ الحِنْثَ، [أي: حَدَّ التكليف]، يلعب مع الصبيان، أحسنهم وجهاً ﴿فقتله﴾ الخضر، بأن ذبحه بالسكين مُضْجَعاً، أو: اقتلع رأسه بيده، أو: ضرب رأسه بالجدار، أقوال، وأتى هنا بالفاء العاطفة، لأن القتل [كان] عقب اللقاء، وجواب «إذا»: ﴿قال﴾ له موسى ﴿أقتلت نفساً زاكيةً﴾ أي: طاهرة لم تبلغ حد التكليف، وفي قراءة: «زكية» بتشديد الياء، بلا ألف ﴿بغير نفس﴾ أي: لم تقتلْ نفساً؟ ﴿لقد جئت شيئاً نكراً﴾ بسكون الكاف وضمها، أي: منكراً.

٧٥﴿قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً﴾ زاد: «لك» على ما قبله، لعدم العذر هنا. ٧٦ ولهذا ﴿قال إن سألتك عن شيء بعدها﴾ أي: بعد هذه المرة ﴿فلا تصاحبني﴾ لا تتركني أتّبعك ﴿قد بلغت من لدني﴾ بالتشديد والتخفيف، من قِبَلي ﴿عذراً﴾ في مفارقتك لي. ٧٧﴿فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية﴾ [«انطاكية»، كما في صحيح مسلم عن أبي بن كعب، عن النبي ﷺ، أما القرية، فقيل:] هي أنطاكية، [وقال السُّهيلي: هي «برقة» في المغرب] ﴿استطعما أهلها﴾ طلبا منهم الطعام بضيافة ﴿فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً﴾ ارتفاعه مائة ذراع ﴿يريد أن ينقض﴾ أي: يقرب أن يسقط لميلانه ﴿فأقامه﴾ الخضر بيده ﴿قال﴾ له موسى ﴿لو شئت لَتَخِذْتَ﴾ [بتخفيف التاء وكسر الخاء، من غير ألِفِ وَصْلٍ]، وفي قراءة: «لاتّخَذْتَ» [بتشديد التاء وفتح الخاء، وألف الوصل] ﴿عليه أجراً﴾ «جُعْلاً»، حيث لم يضيفونا، مع حاجتنا إلى الطعام.

٧٨﴿قال﴾ له الخضر ﴿هذا فراق﴾ أي: وقت فراق ﴿بيني وبينك﴾ فيه إضافة «بين» إلى غير متعدد، سَوَّغَها [أي: سَوَّغ هذه الإضافة:] تكريرُه بالعطف بالواو ﴿سأنبئك﴾ قبل فراقي لك ﴿بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً﴾:

أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ

٧٩﴿أما السفينة فكانت لمساكين﴾ عشرة ﴿يعملون في البحر﴾ بها، مؤاجرةً لها، طلباً للكسب ﴿فأردت أن أعيبها وكان وراءهم﴾ إذا رجعوا، أو: أمامهم الآن ﴿ملك﴾ كافر ﴿يأخذ كل سفينة﴾ صالحة ﴿غصباً﴾ نصبه على المصدر، المبيِّن لنوع الأخذ. ٨٠﴿وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً﴾ فإنه كما في حديث مسلم، [وأبي داود والترمذي]: طُبع كافراً، ولو عاش لأرهقهما ذلك، أي: بمحبتهما له يتبعانه في ذلك، [ونَصُّه لمسلم: «إن الغلام الذي قتله الخضر، طُبع كافراً، ولو عاش، لأرهق أبويه طغياناً وكفراً»]. ٨١﴿فأردنا أن يبدلهما﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿ربهما خيراً منه زكاة﴾ أي: صلاحاً وتُقىً ﴿وأقرب﴾ منه ﴿رحماً﴾ بسكون الحاء، وضمها: رحمةً، وهي: البر بوالديه، [قيل:] فأبدلهما تعالى جارية تزوجت نبياً، فولدت نبياً، فهدى الله تعالى به أمة، [قال القرطبي: قال علماؤنا: وهذا بعيد]. ٨٢﴿وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز﴾ مال مدفون، من ذهب وفضة ﴿لهما وكان أبوهما صالحاً﴾ فحُفظا بصلاحه، في أنفسهما ومالهما ﴿فأراد ربك أن يبلغا أشدهما﴾ أي: إيناس رُشدهما ﴿ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك﴾ مفعول له، عامله: «أراد» ﴿وما فعلته﴾ أي: ما ذُكر من: خرقِ السفينة، وقتلِ الغلام، وإقامةِ الجدار ﴿عن أمري﴾ أي: اختياري، بل أمر إلهام من الله، [لأنه وليٌّ، والصحيح: أنه أمر وحي، لأنه نبيٌّ] ﴿ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً﴾ ويقال: «اسطاع» و «استطاع»، بمعنى: أطاق، ففي هذا وما قبله، جَمْعٌ بين اللغتين، ونُوِّعت العبارة في «فأردتُ»، «فأردنا»، «فأراد ربك»، [على سبيل التحسين والأدب، بنسبة ما ظاهره إفساد بحت إلى نفسه، وما هو نفع محض إلى الله تعالى. روى البخاري والترمذي، عن النبي ﷺ: قال: «إنما سُمي الخضر، لأنه جلس على فَرْوَة بيضاء، فإذا هي تهتزُّ تحته خضراء» و «الفَرْوة»: قطعة نبات مجتمعة يابسة].

٨٣﴿ويسألونك﴾ أي: اليهود ﴿عن ذي القرنين﴾[1] اسمه: «الإسكندر»، ولم يكن نبياً ﴿قل سأتلو﴾ سأقص ﴿عليكم منه﴾ من حاله ﴿ذكراً﴾ خبراً.

٨٤﴿إنا مكنا له في الأرض﴾ بتسهيل السير فيها ﴿وآتيناه من كل شيء﴾ يحتاج إليه ﴿سبباً﴾ طريقاً يوصله إلى مراده، [من فتح البلاد، وإذلال أهل الشرك].

٨٥﴿فاتبع سبباً﴾ سلك طريقاً نحو الغرب. ٨٦﴿حتى إذا بلغ مغرب الشمس﴾ موضع غروبها ﴿وجدها تغرب في عين حمئة﴾ ذات حَمْأة، وهي: الطين الأسود، وغروبها في العين، في رأي العين، وإلاَّ فهي أعظم من [أرض] الدنيا.

---

(١) قوله تعالى: ﴿عن ذي القرنين﴾. الصحيح أنه كان رجلاً مؤمناً وملكاً من الملوك العادلين، وليس نبياً، ذكر بعضهم أنه كان في زمن إبراهيم الخليل، وأسلم على يديه، وهو غير الإسكندر المقدوني، الذي بنى مدينة الإسكندرية، لأن هذا الأخير كان مشركاً كافراً، ومتأخراً عن ذي القرنين بزمن طويل، وبينهما أزيد من ألفي سنة، وقد وَهِمَ من اعتبرهما واحداً، كابن الأثير في «الكامل»، وابن هشام في «السيرة»، وفي اسمه خلاف وأقوال، من غير دليل، فيكفي أنه «ذو القرنين» كما وصفه الله تعالى.

﴿ووجد عندها﴾ أي: العين ﴿قوماً﴾ كافرين ﴿قلنا يا ذا القرنين﴾ بإلهام ﴿إما أن تعذب﴾ القومَ بالقتل ﴿وإما أن تتخذ فيهم حسناً﴾ بالأسر. ٨٧﴿قال أما من ظلم﴾ بالشرك ﴿فسوف نعذبه﴾ نقتله ﴿ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً﴾ بسكون الكاف وضمها: شديداً في النار. ٨٨﴿وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاءُ﴾ [بضم الهمزة من غير تنوين، مضافاً إلى] ﴿الحسنى﴾ أي: الجنة، والإضافة للبيان، [أي: فله الجنة، أو: فجزاء الخَصْلَةِ الحسنى له]، وفي قراءة: بنصب «جزاء» [على الحال]، وتنوينه، [أي: مجزياً بها]، قال الفراء: ونصبه على التفسير، أي لجهة النسبة، [أي: نسبة الخبر المقدم، إلى المبتدأ المؤخَّر، وتقديره: «فله الحسنى يُجزى بها جزاءً»، فهو مفعول مطلق] ﴿وسنقول له من أمرنا يسراً﴾ أي: نأمره بما يسهل عليه. ٨٩﴿ثم أتبع سبباً﴾ نحو المشرق. ٩٠﴿حتى إذا بلغ مطلع الشمس﴾ موضع طلوعها ﴿وجدها تطلع على قوم﴾ هم الزَّنج، [أو: غيرهم] ﴿لم نجعل لهم من دونها﴾ أي: الشمس ﴿ستراً﴾ [أي: ساتراً]، من لباس ولا سقف[1]، لأن أرضهم لا تحمل بناء، ولهم سروب يغيبون فيها عند طلوع الشمس، ويظهرون عند ارتفاعها. ٩١﴿كذلك﴾ أي: الأمر كما قلنا ﴿وقد أحطنا بما لديه﴾ أي: بما عند ذي القرنين، من الآلات والجند وغيرهما ﴿خبراً﴾ علماً. ٩٢﴿ثم أتبع سبباً﴾. ٩٣﴿حتى إذا بلغ بين السدين﴾ بفتح السين وضمها، هنا وبَعْدُ [في الآية التالية]. وهما: جبلان بمُنْقَطِع بلاد الترك، سَدّ الإسكندر ما بينهما، كما سيأتي ﴿وجد من دونهما﴾ أي: أمامها ﴿قوماً لا يكادون يفقهون قولاً﴾ أي: لا يفهمونه إلَّا بعد بطء، وفي قراءة: بضم الياء وكسر القاف، [أي: لا يُفهِمون غيرهم].

٩٤﴿قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج﴾[2] بالهمز وتركه: هما اسمان أعجميان لقبيلتين، فلم ينصرفا ﴿مفسدون في الأرض﴾ بالنهب والبغي، عند خروجهم إلينا ﴿فهل نجعل لك خرجاً﴾ جُعْلاً من المال، وفي قراءة: «خراجاً» ﴿على أن تجعل بيننا وبينهم سداً﴾ حاجزاً، فلا يصلون إلينا؟

٩٥﴿قال ما مكني﴾ وفي قراءة: بنونين سن غير إدغام ﴿فيه ربي﴾ من المال وغيره ﴿خير﴾ من خَرْجكُم الذي تجعلونه لي، فلا حاجة بي إليه، وأجعل لكم السد تبرعاً.

وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ

---

(١) قوله: «من لباس ولا سقف»... إلى هنا: حسن.. وأما قوله بعده: «لأن أرضهم.. إلخ» فلا وجه له، لأنه لا يوجد مكان في الأرض لا يحمل بناء والله تعالى جعل الأرض قراراً، وقوله: «لهم سروب»، يناقض نفي الستر في الآية، لأن السروب مما يستر، فهي منفية أيضاً على فرض وجودها، فيكون المعنى الصحيح: قوم لا يتخذون شيئاً يسترهم من الشمس. والله أعلم.

(٢) قوله تعالى: ﴿يأجوج ومأجوج﴾، سيأتي بيان مَنْ هم في تعليقنا ص ٤٣٠.

﴿فأعينوني بقوة﴾ لما أطلبه منكم ﴿أجعل بينكم وبينهم ردماً﴾ حاجزاً حصيناً. ٩٦ ﴿آتوني زبر الحديد﴾ قِطعَهُ، على قدر الحجارة التي يُبنى بها، فبنى بها، وجعل بينها الحطب والفحم ﴿حتى إذا ساوى بين الصدفين﴾ بضم الحرفين، [أي: الصاد والدال]، وفتحهما، وضم الأول وسكون الثاني، أي: حافَتَي الجبل بالبناء، ووَضعَ المنافخ والنار حول ذلك ﴿قال انفخوا﴾ فنفخوا ﴿حتى إذا جعله﴾ أي: الحديد ﴿ناراً﴾ أي: كالنار ﴿قال آتوني أفرغ عليه قطراً﴾ هو: النحاس المذاب، تنازع فيه الفعلان، وحُذف من الأول، لإعمال الثاني [على مذهب البصريين]، فأفرغ النحاس المذاب على الحديد المُحمّى، فدخل بين زُبَره، فصار شيئاً واحداً.

فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ * وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾

٩٧ ﴿فما اسطاعوا﴾ [سقطت التاء للخفة]، أي: يأجوج ومأجوج ﴿أن يظهروه﴾ يعلوا ظهره، لارتفاعه وملاسته ﴿وما استطاعوا له نقباً﴾ خرقاً لصلابته وسَمْكِهِ. ٩٨ ﴿قال﴾ ذو القرنين ﴿هذا﴾ أي: السد، أي: الإقدار عليه ﴿رحمة من ربي﴾ نعمة، لأنه مانع من خروجهم ﴿فإذا جاء وعد ربي﴾ بخروجهم، القريبُ من [يوم] البعث ﴿جعله دكاء﴾ مدكوكاً مبسوطاً ﴿وكان وعد ربي﴾ بخروجهم وغيره ﴿حقاً﴾ كائناً.

٩٩ قال تعالى: ﴿وتركنا بعضهم يومئذ﴾ يوم خروجهم [بعد انفتاح السد، وقيل: بعد بنائه، وهذا أظهر] ﴿يموج في بعض﴾ يختلط به لكثرتهم ﴿ونفخ في الصور﴾ أي: القرن للبعث ﴿فجمعناهم﴾ أي: الخلائق، في مكان واحد يوم القيامة ﴿جمعاً﴾. ١٠٠ ﴿وعرضنا﴾ قرّبنا ﴿جهنم يومئذ للكافرين عرضاً﴾ [أي: أبرزناها لهم]. ١٠١ ﴿الذين كانت أعينهم﴾[1] بدل من «الكافرين» ﴿في غطاء عن ذكري﴾ أي: القرآن، فهم عمي لا يهتدون به ﴿وكانوا لا يستطيعون سمعاً﴾ أي: لا يقدرون أن يسمعوا من النبي ما يتلو عليهم، بغضاً له، فلا يؤمنون به، [حسداً وتكبراً]. ١٠٢ ﴿أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي﴾ أي: ملائكتي، وعيسى، وعزيراً ﴿من دوني أولياء﴾ أرباباً، مفعول ثان لـ «يتخذوا»، والمفعول الثاني لـ «حسب» محذوف، المعنى: أظنُّوا أن الاتخاذ المذكور، لا يُغضبني، ولا أعاقبهم عليه؟ كلاّ ﴿إنا أعتدنا جهنم للكافرين﴾ هؤلاء وغيرهم ﴿نزلاً﴾ أي: هي مُعَدّة لهم، كالمنزل المعد للضيف. ١٠٣ ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً﴾ تمييز طابق المميز [في «الجمع»]، وبيّنهم بقوله:

---

(١) قوله تعالى: ﴿الذين كانت أعينهم...﴾ الآية «١٠١»، وأيضاً الآية «١٠٣»، تأمل في هاتين الآيتين، تجدْ في الأولى: أدق وصف لأهل الهوى والضلال والجبروت، فإن أحدهم لا يستطيع أن يسمع ـ حتى مجرد سماع ـ كلمة الحق، فهي على سمعه وقلبه أثقل من الجبال، أما الآية الثانية ففيها جواب ـ ولا أدق ـ على سؤال: من هم الأخسرون أعمالاً؟ بأنهم قوم مغرورون يعمل أحدهم ما فيه ضلال مبين ومع ذلك يرى أنه يعمل صالحاً، ويرفض النصيحة.

١٠٤ ﴿الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا﴾ بطل عملهم ﴿وهم يحسبون﴾ يظنون ﴿أنهم يحسنون صنعاً﴾ عملاً يجازون عليه. ١٠٥ ﴿أولئك الذين كفروا بآيات ربهم﴾ بدلائل توحيده، من القرآن وغيره ﴿ولقائه﴾ أي: وبالبعث والحساب، والثواب والعقاب ﴿فحبطت أعمالهم﴾ بطلت ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾ أي: لا نجعل لهم قدراً[1].

١٠٦ ﴿ذلك﴾ [خبر لمبتدأ محذوف]، أي: الأمرُ، [هو] ذلك الذي ذكرتُ، من حبوط أعمالهم، وغيره [من العذاب، الذي سينالهم بسبب كفرهم]، وابتدأ: ﴿جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزؤاً﴾ [بالهمز، مع ضم الزاي وسكونها، وفي قراءة: بإبدال الهمزة واواً، مع ضم الزاي]، أي: مهزوءاً بهما. ١٠٧ ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم﴾ في علم الله ﴿جنات الفردوس﴾ هو: وسط الجنة وأعلاها، والإضافة إليه للبيان ﴿نزلاً﴾ منزلاً. ١٠٨ ﴿خالدين فيها لا يبغون﴾ يطلبون ﴿عنها حولاً﴾ تحولاً إلى غيرها. ١٠٩ ﴿قل لو كان البحر﴾ أي: ماؤه ﴿مداداً﴾ هو: ما يُكتب به ﴿لكلمات ربي﴾ الدالة على حكمه وعجائبه، بأن تُكتب به ﴿لنفد البحر﴾ في كتابتها ﴿قبل أن تنفد﴾ بالتاء والياء، تَفْرُغَ [وتنتهي] ﴿كلمات ربي ولو جئنا بمثله﴾ أي: البحر ﴿مدداً﴾ زيادة فيه، لنفد ولم تفرغ هي، ونصبه على التمييز.

١١٠ ﴿قل إنما أنا بشر﴾ آدميٌّ ﴿مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد﴾ «أنّ» المكفوفة [عن العمل] بـ «ما»، باقية على مصدريتها، والمعنى: يوحى إليَّ وحدانيةُ الإله ﴿فمن كان يرجو﴾ يَأمُلُ ﴿لقاء ربه﴾ بالبعث والجزاء ﴿فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه﴾ أي: فيها، بأن يرائي[2] ﴿أحداً﴾.

ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾

(١) قوله: «أي: لا نجعل لهم قدراً»، روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال: اقرؤوا: ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾». اهـ. وقوله ﷺ: «السمين» ليس قيداً لازماً، بل هو جري على الغالب، في الجبابرة والظالمين بسبب ترفهم، فقد يكون الظالم نحيل الجسم، والناس يقولون: فلان له وزنه، أو: شخصية ذات وزن، فبيّن الله تعالى ورسوله أنه لا وزن لأحد، ولا قيمة ولا كرامة، إلا بالإيمان والعمل الصالح.

(٢) قوله: «بأن يرائي أحداً»، أخرج الإمام مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركتُه وشِرْكَهُ».

والشرك شركان: «شرك أكبر»، و «شرك أصغر». فالأكبر هو: اعتقاد شريك لله تعالى، في ألوهيته وربوبيته وصفاته، وهو المقصود بقوله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾، وهو أيضاً المتبادر إلى الذهن عند الإطلاق، فإن قيل: هذا مشرك فمعناه: الكافر، ويقابله «الإيمان».

أما الشرك الأصغر فهو: «الرياء»، وهو: أن يفعل العبد عبادة، يقصد بها غير الله تعالى كثناء الناس عليه، وقد جاءت الآيات والأحاديث الكثيرة، في تحريمه والتحذير منه، مبينة أنه يبطل ثواب العمل، كالحديث القدسي الذي ذكرناه، ويقابله «الإخلاص»، الذي أمرنا الله تعالى به في كل عبادة بقوله: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء﴾ فلا يقبل الله تعالى، إلا ما كان خالصاً له، موافقاً لشرعه.

﴿ سُورَةُ مَرْيَمَ ﴾

(مكية، أو: إلاّ سجدتها فمدنية، أو:
إلاّ «فخلف من بعدهم خلف»
الآيتين فمدنيتان، وهي ثمان أو تسع وتسعون آية)

(١٩) سُورَةُ مَرْيَمَ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا ثَمَانٍ وَتِسْعُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا

بسم الله الرحمن الرحيم.

١ ﴿كهيعص﴾ الله أعلم بمراده بذلك[١].

٢ هذا ﴿ذكر رحمة ربك عبده﴾ مفعول «رحمة» ﴿زكريا﴾ بيان له. ٣ ﴿إذ﴾ متعلق بـ«رحمة» ﴿نادى ربه نداءً﴾ مشتملاً على دعاء ﴿خفياً﴾ سرّاً، جوفَ الليل، لأنه أسرع للإجابة.

٤ ﴿قال رب إني وهن﴾ ضعف ﴿العظم﴾ جميعه ﴿مني واشتعل الرأس﴾ مني ﴿شيباً﴾ تمييز محول عن الفاعل، [تقديره: واشتعل شيبُ رأسي]، أي: انتشر الشيب في شعره، كما ينتشر شعاع النار في الحطب، وإني أريد أن أدعوك ﴿ولم أكن بدعائك﴾ أي: بدعائي إياك ﴿رب شقياً﴾ أي: خائباً فيما مضى، فلا تخيبني فيما يأتي.

٥ ﴿وإني خفت الموالي﴾ أي: الذين يلونني في النسب، كبني العم ﴿من ورائي﴾ أي: بعد موتي، [خِفتُهم] على الدين أن يضيعوه، كما شاهدته في بني إسرائيل، من تبديل الدين ﴿وكانت امرأتي عاقراً﴾ لا تلد ﴿فهب لي من لدنك﴾ من عندك ﴿ولياً﴾ ابناً.

٦ ﴿يرثُني﴾ بالجزم، جواب الأمر، وبالرفع، صفة «ولياً» ﴿ويرث﴾ بالوجهين، [أي: بالجزم والرفع، قراءتان سبعيتان فيهما] ﴿من آل يعقوب﴾ جدي، [يرث] العلم والنبوة ﴿واجعله رب رضياً﴾ أي: مرضياً عندك.

٧ قال تعالى في إجابة[٢] طلبه الابن، الحاصل بها رحمته: ﴿يا زكريا إنا نبشرك بغلام﴾ يرث، كما سألته ﴿اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً﴾ أي: مسمى بيحيى. ٨ ﴿قال رب أنى﴾ كيف ﴿يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقراً

---

(١) قوله: «الله أعلم بمراده بذلك»، هذا هو القول الصحيح في هذه الحروف. ارجع إلى تعليقنا ص ٣.

(٢) نص تفسير هذه الآية، أخذناه من إحدى المخطوطات على هذا النحو، وهو الأقرب من سواه.

وقد بلغت من الكبر عُتِيّاً﴾ [بضم العين]، من «عتا» [العُودُ «يعتو»، إذا] «يبس»، [أي: كبِرْتُ] إلى نهاية السن، مائةً وعشرين سنة، وبلغت امرأتي ثمانيةً وتسعين سنة، وأصل «عُتِيّ»: «عُتُوو»، [بضمتين وواوين]، كُسرت التاءُ تخفيفاً، وقُلبت الواو الأولى ياءً، لمناسبة الكسرة، و [قُلبت الواو] الثانية ياءً، لتدغم فيها الياء، [وفي قراءة بكسر العين، إتْباعاً لكسرة التاء، والمعنى واحد].

٩ ﴿قال﴾ الأمر ﴿كذلك﴾ من خلق غلام منكما ﴿قال ربك هو علي هين﴾ أي: بأن أَرُدَّ عليكَ قوة الجماع، وأفتق رحم امرأتك للعُلُوق ﴿وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً﴾ قبل خلقك، ولإظهار الله هذه القدرة العظيمة، ألهمه السؤال، ليجاب بما يدل عليها.

وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾

١٠ ولما تاقت نفسه إلى سرعة المبشَّر به ﴿قال رب اجعل لي آية﴾ أي: علامةً على حمل امرأتي ﴿قال آيتك﴾ عليه ﴿ألا تكلم الناس﴾ أي: تُمْنَعَ من كلامهم، بخلاف ذكر الله ﴿ثلاث ليال﴾ أي: بأيامها، كما في «آل عمران»: «ثلاثة أيام» ﴿سوياً﴾ حال من فاعل «تكلم»، أي: [ستُمنع من كلامهم] بلا علة. ١١ ﴿فخرج على قومه من المحراب﴾ أي: المسجد، وكانوا ينتظرون فتحه، ليصلوا فيه بأمره، على العادة ﴿فأوحى﴾ أشار ﴿إليهم أن سبحوا﴾ صلوا ﴿بكرة وعشياً﴾ أوائل النهار وأواخره، على العادة، فعَلِمَ بمنعه من كلامهم، حَمْلَها بيحيى. ١٢ وبعد ولادته بسنتين، قال الله تعالى له: ﴿يا يحيى خذ الكتاب﴾ أي: التوراة ﴿بقوة﴾ بجدٍّ ﴿وآتيناه الحكم﴾ النبوة [على الصحيح، وقيل: الحكمة والفقه في الدين] ﴿صبياً﴾ ابن ثلاث سنين.

١٣ ﴿وحناناً﴾ رحمة للناس ﴿من لدنا﴾ من عندنا ﴿وزكاة﴾ صدقة عليهم ﴿وكان تقياً﴾ روي: أنه لم يعمل خطيئة، ولم يَهُمَّ بها.

١٤ ﴿وبراً بوالديه﴾ أي: محسناً إليهما ﴿ولم يكن جباراً﴾ متكبراً ﴿عصياً﴾ عاصياً لربه.

١٥ ﴿وسلام﴾ منا ﴿عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً﴾ أي: في هذه الأيام المَخُوفَة، التي يَرى فيها ما لم يره قبلها، فهو آمن فيها.

١٦ ﴿واذكر في الكتاب﴾ القرآن ﴿مريم﴾ أي: خبَرَها ﴿إذ﴾ حين ﴿انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً﴾ أي: اعتزلت في مكان نحو الشرق من الدار.

١٧ ﴿فاتخذت من دونهم حجاباً﴾ أرسلت ستراً تستتر به لتُفَلِّيَ رأسها[1]، أو ثيابها، أو تغتسل من حيضها، [أي: فاختلت بنفسها] ﴿فأرسلنا إليها روحنا﴾ جبريل ﴿فتمثل لها﴾ بعد لبسها ثيابها ﴿بشراً سوياً﴾ تام الخلق.

١٨ ﴿قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً﴾ فتنتهي عني بتعوذي، [وفي استعاذتها، تذكير بالتقوى الزاجرة عن المنكر].

---

(١) قوله: «التفلي رأسها.. إلخ»، هو تعليل غير مناسب ولا دليل عليه، والإنسان لا يستطيع أن يُفَلِّي رأس نفسه، فالإطلاق أولى.

١٩ ﴿قال إنما أنا رسول ربك ليهب لك غلاماً زكياً﴾ [طاهراً من الذنوب] بالنبوة، [وفي قراءة: لأَهَبَ]. ٢٠ ﴿قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر﴾ بتزوج ﴿ولم أك بغياً﴾ زانية. ٢١ ﴿قال﴾ جبريل: الأمر ﴿كذلك﴾ من خلق غلام منك، من غير أب ﴿قال ربك هو علي هين﴾ أي: بأن ينفخ بأمري جبريل فيك، فتحملي به، ولكون ما ذُكر في معنى العلة، عطف عليه: ﴿ولنجعله آية للناس﴾ على قدرتنا ﴿ورحمة منا﴾ لمن آمن به ﴿وكان﴾ خلقه ﴿أمراً مقضياً﴾ به، في علمي، فنفخ جبريلُ في جيب درعها، فأحست بالحمل في بطنها مصوراً. ٢٢ ﴿فحملته فانتبذت﴾ تَنَحَّتْ ﴿به مكاناً قصياً﴾ بعيداً عن أهلها. ٢٣ ﴿فأجاءها﴾ جاء بها، [أي: اضطرها] ﴿المخاض﴾ وَجَعُ الولادة ﴿إلى جذع النخلة﴾ لتعتمد عليه، فولدت، والحمل والتصوير والولادة في ساعة [وهو الأظهر، للعطف بالفاء، وقيل: تسعة أشهر] ﴿قالت يا﴾ للتنبيه ﴿ليتني متُّ قبل هذا﴾[1] الأمر ﴿وكنت نسياً منسياً﴾ شيئاً متروكاً، لا يُعْرَفُ ولا يُذْكَرُ. ٢٤ ﴿فناداها من تحتها﴾ [بفتح الميم وكسرها،] أي: جبريل، وكان [في الوادي] أسفل منها، [قاله ابن عباس، وقال مجاهد: هو عيسى نفسه] ﴿ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً﴾ نهر ماء [صغير كالجدول، قيل:] كان انقطع. ٢٥ ﴿وهزي إليك بجذع النخلة﴾ [قيل:] كانت يابسة، والباء زائدة ﴿تَسَّاقَطْ﴾ أصله بتاءين، قُلبت الثانية سيناً وأُدغمت في السين، وفي قراءة: تَرْكُها [أي: ترك التاء المقلوبة سيناً، وفي قراءة: بضم التاء وكسر القاف]. ﴿عليك رطباً﴾ تمييز ﴿جنياً﴾ صفته [أي: ناضجاً صالحاً للاجتناء]. ٢٦ ﴿فكلي﴾ من الرُّطب ﴿واشربي﴾ من السَّرِيّ ﴿وقري عيناً﴾ بالولد، تمييز محول من الفاعل، أي: لتقر عينك به، أي: تسكن فلا تطمح إلى غيره ﴿فإما﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» الزائدة ﴿ترين﴾ [أصله «تَرْأَيين»]، حذفت منه[2] لام الفعل، [أي: الياء الأولى]، وعينه [أي: الهمزة]، وأُلقيت حركتها [أي: حركة الهمزة] على الراء، وكسرت ياء الضمير، لالتقاء الساكنين ﴿من البشر أحداً﴾ فيسألك عن ولدك ﴿فقولي إني نذرت للرحمن صوماً﴾ أي: إمساكاً عن الكلام، في شأنه وغيره مع الأناسي، بدليل: ﴿فلن أكلم اليوم إنسياً﴾ أي: بعد ذلك. ٢٧ ﴿فأتت به قومها تحمله﴾ حال، فرأوه ﴿قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً﴾ عظيماً، حيث أتيْتِ بولد من غير أب.

قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُواْ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾

نصف الحزب

---

(١) قوله تعالى حكاية عن مريم: ﴿يا ليتني مت قبل هذا﴾، فيه جواز تمني الموت عند الخوف من الفتن، أما تمنِّيه بسبب البلاء فلا يجوز، إلا على نحو ما جاء في الحديث، فقد أخرج الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يتمنين أحدكم الموت لضر أصابه، فإن كان لا بد فاعلاً فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي».

(٢) قوله: «حذفت منه إلخ». في هذه الإعمالات التي ذكرها المحلي رحمه الله تقديم وتأخير، بيانها: نقلت حركة الهمزة إلى الراء، فسقطت الهمزة فأصبحت الياء التي بعدها متحركة انفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، فالتقى ساكنان: الألف المنقلبة والياء الثانية الساكنة، فحذفت لذلك الألف فصارت «تَرَيْنَ»، ثم أكد بالنون وحرك بالكسر لالتقاء الساكنين.

٢٨﴿يا أخت هارون﴾ هو رجل صالح، أي: يا شبيهته في العفة ﴿ما كان أبوك امرأ سوء﴾ أي: زانياً ﴿وما كانت أمك بغياً﴾ أي: زانية، فمن أين لك هذا الولد؟.

٢٩﴿فأشارت﴾ لهم ﴿إليه﴾ أن كلّموه ﴿قالوا كيف نكلم من كان﴾ أي: وجد ﴿في المهد صبياً؟﴾.

٣٠﴿قال إني عبد الله آتاني الكتاب﴾ أي: الإنجيل ﴿وجعلني نبياً﴾.

٣١﴿وجعلني مباركاً أينما كنت﴾: نفّاعاً للناس، [وهذا] إخبار بما كُتِبَ له [أنه سيفعله] ﴿وأوصاني بالصلاة والزكاة﴾ أمرني بها ﴿ما دمت حياً﴾.

يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا

٣٢﴿وبراً بوالدتي﴾ منصوب بـ «جعلني» مقدراً ﴿ولم يجعلني جباراً﴾ متعاظماً ﴿شقياً﴾ عاصياً لربه.

٣٣﴿والسلام﴾ من الله ﴿علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً﴾ يقال فيه، ما تقدم في السيد «يحيى»، [أي: فهو آمنٌ في هذه الأيام المَخُوفَة].

٣٤﴿ذلك عيسى ابن مريم قولُ الحق﴾ بالرفع خبر مبتدأ مقدر، أي: قولُ ابن مريم [قول الحق]، وبالنصب بتقدير «قُلْتُ»، والمعنى: [قلتُ] القولَ الحق ﴿الذي فيه يمترون﴾ من المرية، أي: يشكون، وهم: النصارى، قالوا: إن عيسى ابن الله، كذبوا.

٣٥﴿ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه﴾ تنزيهاً له عن ذلك ﴿إذا قضى أمراً﴾ أي: أراد أن يحدثه ﴿فإنما يقول له كن فيكون﴾ بالرفع بتقدير هو [بعد الفاء]، وبالنصب بتقدير «أنْ»، ومن ذلك، خلقُ عيسى من غير أب.

٣٦﴿وأن الله ربي وربكم فاعبدوه﴾ بفتح «أن» بتقدير «اذكر»، وبكسرها بتقدير «قل»، بدليل: «ما قلتُ لهم إلاّ ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربّكم» ﴿هذا﴾ المذكور ﴿صراط﴾ طريق ﴿مستقيم﴾ مؤدٍّ إلى الجنة.

٣٧﴿فاختلف الأحزاب من بينهم﴾ أي: النصارى في عيسى، أهو ابن الله، أم إلّه معه، أو ثالث ثلاثة؟ ﴿فويل﴾ فشدة عذاب ﴿للذين كفروا﴾ بما ذُكر وغيره ﴿من مشهد يوم عظيم﴾ أي: حضور يوم القيامة وأهواله.

٣٨﴿أسمع بهم وأبصر﴾ بهم، صيغتا تعجب بمعنى: ما أسمعهم وما أبصرهم ﴿يوم يأتوننا﴾ في الآخرة.

﴿لكن الظالمون﴾ من إقامة الظاهر مقام المضمر ﴿اليوم﴾ أي: في الدنيا ﴿في ضلال مبين﴾ أي: «بيِّن»، به [أي: بسبب ضلالهم]، صَمُّوا عن سماع الحق، وعَمُوا عن إبصاره، أي: اعجب منهم يا مخاطب، في سمعهم وإبصارهم في الآخرة، بعد أن كانوا في الدنيا صماً عمياً.

٣٩ ﴿وأنذرهم﴾[1] خوِّفْ يا محمد، كفار مكة [وغيرها] ﴿يوم الحسرة﴾ هو يوم القيامة، يتحسر فيه المسيء، على ترك الإحسان في الدنيا ﴿إذ قضي الأمر﴾ لهم فيه بالعذاب ﴿وهم﴾ في الدنيا ﴿في غفلة﴾ عنه ﴿وهم لا يؤمنون﴾ به.

٤٠ ﴿إنا نحن﴾ تأكيد ﴿نرث الأرض ومن عليها﴾ من العقلاء وغيرهم، بإهلاكهم ﴿وإلينا يرجعون﴾ فيه للجزاء.

لَكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ

٤١ ﴿واذكر﴾ لهم ﴿في الكتاب إبراهيم﴾ أي: خَبَرَهُ [وقصته] ﴿إنه كان صديقاً﴾ مبالغاً في الصدق ﴿نبياً﴾ ويبدل من «خبره»:

٤٢ ﴿إذ قال لأبيه﴾ آزر ﴿يا أبت﴾ التاء عوض عن ياء الإضافة، ولا يجمع بينهما، وكان يعبد الأصنام ﴿لِمَ تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك﴾ لا يكفيك ﴿شيئاً﴾ من نفع أو ضُرٍّ.

٤٣ ﴿يا أبت إني قد جاءني من العلم﴾ [أي: من اليقين: والمعرفة بالله، وما يكون بعد الموت] ﴿ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً﴾ طريقاً ﴿سوياً﴾ مستقيماً، [أي: أرشدك إلى دين مستقيم، فيه نجاتك من العذاب].

٤٤ ﴿يا أبت لا تعبد الشيطان﴾ بطاعتك إياه، في عبادة الأصنام ﴿إن الشيطان كان للرحمن عصياً﴾ كثير العصيان.

٤٥ ﴿يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن﴾ إن لم تتب [بالإيمان] ﴿فتكون للشيطان ولياً﴾ ناصراً وقريناً في النار.

٤٦ ﴿قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم﴾ فتعيبها؟ ﴿لئن لم تنته﴾ عن التعرض لها ﴿لأرجمنك﴾ بالحجارة، [قاله: الحسن البصري]، أو: بالكلام القبيح، [قاله: الضحاك]، فاحذرني ﴿واهجرني ملياً﴾ دهراً طويلاً، [قاله الحسن ومجاهد، وقال ابن عباس: أي: اعتزلني سالم العرض، لا يصيبنك مني مَعَرَّة ــ أي: ما تكره ــ واختاره الطبري]. ٤٧ ﴿قال سلام عليك﴾ مني، أي: لا أصيبك بمكروه ﴿سأستغفر لك ربي

---

(١) قوله تعالى: ﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾ الآية. أخرج الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي منادٍ: يا أهل الجنة، فَيَشْرَئِبُّون وينظرون، فيقول لهم: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار، فيشرئبُّون وينظرون، فيقول لهم: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيُذْبَحُ، ثم يقول: يا أهل الجنة خلودٌ فلا موت، ويا أهل النار خلودٌ فلا موت! ثم قرأ ــ ﷺ ــ ﴿وأنذرهم يوم الحسرة. . .﴾ الآية.

إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ
ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾
فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ
وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلًّا جَعَلۡنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا
وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ
مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ
مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن
رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ
إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأۡمُرُ
أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيًّا ﴿٥٥﴾
وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾
وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ

إنه كان بي حفياً﴾ من «حَفِيَ» أي: باراً، فيجيب دعائي، وقد وفَّى [إبراهيم] بوعده، المذكور في [سورة] «الشعراء»، [عندما استغفر له بقوله:] «واغفر لأبي»، وهذا قبل أن يتبين له أنه عدو لله، كما ذكر في «براءة» [ص ٢٦١]. ٤٨**﴿وأعتزلكم وما تدعون﴾** تعبدون **﴿من دون الله وأدعو﴾** أعبد **﴿ربي عسى أ﴾** ن **﴿لا أكون بدعاء ربي﴾** بعبادته **﴿شقياً﴾** كما شقيتم بعبادة الأصنام. ٤٩**﴿فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله﴾** بأن ذهب إلى الأرض المقدسة **﴿وهبنا له﴾** ابنين يأنس بهما **﴿إسحاق ويعقوب وكلاً﴾** منهما **﴿جعلنا نبياً﴾**. ٥٠**﴿ووهبنا لهم﴾** للثلاثة **﴿من رحمتنا﴾** المال والولد **﴿وجعلنا لهم لسان صدق علياً﴾** رفيعاً، هو الثناء الحسن في جميع أهل الأديان[1]. ٥١**﴿واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً﴾** بكسر اللام وفتحها، من أخلص في عبادته، وخلّصه الله من الدنس **﴿وكان رسولاً نبياً﴾**. ٥٢**﴿وناديناه﴾** بقول: «يا موسى إني أنا الله» **﴿من جانب الطور﴾** اسم الجبل **﴿الأيمن﴾** أي: الذي يلي يمين موسى، حين أقبل من «مَدْيَن» **﴿وقربناه نجياً﴾** مناجياً، بأن أسمعه الله تعالى كلامه. ٥٣**﴿ووهبنا له من رحمتنا﴾** نعمتنا **﴿أخاه هارون﴾** بدل أو عطف بيان **﴿نبياً﴾** حال، [والنبوة] هي المقصودة بالهبة، إجابة لسؤاله أن يرسل أخاه معه، وكان أسنَّ منه.

٥٤**﴿واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد﴾** لم يَعِدْ شيئاً إلاَّ وَفَّى به، [قال القرطبي: وهذا قول صحيح، وهو الذي يقتضيه ظاهر الآية، أي: من غير تحديد]، و [قيل:] انتظر مَنْ وَعَدَ ثلاثة أيام، أو حولاً حتى رجع إليه في مكانه **﴿وكان رسولاً﴾** إلى [قبيلة] «جُرْهُم» **﴿نبياً﴾**. ٥٥**﴿وكان يأمر أهله﴾** أي: قومه **﴿بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضياً﴾** أصله «مَرْضُوُواً» قُلبت الواوان ياءين، والضمةُ كسرة. ٥٦**﴿واذكر في الكتاب إدريس﴾** هو جد أبي نوح **﴿إنه كان صديقاً نبياً﴾**. ٥٧**﴿ورفعناه مكاناً علياً﴾** هو حيٌّ في السماء الرابعة[2]، أو السادسة، أو السابعة، أو في الجنة، أُدخلها بعد أن أُذيق الموت وأُحيي، ولم يخرج منها.

٥٨**﴿أولئك﴾** مبتدأ **﴿الذين أنعم الله**

---

(١) قوله: «في جميع أهل الأديان»، ارجع إلى تعليقنا حول «الأديان» ص ٢٤٥.

(٢) قوله: «هو حي في السماء الرابعة» الثابت أن النبي ﷺ رأى إدريس في السماء الرابعة ليلة المعراج، مثلما رأى غيره من الأنبياء في السماوات الأخرى، فقد روى مسلم عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لما عُرج بي إلى السماء، أتيت على إدريس في السماء الرابعة». ولا شيء يُثبت أنه لا يزال حياً، بل توفّاه الله تعالى كغيره من الأنبياء، وأما ما يُروى عن «عين الحياة» التي يقال: إن «إدريس» و «الخضر» قد شربا منها فلا أساس له، بل هي أقاويل القُصّاص، فلا وجود لما يسمى: «عين الحياة» أو «ماء الحياة»، إلاَّ في الآخرة حيث «نهر الحياة» في أفواه الجنة، يلقي الله فيه آخر فوج يخرجهم من النار كقطع الفحم، فيخرجون منه كاللؤلؤ، فيدخلون الجنة، كما في الصحيحين والترمذي.

عليهم﴾ صفة له ﴿من النبيين﴾ بيان لهم، وهو في معنى الصفة، وما بعده إلى جملة الشرط، [أي: إلى قوله تعالى: «إذا تتلى عليهم آيات الرحمن»]، صفة لـ «النبيين»، فقوله: ﴿من ذرية آدم﴾ أي: إدريس ﴿وممن حملنا مع نوح﴾ في السفينة أي: إبراهيم ابن ابنه سام ﴿ومن ذرية إبراهيم﴾ أي: إسماعيل وإسحاق ويعقوب ﴿ و ﴾ من ذرية ﴿إسرائيل﴾ وهو يعقوب، أي: موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى ﴿وممن هدينا واجتبينا﴾ أي: من جملتهم، وخبر «أولئك»: ﴿إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً﴾ جمع «ساجد» و «باك»، أي: فكونوا مثلهم، وأصل «بُكِيّ» «بُكُويٌ»، [على وزن «فُعُوْل»، كـ «قُعُود» جمع «قاعد] قُلبت الواو ياءً، والضمةُ كسرة. ٥٩ ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة﴾ بتركها، كاليهود والنصارى [وعصاة هذه الأمة، قال القرطبي: وهو نصٌّ في أن إضاعة الصلاة، من الكبائر التي تُهلك صاحبها، ولا خلاف في ذلك، قال الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من ضيعها فهو لما سواها أضيع] ﴿واتبعوا الشهوات﴾ من المعاصي ﴿فسوف يلقون غياً﴾ هو واد في جهنم، يقعون فيه. ٦٠ ﴿إلاَّ﴾ لكن ﴿من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون﴾ ينقصون ﴿شيئاً﴾ من ثوابهم. ٦١ ﴿جنات عدن﴾ إقامة، بدل من «الجنة» ﴿التي وعد الرحمن عباده بالغيب﴾ حال، أي: غائبين عنها ﴿إنه كان وعده﴾ أي: موعوده ﴿مأتياً﴾ بمعنى: آتياً، وأصله «مَأتويٌ»، [فقلبت الواو ياءً، ثم أدغمت بالياء، وكسرت التاء مناسَبَةً لها] أو: موعوده هنا «الجنةُ»، يأتيه أهلُه، [وهم المؤمنون، فيدخلونها]. ٦٢ ﴿لا يسمعون فيها لغواً﴾ من الكلام ﴿إلاَّ﴾ لكن يسمعون ﴿سلاماً﴾ من الملائكة عليهم، أو: من بعضهم على بعض ﴿ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً﴾ أي: على قدرهما في الدنيا، وليس في الجنة نهار ولا ليل، بل ضوء ونور أبداً.

٦٣ ﴿تلك الجنة التي نورث﴾ نعطي وننزل ﴿من عبادنا من كان تقياً﴾ بطاعته.

٦٤ ونزل لما تأخر الوحي أياماً، وقال النبي ﷺ لجبريل[1]: «ما يمنعك أن تزورنا [أكثر مما تزورنا؟»]: ﴿وما نتنزّل إلاَّ بأمر ربك له ما بين أيدينا﴾ أي: أمامنا من أمور الآخرة ﴿وما خلفنا﴾ من أمور الدنيا ﴿وما بين ذلك﴾ أي: ما يكون، من هذا الوقت إلى قيام الساعة، أي: له علم ذلك جميعه ﴿وما كان ربك نسياً﴾ بمعنى ناسياً، أي: تاركاً لك، بتأخير الوحي عنك. ٦٥ هو ﴿رب﴾ مالك ﴿السماوات والأرض

عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ

سجدة تلاوة

(١) قوله: «وقال النبي ﷺ لجبريل... الحديث»، رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس، أما تأخير الوحي أياماً فقد أخرجه ابن أبي حاتم وغيره.

وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ
سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ
حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ
وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ
لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ
شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ
بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ
عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ
ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ
قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا
وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ
أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ

وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته﴾ أي: اصبر عليها **﴿هل تعلم له سمياً﴾** أي: مسمى بذلك؟ لا. ٦٦ **﴿ويقول الإنسان﴾** المنكر للبعث، [هو] أُبَيّ بن خلف، أو الوليد بن المغيرة، النازل فيه الآية، **﴿ءإذا﴾** بتحقيق الهمزة الثانية وتسهيلها، وإدخال الألف بينها ــ بوجهيها ــ وبين الأخرى، [وتركه] **﴿ما مت لسوف أخرج حياً﴾** من القبر، كما يقول محمد؟ فالاستفهام بمعنى النفي، أي: لا أحيا بعد الموت، و «ما» زائدة للتأكيد، وكذا اللام، ورَدَّ عليه بقوله تعالى: ٦٧ **﴿أَوَلا يَذَّكَّرُ الإنسان﴾** أصله «يتذكر»، أبدلت التاء ذالاً، وأدغمت في الذال، وفي قراءة بتركها، [أي: التاء]، وسكون الذال وضم الكاف **﴿أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً﴾** فَيَسْتَدِل بالابتداء على الإعادة؟ ٦٨ **﴿فوربك لنحشرنهم﴾** أي: المنكرين للبعث **﴿والشياطين﴾** أي: نجمع كلاً منهم وشيطانه في سلسلة **﴿ثم لنحضرنهم حول جهنم﴾** من خارجها **﴿جثياً﴾** على الركب، جمع «جاث»، وأصله: «جثوُو»، أو «جِثوِي»، من: «جثا» «يجثو»، أو «يجثي»، لغتان، [قلبت الواو ياءً، وأدغمت في الياء، ثم كسرت الثاء لتصح الياء]. ٦٩ **﴿ثم لننزعن﴾** [أي: لنستخرجن] **﴿من كل شيعة﴾** فرقةٍ منهم **﴿أيهم أشد على الرحمن عتياً﴾** جراءة. ٧٠ **﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها﴾** أحق بجهنم، الأشدُّ [على الرحمن عتياً]، وغيرُه منهم **﴿صلياً﴾** دخولاً واحتراقاً، فنبدأ بهم، وأصله: «صِلُوي»، من «صلي» بكسر اللام وفتحها، [مثل «جثياً»]. ٧١ **﴿وإن﴾** أي: ما **﴿منكم﴾** أحد [كافر أو مؤمن] **﴿إلا واردها﴾** أي: داخلٌ جهنّمَ، [وهذا قول منسوب إلى الجمهور، وقال بعضهم: المراد بالورود، المرورُ على الصراط على متن جهنم، كل إنسان بحسب عمله، فناج أو هالك في النار، وهو الصحيح الموافق لشرف المؤمنين، يؤيده قوله تعالى: «لا يسمعون حسيسها»، «والحَسيس»: هو الصوت الخفي، قال ابن كثير: وله شواهد في الصحيحين وغيرهما] **﴿كان على ربك حتماً مقضياً﴾** حَتَمَهُ وقضى به، لا يتركه. ٧٢ **﴿ثم ننجي﴾** مشدداً ومخففاً **﴿الذين اتقوا﴾** الشرك والكفر منها، [بعبورهم على متن الصراط سالمين] **﴿ونذر الظالمين﴾** بالشرك والكفر [بعد وقوعهم] **﴿فيها جثياً﴾** على الركب. ٧٣ **﴿وإذا تتلى عليهم﴾** أي: المؤمنين والكافرين **﴿آياتنا﴾** من القرآن **﴿بينات﴾** واضحات، حال **﴿قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين﴾** نحن وأنتم **﴿خير مَقاماً﴾** منزلاً ومسكناً، بالفتح من «قام»، وبالضم من «أقام» **﴿وأحسن ندياً﴾** بمعنى: النادي، وهو: مجتمع القوم يتحدثون فيه، يعنون: نحن، فنكون خيراً منكم. ٧٤ قال تعالى **﴿وكم﴾** أي: كثيراً **﴿أهلكنا قبلهم من قرن﴾** أي: أمة من الأمم الماضية **﴿هم أحسن أثاثاً﴾** مالاً ومتاعاً **﴿ورئياً﴾** منظراً، من «الرؤية»، فكما أهلكناهم لكفرهم، نُهلِكُ هؤلاء ٧٥ **﴿قل من كان في الضلالة﴾** شَرْطٌ، جوابُه **﴿فليمدد﴾** [وهو أمر،] بمعنى الخبر، أي: «يمدُّ»

﴿له الرحمن مداً﴾ في الدنيا، يستدرجه، [بإطالة عمره، وإكثار ماله] ﴿حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب﴾ [في الدنيا]، كالقتل والأسر ﴿وإما الساعة﴾ المشتملة على جهنم، فيدخلونها ﴿فسيعلمون من هو شر مكاناً وأضعف جنداً﴾ أعواناً، أهم أم المؤمنون؟ وجندهم الشياطين، وجند المؤمنين عليهم الملائكةُ.
٧٦﴿ويزيد الله الذين اهتدوا﴾ بالإيمان ﴿هدى﴾ بما ينزل عليهم من الآيات ﴿والباقيات الصالحات﴾[1] هي الطاعة، تبقى لصاحبها ﴿خير عند ربك ثواباً وخير مردّاً﴾ أي: ما يُرَدّ إليه ويُرجع، بخلاف أعمال الكفار، والخيرية هنا في مقابلة قولهم: «أيّ الفريقين خير مقاماً». ٧٧﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا﴾[2] [هو] العاص بن وائل ﴿وقال﴾ لخبّاب بن الأرت القائل له: تُبْعَثُ بعد الموت، والمطالب له بمال: ﴿لأوتين﴾ على تقدير البعث ﴿مالاً وولداً﴾ فأقضيك؟

لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ

٧٨ قال تعالى: ﴿أطلع الغيب﴾ أي: أَعَلِمَهُ، وأن يؤتى ما قاله؟، واستغني بهمزة الاستفهام عن همزة الوصل، فحذفت ﴿أم اتخذ عند الرحمن عهداً﴾ بأن يؤتى ما قاله؟
٧٩﴿كلاَّ﴾ أي: لا يؤتى ذلك ﴿سنكتب﴾ نأمر بكتب ﴿ما يقول ونمد له من العذاب مداً﴾ نزيده بذلك عذاباً فوق عذاب كفره.
٨٠﴿ونرثه ما يقول﴾ من المال والولد ﴿ويأتينا﴾ يوم القيامة ﴿فرداً﴾ لا مال له ولا ولد.
٨١﴿واتخذوا﴾ أي: كفار مكة [وغيرها] ﴿من دون الله﴾ الأوثان ﴿آلهة﴾ يعبدونهم ﴿ليكونوا لهم عزاً﴾ شفعاء عند الله، بأن لا يعذَّبوا [حسب زعمهم].
٨٢﴿كلاَّ﴾ أي: لا مانع من عذابهم ﴿سيكفرون﴾ أي: الآلهة ﴿بعبادتهم﴾ أي: ينفونها، كما في آية أخرى: «ما كانوا إيانا يعبدون» ﴿ويكونون عليهم ضداً﴾ أعواناً وأعداء.
٨٣﴿ألم تر أنا أرسلنا الشياطين﴾ سلَّطناهم ﴿على الكافرين تؤزهم﴾ تهيجهم إلى المعاصي ﴿أزاً﴾. ٨٤﴿فلا تعجل عليهم﴾ بطلب العذاب [لهم، لترتاحوا منهم] ﴿إنما نعد لهم﴾ الأيام والليالي، أو: الأنفاس ﴿عداً﴾ إلى وقت عذابهم، [أي: إن لهم أجلاً ينتهون إليه] ٨٥ اذكر ﴿يوم نحشر المتقين﴾ بإيمانهم ﴿إلى الرحمن

(١) قوله تعالى: ﴿والباقيات الصالحات﴾ جاء في الحديث أنها: «التكبير والتهليل والتسبيح والتحميد ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله». كما تقدم ص ٣٨٧.

(٢) قوله تعالى: ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا﴾ أخرج الشيخان وغيرهما، عن خباب بن الأرَتّ رضي الله عنه قال: جئت العاصي بن وائل السهمي أتقاضاه حقاً لي عنده ــ وكان صنع له سيفاً ــ فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد، فقلت: لا، حتى تموت ثم تبعث ــ أي: لن أكفر أبداً لأن الكفر لا يتصور بعد البعث ــ قال: فإني لميت ثم مبعوث؟ فقلت: نعم، فقال: إن لي هناك مالاً وولداً فأقضيكه فنزلت ﴿أفرأيت الذي﴾ الآيات الأربع.

وفداً﴾ جمع «وافد»، بمعنى: راكب، [أو: بمعنى «جماعات»، كقوله تعالى «وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً»]. ٨٦﴿ونسوق المجرمين﴾ بكفرهم ﴿إلى جهنم ورداً﴾ جمع «وارد»، بمعنى: ماشٍ عَطشان. ٨٧﴿لا يملكون﴾ أي: الناس ﴿الشفاعة إلاَّ من اتخذ عند الرحمن عهداً﴾ أي: شهادة أن لا إلَه إلاَّ الله، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله، [قاله ابن عباس رضي الله عنهما. أي: لا شفاعة[١] إلاَّ لمؤمن أذن الله له بها]. ٨٨﴿وقالوا﴾ أي: اليهود والنصارى، ومَنْ زعم أن الملائكة بنات الله ﴿اتخذ الرحمن ولداً﴾. ٨٩ قال تعالى لهم: ﴿لقد جئتم شيئاً إدّاً﴾ أي: منكراً عظيماً. ٩٠﴿تكاد﴾ بالتاء والياء ﴿السماوات يَنْفَطِرْنَ﴾ بالنون، وفي قراءة[٢] بالتاء وتشديد الطاء: بالانشقاق ﴿منه﴾ [أي: من قولهم هذا] ﴿وتنشق الأرض وتخر الجبال هدّاً﴾ أي: تنطبق عليهم، من أجْلِ:

وَفۡدٗا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ﴿٨٧﴾ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ﴿٨٨﴾ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ﴿٩٧﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا ﴿٩٨﴾

٩١﴿أن دعوا للرحمن ولداً﴾. ٩٢قال تعالى: ﴿وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً﴾ أي: ما يليق به ذلك.

٩٣﴿إن﴾ أي: ما ﴿كل من في السماوات والأرض إلاَّ آتي الرحمن عبداً﴾ ذليلاً خاضعاً يوم القيامة، منهم عزير وعيسى.

٩٤﴿لقد أحصاهم وعدهم عدّاً﴾ فلا يخفى عليه مبلغ جميعهم، ولا واحد منهم.

٩٥﴿وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً﴾ بلا مال، ولا نصير يمنعه.

٩٦﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً﴾ فيما بينهم، يتوادون ويتحابون، ويحبهم الله تعالى.

٩٧﴿فإنما يسرناه﴾ أي: القرآن ﴿بلسانك﴾ العربي ﴿لتبشر به المتقين﴾ النَّارَ، بالإيمان ﴿وتنذر﴾ تخوف ﴿به قوماً لداً﴾ جمع «ألد» أي: جَدِلٌ بالباطل[٣]، وهم كفار مكة [وأمثالهم].

٩٨﴿وكم﴾ أي: كثيراً ﴿أهلكنا قبلهم من قرن﴾ أي: أمة من الأمم الماضية، بتكذيبهم الرسل ﴿هل تحس﴾ تجد ﴿منهم من أحد أو تسمع لهم رِكْزاً﴾ صوتاً خفياً؟ لا، فكما أهلكنا أولئك، نهلك هؤلاء.

---

(١) قوله تعالى: ﴿لا يملكون الشفاعة﴾، ارجع إلى تعليقنا حول «الشفاعة» ص ٦١٢.

(٢) قوله: «وفي قراءة بالتاء إلخ»، فمع قراءة «تكاد» بالتاء، تُقرأ: «ينفطرن» بالنون وبالتاء، فهما قراءتان، ومع قراءتها بالياء ــ «يكاد» ــ تُقرأ: «يتفطرن» بالتاء فقط، فهذه ثلاث قراءات سبعية لا أكثر.

(٣) قوله: «جدل بالباطل»، الجدال عادة المعاندين المتكبرين، أما المناظرة للوصول إلى الحق فمحمودة، ارجع إلى تعليقنا حول «الجدال» ص ٢٨٩.

﴿سورة طه﴾

(مكية: وآياتها مائة وخمس وثلاثون آية، أو: وأربعون، أو: واثنتان [وثلاثون])

بسم الله الرحمن الرحيم

١﴿طه﴾ الله أعلم بمراده بذلك[١]. ٢﴿ما أنزلنا عليك القرآن﴾ يا محمد ﴿لتشقى﴾ لتتعب، بما فعلت بعد نزوله، من طول قيامك بصلاة الليل، أي: خفف عن نفسك. ٣﴿إلا﴾ لكن أنزلناه ﴿تذكرة﴾ به ﴿لمن يخشى﴾ يخاف الله. ٤﴿تنزيلاً﴾ [بلفظ المصدر] بدلاً[٢] من اللفظ، [أي: من الإتيان] بفعله الناصب له، [والأصل: «نُزِّل تنزيلاً»] ﴿ممن خلق الأرض والسماوات العلى﴾ جمع «عليا»، كـ«كبرى» و«كُبَر». ٥هو ﴿الرحمن على العرش﴾ وهو في اللغة: سرير الملك ﴿استوى﴾ استواءً يليق به تعالى. ٦﴿له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما﴾ من المخلوقات ﴿وما تحت الثرى﴾ هو التراب الندي، [وهذه إشارة إلى ما في باطن الأرض، من معادن ونفط وثروات كثيرة]، والمراد: الأرضون السبع، لأنها تحته. ٧﴿وإن تجهر بالقول﴾ في ذكر أو دعاء فالله غني عن الجهر به ﴿فإنه يعلم السر وأخفى﴾ منه، أي: ما حَدَّثَتْ به النفسُ، وما خطر ولم تحدِّث به، فلا تجهد نفسك بالجهر. ٨﴿الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى﴾ التسعة والتسعون، الواردة بها الحديث[٣]، و«الحسنى» مؤنث «الأحسن». ٩﴿وهل﴾ [أي:] قد ﴿أتاك حديث موسى﴾ [أي: خبره وقصته]. ١٠﴿إذ رأى ناراً فقال لأهله﴾ لامرأته ﴿امكثوا﴾ هنا، وذلك في مسيره من «مَدْيَن» طالباً مصر ﴿إني آنست﴾ أبصرت ﴿ناراً لعلي آتيكم منها بقبس﴾ بشعلة في رأس فتيلة، أو عود ﴿أو أجد على النار

(٢٠) سورة طه مكية
وآياتها خمس وثلاثون ومائة

بسم الله الرحمن الرحيم

حزب ٣٢

طه ﴿١﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ

---

(١) قوله: «الله أعلم بمراده بذلك» يدل على أن المحلي رحمه الله أخذ بقول مَنْ قال: إن «طه» ــ ومثله «يس» ــ من الحروف المتقطعة مثل «الٓم»، وعليه اتفاق القراء، وهذا قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وهو الصحيح، وأما القول بأن «طه» و«يس» هما من أسماء النبي ﷺ فغير صحيح، ولا يؤثر في ذلك اصطلاح الناس على التسمية بهما واعتبارهما من جملة الأسماء، فإنهما في القرآن الكريم ليسا من الأسماء.

(٢) قوله: «بدلاً من اللفظ» هو هكذا في المخطوطة الثانية، وفي المخطوطة الأولى «بدل» بالرفع ــ ولا فرق ــ وليس المراد هنا البدل الاصطلاحي، بل الإشارة إلى استعمال لفظ المصدر ــ «تنزيلاً» ــ بدل لفظ فعله الناصب له، أي: قال: «تنزيلاً ممن» بدل: «نُزِّل ممن».

(٣) قوله: «الواردة بها الحديث» أي: الذي رواه الترمذي وغيره، وقد ذكره السيوطي بتمامه في آخر الإسراء ص ٣٧٩. ارجع إلى تعليقنا ص ٢٢٢.

هدى﴾ أي: [عندها] هادياً يدلني على الطريق، وكان أخطأها لظلمة الليل، وقال، «لعلّ»، لعدم الجزم بوفاء الوعد. ١١﴿فلما أتاها﴾ وهي [موقدة في] شجرة عوسج، [أو غيره] ﴿نودي يا موسى﴾. ١٢﴿إني﴾ بكسر الهمزة، بتأويل «نودي» بـ «قيل»، وبفتحها بتقدير الباء ﴿أنا﴾ تأكيد لياء المتكلم ﴿ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس﴾ المطهر أو المبارك، [المسمى] ﴿طوى﴾ بدل أو عطف بيان، بالتنوين وتركه، مصروف باعتبار المكان، وغير مصروف للتأنيث، باعتبار البقعة مع العلمية. ١٣﴿وأنا اخترتك﴾ من قومك [رسولاً] ﴿فاستمع لما يوحى﴾ إليك مني. ١٤﴿إنني أنا الله لا إله إلاّ أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري﴾ فيها. ١٥﴿إن الساعة آتية أكاد أخفيها﴾ [أي: أردت إخفاءها] عن الناس، ويظهر لهم قربها بعلاماتها ﴿لتجزى﴾ فيها ﴿كل نفس بما تسعى﴾ به، من خير أو شر.

١٦﴿فلا يصدنك﴾ يصرفنك ﴿عنها﴾ أي: عن الإيمان بها ﴿من لا يؤمن بها واتبع هواه﴾ في إنكارها ﴿فتردى﴾ أي: فتهلك، إن صددت عنها.

١٧﴿وما تلك﴾ كائنة ﴿بيمينك يا موسى﴾ الاستفهام للتقرير، ليرتب عليه المعجزة فيها.

١٨﴿قال هي عصاي أتوكأ﴾ أعتمد ﴿عليها﴾ عند الوثوب والمشي ﴿وأهش﴾ أخبط ورق الشجر ﴿بها﴾ ليسقط ﴿على غنمي﴾ فتأكله ﴿ولي فيها مآرب﴾ جمع «مأربة»، مثلث الراء، أي: حوائج ﴿أخرى﴾ كحمل الزاد والسقاء، وطرد الهوام، زاد في الجواب بيان حاجاته بها.

١٩﴿قال ألقها يا موسى﴾.

٢٠﴿فألقاها فإذا هي حية﴾ ثعبان عظيم ﴿تسعى﴾ تمشي على بطنها سريعاً، كسرعة الثعبان الصغير، المسمى[1] بـ «الجانّ» المعبَّر به في آية أخرى، [هي: فلما رآها تهتز كأنها جانٌّ ولّى مدبراً ولم يُعَقِّب].

٢١﴿قال خذها ولا تخف﴾ منها ﴿سنعيدها سيرتها﴾ منصوب بنزع الخافض، أي: إلى حالتها ﴿الأولى﴾ فأدخل يده في فمها، فعادت عصا، وتبيَّن أن موضع الإدخال، موضع مَسكها بين شعبتيها، وأُري ذلك السيدُ موسى، لئلا يجزع إذا انقلبت حيةً لدى فرعون. ٢٢﴿واضمم يدك﴾ اليمنى، بمعنى: الكف، [أي: كفك] ﴿إلى جناحك﴾ أي: جنبك الأيسر، تحت العضد إلى الإبط، وأَخرِجْها ﴿تخرج﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة، [أي السُّمْرَة] ﴿بيضاء من غير سوء﴾ أي: برص، تضيء كشعاع الشمس، تغشي البصر ﴿آية أخرى﴾ وهي [أي: «آية»] و «بيضاء» حالان من ضمير «تَخرُجْ». ٢٣﴿لنريك﴾ بها إذا فعلت ذلك لإظهارها ﴿من

هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠
رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾
وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾
إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا
تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ
هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ
عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا
مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا
هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا
سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ
بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنۡ

(١) قوله: «المسمى بالجانّ» قال في القاموس: وهو نوع من الحيات سريع الحركة والاهتزاز، ارجع إلى تعليقنا حول ص ٢٠٩.

آياتنا﴾ الآية ﴿الكبرى﴾ أي: العظمى على رسالتك، وإذا أراد عودها إلى حالتها الأولى، فضَمَّها إلى جناحه كما تقدم، وأخرجها. ٢٤﴿اذهب﴾ رسولاً ﴿إلى فرعون﴾ ومن معه ﴿إنه طغى﴾ جاوز الحد في كفره، إلى ادعاء الإلٰهية. ٢٥﴿قال رب اشرح لي صدري﴾ وسّعه، لتحمُّل الرسالة. ٢٦﴿ويسر﴾ سهِّل ﴿لي أمري﴾ لأبلِّغها. ٢٧﴿واحلل عقدة من لساني﴾ حدثت من احتراقه بجمرة[1]، وضعها بفيه وهو صغير. ٢٨﴿يفقهوا﴾ يفهموا ﴿قولي﴾ عند تبليغ الرسالة. ٢٩﴿واجعل لي وزيراً﴾ معيناً عليها ﴿من أهلي﴾. ٣٠﴿هارون﴾ مفعول ثاني ﴿أخي﴾ عطف بيان. ٣١﴿اشدد به أزري﴾ ظهري، [أي: قوّني به]. ٣٢﴿وأشركه في أمري﴾ أي: [في النبوة وتبليغ] الرسالة، والفعلان [أي: «اشدد» و «أشركه»، يقرآن في السبعة]، بصيغتي: الأمر، والمضارع المجزوم[2]، وهو جواب الطلب. ٣٣﴿كي نسبحك﴾ تسبيحاً ﴿كثيراً﴾. ٣٤﴿ونذكرك﴾ ذكراً ﴿كثيراً﴾. ٣٥﴿إنك كنت بنا بصيراً﴾ عالماً، فأنعمت بالرسالة. ٣٦﴿قال قد أوتيت سؤلك يا موسى﴾ منّاً عليك [وتفضلاً]. ٣٧﴿ولقد مننا عليك مرة أخرى﴾. ٣٨﴿إذ﴾ للتعليل ﴿أوحينا إلى أمك﴾ مناماً أو إلهاماً، لما ولدتك وخافت أن يقتلك فرعون، في جملة من يولد ﴿ما يوحى﴾ في أمرك.

٣٩ ويبدل منه: ﴿أن اقذفيه﴾ ألقيه ﴿في التابوت فاقذفيه﴾ بالتابوت ﴿في اليم﴾ بحر النيل ﴿فليلقه اليم بالساحل﴾ أي: شاطئه، والأمر بمعنى الخبر [عما سيحدث بعد قذفه في اليم] ﴿يأخذه عدو لي وعدو له﴾ وهو فرعون ﴿وألقيت﴾ بعد أن أخذك ﴿عليك محبة مني﴾ لِتُحَبَّ في الناس، فأحبك فرعون، وكل من رآك ﴿ولتصنع على عيني﴾ تربَّى على رعايتي وحفظي لك.

٤٠﴿إذ﴾ للتعليل ﴿تمشي أختك﴾ مريم لتتعرف من خبرك، وقد أحضروا [لك] مراضع، وأنت لا تقبل ثدي واحد منها ﴿فتقول هل أدلكم على من يكفله﴾؟. فأجيبت، فجاءت بأمه، فقبل ثديها ﴿فرجعناك إلى أمك

ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ

(١) قوله: «حدثت من احتراقه بجمرة إلخ» هذا ما يتناقله المفسرون في بيان «العقدة» وسببها، وليس فيه شيء مرفوع إلى النبي ﷺ، بل هو مروي عن التابعي المشهور سعيد بن جبير، فقد أخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه في هذه الآية قال: عُجمة بجمرة نار أدخلها في فيه عن أمر امرأة فرعون تدرأ به عنه عقوبة فرعون حين همَّ بقتله، بعد أن أخذ بلحيته وهو لا يعقل، قائلة: إنه لا يعقل، فقدموا له طبقاً فيه جمر وتمر، فأخذ الجمرة فوضعها في فيه فاحترق لسانه. وروى هذه القصة أبو يعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وقيل: كان ذلك التعقد في لسانه، خلقة، فسأل ربَّه بإزالته، فآتاه الله سؤله، وعلى كل: فهي عقدة حلَّها الله تعالى كما أخبر، وكفى.

(٢) قوله: «بصيغتي الأمر والمضارع المجزوم»، فعلى القراءة بصيغة الأمر أي: الطلب يكون: «اشدد» بهمزة الوصل، و «أشركه» بفتح الهمزة المقطوعة، والفاعل فيهما ضمير المخاطب أي: يا ربِّ. وعلى القراءة بصيغة المضارع المجزوم يكون: «اشدُد» بقطع الهمزة مفتوحة، و «أُشركه» بضم الهمزة، والفاعل فيهما ضمير المتكلم، وعلى هذه القراءة هما جواب الطلب: «اجعل لي».

كي تقر عينها﴾ بلقائك ﴿ولا تحزن﴾ حينئذٍ ﴿وقتلت نفساً﴾ هو القبطي[1] بمصر، فاغتممت لقتله من جهة فرعون ﴿فنجيناك من الغم وفتناك فتوناً﴾ اختبرناك، في الإيقاع في غير ذلك، وخلصناك منه ﴿فلبثت سنين﴾ عشراً ﴿في أهل مدين﴾ بعد مجيئك إليها من مصر، عند[2] شعيب النبي، وتزوجك بابنته ﴿ثم جئت على قدر﴾ في علمي بالرسالة، وهو أربعون سنة من عمرك ﴿ياموسى﴾ [أي: جئت في الوقت الذي أردنا إرسالك فيه].

٤١ ﴿واصطنعتك﴾ اخترتك ﴿لنفسي﴾ بالرسالة.

٤٢ ﴿اذهب أنت وأخوك﴾ إلى الناس ﴿بآياتي﴾ التسع[3] ﴿ولا تنيا﴾ تفترا ﴿في ذكري﴾ بتسبيح وغيره.

سُورَةُ طه ٢٠

كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ

٤٣ ﴿اذهبا إلى فرعون إنه طغى﴾ بادعائه الربوبية.

٤٤ ﴿فقولا له قولاً ليناً﴾ في رجوعه عن ذلك، [أي: قولاً لا خشونة فيه] ﴿لعله يتذكر﴾ يتعظ ﴿أو يخشى﴾ الله، فيرجع [عن طغيانه وضلاله]، والترجي [بقوله: «لعله يتذكر»، هو] بالنسبة إليهما، لعلمه تعالى بأنه لا يرجع.

٤٥ ﴿قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا﴾ أي: يعجل بالعقوبة ﴿أو أن يطغى﴾ علينا، أي: يتكبر.

٤٦ ﴿قال لا تخافا إنني معكما﴾ بعوني ﴿أسمع﴾ ما يقول ﴿وأرى﴾ ما يفعل.

٤٧ ﴿فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل﴾ إلى الشام ﴿ولا تعذبهم﴾ أي: خلِّ عنهم، من استعمالك إياهم في أشغالك الشاقة، كالحفر والبناء وحمل الثقيل ﴿قد جئناك بآية﴾ بحجة ﴿من ربك﴾ على صدقنا بالرسالة ﴿والسلام على من اتبع الهدى﴾ أي: السلامة له من العذاب.

٤٨ ﴿إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب﴾ ما جئنا به ﴿وتولى﴾ أعرض عنه.

٤٩ فأتياه، وقالا له جميع ما ذُكر، [فأجابهما:] ﴿قال فمن ربكما يا موسى؟﴾ اقتصر عليه لأنه الأصل، ولإدلاله عليه بالتربية.

٥٠ ﴿قال ربنا الذي أعطى كل شيء﴾ من الخلق.

---

(١) قوله: «هو القبطي بمصر»، روى مسلم من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «وإنما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأً»، وسيأتي بتمامه ص ٥٠٨، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: قتل قبطياً كافراً.

(٢) هذا هو الشائع عند الكثيرين، وقيل: لم يكن شعيباً، بل هو رجل مؤمن من أهل «مدين» لأن شعيباً عليه السلام كان قبل موسى بزمن، وهو الصحيح.

(٣) قوله: «التسع»، هذا قول ابن عباس رضي الله عنهما، وقد بيناها في تعليقنا ص ٢٧٨، أو: هي آيات التوراة.

﴿خلقه﴾ الذي هو عليه، متميز به من غيره ﴿ثم هدى﴾ الحيوان منه، إلى مطعمه ومشربه ومنكحه وغير ذلك. ٥١﴿قال﴾ فرعون ﴿فما بال﴾ حال ﴿القرون﴾ الأمم ﴿الأولى﴾ كقوم نوح وهود ولوط وصالح، في عبادتهم الأوثان؟ ٥٢﴿قال﴾ موسى ﴿علمها﴾ أي: علم حالهم، محفوظ ﴿عند ربي في كتاب﴾ هو: اللوح المحفوظ، يجازيهم عليها يوم القيامة ﴿لا يضل﴾ يغيب ﴿ربي﴾ عن شيء ﴿ولا ينسى﴾ ربي شيئاً، [أي لا يذهب شيء عن علمه تعالى]. ٥٣ هو ﴿الذي جعل لكم﴾ في جملة الخلق ﴿الأرض مهاداً﴾ [بكسر الميم وفتح الهاء مع الألف، وفي قراءة: بفتح الميم وسكون الهاء بلا ألف، أي:] فراشاً [كالمهد للصبي] ﴿وسلك﴾ سهّل ﴿لكم فيها سبلاً﴾ طرقاً ﴿وأنزل من السماء ماء﴾ مطراً، قال تعالى تتميماً لما وصفه به موسى، وخطاباً لأهل مكة: ﴿فأخرجنا به أزواجاً﴾ أصنافاً ﴿من نبات شتى﴾ صفة «أزواجاً» أي: مختلفة الألوان والطعوم وغيرهما، و«شتى»: جمع «شتيت»، كـ«مريض» و«مرضى» من شتَّ الأمرُ [أي:] «تفرّق». ٥٤﴿كلوا﴾ منها ﴿وارعوا أنعامكم﴾ فيها، جمع «نَعَم»، وهي: الإبل والبقر والغنم، يقال: «رَعَت الأنعام، ورعيتها» والأمر للإباحة وتذكير النعمة، والجملة حال من ضمير «أخرجنا»، أي: مبيحين لكم الأكل ورعي الأنعام ﴿إن في ذلك﴾ المذكور هنا ﴿لآيات﴾ لَعِبَراً ﴿لأولي النهى﴾ لأصحاب العقول، جمع «نُهْيَة»، كـ«غُرْفَة» و«غُرَف»، سمي به العقل، لأنه ينهى صاحبه عن ارتكاب القبائح.

خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ * مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾

ربع الحزب

٥٥﴿منها﴾ أي: من الأرض ﴿خلقناكم﴾ بخلق أبيكم آدم منها ﴿وفيها نعيدكم﴾ مقبورين بعد الموت ﴿ومنها نخرجكم﴾ عند البعث ﴿تارة﴾ مرة ﴿أخرى﴾ كما أخرجناكم عند ابتداء خلقكم.

٥٦﴿ولقد أريناه﴾ أي: أبصرنا فرعون ﴿آياتنا كلها﴾ التسع [المبينة ص ٢٧٨] ﴿فكذب﴾ بها وزعم أنها سحر ﴿وأبى﴾ أن يوحد الله تعالى.

٥٧﴿قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا﴾ مصر، ويكون لك الملك فيها ﴿بسحرك يا موسى﴾؟.

٥٨﴿فلنأتينك بسحر مثله﴾ يعارضه ﴿فاجعل بيننا وبينك موعداً﴾ لذلك ﴿لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً﴾ منصوب بنزع الخافض: «في» ﴿سوى﴾ بكسر أوله وضمه، أي وسطاً تستوي إليه مسافة الجائي من الطرفين.

٥٩﴿قال﴾ موسى ﴿موعدكم يوم الزينة﴾ يوم عيد لهم، يتزينون فيه ويجتمعون ﴿وأن يحشر الناس﴾ يجمع أهل مصر ﴿ضحى﴾ [أي:] وقته، للنظر فيما يقع.

٦٠﴿فتولى فرعون﴾ أدبر [وانصرف] ﴿فجمع كيده﴾ أي: ذوي كيده من السحرة ﴿ثم أتى﴾ بهم الموعدَ.

٦١﴿قال لهم موسى﴾، وهم اثنان وسبعون، مع كل واحد حبل وعصا ﴿ويلكم﴾ أي: ألزمكم الله الويل ﴿لا تفتروا على الله كذباً﴾ بإشراك أحد معه ﴿فيسحتكم﴾ بضم الياء وكسر الحاء، [من الرباعي: «أسحت»]، وبفتحهما [من الثلاثي «سحت»]، أي: يهلككم ﴿بعذاب﴾ من عنده ﴿وقد خاب﴾ خسر ﴿من افترى﴾ كذب على الله. ٦٢﴿فتنازعوا أمرهم بينهم﴾ في موسى وأخيه ﴿وأسروا النجوى﴾ أي: الكلام بينهم فيهما. ٦٣﴿قالوا﴾ لأنفسهم ﴿إنّ هذين﴾ [بالياء اسم «إن»، وهي قراءة] لأبي عمرو، ولغيره[1]: «هذان» وهو موافق للغة مَنْ يأتي في المثنى بالألف في أحواله الثلاث، [وهي قبيلة «خَثْعَم»، فإنهم لا يقلبون ألف المثنى ياءً، في حالتي النصب والجرّ] ﴿لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى﴾ مؤنث «أمثل»، بمعنى: أشرف، أي: بأشرافكم، بميلهم إليهما لغلبتهما.

٦٤﴿فاجمَعوا كيدكم﴾ من السحر، بهمزة وصل وفتح الميم، من «جَمَع»، أي: لمَّ، وبهمزة قطع وكسر الميم، من «أجمَعَ»، [أي:] أحكَمَ ﴿ثم ائتوا صفاً﴾ حال، أي: مصطفين ﴿وقد أفلح﴾ فاز ﴿اليوم من استعلى﴾ غلب.

٦٥﴿قالوا يا موسى﴾ اختر ﴿إما أن تلقي﴾ عصاك أولاً ﴿وإما أن نكون أول من ألقى﴾ عصاه [وحبله].

٦٦﴿قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم﴾ أصله: «عُصُوو»، قلبت الواوان ياءين، وكسرت العين والصاد ﴿يخيل إليه من سحرهم أنها﴾ حيات ﴿تسعى﴾ على بطونها.

٦٧﴿فأوجس﴾ أحس ﴿في نفسه خيفة موسى﴾ أي: خاف، من جهة أن سحرهم من جنس معجزاته، أن يلتبس أمره على الناس، فلا يؤمنوا به. ٦٨﴿قلنا﴾ له ﴿لا تخف إنك أنت الأعلى﴾ عليهم بالغلبة.

٦٩﴿وألق ما في يمينك﴾ وهي: عصاه ﴿تلقف﴾ تبتلع ﴿ما صنعوا إنّ ما صنعوا كيد ساحر﴾ أي: جنسه [أي: مكر كل ساحر] ﴿ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾ بسحره، فألقى موسى عصاه، فتلقفت كل ما صنعوه. ٧٠﴿فألقي السحرة سجداً﴾ خروا ساجدين لله تعالى ﴿قالوا آمنا

قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا

(١) قوله: «ولغيره» أي: لغير أبي عمرو، وهو: ريان بن العلاء أحد القراء السبعة، توفي في قول الأكثرين سنة أربع وخمسين ومائة هجرية، ولقد أجمل المحلي في هذا القول، بيانه: أن فيها أربع قراءات سبعية: الأولى ذكرها المفسر: «إن هذين»، والثانية: «إنْ هذانّ» بتخفيف «إن» وتشديد نون «هذان»، والثالثة والرابعة: تخفيف نون «هذان» مع تشديد نون «إن» وتخفيفها. ارجع إلى تعليقنا حول «معنى السحر وحكمه» ص ٢١٠.

برب هارون وموسى﴾. ٧١﴿قال﴾ فرعون ﴿آمنتم﴾ بتحقيق الهمزتين [وبعدهما ألف ممدودة، أي: على الاستفهام]، وإبدال الثانية ألفاً [أي: بهمزة واحدة بعدها ألف، على لفظ الخبر الذي معناه الاستفهام] ﴿له قبل أن آذن﴾ أنا ﴿لكم إنه لكبيركم﴾ مُعَلِّمكم ﴿الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف﴾ حال بمعنى: مختلفة، أي: الأيدي اليمنى والأرجل اليسرى ﴿ولأصلبنكم في[1] جذوع النخل﴾ أي: عليها ﴿ولتعلمن أينا﴾ يعني نَفْسَهُ وربَّ موسى ﴿أشد عذاباً وأبقى﴾ أدوم على مخالفته.

٧٢﴿قالوا لن نؤثرك﴾ نختارك ﴿على ما جاءنا من البينات﴾ الدالة على صدق موسى ﴿والذي فطرنا﴾ خلقنا، قَسَمٌ، أو: عطف على «ما» ﴿فاقض ما أنت قاض﴾ أي: اصنع ما قلته ﴿إنما تقضي هذه الحياة الدنيا﴾ [وجاء] النصبُ، [أي: نَصْبُ «هذه»، المبدل منها: «الحياة الدنيا»]، على الاتساع [في اللغة، أي: نُصبت بنزع الخافض، خلافاً لما كَثُرَ واطّرد][2] أي: [قضاؤك] فيها [فقط]، وتُجْزَى عليه [العذاب الشديد] في الآخرة.

٧٣﴿إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا﴾ من الإشراك وغيره ﴿وما أكرهتنا عليه من السحر﴾ تعلماً وعملاً، لمعارضة موسى، [وهذا يدل على أنه جمعهم مكرهين] ﴿والله خير﴾ منك ثواباً، إذا أطيع ﴿وأبقى﴾ منك عذاباً، إذا عُصِي.

٧٤قال تعالى: ﴿إنه من يأت ربه مجرماً﴾ كافراً كفرعون ﴿فإن له جهنم لا يموت فيها﴾ فيستريح [من العذاب] ﴿ولا يحيى﴾ حياة تنفعه.

٧٥﴿ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات﴾ الفرائض والنوافل ﴿فأولئك لهم الدرجات العلى﴾ جمع «عُلْيا»، مؤنث «أعلى».

٧٦﴿جنات عدن﴾ أي: إقامة، بيان له، [أي: لقوله: «الدرجات العلى»] ﴿تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى﴾ تطهر من بالذنوب [بالتوبة].

بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾

---

(١) قوله تعالى: ﴿ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾، الصَّلب أفظع أنواع القتل، كان الجبابرة يقتلون به خصومهم ومعارضيهم لإرهاب الناس وإخضاعهم لسلطانهم، لذلك لا تجوز المعاقبة بالصلب إلا لقطاع الطرق المذكورين في قوله تعالى: ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يُقَتَّلوا أو يُصَلَّبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف﴾ الآية ٣٣ من سورة «المائدة» ص ١٤٢.

(٢) قولنا: «خلافاً لما كثر واطرد»، ذكر ابن هشام في كتابه «مغني اللبيب» أنه «يكثر ويطرد حذفُ الجارِّ مع «أنْ» و«أنَّ»، وجاء الحذف في غيرهما»، أي: قليلاً على سبيل الاتساع والتَّسَمُّح، كما قال الجلال المحلي رحمه الله.

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَـٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَـٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَـٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ * وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ

نصف الحزب

٧٧﴿ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي﴾ بهمزة قطع، من «أسرى»، وبهمزة وصل وكسر النون من «سَرَى» لغتان، أي: سر بهم ليلاً من أرض مصر ﴿فاضرب لهم﴾ اجعل لهم بعصاك ﴿طريقاً في البحر يبساً﴾ أي: يابساً، فامتثل ما أمر به، وأيبس الله الأرض، فمروا فيها ﴿لا تخاف دركاً﴾ أي: أن يدركك فرعون ﴿ولا تخشى﴾ غرقاً. ٧٨﴿فأتبعهم فرعون بجنوده﴾ وهو معهم ﴿فغشيهم من اليم﴾ أي: البحر ﴿ما غشيهم﴾ فأغرقهم. ٧٩﴿وأضل فرعون قومه﴾ بدعائهم إلى عبادته ﴿وما هدى﴾ بل أوقعهم في الهلاك، خلاف قوله: «وما أهديكم إلَّا سبيل الرشاد». ٨٠﴿يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم﴾ فرعون بإغراقه ﴿وواعدناكم جانب الطور الأيمن﴾ فنؤتي موسى التوراة للعمل بها ﴿ونزلنا عليكم المن والسلوى﴾ هما: «التُّرُنْجَبِين»، [وهو شيء أبيض حلو، كان ينزل عليهم في التِّيه]، و «الطير السُّمانَى» بتخفيف الميم والقصر، والمنادى، [قيل: هم من كان في عهد موسى، وقيل: بل] مَنْ وُجد من اليهود زمن النبي ﷺ، وخوطبوا بما أنعم الله به على أجدادهم زمن النبي موسى، توطئة لقوله تعالى لهم: ٨١﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ أي: المنعَم به عليكم ﴿ولا تطغوا فيه﴾ بأن تكفروا النعمة به ﴿فيحل عليكم غضبي﴾ بكسر الحاء، أي: يجب، وبضمها، أي: ينزل ﴿ومن يحلل عليه غضبي﴾ بكسر اللام وضمها ﴿فقد هوى﴾ سقط في النار. ٨٢﴿وإني لغفار لمن تاب﴾ من الشرك ﴿وآمن﴾ وحَّد الله ﴿وعمل صالحاً﴾ يَصْدُقُ بالفرض والنفل، [أي: أن العمل الصالح، يشمل الفرضَ والنفلَ] ﴿ثم اهتدى﴾ باستمراره على ما ذكر إلى موته. ٨٣﴿وما أعجلك عن قومك﴾ لمجيء ميعاد أخذ التوراة ﴿يا موسى﴾؟ [أي: أيُّ شيء جعلك متعجلاً عن قومك، وسابقاً لهم؟]. ٨٤﴿قال هم أولاء﴾ أي: بالقرب مني يأتون ﴿على أثري وعجلت إليك رب لترضى﴾ عني، أي: زيادة على رضاك، وقَبْلَ الجواب، أتى بالاعتذار [عن سبقه لقومه]، بحسب ظنه. ٨٥ وتَخَلَّفَ المظنونُ، [وظهر له أنهم ليسوا على أثره] لَمَّا ﴿قال﴾ تعالى [له، مخبراً عما حدث لقومه بعده] ﴿فإنا قد فتنا قومك من بعدك﴾ أي: بعد فراقك لهم ﴿وأضلهم السامري﴾[1] فعبدوا العجل. ٨٦﴿فرجع موسى إلى قومه

(١) قوله تعالى: ﴿وأضلهم السامري﴾، اختلفوا في اسمه وأصل نسبته هذه، وليس لقولٍ منها دليل، فقيل: اسمه موسى، وقيل: هارون، قال ابن كثير: كان السامري من بني إسرائيل، وقيل: من القبط، وقال ابن الأثير: كان من أهل «باجَرْمَى» ــ بفتح الجيم وسكون الراء ثم ميم مفتوحة، آخره ألف مقصورة ــ وهي قرية قرب «الرقّة» من أرض الجزيرة في سورية اليوم، أما نسبته فليست إلى «السامرة» بل إلى كلمة «شامر» بالشين، وهي في اللغة العبرية تعني «الحارس»، ونطقها بالعبرية: «شومير»، وهذا أقرب الأقوال.

غضبان﴾ من جهتهم ﴿أسفاً﴾ شديد الحزن ﴿قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً﴾ أي: صدقاً، أنه يعطيكم التوراة؟ ﴿أفطال عليكم العهد﴾ مدة مفارقتي إياكم ﴿أم أردتم أن يحل﴾ [بكسر الحاء باتفاق القراء، ولم يُقرأ هنا بضمها، أي:] يجب ﴿عليكم غضب من ربكم﴾ بعبادتكم العجل ﴿فأخلفتم موعدي﴾ وتركتم المجيء بعدي؟

٨٧﴿قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا﴾ مثلث الميم، [أي: بضمها وفتحها وكسرها، وكلها قراءات سبعية]، أي: بقدرتنا، أو: [أمْرنا، ولكن أخلفنا بسبب خطيئتنا] ﴿ولكنا حَمَلنا﴾ بفتح الحاء مخففاً، وبضمها وكسر الميم مشدداً ﴿أوزاراً﴾ أثقالاً ﴿من زينة القوم﴾ أي: حليِّ قوم فرعون، استعارها[1] منهم بنو إسرائيل بعلة عرس، فبقيت عندهم ﴿فقذفناها﴾ طرحناها في النار، بأمر السامري ﴿فكذلك﴾ كما ألقينا ﴿ألقى السامري﴾ ما معه من حليهم، ومن التراب الذي أخذه من أثر حافر فرس جبريل على الوجه الآتي: ٨٨﴿فأخرج لهم عجلاً﴾ صاغه من الحلي ﴿جسداً﴾ [قيل:] لحماً ودماً [قاله الحسن البصري وقتادة، وقيل غير ذلك، كما سيأتي[2]] ﴿له خوار﴾ أي: صوت يسمع، أي: انقلب كذلك، بسبب التراب الذي [أخذه من أثر الرسول جبريل، و] أثَرُهُ: الحياة فيما يوضَعُ فيه، ووضَعَهُ بعد صوغه في فمه ﴿فقالوا﴾ أي: السامريُّ وأتباعه ﴿هذا إلهكم وإله موسى فنسي﴾ موسى ربه هنا، وذهب يطلبه، [هذا قول ابن عباس، وبه قال مجاهد].

غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ

٨٩ قال تعالى: ﴿أفلا يرون أ﴾ ن مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف، أي: أنه ﴿لا يرجع﴾ [أي:] العجل ﴿إليهم قولاً﴾ أي: لا يرد لهم جواباً؟ ﴿ولا يملك لهم ضراً﴾ أي: دفعه ﴿ولا نفعاً﴾ أي: جَلْبَهُ، أي: فكيف يتخذ إلهاً؟

٩٠﴿ولقد قال لهم هارون من قبل﴾ أي: قبل أن يرجع موسى ﴿يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني﴾ في عبادته ﴿وأطيعوا أمري﴾ فيها.

٩١﴿قالوا لن نبرح﴾ نزال ﴿عليه عاكفين﴾ على عبادته، مقيمين ﴿حتى يرجع إلينا موسى﴾.

٩٢﴿قال﴾ موسى بعد رجوعه ﴿يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا﴾ بعبادته.

٩٣﴿أ﴾ ن ﴿لا تتبعن﴾ «لا» زائدة ﴿أفعصيت أمري﴾ بإقامتك بين من يعبد غير الله تعالى؟.

٩٤﴿قال﴾ هارون ﴿يا ابن أمّ﴾ بكسر الميم وفتحها، أراد: أمي، وذِكْرُها أعطف لقلبه ﴿لا تأخذ

---

(١) الصحيح: أن الحلي هي لبني إسرائيل، لا لقوم فرعون، كما أشرنا في تفسير الآية «١٤٨» من سورة «الأعراف» ص ٢١٥.

(٢) قولنا: «كما سيأتي» أي: بيان معنى «جسداً» وما فيه من أقوال، وذلك في تعليقنا ص ٤١٥ التالية.

بلحيتي﴾ وكان أخذها بشماله ﴿ولا برأسي﴾[1] وكان أخذ شعره بيمينه غضباً، [وجره إليه] ﴿إني خشيت﴾ ولو اتبعتك، ولا بد أن يتبعني جمع ممن لم يعبدوا العجل ﴿أن تقول فرقت بين بني إسرائيل﴾ وتغضب علي ﴿ولم ترقب﴾ تنتظر ﴿قولي﴾ فيما رأيته، [فقبل عذره. ٩٥ ثم سأل السامريَّ عما فعله] ﴿قال فما خطبك﴾ شأنك، الداعي إلى ما صنعت ﴿يا سامري﴾؟. ٩٦ ﴿قال بصرت بما لم يبصروا به﴾ بالياء والتاء، أي: علمت بما لم يعلموه ﴿فقبضت قبضة من﴾ تراب ﴿أثر﴾ حافر فرس ﴿الرسول﴾ جبريل ﴿فنبذتها﴾ ألقيتها في صورة العجل المصاغ[2] ﴿وكذلك سولت﴾ زينت ﴿لي نفسي﴾ أُلقِيَ فيها، [أي: في نفسي]، أن آخذ قبضة من تراب ما ذكر، وألقيها على ما لا روح له، [فبذلك] يصير له روح، ورأيتُ قومك طلبوا منك أن تجعل لهم إلَهاً، فحدثتني نفسي أن يكون ذلك العجل إلههم. ٩٧ ﴿قال﴾ له موسى ﴿فاذهب﴾ من بيننا ﴿فإن لك في الحياة﴾ أي: مدة حياتك ﴿أن تقول﴾ لمن رأيته ﴿لا مساس﴾ أي: لا تقربني، فكان يهيم في البرية، وإذا مسَّ أحداً، أو مسه أحد، حُمَّا جميعاً ﴿وإن لك موعداً﴾ لعذابك ﴿لن تخلفه﴾ بكسر اللام، أي: لن تغيب عنه، وبفتحها، أي: بل تبعث إليه ﴿وانظر إلى إلَهك الذي ظلت﴾ أصله «ظَلِلْتَ» بلامين، أولاهما مكسورة حذفت تخفيفاً، أي: دمت ﴿عليه عاكفاً﴾ أي: مقيماً تعبده ﴿لنحرقنه﴾ بالنار ﴿ثم لننسفنه في اليم نسفاً﴾ نَذْرينه في هواء البحر، وفعل موسى[3] بعد ذبحه ما ذكره. ٩٨ ﴿إنما إلَهكم الله الذي لا إلَه إلاَّ هو وسع كل شيء علماً﴾ تمييز محول عن الفاعل، أي: وسع علمُهُ كلَّ شيء. ٩٩ ﴿كذلك﴾ أي: كما قصصنا عليك يا محمد هذه القصة ﴿نقص عليك من أنباء﴾ أخبار ﴿ما قد سبق﴾ من الأمم ﴿وقد آتيناك﴾ أعطيناك ﴿من لدنا﴾ من عندنا ﴿ذكراً﴾ قرآناً. ١٠٠ ﴿من أعرض عنه﴾ فلم يؤمن به ﴿فإنه يحمل يوم القيامة وزراً﴾ حملاً ثقيلاً من الإثم. ١٠١ ﴿خالدين فيه﴾ أي: في عذاب الوزر ﴿وساء لهم يوم القيامة حملاً﴾ تمييز مفسر للضمير في «ساء» والمخصوص بالذم محذوفٌ تقديره: «وزرهم»، واللام للبيان، ويُبدل من «يَوْمَ القيامة»:

١٠٢ ﴿يوم ينفخ في الصور﴾ القَرْن، النفخة الثانية

بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطۡبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذۡتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا ﴿٩٨﴾ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ مَا قَدۡ سَبَقَۚ وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكۡرٗا ﴿٩٩﴾ مَّنۡ أَعۡرَضَ عَنۡهُ فَإِنَّهُۥ يَحۡمِلُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وِزۡرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِۖ وَسَآءَ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا ﴿١٠١﴾ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ

(١) قوله تعالى حكاية عن هارون عليه السلام: ﴿لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي﴾، ارجع إلى تعليقنا حول معنى ذلك ص ٢١٦.

(٢) قوله: «المصاغ»، هو هكذا في المخطوطات وبعض الطبعات، وهذا سبق قلم، صوابه: «المصوغ» لأنه من «صاغ» الثلاثي، ومن باب «قال».

(٣) قوله: «فعل موسى بعد ذبحه ما ذكره»، الذبح قبل الحرق مروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أي: إن العجل الذي صاغه السامري تحول بسبب أثر الرسول عجلاً حياً من لحم ودم يخور، هذا ما أخذ به الجلال المحلي هنا، وهو قول الحسن البصري وقتادة السّدوسي، وقال مجاهد بن جبر: بل كانت الريح إذا دخلت من دُبُره، خرجت من فمه فيخور كما تخور البقرة، فيرقصون حوله ويفرحون، أي: لم يصر حياً، وقيل: عندما ألقى السامري القبضة من أثر الرسول، على العجل المصوغ خار مرة واحدة كما يخور العجل الحقيقي. =

﴿ونحشر المجرمين﴾ الكافرين ﴿يومئذٍ زرقاً﴾ عيونهم، مع سواد وجوههم. ١٠٣﴿يتخافتون بينهم﴾ يتسارُّون ﴿إن﴾ ما ﴿لبثتم﴾ في الدنيا ﴿إلاَّ عشراً﴾ من الليالي بأيامها. ١٠٤﴿نحن أعلم بما يقولون﴾ في ذلك، أي: ليس كما قالوا ﴿إذ يقول أمثلهم﴾ أعدلهم ﴿طريقة﴾ فيه ﴿إن لبثتم إلاَّ يوماً﴾ يستقلون لبثهم في الدنيا جداً، لما يعاينونه في الآخرة من أهوالها.

١٠٥﴿ويسألونك عن الجبال﴾ كيف تكون يوم القيامة؟ ﴿فقل﴾ لهم ﴿ينسفها ربي نسفاً﴾ بأن يفتتها كالرمل السائل، ثم يطيرها كالريح. ١٠٦﴿فيذرها قاعاً﴾ منبسطاً ﴿صفصفاً﴾ مستوياً. ١٠٧﴿لا ترى فيها عوجاً﴾ انخفاضاً ﴿ولا أمتاً﴾ ارتفاعاً [و «الأمْتُ» هو: المكان المرتفع]. ١٠٨﴿يومئذٍ﴾ أي: يوم إذ نُسفت الجبال ﴿يتَّبعون﴾ أي: الناسُ، بعد القيام من القبور ﴿الداعي﴾ إلى «المحشر»، بصوته، وهو إسرافيل، يقول: «هَلُمُّوا إلى عَرْض الرحمن» ﴿لا عوج له﴾ أي: لاتِّباعهم، أي: لا يقدرون أن لا يتبعوا ﴿وخشعت﴾ سكنت ﴿الأصوات للرحمن فلا تسمع إلاَّ همساً﴾ [هو:] صوت وطء الأقدام في نقلها إلى المحشر، كصوت أخفاف الإبل في مشيها، [أو هو: همس الشِّفاه قال الشاعر: وهنَّ يمشينَ بنا هَميساً، «فالهمس» هو: الصوت الخفي].

١٠٩﴿يومئذٍ لا تنفع الشفاعة﴾ أحداً ﴿إلاَّ من أذن له الرحمن﴾ أن يشفع له ﴿ورضي له قولاً﴾ بأن يقول: لا إلّه إلاَّ الله، [محمد رسول الله]. ١١٠﴿يعلم ما بين أيديهم﴾ من أمور الآخرة ﴿وما خلفهم﴾ من أمور الدنيا ﴿ولا يحيطون به علماً﴾ لا يعلمون ذلك.

١١١﴿وعنت الوجوه﴾ خضعت ﴿للحي القيوم﴾ أي: الله ﴿وقد خاب﴾ خسر ﴿من حمل ظلماً﴾: أي: شركاً.

١١٢﴿ومن يعمل من الصالحات﴾ الطاعات ﴿وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً﴾ بزيادة في سيئاته ﴿ولا هضماً﴾ بنقص من حسناته.

وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ * وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾

= هذا أهم ما قيل في عجل السامري، ولكنَّ الظاهر من التعبير بلفظ «الجسد» ـ حيث لا شيء من تلك الأقوال مرفوع إلى النبي ﷺ ـ أنه لم يصر عجلاً حياً، بل ظل جماداً على نحو ما قاله مجاهد، يؤيده قوله تعالى: ﴿ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب﴾ والجسد كان ولده الميت كما بينا ص ٦٠١، ويعزِّزه أيضاً رواية عيسى بن وَرْدان، عن أبي جعفر يزيد بن القعقاع، أحد القراء العشرة، الذي قرأ: «لَنَحْرُقَنَّهُ»، بفتح النون وسكون الحاء وضم الراء مخففة، من «حرَقْتُ الشيءَ أحْرُقُهُ حَرْقاً» إذا بردتَهُ وحككت بعضه ببعض، ويقال للمِبْرَدِ: المِحْرَق، فيكون المعنى على هذه القراءة: لنَبْرُدَنَّه بالمبارد، وعلى القراءتين الأخريين: من الحرق بالنار، ويمكن الجمع بين المعنيين بأن موسى عليه السلام: حرَّق عجل الذهب بالنار حتى ذاب، ثم بَرَدَهُ بالمبارد، ثم نفضه في مهب الريح، لتذروه فوق البحر، مبالغة في إهانته، ولبيان كذب السامري في قوله: هذا إلّهكم وإلّه موسى.

١١٣ ﴿وكذلك﴾ معطوف على «كذلك نقص»، أي: مثل إنزال ما ذكر ﴿أنزلناه﴾ أي: القرآن ﴿قرآناً عربياً وصرفنا﴾ كررنا، [أو: بيَّنَّا] ﴿فيه من الوعيد لعلهم يتقون﴾ الشرك ﴿أو يحدث﴾ القرآن ﴿لهم ذكراً﴾ [أي: موعظة]، بهلاك من تقدمهم من الأمم، فيعتبرون. ١١٤ ﴿فتعالى الله الملك الحق﴾ عما يقول المشركون ﴿ولا تعجل بالقرآن﴾ أي: بقراءته ﴿من قبل أن يقضى إليك وحيه﴾ أي: يفرغ جبريل من إبلاغه، [وكان ﷺ، يُتعب نفسه في حفظه، مخافةَ أن يصعد جبريل ولم يحفظه] ﴿وقل رب زدني علماً﴾ أي: بالقرآن، فكلما أنزل عليه شيء منه، زاد به علمه. ١١٥ ﴿ولقد عهدنا إلى آدم﴾[1] وصيناه أن لا يأكل من الشجرة ﴿من قبل﴾ أي: قبل أكله منها ﴿فنسي﴾ ترك عهدنا ﴿ولم نجد له عزماً﴾ حزماً وصبراً عما نهيناه عنه. ١١٦ ﴿و﴾ اذكر ﴿إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلَّا إبليس﴾ وهو [أبو الشياطين، وواحد من الجن، على الصحيح، لقوله تعالى: «كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو» وقيل:] أبو الجن، كان يصحب الملائكة، ويعبد الله معهم ﴿أبى﴾ عن السجود لآدم فقال: «أنا خير منه». ١١٧ ﴿فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك﴾ «حواء»، بالمد ﴿فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾ تتعب، بالحرث والزرع والحصد والطحن والخبز، وغير ذلك، واقتصر على شقائه، لأن الرجل يسعى على زوجته. ١١٨ ﴿إن لك أ﴾ ن ﴿لا تجوع فيها ولا تعرى﴾. ١١٩ ﴿وأنك﴾ بفتح الهمزة، وكسرها، عطف على اسم «إن» وجملتها ﴿لا تظمأ فيها﴾ تعطش ﴿ولا تضحى﴾ لا يحصل لك حر شمس الضحى، لانتفاء الشمس في الجنة. ١٢٠ ﴿فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد﴾ أي: التي يخلد من يأكل منها ﴿وملك لا يبلى﴾ لا يفنى؟ وهو لازم «الخلد»، [فدلهما على الشجرة التي نُهيا عنها].

١٢١ ﴿فأكلا﴾ أي: آدم وحواء ﴿منها فبدت لهما سوآتهما﴾ أي: ظهر لكل منهما قُبُله، وقُبُلُ الآخرِ ودُبُرُه، وسمي كل منهما «سَوأة»، لأن انكشافه يسوء صاحبه ﴿وطفقا يخصفان﴾ أخذا يلزقان ﴿عليهما

سُورَةُ طه ٢٠

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا

(١) قوله تعالى: ﴿ولقد عهدنا إلى آدم﴾ الآيات، هنا مسألتان مهمتان: الأولى: من هو آدم؟ والثانية: أكله من الشجرة، وفي بيانهما نقول: أولاً: خلق الله تعالى أول إنسان خلقاً سوياً قويماً في أحسن صورة وسماه «آدم»، خلقه من تراب، ثم سواه ونفخ فيه الروح التي خلقها له، فانبعث حياً عاقلاً يتكلم ويدرك الأشياء، ثم علمه الأسماء كلها، وألهمه معرفة الأعمال والمهن، ومن آدم خلق الله تعالى «حواء»، زوجة له وأماً لأولاده، ومنهما تناسل البشر من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، قال تعالى: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء. .﴾ الآية، وأخرج البخاري ومسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً»، وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة أيضاً مرفوعاً: «كان طول آدم ستين ذراعاً في سبعة أذرع عرضاً». ثانياً: لا خلاف بين العلماء في أن أكل آدم عليه السلام من الشجرة، ليس من كبائر الذنوب، ولا من صغائرها ذات الخسّة والحقارة، وللعلماء في هذا الشأن أقوال، أهمها قول أبي بكر بن فُورك الأصبهاني وجماعة من العلماء: إن ذلك كان من آدم قبل النبوة، ودليلهم قوله تعالى: ﴿وعصى آدم ربه =

﴿من ورق الجنة﴾ ليستترا به ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾ [أي: فسد عليه عيشه في الجنة]، بالأكل من الشجرة. ١٢٢﴿ثم اجتباه ربه﴾ قَرَّبَهُ ﴿فتاب عليه﴾ قبل توبته ﴿وهدى﴾ أي: هداه إلى المداومة على التوبة. ١٢٣﴿قال اهبطا﴾ أي: آدم وحواء، بما اشْتَمَلْتُمَا عليه من ذريتكما ﴿منها﴾ من الجنة ﴿جميعاً بعضكم﴾ بعض الذرية ﴿لبعض عدو﴾ من ظلم بعضهم بعضاً ﴿فإما﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» المزيدة ﴿يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي﴾ أي: القرآن ﴿فلا يضل﴾ في الدنيا ﴿ولا يشقى﴾ في الآخرة. ١٢٤﴿ومن أعرض عن ذكري﴾ أي: القرآن، فلم يؤمن به ﴿فإن له معيشة ضنكاً﴾ بالتنوين، مصدر بمعنى: ضيقة، وفُسِّرتْ في حديث: بعذاب الكافر في قبره، [أخرجه عبد الرزاق، والحاكم وصحَّحه، والبيهقي وغيرهم مرفوعاً] ﴿ونحشره﴾ أي: المُعْرِضَ عن القرآن ﴿يوم القيامة أعمى﴾ أي: أعمى البصر. ١٢٥﴿قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً﴾ في الدنيا، وعند البعث؟ ١٢٦﴿قال﴾ الأمر ﴿كذلك أتتك آياتنا فنسيتها﴾ تركتها، ولم تؤمن بها ﴿وكذلك﴾ مثل نسيانك آياتنا ﴿اليوم تنسى﴾ تُتْرَكُ في النار. ١٢٧﴿وكذلك﴾ ومثل جزائنا مَنْ أعرض عن القرآن ﴿نجزي من أسرف﴾ أشرك ﴿ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد﴾ من عذاب الدنيا وعذاب القبر ﴿وأبقى﴾ أدوم. ١٢٨﴿أفلم يهد﴾ يتبين ﴿لهم﴾ لكفار مكة ﴿كم﴾ خبرية مفعول ﴿أهلكنا﴾ أي: كثيراً إهلاكنا ﴿قبلهم من القرون﴾ أي: الأمم الماضية، بتكذيب الرسل ﴿يمشون﴾ حال من ضمير «لهم» ﴿في مساكنهم﴾ في سفرهم إلى الشام وغيرها، فيعتبروا؟ وما ذُكِرَ [في تفسير «كم أهلكنا»] مِنْ أَخْذِ [المصدر]: «إهلاك»، من فعله [«أهلكنا»]، الخالي عن حرف مصدري، لرعاية المعنى، لا مانع منه [لغةً] ﴿إن في ذلك لآيات﴾ لَعِبَراً ﴿لأولي النهى﴾ لذوي العقول. ١٢٩﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ بتأخير العذاب عنهم إلى الآخرة ﴿لكان﴾ الإهلاك ﴿لزاماً﴾ لازماً لهم في الدنيا ﴿وأجل

مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ

= فغوى * ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾ فذكر أن الاجتباء والهدى كانا بعد العصيان، ورجَّح هذا القول الرازي، ومال إليه القرطبي. وقال آخرون: إن الأكل من الشجرة كان بعد النبوة، وهي مخالفة لا تقدح في نبوته عليه السلام، لأنها من الصغائر التي لا خِسة ولا دناءة فيها، فلا تندرج في باب ما عصم عنه الأنبياء. وهذا قول كثير من العلماء كالطبري، وهو الموافق للنصوص، وبناء على هذا القول، فإن جواز مثل ذلك على الأنبياء، هو لأجل التنبيه إلى أنهم بشر، وأن النبوة لم تُخرجهم من بشريتهم ولكنهم لا يُقَرُّون على شيء من ذلك، بل يُنبهون فوراً فيتوبون قبل أن يقتدي بهم أحد.

ولقد غالى بعض الناس في تفسير هذه المخالفة، كالنصارى الذين اعتبروها خطيئة كبرى، وبنوا على ذلك عقيدتهم الباطلة في الفداء، أي: في زعمهم صلب المسيح لتخليص البشر من خطيئة أبيهم آدم عليه السلام، وبالمقابل زعم البعض: أن آدم كان منهياً عن الأكل ظاهراً ومأموراً بذلك باطناً، وهذا أيضاً خطأ لا وجه له، والصحيح هو ما ذكرناه، والله أعلم. ارجع إلى تعليقنا حول «حواء» ص ٥٣٣.

مسمى﴾ مضروب لهم، [قيل: هو] معطوف على الضمير المستتر في «كان»، وقام الفصل [بين كان واسمها] بخبرها مقامَ التأكيد [أو: هو معطوف على «كلمة»، أي: ولولا كلمةٌ وأجلٌ مسمى، لكن العذاب لازماً].

١٣٠﴿فاصبر على ما يقولون﴾ منسوخ بآية القتال ﴿وسبح﴾ صَلِّ [الصلوات الخمس] ﴿بحمد ربك﴾ حال، أي: متلبساً به ﴿قبل طلوع الشمس﴾ صلاة الصبح ﴿وقبل غروبها﴾ صلاة العصر ﴿ومن آناىء الليل﴾ ساعاته ﴿فسبح﴾ صلِّ المغرب والعشاء ﴿وأطراف النهار﴾ عطف على محل «من آناء» المنصوب، أي: صَلِّ الظهر، لأن وقتها يدخل بزوال الشمس [عن وسط السماء]، فهو: طَرَفُ النصف الأول، وطرف النصف الثاني ﴿لعلك ترضى﴾ بما تُعطَى من الثواب.

مُسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ ءَانَاىِٕ الَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ الصِّرَٰطِ السَّوِىِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

١٣١﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به﴾ [من مُتَع الحياة الدنيا وزينتها] ﴿أزواجاً﴾ أصنافاً [وجماعات] ﴿منهم﴾ [أي: من الناس] ﴿زهرة الحياة الدنيا﴾ زينتها وبهجتها، [ونُصِبَ قوله: «زهرةً» على الحال] ﴿لنفتنهم﴾ [لنبتليهم ونختبرهم] ﴿فيه﴾ بأن يطغوا ﴿ورزق ربك﴾ في الجنة ﴿خير﴾ مما أوتوه في الدنيا ﴿وأبقى﴾ أدوم، [أي: لا تجعل يا محمد لزهرة الدنيا وزناً، فإنه لا بقاء لها، والمقصود بالخطاب أمته ﷺ].

١٣٢﴿وأمر أهلك﴾ [أي: أهل بيتك، من زوجة وولد وغيرهم] ﴿بالصلاة واصطبر﴾ اصبر ﴿عليها﴾ [أي: امتثلها معهم، وحافظ عليها] ﴿لا نسألك﴾ نكلفك ﴿رزقاً﴾ لنفسك ولا لغيرك ﴿نحن نرزقك والعاقبة﴾ الجنة ﴿للتقوى﴾ لأهلها.

١٣٣﴿وقالوا﴾ أي: المشركون ﴿لولا﴾ هلاَّ ﴿يأتينا﴾ محمد ﴿بآية من ربه﴾ مما يقترحونه؟ ﴿أو لم تأتهم﴾ بالتاء والياء ﴿بينة﴾ بيان ﴿ما في الصحف الأولى﴾ المشتمل عليه القرآن، من أنباء الأمم الماضية وإهلاكهم بتكذيب الرسل.

١٣٤﴿ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله﴾ قبل محمد الرسول ﴿لقالوا﴾ يوم القيامة ﴿ربنا لولا﴾ هلاَّ ﴿أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك﴾ المرسل بها ﴿من قبل أن نذل﴾ في القيامة ﴿ونخزى﴾ في جهنم؟

١٣٥﴿قل﴾ لهم ﴿كل﴾ منا ومنكم ﴿متربص﴾ منتظر ما يؤول إليه الأمر ﴿فتربصوا فستعلمون﴾ في القيامة ﴿من أصحاب الصراط﴾ الطريق ﴿السوي﴾ المستقيم ﴿ومن اهتدى﴾ من الضلالة، أنحن أم أنتم؟

﴿سُورَةُ الأَنبِيَاءِ﴾

(مكية، وهي: مائة وإحدى، أو اثنتا عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿اقترب﴾ قرب ﴿للناس﴾ أي: أهل مكة منكري البعث، [وغيرهم من أمثالهم] ﴿حسابهم﴾ يوم القيامة ﴿وهم في غفلة﴾ عنه ﴿معرضون﴾ عن التأهب له بالإيمان. ٢ ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾ [أي: منزَّل] شيئاً فشيئاً، أي: لفظ قرآن ﴿إلا استمعوه وهم يلعبون﴾ يستهزئون. ٣ ﴿لاهية﴾[1] غافلة ﴿قلوبهم﴾ عن معناه ﴿وأسروا النجوى﴾ أي: الكلام ﴿الذين ظلموا﴾ بدل من واو «وأسروا النجوى»، [يقول بعضهم لبعض]: ﴿هل هذا﴾ أي: محمد ﴿إلا بشر مثلكم؟﴾ [وها أنتم عاجزون عن الإتيان بمثل ما جاء به من القرآن،] فما يأتي به سحر ﴿أفتأتون﴾[2] ﴿السحر﴾ تتبعونه ﴿وأنتم تبصرون﴾ تعلمون أنه سحر؟ ٤ ﴿قل﴾ لهم، [وفي قراءة: «قال»] ﴿ربي يعلم القول﴾ كائناً ﴿في السماء والأرض وهو السميع﴾ لما أَسَرُّوه ﴿العليم﴾ به. ٥ ﴿بل﴾ للانتقال من غرض إلى آخر، في المواضع الثلاثة ﴿قالوا﴾ فيما أتى به من القرآن: هو ﴿أضغاث[3] أحلام﴾ أخلاطٌ رآها في النوم ﴿بل افتراه﴾ اختلقه ﴿بل هو شاعر﴾ فما أتى به شعر ﴿فليأتنا بآية كما أرسل الأولون﴾ كالناقة والعصا واليد. ٦ قال تعالى: ﴿ما آمنت قبلهم من قرية﴾ أي: أهلها ﴿أهلكناها﴾ بتكذيبها ما أتاها من الآيات ﴿أفهم يؤمنون﴾؟ لا.

(٢١) سُورَةُ الأَنبِيَاءِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا اثْنَتَا عَشْرَةَ وَمِائَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾

(١) قوله سبحانه: ﴿لاهية قلوبهم﴾، لقد أسند الله تعالى اللهو والغفلة إلى القلوب، إشارة إلى أهمية القلب، كما بيَّن أن العمى المهلك ليس عمى البصر، ولكنه عمى البصيرة، قال تعالى: ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ وهذه القلوب هي: المريضة، المنكرة، الجاحدة، القاسية، الفاسدة، إنها قلوب الكافرين والزنادقة، أما المؤمنون فإن قلوبهم خاشعة، صالحة، ليِّنة، طاهرة، ففي حديث الشيخين، عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قوله ﷺ: «ألا وإن في الجسد مُضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب».

(٢) قوله تعالى: ﴿أفتأتون السحر﴾، ارجع إلى تعليقنا حول «السحر» ص ٢١٠.

(٣) قوله تعالى: ﴿أضغاث أحلام﴾، «الأضغاث» جمع: «ضغث» وهي في اللغة: القبضة من الحشيش مختلطة الرطب باليابس، ومنه قوله تعالى لأيوب عليه السلام: ﴿وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث﴾. ارجع إلى تعليقنا حول «الرؤيا والحُلم» ص ٢٧٦.

﴿وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً يوحى﴾ [بالياء وفتح الحاء]، وفي قراءة: بالنون وكسر الحاء ﴿إليهم﴾ لا ملائكة ﴿فاسألوا أهل الذكر﴾ العلماء بالتوراة والإنجيل ﴿إن كنتم لا تعلمون﴾ ذلك، فإنهم يعلمونه، وأنتم إلى تصديقهم، أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد [صلى الله عليه وسلم].

٨﴿وما جعلناهم﴾ أي: الرسل ﴿جسداً﴾ بمعنى: أجساداً [لا روح فيها] ﴿لا يأكلون الطعام﴾ بل يأكلونه ﴿وما كانوا خالدين﴾ في الدنيا.

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ ٱلۡوَعۡدَ فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٠﴾ وَكَمۡ قَصَمۡنَا مِن قَرۡيَةٖ كَانَتۡ ظَالِمَةٗ وَأَنشَأۡنَا بَعۡدَهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأۡسَنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا يَرۡكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرۡكُضُواْ وَٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلۡكَ دَعۡوَىٰهُمۡ حَتَّىٰ جَعَلۡنَٰهُمۡ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ

٩﴿ثم صدقناهم الوعد﴾ بإنجائهم ﴿فأنجيناهم ومن نشاء﴾ أي: المصدقين لهم ﴿وأهلكنا المسرفين﴾ المكذبين لهم.

١٠﴿لقد أنزلنا إليكم﴾ يا معشر قريش ﴿كتاباً فيه ذكركم﴾ [أي: هو شرف لكم]، لأنه بلغتكم [كما قال تعالى: «وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تُسألون»] ﴿أفلا تعقلون﴾ فتؤمنون به؟.

١١﴿وكم قصمنا﴾ أهلكنا ﴿من قرية﴾ أي: أهلها ﴿كانت ظالمة﴾ كافرة ﴿وأنشأنا بعدها قوماً آخرين﴾ [أي: فعلنا ذلك بكثير من تلك القرى].

١٢﴿فلما أحسوا بأسنا﴾ أي: شعر أهل القرية بالإهلاك ﴿إذا هم منها يركضون﴾ يهربون مسرعين، [طلباً للنجاة، وكانت تلك عادة الكافرين، إذا شعروا بدنو العذاب]، فقالت لهم الملائكة استهزاءً:

١٣ ﴿لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم﴾ نُعِّمْتُمْ ﴿فيه و﴾ [إلى] ﴿مساكنكم لعلكم تسألون﴾ شيئاً من دنياكم، على العادة.

١٤﴿قالوا يا﴾ للتنبيه ﴿ويلنا﴾ هلاكنا ﴿إنا كنا ظالمين﴾ بالكفر.

١٥﴿فما زالت تلك﴾ الكلمات ﴿دعواهم﴾ يدعون بها ويرددونها ﴿حتى جعلناهم حصيداً﴾ أي: كالزرع المحصود بالمناجل، بأن قُتلوا بالسيف، [أو: بالعذاب] ﴿خامدين﴾ ميتين [هالكين]، كخمود النار إذا طَفِئَت.

١٦﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين﴾ عابثين، بل [خلقناهما] دالين على قدرتنا، ونافعين [بما فيهما] عبادنا. ١٧﴿لو أردنا أن نتخذ لهواً﴾ ما يُلْهَى به، من زوجة أو ولد ﴿لاتخذناه

من لدنا﴾ من عندنا، من الحور العين، والملائكة، [وهذا رد على الذين قالوا: «اتخذ الله ولداً»] ﴿إن كنا فاعلين﴾ ذلك، لكنا لم نفعله، فلم نُرِده، [لاستحالته علينا]. ١٨﴿بل نقذف﴾ نرمي ﴿بالحق﴾ الإيمان ﴿على الباطل﴾ الكفر ﴿فيدمغه﴾ يذهبه ﴿فإذا هو زاهق﴾ ذاهب، و «دَمَغَهُ» في الأصل: أصاب دماغه بالضرب، وهو مَقْتَلٌ ﴿ولكم﴾ يا كفار مكة [وغيرها] ﴿الويل﴾ العذاب الشديد ﴿مما تصفون﴾ الله به، من [الشريك، أو] الزوجة، أو الولد. ١٩﴿وله﴾ تعالى ﴿من في السماوات والأرض﴾ ملكاً [وخلقاً وعبيداً]﴿ومَنْ عنده﴾ أي: الملائكة، مبتدأ، خبره: ﴿لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون﴾ لا يَعْيَون [ولا يتعبون].

مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا۟

٢٠﴿يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾ عنه، فهو منهم كالنَّفَس منا، لا يَشْغَلُنا عنه شاغل. ٢١﴿أم﴾ بمعنى: «بل» للانتقال وهمزة الإنكار ﴿اتخذوا آلهة﴾ كائنة ﴿من الأرض﴾ كحجر وذهب وفضة ﴿هم﴾ أي: الآلهة ﴿يُنشرون﴾ أي: يُحيون الموتى؟ لا، ولا يكون إلّهاً، إلاّ مَنْ يحيي الموتى. ٢٢﴿لو كان فيهما﴾ أي: السماوات والأرض ﴿آلهة إلا الله﴾ أي: غيرُه ﴿لفسدتا﴾ خرجتا عن نظامهما المشاهَد، لوجود التمانع بينهم، على وفق العادة عند تعدد الحاكم، من التمانع في الشيء، وعدم الاتفاق عليه ﴿فسبحان﴾ تنزيه ﴿الله رب﴾ خالق ﴿العرش﴾ الكرسي[1] ﴿عما يصفون﴾ أي: [يصف] الكفارُ الله به، من الشريك له وغيره.

٢٣﴿لا يسأل عما يفعل وهم يُسألون﴾ عن أفعالهم.

٢٤﴿أم اتخذوا من دونه﴾ تعالى، أي: سواه ﴿آلهة﴾؟ فيه استفهام توبيخ ﴿قل هاتوا برهانكم﴾ على ذلك، ولا سبيل إليه ﴿هذا ذكر من معي﴾ أي: أمتي، وهو القرآن ﴿وذكر من قبلي﴾ من الأمم، وهو التوراة والإنجيل، وغيرهما من كتب الله، ليس في واحد منها، أن مع الله إلّهاً مما قالوا، تعالى عن ذلك ﴿بل أكثرهم لا يعلمون الحق﴾ أي: توحيد الله ﴿فهم معرضون﴾ عن النظر الموصل إليه. ٢٥﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا يُوحَى﴾ [بالياء وفتح الحاء]، وفي قراءة بالنون وكسر الحاء ﴿إليه أنه لا إلّه إلا أنا فاعبدونِ﴾ أي: وحِّدوني. ٢٦﴿وقالوا

---

(١) قوله: «الكرسي»، إن تفسير المؤلف الجلال المحلي للعرش بالكرسي، هو جري على القول بأنهما شيء واحد، وهو ما أخذ به أيضاً الجلال السيوطي، والصحيح أن العرش غير الكرسي. ارجع إلى تعليقنا ص ٥٣ حيث بيان ذلك مع الدليل.

اتخذ الرحمن ولداً﴾ من الملائكة ﴿سبحانه بل﴾ هم ﴿عباد مكرمون﴾ عنده، والعبودية تنافي الولادة. ٢٧﴿لا يسبقونه بالقول﴾ لا يأتون بقولهم، إلا بعد قوله ﴿وهم بأمره يعملون﴾ أي: بعده، [فلا يخالفونه فيما كلفهم به].

٢٨﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ أي: ما عملوا، وما هم عاملون ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ تعالى أن يُشْفَعَ له ﴿وهم من خشيته﴾ تعالى ﴿مشفقون﴾ أي: خائفون. ٢٩﴿ومن يقل منهم إني إله من دونه﴾ أي: الله، أي: غيره وهو إبليس، دعا إلى عبادة نفسه، وأَمَرَ بطاعتها ﴿فذلك نجزيه جهنم كذلك﴾ كما نجزيه ﴿نجزي الظالمين﴾ أي: المشركين.

٣٠﴿أولم﴾ بواو وتركها، [وهما قراءتان سبعيتان] ﴿ير﴾ يعلم ﴿الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقاً﴾[1] أي: سداً، بمعنى: مسدودة ﴿ففتقناهما﴾ أي: جعلنا السماء سبعاً، والأرض سبعاً، أو فَتْقُ السماء: أنْ كانت لا تُمطر فأمطرت، وفَتْقُ الأرض: أن كانت لا تُنبِتُ فأنبتت ﴿وجعلنا من الماء﴾ النازل من السماء والنابع من الأرض ﴿كل شيء حي﴾ نبات وغيره، أي: فالماء سبب لحياته[2] ﴿أفلا يؤمنون﴾ بتوحيدي؟ ٣١﴿وجعلنا في الأرض رواسي﴾ جبالاً ثوابت، [تُثبت الأرضَ]، لـ ﴿أن﴾ لا ﴿تميد﴾ تتحرك ﴿بهم وجعلنا فيها﴾ أي: الرواسي ﴿فجاجاً﴾ مسالك ﴿سبلاً﴾ بدل، أي: طرقاً نافذة واسعة ﴿لعلهم يهتدون﴾ إلى مقاصدهم في الأسفار.

٣٢﴿وجعلنا السماء سقفاً﴾ للأرض كالسقف للبيت ﴿محفوظاً﴾ عن الوقوع، [أو: عن الخلل، أو: بشُهُب النجوم] ﴿وهم عن آياتها﴾ من الشمس والقمر والنجوم ﴿معرضون﴾ لا يتفكرون فيها، فيعلمون أن خالقها لا شريك له.

٣٣﴿وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل﴾ تنوينه، عوضٌ عن المضاف إليه، [أي] من الشمس والقمر، وتابعه وهو: النجوم ﴿في فلك﴾ أي: مستدير كالطاحونة، في السماء، [وهو مدار النجوم] ﴿يسبحون﴾ [أي: يدورون و] يسيرون بسرعة، كالسابح في الماء، وللتشبيه به، أتى بضمير جمع من يعقل، [أي: «يسبحون»]. ٣٤ ونزل لما قال الكفار: إن محمداً سيموت: ﴿وما جعلنا لبشر من

ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَـٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَـٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن

(١) قوله تعالى: ﴿كانتا رتقاً﴾ تضمنت هذه الآية إشارةً إلى أصل خلق السماوات والأرض، وأنهما كانتا كتلة واحدة، ففتقها الله تعالى، وكوّن السماوات وما فيها من مجرات، والأرض وما عليها، فقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما، في قوله تعالى: ﴿كانتا رتقاً﴾ قال: «كانتا ملتصقتين»، وهذا قول سعيد بن جبير رحمه الله تعالى، وبمثله قال قتادة السَّدوسي والحسن البصري، ومجاهد رحمهم الله تعالى، وهذه الآية من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، إذ هي تصرح بأن الماء أصل خلق الكائنات الأرضية الحية، كما سنذكر في التعليق التالي، وبأن السماوات والأرض كانتا كتلة واحدة، وهذا ما اكتشفه الباحثون بعد نزول القرآن بقرون.

(٢) قوله: «فالماء سبب لحياته» هذا التفسير لـ «شيء حي» غير مطابق لنص الآية، إذ لو كان المعنى كما ذكره المحلي، لكان لفظ الآية هكذا: =

قبلك الخلد﴾ أي: البقاء في الدنيا ﴿أفإن مت فهم الخالدون﴾ فيها؟. لا، فالجملة الأخيرة محل الاستفهام الإنكاري.

٣٥ ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ في الدنيا ﴿ونبلوكم﴾ نختبركم ﴿بالشر والخير﴾ كفقر وغنى، وسقم وصحة ﴿فتنة﴾ مفعول له أي: لننظر أتصبرون وتشكرون؟ أو: لا ﴿وإلينا ترجعون﴾ فنجازيكم.

٣٦ ﴿وإذا رآك الذين كفروا إن﴾ ما ﴿يتخذونك إلا هُزُؤاً﴾ [بضم الزاي وبالهمز. وفي قراءة: بالهمز مع سكون الزاي، وفي أخرى: بضم الزاي وإبدال الهمزة واواً. فهي ثلاث قراءات سبعية] أي: مهزوءاً به، يقولون ﴿أهذا الذي يذكر آلهتكم﴾ أي: يعيبها ﴿وهم بذكر الرحمن﴾ لهم ﴿هم﴾ تأكيد ﴿كافرون﴾ به إذ قالوا: ما نعرفه [وقالوا: «وما الرحمن»، أو «بذكر الرحمن» أي: بالقرآن]. ٣٧ ونزل في استعجالهم العذاب: ﴿خلق الإنسان من عجل﴾ أي: أنه [يستعجل كثيراً ولا يتأنى، أو] لكثرة عَجَله في أحواله كأنه خلق منه ﴿سأريكم آياتي﴾ مواعيدي بالعذاب ﴿فلا تستعجلون﴾ فيه، فأراهم القتل ببدر.

٣٨ ﴿ويقولون﴾ [أي: الكفار للمؤمنين] ﴿متى هذا الوعد﴾ بالقيامة ﴿إن كنتم صادقين﴾ فيه.

٣٩ قال تعالى: ﴿لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون﴾ يدفعون ﴿عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون﴾ يمنعون منها في القيامة، وجواب «لو» ما قالوا ذلك. ٤٠ ﴿بل تأتيهم﴾ القيامة ﴿بغتة فتبهتهم﴾ تحيرهم ﴿فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون﴾ يمهلون لتوبة أو معذرة.

٤١ ﴿ولقد استهزىء برسل من قبلك﴾ فيه تسلية للنبي ﷺ، [أي: فاصبر كما صبروا. ثم وعده بالنصر عليهم بقوله]: ﴿فحاق﴾ نزل ﴿بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون﴾ وهو العذاب فكذا يَحِيقُ بمن استهزأ بك.

٤٢ ﴿قل﴾ لهم ﴿من يكلؤكم﴾ يحفظكم ﴿بالليل والنهار من الرحمن﴾ من عذابه إن نزل بكم، أي: لا أحد يفعل ذلك، والمخاطبون لا يخافون عذاب الله، لإنكارهم له، [أو المعنى: من يحفظكم بالليل والنهار بدل الرحمن، أي: غيره؟ أي: لا حافظ لكم سواه تعالى، فآمنوا به].

قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ

= «وجعلنا من الماء، أو: بالماء، كلَّ شيء حياً» وليس كذلك، فقد جاء لفظ «حيّ» بالجر صفة لـ «شيء»، وقوله تعالى «جعلنا» بمعنى: خلقنا، أي: «خلقنا كل شيء حيّ من الماء»، وهذا يشمل الإنسان والحيوان، يؤيده قوله تعالى: ﴿والله خلق كلَّ دابة من ماء﴾ وروى أحمد والبيهقي والحاكم وغيرهم، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: يا نبيَّ الله، إذا رأيتك قرت عيني، وطابت نفسي، فأخبرنا عن كل شيء، قال: «كل شيء خلق من ماء».

﴿بل هم عن ذكر ربهم﴾ أي: القرآن ﴿معرضون﴾ [أي: لاهون غافلون]، لا يتفكرون فيه.

٤٣﴿أم﴾ فيها معنى: همزة الإنكار، أي: أ ﴿لهم آلهة تمنعهم﴾ مما يسوؤهم ﴿من دوننا﴾ أي: ألهم من يمنعهم منه [أي: من العذاب] غيرنا؟ ﴿لا يستطيعون﴾ أي: الآلهة ﴿نصر أنفسهم﴾ فلا ينصرونهم ﴿ولا هم﴾ أي: الكفار ﴿منا﴾ من عذابنا ﴿يصحبون﴾ يجارون، يقال: «صحبك الله»، أي: حفظك وأجارك.

٤٤﴿بل متعنا هؤلاء وآباءهم﴾ بما أنعمنا عليهم، [قال ابن عباس: هم أهل مكة] ﴿حتى طال عليهم العمر﴾ [في النعمة]، فاغتروا بذلك ﴿أفلا يرون أنا نأتي الأرض﴾ نَقْصِدُ أرضهم ﴿ننقصها من أطرافها﴾ بالفتح على النبي [ﷺ] ﴿أفهم الغالبون﴾؟ لا، بل النبي وأصحابه [هم الغالبون، وهذا ما كان].

سُورَةُ الأنبيَاءِ ٢١

بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ الْمَوَٰزِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ

٤٥﴿قل﴾ لهم ﴿إنما أنذركم بالوحي﴾ من الله، لا من قِبَل نفسي ﴿ولا يسمع الصم الدعاء إذا﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية بينها وبين الياء ﴿ما ينذرون﴾ أي: هم لتركهم العمل بما سمعوه من الإنذار كالصم، [فكأنهم لا يسمعون أصلاً].

٤٦﴿ولئن مستهم﴾ [يوم القيامة] ﴿نفحة﴾ وقعة خفيفة ﴿من عذاب ربك﴾ [والمعنى: عندما يمسهم أقلُّ شيء من العذاب] ﴿ليقولن يا﴾ للتنبيه ﴿ويلنا﴾ هلاكنا﴿إنا كنا ظالمين﴾ بالإشراك وتكذيب محمد، [فيعترفون حين لا ينفعهم الاعتراف].

٤٧﴿ونضع الموازين[1] القسط﴾ ذوات العدل ﴿ليوم القيامة﴾ أي: فيه، [فتوزن بها أعمال العباد] ﴿فلا تظلم نفس شيئاً﴾ من نقص حسنة، أو زيادة سيئة ﴿وإن كان﴾ العمل ﴿مثقال﴾ زنة ﴿حبة من خردل أتينا بها﴾ بموزونها ﴿وكفى بنا حاسبين﴾ محصين كل شيء.

٤٨﴿ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان﴾ أي: التوراة، الفارقة بين الحق والباطل، والحلال والحرام ﴿وضياءً﴾ بها ﴿وذكراً﴾ أي: عظة بها ﴿للمتقين﴾.

٤٩﴿الذين يخشون ربهم بالغيب﴾ عن الناس، أي: في الخلاء عنهم ﴿وهم من الساعة﴾ أي: أهوالها ﴿مشفقون﴾ خائفون. ٥٠﴿وهذا﴾ أي: القرآن ﴿ذكر مبارك﴾ [أي: كثير الخير] ﴿أنزلناه

(١) قوله تعالى: ﴿ونضع الموازين...﴾. ارجع إلى تعليقنا حول «الميزان والوزن يوم القيامة» ص ١٩٣.

﴿أفأنتم له منكرون؟﴾ الاستفهام فيه للتوبيخ. ٥١﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل﴾ أي: [أعطيناه] هُدَاهُ قبل بلوغه، [أو: قبل النبوة، بأن ألهمناه الحق وآتيناه الحجة على قومه] ﴿وكنا به عالمين﴾ أي: بأنه أهل لذلك.

٥٢﴿إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل﴾ الأصنام﴿التي أنتم لها عاكفون﴾ أي: على عبادتها مقيمون؟

٥٣﴿قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين﴾ فاقتدينا بهم.

٥٤﴿قال﴾ لهم ﴿لقد كنتم أنتم وآباؤكم﴾ بعبادتها ﴿في ضلال مبين﴾ بيّن.

٥٥﴿قالوا أجئتنا بالحق﴾ في قولك هذا ﴿أم أنت من اللاعبين﴾ فيه؟، [أي: ألاعب مازح فيما تقول؟].

٥٦﴿قال بل ربكم﴾ المستحق للعبادة ﴿رب﴾ مالك ﴿السماوات والأرض الذي فطرهن﴾ خلقهن على غير مثال سبق ﴿وأنا على ذلكم﴾ الذي قلته ﴿من الشاهدين﴾ به[1].

٥٧﴿وتالله لأكيدن أصنامكم﴾ [أي: لأمكرن بها، وأضمر في نفسه نية تحطيمها] ﴿بعد أن تولوا مدبرين﴾ [أي: ذاهبين إلى عيدكم، وكان لهم في كل سنة عيد يجتمعون فيه، فدعوه إلى الخروج معهم، فلم يخرج قائلاً: «إني سقيم»، أي: مريض].

٥٨﴿فجعلهم﴾ [أي: جعل الأصنام]، بعد ذهابهم إلى مجتمعهم، في يوم عيد لهم ﴿جذاذاً﴾ بضم الجيم وكسرها، [وهما قراءتان سبعيتان، وقرىء شذوذاً بفتحها، أي:] فتاتاً بفأس ﴿إلا كبيراً لهم﴾ علق الفأس في عنقه ﴿لعلهم إليه﴾ أي: إلى الكبير ﴿يرجعون﴾ فيروا ما فُعِلَ بغيره.

٥٩﴿قالوا﴾ بعد رجوعهم ورؤيتهم ما فَعَلَ ﴿من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين﴾ فيه.

٦٠﴿قالوا﴾ أي: بعضهم لبعض ﴿سمعنا فتى﴾ [أي: شاباً] ﴿يذكرهم﴾ أي: يعيبهم ﴿يقال له إبراهيم﴾.

٦١﴿قالوا فأتوا به﴾ [والقائل: هو الملك الكافر «نمروذ»[2]] ﴿على أعين الناس﴾ أي: ظاهراً ﴿لعلهم يشهدون﴾ عليه أنه الفاعل. ٦٢﴿قالوا﴾ بعد إتيانه ﴿ءأنت﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفاً، وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى، وتركه.

أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ * وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ

(١) قوله: «من الشاهدين به». أي: العالمين بالبرهان بذلك، هذا وجه. وثمة وجه آخر أوضح هو: أي: من الشاهدين على أن رب السماوات والأرض هو ربكم لا رب لكم سواه، والشاهد يُبَيِّنُ الحُكْمَ، والمعنى: وأنا سأبين لكم بالدليل ما أقول، وهذا ما فعله حيث بيّن لهم فيما بعد بتكسيره الأصنام، أنها لا تستحق العبادة.

(٢) قولنا: «نمروذ» هو بضم النون والذال المعجمة، وهو صاحب العقلية النمروذية الجامدة التي أصبحت مثلاً، فيقال للعنيد المكابر: «لا تتنمرد».

﴿فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم؟﴾ . ٦٣﴿قال﴾ ساكتاً عن فعله ﴿بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم﴾ عن فاعله﴿إن كانوا ينطقون﴾ فيه تقديم جواب الشرط، [وأصله: إن كانوا ينطقون فاسألوهم]، وفيما قبله [أي: في قوله: «بل فعله كبيرهم هذا»]، تعريضٌ لهم، بأن الصنمَ المعلومَ عَجْزُه عن الفعل، لا يكون إلٰهاً.

٦٤﴿فرجعوا إلى أنفسهم﴾ بالتفكر ﴿فقالوا﴾ لأنفسهم ﴿إنكم أنتم الظالمون﴾ أي: بعبادتكم من لا ينطق.

٦٥﴿ثم نكسوا﴾ من الله ﴿على رؤوسهم﴾ أي: رُدُّوا إلى كفرهم، وقالوا: والله ﴿لقد علمت ما هؤلاء ينطقون﴾ أي: فكيف تأمرنا بسؤالهم؟.

فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ

٦٦﴿قال أفتعبدون من دون الله﴾ أي: بدله ﴿ما لا ينفعكم شيئاً﴾ من رزق وغيره ﴿ولا يضركم﴾ شيئاً إذا لم تعبدوه؟.

٦٧﴿أف﴾ بكسر الفاء، [مع التنوين وتركه]، وفتحها [غير منون، فالقراءات ثلاث سبعية]، بمعنى مصدر، أي: نَتْناً وقبحاً ﴿لكم ولما تعبدون من دون الله﴾ أي: غيره ﴿أفلا تعقلون﴾ أن هذه الأصنام، لا تستحق العبادة، ولا تصلح لها، وإنما يستحقها الله تعالى؟.

٦٨﴿قالوا حرقوه﴾ أي: إبراهيم ﴿وانصروا آلهتكم﴾ أي: بتحريقه ﴿إن كنتم فاعلين﴾ نصرتها، فجمعوا له الحطب الكثير، وأضرموا النار في جميعه، وأوثقوا إبراهيم، وجعلوه في منجنيق، ورموه في النار.

٦٩ قال تعالى ﴿قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾ فلم تحرق منه غير وَثاقه، وذهبت حراراتها، وبقيت إضاءتها، وبقوله [تعالى:] «وسلاماً»، سلم [إبراهيم] من الموت ببردها.

٧٠﴿وأرادوا به كيداً﴾ وهو التحريق ﴿فجعلناهم الأخسرين﴾ في مرادهم.

٧١﴿ونجيناه ولوطاً﴾ ابنَ أخيه «هاران»، من العراق ﴿إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين﴾ بكثرة الأنهار والأشجار وهي الشام، نزل إبراهيم بفلسطين، ولوطٌ بالمؤتفكة[1]، وبينهما يوم.

٧٢﴿ووهبنا له﴾ أي: لإبراهيم، وكان سأل ولداً، كما ذُكر في «الصافات»، [بقوله: «رب هب لي من الصالحين»] ﴿إسحاق ويعقوب نافلة﴾ أي: زيادة على المسؤول، أو: هو ولد الولد ﴿وكُلاًّ﴾ أي: هو وولداه ﴿جعلنا صالحين﴾ أنبياء. ٧٣﴿وجعلناهم أئمة﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ياء، يُقتدى بهم في الخير ﴿يهدون﴾ الناس ﴿بأمرنا﴾ إلى ديننا ﴿وأوحينا إليهم فعل

---

(١) قوله: «بالمؤتفكة» هي: قرى قوم لوط، سميت بذلك، لأن الله تعالى جعل عاليها سافلها، ارجع إلى تعليقنا ص ٢٩٥.

الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة﴾ أي: أن تُفعَل وتُقامَ وتُؤتَى، منهم ومن أتباعهم، وحَذْفُ هاء: «إقامة» تخفيف ﴿وكانوا لنا عابدين﴾ [أي: مطيعين].

٧٤﴿ولوطاً آتيناه حكماً﴾ فصلاً بين الخصوم ﴿وعلماً ونجيناه من القرية التي كانت تعمل﴾ أي: أهلها الأعمال ﴿الخبائث﴾ من اللواط، والرمي بالبندق، واللعب بالطيور، وغير ذلك ﴿إنهم كانوا قوم سوء﴾ مصدر «ساءه»، نقيض سَرَّهُ ﴿فاسقين﴾ [أي: خارجين عن طاعة الله، بكفرهم وخباثتهم].

٧٥﴿وأدخلناه في رحمتنا﴾ [أي: في أهل رحمتنا]، بأن أنجيناه من قومه [في الدنيا، وسندخله الجنة في الآخرة] ﴿إنه من الصالحين﴾.

٧٦﴿و﴾ اذكر ﴿نوحاً﴾ وما بعده بدل منه ﴿إذ نادى﴾ دعا على قومه بقوله: «رب لا تذر» إلخ ﴿من قبل﴾ أي: قبل إبراهيم ولوط ﴿فاستجبنا له فنجيناه وأهله﴾ الذين في سفينته ﴿من الكرب العظيم﴾ أي: الغرق، وتكذيب قومه له.

٧٧﴿ونصرناه﴾ منعناه ﴿من القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ الدالة على رسالته، أن لا يصلوا إليه بسوء ﴿إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين﴾.

٧٨﴿و﴾ اذكر ﴿داود وسليمان﴾ أي: قصتهما ويبدل منهما ﴿إذ يحكمان في الحرث﴾ هو زرع أو كرم ﴿إذ نفشت فيه غنم القوم﴾ أي: رعته ليلاً بلا راع، بأن انفلتت ﴿وكنا لحكمهم شاهدين﴾ فيه استعمال ضمير الجمع لاثنين، قال داود: لصاحب الحرث رقابُ الغنم، وقال سليمان: ينتفع بِدَرِّها ونسلها وصوفها، إلى أن يعود الحرث كما كان، بإصلاح صاحبها، فيردها إليه.

ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم

٧٩﴿ففهمناها﴾ أي: الحكومة ﴿سليمان﴾ وحكمهما باجتهاد، ورجع داود إلى [حكم] سليمان، وقيل: بوحي، والثاني ناسخ للأول ﴿وكلاً﴾ منهما ﴿آتينا﴾ ه ﴿حكماً﴾ نبوة ﴿وعلماً﴾ بأمور الدين ﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير﴾ كذلك، سُخِّرا للتسبيح معه، لأمره به، إذا وَجَدَ [داود] فَتْرَةً، [أي: فتوراً عن التسبيح]، لينشط له ﴿وكنا فاعلين﴾ تَسْخِيرَ تسبيحهما معه، وإن كان عجباً عندكم، أي: مجاوبةً للسيد داود. ٨٠﴿وعلمناه صنعة لبوس﴾ وهي الدرع، لأنها تلبس، وهو أول من صنعها، وكان قبلها صفائح ﴿لكم﴾ في جملة الناس ﴿لنحصنكم﴾ [فيها ثلاث قراءات:] بالنون لله، وبالتحتانية: لـ «داود»، وبالفوقانية: لـ «اللَّبُوس».

﴿من بأسكم﴾ حربكم مع أعدائكم ﴿فهل أنتم﴾ يا أهل مكة ﴿شاكرون﴾ نعمتي بتصديق الرسول؟ أي: اشكروني بذلك. ٨١ ﴿و﴾ سخرنا ﴿لسليمان الريح عاصفة﴾ وفي آية أخرى: «رُخاء»، أي: شديدة الهبوب و «خفيفته» بحسب إرادته ﴿تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها﴾ وهي الشام ﴿وكنا بكل شيء عالمين﴾ من ذلك: عِلْمُه تعالى، بأن ما يعطيه سليمان، يدعوه للخضوع لربه، ففعله تعالى على مقتضى علمه. ٨٢ ﴿و﴾ سخرنا ﴿من الشياطين من يغوصون له﴾ يدخلون في البحر، فيخرجون منه الجواهر لسليمان ﴿ويعملون عملاً دون ذلك﴾ أي: سوى الغوص، من البناء وغيره ﴿وكنا لهم حافظين﴾ من أن يُفسدوا ما عملوا، لأنهم كانوا إذا فرغوا من عمل قبل الليل، أفسدوه إن لم يُشْغَلُوا بغيره. ٨٣ ﴿و﴾ اذكر ﴿أيوب﴾ ويبدل منه ﴿إذ نادى ربه﴾ لما ابتلي بفقد جميع ماله وولده، [فمرض مرضاً شديداً غير مُنَفِّر] و [أما ما قيل من:] تمزيق جسده، [ووضعه في قُفَّة، وإلقائه على مزبلة]، وهجر جميع الناس له إلا زوجته، [فهو كلام باطل، لا تجوز نسبته لنبي، كما سيأتي ص ٦٠٢، وكانت مدة بلائه] سنين، ثلاثاً أو سبعاً، أو: ثماني عشرة، و «[ابتُلي أيضاً بـ] ضيق عيشه ﴿أني﴾ بفتح الهمزة بتقدير الباء ﴿مسني الضر﴾ أي: الشدة ﴿وأنت أرحم الراحمين﴾. ٨٤ ﴿فاستجبنا له﴾ نداءه ﴿فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله﴾ أولاده الذكور والإناث، بأن أُحْيُوا له، وكلٌ من الصنفين [من أولاده، عدده:] ثلاث أو سبع ﴿ومثلهم معهم﴾ من زوجته، وزيد في شبابها، وكان له أَنْدَرٌ للقمح، وأَنْدَرٌ للشعير، فبعث الله سحابتين، أفرغت إحداهما على أندر[1] القمح الذهبَ، وأفرغت الأخرى على أندر الشعير الوَرِقَ، [أي: الفضة]، حتى فاض ﴿رحمة﴾ مفعول له ﴿من عندنا﴾ صفة ﴿وذكرى للعابدين﴾ ليصبروا فيثابوا. ٨٥ ﴿و﴾ اذكر ﴿إسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين﴾ على طاعة الله، وعن معاصيه. ٨٦ ﴿وأدخلناهم في رحمتنا﴾ مع النبوة ﴿إنهم من الصالحين﴾ لها، [قيل:] وسمي «ذا الكفل»، لأنه تكفل بصيام جميع نهاره، وقيام جميع ليله، وأن يقضي بين الناس ولا يغضب، فوفَّى بذلك، وقيل: لم يكن نبياً. ٨٧ ﴿و﴾ اذكر ﴿ذا النون﴾ صاحب الحوت، وهو: يونس بن متى، ويبدل منه ﴿إذ ذهب مغاضباً﴾ لقومه، أي: غضبان عليهم، مما قاسى منهم، ولم يؤذن له في ذلك ﴿فظن أن لن نقدر عليه﴾ أي: نقضي عليه ما قضيناه، من حبسه في بطن الحوت، أو: نضيّق عليه بذلك ﴿فنادى في الظلمات﴾ ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت ﴿أن﴾ أي: بأن ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ في ذهابي من بين قومي، بلا إذن.

مِن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾

(١) وقوله: «أفرغت إحداهما على أندر القمح إلخ»، هذا معنى حديث رواه أبو يعلى والبزار عن أنس بن مالك مرفوعاً، و «الأندر»: «البيدر».

﴿فاستجبنا له ونجيناه من الغم﴾ [أي: من بطن الحوت]، بتلك الكلمات ﴿وكذلك﴾ كما نجيناه ﴿ننجي المؤمنين﴾ من كربهم، إذا استغاثوا بنا داعين. ٨٩﴿و﴾ اذكر ﴿زكريا﴾ ويبدل منه ﴿إذ نادى ربه﴾ بقوله ﴿رب لا تذرني فرداً﴾ أي: بلا ولد يرثني ﴿وأنت خير الوارثين﴾ [أي: أنت الوارث] الباقي، بعد فناء خلقك. ٩٠﴿فاستجبنا له﴾ نداءه ﴿ووهبنا له يحيى﴾ ولداً ﴿وأصلحنا له زوجه﴾ فأتت بالولد بعد عقمها ﴿إنهم﴾ أي: مَنْ ذُكر من الأنبياء ﴿كانوا يسارعون﴾ يبادرون ﴿في الخيرات﴾ الطاعات ﴿ويدعوننا رغباً﴾ في رحمتنا ﴿ورهباً﴾ من عذابنا ﴿وكانوا لنا خاشعين﴾ متواضعين في عبادتهم. ٩١﴿و﴾ اذكر مريم ﴿التي أحصنت فرجها﴾ حفظته من أن يُنال ﴿فنفخنا فيها من روحنا﴾ أي: جبريل، حيث نفخ في جَيْبِ درعها، فحملت بعيسى ﴿وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾ الإنس والجن والملائكة، حيث ولدته من غير فَحْل.

٩٢﴿إن هذه﴾ أي: ملة الإسلام ﴿أمتكم﴾ دينكم أيها المخاطبون، أي: يجب أن تكونوا عليها ﴿أمة واحدة﴾ حال لازمة [أي: كذلك يجب أن تكون] ﴿وأنا ربكم فاعبدون﴾ وحدون.

٩٣﴿وتقطعوا﴾ أي: بعض المخاطبين ﴿أمرهم بينهم﴾ أي: تفرقوا أمر دينهم، متخالفين فيه، وهم: طوائف اليهود والنصارى، [ومن شذ من هذه الأمة]، قال تعالى: ﴿كل إلينا راجعون﴾ أي: فنجازيه بعمله.

٩٤﴿فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران﴾ أي: لا جحود ﴿لسعيه وإنا له كاتبون﴾ بأن نأمر الحفظة بكتبه، فنجازيه عليه.

٩٥﴿وحرام على قرية أهلكناها﴾ أريد أهلها ﴿أنهم لا﴾ زائدة ﴿يرجعون﴾ أي: ممتنع رجوعهم إلى الدنيا.

٩٦﴿حتى﴾ غاية لامتناع رجوعهم ﴿إذا فتحت﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿يأجوج ومأجوج﴾[1] بالهمز وتركه، اسمان أعجميان، لقبيلتين، ويُقدَّر قبله مضاف، أي: سَدُّهُما، وذلك قرب القيامة ﴿وهم من كل حدب﴾ مرتفع من الأرض ﴿ينسلون﴾ يسرعون.

فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾

(١) قوله تعالى: ﴿يأجوج ومأجوج﴾. ذُكروا في القرآن مرتين، هنا وفي أواخر سورة الكهف ص ٣٩٣. ولقد كثرت في أخبارهم وصفاتهم الروايات، إلى حد المبالغة، والقول بما يخالف المنقول والمعقول، والذي تنبغي معرفته واعتماده من خبرهم، هو ما ذكره ابن كثير في «تاريخه» وملخصه:

أن يأجوج ومأجوج هم من ذرية آدم بلا خلاف، والصحيح أنهم بشر كبقية الناس وعلى أشكالهم وصفاتهم، ليسوا عمالقة ولا هم في غاية القصر كما قيل، والدليل على ذلك ما ثبت في الصحيحين، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «يقول الله تعالى يوم القيامة: يا آدم، قم فابعث بعث النار من ذريتك، فيقول: يا رب وما بعث النار؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة، فحينئذ يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد». قالوا: يا رسول الله أينا ذلك الواحد؟، فقال ﷺ: «أبشروا، فإن منكم واحداً، ومن يأجوج ومأجوج ألفاً».

﴿واقترب الوعد الحق﴾ أي: يوم القيامة ﴿فإذا هي﴾ أي: القصة ﴿شاخصة أبصار الذين كفروا﴾ في ذلك اليوم لشدته، [أي: من هَوْله، لا تكاد أبصارهم تَطْرُفُ]، يقولون ﴿يا﴾ للتنبيه ﴿ويلنا﴾ هلاكنا ﴿قد كنا﴾ في الدنيا ﴿في غفلة من هذا﴾ اليوم ﴿بل كنا ظالمين﴾ أنفسنا بتكذيبنا الرسل. ٩٨ ﴿إنكم﴾ يا أهل مكة [وغيرها] ﴿وما تعبدون من دون الله﴾ أي: غيره من الأوثان ﴿حصب جهنم﴾ وقودها ﴿أنتم لها واردون﴾ داخلون فيها. ٩٩ ﴿لو كان هؤلاء﴾ الأوثان ﴿آلهة﴾ كما زعمتم ﴿ما وردوها﴾ دخلوها ﴿وكل﴾ من العابدين والمعبودين ﴿فيها خالدون﴾.

١٠٠ ﴿لهم﴾ للعابدين ﴿فيها زفير﴾ صوت شديد [يخرج من أجوافهم] ﴿وهم فيها لا يسمعون﴾ شيئاً لشدة غليانها.

سُورَةُ الأَنبِيَاءِ ٢١

وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾

١٠١ ونزل لما قال [عبد الله] بن الزِّبَعْرى، [وكان شديداً على المسلمين، ثم أسلم بعد فتح مكة]: عُبِدَ عُزَيْرٌ والمسيحُ والملائكةُ فَهُم في النار، [أخرجه الحاكم عن ابن عباس، وذلك] على مقتضى ما تقدم: ﴿إن الذين سبقت لهم منا﴾ المنزلة ﴿الحسنى﴾ [أي: الجنة]، ومنهم مَنْ ذُكر ﴿أولئك عنها﴾ [أي: عن النار] ﴿مبعدون﴾. ١٠٢ ﴿لا يسمعون حسيسها﴾ صوتها، [و «الحسيس» هو: الصوت الخفي] ﴿وهم في ما اشتهت أنفسهم﴾ من النعيم ﴿خالدون﴾. ١٠٣ ﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر﴾ وهو: أن يؤمر بالعبد [الكافر] إلى النار ﴿وتتلقاهم﴾ تستقبلهم ﴿الملائكة﴾ عند خروجهم من القبور، يقولون لهم: ﴿هذا يومكم الذي كنتم توعدون﴾ في الدنيا. ١٠٤ ﴿يوم﴾ منصوب بـ «اذكر» مقدراً قبله ﴿نطوي السماء كطي السجلِّ﴾ اسم ملك ﴿للكتاب﴾ صحيفة ابن آدم عند موته، واللام زائدة، أو: «السجلُّ» الصحيفة، و «الكتاب» بمعنى: المكتوب، واللام بمعنى: على، [أي: كطي السجل على الكتاب]، وفي قراءة: «للكتب» جمعاً ﴿كما بدأنا أول خلق﴾ عن عدم ﴿نعيده﴾ بعد إعدامه، فالكاف متعلقة بـ «نعيده»، وضميره عائد إلى «أول»، و «ما» مصدرية ﴿وعداً علينا﴾ منصوب بـ «وعدنا» مقدراً قبله، وهو مؤكِّد لمضمون ما قبله ﴿إنا كنا فاعلين﴾ ما وَعَدْنا.

١٠٥ ﴿ولقد كتبنا في الزبور﴾ بمعنى: «الكتاب»، أي: كتب الله المنزلة ﴿من بعد الذكر﴾ يعني: أمّ الكتاب الذي عند الله ﴿أن الأرض﴾ أرض الجنة[1] ﴿يرثها عبادي الصالحون﴾ عامٌّ في كل صالح [مؤمن].

---

(١) قوله: «أرض الجنة» إن تفسير «الأرض» بالجنة هو المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد بن جبر رحمه الله، ولقد فسر بعضهم «الأرض» بالجنة في موضعين، هنا وفي آخر سورة «الزمر» ص ٦١٦ في قوله تعالى: ﴿وأورثنا الأرض﴾، ولنا في تفسيرها وجه آخر، ارجع إليه في تعليقنا ص ٦١٦.

﴿إن في هذا﴾ القرآن ﴿لبلاغاً﴾ كفاية في دخول الجنة ﴿لقوم عابدين﴾ عاملين به. ١٠٧ ﴿وما أرسلناك﴾ يا محمد ﴿إلا رحمة﴾ أي: للرحمة ﴿للعالمين﴾ الإنس والجن، [رحمهم] بك [دنيا وأخرى، قال ابن عباس: «كان محمد ﷺ رحمة لجميع الناس، فمن آمن به وصدَّق به سَعِدَ، ومن لم يؤمن به، سَلِمَ مما لحق الأمم من الخسف والغرق، وقيل: أراد بالعالمين: المؤمنين خاصة]. ١٠٨ ﴿قل إنما يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد﴾ أي: ما يوحَى إليَّ في أمر الإله، إلا وحدانيته ﴿فهل أنتم مسلمون﴾ منقادون لما يوحَى إليَّ، من وحدانية الإله؟ والاستفهام بمعنى الأمر، [أي: أسلموا]. ١٠٩ ﴿فإن تولوا﴾ عن ذلك ﴿فقل آذنتكم﴾ أعلمتكم بالحرب ﴿على سواء﴾ حال من الفاعل والمفعول، أي: مستوين في علمه، لا أستبد به دونكم، لتتأهبوا ﴿وإن﴾ ما ﴿أدري أقريب أم بعيد ما توعدون﴾ من العذاب، أو: القيامة المشتملة عليه، وإنما يعلمه الله. ١١٠ ﴿إنه﴾ تعالى ﴿يعلم الجهر من القول﴾ والفعل، منكم ومن غيركم ﴿ويعلم ما تكتمون﴾ أنتم وغيركم، من السر. ١١١ ﴿وإن﴾ ما ﴿أدري لعله﴾ أي: ما أعلمتكم به، [من تأخير العذاب]، ولم يُعْلَمْ وقته ﴿فتنة﴾ اختبار ﴿لكم﴾ ليُرى: كيف صنعُكم؟ ﴿ومتاع﴾ تمتيع ﴿إلى حين﴾ أي: انقضاءِ آجالكم، وهذا مقابل للأول، المترجَّى بـ «لعل» وليس الثاني محلاً للترجِّي، [أي: كون تأخير العذاب فتنة، هو المترجَّى بـ «لعل»، أما قوله: «ومتاع إلى حين»، فليس كذلك، لأنه واقع بالفعل]. ١١٢ ﴿وقل﴾ وفي قراءة: «قال» ﴿رب احكم﴾ بيني وبين مكذبيَّ ﴿بالحق﴾ بالعذاب لهم، أو النصر عليهم، فعُذِّبوا ببدر، وأُحد، وحُنين، والأحزاب والخندق[1]، ونُصِر عليهم ﴿وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون﴾ من كَذِبكم على الله في قولكم: «اتخذ ولداً»، وعليَّ في قولكم: «ساحر»، وعلى القرآن في قولكم: «شعر».

إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوۡمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلۡ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ ءَاذَنتُكُمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنۡ أَدۡرِي لَعَلَّهُۥ فِتۡنَةٌ لَّكُمۡ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

(٢٢) سورة الحج مدنية وآياتها ثمان وسبعون

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ

﴿ سورة الحج ﴾

(مكية، إلاَّ: «ومن الناس من يعبد الله» الآيتين، أو إلاَّ: «هذان خصمان»، الست آيات[2] فمدنيات، وهي: أربع، أو: خمس، أو: ست، أو: سبع، أو: ثمان وسبعون آية).

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿يا أيها الناس﴾ أي: أهل مكة وغيرهم ﴿اتقوا ربكم﴾ أي: عقابه، بأن تطيعوه ﴿إن زلزلة الساعة﴾ أي: الحركة الشديدة للأرض، التي يكون بعدها طلوع الشمس من مغربها، الذي هو قرب الساعة[3] ﴿شيء

---

(١) قوله: «والأحزاب والخندق»، يكفي الاقتصار على إحدى الكلمتين لأنهما اسمان لوقعة واحدة.

(٢) قوله «الست آيات»، مخالف لقواعد اللغة، صوابه: «السّت الآيات»، إذ لا يصح دخول «أل» على المضاف، فلا تجتمع «أل» والإضافة في الكلمة.

(٣) قوله: «الذي هو قرب الساعة»، وقال آخرون: الآيات تشير إلى هول وفزع وزلزال كائن يوم القيامة، بعد قيام الناس من القبور، واختاره ابن جرير، واستدلوا على ذلك بأحاديث تلا النبي ﷺ فيها هذه الآيات، منها ما رواه الشيخان والترمذي والنسائي وغيرهم، وقد ذكرنا حديث الشيخين في تعليقنا ص ٤٣٠ ــ والحق الذي نراه في هذه المسألة جمعاً بين النصوص: أن الزلزلة هي ليوم القيامة، وأن تلك الأهوال تحل بالناس بعد بعثهم.

عظيم﴾ في إزعاج الناس الذي هو نوع من العقاب.
٢﴿يوم ترونها﴾ [أي: الزلزلة] ﴿تذهل﴾ بسببها ﴿كل مرضعة﴾ بالفعل ﴿عما أرضعت﴾ أي: تنساه ﴿وتضع كل ذات حمل﴾ أي: حبلى ﴿حملها وترى الناس سكارى﴾ من شدة الخوف ﴿وما هم بسكارى﴾ من الشراب ﴿ولكن عذاب الله شديد﴾ فهم يخافونه. ٣ونزل في النضر بن الحارث وجماعة: ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم﴾ قالوا: الملائكة بنات الله، والقرآن أساطير الأولين، وأنكروا البعث، وإحياءَ مَنْ صار تراباً ﴿ويتبع﴾ في جداله ﴿كل شيطان مريد﴾ أي: متمرد.
٤﴿كتب عليه﴾ قضي على الشيطان ﴿أنه من تولاه﴾ أي: اتبعه ﴿فأنه يضله ويهديه﴾ يدعوه ﴿إلى عذاب السعير﴾ أي: النار.
٥﴿يا أيها الناس﴾ أي: أهل مكة [وغيرهم] ﴿إن كنتم في ريب﴾ شك ﴿من البعث فإنا خلقناكم﴾ أي: أصلكم آدم ﴿من تراب ثم﴾ خلقنا ذريته ﴿من نطفة﴾ مَنِيّ ﴿ثم من علقة﴾ وهي: الدم الجامد ﴿ثم من مضغة﴾ وهي: لحمة قدر ما يمضغ ﴿مخلقة﴾ مصورة تامة الخلق، ﴿وغير مخلقة﴾ أي: غير تامة الخلق ﴿لنبين لكم﴾ كمال قدرتنا، لتستدلوا بها في ابتداء الخلق، على إعادته ﴿ونقر﴾ مستأنف[1] ﴿في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى﴾ وقت خروجه، [فلا تسقطه قبل ذلك] ﴿ثم نخرجكم﴾ من بطون أمهاتكم ﴿طفلاً﴾ بمعنى: أطفالاً ﴿ثم﴾ نعمركم ﴿لتبلغوا أشدكم﴾ أي: الكمال والقوة، وهو: ما بين الثلاثين إلى الأربعين سنة ﴿ومنكم من يتوفى﴾ يموت قبل بلوغ الأشد ﴿ومنكم من يرد إلى أرذل العمر﴾ أخسّه، من الهرم والخرف ﴿لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً﴾ قال عكرمة: من قرأ القرآن، لم يصر بهذه الحالة ﴿وترى الأرض هامدة﴾ يابسة ﴿فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت﴾ تحركت ﴿وربت﴾ ارتفعت وزادت ﴿وأنبتت

عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ

(١) قوله: «مستأنف» يعني به أن الواو استئنافية وليست عطفاً على «النبين»، والمعنى: نجعل في هذا القرار المكين الذي هو الرحم ما نشاء، فإن لم نشأ لم يستقر في الرحم شيء، وإن أقررنا فيه شيئاً فإلى أجله، فمنه من يسقط، ومنه من يكمل أمره فيخرج حياً، قال ﷺ: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفةً، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل المَلَكُ فينفخ فيه الروحَ، ويؤمر بأربع كلمات، بكتب: رزقه، وأجله، وعمله، وشقيٌ أو سعيد» الحديث.. رواه الشيخان، قال ابن عباس: «فهذه أربعة أشهر، وفي الأيام العشرة بعدها ينفخ الملك الروح، فهذه عدة المتوفى عنها زوجها».

من﴾ زائدة ﴿كل زوج﴾ صنف ﴿بهيج﴾ حسن.

٦ ﴿ذلك﴾ المذكور، من بدء خلق الإنسان، إلى آخر إحياء الأرض ﴿بأن﴾ بسبب أن ﴿الله هو الحق﴾ الثابت الدائم ﴿وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير﴾.

٧ ﴿وأن الساعة آتية لا ريب﴾ شك ﴿فيها وأن الله يبعث من في القبور﴾.

٨ ونزل [في النضر بن الحارث أيضاً(١)، وقيل:] في أبي جهل، [وأمثالهما من المعاندين والجاحدين]: ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى﴾ معه ﴿ولا كتاب منير﴾ له نور معه.

٩ ﴿ثاني عطفه﴾ حال، أي: لاوي عنقه، تكبراً عن الإيمان، و«العِطْف»: الجانب عن يمين أو شمال ﴿ليضل﴾ بفتح الياء وضمها ﴿عن سبيل الله﴾ أي: دينه ﴿له في الدنيا خزي﴾ عذاب، فَقُتِلَ [أبو جهل] يوم بدر ﴿ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق﴾ أي: الإحراق بالنار، ويقال له:

١٠ ﴿ذلك بما قدمت يداك﴾ أي: قَدَّمْتَهُ، عبر عنه بهما دون غيرهما، لأن أكثر الأفعال تزاول بهما ﴿وأن الله ليس بظلام﴾ أي: بذي ظلم ﴿للعبيد﴾ فيعذبهم بغير ذنب.

١١ ﴿ومن الناس(٢) من يعبد الله على حرف﴾ أي: شك في عبادته، شبه بالحالّ على حرف جبل، في عدم ثباته ﴿فإن أصابه خير﴾ صحة وسلامة، في نفسه وماله ﴿اطمأن به﴾ [ورضي وأقام على دينه] ﴿وإن أصابته فتنة﴾ محنة وسقم، في نفسه وماله ﴿انقلب على وجهه﴾ أي: رجع إلى الكفر ﴿خسر الدنيا﴾ بفوات ما أمله منها ﴿والآخرة﴾ بالكفر ﴿ذلك هو الخسران المبين﴾ البين. ١٢ ﴿يدعو﴾ يعبد ﴿من دون الله﴾ من الصنم ﴿ما لا يضره﴾ إن لم يعبده ﴿وما لا ينفعه﴾ إن عبده ﴿ذلك﴾ الدعاء ﴿هو الضلال البعيد﴾ عن الحق. ١٣ ﴿يدعو لمن﴾ اللام زائدة ﴿ضره﴾ بعبادته ﴿أقرب

مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ

(١) قولنا: «في النضر بن الحارث أيضاً» هذا هو الصحيح من حيث سبب النزول، ولكن هذه الكلمات ليست موجودة في المخطوطات ولكنها مطبوعة في عدد من النسخ، على أنها من كلام الجلال المحلي رحمه الله، لذلك اعتمدنا ما في المخطوطات وأبقينا هذه الكلمات على أنها من إضافاتنا، لأنها ليست من كلام المؤلف، كما هو واضح من سياق تفسيره.

(٢) قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يعبد الله﴾ الآية، أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان الرجل يقدم المدينة فَيُسْلِمُ، فإن ولدت امرأتُه غلاماً ونُتِجَتْ خيلُه، قال: هذا دين صالح، وإن لم تلد امرأته ولداً ذكراً ولم تُنْتَجْ خيله، قال: هذا دينُ سوءٍ، فأنزل الله: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ الآية.

من نفعه﴾ إن نفع بتخيله ﴿لبئس المولى﴾ هو، أي: الناصر ﴿ولبئس العشير﴾ الصاحب هو.

١٤ وعقّب ذكر الشاكّ بالخسران، بذكر المؤمنين بالثواب في: ﴿إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ من الفروض والنوافل ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار إن الله يفعل ما يريد﴾ من إكرام من يطيعه، وإهانة من يعصيه.

١٥ ﴿من كان يظن أن لن ينصره الله﴾ أي: [لن ينصر الله] محمداً نبيه ﴿في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب﴾ بحبل ﴿إلى السماء﴾ أي: سقف بيته، يشده فيه وفي عنقه ﴿ثم ليقطع﴾ أي: ليختنق به، بأن يقطع نفسه من الأرض، كما في «الصّحاح»[1] ﴿فلينظر هل يذهبن كيده﴾ في عدم نصره النبي ﴿ما يغيظ﴾ ـه منها؟ المعنى: فليختنق غيظاً منها، فلا بد منها.

١٦ ﴿وكذلك﴾ أي: مثل إنزالنا الآيات السابقة ﴿أنزلناه﴾ أي: القرآن الباقي ﴿آيات بينات﴾ ظاهرات، حال ﴿وأن الله يهدي من يريد﴾ هداه، معطوف على هاء: «أنزلناه».

١٧ ﴿إن الذين آمنوا[2] والذين هادوا﴾ هم اليهود ﴿والصابئين﴾ طائفة منهم ﴿والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة﴾ بإدخال المؤمنين الجنة، وإدخال غيرهم النار ﴿إن الله على كل شيء﴾ من عملهم ﴿شهيد﴾ عالم به، علم مشاهدة.

١٨ ﴿ألم تر﴾ تعلم ﴿أن الله يسجد[3] له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب﴾ أي: يخضع له بما يراد منه ﴿وكثير من الناس﴾ وهم: المؤمنون، بزيادة على الخضوع في سجود الصلاة ﴿وكثير حق عليه العذاب﴾ وهم الكافرون، لأنهم أبوا السجود المتوقف على الإيمان ﴿ومن يهن

سُورَةُ الحَجِّ ٢٢

مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ

(١) قوله: «كما في الصّحاح»، هو بفتح الصاد: اسم كتاب في اللغة للإمام أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري المشهور، قال في «مختار الصحاح: لأن المختنق يمد السبب إلى السقف ثم يقطع نفسه من الأرض حتى يختنق، أي: يتدلّى مرتفعاً عن الأرض، كما يُفعل بالمشنوق في أيامنا، ومنه نقول: قطع الرجلُ، أي: شنق نفسه، وهذا المعنى هو المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال ابن كثير: وقول ابن عباس وأصحابه أولى وأظهر في المعنى وأبلغ في التهكم، فإن المعنى: من كان يظن أن الله ليس بناصر محمداً وكتابه ودينه، فليذهب فليقتل نفسه، إن كان ذلك غائظه، فإن الله ناصره لا محالة، قال الله تعالى: ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾.

(٢) قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا..﴾. ارجع إلى تفسير الآية «٦٢» من سورة «البقرة» المماثلة وتعليقنا عليها ص ١٢، حيث بينا المعنى ووجهناه توجيهاً صحيحاً، وبينا من هم «الصابئة» على الصحيح.

(٣) قوله تعالى: ﴿ألم ترَ أن الله يسجد له﴾، ارجع إلى تعليقنا حول «سجود التلاوة» ص ٢٢٦.

﴿الله﴾ يُشقِهِ ﴿فما له من مكرم﴾ مُسْعِد ﴿إن الله يفعل ما يشاء﴾ من الإهانة والإكرام.

١٩ ﴿هذان خصمان﴾[1] أي: المؤمنون خصم، والكفار الخمسة[2] خصم، وهو يطلق على الواحد والجماعة ﴿اختصموا في ربهم﴾ أي: في دينه ﴿فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار﴾ يلبسونها، يعني: أحيطت بهم النار، [فصارت لهم كاللباس يحيط بلابسه] ﴿يصب من فوق رؤوسهم الحميم﴾ الماء البالغ نهاية الحرارة.

٢٠ ﴿يصهر﴾ يذاب ﴿به ما في بطونهم﴾ من شحوم وغيرها ﴿و﴾ تشوى به ﴿الجلود﴾[3].

٢١ ﴿ولهم مقامع من حديد﴾ لضرب رؤوسهم.

٢٢ ﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها﴾ أي: النار ﴿من غم﴾ يلحقهم بها ﴿أعيدوا فيها﴾ رُدُّوا إليها بالمقامع ﴿و﴾ قيل لهم ﴿ذوقوا عذاب الحريق﴾ أي: البالغ نهاية الإحراق.

٢٣ وقال في المؤمنين: ﴿إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من﴾ [زائدة، وقيل: تبعيضية] ﴿أساور من ذهب ولؤلؤ﴾ بالجر، أي: منهما، بأن يرصع الذهب باللؤلؤ، [أو: أساور من كل منهما، ورجَّحه القرطبي]، وبالنصب عطفاً على محل: «من أساور»، [أي: يحلون أساور ذهباً، وأخرى لؤلؤاً، أو: أساور من ذهب، وحلية غيرها من اللؤلؤ] ﴿ولباسهم فيها حرير﴾ هو المحرم لبسه[4] على الرجال في الدنيا.

٢٤ ﴿وهدوا﴾ في الدنيا ﴿إلى الطيب من القول﴾ وهو[5]: «لا إله إلا الله» ﴿وهدوا إلى صراط الحميد﴾ أي: طريق الله المحمود ودينه.

٢٥ ﴿إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله﴾ طاعته ﴿و﴾ عن ﴿المسجد الحرام الذي جعلناه﴾ مَنْسَكاً ومتعبَّداً، [أي: مكان عبادة] ﴿للناس سواء العاكف﴾ المقيم ﴿فيه والباد﴾ الطارىء ﴿ومن يرد فيه بإلحاد﴾ الباء زائدة

ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾ ۩ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ

(١) قوله تعالى: ﴿هذان خصمان﴾ الآية، أخرج الشيخان وغيرهما، عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: نزلت هذه الآية في: حمزة، وعبيدة بن الحارث، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وفي: عتبة وشيبة ابني ربيعة، والوليد بن عتبة، يوم برزوا في يوم بدر، والستة كلهم من قريش، ثلاثة مسلمون، والثلاثة الآخرون كافرون قتلوا يومها.

(٢) قوله: «والكفار الخمسة» يعني بذلك أهل الملل الكافرين الخمسة المذكورين في ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا..﴾ الآية ١٧ التي تقدمت.

(٣) قوله تعالى: ﴿والجلود﴾ ارجع إلى تعليقنا حول «الجلود» ص ١٠٩.

(٤) قوله: «هو المحرم لبسه على الرجال»، ارجع إلى تعليقنا حول «حكم لبس الذهب والحرير»، ص ٥٧٦.

(٥) روى مالك في «الموطأ» مرسلاً، والترمذي، قوله ﷺ: «أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له»، يؤيده حديث الشيخين في «شعب الإيمان» وفيه قوله ﷺ: «فأفضلها قول: لا إله إلاَّ الله».

﴿بظلم﴾ أي: بسببه، بأن ارتكب منهياً، ولو شتم الخادم ﴿نذقه من عذاب أليم﴾ مؤلم، أي: بعضه، ومِن [جواب الشرط] هذا، يؤخذ خبر «إن»، أي: [إن الذين كفروا]، نذيقهم من عذاب أليم. ٢٦﴿و﴾ اذكر ﴿إذ بوأنا﴾ بيّنّا ﴿لإبراهيم مكان البيت﴾ [وأريناه أصله] ليبنيه، وكان قد رُفع زمن الطوفان، وأمرناه ﴿أن لا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي﴾ من الأوثان ﴿للطائفين والقائمين﴾ المقيمين به ﴿والركع السجود﴾ جمع راكع وساجد، [أي:] المصلين.
٢٧﴿وأذن﴾ ناد ﴿في الناس بالحج﴾ فنادى على جبل أبي قبيس: «يا أيها الناس، إن ربكم بنى بيتاً وأوجب عليكم الحج إليه، فأجيبوا ربكم»، والتفت بوجهه يميناً وشمالاً وشرقاً وغرباً، فأجابه كلُّ مَنْ كُتِبَ له أن يحج، من أصلاب الرجال وأرحام الأمهات: «لبيك اللهم لبيك»، [قال ابن كثير: هذا مضمون ما ورد عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة، وغير واحد من السلف]، وجواب الأمر: ﴿يأتوك رجالاً﴾ مشاة، جمع: «راجل»، كقائم وقيام ﴿و﴾ ركباناً ﴿على كل ضامر﴾ أي: بعير مهزول، وهو يطلق على الذكر والأنثى ﴿يأتين﴾ أي: الضوامر، حملاً على المعنى ﴿من كل فج عميق﴾ طريق بعيد. ٢٨﴿ليشهدوا﴾ أي: يحضروا ﴿منافع لهم﴾ في الدنيا بالتجارة، أو: في الآخرة، أو: فيهما، أقوال ﴿ويذكروا اسم الله في أيام معلومات﴾ أي: عشر ذي الحجة، أو: يوم عرفة، أو: يوم النحر إلى آخر أيام التشريق، أقوال ﴿على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ الإبل والبقر والغنم، التي تنحر في يوم العيد وما بعده، من الهدايا والضحايا ﴿فكلوا منها﴾ إذا كانت مستحبة ﴿وأطعموا البائس الفقير﴾ أي: الشديد الفقر. ٢٩﴿ثم ليقضوا تفثهم﴾ أي: يزيلوا أوساخهم وشعثهم، كطول الظفر ﴿وليوفوا﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿نذورهم﴾ من الهدايا والضحايا ﴿وليطوفوا﴾ طواف الإفاضة ﴿بالبيت العتيق﴾ أي: القديم، لأنه أول بيت وُضع. ٣٠﴿ذلك﴾ خبر مبتدأ مقدر، أي: الأمر، أو الشأن، ذلك المذكور ﴿ومن يعظم حرمات الله﴾ هي: ما لا يحل انتهاكه ﴿فهو﴾

بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ

أي: تعظيمها ﴿خير له عند ربه﴾ في الآخرة ﴿وأحلت لكم الأنعام﴾ أكلاً بعد الذبح ﴿إلا ما يتلى عليكم﴾ تحريمه، في: «حرمت عليكم الميتة» الآية، فالاستثناء منقطع، ويجوز أن يكون متصلاً، والتحريم لما عَرَضَ، من الموت ونحوه ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾ «من» للبيان، أي: الذي هو الأوثان ﴿واجتنبوا قول الزور﴾ أي: الشرك بالله في تلبيتهم، أو: شهادة الزور.
٣١﴿حنفاء لله﴾ مسلمين، عادلين عن كل دين سوى دينه ﴿غير مشركين به﴾ تأكيد لما قبله، وهما حالان من الواو ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خرَّ﴾ سقط ﴿من السماء فتخطفه الطير﴾ أي: تأخذه بسرعة

﴿أو تهوي به الريح﴾ أي: تسقطه ﴿في مكان سحيق﴾ بعيد، أي: فلا يرجى خلاصه [مما وقع فيه، أي: وكذلك الكافر، يهوي به كفره في النار، خالداً فيها أبداً].

٣٢﴿ذلك﴾ يقدر قبله: «الأَمْرُ» مبتدأ، [أي: الأمر ذلك] ﴿ومن يعظم شعائر الله فإنها﴾ أي: فإن تعظيمها ــ وهي البُدن التي تهدى للحرم ــ بأن تُسْتَحْسَنَ وتُسْتَسْمَنَ ﴿من تقوى القلوب﴾ منهم، وسميت «شعائر»، لإشعارها بما تُعْرَف به أنها هَدْيٌ، كطعن حديدة بسنامها.

٣٣﴿لكم فيها منافع﴾ كركوبها، والحمل عليها ما لا يضرها ﴿إلى أجل مسمى﴾ وقت نحرها ﴿ثم محلها﴾ أي: مكان حِلِّ نحرها ﴿إلى البيت العتيق﴾ أي: عنده، والمراد الحرم جميعه.

٣٤﴿ولكل أمة﴾ أي: جماعة مؤمنة سلفت قبلكم ﴿جعلنا منسكاً﴾ بفتح السين مصدر، وبكسرها اسم مكان، أي: ذبحاً قرباناً، أو: مكانه ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ عند ذبحها ﴿فإلٰهكم إلٰه واحد فله أسلموا﴾ انقادوا ﴿وبشر المخبتين﴾ المطيعين المتواضعين.

٣٥﴿الذين إذا ذكر الله وجلت﴾ خافت ﴿قلوبهم والصابرين على ما أصابهم﴾ من البلايا ﴿والمقيمي الصلاة﴾ في أوقاتها ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ يتصدقون.

٣٦﴿والبدن﴾ جمع «بَدَنَة»، وهي: الإبل ﴿جعلناها لكم من شعائر الله﴾ أعلام دينه ﴿لكم فيها خير﴾ نفع في الدنيا كما تقدم، وأجر في العقبى ﴿فاذكروا اسم الله عليها﴾ عند نحرها ﴿صواف﴾ قائمة على ثلاث، معقولة، [أي: مربوطة] اليد اليسرى ﴿فإذا وجبت جنوبها﴾ سقطت إلى الأرض بعد النحر، وهو وقت [جواز] الأكل منها ﴿فكلوا منها﴾ إن شئتم ﴿وأطعموا القانع﴾ الذي يقنع بما يُعْطَى، ولا يسأل، ولا يتعرض ﴿والمعتر﴾ السائل، أو المتعرض ﴿كذلك﴾ أي: مثل ذلك التسخير ﴿سخرناها لكم﴾ بأن تُنحر وتُركب، وإلا لم تُطَقْ ﴿لعلكم تشكرون﴾ إنعامي عليكم. ٣٧﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها﴾[1] أي: لا يُرفعان إليه ﴿ولكن يناله التقوى منكم﴾ أي: يرفع إليه منكم، العمل الصالح الخالص له، مع الإيمان.

أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ

(١) قوله تعالى: ﴿لن ينال الله لحومها...﴾ الآية، فيه رد على من يعتبر ما يُذبح في الحج، هدراً للحوم وإضاعة للمال، وهم مخطئون في ذلك، لأن العبادة عمل تعبديٌّ بحت، لا يُرجع فيها إلى العقل إلاّ إذا كان المعقول منها واضحاً، فالأضحية تكليف أي: عبادة، والعبادة لا توزن باللحم والدم بل بالتقوى، أي: بالامتثال لأمر الله تعالى من دون تردد ولا تحرُّج.

﴿كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم﴾ أرشدكم لمعالم دينه، ومناسك حجه ﴿وبشر المحسنين﴾ أي: الموحدين. ٣٨ ﴿إن الله يدفع عن الذين آمنوا﴾ غوائل المشركين، [وفي قراءة: «يدافع»] ﴿إن الله لا يحب كل خوان﴾ في أمانته ﴿كفور﴾ لنعمته، وهم المشركون، المعنى: أنه يعاقبهم.

٣٩ ﴿أذن للذين يقاتلون﴾ أي: للمؤمنين أن يقاتلوا، وهذه أول آية نزلت في الجهاد، [وهي ناسخة للمنع عن القتال] ﴿بأنهم﴾ أي: بسبب أنهم ﴿ظلموا﴾ بظلم الكافرين إياهم ﴿وإن الله على نصرهم لقدير﴾.

٤٠ هم ﴿الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق﴾ في الإخراج، ما أخرجوا ﴿إلا أن يقولوا﴾ أي: بقولهم ﴿ربنا الله﴾ وحده، وهذا القول حق، فالإخراج به، إخراج بغير حق، ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم﴾ بدل «بعض من الناس» ﴿ببعض﴾ [أي: لولا ما شرعه الله للأنبياء وللمؤمنين، من قتال الأعداء، لاستولى أهل الشرك في كل زمن و] ﴿لهدمت﴾ بالتشديد للتكثير، وبالتخفيف ﴿صوامع﴾ للرهبان ﴿وبيع﴾ كنائس للنصارى ﴿وصلوات﴾ كنائس لليهود بالعبرانية ﴿ومساجد﴾ للمسلمين ﴿يذكر فيها﴾ أي: المواضع المذكورة[1] ﴿اسم الله كثيراً﴾ وتنقطع العبادات بخرابها ﴿ولينصرن الله من ينصره﴾ أي: ينصر دينه ﴿إن الله لقوي﴾ على خلقه ﴿عزيز﴾ منيع في سلطانه وقدرته.

٤١ ﴿الذين إن مكناهم في الأرض﴾ بنصرهم على عدوهم ﴿أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾ جواب الشرط، وهو وجوابه، صلة الموصول، ويقدَّر قبله: «هم» مبتدأ، ﴿ولله عاقبة الأمور﴾ أي: إليه مرجعها في الآخرة.

٤٢ ﴿وإن يكذبوك﴾ [فيه تسلية للنبي ﷺ] ﴿فقد كذبت قبلهم قوم نوح﴾ تأنيث «قوم» باعتبار المعنى ﴿وعاد﴾ قوم «هود» ﴿وثمود﴾ قوم «صالح».

٤٣ ﴿وقوم إبراهيم وقوم لوط﴾.

كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ ۗ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ * إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾

---

(١) قوله: «أي: المواضع المذكورة»، هذا على القول بأن الضمير في قوله تعالى: ﴿فيها﴾ يعود على المواضع المذكورة كلها، وبناءً عليه يجب أن يُحمل المعنى، على ما قبل تحريف الأمم السابقة دينهم، فيكون المعنى: ولولا هذا الدفع بالقتال المفروض على المؤمنين، لهدمت في زمن موسى الصلوات، وفي زمن عيسى الصوامع والبيع، وفي زمن محمد المساجد، وهي كلها يذكر فيها اسم الله كثيراً، لأنها كانت وقتها يعبد فيها الله وحده، وصوَّب هذا التأويل ابن عطية. وهناك قول آخر: بإعادة الضمير على «المساجد» فقط، قال النحاس: الذي يجب في كلام العرب على حقيقة النظر، أن يكون الضمير عائداً على المساجد لا على غيرها، لأن الضمير يليها، ـــ أي: يرجع إلى أقرب المذكورات ـــ وصوَّب هذا القول ابن جرير، ولا تنافي بين هذا القول والذي قبله، على النحو الذي وجهناه وبيناه، أما القول بأن «البيَعَ والصلوات»، تعني: ما اتخذه اليهود والنصارى، مما هو معروف في أيامنا، فهو غير صحيح، لأن «الكنائس» و «الكُنُس»، لا يذكر فيها اسم الله تعالى بالتوحيد والتنزيه، كما يجب أن يُذكر.

٤٤﴿وأصحاب مدين﴾ قوم «شعيب» ﴿وكذب موسى﴾ كذّبه القبطُ [فرعون وقومه]، لا قومه بنو إسرائيل، أي: كذب هؤلاء رسلهم، فلك أسوة بهم ﴿فأمليت للكافرين﴾ أمهلتهم بتأخير العقاب لهم ﴿ثم أخذتهم﴾ بالعذاب ﴿فكيف كان نكير﴾ أي: إنكاري عليهم بتكذيبهم، بإهلاكهم؟ والاستفهام للتقرير، أي: هو واقع موقعه.

٤٥﴿فكأين﴾ أي: كم ﴿من قرية أهلكتها﴾ وفي قراءة: «أهلكناها»، [والقراءتان سبعيتان] ﴿وهي ظالمة﴾ أي: أهلها [ظالمون] بكفرهم ﴿فهي خاوية﴾ ساقطة ﴿على عروشها﴾ سقوفها ﴿و﴾ كم من ﴿بئر معطلة﴾ متروكة بموت أهلها ﴿وقصر مشيد﴾ رفيع خالٍ بموت أهله.

وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ ۖ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ

٤٦﴿أفلم يسيروا﴾ أي: كفار مكة [وغيرهم] ﴿في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها﴾ ما نزل بالمكذبين قبلهم ﴿أو آذان يسمعون بها﴾ أخبارهم، بالإهلاك وخراب الديار، فيعتبروا؟ ﴿فإنها﴾ أي: القصة ﴿لا تعمى الأبصار﴾ [عن درك الحق والاعتبار] ﴿ولكن تعمى[1] القلوب﴾ [وهذا هو العمى المهلك، وقوله:] ﴿التي في الصدور﴾ تأكيد.

٤٧﴿ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده﴾ بإنزال العذاب، فأنجزه يوم «بدر» ﴿وإن يوماً عند ربك﴾ من أيام الآخرة، بسبب العذاب ﴿كألف سنة مما تعدون﴾ بالتاء والياء، في الدنيا.

٤٨﴿وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها﴾ المراد: أهلها ﴿وإليَّ المصير﴾ المرجع.

٤٩﴿قل يا أيها الناس﴾ أي: أهل مكة [وغيرهم] ﴿إنما أنا لكم نذير مبين﴾ بيِّن الإنذار، وأنا بشير للمؤمنين.

٥٠﴿فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة﴾ من الذنوب ﴿ورزق كريم﴾ هو الجنة.

٥١﴿والذين سعوا في آياتنا﴾ القرآن بإبطالها ﴿مُعَجِّزين﴾ مَن اتبع النبيَّ، أي: ينسبونهم إلى العجز، ويثبطونهم عن الإيمان، أو: مقدِّرين عجزنا عنهم، وفي قراءة: «معاجزين»، [أي:] مسابقين لنا، يظنون أن يفوتونا، بإنكارهم البعث والعقاب.

(١) قوله تعالى: ﴿ولكن تعمى القلوب﴾، هو تصحيح لمفاهيم غير صحيحة علقت في أذهان أكثر الناس، فهم في العادة يرون أن «العمى» هو: فقد البصر، ولا يثير اهتمامهم عمى القلب الذي هو سبب الهلاك والعذاب، ومن هذا الباب: تفسير النبي ﷺ «الغِنى» بقوله: «ليس الغنى عن كثرة العَرَض ــ أي: المال ــ ولكنَّ الغنى غنى النفس»، وتفسيره ﷺ: «القوة والشدة» بقوله: «ليس الشديد بالصُّرَعَة ــ أي: مَنْ يصرع الناس ــ إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»، رواهما الشيخان.

أُولَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٢﴾ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ

﴿أولئك أصحاب الجحيم﴾ النار. ٥٢**﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول﴾** هو: «نبي أمر بالتبليغ»، [أي: بتبليغ شرعه هو إلى الناس] **﴿ولا نبي﴾** [قيل] أي: لم يؤمر بالتبليغ، [والصحيح: أن النبي مأمور بتبليغ شرع الرسول، والدليل على هذا، أن كثيراً من الأنبياء قُتلوا فلو لم يبلِّغوا الناس ويعارضوهم، لما قتلوهم] **﴿إلاَّ إذا تمنى﴾** قرأ **﴿ألقى الشيطان في أمنيته﴾** قراءته، ما ليس من القرآن، مما يرضاه المرسل إليهم، وقد قرأ النبي ﷺ[1] في سورة «النجم»، بمجلس من قريش، بعد: «أفرأيتم اللات والعزى * ومناة الثالثة الأخرى»، بإلقاء الشيطان على لسانه، من غير علمه ﷺ: «تلك الغرانيق العلا، وإن شفاعتهنَّ لتُرْتجى»، ففرحوا بذلك، ثم أخبره جبريل، بما ألقاه الشيطان على لسانه من ذلك، فحزن، فَسُلِّي بهذه الآية، [وهذه رواية لا أصل لها، اقرأ التعليق] **﴿فينسخ الله﴾** يبطل **﴿ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته﴾** يثبتها **﴿والله عليم﴾** بإلقاء الشيطان ما ذُكر **﴿حكيم﴾** في تمكينه منه، يفعل ما يشاء. ٥٣**﴿ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة﴾** محنة **﴿للذين في قلوبهم مرض﴾** شك ونفاق **﴿والقاسية قلوبهم﴾** أي: المشركين، عن قبول الحق **﴿وإن الظالمين﴾** الكافرين **﴿لفي شقاق بعيد﴾** خلاف طويل، مع النبي ﷺ والمؤمنين، حيث جرى على لسانه، ذكر آلهتهم بما يرضيهم، ثم أبطل ذلك [اقرأ التعليق]. ٥٤**﴿وليعلم الذين أوتوا العلم﴾** التوحيد والقرآن **﴿أنه﴾** أي: القرآن **﴿الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت﴾** تطمئن **﴿له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط﴾** طريق **﴿مستقيم﴾** أي: دين الإسلام. ٥٥**﴿ولا يزال الذين كفروا في مرية﴾** شك **﴿منه﴾** أي: القرآن، بما ألقاه الشيطان على لسان النبي، ثم أبطل **﴿حتى تأتيهم الساعة بغتة﴾** أي: ساعة موتهم، أو: القيامة فجأة **﴿أو يأتيهم عذاب يوم عقيم﴾** هو يوم بدر، لا خير فيه للكفار، كالريح العقيم التي لا تأتي بخير، أو: هو يوم القيامة، لا ليل له.

٥٦**﴿الملك يومئذٍ﴾** أي: يوم القيامة **﴿لله﴾** وحده، وما تضمنه من [معنى] الاستقرار [المقدَّر]، ناصب للظرف **﴿يحكم بينهم﴾** بين المؤمنين والكافرين، بما بيَّنَ بَعْده **﴿فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم﴾** فضلاً من الله. ٥٧**﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب**

---

(١) قوله: «وقد قرأ النبي ﷺ. . .إلخ» وما تبع ذلك من تفسير، هو كلام باطل، ما كان ينبغي للجلال المحلي أن ينقله هكذا من غير بيان، فلقد اتفق جمهور العلماء على أن قصة الغرانيق هذه باطلة متناً، ولا أصل لها سنداً، قال ابن إسحاق: هي من وضع الزنادقة، وقال البيهقي: غير ثابتة نقلاً، ورواتها مطعونون، وردَّها رداً شديداً القاضي عياض في «الشفاء»، وأبو بكر ابن العربي، وابن كثير، والرازي، وغيرهم، أما الحافظ ابن حجر فقال: وإذا سلمنا أن لها أصلاً وجب تأويلها، وأحسن ما قيل في ذلك: أن الشيطان نطق بتلك الكلمات في أثناء قراءة =

﴿مهين﴾ شديد بسبب كفرهم. ٥٨﴿والذين هاجروا في سبيل الله﴾ أي: طاعته، من مكة إلى المدينة ﴿ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنّهم الله رزقاً حسناً﴾ هو رزق الجنة ﴿وإن الله لهو خير الرازقين﴾ أفضل المعطين.

٥٩﴿ليدخلنهم مدخلاً﴾ بضم الميم وفتحها، أي: إدخالاً أو: موضعاً ﴿يرضونه﴾ وهو الجنة ﴿وإن الله لعليم﴾ بنياتهم ﴿حليم﴾ عن عقابهم.

٦٠الأمر ﴿ذلك﴾ الذي قصصناه عليك ﴿ومن عاقب﴾ جازى من المؤمنين ﴿بمثل ما عوقب به﴾ ظلماً من المشركين، أي: قاتلهم كما قاتلوه في الشهر المحرم ﴿ثم بغي عليه﴾ منهم، أي: ظُلِمَ بإخراجه من منزله ﴿لينصرنه الله إن الله لعفو﴾ عن المؤمنين ﴿غفور﴾ لهم عن قتالهم في الشهر الحرام.

مُهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِي

٦١﴿ذلك﴾ النصر ﴿بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾ أي: يُدخل كُلّاً منهما في الآخر، بأن يزيد به، وذلك من أثر قدرته تعالى، التي بها النصر ﴿وأن الله سميع﴾ دعاء المؤمنين ﴿بصير﴾ بهم، حيث جعل فيهم الإيمان، فأجاب دعاءهم.

٦٢﴿ذلك﴾ النصر أيضاً ﴿بأن الله هو الحق﴾ الثابت ﴿وأن ما يدعون﴾ بالياء والتاء، يعبدون ﴿من دونه﴾ وهو: الأصنام ﴿هو الباطل﴾ الزائل ﴿وأن الله هو العلي﴾ أي: العالي على كل شيء بقدرته ﴿الكبير﴾ الذي يصغر كل شيء سواه.

٦٣﴿ألم تر﴾ تعلم ﴿أن الله أنزل من السماء ماء﴾ مطراً ﴿فتصبح الأرض مخضرة﴾ بالنبات، وهذا من أثر قدرته ﴿إن الله لطيف﴾ بعباده، في إخراج النبات بالماء ﴿خبير﴾ بما في قلوبهم، عند تأخير المطر.

٦٤﴿له ما في السماوات وما في الأرض﴾ على جهة الملك ﴿وإن الله لهو الغني﴾ عن عباده ﴿الحميد﴾ لأوليائه.

٦٥﴿ألم تر﴾ تعلم ﴿أن الله سخر لكم ما في الأرض﴾ من البهائم ﴿والفلك﴾ السفن ﴿تجري

= النبي ﷺ، عند سكتة من السكتات محاكياً نغمته، فسمعها القريب منه، فظنها من قوله وأشاعها اهـ. وهذا وجه ذكره أبو جعفر النحاس في «ناسخه» قال: فألقى الشيطان هذا، في تلاوة النبي ﷺ من غير أن ينطق به النبي ﷺ، والدليل على هذا أن ظاهر القرآن كذا، وأن الثقات من أصحاب السير كذا يروون اهـ. ومما قاله البغوي في إجاباته: إن الشيطان أوقع في مسامع المشركين ذلك، فتوهموا أنه صدر عن رسول الله ﷺ، وليس كذلك في نفس الأمر.

فعلى قول الجمهور ببطلان قصة الغرانيق المزعومة من أساسها، وهو الذي نجزم به ونعتقده، يكون معنى الآيات كما يلي: كان الشيطان يلقي في قراءة كل رسول ونبي، ومنهم النبي محمد ﷺ ولكن الله تعالى يبطل ما يلقيه الشيطان، وقد شاء الله تعالى ذلك، ليكون امتحاناً للمنافقين والمشركين، وزيادة يقين للمؤمنين بما جاءهم من الحق، أما: ماذا ألقى الشيطان في أمنية كل واحد منهم؟ وكيف؟ ومتى؟ فلم يثبت بيانه بنص، ولا هو مما يجوز القول فيه بالرأي، فلذلك نمسك قائلين: الله أعلم.

﴿في البحر﴾ للرّكوب والحمل ﴿بأمره﴾ بإذنه ﴿ويمسك السماء﴾ من ﴿أن﴾ أو لئلاّ ﴿تقع على الأرض إلاّ بإذنه﴾ فتهلكوا ﴿إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾ في التسخير والإمساك.

٦٦﴿وهو الذي أحياكم﴾ بالإنشاء، [والخلق أول مرة] ﴿ثم يميتكم﴾ عند انتهاء آجالكم ﴿ثم يحييكم﴾ عند البعث ﴿إن الإنسان﴾ أي: المشرك ﴿لكفور﴾ لنعم الله، بتركه توحيده.

٦٧﴿لكل أمة جعلنا منسكاً﴾ بفتح السين وكسرها، [أي:] شريعة ﴿هم ناسكوه﴾ عاملون به ﴿فلا ينازعنك﴾ يراد به: لا تنازعهم، [وهذا المعنى يجري في باب المفاعلة فقط، وقد نازعوه هم، فنهي عن منازعتهم] ﴿في الأمر﴾ أي: [فيما نَشْرَعُ لأمتك، فقد كانت الشرائع في كل عصر، فليس شرعك بدعاً من الشرائع، أي: دع كفار مكة، ولا تنازعهم في أمر الدين، أو: في] أمر الذبيحة، إذ قالوا[1]: ما قتل اللهُ، أحق أن تأكلوه، مما قتلتم ﴿وادع إلى ربك﴾ أي: إلى دينه ﴿إنك لعلى هدى﴾ دين ﴿مستقيم﴾ [موصل إلى المقصود].

٦٨﴿وإن جادلوك﴾[2] [أي: مشركو مكة وخاصموك]، في أمر الدين ﴿فقل الله أعلم بما تعملون﴾ [من الكفر والتكذيب]، فيجازيكم عليه، [أي: لا تجبهم، لأنه لا جواب لصاحب العناد]، وهذا قبل الأمر بالقتال.

٦٩﴿الله يحكم بينكم﴾ أيها المؤمنون والكافرون ﴿يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون﴾ بأن يقول كل من الفريقين، خلافَ قول الآخر.

٧٠﴿ألم تعلم﴾ الاستفهام فيه للتقرير ﴿أن الله يعلم ما في السماء والأرض؟ إن ذلك﴾ أي: ما ذكر ﴿في كتاب﴾ هو: اللوح المحفوظ ﴿إن ذلك﴾ أي: علم ما ذُكر ﴿على الله يسير﴾ سهل.

٧١﴿ويعبدون﴾ أي: المشركون ﴿من دون الله ما لم ينزل به﴾ هو: الأصنام ﴿سلطاناً﴾ حجة ﴿وما ليس لهم به علم﴾ أنها آلهة، [أي: عبدوها تقليداً لآبائهم، من غير دليل ولا حجة، فلذلك توعدهم الله تعالى بقوله:] ﴿وما للظالمين﴾ بالإشراك ﴿من نصير﴾ يمنع عنهم عذاب الله.

٧٢﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا﴾ من القرآن ﴿بينات﴾ ظاهرات، حال ﴿تعرف في وجوه الذين كفروا

فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟

(١) قوله: «إذ قالوا»، قائل ذلك هم مشركو مكة على الصحيح، وقيل هم: اليهود، وقد بينا ذلك في تعليقنا ص ١٨٢.

(٢) قوله تعالى: ﴿وإن جادلوك﴾، ارجع إلى تعليقنا حول «الجدل» ص ٢٨٩.

﴿المنكر﴾ أي: الإنكار لها، أي: أثرَهُ من الكراهة والعبوس ﴿يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا﴾ أي: يقعون فيهم بالبطش ﴿قل أفأنبئكم بشر من ذلكم﴾ بأكره إليكم من القرآن المتلو عليكم؟ هو: ﴿النار وعدها الله الذين كفروا﴾ بأنَّ مصيرهم إليها ﴿وبئس المصير﴾ هي.

٧٣﴿يا أيها الناس﴾ أي: أهل مكة [وغيرهم] ﴿ضرب مثل فاستمعوا له﴾ وهو ﴿إن الذين تدعون﴾ تعبدون ﴿من دون الله﴾ أي: غيره، وهم: الأصنام ﴿لن يخلقوا ذباباً﴾ اسم جنس، واحده «ذبابة»، يقع على المذكر والمؤنث ﴿ولو اجتمعوا له﴾ [أي:] لخلقه ﴿وإن يسلبهم الذباب شيئاً﴾ مما عليهم، من الطيب والزعفران، الملطَّخين[1] به ﴿لا يستنقذوه﴾ لا يستردوه ﴿منه﴾ لعجزهم، فكيف يُعْبَدُون شركاء الله تعالى؟ وهذا أمر مستغرب، عَبَّرَ عنه بضرب مثل ﴿ضعف الطالب﴾ العابد ﴿والمطلوب﴾ المعبود.

٧٤﴿ما قدروا الله﴾ عظموه ﴿حق قدره﴾ عظمته، إذ أشركوا به ما لم يمتنع من الذباب ولا ينتصف منه ﴿إن الله لقوي عزيز﴾ غالب.

٧٥﴿الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس﴾ رسلاً، نزل لما قال المشركون: «أأنزل عليه الذِّكر من بيننا؟»: ﴿إن الله سميع﴾ لمقالاتهم ﴿بصير﴾ بمن يتخذه رسولاً، كجبريل وميكائيل [من الملائكة]، وإبراهيم ومحمد [من الناس]، وغيرهم صلَّى الله عليهم وسلم.

٧٦﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ أي: ما قدموا وما خلَّفوا، وما عملوا وما هم عاملون بَعْدُ ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾.

٧٧﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا﴾ أي: صلُّوا ﴿واعبدوا ربكم﴾ وحدوه ﴿وافعلوا الخير﴾ كصلة الرحم، ومكارم الأخلاق ﴿لعلكم تفلحون﴾ تفوزون، بالبقاء في الجنة.

ٱلْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ

سجدة الشافعي

٧٨﴿وجاهدوا في الله﴾ لإقامة دينه ﴿حق جهاده﴾ باستفراغ الطاقة فيه، ونصب «حق» على المصدر، [وهو من إضافة الصفة إلى الموصوف، أي: جهاداً حقاً] ﴿هو اجتباكم﴾ اختاركم لدينه ﴿وما جعل

---

(١) قوله: «الملطخين به» هو هكذا في المخطوطة الثانية وهو الصواب، وفي المخطوطتين الأخريين، وبعض النسخ المطبوعة: «الملطخون به»، وقد استشكله الصاوي في حاشيته قائلاً: المناسب أن يقول: «المتلطخين به» لأنه نعت سببي للطيب والزعفران، فكلام الصاوي قريب مما في المخطوطة الثانية التي اعتمدناها في التفسير.

عليكم في الدين من حرج﴾ أي: ضيّق، بأن سهله عند الضرورات، كالقصر [في الصلاة]، والتيمم، وأكل الميتة، والفطر [في رمضان] للمرض والسفر ﴿ملة أبيكم﴾ منصوب بنزع الخافض: الكاف، [أي: كملّة أبيكم] ﴿إبراهيم﴾ عطف بيان ﴿هو﴾ أي: الله، ﴿سماكم المسلمين من قبل﴾ أي: قبل هذا الكتاب ﴿وفي هذا﴾ أي: القرآن [وقيل: «هو سماكم» أي: إبراهيم، والصواب الأول] ﴿ليكون الرسول شهيداً عليكم﴾ يوم القيامة، أنه بلّغكم ﴿وتكونوا﴾ أنتم ﴿شهداء على الناس﴾ أن رسلهم بلّغتهم ﴿فأقيموا الصلاة﴾ داوموا عليها ﴿وآتوا الزكاة واعتصموا بالله﴾ ثقوا به ﴿هو مولاكم﴾ ناصركم ومتولي أموركم ﴿فنعم المولى﴾ هو ﴿ونعم النصير﴾ أي: الناصر لكم.

عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَـٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

(٢٣) سُورَةُ المُؤْمِنُونَ مَكِّيَّة وَآيَاتُهَا ثَمَانِي عَشْرَةَ وَمِائَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ

﴿ سُورَةُ المُؤْمِنُونَ ﴾

(مكية مائة وثماني، أو: وتسع عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿قد﴾ للتحقيق ﴿أفلح﴾ فاز ﴿المؤمنون﴾[1].

٢ ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ متواضعون، [خاضعون ظاهراً وباطناً، فالخشوع الظاهري، هو: التمسك بآداب الصلاة، وعدم العبث فيها، والخشوع الباطني، هو: استحضار عظمة الله تعالى].

٣ ﴿والذين هم عن اللغو﴾ من الكلام وغيره ﴿معرضون﴾ [قال الحسن البصري: «اللغو»: المعاصي كلها، قال القرطبي: فهذا قول جامع، يدخل فيه قول من قال: هو الشرك، وقول من قال: هو الغناء، وما لا فائدة فيه، من الأقوال والأفعال].

٤ ﴿والذين هم للزكاة فاعلون﴾ مؤدون. ٥ ﴿والذين هم لفروجهم

(١) قوله تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ الآيات العشر، أخرج الإمام أحمد والترمذي ــ واللفظ له ــ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي، سُمعَ عند وجهه كدوي النحل، فأنزل عليه يوماً، فمكثنا ساعة فسُرّي عنه، فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال: «اللهم زدنا ولا تَنقصنا، وأكرمنا ولا تُهنّا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرْضِنا وارْضَ عنا» ثم قال: «أنزل عليَّ عشر آيات، من أقامهن دخل الجنة» ثم قرأ: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ حتى ختم عشر آيات.

﴿حافظون﴾ عن الحرام. ٦﴿إلاّ على أزواجهم﴾ أي: من زوجاتهم ﴿أو ما ملكت أيمانهم﴾ أي: السراري ﴿فإنهم غير ملومين﴾ في إتيانهن، [بل يكون لهم أجر، روى مسلم من حديث أبي ذر، عن النبي ﷺ قال: «وفي بُضْع ــ أي: جماع ــ أحدكم صدقة» قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته، ويكون له فيها أجر؟!. قال: «أرأيتم لو وضعها في حرام، أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال، كان له أجر»]. ٧﴿فمن ابتغى وراء ذلك﴾ من الزوجات والسراري، كالاستمناء بيده[1] ﴿فأولئك هم العادون﴾ المتجاوزون إلى ما لا يحل لهم. ٨﴿والذين هم لأماناتهم﴾ جمعاً ومفرداً، [قراءتان] ﴿وعهدهم﴾ فيما بينهم، أو: فيما بينهم وبين الله، من صلاة وغيرها ﴿راعون﴾ حافظون. ٩﴿والذين هم على صلواتهم﴾ جمعاً ومفرداً ﴿يحافظون﴾ يقيمونها في أوقاتها. ١٠﴿أولئك هم الوارثون﴾ لا غيرهم. ١١﴿الذين يرثون الفردوس﴾ هو: جنة أعلى الجنان، [ففي صحيح مسلم، قوله ﷺ: «فإذا سألتم الله، فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، ومنه تَفَجَّرُ أنهارُ الجنة»] ﴿هم فيها خالدون﴾ في ذلك إشارة إلى المعاد، ويناسبه ذكر المبدأ بعده. ١٢﴿و﴾ الله ﴿لقد خلقنا الإنسان﴾ آدم ﴿من سلالة﴾ هي: من سَلَلْتُ الشيء من الشيء، أي: استخرجْتُه منه، وهو خلاصته ﴿من طين﴾ متعلق بـ «سلالة». ١٣﴿ثم جعلناه﴾ أي: الإنسان، نسل آدم ﴿نطفة﴾ منياً ﴿في قرار مكين﴾ هو الرحم، [ويبقى أربعين يوماً كذلك]. ١٤﴿ثم خلقنا النطفة علقة﴾ دماً جامداً، [ويبقى أربعين يوماً أخرى كذلك] ﴿فخلقنا العلقة مضغة﴾ لحمة قدر ما يُمضغ، [ويبقى أربعين يوماً كذلك] ﴿فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً﴾ وفي قراءة: «عَظْماً»، في الموضعين، [أي: «عظماً» و«العظم»]، و«خلقنا» في المواضع الثلاثة بمعنى: صيرنا ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾ بنفخ الروح فيه ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ أي: المقدِّرين، ومميز «أحسن»، محذوف للعلم به، أي: [أحسنهم] خلقاً. ١٥﴿ثم إنكم بعد ذلك﴾ [أي: بعد انقضاء آجالكم] ﴿لميتون﴾.

حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ

١٦﴿ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾ للحساب والجزاء. ١٧﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق﴾ أي: سماوات، جمع «طريقة»، [لأن بعضها فوق بعض، وقيل:] لأنها طُرق الملائكة ﴿وما كنا عن الخلق﴾ تحتها

(١) قوله: «كالاستمناء بيده»، الاستمناء هو: «استفعال» من المني، أي: استخراج المني بالعَبَث، وهو عمل مؤذٍ يضر الفاعل في نفسه وصحته، وقد حرمه أكثر العلماء، ولكي يتلافى الإنسان الوقوع في «العادة السرية» السيئة المضرَّة هذه، عليه: أن لا يأوي إلى فراشه إلاّ عندما يشعر بغلبة النوم، وأن ينهض من فراشه بعد النوم مسرعاً، وأن يغضّ بصره عن المحرمات، وأن لا يقرأ الكتب أو المقالات المثيرة للشهوة، وأن يكثر من الصيام وقراءة القرآن، والمستعان بالله.

﴿غافلين﴾ أن تسقط عليهم، فتهلكهم، بل نمسكها كآية: «ويمسك السماءَ أن تقع على الأرض».

١٨﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر﴾ من كفايتهم، [أي: على مقدار مصلح، لأنه لو كثر لأَهْلَكَ] ﴿فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون﴾ فيموتون مع دوابهم عطشاً.

١٩﴿فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب﴾ هما أكثر فواكه العرب ﴿لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون﴾ صيفاً وشتاءً.

غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا

٢٠﴿و﴾ أنشأنا ﴿شجرة تخرج من طور سيناء﴾ جبل، بكسر السين وفتحها، ومُنعَ الصَّرْفُ، للعلمية والتأنيث للبقعة، [أي: لأنه اسم علم، على البقعة التي فيها جبل الطور] ﴿تنبت﴾ [بضم التاء وكسر الباء]، من الرباعي [«أنبت»]، و [في قراءة: بفتح التاء وضم الباء، من] الثلاثي [«نَبَتَ»]، ﴿بالدهن﴾ «الباء» زائدة على الأول، ومعدِّية على الثاني، وهي: شجرة الزيتون ﴿وصبغ للآكلين﴾ عطف على «الدهن»، أي: إدام، يصبغ اللقمة بغمسها فيه، وهو: الزيت.

٢١﴿وإن لكم في الأنعام﴾ الإبل والبقر والغنم ﴿لعبرة﴾ عظة تعتبرون بها ﴿نسقيكم﴾ بفتح النون وضمها ﴿مما في بطونها﴾ أي: اللبن ﴿ولكم فيها منافع كثيرة﴾ من الأصواف والأوبار والأشعار، وغير ذلك ﴿ومنها تأكلون﴾ [أي: لحومها].

٢٢﴿وعليها﴾ أي: الإبل ﴿وعلى الفلك﴾ أي: السفن ﴿تحملون﴾.

٢٣﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله﴾ أطيعوه ووحدوه ﴿ما لكم من إله غيره﴾ وهو [ـ أي: «إله» ـ] اسم «ما»[1]، وما قبله، [أي: «لكم»]، الخبر، و «من» زائدة ﴿أفلا تتقون﴾ تخافون عقوبته، بعبادتكم غيره؟.

٢٤﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه﴾ لأتباعهم ﴿ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل﴾ يتشرف ﴿عليكم﴾ بأن يكون متبوعاً وأنتم أتباعه ﴿ولو شاء الله﴾ أن لا يعبد غيره ﴿لأنزل ملائكة﴾ بذلك، لا بشراً ﴿ما سمعنا بهذا﴾ الذي دعا إليه نوح، من التوحيد ﴿في آبائنا الأولين﴾ الأمم الماضية. ٢٥﴿إن هو﴾ ما نوح ﴿إلا

(١) قوله: «اسم ما»، هذا وجه ضعيف في الإعراب، والصحيح أن «ما» هنا مهملة، لم تعمل عمل «ليس»، بسبب تقدم الخبر على المبتدأ، أي: هي نافية فقط، فـ «إلَه» مبتدأ مجرور لفظاً بحركة حرف الجر الزائد، مرفوع محلاً، وما قبله الخبر، كقوله: «وما من إلَه إلاّ الله» وقوله تعالى: ﴿غيره﴾: فيه قراءتان سبعيتان، بالرفع بدل من محل «إلَه»، ـ ومحله رفع بالابتداء ـ وبالجر صفة له مراعاة للفظ.

رجل به جنة﴾ حالة جنون ﴿فتربصوا به﴾ انتظروه ﴿حتى حين﴾ إلى زمن موته. ٢٦ ﴿قال﴾ نوح ﴿رب انصرني﴾ عليهم ﴿بما كذبون﴾ بسبب تكذيبهم إياي، بأن تهلكهم. ٢٧ قال تعالى مجيباً دعاءه: ﴿فأوحينا إليه أن اصنع الفلك﴾ السفينة ﴿بأعيننا﴾ بمرأى منا وحفظنا ﴿ووحينا﴾ أمرنا ﴿فإذا جاء أمرنا﴾ بإهلاكهم ﴿وفار التنور﴾ للخباز بالماء، وكان ذلك علامةً لنوح ﴿فاسلك فيها﴾ أي: أدخل في السفينة ﴿من كلِّ زوجين﴾ [بإضافة «كل»]، أي: ذكر وأنثى، أي: من كل أنواعهما، [احمل] ﴿اثنين﴾ ذكراً وأنثى، وهو مفعول، و«مِنْ» متعلقة بـ«اسلك»، وفي القصة: أن الله تعالى، حشر لنوح السباع والطير وغيرهما، فجعل يضرب بيديه في كل نوع، فتقع يده اليمنى على الذكر، واليسرى على الأنثى، فيحملهما في السفينة، وفي قراءة: «كلٍّ» بالتنوين، فـ«زوجين» مفعول، و«اثنين» تأكيد له ﴿و﴾ [اسلك فيها] ﴿أهلك﴾ زوجته وأولاده ﴿إلا من سبق عليه القول منهم﴾ بالإهلاك، [فلا تحمله فيها]، وهو: زوجته وولده «كنعان»[1] [الكافران]، بخلاف «سام وحام ويافث»، فحملهم وزوجاتهم[2] الثلاثة، وفي سورة «هود»: «ومَنْ آمَنَ وما آمن معه إلا قليل»، قيل: كانوا ستة رجال ونساءهم، وقيل: جميع من كان في السفينة، ثمانية وسبعون، نصفهم رجال، ونصفهم نساء ﴿ولا تخاطبني في الذين ظلموا﴾ كفروا [من أهلك وقومك]، بترك إهلاكهم ﴿إنهم مغرقون﴾ ٢٨ ﴿فإذا استويت﴾ اعتدلت ﴿أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين﴾ الكافرين، وإهلاكهم، [أي: ونجّانا مما أهلكهم به]. ٢٩ ﴿وقل﴾ عند نزولك من الفلك ﴿رب أنزلني مُنْزلاً﴾ بضم الميم وفتح الزاي: مصدر، أو: اسم مكان، وبفتح الميم وكسر الزاي: مكان النزول ﴿مباركاً﴾ ذلك الإنزال، أو: المكان ﴿وأنت خير المنزلين﴾ ما ذُكر. ٣٠ ﴿إن في ذلك﴾ المذكور، من أمر نوح والسفينة، وإهلاك الكفار ﴿لآيات﴾ دلالات على قدرة الله تعالى ﴿وإن﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن ﴿كنا لمبتلين﴾ مختبرين قوم نوح، بإرساله إليهم ووعظه. ٣١ ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قرناً﴾ قوماً ﴿آخرين﴾ هم عاد[3]. ٣٢ ﴿فأرسلنا فيهم رسولاً منهم﴾ هوداً ﴿أن﴾ أي: بأن ﴿اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون﴾ عقابه، فتؤمنون؟ ٣٣ ﴿وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة﴾ بالمصير إليها ﴿وأترفناهم﴾ نعمناهم

رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَـٰهُمْ

---

(١) قوله: «كنعان»، ارجع إلى تعليقنا حوله ص ٣١٥.

(٢) قوله: «وزوجاتهم الثلاثة» ـ بالتاء ـ، هو هكذا في إحدى المخطوطات، وفي المخطوطتين والنسخ المطبوعة: «ثلاثة» بلا «أل»، ولعله: «وزوجاتهم الثلاث» على القاعدة، كما جاء مصرحاً به في مثل هذه العبارة في تفسير الآية «٢٦» من سورة «هود» ص ٢٩٠، وإن اعتبرت «ثلاثة» مقطوعة عما قبلها أي: لم يذكر معها معدودها، فإن تأنيثها أيضاً خلاف الفصيح.

(٣) قوله: «هم عاد»، حقه أن يقول: هم ثمود قوم صالح، لأنهم هم الذين أهلكوا بالصيحة، وهذا ما اعتمده البيضاوي في تفسيره.

﴿في الحياة الدنيا ما هذا إلاَّ بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون﴾. ٣٤﴿و﴾ الله ﴿لئن أطعتم بشراً مثلكم﴾ فيه قَسَمٌ وشرط، والجواب[1] لأولهما، وهو مغن عن جواب الثاني ﴿إنكم إذاً﴾ أي: إذا أطعتموه ﴿لخاسرون﴾ أي: مغبونون. ٣٥﴿أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون﴾ هو خبر «أنكم» الأولى، و «أنكم» الثانية تأكيد لها، لمَّا طال الفصل.

٣٦﴿هيهات هيهات﴾ اسم فعل ماض، [أو] بمعنى مصدر، [ومعناه على القول الأول]، أي: بَعُدَ بَعُدَ ﴿لما توعدون﴾ [ـه] من الإخراج من القبور، واللام زائدة، [أو:] للبيان، [وعلى القول بأن «هيهات» بمعنى المصدر، يكون المعنى: «بُعْدٌ بُعْدٌ لما توعدونه»، فـ «بُعْدٌ» الأولى مبتدأ، والثانية توكيد لها، وقوله: «لما توعدون»، متعلق بمحذوف خبر المبتدأ، فاللام ليست زائدة].

٣٧﴿إن هي﴾ أي: ما الحياة ﴿إلاَّ حياتنا الدنيا نموت ونحيا﴾ بحياة أبنائنا، [أي: يموت أناس، ويحيا آخرون] ﴿وما نحن بمبعوثين﴾.

٣٨﴿إن هو﴾ أي: ما الرسول ﴿إلاَّ رجل افترى على الله كذباً وما نحن له بمؤمنين﴾ أي: مصدقين في البعث بعد الموت.

٣٩﴿قال رب انصرني بما كذبون﴾ [أي: بسبب تكذيبهم إياي].

٤٠﴿قال عما قليل﴾ من الزمان، و «ما» زائدة ﴿ليصبحن﴾ لَيَصيرُنَّ ﴿نادمين﴾ على كفرهم وتكذيبهم.

٤١﴿فأخذتهم الصيحة﴾ صيحة العذاب والهلاك كائنة ﴿بالحق﴾ فماتوا ﴿فجعلناهم غثاء﴾ وهو: نَبْتٌ يبس، أي: صيرناهم مثله في اليَبَس ﴿فبعداً﴾ من الرحمة ﴿للقوم الظالمين﴾ المكذبين.

٤٢﴿ثم أنشأنا من بعدهم قروناً﴾ أقواماً ﴿آخرين﴾.

٤٣﴿ما تسبق من أمة أجلها﴾ بأن تموت قبله ﴿وما يستأخرون﴾ عنه، ذكَّر الضمير بعد تأنيثه، رعاية للمعنى.

٤٤﴿ثم أرسلنا رسلنا تترا﴾ بالتنوين وعدمه، [أصلها: «وَتْرَى»، من «الوَتْر»، وهو: الفرد،] أي: متتابعين [واحداً بعد واحد]، بين كل اثنين زمان طويل، [وقيل: متتابعين بلا مهلة، وهو الصحيح] ﴿كلما جاء أمة﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية بينها وبين الواو ﴿رسولها كذبوه

فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ

(١) قوله: «والجواب لأولهما، إلخ» أي: للقسم، والجواب هو قوله تعالى: ﴿إنكم إذاً لخاسرون﴾، وجواب الشرط الذي هو الثاني محذوف وجوباً، أغنى عنه جواب القسم، قال ابن مالك في «ألفيته»:

واحذف لدى اجتماع شرطٍ أو قَسَمْ جوابَ ما أخَّرْتَ فَهْوَ ملتزمْ

﴿فأتبعنا بعضهم بعضاً﴾ في الهلاك ﴿وجعلناهم أحاديث فبعداً لقوم لا يؤمنون﴾ . ٤٥﴿ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين﴾ حجة بينة، وهي: اليد والعصا، وغيرهما من الآيات[1]. ٤٦﴿إلى فرعون وملائه فاستكبروا﴾ عن الإيمان بها وبالله ﴿وكانوا قوماً عالين﴾ [متكبرين]، قاهرين بني إسرائيل بالظلم. ٤٧﴿فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون﴾ مطيعون خاضعون؟ ٤٨﴿فكذبوهما فكانوا من المهلكين﴾. ٤٩﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ التوراة ﴿لعلهم﴾ أي: قومه، بني إسرائيل ﴿يهتدون﴾ به من الضلالة، وأوتيها، بعد هلاك فرعون وقومه، جملةً واحدة. ٥٠﴿وجعلنا ابن مريم﴾ عيسى ﴿وأمه آية﴾ لم يقل: «آيتين»، لأن الآية فيهما واحدة [هي:] ولادته من غير فحل ﴿وآويناهما إلى ربوة﴾ مكان مرتفع، وهو البيت المقدس، أو: دمشق، أو فلسطين، أقوال، [الأول: قول قتادة، والثاني: قول ابن عباس، والثالث: قول أبي هريرة] ﴿ذات قرار﴾ أي: مستوية يستقر عليها ساكنوها ﴿ومعين﴾ أي: ماء جار ظاهر، تراه العيون.

٥١﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات﴾[2] الحلالات ﴿واعملوا صالحاً﴾ من فرض ونفل ﴿إني بما تعملون عليم﴾ فأجازيكم عليه.

٥٢﴿و﴾ اعلموا ﴿أنَّ هذه﴾ أي: ملة الإسلام ﴿أمتكم﴾ دينكم أيها المخاطبون، أي: يجب أن تكونوا عليها ﴿أمة واحدة﴾ حال لازمة، وفي قراءة: بتخفيف النون، [أي: «وأنْ هذه»]، وفي أخرى: بكسرها مشددة استئنافاً ﴿وأنا ربكم فاتقون﴾ فاحذرون.

٥٣﴿فتقطعوا﴾ أي: الأتباع ﴿أمرهم﴾ دينهم ﴿بينهم زبراً﴾ حال من فاعل «تقطعوا»، أي: أحزاباً متخالفين، كاليهود والنصارى وغيرهم ﴿كل حزب بما لديهم﴾ أي: عندهم من الدين ﴿فرحون﴾ مسرورون.

٥٤﴿فذرهم﴾ أي: اترك كفار مكة ﴿في غمرتهم﴾ ضلالتهم ﴿حتى حين﴾ أي: حين موتهم.

٥٥﴿أيحسبون أنما نمدهم به﴾ نعطيهم ﴿من مال

فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ

---

(١) قوله: «وغيرهما من الآيات» تقدم بيانها في تعليقنا ص ٢٧٨.

(٢) قوله تعالى: ﴿يا أيها الرسل.﴾ الآية، روى مسلم والترمذي وأحمد ــ واللفظ له ــ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلاَّ طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات﴾ الآية، وقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾، ثم ذكر ﷺ الرجلَ يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، وملبسه حرام، وغُذِّي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟».

ارجع إلى تعليقنا حول «الدعاء وشروطه» ص ٦٢٦.

وبنين﴾ في الدنيا. ٥٦﴿نسارع﴾ نعجل ﴿لهم في الخيرات﴾؟ لا ﴿بل لا يشعرون﴾ أن ذلك استدراج لهم. ٥٧﴿إن الذين هم من خشية ربهم﴾ خوفهم منه ﴿مشفقون﴾ خائفون من عذابه. ٥٨﴿والذين هم بآيات ربهم﴾ القرآن ﴿يؤمنون﴾ يصدقون. ٥٩﴿والذين هم بربهم لا يشركون﴾ معه غيره. ٦٠﴿والذين يؤتون﴾ يعطون ﴿ما آتوا﴾ أعطوا من الصدقة، والأعمال الصالحة ﴿وقلوبهم وجلة﴾ خائفة أن لا تُقبل منهم ﴿أنهم﴾ يقدر قبله لام الجر، [أي: لأنهم] ﴿إلى ربهم راجعون﴾ [أخرج أحمد والترمذي، عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله، «الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة»، هو: الذي يسرق، ويزني، ويشرب الخمر، وهو يخاف الله؟ قال: «لا، ولكنه الذي يصوم ويصلي ويتصدق، وهو يخاف أن لا يُقبل منه»] ٦١﴿أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون﴾ في علم الله، [أي: علم الله تعالى، أنهم سيكونون سابقين لفعل الخيرات]. ٦٢﴿ولا نكلف نفساً إلاّ وسعها﴾ أي طاقتها، فمن لم يستطع أن يصلي قائماً، فليصلِّ جالساً، ومن لم يستطع أن يصوم، فليأكل ﴿ولدينا﴾ عندنا ﴿كتاب ينطق بالحق﴾ بما عملته [كلُّ نفس]، وهو اللوح المحفوظ، تسطر فيه الأعمال ﴿وهم﴾ أي: النفوس العاملة ﴿لا يظلمون﴾ شيئاً منها، فلا ينقص من ثواب أعمال الخيرات، ولا يزاد في السيئات.

٦٣﴿بل قلوبهم﴾ أي: الكفار ﴿في غمرة﴾ جهالة [وعماية] ﴿من هذا﴾ القرآن ﴿ولهم أعمال من دون ذلك﴾ المذكور للمؤمنين ﴿هم لها عاملون﴾ فيعذبون عليها.

٦٤﴿حتى﴾ ابتدائية ﴿إذا أخذنا مترفيهم﴾ أغنياءهم ورؤساءهم ﴿بالعذاب﴾ أي: السيف يوم بدر، [قاله ابن عباس، أو: هو عذاب النار يوم القيامة] ﴿إذا هم يجأرون﴾ يضجون.

٦٥ يقال لهم: ﴿لا تجأروا اليوم إنكم منا لا تنصرون﴾ لا تمنعون، [قال ابن كثير: أي: لا يجيركم أحد مما حل بكم، سواء جأرتم أو سكتم].

٦٦﴿قد كانت آياتي﴾ من القرآن ﴿تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون﴾ ترجعون قهقرى.

٦٧﴿مستكبرين﴾ عن الإيمان ﴿به﴾ أي: بالبيت، أو: الحرم، بأنهم[1] أهله في أمن، بخلاف سائر الناس في مواطنهم، [فإنهم غير آمنين فيها] ﴿سامراً﴾ حال، أي: جماعة، يتحدثون بالليل حول البيت

وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا

(١) قوله: «بأنهم أهله الخ»، أي: يفعلون ذلك بسبب أنهم أهل الحرم وآمنون، أي: كان عليهم أن يؤمنوا ويشكروا، كما قال تعالى في سورة «قريش»: ﴿فليعبدوا رب هذا البيت * الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾.

تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَـٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَـٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ * وَلَوْ رَحِمْنَـٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ

نصف الحزب

﴿تهجرون﴾ [بفتح التاء وضم الجيم]، من الثلاثي، تتركون القرآن. و[في قراءة: بضم التاء وكسر الجيم]، من الرباعي، أي: تقولون غير الحق، في النبي والقرآن. ٦٨ قال تعالى: ﴿أفلم يدبروا﴾ أصله «يتدبروا»، فأدغمت التاء في الدال ﴿القول﴾ أي: القرآن، الدالّ على صدق النبي ﴿أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين﴾ [فأنكروه وأعرضوا عنه؟]. ٦٩﴿أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون؟﴾ [قال أبو سفيان: بلى قد عرفوه، ولكنهم حسدوه]. ٧٠﴿أم يقولون به جنة؟﴾ [أي: جنون]، الاستفهام فيه للتقرير بالحق، من صدق النبي، ومجيء الرسل للأمم الماضية، ومعرفة رسولهم بالصدق والأمانة، وأن لا جنون به ﴿بل﴾ للانتقال ﴿جاءهم بالحق﴾ أي: القرآن، المشتمل على التوحيد، وشرائع الإسلام ﴿وأكثرهم للحق كارهون﴾ [حسداً وبغياً وتقليداً]. ٧١﴿ولو اتبع الحق﴾ أي: القرآن ﴿أهواءهم﴾ بأن جاء بما يهوونه، من الشريك والولد لله، تعالى الله عن ذلك ﴿لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن﴾ أي: خَرَجَتْ عن نظامها المشاهَد، لوجود التمانع في الشيء عادةً، عند تعدد الحاكم ﴿بل أتيناهم بذكرهم﴾ أي: بالقرآن، الذي فيه ذكرهم وشرفهم ﴿فهم عن ذكرهم معرضون﴾. ٧٢﴿أم تسألهم خرجاً﴾ أجراً على ما جئتهم به من الإيمان؟ ﴿فخراج ربك﴾ أجره وثوابه ورزقه ﴿خير﴾ وفي قراءة: «خَرْجاً» في الموضعين، وفي قراءة أخرى: «خراجاً» فيهما، [فالقراءات ثلاث] ﴿وهو خير الرازقين﴾ أفضل من أعطى وآجر. ٧٣﴿وإنك لتدعوهم إلى صراط﴾ طريق ﴿مستقيم﴾ أي: دين الإسلام. ٧٤﴿وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ بالبعث والثواب والعقاب ﴿عن الصراط﴾ أي: الطريق ﴿لناكبون﴾ عادلون [منحرفون]. ٧٥﴿ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضرّ﴾ أي: جوع أصابهم بمكة سبع سنين ﴿للجوا﴾ تمادوا ﴿في طغيانهم﴾ ضلالتهم ﴿يعمهون﴾ يترددون.

٧٦﴿ولقد أخذناهم بالعذاب﴾(1) الجوع ﴿فما استكانوا﴾ تواضعوا ﴿لربهم وما يتضرعون﴾ يرغبون إلى الله في الدعاء. ٧٧﴿حتى﴾ ابتدائية ﴿إذا فتحنا عليهم باباً ذا﴾ صاحب ﴿عذاب شديد﴾ هو يوم بدر بالقتل، قاله ابن عباس، [وقال عكرمة: هو باب من أبواب جهنم] ﴿إذا هم فيه

(١) قوله تعالى: ﴿ولقد أخذناهم بالعذاب﴾، أخرج النسائي، والحاكم ــ وصححه ــ، والبيهقي، وغيرهم، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد أنشدك بالله والرحم، قد أكلنا العِلْهِزَ ــ يعني: الوبر بالدم ــ فأنزل الله ﴿ولقد أخذناهم بالعذاب﴾ الآية. وذلك بعد أن دعا عليهم النبي ﷺ فأصابهم القحط، كما سيأتي في سورة «الدخان» ص ٦٥٧.

مبلسون﴾ آيسون من كل خير. ٧٨﴿وهو الذي أنشأ﴾ خلق ﴿لكم السمع﴾ بمعنى الأسماع ﴿والأبصار والأفئدة﴾ القلوب ﴿قليلاً ما﴾ تأكيد للقلة ﴿تشكرون﴾.

٧٩﴿وهو الذي ذرأكم﴾ خلقكم ﴿في الأرض وإليه تحشرون﴾ تبعثون. ٨٠﴿وهو الذي يحيي﴾ بنفخ الروح في المضغة ﴿ويميت وله اختلاف الليل والنهار﴾ بالسواد والبياض، والزيادة والنقصان، [أو: تعاقبهما] ﴿أفلا تعقلون﴾ صنعه تعالى، فتعتبرون؟.

٨١﴿بل قالوا مثل ما قال الأولون﴾. ٨٢﴿قالوا﴾ أي: الأولون ﴿ءَإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً ءَإنا لمبعوثون﴾؟ لا، وفي

مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ

الهمزتين في الموضعين: التحقيق، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين، [وتركه]. ٨٣﴿لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا﴾ أي: البعث بعد الموت ﴿من قبل إن﴾ ما ﴿هذا إلاَّ أساطير﴾ أكاذيب ﴿الأولين﴾ كالأضاحيك والأعاجيب، جمع: «أسطورة» بالضم.

٨٤﴿قل﴾ لهم ﴿لمن الأرض ومن فيها﴾ من الخلق؟ ﴿إن كنتم تعلمون﴾ خالقها ومالكها!.

٨٥﴿سيقولون لله قل﴾ لهم ﴿أفلا تذَّكّرون﴾ بإدغام التاء الثانية في الذال، «تتعظون»، فتعلمون أن القادر على الخلق ابتداءً، قادر على الإحياء بعد الموت؟ [وفي قراءة: بفتح الذال مخففة]

٨٦﴿قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم﴾ الكرسي[1]؟.

٨٧﴿سيقولون الله[2] قل أفلا تتقون﴾ تحذرون عبادة غيره؟.

٨٨﴿قل من بيده ملكوت﴾ ملك ﴿كل شيء﴾ والتاء للمبالغة ﴿وهو يجير ولا يجار عليه﴾ يَحْمِي، ولا يُحْمَى عنه؟ ﴿إن كنتم تعلمون﴾.

٨٩﴿سيقولون الله﴾[3] وفي قراءة: «لله» بلام الجرّ، في الموضعين: [هذا والذي قبله]، نظراً إلى أن المعنى: مَنْ له ما ذُكر؟ [فيكون الجواب: لله] ﴿قل فأنى

---

(١) قوله: «الكرسي»، جرى المؤلفان الجلالان المحلي والسيوطي، على القول بأن العرش والكرسي واحد، والصحيح: أن العرش أعظم من الكرسي، وأنهما شيئان، ولقد بينا ذلك في تعليقنا ص ٥٣.

(٢) قوله تعالى: ﴿سيقولون الله﴾، سيأتي بعد آية، أن فيها قراءة أخرى: «لله» بلام الجر، وهي لمعظم القراء السبعة.

(٣) قوله تعالى: ﴿سيقولون الله﴾ في المواضع الثلاثة، والذي هو جواب الكافرين، عن الأسئلة العظيمة: ﴿قل لمن الأرض ومن فيها؟﴾ الآية ٨٤. و ﴿قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم؟﴾ الآية ٨٦. و ﴿قل من بيده ملكوت كل شيء؟﴾ الآية ٨٨. في هذا الجواب منهم، إشارة إلى الجواب الفطري الذي لا جواب غيره، فالكافر لا يستطيع أن يجيب عن هذه الأسئلة بغير هذا الجواب، والملحد لا يصدق نفسه إن أجاب بأنها المصادفة أوجدت شيئاً، أو أن المخلوقات أوجدت نفسها، فضلاً أنه لن يصدقه أحد من العقلاء في ذلك، فالله تعالى هو وحده خالق كل شيء، ومالكه ومدبر الأمر كله.

نسحرون﴾ تخدعون، وتصرفون عن الحق، عبادةِ الله وحده؟، أي: كيف تَخَيَّلَ لكم أنه باطل؟.
٩٠ ﴿بل أتيناهم بالحق﴾ بالصدق ﴿وإنهم لكاذبون﴾ في نفيه، و [هذا الحق] هو: ٩١ ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً﴾ لو كان معه إله ﴿لذهب كل إله بما خلق﴾ انفرد به، ومنع الآخر من الاستيلاء عليه ﴿ولعلا بعضهم على بعض﴾ مغالبةً، كفعل ملوك الدنيا ﴿سبحان الله﴾ تنزيهاً له ﴿عما يصفون﴾ ـه به مما ذُكر.
٩٢ ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ ما غاب وما شوهد، [وفي: «عالم»، قراءتان سبعيتان:] بالجر صفة [للفظ الجلالة قبله]، والرفع خبر «هو» مقدراً ﴿فتعالى﴾ تعظم ﴿عما يشركون﴾ ـه معه.

نُسۡحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجۡعَلۡنِي فِي ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمۡ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ

٩٣ ﴿قل رب إما﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية، في «ما» الزائدة ﴿تريني ما يوعدون﴾ ـه من العذاب، هو صادق بالقتل ببدر.
٩٤ ﴿رب فلا تجعلني في القوم الظالمين﴾ فأهلك بإهلاكهم.
٩٥ ﴿وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون﴾.
٩٦ ﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾ أي: الخَلَّةِ [والخَصْلَة التي هي أحسن]، من الصفح، والإعراض عنهم ﴿السيئة﴾ [أي: ادفع بالصفح منك]، أذاهم إياك، وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿نحن أعلم بما يصفون﴾ يكذبون ويقولون، فنجازيهم عليه.
٩٧ ﴿وقل رب أعوذ﴾ أعتصم ﴿بك من همزات الشياطين﴾ نزغاتهم، بما يوسوسون به، [والأمر لأمته ﷺ، لئلاَّ يُفسد عليها الشيطان أمرها].
٩٨ ﴿وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾ في أموري، لأنهم إنما يحضرون بسوء.
٩٩ ﴿حتى﴾ ابتدائية ﴿إذا جاء أحدهم الموت﴾ ورأى مقعده من النار، ومقعده من الجنة لو آمن ﴿قال رب ارجعون﴾[1] الجمع للتعظيم.
١٠٠ ﴿لعلي أعمل صالحاً﴾ بأن أشهد أن لا إله إلاَّ الله، يكون ﴿فيما تركت﴾ ضيعت من عمري، أي: في مقابلته، قال تعالى: ﴿كلاَّ﴾ أي: لا رجوع ﴿إنها﴾ أي: «رب ارجعون»، ﴿كلمة هو قائلها﴾ ولا فائدة له فيها ﴿ومن ورائهم﴾ أمامهم[2] ﴿برزخ﴾ حاجز يصدهم عن الرجوع ﴿إلى يوم يبعثون﴾ ولا رجوع بعده، [قال تعالى: «ولو رُدُّوا لعادُوا لما نُهُوا عنه»]. ١٠١ ﴿فإذا نفخ

(١) قوله تعالى: ﴿قال رب ارجعون﴾، سؤال الرجعة إلى الحياة الدنيا، إظهاراً للندم على التفريط في حق الله تعالى فيها، ليس مختصاً بالكافرين، بل يسألها المؤمن المقصِّر أيضاً، كما سيأتي في آخر سورة «المنافقون» عند قوله تعالى: ﴿وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب﴾. الآية ص ٧٤٤.

(٢) قوله: «أمامهم»، هذا هو التفسير الصحيح لقوله تعالى: ﴿من ورائهم﴾. ارجع إلى تعليقنا حول هذا المعنى ص ٣٣٢.

في الصور﴾ القرن، النفخةُ الأولى، أو: الثانية، [والنافخ: إسرافيل] ﴿فلا أنساب بينهم يومئذ﴾ يتفاخرون بها ﴿ولا يتساءلون﴾ عنها، خلاف حالهم في الدنيا، لما يشغلهم من عظم الأمر عن ذلك، في بعض مواطن القيامة، وفي بعضها يُفيقون، وفي آية: «فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون».
١٠٢﴿فمن ثقلت موازينه﴾ بالحسنات ﴿فأولئك هم المفلحون﴾ الفائزون.
١٠٣﴿ومن خفت موازينه﴾ بالسيئات ﴿فأولئك الذين خسروا أنفسهم﴾ فهم ﴿في جهنم خالدون﴾.
١٠٤﴿تلفح وجوههم النار﴾ تحرقها، [و «اللفح»: الإصابة بشدة] ﴿وهم فيها كالحون﴾ شَمَرَتْ [وتقلّصت] شفاههم العليا والسفلى، عن أسنانهم.

سُورَةُ المُؤْمِنُونَ ٢٣

فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَـٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَـٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾

١٠٥ ويقال لهم: ﴿ألم تكن آياتي﴾ من القرآن ﴿تتلى عليكم﴾ تُخَوَّفون بها ﴿فكنتم بها تكذبون؟﴾. ١٠٦﴿قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا﴾ وفي قراءة: «شقاوتنا»، بفتح أوله وألف، وهما مصدران بمعنى [واحد] ﴿وكنا قوماً ضالين﴾ عن الهداية. ١٠٧﴿ربنا أخرجنا منها فإن عدنا﴾ إلى المخالفة ﴿فإنا ظالمون﴾. ١٠٨﴿قال﴾ لهم، بلسان «مالك» [خازن النار]، بعد قدر الدنيا مرتين[1] ﴿اخسؤوا فيها﴾ ابعُدُوا في النار أذلاء ﴿ولا تكلمون﴾ في رفع العذاب عنكم، فينقطع رجاؤهم. ١٠٩﴿إنه كان فريق من عبادي﴾ هم: المهاجرون، [وغيرهم من المؤمنين] ﴿يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين﴾. ١١٠﴿فاتخذتموهم سخرياً﴾ بضم السين وكسرها، مصدر بمعنى «الهزء»، منهم: بلال، وصهيب، وعمار، وسلمان ﴿حتى أنسوكم ذكري﴾ فتركتموه، لاشتغالكم بالاستهزاء بهم، فهم سبب الإنساء، فنُسب إليهم ﴿وكنتم منهم تضحكون﴾[2]. ١١١﴿إني جزيتهم اليوم﴾ النعيم المقيم ﴿بما صبروا﴾ على استهزائكم بهم، وأذاكم إياهم ﴿إنهم﴾ بكسر الهمزة ﴿هم الفائزون﴾ بمطلوبهم، استئناف، وبفتحها مفعول ثان لـ«جزيتهم». ١١٢﴿قال﴾ تعالى لهم، بلسان «مالك»، وفي قراءة: «قل»: ﴿كم لبثتم في الأرض﴾ في الدنيا، وفي قبوركم ﴿عدد سنين؟﴾ تمييز.

---

(١) قوله: «بعد قدر الدنيا مرتين»، جاء هذا في حديث رواه ابن المبارك وابن أبي حاتم، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما موقوفاً عليه، وفيه مبالغة واضحة، ولعله مما كان يقرأه في كتب أهل الكتاب، ويحدث به، كما هو معلوم.

(٢) قوله تعالى: ﴿وكنتم منهم تضحكون﴾ أي: استهزاءً بهم، وسيأتي في آخر سورة «المطففين» ص ٧٩٨ كيف كانوا يضحكون من المؤمنين ويتغامزون عليهم، وكيف سيضحك المؤمنون من الكفار يوم القيامة، ويستفاد من هذه الآيات: التحذير من السخرية والاستهزاء بالضعفاء والمساكين، أعاذنا الله تعالى من سيىء الأخلاق والعادات، ووفقنا إلى محاسنها.

١١٣ ﴿قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم﴾ شكّوا في ذلك واستقصروه لعظم ما هم فيه من العذاب ﴿فاسأل العادين﴾ الملائكة، المحصين أعمال الخلق.

١١٤ ﴿قال﴾ تعالى بلسان «مالك»، وفي قراءة أيضاً: «قل»: ﴿إن﴾ ما ﴿لبثتم إلاّ قليلاً لو أنكم كنتم تعلمون﴾ مقدار لبثكم من الطول، كان قليلاً بالنسبة إلى لبثكم في النار.

١١٥ ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً﴾ لا لحكمة ﴿وأنكم إلينا لا تُرْجعون﴾؟ بالبناء للفاعل وللمفعول، لا، بل [إنا خلقناكم]، لِنَتَعَبَّدَكم بالأمر والنهي، وترجعون إلينا، ونجازي على ذلك، «وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدون».

١١٦ ﴿فتعالى الله﴾ عن العبث وغيره، مما لا يليق به ﴿الملك الحق لا إلّه إلاّ هو رب العرش الكريم﴾ الكرسي الحسن[1].

١١٧ ﴿ومن يدع مع الله إلّهاً آخر لا برهان له به﴾ صفة كاشفة[2]، لا مفهوم لها، [أي: ليست قيداً لازماً] ﴿فإنما حسابه﴾ جزاؤه ﴿عند ربه﴾ [بإدخاله النار خالداً فيها] ﴿إنه لا يفلح الكافرون﴾ [أي:] لا يسعدون.

١١٨ ﴿وقل رب اغفر وارحم﴾ المؤمنين، وفي الرحمة زيادة على المغفرة ﴿وأنت خير الراحمين﴾ أفضل راحم.

الجزء الثامن عشر

قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾

(٢٤) سورة النور مدنية وآياتها أربع وستون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ

﴿سورة النور﴾

(مدنية، وهي: اثنتان، أو: أربع وستون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ هذه ﴿سورة أنزلناها وفرضناها﴾ مخففة ومشددة، [أي: بتخفيف الراء وتشديدها]، لكثرة المفروض فيها ﴿وأنزلنا فيها آيات بينات﴾ واضحات الدلالة

(١) قوله: «الكرسي الحسن»، هذا بناء على ما جرى عليه الجلال المحلي، ومثله الجلال السيوطي، من أن العرش والكرسي شيء واحد، والصحيح: أن العرش مخلوق أعظم من الكرسي، وليسا شيئاً واحداً، ولقد بينا الدليل على ذلك في تعليقنا على آية «الكرسي» ص ٥٣.

(٢) قوله: «صفة كاشفة» يعني: أن جملة «لا برهان له به»، هي صفة موضحة: لقوله: «إلّهاً»، وليست صفة لازمة، لأنه لا برهان أصلاً لمشرك بالله تعالى، وإنما تذكر هذه الصفة لحث الإنسان على التفكر، ليعرف أن الله هو الحق، وأن غيره هو الباطل.

لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ

لعلكم تذكرون﴾ بإدغام التاء الثانية في الذال، [وفي قراءة: بفتح الذال مخففة]، تتعظون.

١﴿الزانية والزاني﴾ أي: غير المحصنين، لرجمهما بالسُّنَّة(١)، و «أل» فيما ذُكر، موصولة، وهو مبتدأ، ولشبهه بالشرط، دخلت الفاء في خبره، وهو: ﴿فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾ أي: ضربةً، يقال: «جَلَدَه»، ضَرَبَ جِلْدَهُ، ويزاد على ذلك بالسُّنَّة، تغريبُ عام(١)، والرقيق على النصف مما ذُكر ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله﴾ أي: حكمه بأن تتركوا شيئاً من حَدِّهما ﴿إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ يوم البعث، وفي هذا تحريض على ما قبل الشرط، وهو جوابه، أو: دال على جوابه ﴿وليشهد عذابهما﴾ أي: الجلد ﴿طائفة من المؤمنين﴾ قيل: ثلاثة، وقيل: أربعة، عدد شهود الزنا، [للاعتبار والموعظة، أو: للدعاء لهما]. ٣﴿الزاني لا ينكح﴾ يتزوج ﴿إلّا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلّا زان أو مشرك﴾ أي: المناسب لكل منهما، ما ذُكر ﴿وحُرِّم ذلك﴾ أي: نكاح الزواني ﴿على المؤمنين﴾ الأخيار، نزل ذلك، لمَّا هَمَّ فقراء المهاجرين، أن يتزوجوا بغايا المشركين، ــ وهو موسرات ــ لينفقن عليهم، فقيل: التحريم خاص بهم، وقيل: عام، ونسخ بقوله تعالى: «وأنكحوا الأيامى منكم»، [وعن ابن عباس قال: النكاح في هذه الآية، يعني الوطءَ لا الزواج، وأن الآية في تحريم الزنا، واختاره الطبري]. ٤﴿والذين يرمون المحصنات﴾ العفيفات بالزنا ﴿ثم لم يأتوا بأربعة شهداء﴾ على زناهن، برؤيتهم ﴿فاجلدوهم﴾ أي: كل واحد منهم ﴿ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة﴾ في شيء ﴿أبداً وأولئك هم الفاسقون﴾ لإتيانهم كبيرة.

٥﴿إلّا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا﴾ عملهم ﴿فإن الله غفور﴾ لهم قذفهم ﴿رحيم﴾ بهم، بإلهامهم التوبة، فبها ينتهي فسقهم، وتُقْبَلُ شهادتهم، وقيل: لا تُقْبَلُ، رجوعاً بالاستثناء إلى الجملة الأخيرة. ٦﴿والذين يرمون أزواجهم﴾(٢) بالزنا ﴿ولم يكن لهم شهداء﴾ عليه ﴿إلّا أنفسهم﴾ وقع ذلك لجماعة من الصحابة ﴿فشهادة أحدهم﴾ مبتدأ ﴿أربَعَ شهادات﴾ نُصِبَ على المصدر، [أي: المفعول المطلق، وفي قراءة: برفعها، خبر المبتدأ] ﴿بالله إنه لمن الصادقين﴾ فيما رمى به زوجته من الزِّنا. ٧﴿والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان

---

(١) قوله: «لرجمهما بالسُّنَّة» وقوله بعد ذلك: «ويزاد على ذلك بالسُّنَّة تغريب عام». منها ما رواه الشيخان، عن أبي هريرة، من حديث الأعرابي الذي زنى ولده، وفيه: «وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام، واغد يا أنيس إلى امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها» وهذا اللفظ لمسلم.

(٢) قوله تعالى: ﴿والذين يرمون أزواجهم...﴾ الآية، أخرج البخاري وأحمد والترمذي وابن ماجه، عن ابن عباس: أن هلال بن أمية، قذف امرأته عند النبي ﷺ، فقال له: البيِّنة أو حدٌّ في ظهرك، فقال: يا رسول الله، إذا رأى أحدنا مع امرأته رجلاً، ينطلق يلتمس البينة؟ فجعل النبي ﷺ يقول: «البينة أو حدٌّ في ظهرك»، فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق، ولينزلن الله ما يبرىء ظهري من الحد، فنزلت هذه الآيات.

من الكاذبين﴾ في ذلك، وخبر المبتدأ: تَدْفَعُ عنه حَدَّ القذف. ٨﴿ويدرأ﴾ يدفع ﴿عنها العذاب﴾ أي: حدَّ الزنا، الذي ثبت بشهادته ﴿أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين﴾ فيما رماها به من الزنا. ٩﴿والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين﴾ في ذلك. ١٠﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ بالستر في ذلك ﴿وأن الله تواب﴾ بقبوله التوبة، في ذلك وغيره ﴿حكيم﴾ فيما حكم به، في ذلك وغيره، لَبَيَّن الحق في ذلك، وعاجل بالعقوبة من يستحقها. ١١﴿إن الذين جاؤوا بالإفك﴾ أسوأ الكذب، على عائشة رضي الله عنها أم المؤمنين، بقذفها ﴿عصبة منكم﴾ جماعة من المؤمنين [والمنافقين]، قالت [عائشة في تعيينهم هم:] حسان بن ثابت، وعبد الله بن أُبيٍّ، ومِسْطَحُ [بن أُثَاثَة]، وحِمْنَةُ بنت جحش، ﴿لا تحسبوه﴾ أيها المؤمنون، غير العصبة ﴿شراً لكم بل هو خير لكم﴾ يأجركم الله به، ويُظهر براءة عائشة، ومن جاء معها، منه، وهو: صفوان [بن المعَطَّل السُّلَمي]، فإنَّها قالت: كنت مع النبي ﷺ في غزوة، بعدما أنزل الحجاب، ففرغ منها ورجع، ودنا من المدينة، وآذن بالرحيل ليلة، فمشيت وقضيت شأني، وأقبلت إلى الرَّحْل، فإذا عِقْدي انقطع (ـــ وهو بكسر المهملة: القلادة ـــ) فرجعت ألتمسه، وحملوا هودجي (ـــ هو: ما يُركب فيه ـــ) على بعيري يَحْسَبُونني فيه، وكانت النساء خفافاً إنما يأكلن العُلْقَةَ (ـــ هو: بضم المهملة وسكون اللام ـــ) من الطعام (ـــ أي: القليل ـــ) ووجدت عقدي، وجئت بعدما ساروا، فجلست في المنزل الذي كنت فيه، وظننت أن القوم سيفقدونني، فيرجعون إليّ، فغلبتني عيناي فنمت، وكان صفوان قد عَرَّس من وراء الجيش فادَّلَجَ (ـــ هما بتشديد الراء والدال، أي: نزل من آخر الليل للاستراحة، فسار منه ـــ)، فأصبح في منزله، فرأى سواد إنسان نائم (ـــ أي: شَخْصَهُ ـــ) فعرفني حين رآني، وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، (ـــ أي قوله: «إنا لله وإنا إليه راجعون» ـــ)، فخمَّرت وجهي بجلبابي، (ـــ أي: غطيته بالملاءة ـــ) والله ما كلمني بكلمة، ولا سمعت منه كلمة، غير استرجاعه، حين أناخ راحلته، ووطىء على يدها، فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة، حتى أتينا الجيش، بعدما نزلوا مُوغرين في نَحْرِ الظَّهيرة (ـــ أي: [في وقت الهاجرة، وقت توسُّط الشمس السماء، و «مُوغرين» بالغين المعجمة] من «أوغر» أي: واقعين في مكان وَغْر، في شدة الحر ـــ) فهلك مَنْ هلك فيَّ، وكان الذي تولَّى كِبْرَهُ منهم: عبد الله بن أُبيِّ ابن سلول». اهـ. [من] قولها، رواه الشيخان [وغيرهما]، قال تعالى: ﴿لكل امرىء منهم﴾ أي: عليه ﴿ما اكتسب من الإثم﴾ في ذلك ﴿والذي تولى كبره منهم﴾ أي: تحمّل مُعظمه، فبدأ بالخوض فيه وأشاعه، وهو: عبد الله بن أُبيٍّ ﴿له عذاب عظيم﴾ هو النار في الآخرة. ١٢﴿لولا﴾ هلَّا ﴿إذ﴾ حين ﴿سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم﴾ أي: ظن بعضهم ببعض ﴿خيراً وقالو هذا إفك مبين﴾ كذب بيِّن؟ فيه التفات عن الخطاب، أي: ظننتم أيها العصبة، [ببعضكم خيراً]، وقلتم: [«هذ

مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ أَن تَشۡهَدَ
أَرۡبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلۡخَٰمِسَةَ
أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾
وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ
حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ
لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم
مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ
عَظِيمٞ ﴿١١﴾ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ
بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ﴿١٢﴾ لَّوۡلَا جَآءُو
عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ
عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ
وَرَحۡمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ فِيهِ

إفك مبين﴾]. ١٣﴿لولا﴾ هلا ﴿جاؤوا﴾ أي: العصبة ﴿عليه بأربعة شهداء﴾ شاهدوه؟ ﴿فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله﴾ أي: في حكمه ﴿هم الكاذبون﴾ فيه.

١٤﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم﴾ أيها العصبة، أي: خضتم ﴿فيه﴾ [من الإفك] ﴿عذاب عظيم﴾ في الآخرة[1].

١٥﴿إذ تلقونه بألسنتكم﴾ أي: يرويه بعضكم عن بعض، وحذف من الفعل إحدى التاءين، و «إذ» منصوب بـ «مسَّكم»، أو بـ «أفضتم» ﴿وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً﴾ لا إثم فيه ﴿وهو عند الله عظيم﴾ في الإثم.

١٦﴿ولولا﴾ هلا ﴿إذ﴾ حين ﴿سمعتموه قلتم ما يكون﴾ ما ينبغي ﴿لنا أن نتكلم بهذا سبحانك﴾ هو للتعجب هنا ﴿هذا بهتان﴾ كذب ﴿عظيم﴾.

١٧﴿يعظكم الله﴾ ينهاكم ﴿أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين﴾ تتعظون بذلك، [فلا تعودوا لمثله].

١٨﴿ويبين الله لكم الآيات﴾ في الأمر والنهي ﴿والله عليم﴾ بما يأمر به، وينهى عنه ﴿حكيم﴾ فيه.

١٩﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة﴾ باللسان ﴿في الذين آمنوا﴾ بنسبتها إليهم، [بقذفهم]، وهم العصبة ﴿لهم عذاب أليم في الدنيا﴾ بحدِّ القذف[2]، [وقد حدَّهم النبي ﷺ جميعاً] ﴿والآخرة﴾ بالنار، لحقِّ الله ﴿والله يعلم﴾ انتفاءها عنهم ﴿وأنتم﴾ أيها العصبة، بما قلتم من الإفك ﴿لا تعلمون﴾ وجودها فيهم. ٢٠﴿ولولا فضل الله عليكم﴾ أيها العصبة ﴿ورحمته وأن الله رؤوف رحيم﴾ بكم، لعاجلكم بالعقوبة. ٢١﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ أي: طرق تزيينه ﴿ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه﴾ أي: المتبَع ﴿يأمر بالفحشاء﴾ أي: القبيح ﴿والمنكر﴾ شرعاً، [أي: يأمر] باتباعها ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته

عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ

(١) قوله: «في الآخرة»، أي: غفر لكم، غير عبد الله بن أبيّ السلولي المنافق، فإن عذابه محتم، لأنه هو الذي تولى كبره منهم، هذا على القول بحمل العذاب على عذاب الآخرة كما ذكره المحلي، وقيل: هو عذاب في الدنيا كانوا يستحقونه، هو أعظم من التوبيخ والجلد، ولكن الله خفف عنهم ذلك بإقامة حد القذف عليهم ليس غير.

(٢) قوله: «بحد القذف»، أي: المذكور في قوله تعالى: ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة﴾ الآية الرابعة من هذه السورة. وبهذا الحكم الإلهي، تُحفظ الأعراض، ويصان شرف الناس، ولا يجرؤ أحد على الطعن في عرض آخر، من غير بيّنة شرعية.

ما زكى منكم﴾ أيها العصبة، بما قلتم من الإفك ﴿من أحد أبداً﴾ أي: ما صلح، وطهر من هذا الذنب، بالتوبة منه ﴿ولكن الله يزكي﴾ يطهر ﴿من يشاء﴾ من الذنب، بقبول توبته منه ﴿والله سميع﴾ لما قلتم ﴿عليم﴾ بما قصدتم. ٢٢ ﴿ولا يأتل﴾ يحلف ﴿أولو الفضل﴾ أي: أصحاب الغنى ﴿منكم والسعة أن﴾ لا ﴿يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله﴾ نزلت في أبي بكر، حلف أن لا ينفق على مِسْطَح ـ وهو ابن خالته، مسكين مهاجر بدريّ ـ لما خاض في الإفك، بعد أن كان ينفق عليه، وناس من الصحابة، أقسموا أن لا يتصدقوا، على من تكلم بشيء من الإفك ﴿وليعفوا﴾ [أي: أولو الفضل] ﴿وليصفحوا﴾ عنهم في ذلك ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم؟ والله غفور رحيم﴾ للمؤمنين، قال أبو بكر: بلى، أنا أحب أن يغفر الله لي، ورَجَعَ إلى مسطح ما كان ينفقه عليه، [وقال: والله لا أنزِعُها منه أبداً، روى ذلك الشيخان وغيرهما، في آخر حديث الإفك]. ٢٣ ﴿إن الذين يرمون﴾ بالزنا ﴿المحصنات﴾ العفائف ﴿الغافلات﴾ عن الفواحش، بأن لا يقع في قلوبهن فعلُها ﴿المؤمنات﴾ بالله ورسوله ﴿لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم﴾. ٢٤ ﴿يوم﴾ ناصبه الاستقرار، الذي تعلّق به: «لهم» ﴿تشهد﴾ بالفوقانية والتحتانية ﴿عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ من قول وفعل، وهو: يوم القيامة. ٢٥ ﴿يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق﴾ يجازيهم جزاءهم الواجب عليهم ﴿ويعلمون أن الله هو الحق المبين﴾ حيث حقق لهم جزاءه، الذي كانوا يَشُكّون فيه، ومنهم عبد الله بن أبيّ، و «المحصنات» هنا: أزواج النبي ﷺ، لم يذكر في قذفهن توبة[1]، ومَنْ ذَكَرَ [الله] في قذفهن أولَ السورة التوبةَ، غيرُهن، [واختار ابن جرير عموم «المحصنات»، في نساء النبي ﷺ وسواهن، وهو الصحيح]. ٢٦ ﴿الخبيثات﴾ من النساء ومن الكلمات ﴿للخبيثين﴾ من الناس ﴿والخبيثون﴾ من الناس ﴿للخبيثات﴾ مما ذكر ﴿والطيبات﴾ مما ذكر ﴿للطيبين﴾ من الناس ﴿والطيبون﴾ منهم ﴿للطيبات﴾ مما ذكر، أي: اللائق بالخبيث مثله، وبالطيب مثله ﴿أولئك﴾ الطيبون، و [كذلك] الطيبات من النساء، ومنهم: عائشة وصفوان ﴿مبرؤون مما يقولون﴾ أي: [مما يقول] الخبيثون والخبيثات من الرجال والنساء فيهم ﴿لهم﴾ للطيبين والطيبات ﴿مغفرة ورزق كريم﴾ في الجنة، وقد

الجزء الثامن عشر

مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾

(١) قوله: «لم يذكر في قذفهن توبة إلخ»، أي: لم تُذْكَر في هذه الآية التوبة للقاذف، كما ذكرت في الآية الخامسة، بل لعنه الله، رهدَّده بالعذاب الأليم، لتعظيم أمر قذف أمهات المؤمنين، وبيان عظيم حقهن وحرمتهن على الأمة، وإلاَّ فالتوبة الصحيحة تجبُّ ما قبلها، من جميع الذنوب، ومعلوم أن قذف المحصنات، من غير أمهات المؤمنين، من كبائر الذنوب، أما قذف السيدة عائشة، أو الشك في براءتها فهو كفر، لمصادمته صريح القرآن، فاعتقاد براءتها مطلقاً شرط لصحة الإيمان، وكذا حكم قذف غيرها من أمهات المؤمنين، على الصحيح، لأنهن جميعاً سواء في الحكم. ارجع إلى تعليقنا حول «أمهات المؤمنين» ص ٥٥٣.

افتخرت عائشة بأشياء، منها: [أنها] خُلقت طيبة، ووُعِدَتْ مغفرة ورزقاً كريماً. ٢٧﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا﴾ أي: تستأذنوا ﴿وتسلموا على أهلها﴾ فيقول الواحد: «السلام عليك، أأدخل؟» كما ورد في حديث، [رواه أبو داود[١] بإسناد صحيح] ﴿ذلكم خير لكم﴾ من الدخول بغير استئذان ﴿لعلكم تَذَّكرون﴾ بإدغام التاء الثانية في الذال، [وفي قراءة: بفتح الذال مخففة]، خيريَّتَهُ، فتعملون به. ٢٨﴿فإن لم تجدوا فيها أحداً﴾ يأذن لكم ﴿فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم﴾ بعد الاستئذان ﴿ارجعوا فارجعوا هو﴾ الرجوع ﴿أزكى﴾ خير ﴿لكم﴾ من القعود على الباب ﴿والله بما تعملون﴾ من الدخول بإذن، وغير إذن ﴿عليم﴾ فيجازيكم عليه.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ

٢٩﴿ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة﴾ [أي: غير معدة لسكن أناس معينين] ﴿فيها متاع﴾ أي: منفعة ﴿لكم﴾ باستكنان، [أي: استتارمن الحر والبرد]، وغيره، كبيوت الرُّبُط، [أي: أماكن ربط الدوابّ]، والخانات المُسَبَّلَة[٢] ﴿والله يعلم ما تبدون﴾ تظهرون ﴿وما تكتمون﴾ تُخفون في دخول غير بيوتكم، من قصد صلاح أو غيره، وسيأتي [في الآية «٦١»]، أنهم إذا دخلوا بيوتهم، يسلِّمون على أنفسهم.

٣٠﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ عما لا يحل لهم نظره، و «من» زائدة ﴿ويحفظوا فروجهم﴾ عما لا يحل لهم فعله بها ﴿ذلك أزكى﴾ أي: خير ﴿لهم إن الله خبير بما يصنعون﴾ بالأبصار والفروج، فيجازيهم عليه.

٣١﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن﴾ عما لا يحل لهن نظره ﴿ويحفظن فروجهن﴾ عما لا يحل لهن فعله بها ﴿ولا يبدين﴾ يظهرن ﴿زينتهن إلا ما ظهر منها﴾ وهو: الوجه والكفان، فيجوز نظره لأجنبي، إن لم يخف فتنة، في أحد وجهين، والثاني: يحرم لأنه مظنة الفتنة، ورُجِّح حسماً للباب ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ أي: يسترن الرؤوس والأعناق والصدور، بالمقانع [جمع «قناع»] ﴿ولا يبدين زينتهن﴾ الخفية، وهي: ما عدا الوجه والكفين ﴿إلا لبعولتهن﴾ جمع «بعل»، أي: زوج ﴿أو آبائهن أو آباء بعولتهن

---

(١) قولنا: «رواه أبو داود إلخ»، وذلك أن رجلاً استأذن على النبي ﷺ وهو في بيت فقال: أألِجُ؟، أي: أأدخل؟ فقال ﷺ لخادمه: «اخرج إلى هذا فعلِّمه الاستئذان، فقل له: قل: السلام عليكم، أأدخل؟» فسمعه الرجل فقال: السلام عليكم، أأدخل؟ فأذن له النبي ﷺ فدخل.

(٢) قوله: «والخانات المسبلة»، أي: الموقوفة لإيواء ابن السبيل «المنقطع»، ومثلها المرافق العامة: كالحدائق، والمطارات، والمحطات، فيجوز دخولها من غير استئذان، والانتفاع بمرافقها.

أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن﴾ فيجوز لهم نظره، إلاّ ما بين السرة والركبة، فيحرم نظره لغير الأزواج، وخرج بـ «نسائهن»، الكافراتُ، فلا يجوز للمسلمات الكشف لهن، [قاله ابن عباس ومجاهد، وغيرهما، وقال بعضهم: المراد جميع النساء]، وشمل «ما ملكت أيمانهن»، العبيدَ ﴿أو التابعين﴾ في فضول الطعام، [ليأكلوا] ﴿غير﴾ بالجر صفة، والنصب استثناء ﴿أولي الإربة﴾ أصحاب الحاجة إلى النساء ﴿من الرجال﴾ [كالشيخ الهرم، والأبله الذي لا يعرف المرأة من الرجل]، بأن لم ينتشر ذكرُ كلّ [من هؤلاء التابعين] ﴿أو الطفل﴾ بمعنى: الأطفال ﴿الذين لم يظهروا﴾ يطلعوا ﴿على عورات النساء﴾ للجماع، [أي: ما دام الأطفال تحت سن التمييز]، فيجوز أن يبدين لهم، ما عدا ما بين السرة والركبة ﴿ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن﴾ من خلخال يتقعقع ﴿وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون﴾[1] مما وقع لكم، من النظر الممنوع منه، ومن غيره ﴿لعلكم تفلحون﴾ تنجون من ذلك، لقبول التوبة منه، وفي الآية تغليب الذكور على الإناث.

٣٢﴿وأنكحوا﴾ [أي: زوجوا أيها الأولياء] ﴿الأيامى منكم﴾[2] جمع «أيِّم»، وهي مَنْ ليس لها زوج، بكراً كانت أو ثيباً، ومَن ليس له زوج، وهذا في الأحرار والحرائر ﴿والصالحين﴾ أي: المؤمنين ﴿من عبادكم وإمائكم﴾ و «عباد» من جموع «عبد» ﴿إن يكونوا﴾ أي: الأحرار ﴿فقراء يغنهم الله﴾ بالتزوج ﴿من فضله والله واسع﴾ لخلقه ﴿عليم﴾ بهم.

٣٣﴿وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً﴾ أي: ما ينكحون به، من مهر ونفقة، عن الزنا ﴿حتى يغنيهم الله﴾ يوسع عليهم ﴿من فضله﴾ فينكحوا ﴿والذين يبتغون الكتاب﴾ بمعنى المكاتبة ﴿مما ملكت أيمانكم﴾ من العبيد والإماء ﴿فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً﴾ أي: أمانة وقدرة على الكسب، لأداء مال الكتابة، وصيغتها مثلاً: كاتبْتُك على ألفين في شهرين، كل شهر ألف، فإذا أديتهما فأنت حرّ، فيقول: قبلت ﴿وآتوهم﴾ أمر للسادة ﴿من مال الله الذي آتاكم﴾ ما يستعينون به، في أداء ما التزموه لكم ﴿ولا تكرهوا فتياتكم﴾ إماءكم ﴿على البغاء﴾ الزنا ﴿إن أردن

أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ

(١) قوله تعالى: ﴿وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون﴾، التوبة واجبة على العبد من كل ذنب. ارجع إلى تعليقنا حول «التوبة ص ٧٥٢».

(٢) قوله تعالى: ﴿وأنكحوا الأيامى منكم. . .﴾ إن الزواج يحصِّن النفس، ويمنع الفساد، ويصون الأعراض، ويحفظ الأنساب، لذلك حث النبي ﷺ على الزواج فقال: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة ــ أي: القدرة على الزواج ــ فليتزوج، فإنه أغَضُّ للبصر وأحصن للفَرْج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» أي: قاطع لشهوته، رواه الشيخان وغيرهما، وقال ﷺ: «الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة» رواه مسلم. وقال ﷺ: «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تَرِبَتْ يداك» رواه الشيخان وغيرهما.

تحصناً﴾ تعففاً عنه، وهذه الإرادة محل الإكراه، فلا مفهوم للشرط، [أي: ليس إرادتهن التحصُّن شرطاً للنهي، بل إكراههن حرام على كل حال] ﴿لتبتغوا﴾ بالإكراه ﴿عرض الحياة الدنيا﴾ نزلت في عبد الله بن أبيٍّ، كان يُكْرِهُ جواريَهُ على الكسب بالزنا، [كما في صحيح مسلم] ﴿ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور﴾ لهن ﴿رحيم﴾ بهن. ٣٤﴿ولقد أنزلنا إليكم آيات مبيّنات﴾ بفتح الياء وكسرها، في هذه السورة، بيَّن فيها ما ذكر، أو: تُبيِّنه ﴿ومثلاً﴾ خبراً عجيباً، وهو خبر عائشة ﴿من الذين خلوا من قبلكم﴾ أي: من جنس أمثالكم، أي: أخبارهم العجيبة، كخبر يوسف ومريم ﴿وموعظة للمتقين﴾، في قوله تعالى: «ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله»، «لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون» إلخ، «ولولا إذ سمعتموه قلتم» إلخ، «يعظكم الله أن تعودوا» إلخ، وتخصيصها بالمتقين، لأنهم المنتفعون بها. ٣٥﴿الله نور السماوات والأرض﴾ أي: منورهما بالشمس والقمر، [وقال ابن عباس وأنس بن مالك: الله هادي أهلِ السماوات والأرض] ﴿مثل نوره﴾ [أي: هداه]، أي: صفته في قلب المؤمن ﴿كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة﴾ هي: القنديل، و «المصباح»: السراج، أي: الفتيلة الموقودة، و «المشكاة»: الطاقة غير النافذة، أي: الأنبوبة في القنديل ﴿الزجاجة كأنها﴾ والنور فيها ﴿كوكب دِرِّيء﴾ مضيء، بكسر الدال وضمها من «الدَّرْء»، بمعنى: الدفع، لدفعها الظلام، وبضمها وتشديد الياء، منسوب إلى «الدُّر» [أي:] اللؤلؤ ﴿تَوَقَّدَ﴾ المصباحُ، بالماضي، وفي قراءة: بمضارع «أُوقِدَ» مبنياً للمفعول، [أي: يُوقَدُ] بالتحتانية، وفي أخرى «توقَدُ» بالفوقانية، أي: الزجاجة ﴿من﴾ زيت ﴿شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية﴾ بل بينهما، فلا يتمكن منها حر ولا برد مضرين ﴿يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار﴾ لصفائه ﴿نور﴾ به ﴿على نور﴾ بالنار، ونور الله، أي هداه للمؤمن، نور على نور الإيمان ﴿يهدي الله لنوره﴾ أي: دين الإسلام ﴿من يشاء ويضرب﴾ يبين ﴿الله الأمثال للناس﴾ تقريباً لأفهامهم، ليعتبروا فيؤمنوا ﴿والله بكل شيء عليم﴾ ومنه ضرب الأمثال.

تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ

٣٦﴿في بيوت﴾ متعلق بـ «يسبح» الآتي ﴿أذن الله أن ترفع﴾ تعظم ﴿ويذكر فيها اسمه﴾ بتوحيده ﴿يسبح﴾ بفتح الموحدة وكسرها، أي: يصلي ﴿له فيها بالغدو﴾ مصدر بمعنى «الغدوات»، أي: البُكر ﴿والآصال﴾ العشايا من بعد الزوال. ٣٧﴿رجال﴾ فاعل «يسبِّح» بكسر الباء، وعلى فتحها، نائبُ الفاعل: «له»، و «رجال»، فاعل فعل مقدَّر، جواب سؤال مقدَّر، كأنه قيل: من يسبحه؟ ﴿لا تلهيهم تجارة﴾ أي: شراء ﴿ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة﴾ حَذْفُ هاء «إقامة» تخفيف ﴿وإيتاء الزكاة

يخافون يوماً تتقلب﴾ تضطرب ﴿فيه القلوب والأبصار﴾ من الخوف، القلوب: [تتقلب] بين النجاة والهلاك، والأبصار: بين ناحيتي اليمين والشمال، [واليوم] هو: يوم القيامة. ٣٨﴿ليجزيهم الله أحسن ما عملوا﴾ أي: ثوابه، و «أحسن» بمعنى: «حسن» ﴿ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ يقال: فلان ينفق بغير حساب، أي: يوسّع، كأنه لا يَحْسُبُ ما يُنفقه. ٣٩﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة﴾ جمع «قاع»، أي: فلاة، [قاله الهرويُّ، والصحيح: أن «القيعة» مفرد مثل «القاع»، وجمعهما «قيعان»]، وهو [أي: السَّراب]: شعاع يُرى فيها نصفَ النهار، في شدة الحر، يشبه الماء الجاري ﴿يحسبه﴾ يظنه ﴿الظمآن﴾ أي: العطشان ﴿ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً﴾ مما حسبه، كذلك الكافر، يحسَب أن عمله كصدقةٍ ينفعه، حتى إذا مات، وقدم على ربه، لم يجد عمله، أي: لم ينفعه [لفقد أساسه، وهو الإيمان] ﴿ووجد الله عنده﴾ أي: عند عمله، [أي: لم يجد ما توقعه، ولا ما كان يعبده من دون الله في الدنيا، بل وجد أن الله وحده هو الحق، ولم يجد محاسباً له على عمله غيره، فحاسبه] ﴿فوفاه حسابه﴾ أي: [عاقبه بما يستحق من العذاب، أما عمله الصالح، فقد] جازاه عليه في الدنيا، [قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة، يُعطَى بها في الدنيا، ويُجزَى في الآخرة، أما الكافر: فَيُطْعَمُ بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة، لم تكن له حسنة يُجْزَى بها» رواه مسلم] ﴿والله سريع الحساب﴾ أي: المجازاة.

٤٠﴿أو﴾ الذين كفروا، أعمالهم السيئة ﴿كظلمات في بحر لجي﴾ عميق ﴿يغشاه موج من فوقه﴾ أي: الموج ﴿موج من فوقه﴾ أي: الموج الثاني ﴿سحاب﴾ غيم، هذه ﴿ظلمات بعضها فوق بعض﴾ ظلمة البحر، وظلمة الموج الأول، وظلمة [الموج] الثاني، وظلمة السحاب ﴿إذا أخرج﴾ الناظر ﴿يده﴾ في هذه الظلمات ﴿لم يكد يراها﴾ أي: لم يقرب من رؤيتها ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾ أي: من لم يهده الله، لم يهتد.

يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾

٤١﴿ألم تر أن الله يسبح له من في السماوات والأرض﴾ ومن التسبيح صلاة ﴿والطير﴾ جمع «طائر»، بين السماء والأرض ﴿صافات﴾ حال، باسطات أجنحتهن ﴿كل قد علم﴾ اللهُ ﴿صلاته وتسبيحه﴾ [ويصح عود الضمير في «عَلِمَ»، على «كل»، فيكون المعنى: علم كلُّ مخلوق صلاتَهُ وتسبيحَه] ﴿والله عليم بما يفعلون﴾ فيه تغليب العاقل. ٤٢﴿ولله ملك السماوات والأرض﴾ [وما فيهما، من] خزائن المطر والرزق والنبات، [وسائر المخلوقات] ﴿وإلى الله المصير﴾ المرجع.

٤٣﴿ألم تر أن الله يزجي سحاباً﴾ يسوقه برفق ﴿ثم يؤلف بينه﴾ يضم بعضه إلى بعض، فيجعل القطع المتفرقة قطعة واحدة ﴿ثم يجعله ركاماً﴾ بعضه فوق بعض ﴿فترى الودق﴾ المطر ﴿يخرج من خلاله﴾ مخارجه ﴿وينزل من السماء من﴾ زائدة ﴿جبال فيها﴾ في السماء، بدل بإعادة الجار ﴿من برد﴾[1] أي: بعضه ﴿فيصيب به من يشاء﴾ [إنعاماً، أو انتقاماً] ﴿ويصرفه عن من يشاء يكاد﴾ يقرب ﴿سنا برقه﴾[2] لمعانه ﴿يذهب بالأبصار﴾ الناظرة له، أي: يخطفها.

٤٤﴿يقلب الله الليل والنهار﴾ أي: يأتي بكل منهما بدل الآخر ﴿إن في ذلك﴾ التقليب ﴿لعبرة﴾ دلالة ﴿لأولي الأبصار﴾ لأصحاب البصائر، على قدرة الله تعالى.

سورة النور ٢٤

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا
فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن
جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن
مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ
ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾
وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ
بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ
أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾
لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ
إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ
وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ
بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ

٤٥﴿والله خلق كل دابة﴾ أي: حيوان ﴿من ماء﴾[3] أي: نطفة ﴿فمنهم من يمشي على بطنه﴾ كالحيات والهوام ﴿ومنهم من يمشي على رجلين﴾ كالإنسان والطير ﴿ومنهم من يمشي على أربع﴾ كالبهائم والأنعام ﴿يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير﴾.

٤٦﴿لقد أنزلنا آيات مبينات﴾ أي: بينات، هي: القرآن ﴿والله يهدي من يشاء إلى صراط﴾ طريق ﴿مستقيم﴾ أي: دين الإسلام.

٤٧﴿ويقولون﴾ أي: المنافقون ﴿آمنا﴾ صدقنا ﴿بالله﴾ بتوحيده ﴿وبالرسول﴾ محمد ﴿وأطعنا﴾ هُمَا فيما حَكَمَا به ﴿ثم يتولى﴾ يُعْرِضُ ﴿فريق منهم من بعد ذلك﴾ عنه ﴿وما أولئك﴾ المعرضون ﴿بالمؤمنين﴾ المعهودين، الموافق قلوبهم لألسنتهم. ٤٨﴿وإذا دعوا إلى الله ورسوله﴾ المبلِّغ عنه ﴿ليحكم

---

(١) قوله تعالى: ﴿وينزل من السماء من جبال فيها من برد﴾، فيه من الجار والمجرور أربعة يتقدمها فعل واحد، وهذا من غرائب القرآن وإعجازه، والمراد «بالسماء» السحاب، لأن المطر والثلج والبرد كلها تنزل من السحاب، والسحاب في الفضاء كمثل الجبال على الأرض، يلاحظها كذلك المسافرون في الطائرات، أي: يُنَزِّل الله تعالى البَرَدَ من السحاب المتراكم كالجبال، فيصيب به من يشاء.. إلخ. وقد ذكر الله تعالى البَرَد في القرآن ولم يذكر الثلج، لأن العرب في الحجاز وما حوله لم تكن تعرفه، بل كانوا يعرفون نزول البَرَد كثيراً عندهم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: الثلج شيء أبيض ينزل من السماء وما رأيته قط.

(٢) قوله تعالى: ﴿سنا برقه﴾، ارجع إلى تعليقنا حول «الرعد والبرق» ص ٣٢٢.

(٣) قوله تعالى: ﴿والله خلق كل دابة من ماء﴾ إن تفسير المحلي ﴿من ماء﴾ بقوله: «نطفة» وجه ضعيف، لأنه لو كان كذلك لوصفه الله تعالى على العادة بقوله «مهين»، أو «دافق»، أما الإطلاق فينصرف إلى الماء المشروب، على الصحيح، ارجع إلى تعليقنا ص ٤٢٣ حيث بينا هذه المسألة مع الأدلة.

بينهم إذا فريق منهم معرضون﴾ عن المجيء إليه.

٤٩﴿وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين﴾ مسرعين طائعين، [وهذه عادة المنافقين في كل زمان، يقبلون بالإسلام عندما يرونه موافقاً لهم، ويرفضونه إذا خالف أهواءهم].

٥٠﴿أفي قلوبهم مرض﴾ كفر! ﴿أم ارتابوا﴾ أي: شكوا في نبوته ﴿أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله﴾ في الحكم، أي: فيظلموا فيه؟ لا ﴿بل أولئك هم الظالمون﴾ بالإعراض عنه.

الجزء الثامن عشر

بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ

٥١﴿إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم﴾ أي: القول اللائق بهم ﴿أن يقولوا سمعنا وأطعنا﴾ بالإجابة ﴿وأولئك﴾ حينئذ ﴿هم المفلحون﴾ الناجون.

٥٢﴿ومن يطع الله ورسوله ويخش الله﴾ يخافه ﴿ويتقه﴾ بسكون الهاء وكسرها، بأن يطيعه ﴿فأولئك هم الفائزون﴾ بالجنة.

٥٣﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ غايتها، [أي: أقساماً بليغاً] ﴿لئن أمرتهم﴾ بالجهاد ﴿ليخرجن قل﴾ لهم ﴿لا تقسموا طاعة معروفة﴾ للنبي، خير من قسمكم الذي لا تَصْدُقون فيه، [أو: قد عُرفت طاعتكم، وهي الكذب والتكذيب، أي: المعروف منكم الكذبُ دون الإخلاص، قاله مجاهد] ﴿إن الله خبير بما تعملون﴾ من طاعتكم بالقول، ومخالفتكم بالفعل.

٥٤﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول[1] فإن تولوا﴾ عن طاعته، بحذف إحدى التاءين، [أصله: «تتولوا»]، خطاب لهم ﴿فإنما عليه ما حُمِّل﴾ من التبليغ ﴿وعليكم ما حُملتم﴾ من طاعته ﴿وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلاَّ البلاغ المبين﴾ أي: التبليغ البيِّن.

٥٥﴿وعد الله الذين آمنوا منكم

---

(١) قوله تعالى: ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول..﴾، لقد أمر الله تعالى في كثير من آيات كتابه العزيز، بطاعة الرسول واتباعه، والاقتداء به، والانتهاء عما نهى، فما أشقى الذين يصرفون الناس عن سنة محمد ﷺ وما أضلهم، وهم موجودون في كل عصر، يسمون أنفسهم «قرآنيين»، أي: لا يعملون إلاَّ بما في القرآن، وهم كاذبون في قولهم وعملهم، إذ لو كانوا حقاً قرآنيين كما يزعمون، لعملوا بسنة محمد ﷺ، لأن الله تعالى أمر بذلك في آيات القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾، ولكن: لبَّس عليهم الشيطان، فصرفهم عن الهدى، واتبعوا الهوى، ﴿فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾.

وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض﴾ بدلاً عن الكفار ﴿كما استخلف﴾ بالبناء للفاعل والمفعول ﴿الذين من قبلهم﴾ من بني إسرائيل، بدلاً عن الجبابرة ﴿وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم﴾ وهو الإسلام، بأن يظهره على جميع الأديان، ويوسع لهم في البلاد، فيملكوها ﴿وليبدلنهم﴾ بالتخفيف والتشديد﴿من بعد خوفهم﴾ من الكفار ﴿أمناً﴾ وقد أنجز الله وعده لهم بما ذُكِرَ، وأثنى عليهم بقوله: ﴿يعبدونني لا يشركون بي شيئاً﴾ هو مستأنف في حكم التعليل، [أي: كافأتهم بذلك، لأنهم يعبدونني وحدي] ﴿ومن كفر بعد ذلك﴾ الإنعام منهم به ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾ وأول من كفر به، [أي: بذلك الإنعام]، قَتَلَةُ [الخليفة الثالث] عثمان رضي الله عنه، فصاروا يقتتلون بعد أن كانوا إخواناً.

وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ

٥٦﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون﴾ أي: رجاء الرحمة.

٥٧﴿لا تحسبن﴾ بالفوقانية والتحتانية، والفاعل: الرسول[1] ﴿الذين كفروا معجزين﴾ لنا ﴿في الأرض﴾ بأن يفوتونا ﴿ومأواهم﴾ مرجعهم ﴿النار ولبئس المصير﴾ المرجع هي.

٥٨﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم﴾ من العبيد والإماء ﴿والذين لم يبلغوا الحلم منكم﴾ من الأحرار، وعرفوا أمر النساء، [بتمييزهم بين العورة وغيرها] ﴿ثلاث مرات﴾ في ثلاثة أوقات ﴿من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة﴾ أي: وقت الظهر ﴿ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم﴾ بالرفع، خبر مبتدأ مقدر، بعده مضاف، وقام المضاف إليه مقامه، أي: هي أوقاتُ [ثلاثِ عورات]، وبالنصب [أي: نصب «ثلاث»]، بتقدير «أوقات» منصوباً، بدلاً من محل ما قبله، [والمعنى: «ليستأذنكم أوقاتَ ثلاثِ عورات»، فحذف المضاف و] قام المضاف إليه مقامه، وهي لإلقاء الثياب تبدو فيها العورات ﴿ليس عليكم ولا عليهم﴾ أي: المماليك والصبيان ﴿جناح﴾ في الدخول عليكم بغير استئذان ﴿بعدهن﴾ أي: بعد الأوقات الثلاثة، هم ﴿طوافون عليكم﴾ للخدمة ﴿بعضكم﴾ طائف ﴿على بعض﴾ والجملة مؤكدة لما قبلها ﴿كذلك﴾ كما بَيَّنَ ما ذكر ﴿يبين الله لكم

---

(١) قوله: «والفاعل الرسول» أي: على القراءتين ـ فعلى القراءة بالتاء ـ الفوقانية ـ: الفاعل هو الرسول ﷺ لأنه المخاطب، و«الذين كفروا» و«معجزين» هما مفعولا «حسب».

وعلى القراءة بالياء ـ التحتانية ـ: الفاعل هوالرسول ﷺ لتقدم ذكره في قوله تعالى: ﴿وأطيعوا الرسول﴾ وتقديره: «ولا يحسبن محمد ـ ﷺ ـ الذين كفروا معجزين». ويجوز أن يكون فاعل الحسبان هو: «الذين كفروا»، على أن يكون المفعول الأول لـ «حسب» محذوفاً، تقديره: «لا يحسبن الذين كفروا أنفسهم معجزين».

﴿الآيات﴾ أي: الأحكام ﴿والله عليم﴾ بأمور خلقه ﴿حكيم﴾ بما دبره لهم، وآية الاستئذان، قيل: منسوخة، [قاله سعيد بن المسيب]، وقيل: لا، ولكن تهاون الناس في ترك الاستئذان، [وهو قول أكثر أهل العلم، فهي محكمة ثابتة، واجبة على الرجال والنساء]. ٥٩ ﴿وإذا بلغ الأطفال منكم﴾ أيها الأحرار ﴿الحلم فليستأذنوا﴾ في جميع الأوقات ﴿كما استأذن الذين من قبلهم﴾ أي: الأحرار الكبار ﴿كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم﴾. ٦٠ ﴿والقواعد من النساء﴾ قعدن عن الحيض والولد، لكبرهن ﴿اللاتي لا يرجون نكاحاً﴾ لذلك ﴿فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن﴾ من الجلباب والرداء، والقناع فوق الخمار ﴿غير متبرجات﴾[1] مظهرات ﴿بزينة﴾ خفية، كقلادة وسوار وخلخال ﴿وأن يستعففن﴾ بأن لا يضعنها ﴿خير لهن والله سميع﴾ لقولكم ﴿عليم﴾ بما في قلوبكم. ٦١ ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج﴾ في مؤاكلة مقابليهم [من الأصحاء، وقال القرطبي: لكن المختار أن يقال: إن الله رفع الحرج عن الأعمى، فيما يتعلق بالتكليف الذي يُشترط فيه البصر، وعن الأعرج، فيما يشترط في التكليف به من المشي، وما يتعذر من الأفعال، مع وجود العرج، وعن المريض، فيما يؤثّر المرضُ في إسقاطه، كالصوم وشروط الصلاة وأركانها والجهاد] ﴿ولا﴾ حرج ﴿على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم﴾ أي: بيوت أولادكم ﴿أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه﴾ أي: خزنتموه لغيركم [بغير أجر، فإن كانت على الخزن أجرة، حَرُمَ الأكل] ﴿أو صديقكم﴾ وهو مَنْ صدقكم في مودته، المعنى: يجوز الأكل من بيوت مَنْ ذُكر، وإن لم يحضروا، إذا عُلم رضاهم به، [بأن لا يظهر منهم عدم رضا، بخلاف غيرهم، فلا بد من صريح [رضاه] ﴿ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً﴾ مجتمعين ﴿أو أشتاتاً﴾ متفرقين، جمع «شتّ»، نزل فيمن تحرج أن يأكل وحده، وإذا لم يجد من يؤاكله يترك الأكل ﴿فإذا دخلتم

ٱلْءَايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم

(١) قوله تعالى: ﴿غير متبرجات بزينة﴾ التبرج في اللغة: إظهار المرأة زينتها ومحاسنها للأجانب، ولقد تفاقم أمر التبرج والتعري في هذا الزمان، وانتشر بين النساء، فمن كشف الرأس، إلى كشف الذراعين والساقين، ثم كشف النحور والصدور والظهور، إلى التعري على المسابح العامة مع الرجال، ثم إلى نوادي العراة، فإلى الإباحية المطلقة، والعياذ بالله تعالى، وهذا الذي ذكرناه موجود في غالب البلدان مع تفاوت بينها.

ومما يزيد هذا الواقع سوءاً، أن أجهزة الإعلام من: تلفزة وإذاعة ومجلات، لا تقوم بواجبها في التوجيه والتوعية، بل تعمل على نشر الفساد والانحلال، فلا بد من مواجهة ذلك بحملات صادقة، تنقل إلى الناس الوعي، وتنير أمامهم الطريق، لتقتنع المسلمة، فتحتشم وتترك التبرج، لا خوفاً من زوج أو قريب، ولا تقيداً بعادات المجتمع، بل إيماناً بالله تعالى، وطلباً لمرضاته واحتساباً لثوابه ورحمته.

بيوتاً﴾ لكم لا أهل بها ﴿فسلموا على أنفسكم﴾ قولوا: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»، فإن الملائكة ترد عليكم، وإن كان بها أهل، فسلموا عليهم ﴿تحية﴾ مصدر «حيًا» ﴿من عند الله مباركة طيبة﴾ يثاب عليها ﴿كذلك يبين الله لكم الآيات﴾ أي: يفصل لكم معالم دينكم ﴿لعلكم تعقلون﴾ لكي تفهموا ذلك.

٦٢ ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه﴾ أي: الرسول ﴿على أمر جامع﴾ كخطبة الجمعة، [ويوم الخندق] ﴿لم يذهبوا﴾ لعروض عذر لهم ﴿حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم﴾ أمرهم ﴿فأذن لمن شئت منهم﴾ بالانصراف ﴿واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم﴾.

٦٣ [ثم أمر المؤمنين بتعظيم النبي ﷺ فقال:] ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً﴾ بأن تقولوا: يا محمد، بل قولوا: يا نبيَّ الله، يا رسول الله، في لين وتواضع، وخفض صوت[١] ﴿قد[٢] يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً﴾ أي: يخرجون من المسجد في الخُطبة، [أو: من الجهاد]، من غير استئذان، خفيةً مستترين بشيء، و«قد» للتحقيق ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره﴾ أي: الله، أو: رسوله ﴿أن تصيبهم فتنة﴾ بلاء ﴿أو يصيبهم عذاب أليم﴾ في الآخرة.

٦٤ ﴿ألا إن لله ما في السماوات والأرض﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿قد[٢] يعلم ما أنتم﴾ أيها المكلفون ﴿عليه﴾ من الإيمان والنفاق ﴿و﴾ يعلم ﴿يوم يرجعون إليه﴾ فيه التفات عن الخطاب، أي: [يعلم] متى يكون [ذلك اليوم] ﴿فينبئهم﴾ فيه ﴿بما عملوا﴾ من الخير والشر ﴿والله بكل شيء﴾ من أعمالهم وغيرها ﴿عليم﴾ [فيجازيهم عليها].

سُورَةُ النُّورِ ٢٤

بُيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾

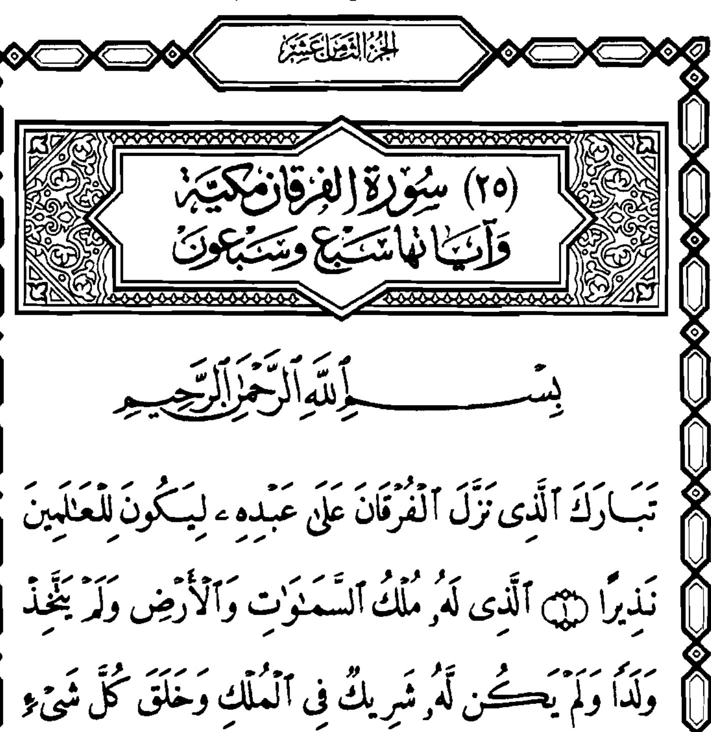
(١) قوله: «وخفض صوت»، أي: حين مناجاته ﷺ، كما سيأتي بيانه في «سورة الحجرات» ص ٦٨٤.

(٢) قوله تعالى: ﴿قد يعلم الله﴾ في هذه الآية والتي بعدها، جاءت «قد» وبعدها الفعل المضارع من «علم» في ستة مواضع في القرآن الكريم، منها هذان الموضعان، قال العلامة جمال الدين عبد الله بن هشام الحنبلي اللغوي المتوفى عام ٧٦١هـ في كتابه «مغني اللبيب عن كتب الأعاريب» ما يلي: المعنى الثالث من معاني «قد»، التقليل، وهو ضربان: تقليل وقوع الفعل نحو «قد يصدق الكذوب، وقد يجود البخيل»، وتقليل متعلَّقه نحو قوله تعالى: ﴿قد يعلم ما أنتم عليه﴾ أي: ما أنتم عليه هو أقل معلوماته سبحانه، وزعم بعضهم أنها في هذه الأمثلة للتحقيق». اهـ. وقال الزمخشري: «دخلت قد لتوكيد العلم، ويرجع ذلك إلى توكيد الوعيد»، وقد أخذ الجلالان المحلي والسيوطي بقول البعض: إنها للتحقيق لا للتقليل، في هذه المواضع، على خلاف القاعدة، وقد أشرنا إلى ذلك في كل موضع، ولكن ما ذكره ابن هشام هو الأقوى لموافقته القاعدة التي تقول: تكون «قد» للتحقيق إذا جاء بعدها فعل ماض، وتكون للتقليل إذا جاء بعدها فعل مضارع.

﴿سُورَةُ الفُرْقَانِ﴾

(مكية: إلاَّ «والذين لا يدعون مع الله إلٰهاً آخر»، إلى قوله: «رحيماً»، فمدني، وهي: سبع وسبعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ



الجزء الثامن عشر

(٢٥) سُورَةُ الفُرْقَانِ مَكِّيَّة وَآيَاتُهَا سَبْعٌ وَسَبْعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ

٤٧٠

١﴿تبارك﴾ تعالى [أي: دام وثبت إنعامُهُ، ولا يقال: «تبارك» لغيره تعالى] ﴿الذي نزل الفرقان﴾ القرآن، لأنه فَرَقَ بين الحق والباطل ﴿على عبده﴾ محمد ﴿ليكون للعالمين﴾ الإنس والجن، دون الملائكة ﴿نذيراً﴾ مخوفاً من عذاب الله، [وذلك لأن الملائكة معصومون، «لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون»]. ٢﴿الذي له ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء﴾ من شأنه أن يُخلَق، [وهو: كل ما سوى الله تعالى] ﴿فقدره تقديراً﴾ سوَّاه تسوية. ٣﴿واتخذوا﴾ أي: الكفار ﴿من دونه﴾ أي: الله، أي: غيره ﴿آلهة﴾ هي الأصنام ﴿لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون﴾[1] ﴿ولا يملكون لأنفسهم ضراً﴾ أي: دفعه [عنها] ﴿ولا نفعاً﴾ أي: جرَّه [إليها] ﴿ولا يملكون موتاً ولا حياة﴾ أي: إماتةً لأحد، وإحياءً لأحد ﴿ولا نشوراً﴾ أي: بعثاً للأموات. ٤﴿وقال الذين كفروا إن هذا﴾ أي: ما القرآن ﴿إلا إفك﴾ كذب ﴿افتراه﴾ محمد، [أي: اختلقه] ﴿وأعانه عليه قوم آخرون﴾ وهم أهل الكتاب، [كأبي فُكيهة الرومي، وعدَّاس]، قال تعالى: ﴿فقد جاؤوا ظلماً وزوراً﴾ كفراً وكذباً، [منصوبان بنزع الخافض]، أي: [جاؤوا] بِهِمَا، [وقائل ذلك هو النضر بن الحارث، وكان مؤذياً للنبي ﷺ، ووافقه المشركون فيه]. ٥﴿وقالوا﴾ أيضاً: هو ﴿أساطير الأولين﴾ أكاذيبهم، جمع «أسطورة» بالضم.

---

(١) قوله تعالى: ﴿لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون﴾، «الخلق» هو: إيجاد الشيء من العدم، أي: بعد أن لم يكن، وهو البرهان الأقوى في إبطال مزاعم الملحدين الذين يشككون المؤمنين قائلين: إذا كان الله قد خلق كل شيء فمن خلق الله؟ فنزلت هذه الآية ومثيلاتها تقطع أوهامهم بما ملخصه: الله خالق كل شيء، والخالق لا يكون مخلوقاً، لأن المخلوق لا يستطيع أن يخلق شيئاً، والدليل على أن المخلوق لا يخلق، هو الواقع الذي تحدى الله به المشركين بقوله: ﴿يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذبابُ شيئاً لا يستنقذوه منه ضَعُفَ الطالب والمطلوب﴾ أي: فهما مخلوقان، ولا خالق غير الله تعالى، وروى البخاري ومسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتي الشيطانُ أحدَكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك، فإذا بلغ ذلك، فليستعذ بالله وَلْيَنْتَهِ»، وفي رواية في الصحيح: «لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال: هذا، خَلَقَ اللهُ الخلق، فمن خلق الله؟، فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل: آمنت بالله ورسله».

﴿اكتتبها﴾ انتسخها من ذلك[1] القوم بغيره، [أي: أمر غيره بنسخها له، وهذا اعتراف بأنه أمّي] ﴿فهي تملى﴾ تقرأ ﴿عليه﴾ ليحفظها ﴿بكرة وأصيلاً﴾ غدوة وعشية.
٦ قال تعالى ردّاً عليهم ﴿قل أنزله الذي يعلم السر﴾ الغيب ﴿في السماوات والأرض إنه كان غفوراً﴾ للمؤمنين ﴿رحيماً﴾ بهم.
٧﴿وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا﴾ هلاَّ ﴿أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً﴾ يصدقه؟
٨﴿أو يلقى إليه كنز﴾ من السماء ينفقه، ولا يحتاج إلى المشي في الأسواق لطلب المعاش؟ ﴿أو تكون له جنة﴾ بستان ﴿يأكل منها﴾ أي: من ثمارها فيكتفي بها؟ وفي قراءة: «نأكل» بالنون، أي: نحن، فيكون له مزية علينا بها ﴿وقال الظالمون﴾ أي: الكافرون للمؤمنين ﴿إن﴾ ما ﴿تتبعون إلاَّ رجلاً مسحوراً﴾ مخدوعاً، مغلوباً على عقله.
٩ قال تعالى: ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال﴾ بالمسحور، والمحتاج إلى ما ينفقه، وإلى مَلَكٍ يقوم معه بالأمر ﴿فضلوا﴾ بذلك عن الهدى ﴿فلا يستطيعون سبيلاً﴾ طريقاً إليه.
١٠﴿تبارك﴾ [أي: دام وثبت، أو:] تكاثر خيرُ الله، [والأول أصح] ﴿الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك﴾ الذي قالوه من الكنز والبستان ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ أي: في الدنيا، لأنه شاء أن يعطيه إياها في الآخرة ﴿ويجعل﴾ بالجزم ﴿لك قصوراً﴾ أيضاً، وفي قراءة بالرفع استئنافاً.
١١﴿بل كذبوا بالساعة﴾ القيامة ﴿وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً﴾ ناراً مُسَعَّرَة، أي: مشتدة.
١٢﴿إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً﴾ غلياناً، كالغضبان إذا غلى صدره من الغضب ﴿وزفيراً﴾[2] صوتاً شديداً، وسماعُ[3] التغيظ: رؤيتُهُ وعلمه. ١٣﴿وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً﴾ بالتشديد والتخفيف، بأن يضيق عليهم، و[قوله:] «منها»، حال من «مكاناً»، لأنه في الأصل صفة له ﴿مقرنين﴾ مصفَّدين، قد قُرنت، أي: جمعت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال، والتشديد للتكثير ﴿دعوا هنالك ثبوراً﴾ هلاكاً.

أَكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾

(١) قوله: «من ذلك القوم»، هو هكذا في المخطوطات والطبعات الأخرى، ولعله: «من أولئك القوم» فتأمل.
(٢) قوله تعالى: ﴿وزفيراً﴾ ارجع إلى تعليقنا حول معنى «الشهيق والزفير» ص ٣٠٠.
(٣) فسر المحلي سماع التغيظ بالرؤية والعلم، أي: لم يسمعوا تغيظها بآذانهم، بل رأوه وعلموه، وهذا تكلف لا داعي له، لأن «التغيظ» هو غليان النار واستعارها، وهو أمر يسمع بالآذان.

لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكْرَ وَكَانُواْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

١٤ فيقال لهم: ﴿لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً﴾ لعذابكم، [فلن ينفعكم دعاؤكم شيئاً].

١٥ ﴿قل أذلك﴾ المذكور، من الوعيد وصفةِ النار ﴿خير أم جنة الخلد التي وُعِدَ﴾ ها ﴿المتقون؟ كانت لهم﴾ في علمه تعالى ﴿جزاء﴾ ثواباً ﴿ومصيراً﴾ مرجعاً. ١٦ ﴿لهم فيها ما يشاؤون خالدين﴾ حال لازمة ﴿كان﴾ وعدُهم ما ذكر ﴿على ربك وعداً مسؤولاً﴾ يسأله مَنْ وُعِدَ به، [وهم المؤمنون، بقولهم] «ربنا وآتنا ما وعدتنا على رُسُلك»، أو: تسأله لهم الملائكة: «ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم». ١٧ ﴿ويوم نحشرهم﴾ بالنون والتحتانية ﴿وما يعبدون من دون الله﴾ أي: غيره، من الملائكة، وعيسى، وعزير، والجن ﴿فيقول﴾ تعالى، بالتحتانية والنون[1]، للمعبودين إثباتاً للحجة على العابدين ﴿ءأنتم﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى، وتركه، [فالقراءات خمس سبعية] ﴿أضللتم عبادي هؤلاء﴾ أوقعتموهم في الضلال، بأمركم إياهم بعبادتكم ﴿أم هم ضلوا السبيل﴾ طريق الحق بأنفسهم؟ ١٨ ﴿قالوا سبحانك﴾ تنزيهاً لك عما لا يليق بك ﴿ما كان ينبغي﴾ يستقيم ﴿لنا أن نتخذ من دونك﴾ أي: غيرك ﴿من أولياء﴾ مفعول أول لـ «نتخذ»، «ومن» زائدة لتأكيد النفي، وما قبله [أي: قوله «من دونك» هو المفعول] الثاني، فكيف نأمر بعبادتنا؟ ﴿ولكن متعتهم وآباءهم﴾ مِنْ قبلهم، بإطالة العمر وسعة الرزق ﴿حتى نسوا الذكر﴾ تركوا الموعظة، والإيمان بالقرآن ﴿وكانوا قوماً بوراً﴾ هلكى. ١٩ قال تعالى: ﴿فقد كذبوكم﴾ كذب المعبودون العابدين ﴿بما تقولون﴾ بالفوقانية، أنهم آلهة ﴿فما يستطيعون﴾ بالتحتانية والفوقانية، أي: لا هم ولا أنتم ﴿صرفاً﴾ دفعاً للعذاب عنكم ﴿ولا نصراً﴾ منعاً لكم منه ﴿ومن يظلم﴾ يشرك ﴿منكم نذقه عذاباً كبيراً﴾ شديداً في الآخرة.

٢٠ ﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق﴾ فأنت مثلهم في ذلك، وقد قيل لهم مثلُ ما قيل لك ﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة﴾ بلية، ابتلي الغنيُّ بالفقير، والصحيح بالمريض، والشريف بالوضيع، يقول الثاني في كلٍّ: ما لي لا أكون كالأول في كلٍّ؟ ﴿أتصبرون﴾ على ما تسمعون، ممن ابتليتم بهم؟ استفهام بمعنى الأمر، أي: اصبروا ﴿وكان ربك بصيراً﴾ بمن يصبر، وبمن يجزع.

---

(١) قوله «بالتحتانية والنون» حاصله أن في قوله تعالى: ﴿ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول﴾: ثلاث قراءات سبعية لا أكثر كما يوهمه كلام المؤلف الجلال المحلي رحمه الله:

الأولى: ﴿يحشرهم ـ فيقول﴾ بالياء فيهما. الثانية: ﴿نحشرهم ـ بالنون ـ فيقول﴾ بالياء. الثالثة: ﴿نحشرهم ـ فنقول﴾ بالنون فيهما.

٢١ ﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا﴾ لا يخافون البعث ﴿لولا﴾ هلاَّ ﴿أنزل علينا الملائكة﴾ فكانوا رسلاً إلينا ﴿أو نرى ربنا﴾ فَيُخبِرُ، بأن محمداً رسوله؟ قال تعالى: ﴿لقد استكبروا﴾ تكبروا ﴿في﴾ شأن ﴿أنفسهم وعتوا﴾ طغوا ﴿عتواً كبيراً﴾ بطلبهم رؤية الله تعالى في الدنيا، و «عُتُواً» بالواو على أصله، بخلاف «عِتِيًّا» بالإبدال في «مريم». ٢٢ ﴿يوم يرون الملائكة﴾ في جملة الخلائق، هو يوم القيامة، [أو عند الموت]، ونصبه بـ «اذكر» مقدراً ﴿لا بشرى يومئذٍ للمجرمين﴾ أي: الكافرين، بخلاف المؤمنين، فلهم البشرى بالجنة ﴿ويقولون حجراً محجوراً﴾ على عادتهم في الدنيا، إذا نزلت بهم شدة، أي: عَوْذاً مُعاذاً، يستعيذون من الملائكة، [قاله عبد الملك بن جُريج، قال ابن كثير: هذا القول بالنسبة إلى السياق بعيد، والجمهور

سُورَةُ الفُرْقَانِ ٢٥

حزب ٣٧ جزء ١٩

* وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا

على أن الضمير في: «يقولون» عائد على الملائكة، وهو قول عدد كبير من التابعين، واختاره الطبري، أي: حراماً محرماً عليكم دخولُ الجنة اليوم]. ٢٣ قال تعالى ﴿وقدمنا﴾ عمدنا ﴿إلى ما عملوا من عمل﴾ من الخير، كصدقة، وصلة رحم، وقِرَى ضيف، وإغاثة ملهوف في الدنيا ﴿فجعلناه هباء منثوراً﴾ هو: ما يُرى في الكُوى التي عليها الشمس، كالغبار المفرَّق، أي: مثله في عدم النفع به، إذ لا ثواب فيه، لعدم شرطه، [وهو الإيمان]، ويجازون عليه في الدنيا[١]. ٢٤ ﴿أصحاب الجنة يومئذٍ﴾ يوم القيامة ﴿خير مستقراً﴾ من الكافرين في الدنيا ﴿وأحسن مقيلاً﴾ منهم، أي: موضِعَ قائِلَةٍ فيها، وهي: الاستراحة نصف النهار في الحر، وأُخِذَ من ذلك، انقضاءُ الحساب في نصف نهار، كما ورد في الحديث[٢]. ٢٥ ﴿ويوم تشقق السماء﴾ أي: كل سماء ﴿بالغمام﴾ أي: معه، وهو غيم أبيض ﴿ونزل الملائكة﴾ من كل سماء ﴿تنزيلاً﴾ هو: يوم القيامة، ونصبه بـ «اذكر» مقدراً وفي قراءة: بتشديد شين «تَشَّقَّقُ»، بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها، وفي أخرى «نُنْزِلُ»، بنونين الثانية ساكنة، وضم اللام، ونصب «الملائكةَ». ٢٦ ﴿الملك يومئذٍ الحق للرحمن﴾ لا يَشْرَكُهُ فيه أحد ﴿وكان﴾ اليوم ﴿يوماً على الكافرين عسيراً﴾ بخلاف المؤمنين. ٢٧ ﴿ويوم يعض الظالم﴾ المشرك، [هو:] عقبة بن أبي مُعيط [وأمثاله من الكافرين]، كان نطق بالشهادتين، ثم رجع إرضاء لأبيّ بن خلف ﴿على يديه﴾ ندماً وتحسراً، في يوم القيامة ﴿يقول يا﴾ للتنبيه ﴿ليتني اتخذتُ مع الرسول﴾ محمد ﴿سبيلاً﴾ طريقاً إلى الهدى. ٢٨ ﴿يا ويلتَى﴾ ألفه عوض عن ياء الإضافة، أي: ويلتي، ومعناه: هلكتي ﴿ليتني لم أتخذ فلاناً﴾ أي: أُبياً ﴿خليلاً﴾ [أي: صديقاً]. ٢٩ ﴿لقد

---

(١) قوله: «ويجازون عليه في الدنيا»، كما في حديث رواه مسلم، تقدم نصه في آخر تفسير الآية «٣٩» ص ٤٦٤.
(٢) قوله: «كما ورد في الحديث»، ارجع إلى تعليقنا ص ٣٣٧ حيث بيان ذلك.

﴿أضلني عن الذكر﴾ القرآن ﴿بعد إذ جاءني﴾ بأن ردني عن الإيمان به، قال تعالى: ﴿وكان الشيطان للإنسان﴾ الكافر ﴿خذولاً﴾ بأن يتركه ويتبرأ منه، عند البلاء. ٣٠﴿وقال الرسول﴾ محمد ﴿يا رب إن قومي﴾ قريشاً ﴿اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾ متروكاً. ٣١ قال تعالى: ﴿وكذلك﴾ كما جعلنا لك عدواً، من مشركي قومك ﴿جعلنا لكل نبي﴾ قبلك ﴿عدواً من المجرمين﴾ المشركين، فاصبر كما صبروا ﴿وكفى بربك هادياً﴾ لك ﴿ونصيراً﴾ ناصراً لك على أعدائك. ٣٢﴿وقال الذين كفروا لولا﴾ هلاّ ﴿نزل عليه القرآن جملة واحدة﴾ كالتوراة والإنجيل والزبور، قال تعالى: نزلناه ﴿كذلك﴾ أي: متفرقاً ﴿لنثبت به فؤادك﴾ نقوي قلبك ﴿ورتلناه ترتيلاً﴾ أي: أتينا به شيئاً بعد شيء، بتمهل وتؤدة، لتيسير فهمه وحفظه.

ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ

٣٣﴿ولا يأتونك بمثل﴾ في إبطال أمرك ﴿إلا جئناك بالحق﴾ الدافع له ﴿وأحسن تفسيراً﴾ بياناً لهم.
٣٤﴿الذين يحشرون على وجوههم﴾ يساقون ﴿إلى جهنم أولئك شر مكاناً﴾ هو جهنم ﴿وأضل سبيلاً﴾ أخطأ طريقاً من غيرهم، وهو كفرهم.
٣٥﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ التوراة ﴿وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً﴾ معيناً.
٣٦﴿فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ أي: القبط، فرعون وقومه، فذهبا إليهم بالرسالة، فكذبوهما ﴿فدمرناهم تدميراً﴾ أهلكناهم إهلاكاً.
٣٧﴿و﴾ اذكر ﴿قوم نوح لما كذبوا الرسل﴾ بتكذيبهم نوحاً، لطول لبثه فيهم، فكأنه رسل، أو: لأن تكذيبه تكذيب لباقي الرسل، لاشتراكهم في المجيء بالتوحيد ﴿أغرقناهم﴾ [بالطوفان وجملة: «أغرقناهم»] جواب «لمَّا» ﴿وجعلناهم للناس﴾ بعدهم ﴿آية﴾ عبرة ﴿وأعتدنا﴾ في الآخرة ﴿للظالمين﴾ الكافرين ﴿عذاباً أليماً﴾ مؤلماً، سوى ما يحل بهم في الدنيا.
٣٨﴿و﴾ اذكر ﴿عاداً﴾ قوم هود ﴿وثمود﴾ قوم صالح ﴿وأصحاب الرس﴾[1] اسم بئر، ونبيهم، قيل: شعيب، وقيل غيره، كانوا قعوداً حولها، فانهارت بهم وبمنازلهم ﴿وقروناً﴾ أقواماً ﴿بين ذلك كثيراً﴾ أي: بين عاد وأصحاب الرس، [لا يعلمها إلا الله تعالى]. ٣٩﴿وكلاً ضربنا له

(١) قوله تعالى: ﴿وأصحاب الرس﴾. لا خلاف في أن «الرس» في اللغة هو: «البئر»، أما «أصحاب الرس»، فقيل: هم أصحاب الأخدود الذين ذكروا في سورة «البروج»، واختاره ابن جرير، وقيل: هم أهل أنطاكية، أصحاب القرية المذكورون في سورة «يس» في قوله تعالى: ﴿واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون﴾، وقيل غير ذلك والله أعلم، وعلى كل حال: فهم من الأقوام الذين أهلكوا بسبب كفرهم.

الأمثال﴾ في إقامة الحجة عليهم، فلم نهلكهم إلاَّ بعد الإنذار ﴿وكلاً تبرنا تتبيراً﴾ أهلكنا إهلاكاً، بتكذيبهم أنبياءهم.
٤٠ ﴿ولقد أتوا﴾ أي: مَرَّ كفار مكة ﴿على القرية التي أمطرت مطر السوء﴾ مصدر «ساء» بالحجارة، وهي عظمى قرى قوم لوط، فأهلك الله أهلها، لفعلهم الفاحشة ﴿أفلم يكونوا يرونها﴾ في سفرهم إلى الشام، فيعتبرون؟ والاستفهام للتقرير ﴿بل كانوا لا يرجون﴾ يخافون ﴿نشوراً﴾ بعثاً، فلا يؤمنون.
٤١ ﴿وإذا رأوك إن﴾ ما ﴿يتخذونك إلاَّ هزؤاً﴾ [بالهمز مع ضم الزاي وسكونها، وفي قراءة: بالواو وضم الزاي، أي:] مهزوءاً به، يقولون: ﴿أهذا الذي بعث الله رسولاً؟﴾ في دعواه، محتقرين له عن الرسالة. ٤٢ ﴿إن﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف، أي: إنه ﴿كاد ليضلنا﴾ يصرفنا ﴿عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها﴾ لصرفنا عنها، قال تعالى: ﴿وسوف يعلمون حين يرون العذاب﴾ عياناً في الآخرة ﴿من أضل سبيلاً﴾ أخطأ طريقاً، أهم أم المؤمنون؟

سُورَةُ الفُرْقَانِ ٢٥

ٱلْأَمْثَٰلَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ

٤٣ ﴿أرأيت﴾ أخبرني ﴿من اتخذ إلٰهه هواه﴾ أي: مَهْوِيَّهُ، قدم المفعول الثاني، لأنه أهم، وجملة: «من اتخذ»، مفعول أول لـ «رأيت»، والثاني: ﴿أفأنت تكون عليه وكيلاً﴾ حافظاً تحفظه عن اتباع هواه؟ لا.
٤٤ ﴿أم تحسب أن أكثرهم يسمعون﴾ سماع تفهُّم ﴿أو يعقلون﴾ ما تقول لهم ﴿إن﴾ ما ﴿هم إلاَّ كالأنعام بل هم أضل سبيلاً﴾ أخطأ طريقاً منها، لأنها تنقاد لمن يتعهدها، وهم لا يطيعون مولاهم المنعم عليهم.
٤٥ ﴿ألم تر﴾ تنظر ﴿إلى﴾ فعل ﴿ربك كيف مد الظل﴾ [أي: بسطه، و «الظل» هو: الأمر المتوسط، بين الضوء الخالص والظلمة الخالصة، وهو:] من وقت الإسفار، [وقيل: من طلوع الفجر]، إلى وقت طلوع الشمس ﴿ولو شاء﴾ ربك ﴿لجعله ساكناً﴾[1] مقيماً، لا يزول بطلوع الشمس ﴿ثم جعلنا الشمس عليه﴾ أي: الظل ﴿دليلاً﴾ فلولا الشمس، ما عُرف الظل.
٤٦ ﴿ثم قبضناه﴾ أي: الظل الممدود ﴿إلينا قبضاً يسيراً﴾ خفياً، بطلوع الشمس، [أي: ثم أزلنا الظل يسيراً يسيراً، فكلما ازداد ارتفاع الشمس، ازداد نقصان الظل، حتى يصبح مقبوضاً، ويخلفه شعاع الشمس، و «الظل» هنا، غير «الفيء» المعروف للأشياء]. ٤٧ ﴿وهو الذي جعل لكم الليل لباساً﴾ ساتراً كاللباس ﴿والنوم سباتاً﴾ راحة للأبدان، بقطع الأعمال ﴿وجعل النهار نشوراً﴾ منشوراً فيه، لابتغاء الرزق وغيره. ٤٨ ﴿وهو

(١) قوله تعالى: ﴿ولو شاء لجعله ساكناً﴾ هذه إشارة إلى نعمة الله تعالى في حركة الأفلاك وتكوين الليل والنهار، فإن سكون الظل يعني توقف هذا النظام، ولو توقف لعُدمت الحياة على الأرض، فلا يعيش كائن حي، ولا ينبت زرع، ولا تصلح معيشة.

الذي أرسل الرياح﴾ وفي قراءة: «الريح» ﴿نشراً بين يدي رحمته﴾ متفرقة قدام المطر، وفي قراءة[1]: بسكون الشين تخفيفاً، وفي أخرى: بسكونها وفتح النون مصدر، وفي أخرى: [«بُشْراً»] بسكونها وضم الموحدة بدل النون، أي: مبشرات، ومفرد الأولى «نَشُور» كـ«رسول» والأخيرة «بشير» كـ«قدير» ﴿وأنزلنا من السماء ماء طهوراً﴾ مطهراً. ٤٩ ﴿لنحيي به بلدة ميتاً﴾ بالتخفيف، يستوي فيه المذكر والمؤنث، ذَكَّرَهُ باعتبار المكان ﴿ونسقيه﴾ أي: الماء ﴿مما خلقنا أنعاماً﴾ إبلاً وبقراً وغنماً ﴿وأناسي كثيراً﴾ جمع «إنسان» وأصله: «أناسين»، فأبدلت النون ياء، وأدغمت فيها الياء، أو: جمع «إنسي». ٥٠ ﴿ولقد صرفناه﴾ أي: الماء ﴿بينهم﴾ [فأمطرنا هذه الأرض، دون هذه] ﴿ليذكروا﴾ أصله: «يتذكروا»، أدغمت التاء في الذال، وفي قراءة: «ليَذْكُروا» بسكون الذال وضم الكاف، أي: نعمة الله به ﴿فأبى أكثر الناس إلا كفوراً﴾ جحوداً للنعمة، حيث قالوا: مطرنا بنَوْءِ كذا[2]. ٥١ ﴿ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً﴾ يخوف أهلها، ولكن بعثناك إلى أهل القرى كلها نذيراً، ليعظم أجرك. ٥٢ ﴿فلا تطع الكافرين﴾ في هواهم ﴿وجاهدهم به﴾ أي: القرآن ﴿جهاداً كبيراً﴾ [لا يخالطه فتور]. ٥٣ ﴿وهو الذي مرج البحرين﴾ أرسلهما متجاورين ﴿هذا عذب فرات﴾ شديد العذوبة ﴿وهذا ملح أجاج﴾ شديد الملوحة ﴿وجعل بينهما برزخاً﴾ حاجزاً، لا يختلط أحدهما بالآخر ﴿وحجراً محجوراً﴾ ستراً ممنوعاً به اختلاطهما. ٥٤ ﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً﴾ من المني إنساناً، [أو: من الماء الذي هو أصل الخلق، كما تقدم ص ٤٢٣] ﴿فجعله نسباً﴾ ذا نسب ﴿وصهراً﴾ ذا صهر، بأن يتزوج، ذكراً كان أو أنثى، طلباً للتناسل [والقرابة] ﴿وكان ربك قديراً﴾ قادراً على ما يشاء. ٥٥ ﴿ويعبدون﴾ أي: الكفار ﴿من دون الله ما لا ينفعهم﴾ بعبادته ﴿ولا يضرهم﴾ بتركها، وهو: الأصنام ﴿وكان الكافر على ربه ظهيراً﴾ معيناً للشيطان بطاعته. ٥٦ ﴿وما أرسلناك إلا مبشراً﴾ بالجنة ﴿ونذيراً﴾ مخوفاً من النار. ٥٧ ﴿قل ما أسألكم عليه﴾ أي: على تبليغ ما أرسلت به ﴿من أجر إلا﴾ لكن ﴿من شاء

ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا ﴿٤٨﴾ لِّنُحۡـِۧيَ بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمٗا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرٗا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ﴿٥٠﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٖ نَّذِيرٗا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِي مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞ وَجَعَلَ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٗا وَحِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗاۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرٗا ﴿٥٤﴾ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمۡ وَلَا يَضُرُّهُمۡۗ وَكَانَ ٱلۡكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرٗا ﴿٥٥﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٥٦﴾ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ

ربع الحزب

(١) قوله: «وفي قراءة» إلخ. تقدم بيان وجوه القراءات في مثل هذه الآية. في سورة «الأعراف» ص ٢٠١. وسيأتي في سورة «النمل» ص ٥٠٢.

(٢) قوله: «مطرنا بنَوْءِ كذا» روى مسلم أن النبي ﷺ قال لأصحابه يوماً على إثر سماء ـ أي: مطر ـ أصابتهم من الليل: «أتدرون ماذا قال ربكم؟»، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مُطرنا بنَوْءِ كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب»، «والنَّوء» سقوط النجم، وهذا كله على وجه إعادة الضمير في «صرفناه» إلى المطر، وهو قول ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما، وقال آخرون: إن الضمير يعود على «القرآن»، وتمام المعنى عليه واضح.

أن يتخذ إلى ربه سبيلاً﴾ طريقاً، بإنفاق ماله في مرضاته تعالى، فلا أمنعه من ذلك. ٥٨﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح﴾ متلبساً ﴿بحمده﴾ أي: قل سبحان الله والحمد لله ﴿وكفى به بذنوب عباده خبيراً﴾ عالماً، تعلق به: «بذنوب». ٥٩ هو ﴿الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام﴾ من أيام الدنيا، أي: في قدرها[1]، لأنه لم يكن ثَمَّ شمس، ولو شاء لخلقهن في لمحة، والعدول عنه، لتعليم خلقه التَّثَبُّتَ، ﴿ثُمَّ استوى على العرش﴾ هو في اللغة: سرير الملك ﴿الرحمن﴾ بدل من ضمير «استوى»، أي: استواءً يليق به [تعالى] ﴿فاسأل﴾ أيها الإنسان ﴿به﴾ بالرحمن ﴿خبيراً﴾ يخبرك بصفاته. ٦٠﴿وإذا قيل لهم﴾ لكفار مكة ﴿اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا﴾ بالفوقانية والتحتانية، والآمر: محمد، ولا نعرفه؟ لا. ﴿وزادهم﴾ هذا القول ﴿نفوراً﴾ عن الإيمان. ٦١ قال تعالى: ﴿تبارك﴾ تعاظم ﴿الذي جعل في السماء بروجاً﴾ اثني عشر: الحَمَل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسُّنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجَدْيَ، والدلو، والحوت، وهي منازل الكواكب السبعة السيارة: «المرِّيخ» وله الحمَلُ والعقرب، و «الزُّهرة» ولها: الثور والميزان، «وعُطارد» وله: الجوزاء والسُّنبلة، و «القمر» وله: السرطان، و «الشمس» ولها: الأسد، و «المشتري» وله: القوس والحوت، و «زُحَل» وله: الجَدْيُ والدلو ﴿وجعل فيها﴾ أيضاً ﴿سراجاً﴾ هو الشمس ﴿وقمراً منيراً﴾ وفي قراءة: «سُرُجاً» بالجمع، أي: نيِّرات، وخُصَّ القمر منها بالذكر، لنوع فضيلته. ٦٢﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة﴾ أي: يخلف كل منهما الآخر ﴿لمن أراد أن يذكر﴾، بالتشديد والتخفيف، كما تقدم [في الآية «٥٠»]، ما فاته في أحدهما من خير، فيفعله في الآخر ﴿أو أراد شكوراً﴾ شكراً لنعمة ربه عليه فيهما. ٦٣﴿وعباد الرحمن﴾ مبتدأ، وما بعده صفات له، إلى: «أولئك يجزون»، غير المعترض فيه، [أي: باستثناء الجمل الاعتراضية] ﴿الذين يمشون على الأرض هوناً﴾ أي: بسكينة وتواضع ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون﴾ بما يكرهونه ﴿قالوا سلاماً﴾ أي: قولاً يسلمون فيه من الإثم. ٦٤﴿والذين يبيتون لربهم سجداً﴾ جمع «ساجد» ﴿وقياماً﴾ بمعنى قائمين يصلون بالليل. ٦٥﴿والذين يقولون ربنا اصرف عنّا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً﴾ أي: لازماً [ودائماً].

أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾

سجدة

---

(١) قوله: «أي: في قدرها» إلخ، هذا هو الصحيح في تفسير الأيام الستة، ولكن الجلال المحلي ـ ومثله فعل السيوطي ـ عدل في المواضع الأخرى عن هذا وقال: «أولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة» وهذا قول لا دليل عليه يُعتد به، ارجع إلى تعليقنا حول هذا الموضوع ص ٦٣٠.

٦٦﴿إنها ساءت﴾ بئست ﴿مستقراً ومقاماً﴾ هي، أي: موضع استقرار وإقامة. ٦٧﴿والذين إذا أنفقوا﴾ على عيالهم [وأنفسهم] ﴿لم يسرفوا ولم يقتروا﴾ بفتح أوله وضمه، أي: يضيقوا ﴿وكان﴾ إنفاقهم ﴿بين ذلك﴾ الإسراف والإقتار ﴿قواماً﴾ وسطاً.

٦٨﴿والذين لا يدعون مع الله إلّهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله﴾ قتلها ﴿إلاّ بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك﴾ أي: واحداً من الثلاثة ﴿يلق أثاماً﴾[1] أي: عقوبة.

٦٩﴿يضاعف﴾ وفي قراءة: «يضعَّف» بالتشديد ﴿له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه﴾ [أي: في العذاب]، يجزم الفعلين [ــ «يضاعف» و «يخلد» ــ] بدلاً، ويرفعهما استئنافاً ﴿مهاناً﴾ حال، [أي: ذليلاً مطروداً].

الجزء التاسع عشر

إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾

٧٠ [أخرج البخاري وغيره واللفظ له، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: «والذين لا يدعون مع الله إلّهاً آخر.. الآية» قال أهل مكة: قد عَدَلْنا بالله، أي: أشركنا به، وقتلْنا النفسَ التي حرم الله إلاّ بالحق، وأتينا الفواحش، فأنزل الله تعالى]: ﴿إلاّ من تاب وآمن وعمل صالحاً﴾ منهم ﴿فأولئك يبدل الله سيئاتهم﴾ المذكورة ﴿حسنات﴾ في الآخرة ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ أي: لم يزل متصفاً بذلك.

٧١﴿ومن تاب﴾ من ذنوبه، غير من ذكر ﴿وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً﴾ أي: يرجع إليه رجوعاً، فيجازيه خيراً.

٧٢﴿والذين لا يشهدون الزور﴾ أي: الكذب والباطل، [روى الشيخان، عن أبي بكرة: نُفَيْع بن الحارث، أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين» وكان متكئاً فجلس فقال: «ألا وقولُ الزور»، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت] ﴿وإذا مروا باللغو﴾ من الكلام القبيح وغيره ﴿مروا كراماً﴾ معرضين عنه. ٧٣﴿والذين إذ ذكروا﴾ وعظوا ﴿بآيات ربهم﴾ أي: القرآن ﴿لم يخرّوا﴾ يسقطوا ﴿عليها صماً وعمياناً﴾ بل خروا سامعين ناظرين منتفعين. ٧٤﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا﴾ بالجمع والإفراد ﴿قرة أعين﴾ لنا بأن نراهم مطيعين لك ﴿واجعلنا للمتقين إماماً﴾ في الخير.

---

(١) قوله تعالى: ﴿يلق أثاماً﴾ روى البخاري أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: يا رسول الله: أيُّ الذنب أكبر عند الله؟، قال: «أن تَدْعُوَ لله نِدّاً وهو خلقك» قال: ثم أيٌّ؟، قال: «أن تقتل ولدك مخافة أن يَطْعَمَ معك»، قال: ثم أيٌّ؟، قال: «أن تزاني بحليلة جارك» فأنزل الله تصديقها: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلّهاً آخر﴾ إلى قوله: ﴿يلق أثاماً﴾.

٧٥﴿أولئك يجزون الغرفة﴾ الدرجة العليا في الجنة ﴿بما صبروا﴾ على طاعة الله ﴿ويلقون﴾ بالتشديد، والتخفيف مع فتح الياء ﴿فيها﴾ في الغرفة ﴿تحية وسلاماً﴾ من الملائكة.
٧٦﴿خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاماً﴾ موضع إقامة، و «أولئك» وما بعده، خبر «عباد الرحمن» المبتدأ.
٧٧﴿قل﴾ يا محمد، لأهل مكة ﴿ما﴾ نافية ﴿يعبأ﴾ يكترث ﴿بكم ربي لولا دعاؤكم﴾ إياه في الشدائد، فيكشفها ﴿فقد﴾ أي: فكيف يعبأ بكم، وقد ﴿كذبتم﴾ الرسول والقرآن؟ ﴿فسوف يكون﴾ العذاب ﴿لزاماً﴾ ملازماً لكم في الآخرة، بعد ما يحل بكم في الدنيا، فقُتل منهم يوم بدر سبعون، وجواب «لولا»، دل عليه ما قبله، [أي: لولا دعاؤكم في الشدائد، ما عبأ بكم فكشفها].

أُولَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٧٦﴾ قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامَۢا ﴿٧٧﴾

(٢٦) سورة الشعراء مكية وآياتها سبع وعشرون ومائتان

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ

﴿سورة الشعراء﴾

(مكية، إلاَّ: «والشعراء».. إلى آخرها، فمدني، وهي: مائتان وسبع وعشرون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١﴿طسم﴾[1] الله أعلم بمراده بذلك.
٢﴿تلك﴾ أي: هذه الآيات ﴿آيات الكتاب﴾ القرآن، والإضافة بمعنى «من» ﴿المبين﴾ المظهر الحق من الباطل.
٣﴿لعلك﴾ يا محمد ﴿باخع نفسك﴾ قاتلها غماً من أجل ﴿ألا يكونوا﴾ أهل مكة [وغيرهم] ﴿مؤمنين﴾ [أي: خيفة أن لا يؤمنوا]، و «لعل» هنا للإشفاق[2]، أي: أشفق عليها بتخفيف هذا الغم.
٤﴿إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت﴾ بمعنى المضارع، أي: تظل، أي: تدوم ﴿أعناقهم لها خاضعين﴾ فيؤمنون، ولما وصفت الأعناق بالخضوع، الذي هو لأربابها، جُمعت الصفة منه جمع العقلاء، [أي: «خاضعين» بدل خاضعة].

٥﴿وما يأتيهم من ذكر﴾ قرآن ﴿من الرحمن محدث﴾ [في تنزله]، صفة كاشفة، [أي: غير لازمة بحيث لا تفارق الموصوف، فالقرآن كلام الله تعالى غير مخلوق] ﴿إلاَّ كانوا عنه

(١) قوله تعالى: ﴿طسم﴾. ارجع إلى تعليقنا حول الحروف المتقطعة في أوائل بعض السور ص ٣.
(٢) قوله: «ولعل هنا للإشفاق»، وهو: الخوف من وقوع المكروه، وهذا أحد معاني «لعلّ»، يعني: أشفق على نفسك أن تقتلها حسرةً وحزناً على عدم إسلام الكافرين.

معرضين﴾ [صادين غير متأملين]. ٦﴿فقد كذبوا﴾ به ﴿فسيأتيهم أنباء﴾ عواقب ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾. ٧﴿أو لم يروا﴾ ينظروا ﴿إلى الأرض كم أنبتنا فيها﴾ أي: كثيراً ﴿من كل زوج كريم﴾ نوع حسن؟ ٨﴿إن في ذلك لآية﴾ دلالة على كمال قدرته تعالى ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ في علم الله، و «كان»، قال سيبويه: [إنها] زائدة.
٩﴿وإن ربك لهو العزيز﴾ ذو العزة، ينتقم من الكافرين ﴿الرحيم﴾ يرحم المؤمنين.
١٠﴿و﴾ اذكر يا محمد لقومك ﴿إذ نادى ربك موسى﴾ ليلة رأى النار والشجرة ﴿أن﴾ أي: بأن ﴿ائت القوم الظالمين﴾ رسولاً.

مُعۡرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدۡ كَذَّبُواْ فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَمۡ أَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾ وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّاۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنۡ أَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ

١١﴿قوم فرعون﴾ معه، ظلموا أنفسهم بالكفر بالله، و [ظلموا] بني إسرائيل باستعبادهم ﴿ألا﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري ﴿يتقون﴾ الله بطاعته فيوحدونه[1]؟
١٢﴿قال﴾ موسى ﴿رب إني أخاف أن يكذبون﴾.
١٣﴿ويضيق صدري﴾ من تكذيبهم لي ﴿ولا ينطلق لساني﴾ بأداء الرسالة، للعقدة التي فيه ﴿فأرسل إلى﴾ أخي ﴿هارون﴾ [أي: اجعله رسولاً] معي.
١٤﴿ولهم عليّ ذنب﴾ [بزعمهم]، بقتل القبطي منهم[2] ﴿فأخاف أن يقتلون﴾ به.
١٥﴿قال﴾ تعالى ﴿كلاّ﴾ أي: لا يقتلونك ﴿فاذهبا﴾ أنت وأخوك، ففيه تغليب الحاضر على الغائب ﴿بآياتنا إنا معكم﴾ [بعلمنا] ﴿مستمعون﴾ [أي: نسمع] ما تقولون، وما يقال لكم، أُجريا مجرى الجماعة.
١٦﴿فأتيا فرعون فقولا إنا﴾ أي: كلاً منا ﴿رسول رب العالمين﴾ إليك.
١٧﴿أن﴾ أي: بأن ﴿أرسل معنا﴾ إلى الشام ﴿بني إسرائيل﴾ فأتياه، فقالا له ما ذكر.
١٨﴿قال﴾ فرعون لموسى، [على جهة المنّ والاحتقار] ﴿ألم نربك فينا﴾ في منازلنا ﴿وليداً﴾ صغيراً قريباً من الولادة بعد فطامه ﴿ولبثت فينا من عمرك سنين﴾ ثلاثين سنة، يلبس من ملابس فرعون، ويركب من مراكبه؟ وكان يسمى ابنه، [فمتى كان هذا الذي تدعيه]؟ ١٩﴿وفعلت فعلتك التي فعلت﴾ هي: قتله القبطي.

---

(١) قوله: «فيوحدونه»، هو هكذا بالرفع بثبوت النون كما في المخطوطات وبعض النسخ المطبوعة، لأنه معطوف على ﴿ويتقون﴾.
(٢) قوله: «بقتل القبطي منهم»، وكان قتله خطأً كما جاء في حديث رواه مسلم، عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وفيه قوله ﷺ: «وإنما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأً، فقال الله عزَّ وجل له: ﴿وقتلت نفساً فنجيناك من الغم وفتناك فتوناً﴾» وسيأتي بتمامه ص ٥٠٨، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: قتل قبطياً كافراً.

﴿وأنت من الكافرين﴾ الجاحدين لنعمتي عليك، بالتربية وعدم الاستعباد. ٢٠﴿قال﴾ موسى ﴿فعلتها إذاً﴾ أي: حينئذٍ ﴿وأنا من الضالين﴾[1] عما آتاني الله من بعدها، من العلم والرسالة، [أي: قبل أن يوحي الله إليّ، وينعم عليّ بالرسالة والنبوة]. ٢١﴿ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكماً﴾ وعلماً ﴿وجعلني من المرسلين﴾. ٢٢﴿وتلك نعمة تمنها عليّ﴾ أصله: تمن بها [عليّ] ﴿أن عبدت بني إسرائيل؟﴾ بيان لـ «تلك»، أي: اتخذتهم عبيداً ولم تستعبدني، لا نعمة لك بذلك، لظلمك باستعبادهم، وقَدَّر بعضهم أول الكلام، همزة استفهام للإنكار، [أي: «أَوَ تلك»]. ٢٣﴿قال فرعون﴾ لموسى ﴿وما رب العالمين﴾ الذي قلت إنك رسوله؟ أي: أيُّ شيء هو؟ ولما لم يكن سبيل للخلق، إلى معرفة حقيقته تعالى، وإنما يعرفونه بصفاته، أجاب موسى عليه الصلاة والسلام ببعضها. ٢٤﴿قال رب السماوات والأرض وما بينهما﴾ أي: خالق ذلك ﴿إن كنتم موقنين﴾ بأنه تعالى خالقه، فآمنوا به وحده. ٢٥﴿قال﴾ فرعون ﴿لمن حوله﴾ من أشراف قومه ﴿ألا تستمعون﴾ جوابه الذي لم يطابق السؤال؟ ٢٦﴿قال﴾ موسى ﴿ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ وهذا، وإن كان داخلاً فيما قبله، [فإنه] يغيظ فرعون. ٢٧ ولذلك ﴿قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون﴾ [أي: ليس يجيبني عما أسأل].

٢٨﴿قال﴾ موسى ﴿رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون﴾ أنه كذلك، فآمنوا به وحده.

٢٩﴿قال﴾ فرعون لموسى ﴿لئن اتخذت إلٰهاً غيري لأجعلنك من المسجونين﴾ كان سجنه شديداً، يحبس الشخص في مكان تحت الأرض وحده، لا يبصر ولا يسمع فيه أحداً.

٣٠﴿قال﴾ له موسى ﴿أَوَلَوْ﴾ أي: أتفعل ذلك ولو ﴿جئتك بشيء مبين﴾ برهان بيِّن على رسالتي؟

٣١﴿قال﴾ له فرعون ﴿فأت به إن كنت من الصادقين﴾ فيه.

٣٢﴿فألقى عصاه فإذا هي ثعبان

وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ

(١) قوله تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿وأنا من الضالين﴾ لا يلزم من إطلاق «الضلال» حمله على أنه الضلال عن الهدى أي: الكفر، لأن عدم المعرفة بالشيء يسمى في اللغة «ضلالاً» فيقال: فلان ضل الطريق أو الدار أو المسجد، أي: لم يعرف طريقه أو موضع قصده، ومنه: يقال للأمر المفقود المجهول «ضالة» فيقال: أَنَشَدَ ضالته، أي: بحث عنها، ومن هذا المعنى: قال تعالى خطاباً لسيدنا محمد ﷺ ﴿ووجدك ضالاً فهدى﴾ أي: كنت لا تعرف شيئاً من أمر الدين، فعلمك الله بالوحي إليك، كقوله تعالى ﴿وعلمك ما لم تكن تعلم﴾.

فلا يصح أن يفهم من «الضلال» في مثل هذه الآيات، أنه الكفر ــ كما يتوهم البعض ــ لأن الأنبياء معصومون عنه قبل النبوة وبعدها بالإجماع.

مبين﴾ حية عظيمة[1].

٣٣﴿ونزع يده﴾ أخرجها من جيبه ﴿فإذا هي بيضاء﴾ ذات شعاع، [«من غير سوء»، ظاهرة] ﴿للناظرين﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة، [أي: السُّمرة].

٣٤﴿قال﴾ فرعون ﴿للملأ حوله إن هذا لساحر عليم﴾ فائق في علم السحر[2].

٣٥﴿يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون؟﴾ [أي: أشيروا علي، ماذا أفعل به؟].

٣٦﴿قالوا أرجه وأخاه﴾ أَخِّر أَمْرَهُما ﴿وابعث في المدائن حاشرين﴾ جامعين.

٣٧﴿يأتوك بكل سحار عليم﴾ يفضل موسى في علم السحر.

٣٨﴿فجمع السحرة لميقات يوم معلوم﴾ وهو وقت الضحى من يوم الزينة، [كما تقدم في سورة «طه»].

٣٩﴿وقيل للناس هل أنتم مجتمعون؟﴾ [أي: هل اجتمعتم أيها الناس كلكم؟].

٤٠﴿لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين﴾ الاستفهام: للحث على الاجتماع، والترجِّي، على تقدير غَلَبَتِهِمْ، ليستمروا على دينهم، فلا يتبعوا موسى.

٤١﴿فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أإنَّ﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين، [أي: التحقيق والتسهيل] ﴿لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين﴾.

٤٢﴿قال نعم﴾ [لكم الأُجرة] ﴿وإنكم إذاً﴾ أي: حينئذٍ ﴿لمن المقربين﴾ [إليّ زيادة على أجركم].

٤٣﴿قال لهم موسى﴾ بعد ما قالوا له: «إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين» ﴿ألقوا ما أنتم ملقون﴾ فالأمر منه، للإذن بتقديم إلقائهم، توسلاً به إلى إظهار الحق.

٤٤﴿فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون﴾.

مُبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ

٤٥﴿فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف﴾ بحذف إحدى التاءين من الأصل، [وهو: «تتلقف»، أي:] تبتلع ﴿ما يأفكون﴾ يَقْلِبونه بتمويههم، فيخيلون حبالَهم وعصيَّهم، أنها [من سحرهم] حيات تسعى.

٤٦﴿فألقي السحرة﴾ [فيه دلالة: على أنهم لما رأوا ما رأوا، لم يتمالكوا أنفسهم، فكأنهم أُخذوا وطُرحوا على وجوههم].

---

(١) قوله: «حية عظيمة»، ارجع إلى تعليقنا حول «عصا موسى» ص ٢٠٩.

(٢) قوله: «فائق في علم السحر»، ارجع إلى تعليقنا حول «السحر»: معناه وحكمه ص ٢١٠.

سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَ فَلَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُواْ لَا ضَيۡرَۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥١﴾ ۞ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرۡسَلَ فِرۡعَوۡنُ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمۡ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخۡرَجۡنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتۡبَعُوهُم مُّشۡرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ

﴿ساجدين﴾. ٤٧ ﴿قالوا آمنّا بربّ العالمين﴾. ٤٨ ﴿رب موسى وهارون﴾ لعلمهم بأن ما شاهدوه من العصا، لا يتأتى بالسحر. ٤٩ ﴿قال﴾ فرعون ﴿ءَآمنتم﴾ بتحقيق الهمزتين، [وبعدهما ألف ممدودة، على الاستفهام]، وإبدال الثانية ألفاً [أي: بهمزة واحدة بعدها ألف، على لفظ الخبر الذي معناه الاستفهام] ﴿له﴾ لموسى ﴿قبل أن آذن﴾ أنا ﴿لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر﴾ فعلمكم شيئاً منه، وغلبكم بآخر ﴿فلسوف تعلمون﴾ ما ينالكم مني ﴿لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف﴾ أي: يَدَ كلِّ واحدٍ اليمنى ورجله اليسرى ﴿ولأصلبنكم أجمعين﴾.

٥٠ ﴿قالوا لا ضير﴾ لا ضرر علينا في ذلك، [أي: لن نأبه بعذابك] ﴿إنا إلى ربنا﴾ بعد موتنا، بأيّ وجهٍ كان ﴿منقلبون﴾ راجعون في الآخرة، [وهذا يدل على شدة استبصارهم].

٥١ ﴿إنا نطمع﴾ نرجو ﴿أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن﴾ أي: بأن ﴿كنا أول المؤمنين﴾ في زماننا.

٥٢ ﴿وأوحينا إلى موسى﴾ بعد سنين أقامها بينهم، يدعوهم بآيات الله إلى الحق، فلم يزيدوا إلاَّ عتواً ﴿أن أسر بعبادي﴾ بني إسرائيل، وفي قراءة: بكسر النون ووصل همزة «أسر»، من «سَرَى»، [وهي] لغةٌ في «أسرى»، أي: سر بهم ليلاً إلى البحر ﴿إنكم متبعون﴾ يتبعكم فرعون وجنوده، فيلجون وراءكم البحر، فأنجيكم وأغرقهم.

٥٣ ﴿فأرسل فرعون﴾ حين أُخبِرَ بسيرهم ﴿في المدائن﴾ قيل: كان له ألف مدينة، واثنا عشر ألف قرية ﴿حاشرين﴾ جامعين الجيش، قائلاً:

٥٤ ﴿إن هؤلاء لشرذمة﴾ طائفة ﴿قليلون﴾ قيل: كانوا ستمائة ألف وسبعين ألفاً، ومقدمة جيشه سبعمائة ألف، فقللهم بالنظر إلى كثرة جيشه.

٥٥ ﴿وإنهم لنا لغائظون﴾ فاعلون ما يغيظنا.

٥٦ ﴿وإنا لجميع حذرون﴾ متيقظون، وفي قراءة: «حاذرون» مستعدون، [وهما لغتان، إلاّ أن في «حاذر» معنى الاستقبال].

٥٧ قال تعالى: ﴿فأخرجناهم﴾ أي: فرعون وجنوده من مصر، ليلحقوا موسى وقومه ﴿من جنات﴾ بساتين كانت على جانبي النيل ﴿وعيون﴾ أنهار جارية في الدور، من النيل.

٥٨ ﴿وكنوز﴾ أموال ظاهرة من الذهب والفضة، وسميت «كنوزاً»، لأنه لم يُعْطَ حقُّ الله تعالى منها، [قال ﷺ: «ما أُدِّيَ زكاتُه، فليس بكنز»، رواه أحمد والبيهقي] ﴿ومقام كريم﴾ مجلس حسن للأمراء والوزراء يحفه أتباعهم.

٥٩ ﴿كذلك﴾ أي: إخراجُنا كما وصفنا ﴿وأورثناها بني إسرائيل﴾ بعد إغراق فرعون وقومه.

٦٠ ﴿فأتبعوهم﴾ لحقوهم ﴿مشرقين﴾ وقت شروق الشمس. ٦١ ﴿فلما تراء الجمعان﴾ أي: رأى كل منهما الآخر.

﴿قال أصحاب موسى إنا لمدركون﴾ يدركنا جمع فرعون، ولا طاقة لنا به. ٦٢﴿قال﴾ موسى ﴿كلاَّ﴾ أي: لن يدركونا ﴿إن معي ربي﴾ بنصره ﴿سيهدين﴾ طريق النجاة. ٦٣ قال تعالى: ﴿فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر﴾ فضربه ﴿فانفلق﴾ انشق اثني عشر فِرْقاً ﴿فكان كل فرق كالطود العظيم﴾ الجبل الضخم، بينها مسالك سلكوها، لم يبتل منها سرج الراكب، ولا لِبْدُهُ. ٦٤﴿وأزلفنا﴾ قربنا ﴿ثم﴾ هناك ﴿الآخرين﴾ فرعون وقومه، حتى سلكوا مسالكهم. ٦٥﴿وأنجينا موسى ومن معه أجمعين﴾ بإخراجهم من البحر، على هيئته المذكورة. ٦٦﴿ثم أغرقنا الآخرين﴾ فرعون وقومه، بإطباق البحر عليهم، لما تم دخولهم البحر، وخروج بني إسرائيل منه. ٦٧﴿إن في ذلك﴾ أي: إغراق فرعون وقومه ﴿لآية﴾ عبرة لمن بعدهم ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ بالله، لم يؤمن منهم غير: «آسية» امرأة[1] فرعون، و «حزقيل» مؤمن آل فرعون[2]، و «مريم بنت ناموسي»، التي دلت على عظام[3] يوسف عليه السلام. ٦٨﴿وإن ربك لهو العزيز﴾ فانتقم من الكافرين بإغراقهم ﴿الرحيم﴾ بالمؤمنين، فأنجاهم من الغرق. ٦٩﴿واتل عليهم﴾ أي: كفار مكة [وغيرهم] ﴿نبأ﴾ خبر ﴿إبراهيم﴾ ويبدل منه: ٧٠﴿إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون﴾. ٧١﴿قالوا نعبد أصناماً﴾ صرحوا بالفعل، [أي: قالوا: «نعبد أصناماً»، ولم يقولوا: هذه أصنام]، ليعطفوا عليه: ﴿فنظل لها عاكفين﴾ أي: نقيم نهاراً على عبادتها، زادوه في الجواب افتخاراً به. ٧٢﴿قال هل يسمعونكم إذ﴾ حين ﴿تدعون؟﴾ ٧٣﴿أو ينفعونكم﴾ إن عبدتموهم ﴿أو يضرون﴾كم إن لم تعبدوهم؟ ٧٤﴿قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون﴾ أي: مثل فعلنا، [فاتبعناهم وقلدناهم، من غير حجة ولا دليل]. ٧٥﴿قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون﴾ [من هذه الأصنام]. ٧٦﴿أنتم وآباؤكم الأقدمون؟﴾ [الأولون]. ٧٧﴿فإنهم عدو لي﴾ أي: فلا أعبدهم ﴿إلاَّ﴾ لكن ﴿رب

قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ

(١) قوله: «امرأة فرعون»، وهي التي ضربها الله تعالى مثلاً للذين آمنوا، في الآية (١١) من سورة «التحريم» كما سيأتي، ص ٧٥٣.

(٢) قوله: «مؤمن آل فرعون»، وكان يكتم إيمانه، أنزل الله تعالى قصته في سورة «غافر» التي تسمى أيضاً سورة «المؤمن» ص ٦٢١.

(٣) قوله: «التي دلَّت على عظام يوسف»، جاء ذكر العظام في حديث رواه ابن حبان في صحيحه، والمراد: جسده الذي في القبر، أي: دلَّت على قبره، كما جاء في حديث رواه ابن أبي حاتم البَستي، والحاكم وصححه، وغيرهما، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وذلك أن موسى عليه السلام سأل عن قبر يوسف لينقله إلى فلسطين فدلته تلك العجوز عليه، فنقل جسده بالفعل، فأجساد الأنبياء لا تبلى، لما رواه أبو داود بإسناد صحيح عن أوس بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أفضل أيامكم يومَ الجمعة، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة عليَّ» قالوا: يا رسول الله، وكيف تعرض صلاتُنا عليك وقد أرَمْتَ؟ ـ أي: بَليتَ ـ قال: «إن الله حرَّمَ على الأرض أجساد الأنبياء».

العالمين﴾ فإني أعبده. ٧٨﴿الذي خلقني فهو يهدين﴾ [يرشدني] إلى الدين. ٧٩﴿والذي هو يطعمني ويسقين﴾. [أي: يرزقني]. ٨٠﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾ [أضاف فعل المرض لنفسه، رعاية للأدب]. ٨١﴿والذي يميتني ثم يحيين﴾ [يوم القيامة]. ٨٢﴿والذي أطمع﴾ أرجو ﴿أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾ أي: الجزاء، [أي: هو غافر الذنب لعباده المؤمنين]. ٨٣﴿رب هب لي حكماً﴾ علماً ﴿وألحقني بالصالحين﴾ أي: النبيين، [في الجنة]. ٨٤﴿واجعل لي لسان صدق﴾ ثناء حسناً ﴿في الآخرين﴾ الذين يأتون بعدي، إلى يوم القيامة. ٨٥﴿واجعلني من ورثة جنة النعيم﴾ أي: ممن يُعْطاها. ٨٦﴿واغفر لأبي إنه كان من الضالين﴾ [أي: المشركين]، بأن تتوب عليه فتغفر له، وهذا قبل أن يتبين له أنه عدو لله، كما ذكر في سورة «براءة»[1].

٨٧﴿ولا تخزني﴾ تفضحني[2] ﴿يوم يبعثون﴾ أي: الناس.

٨٨قال تعالى فيه: ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون﴾ أحداً.

٨٩﴿إلا﴾ لكن ﴿من أتى الله بقلب سليم﴾ من الشرك والنفاق، وهو قلب المؤمن[3]، فإنه ينفعه ذلك. ٩٠﴿وأزلفت الجنة﴾ قُرِّبَتْ ﴿للمتقين﴾ فيرونها، [ثم يدخلونها].

٩١﴿وبرزت الجحيم﴾ أُظهرت ﴿للغاوين﴾ الكافرين، [ليزداد حزنهم قبل أن يدخلوها].

٩٢﴿وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون﴾.

٩٣﴿من دون الله﴾ أي: غيره من الأصنام ﴿هل ينصرونكم﴾ بدفع العذاب عنكم ﴿أو ينتصرون﴾ بدفعه عن أنفسهم؟ لا.

٩٤﴿فكبكبوا﴾ أُلقوا، [أي: المعبودون من دون الله] ﴿فيها هم والغاوون﴾ [الكافرون الذين عبدوهم].

٩٥﴿وجنود إبليس﴾ أتباعه ومن أطاعه، من الجن والإنس ﴿أجمعون﴾.

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾

(١) قوله: «كما ذكر في سورة براءة»، ارجع إلى تعليقنا حول «الدعاء للكافر والاستغفار له» ص ٢٦١.

(٢) قوله: «تفضحني». عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن إبراهيم، يرى أباه يوم القيامة، عليه الغَبَرَةُ والقَتَرَةُ»، أي: سواد يغشى وجوه الكافرين، قال تعالى: ﴿ووجوه يومئذٍ عليها غبرة * ترهقها قترة * أولئك هم الكفرة الفجرة﴾. وعنه رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «يلقى إبراهيم أباه ــ أي: على الحالة التي تقدمت من الشقاء ــ فيقول: يا رب، إنك وعدتني ألَّا تُخْزِنِي يوم يُبعثون، فيقول الله تعالى: إني حَرَّمْتُ الجنة على الكافرين».

أخرجهما البخاري في صحيحه، وفي دعاء إبراهيم هذا، تعليم للمسلمين كيفية الدعاء، مع إظهار الحاجة إلى عفو الله تعالى على كل حال.

(٣) قوله: «هو قلب المؤمن». روى مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير» أي: خالية من كل ذنب، سليمةٌ من كل عيب، عامرة بالإيمان.

٩٦﴿قالوا﴾ أي: الغاوون ﴿وهم فيها يختصمون﴾ مع معبوديهم. ٩٧﴿تالله إن﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف، أي: إنه ﴿كنا لفي ضلال مبين﴾ بيِّن.

٩٨﴿إذ﴾ حيث ﴿نسويكم برب العالمين﴾ في العبادة، [وهذا حكاية حالهم الماضية، أي: عندما سويناكم].

٩٩﴿وما أضلنا﴾ عن الهدى ﴿إلا المجرمون﴾ الشياطين، أو: أوَّلُونا الذين اقتدينا بهم.

١٠٠﴿فما لنا من شافعين﴾[1] كما للمؤمنين، من الملائكة والنبيين والمؤمنين.

١٠١﴿ولا صديق حميم﴾ أي: [ولا صديق] يهمه أمرنا.

قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ * قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾

حزب ٣٨

١٠٢﴿فلو أن لنا كرة﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فنكون من المؤمنين﴾ [حتى يكون لنا شفعاء]، «لو» هنا للتمني، و «نكون» جوابه، [ولكنهم لو رُدُّوا إلى الدنيا، لعادوا إلى كفرهم].

١٠٣﴿إن في ذلك﴾ المذكور، من قصة إبراهيم وقومه ﴿لآية وما كان أكثرهم مؤمنين﴾.

١٠٤﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾.

١٠٥﴿كذبت قوم نوح المرسلين﴾ بتكذيبهم له، لاشتراكهم في المجيء بالتوحيد، أو: لأنه لطول لبثه فيهم، كأنه رُسُل، وتأنيث «قوم» باعتبار معناه، وتذكيره باعتبار لفظه.

١٠٦﴿إذ قال لهم أخوهم﴾ نسباً ﴿نوح ألا تتقون﴾ الله، [فتؤمنون؟].

١٠٧﴿إني لكم رسول أمين﴾ على تبليغ ما أرسلت به.

١٠٨﴿فاتقوا الله﴾ [بترك الكفر] ﴿وأطيعون﴾ فيما آمركم به، من توحيد الله وطاعته.

١٠٩﴿وما أسألكم عليه﴾ على تبليغه ﴿من أجر﴾ [فتثقل عليكم إجابتي بسببه] ﴿إن﴾ ما ﴿أجري﴾ ثوابي ﴿إلا على رب العالمين﴾.

١١٠﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ كرره تأكيداً.

١١١﴿قالوا أنؤمن﴾ نصدق ﴿لك﴾ لقولك ﴿واتبعك﴾ وفي قراءة: «وأتباعُك»، جمع «تابع»، مبتدأ ﴿الأرذلون﴾ السفلة، كالحاكة والأساكفة، [وسبب مبادرتهم إلى الإيمان، قلة العوائق لديهم، كالرياسة والغنى، وإنما سموهم «الأرذلون» لأنهم يرونهم في مقابلتهم هكذا].

١١٢﴿قال وما علمي﴾ أيُّ علم لي ﴿بما كانوا يعملون﴾.؟ [أي: لم أكلَّف العلم بأعمالهم، بل بدعوتهم إلى الإيمان]. ١١٣﴿إن﴾ ما ﴿حسابهم إلا على ربي﴾ فيجازيهم ﴿لو تشعرون﴾ تعلمون ذلك، ما عبتموهم.

---

(١) قوله تعالى: ﴿فما لنا من شافعين﴾، ارجع إلى تعليقنا حول «الشفاعة» ص ٦١٢.

وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم

١١٤﴿وما أنا بطارد المؤمنين﴾ [بسبب خساسة أشغالهم وأحوالهم]. ١١٥﴿إن﴾ ما ﴿أنا إلا نذير مبين﴾ بيّن الإنذار، [إلى الأغنياء والفقراء على السواء]. ١١٦﴿قالوا لئن لم تنته يا نوح﴾ عما تقول لنا، [من عيب آلهتنا] ﴿لتكونن من المرجومين﴾ بالحجارة، أو: بالشتم. ١١٧﴿قال﴾ نوح ﴿رب إن قومي كذبون﴾.

١١٨﴿فافتح بيني وبينهم فتحاً﴾ أي: احكم، [ودعا عليهم بالهلاك قائلاً: «رب لا تَذَرْ على الأرض من الكافرين دياراً * إنك إن تذرهم يُضلوا عبادك ولا يلدوا إلاّ فاجراً كفاراً»، ثم دعا لنفسه وللمؤمنين بالنجاة فقال:] ﴿ونجني ومن معي من المؤمنين﴾ [قال ذلك، لما يئس من إيمانهم]. ١١٩قال تعالى: ﴿فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون﴾ المملوء، من الناس والحيوان والطير[1].

١٢٠﴿ثم أغرقنا بعد﴾ أي: بعد إنجائهم ﴿الباقين﴾ من قومه.

١٢١﴿إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين﴾.

١٢٢﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾.

١٢٣﴿كذبت عاد[2] المرسلين﴾ [بتكذيبهم هوداً، لأن تكذيب رسول واحد، تكذيبٌ لجميع الرسل].

١٢٤﴿إذ قال لهم أخوهم﴾ [في النسب] ﴿هود ألا تتقون﴾ [الله، فتؤمنون؟].

١٢٥﴿إني لكم رسول أمين﴾.

١٢٦﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ [أي: اجتنبوا عذابه وغضبه، بطاعتي فيما أدعوكم إليه من الإيمان].

١٢٧﴿وما أسألكم عليه من أجر﴾ [فتثقل عليكم إجابتي بسببه] ﴿إن﴾ ما ﴿أجري إلا على رب العالمين﴾.

١٢٨﴿أتبنون بكل ريع﴾ مكان مرتفع [من الأرض] ﴿آية﴾ بناءً، علماً للمارة ﴿تعبثون﴾ بمن يمر بكم، وتسخرون منهم؟ والجملة حال من ضمير «تبنون».

١٢٩﴿وتتخذون مصانع﴾ [أي: مخازن] للماء تحت الأرض ﴿لعلكم﴾ [أي:] كأنكم ﴿تخلدون﴾ فيها لا تموتون. ١٣٠﴿وإذا بطشتم﴾ بضرب أو قتل

---

(١) قوله: «والطير»، في هامش المخطوطة الثانية من تعليقات الناسخ ما يلي: «نكتة: عطف الطير على الحيوان، المتمكنة من الطيران، ومع ذلك فزع إلى السفينة، فذلك معجزة لنبيه عليه السلام».

(٢) قوله تعالى: ﴿كذبت عاد المرسلين﴾، ارجع إلى تعليقنا حول «عاد» ص ٢٩١.

﴿بطشتم جبارين﴾ من غير رأفة، [لقسوة قلوبكم].
١٣١ ﴿فاتقوا الله﴾ في ذلك ﴿وأطيعون﴾ فيما أمرتكم به.
١٣٢ ﴿واتقوا الذي أمدكم﴾ أنعم عليكم ﴿بما تعلمون﴾ [من الخيرات].
١٣٣ ﴿أمدكم بأنعام﴾ [جمع «نَعَم»، وهي الإبل والبقر والغنم] ﴿وبنين﴾.
١٣٤ ﴿وجنات﴾ بساتين ﴿وعيون﴾ أنهار، [أي: سخرها لكم، وتفضل بها عليكم، لتشكروه].
١٣٥ ﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ في الدنيا والآخرة، إن عصيتموني.
١٣٦ ﴿قالوا سواء علينا﴾ مُسْتَوٍ عندنا ﴿أوعظت أم لم تكن من الواعظين﴾ أصلاً؟ أي: لا نرعوي لوعظك.
١٣٧ ﴿إن﴾ ما ﴿هذا﴾ الذي خوفتنا به ﴿إلا خُلْقُ الأولين﴾ [بضم الخاء وسكون اللام]، أي: اختلاقهم وكذبهم، وفي قراءة: بضم الخاء واللام، أي: ما هذا الذي نحن عليه، من أنْ لا بعث، إلا خُلُق الأولين، أي: طبيعتهم وعاداتهم.
١٣٨ ﴿وما نحن بمعذبين﴾ [على ما نفعل، كما تقول].
١٣٩ ﴿فكذبوه﴾ بالعذاب ﴿فأهلكناهم﴾ في الدنيا بالريح [الشديدة، كما سيأتي في سورة «الحاقة»] ﴿إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين﴾.
١٤٠ ﴿وإن ربك﴾ [يا محمد] ﴿لهو العزيز الرحيم﴾.
١٤١ ﴿كذبت ثمود[1] المرسلين﴾ [أي: كذبوا رسولهم صالحاً].
١٤٢ ﴿إذ قال لهم أخوهم﴾ [في النسب]، ﴿صالح ألا تتقون﴾ [الله، فتؤمنون؟].
١٤٣ ﴿إني لكم رسول أمين﴾.
١٤٤ ﴿فاتقوا الله﴾ [بترك الكفر] ﴿وأطيعون﴾ [في الإيمان].

بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ

١٤٥ ﴿وما أسألكم عليه من أجر﴾ [فتثقل عليكم الإجابة بسببه] ﴿إن﴾ ما ﴿أجري إلا على رب العالمين﴾. ١٤٦ ﴿أتتركون في ما ههنا﴾ من الخير ﴿آمنين﴾ [من الموت والعذاب؟ أي: أتظنون أنكم باقون في الدنيا؟]. ١٤٧ ﴿في جنات وعيون﴾ [أي: بساتين وأنهار]. ١٤٨ ﴿وزروع ونخل

---

(١) قوله تعالى: ﴿كذبت ثمود المرسلين﴾ وهم أيضاً «أصحاب الحِجْر»، وهو واد بين المدينة والشام، إلى الجنوب الشرقي من أرض «مدين» القريبة من خليج العقبة، وتعرف اليوم بـ «فَجّ الناقة»، وآثار مدائنهم ظاهرة، وتعرف بـ «مدائن صالح»، ارجع إلى تعليقنا حول «ثمود» ص ٢٩٣.

طلعها هضيم﴾ لطيف لين.
١٤٩﴿وتنحتون من الجبال بيوتاً فرهين﴾ [أي:] بطرين، وفي قراءة: «فارهين» [أي:] حاذقين [ماهرين بنحتها].
١٥٠﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ فيما أمرتكم به.
١٥١﴿ولا تطيعوا أمر المسرفين﴾[1] [منكم، الذين يشجعونكم على عدم الإيمان].
١٥٢﴿الذين يفسدون في الأرض﴾ بالمعاصي، [ومنها كفرهم] ﴿ولا يصلحون﴾ بطاعة الله.
١٥٣﴿قالوا إنما أنت من المسحَّرين﴾ الذين سُحِروا كثيراً، حتى غلب على عقلهم.

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ ٢٦

طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا

٤٨٩

١٥٤﴿ما أنت﴾ أيضاً ﴿إلا بشر مثلنا فأت بآية إن كنت من الصادقين﴾ في رسالتك.
١٥٥﴿قال هذه ناقة﴾ [لكم آية] ﴿لها شرب﴾ نصيب من الماء، [تشربه في يوم] ﴿ولكم شرب يوم معلوم﴾ [آخر].
١٥٦﴿ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم﴾ بعظم العذاب.
١٥٧﴿فعقروها﴾ أي: عقرها بعضهم، [وهو أشقى ثمود: «قُدَارُ بن سالف»] برضاهم، [فكانوا جميعاً شركاء في الإثم] ﴿فأصبحوا نادمين﴾ على عقرها، [لما أيقنوا بالعذاب].
١٥٨﴿فأخذهم العذاب﴾ الموعود به، فهلكوا ﴿إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين﴾.
١٥٩﴿وإن ربك﴾ [يا محمد] ﴿لهو العزيز الرحيم﴾.
١٦٠﴿كذبت قوم لوط[2] المرسلين﴾. [بتكذيبهم لوطاً، لأن تكذيب رسول واحد، تكذيب لجميع الرسل].
١٦١﴿إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون﴾ [الله، فتؤمنون؟].
١٦٢﴿إني لكم رسول أمين﴾ [على ما أرسلت به، وصادق فيه].
١٦٣﴿فاتقوا الله﴾ [بترك الكفر] ﴿وأطيعون﴾ [في الإيمان].
١٦٤﴿وما أسألكم عليه من أجر﴾ [فتثقل عليكم الإجابة بسببه] ﴿إن﴾ ما ﴿أجري إلا

---

(١) قوله تعالى: ﴿ولا تطيعوا أمر المسرفين﴾ أي: الذين أسرفوا على أنفسهم بإهلاكها بكفرهم، وأصل الإسراف: مجاوزة الحد، ومنه قوله تعالى: ﴿وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه﴾، والإسراف في الإنفاق أيضاً هو: مجاوزة حدود الحاجة، ارجع إلى تعليقنا حول «الإسراف» ص ١٩٦، و «التبذير» ص ٣٦٨.
(٢) قوله تعالى: ﴿قوم لوط﴾، ارجع إلى تعليقنا حولهم ص ٢٨٩.

على رب العالمين﴾. ١٦٥ ﴿أتأتون الذكران من العالمين﴾ أي: الناس [في أدبارهم؟، وكانوا أول من فعل ذلك، فَنُسِبَ هذا الفعل الشنيع[1] إليهم]. ١٦٦ ﴿وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم﴾ أي: أقبالهن؟ ﴿بل أنتم قوم عادون﴾ متجاوزون الحلال إلى الحرام. ١٦٧ ﴿قالوا لئن لم تنته يا لوط﴾ عن إنكارك علينا ﴿لتكونن من المخرجين﴾ من بلدتنا. ١٦٨ ﴿قال﴾ لوط ﴿إني لعملكم﴾ [من الكفر وارتكاب الفواحش] ﴿من القالين﴾ المبغضين. ١٦٩ ﴿رب نجني وأهلي مما يعملون﴾ أي: من عذابه. ١٧٠ ﴿فنجيناه وأهله أجمعين﴾. ١٧١ ﴿إلا عجوزاً﴾ امرأته ﴿في الغابرين﴾ الباقين، أهلكناها. ١٧٢ ﴿ثم دمرنا الآخرين﴾ أهلكناهم. ١٧٣ ﴿وأمطرنا عليهم مطراً﴾ [أي:] حجارةً، [من سجيل منضود]، من جملة الإهلاك[2] ﴿فساء مطر المنذرين﴾ مَطَرُهم. ١٧٤ ﴿إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين﴾. ١٧٥ ﴿وإن ربك﴾ [يا محمد] ﴿لهو العزيز الرحيم﴾. ١٧٦ ﴿كذب أصحاب الأيكة﴾ [بألِفِ وصلٍ، مع إسكان اللام وهمزةٍ مفتوحة بعدها، وخفض تاء التأنيث]، وفي قراءة[3]: بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام، وفتح الهاء [ــ أي: تاء التأنيث ــ في حالة الوصل، أي: «لَيْكَةَ» اسم معرفة للبلدة، فترك صرفُهُ للتعريف والتأنيث]، وهي: غيضة شجرٍ قُرْب «مَدْيَن» ﴿المرسلين﴾ [بتكذيبهم «شعيباً»، لأن تكذيب أحد منهم، تكذيب لهم جميعاً].

١٧٧ ﴿إذ قال لهم شعيب﴾ لم يقل: أخوهم، لأنه لم يكن منهم ﴿ألا تتقون﴾ [الله فتؤمنون؟]،

١٧٨ ﴿إني لكم رسول أمين﴾.

١٧٩ ﴿فاتقوا الله﴾ [بترك الكفر] ﴿وأطيعون﴾ [في الإيمان].

١٨٠ ﴿وما أسألكم عليه من أجر﴾ [فتثقل عليكم الإجابة بسببه] ﴿إن﴾ ما ﴿أجري إلا على رب العالمين﴾.

عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾

(١) قولنا: «فنسب هذا الفعل الشنيع إليهم»، أما تسمية هذه الفاحشة «الواطاً» وفاعلها «الوطياً» نسبة إلى «لوط» عليه السلام، فلم ترد هذه التسمية في كتاب ولا سنة، وإنما تعارف عليها الفقهاء، وهي كثيرة في الكتب، ولعلهم يقصدون قوم لوط وقد كره بعضهم تسمية هذه الفاحشة بـ «اللواط» وفضّل تسميتها بـ «الدُّبار» أو «المدابرة» أي: مثل: «السُّحاق» بين المرأتين، وهذا حسن لا بأس به. ارجع إلى تعليقنا حوله ص ٢٠٥.

(٢) قوله: «من جملة الإهلاك» أي: لم يهلكهم بإمطار الحجارة فقط، بل جعل أيضاً عالي قراهم سافلها، فسميت «المؤتفكة». ارجع إلى تعليقنا ص ٢٩٥.

(٣) قوله: «وفي قراءة الخ» جاء قوله تعالى: ﴿أصحاب الأيكة﴾ في أربعة مواضع من القرآن الكريم: هنا في «الشعراء»، وفي الآية «١٣» من سورة «ص»، ص ٤٩٨، فالقراءتان المذكورتان في «الأيكة» هما لهذين الموضعين فقط، أما الموضعان الآخران في «الحجر» آية ٧٨، ص ٣٤٣، وفي «ق» الآية «١٤» ص ٦٨٩، فليس فيهما إلا قراءة واحدة هي القراءة الأولى أي: بسكون اللام وإثبات الهمزة وكسر تاء التأنيث.

١٨١﴿أوفوا الكيل﴾ أتموه ﴿ولا تكونوا من المخسرين﴾ الناقصين [الكيل والوزن].
١٨٢﴿وزنوا بالقسطاس المستقيم﴾ الميزان السوي، [أي: أعطوا الحق].
١٨٣﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾[1] لا تنقصوهم من حقهم شيئاً ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ بالقتل وغيره، من «عَثِيَ» بكسر المثلثة، أفسد، و «مفسدين» حال مؤكدة لمعنى عاملها.
١٨٤﴿واتقوا الذي خلقكم والجبلة﴾ الخليقة ﴿الأولين﴾.

* أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ

١٨٥﴿قالوا إنما أنت من المسَحَّرين﴾ [أي: الذين سُحروا كثيراً، حتى غلب على عقولهم].
١٨٦﴿وما أنت إلا بشر مثلنا وإن﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف، أي: إنه ﴿نظنك لمن الكاذبين﴾.
١٨٧﴿فأسقط علينا كسفاً﴾ بسكون السين وفتحها، قطعة[2] ﴿من السماء إن كنت من الصادقين﴾ في رسالتك. ١٨٨﴿قال ربي أعلم بما تعملون﴾ فيجازيكم به. ١٨٩﴿فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة﴾ هي سحابة، أظلتهم يوم حر شديد أصابهم، فأمطرت عليهم ناراً، فاحترقوا ﴿إنه كان عذاب يوم عظيم﴾.
١٩٠﴿إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين﴾.
١٩١﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾.
١٩٢﴿وإنه﴾ أي: القرآن ﴿لتنزيل رب العالمين﴾. ١٩٣﴿نزل به الروح الأمين﴾[3] جبريل. ١٩٤﴿على قلبك﴾ [أي: يتلوه عليك، فيعيه قلبك] ﴿لتكون من المنذرين﴾. ١٩٥﴿بلسان عربي﴾[4]

---

(١) قوله تعالى: ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾، يندرج تحته كثير من المعاني كما أشار الجلال المحلي رحمه الله، وقد بيناها في تعليقنا على الآية المماثلة من سورة «هود» ص ٢٩٧ فارجع إليه.

(٢) قوله: «قطعة»، هو تفسير لقراءة «كسفاً» بسكون السين فقط، ـ كما هي عادة الجلال المحلي في تفسيره ـ وأما على قراءتها بفتح السين فهي جمع أي: قطعاً كما سيأتي في الآية ٤٨ من سورة «الروم» ص ٥٣٧. قال الأخفش: من قرأ بسكون السين جعله واحداً، ومن قرأ بفتحها جعله جمعاً، وقيل: إنهما جمع، مفردُهُ «كِسْفَة».

(٣) قوله تعالى: ﴿الروح الأمين﴾، ارجع إلى تعليقنا حول «معاني الروح» ص ٣٧٦.

(٤) قوله تعالى: ﴿بلسان عربي﴾. في هامش المخطوطة الأولى من تعليقات الناسخ ما يلي: «الباء في قوله: ﴿بلسان عربي﴾ ـ أي: بلغة قريش ـ متعلقة بـ «المنذرين»، فالمعنى: لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان وهم خمسة: هود، وصالح، وشعيب، وإسماعيل، ومحمد ﷺ، ويجوز أن يتعلق بـ «نزل» والمعنى: نزله بلغة العرب لتنذر به، ولو نزله بلغة العجم لقالوا: كيف نؤمن بما لا نفهمه؟». اهـ.

مبين﴾ بيِّن، [لئلا يقولوا: لسنا نفهم ما يقول]، وفي قراءة: بتشديد «نزل»، ونصب «الروح»، والفاعل: الله.
١٩٦﴿وإنه﴾ أي: ذكر القرآن، المنزل على محمد ﴿لفي زبر﴾ كتب ﴿الأولين﴾ كالتوراة والإنجيل.
١٩٧﴿أو لم يكن لهم﴾ لكفار مكة [وغيرهم] ﴿آية﴾ على ذلك ﴿أن يعلمه علماء بني إسرائيل﴾ كعبد الله بن سلام[1] وأصحابه ممن آمنوا؟ فإنهم يخبرون بذلك، و «يكن» بالتحتانية ونَصْبِ «آية»، وبالفوقانية ورفع «آية».
١٩٨﴿ولو نزلناه على بعض الأعجمين﴾ جمع «أعجم»، [أي: على رجل ليس بعربي].
١٩٩﴿نقرأه عليهم﴾ أي: كفار مكة ﴿ما كانوا به مؤمنين﴾ أنفة من اتباعه. ٢٠٠﴿كذلك﴾ أي: مثل إدخالنا التكذيب به، بقراءة الأعجمي ﴿سلكناه﴾ أدخلنا التكذيب به ﴿في قلوب المجرمين﴾ أي: كفار مكة، بقراءة النبي [ﷺ].
٢٠١﴿لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم﴾ [وحينئذ لا ينفع الكافرين إيمانهم، ولهم سوء الدار].
٢٠٢﴿فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون﴾ [بإتيانه].
٢٠٣﴿فيقولوا هل نحن منظرون﴾ لنؤمن؟ فيقال لهم: لا، قالوا: متى هذا العذاب؟
٢٠٤ قال تعالى: ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾؟ [والاستفهام للتهديد والإنكار].
٢٠٥﴿أفرأيت﴾ أخبرني ﴿إن متعناهم سنين﴾ [في الدنيا].
٢٠٦﴿ثم جاءهم ما كانوا يوعدون﴾ من العذاب؟.
٢٠٧﴿ما﴾ استفهامية بمعنى: أيّ شيء ﴿أغنى عنهم ما كانوا يمتعون؟﴾ [أي: ما يُجدي عنهم، ما كانوا فيه من النعيم]، في دفع العذاب أو تخفيفه؟ أي: لم يُغنِ.
٢٠٨﴿وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون﴾ رسل تنذر أهلها، [وهذا كقوله تعالى: «وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً»].
٢٠٩ [هذه] ﴿ذكرى﴾ عظة لهم ﴿وما كنا ظالمين﴾ في إهلاكهم بعد إنذارهم.
٢١٠ ونزل رداً لقول المشركين: ﴿وما تنزلت به﴾ بالقرآن ﴿الشياطين﴾ [بل ينزل به الروح الأمين جبريل].
٢١١﴿وما ينبغي﴾ يصلح ﴿لهم﴾ أن ينزلوا به ﴿وما يستطيعون﴾ ذلك.
٢١٢﴿إنهم عن السمع﴾ لكلام الملائكة ﴿لمعزولون﴾ محجوبون بالشهب[2]. ٢١٣﴿فلا تدع مع الله

الجزء التاسع عشر

مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُواْ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ

٤٩٢

(١) قوله: «كعبد الله بن سلام»، ارجع إلى ترجمته في تعليقنا ص ٣٢٧.
(٢) قوله: «بالشهب»، أي: المنفصلة من الكواكب جمع «شهاب»، كما سيأتي في سورة «الجن» ص ٧٧٠.

﴿إلهاً آخر فتكون من المعذبين﴾ إن فعلت ذلك الذي دعوك إليه، [والمراد بالخطاب، بيانُ عقاب من يفعل ذلك من الناس]. ٢١٤ ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ وهم: بنو هاشم، وبنو المطلب، وقد أنذرهم جهاراً، [وهو قائم على الصفا قائلاً: «يا معشر قريش، اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد مناف، لا أغني عنكم من الله شيئاً»، إلى أن قال: «يا فاطمة بنت محمد، سليني ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئاً»] رواه البخاري ومسلم. ٢١٥ ﴿واخفض جناحك﴾ ألن جانبك ﴿لمن اتبعك من المؤمنين﴾ الموحدين. ٢١٦ ﴿فإن عصوك﴾ أي: عشيرتك ﴿فقل﴾ لهم ﴿إني بريء مما تعملون﴾ من عبادة غير الله. ٢١٧ ﴿وتوكل﴾ بالواو والفاء، [وهما قراءتان سبعيتان]

إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

﴿على العزيز الرحيم﴾ أي: فوض إليه جميع أمورك. ٢١٨ ﴿الذي يراك حين تقوم﴾ إلى الصلاة. ٢١٩ ﴿وتقلبك﴾ في أركان الصلاة، قائماً وقاعداً، وراكعاً وساجداً ﴿في الساجدين﴾ المصلين. ٢٢٠ ﴿إنه هو السميع العليم﴾. ٢٢١ ﴿وهل أنبئكم﴾ أي: [يا] كفار مكة ﴿على من تنزل الشياطين﴾؟ بحذف إحدى التاءين من الأصل. ٢٢٢ ﴿تنزل على كل أفاك﴾ كذاب ﴿أثيم﴾ فاجر، مثل «مسيلمة [الكذاب»، الذي زعم أنه نبي يوحى إليه]، وغيره من الكهنة. ٢٢٣ ﴿يلقون﴾ أي: الشياطين ﴿السمع﴾ ما سمعوه من الملائكة، إلى الكهنة ﴿وأكثرهم كاذبون﴾ يضمون إلى المسموع كذباً كثيراً[1]، وكان هذا قبل أن حُجبت الشياطين عن السماء. ٢٢٤ ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ [الضالون] في شعرهم، فيقولون به ويروُونه عنهم، فهم مذمومون. ٢٢٥ ﴿ألم تر﴾ تعلم ﴿أنهم في كل واد﴾ من أودية الكلام وفنونه ﴿يهيمون﴾ يمضون [ويخوضون، غير مبالين]، فيجاوزون الحد مدحاً وهجاء. ٢٢٦ ﴿وأنهم يقولون﴾ فعلنا ﴿ما لا يفعلون﴾ أي: يكذبون. ٢٢٧ ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ من الشعراء ﴿وذكروا الله كثيراً﴾ لم يشغلهم الشعر[2] عن الذكر ﴿وانتصروا﴾ بهجوهم الكفار ﴿من بعد ما ظلموا﴾ بهجو الكفار لهم، في جملة المؤمنين، فليسوا مذمومين، قال تعالى: «لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظُلِمَ»، وقال تعالى: «فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم» ﴿وسيعلم الذين ظلموا﴾ من الشعراء وغيرهم ﴿أي منقلب﴾ مرجع ﴿ينقلبون﴾ يرجعون بعد الموت.

---

(١) قوله: «يضمون إلى المسموع كذباً كثيراً»، روى الشيخان، عن عائشة أم المؤمنين، أنه ﷺ سئل عن الكهان فقال: «ليسوا بشيء»، فقالوا: يا رسول الله إنهم يحدثوننا أحياناً بشيء فيكون حقاً؟ فقال ﷺ: «تلك الكلمة من الحق يَخْطَفُها الجني فَيَقُرها في أُذُن وليِّه، فيخلطون معها مائة كذبة».

(٢) قوله: «لم يشغلهم الشعر عن الذكر». الشعر نوعان: مذموم وممدوح، فالمذموم هو: ما كان فيه ضلال أو فجور، أو حَثٌّ على الفسوق =

﴿سُورَةُ النَّمْلِ﴾

(مكية، وهي: ثلاث، أو: أربع، أو: خمس وتسعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١﴿طس﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تلك﴾ أي: هذه الآيات ﴿آيات القرآن﴾ آيات منه ﴿وكتاب مبين﴾ مظهر للحق من الباطل، عَطْفٌ بزيادة صفة. ٢هو ﴿هدى﴾ أي: هاد من الضلالة ﴿وبشرى للمؤمنين﴾ المصدقين به، بالجنة. ٣﴿الذين يقيمون الصلاة﴾ يأتون بها على وجهها ﴿ويؤتون﴾ يعطون ﴿الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون﴾ يعلمونها بالاستدلال، وأعيد «هم»، لَمَّا فُصِلَ بينه وبين الخبر. ٤﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم﴾ القبيحة، بتركيب الشهوة، حتى رأوها حسنة ﴿فهم يعمهون﴾ يتحيرون فيها، لقبحها عندنا. ٥﴿أولئك الذين لهم سوء العذاب﴾ أشَدُّهُ في الدنيا، [وهو:] القتل والأسر ﴿وهم في الآخرة هم الأخسرون﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم. ٦﴿وإنك﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿لتلقى القرآن﴾ أي: يلقى عليك بشدة، [فتتلَقَّاه وتأخذه] ﴿من لدن﴾ من عند ﴿حكيم عليم﴾ في ذلك. ٧ اذكر: ﴿إذ قال موسى لأهله﴾ زوجته، عند مسيره من «مدين»، إلى «مصر» ﴿إني آنست﴾ أبصرت من بعيد ﴿ناراً سآتيكم منها بخبر﴾ عن حال الطريق، ــ وكان قد ضلها ــ ﴿أو آتيكم بشهاب قبس﴾ بالإضافة ــ [وهي إضافة] للبيان ــ وتركها، أي: شعلة نار، في رأس فتيلة أو عود ﴿لعلكم

(٢٧) سُورَةُ النَّمْلِ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا ثَلَاثٌ وَتِسْعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ

نصف الحزب

= والعصيان أو مدح للظالمين، أو هجاء لمن لا يستحقه، وفي هذا النوع، روى مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً حتى يَرِيَهُ ــ أي: حتى يأكله القيح ــ خير من أن يمتلئ شعراً».

أما الشعر الممدوح فهو: الذي فيه حكمة تنفع، أو دفاع عن حق، أو إرشاد إلى الخير، أو مدح لمن يستحقه، أو نظم للعلوم، فهذا النوع من الشعر، لا بأس في سماعه أو إنشاده، ففي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ طلب من رديفه عمرو بن الشّريد، أن يسمعه من شعر أمية بن أبي الصلت، فأنشده حتى مائة بيت، لأن في شعره حكمة، وأنشد كعب بن زهير بين يدي رسول الله ﷺ قصيدته المعروفة «بانت سعاد» فأكرمه.

وقد صحّ عن النبي ﷺ سماعُه الشعر من شعرائه حسان وغيره، وطلبُه نظم الشعر دفاعاً عن المسلمين، فقد روى مسلم في صحيحه، عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان بن ثابت: «اهجهم ــ أو: هاجهم ــ وجبريل معك»، وروى مسلم أيضاً عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان: إن روح القدس ــ أي: جبريل ــ لا يزال يؤيدك ما نافحت ــ أي: دافعت ــ عن الله ورسوله».

تصطلون﴾ تستدفئون من البرد، والطاء بدل تاء الافتعال، [أصله: «تصتلون» جاءت التاء بعد الصاد، وهي من حروف الإطباق، فقُلبت طاء]، من «صَلِيَ النار»، بكسر اللام وفتحها. ٨﴿فلما جاءها نودي أن﴾ بأن ﴿بورك﴾ بارك الله ﴿من في النار﴾ أي: موسى ﴿ومن حولها﴾ أي: الملائكة، أو العكس، [أي: «مَنْ في النار» يعني الملائكة، «ومن حولها»: موسى]، و«بارك» يتعدى بنفسه وبالحرف، ويقدَّر بَعْدَ «في»، «مكان»، [أي: بورك من في مكان النار، وقوله:] ﴿وسبحان الله رب العالمين﴾ [هو] من جملة ما نودي [به]، ومعناه: تنزيه الله من السوء. ٩﴿يا موسى إنه﴾ أي: الشأن ﴿أنا الله العزيز الحكيم﴾. ١٠﴿وألق عصاك﴾ فألقاها ﴿فلما رآها تهتز﴾ تتحرك ﴿كأنها جان﴾ حية خفيفة[1] ﴿ولّى مدبراً ولم يعقب﴾ يرجع، قال تعالى: ﴿يا موسى لا تخف﴾ منها ﴿إني لا يخاف لديَّ﴾ عندي ﴿المرسلون﴾ من حية أو غيرها، [وهنا تم الكلام، ثم استثنى استثناء منقطعاً فقال:]

سُورَةُ النَّمْلِ ٢٧

تَصۡطَلُونَ ۝٧ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٨ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٩ وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ۝١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١١ وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ۝١٢ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ۝١٣ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝١٤ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ

١١﴿إلا﴾ لكن ﴿من ظلم﴾ نفسه ﴿ثم بدَّل حسناً﴾ أتاه ﴿بعد سوء﴾ أي: تاب ﴿فإني غفور رحيم﴾ أقبل التوبة، وأغفر له، [أي: ولا يخاف لديَّ أيضاً، التائبُ من ذنبه، لأني أغفر وأرحم].

١٢﴿وأدخل يدك في جيبك﴾ طوق القميص ﴿تخرج﴾ خلاف لونها[2] من الأدمة [والسُّمرة] ﴿بيضاء من غير سوء﴾ [أي:] برص، لها شعاع يُعْشِي[3] البصر، آية ﴿في تسع آيات﴾[4] مرسلاً بها ﴿إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾.

١٣﴿فلما جاءتهم آياتنا مبصرة﴾ أي: مضيئة واضحة ﴿قالوا هذا سحر مبين﴾ بيِّن ظاهر.

١٤﴿وجحدوا بها﴾ أي: لم يقروا ﴿و﴾ قد ﴿استيقنتها أنفسهم﴾ تيقنوا أنها من عند الله ﴿ظلماً وعلواً﴾ تكبراً عن الإيمان بما جاء به موسى، راجع إلى الجحد، [أي: جحدوا ظلماً وعلواً] ﴿فانظر﴾ يا محمد ﴿كيف كان عاقبة المفسدين﴾ التي علمتها من إهلاكهم.

١٥﴿ولقد آتينا داود وسليمان﴾ ابنه ﴿علماً﴾ بالقضاء بين الناس، ومنطق الطير، وغير ذلك ﴿وقالا﴾ شكراً لله: ﴿الحمد لله الذي فضلنا﴾ بالنبوة، وتسخير الجن والإنس والشياطين ﴿على كثير

(١) قوله: «حية خفيفة»، أي: سريعة الحركة كثيرة الاضطراب. ارجع إلى تعليقنا حول «عصا موسى عليه السلام» ص ٢٠٩.

(٢) هذا رد على أهل الكتاب، وما جاء في كتبهم: أنها خرجت برصاء مثل الثلج.

(٣) قوله: «يُعْشِي»، هو هكذا بالعين المهملة، كما في المخطوطتين الثانية والثالثة، وفي المخطوطة الأولى والنسخ المطبوعة بالغين المعجمة، وهو تصحيف من الناسخ، أي: إن شعاعها يجعل البصر «أعشى».

(٤) قوله تعالى: ﴿في تسع آيات﴾، تقدم بيانها في تعليقنا ص ٢٨٧.

من عباده المؤمنين﴾. ١٦ ﴿وورث سليمان داود﴾ النبوة والعلم، دون باقي أولاده ﴿وقال﴾ [أي: سليمان، متحدثاً بنعمة الله عليه] ﴿يا أيها الناس علمنا منطق الطير﴾ [وغيره من الحيوانات]، أي: فهم أصواته[١] ﴿وأوتينا من كل شيء﴾ تؤتاه الأنبياء والملوك ﴿إن هذا﴾ المؤتى ﴿لهو الفضل المبين﴾ البيّن الظاهر.
١٧ ﴿وحشر﴾ جمع ﴿لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير﴾ في مسير له ﴿فهم يوزعون﴾ يجمعون، ثم يسافرون. ١٨ ﴿حتى إذا أتوا على واد النمل﴾ هو بالطائف، أو: بالشام، نمله صغار، أو: كبار ﴿قالت نملة﴾ هي ملكة النمل، وقد رأت جند سليمان ﴿يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم﴾ يكسرنكم ﴿سليمان وجنوده وهم لا يشعرون﴾ نُزّل النمل منزل العقلاء، في الخطاب بخطابهم.

الجزء التاسع عشر

مِنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ

١٩ ﴿فتبسم﴾ سليمان ابتداءً ﴿ضاحكاً﴾ انتهاءً ﴿من قولها﴾ وقد سمعه من ثلاثة أميال، حملته[٢] إليه الريح، فحبس جنده حين أشرف على واديهم، حتى دخلوا بيوتهم، وكان جنده ركباناً ومشاةً في هذا السير ﴿وقال رب أوزعني﴾ ألهمني ﴿أن أشكر نعمتك التي أنعمت﴾ بها ﴿علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾ الأنبياء والأولياء.
٢٠ ﴿وتفقد الطير﴾ ليرى «الهُدهُد» ــ الذي يرى الماء تحت الأرض، ويدل عليه بنقره فيها، فتستخرجه الشياطين، لاحتياج سليمان إليه للصلاة ــ فلم يره ﴿فقال ما لي لا أرى الهدهد﴾ أعَرَضَ لي ما منعني من رؤيته؟ ﴿أم كان من الغائبين﴾ فلم أره لغيبته؟.
٢١ فلما تحققها قال: ﴿لأعذبنه عذاباً﴾ تعذيباً ﴿شديداً﴾ بنتف رأسه[٣] وذنبه، ورميه في الشمس، فلا يمتنع من الهوام ﴿أو لأذبحنه﴾ بقطع حلقومه ﴿أو ليأتيني﴾ بنون مشددة مكسورة، أو: [بنون مشددة] مفتوحة يليها نون مكسورة ﴿بسلطان مبين﴾ ببرهان بيّن ظاهر على عذره.
٢٢ ﴿فمكث﴾ بضم الكاف وفتحها ﴿غير بعيد﴾ يسيراً من الزمن، وحضر لسليمان متواضعاً، برفع رأسه وإرخاء ذنبه، وجناحيه، فعفا عنه، وسأله عما لقي في غيبته ﴿فقال

(١) قوله: «فهم أصواته» أي: الأصوات التي تصدر عن الطير وغيره، وهي أصوات غريزية في الحيوان، لا تعني وجود عقل لديه.
(٢) هذا تكلف لا دليل عليه، بل نص الآية يعارضه، لأن قوله تعالى: ﴿حتى إذا أتوا على وادي النمل﴾ يعني: وصولهم إليه.
(٣) قوله: «بنتف رأسه وذنبه... إلخ»، الأحسن عدم تفسير «العذاب» بشيء لأنه لم يحصل، ولأنه لا دليل على أن العذاب الذي توعّده به سليمان كان ما ذكره المؤلف الجلال المحلي، ولا شيئاً آخر، والآية صريحة في إطلاق العذاب ووصفه بالشدة، فلا داعي للتكلّف.

أحطت بما لم تحط به﴾ اطلعت على ما لم تطلع عليه ﴿وجئتك من سبأ﴾[1] بالصرف وتركه، قبيلة باليمن، سميت باسم جد لهم، باعتباره صُرِفَ ﴿بنبأ﴾ خبر ﴿يقين﴾. ٢٣﴿إني وجدت امرأة تملكهم﴾ اسمها «بَلْقيس» ﴿وأوتيت من كل شيء﴾ يحتاج إليه الملوك، من الآلة والعُدَّة ﴿ولها عرش﴾ سرير ﴿عظيم﴾ طوله ثمانون ذراعاً، وعرضه أربعون ذراعاً، وارتفاعه ثلاثون ذراعاً، مضروبٌ من الذهب والفضة، مكلل بالدر، والياقوت الأحمر، والزبرجد الأخضر، والزمرد، وقوائمه من الياقوت الأحمر، والزبرجد الأخضر، والزمرد، عليه سبعة أبواب[2]، على كل بيت باب مغلق. ٢٤﴿وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل﴾ طريق الحق ﴿فهم لا يهتدون﴾. ٢٥﴿ألا يسجدوا لله﴾ أي: [فهم لا يهتدون] أن يسجدوا له، فزيدت «لا»، وأدغم فيها نون «أن»، كما في قوله تعالى: «لئلاَّ يعلم أهل الكتاب»، والجملة في محل مفعول «يهتدون»، بإسقاط «إلى» ﴿الذي يخرج الخبء﴾ مصدر بمعنى: المخبوء، من المطر والنبات ﴿في السماوات والأرض ويعلم ما يخفون﴾ في قلوبهم ﴿وما يعلنون﴾ بألسنتهم، [بالياء والتاء]. ٢٦﴿الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم﴾ استئنافُ جملةِ ثناءٍ، مشتملٌ على عرش الرحمن، في مقابلة عرش بلقيس، وبينهما بون عظيم. ٢٧﴿قال﴾ سليمان للهدهد ﴿سننظر أصدقت﴾ فيما أخبرتنا به ﴿أم كنت من الكاذبين﴾ أي: من هذا النوع؟، فهو أبلغ من: «أم كذبت فيه»، ثم دلَّهم على الماء، فاستُخرِجَ وارتووا وتوضؤوا وصلوا، ثم كتب سليمان كتاباً صورته: «من عبد الله، سليمان بن داود، إلى بلقيس ملكة سبأ، بسم الله الرحمن الرحيم، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فلا تعلو عليَّ، وأتوني مسلمين» ثم طبعه بالمسك، وختمه بخاتمه، ثم قال للهدهد: ٢٨﴿اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم﴾ أي: [إلى] بلقيس وقومها ﴿ثم تولَّ﴾ انصرف ﴿عنهم﴾ وقف قريباً منهم ﴿فانظر ماذا يرجعون﴾ يردُّون من الجواب، فأخذه، وأتاها وحولها جندها، وألقاه في حجرها، فلما رأته ارتعدت، وخضعت خوفاً، ثم وقفت على ما فيه. ٢٩ثم ﴿قالت﴾ لأشراف قومها: ﴿يا أيها الملأ إني﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية [بين الهمزة والياء، و:] بقلبها واواً مكسورة ﴿ألقي إلي كتاب كريم﴾ مختوم.
٣٠﴿إنه من سليمان وإنه﴾ مضمونه: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾. ٣١﴿ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين﴾.

أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾

سجدة

* قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَـٰبِى هَـٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَـٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَـٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾

(١) قوله تعالى: ﴿من سبأ﴾، سيأتي بيان «مَنْ هم» في تعليقنا ص ٥٦٢.
(٢) قوله: «سبعة أبواب» هو هكذا في المخطوطات والطبعات، وهو صواب، وقد وهم الصاوي في قوله: صوابه «أبيات» بدليل قوله بعد ذلك: «وعلى كل بيت»، وعلى كل حال، فإن في وصف عرشها الذي ذكره المحلي، مبالغات لا دليل عليها، فهو «عرش عظيم» وكفى.

﴿قالت يا أيها الملأ أفتوني﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية بقلبها واواً [محضة]، أي: أشيروا عليَّ ﴿في أمري ما كنت قاطعة أمراً﴾ قاضيته ﴿حتى تشهدون﴾ تحضرون. ٣٣﴿قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد﴾ أي: أصحاب شدة في الحرب ﴿والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين﴾ـنا، نُطعْكِ. ٣٤﴿قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها﴾ بالتخريب ﴿وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون﴾ أي: مرسلو الكتاب، [إذا دخلوا بلادنا]. ٣٥﴿وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون﴾ من قبول الهدية أو ردها، إن كان ملكاً قبلها، أو نبياً لم يقبلها، فأرسلت خدماً ذكوراً وإناثاً، ألفاً بالسوية، وخمسمائة لبنة من الذهب، وتاجاً مكللاً بالجواهر، ومسكاً وعنبراً، وغير ذلك، مع رسول بكتاب، فأسرع الهدهد إلى سليمان يخبره الخبر، فأمر أن تُضْرَبَ لِبَنَاتُ الذهب والفضة، وأن تُبسط من موضعه إلى تسعة فراسخ ميداناً، وأن يبنوا حوله حائطاً مشرفاً، من الذهب والفضة، وأن يؤتى بأحسن دواب البر والبحر، مع أولاد الجن، عن يمين الميدان وشماله. ٣٦﴿فلما جاء﴾ الرسول بالهدية، ومعه أتباعه ﴿سليمان قال أتمدونن بمال؟ فما آتاني الله﴾ من النبوة والملك ﴿خير مما آتاكم﴾ من الدنيا ﴿بل أنتم بهديتكم تفرحون﴾ لفخركم بزخارف الدنيا. ٣٧﴿ارجع إليهم﴾ بما أتيت من الهدية ﴿فلنأتينهم بجنود لا قبل﴾ لا طاقة ﴿لهم بها﴾ [أي: بقتالها] ﴿ولنخرجنهم منها﴾ من بلدهم «سبأ»، سميت باسم أبي قبيلتهم: [«سبأ بن يَشْجُبَ بن يَعْرُبَ بن قحطان»] ﴿أذلة وهم صاغرون﴾ إن لم يأتوني مسلمين، فلما رجع إليها الرسول بالهدية، جعلت سريرها داخل[1] سبعة أبواب، داخل قصرها، وقصرَها داخل سبعة قصور، وأغلقت الأبواب، وجعلت عليها حرساً، وتجهزت للمسير إلى سليمان، لتنظر ما يأمرها به، فارتحلت في اثني عشر ألف قَيْل، [بفتح القاف أي: مَلِك]، مع كل قَيْلٍ ألوف كثيرة، إلى أن قربت منه على فرسخ، شعر بها. ٣٨﴿قال يا أيها الملأ أيكم﴾ في الهمزتين ما تقدم [في الآية «٣٢»]، ﴿يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين﴾ منقادين طائعين؟، فلي أخذه قبل ذلك، لا بعده. ٣٩﴿قال عفريت من الجن﴾ هو: القوي الشديد ﴿أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك﴾ الذي تجلس فيه للقضاء، وهو من الغداة إلى نصف النهار ﴿وإني عليه لقوي﴾ أي: على حمله ﴿أمين﴾ على ما فيه من الجواهر وغيرها، قال سليمان: أريد أسرع من ذلك.

قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم ۚ بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾

(١) قوله: «داخل سبعة أبواب.. إلى قوله: ألوف كثيرة» فيه مبالغة واضحة لا دليل عليها، والصحيح أن يقال: فلما رجع إليها رسولها أقبلت تسير إليه في جنودها خاضعة، كما توجد مبالغة في وصف ما فعله سليمان قبل وصول حملة الهدية إليه.

٤٠ ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب﴾ المنزَّل، [هو: سليمان نفسه]، و [قيل:] هو: آصف بن بَرخيا، كان صِدّيقاً، يعلم اسم الله الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب ﴿أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾ إذا نظرت به إلى شيء، فقال له: انظر إلى السماء، فنظر إليها، ثم رَدَّ بطرفه، فوجده موضوعاً بين يديه، ففي نظره إلى السماء، دعا آصفُ بالاسم الأعظم، أن يأتي الله به، فحصل [أن كان العرش بين يديه، بإذن الله تعالى، أما كيف حصل ذلك؟ فالصحيح عدم التعيين، وقيل:] بأن جرى تحت الأرض ﴿فلما رآه مستقراً﴾ ساكناً ﴿عنده قال هذا﴾ الإتيان لي به ﴿من فضل ربي ليبلوني﴾ ليختبرني ﴿ءأشكر﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى، وتركه ﴿أم أكفر﴾ النعمة؟ ﴿ومن شكر فإنما يشكر لنفسه﴾ أي: لأجلها، لأن ثواب شكره له ﴿ومن كفر﴾ النعمة

قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِيٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ

﴿فإن ربي غني﴾ عن شكره ﴿كريم﴾ بالإفضال على مَنْ يكفرها، [أي: لا يقطع نعمه بسبب كفرها]. ٤١ ﴿قال نكروا لها عرشها﴾ غَيِّروه إلى حال، تنكره إذا رأته ﴿ننظر أتهتدي﴾ إلى معرفته ﴿أم تكون من الذين لا يهتدون﴾ إلى معرفة ما يغير عليهم؟ [قيل:] قصد بذلك اختبار عقلها، لما قيل إن فيه شيئاً، فغيروه بزيادة أو نقص، أو غير ذلك. ٤٢ ﴿فلما جاءت قيل﴾ لها ﴿أهكذا عرشك؟﴾ أي: أمثل هذا عرشك؟ ﴿قالت كأنه هو﴾ أي: فعرفته، وشبهت عليهم كما شبهوا عليها، إذ لم يقل: أهذا عرشك؟ ولو قيل: هذا؟ قالت: نعم، قال سليمان، لما رأى لها معرفة وعلماً: ﴿وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين﴾. ٤٣ ﴿وصدها﴾ عن عبادة الله ﴿ما كانت تعبد من دون الله﴾ أي: غيره ﴿إنها كانت من قوم كافرين﴾. ٤٤ ﴿قيل لها﴾ أيضاً ﴿ادخلي الصرح﴾[1] هو سطح من زجاج أبيض شفاف، تحته ماء عذب جار، فيه سمك، اصطنعه سليمان [ليريها ما أعطاه الله من الملك، لا] لِمَا قيل له: إن ساقيها وقدميها، كقدمي الحمار، [أي: كحافره] ﴿فلما رأته حسبته لجة﴾ من الماء ﴿وكشفت عن ساقيها﴾ لتخوضه، وكان سليمان على سريره في صدر الصرح، فرأى ساقيها وقدميها حساناً [اقرأ التعليق، فإن هذا لا يليق] ﴿قال﴾ لها ﴿إنه صرح ممرد﴾ مملس ﴿من قوارير﴾ من زجاج، ودعاها إلى الإسلام ﴿قالت رب إني ظلمت نفسي﴾ بعبادة غيرك ﴿وأسلمت﴾ كائنة ﴿مع سليمان لله رب العالمين﴾ [قيل:] وأراد تزوجها، فكره شعر ساقيها، فعملت له الشياطين «النُّورَة»، فأزالته بها، فتزوجها وأحبها، وأقرها على ملكها، وكان يزورها في كل شهر مرة، ويقيم عندها ثلاثة أيام، وانقضى ملكها بانقضاء ملك سليمان، روي: أنه ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة، ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة، فسبحان من لا انقضاء لدوام ملكه. ٤٥ ﴿ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم﴾ من القبيلة

(١) قوله تعالى: ﴿ادخلي الصرح﴾، «إن ما ذكره المحلي وغيره» في تفسير هذه الآية، مما قيل في سبب بناء الصرح، هو مجرد أقاويل لا دليل عليها، تناقلها بعض القُصّاص، بل إن منها ما لا يليق بمقام النبوة، إذ لا يُعقل أن يصدق سليمان بأن قدميها كحافر الحمار، ليبني الصرح من أجل اكتشاف ذلك، وهل كانت بلقيس سوى امرأة كسائر النساء؟، وقولهم: «فرأى ساقيها وقدميها حساناً»، هو أيضاً مما لا يليق، بل إن أحسن ما قيل في بناء الصرح هو: أنه أراد أن يُريها ملكاً أعظم من ملكها، ليحملها على الإسلام، وهذا ما حصل فأسلمت معه، أما ما قيل في زواجهما، فلم يَرِدْ فيه دليل، لا نفياً ولا إثباتاً، فيكون عدم الخوض فيه هو المنهج الصحيح. والله أعلم.

﴿صالحاً أن﴾ أي: بأن ﴿اعبدوا الله﴾ وحده ﴿فإذا هم فريقان يختصمون﴾ في الدين، فريق مؤمنون، من حين إرساله إليه، وفريق كافرون.

٤٦﴿قال﴾ للمكذبين ﴿يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة﴾ أي: بالعذاب قبل الرحمة؟ حيث قلتم: إن كان ما أتيتنا به حقاً، فأتنا بالعذاب ﴿لولا﴾ هلاّ ﴿تستغفرون الله﴾ من الشرك ﴿لعلكم ترحمون﴾ فلا تعذبون؟

٤٧﴿قالوا اطيرنا﴾ أصله «تطيرنا»، أدغمت التاء في الطاء، واجتلبت همزة الوصل، أي: تشاءمنا ﴿بك وبمن معك﴾ المؤمنين، حيث قُحِطُوا، [أي: احتبس عنهم] المطر، وجاعوا ﴿قال طائركم﴾ شؤمكم ﴿عند الله﴾ أتاكم به ﴿بل أنتم قوم تفتنون﴾ تختبرون بالخير والشر.

صَـٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَـٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَـٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَـٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ وَأَنتُمْ

٤٨﴿وكان في المدينة﴾ مدينة ثمود ﴿تسعة رهط﴾ رجال [تسعة، و «الرهط»: ما دون العشرة] ﴿يفسدون في الأرض﴾ بالمعاصي، [بكل طريق يقدرون عليها]، منها قَرْضُهُم الدنانير والدراهم، [أي: يأخذون منها ليخف وزنها] ﴿ولا يصلحون﴾ بالطاعة.

٤٩﴿قالوا﴾ أي: قال بعضهم لبعض ﴿تقاسموا﴾ [فعل أمر]، أي: احْلِفُوا، [أو: خبر، أي: حَلَفُوا] ﴿بالله لنبيتنه﴾ بالنون [مع فتح التاء]، والتاء وضم التاء الثانية، [يعني: صالحاً] ﴿وأهله﴾ أي: مَنْ آمن به، أي: نقتلهم ليلاً ﴿ثم لنقولنَّ﴾ بالنون [وفتح اللام الثانية]، والتاء وضم اللام الثانية ﴿لوليِّه﴾ أي: وَلِيِّ دمه ﴿ما شهدنا﴾ حضرنا ﴿مهلك أهله﴾ بضم الميم وفتحها [مع فتح اللام فيهما، وروى حفص: بفتح الميم وكسر اللام]، أي: إهلاكهم، أو: هلاكهم، فلا ندري مَنْ قتلهم ﴿وإنا لصادقون﴾ [في قولنا هذا، فنحن الذين قتلناهم، ليس غيرنا].

٥٠﴿ومكروا﴾ في ذلك ﴿مكراً ومكرنا مكراً﴾ أي: جازيناهم بتعجيل عقوبتهم ﴿وهم لا يشعرون﴾.

٥١﴿فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم﴾ أهلكناهم ﴿وقومهم أجمعين﴾ بصيحة جبريل، أو برمي الملائكة بحجارة، يرونها ولا يرونهم.

٥٢﴿فتلك بيوتهم خاوية﴾ أي: خالية، ونصبه على الحال، والعامل فيها معنى الإشارة ﴿بما ظلموا﴾ بظلمهم، أي: كفرهم ﴿إن في ذلك لآية﴾ لعبرة ﴿لقوم يعلمون﴾ قدرتنا، فيتعظون.

٣٥﴿وأنجينا الذين آمنوا﴾ بصالح، وهم أربعة آلاف ﴿وكانوا يتقون﴾ الشرك.

٥٤﴿ولوطاً﴾ منصوب بـ«اذكر»، مقدراً قبله، ويبدل منه: ﴿إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة﴾ أي: اللواط ﴿وأنتم

تبصـرون؟﴾ أي: يـبصـر بعضـكـم بعـضـاً، انهمـاكـاً في المعـصـيـة. ٥٥﴿أئنكـم﴾ بتحقيـق الهـمـزتين، وتسهيـل الثـانيـة، وإدخـال ألـف بينهمـا عـلى الـوجهيـن، [وتـركـه] ﴿لتـأتـون الرجـال شـهـوة مـن دون النساء؟ بل أنتم قوم تجهلـون﴾ عاقبة فعلكـم.

٥٦﴿فمـا كـان جـواب قومـه إلاّ أن قالـوا أخرجوا آل لوط﴾ أهله ﴿من قريتكم﴾ [أي: مـن حيث كـان لـوط وقومه يقيمون، أي: مـن قراهم] ﴿إنهم أناس يتطهرون﴾ مـن أدبـار الرجال.

٥٧﴿فأنجيناه وأهلـه إلاّ امرأتـه قدرنـاها﴾ جعلناها بتقديـرنا ﴿مـن الغابـرين﴾ البـاقين في العذاب. ٥٨﴿وأمطرنا عليهم مطراً﴾ هو حجارة السجيل، أهلكتهم ﴿فساء﴾ بئس ﴿مطر المنذرين﴾ بالعذاب، مطرهم.

سُورَةُ النَّمْلِ ٢٧

تُبۡصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿٥٥﴾ * فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَٰهَا مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ

حزب ٣٩ جزء ٢٠

٥٩﴿قل﴾ يا محمد ﴿الحمد لله﴾ على هلاك كفار الأمم الخالية ﴿وسلام عـلى عباده الـذيـن اصطفـا﴾ هـم، ﴿آلله﴾ بتحقيـق الهمزتين[1]، [اقرأ التعليق]، وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلهـا، وإدخـال ألـف بيـن المسهلة والأخرى، وتركه ﴿خير﴾ لمن يعبده ﴿أما تشركون﴾ بالتاء والياء، أي: يا أهل مكة به؟. ٦٠ ءالآلهـة خير لعـابـديهـا؟ ﴿أمن خلق السماوات والأرض وأنـزل لـكـم مـن السمـاء مـاء فـأنبتنـا﴾ فيه التفات من الغيبة إلى التكلم ﴿بـه حـدائـق﴾ جمـع «حـديـقـة»، وهـو: البـسـتـان المحـوط ﴿ذات بـهـجـة﴾ حُـسْـن ﴿مـا كـان لكـم أن تنبتـوا شجـرهـا﴾ لعـدم قـدرتكـم عليـه ﴿أإلـه﴾ بتحقيـق الهـمـزتيـن، وتسهيل الثانوية، وإدخال ألف بينهما على الـوجهيـن، [وتـركـه فـالقـراءات أربـع]، في مواضعه السبعة [الآتية، أي: حيث اجتماع الهمزتين] ﴿مع الله﴾ أعانه على ذلك؟ أي: ليس معه إلّه ﴿بل هم قوم يعدلون﴾ يشركون بالله غيره.

٦١﴿أمن جعل الأرض قراراً﴾ [مستقرة]، لا تميد [ولا تضطرب] بأهلها ﴿وجعل خلالها﴾ فيما بينها ﴿أنهاراً وجعل لها رواسي﴾ جبالاً أثبت بها الأرض ﴿وجعل بين البحرين حاجزاً﴾ بين العذب والملح، لا يختلط أحدهما بالآخر ﴿ءإلّه مع الله بل أكثرهم

---

(١) قوله: «بتحقيق الهمزتين ــ إلى قوله: وتركه»، يفيد وجود أربع قراءات، وهو سبق قلم من الجلال المحلي رحمه الله، والصواب أن في: «آلله» وجهين فقط هما: تسهيل الثانية مع القصر، وإبدالها ألفاً ممدودة مداً لازماً، وهذان الوجهان جاريان أيضاً في خمسة مواضع أخرى، منها اثنان في «الأنعام» هما: «قل آلذكرين» ص ١٨٧. وثلاثة في «يونس» هي: «آلآن وقد كنتم» ص ٢٧٤، و «آلله أذن لكم» ص ٢٧٥، و «آلآن وقد عصيت» ص ٢٨٠. وكذا الحكم في: «ما جئتم به آلسحر» في يونس ص ٢٧٩ في قراءة من قرأها على الاستفهام. وقد أجمع القراء العشرة على عدم التحقيق والقصر في هذه المواضع.

﴿لا يعلمون﴾ توحيده. ٦٢ ﴿أمن يجيب المضطر﴾ المكروب الذي مسه الضر ﴿إذا دعاه ويكشف السوء﴾ عنه، وعن غيره ﴿ويجعلكم خلفاء الأرض؟﴾ الإضافة بمعنى: «في»، أي: يخلف كل قرن الذي قبله [في الأرض] ﴿ءإلَه مع الله؟ قليلاً ما تَذَّكرون﴾ تتعظون، بالفوقانية والتحتانية، وفيه إدغام التاء في الذال، [على هاتين القراءتين، وفي قراءة: بتخفيف الذال مع التاء]، و «ما» زائدة لتقليل القليل. .

٦٣ ﴿أمن يهديكم﴾ يرشدكم إلى مقاصدكم ﴿في ظلمات البر والبحر؟﴾ بالنجوم ليلاً، وبعلامات الأرض نهاراً ﴿ومن يرسل الرياح بشراً[1] بين يدي رحمته؟﴾ أي: قدام المطر ﴿ءإلَه مع الله؟ تعالى الله عما يشركون﴾ به غيره. ٦٤ ﴿أمن[2] يبدأ الخلق﴾ في الأرحام، من نطفة ﴿ثم يعيده﴾ بعد الموت؟ وإن لم تعترفوا بالإعادة، لقيام البراهين عليها، [أي: لا مبدىء ولا معيد غير الله تعالى] ﴿ومن يرزقكم من السماء﴾ بالمطر ﴿والأرض﴾ بالنبات ﴿ءإلَه مع الله﴾ أي: لا يفعل شيئاً مما ذُكر إلاَّ الله، ولا إلَه معه ﴿قل﴾ يا محمد ﴿هاتوا برهانكم﴾ حجتكم ﴿إن كنتم صادقين﴾ أن معي إلَهاً، فَعَلَ شيئاً مما ذكر.

٦٥ وسألوه عن وقت قيام الساعة فنزل: ﴿قل لا يعلم من في السماوات والأرض﴾ من الملائكة والناس ﴿الغيب﴾ أي: ما غاب عنهم ﴿إلاَّ﴾ لكن ﴿الله﴾ يعلمه، [أي: لا يعلم أحد الغيب إلاَّ الله] ﴿وما يشعرون﴾ أي: كفار مكة كغيرهم ﴿أيان﴾ وقت ﴿يبعثون﴾.

٦٦ ﴿بل﴾ بمعنى «هل» ﴿أَدْرَكَ﴾ [على] وزن «أَكْرَمَ»، وفي قراءة أخرى: «ادّارك»، بتشديد الدال، وأصله: «تدارك»، أبدلت التاء دالاً، وأدغمت في الدال، واجتُلبت همزة الوصل، أي: بَلَغَ ولحق، أو: تتابع وتلاحق ﴿علمهم في الآخرة﴾ أي: بها، حتى سألوا عن وقت مجيئها؟، ليس الأمر كذلك ﴿بل هم في شك منها بل هم منها عمون﴾ من: عَمِيَ القلبُ، وهو أبلغ مما قبله، والأصل «عميون»، استثقلت الضمة على الياء، فنقلت إلى الميم بعد حذف كسرتها، [وسقطت الياء].

لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ

٦٧ ﴿وقال الذين كفروا﴾ أيضاً، في إنكار البعث ﴿ءإذا كنا تراباً وآباؤنا أئنا لمخرجون﴾ من القبور. ؟. ٦٨ ﴿لقد وُعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل إن﴾ ما ﴿هذا إلاّ أساطير

---

(١) قوله تعالى: ﴿يرسل الرياح بشراً﴾، لم يشر الجلال المحلي رحمه الله هنا إلى القراءات، كما فعل في سورة «الفرقان» ص ٤٧٦، وقد بينا ما فيه من القراءات ص ٢٠١ سورة «الأعراف» فارجع إليها.

(٢) قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ﴾، في أول الآيات «٦٠ إلى ٦٤»، هو مؤلف من: «أم» المتصلة، وتأتي بعد الهمزة التي يُطْلَبُ بها «التصوُّر» أي: إدراك المفرد، و «مَنْ» اسم الموصول، الذي هو المعادِل، الذي يأتي غالباً بعد الاستفهام بالهمزة، وقد جاء الاستفهام بها كما قدره المحلي بقوله قبل الآية «٦٠»: ءَالآلهة خير لعابديها أمَّن؟ إلخ، والمسؤول عنه: «من هو خير؟» والجواب: مَنْ خلق كل ذلك خير، وهو الله تعالى، لا جواب غيره.

الأولين﴾ جمع أسطورة بالضم، أي: ما سطر من الكذب.
٦٩﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين﴾ بإنكاره، وهي: هلاكهم بالعذاب.
٧٠﴿ولا تحزن عليهم﴾ [على كفار مكة، يا محمد ﷺ] ﴿ولا تكن في ضيق﴾ [أي: حرج] ﴿مما يمكرون﴾ تسلية للنبي ﷺ، أي: لا تهتم بمكرهم عليك، فإنا ناصروك عليهم.
٧١﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ بالعذاب ﴿إن كنتم صادقين﴾ فيه؟

سُورَةُ النَّمْلِ ٢٧

ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾

٧٢﴿قل عسى أن يكون ردف﴾ قَرُبَ ﴿لكم بعض الذي تستعجلون﴾ فحصل لهم القتل ببدر، [وغيره من المواقع]، وباقي العذاب، يأتيهم بعد الموت.

٧٣﴿وإن ربك لذو فضل على الناس﴾ ومنه تأخير العذاب عن الكفار، [وإدرار الرزق عليهم] ﴿ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾ فالكفار، لا يشكرون [الله على] تأخير العذاب، لإنكارهم وقوعه.

٧٤﴿وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم﴾ تخفيه ﴿وما يعلنون﴾ بألسنتهم.

٧٥﴿وما من غائبة في السماء والأرض﴾ الهاء [في «غائبة»]، للمبالغة، أي: [ما من] شيء، في غاية الخفاء على الناس ﴿إلا في كتاب مبين﴾ بيِّن، هو: اللوح المحفوظ، ومكنون علمه تعالى، ومنه تعذيب الكفار.

٧٦﴿إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل﴾ الموجودين في زمان نبينا ﴿أكثر الذي هم فيه يختلفون﴾ أي: ببيان ما ذكر، على وجهه الرافع للاختلاف بينهم، لو أخذوا به وأسلموا.
٧٧﴿وإنه لهدى﴾ من الضلالة ﴿ورحمة للمؤمنين﴾ من العذاب.

٧٨﴿إن ربك يقضي بينهم﴾ كغيرهم، يوم القيامة ﴿بحكمه﴾ أي: عدله ﴿وهو العزيز﴾ الغالب ﴿العليم﴾ بما يحكم به، فلا يمكن أحداً مخالفته، كما خالف الكفار في الدنيا أنبياءه.

٧٩﴿فتوكل على الله﴾ ثق به ﴿إنك على الحق المبين﴾ الدين البيِّن، فالعاقبة لك، بالنصر على الكفار، ثم ضرب أمثالاً لهم بالموتى، [حيث لا حس ولا عقل]، وبالصم وبالعمي فقال:

٨٠﴿إنك لا تسمع الموتى[1] ولا تسمع الصم الدعاء إذا﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية بينها وبين الياء ﴿ولوا مدبرين﴾ [معرضين عن الإيمان]. ٨١﴿وما أنت بهاد العمي عن ضلالتهم﴾ [كفرهم، أي: ليس في وسعك خلق الإيمان في قلوبهم] ﴿إن﴾ ما ﴿تسمع﴾ سماع إفهام وقبول ﴿إلاّ من يؤمن بآياتنا﴾ القرآن ﴿فهم مسلمون﴾ مخلصون، بتوحيد الله. ٨٢﴿وإذا وقع القول عليهم﴾[2] حق العذاب أن ينزل بهم، في جملة الكفار ﴿أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم﴾ أي: تكلم الموجودين حين خروجها بالعربية، تقول لهم من جملة كلامها عنا: ﴿إن الناس﴾ [بكسر الهمزة]، أي: كفار مكة [وغيرهم]، وعلى قراءة فتح همزة. «إنَّ»، تُقَدَّرُ الباءُ بعد: «تُكَلِّمهم»، [أي: بأن الناس] ﴿كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾ أي: لا يؤمنون بالقرآن، المشتمل على البعث والحساب والعقاب، وبخروجها ينقطع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يؤمن كافر، كما أوحى الله إلى نوح: «أنه لن يؤمن من قومك إلاّ من قد آمن». ٨٣﴿ و ﴾ اذكر ﴿يوم نحشر من كل أمة فوجاً﴾ جماعة ﴿ممن يكذب بآياتنا﴾ وهم رؤساؤهم المتَّبعون ﴿فهم يوزعون﴾ أي: يُجْمَعُون، بِرَدِّ آخرهم إلى أولهم، ثم يساقون. ٨٤﴿حتى إذا جاؤوا﴾ مكان الحساب ﴿قال﴾ تعالى لهم: ﴿أكذبتم﴾ أنبيائي ﴿بآياتي ولم تحيطوا﴾ من جهة تكذيبهم ﴿بها علماً؟ أما﴾ فيه «ما» الاستفهامية ﴿ذا﴾ موصول، أي: ما الذي ﴿كنتم تعملون﴾ مما أمرتم به؟. ٨٥﴿ووقع القول﴾ حق العذاب ﴿عليهم بما ظلموا﴾ أشركوا ﴿فهم لا ينطقون﴾ إذ لا حجة لهم. ٨٦﴿ألم يروا أنا جعلنا﴾ خلقنا ﴿الليل ليسكنوا فيه﴾ كغيرهم ﴿والنهار مبصراً﴾ بمعنى: يُبْصَرُ فيه، ليتصرفوا فيه ﴿إن في ذلك لآيات﴾ دلالات على قدرته تعالى ﴿لقوم يؤمنون﴾ خصوا بالذكر، لانتفاعهم بها في الإيمان، بخلاف الكافرين. ٨٧﴿ويوم ينفخ في الصور﴾ القرن، النفخةُ الأولى، من إسرافيل ﴿ففزع من في السماوات ومن في الأرض﴾ أي: خافوا الخوف المفضي إلى الموت، كما في آية أخرى: «فَصَعِقَ [من في السماوات»، الآية «٦٨» من سورة «الزمر»]، والتعبير فيه بالماضي، لتحقق وقوعه.

إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ

---

(١) قوله تعالى: ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾، ارجع إلى تعليقنا حول «سماع الموتى» ص ٥٣٧، وإلى ص ١٩٨، وص ٣٣٤.

(٢) قوله تعالى: ﴿وإذا وقع القول عليهم﴾ الآية، أخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها، لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض»، وهذه الأمور الثلاثة هي من علامات الساعة وأشراطها الثابتة، واختلفوا في تعيين هذه الدابة، ووصفها، ونوعها، ومن أين تخرج؟ اختلافاً كثيراً، والصحيح أنه لا دليل يعتمد عليه بخصوص الدابة هذه، غير ما جاء مجملاً في القرآن الكريم، وقيل: هي الجسَّاسة الوارد ذكرها في حديث الدجال في صحيح مسلم، والله أعلم.

﴿إلاّ من شاء الله﴾ أي: جبريل وميكائيل وإسرافيل ومَلَكُ الموت، وعن ابن عباس: هم الشهداء، إذ هم أحياء عند ربهم يرزقون ﴿وكلٌ﴾ تنوينه عوض عن المضاف إليه، أي: وكلهم بعد إحيائهم يوم القيامة ﴿أتوه﴾ بصيغة الفعل [الماضي، أي: بفتح الهمزة مقصورة وتاء مفتوحة]، و [بصيغة] اسم الفاعل، [أي: بمد الهمزة وضم التاء] ﴿داخرين﴾ صاغرين، والتعبير في الإتيان بالماضي، لتحقق وقوعه. ٨٨﴿وترى الجبال﴾ تبصرها وقت النفخة ﴿تحسبها﴾ تظنها ﴿جامدة﴾ واقفة مكانها لعظمها ﴿وهي تمر مر السحاب﴾ المَطرِ[1]، إذا ضربته الريح، أي: تسير [الجبال] سيره، حتى تقع على الأرض، فتستوي بها مبسوسة، [أي: مفتتة كالرمل]، ثم تصير كالعهن، [أي: الصوف المنفوش]، ثم تصير هباء منثوراً

سُورَةُ النَّمْلِ ٢٧

إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

﴿صنع الله﴾ مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله، أضيف إلى فاعله، بعد حذف عامله، أي: صَنَعَ اللَّهُ ذلك صنعاً ﴿الذي أتقن﴾ أحكم ﴿كل شيء﴾ صنعه ﴿إنه خبير بما يفعلون﴾ بالياء والتاء، أي: أعداؤه من المعصية، وأولياؤه من الطاعة. ٨٩﴿من جاء بالحسنة﴾ أي: «لا إله إلاَّ الله»، [أو: كل حسنة معها]، يوم القيامة ﴿فله خير﴾ ثوابٌ ﴿منها﴾ أي: بسببها و [قوله: «خير»] ليس للتفضيل، إذ لا فعلَ خَيرٌ منها، وفي آيةٍ أخرى: «عشر أمثالها» ﴿وهم﴾ أي: الجاؤون بها ﴿من فزع يومئذ﴾ بالإضافة، وكسر الميم، وفتحها [فتحة بناء]، و «فزعٍ» منوناً، وفتح الميم ﴿آمنون﴾. ٩٠﴿ومن جاء بالسيئة﴾ أي: الشرك ﴿فكبت وجوههم في النار﴾ بأن وُلِّيَتْها، وذُكرت الوجوه، لأنها موضع الشرف من الحواس، فغيرها من باب أولى، ويقال لهم تبكيتاً: ﴿هل﴾ أي: ما ﴿تجزون إلاَّ﴾ جزاء ﴿ما كنتم تعملون﴾ من الشرك والمعاصي؟.

٩١قل لهم: ﴿إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة﴾ أي: مكة ﴿الذي حرمها﴾ أي: جعلها حرماً آمناً، لا يسفك فيها دم الإنسان، ولا يظلم فيها أحد، ولا يصاد صيدها، ولا يُختَلَى خلاها، [أي: لا يقطع حشيشها الرطب]، وذلك من النعم على قريش أهلها، في رفع الله عن بلدهم العذاب، والفتن الشائعة في جميع بلاد العرب ﴿وله﴾ تعالى ﴿كل شيء﴾ فهو ربه وخالقه ومالكه ﴿وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ لله، بتوحيده. ٩٢﴿وأن أتلو القرآن﴾ عليكم، تلاوة الدعوة إلى الإيمان ﴿فمن اهتدى﴾ له ﴿فإنما يهتدي لنفسه﴾ أي: لأجلها، فإن ثواب اهتدائه له ﴿ومن ضل﴾ عن الإيمان، وأخطأ طريق الهدى ﴿فقل﴾ له ﴿إنما أنا من المنذرين﴾ المخوفين، فليس علي إلاّ التبليغ، وهذا قبل الأمر بالقتال. ٩٣﴿وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها﴾ فأراهم الله يوم بدر: القتلَ، والسبْيَ، وضربَ الملائكةُ وجوهَهم وأدبارهم، وعجلهم الله إلى النار ﴿وما ربك بغافل عما يعملون﴾ بالياء والتاء، وإنما يمهلهم لوقتهم.

(١) قوله: «المطر»، هو بفتح الميم وكسر الطاء المهملة، أي: ذي المطر.

﴿ سُورَةُ القَصَص ﴾

(مكية، إلاَّ: «إنَّ الذي فرض عليك القرآن» الآية، نزلت بالجُحْفَة [ــ قرب رابغ ــ أثناء الهجرة] وإلاَّ: «الذين آتيناهم الكتاب»، إلى: «لا نبتغي الجاهلين»، وهي: سبع، أو: ثمان وثمانون آية)

الجزء العشرون

(٢٨) سُورَةُ القَصَصِ مَكِّيَّة وَآيَاتُهَا ثَمَانٍ وَثَمَانُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿طسم﴾[1] الله أعلم بمراده بذلك.

٢ ﴿تلك﴾ أي: هذه الآيات ﴿آيات الكتاب﴾ الإضافة بمعنى «من» ﴿المبين﴾ المظهر الحق من الباطل.

٣ ﴿نتلو﴾ نقص ﴿عليك من نبإ﴾ خبر ﴿موسى وفرعون بالحق﴾ الصدق ﴿لقوم يؤمنون﴾ لأجلهم، لأنهم المنتفعون به.

٤ ﴿إن فرعون علا﴾ تعظم [واستكبر] ﴿في الأرض﴾ أرض مصر ﴿وجعل أهلها شيعاً﴾ فرقاً في خدمته ﴿يستضعف طائفة منهم﴾ هم بنو إسرائيل[2] ﴿يذبح أبناءهم﴾ المولودين ﴿ويستحيي نساءهم﴾ يستبقيهن أحياء، لقول بعض الكهنة له: إن مولوداً يولد في بني إسرائيل، يكون سَبَب زوال ملكك ﴿إنه كان من المفسدين﴾ بالقتل وغيره.

٥ ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ياء، يُقْتَدَى بهم في الخير ﴿ونجعلهم الوارثين﴾ ملك فرعون.

٦ ﴿ونمكن لهم في الأرض﴾ أرض مصر والشام ﴿ونري﴾ [بالنون المضمومة وكسر الراء، مع نصب الأسماء الثلاثة التالية]: ﴿فرعون وهامان وجنودهما﴾ وفي قراءة: «ويَرَى» بفتح التحتانية والراء، ورفع الأسماء الثلاثة ﴿منهم ما كانوا يحذرون﴾ يخافون من المولود، الذي يذهب ملكهم على يديه.

٧ ﴿وأوحينا﴾ وحي إلهام، أو: منام ﴿إلى أم موسى﴾ وهو المولود المذكور، ولم يشعر بولادته غير أخته ﴿أن

---

(١) قوله تعالى: ﴿طسم﴾، ارجع إلى تعليقنا حول هذه الحروف ص ٣.

(٢) قوله: «هم بنو إسرائيل»، ارجع إلى تعليقنا حولهم ص ١٠ وما يليها، وإلى كتابنا: «بنو إسرائيل واليهود، تاريخٌ ومصيرٌ»، لكي تدرك الفارق ما بين «بني إسرائيل» و «اليهود».

أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم﴾ البحر، أي: النيل ﴿ولا تخافي﴾ غرقه ﴿ولا تحزني﴾ لفراقه ﴿إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾ فأرضعته ثلاثة أشهر، لا يبكي، وخافت عليه، فوضعته في تابوت مطلي بالقار، [أي: الزفت]، من داخل، ممهد له فيه، وأغلقته، وألقته في بحر النيل ليلاً. ٨﴿فالتقطه﴾ بالتابوت، صبيحة الليل ﴿آل﴾ أعوان ﴿فرعون﴾ فوضعوه بين يديه وفُتح، وأخرج موسى منه، وهو يمص من إبهامه لبناً[١] ﴿ليكون لهم﴾ في عاقبة[٢] الأمر ﴿عدواً﴾ يقتل رجالهم ﴿وحزناً﴾ يستعبد نساءهم، وفي قراءة: بضم الحاء وسكون الزاي، لغتان في المصدر، وهو هنا بمعنى اسم الفاعل، مِنْ: «حَزَنَهُ» كأحزنه ﴿إن فرعون وهامان﴾ وزيره ﴿وجنودهما كانوا خاطئين﴾ من الخطيئة، أي: عاصين [مثله بكفرهم]، فعوقبوا على يديه [بالغرق معه]. ٩﴿وقالت امرأة فرعون﴾ وقد هَمَّ مع أعوانه بقتله: هو ﴿قرت عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً﴾ فأطاعوها ﴿وهم لا يشعرون﴾ بعاقبة أمرهم معه. ١٠﴿وأصبح فؤاد أم موسى﴾ لما علمت بالتقاطه ﴿فارغاً﴾ مما سواه، [أي: لا تفكر إلاَّ به] ﴿إن﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف، أي: إنها ﴿كادت لتبدي به﴾ أي: بأنه ابنها ﴿لولا أن ربطنا على قلبها﴾ بالصبر، أي: سكَّنَّاه ﴿لتكون من المؤمنين﴾ المصدقين بوعد الله، وجواب «لولا»، دل عليه ما قبله. ١١﴿وقالت لأخته﴾ مريم ﴿قصيه﴾ اتبعي أثره، حتى تعلمي خبره ﴿فبصرت به﴾ أبصرته ﴿عن جنب﴾ من مكان بعيد اختلاساً ﴿وهم لا يشعرون﴾ أنها أخته، وأنها ترقبه. ١٢﴿وحرمنا عليه المراضع من قبل﴾ أي: قبل ردِّه إلى أمه، أي: منعناه من قبول ثدي مرضعة غير أمه، فلم يقبل ثدي واحدة، من المراضع المحضرة له ﴿فقالت﴾ أخته ﴿هل أدلكم على أهل بيت﴾ لما رأت حنوهم عليه ﴿يكفلونه لكم﴾ بالإرضاع وغيره ﴿وهم له ناصحون؟﴾ وفَسَّرَتْ [أخته] ضمير: «له» بالمَلِك، جواباً لهم، فأجيبت، فجاءت بأمه، فقبل ثديها، وأجابتهم عن قبوله [ثديها] بأنها طيبة الريح، طيبة اللبن، فأذن لها في إرضاعه في بيتها، فرجعت به، كما قال تعالى: ١٣﴿فرددناه إلى أمه كي تقر عينها﴾ بلقائه ﴿ولا تحزن﴾ حينئذ ﴿ولتعلم أن

أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ * وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ

(١) قوله: «وهو يمص من إبهامه لبناً»، لو استغنى الجلال المحلي عن هذا القول لكان أحسن، لأنه لا دليل عليه.

(٢) قوله: «في عاقبة الأمر»، يشير بذلك إلى أن «اللام» في قوله تعالى: ﴿ليكون﴾ هي لام الصيرورة، وتسمى لام العاقبة ولام المآل، وليست لام التعليل، هذا مذهب الكوفيين، أما البصريون ومن تابعهم فأنكروا لام العاقبة، واعتبروها لام العلة، وأن التعليل فيها وارد على طريق المجاز.

وعد الله﴾ بردّه إليها ﴿حق ولكن أكثرهم﴾ أي: الناس ﴿لا يعلمون﴾ بهذا الوعد، ولا بأن هذه أخته، وهذه أمه، فمكث عندها إلى أن فطمته، وأجرى عليها أجرتها، لكل يوم دينار، و [قيل:] أخذتها لأنها مال حَرْبِيٍّ، فأتت به فرعون، فتربى عنده، كما قال تعالى حكاية عنه، في سورة «الشعراء»: «ألم نربّك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين»؟.

١٤ ﴿ولما بلغ أشده﴾ وهو ثلاثون سنة، أو: وثلاث ﴿واستوى﴾ أي: بلغ أربعين سنة ﴿آتيناه حكماً﴾ حكمة، [وقيل: النبوة] ﴿وعلماً﴾ فقهاً في الدين، قبل أن يبعث نبياً ﴿وكذلك﴾ كما جزيناه ﴿نجزي المحسنين﴾ لأنفسهم. ١٥ [ثم بيّن تعالى أسباب خروجه من مصر، وكيف أوتي النبوة فقال:] ﴿ودخل﴾ موسى ﴿المدينة﴾ مدينة فرعون، وهي: «مَنْفُ»، [بفتح فسكون]، بعد أن غاب عنها مدة ﴿على حين غفلة من أهلها﴾ وقت القيلولة ﴿فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته﴾ أي: إسرائيلي ﴿وهذا من عدوه﴾ أي: قبطي، يسخّر الإسرائيلي، ليحمل حطباً إلى مطبخ فرعون ﴿فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه﴾ فقال له موسى: خلِّ سبيله، فقيل: إنه قال لموسى: لقد هممت أن أحمله عليك ﴿فوكزه موسى﴾ ضربه بجمع كفه، وكان شديد القوة والبطش ﴿فقضى عليه﴾ أي: قتله، ولم يكن قَصَدَ قتله[1]، ودفنه في الرمل ﴿قال هذا﴾ أي: قتله ﴿من عمل الشيطان﴾ المهيج غضبي ﴿إنه عدو﴾ لابن آدم ﴿مضل﴾ له ﴿مبين﴾ بيّن الإضلال. ١٦ ﴿قال﴾ نادماً ﴿رب إني ظلمت نفسي﴾ بقتله ﴿فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم﴾ أي: المتصف بهما أزلاً وأبداً.

١٧ ﴿قال بما أنعمت﴾ بحق إنعامك ﴿عليّ﴾ بالمغفرة، اعصمني ﴿فلن أكون ظهيراً﴾ عوناً ﴿للمجرمين﴾ الكافرين بعد هذه، إن عصمتني، [وكان الإسرائيلي الذي من شيعة موسى كافراً، ولكنه كان مظلوماً].

١٨ ﴿فأصبح في المدينة خائفاً يترقب﴾ ينتظر ما يناله من جهة القتيل ﴿فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه﴾ يستغيث به على قتل قبطي آخر ﴿قال له موسى إنك لغوي مبين﴾ بيِّنُ الغواية، لما فعلتَهُ أمس واليوم.

وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ

١٩ ﴿فلما أن﴾ زائدة ﴿أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما﴾ لموسى والمستغيث به، [لأن القبط كانوا أعداء بني إسرائيل]﴿قال﴾ المستغيث [لموسى]، ظاناً أنه [يريد أن] يبطش به، لِمَا قال له: ﴿يا موسى

(١) قوله: «لم يكن قصد قتله»، أي: بل قتله خطأ، ولا إثم فيه، روى مسلم في صحيحه، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: يا أهل العراق، ما أسألَكُم عن الصغيرة وأرْكَبَكُم للكبيرة، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الفتنة تجيء من هاهنا ــ وأومأ بيده نحو المشرق ــ من حيث يطلع قرنا الشيطان، وأنتم بعضكم يضرب رقاب بعض، وإنما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ، فقال الله عز وجل: ﴿وقتلت نفساً فنجيناك من الغمّ وفتناك فتوناً﴾»، وإنما استغفر موسى ربه، من عجلته وعدم رويته.

أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس إن﴾ ما ﴿تريد إلاّ أن تكون جباراً في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين﴾ فسمع القبطي ذلك، فعلم أن القاتل موسى، فانطلق إلى فرعون، فأخبره بذلك، فأمر فرعون الذباحين بقتل موسى، فأخذوا في الطريق إليه. ٢٠ ﴿وجاء رجل﴾ هو مؤمن آل فرعون ﴿من أقصا المدينة﴾ آخرها ﴿يسعى﴾ يسرع في مشيه، من طريق أقرب من طريقهم ﴿قال يا موسى إن الملأ﴾ من قوم فرعون ﴿يأتمرون بك﴾ يتشاورون فيك ﴿ليقتلوك فاخرج﴾ من المدينة ﴿إني لك من الناصحين﴾ في الأمر بالخروج. ٢١ ﴿فخرج منها خائفاً يترقب﴾ لحوق طالب، أو: غوثَ الله إياه ﴿قال رب نجني من القوم الظالمين﴾ قوم فرعون. ٢٢ ﴿ولما توجه﴾ قصد بوجهه ﴿تلقاء مدين﴾ جهتها، وهي: قرية شعيب، مسيرة ثمانية أيام من مصر، سميت بمدين بن إبراهيم، ولم يكن [موسى] يعرف طريقَها ﴿قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل﴾ أي: قصد الطريق، أي: الطريق الوسط إليها، فأرسل الله ملكاً بيده «عَنَزَة»[1]، فانطلق به إليها.

أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِٱلْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى

٢٣ ﴿ولما ورد ماء مدين﴾ [هي:] بئر فيها، أي: وصل إليها ﴿وجد عليه أمة﴾ جماعة ﴿من الناس يسقون﴾ مواشيهم ﴿ووجد من دونهم﴾ أي: سواهم ﴿امرأتين تذودان﴾ تمنعان أغنامهما عن الماء ﴿قال﴾ موسى لهما ﴿ما خطبكما؟﴾ أي: ما شأنكما لا تسقيان؟ ﴿قالتا لا نسقي حتى يَصْدُر الرعاء﴾ [بفتح الياء من «صدر»، و «الرِّعاء»] جمع «راع»، أي: يرجعون من سقيهم، خوف الزحام، فنسقي، وفي قراءة: «يُصدر» [بضم الياء]، من الرباعي، أي: يصرفون مواشيهم عن الماء ﴿وأبونا شيخ كبير﴾ لا يقدر أن يسقي.

٢٤ ﴿فسقى لهما﴾ من بئر أخرى بقربهما، رفع حجراً عنها، لا يرفعه إلاّ عشرة أنفس ﴿ثم تولى﴾ انصرف ﴿إلى الظل﴾ لـ «سَمُرَة»، [وهي: شجرة مرتفعة، صغيرة الورق، قصيرة الشوك، ليستظل بها] من شدة حر الشمس، وهو جائع ﴿فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير﴾ طعام ﴿فقير﴾ محتاج، فرجعتا إلى أبيهما، في زمن أقل مما كانتا ترجعان فيه، فسألهما عن ذلك، فأخبرتاه بمن سقى لهما، فقال لإحداهما: ادعيه لي. ٢٥ قال تعالى: ﴿فجاءته إحداهما تمشي على

(١) قوله: «بيده عنزة» بفتحتين، هي أطول من العصا وأقصر من الرمح، فيها زُجٌّ ـ أي: حديدة ـ كَزُجِّ الرمح، أما إرسال المَلَك إلى موسى عليه السلام ليدله على الطريق، فقد رواه ابن جرير، عن السُّدي الصغير: محمد بن مروان، الذي قال عنه ابن الأثير في «اللباب»: وكان ضعيفاً منكر الحديث، فلا ينبغي الإغراب في نقل الأخبار من غير دليل يعتمد عليه.

استحياء﴾ أي: واضعة كمَّ درعها على وجهها، حياءً منه ﴿قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا﴾ فأجابها، منكراً في نفسه أخذ الأجرة، كأنها قصدت المكافأة، إن كان ممن يريدها، فمشت بين يديه، فجعلت الريح تضرب ثوبها فتكشف ساقيها، فقال لها: «امشي خلفي، ودليني على الطريق»، [روى ذلك الحاكم وغيره، عن عمر بن الخطاب، ورواه بعضهم عن ابن عباس]، ففعلت، إلى أن جاء أباها، وهو شعيب عليه السلام، [كما قيل، والصحيح أنه غيره]، وعنده عَشَاءٌ، فقال له: اجلس فتعشَّ، قال: أخاف أن يكون عوضاً مما سقيتُ لهما، وإنَّا أهل بيت، لا نطلب على عملٍ خيرٍ عوضاً، قال: لا، عادتي وعادة آبائي، نُقري الضيف، ونُطعم الطعام، فأكل، وأخبره بحاله، قال تعالى: ﴿فلما جاءه وقص عليه القصص﴾ مصدر بمعنى «المقصوص»، من قتله القبطي، وقصدِهم قتله، وخوفِه من فرعون ﴿قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين﴾ إذ لا سلطان لفرعون على «مدين».

اسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ

٢٦ ﴿قالت إحداهما﴾ وهي المرسَلةُ، الكبرى أو الصغرى ﴿يا أبت استأجره﴾ اتخذه أجيراً يرعى غنمنا، أي: بدلنا ﴿إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾ أي: استأجره لقوته وأمانته، فسألها عنهما، فأخبرته بما تقدم، من رفعه حجر البئر، ومن قوله لها: امشي خلفي، وزيادة: أنها لما جاءته وعلم بها، صَوَّبَ رأسه فلم يرفعه، فرغب في إنكاحه.

٢٧ ﴿قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين﴾ وهي الكبرى، أو الصغرى ﴿على أن تأجرني﴾ تكون أجيراً لي، في رعي غنمي ﴿ثماني حجج﴾ أي: سنين ﴿فإن أتممت عشراً﴾ أي: رعي عشر سنين ﴿فمن عندك﴾ التمام ﴿وما أريد أن أشق عليك﴾ باشتراط العشر ﴿ستجدني إن شاء الله﴾ [قالها] للتبرك ﴿من الصالحين﴾ الوافين بالعهد.

٢٨ ﴿قال﴾ موسى ﴿ذلك﴾ الذي قلته ﴿بيني وبينك أيما الأجلين﴾ الثمان أو العشر، و «ما» زائدة، أي: رَعْيَهُ ﴿قضيت﴾ به، أي: فرغت منه ﴿فلا عدوان علي﴾ بطلب الزيادة عليه ﴿والله على ما نقول﴾ أنا وأنت ﴿وكيل﴾ حفيظ، أو شهيد، فتم العقد، [أي: عقد النكاح والإجارة] بذلك، وأمر شعيب ابنته، أن تعطي موسى عصا، يدفع بها السباع عن غنمه، [قيل:] وكان عصا الأنبياء[1] عنده، فوقع في يدها عصا آدم من آس الجنة، فأخذها موسى بعلم شعيب.

٢٩ ﴿فلما قضى موسى الأجل﴾ أي: رعيه، وهو ثمان، أو: عشر سنين، وهو المظنون به ﴿وسار بأهله﴾ زوجته، بإذن أبيها، نحو مصر ﴿آنس﴾ أبصر من بعيد ﴿من جانب الطور﴾ اسم جبل ﴿ناراً قال لأهله امكثوا﴾ هنا ﴿إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بخبر﴾ عن الطريق، وكان قد أخطأها ﴿أو جذوة﴾ [أي: بكسرها وفتحها وضمها، أي:] قطعة وشعلة ﴿من النار لعلكم

(١) هذه المبالغات لا دليل عليها، فلم تكن للأنبياء عِصيٌّ يتوارثونها، بل إن موسى عليه السلام اتخذ لنفسه عصاً، من شجر الأرض، لا من شجر الجنة، ليهُشَّ بها على غنمه، كما هي عادة من يرعى الغنم، ويمشي في البادية.

تصطلون﴾ تستدفئون، والطاء بدل من تاء الافتعال، [أصله «تصتلون»، وقعت التاء بعد الصاد، وهي من حروف الإطباق، فقُلبت طاء]، من «صلي» بالنار، بكسر اللام وفتحها. ٣٠﴿فلما أتاها نودي من شاطىء﴾ جانب ﴿الواد الأيمن﴾ لموسى ﴿في البقعة المباركة﴾ بسماعه كلام الله فيها ﴿من الشجرة﴾ بدل من «شاطىء» بإعادة الجار، لنباتها فيه، وهي: شجرة «عنّاب»[1]، أو «عليق»، أو «عَوسج» ﴿أن﴾ مفسرة، لا مخفَّفة ﴿يا موسى إني أنا الله رب العالمين﴾. ٣١﴿وأن ألق عصاك﴾ فألقاها ﴿فلما رآها تهتز﴾ تتحرك ﴿كأنها جانٌّ﴾ وهي: «الحية الصغيرة»، من سرعة حركتها ﴿ولَّى مدبراً﴾ هارباً منها ﴿ولم يعقب﴾ أي: يرجع، فنودي ﴿يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين﴾ [مما تخاف]. ٣٢﴿اسلك﴾ أدخل ﴿يدك﴾ اليمنى، بمعنى: الكف ﴿في جيبك﴾ وهو: طوق القميص، وأَخرِجها ﴿تخرج﴾ خلاف ما كانت عليه من الأُدمة [والسمرة] ﴿بيضاء من غير سوء﴾ أي: برص، فأَدْخَلَهَا، وأَخرجها تضيء كشعاع الشمس، تُعْشِي[2] البصر ﴿واضمم إليك جناحك من الرَّهَب﴾ بفتح الحرفين، [أي: الراء والهاء]، وسكون الثاني، مع فتح الأول وضمه، [فهي ثلاث قراءات سبعية]، أي: الخوف الحاصل من إضاءة اليد، بأن تدخلها في جيبك، فتعود إلى حالتها الأولى، وعبر عنها بالجناح، لأنها للإنسان كالجناح للطائر ﴿فذانك﴾ بالتشديد والتخفيف، أي: العصا واليد، وهما مؤنثان، وإنما ذكِّر المشار به إليهما «المبتدأ»، لتذكير خبره ﴿برهانان﴾ [دليلان قاطعان]، مرسلان ﴿من ربك إلى فرعون وملائه إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾ [أي: كافرين]. ٣٣﴿قال رب إني قتلت منهم نفساً﴾ هو القبطي السابق ﴿فأخاف أن يقتلون﴾ به. ٣٤﴿وأخي هارون هو أفصح مني لساناً﴾ أبْيَنُ ﴿فأرسله معي ردءاً﴾ معيناً، وفي قراءة: بفتح الدال [مع كسر الراء]، بلا همزة [مع التنوين، وهي سبعية أيضاً] ﴿يصدِّقني﴾ بالجزم، جواب الدعاء، [أي: جواب «فأرسله»]، وفي قراءة: بالرفع، وجملته صفة «ردءاً» ﴿إني أخاف أن يكذبون﴾.

سُورَةُ القَصَصِ ٢٨

تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا

٣٥﴿قال سنشد عضدك﴾ نقويك ﴿بأخيك ونجعل لكما سلطاناً﴾ غلبة [عليهم، بالحجة والبرهان، وغير ذلك] ﴿فلا يصلون إليكما﴾ بسوء، اذهبا ﴿بآياتنا﴾ [أي: بالعصا واليد، وجمعهما لأن كل واحدة منهما، اشتملت على آيات متعددة] ﴿أنتما ومن اتبعكما

---

(١) قوله: «وهي شجرة عنّاب.» إلخ، لا داعي إلى التعيين من غير دليل، فهي «شجرة» وكفى.

(٢) قوله: «تُعْشِي» بالعين المهملة هو الصواب كما في المخطوطة الثانية أي: تجعل بصر ناظرها ضعيفاً لشدة ضوئها، وفي المخطوطتين الأولى والثالثة وبعض النسخ المطبوعة «تغشي» بالمعجمة وهو تصحيف.

﴿الغالبون﴾ لهم. ٣٦﴿فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات﴾ واضحات، حال ﴿قالوا ما هذا إلَّا سحر مفترىً﴾[1] مختلق، [أي: سحر لم يعهدوه من قبل] ﴿وما سمعنا بهذا﴾ كائناً، [أي: حاصلاً] ﴿في﴾ أيام ﴿آبائنا الأولين﴾.

٣٧﴿وقال﴾ بواو وبدونها، [قراءتان سبعيتان] ﴿موسى ربي أعلم﴾ أي: عالم ﴿بمن جاء بالهدى من عنده﴾ الضمير للرب ﴿ومن﴾ عطف على «مَنْ» قبلها ﴿تكون﴾ بالفوقانية والتحتانية ﴿له عاقبة الدار﴾ أي: العاقبة المحمودة، في الدار الآخرة، أي: وهو «أنا» في الشقين، فأنا محق فيما جئت به، [ولي العاقبة المحمودة] ﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾ الكافرون.

الجزء العشرون

ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً

٣٨﴿وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين﴾ فاطبخ لي الآجُرَّ ﴿فاجعل لي صرحاً﴾ قصراً عالياً ﴿لعلي أطلع إلى إله موسى﴾ أنظر إليه وأقف عليه، [أي: أعرف حقيقته] ﴿وإني لأظنه من الكاذبين﴾ في ادعائه إلٰهاً آخر [غيري]، وأنه رسول [من عنده].

٣٩﴿واستكبر هو وجنوده في الأرض﴾ أرض مصر ﴿بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون﴾ بالبناء للفاعل وللمفعول، [أي: توهموا أنه لا معاد ولا بعث].

٤٠﴿فأخذناه وجنوده فنبذناهم﴾ طرحناهم ﴿في اليم﴾ البحر المالح[2]، فغرقوا ﴿فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾ حين صاروا إلى الهلاك.

٤١﴿وجعلناهم﴾ في الدنيا ﴿أئمة﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ياء، [أي:] رؤساء في الشرك ﴿يدعون إلى النار﴾ بدعائهم [الناس] إلى الشرك[3]، [المؤدي بهم إلى النار] ﴿ويوم القيامة لا ينصرون﴾ بدفع العذاب عنهم.

٤٢﴿وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة﴾ خزياً.

---

(١) قوله تعالى: ﴿سحر مفترىً﴾، ارجع إلى تعليقنا حول «السحر» ص ٢١٠.

(٢) قوله: «البحر المالح». قال في مختار الصحاح: «ماء ملح»، ولا يقال: «مالح» إلَّا في لغة رديئة. اهـ. ونقول: يؤيد هذا قوله تعالى في نوعي الماء: ﴿هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج﴾ ولم يقل: «مالح»، وقد أغرقهم الله تعالى في «البحر الأحمر» على المشهور، ليس في «النيل».

(٣) قوله: «بدعائهم إلى الشرك»، هذا وجه. والوجه الآخر في تفسيرها: أصبحوا أئمة في الكفر، يتبعهم الضالون من الناس، ويقتدون بهم، فيكون عليهم وزرهم ووزر من اتبعهم إلى يوم القيامة.

﴿ويوم القيامة هم من المقبوحين﴾ المبعدين، [وقال ابن عباس: المشوهين الخلقة، بسواد الوجوه، وزرقة العيون].
٤٣ ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ التوراة ﴿من بعد ما أهلكنا القرون الأولى﴾ قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ﴿بصائر للناس﴾ حال من «الكتاب»، جمع «بصيرة»، وهي: نور القلب، أي: أنواراً للقلوب ﴿وهدى﴾ من الضلالة، لمن عمل به ﴿ورحمة﴾ لمن آمن به ﴿لعلهم يتذكرون﴾ يتعظون بما فيه من المواعظ.
٤٤ ﴿وما كنت﴾ يا محمد ﴿بجانب﴾ الجبل، أو الوادي، أو المكان، ﴿الغربي﴾ من موسى، حين المناجاة ﴿إذ قضينا﴾ أوحينا ﴿إلى موسى الأمر﴾ بالرسالة، إلى فرعون وقومه ﴿وما كنت من الشاهدين﴾ لذلك، فتعلمه فتخبر به، [ولو لم نخبرك نحن بالوحي إليك، لما علمت ذلك، فلماذا لا يصدقك الكافرون؟].
٤٥ ﴿ولكنا أنشأنا قروناً﴾ أمماً من بعد موسى ﴿فتطاول عليهم العمر﴾ طالت أعمارهم، فنسوا العهود، واندرست العلوم، وانقطع الوحي، فجئنا بك رسولاً، وأوحينا إليك خبر موسى وغيره ﴿وما كنت ثاوياً﴾ مقيماً ﴿في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا﴾ خبر ثاني، فتعرف قصتهم فتخبر بها ﴿ولكنا كنا مرسلين﴾ لك وإليك، بأخبار المتقدمين، [أي: أرسلناك رسولاً، وأرسلنا إليك بأخبارهم].
٤٦ ﴿وما كنت بجانب الطور﴾ الجبل ﴿إذ﴾ حين ﴿نادينا﴾ موسى: أن خذ الكتاب بقوة ﴿ولكن﴾ أرسلناك ﴿رحمة من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم﴾ [أي: لم يأتهم] ﴿من نذير من قبلك﴾ وهم أهل مكة، [لوجودهم في زمن الفترة، بينك وبين عيسى] ﴿لعلهم يتذكرون﴾ يتعظون، [فيؤمنون]. ٤٧ ﴿ولولا أن تصيبهم مصيبة﴾ عقوبة ﴿بما قدمت أيديهم﴾ من الكفر وغيره ﴿فيقولوا ربنا لولا﴾ هلاّ ﴿أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك﴾ المرسل بها ﴿ونكون من المؤمنين؟﴾ وجواب «لولا» محذوف، وما بعدها مبتدأ، والمعنى[1]: لولا الإصابة المسبَّبُ عنها قولُهم، أو: لولا قولهم المسبَّبُ عنها، لعاجلناهم بالعقوبة، ولما أرسلناك إليهم رسولاً. ٤٨ ﴿فلما جاءهم الحق﴾ محمد ﴿من عندنا قالوا لولا﴾ هلاَّ ﴿أوتي مثل

وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ

(١) قوله: «والمعنى... إلخ»، بيانُه: وأرسلناك إليهم لتقيم عليهم الحجة، ولينقطع عذرهم إذا جاءهم العذاب، فلا يحتجوا بأنهم لم يأتهم رسول ولا نذير، أي: أرسلناك إلى الناس رسولاً، لئلا يقولوا عند العقوبة بسبب كفرهم: لماذا لم ترسل إلينا رسولاً؟ فإنك لو أرسلت إلينا رسولاً لاتبعناه وآمنا.

ما أوتي موسى﴾ من الآيات كاليد البيضاء، والعصا، وغيرهما، أو: الكتابَ جملةً واحدة؟ قال تعالى: ﴿أوَلم يكفروا بما أوتي موسى من قبل﴾ حيث ﴿قالوا﴾ فيه وفي محمد ﴿ساحران﴾ وفي قراءة: «سحران»، أي: القرآن والتوراة ﴿تظاهرا﴾ تعاونا [على السحر] ﴿وقالوا إنا بكل﴾ من النَّبِيَّيْنِ والكتابَيْنِ ﴿كافرون؟﴾. ٤٩ ﴿قل﴾ لهم ﴿فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما﴾ من الكتابين ﴿أتبعه إن كنتم صادقين﴾ في قولكم. ٥٠ ﴿فإن لم يستجيبوا لك﴾ دعاءك بالإتيان بكتاب ﴿فاعلم أنما يتبعون أهواءهم﴾ في كفرهم ﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله﴾ أي: لا أضل منه ﴿إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ الكافرين. ٥١ ﴿ولقد وصَّلنا﴾ بَيَّنَّا [وفَصَّلْنا] ﴿لهم القول﴾ القرآن ﴿لعلهم يتذكرون﴾ يتعظون، فيؤمنون. ٥٢ ﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله﴾ أي: القرآن ﴿هم به يؤمنون﴾ أيضاً، [أخرج ابن أبي حاتم، عن السُّدي: أنها] نزلت في جماعة[1] أسلموا من اليهود، كعبد الله بن سلام وغيره، و [أخرج أيضاً عن سعيد بن جبير، أنها نزلت في جماعة] من النصارى، قدموا من الحبشة [مسلمين]، و [قيل: قدموا] من الشام. ٥٣ ﴿وإذا يتلى عليهم﴾ القرآن ﴿قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين﴾ موحدين. ٥٤ ﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين﴾ بإيمانهم بالكتابين ﴿بما صبروا﴾ بصبرهم على العمل بهما ﴿ويدرؤون﴾ يدفعون ﴿بالحسنة السيئة﴾ منهم ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ يتصدقون. ٥٥ ﴿وإذا سمعوا اللغو﴾ الشتم والأذى من الكفار ﴿أعرضوا عنه

مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ

حزب ٤٠

(١) قوله: «نزلت في جماعة...» إلخ، غير مطابق لمعنى الآيات، بل يتناقض معها تناقضاً واضحاً، لأن هؤلاء جميعاً كانوا كافرين، فعبد الله بن سلام لم يكن قبل إسلامه مؤمناً بل كان كافراً، فكيف يؤتَى هو وأمثاله أجره مرتين؟ وكيف يقول هو وأمثاله: «إنا كنا من قبله مسلمين» وهو يهودي؟ وقيل: إن الآيات (٥٢ ـ إلى ـ ٥٥) تعني أناساً من أهل الكتاب، كانوا مسلمين على عقيدة موسى وعيسى عليهما السلام قبل بعثة محمد ﷺ، ثم أسلموا معه أيضاً، وهذا قول قتادة السدوسي والربيع بن أنس رحمهما الله تعالى، وهذا القول لا يخلو من إشكال أيضاً، لأن الله تعالى أمر نبيَّه محمداً ﷺ بأن يقول: ﴿وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾ ومعناه: أنه ﷺ كان عند بعثته أول مسلم من البشر على وجه الأرض، وجاء في صحيح البخاري وغيره: «أن آخر مَنْ كان على ملة إبراهيم حنيفاً مسلماً، زيدُ بن عمرو بن نُفَيْل»، وقد توفي قبل البعثة بخمس سنوات، فالقول الأسلم في معنى الآيات هو: أن ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ هم من أسلم مع النبي ﷺ من اليهود والنصارى، وقولهم: ﴿إنا كنا من قبله مسلمين﴾ يعنون آباءهم الذين أسلموا مع موسى أو عيسى عليهما السلام، فيؤتون أجرهم مرتين، مرة لإيمانهم بما جاءهم به محمد ﷺ، ومرة أخرى لإيمانهم بصدق ما أخبرهم به نبيهم، وبما كان عليه المسلمون من آبائهم من الحق، وهؤلاء هم الذين ينطبق عليهم ما جاء في حديث أبي موسى الأشعري من قوله ﷺ: «ثلاثة يؤتَوْن أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب، آمن بنبيه وأدرك النبي فآمن به واتبعه وصدقه فله أجران، وعبد مملوك أدّى حق الله وحق سيده فله أجران، ورجل كانت له أمة فغذَّاها فأحسن غذاءها، ثم أدبها فأحسن تأديبها، وعلَّمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها وتزوجها، فله أجران»، رواه الشيخان، وأحمد وغيرهم، أما الذين لم يؤمنوا فازدادوا كفراً على كفرهم.

وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم﴾ سلام متاركة [لا سلام تحية،] أي: سلمتم منا من الشتم وغيره ﴿لا نبتغي الجاهلين﴾ لا نصحبهم.

٥٦ ونزل في(١) حرصه ﷺ، على إيمان عمه أبي طالب: ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ هدايته ﴿ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم﴾ أي: عالم ﴿بالمهتدين﴾.

٥٧ ﴿وقالوا﴾ أي: قومه [ﷺ، معتذرين عن عدم اتباع الهدى] ﴿إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا﴾ أي: نُنتزَعْ منها بسرعة، [إذ سيحاربنا من حولنا من أحياء العرب، إن نحن اتبعناك، وليس قولهم: «الهدى»، إقراراً منهم، بالحق، بل قالوه مسايرة له ﷺ]، قال تعالى: ﴿أو لم نمكن لهم حرماً آمناً﴾ يأمنون فيه من الإغارة والقتل، الواقعين من بعض العرب على بعض ﴿تجبى﴾ بالفوقانية والتحتانية ﴿إليه ثمرات كل شيء﴾ من كل أوب ﴿رزقاً﴾ لهم ﴿من لدنا﴾ عندنا؟ ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ أن ما تقوله حق.

٥٨ ﴿وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها؟﴾ أي: عيشها، وأريد بالقرية أهلُها، [أي: لقد أهلكنا كثيراً من تلك القرى، وهذا تهديد لأهل مكة] ﴿فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلاَّ قليلاً﴾ للمارة، يوماً أو بعضه ﴿وكنا نحن الوارثين﴾ منهم.

٥٩ ﴿وما كان ربك مهلك القرى﴾ بظلم منها ﴿حتى يبعث في أمها﴾ أي: أعظمها ﴿رسولاً يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلاَّ وأهلها ظالمون﴾ بتكذيب الرسل.

٦٠ ﴿وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها﴾ أي: تتمتعون وتتزينون به أيام حياتكم، ثم يفنى ﴿وما عند الله﴾ وهو: ثوابه ﴿خير وأبقى أفلا تعقلون﴾ بالتاء والياء، أن الباقي خير من الفاني؟.

٦١ ﴿أفمن وعدناه وعداً حسناً

وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَـٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَـٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَـٰهُ وَعْدًا حَسَنًا

(١) قوله: «ونزل في حرصه»، أخرجه البخاري ومسلم عن المسيَّب بن حَزْن المخزومي رضي الله عنه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاةُ جاءه رسولُ الله ﷺ، فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسول الله ﷺ: «يا عَمِّ قل: لا إله إلاَّ الله، كلمة أشهد لك بها عند الله» فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟! فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلاَّ الله، فقال رسول الله ﷺ: «أمَا والله لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك»، فأنزل الله عز وجل: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى. .﴾ الآية وأنزل في أبي طالب ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾. اهـ. ارجع إلى تعليقنا حول «الاستغفار للكافر والدعاء له» ص ٢٦١.

فهو لاقيه﴾ مصيبه، وهو الجنة، ﴿كمن متعناه متاع الحياة الدنيا﴾ فيزول عن قريب ﴿ثم هو يوم القيامة من المحضرين﴾ النارَ؟ الأول: المؤمن، والثاني: الكافر، أي: لا تساوي بينهما.

٦٢﴿ و ﴾ اذكر ﴿يوم يناديهم﴾ الله ﴿فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ هم شركائي، [وأنهم ينصرونكم؟].

٦٣﴿قال الذين حق عليهم القول﴾ بدخول النار، وهم: رؤساء الضلالة ﴿ربنا هؤلاء الذين أغوينا﴾ هم، [و «هؤلاء»] مبتدأ، و[«الذين أغوينا»] صفته، [وجملة:] ﴿أغويناهم﴾ خبره، فَغَوَوا ﴿كما غوينا﴾ [أي: أضللناهم فَضَلُّوا كما ضللنا، و] لم نكرههم على الغَيِّ ﴿تبرأنا إليك﴾ منهم ﴿ما كانوا إيانا يعبدون﴾ «ما» نافية، وقدم المفعول للفاصلة.

فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعۡنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ هُوَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ كَمَا غَوَيۡنَاۖ تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ لَوۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ يَهۡتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ يَوۡمَئِذٖ فَهُمۡ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلۡمُفۡلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ

٦٤﴿وقيل ادعوا شركاءكم﴾ أي: الأصنام، الذين كنتم تزعمون أنهم شركاء الله ﴿فدعوهم فلم يستجيبوا لهم﴾ دعاءهم ﴿ورأوا﴾ هُمُ ﴿العذاب﴾ أبصروه، [وقد غشيهم] ﴿لو أنهم كانوا يهتدون﴾ في الدنيا، ما رأوه في الآخرة.

٦٥﴿ و ﴾ اذكر ﴿يوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين﴾ إليكم؟.

٦٦﴿فعميت عليهم الأنباء﴾ [أي: خفيت عليهم الحجج و] الأخبار، المنجية في الجواب ﴿يومئذ﴾ أي: لم يجدوا خبراً لهم فيه نجاة ﴿فهم لا يتساءلون﴾ [أي: لا يسأل بعضهم بعضاً] عنه، فيسكتون [جميعاً ولا يجيبون، لأن الجواب معلوم هو: أنهم كذبوا الرسل].

٦٧﴿فأما من تاب﴾ من الشرك ﴿وآمن﴾ صدق بتوحيد الله ﴿وعمل صالحاً﴾ أدى الفرائض ﴿فعسى أن يكون من المفلحين﴾ الناجين بوعد الله تعالى، [ووعدُهُ تعالى حق لا خُلْفَ فيه].

٦٨﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾ ما يشاء ﴿ما كان لهم﴾ للمشركين ﴿الخيرة﴾ الاختيار في شيء، [لا في النبوة، ولا في غيرها، فالله هو الذي يصطفي من الملائكة رسلاً، ومن الناس] ﴿سبحان الله وتعالى عما يشركون﴾ [أي:] عن إشراكهم.

٦٩﴿وربك يعلم ما تكن صدورهم﴾ تُسِرُّ قلوبهم، من الكفر وغيره،

﴿وما يعلنون﴾ بألسنتهم من ذلك. ٧٠﴿وهو الله لا إلَه إلاَّ هو له الحمد في الأولى﴾ الدنيا ﴿والآخرة﴾ الجنة ﴿وله الحكم﴾ القضاء النافذ، في كل شيء ﴿وإليه ترجعون﴾ بالنشور.

٧١﴿قل﴾ لأهل مكة [وغيرهم] ﴿أرأيتم﴾ أي: أخبروني ﴿إن جعل الله عليكم الليل سرمداً﴾ دائماً ﴿إلى يوم القيامة من إلَه غير الله﴾ بزعمكم ﴿يأتيكم بضياء﴾ نهار تطلبون فيه المعيشة ﴿أفلا تسمعون﴾ ذلك سماع تفهم، فترجعون عن الإشراك؟.

٧٢﴿قل﴾ لهم ﴿أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إلَه غير الله﴾ بزعمكم ﴿يأتيكم بليل تسكنون﴾ تستريحون ﴿فيه﴾ من التعب؟ ﴿أفلا تبصرون﴾ ما أنتم عليه، من الخطأ في الإشراك فترجعون عنه؟.

وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ * إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَٰهُ

٧٣﴿ومن رحمته﴾ تعالى ﴿جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه﴾ في الليل ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ في النهار بالكسب ﴿ولعلكم تشكرون﴾ النعمة فيهما.

٧٤﴿و﴾ اذكر ﴿يوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ ذُكر [قولُه تعالى: «يوم يناديهم»] ثانياً، [بعد ذكره أولاً في الآية «٦٥»]، ليُبْنَى عليه:

٧٥﴿ونزعنا﴾ أخرجنا ﴿من كل أمة شهيداً﴾ وهو نبيُّهم، يشهد عليكم بما قالوا ﴿فقلنا﴾ لهم ﴿هاتوا برهانكم﴾ على ما قلتم من الإشراك، [فلم يجدوا جواباً ينجيهم] ﴿فعلموا أن الحق﴾ في الإلَهية ﴿لله﴾ لا يشاركه فيها أحد، [فلا إلَه يستحق أن يُعبد إلاَّ الله] ﴿وضل﴾ غاب ﴿عنهم ما كانوا يفترون﴾ في الدنيا من أن معه شريكاً، تعالى عن ذلك.

٧٦﴿إن قارون كان من قوم موسى﴾[1] [أي: من بني إسرائيل، لا من القبط، قيل: كان] ابن عمه، وابن خالته، وآمن به [ثم كفر، حسداً لموسى وهارون] ﴿فبغى عليهم﴾ بالكبر والعلو وكثرة المال ﴿وآتيناه

---

(١) قوله تعالى: ﴿إن قارون كان من قوم موسى﴾ الآيات. في قصة قارون عبرة وذكرى لكل غني، بل لكل إنسان، فنأخذ منها أولاً: إذا كثر مال الإنسان حتى صرفه عن دينه، فقد هلك ﴿ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر﴾. ثانياً: الثروة المالية من غير إيمان تجعل صاحبها متكبراً ظالماً طاغياً، قال تعالى: ﴿إن الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى﴾، ثالثاً: على صاحب المال أن يشكر الله تعالى، وأن لا ينفق ماله مبذراً ولا مسرفاً ولا بَطَراً ولا رياء، وإلاَّ فإن عاقبة أمره وخيمة، ليس في الآخرة فحسب بل في الدنيا أيضاً، ففي عصرنا: ألم يسلط الله تعالى، الظالمين من الحُكام على أصحاب الثروات، فأذاقوهم مُرَّ الهوان، وجرَّدوهم من أملاكهم وأموالهم؟ .. فهل من مدكر؟ ..

من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء﴾ تثقل ﴿بالعصبة﴾ الجماعة ﴿أولي﴾ أصحاب ﴿القوة﴾ أي: تثقلهم، [أي: تميلهم بثقلها] فالباء للتعدية، وعدَّتهم [أي: العصبة]، قيل: سبعون، وقيل: أربعون، وقيل: عشرة، وقيل: غيرُ ذلك، واذكر ﴿إذ قال له قومه﴾ المؤمنون من بني إسرائيل ﴿لا تفرح﴾ بكثرة المال، فَرَحَ بَطَرٍ ﴿إن الله لا يحب الفرحين﴾ بذلك، [أي: البطرين].

٧٧﴿وابتغ﴾ اطلب ﴿فيما آتاك الله﴾ من المال ﴿الدار الآخرة﴾ بأن تنفقه في طاعة الله ﴿ولا تنس﴾ تترك ﴿نصيبك من الدنيا﴾[1] أي: أن تعمل فيها للآخرة ﴿وأحسن﴾ للناس بالصدقة ﴿كما أحسن الله إليك ولا تبغ﴾ تطلب ﴿الفساد في الأرض﴾ يعمل المعاصي ﴿إن الله لا يحب المفسدين﴾ بمعنى: أنه يعاقبهم.

٧٨﴿قال إنما أوتيته﴾ أي: المال ﴿على علم عندي﴾ أي: في مقابلته، وكان أعلم بني إسرائيل بالتوراة، بعد موسى وهارون، [وقيل: على علم عندي، بوجوه التجارة والمكاسب، وقيل: بصنعة الذهب، قاله ابن عباس، وهذان القولان أقرب لواقع الحال]، قال تعالى: ﴿أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون﴾ الأمم ﴿من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً﴾ للمال؟ أي: هو عالم بذلك، ويهلكه الله ﴿ولا يُسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾ لعلمه تعالى بها، فيدخلون النار بلا حساب، [لكنهم يُسألون سؤال تقريع وتوبيخ، لقوله تعالى: «فوربك لنسألنهم أجمعين»].

٧٩﴿فخرج﴾ قارون ﴿على قومه في زينته﴾ بأتباعه الكثيرين، ركباناً متحلين بملابس الذهب والحرير، على خيول وبغال متحلية ﴿قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا﴾ للتنبيه ﴿ليت لنا مثل ما أوتي قارون﴾ في الدنيا ﴿إنه لذو حظ﴾ نصيب ﴿عظيم﴾ واف فيها.

٨٠﴿وقال﴾ لهم ﴿الذين أوتوا العلم﴾ بما وعد الله في الآخرة ﴿ويلكم﴾ كلمة زجر ﴿ثواب الله﴾ في الآخرة بالجنة ﴿خير لمن آمن وعمل صالحاً﴾ مما أوتي قارون في الدنيا ﴿ولا يلقاها﴾ أي: الجنةَ المثابَ بها ﴿إلا الصابرون﴾ على الطاعة، وعن المعصية[2]. ٨١﴿فخسفنا به﴾ بقارون

الجزء العشرون

مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ

(١) قوله تعالى: ﴿ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾، فسره الجلال المحلي: بأن تعمل فيها للآخرة، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنه وعدد من المفسرين، وقال الحسن البصري وقتادة السَّدوسي رحمهما الله: معناه لا تضيع حظك من دنياك في تمتعك بالحلال وطلبك إياه، ونظرك لعاقبة دنياك. اهـ. واقتصر على هذا القول ابن كثير في تفسيره، وقال القرطبي نقلاً عن ابن عطية: فالكلام على هذا التأويل، فيه بعض الرفق بالإنسان، وهذا مما يجب استعماله مع المواعظ خشية النَّبْوَة من الشدة. اهـ. ونقول: إن هذا القول هو الأقرب، والمتناسق مع معاني الآية، تلافياً لما يشبه التكرار على القول الأول، والله أعلم.

(٢) الصبر على طاعة الله بفعلها، والصبر عن معصيته بتركها، هما من أبواب الصبر، وقد بيناها في تعليقنا ص ٦٠٧.

﴿وبداره الأرض[1] فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله﴾ من غيره، بأن يمنعوا عنه الهلاك ﴿وما كان من المنتصرين﴾ منه.

٨٢﴿وأصبح الذين تمنوا مكانه﴾ [بقولهم: «يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون»] ﴿بالأمس﴾ أي. من قريب ﴿يقولون وي كأن الله يبسط﴾ يوسع ﴿الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر﴾ يضيّق على من يشاء، و «وي»: اسم فعل [مضارع] بمعنى: «أَعْجَبُ» أي: أنا، والكاف بمعنى اللام، [أي: «أعجبُ لأن يبسط»، وقال أبو جعفر النحاس: أحسن ما قيل فيها، إنها حرف «تَنَدُّم»، وعزاه إلى الخليل وسيبويه وغيرهما، والمعنى: أن القوم تنبهوا أو نُبِّهوا، فندموا فقالوا: «وي» إلخ] ﴿لولا أن منَّ الله علينا لخسف بنا﴾ بالبناء للفاعل والمفعول ﴿وي كأنه لا يفلح الكافرون﴾ لنعمة الله، كقارون.

وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ

٨٣﴿تلك الدار الآخرة﴾ أي: الجنة ﴿نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض﴾ بالبغي ﴿ولا فساداً﴾ بعمل المعاصي ﴿والعاقبة﴾ المحمودة ﴿للمتقين﴾ عقابَ الله، بعمل الطاعات.

٨٤﴿من جاء بالحسنة فله خير منها﴾ ثواب بسببها، وهو عشر أمثالها ﴿ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا﴾ جزاء ﴿ما كانوا يعملون﴾ أي: مثله.

٨٥﴿إن الذي فرض عليك القرآن﴾[2] أنزله ﴿لرادُّك إلى معاد﴾ إلى مكة، وكان اشتاقها ﴿قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين﴾ نزل جواباً لقول كفار مكة له: إنك في ضلال، أي: فهو الجائي بالهدى، وهم في ضلال، و «أعلم» بمعنى: «عالم».

٨٦﴿وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب﴾ القرآن ﴿إلا﴾ لكن ألقي إليك ﴿رحمة من ربك فلا تكونن

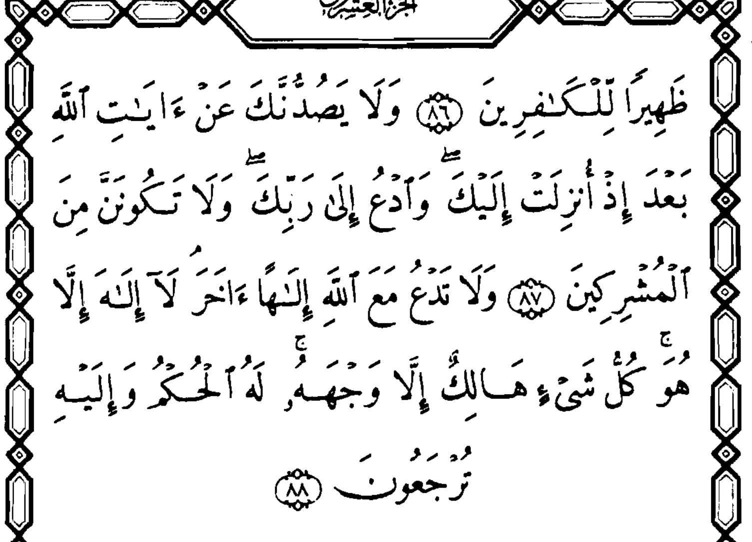
---

(١) إن خَسْفَ الأرض بقارون، وبداره التي فيها كنوزه، عبرة لأولي الألباب والأبصار، وروى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يجرُّ إزاره، إذْ خُسِف به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة»، ومعنى يتجلجل فيها: يسيخ ويدخل، وهذا الرجل المذكور في الحديث قيل هو قارون نفسه وقيل: رجل غيره.

(٢) قوله تعالى: ﴿إن الذي فرض عليك القرآن﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم، عن الضحاك بن مزاحم رحمه الله تعالى قال: لما خرج النبي ﷺ من مكة مهاجراً فبلغ الجُحْفَةَ ــ هو موضع بين مكة والمدينة، قرب بلدة «رابغ» ــ وعرف الطريق، اشتاق إلى مكة فأنزل الله: ﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾.

﴿ظهيراً﴾ معينا ﴿للكافرين﴾ على دينهم الذي دعوك إليه.

٨٧﴿ولا يصدنك﴾ أصله «يصدونَنَكَ»(١)، حذفت نون الرفع للجازم، والواو الفاعل لالتقائها مع النون السّاكنة، [ثم أُكِّد بنون التوكيد] ﴿عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك﴾ أي: لا ترجع إليهم في ذلك، [ولا تعبأ بأقوالهم وتكذيبهم وأذاهم، وامض لأمرك] ﴿وادع﴾ الناس ﴿إلى ربك﴾ بتوحيده وعبادته ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ بإعانتهم، [والمراد بالخطاب غيره ﷺ، أي: لا يفعلنَّ أحد ذلك، على حدِّ قوله تعالى: «لئن أشركت ليحبطنَّ عملك»، أي: من أشرك حبط عمله]، ولم يؤثر الجازم في الفعل لبنائه.



٨٨﴿ولا تدع﴾ تعبد ﴿مع الله إلهاً آخر﴾ [فإنه] ﴿لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه﴾ إلا إياه ﴿له الحكم﴾ القضاء النافذ، [في الأولى والآخرة] ﴿وإليه ترجعون﴾ بالنشور من القبور.

﴿ سورة العنكبوت ﴾

(مكية، وهي: تسع وستون آية)



بسم الله الرحمن الرحيم

١﴿الم﴾ الله أعلم بمراده بذلك.

٢﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا﴾ أي: بقولهم ﴿آمنا وهم لا يفتنون﴾ يختبرون، بما يتبين به حقيقة إيمانهم؟ نزل في(٢) جماعة آمنوا، فآذاهم المشركون.

٣﴿ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا﴾ في إيمانهم، علْمَ مشاهدة [وإظهار، أي: ليظهرنَّ الله ما علمه من حالهم] ﴿وليعلمن الكاذبين﴾ فيه.

---

(١) قوله: «يصدونك» إلخ. وَرَدَ على ما ذكره المحلي من إعلالات اعتراض مفاده: أن الأصل «يَصُدُّونَنَك»، حذفت النون للجازم، ثم أكد بنون التوكيد الثقيلة فصارت «يصدُّونَّك»، فالتقى ساكنان: الواو والنون الأولى من الحرف المشدد، فحذفت الواو لالتقائهما.. لا كما ذكر المؤلف رحمه الله.

(٢) قوله: «نزل في جماعة آمنوا» إلخ.. هذا ما أخرجه ابن أبي حاتم والواحدي في «أسباب النزول»، عن عامر بن شراحيل الشّعبي رحمه الله، وهذا لا يقيِّد عموم النص، فمعنى الآيات: أن الله سبحانه وتعالى يبتلي عباده المؤمنين بحسب ما عندهم من الإيمان، ليختبرهم ويظهر حقيقة إيمانهم، كما فعل بالمؤمنين من قبلنا، فما على المؤمن إلا الصبر، فالصبر من الإيمان، ﴿إنما يوفَّى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾، ارجع إلى تعليقنا حول «معاني الصبر» ص٦٠٧.

٤﴿أم حسب الذين يعملون السيآت﴾ الشرك والمعاصي ﴿أن يسبقونا﴾ يفوتونا، فلا ننتقم منهم؟ ﴿ساء﴾ بئس ﴿ما﴾ الذي ﴿يحكمونـ﴾ـه، [أي:] حكمُهم هذا.
٥﴿من كان يرجو﴾ يخاف ﴿لقاء الله فإن أجل الله﴾ به ﴿لآت﴾ فليستعد له ﴿وهو السميع﴾ لأقوال العباد ﴿العليم﴾ بأفعالهم.
٦﴿ومن جاهد﴾ جهاد حرب، أو نفس ﴿فإنما يجاهد لنفسه﴾ لأن منفعة جهاده له، لا لله ﴿إن الله لغني عن العالمين﴾ الإنس والجن والملائكة، وعن عبادتهم.

أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَـَٔاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَـٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَـٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ

٧﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم﴾ [أي: اللّمم منها، فنغفرها لهم] بعمل الصالحات، [أما كبائر الذنوب، فلا بد فيها من التوبة الصحيحة] ﴿ولنجزينهم أحسن﴾ بمعنى «حسن»، ونصبه بنزع الخافض ــ «الباء» ــ ﴿الذي كانوا يعملون﴾ وهو الصالحات.
٨﴿ووصينا الإنسان[1] بوالديه حسناً﴾ أي: إيصاءً ذا حُسْنٍ، بأن يَبَرَّهما ﴿وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به﴾ بإشراكه ﴿علم﴾ [أي: ليس لك به] موافقةً للواقع، [والواقع: أن الإلّه واحد]، فلا مفهوم له، [أي: ليس العلم بالشريك، أو عدمُه قيداً، بل المقصود النهي عن الإشراك بالله مطلقاً] ﴿فلا تطعهما﴾ في الإشراك، [لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق] ﴿إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾ فأجازيكم به.
٩﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين﴾ الأنبياء والأولياء، بأن نحشرهم معهم. ١٠﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس﴾ أي: أذاهم له ﴿كعذاب الله﴾ في الخوف منه، فيطيعهم، فينافق ﴿ولئن﴾ لام قسم ﴿جاء نصر﴾ للمؤمنين ﴿من ربك﴾ فغنموا ﴿ليقولن﴾ حُذفت منه نون الرفع، لتوالي النونات، و[حذفت] الواو ضميرُ الجمع لالتقاء الساكنين ﴿إنا كنا معكم﴾ في الإيمان، فأشركونا في الغنيمة، قال تعالى: ﴿أو ليس

---

(١) قوله تعالى: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسناً﴾ الآية، روى مسلم ــ واللفظ له ــ وأحمد والترمذي عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه رضي الله عنه، أنه نزلت فيه آيات من القرآن قال: حلفتْ أم سعد أن لا تكلمه أبداً حتى يكفر بدينه، ولا تأكل ولا تشرب، قالت: زعمتَ أن الله أوصاك بوالديك، فأنا أمك وأنا آمرك بهذا، قال: مكثتْ ثلاثاً حتى غُشي عليها من الجَهْد، فقام ابن لها يقال له عُمارة فسقاها، فجعلت تدعو على سعد، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وأنزل قوله: ﴿وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما﴾ الآية ١٥ من سورة «لقمان»، ولم يطعها سعد رضي الله عنه، وما كان ليفعل ولو ماتت جوعاً وعطشاً.

الله بأعلم﴾ أي: بعالم ﴿بما في صدور العالمين﴾ قلوبهم، من الإيمان والنفاق؟ بلى.

١١ ﴿وليعلمن الله الذين آمنوا﴾ بقلوبهم، [إيماناً صادقاً] ﴿وليعلمن المنافقين﴾ [أي: ليظهرنَّ ما علمه من حالهم]، فيجازي الفريقين، واللام في الفعلين لام قسم.

١٢ ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا﴾ ديننا ﴿ولنحمل خطاياكم﴾ في اتباعنا إن كانت، [أي: على فرض أن اتباعنا خطيئة]، والأمر بمعنى الخبر، [أي: منكم الاتِّباع، وعلينا حمل خطاياكم]، قال تعالى: ﴿وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون﴾ في ذلك.

اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ
آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ
آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ
مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ
أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا
كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ
فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ
ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً
لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ
ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ
مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ
مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ

١٣ ﴿وليحملن أثقالهم﴾ أوزارهم ﴿وأثقالاً مع أثقالهم﴾ بقولهم للمؤمنين: «اتبعوا سبيلنا»، وإضلالهم مقلديهم ﴿وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون﴾ يكذبون على الله، سؤالَ توبيخ، واللام في الفعلين، [أي: في «وليحملُنَّ»، و «ليُسألُنَّ»] لام قسم، وحُذف فاعلهما[1]: «الواو» و «نون الرفع».

١٤ ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾ وعمره أربعون سنة أو أكثر ﴿فلبث فيهم ألف سنة إلاَّ خمسين عاماً﴾ يدعوهم إلى توحيد الله، فكذبوه ﴿فأخذهم الطوفان﴾ الماء الكثير، طاف بهم وعلاهم، فغرقوا ﴿وهم ظالمون﴾ مشركون.

١٥ ﴿فأنجيناه﴾ أي: نوحاً ﴿وأصحاب السفينة﴾ أي: الذين كانوا معه فيها ﴿وجعلناها آية﴾ عبرة ﴿للعالمين﴾ لمن بعدهم من الناس، إن عصوا رسلهم، وعاش نوح بعد الطوفان ستين سنة أو أكثر، حتى كثر الناس.

١٦ ﴿و﴾ اذكر ﴿إبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه﴾ خافوا عقابه ﴿ذلكم خير لكم﴾ مما أنتم عليه من عبادة الأصنام ﴿إن كنتم تعلمون﴾ الخير من غيره.

١٧ ﴿إنما تعبدون من دون الله﴾ أي: غيره ﴿أوثاناً وتخلقون إفكاً﴾ تقولون كذباً: إن الأوثان شركاء الله، [أو: تنحتونها أصناماً، وبه قال عكرمة وقتادة والحسن وغيرهم، واختاره ابن جرير الطبري] ﴿إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً﴾ لا يقدرون أن يرزقوكم ﴿فابتغوا عند الله

---

(١) قوله: «وحذف فاعلهما» إلخ، أي: فاعل «ليحملن»، ونائب الفاعل في «ليُسألن»، وسبب حذف الواو، التقاء الساكنين، وحذفت النون لتوالي الأمثال، بعد إدخال نون التوكيد الثقيلة على الفعلين، والأصل فيهما: «يحملونَنَّ» و «يُسألونَنَّ».

الرزق﴾ اطلبوه منه ﴿واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون﴾.

١٨ ﴿وإن تكذبوا﴾ أي: تكذبوني، يا أهل مكة، [وقيل: هذا من قول إبراهيم] ﴿فقد كذب أمم من قبلكم﴾ مَنْ قبلي [من الرسل] ﴿وما على الرسول إلاَّ البلاغ المبين﴾ إلاَّ البلاغ البيِّن، في هاتين القصتين، تسلية للنبي ﷺ.

١٩ وقال تعالى في قومه: ﴿أو لم يروا﴾ بالياء والتاء، ينظروا ﴿كيف يبدىء الله الخلق﴾ هو بضم أوله، وقرىء[1] [شذوذاً] بفتحه، من «بدأ» و«أبدأ»، [وهما] بمعنى [واحد]، أي: يخلقهم ابتداءً ﴿ثم﴾ هو ﴿يعيده﴾ أي: [يعيد] الخلق، [بالبعث يوم القيامة]، كما بدأهم ﴿إن ذلك﴾ المذكور، من الخلق الأول والثاني ﴿على الله يسير﴾ فكيف ينكرون الثاني؟

سُورَةُ العَنكبُوتِ ٢٩

ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾

٥٢٣

٢٠ ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾ لمن كان قبلكم وأماتهم ﴿ثم الله ينشىء النشأة الآخرة﴾ مَدّاً، [مع فتح الشين]، وقصراً، مع سكون الشين، [وهما قراءتان سبعيتان] ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ ومنه البدء والإعادة.

٢١ ﴿يعذب من يشاء﴾ تعذيبه ﴿ويرحم من يشاء﴾ رحمته ﴿وإليه تقلبون﴾ تردون.

٢٢ ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ ربكم عن إدراككم ﴿في الأرض ولا في السماء﴾ لو كنتم فيها، أي: لا تفوتونه [أينما تكونون] ﴿وما لكم من دون الله﴾ أي: غيره ﴿من ولي﴾ يمنعكم منه ﴿ولا نصير﴾ ينصركم من عذابه.

٢٣ ﴿والذين كفروا بآيات الله ولقائه﴾ أي: القرآن والبعث ﴿أولئك يئسوا من رحمتي﴾ أي: جنتي، [بسبب كفرهم] ﴿وأولئك لهم عذاب أليم﴾ مؤلم.

٢٤ قال تعالى في قصة إبراهيم عليه [الصلاة و] السلام: ﴿فما كان جواب قومه إلاَّ أن قالوا اقتلوه أو حرقوه﴾ [ثم اتفقوا على تحريقه] ﴿فأنجاه الله من النار﴾ التي قذفوه فيها، بأن جعلها عليه برداً وسلاماً، [بقوله: «يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم»] ﴿إن في ذلك﴾ أي: في إنجائه منها ﴿لآيات﴾ هي عدم تأثيرها فيه مع عِظَمِها، وإخمادُها، وإنشاءُ روض مكانها، في زمن يسير ﴿لقوم يؤمنون﴾ يصدقون بتوحيد الله وقدرته، لأنهم المنتفعون بها.

---

(١) قوله: «وقرىء»، هذه قراءة شاذة كما بيَّنا، وهي كل قراءة ما عدا القراءات العشر، فلا تجوز القراءة بها، لا في الصلاة ولا في غيرها، وإنما تناقلها العلماء لفوائد تتعلق بعلم العربية، وقد درج الجلالان على الإشارة إليها بـ «قرىء»، وأضفنا بعدها: «شذوذاً» لمزيد بيان. ارجع إلى المقدمة.

٢٥﴿وقال﴾ إبراهيم ﴿إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً﴾ تعبدونها، و «ما» مصدرية ﴿مودةُ بينكم﴾ [برفع «مودة»] خبر «إنَّ»، وعلى قراءة النصب، [أي: نصب «مودة»، هي] مفعول له، و «ما» كافَّة، [والقراءتان سبعيتان، و]، المعنى: تواددتم على عبادتها ﴿في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض﴾ يتبرأ القادة من الأتباع ﴿ويلعن بعضكم بعضاً﴾ يلعن الأتباع القادة ﴿ومأواكم﴾ مصيركم جميعاً ﴿النار وما لكم من ناصرين﴾ مانعين منها.

٢٦﴿فآمن له﴾ صدق بإبراهيم ﴿لوط﴾ وهو ابن أخيه هاران ﴿وقال﴾ إبراهيم ﴿إني مهاجر﴾ من قومي ﴿إلى ربي﴾ أي: إلى حيث أمرني ربي، وهجر قومه، وهاجر من سواد العراق إلى الشام، [وقيل: إن الذي قال: «إني مهاجر إلى ربي» هو «لوط» عليه السلام] ﴿إنه هو العزيز﴾ في ملكه ﴿الحكيم﴾ في خلقه.

الجزء العشرون

وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ

٢٧﴿ووهبنا له﴾ بعد إسماعيل ﴿إسحاق ويعقوب﴾ بعد إسحاق ﴿وجعلنا في ذريته النبوة﴾ فكل الأنبياء بعد إبراهيم، من ذريته ﴿والكتاب﴾ بمعنى: «الكتب»، أي: «التوراة» [المنزلة على موسى]، و «الإنجيل» [المنزل على عيسى]، و «الزَّبور» [المنزل على داود]، و «الفرقان»، [أي: «القرآن»، المنزل على محمد، صلوات الله وسلامه عليهم] ﴿وآتيناه أجره في الدنيا﴾ وهو: الثناء الحسن، في كل أهل الأديان[1] ﴿وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ الذين لهم الدرجات العلى.

٢٨﴿و﴾ اذكر ﴿لوطاً إذ قال لقومه أئنكم﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين، [وتركه]، في الموضعين [أي: هذا والذي بعده] ﴿لتأتون الفاحشة﴾ أي: أدبار الرجال ﴿وما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾ الإنس والجن.

٢٩﴿أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل﴾ طريق المارة، بفعلكم الفاحشة بمن يمر بكم، [أو: قطع السبيل للسلب والعدوان]، فترك الناسُ الممَرَّ بكم ﴿وتأتون في ناديكم﴾ مُتحدَّثكم ﴿المنكر﴾[2] فعل الفاحشة بعضكم ببعض ﴿فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين﴾ في استقباح ذلك، وأن العذاب نازل بفاعلية. ٣٠﴿قال ربي انصرني﴾ بتحقيق قولي، في إنزال العذاب ﴿على القوم

---

(١) قوله: «في كل أهل الأديان»، ارجع إلى تعليقنا حول «الأديان» ص ٢٤٥، لدفع ما التبس على البعض، حيث ظن ما رضعه البشر ديناً سماوياً.

(٢) قوله تعالى: ﴿وتأتون في ناديكم المنكر﴾، أي: يفعلون ما لا يجوز من الأقوال والأفعال في مجالسهم، ولا يُنكر بعضهم على بعض.

المفسدين﴾ العاصين بإتيان الرجال، [وغيره من المنكرات]، فاستجاب الله دعاءه.

٣١﴿ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى﴾ بإسحاق ويعقوب بعده ﴿قالوا إنا مهلكو أهل هذه القرية﴾ أي: قرية قرط ﴿إن أهلها كانوا ظالمين﴾ كافرين.

٣٢﴿قال﴾ إبراهيم ﴿إن فيها لوطاً قالوا﴾ أي: الرسل ﴿نحن أعلم بمن فيها لننجينه﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿وأهله إلاّ امرأته كانت من الغابرين﴾ الباقين في العذاب.

٣٣﴿ولما أن جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم﴾ حزن بسببهم ﴿وضاق بهم ذرعاً﴾ صدراً، [واغتمّ بأمرهم]، لأنهم حسان الوجوه، في صورة أضياف، فخاف عليهم قومَهُ، فأعلموه أنهم رسل ربه ﴿وقالوا لا تخف ولا تحزن إنا منجوك﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿وأهلك إلاّ امرأتك كانت من الغابرين﴾ ونُصِبَ: «أهل» عطفاً على محل الكاف [في: «منجُوك»].

٣٤﴿إنا منزلون﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿على أهل هذه القرية رجزاً﴾ عذاباً ﴿من السماء بما﴾ بالفعل الذي ﴿كانوا يفسقون﴾ به، أي: بسبب فسقهم، [فجعل عالي قراهم سافلها، وأمطر عليهم حجارة من سجّيل].

٣٥﴿ولقد تركنا منها آية بينة﴾ ظاهرة، هي: آثار خرابها ﴿لقوم يعقلون﴾ يتدبرون، [فيتعظون].

٣٦﴿و﴾ أرسلنا ﴿إلى مدين[1]﴾ أخاهم شعيباً فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر﴾ أي: اخشوه، هو يوم القيامة ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ حال مؤكدة لعاملها، من «عَثِيَ» بكسر المثلثة، [أي:] أفسد.

٣٧﴿فكذبوه فأخذتهم الرجفة﴾ الزلزلة الشديدة ﴿فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾ باركين على الركب، ميتين.

ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ
قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟
ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ
لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾
وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا
وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ
كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ
رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا
مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ
شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ
وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ
ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟

٣٨﴿و﴾ أهلكنا ﴿عاداً وثموداً﴾ بصرف «ثمود»، وتركه، بمعنى الحي[2] والقبيلة.

---

(١) قوله تعالى: ﴿مدين﴾، هي بلدة شعيب عليه السلام، ارجع إلى تعليقنا ص ٢٩٦.

(٢) قوله: «بمعنى الحي والقبيلة» هذا لف ونشر مرتب، أي: ينصرف «ثمود» إذا كان بمعنى: الحيّ، أي ليس علماً، ويُمنع من الصرف إذا كان اسماً للقبيلة، أي: للعلمية والتأنيث.

﴿وقد تبين لكم﴾ إهلاكهم ﴿من مساكنهم﴾ بالحِجْر واليمن[1] ﴿وزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ من الكفر والمعاصي ﴿فصدهم عن السبيل﴾ سبيل الحق ﴿وكانوا مستبصرين﴾ ذوي بصائر [يعرفون الحق من الباطل، ولكنهم لم يؤمنوا عناداً وتكبراً].

٣٩﴿و﴾ أهلكنا ﴿قارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم﴾ من قبلُ ﴿موسى بالبينات﴾ الحجج الظاهرات ﴿فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين﴾ فائتين عذابنا.

٤٠﴿فكلاً﴾ من المذكورين ﴿أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً﴾ ريحاً عاصفة، فيها حصباء، كقوم لوط ﴿ومنهم من أخذته الصيحة﴾ كثمود [قوم هود عليه السلام] ﴿ومنهم من خسفنا به الأرض﴾ كقارون[2] ﴿ومنهم من أغرقنا﴾ كقوم نوح [بالطوفان]، وفرعون وقومه [في البحر] ﴿وما كان الله ليظلمهم﴾ فيعذبهم بغير ذنب ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بارتكاب الذنب، [وهو كفرهم وضلالهم].

٤١﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء﴾ أصناماً يرجون نفعها ﴿كمثل العنكبوت اتخذت[3] بيتاً﴾ لنفسها، تأوي إليه ﴿وإن أوهن﴾ أضعف ﴿البيوت لبيت العنكبوت﴾ لا يدفع عنها حراً ولا برداً، كذلك الأصنام، لا تنفع عابديها ﴿لو كانوا يعلمون﴾ ذلك، ما عبدوها.

٤٢﴿إن الله يعلم ما﴾ بمعنى: الذي ﴿يدعون﴾ يعبدون، بالياء والتاء ﴿من دونه﴾ غيره ﴿من شيء وهو العزيز﴾ في ملكه ﴿الحكيم﴾ في صنعه.

٤٣﴿وتلك الأمثال﴾ [التي ضربها الله تعالى في القرآن، [كبيت العنكبوت وغيره] ﴿نضربها﴾ نجعلها [ونبينها] ﴿للناس وما يعقلها﴾ يفهمها ﴿إلا العالمون﴾ المتدبرون.

وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾

---

(١) قوله: «بالحِجْر واليمن». «الحِجْر» هي: ديار ثمود قوم صالح عليه السلام، ارجع إلى تعليقنا ص٢٩٣، وقوله «واليمن» قصد به «الأحقاف» حيث كانت مساكن «عاد» قوم «هود عليه السلام»، ارجع إلى تعليقنا ص ٢٩١.

(٢) قوله: «كقارون»، ارجع إلى قصته ص ٥١٧.

(٣) قوله تعالى: ﴿اتخذت﴾، قال في «حياة الحيوان الكبرى»: «العنكبوت» دويبة تنسج في الهواء، وجمعها «عناكب» والذكر «عنكب».
وفي هذه الآية إشارة إلى أن الأنثى هي التي تقوم بنسج البيت دون الذكر، وبيتها هذا يُضرب مثلاً على الضعف وعدم القوة والمتانة، ومثلها النحلة، فإن إناث النحل هي العاملة دون الذكر.

خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ

٤٤﴿خلق الله السماوات والأرض بالحق﴾ أي: محقاً ﴿إن في ذلك لآية﴾ دلالة على قدرته تعالى ﴿للمؤمنين﴾ خصوا بالذكر، لأنهم المنتفعون بها في الإيمان، بخلاف الكافرين. ٤٥﴿اتل ما أوحي إليك من الكتاب﴾ القرآن ﴿وأقم الصلاة إن الصلاة﴾ [إذا أداها المسلم، بطهارة كاملة وخشوع] ﴿تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ شرعاً[1]، أي: من شأنها ذلك، ما دام المرء فيها، [بل وخارجها أيضاً، فلا يخرج من صلاة حتى تظله أخرى] ﴿ولذكر الله أكبر﴾[2] من غيره من الطاعات ﴿والله يعلم ما تصنعون﴾ فيجازيكم به. ٤٦﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلاّ بالتي﴾ أي: بالمجادلة التي ﴿هي أحسن﴾ كالدعاء إلى الله بآياته، والتنبيه على حججه ﴿إلاّ الذين ظلموا منهم﴾ بأن حاربوا وأبوا أن يُقِرُّوا بالجزية، فجادلوهم بالسيف، [أي: قاتلوهم] حتى يُسلموا، أو يُعطوا الجزية ﴿وقولوا﴾ لمن قَبِلَ الإقرار بالجزية، إذا أخبروكم بشيء مما في كتبهم: ﴿آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم﴾ ولا تصدقوهم ولا تكذبوهم[3] في ذلك ﴿وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون﴾ مطيعون. ٤٧﴿وكذلك أنزلنا إليك الكتاب﴾ القرآن، كما أنزلنا إليهم التوراة وغيرها ﴿فالذين آتيناهم الكتاب﴾ التوراة، كعبد الله بن سلام وغيره ﴿يؤمنون به﴾ بالقرآن ﴿ومن هؤلاء﴾ أي: أهل مكة ﴿من يؤمن به وما يجحد بآياتنا﴾ بعد ظهورها ﴿إلاّ الكافرون﴾ أي: اليهود، وظهر لهم أن القرآن حق، والجائي به محق، وجحدوا ذلك. ٤٨﴿وما كنت تتلو من قبله﴾ أي: القرآن ﴿من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً﴾ أي: لو كنت قارئاً كاتباً ﴿لارتاب﴾ شك ﴿المبطلون﴾ اليهود فيك، وقالوا: [صفة النبي] الذي في التوراة، أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب.

٤٩﴿بل هو﴾ أي: القرآن الذي جئت به ﴿آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم﴾ أي: المؤمنون، يحفظونه ﴿وما يجحد بآياتنا

---

(١) قوله: «شرعاً»، راجع إلى «الفحشاء والمنكر» أي: في اعتبار الشرع. ارجع إلى تعليقنا حول «معنى المعروف والمنكر» ص ٨٠.

(٢) قوله تعالى: ﴿ولذكر الله أكبر﴾، فيها وجهان: أولهما: ولذكر الله بالصلاة أكبر من ذكره في غيرها، أي: إن الصلاة أعظم الطاعات وأفضلها، وهذا صحيح قطعاً. والثاني: «ولذكر الله لكم بالثناء عليكم، أكبر من ذكركم له في عبادتكم»، قاله ابن عباس وابن مسعود وغيرهما واختاره الطبري، وهو من قبيل قوله تعالى: ﴿فاذكروني أذكركم﴾ فإذا ذكر المسلمُ ربَّه ذَكَرَهُ الله، وذكرُ الله إيانا أكبر، وليس معنى الآية بحال أن الذكر المعهود عند أصحاب الطُّرُق أفضلُ من الصلاة، كما ظن بعض الزنادقة، حتى ذهب بهم الضُّلال إلى ترك الصلاة والاقتصار على أوراد يومية، والعياذ بالله تعالى.

(٣) قوله: «ولا تصدقوهم ولا تكذبوهم»، فقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ «لا تصدقوا أهل الكتاب، ولا تكذبوهم وقولوا ﴿آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم﴾ الآية، ونقول: إن الحديث الشريف يعني ما لم يثبت بطلانه مما يقرؤون ويقولون، أما باطلهم الواضح الصريح فلا نتردد في رده عليهم.

﴿إلاّ الظالمون﴾ اليهود، وجحدوها بعد ظهورها لهم.
٥٠﴿وقالوا﴾ أي: كفار مكة ﴿لولا﴾ هلاّ ﴿أنزل عليه﴾ أي: محمد ﴿آيات من ربه﴾ وفي قراءة: «آية»، كناقة صالح، وعصا موسى، ومائدة عيسى ﴿قل﴾ لهم ﴿إنما الآيات عند الله﴾ ينزلها كيف يشاء ﴿وإنما أنا نذير مبين﴾ مظهر إنذاري بالنار أَهْلَ المعصية.
٥١﴿أو لم يكفهم﴾ فيما طلبوا ﴿أنا أنزلنا عليك الكتاب﴾ القرآن ﴿يتلى عليهم﴾ فهو آية مستمرة لا انقضاء لها، بخلاف ما ذكر من الآيات ﴿إن في ذلك﴾ الكتاب ﴿لرحمة وذكرى﴾ عظة ﴿لقوم يؤمنون﴾.

إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ
قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمۡ
يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي
وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾
وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَلَوۡلَآ أَجَلٞ مُّسَمّٗى لَّجَآءَهُمُ
ٱلۡعَذَابُۚ وَلَيَأۡتِيَنَّهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسۡتَعۡجِلُونَكَ
بِٱلۡعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوۡمَ
يَغۡشَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡ وَيَقُولُ
ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ
أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ

٥٢﴿قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً﴾ بصدقي ﴿يعلم ما في السماوات والأرض﴾ ومنه حالي وحالكم ﴿والذين آمنوا بالباطل﴾ وهو ما يُعبد من دون الله ﴿وكفروا بالله﴾ منكم ﴿أولئك هم الخاسرون﴾ في صفقتهم، حيث اشتروا الكفر بالإيمان.
٥٣ [ولما أنذرهم الرسول ﷺ بالعذاب، قالوا إمعاناً في الإنكار: عَجِّل لنا هذا العذاب، فنزل:] ﴿ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى﴾ له ﴿لجاءهم العذاب﴾ عاجلاً ﴿وليأتينهم بغتة﴾ [أي: فجأة] ﴿وهم لا يشعرون﴾ بوقت إتيانه.
٥٤﴿يستعجلونك بالعذاب﴾ في الدنيا ﴿وإن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ [أي: لماذا الاستعجال، وقد أعد الله لهم جهنم، التي ستحيط بهم لا محالة؟].
٥٥﴿يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ونقول﴾ فيه [قراءتان] بالنون، أي: نأمر بالقول، وبالياء، أي: يقول [المَلَكُ] الموكَّل بالعذاب ﴿ذوقوا ما كنتم تعملون﴾ أي: جزاءه، فلا تفوتوننا[1].
٥٦﴿يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون﴾ في أيِّ أرض تيسرت فيها العبادة، بأن تهاجروا إليها من أرض لم تتيسر فيها، نزل [قوله تعالى: «يا عبادي..»] في ضعفاء مسلمي مكة، كانوا في ضَيْقٍ من إظهار الإسلام بها، [فحثهم على الهجرة، ثم ذكَّرهم بأن الموت لا بد واقع، ليبادروا إلى الطاعة والهجرة فقال تعالى:]. ٥٧﴿كل نفس ذائقة الموت

---

(١) قوله: «فلا تفوتوننا»، صوابه هكذا بالرفع كما في المخطوطات لأن «لا» نافية، وفي بعض الطبعات: «فلا تفوتونا» وهو خطأ.

ثم إلينا ترجعون﴾ بالتاء والياء، بعد البعث. ٥٨﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم﴾ ننزلنَّهم، وفي قراءة: بالمثلثة بعد النون [أي: «لَنُثْوِيَنَّهُمْ» بسكون الثاء وبالياء]، من «الثَّواء» [بالفتح، أي:] الإقامة، وتعديته إلى: «غرفاً»، بحذف «في»، [فـ«غُرَفاً» منصوب بنزع الخافض، وأصله: «لنثوينهم أو: لنبوئنهم، في غرف من الجنة»]. ﴿من الجنة غرفاً[1] تجري من تحتها الأنهار خالدين﴾ مقدَّرين الخلود ﴿فيها نعم أجر العاملين﴾ هذا الأجر. ٥٩ هم ﴿الذين صبروا﴾ على أذى المشركين والهجرة، لإظهار الدين ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ فيرزقهم من حيث لا يحتسبون.

ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا
وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ
فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم
مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾
وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ
لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ

٦٠﴿وكأين﴾ كم ﴿من دابة لا تحمل رزقها﴾ لضعفها ﴿الله يرزقها وإياكم﴾ أيها المهاجرون، وإن لم يكن معكم زاد ولا نفقة ﴿وهو السميع﴾ لأقوالكم ﴿العليم﴾ بضمائركم.

٦١﴿ولئن﴾ لام قسم ﴿سألتهم﴾ أي: الكفار ﴿من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون؟﴾ [أي: كيف] يصرفون عن توحيده، بعد إقرارهم بذلك.؟

٦٢﴿الله يبسط الرزق﴾ يوسعه ﴿لمن يشاء من عباده﴾ امتحاناً ﴿ويقدر﴾ يضيق ﴿له﴾ بعد البسط، لمن يشاء ابتلاءً ﴿إن الله بكل شيء عليم﴾ ومنه مَحِلُّ، [أي: وقت]، البسط والتضييق.

٦٣﴿ولئن﴾ لام قسم ﴿سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله﴾ فكيف يشركون به؟ ﴿قل﴾ لهم ﴿الحمد لله﴾ على ثبوت الحجة عليكم ﴿بل أكثرهم لا يعقلون﴾ تناقضهم في ذلك.

٦٤﴿وما هذه الحياة الدنيا إلاَّ لهو ولعب﴾[2] وأما القُرَبُ [والطاعات]، فمن أمور الآخرة، لظهور ثمرتها فيها ﴿وإن الدار الآخرة لهي الحيوان﴾ بمعنى: الحياة ﴿لو كانوا يعلمون﴾ ذلك، ما آثروا الدنيا عليها. ٦٥﴿فإذا ركبوا في الفلك

---

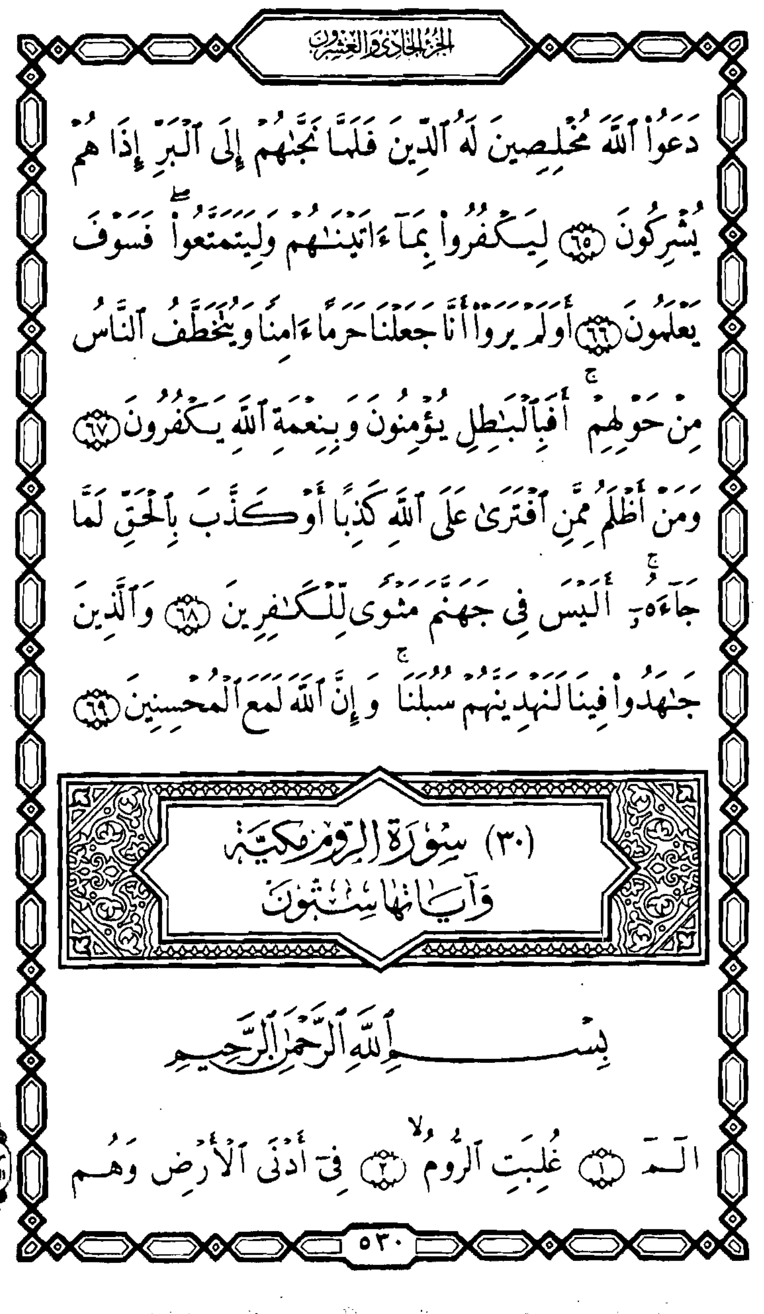
(١) قوله تعالى: ﴿غرفاً﴾، جمع «غرفة» وهي: العُلِّية المشرفة. روى مسلم عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل الجنة لَيَتَرَاءَوْنَ أهلَ الغرف من فوقهم، كما تتراءون الكوكب الدُّري الغابر من الأفق، من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم» قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟، قال: «بلى والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدَّقوا المرسلين».

(٢) قوله تعالى: ﴿إلاَّ لهو ولعب﴾ أخرج النسائي بإسناد صحيح، والطبراني بإسناد جيد، عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «كلُّ شيء ليس مِنْ ذِكْرِ الله فهو لهو أو سهو، إلاَّ أربعَ خصال: مشيَ الرجل بين الغَرَضين ــ أي: بين الرامي وهدفه، من أجل الرمي ــ، وتأديبَه فرسه، وملاعبتَه أهله، وتعليمَه السباحة». اهـ. ارجع إلى تعليقنا حول «اللهو والغناء» أول سورة «لقمان» ص ٥٣٩.

دعوا الله مخلصين له الدين﴾ أي: الدعاء، أي: لا يدعون معه غيره، لأنهم في شدة، لا يكشفها إلاَّ هو ﴿فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾ به، [أي: ينسون الله الذي نجاهم، ويعودون كما كانوا قبل الشدة، ولا يشكرون الله تعالى، وهذا معنى قوله تعالى]:

٦٦﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾ من النعمة ﴿وليتمتعوا﴾ باجتماعهم على عبادة الأصنام، وفي قراءة بسكون اللام، أمر تهديد ﴿فسوف يعلمون﴾ عاقبة ذلك.

٦٧﴿أولم يروا﴾ يعلموا ﴿أنا جعلنا﴾ بلدهم مكة ﴿حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم﴾ قتلاً وسبياً، دونهم ﴿أفبالباطل﴾ الصنم ﴿يؤمنون وبنعمة الله يكفرون﴾ بإشراكهم؟



٦٨﴿ومن﴾ أي: لا أحد ﴿أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ بأن أشرك به ﴿أو كذب بالحق﴾ النبي أو الكتاب ﴿لما جاءه؟ أليس في جهنم مثوى﴾ مأوى ﴿للكافرين؟﴾ أي: فيها ذلك، وهم منهم.

٦٩﴿والذين جاهدوا فينا﴾ في حقنا، [وطلب مرضاتنا] ﴿لنهدينهم سبلنا﴾ أي: طُرُقَ السير إلينا ﴿وإن الله لمع المحسنين﴾ المؤمنين بالنصر والعون.

﴿ سُورَةُ الرُّومِ ﴾

(مكية، وهي: ستون، أو: تسع وخمسون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١﴿الم﴾ الله أعلم بمراده بذلك[1].

٢﴿غلبت الروم﴾[2] وهم أهل الكتاب، غلبتها «فارس» وليسوا أهل كتاب، بل [كانوا] يعبدون الأوثان، [أي: مجوساً يعبدون النار]، ففرح كفار مكة بذلك، وقالوا للمسلمين: نحن نغلبكم كما غلبتْ فارسُ الرُّومَ.

٣﴿في أدنى الأرض﴾ أقرب أرض الروم إلى فارس، الجزيرة[3] التقى فيها الجيشان، والبادي بالغزو [هم] الفرس ﴿وهم﴾ أي: الروم

(١) قوله: «الله أعلم بمراده بذلك»، هذا أحسن الأقوال في هذه الحروف. ارجع إلى تعليقنا حولها ص ٣.

(٢) ذكر بعض المفسرين في سبب نزول هذه الآيات، أن مراهنة حصلت بين أبي بكر الصديق رضي الله عنه والمشركين على الفترة التي سينتصر فيها الروم على الفرس، وهذه أخبار لا أصل لها، ولذا لم يشر إليها المحليُّ هنا.

(٣) هي: منطقة «الجزيرة» الواقعة في شرق «سورية» المتاخمة لبلاد العراق.

﴿من بعد غلبهم﴾ أضيف المصدر إلى المفعول، أي: غلبة فارس إياهم ﴿سيغلبون﴾ فارس. ٤﴿في بضع سنين﴾ هو: ما بين الثلاث إلى التسع أو العشر، فالتقى الجيشان، في السنة السابعة من الالتقاء الأول، وغلبت الرومُ فارسَ، [جاء هذا في حديث صحَّحه الترمذي] ﴿لله الأمر من قبل ومن بعد﴾ أي: من قبل غلب الروم، ومن بعده، المعنى: أن غلبة فارس أولاً، وغلبة الروم ثانياً، بأمر الله، أي: بإرادته ﴿ويومئذٍ﴾ أي: يوم تَغْلِبُ الرومُ ﴿يفرح المؤمنون﴾ [أي: أصحاب محمد ﷺ]. ٥﴿بنصر الله﴾ إياهم [بسبب نصر الروم] على فارس، وقد فرحوا بذلك، وعلموا به يوم وقوعه يوم بدر، بنزول جبريل بذلك فيه، مع فرحهم بنصرهم على المشركين فيه، [لأن المسلمين، كانوا يحبون أن تظهر الروم على فارس، لأنهم أهل كتاب، وكان المشركون، يحبون أن تظهر فارس على الروم، لأنهم أصحاب أوثان، رواه الترمذي وأحمد والنَّسائي وغيرهم، عن ابن عباس] ﴿ينصر من يشاء وهو العزيز﴾ الغالب ﴿الرحيم﴾ بالمؤمنين. ٦﴿وعد الله﴾ مصدر، بدلٌ من[1] اللفظ بفعله، والأصل: وَعَدَهُم الله النصر ﴿لا يخلف الله وعده﴾ به ﴿ولكن أكثر الناس﴾ أي: كفار مكة ﴿لا يعلمون﴾ وعده تعالى بنصرهم. ٧﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا﴾ معايشها، من التجارة والزراعة والبناء والغرس، وغير ذلك ﴿وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ إعادة «هم» تأكيد.

٨﴿أو لم يتفكروا في أنفسهم﴾ ليرجعوا عن غفلتهم؟ ﴿ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلاَّ بالحق وأجل مسمى﴾ [فيوجد كل مخلوق، في أجله المسمى لوجوده، أو: جعل لفناء المخلوقات أجلًا]، تفنى عند انتهائه، وبعده، [أي: بعد الفناء بالنفخة الأولى، يكون] البعثُ [بالنفخة الثانية] ﴿وإن كثيراً من الناس﴾ كفار مكة [وأمثالهم] ﴿بلقاء ربهم لكافرون﴾ أي: لا يؤمنون بالبعث بعد الموت.

٩﴿أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ من الأمم، وهي: إهلاكهم بتكذيبهم رسلهم ﴿كانوا أشد منهم قوة﴾ كعاد وثمود ﴿وأثاروا الأرض﴾ حرثوها وقلبوها للزرع والغرس ﴿وعمروها أكثر مما عمروها﴾ أي: كفار مكة ﴿وجاءتهم رسلهم بالبينات﴾ بالحجج الظاهرات ﴿فما كان الله ليظلمهم﴾ بإهلاكهم بغير جرم ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بتكذيبهم رسلهم. ١٠﴿ثم كان عاقبة

سُورَةُ الرُّومِ ٣٠

مِنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ

(١) قوله: «بدل من اللفظ بفعله»، هو هكذا برفع «بدل» في المخطوطتين الأولى والثالثة، وفي المخطوطة الثانية: «بدلًا» وهما سواء، أي: جاء «وَعْد» بلفظ المصدر بدل لفظ فعله، لأن فعل «وعد» ومصدره لا يختلفان إلاَّ باللفظ، فليس المراد هنا البدل الاصطلاحي، بل: جاء لفظ المصدر بَدَلَ لفظ فعله.

﴿الذين أساؤوا السُّوأى﴾ تأنيث «الأسوأ»، [أي:] «الأقبح»، [وهو] خبر «كان»، على [قراءة] رفع «عاقبةُ»، واسم «كان»، على [قراءة] نصب «عاقبةً»، والمراد بها: جهنم، وإساءتُهم [هي:] ﴿أن﴾ أي: بأن ﴿كذبوا بآيات الله﴾القرآن ﴿وكانوا بها يستهزئون﴾ [فلا يؤمنون].

١١﴿الله يبدأ الخلق﴾ أي: ينشيء خلق الناس ﴿ثم يعيده﴾ أي: يعيد خلقهم بعد موتهم ﴿ثم إليه يُرجعون﴾ بالياء والتاء.

١٢﴿ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون﴾ [أي:] يسكت المشركون، لانقطاع حجتهم.

ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ

١٣﴿ولم يكن﴾ أي: لا يكون ﴿لهم من شركائهم﴾ ممن أشركوهم بالله، وهم: الأصنام، ليشفعوا لهم ﴿شفعاء وكانوا﴾ أي: يكونون ﴿بشركائهم كافرين﴾ أي: متبرئين منهم.

١٤﴿ويوم تقوم الساعة يومئذٍ﴾ تأكيد ﴿يتفرقون﴾ أي: المؤمنون والكافرون.

١٥﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة﴾ جنة ﴿يحبرون﴾ يسرون. [و «الحَبْرَةُ» عند العرب: السرور والفرح، فالمؤمنون يسرون بإكرام الله لهم، وإنعامه عليهم بالجنة].

١٦﴿وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا﴾ القرآن ﴿ولقاء الآخرة﴾ البعث وغيره، [أي: وما بعده، من حشر وحساب وجزاء] ﴿فأولئك في العذاب محضرون﴾ [لا مفر لهم منه ولا مناص]. ١٧﴿فسبحان الله﴾ أي: سبحوا الله، بمعنى: صَلُّوا، [قال ابن عباس رضي الله عنهما: «الصلوات الخمس في القرآن»، يعني: في هذه الآية] ﴿حين تمسون﴾ أي: تدخلون في المساء، وفيه صلاتان: المغرب والعشاء ﴿وحين تصبحون﴾ تدخلون في الصباح، وفيه: صلاة الصبح.

١٨﴿وله الحمد في السماوات والأرض﴾ اعتراض، ومعناه: يحمده أهلهما ﴿وعشياً﴾ عطف على «حين»، وفيه: صلاة العصر ﴿وحين تظهرون﴾ تدخلون في الظهيرة، وفيه: صلاة الظهر.

١٩﴿يخرج الحي من الميت﴾[1] كالإنسان من النطفة، والطائر من البيضة ﴿ويخرج الميت﴾ النطفة والبيضة ﴿من الحي ويحيي الأرض﴾ بالنبات ﴿بعد موتها﴾ أي: يبسها ﴿وكذلك﴾ الإخراج ﴿تخرجون﴾ من القبور، بالبناء للفاعل والمفعول. ٢٠﴿ومن آياته﴾ تعالى الدالة على قدرته:

(١) قوله تعالى: ﴿يخرج الحي من الميت﴾ الآية، ارجع إلى تعليقنا حيث شرحنا معنى «الإخراج» في هذه الآيات ص ٦٧.

﴿أن خلقكم من تراب﴾ أي: أصلكم آدم ﴿ثم إذا أنتم بشر﴾ من دم ولحم ﴿تنتشرون﴾ في الأرض. ٢١﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً﴾ فخلقتْ حواء[1] من ضلع آدم، وسائرُ النساء من نطف الرجال والنساء ﴿لتسكنوا إليها﴾ وتألفوها ﴿وجعل بينكم﴾ جميعاً ﴿مودة ورحمة إن في ذلك﴾ المذكور ﴿لآيات لقوم يتفكرون﴾ في صنع الله تعالى، [فيعتبرون]. ٢٢﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم﴾ أي: لغاتكم، من عربية وعجمية وغيرها ﴿وألوانكم﴾ من بياض وسواد وغيرهما، وأنتم أولاد رجل واحد، [هو: آدم]، وامرأة واحدة، [هي: حواء] ﴿إن في ذلك لآيات﴾ دلالات على قدرته تعالى ﴿للعالمين﴾ بفتح اللام وكسرها، أي: ذوي العقول، وأولي العلم.

أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

٢٣﴿ومن آياته منامكم بالليل والنهار﴾ بإرادته، راحةً لكم ﴿وابتغاؤكم﴾ بالنهار ﴿من فضله﴾ أي: تصرفكم في طلب المعيشة، بإرادته ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾ سماع تدبر واعتبار.

٢٤﴿ومن آياته يريكم﴾ أي: إراءَتكم ﴿البرق خوفاً﴾ للمسافر [وغيره]، من الصواعق ﴿وطمعاً﴾ للمقيم [وغيره]، في المطر ﴿وينزل من السماء﴾ [أي: السحاب] ﴿ماء فيحيي به الأرض بعد موتها﴾ أي: يبسها، بأن تنبت ﴿إن في ذلك﴾ المذكور ﴿لآيات لقوم يعقلون﴾ يتدبرون، [فيؤمنون].

٢٥﴿ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره﴾ بإرادته، من غير عَمَدٍ [اسم جمع لـ «عمود»] ﴿ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض﴾ بأن يَنْفُخَ إسرافيل في الصور، للبعث من القبور ﴿إذا أنتم تخرجون﴾ منها أحياء، فخروجكم منها بدعوة [واحدة، هو] من آياته تعالى. ٢٦﴿وله من في السماوات

---

(١) قوله: «فخلقت حواء»، «حواء عليها السلام» هي: أم البشر أجمعين، وزوجة أبيهم نبي الله آدم عليه السلام، سميت «حواء» لأنها أم كل حيّ، قاله ابن سعد في الطبقات، نحبُّها ونجلُّها، ولا نذكرها إلا بخير، خلقها الله تعالى ــ كما قال في كتابه العزيز ــ من آدم، ليسكن إليها ويرتاح بالحياة معها، وجعل كل زوجة على مثالها، وجعل بين الزوجين مودة ورحمة، ذكر محمد بن إسحاق عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن «حواء» خلقت من ضلع آدم الأيسر وهو نائم، وروى البخاري ومسلم، واللفظ للبخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «استوصوا بالنساء خيراً فإن المرأة خُلقت من ضِلَع، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبتَ تقيمُه كسرتَه، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً»، وفي رواية لمسلم: «وكسرها طلاقها». وشتم «حواء» أو «جنس حواء»، كما يفعله بعض الجهلة، عقوق، وهو كبيرة من كبائر الذنوب، فقد روى البخاري ومسلم، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «من الكبائر شتمُ الرجل والديه» قالوا: يا رسول الله وهل يشتُمُ الرجل والديه؟ قال: «نعم، يسبُّ أبا الرجل فيسبُّ أباه، ويسبُّ أمَّه فيسبُّ أمه»، وفي رواية: «إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه. . .» الحديث.

والأرض﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿كل له قانتون﴾ مطيعون. ٢٧﴿وهو الذي يبدأ الخلق﴾ للناس ﴿ثم يعيده﴾ بعد هلاكهم ﴿وهو أهون عليه﴾ من البدء، بالنظر إلى ما عند المخاطبين، من أن إعادة الشيء أسهل من ابتدائه، وإلا فهما عند الله تعالى سواء في السهولة ﴿وله المثل الأعلى في السماوات والأرض﴾ أي: الصفة العليا، وهي: أنه لا إله إلا الله ﴿وهو العزيز﴾ في ملكه ﴿الحكيم﴾ في خلقه. ٢٨ [أخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان أهل الشرك يقولون في التلبية: لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك فنزل:] ﴿ضرب﴾ جعل ﴿لكم﴾ أيها المشركون ﴿مثلاً﴾ كائناً ﴿من أنفسكم﴾ وهو: ﴿هل لكم من ما ملكت أيمانكم﴾ أي: من مماليككم ﴿من شركاء﴾ لكم ﴿في ما رزقناكم﴾ من الأموال وغيرها ﴿فأنتم﴾ وهم ﴿فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم﴾ أي: أمثالكم من الأحرار؟ والاستفهام بمعنى النفي، المعنى: ليس مماليككم شركاءَ لكم ـ إلى آخره ـ عندكم، فكيف تجعلون بعض مماليك الله شركاء له؟! ﴿كذلك نفصل الآيات﴾ نبينها مثل ذلك التفصيل ﴿لقوم يعقلون﴾ يتدبرون.

الجزء الحادي والعشرون

وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا

نصف الحزب

٥٣٤

٢٩﴿بل اتبع الذين ظلموا﴾ بالإشراك ﴿أهواءهم بغير علم فمن يهدي من أضل الله﴾ أي: لا هادي له ﴿وما لهم من ناصرين﴾ مانعين من عذاب الله.

٣٠﴿فأقم﴾ يا محمد ﴿وجهك للدين حنيفاً﴾ مائلاً إليه، أي: أخلص دينك لله، أنت ومن تبعك ﴿فطرة الله﴾[1] خِلْقَتَهُ ﴿التي فطر الناس عليها﴾ وهي دينه [الإسلام]، أي: الزموها ﴿لا تبديل لخلق الله﴾ لدينه، [وهذا نهي بلفظ الخبر]، أي: لا تبدلوه بأن تشركوا ﴿ذلك الدين القيم﴾ المستقيم [الذي لا عوج فيه، وهو] توحيد الله ﴿ولكن أكثر الناس﴾ أي: كفار مكة [وغيرهم] ﴿لا يعلمون﴾ توحيد الله.

٣١﴿منيبين﴾ راجعين ﴿إليه﴾ تعالى [بالتوبة والإخلاص، أو: مطيعين] فيما أمر به ونهى عنه، حال من فاعل «أقم» وما أريد به، أي: أقيموا [الدين لله، متبعين في ذلك أمر الله ونهيه، ولا تبدلوه] ﴿واتقوه﴾ خافوه ﴿وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين﴾.

٣٢﴿من الذين﴾ بدل بإعادة الجار ﴿فرقوا دينهم﴾ باختلافهم فيما يعبدونه ﴿وكانوا شيعاً﴾ فرقاً في ذلك.

---

(١) قوله تعالى: ﴿فطرة الله﴾ الآية، روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من مولود إلاّ يولد على الفطرة، فأبواه يُهَوِّدانه أو يُنَصِّرانه أو يُمَجِّسانه، كما تُنْتَجُ ـ أي: تولد ـ البهيمةُ بهيمةً جمعاء ـ أي: تامة الأعضاء ـ هل تُحِسُّون فيها من جَدْعَاء؟» أي: مقطوعة الأذن أو الأنف، ثم تلا أبو هريرة: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم﴾.

﴿كل حزب﴾ منهم ﴿بما لديهم﴾ عندهم ﴿فرحون﴾ مسرورون [معجبون]، وفي قراءة: «فارقوا»، أي: تركوا دينهم الذي أمروا به، [وهذا تحذير للمسلمين، من الاختلاف المُخرج عن الملة، أو: من أيِّ اختلاف مردُّه الهوى]. ٣٣﴿وإذا مس الناس﴾ أي: كفار مكة ﴿ضر﴾ شدة ﴿دعوا ربهم منيبين﴾ راجعين ﴿إليه﴾ دون غيره ﴿ثم إذا أذاقهم منه رحمة﴾ بالمطر ﴿إذا فريق منهم بربهم يشركون﴾ [أو: هذه عادة الناس عامة، يدعون الله ليرفع عنهم الضر، فإذا كشفه عنهم، شكره المؤمنون، وعاد إلى شركهم المشركون، وعليه: فالآية عامة]. ٣٤﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾ [من الآيات والنعم، واللام في: «ليكفروا» لام أمر]، أريد به التهديد، [وقيل: هي لام «كي»، وجملة «ليكفروا» إخبار عن غائب، وهي على هذا المعنى، مرتبطة بما قبلها، أي: يشركون بربهم، كفراً بما آتيناهم] ﴿فتمتعوا﴾ [في حياتكم الدنيا] ﴿فسوف تعلمون﴾ عاقبة [كفركم و] تمتعكم، فيه التفات عن الغيبة. ٣٥﴿أم﴾ بمعنى همزة الإنكار، [أي: أ] ﴿أنزلنا عليهم سلطاناً﴾ حجة وكتاباً ﴿فهو يتكلم﴾ تكلم دلالة ﴿بما كانوا به يشركون﴾ أي: يأمرهم بالإشراك؟ لا. ٣٦﴿وإذا أذقنا الناس﴾ كفار مكة وغيرهم ﴿رحمة﴾ نعمة ﴿فرحوا بها﴾ فرح بطر ﴿وإن تصبهم سيئة﴾ شدة ﴿بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون﴾ ييأسون من الرحمة، ومن شأن المؤمن أن يشكر عند النعمة، ويرجو ربه عند الشدة. ٣٧﴿أولم يروا﴾ يعلموا ﴿أن الله يبسط الرزق﴾ يوسعه ﴿لمن يشاء﴾ امتحاناً ﴿ويقدر﴾ يضيقه لمن يشاء ابتلاءً ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ بها. ٣٨﴿فآت ذا القربى﴾ القرابة ﴿حقه﴾ من البر والصِّلة ﴿والمسكين وابن السبيل﴾ المسافر [المنقطع]، من الصدقة، وأُمَّةُ النبي ﷺ، تبع له في ذلك، [أي: في الأمر بإعطاء هؤلاء حقهم] ﴿ذلك خير للذين يريدون وجه الله﴾ أي: ثوابه، بما يعملون ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ الفائزون.

كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ

٣٩﴿وما آتيتم من رباً﴾[1] بأن يعطي شيئاً، هبةً أو هديةً، يطلب أكثر منه، فسمي باسم المطلوب من الزيادة في المعاملة ﴿ليربو في أموال الناس﴾ المعطَيْنَ، أي: يزيد ﴿فلا يربو﴾ يزكو ﴿عند الله﴾ أي: لا ثواب فيه للمعطين ﴿وما آتيتم من زكاة﴾ صدقة ﴿تريدون﴾ بها ﴿وجه الله

(١) قوله تعالى: ﴿وما آتيتم من ربا...﴾ الآية. الربا في اللغة: الزيادة، وكل معاوضة فيها زيادة أحد العوضين فهي في اللغة «ربا»، والربا نوعان: حرام وحلال، فالحرام هو: الربا المعلوم عند الإطلاق، أي: ربا البيع أو الصرف، ارجع إلى تعليقنا حول الربا ص ٥٩، أما الحلال منه فهو: الزيادة الناتجة عن الهدية المعروفة بهدية الثواب أو هبة الثواب، وهي: أن يهدي الإنسان هدية يلتمس من المهدى إليه ما هو أفضل منها، فليس له فيها أجر، وليس عليه إثم. بهذا فسر ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة ومجاهد وغيرهم هذه الآية.
=

﴿فأولئك هم المضعفون﴾ ثوابهم بما أرادوه، فيه التفات عن الخطاب. ٤٠﴿الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم﴾ ممن أشركتم بالله ﴿من يفعل من ذلكم من شيء﴾؟ لا ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ به.

٤١﴿ظهر الفساد في البر﴾ أي: القفار، بقحط المطر وقلة النبات ﴿والبحر﴾ أي: البلاد التي على الأنهار، بقلة مائها، [أو: ظهر الفساد، أي: الضلال والفجور والفسوق في كل مكان] ﴿بما كسبت أيدي الناس﴾ من المعاصي ﴿ليذيقهم﴾ بالياء والنون ﴿بعض الذي عملوا﴾ أي: عقوبته ﴿لعلهم يرجعون﴾ يتوبون.

٤٢﴿قل﴾ لكفار مكة ﴿سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين﴾ فأهلكوا بإشراكهم، ومساكنهم ومنازلهم خاوية.

٤٣﴿فأقم وجهك للدين القيم﴾ دين الإسلام ﴿من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله﴾ هو: يوم القيامة ﴿يومئذ يصدعون﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد، [أي:] يتفرقون بعد الحساب، إلى الجنة والنار.

٤٤﴿من كفر فعليه كفره﴾ [أي:] وبال كفره، وهو: النار ﴿ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون﴾ يوطئون منازلهم في الجنة.

٤٥﴿ليجزي﴾ متعلق بـ «يصدعون» ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله﴾ يثيبهم ﴿إنه لا يحب الكافرين﴾ أي: يعاقبهم. ٤٦﴿ومن آياته﴾ تعالى ﴿أن يرسل الرياح مبشرات﴾ بمعنى: لتبشركم بالمطر ﴿وليذيقكم﴾ بها.

فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلُۚ كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّشۡرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ ٱلۡقَيِّمِ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۖ يَوۡمَئِذٖ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٖ وَلِيُذِيقَكُم

= وأخرج البخاري في صحيحه عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها»، فلا يحرم إهداء شيء التماساً لما هو أفضل منه، والآية الكريمة لا تفيد تحريم هذا النوع من الهدية أو الهبة، بل هي حث على طلب الأفضل بجعل الهدية خالصة لوجه الله تعالى، هذا في حق جميع الأمة إلا رسول الله ﷺ، فقد نهاه الله تعالى عن ذلك بقوله في سورة «المدثر»: ﴿ولا تمنن تستكثر﴾ أي: لا تعط شيئاً فتطلب أكثر منه، وهذا خاص بنبينا محمد ﷺ لأنه مخصوص بأحسن الأخلاق وأشرف الآداب.

والهدية الخالصة لوجه الله تعالى هي من أخلاق المسلمين، فقد حث النبي ﷺ على التهادي لأنه يقوي المحبة بين المسلمين فقال: «تهادُوا تحابُّوا» رواه النسائي وأبو يعلى بسند جيد، وحسنه الحافظ ابن حجر، قال الإمام الغزالي: وقبول الهدية سُنَّة، لكن الأولى ترك ما فيه منَّة.

ويجب الحذر في باب الهدية على كل ذي سلطان، فكثيراً ما تُقَدَّم الرشاوى وتؤكل تحت اسم «الهدية»، ففي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «لعن الله الراشي والمرتشي في الحكم» رواه أحمد والترمذي، وفي رواية أخرى لأحمد: «لعن الله الراشي والمرتشي والرائش الذي يمشي بينهما» أي: الواسطة في ذلك.

﴿من رحمته﴾ المطر والخصب ﴿ولتجري الفلك﴾ السفن بها ﴿بأمره﴾ بإرادته ﴿ولتبتغوا﴾ تطلبوا ﴿من فضله﴾ الرزق بالتجارة في البحر ﴿ولعلكم تشكرون﴾ هذه النعم، يا أهل مكة، فتوحدونه. ٤٧﴿ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم فجاؤوهم بالبينات﴾ بالحجج الواضحات، على صدقهم في رسالتهم إليهم، فكذبوهم ﴿فانتقمنا من الذين أجرموا﴾ أهلكنا الذين كذبوهم ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ على الكافرين، بإهلاكهم وإنجاء المؤمنين.

٤٨﴿الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً﴾ تزعجه [وتحركه] ﴿فيبسطه في السماء كيف يشاء﴾ من قلة وكثرة

مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ

﴿ويجعله كسفاً﴾ بفتح السين وسكونها، قطعاً متفرقة ﴿فترى الودق﴾ المطر ﴿يخرج من خلاله﴾ أي: وسطه ﴿فإذا أصاب به﴾ بالودق ﴿من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون﴾ يفرحون بالمطر.

٤٩﴿وإن﴾ وقد ﴿كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله﴾ تأكيد ﴿لمبلسين﴾ آيسين من إنزاله.

٥٠﴿فانظر﴾ [أيها المخاطب، نظر استبصار واستدلال] ﴿إلى أثر﴾ وفي قراءة: «آثار» ﴿رحمة الله﴾ أي: نعمته بالمطر ﴿كيف يحيي الأرض بعد موتها﴾ أي: يبسها، بأن تُنْبِتَ ﴿إن ذلك﴾ المحيي الأرض ﴿لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير﴾.

٥١﴿ولئن﴾ لام قسم ﴿أرسلنا ريحاً﴾ مُضِرَّةً على نباتٍ ﴿فرأوه مصفراً لظلوا﴾ [أي:] صاروا، جواب القسم ﴿من بعده﴾ أي: بعد اصفراره ﴿يكفرون﴾ يجحدون النعمة عليهم بالمطر. ٥٢﴿فإنك لا تسمع الموتى[1] ولا تسمع الصم

---

(١) قوله تعالى: ﴿فإنك لا تسمع الموتى﴾، اختلفوا في سماع الأموات، فقال بعضهم بسماعهم وفهمهم كلام الأحياء، واستدلوا على ذلك بحديث سؤال الملكين في القبر الذي رواه الشيخان وفيه: «حتى إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان» ـ تقدم نصه ص ٣٣٤ ـ، وبقوله ﷺ للصحابة الذين قالوا له وهو يخاطب قتلى بدر أتخاطب أقواماً قد جيفوا؟: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكن لا ينطقون» رواه الشيخان وغيرهما.

وقالت السيدة عائشة، وعدد كبير من العلماء، منهم القاضي عياض المالكي، وأبو يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي، وغيرهم: إن الأموات لا يسمعون، واستدلوا بالآية الكريمة وأمثالها التي تصرح بذلك، وخصوا الحديث الأول بأول الوضع في القبر مقدمة للسؤال، جمعاً بينه وبين الآية التي شُبِّهَ الكفارُ فيها بالموتى، لإفادة بُعْدِ سماعهم، الذي هو فرعُ عدمِ سماع الموتى، وقالوا في حديث قتلى بدر: إن ذلك معجزة للنبي ﷺ، ففي صحيح البخاري عن قتادة السَّدوسي قال: أحياهم الله تعالى حتى أسمعهم قوله ﷺ توبيخاً وحسرة وندماً.

وقد اتفق فقهاء الحنفية على أن الميت لا يسمع ولا يفهم، فالصحيح: أن الأموات لا يسمعون، إلاَّ في الحالات التي أثبتت الأحاديث النبوية سماعهم فيها خاصة، كما جاء في الحديثين المذكورين وغيرهما من الأحاديث، ارجع إلى ص ١٩٨.

الدعاء إذا﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية بينها وبين الياء ﴿ولوا مدبرين﴾. ٥٣﴿وما أنت بهاد العمي﴾ [أي: لا تستطيع أن تخلق في قلوبهم الهداية] ﴿عن ضلالتهم إن﴾ ما ﴿تسمع﴾ سماع إفهام وقبول ﴿إلا من يؤمن بآياتنا﴾ القرآن ﴿فهم مسلمون﴾ مخلصون بتوحيد الله. ٥٤﴿الله الذي خلقكم من ضعف﴾ ماء مهين ﴿ثم جعل من بعد ضعف﴾ آخر، وهو ضعف الطفولية ﴿قوة﴾ أي: قوة الشباب ﴿ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة﴾ ضعف الكِبَر، وشيب الهَرَم، و«الضعف» في الثلاثة: بضم أوله وفتحه، [وهما قراءتان سبعيتان] ﴿يخلق ما يشاء﴾ من الضعف والقوة، والشباب والشيبة ﴿وهو العليم﴾ بتدبير خلقه ﴿القدير﴾ على ما يشاء.

٥٥﴿ويوم تقوم الساعة يقسم﴾ يحلف ﴿المجرمون﴾ الكافرون ﴿ما لبثوا﴾ في القبور[1]، [أو: في حياتهم الدنيا] ﴿غير ساعة﴾ قال تعالى: ﴿كذلك كانوا يؤفكون﴾ يُصرفون عن الحق: «البعث»، كما صُرفوا عن الحق: «الصدق في مدة اللبث»، [في القبور، أو: في الدنيا].

٥٦﴿وقال الذين أوتوا العلم والإيمان﴾ من الملائكة وغيرهم ﴿لقد لبثتم في كتاب الله﴾ فيما كتبه في سابق علمه ﴿إلى يوم البعث فهذا يوم البعث﴾ الذي أنكرتموه [في الدنيا] ﴿ولكنكم كنتم لا تعلمون﴾ وقوعه، [أي: كنتم جاحدين منكرين].

٥٧﴿فيومئذ لا ينفع﴾ بالياء والتاء ﴿الذين ظلموا معذرتهم﴾ في إنكارهم له ﴿ولا هم يستعتبون﴾ لا يطلب منهم العتبى، أي: الرجوع إلى ما يرضي الله.

٥٨﴿ولقد ضربنا﴾ جعلنا ﴿للناس في هذا القرآن من كل مثل﴾ تنبيهاً لهم ﴿ولئن﴾ لام قسم ﴿جئتهم﴾ يا محمد ﴿بآية﴾ مثل العصا واليد لموسى ﴿ليقولن﴾ حذف منه نون[2] الرفع لتوالي النونات، والواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين [اقرأ التعليق] ﴿الذين كفروا﴾ منهم ﴿إن﴾ ما ﴿أنتم﴾ أي: محمد وأصحابه ﴿إلا مبطلون﴾ أصحاب أباطيل.

٥٩﴿كذلك يطبع الله على

ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ

(١) قوله: «في القبور»، هذا أحد وجهين، والآخر هو لبثهم في الدنيا، أي: أعمارهم، وهذا هو الأقوى الذي يؤيده قوله تعالى بعد ذلك: ﴿وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث﴾ ولأن في الوجه الأول تعارضاً بين معنى الآية على أساسه، وبين ما ثبت من صحاح الأحاديث في عذاب القبر. ارجع إلى تعليقنا حوله ص ٣٣٤.

(٢) قوله: «حذف منه نون الرفع.. إلخ»، هذا سبق قلم من المؤلف الجلال المحلي رحمه الله، لأن اللام الثانية في «ليقولَنّ» مفتوحة باتفاق القراء، فهي للغائب المفرد، والصواب أن يقول: هو فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، و«الذين» فاعله.

قلوب الذين لا يعلمون﴾ التوحيد [في كل آن]، كما طبع على قلوب هؤلاء. ٦٠ ﴿فاصبر إن وعد الله﴾ بنصرك عليهم ﴿حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون﴾ بالبعث، أي: لا يحملنّك على الخفة والطيش، بترك الصبر، أي: لا تتركنه.

﴿سُورَةُ لُقْمَانَ﴾

(مكية، إلا: «ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام» الآيتين . . . فمدنيتان وهي أربع وثلاثون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿الم﴾ الله أعلم بمراده به. ﴿تلك﴾ أي: هذه الآيات ﴿آيات الكتاب﴾ القرآن ﴿الحكيم﴾ ذي الحكمة، والإضافة بمعنى «من». ٣ هو ﴿هدى ورحمة﴾ بالرفع ﴿للمحسنين﴾ وفي قراءة العامة، [أي: ما عدا حمزة من السبعة]، بالنصب حالاً من «الآيات»، العامل فيها ما في «تلك» من معنى الإشارة. ٤ ﴿الذين يقيمون الصلاة﴾ بيان «للمحسنين» ﴿ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون﴾ «هم» الثاني تأكيد. ٥ ﴿أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾ الفائزون. ٦ ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث﴾[1] أي: ما يُلهي منه عما يَعْنِي ﴿ليضل﴾ بفتح الياء وضمها ﴿عن سبيل الله﴾ طريق الإسلام ﴿بغير علم ويتخذها﴾ بالنصب عطفاً على «يضل»، وبالرفع عطفاً على «يشتري» ﴿هزواً﴾ [بضم الزاي وسكونها مهموزاً، وبضم الزاي وإبدال الهمزة واواً، أي:] مهزوءاً بها ﴿أولئك لهم عذاب مهين﴾ ذو إهانة.

سورة لقمان ٣١

قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

(٣١) سُورَةُ لُقْمَانَ مَكِّيَّة وَآيَاتُهَا أَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾

---

(١) قوله تعالى: ﴿لهو الحديث﴾ قال ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما وغيرهما هو: الغناء، وقال آخرون: هو الغناء والمزامير. وعلى كل حال فلن ندخل في تفصيل حكم الغناء أو آلات اللهو، لأن الكلام فيه يطول، ولكننا نكتفي بالإشارة إلى ما نحن فيه من فساد تساهم في انتشاره الأغنيات وآلات اللهو، أي: المعازف المعروفة، فنقول أولاً: إن الغناء، في هذا العصر، ألفاظه بذيئة، سخيفة، يخجل العاقل من سماعها فضلاً عن ترديدها أو التغني بها، وثانياً: إن العالم كله اليوم غارق في أمواج بحار الموسيقى والغناء، فأي خير جناه الناس من ذلك؟ ثم أليس استغراق «المطروب» في «طربه»، يشلُّ نشاطه ويقضي على همته واندفاعه إلى العمل، ويغرق قلبه في «الغفلة»؟ ثالثاً: لو أن أجهزة الإعلام سخرت هذا الوقت المهدور، لتعليم الناس الخير وحملهم على فعله، ألا يكون ذلك أصلح للناس وأنفع؟، رابعاً: إن هذا الذي يسمى اليوم بـ «الفنّ» من غناء، ورقص، وتمثيل، وعزف، لم يكن في عصر من العصور أكثر انتشاراً وضرراً منه في عصرنا، فماذا يقدّم المغنون والمغنيات لأمتهم من الخير؟ وماذا تنفع «التمثيليات والمسرحيات» التي تدّعي الإصلاح، وإثمها أكبر من نفعها؟. خامساً: إن مما يؤلم القلوب حقاً أن يقوم كثير من حكام المسلمين، بتشجيع هؤلاء الساقطين والساقطات من الفنانين والفنانات، بكل وسائل التشجيع وأسبابه، فوضعوا في تصرفهم أجهزة الإعلام والأموال الطائلة، وأغدقوا عليهم الهدايا والألقاب، بينما كبار العلماء والفقهاء والمفكرين والباحثين مهجورون متروكون في عالم النسيان، بل والاضطهاد أحياناً. ارجع إلى تعليقنا حول «الرقص» ص ٢٣٢.

٧ ﴿وإذا تتلى عليه آياتنا﴾ القرآن ﴿ولّى مستكبراً﴾ متكبراً ﴿كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقراً﴾ صمماً، وجملتا التشبيه حالان من ضمير «ولّى»، أو: [الجملة] الثانية بيان للأولى ﴿فبشره﴾ أعلمه ﴿بعذاب أليم﴾ مؤلم، وذِكْرُ البشارة تهكم به، وهو: النضر بن الحارث، كان يأتي الحيرة يتّجر، فيشتري كتب أخبار الأعاجم، ويحدث بها أهل مكة ويقول: إن محمداً يحدثكم أحاديث عاد وثمود، وأنا أحدثكم أحاديث فارس والروم، فيستملحون حديثه، ويتركون استماع القرآن.

٨ ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم﴾. ٩ ﴿خالدين فيها﴾ حال مقدرة، أي: مقدَّراً خلودهم فيها إذا دخلوها ﴿وعد الله حقاً﴾ أي: وعدهم الله ذلك، وحقّه حقاً ﴿وهو العزيز﴾ الذي لا يغلبه شيء، فيمنعه من إنجازه وعده ووعيده ﴿الحكيم﴾ الذي لا يضع شيئاً إلا في محله.

١٠ ﴿خلق السماوات بغير عمد ترونها﴾ أي: العَمَد، جمع «عماد» وهو: الأسطوانة، وهو صادق بأنه لا عمد أصلاً، [وقد تقدم بيان ذلك، في تفسير الآية الثانية من سورة «الرعد» ص ٣٢٠] ﴿وألقى في الأرض رواسي﴾ جبالاً مرتفعة لـ ﴿أن﴾ لا ﴿تميد﴾ تتحرك ﴿بكم وبث﴾ [خلق ونشر] ﴿فيها من كل دابة وأنزلنا﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿من السماء﴾ [أي: السحاب] ﴿ماءً فأنبتنا﴾ [به] ﴿فيها من كل زوج كريم﴾ صنف حسن.

١١ ﴿هذا خلق الله﴾ أي: مخلوقه ﴿فأروني﴾ أخبروني يا أهل مكة ﴿ماذا خلق الذين من دونه﴾ غيره؟ أي: آلهتكم، ؟ حتى أشركتموها به تعالى؟ و «ما» استفهام إنكار مبتدأ، و «ذا» بمعنى الذي بصلته خبره، و «أروني» معلّق عن العمل لفظاً، [عامل مَحَلاًّ]، وما بعده سدَّ مسدَّ المفعولين ﴿بل﴾ للانتقال ﴿الظالمون في ضلال مبين﴾ بيّن بإشراكهم، وأنتم منهم.

١٢ ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾ منها: العلم، والديانة، والإصابة في القول. وحِكَمُهُ كثيرة مأثورة، كان يفتي قبل بعثة داود، وأدرك بعثته، وأخذ عنه العلم، وترك الفتيا [بعد بعثة داود]، وقال في ذلك: ألا أكتفي إذا كُفيتُ؟ وقيل له: أيُّ الناس شر؟ قال: الذي لا يبالي إن رآه الناس مسيئاً، [والصحيح أنه لم يكن نبياً، بل كان مؤمناً حكيماً، هذا قول جمهور السلف وأهل التأويل، وما نقل عن عكرمة مولى ابن عباس من أنه نبي، فغير ثابت] ﴿أن﴾ أي: وقلنا له أن ﴿اشكر لله﴾ على ما أعطاك من الحكمة ﴿ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه﴾ لأن ثواب شكره له ﴿ومن كفر﴾ النعمة ﴿فإن الله غني﴾ عن خلقه ﴿حميد﴾ محمود في صنعه. ١٣ ﴿و﴾ اذكر ﴿إذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني﴾ تصغير إشفاق ﴿لا تشرك بالله إن الشرك﴾ بالله ﴿لظلم عظيم﴾ فرجع إليه وأسلم. ١٤ ﴿ووصينا الإنسان بوالديه﴾ أمرناه أن يبرهما.

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ

﴿حملته أمه﴾ فوهنت ﴿وهناً على وهن﴾[1] أي: ضعفتْ للحمل، وضعفتْ للطلق، وضعفتْ للولادة ﴿وفصاله﴾ أي: فطامه ﴿في عامين﴾ وقلنا له ﴿أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير﴾ أي: المرجع.

١٥ ﴿وإن جاهداك[2] على أن تشرك بي ما ليس لك به علم﴾ موافقة للواقع ﴿فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً﴾ أي: بالمعروف: البر والصلة ﴿واتبع سبيل﴾ طريق ﴿من أناب﴾ رجع ﴿إلي﴾ بالطاعة ﴿ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾ فأجازيكم عليه، وجملة الوصية وما بعدها، اعتراض [بين كلام لقمان].

حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ

١٦ ﴿يا بني إنها﴾ أي: الخصلة السيئة ﴿إن تك مثال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض﴾ أي: في أخفى مكان من ذلك ﴿يأت بها الله﴾ فيحاسب عليها ﴿إن الله لطيف﴾ باستخراجها ﴿خبير﴾ بمكانها، [أي: لا تخفى عليه الأشياء، وإن دقت وتضاءلت].

١٧ ﴿يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانْهَ عن المنكر[3] واصبر على ما أصابك﴾ [من الأذى]، بسبب الأمر والنهي ﴿إن ذلك﴾ المذكور ﴿من عزم الأمور﴾ أي: معزوماتها التي يُعزم عليها، لوجوبها.

١٨ ﴿ولا تصعِّر﴾ وفي قراءة: «تصاعر» ﴿خدك للناس﴾ لا تمل وجهك عنهم تكبراً[4] ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً﴾ أي: خيلاء ﴿إن الله لا يحب كل مختال﴾ متبختر في مشيه ﴿فخور﴾ على الناس.

١٩ ﴿واقصد في مشيك﴾ توسط فيه الدبيبَ والإسراع، وعليك، [أي: الزم]، السكينةَ والوقارَ ﴿واغضض﴾ اخفضْ ﴿من صوتك إن أنكر الأصوات﴾ أقبحها ﴿لصوت

---

(١) ولهذا كان حق الأم على الولد أعظم من حق الأب عليه، لما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أمُّك»، قال: ثم من؟ قال: «أمُّك»، قال: ثم من؟ قال: «أمُّك»، قال: ثم من؟ قال: «أبوك».

(٢) قوله تعالى: ﴿وإن جاهداك...﴾ الآية، نزلت هذه الآية من سورة «لقمان» والآية الأخرى وهي الثامنة من سورة «العنكبوت» في سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وأمّه التي جاهدته على أن يكفر بدينه فأبى، وقد بينا ذلك في تعليقنا ص ٥٢١، فارجع إليه.

(٣) قوله تعالى: ﴿وأمر بالمعروف وانْهَ عن المنكر﴾، المعروف هو: ما عرفه الشرع وحدَّده، والمنكر كذلك، وقد بينا ذلك في تعليقنا ص ٨٠.

(٤) قوله «تكبراً» الكبر مرض مهلك من أمراض القلوب، ارجع إلى تعليقنا حول معنى «الكبر» ص ٣٤٨.

الحمير﴾ [أي: نهيقه، لما فيه من العلو المفرط، من غير حاجة، ولو كان شيء يُهاب لصوته، لكان الحمار]، أوله زفير، وآخره شهيق، [أخرج الشيخان وغيرهما، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا سمعتم صياح الديكة، فاسألوا الله من فضله، فإنها رأت مَلَكاً، وإذا سمعتم نهيق الحمار، فاستعيذوا بالله من الشيطان الرجيم، فإنه رأى شيطاناً»]. ٢٠ **﴿ألم تروا﴾** تعلموا يا مخاطبين **﴿أن الله سخر لكم ما في السماوات﴾** من الشمس والقمر والنجوم، لتنتفعوا بها **﴿وما في الأرض﴾** من الثمار والأنهار والدواب **﴿وأسبغ﴾** أوسع وأتم **﴿عليكم نعمه ظاهرة﴾** هي: حسن الصورة، وتسوية الأعضاء، وغير ذلك **﴿وباطنة﴾** هي: المعرفة وغيرها **﴿ومن الناس﴾** أي: أهل مكة [وأمثالهم] **﴿من يجادل في الله بغير علم ولا هدى﴾** من رسول **﴿ولا كتاب منير﴾** أنزله الله، بل [يجادلون] بالتقليد. ٢١ **﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا﴾** قال تعالى: **﴿أ﴾** يتبعونه **﴿ولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير﴾** أي: موجباته، [وهو الكفر؟] لا. ٢٢ **﴿ومن يسلم وجهه إلى الله﴾** أي: يُقْبِلْ على طاعته **﴿وهو محسن﴾** موحد **﴿فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾** بالطرف الأوثق، الذي لا يخاف انقطاعه، [قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي «لا إله إلا الله»] **﴿وإلى الله عاقبة الأمور﴾** مرجعها. ٢٣ **﴿ومن كفر فلا يحزنك﴾** يا محمد **﴿كفره﴾** [أي:] لا تهتم بكفره **﴿إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا إن الله عليم بذات الصدور﴾** أي: بما فيها، كغيره، [أي: مثل علمه بغيره]، فمجاز عليه[1]. ٢٤ **﴿نمتعهم﴾** في الدنيا **﴿قليلاً﴾** أيام حياتهم **﴿ثم نضطرهم﴾** [أي: نلجئهم ونسوقهم] في الآخرة **﴿إلى عذاب غليظ﴾** وهو عذاب النار، لا يجدون عنه محيصاً. ٢٥ **﴿ولئن﴾** لام قسم **﴿سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله﴾** حُذف منه نونُ الرفع، لتوالي الأمثال، وواوُ الضمير، لالتقاء الساكنين، [والجملة جواب القسم] **﴿قل الحمد لله﴾** على ظهور الحجة عليهم بالتوحيد **﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾** وجوبه عليهم.

ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ * وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾

حزب ٤٢

(١) قوله: «فمجاز عليه» أي: على ما في صدوركم من الكفر وما أضمرتموه للنبي ﷺ من عداوة، لأن ذلك قد ثبت في قلوبكم، وصار فيها عقيدة، أما المؤمن: فإن الله تعالى لا يجازيه إلا على ما يملك دفعه من الوسوسة، فما لا يملك دفعه من وسوسة النفس وحديثها لا يؤاخذه به، بل إن كراهية الوسوسة من الإيمان، فقد روى الشيخان وأصحاب السنن، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها، ما لم تتكلم به أو تعمل به»، قال النووي رحمه الله، عقب إيراده هذا الحديث: قال العلماء، المراد به الخواطر التي لا تستقر، قالوا: وسواء كان ذلك الخاطر غيبة أو كفراً أو غيره، فمن خطر له الكفر مجرد خطور، من غير تعمد لتحصيله، ثم صرفه في الحال فليس بكافر ولا شيء عليه. اهـ. وقال المناوي في شرح الجامع الصغير: وإذا لم يحصل كلام ولا عمل، فلا مؤاخذة بحديث النفس، ما لم يبلغ حد الجزم وإلا أوخذ به، حتى لو عزم على ترك واجب أو فعل محرم ولو بعد سنين أثم حالاً. اهـ.

٢٦﴿لله ما في السماوات والأرض﴾ ملكاً [فهو مالكهم]، وخلقاً [فهو خالقهم]، وعبيداً [فهو ربهم]، فلا يستحق العبادة فيهما غيره ﴿إن الله هو الغني﴾ عن خلقه ﴿الحميد﴾ المحمود في صنعه. ٢٧﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحرَ﴾ [بالنصب] عطف على اسم «أن»، [وفي قراءة بالرفع] ﴿يمده من بعده سبعة أبحر﴾ مداداً ﴿ما نفدت كلمات الله﴾ المعبر بها عن معلوماته، بكتبها بتلك الأقلام، بذلك المداد، ولا بأكثر من ذلك، لأن معلوماته تعالى غير متناهية ﴿إن الله عزيز﴾ لا يعجزه شيء ﴿حكيم﴾ لا يخرج شيء عن علمه وحكمته. ٢٨﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾ خلقاً وبعثاً، لأنه بكلمة «كن» فيكون ﴿إن الله سميع﴾ يسمع كل مسموع ﴿بصير﴾ يبصر كل مُبْصَر، لا يَشْغله شيء عن شيء.

لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ

٢٩﴿ألم تر﴾ تعلم يا مخاطب ﴿أن الله يولج﴾ يدخل ﴿الليل في النهار ويولج النهار﴾ يدخله ﴿في الليل﴾ فيزيد كل منهما بما نقص من الآخر ﴿وسخر الشمس والقمر كل﴾ منهما ﴿يجري﴾ في فَلَكِهِ ﴿إلى أجل مسمى﴾ هو: يوم القيامة ﴿وأن الله بما تعملون خبير﴾ [فيجازيكم به].

٣٠﴿ذلك﴾ المذكور ﴿بأن الله هو الحق﴾ الثابت ﴿وأن ما يدعون﴾ بالياء والتاء، [أي:] يعبدون ﴿من دونه﴾ [أي: غير الله من الأصنام، هو] ﴿الباطل﴾ الزائل ﴿وأن الله هو العلي﴾ على خلقه بالقهر ﴿الكبير﴾ العظيم.

٣١﴿ألم تر أن الفلك﴾ السفن ﴿تجري في البحر بنعمة الله ليريكم﴾ يا مخاطبين بذلك ﴿من آياته إن في ذلك لآيات﴾ عبراً ﴿لكل صبار﴾[1] عن معاصي الله ﴿شكور﴾ لنعمته.

٣٢﴿وإذا غشيهم﴾ أي: علا الكفار، [وهم يركبون الفُلك في البحر] ﴿موج كالظلل﴾ كالجبال التي تظل من تحتها، [قاله مقاتل، وقال قتادة السَّدوسي: كالسحاب، جمع «ظُلَّة»] ﴿دعوا الله مخلصين له الدين﴾ أي: الدعاء[2] بأن ينجيهم، أي: لا يدعون معه غيره ﴿فلما نجاهم إلى البر فمنهم

---

(١) قوله تعالى: ﴿لكل صبّار﴾، هذه صيغة مبالغة من «صابر»، ارجع إلى «معاني الصبر» في تعليقنا ص ٦٠٧.

(٢) قوله: «أي: الدعاء»، ارجع إلى تعليقنا حول «فضل الدعاء وشروطه» ص ٦٢٦، و «الدعاء بالمكروه» ص ٢٦٧ و «الدعاء للكافر والاستغفار له» ص ٢٦١.

مقتصد﴾[1] متوسط بين الكفر والإيمان، ومنهم باق على كفره ﴿وما يجحد بآياتنا﴾ ومنها الإنجاء من الموج ﴿إلا كل ختار﴾ غدار، [و «الخَتْر»: أسوأ الغدر] ﴿كفور﴾ لنعم الله تعالى.

٣٣﴿يا أيها الناس﴾ أي: أهل مكة [وغيرهم] ﴿اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزي﴾ يغني ﴿والد عن ولده﴾ فيه شيئاً ﴿ولا مولود هو جاز عن والده﴾ فيه ﴿شيئاً إن وعد الله حق﴾ بالبعث ﴿فلا تغرنكم﴾ [أي: تخدعنكم] ﴿الحياة الدنيا﴾ عن الإسلام ﴿ولا يغرنكم بالله﴾ في حلمه وإمهاله ﴿الغرور﴾ الشيطان.

مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾

(٣٢) سُورَةُ السَّجْدَةِ مَكِّيَّة وَآيَاتُهَا ثَلَاثُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ

٣٤﴿إن الله عنده علم الساعة﴾[2] متى تقوم ﴿وينزل﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿الغيث﴾ بوقت يعلمه ﴿ويعلم ما في الأرحام﴾ أذكر [هو] أم أنثى؟ ولا يعلم واحداً من الثلاثة، غير الله تعالى ﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غداً﴾ من خير أو شر، ويعلمه الله تعالى ﴿وما تدري نفس بأي أرض تموت﴾ ويعلمه الله تعالى ﴿إن الله عليم﴾ بكل شيء ﴿خبير﴾ بباطنه كظاهره، روى البخاري عن ابن عمر حديث: «مفاتح الغيب خمسة: إن الله عنده علم الساعة» إلى آخر السورة، [وفي هذه الآية، إشارةٌ إلى إبطال الكهانة والنّجامة وما شاكلهما، وتحذيرٌ للأمة، عن إتيان مَنْ يدَّعي علم الغيب].

﴿ سُورَةُ السَّجْدَةِ ﴾[3]

(مكية، ثلاثون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١﴿الم﴾ الله أعلم بمراده به.

٢﴿تنزيل الكتاب﴾ القرآن [وهو] مبتدأ [قوله:] ﴿لا ريب﴾ [أي: لا] شك ﴿فيه﴾ خبر أول ﴿من رب

---

(١) قوله تعالى: ﴿مقتصد﴾، إن ما ذكره المؤلف الجلال المحلي رحمه الله، هو أحد الأقوال في معنى «مقتصد» في هذه الآية، وقد فسره مجاهد بن جبر رحمه الله بـ «كافر»، والأوضح هو تفسير «المقتصد» ههنا بـ «الجاحد» وسياق الآية يؤيده.

(٢) قوله تعالى: ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾ الآية، هذه مفاتح الغيب التي لا يعلمها إلا الله تعالى. ارجع إلى تعليقنا حولها ص ١٧١.

(٣) لقد بينا ما يتعلق بسجود التلاوة، في تعليقنا ص ٢٢٦.

﴿العالمين﴾ خبر ثان. ٣ ﴿أم﴾ بل ﴿يقولون افتراه﴾ محمد، [أي: اختلقه، وجاء به من عند نفسه؟] لا ﴿بل هو الحق من ربك لتنذر﴾ به ﴿قوماً ما﴾ نافية ﴿أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون﴾ بإنذارك. ٤ ﴿الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام﴾ أولها الأحد، وآخرها الجمعة[1] ﴿ثم استوى على العرش﴾ وهو في اللغة: سرير المَلِك، استواءً يليق به [و «ثم» هنا ليست للترتيب، بل هي بمعنى الواو] ﴿ما لكم﴾ يا كفار مكة ﴿من دونه﴾ أي: غيره ﴿من ولي﴾ اسم «ما» بزيادة «من»، أي: ناصر ﴿ولا شفيع﴾ يدفع عذابه عنكم ﴿أفلا تتذكرون﴾ هذا، فتؤمنون؟ ٥ ﴿يدبر﴾ [الله تعالى] ﴿الأمر﴾ [أي: أمر الخلق، قال ابن كثير: فينزل أمره] ﴿من السماء إلى الأرض﴾، مدة الدنيا، [أي: مدة بقائها، وقال ابن عباس: يُنزِلُ القضاءَ والقدرَ] ﴿ثم يعرج﴾ يرجع الأمر والتدبير ﴿إليه﴾ [بعد انقضاء الدنيا] ﴿في يوم﴾ [أي: وقت من الزمان] ﴿كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾ في الدنيا، وفي سورة «سأل [سائل]»: «﴿في يوم كان مقداره﴾ خمسين ألف سنة»، وهو: يوم القيامة، لشدة أهواله بالنسبة إلى الكافر، وأما المؤمن، فيكون أخفَّ عليه من صلاة مكتوبة يُصَلِّيها في الدنيا، كما جاء في الحديث[2]. ٦ ﴿ذلك﴾ الخالق المدبر ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ أي: ما غاب عن الخلق، وما حضر ﴿العزيز﴾ المنيع في ملكه ﴿الرحيم﴾ بأهل طاعته. ٧ ﴿الذي أحسن﴾ [أتقن وأحكم] ﴿كل شيء خَلَقَهُ﴾ بفتح اللام، فعلاً ماضياً، صفة لـ «شيء»، وبسكونها بدل اشتمال ﴿وبدأ خلق الإنسان﴾ آدم ﴿من طين﴾. ٨ ﴿ثم جعل نسله﴾ ذريته ﴿من سلالة﴾ [أوَّلُها نطفة، ثم] علقة، [ثم مُضغة] ﴿من ماء مهين﴾، ضعيف، هو: النطفة. ٩ ﴿ثم سواه﴾ أي: خلق آدم ﴿ونفخ فيه من روحه﴾[3] أي: جعله حياً حساساً، بعد أن كان جماداً ﴿وجعل لكم﴾ أي: لذريته ﴿السمع﴾ بمعنى الأسماع ﴿والأبصار والأفئدة﴾ القلوب ﴿قليلاً ما تشكرون﴾ «ما» زائدة مؤكدة للقلة.

١٠ ﴿وقالوا﴾ أي: منكرو البعث ﴿أءذا ضللنا في الأرض﴾ غبنا فيها، بأن صرنا تراباً مختلطاً بترابها ﴿أءنا لفي خلق جديد؟﴾ استفهام إنكاري، بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما [وتركه]، على الوجهين، في الموضعين، قال تعالى ﴿بل هم

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم

---

(١) قوله: «أولها الأحد وآخرها الجمعة»، لو قال الجلال المحلي هنا ما قاله في تفسير الآية «٥٩» من سورة «الفرقان» ص ٤٧٧ لكان أحسن، أي: «في قدرها لأنه لم يكن ثَمَّ شمس»، ارجع إلى تعليقنا حول «خلق السماوات والأرض» ص ٦٣٠ حيث بينا ذلك مع الأدلة.

(٢) قوله: «كما جاء في الحديث»، أي: الذي رواه أحمد وأبو يعلى في مسنديهما، وسيأتي نصه مع ما يتعلق به في تعليقنا ص ٧٦٥.

(٣) قوله تعالى: ﴿من روحه﴾، أي: من الروح التي هو خالقها ومالكها، ارجع إلى تعليقنا حول «معاني الروح» ص ٣٧٦.

بلقاء ربهم﴾ بالبعث ﴿كافرون﴾. ١١ ﴿قل﴾ لهم ﴿يتوفاكم ملك الموت الذي وكِّل بكم﴾ أي: بِقَبْضِ أرواحكم ﴿ثم إلى ربكم ترجعون﴾ أحياء، فيجازيكم بأعمالكم. ١٢ ﴿ولو ترى إذ المجرمون﴾ [أي:] الكافرون ﴿ناكسو رؤوسهم عند ربهم﴾ مطأطئوها حياء، يقولون ﴿ربنا أبصرنا﴾ ما أنكرنا من البعث ﴿وسمعنا﴾ منك تصديق الرسل، فيما كذبناهم فيه ﴿فارجعنا﴾ إلى الدنيا ﴿نعمل صالحاً﴾ فيها ﴿إنا موقنون﴾ الآن، فما ينفعهم ذلك، ولا يرجعون، وجواب «لو» [محذوف، تقديره:] لرأيت أمراً فظيعاً، ١٣ قال تعالى ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾ فتهتدي بالإيمان والطاعة، باختيار منها، [وقيل: لو شئتُ لهديتُ الناس جميعاً] ﴿ولكن حق القول مني﴾ وهو ﴿لأملأن جهنم من الجنة﴾ الجن ﴿والناس أجمعين﴾ [أي: الكافرين من الثقلين]

بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا

١٤ وتقول لهم الخزنة، إذا دخلوها: ﴿فذوقوا﴾ العذاب ﴿بما نسيتم لقاء يومكم هذا﴾ أي: بترككم الإيمان به ﴿إنا نسيناكم﴾ تركناكم في العذاب ﴿وذوقوا عذاب الخلد﴾ الدائم ﴿بما كنتم تعملون﴾ من الكفر والتكذيب. ١٥ ﴿إنما يؤمن[1] بآياتنا﴾ القرآن ﴿الذين إذا ذكروا﴾ وُعظوا ﴿بها خروا سجداً وسبحوا﴾ متلبسين ﴿بحمد ربهم﴾ أي: قالوا «سبحان الله وبحمده» ﴿وهم لا يستكبرون﴾ عن الإيمان والطاعة. ١٦ ﴿تتجافى[2] جنوبهم﴾ ترتفع ﴿عن المضاجع﴾ مواضع الاضطجاع بفُرُشها، لصلاتهم بالليل تهجداً ﴿يدعون ربهم خوفاً﴾ من عقابه ﴿وطمعاً﴾ في رحمته ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ يتصدقون. ١٧ ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي﴾ خبىء ﴿لهم من قرة أعين﴾ ما تقر به أعينهم، وفي قراءة: بسكون الياء، مضارع ﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾. ١٨ ﴿أفمن كان مؤمناً

---

(١) قوله تعالى: ﴿إنما يؤمن بآياتنا...﴾، الآية ارجع إلى تعليقنا حول «سجود التلاوة» ص ٢٢٦.

(٢) قوله تعالى: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع..﴾ الآية، روى الترمذي، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن هذه الآية نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى «العَتَمَة» أي: صلاة العشاء، ولكن جمهور المفسرين على أن هذه الآية في صلاة الليل، وهو قول مالك والأوزاعي ومجاهد وغيرهم، فقد أخرج أبو داود والترمذي وقال فيه: «حديث حسن صحيح»، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال له: «ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جُنَّة ــ أي: وقاية ــ، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل» ثم تلا ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع..﴾ حتى بلغ ﴿يعملون﴾.

وقد جاء في الحث على قيام الليل والتهجد فيه أحاديث كثيرة، منها ما رواه الشيخان، عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر ــ أي: تتشقق ــ قدماه فقلت له: لم تصنع هذا يا رسول الله، وقد غُفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً»، وقال ﷺ: «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل» رواه مسلم، وقال رسول الله ﷺ: «رحم الله رجلاً قام في الليل فصلى وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء» رواه أبو داود بإسناد صحيح، و «نضح الماء» أي برفق ليصحو النائم من نومه.

كمن كان فاسقاً﴾ [أي: كافراً] ﴿لا يستوون﴾ أي: المؤمنون والفاسقون، [أخرج الواحدي عن ابن عباس، وابن جرير عن عطاء بن يسار قالا: نزلت هذه الآية، في علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والوليد بن عقبة بن أبي معيط، وذلك أنهما تلاحيا ـ أي: تخاصما ـ فقال له الوليد: أنا أبْسَطُ منك لساناً، وأحدُّ سناناً، وأردّ للكتيبة، فقال له علي: اسكت فإنك فاسق، فنزلت]. ١٩﴿أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلاً﴾ هو: ما يعد للضيف ﴿بما كانوا يعملون﴾. ٢٠﴿وأما الذين فسقوا﴾ بالكفر والتكذيب ﴿فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون﴾. ٢١﴿ولنذيقنهم من

سُورَةُ السَّجْدَةِ ٣٢

كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ

٥٤٧

العذاب الأدنى﴾ عذاب الدنيا: بالقتل، والأسر، والجدب[1] سنين، والأمراض ﴿دون﴾ قبل ﴿العذاب الأكبر﴾ عذاب الآخرة ﴿لعلهم﴾ أي: من بقي منهم ﴿يرجعون﴾ إلى الإيمان.

٢٢﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه﴾ القرآن ﴿ثم أعرض عنها﴾ أي: لا أحد أظلم منه ﴿إنا من المجرمين﴾ أي: المشركين ﴿منتقمون﴾ [لتكذيبهم وإعراضهم].

٢٣﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ التوراة ﴿فلا تكن في مرية﴾ شك ﴿من لقائه﴾ [قال قَتَادةُ السَّدوسي: أي: لقاء موسى] وقد التقيا ليلة الإسراء [وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: من لقاء موسى ربه] ﴿وجعلناه﴾ أي: موسى، [كما رواه الطبراني عن ابن عباس]، أو: الكتاب، [قاله الحسن البصري، وهو الأصح] ﴿هدى﴾ هادياً ﴿لبني إسرائيل﴾.

٢٤﴿وجعلنا منهم أئمة﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ياء، [أي:] قادة ﴿يهدون﴾ الناس ﴿بأمرنا لما صبروا﴾ على دينهم، وعلى البلاء من عدوهم ﴿وكانوا بآياتنا﴾ الدالة على قدرتنا ووحدانيتنا ﴿يوقنون﴾ وفي قراءة: [«لِمَا صبروا»]، بكسر اللام وتخفيف الميم، [أي: لأجل صبرهم كافأناهم].

٢٥﴿إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ من أمر الدين. ﴿أولم يهد لهم كم

---

(١) قوله: «والجدب سنين»، يشير الى الجَدْب الشديد الذي أصاب كفار أهل مكة سبع سنين، بدعاء النبي ﷺ عليهم بقوله: «اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف» رواه البخاري ومسلم، فأجدبوا وقحطوا، حتى أكلوا العظام والميتة، كما سيأتي في سورة «الدخان» ص ٦٥٧.

أهلكنا من قبلهم﴾ أي: [أَوَلَمْ] يتبين لكفار مكة، إهلاكُنا كثيراً ﴿من القرون﴾ الأمم بكفرهم،؟ [كعاد وثمود؟] ﴿يمشون﴾ حال من ضمير «لهم» ﴿في مساكنهم﴾ [أي: ديارهم، وهم] في أسفارهم، إلى الشام وغيرها، ليعتبروا؟ ﴿إن في ذلك لآيات﴾ دلالات على قدرتنا ﴿أفلا يسمعون﴾ سماع تدبر واتعاظ؟

٢٧﴿أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز﴾ اليابسة التي لا نبات فيها ﴿فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون﴾ هذا، فيعلمون أنا نقدر على إعادتهم؟

٢٨﴿ويقولون﴾ للمؤمنين ﴿متى هذا الفتح﴾ بيننا وبينكم، [بانتصاركم علينا كما تقولون]؟ ﴿إن كنتم صادقين﴾ [في قولكم هذا، فبينوه لنا].

٢٩﴿قل يوم الفتح﴾ بإنزال العذاب بهم ﴿لا ينفع الذين كفروا إيمانهم﴾ [لأن الإيمان عند نزول العذاب غير مقبول] ﴿ولا هم ينظرون﴾ يمهلون لتوبة، أو معذرة.

٣٠﴿فأعرض عنهم﴾ [أي: اتركهم ولا تبال بهم] ﴿وانتظر﴾ إنزال العذاب بهم ﴿إنهم منتظرون﴾ بك حادث موت أو قتل، فيستريحون منك، وهذا قبل الأمر بقتالهم.

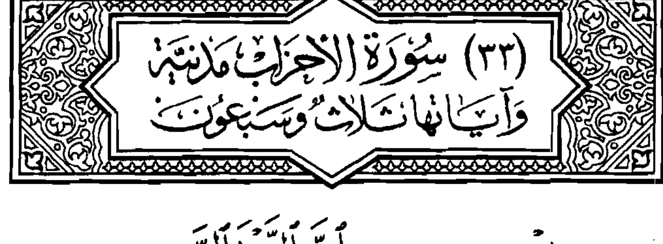
﴿سُورَةُ الأَحْزَابِ﴾(١)

(مدنية، ثلاث وسبعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١﴿يا أيها النبي اتق الله﴾ دُمْ على تقواه ﴿ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾ فيما يخالف شريعتك.

أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ۗ

(١) قوله: «سورة الأحزاب»، الأحزاب: جمع «حزب»، قال في «مختار الصّحاح»، حزب الرجل: أصحابه، والحزب أيضاً: الطائفة، وتحزّبوا: تجمعوا، و «الأحزاب»: الطوائف، أما «الأحزاب» المعنيون في هذه السورة وفي الآيات (٩ ــ ٢٧) منها، فهم قريش ومن تجمع معها من القبائل، كغطفان وأشجع، لمحاربة المسلمين وحصار المدينة، وقد حصل ذلك في السنة الرابعة للهجرة على الصحيح، فقام الرسول ﷺ والمسلمون معه بحفر الخندق، ودام حصارهم على المسلمين قريباً من شهر، حتى أرسل الله تعالى عليهم ريحاً وجنوداً من الملائكة فانصرفوا ﴿وكفى الله المؤمنين القتال﴾.

اقرأ الآيات (٩ حتى ٢٧) فهي غنية عن البيان، وارجع إلى تعليقنا حول«الأحزاب» المضلة عن سبيل الله، والمعروفة في أيامنا ص ١٨٩.

﴿إن الله كان عليماً﴾ بما يكون، قبل كونه ﴿حكيماً﴾ فيما يخلقه. ٢﴿واتبع ما يوحى إليك من ربك﴾ أي: القرآن ﴿إن الله كان بما يعملون﴾ [بالياء] ﴿خبيراً﴾ وفي قراءة بالفوقانية. ٣﴿وتوكل على الله﴾ في أمرك ﴿وكفى بالله وكيلاً﴾ حافظاً لك، وأمتُّك تبعٌ له في ذلك كله، [فهي أيضاً مأمورة بجميع ما تقدم]. ٤﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾ [نزل] رداً على مَنْ قال من الكفار: إن له قلبين يعقل بكل منهما أفضل من عقل محمد ﴿وما جعل أزواجكم اللائي﴾ بهمزة وياء، وبلا ياء ﴿تظّهّرون﴾ بلا ألف قبل الهاء، وبها، والتاء الثانية في الأصل، مدغمة في الظاء ﴿منهن﴾ يقول الواحد مثلاً لزوجته: «أنت عليَّ كظهر أمي» ﴿أمهاتكم﴾ أي: كالأمهات في تحريمها بذلك [القول]، المعدّ في الجاهلية طلاقاً، وإنما تجب به الكفارة بشرطه، كما ذكر في سورة «المجادلة» ﴿وما جعل أدعياءكم﴾[1] جمع «دعيّ»، وهو: من يُدْعى لغير أبيه ابناً له ﴿أبناءكم﴾ حقيقة ﴿ذلكم قولكم بأفواهكم﴾ أي: اليهود والمنافقين، قالوا: لما تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش، التي كانت امرأة زيد بن حارثة، الذي تبناه النبي ﷺ، قالوا: تزوج محمد امرأة ابنه، فأكذبهم الله تعالى في ذلك ﴿والله يقول الحق﴾ في ذلك ﴿وهو يهدي السبيل﴾ سبيل الحق. ٥ لكن ﴿ادعوهم لآبائهم هو أقسط﴾ أعدل ﴿عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم﴾ بنو عمكم ﴿وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به﴾ في ذلك ﴿ولكن﴾ في ﴿ما تعمدت قلوبكم﴾ فيه، وهو بعد النهي ﴿وكان الله غفوراً﴾ لما كان من قولكم قبل النهي ﴿رحيماً﴾ بكم في ذلك، [أخرج البخاري، عن عبد الله بن عمر قال: ما كنا ندعو زيد بن حارثة، إلا زيد بن محمد، حتى نزل القرآن: «ادعوهم لآبائهم»]. ٦﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ فيما دعاهم إليه، ودعتهم أنفسهم إلى خلافه، [أي: على المؤمنين الطاعة، وثمة وجه آخر، يبيّنه ما رواه البخاري، أن النبي ﷺ قال: «ما من مؤمن، إلا وأنا أولى الناس به، في الدنيا والآخرة، اقرأوا إن شئتم: «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم»، فأيّما مؤمن ترك مالاً، فليرثه عصبته مَنْ كانوا، وإن ترك ديناً أو ضَياعاً ـ أي: عيالاً ـ فليأتني فأنا مولاه»، أي: أَسُدُّ دينه، وأكْفُلُ عياله] ﴿وأزواجه أمهاتهم﴾ [أي: المؤمنين]، في حرمة نكاحهن، [ووجوب احترامهن وتعظيمهن] ﴿وأولو الأرحام﴾ ذوو القرابات ﴿بعضهم أولى ببعض﴾ في الإرث ﴿في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين﴾ أي: من الإرث بالإيمان والهجرة، الذي كان أول الإسلام، فَنُسِخَ ﴿إلا﴾ لكن ﴿أن

إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن

---

(١) قوله تعالى: ﴿وما جعل أدعياءكم أبناءكم﴾، أي: لا يصير الدَّعِيُّ ابناً حقيقياً، و «الدَّعِيُّ» هو: شخص معلوم النسب، ادعاه غير أبيه أو انتسب هو إلى غير أبيه، وهذا هو المعروف «بالتبني»، والشائع في عصرنا أن يكون الولد مجهول النسب، فيقوم الزوجان بتسجيله على اسميهما، ويمنحه الرجل نسبه ويتخذه ولداً.
=

تفعلوا إلى أوليائكم﴾ [أي: من توالونه من غير الورثة] ﴿معروفاً﴾ بوصية، فجائز ﴿كان ذلك﴾ أي: نسخُ الإرث بالإيمان والهجرة، بإرث ذوي الأرحام ﴿في الكتاب مسطوراً﴾ وأريد بـ«الكتاب» في الموضعين، «اللوحُ المحفوظ».

٧﴿و﴾ اذكر ﴿إذ أخذنا من النبيين ميثاقهم﴾ حين أُخرجوا من صلب آدم كالذرّ، جمع «ذَرَّة»، وهي: أصغر النمل ﴿ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم﴾ بأن يعبدوا الله، ويدعوا إلى عبادته، وذِكْرُ [هؤلاء] الخمسة، من عطف الخاص على العام، [تفضيلاً لهم] ﴿وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً﴾ شديداً، بالوفاء بما حُمِّلُوه، وهو اليمين بالله تعالى.

٨ ثمّ أَخَذَ الميثاق ﴿ليسأل﴾ الله ﴿الصادقين﴾ [أي: المرسلين، الذين هم كذلك] ﴿عن صدقهم﴾ في تبليغ الرسالة، تبكيتاً [ــ أي: إلزاماً بالحجة ــ] للكافرين بهم، [وهذا كقوله تعالى: «ولنسألن المرسَلين»] ﴿وأعد﴾ تعالى ﴿للكافرين﴾ بهم ﴿عذاباً أليماً﴾ مؤلماً، هو عطف على «أخذنا».

٩﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود﴾ من الكفار متحزبون، أيام حفر الخندق، [حيث أقبلوا في عشرة آلاف] ﴿فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها﴾ من الملائكة، [فانصرفوا من غير قتال] ﴿وكان الله بما تعملون﴾ ــ بالتاء، من حفر الخندق، وبالياء، من تحزيب المشركين ﴿بصيراً﴾.

١٠﴿إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم﴾ من أعلى الوادي وأسفله، من المشرق والمغرب ﴿وإذ زاغت الأبصار﴾ مالت عن كل شيء، إلى عدوها، من كل جانب ﴿وبلغت القلوب الحناجر﴾ ــ جمع «حنجرة»، وهي: منتهى الحلقوم، من شدة الخوف ﴿وتظنون بالله الظنونا﴾ المختلفة، بالنصر واليأس.

١١﴿هنالك ابتُلي المؤمنون﴾ اختُبِروا، ليتبيّن المخلص من غيره ﴿وزلزلوا﴾ حُرِّكوا ﴿زلزالاً شديداً﴾ من شدة الفزع. ١٢﴿و﴾ اذكر ﴿إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض﴾ ضعف اعتقاد ﴿ما وعدنا الله ورسوله﴾ بالنصر ﴿إلا غروراً﴾ باطلاً. ١٣﴿وإذ قالت

تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت

= والتبني حرام بعد نزول هذه الآية وباطل، ولا تجوز نسبة إنسان عمداً إلى غير أبيه وأمه، أما ظن بعض الناس أن التبني عمل صالح وخدمة إنسانية، فهو خطأ، سببه أن هؤلاء لا يفرقون بين التبني المحرم وتربية طفل وكفالته لوجه الله تعالى، من غير أن يعطوه نسبهم، فالذي حرمه الله هو التبني، أي: اتخاذ اللقيط ــ أو غيره ــ ولداً، أما تربيته أو كفالته، فإنها عمل صالح، تدخل في قوله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» وأشار بالسبابة والوسطى، وفرَّج بينها، رواه البخاري.

طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ

طائفة منهم﴾ أي: المنافقين ﴿يا أهل يثرب﴾ هي: أرض المدينة، ولم تُصرف، للعلمية ووزن الفعل، [فهي على وزن «يَفْعِل» بكسر العين، كـ «يضرب»] ﴿لا مقام لكم﴾ بضم الميم وفتحها، أي: لا إقامة ولا مكانة ﴿فارجعوا﴾ إلى منازلكم من المدينة، وكانوا خرجوا مع النبي ﷺ إلى «سَلْع» ـ جبل خارج المدينة ـ للقتال ﴿ويستأذن فريق منهم النبي﴾[1] في الرجوع ﴿يقولون إن بيوتنا عورة﴾ غير حصينة، يخشى عليها، قال تعالى: ﴿وما هي بعورة إن﴾ ما ﴿يريدون إلاَّ فراراً﴾ من القتال.

١٤ ﴿ولو دُخلت﴾ أي: المدينة ﴿عليهم من أقطارها﴾ نواحيها ﴿ثم سئلوا﴾ أي: سألهم الداخلون ﴿الفتنة﴾ الشرك ﴿لآتوها﴾ بالمد والقصر، أي: أعطوها وفعلوها ﴿وما تلبثوا بها إلاَّ يسيراً﴾ [حتى يهلكهم الله تعالى].

١٥ ﴿ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسؤولاً﴾ عن الوفاء به.

١٦ ﴿قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذاً﴾ إن فررتم ﴿لا تمتعون﴾ في الدنيا بعد فراركم ﴿إلاَّ قليلاً﴾ بقية آجالكم.

١٧ ﴿قل من ذا الذي يعصمكم﴾ يجيركم ﴿من الله إن أراد بكم سوءاً﴾ هلاكاً وهزيمة ﴿أو﴾ يصيبكم بسوء إن ﴿أراد﴾ الله ﴿بكم رحمة﴾ خيراً؟ ﴿ولا يجدون لهم من دون الله﴾ غيره ﴿ولياً﴾ ينفعهم ﴿ولا نصيراً﴾ يدفع الضر عنهم.

١٨ ﴿قد[2] يعلم الله المعوقين﴾ المثبطين ﴿منكم﴾ [وهم: المنافقون] ﴿والقائلين لإخوانهم هلمَّ﴾ تعالوا ﴿إلينا ولا يأتون البأس﴾ القتال ﴿إلا قليلاً﴾ رياء وسمعة. ١٩ ﴿أشحة عليكم﴾ بالمعاونة، جمع «شحيح»، وهو حال من ضمير «يأتون» ﴿فإذا جاء الخوف رأيتهم

---

(١) قوله تعالى: ﴿ويستأذن فريق منهم النبي. .﴾، أخرج البيهقي وأبو نعيم في «الدلائل» والحاكم وغيرهم، عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: لقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافون قعوداً، وأبو سفيان ومن معه من الأحزاب فوقنا، وقريظة أسفل منا، نخافهم على ذرارينا، وما أتت قط علينا ليلة أشد ظلمة ولا أشد ريحاً منها، أصوات ريحها أمثال الصواعق، وهي ظلمة ما يرى أحد منا أصبعه، فجعل المنافقون يستأذنون النبي ﷺ: إن بيوتنا عورة ـ أي: مكشوفة للعدو ـ وما هي بعورة، فما يستأذن أحد منهم إلاَّ أذن له فيتسللون، إذ استقبلنا النبي ﷺ رجلاً رجلاً، حتى أتى عليَّ فقال: «ائتني بخبر القوم»، فجئت فإذا الريح في عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شبراً، فوالله إني لأسمع صوت الحجارة في رحالهم وفرشهم ومن بينهم، الريح تضربهم وهم يقولون: الرحيلَ الرحيلَ، فجئت النبي ﷺ يصلي ـ وكان إذا حزبه أمر صلَّى ـ فأخبرته خبر القوم وأنهم يرتحلون، فأنزل الله ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود﴾.

(٢) قوله تعالى: ﴿قد يعلم﴾، «قد» هنا للتقليل على الأصح، على القاعدة، لمجيء المضارع بعدها، وليست للتحقيق كما ذكر الجلالان في غير موضع، ولقد بينا ذلك في ص ٣٦٩ فارجع إليه.

ينظرون إليك تـدور أعينهـم كـالـذي﴾ كنَظر، أو: كـدوران الذي ﴿يغشى عليه من الموت﴾ أي: سكراتـه ﴿فـإذا ذهـب الخوف﴾ وحيزت الغنـائم ﴿سلقـوكم﴾ آذوكـم، أو: ضربوكم ﴿بألسنة حـداد أشحة على الخيـر﴾ أي: الغنيمـة، يطلبونـها ﴿أولئـك لم يؤمنـوا﴾ حقيقة ﴿فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك﴾ الإحباط ﴿على الله يسيراً﴾ بـإرادتـه.

٢٠﴿يحسبون الأحزاب﴾ من الكفار ﴿لم يذهبوا﴾ إلى مكة، لخوفهم منهم ﴿وإن يأت الأحزاب﴾ كرةً أخرى ﴿يودوا﴾ يتمنوا ﴿لو أنهم بادون في الأعراب﴾ أي: كائنون في البادية ﴿يسألون عن أنبائكم﴾ أخباركم مع الكفار ﴿ولو كانوا فيكم﴾ هذه الكرة ﴿ما قاتلوا إلاّ قليلاً﴾ رياء، وخوفاً من التعيير.

٢١﴿لقـد كـان لكـم فـي رسـول الله إسـوة﴾ بكـسـر الهـمـزة وضمهـا ﴿حسنـة﴾ اقـتـداء بـه في القتال، والثبات في مواطنه ﴿لمن﴾ بدل من «لكم» ﴿كان يرجو الله﴾ يخافه ﴿واليوم الآخـر وذكـر الله كثيـراً﴾ بخـلاف مـن ليـس كـذلـك.

٢٢﴿ولـمـا رأى المـؤمـنـون الأحـزاب﴾ مـن الكفـار ﴿قـالـوا هـذا مـا وعـدنـا الله ورسوله﴾ مـن الابـتـلاء والنصـر ﴿وصدق الله ورسـولـه﴾ في الوعد ﴿وما زادهم﴾ ذلك ﴿إلاّ إيماناً﴾ تصديقاً بوعد الله ﴿وتسليماً﴾ لأمره [وذلك خلافاً لقول المنافقين: «ما وَعَدَنَا الله ورسوله إلاّ غروراً»].

٢٣﴿مـن المـؤمـنـيـن رجـال صدقـوا[1] مـا عاهدوا الله عليه﴾ من الثبات مع النبي ﷺ ﴿فمنهم من قضى نحبه﴾ مـات، أو قتل في سبيل الله ﴿ومنهم من ينتظر﴾ ذلك ﴿وما بدلوا

يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ أُوْلَـٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَـٰلَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟

(١) قوله تعالى: ﴿من المؤمنين رجال...﴾ الآية، أخرج البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: غاب عمي أنس بن النضر رضي الله عنه ــ وبه سُمِّيتُ أنساً ــ عن قتال بدر فقال: يا رسول الله غبتُ عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين، لَيَرَيَنَّ الله ما أصنع، فلما كان يوم أُحُد انكشف المسلمون فقال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء ــ يعني: أصحابه ــ وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء ــ يعني المشركين ــ ثم تقدم، فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: يا سعد بن معاذ، الجنةُ وربِّ النَّضر، إني أجد ريحها من دون أُحُد، فقال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس: فوجدنا به بِضْعاً وثمانين ضربة بالسيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، ووجدناه قد قُتِلَ ومثّل به المشركون، فما عرفه أحَدٌ إلاّ أختُهُ ببنانه ــ أي: أطراف أصابعه ــ قال أنس: كنا نرى أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه.

تبديلاً﴾ في العهد، وهم بخلاف حال المنافقين. ٢٤﴿ليجزي الله الصادقين ويعذب المنافقين إن شاء﴾ بأن يميتهم على نفاقهم ﴿أو يتوب عليهم﴾ [بأن يهديهم إلى الإيمان، فيؤمنوا] ﴿إن الله كان غفوراً﴾ لمن تاب ﴿رحيماً﴾ به. ٢٥﴿وردَّ الله الذين كفروا﴾ أي: الأحزاب ﴿بغيظهم لم ينالوا خيراً﴾ مرادهم، من الظفر بالمؤمنين ﴿وكفى الله المؤمنين القتال﴾ بالريح والملائكة ﴿وكان الله قوياً﴾ على إيجاد ما يريده، ﴿عزيزاً﴾ غالباً على أمره. ٢٦﴿وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب﴾ أي: قريظة ﴿من صياصيهم﴾ حصونهم، جمع «صِيصِيَة»، [أو: صِيصَة]، وهو: ما يُتحصن به ﴿وقذف في قلوبهم الرعب﴾ الخوف ﴿فريقاً تقتلون﴾ منهم، وهم المقاتلة ﴿وتأسرون فريقاً﴾ منهم، أي: الذراري.

تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ
ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا
رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ
وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾
وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ
وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ
فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ
تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ
قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا
فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ
تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ
مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ

٢٧﴿وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤوها﴾ بعدُ، وهي «خيبر»، أُخذت بعد «قريظة»، [وقيل: المراد بالأرض: مكة، وقيل: عامة إلى يوم القيامة] ﴿وكان الله على كل شيء قديراً﴾.

٢٨﴿يا أيها النبي قل لأزواجك﴾ وهن تسع[1]، و[كُنَّ] طلبن منه، من زينة الدنيا، [بأن يوسِّع عليهن في النفقة] ما ليس عنده، [أخرج ذلك مسلم وأحمد والنسائي] ﴿إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن﴾ أي: متعة الطلاق ﴿وأسرحكن سراحاً جميلاً﴾ أطلقكن من غير ضرار.

٢٩﴿وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة﴾ أي: الجنة ﴿فإن الله أعد للمحسنات منكن﴾ بإرادة الآخرة ﴿أجراً عظيماً﴾ أي: الجنة، [فخيَّرهنَّ رسول الله ﷺ]، فاخترن الآخرة على الدنيا.

٣٠﴿يا نساء النبي من يأت منكنّ

---

(١) قوله: «وهن تسع»، أي: اللاتي مات النبيُّ ﷺ عنهن، وقد تزوجهن بعد وفاة «خديجة بنت خويلد»، أول امرأة أسلمت، وجميع أولاده ﷺ منها، ما عدا إبراهيم فمن أَمَتِه مارية القِبطيَّة، ولم يتزوج رسول الله ﷺ غيرها حتى ماتت عن خمس وستين سنة، ودفنت بالحَجُون بمكة، بعد سبع سنين من البعثة، وقيل: عشر، وهؤلاء التسع هنَّ: (١) «سَودَةُ بنت زَمْعَةَ العامريَّة»، أسلمت قديماً وبايعت، وهاجر رسول الله ﷺ بها إلى المدينة، توفيت سنة أربع وخمسين للهجرة. (٢) و«عائشة بنت أبي بكر الصديق» عقد عليها رسول الله ﷺ قبل الهجرة، وبنى بها بالمدينة وهي بنت تسع سنين، وبقيت عنده تسع سنين، ولم يتزوج بكراً غيرها، ماتت سنة تسع وخمسين للهجرة. (٣) و«حَفْصَةُ بنت عمر بن الخطاب»، توفيت سنة خمس وأربعين. (٤) و«أم سَلَمَة: هند بنت حذيفة، وقيل: سهيل بن المغيرة المخزومية»، تزوجها سنة أربع، توفيت سنة تسع وخمسين. (٥) و«أم حبيبة: رملة بنت أبي سفيان بن حرب»، تزوجها رسول الله سنة سبع، توفيت سنة أربع وأربعين. (٦) و«زينب بنت جحش الأَسَدية»، كانت زوجة لزيد بن حارثة، وهي التي ذكرت قصتها في سورة الأحزاب، زوَّجه الله إياها سنة خمس، توفيت سنة عشرين. (٧) و«جويرية بنت الحارث الخُزاعية» من بني المصطلق، تزوجها في شعبان سنة ست، توفيت سنة ست وخمسين. (٨) و«صفيَّة بنت حُيَيّ بن أَخْطَب»، سباها النبي ﷺ يوم خيبر، واصطفاها لنفسه، ثم أعتقها وتزوجها، ماتت سنة خمسين. (٩) و«ميمونة بنت الحارث الهلاليَّة»، تزوجها رسول الله ﷺ في عمرة القضاء، ماتت سنة إحدى وخمسين، فهؤلاء أمهات المؤمنين اللاتي قال الله فيهن: ﴿وأزواجه أمهاتهم﴾، رضوان الله تعالى عليهن أجمعين.

﴿بفاحشة مبينة﴾ بفتح الياء وكسرها، أي: بُيِّنَتْ، أو: هي بيّنة ﴿يضاعف﴾ وفي قراءة: «يضعّفُ» بالتشديد، [ورفع «العذاب» فيهما]، وفي أخرى: «نُضَعِّفُ» بالنون معه، [أي: مع التشديد]، ونصب «العذاب» ﴿لها العذاب ضعفين﴾ ضعفي عذاب غيرهن، أي: مثليه ﴿وكان ذلك على الله يسيراً﴾.

٣١﴿ومن يقنت﴾ يطع ﴿منكن لله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها أجرها مرتين﴾ مثلي ثواب غيرهن من النساء، وفي قراءة بالتحتانية، في: «تعمل» و «نؤتها» ﴿وأعتدنا لها رزقاً كريماً﴾ في الجنة، زيادة [على غيرها من النساء].

٣٢﴿يا نساء النبي لستن كأحد﴾ كجماعة ﴿من النساء إن اتقيتن﴾ الله، فإنكن أعظم [من غيركن، أي: إن أردتن التقوى] ﴿فلا تخضعن بالقول﴾ [أي: لا تَلِنَّ القولَ] للرجال ﴿فيطمع الذي في قلبه مرض﴾ نفاق، [أي: فيتشوّق لفجور] ﴿وقلن قولاً معروفاً﴾ من غير خضوع.

٣٣﴿وقرن﴾ بكسر القاف وفتحها ﴿في بيوتكن﴾ من «القرار»، وأصله: «اقررن» بكسر الراء وفتحها، مِنْ «قررت» بفتح الراء وكسرها، نقلت حركة الراء إلى القاف، وحذفت مع همزة الوصل ﴿ولا تبرجن﴾ بترك إحدى التاءين من أصله ﴿تبرج الجاهلية الأولى﴾ أي: ما قبل الإسلام، من إظهار النساء محاسنهن للرجال، والإظهار بعد الإسلام مذكور في آية: «ولا يُبدين زينتهن إلا ما ظهر منها» ﴿وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس﴾ الإثم، يا ﴿أهل البيت﴾ أي: نساء النبي ﷺ[1] ﴿ويطهركم﴾ منه ﴿تطهيراً﴾.

٣٤﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله﴾ القرآن ﴿والحكمة﴾ السنة ﴿إن الله كان لطيفاً﴾ بأوليائه ﴿خبيراً﴾ بجميع خلقه. ٣٥﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات﴾ المطيعات ﴿والصادقين

بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿٣٠﴾ * وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ

حزب ٤٣ جزء ٢٢

(١) قوله: «نساء النبي ﷺ»، مما لا شك فيه أن نساء النبي جميعهن، داخلات في آل بيته ﷺ، لأن ذكر «أهل البيت» جاء في سياق خطابهن، ولما رواه مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى «خُمًّا» بين مكة والمدينة، فحمدَ الله وأثنى عليه ووعظ وذكّر ثم قال: «أما بعد: ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي ـ أي: ملك الموت ـ فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين ـ أي: أمرين عظيمين ـ أولهما: كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به» فحث على كتاب الله ورغّب فيه، ثم قال: «وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»، فقال حُصَينُ بن سَبْرَة، ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكنْ: أهل بيته من حُرِمَ الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: آل عليّ، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس، قال: كل هؤلاء حُرِمَ الصدقة؟ قال: نعم. وروى البخاري في صحيحه، عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه موقوفاً عليه أنه قال: «ارقبُوا محمداً ﷺ في أهل بيته» أي: راعوه واحترموه وأكرموه بحب آل بيته وإكرامهم، رضوان الله ورحمته عليهم أجمعين.

وَالصَّٰدِقَٰتِ وَالصَّٰبِرِينَ وَالصَّٰبِرَٰتِ وَالْخَٰشِعِينَ
وَالْخَٰشِعَٰتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَٰتِ وَالصَّٰٓئِمِينَ
وَالصَّٰٓئِمَٰتِ وَالْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَٰفِظَٰتِ
وَالذَّٰكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً
وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى
اللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ
وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾
وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ
عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ
وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا
وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ
فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ

والصادقات﴾ في الإيمان ﴿والصابرين والصابرات﴾ على الطاعات ﴿والخاشعين﴾ المتواضعين ﴿والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات﴾ عن الحرام ﴿والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة﴾ للمعاصي ﴿وأجراً عظيماً﴾ على الطاعات. ٣٦﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن تكون﴾ بالتاء والياء ﴿لهم الخيرة﴾ أي: الاختيار ﴿من أمرهم﴾ خلافَ أمر الله ورسوله، [أخرج الطبراني بسند صحيح، عن قتادة السَّدوسي: أنها] نزلت في عبد الله بن جحش وأخته زينب، خطبها النبي ﷺ وَعَنَى لزيد بن حارثة، فكرها ذلك حين علما، لظنهما قَبْلُ، أن النبي ﷺ خطبها لنفسه، ثم رضيا للآية ﴿ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً﴾ بيناً، فزوجها النبي ﷺ لزيد، [قيل:] ثم وقع بصره عليها بعد حين، فوقع في نفسه حبها(1)، وفي نفس زيد كراهتها، [اقرأ التعليق]، ثم قال للنبي ﷺ: أريد فراقها، فقال: «أمسك عليك زوجك» كما قال تعالى: ٣٧﴿وإذ﴾ منصوب بـ «اذكر» ﴿تقول للذي أنعم الله عليه﴾ بالإسلام ﴿وأنعمت عليه﴾ بالإعتاق، وهو: «زيد بن حارثة»، كان من سبي الجاهلية، اشتراه رسول الله ﷺ قبل البعثة، وأعتقه وتبناه ﴿أمسك عليك زوجك واتق الله﴾ في أمر طلاقها ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه﴾ مظهره، [ـ لا] من محبتها [كما زعموا ـ] و [لكن: من] أن لو فارقها زيد تزوجتَها ﴿وتخشى الناس﴾ أن يقولوا تزوج زوجة ابنه ﴿والله أحق أن تخشاه﴾ في كل شيء، وتَزَوَّجْها، ولا عليك من قول الناس، ثم طلَّقَها زيد وانقضت عدتها، قال تعالى: ﴿فلما قضى زيد منها وطراً﴾ حاجة، [وانقضت عدتها] ﴿زوجناكها﴾ فدخل عليها النبي ﷺ بغير إذن، وأشبع المسلمين خبزاً ولحماً ﴿لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر

(1) قوله: «فوقع في نفسه حبها.. إلخ»، تبع المحليُّ في هذا الوجه الفاسد، ما رواه بعضهم عن قتادة وجماعة من المفسرين منهم الطبري، معتمدين في ذلك على رواية ضعيفة أخرجها ابن سعد والحاكم، والصواب في معنى الآية هو: أن الله تعالى أوحى إلى النبي ﷺ، أن زيداً سيطلق زينب، وأنه سيتزوجها بتزويج الله إياها، فلما شكى زيد إلى النبي ﷺ خُلُقَها وأنها لا تطيعه، وأعلمه أنه يريد طلاقها، قال له رسول الله ﷺ على جهة الأدب والوصية: «أمسك عليك زوجك، واتق الله في قولك»، ولم يأمره بطلاقها، وهو يعلم أنه سيفارقها وسيتزوجها هو، وهذا هو الأمر الذي أخفاه النبي ﷺ في نفسه، فقد خشي أن يقول الناس: أمره بطلاقها ليتزوجها، فعاتبه الله تعالى على هذا القدر من خشية الناس، في شيء قد أباحه الله له. قال القرطبي: وهذا القول أحسن ما قيل في تفسير الآية، وهو الذي عليه أهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراسخين. وقال أيضاً: وما رُوي أن النبي ﷺ هَوِيَ زينب امرأة زيد، فهذا إنما يصدر عن جاهل بعصمة النبي ﷺ عن مثل هذا، أو مستخف بحرمته. وقال أبو جعفر النحاس: ليس ذلك من النبي ﷺ خطيئة، ألا ترى أنه لم يؤمر بالتوبة ولا بالاستغفار؟.

الله﴾ مَقْضيُّ ﴿مفعولاً﴾. ٣٨﴿ما كان على النبي من حرج فيما فرض﴾ أحل، ﴿الله له سنة الله﴾ أي: «كسنة الله»، فنُصِبَ بنزع الخافض ﴿في الذين خلوا من قبل﴾ من الأنبياء، أن لا حرج عليهم في ذلك، توسعة لهم في النكاح، [لأنهم أصحاب الشريعة] ﴿وكان أمر الله﴾ فعله ﴿قدراً مقدوراً﴾ مقضياً. ٣٩﴿الذين﴾ نعت لـ «الذين» قبله ﴿يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلاَّ الله﴾ فلا يخشون مقالة الناس، فيما أحل الله لهم ﴿وكفى بالله حسيباً﴾ حافظاً لأعمال خلقه ومحاسبتهم. ٤٠﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾ فليس أبا «زيد»، أي: والده، فلا يحرم عليه التزوج بزوجته «زينب» ﴿ولكن﴾ كان ﴿رسول الله وخاتم النبيين﴾ [بكسر التاء]، فلا يكون له ابنٌ بعده، يكون نبياً، وفي قراءة: بفتح التاء، كآلة الختم، أي: به خُتموا ﴿وكان الله بكل شيء عليماً﴾ [و] منه [علمه تعالى] بأن لا نبي بعده، وإذا نزل السيد عيسى، يحكم بشريعته، [أي: بشريعة محمد ﷺ]. ٤١﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً﴾ [قال ابن عباس: لم يُعذر أحد في ترك ذكر الله، إلاَّ من غُلب على عقله]. ٤٢﴿وسبحوه بكرةً وأصيلاً﴾ أول النهار وآخره. ٤٣﴿هو الذي يصلي عليكم﴾ يرحمكم ﴿وملائكته﴾ يستغفرون لكم ﴿ليخرجكم﴾ ليديم إخراجه إياكم ﴿من الظلمات﴾ أي: الكفر ﴿إلى النور﴾ أي: الإيمان، [أي: ليثبتكم على الهداية] ﴿وكان بالمؤمنين رحيماً﴾. ٤٤﴿تحيتهم﴾ منه تعالى ﴿يوم يلقونه﴾ [أي: يوم القيامة، بعد دخول الجنة] ﴿سلام﴾ بلسان الملائكة ﴿وأعد لهم أجراً كريماً﴾ هو الجنة. ٤٥﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً﴾[1] على من أرسلت إليهم ﴿ومبشراً﴾ من صدقك بالجنة ﴿ونذيراً﴾ من كذبك بالنار. ٤٦﴿وداعياً إلى الله﴾ إلى طاعته ﴿بإذنه﴾ بأمره ﴿وسراجاً منيراً﴾ أي: مثله، في الاهتداء به. ٤٧﴿وبشر المؤمنين

ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ

(١) قوله تعالى: ﴿إنا أرسلناك شاهداً...﴾ الآيتين، تضمنت هاتان الآيتان عدداً من أسمائه ﷺ، وجاء في آيات وأحاديث، عدد آخر من أسمائه عليه الصلاة والسلام، منها ما رواه البخاري والترمذي وغيرهما، عن مطعم بن عدي قال: قال رسول الله ﷺ: «لي خمسة أسماء، أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قَدَمَيّ، ــ أي: ليس بعده نبي ــ وأنا العاقب» أي: لا نبي بعده أيضاً، وقد سماه الله تعالى في كتابه «محمداً» و«أحمد» بقوله تعالى: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾، وقوله: ﴿ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾، وفي صحيح مسلم من حديث جبير بن مطعم: «وقد سماه الله رؤوفاً رحيماً»، وفيه أيضاً عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يسمّي لنا نفسه أسماء فيقول: «أنا محمد، وأحمد، والمقفّي، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة»، ومن صفاته ﷺ المذكورة في القرآن: «الكريم»، و«الأمي»، و«الأمين»، و«المزمل»، و«المدثر»، وأشهر كنية له ﷺ «أبو القاسم»، ومما أطلقتْه عليه الأُمّة ولم يَرِدْ في كتاب ولا سُنَّة: «المصطفى»، و«المجتبى»، و«المختار».
=

بأن لهم من الله فضلاً كبيراً﴾ هو الجنة.
٤٨ ﴿ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾ فيما يخالف شريعتك ﴿ودع﴾ اترك ﴿أذاهم﴾ لا تجازهم عليه، إلى أن تؤمر فيهم بأمر، [أو: أعرض عن أقوالهم وما يؤذيك، ولا تشتغل به، وهذا تأويل مجاهد بن جبر] ﴿وتوكل على الله﴾ فهو كافيك ﴿وكفى بالله وكيلاً﴾ مفوّضاً إليه [ثم أمره الله تعالى بقتالهم بقوله: «يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم»].
٤٩ ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن﴾ وفي قراءة: «تماسوهن»، أي: تجامعوهن ﴿فما لكم عليهن من عدة تعتدونها﴾ تحصونها بالأقراء [جمع «قَرْء» بفتح القاف، وهو الحيض، ويطلق أيضاً على الطُّهر] وغيرها ﴿فمتعوهن﴾ أعطوهن ما يستمتعن به، أي: إن لم يُسَمَّ لهن أَصْدِقَةٌ، وإلاّ فلهن نصف المسمى فقط، قاله ابن عباس، وعليه الشافعي ﴿وسرحوهن سراحاً جميلاً﴾ خلوا سبيلهن، من غير إضرار.
٥٠ ﴿يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن﴾ مهورهن ﴿وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك﴾ من الكفار بالسبي، كصفية وجويرية، [وقد أعتقهما ﷺ وتزوجهما] ﴿وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك﴾ بخلاف من لم يهاجرن ﴿وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها﴾ يطلب نكاحها بغير صداق ﴿خالصة لك من دون المؤمنين﴾ [أي: خصصناك في جواز] النكاح بلفظ الهبة، من غير صداق ﴿قد علمنا ما فرضنا عليهم﴾ أي: المؤمنين ﴿في أزواجهم﴾ من الأحكام، بأن لا يزيدوا على أربع نسوة، ولا يتزوجوا إلاّ بوليٍّ وشهود ومهر ﴿و﴾ في ﴿ما ملكت أيمانهم﴾ من الإماء، بشراء وغيره، بأن تكون الأَمَةُ ممن تحل لمالكها كالكتابية، بخلاف المجوسية والوثنية، وأن تُسْتَبْرَأ [بحيضة]، قبل الوطء ﴿لكيلا﴾ متعلق بما قبل ذلك ﴿يكون عليك حرج﴾ ضَيْقٌ في النكاح ﴿وكان الله

بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ

= وقد اختصه الله تعالى بوصف «العبودية» تشريفاً له ﷺ في قوله تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً﴾ وقوله تعالى: ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده﴾، وسماه «عبد الله» في قوله تعالى: ﴿وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا ــ أي: الجن ــ يكونون عليه لبداً﴾ وليس: «طه» و «يس» من أسمائه ﷺ على الصحيح ولا هما من الأسماء، بل هما من الحروف المتقطعة في أوائل بعض السور، كما بيناه في تعليقنا أول سورة «طه» ص ٤٠٦.

غفوراً﴾ لما يعسر التحرز عنه ﴿رحيماً﴾ بالتوسعة في ذلك. ٥١ ﴿ترجىء﴾ بالهمزة، والياءِ بَدَلَه، [أي:] تؤخر ﴿من تشاء منهن﴾[1] أي: أزواجك، عن نوبتها ﴿وتؤوي﴾ تضم ﴿إليك من تشاء﴾ منهن، فتأتيها ﴿ومن ابتغيت﴾ طلبت ﴿ممن عزلت﴾ من القسمة ﴿فلا جناح عليك﴾ في طلبها وضمها إليك، خُيِّرَ في ذلك، بعد أن كان القَسْم واجباً عليه، [ولكنه ﷺ كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول: «اللهم هذا فعلي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك، ولا أملك»، يعني: ميل القلب، رواه أصحاب السنن الأربعة عن عائشة، وإسناده صحيح ورجاله ثقات] ﴿ذلك﴾ التخيير ﴿أدنى﴾ أقرب إلى ﴿أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن﴾ ممّا ذُكِرَ، [أي:] المخير فيه ﴿كلهن﴾ تأكيد للفاعل في يرضين» ﴿والله يعلم ما في قلوبكم﴾ من أمر النساء، والميل إلى بَعْضهن، وإنما خيرناك فيهن، تيسيراً عليك في كل ما أردت ﴿وكان الله عليماً﴾ بخلقه ﴿حليماً﴾ عن عقابهم. ٥٢ ﴿لا تحل﴾ بالتاء والياء ﴿لك النساء من بعد﴾ بَعْدَ التسع اللاتي اخترنك ﴿ولا أن تبدل﴾ بترك إحدى التاءين في الأصل ﴿بهن من أزواج﴾ بأن تطلقهن أو بعضهن، وتنكح بدل من طلقت، [هذا قول ابن عباس، وصححه ابن العربي، وقال فيه: له يشهد النص، وعليه يقوم الدليل، وقيل: إن الله تعالى رفع عنه الحرج في ذلك، ونسخ حكم الآية، ولكن لم يقع منه بعد ذلك تَزَوُّجٌ، لتكون المنّة لرسول الله ﷺ عليهن] ﴿ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك﴾ من الإماء، فتحل لك، وقد ملك ﷺ بعدهن مارية، وولدت له إبراهيم [سنة ثمان للهجرة]، ومات في حياته ﴿وكان الله على كل شيء رقيباً﴾ حفيظاً.

٥٣ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم﴾ في الدخول، بالدعاء ﴿إلى طعام﴾ فتدخلوا ﴿غير ناظرين﴾ منتظرين ﴿إناه﴾ نضجه، مصدر «أَنَى، يأْنِي» [من باب: «رمى، يرمي»] ﴿ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا﴾ تمكثوا ﴿مستأنسين لحديث﴾ من بعضكم، [كما فعل بعض أصحاب النبي ﷺ في وليمة زينب] ﴿إن ذلكم﴾ المُكْث ﴿كان يؤذي النبي فيستحيي منكم﴾ أن يخرجكم ﴿والله لا يستحيي من الحق﴾ أن يُخرجكم، أي: لا يترك بيانه، وقرىء [شذوذاً]: «يستحي» بياء واحدة ﴿وإذا سألتموهن﴾ أي: أزواج النبي ﷺ ﴿متاعاً﴾ [هو: كل ما يمكن أن يُطلب، من المواعين وسائر المرافق] ﴿فاسألوهن من وراء حجاب﴾ ستر.

غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾ ۞ تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ ۖ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ ۖ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ

(١) قوله تعالى: ﴿ترجي من تشاء منهن...﴾ الآية، ذهب الجلال المحلي هنا إلى تخصيص تخييره ﷺ بين الإرجاء والإيواء بزوجاته، أي: أَطْلَقَ له أن يَقْسِم بينهن كيف يشاء، وهذا أحد قولين، ثانيهما: أن الآية عامة في الواهبات أنفسهن له، وفي زوجاته اللاتي عنده، =

﴿ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن﴾ من الخواطر المريبة ﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله﴾ بشيء ﴿ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله﴾ ذنباً ﴿عظيماً﴾ [قال الشافعي رحمه الله: وأزواجه ﷺ اللاتي مات عنهن، لا يحل لأحد نكاحهن، ومن استحل ذلك كان كافراً، وسبب نزولها قول بعضهم: لئن مات النبي ﷺ، لتزوجت فلانة أو فلانة، أو لتزوجنا نساءه، روى ذلك البيهقي عن ابن عباس، وابنُ جرير وعبد الرزاق وغيرهما عن بعض التابعين]. ٥٤ ﴿إن تبدوا شيئاً أو تخفوه﴾ من نكاحهن بعده ﴿فإن الله كان بكل شيء عليماً﴾ فيجازيكم عليه. ٥٥ ﴿لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن﴾: أي: المؤمنات ﴿ولا ما ملكت أيمانهن﴾ من الإماء والعبيد، أن يَرَوْهُنَّ ويكلموهن، من غير حجاب ﴿واتقين الله﴾ [يا نساء النبي ﷺ]، فيما أُمرتُنَّ به ﴿إن الله كان على كل شيء شهيداً﴾ لا يخفى عليه شيء.

ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ ۗ وَاتَّقِينَ اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل

٥٦ ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾[1] محمد ﷺ ﴿يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾ أي: قولوا: «اللهم صلِّ على محمد وسلم».

٥٧ ﴿إن الذين يؤذون الله﴾ [أي: يفعلون ما يغضبه تعالى] ﴿ورسوله﴾ وهم الكفار، يصفون الله بما هو منزه عنه، من الولد والشريك، ويكذبون رسوله ﴿لعنهم الله في الدنيا والآخرة﴾ أبعدهم ﴿وأعدَّ لهم عذاباً مهيناً﴾ ذا إهانة، وهو: النار.

٥٨ ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا﴾ يرمونهم بغير ما عملوا ﴿فقد احتملوا بهتاناً﴾ تحملوا كذباً ﴿وإثماً مبيناً﴾ بيّناً. ٥٩ ﴿يا أيها النبي قل

= فهو مخير في أن يقبل من شاء من الواهبات ويرد من شاء، وهو مخير أيضاً في القسم بين زوجاته بعد أن كان القَسْم واجباً عليه، واختار هذا القول ابن جرير واستحسنه ابن كثير وقال: جيد قوي وفيه جمع بين الأحاديث.

ونقول: على كلا القولين، فهنا مسألتان، أولاهما: أن هناك أكثر من واحدة وهبت نفسها للنبي ﷺ، وثانيتهما: هل قبل النبي ﷺ لنفسه واحدة منهن؟. قال التابعي عامر بن شراحيل الشَّعبي رحمه الله: إنه ﷺ دخل ببعضهن وأرجأ بعضهن لم ينكحهن، قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: وهذا شاذ، والمحفوظ أنه لم يدخل بواحدة من الواهبات ـ وإن كان مباحاً له ـ لأنه راجع إلى إرادته، وأخرج الطبري بسند حسن، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لم يكن عند رسول الله ﷺ امرأة وهبت نفسها له»، أي: لم يقبل واحدة من الواهبات، وهذا قول الجمهور، وهو الصحيح، وإنما أُبيح له ذلك وخُيِّر فيه، لبيان فضله ﷺ وعلو مقامه.

(١) قوله تعالى: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾. الصلاة من الله تعالى على نبيه معناها: ثناؤه عليه وتعظيمه له إعلاء في مقامه ﷺ، والصلاة من الناس: الاستغفار، والصلاة من الملائكة: الدعاء.

وقد جاء في فضل الصلاة على النبي ﷺ أحاديث كثيرة منها: ما أخرجه أبو داود، والترمذي وحسنه، وابن حبان وصححه، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «أَوْلى الناس بي ـ أي: أحقهم بالقرب مني ـ يوم القيامة أكثرهم عليَّ صلاةً»، وأخرج الترمذي وابن حبان وصححاه وغيرهما، عن الحسين بن علي رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «البخيل مَنْ ذُكرتُ عنده =

﴿لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ جمع «جلباب»، وهي: «الملاءة» التي تشتمل بها المرأة، أي: يُرخين بعضَها على الوجوه، إذا خرجن لحاجتهن، إلاَّ عيناً واحدة ﴿ذلك أدنى﴾ أقرب إلى ﴿أن يعرفن﴾ بأنهن حرائر ﴿فلا يؤذين﴾ بالتعرض لهن، بخلاف الإماء، فلا يغطين وجوههن، فكان المنافقون يتعرضون لهن ﴿وكان الله غفوراً﴾ لما سلف منهن، لترك الستر ﴿رحيماً﴾ بهن إذ سترهن[1].

٦٠﴿لئن﴾ لام قسم ﴿لم ينته المنافقون﴾ عن نفاقهم ﴿والذين في قلوبهم مرض﴾ بالزنا [وحب الفواحش] ﴿والمرجفون﴾ [الإرجاف: إشاعة الكذب والباطل، ليغتم به الناس] ﴿في المدينة﴾ [بتخويفهم] المؤمنين بقولهم: قد أتاكم العدو، وسراياكم قُتلوا، أو: هُزموا ﴿لنغرينك بهم﴾ لنسلطنك عليهم، [فتستأصلهم بالقتل] ﴿ثم لا يجاورونك﴾ يساكنونك ﴿فيها﴾ [أي: في المدينة] ﴿إلاَّ قليلاً﴾ [حتى يهلكوا].

٦١ ثم يخرجون ﴿ملعونين﴾ مبعدين عن الرحمة ﴿أين ما ثقفوا﴾ وُجدوا ﴿أخذوا وقتلوا تقتيلاً﴾ أي: الحكم فيهم هذا، على جهة الأمر به، [أي: خذهم وقتّلهم].

٦٢﴿سنة الله﴾ أي: سَنَّ الله ذلك ﴿في الذين خلوا من قبل﴾ من الأمم الماضية، في منافقيهم المرجفين، [الذين كانوا يخيفون المؤمنين] ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾ منه.

٦٣﴿يسألك الناس﴾ أهل مكة ﴿عن الساعة﴾ متى تكون؟ ﴿قل إنما علمها عند الله وما يدريك﴾ يُعلمك بها؟ أي: أنت لا تعلمها ﴿لعل الساعة تكون﴾ توجد ﴿قريباً﴾.

٦٤﴿إن الله لعن الكافرين﴾ أبعدهم ﴿وأعدَّ لهم سعيراً﴾ ناراً شديدة، يدخلونها.

٦٥﴿خالدين﴾ مقدراً خلودهم ﴿فيها﴾ [إذا أُدخلوها] ﴿أبداً لا يجدون ولياً﴾ يحفظهم عنها ﴿ولا نصيراً﴾ يدفعها عنهم.

٦٦﴿يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا﴾ للتنبيه ﴿ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا﴾.

٦٧﴿وقالوا﴾ أي: الأتباع منهم ﴿ربنا إنا أطعنا

لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا

نصف الحزب

= فلم يصل عَلَيَّ». وأخرج مسلم وأحمد والترمذي وغيرهم، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من صلى عليَّ واحدةً صلّى الله عليه بها عشراً»، وأخرج الشيخان، وأصحاب السُّنن الأربعة، عن كعب بن عُجْرَةَ رضي الله عنه قال: سألنا رسول الله ﷺ: كيف الصلاة عليك؟، فقال: «قولوا: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد».

(١) قوله: «إذْ سَتَرَهُنَّ»، أي: أمرهن بذلك، صوناً لهن، ارجع إلى تعليقنا حول «التبرج» ص ٤٦٨.

سادتنا﴾ وفي قراءة: «ساداتنا»، جمع الجمع ﴿وكبراءنا فأضلونا السبيلا﴾ طريق الهدى. ٦٨﴿ربنا آتهم ضعفين من العذاب﴾ مثلي عذابنا ﴿والعنهم﴾ عذبهم ﴿لعناً كثيراً﴾ عَدَدُهُ، وفي قراءة: [«كبيراً»] بالموحدة، أي: عظيماً. ٦٩﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا﴾ مع نبيكم ﴿كالذين آذوا موسى﴾ بقولهم مثلاً: ما يمنعه أن يغتسل معنا، إلاَّ أنه آدَرُ ﴿فبرأه الله مما قالوا﴾[1] بأن وضع ثوبه على حجر ليغتسل، ففرَّ الحجر بثوبه، حتى وقف به بين ملأ من بني إسرائيل، فأدركه موسى، فأخذ ثوبه واستتر به، فرأوه ولا أُدْرَةَ به، و [«الأُدْرة» بضم الهمزة وسكون الدال، وبفتحهما:] هي: نفخة في الخُصْية، [يقال: رجل آدَرُ، بيِّن الأَدَرة] ﴿وكان عند الله وجيهاً﴾ ذا جاهٍ، ومما أوذي به نبينا ﷺ، أنه قَسَمَ قَسْماً فقال رجل: هذه قسمة ما أُريدَ بها وجهُ الله تعالى، فغضب النبي ﷺ من ذلك وقال: «يرحم الله أخي موسى، لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر»، رواه البخاري.

٧٠﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً﴾ صواباً.

٧١﴿يصلح لكم أعمالكم﴾ يتقبلها ﴿ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾ نال غاية مطلوبه.

٧٢﴿إنا عرضنا الأمانة﴾ الصلوات، وغيرها [من وظائف الدين]، مما [أي: مع ما]، في فعلها من الثواب، وتَرْكِها من العقاب ﴿على السماوات والأرض والجبال﴾ بأن خلق فيها فهماً ونطقاً ﴿فأبين أن يحملنها وأشفقن﴾ خفن ﴿منها وحملها الإنسان﴾ آدم، بعد عرضها عليه ﴿إنه كان ظلوماً﴾ لنفسه بما حمله، [والمراد بظلمه لها: إتعابه إياها، وهو ممدوح من الأنبياء، وليس المراد بالظلم ــ منسوباً إلى آدم ــ حقيقتَهُ، التي هي مجاوزة حدود الشرع، بل وقع الظلم في ذريته، من الكافرين والمنافقين والفاسقين] ﴿جهولاً﴾ به [أي: لا يدري عاقبة ما حمله، وأن النفس لا تطيق الدوام عليه في العادة].

٧٣﴿ليعذب الله﴾ اللام متعلقة بـ «عرضنا»، المترتِّب عليه حملُ آدم ﴿المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات﴾ المضيعين الأمانة ﴿ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات﴾ المؤدِّين الأمانة ﴿وكان الله غفوراً﴾ للمؤمنين ﴿رحيماً﴾ بهم، [وقال الحسن البصري: معنى «حَمَلَهَا»: خان بها، قال الزجاج: والآية في الكافر والمنافق والعاصي، على قدرهم في الخيانة، على هذا التأويل].

سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾

---

(١) قوله تعالى: ﴿فبرأه الله مما قالوا..﴾ روى البخاري ومسلم وغيرهما، واللفظ للبخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إن موسى كان رجلاً حَيِياً سِتِّيراً، لا يُرى من جلده شيء استحياءً منه، فآذاه مَنْ آذاه من بني إسرائيل فقالوا: ما يستتر هذا التستر، إلاَّ من عيب بجلده إما برص، وإما أُدْرَةٌ، وإما آفة. وإن الله أراد أن يُبَرِّئه مما قالوا لموسى، فخلا يوماً وحده، فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر.. ثوبي حجر.. =

﴿سُورَةُ سَبَإٍ﴾ (1)

(مكية، إلاَّ: «ويرى الذين أوتوا العلم»
الآية، فمدنية، وهي: أربع، أو: خمس وخمسون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

1 ﴿الحمد لله﴾ حَمِدَ تعالى نفسه بذلك، والمراد به الثناء بمضمونه، من ثبوت الحمد، وهو: الوصف بالجميل، لله تعالى ﴿الذي له ما في السماوات وما في الأرض﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿وله الحمد في الآخرة﴾ كالدنيا، يحمده أولياؤه إذا دخلوا الجنة ﴿وهو الحكيم﴾ في فعله ﴿الخبير﴾ بخلقه. 2 ﴿يعلم ما يلج﴾ يدخل ﴿في الأرض﴾ كماء وغيره ﴿وما يخرج منها﴾ كنبات وغيره ﴿وما ينزل من السماء﴾ من رزق وغيره ﴿وما يعرج﴾ يصعد ﴿فيها﴾ من عمل وغيره [كالملائكة] ﴿وهو الرحيم﴾ بأوليائه ﴿الغفور﴾ لهم. 3 ﴿وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة﴾ القيامة ﴿قل﴾ لهم ﴿بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب﴾ بالجر صفة، والرفع خبر مبتدأ [محذوف، تقديره: «هو»، وفي قراءة]: «عَلَّامِ» بالجر [فقط فالقراءات ثلاث سبعية] ﴿لا يعزب﴾ [أي: لا] يغيب ﴿عنه مثقال﴾ وزن ﴿ذرة﴾ أصغر(2) نملة ﴿في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلاَّ في كتاب مبين﴾ بيِّن، هو: اللوح المحفوظ. 4 ﴿ليجزي﴾ فيها ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات

---

(34) سُورَةُ سَبَإٍ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا أَرْبَعٌ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

= حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله عزَّ وجلَّ، وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر، فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضرباً بعصاه» قال أبو هريرة: فذلك قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى..﴾.

(1) قوله: «سورة سبأ»، «سبأ» هي أرض باليمن مدينتها «مأرب»، بينها وبين «صنعاء» مسيرة ثلاثة أيام، سميت بهذا الاسم، لأنها كانت منازل ولد «سَبَأ بن يَشْجُبَ بن يَعْرُبَ بن قحطان» وهم الذين بَنَوْا سَدَّ «مأرب»، فكثرت عندهم النعم فكفروا، فأرسل الله عليهم «سيل العَرِم»، فتفرقوا في كل جهة، حتى ضُرب فيهم المثل فقيل: «ذهب القوم أيدي سبأ، وأيادي سبأ». وهم قوم «تُبَّع» الآتي ذكرهم ص ٦٥٨.

(2) قوله: «أصغر نملة»، هذا هو معنى الذرة في اللغة، قال في «المختار»: «الذَّر» جمع «ذَرَّة» وهي: أصغر النمل. اهـ. وهذا النوع من النمل يضرب به المثل في خفة الوزن كما يضرب «بالفتيل» و«النقير» و«القطمير» في القلة، وكذلك ضرب الله تعالى مثلاً في الخفة بـ «حبة الخردل» في سورة «لقمان»: ﴿إنها إن تك مثقال حبة من خردل﴾ الآية «16».

أولئك لهم مغفرة ورزق كريم﴾ حَسَنٌ، في الجنة. ٥﴿والذين سعوا في﴾ إبطال ﴿آياتنا﴾ القرآن ﴿مُعَجِّزين﴾ وفي قراءة هنا، وفيما يأتي [في الآية «٣٨»]: «معاجزين»، أي: مقدِّرين عجزنا، أو مسابقين لنا فيفوتوننا، لظنهم أن لا بعث ولا عقاب ﴿أولئك لهم عذاب من رجز﴾ [هو:] سَيِّىء العذاب ﴿أليم﴾ مؤلم، بالجر والرفع، صفة لـ «رجز»، [على قراءة الجر]، أو [صفة] «عذاب»، [على قراءة الرفع].

٦﴿ويرى﴾ يعلم ﴿الذين أوتوا العلم﴾ مؤمنو أهل[1] الكتاب، كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿الذي أنزل إليك من ربك﴾ أي: القرآن ﴿هو﴾ [ضمير] فصل، [لا محل له من الإعراب] ﴿الحق ويهدي إلى صراط﴾ طريق ﴿العزيز الحميد﴾ أي: الله، ذي العزة المحمود.

أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴿٩﴾ ۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ

٧﴿وقال الذين كفروا﴾ أي: قال بعضهم على جهة التعجُّب لبعض ﴿هل ندلكم على رجل﴾ هو محمد ﴿ينبئكم﴾ يخبركم أنكم ﴿إذا مزقتم﴾ قطعتم ﴿كل ممزق﴾ بمعنى: تمزيق ﴿إنكم لفي خلق جديد؟﴾ [قالوا ذلك جحوداً، ومبالغة في الاستهزاء، ثم قالوا:].

٨﴿أفترى﴾ بفتح الهمزة للاستفهام، واستغني بها عن همزة الوصل ﴿على الله كذباً﴾ في ذلك ﴿أم به جنة﴾ جنون تخيل به ذلك، قال تعالى: ﴿بل الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ المشتملة على البعث والعذاب ﴿في العذاب﴾ فيها ﴿والضلال البعيد﴾ عن الحق في الدنيا، [أي: ليس الأمر كما قالوا، بل هو الصادق المصدوق].

٩﴿أفلم يروا﴾ ينظروا ﴿إلى ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ ما فوقهم وما تحتهم ﴿من السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً﴾ بسكون السين وفتحها قطعة[2] ﴿من السماء﴾ وفي قراءة، في الأفعال الثلاثة، بالياء ﴿إن في ذلك﴾ المرئي ﴿لآية لكل عبد منيب﴾ راجع إلى ربه، تدل على قدرة الله، على البعث وما يشاء.

١٠﴿ولقد آتينا داود منا فضلاً﴾ نبوة وكتاباً، وقلنا: ﴿يا جبال أوبي﴾ رجِّعي ﴿معه﴾ بالتسبيح ﴿والطير﴾ بالنصب، عطفاً على محل «الجبال»، أي: ودعوناها تسبح معه ﴿وألنا له

---

(١) قوله: «مؤمنو أهل الكتاب»، هذا قول: مقاتل بن سليمان، وقصد المؤلف الجلال المحلي رحمه الله أن يقول: الذين آمنوا من أهل الكتاب، لأن عبد الله بن سلام وأصحابه لم يكونوا مؤمنين قبل إسلامهم بل كانوا كافرين، وعن ابن عباس: إنهم أصحاب محمد ﷺ، وقيل: جميع المسلمين، قال القرطبي: وهو أصح لعمومه، ارجع إلى ترجمة «ابن سلام» ص ٣٢٧.

(٢) قوله: «قطعة» هو تفسير لقوله تعالى: ﴿كسفاً﴾ بسكون السين، أما بفتحها فهي جمع، ارجع إلى تعليقنا ص ٤٩١.

﴿الحديد﴾ فكان في يده كالعجين. ١١وقلنا: ﴿أن اعمل﴾ منه ﴿سابغات﴾ دروعاً كوامل، يجرُّها لابسها على الأرض ﴿وقدر في السرد﴾ أي: نَسْج الدروع، قيل لصانعها: «سَرَّاد»، أي: اجعله بحيث تتناسب حِلَقُهُ ﴿واعملوا﴾ أي: آل داود معه ﴿صالحاً إني بما تعملون بصير﴾ فأجازيكم به. ١٢﴿و﴾ سخرنا ﴿لسليمان الريح﴾ [بالنصب]، وفي قراءة بالرفع بتقدير: «تسخير» ﴿غدوها﴾ مسيرها من الغَدْوَة، بمعنى: الصباح، إلى الزوال ﴿شهر ورواحها﴾ سيرها من الزوال إلى الغروب ﴿شهر﴾ أي: مسيرته ﴿وأسلنا﴾ أذبنا ﴿له عين القطر﴾ أي: النحاس، فأجريتْ ثلاثة أيام بلياليهن، كجري الماء، وَعَمَلُ الناس إلى اليوم، مما أُعطي سليمان ﴿ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن﴾ بأمر ﴿ربه ومن يزغ﴾ يعدل ﴿منهم عن أمرنا﴾ له بطاعته ﴿نذقه من عذاب السعير﴾ النار في الآخرة، وقيل: في الدنيا، بأن يضربه مَلَكٌ بسوط منها ضربةً تحرقه. ١٣﴿يعملون له ما يشاء من محاريب﴾ أبنية مرتفعة، يصعد إليها بدرج ﴿وتماثيل﴾ جمع «تمثال»، هو: كل شيء مثلته بشيء، أي: صوراً من نحاس وزجاج ورخام، ولم يكن اتخاذ الصور حراماً في شريعته ﴿وجفان﴾ جمع «جَفْنَة» ﴿كالجواب﴾ جمع «جابية»، وهي: حوض كبير، يجتمع على الجفنة ألف رجل، يأكلون منها ﴿وقدور راسيات﴾ ثابتات، لها قوائم لا تتحرك عن أماكنها، تتخذ من الجبال باليمن، يصعد إليها بالسلالم، وقلنا: ﴿اعملوا﴾ يا ﴿آل داود﴾ بطاعة الله ﴿شكراً﴾ له على ما آتاكم ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ العامل بطاعتي، شكراً لنعمتي. ١٤﴿فلما قضينا عليه﴾ على سليمان ﴿الموت﴾ أي: مات، ومكث قائماً على عصاه، [قيل: مكث] حولاً ميتاً، والجن تعمل تلك الأعمال الشاقة، على عادتها، لا تشعر بموته، حتى أكلت الأَرَضَةُ عصاه، فخرَّ ميتاً ﴿ما دلهم على موته إلا دابة الأرض﴾ مصدر «أُرِضَتِ» الخشبةُ بالبناء للمفعول: أكلتها الأَرَضَةُ ﴿تأكل منسأته﴾ بالهمز [الساكن والمفتوح]، وتركه بألف، أي: عصاه، [وسميت بذلك]، لأنها تَنْسَأ [أي:] تَطْرُد، ويُزجر بها ﴿فلما خر﴾ ميتاً ﴿تبينت الجن﴾ انكشف لهم ﴿أن﴾ مخففة، أي: أنهم ﴿لو كانوا يعلمون الغيب﴾ ومنه ما غاب عنهم من موت سليمان ﴿ما لبثوا في العذاب المهين﴾ العمل الشّاق له، لظنهم حياته، خلافَ ظنِّهم علمَ الغيب، وعُلِمَ كونُه سَنَةً، بحساب ما أكلته الأَرَضَة من العصا بعد موته، يوماً وليلة مثلاً. ١٥﴿لقد كان لسبأ﴾ بالصرف، وعدمه، قبيلة، سميت باسم جدٍّ لهم من العرب ﴿في مساكنهم﴾ باليمن، [وفي قراءة بالإفراد] ﴿آية﴾ دالة على قدرة الله تعالى ﴿جنتان﴾ بدل ﴿عن يمين وشمال﴾ عن يمين واديهم وشماله، وقيل لهم: ﴿كلوا من رزق ربكم واشكروا له﴾ على ما رزقكم من النعمة في أرض سبأ ﴿بلدة

ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ

طيبة﴾ ليس بها سباع[1] [بالعين المهملة]، ولا بعوضة ولا ذبابة، ولا بُرْغوث ولا عقرب، ولا حية، ولا قملة، وإن مرَّ الغريب فيها، وفي ثيابه قمل، يموت لطيب هوائها ﴿و﴾ الله ﴿رب غفور﴾. ١٦ ﴿فأعرضوا﴾ عن شكره وكفروا ﴿فأرسلنا عليهم سيل العرم﴾ جمع «عَرِمَة»، وهي: ما يمسك الماء، من بناء وغيره، إلى وقت حاجته، أي: سَيْلَ واديهم، الممسوك بما ذُكر، فأغرق جنتيهم وأموالهم ﴿وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي﴾ تثنية «ذوات»، مفرد على الأصل[2] ﴿أُكُل خمطٍ﴾ مرٍّ بشع، [كريه الريح]، بإضافة «أكل»، بمعنى: مأكول، وتركها [أي: الإضافة]، ويُعْطَفُ عليه ﴿وأثل وشيء من سدر قليل﴾ [وهما نوعان من الشجر، ذي الشوك الكثير والثمر القليل]. ١٧ ﴿ذلك﴾ التبديل

طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ

﴿جزيناهم بما كفروا﴾ بكفرهم ﴿وهل يُجازى إلاَّ الكفور؟﴾ بالياء، والنون مع كسر الزاي ونصب «الكفور»، أي: ما يناقَشُ إلاَّ هو. ١٨ ﴿وجعلنا بينهم﴾ بين «سبأ»، وهم باليمن، ﴿وبين القرى التي باركنا فيها﴾ بالماء والشجر، وهي: قرى الشام، التي يسيرون إليها للتجارة ﴿قرى ظاهرة﴾ متواصلة، من اليمن إلى الشام ﴿وقدرنا فيها السير﴾ بحيث يَقِيلون في واحدة، ويبيتون في أخرى، إلى انتهاء سفرهم، ولا يحتاجون فيه إلى حمل زاد وماء، أي: وقلنا ﴿سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين﴾ لا تخافون في ليل ولا نهار. ١٩ ﴿فقالوا ربنا بَعِّدْ﴾ وفي قراءة: «باعد» ﴿بين أسفارنا﴾ إلى الشام، اجعلها مفاوز، ليتطاولوا على الفقراء، بركوب الرواحل وحمل الزاد والماء، فَبَطِرُوا النعمة ﴿وظلموا أنفسهم﴾ بالكفر ﴿فجعلناهم أحاديث﴾ لمن بعدهم في ذلك ﴿ومزقناهم كل ممزق﴾ فرقناهم في البلاد كل التفريق ﴿إن في ذلك﴾ المذكور ﴿لآيات﴾ عِبَراً ﴿لكل صبار﴾ عن المعاصي ﴿شكور﴾ على النعم. ٢٠ ﴿ولقد صَدَقَ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿عليهم﴾ أي: الكفار، [و] منهم «سبأ» ﴿إبليس ظنه﴾ أنهم بإغوائه يتبعونه، [فأغواهم] ﴿فاتبعوه﴾ فصَدَقَ ــ بالتخفيف ــ في ظنه، أو: صَدَّقَ ــ بالتشديد ــ ظَنَّه، أي: وجده صادقاً ﴿إلاَّ﴾ بمعنى «لكن» ﴿فريقاً من المؤمنين﴾ «من» للبيان، أي: هم المؤمنون لم يتبعوه.

٢١ ﴿وما كان له عليهم من سلطان﴾ تسليط منّا ﴿إلاَّ لنعلم﴾ علم ظهور ﴿من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك﴾ فنجازي كلاًّ منهما ﴿وربك على كل شيء حفيظ﴾ رقيب.

٢٢ ﴿قل﴾ يا محمد لكفار مكة ﴿ادعوا الذين زعمتم﴾ أي: زعمتموهم آلهة ﴿من دون الله﴾ أي: غيره لينفعوكم بزعمكم.

---

(١) وفي إحدى المخطوطات وبعض المطبوعات: «سباخ» بالخاء المعجمة، وهي الأراضي ذات الملح، لا تصلح للزرع.

(٢) قوله: «تثنية ذوات مفرد على الأصل». بيانه: مذهب سيبويه أن «ذو» ــ بمعنى صاحب ــ وزنها «فَعَلٌ» بالتحريك، ولامها ياء، لأن =

قال تعالى فيهم: ﴿لا يملكون مثقال﴾ وزن ﴿ذرة﴾ من خير أو شر ﴿في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك﴾ شركة ﴿وما له﴾ تعالى ﴿منهم﴾ من الآلهة ﴿من ظهير﴾ معين [على خلق شيء، فهو تعالى المتفرد بالإيجاد، والمستحق لأن يُعْبَد].

٢٣﴿ولا تنفع الشفاعة عنده﴾ تعالى، [وهذا] رد لقولهم: إن آلهتهم تشفع عنده ﴿إلاّ لمن أذن﴾ بفتح الهمزة، [وفي قراءة: بضمها مبنياً للمفعول] ﴿له﴾ فيها ﴿حتى إذا فُزِّعَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول ﴿عن قلوبهم﴾ كشف عنها الفزع، بالإذن فيها [أي: في الشفاعة] ﴿قالوا﴾ قال بعضهم لبعض استبشاراً: ﴿ماذا قال ربكم﴾ فيها؟ ﴿قالوا﴾ القول ﴿الحق﴾ أي: قد أذن فيها ﴿وهو العلي﴾ فوق خلقه بالقهر ﴿الكبير﴾ العظيم.

٢٤﴿قل من يرزقكم من السماوات﴾ المطرَ ﴿والأرض﴾ النباتَ؟ ﴿قل الله﴾ إن لم يقولوه، لا جواب غيره ﴿وإنا أو إياكم﴾ أي: أحد الفريقين ﴿لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾ بيِّن، في الإبهام [في قوله: «وإنا أو إياكم» إلخ]، تَلَطُّف بهم، داعٍ إلى الإيمان، إذا وُفِّقوا له.

٢٥﴿قل لا تسألون عما أجرمنا﴾ أذنبنا ﴿ولا نسأل عما تعملون﴾ لأنا بريئون منكم. ٢٦﴿قل يجمع بيننا ربنا﴾ يوم القيامة ﴿ثم يفتح﴾ يحكم ﴿بيننا بالحق﴾ فيدخل المحقين الجنة، والمبطلين النار ﴿وهو الفتاح﴾ الحاكم ﴿العليم﴾ بما يحكم به.

٢٧﴿قل أروني﴾ أعلموني ﴿الذين ألحقتم به شركاء﴾ في العبادة ﴿كلا﴾ ردع لهم، عن اعتقاد شريك له ﴿بل هو الله العزيز﴾ الغالب على أمره ﴿الحكيم﴾ في تدبيره لخلقه، فلا يكون له شريك في ملكه.

٢٨﴿وما أرسلناك إلاّ كافة﴾ [أي: عامة]، حال من «الناس»، قُدِّم للاهتمام به ﴿للناس بشيراً﴾ مبشراً للمؤمنين بالجنة ﴿ونذيراً﴾ منذراً للكافرين بالعذاب ﴿ولكن أكثر الناس﴾ أي: كفار مكة [وغيرهم] ﴿لا يعلمون﴾ ذلك. ٢٩﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ بالعذاب [وبقيام الساعة] ﴿إن كنتم

لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ

حزب ٤٤

= يائيٌّ اللام أكثر من وَاوِيِّه، والحمل على الأكثر، أرجح، فأصلها «ذَوَيَ»، حُذفت الياء اعتباطاً، أي: بلا علة، ونُقلت الضمة ـ حركة الإعراب ـ إلى الواو، فصارت «ذَوُ» ثم حُرِّكت الذال بحركة الواو إتْباعاً لها، فصارت «ذُو»، فتؤنث على «ذات»، بعد قلب الواو ألفاً، بسبب انفتاحها وانفتاح ما قبلها، وتجمع «ذات» على «ذوات»، فإذا أريد تثنيتها ففيها وجهان: إما إبقاؤها على ظاهر لفظها فتثنى على «ذاتان»، وإما ردها إلى أصلها بإعادة الواو أي: «ذواتان» وهو الأفصح، كما جاء في القرآن الكريم هنا وفي قوله تعالى في سورة «الرحمن»: ﴿ذواتا أفنان﴾. ارجع إلى شرح الأشموني على ألفية ابن مالك.

صادقين﴾ فيه؟. ٣٠﴿قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون﴾ عليه، وهو: يوم القيامة.
٣١﴿وقال الذين كفروا﴾[1] من أهل مكة ﴿لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه﴾ أي: تقدمه، كالتوراة والإنجيل، الدالين على البعث، لإنكارهم له، قال تعالى فيهم: ﴿ولو ترى﴾ يا محمد ﴿إذ الظالمون﴾ الكافرون ﴿موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول﴾ [أي: يتجادلون] ﴿يقول الذين استضعفوا﴾ الأتباع ﴿للذين استكبروا﴾ الرؤساء ﴿لولا أنتم﴾ صددتمونا عن الإيمان ﴿لكنا مؤمنين﴾ بالنبي.

صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن

٣٢﴿قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم﴾؟ لا، [أي: ما رددناكم نحن عن الهدى، ولا أكرهناكم على ضلال] ﴿بل كنتم مجرمين﴾ [مشركين ضالين، ومصرّين] في أنفسكم [على ذلك].

٣٣﴿وقال الذين استضعفوا﴾[2] للذين استكبروا بل﴾ [صدّنا عن الإيمان] ﴿مكر الليل والنهار﴾ أي: مكرٌ فيهما، منكم بنا ﴿إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا﴾ شركاء ﴿وأسروا﴾ أي: الفريقان ﴿الندامة﴾ على ترك الإيمان به ﴿لما رأوا العذاب﴾ أي: أخفاها كلٌّ عن رفيقه، مخافة التعيير ﴿وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا﴾ في النار ﴿هل﴾ ما ﴿يجزون إلا﴾ جزاء ﴿ما كانوا يعملون﴾ في الدنيا.

٣٤﴿وما أرسلنا في قرية من

---

(١) قوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا..﴾ الآية، إن المعنى الذي ذكره الجلال المحلي، في تفسيره، ليس محصوراً في أهل مكة زمن النبي ﷺ، بل هي عامة لأن الذين يرفضون الإيمان بالقرآن وغيره من الكتب السماوية، وسائر أركان الإيمان، ليسوا أقلة في أيامنا، فما أكثر الملحدين والمستهزئين الذين يزعمون أنهم يصلحون في الأرض، وهم يفسدون.

(٢) قوله تعالى: ﴿وقال الذين استضعفوا﴾ الآية، في هذه الآية وما قبلها حوار صريح بين رؤساء الضلال الدعاة إليه، وأتباعهم الذين ضلوا معهم من غير تفكير ولا تعقل، ولقد ذكر الله تعالى هذا الحوار في مواضع من كتابه العزيز، لينبه الناس إلى وجوب التفكير قبل الاتباع، ويحذرهم من التقليد الأعمى والوقوع في شَرَك الغواية، لكي لا يندموا يوم لا ينفعهم الندم.

إن أخطر أسباب التبعية العمياء بين الناس، هو: تعلق التابع بشخص المتبوع، وحبه الشديد له على غير هدى ولا بصيرة، بحيث يرى كل أقوال متبوعه وجميع أفعاله هي الحق، وغيرها الباطل، وهذا التعلق بالأشخاص على هذا النحو، لا يجوز أن يكون إلاّ للنبي ﷺ، فهو وحده من البشر الذي يجب اتباعه في كل ما يأمر وينهى، ولا يصدر عنه إلاّ الحق، أما غيره من الحكام والملوك وأصحاب السلطة، فتجب طاعتهم إن أطاعوا الله تعالى، ويحرم اتباعهم إن هم خالفوا شرع الله عز وجل.

نذير إلاّ قال مترفوها﴾ رؤساؤها المتنعمون ﴿إنا بما أرسلتم به كافرون﴾.

٣٥﴿وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً﴾ ممن آمن ﴿وما نحن بمعذبين﴾ [لأن من أكرمنا في الدنيا، لا يعذبنا في الآخرة، على فرض وجودها].

٣٦﴿قل إن ربي يبسط الرزق﴾ يوسعه ﴿لمن يشاء﴾ امتحاناً ﴿ويقدر﴾ يضيقه لمن يشاء، ابتلاءً ﴿ولكن أكثر الناس﴾ أي: كفار مكة [وغيرهم] ﴿لا يعلمون﴾ ذلك.

٣٧﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى﴾ قربى، أي: تقريباً ﴿إلاّ﴾ لكن ﴿من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا﴾ أي: جزاءُ العمل [مضاعفاً]، الحسنة مثلاً بعشر [أمثالها] فأكثر ﴿وهم في الغرفات﴾ من الجنة ﴿آمنون﴾ من الموت وغيره [من المكاره]، وفي قراءة: «الغرفة» بمعنى الجمع، [مفردها: «الغرفة»، أي: العُلّيّة].

٣٨﴿والذين يسعون في آياتنا﴾ القرآن بالإبطال ﴿معجّزين﴾ [أتباع النبي ﷺ]، أي: ينسبونهم إلى العجز، ويثبطونهم عن الإيمان، أو: معجِّزين] لنا، [أي:] مقدرين عجزنا، [وفي قراءة: «معاجزين» بالألف، أي: مسابقين لنا]، وأنهم يفوتوننا، [لظنهم أنه لا بعث ولا عقاب] ﴿أولئك في العذاب محضرون﴾.

٣٩﴿قل إن ربي يبسط الرزق﴾ يوسعه ﴿لمن يشاء من عباده﴾ امتحاناً ﴿ويقدر﴾ يضيقه ﴿له﴾ بعد البسط، أو: لمن يشاء ابتلاءً ﴿وما أنفقتم من شيء﴾ في الخير ﴿فهو يخلفه وهو خير الرازقين﴾ يقال: كل إنسان يرزق عائلته، أي: برزق الله، [فالله خالق الأرزاق، والعباد متسببون فيه].

٤٠﴿و﴾ اذكر ﴿يوم نحشرهم جميعاً﴾ أي: المشركين ﴿ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الأولى ياء[1] وإسقاطها ﴿كانوا يعبدون﴾.

٤١﴿قالوا سبحانك﴾ تنزيهاً لك عن الشريك ﴿أنت ولينا من دونهم﴾ أي: لا موالاة بيننا وبينهم من جهتنا.

نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم

(١) قوله: «وإبدال الأولى ياء»، هذا سبق قلم من المؤلف الجلال المحلي رحمه الله، والصواب: أنه لم يقرأ بإبدال الهمزة الأولى ياءً أحدٌ من القراء، فيبقى مما ذكره قراءتان هما: تحقيق الهمزتين، وإسقاط الهمزة الأولى، وهما قراءتان سبعيتان.

﴿بل﴾ للانتقال ﴿كانوا يعبدون الجن﴾ الشياطين أي: يطيعونهم في عبادتهم إيانا ﴿أكثرهم بهم مؤمنون﴾ مصدقون فيما يقولون لهم.

٤٢ قال تعالى: ﴿فاليوم لا يملك بعضكم لبعض﴾ أي: بعض المعبودين لبعض العابدين ﴿نفعاً﴾ شفاعة ﴿ولا ضرّاً﴾ تعذيباً ﴿ونقول للذين ظلموا﴾ كفروا ﴿ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون﴾ [في الدنيا].

٤٣ ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا﴾ من القرآن ﴿بينات﴾ واضحات، بلسان نبينا محمد ﷺ ﴿قالوا ما هذا إلاّ رجل يريد أن يصدكم عمّا كان يعبد آباؤكم﴾ من الأصنام ﴿وقالوا ما هذا﴾ أي: القرآن ﴿إلاّ إفك﴾ كذب ﴿مفترى﴾ على الله ﴿وقال الذين كفروا للحق﴾ القرآن ﴿لما جاءهم إن﴾ ما ﴿هذا إلاّ سحر مبين﴾[1] بيّن.

٤٤ قال تعالى: ﴿وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير﴾ [أي: لم يقرؤوا بطلان ما جئت به في كتاب، ولا سمعوه من رسول بُعث إليهم] فمن أين كذبوك؟ [وما هو مستندهم في ذلك؟].

٤٥ ﴿وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا﴾ أي: هؤلاء ﴿معشار[2] ما آتيناهم﴾ [أي: ما آتينا تلك الأمم]، من القوة وطول العمر وكثرة المال ﴿فكذبوا رسلي﴾ إليهم [فأهلكتهم] ﴿فكيف كان نكير﴾ إنكاري عليهم بالعقوبة والإهلاك؟. أي: هو واقع موقعه.

٤٦ ﴿قل﴾ [لهم يا محمد:] ﴿إنما أعظكم بواحدة﴾ هي ﴿أن تقوموا لله﴾ أي: لأجله ﴿مثنى﴾ أي: اثنين اثنين ﴿وفرادى﴾ واحداً واحداً ﴿ثم تتفكروا﴾ فتعلموا ﴿ما بصاحبكم﴾ محمد ﴿من جنة﴾ جنون، [فكيف تقولون إنه مجنون؟].

بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَا آتَيْنَاهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ * قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ

(١) قوله تعالى: ﴿إلاّ سحر مبين﴾، ارجع إلى تعليقنا حول «السحر» ص ٢١٠ حيث بيّنا معناه وحكمه.

(٢) قوله تعالى: ﴿وما بلغوا معشار ما آتيناهم﴾، الضمير في «بلغوا» يعود إلى أهل مكة كما قال الجلال المحلي هنا، أو: إلى تلك الأمم، أي: لم نؤت السابقين ما آتيناكم يا أهل مكة من البيان والحجة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: فليس أمة أعلم من أمته ﷺ ولا كتاب أبين من كتابه.

أما «المعشار» فهو و «العُشْر» سواء، فمعشار الشيء: عُشْرُه، ولا يقال هذا في شيء من الأجزاء سوى العُشْر. وقال أبو الحسن علي بن محمد الماوردي المتوفى عام ٥٦٠هـ: المعشار هو عُشْر العُشَيْر، والعُشَيْرُ: هو عُشْر العُشْرِ، فيكون المعشار: جزءاً من ألف جزء. قال القرطبي: وهو الأظهر، لأن المراد به المبالغة في التقليل.

﴿إن﴾ ما ﴿هو إلاَّ نذير لكم بين يدي﴾ أي: قبل ﴿عذاب شديد﴾ في الآخرة، إن عصيتموه.

٤٧﴿قل﴾ لهم ﴿ما سألتكم﴾ على الإنذار والتبليغ﴿من أجر فهو لكم﴾ أي: لا أسألكم عليه أجراً، [فتثقل عليكم الإجابة بسببه] ﴿إن أجري﴾ ما ثوابي ﴿إلاَّ على الله وهو على كل شيء شهيد﴾ مطلع، يعلم صدقي.

٤٨﴿قل إن ربي يقذف بالحق﴾ يلقيه إلى أنبيائه، [أي: يبيِّن الحجة ويظهرها لهم] ﴿علام الغيوب﴾ ما غاب عن خلقه، في السماوات والأرض.

٤٩﴿قل جاء الحق﴾ الإسلام ﴿وما يبدىء الباطل﴾ الكفر ﴿وما يعيد﴾ أي: لم يبق له أثر.

إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾

٥٠﴿قل إن ضللت﴾ عن الحق [كما تزعمون] ﴿فإنما أضل على نفسي﴾ أي: إثم ضلالي عليها ﴿وإن اهتديت فبما يوحي إليَّ ربي﴾ من القرآن والحكمة ﴿إنه سميع﴾ للدعاء ﴿قريب﴾ [يجيب دعوة الداعي إذا دعاه].

٥١﴿ولو ترى﴾ يا محمد ﴿إذ فزعوا﴾ عند [الموت أو] البعث، ، [وجواب «لو»:] لرأيت أمراً عظيماً ﴿فلا فوت﴾ [فلا نجاة] لهم منا، أي: لا يفوتوننا ﴿وأخذوا من مكان قريب﴾ أي: القبور.

٥٢﴿وقالوا آمنا به﴾ [بالله عز وجل، أو بالبعث، أو] بمحمد، أو القرآن، [أقوال، كلها صحيحة] ﴿وأنَّى لهم التناوش﴾ بالواو، وبالهمزة بدلها [مع المد، أي: «التناؤش»]، أي: تَنَاوُلُ الإيمان ﴿من مكان بعيد﴾ عن محله؟ إذ هم في الآخرة، ومحله الدنيا، [وقيل: «التناوش» الرجعة أي: يطلبون الرجعة إلى الدنيا ليؤمنوا، فلا يجابون].

٥٣﴿وقد كفروا به من قبل﴾ في الدنيا ﴿ويقذفون﴾ يَرْمُون ﴿بالغيب من مكان بعيد﴾ أي: بما غاب علمه عنهم غيبةً بعيدة، [أي: يرمون بالظن]، حيث قالوا في النبي: ساحر، شاعر، كاهن، وفي القرآن: سحر، شعر، كهانة، [وقالوا: لا بعث ولا نشور، ولا جنة ولا نار].

٥٤﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون﴾ من الإيمان، أي: قبوله، [لينجوا من العذاب] ﴿كما فعل بأشياعهم﴾ أشباههم في الكفر ﴿من قبل﴾ أي: قبلهم [من القرون السابقة، فلم يقبل منهم إيمانهم، لما رأوا العذاب] ﴿إنهم كانوا في شك مريب﴾ موقع في الريبة لهم، فيما آمنوا به الآن، ولم يعتدوا بدلائله في الدنيا.

﴿ سُورَةُ فَاطِرٍ ﴾

[وتسمى سورة «الملائكة»]

(مكية: وهي خمس، أو: ست وأربعون آية)

(٣٥) سُورَةُ فَاطِرٍ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا خَمْسٌ وَأَرْبَعُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١﴿الحمد لله﴾ حَمِدَ تعالى نفسه بذلك، كما بيَّنَ في أول سبأ[1] ﴿فاطر السماوات والأرض﴾ خالقهما على غير مثال سبق ﴿جاعل الملائكة رسلاً﴾ إلى الأنبياء ﴿أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق﴾[2] في الملائكة وغيرها ﴿ما يشاء إن الله على كل شيء قدير﴾ [روى مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن النبي ﷺ رأى جبريل عليه السلام، له ستمائة جناح]. ٢﴿ما يفتح الله للناس من رحمة﴾ كرزق ومطر ﴿فلا ممسك لها وما يمسك﴾ من ذلك ﴿فلا مرسل له من بعده﴾ أي: بعد إمساكه ﴿وهو العزيز﴾ الغالب على أمره ﴿الحكيم﴾ في فعله. ٣﴿يا أيها الناس﴾ أهل مكة [وغيرهم] ﴿اذكروا نعمة الله عليكم﴾ بإسكانكم الحرم، ومنع الغارات عنكم ﴿هل من خالق﴾ «من» زائدة، و «خالق» مبتدأ ﴿غير الله﴾ بالرفع والجر، نعت لـ «خالق» لفظاً ومحلاً، وخبر المبتدأ: ﴿يرزقكم من السماء﴾ المَطَرَ ﴿و﴾ من ﴿الأرض﴾ النباتَ؟ والاستفهام للتقرير، أي: لا خالق رازق غيره ﴿لا إله إلا هو فأنى تؤفكون﴾ من أين تصرفون عن توحيده، مع إقراركم بأنه الخالق الرازق؟ ٤﴿وإن يكذبوك﴾ يا محمد، في مجيئك بالتوحيد، والبعث والحساب والعقاب ﴿فقد كذبت رسل من قبلك﴾ في ذلك، فاصبر كما صبروا ﴿وإلى الله

---

(١) قوله: «كما بين في أول سبأ»، حيث قال المؤلف الجلال المحلي هناك ص ٥٦٢: «والمراد به الثناء بمضمونه من ثبوت الحمد، وهو الوصف بالجميل لله تعالى». اهـ. هذا وقد افتتحت أربع سور في القرآن الكريم بـ «الحمد لله» هي: «الأنعام» و «الكهف» و «سبأ» و «فاطر».

(٢) قوله تعالى: ﴿يزيد في الخلق﴾، يزعم بعض الجهلة أن ثمة قراءة بالحاء المهملة، أي: «يزيد في الحلق»، يعنون بذلك الزيادة في حسن الصوت الصادر من الحنجرة، وهذا خطأ فاحش لا وجه له من الصواب، ولم يقرأ به أحد، والقصد منه تزيين الغناء المعروف في هذه الأيام للناس، واعتبار فعل هؤلاء المغنين والمغنيات نعمةً من نعم الله والعياذ بالله تعالى، لأن الصوت المسخّر في الغناء ينشر الفساد ويؤذي العباد.

ترجع الأمور﴾ في الآخرة، فيجازي المكذبين، وينصر المرسَلين.

٥﴿يا أيها الناس إن وعد الله﴾ بالبعث وغيره ﴿حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا﴾ عن الإيمان بذلك ﴿ولا يغرنكم بالله﴾ في حلمه وإمهاله ﴿الغرور﴾ [أي:] الشيطان [بوساوسه].

٦﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً﴾ بطاعة الله، ولا تطيعوه ﴿إنما يدعو حزبه﴾ أتباعه في الكفر ﴿ليكونوا من أصحاب السعير﴾ النار الشديدة.

تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَـٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ

٧﴿الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير﴾ هذا بيان: ما لموافقي الشيطان [من العذاب]، وما لمخالفيه [من الأجر والثواب].

٨ ونزل في أبي جهل وغيره: ﴿أفمن زين له سوء عمله﴾ بالتمويه ﴿فرآه﴾ [أي: رأى عمله السيىء] ﴿حسناً﴾، «مَنْ» مبتدأ، خبره [محذوف تقديره]: كمن هداه الله؟ لا، دل عليه: ﴿فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم﴾ على المزين لهم ﴿حسرات﴾ باغتمامك أن لا يؤمنوا ﴿إن الله عليم بما يصنعون﴾ فيجازيهم عليه، [قال الكسائي: المعنى «أفمن زُين له سوء عمله فرآه حسناً، ذهبت نفسك عليهم حسرات» وقال النحاس: والذي قاله الكسائي أحسن ما قيل في الآية، لما ذكره من الدلالة على المحذوف، والمعنى: أن الله تعالى، نهى نبيَّهُ عن شدة الاغتمام بهم والحزن عليهم].

٩﴿والله الذي أرسل الرياح﴾ وفي قراءة: «الريح» ﴿فتثير سحاباً﴾ المضارع لحكاية الحال الماضية، أي: تزعجه ﴿فسقناه﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿إلى بلد ميِّت﴾ بالتشديد والتخفيف، لا نبات بها ﴿فأحيينا به الأرض﴾ من البلد ﴿بعد موتها﴾ يبسها، أي: أنبتنا به الزرع والكلأ ﴿كذلك النشور﴾ البعث والإحياء.

١٠﴿من كان يريد العزة فللّه العزة جميعاً﴾ في الدنيا والآخرة، فلا تنال منه إلاّ بطاعته، فليطعه [من أرادها] ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ يعلمه، وهو «لا إله إلاّ الله» ونحوها ﴿والعمل الصالح يرفعه﴾ يقبله ﴿والذين يمكرون﴾ المكرات.

﴿السيئات﴾ بالنبي، في دار الندوة: من تقييده، أو: قتله، أو: إخراجه، كما ذُكر في «الأنفال»[1] ﴿لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور﴾ يهلك.

١١ ﴿والله خلقكم من تراب﴾ بخلق أبيكم آدم منه ﴿ثم من نطفة﴾ مَنِيٍّ، بخلق ذريته منها ﴿ثم جعلكم أزواجاً﴾ ذكوراً وإناثاً ﴿وما تحمل من أنثى ولا تضع﴾ [حملها] ﴿إلاّ بعلمه﴾ حال، أي: معلومة له ﴿وما يعمّر[2] من معمر﴾ أي: ما يزاد في عمر طويل العمر ﴿ولا ينقص من عمره﴾ أي: ذلك المعمَّر، أو معمَّرٍ آخر ﴿إلاّ في كتاب﴾ هو اللوح المحفوظ ﴿إن ذلك على الله يسير﴾ هين. ١٢ ﴿وما يستوي البحران هذا عذب فرات﴾ شديد العذوبة ﴿سائغ شرابه﴾ شربه ﴿وهذا ملح أجاج﴾ شديد الملوحة ﴿ومن كل﴾ منهما ﴿تأكلون لحماً طرياً﴾ هو السمك ﴿وتستخرجون﴾ من [البحر] المِلْح [فقط]، وقيل: منهما ﴿حلية تلبسونها﴾ أي: تتحلّون بلبسها، و] هي: اللؤلؤ والمرجان ﴿وترى﴾ تبصر ﴿الفلك﴾ السفن ﴿فيه﴾ في كل منهما ﴿مواخر﴾ تمخر الماء، أي: تشقه بجريها فيه، مقبلة ومدبرة، بريح واحدة ﴿لتبتغوا﴾ تطلبوا ﴿من فضله﴾ تعالى بالتجارة ﴿ولعلكم تشكرون﴾ الله على ذلك.

١٣ ﴿يولج﴾ يدخل الله ﴿الليل في النهار﴾ فيزيد [الليل ويطول] ﴿ويولج النهار﴾ يدخله ﴿في الليل﴾ فيزيد [النهار ويطول] ﴿وسخر الشمس والقمر كل﴾ منهما ﴿يجري﴾ في فَلَكِهِ ﴿لأجل مسمى﴾ يوم القيامة ﴿ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون﴾ تعبدون ﴿من دونه﴾ أي: غيره، وهم الأصنام ﴿ما يملكون من قطمير﴾ [هو:] لِفَافَةُ النَّواة، [أي: الغشاء الرقيق الذي يلفُّها]. ١٤ ﴿إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا﴾ فَرَضاً ﴿ما استجابوا

سُورَةُ فَاطِر ٣٥

ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟

---

(١) قوله: «كما ذكر في الأنفال»، أي: في قوله تعالى: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليُثبتوك أو يُخرجوك أو يقتلوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾ الآية ٣٠ منها.

(٢) قوله تعالى: ﴿وما يعمَّر من معمَّر ولا ينقص من عمره﴾ اختلفت أقوال العلماء في معنى التعمير والإنقاص في هذه الآية، والقول الذي اختاره ابن جرير الطبري، وأيده ابن كثير، وعزاه القرطبي إلى الفراء هو: ﴿وما يعمر من معمّر﴾ أي: ما يُعْطَى بعضُ النُّطَف ــ عند نفخ الروح وكتب الأجل ــ من العمر الطويل، يعلمه الله تعالى وهو عنده في الكتاب الأول، أي: فيما سبق في علمه تعالى، ﴿ولا ينقص من عمره﴾ الضمير عائد على الجنس لا على العين ــ أي: لا على عين المعمّر، بل على غيره ــ لأن الطويل العمر في الكتاب وفي علم الله تعالى، لا ينقص من عمره، وإنما عاد الضمير على الجنس، وهذا كقولهم: «عندي ثوب ونصفه» أي: ونصف ثوب آخر.

ومجمل المعنى: لا يكون العمر طويلاً لأناس وقصيراً لآخرين، إلاّ موافقاً لما سبق في علم الله عز وجل، أي: إن تفاوت أعمار الخلق ما بين: طويل، وأنقص، وقصير، هو تقدير الله تعالى، يأمر المَلَكَ بكتبه للجنين بعد نفخ الروح فيه، هذا أنسب الأقوال، وقيل غير ذلك، والله أعلم.

لكم﴾ ما أجابوكم ﴿ويوم القيامة يكفرون بشرككم﴾ بإشراككم إياهم مع الله، أي: يتبرؤون منكم، ومن عبادتكم إياهم ﴿ولا ينبئك﴾ بأحوال الدارين ﴿مِثْلُ خبيرٍ﴾ عالمٍ [بها]، وهو الله تعالى، [أي: لا أحد أخبر بخلق الله من الله تعالى].

١٥﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله﴾ بكل حال ﴿والله هو الغني﴾ عن خلقه ﴿الحميد﴾ المحمود في صنعه بهم.

١٦﴿إن يشأ﴾ [إذهابكم] ﴿يذهبكم ويأت بخلق جديد﴾ بدلكم، [يكون أطوع منكم وأزكى]. ١٧﴿وما ذلك على الله بعزيز﴾ شديد، [أي: ممتنع عسير متعذر].

١٨﴿ولا تزر﴾ نفس ﴿وازرة﴾ آثمة، أي: لا تحمل ﴿وزر﴾ نفس ﴿أخرى وإن تدع﴾ نفس ﴿مثقلة﴾ بالوِزْر ﴿إلى حملها﴾ منه، [أي: من الوزر]، أي: [وإن تَدْعُ] أحداً ليحمل بعضه ﴿لا يحمل منه شيء ولو كان﴾ المدعوُّ ﴿ذا قربى﴾ قرابة، كالأب والابن، وعدم الحمل في الشقين[1]، حكم من الله ﴿إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب﴾ أي: يخافونه وما رأوه، [أو: يخشون الله تعالى إذا اختَلَوا، فلم يرهم أحد من الناس]، لأنهم المنتفعون بالإنذار ﴿وأقاموا الصلاة﴾ أداموها ﴿ومن تزكى﴾ تطهر من الشرك وغيره ﴿فإنما يتزكى لنفسه﴾ فصلاحه مختص به ﴿وإلى الله المصير﴾ المرجع، فيجازي في الآخرة بالعمل. ١٩﴿وما يستوي الأعمى والبصير﴾ الكافر والمؤمن، [والجاهل والعالم].

٢٠﴿ولا الظلمات﴾ الكفر ﴿ولا النور﴾ الإيمان.

٢١﴿ولا الظل ولا الحرور﴾ الجنة والنار.

٢٢﴿وما يستوي الأحياء ولا الأموات﴾ المؤمنون والكافرون وزيادة «لا» في الثلاثة تأكيد ﴿إن الله يسمع من يشاء﴾ هدايته، فيحييه بالإيمان ﴿وما أنت بمسمع[2] من في القبور﴾ أي: الكفار، شبههم بالموتى فلا يجيبون، [لأن الكفر أمات قلوبهم، فلم يؤمنوا]. ٢٣﴿إن﴾ ما ﴿أنت إلاَّ نذير﴾ منذر لهم. ٢٤﴿إنا أرسلناك

الجزء الثاني والعشرون

لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ

نصف الحزب

(١) قوله: «وعدم الحمل في الشقين»، أي: «الحمل القهري» المراد بقوله تعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾، و «الحمل الاختياري» الذي هو تلبية الدعوة إليه، المشار إليه بقوله تعالى: ﴿لايحمل منه شيء﴾، فالشقان لا يحصلان، لأن الله تعالى قضى بذلك، فلا تؤخذ نفس بجريرة نفس أخرى قهراً، ولا يحمل إنسان ذنب آخر اختياراً.

(٢) قوله تعالى: ﴿وما أنت بمسمع من في القبور﴾، إن الأموات لا يسمعون كلام أهل الدنيا، إلاَّ في مواضع مخصوصة ورد بيانها في الأحاديث النبوية، وقد بينا ذلك في تعليقنا على «سماع الموتى» ص ٥٣٧.

﴿بالحق﴾ بالهدى ﴿بشيراً﴾ من أجاب إليه [بالجنة] ﴿ونذيراً﴾ من لم يجب إليه [بالنار] ﴿وإن﴾ ما ﴿من أمة إلا خلا﴾ سلف ﴿فيها نذير﴾ نبي ينذرها. ٢٥﴿وإن يكذبوك﴾ أي: أهل مكة [وغيرهم] ﴿فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ المعجزات ﴿وبالزبر﴾ كصحف إبراهيم ﴿وبالكتاب المنير﴾ هو: التوراة والإنجيل، فاصبر كما صبروا، [وهذا قبل الأمر بالقتال]. ٢٦﴿ثم أخذت الذين كفروا﴾ بتكذيبهم ﴿فكيف كان نكير﴾ إنكاري عليهم بالعقوبة والإهلاك؟ أي: هو واقع موقعه. ٢٧﴿ألم ترَ﴾ تعلم ﴿أن الله أنزل من السماء﴾ [أي: من السحاب] ﴿ماء فأخرجنا﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿به ثمرات مختلفاً ألوانها﴾ كأخضر وأحمر وأصفر وغيرها، [وهنا انتهى المعنى، ثم استأنف معنى جديداً فقال تعالى:] ﴿ومن الجبال جدد﴾ جمع «جُدَّة»: طريق في الجبل وغيره[1] ﴿بيض وحمر﴾ وصفر ﴿مختلف ألوانها﴾ بالشدة والضعف ﴿وغرابيب سود﴾ عطف على «جدد»، أي: صخور شديدة السواد، يقال كثيراً: أسودُ غربيبٌ، وقليلاً: غربيبٌ أسود[2].

٢٨﴿ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك﴾ كاختلاف الثمار والجبال ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ [الذين علموا أن الله على كل شيء قدير]، بخلاف الجهال، ككفار مكة [وأمثالهم] ﴿إن الله عزيز﴾ في ملكه ﴿غفور﴾ لذنوب عباده المؤمنين.

٢٩﴿إن الذين يتلون﴾ يقرؤون ﴿كتاب الله وأقاموا الصلاة﴾ أداموها ﴿وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية﴾ زكاة وغيرها، [أي: أنفقوا كيفما تيسر لهم] ﴿يرجون تجارة لن تبور﴾ تهلك، [كما تبور تجارة الدنيا].

٣٠﴿ليوفيهم أجورهم﴾ ثواب أعمالهم المذكورة ﴿ويزيدهم من فضله إنه غفور﴾ لذنوبهم

بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ

---

(١) قول الجلال المحلي: «طريق في الجبل وغيره» غير واضح، وبيانه أن قوله تعالى: ﴿ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها﴾ يشير إلى اختلاف ألوان الصخور، ومعنى «الجدّة» في أصل اللغة: الخُطّة في ظهر الحمار تخالف لونه، أي: إن صخور الجبال خُطط وطرائق مختلفة الألوان، والمتأمل في الطبقات الصخرية من الجبال التي شُقّت بالطرق، يرى ما تعنيه هذه الآية من اختلاف ألوانها في الجبل الواحد، بل وفي الطبقة الواحدة، وفي ذلك آية وعبرة لأولي الألباب.

(٢) قوله: «يقال كثيراً أسود غربيب، وقليلاً غربيب أسود». هذا بناء على أن توكيد الألوان لا يتقدم، فتقول «أحمر قاني»، ولا تقول «قاني أحمر»، لذلك مال المؤلف الجلال المحلي إلى اعتبار تقدم التوكيد في الآية قليلاً، وقيل: في الكلام تقديم وتأخير، والمعنى: ومن الجبال سود غرابيب، وقال الجوهري: إذا قلت: «غرابيب سود» تجعل «السود» بدلاً من «غرابيب»، وقال الزمخشري في «الكشاف»: وجهه أن يُضمَرَ المؤكَّدُ قبله، ويكون الذي بعده تفسيراً لما أُضمِرَ ــ أي: وسود غرابيب سود ــ وإنما يُفعل ذلك لزيادة التوكيد، حيث يُدَلُّ على المعنى الواحد من طريقي الإظهار والإضمار جميعاً. اهـ.

﴿شكور﴾ لطاعتهم. ٣١﴿والذي أوحينا إليك من الكتاب﴾ القرآن ﴿هو الحق مصدقاً لما بين يديه﴾ تَقَدَّمه من الكتب ﴿إن الله بعباده لخبير بصير﴾ عالم بالبواطن والظواهر.

٣٢﴿ثم أورثنا﴾ أعطينا ﴿الكتاب﴾ القرآن ﴿الذين اصطفينا من عبادنا﴾ وهم أمتك ﴿فمنهم ظالم لنفسه﴾ بالتقصير في العمل به ﴿ومنهم مقتصد﴾ يعمل به في أغلب الأوقات ﴿ومنهم سابق بالخيرات﴾ يضم إلى العمل به، التعليمَ والإرشادَ إلى العمل به، ﴿بإذن الله﴾ بإرادته ﴿ذلك﴾ أي: إيراثهم الكتاب ﴿هو الفضل الكبير﴾.

شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَالَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَٰبِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَٰبَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِالْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِيٓ أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ

٣٣﴿جنات عدن﴾ إقامة ﴿يدخلونها﴾ أي: [الأصنافُ] الثلاثة [المذكورون]، بالبناء للفاعل والمفعول، [وجملة: «يدخلونها»]، خبرُ «جنات» المبتدأ، [وجملة:] ﴿يحلون﴾ خبر ثان، [أي: يُزَيَّنون بالحلي] ﴿فيها من﴾ [زائدة، أو بمعنى:] بعض ﴿أساور من ذهب ولؤلؤ﴾[1] [بالجر]، مرصع به الذهب، [أو: أساور من كلٍّ منهما، وفي قراءة: «ولؤلؤاً» بالنصب، عطفاً على موضع «من أساور»، والمعنى: يحلون فيها أساور ذهباً وأخرى لؤلؤاً، أو: أن الأساور من ذهب، وحليةً أخرى من اللؤلؤ] ﴿ولباسهم فيها حرير﴾.

٣٤﴿وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾ جميعه ﴿إن ربنا لغفور﴾ للذنوب ﴿شكور﴾ للطاعة.

٣٥﴿الذي أحلنا دار المقامة﴾ الإقامة ﴿من فضله لا يمسنا فيها نصب﴾ تعب ﴿ولا يمسنا فيها لغوب﴾ إعياء من التعب، لعدم التكليف فيها، وذكرُ الثاني ـ [أي: «لغوب»] ـ التابع للأول، للتصريح بنفيه [أيضاً].

٣٦﴿والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم﴾ بالموت ﴿فيموتوا﴾ [أي:] يستريحوا [من العذاب به] ﴿ولا يخفف عنهم من عذابها﴾ طرفة عين ﴿كذلك﴾ كما جزيناهم ﴿يُجْزَى كلُّ كفور﴾ كافر، بالياء [المضمومة، مع فتح الزاي، ورفع «كلّ»، نائب فاعل لـ «يُجْزَى»]، والنونِ مفتوحة مع كسر الزاي، ونصب «كلّ»، [أي: «نَجْزِي كلّ»]. ٣٧﴿وهم يصطرخون فيها﴾ يستغيثون بشدة وعويل يقولون ﴿ربنا

---

(١) قوله تعالى: ﴿يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤ﴾. اللؤلؤ: هو ما يستخرج من جوف الصدف من البحر، ولقد جعل الله تعالى الذهب والحرير زينة لأهل الجنة وجزءاً من نعيمها، مكافأة للذين لم يتحلوا بالذهب ولم يلبسوا الحرير في الدنيا، لأن الذهب والحرير محرمان هنا على ذكور أمة محمد ﷺ، وكذلك يحرم على الرجال وعلى النساء، استعمال أواني الذهب والفضة كالملاعق والصحون وغيرها، =

أخرجنا﴾ منها، [وأعِدْنا إلى الحياة الدنيا مرة أخرى] ﴿نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل﴾ فيقال لهم: ﴿أو لم نعمركم ما﴾ وقتاً ﴿يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير﴾ الرسول؟ فما أجبتم [ولا آمنتم] ﴿فذوقوا﴾ [العذاب] ﴿فما للظالمين﴾ الكافرين ﴿من نصير﴾ يدفع العذاب عنهم.

٣٨﴿إن الله عالم غيب السماوات والأرض إنه عليم بذات الصدور﴾ بما في القلوب، فَعِلْمُهُ بغيره أولى، [وذلك بالنظر إلى حال الناس، [أما بالنسبة إليه تعالى، فالسر والإعلان سواء].

أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ

٣٩﴿هو الذي جعلكم خلائف في الأرض﴾ جمع «خليفة» أي: يخلف بعضكم بعضاً ﴿فمن كفر﴾ منكم ﴿فعليه كفره﴾ أي: وبال كفره ﴿ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلاَّ مقتاً﴾ غضباً ﴿ولا يزيد الكافرين كفرهم إلاَّ خساراً﴾ للآخرة.

٤٠﴿قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون﴾ تعبدون ﴿من دون الله﴾ أي: غيره، وهم: الأصنام الذين زعمتم أنهم شركاء الله تعالى ﴿أروني﴾ أخبروني ﴿ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك﴾ شركة مع الله ﴿في﴾ خلق ﴿السماوات أم آتيناهم كتاباً فهم على بينة﴾ حجة ﴿منه﴾ بأن لهم معي شركة؟ لا شيء من ذلك [حاصل] ﴿بل إن﴾ ما ﴿يعد الظالمون﴾ الكافرون ﴿بعضهم بعضاً إلاَّ غروراً﴾ باطلاً، بقولهم: الأصنام تشفع لهم.

٤١﴿إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا﴾ أي: يمنعهما من الزوال، [فهو تعالى: قيوم السماوات والأرض] ﴿ولئن﴾ لام قسم ﴿زالتا إن﴾ ما ﴿أمسكهما﴾ يمسكهما ﴿من أحد

= فقد روى البخاري عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: «نهانا النبي ﷺ أن نشرب في آنية الذهب والفضة وأن نأكل فيها، وعن لبس الحرير والديباج وأن نجلس عليه».

وروى الشيخان عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَلْبَسُوا الحرير، فإن من لَبِسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة»، ورَوَيَا مثله عن أنس بن مالك رضي الله عنه. وروى أبو داود بإسناد حسن، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: رأيتُ رسول الله ﷺ أخذ حريراً فجعله في يمينه، وذهباً فجعله في شماله ثم قال: «إن هذين حرام على ذكور أمتي»، والحرير المحرّم هو الحرير الذي تخرجه «دودة القز»، أما الحرير الصناعي الذي يصنعه الناس، فهو مباح وإن كان ناعماً.

من بعده﴾ أي: سواه ﴿إنه كان حليماً غفوراً﴾ في تأخير عقاب الكفار. ٤٢﴿وأقسموا﴾ أي: كفار مكة ﴿بالله جهد أيمانهم﴾ أي: غاية اجتهادهم فيها ﴿لئن جاءهم نذير﴾ رسول ﴿ليكونن أهدى من إحدى الأمم﴾ اليهود والنصارى وغيرهما، أي: [من] أيِّ واحدة منهما، لِمَا رأوا من تكذيب بعضهما لبعض، إذ قالت اليهود: ليست النصارى على شيء، وقالت النصارى: ليست اليهود على شيء ﴿فلما جاءهم نذير﴾ محمد ﷺ ﴿ما زادهم﴾ مجيئه ﴿إلاَّ نفوراً﴾ تباعداً عن الهدى.

مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِۖ فَلَمَّا جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ مَّا زَادَهُمۡ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ﴿٤٤﴾ وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا ﴿٤٥﴾

٤٣﴿استكباراً في الأرض﴾ عن الإيمان، مفعول له، [أي: كفروا لأجل تكبرهم] ﴿ومكر﴾ العمل ﴿السيِّىء﴾ من الشرك وغيره ﴿ولا يحيق﴾ يحيط ﴿المكر السيِّىء إلاَّ بأهله﴾ وهو الماكر، ووَصْفُ «المكر» بـ«السيِّىء» أصل، [أي: جاء على الأصل، من استعمال الصفة تابعة للموصوف]، وإضافته إليه قَبْلُ، [أي: في قوله تعالى: «ومكر السيِّىء»]، استعمال آخر، [جاء على خلاف الأصل، حيث أضيفت فيه الصفة إلى الموصوف، لذلك] قُدِّر فيه مضاف [إليه هو: «العمل»، بعد «مكر»]، حذراً من الإضافة[1] إلى الصفة ﴿فهل ينظرون إلاَّ سُنَّةَ الأولين﴾ سنة الله فيه من تعذيبهم بتكذيبهم رسلهم ﴿فلن تجد لسُنَّةِ الله تبديلاً ولن تجد لسُنَّةِ الله تحويلاً﴾ أي: لا يبدل بالعذاب غيرُه، ولا يحول إلى غير مستحقه.

٤٤﴿أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة﴾ فأهلكهم الله بتكذيبهم رسلهم ﴿وما كان الله ليعجزه﴾ يسبقه ويفوته ﴿من شيء في السماوات ولا في الأرض إنه كان عليماً﴾ بالأشياء كلها ﴿قديراً﴾ عليها.

٤٥﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا﴾ من المعاصي ﴿ما ترك على ظهرها﴾ أي: الأرض ﴿من دابة﴾ نَسَمَة [بفتح السين] تدب عليها ﴿ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى﴾ أي: يوم القيامة ﴿فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيراً﴾ فيجازيهم على أعمالهم، بإثابة المؤمنين، وعقاب الكافرين.

---

(١) قوله: «حذراً من الإضافة إلى الصفة»، بيانه: أن الأصل في اللغة، أن تكون الصفة تابعة للموصوف في إعرابه، ولا تكون مضافة إليه، وقد جاءت الصفة ــ وهي كلمة «السيىء» في هذه الآية ــ مَرَّةً على الأصل، أي: تابعة للموصوف في قوله تعالى: ﴿ولا يحيق المكر السيىء﴾، وجاءت قبل ذلك في قوله تعالى: ﴿ومكر السيىء﴾ مضافة إلى الموصوف، وهذا استعمال على خلاف الأصل المذكور، فاحتيج إلى تقدير مضاف إليه بعد «مكر» تقديره: «مكر العمل السيىء» كما قدره الجلال المحلي رحمه الله.

﴿سُورَةُ يسٓ﴾

(مكية، إلاَّ قوله: «وإذا قيل لهم أنفقوا» «الآية»، أو: مدنية[1]، ثنتان، [أو: ثلاث] وثمانون آية)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ﴿يس﴾ الله أعلم بمراده به[2]. ٢ ﴿والقرآن الحكيم﴾ المحكَم، بعجيب النظم وبديع المعاني. ٣ ﴿إنك﴾ يا محمد ﴿لمن المرسلين﴾. ٤ ﴿على﴾ متعلق بما قبله ﴿صراط مستقيم﴾ أي: طريق الأنبياء قبلك، [وهو:] التوحيد والهدى. والتأكيد بالقسم وغيره، رَدٌّ لقول الكفار له: «لست مرسلاً». ٥ ﴿تنزيلُ العزيز﴾ في ملكه ﴿الرحيم﴾ بخلقه [و «تنزيل» بالرفع]، خبر مبتدأ مقدر، أي: القرآن، [وفي قراءة بنصبه، مفعولاً مطلقاً، أو: مفعولاً لفعل محذوف تقديره: «أمْدَحُ»]. ٦ ﴿لتنذر﴾ به ﴿قوماً﴾ متعلق بـ «تنزيل» ﴿ما أنذر آباؤهم﴾ أي: لم ينذَروا في زمن الفترة ﴿فهم﴾ أي: القوم ﴿غافلون﴾ عن الإيمان والرُّشد. ٧ ﴿لقد حق القول﴾ وجب ﴿على أكثرهم﴾ بالعذاب ﴿فهم لا يؤمنون﴾ أي: الأكثر. ٨ ﴿إنا جعلنا في أعناقهم﴾ [وفي أيديهم] ﴿أغلالاً﴾ بأن تُضَمَّ إليها الأيدي، لأن «الغُلَّ» يجمع اليد إلى العنق ﴿فهي﴾ أي: الأيدي مجموعة ﴿إلى الأذقان﴾ جمع «ذَقَن» [بفتحتين]، وهي: مجتمع اللَّحْيَيْن، [مثنَّى «لَحْي»] ﴿فهم مقمحون﴾ رافعون رؤوسهم، لا يستطيعون خفضها، وهذا تمثيل، والمراد: أنهم لا يذعنون للإيمان، ولا يخفضون رؤوسهم له. ٩ ﴿وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً﴾ بفتح السين وضمها، في الموضعين ﴿فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾ تمثيل أيضاً لسد طرق الإيمان عليهم. ١٠ ﴿وسواء عليهم أأنذرتهم؟﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفاً، وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى، وتركه ﴿أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ [أي: لن ينفعهم إنذارك].

(٣٦) سُورَةُ يسٓ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا ثَلَاثٌ وَثَمَانُونَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يسٓ ﴿١﴾ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ
ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ
ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ
غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ
لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى
ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا
وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴿٩﴾
وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠﴾

---

(١) قوله: «أو مدنية»، موجود في المخطوطات الثلاث، وإن صح ذلك فيكون الجلال المحلي قد تفرد بذلك، لأنها مكية بإجماع كما قال القرطبي، وفي عدد آياتها قولان: وخلافهم في موضع واحد هو «يس»، ففي العدد «الكوفي» المنسوب لأبي عبد الرحمن السُّلَمي، هو آية، وعليه يكون العدد ثلاثاً وثمانين آية، ارجع إلى مقدمة هذا الكتاب. أما ما هو متداول من أحاديث في فضل سورة «يس» فلم يصح منها شيء كما قال القاضي أبو بكر ابن العربي، بل كلها أحاديث ضعيفة لذلك لم نذكر منها حديثاً.

(٢) قوله: «الله أعلم بمراده به»، يفيد أن الجلال المحلي أخذ بقول من اعتبر «يس» من الحروف المتقطعة، وليس اسماً، وهو الصحيح، ارجع إلى تعليقنا ص ٣، وإلى أول سورة «طه» ص ٤٠٦، وإلى أسمائه ﷺ ص ٥٥٦.

١١ ﴿إنما تنذر﴾ ينفع إنذارك ﴿من اتبع الذكر﴾ القرآن ﴿وخشي الرحمن بالغيب﴾ خافه ولم يره، [أو: حال غيبته عن أعين الناس] ﴿فبشره بمغفرة وأجر كريم﴾ هو الجنة. ١٢ ﴿إنا نحن نحيي الموتى﴾[1] للبعث ﴿ونكتب﴾ في اللوح المحفوظ ﴿ما قدموا﴾ في حياتهم، من خير وشر، ليجازوا عليه ﴿وآثارهم﴾ ما اسْتُنَّ به بعدهم [من خير، كعلم وصدقة جارية: أو شرٍّ كضلالة أحدثوها] ﴿وكل شيء﴾ نَصْبُه بفعل [مقدَّر] يفسره: ﴿أحصيناه﴾ ضبطناه ﴿في إمام مبين﴾ كتاب بيِّن، هو اللوح المحفوظ. ١٣ ﴿واضرب﴾ اجعل ﴿لهم مثلاً﴾ مفعول أول ﴿أصحاب﴾ مفعول ثان ﴿القرية﴾ «أنطاكية» ﴿إذ جاءها﴾ ــ إلى آخره ــ بدل اشتمال من «أصحاب القرية» ﴿المرسلون﴾ أي: رسل عيسى[2].

إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟

١٤ ﴿إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما﴾ ــ إلى آخره ــ، بدلٌ من «إذ» الأولى ــ إلى آخره ــ ﴿فعززنا﴾ بالتخفيف والتشديد، قوينا الاثنين ﴿بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون﴾.

١٥ ﴿قالوا ما أنتم إلاّ بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن﴾ ما ﴿أنتم إلاّ تكذبون﴾.

١٦ ﴿قالوا ربنا يعلم﴾ جارٍ مجرى القسم، وزِيدَ التأكيدُ به وباللام، على ما قبله، لزيادة الإنكار في: ﴿إنا إليكم لمرسلون﴾.

١٧ ﴿وما علينا إلاّ البلاغ المبين﴾ التبليغ البيِّن الظاهر، بالأدلة الواضحة، وهي: إبراء الأكمه والأبرص والمريض، وإحياءُ الميت.

١٨ ﴿قالوا إنا تطيرنا﴾ تشاءمنا ﴿بكم﴾ لانقطاع المطر عنا بسببكم ﴿لئن﴾ لام القسم ﴿لم تنتهوا لنرجمنكم﴾ بالحجارة ﴿وليمسنكم منا عذاب أليم﴾ مؤلم.

١٩ ﴿قالوا طائركم﴾ شؤمكم ﴿معكم﴾ بكفركم ﴿أئن﴾ همزة استفهام، دخلت على «إن» الشرطية، وفي همزتها: التحقيق والتسهيل، وإدخال ألف بينهما ــ بوجهيها ــ وبين الأخرى، [وتركُه] ﴿ذكرتم﴾ وعُظتم وخوِّفتم؟، وجواب الشرط محذوف، أي: تطيرتم وكفرتم؟ وهو محل الاستفهام، والمراد به التوبيخ ﴿بل أنتم قوم مسرفون﴾ متجاوزون الحدَّ بشرككم. ٢٠ ﴿وجاء من أقصى المدينة رجل﴾ هو: حبيب النجار، كان قد آمن بالرسل، ومنزلُه بأقصى البلد ﴿يسعى﴾ يشتد عَدْواً، لما سمع بتكذيب القوم الرسل ﴿قال يا قوم اتبعوا

---

(١) قوله تعالى: ﴿إنا نحن نحيي الموتى﴾ الآية، روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: أراد بنو سَلِمة أن يتحولوا إلى قرب المسجد ــ أي: مسجد رسول الله ﷺ ــ قال: فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «يا بني سَلِمَة، دياركم تُكْتَبْ آثارُكم، دياركم تُكتبْ آثارُكم» ــ أي: الزموا دياركم ــ فقالوا: ما كان يسرنا أنا كنا تحولنا. وأخرج الطبراني والترمذي والحاكم مثلَه.

(٢) قوله: «أي: رسل عيسى»، هذا قول بعض المفسرين، والصحيح، أنهم رسل من الله تعالى وهو ما يؤيده سياق الآيات، وبه أخذ ابن كثير.

المرسلين﴾. ٢١ ﴿اتبعوا﴾ تأكيد للأول ﴿من لا يسألكم أجراً﴾ على رسالته ﴿وهم مهتدون﴾ فقيل له: أنت على دينهم؟ ٢٢ فقال: ﴿وما لي لا أعبد الذي فطرني؟﴾ خلقني، أي: لا مانع لي من عبادته، الموجودِ مقتضيها، وأنتم كذلك ﴿وإليه ترجعون﴾ بعد الموت، فيجازيكم كفيركم. ٢٣ ﴿ءأتخذ﴾ في الهمزتين منه، ما تقدم في: «ءأنذرتهم» [الآية ١٠]، وهو استفهام بمعنى النفي، [أي: لن أتخذ] ﴿من دونه﴾ [أي:] غيره ﴿آلهة﴾ أصناماً؟ ﴿إن يردن الرحمن بضُرٍّ لا تغن عني شفاعتهم﴾ التي زعمتموها ﴿شيئاً ولا ينقذون﴾ [وجملة: «إن يردن الرحمن إلخ»]، صفة «آلهة»، [وقيل: مستأنفة، سيقت لتعليل النفي المذكور]. ٢٤ ﴿إني إذاً﴾ إن عبدت غير الله ﴿لفي ضلال مبين﴾ بيِّن. ٢٥ ﴿إني آمنت بربكم فاسمعون﴾ أي: اسمعوا قولي، فرجموه فمات. ٢٦ ﴿قيل﴾ له عند موته ﴿ادخل الجنة﴾ وقيل: دخلها حيّاً، [والصحيح الأول] ﴿قال يا﴾ حرف تنبيه ﴿ليت قومي يعلمون﴾. ٢٧ ﴿بما غفر لي ربي﴾ بغفرانه ﴿وجعلني من المكرمين﴾. ٢٨ ﴿وما﴾ نافية ﴿أنزلنا على قومه﴾ أي: حبيب ﴿من بعده﴾ بعد موته ﴿من جند من السماء﴾ أي: ملائكة، لإهلاكهم ﴿وما كنا منزلين﴾ ملائكة لإهلاك أحد [منهم، بل أهلكهم الله بالصيحة، كما قال تعالى:]. ٢٩ ﴿إن﴾ ما ﴿كانت﴾ عقوبتهم ﴿إلا صيحة واحدة﴾ صاح بهم جبريل ﴿فإذا هم خامدون﴾ ساكتون ميتون. ٣٠ ﴿يا حسرة على العباد﴾ هؤلاء ونحوهم، ممن كذب الرسل، فأُهلكوا، وهي: شدةُ التألم، ونداؤها مجاز، أي: هذا أوانُك فاحضري ﴿ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون﴾ مسوق لبيان سببها، [أي: سبب الحسرة]، لاشتماله على استهزائهم، المؤدي إلى إهلاكهم، المسبَّب عنه الحسرة. ٣١ ﴿ألم يروا﴾ أهل مكة القائلون للنبي: «لست مرسلاً»، والاستفهام للتقرير، أي: اعْلَمُوا ﴿كم﴾ خبرية بمعنى «كثيراً» معمولةٌ لما بعدها، معلِّقةٌ ما قبلها عن العمل، [فليست معمولة لـ «يروا»، لأنَّ «كم» الخبرية، لها الصدارة، فلا يعمل ما قبلها فيها] والمعنى: إنا ﴿أهلكنا قبلهم﴾ كثيراً ﴿من القرون﴾ الأمم ﴿أنهم﴾ أي: المهلكين ﴿إليهم﴾ إلى المكذبين ﴿لا يرجعون؟﴾ أفلا يعتبرون بهم؟، و [جملة] «أنهم.. إلخ»، بدل [اشتمال] مما قبله، برعاية المعنى المذكور. ٣٢ ﴿وإن﴾ نافية [بمعنى «ما»]، أو: مخفَّفة ﴿كل﴾ أي: كل الخلائق، مبتدأ ﴿لما﴾ بالتشديد، بمعنى «إلا»، وبالتخفيف، فاللام فارقة[1]، و «ما» مزيدة.

ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ * وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا

حزب ٤٥ جزء ٢٣

(١) قوله: «فاللام فارقة وما مزيدة»، بيان الإعراب والمعنى على القراءتين في قوله تعالى: ﴿وإن كلّ لما جميع لدينا محضرون﴾ ما يلي:
مَنْ قرأ «لما» بالتشديد، جعل «لمّا» بمعنى «إلا»، وجعل «إنْ» بمعنى «ما»، وتقديره: «وما كل إلا جميع»، ومن قرأ «لما» بالتخفيف، جعل «إن» مخففة من الثقيلة، وجعل «ما» زائدة، و «اللام» لام تأكيد لزمت في خبرها فرقاً بين الخفيفة بمعنى «ما» والمخففة من الثقيلة، وتقديره: «وإن كلّ لجميع»، وعلى كلا القراءتين: فـ «كلّ» مبتدأ، و «جميع» خبره.

﴿جميع﴾ خبر المبتدأ، أي: مجموعون ﴿لدينا﴾ عندنا في الموقف بعد بعثهم ﴿محضرون﴾ للحساب، خبر ثانٍ.
٣٣﴿وآية لهم﴾ على البعث، خبر مقدَّم ﴿الأرض الميتة﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿أحييناها﴾ بالماء، مبتدأ [مؤخَّر] ﴿وأخرجنا منها حباً﴾ كالحنطة ﴿فمنه يأكلون﴾. ٣٤﴿وجعلنا فيها جنات﴾ بساتين ﴿من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون﴾ أي: بعضها، [أو: «من» زائدة]. ٣٥﴿ليأكلوا من ثمره﴾ بفتحتين وضمتين، أي: ثمر المذكور، من النخيل وغيره ﴿وما عملته أيديهم﴾ أي: لم تعمل الثمر ﴿أفلا يشكرون﴾ أنعمه تعالى عليهم؟ ٣٦﴿سبحان الذي خلق الأزواج﴾ الأصناف ﴿كلها مما تنبت الأرض﴾ من الحبوب وغيرها ﴿ومن أنفسهم﴾ من الذكور والإناث ﴿ومما لا يعلمون﴾ من المخلوقات العجيبة الغريبة. ٣٧﴿وآية لهم﴾ على القدرة العظيمة ﴿الليل نسلخ﴾ نفصل ﴿منه النهار فإذا هم مظلمون﴾ داخلون في الظلام.

جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ
أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا
جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾
لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾
سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ
وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ
نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ
تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾
وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾
لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ
ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا
ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ

٣٨﴿والشمس تجري﴾ ـ إلى آخره ـ، من جملة: الآية لهم، أو: آية أخرى، والقمر كذلك [آية أخرى، فيكون عطف جمل] ﴿لمستقرٍّ لها﴾ أي: إليه لا تتجاوزه[1] ﴿ذلك﴾ أي: جريها ﴿تقدير العزيز﴾ في ملكه ﴿العليم﴾ بخلقه.
٣٩﴿والقمر﴾ بالرفع والنصب، وهو منصوب بفعل يفسره ما بعده ﴿قدرناه﴾ من حيث سيره ﴿منازل﴾ ثمانية وعشرين منزلاً، في ثمان وعشرين ليلة من كل شهر، ويستتر ليلتين، إن كان الشهر ثلاثين يوماً، وليلةً، إن كان تسعة وعشرين يوماً ﴿حتى عاد﴾، في آخر منازله، في رأي العين ﴿كالعرجون القديم﴾ كعود الشماريخ، [جمع «شمراخ»، وهو: عيدان عنقود النخيل الذي عليه الرُّطَبُ أي: أصل العِذْق] إذا عَتُق، فإنه يرق ويتقوس ويصفر.
٤٠﴿لا الشمس ينبغي﴾ يسهل ويصح ﴿لها أن تدرك القمر﴾ نتجتمع معه في الليل ﴿ولا الليل سابق النهار﴾ فلا يأتي قبل انقضائه ﴿وكل﴾ ـ تنوينه عوض عن المضاف إليه ـ من الشمس والقمر والنجوم ﴿في فلك﴾ مستدير ﴿يسبحون﴾ يسيرون، نُزّلوا منزلة العقلاء.
٤١﴿وآية لهم﴾ على قدرتنا ﴿أنا حملنا ذريتهم﴾ وفي قراءة: «ذرياتهم»، أي: آباءهم الأصول ﴿في الفلك﴾ أي: سفينة نوح ﴿المشحون﴾ المملوء.
٤٢﴿وخلقنا لهم من مثله﴾ أي: مثل فلك نوح، وهو ما عملوه على شكله، من السفن الصغار والكبار، بتعليم الله تعالى.

---

(١) قوله: «أي: لا تتجاوزه»، أشار المؤلف الجلال المحلي بذلك إلى أن المستقَرّ هو منتهى سيرها وهو يوم القيامة، حيث يبطل سيرها وتسكن حركتها وتكوّر الشمس وينتهي هذا العالم، أي: لا تزال تطلع وتغيب ـ بإذنه تعالى ـ حتى يوم القيامة، لا تتوقف ولا تنقطع، وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿وسخر لكم الشمس والقمر دائبين﴾، وروى البخاري ومسلم والترمذي ـ واللفظ للبخاري ـ عن أبي ذر رضي الله عنه =

مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا

﴿ما يركبون﴾ فيه. ٤٣ ﴿وإن نشأ نغرقهم﴾ مع إيجاد السفن ﴿فلا صريخ﴾ مغيث ﴿لهم ولا هم ينقذون﴾ ينجون. ٤٤ ﴿إلاَّ رحمة منا ومتاعاً إلى حين﴾ أي: لا ينجيهم، إلاَّ رحمتنا لهم، وتمتيعنا إياهم بلذاتهم، إلى انقضاء آجالهم. ٤٥ ﴿وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم﴾ من عذاب الدنيا، كغيركم ﴿وما خلفكم﴾ من عذاب الآخرة ﴿لعلكم ترحمون﴾ أَعْرَضُوا، [بدليل قوله تعالى:] ٤٦ ﴿وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلاَّ كانوا عنها معرضين﴾. ٤٧ ﴿وإذا قيل﴾ أي: قال فقراء الصحابة ﴿لهم أنفقوا﴾ علينا ﴿مما رزقكم الله﴾ من الأموال ﴿قال الذين كفروا للذين آمنوا﴾ استهزاء بهم ﴿أنطعم من لو يشاء الله أطعمه؟﴾ في معتقدكم ﴿إن﴾ ما ﴿أنتم﴾ في قولكم لنا ذلك، مع معتقدكم هذا ﴿إلاَّ في ضلال مبين﴾ بيِّن، وللتصريح بكفرهم، [في قوله: «قال الذين كفروا»]، موقع عظيم، [هو التقبيح عليهم والتشنيع بهم]. ٤٨ ﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ بالبعث ﴿إن كنتم صادقين﴾ فيه. ٤٩ قال: تعالى ﴿ما ينظرون﴾ ينتظرون ﴿إلاَّ صيحة واحدة﴾ وهي: نفخة إسرافيل الأولى ﴿تأخذهم وهم يخصمون﴾ بالتشديد، أصله «يختصمون»، نُقلتْ حركة التاء إلى الخاء، وأُدغمت [التاء ــ بعد قلبها صاداً ــ] في الصاد، [ثم كُسرت الخاء]، أي: وهم في غفلة عنها، بتخاصُم وتبايُع، وأكلٍ وشربٍ، وغير ذلك، وفي قراءة: «يَخْصِمُون كـ «يضربون»، أي: يَخْصِمُ بعضهم بعضاً، [أي: يغلب في الخصومة]. ٥٠ ﴿فلا يستطيعون توصية﴾ أي: أن يوصوا ﴿ولا إلى أهلهم يرجعون﴾ من أسواقهم وأشغالهم، بل يموتون فيها. ٥١ ﴿ونفخ في الصور﴾ هو: قرن النفخة الثانية، للبعث، وبين النفختين أربعون[1] سنة ﴿فإذا هم﴾ أي: المقبورون ﴿من الأجداث﴾ القبور، [جمع «جَدَث»] ﴿إلى ربهم ينسلون﴾ يخرجون بسرعة. ٥٢ ﴿قالوا﴾ أي: الكفار منهم ﴿يا﴾ للتنبيه ﴿ويلنا﴾ هلاكنا، وهو: مصدر لا فعل له من لفظه ﴿من بعثنا من مرقدنا﴾ لأنهم كانوا بين النفختين نائمين لم يعذبوا، [فقالوا مجيبين أنفسهم، وقيل: أجابتهم الملائكة]: ﴿هذا﴾ أي: البعث

= أن النبي ﷺ قال له حين غربت الشمس: «أتدري أين تذهب؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذَنَ لها، ويوشك أن تسجدَ فلا يقبلَ منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، يقال لها: ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى: ﴿والشمس تجري لمستقر لها..﴾» وفي رواية مسلم: «أتدرون متى ذلكم؟ ذاك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل». اهـ. ولا غرابة فيما جاء في الحديث من سجود الشمس تحت العرش واستئذانها، فهو إشارة إلى استمرارها مسخَّرة بأمره تعالى لما خُلقت له، وهو المعبَّر عنه بالسجود والاستئذان كل يوم، وإلى أنَّ طلوعها من مغربها هو أحد الأشراط الكبرى ليوم القيامة، الذي ينتهي فيه نظامُ هذا الكون، وسجودها تحت العرش لا يقتضي خروجها عن مدارها، كما توهم البعض، لأن السماوات والأرض وما فيهما واقعة تحت العرش، وهي جميعها بالنسبة إلى العرش كحلقة ملقاة في فلاة، ارجع إلى تعليقنا ص ٥٣.

(١) قوله: «وبين النفختين أربعون سنة»، الأَوْلى عدم التحديد بل يقال: «أربعون» فقط، لما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة =

﴿ما﴾ أي: الذي ﴿وعد﴾ به ﴿الرحمن وصدق﴾ فيه ﴿المرسلون﴾ أقرُّوا حين لا ينفعهم الإقرار، وقيل: يقال لهم ذلك. ٥٣ ﴿إن﴾ ما ﴿كانت إلَّا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا﴾ عندنا ﴿محضرون﴾. ٥٤ ﴿فاليوم لا تظلم نفس شيئاً ولا تجزون إلَّا﴾ جزاءَ ﴿ما كنتم تعملون﴾. ٥٥ ﴿إن أصحاب الجنة اليوم في شُغُل﴾ بسكون الغين وضمها، عمَّا فيه أهل النار، مما يتلذذون به كافتضاض الأبكار، لا شغل يتعبون فيه، لأن الجنة لا نَصَبَ فيها ﴿فاكهون﴾ ناعمون، خبر ثان لـ «إنّ»، و [خبرها] الأول: «في شغل». ٥٦ ﴿هم﴾ مبتدأ ﴿وأزواجهم في ظلال﴾ جمع «ظُلَّة» أو «ظِلّ» خبر، أي: لا تصيبهم الشمس ﴿على الأرائك﴾ جمع «أريكة»، وهو: السرير في الحجلة، أو الفُرُش فيها، [أي: في الحجلة، وهي: قبة تعلَّق على السرير] ﴿متكئون﴾ خبر ثان، متعلَّق «على [الأرائك]». ٥٧ ﴿لهم فيها فاكهة ولهم﴾ فيها ﴿ما يدعون﴾ يتمنون. ٥٨ ﴿سلام﴾ مبتدأ ﴿قولاً﴾ أي: بالقول، خبره: ﴿من رب رحيم﴾ بهم، أي: يقول لهم: سلام عليكم. ٥٩ ﴿و﴾ يقول ﴿امتازوا اليوم أيها المجرمون﴾ أي: انفردوا عن المؤمنين، عند اختلاطهم بهم. ٦٠ ﴿ألم أعهد إليكم﴾ آمركم ﴿يا بني آدم﴾ على لسان رسلي ﴿أن لا تعبدوا الشيطان﴾ لا تطيعوه ﴿إنه لكم عدو مبين﴾ بيِّنُ العداوة؟. ٦١ ﴿وأن اعبدوني﴾ وحدوني وأطيعوني ﴿هذا صراط﴾ طريق ﴿مستقيم﴾؟. ٦٢ ﴿ولقد أضل منكم جبلاً﴾ خلقاً، جمع «جبيل» كـ «قديم»، في قراءة: بضم الباء [والجيم] ﴿كثيراً أفلم تكونوا تعقلون﴾ عداوته وإضلاله، وما حلّ بهم من العذاب، فتؤمنون؟[1]. ٦٣ ويقال لهم في الآخرة ﴿هذه جهنم التي كنتم توعدون﴾ بها. ٦٤ ﴿اصلوها اليوم بما كنتم

مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ * أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ

= رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «بين النفختين أربعون» قال أصحاب أبي هريرة: يا أبا هريرة أربعون يوماً؟، قال: أبَيْتُ، ـ أي: امتنعت عن القول بتعيين ذلك، لأنه ليس عندي في ذلك توقيف ـ قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبَيْتُ، قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبَيْتُ. وأخرج ابن مردويه عن أبي هريرة موقوفاً عليه قال: بين النفختين أربعون، قالوا: أربعون ماذا؟ قال: هكذا سمعت. وأما التعيين بأنها أربعون سنة، فقد أخرجه ابن مردويه في حديث الصحيحين المذكور، وهو شاذ، وأخرج أيضاً من وجه ضعيف عن ابن عباس رضي الله عنهما مثله، هذا ما قاله الحافظ ابن حجر، والتعيين بأنها أربعون سنة وهو الشائع أخذاً بهذه الروايات وهو ضعيف. ففي حديث أبي هريرة المذكور، شهادة له رضي الله عنه بحرصه على نقل ما سمعه من النبي ﷺ من غير زيادة ولا نقصان، وردّ على الذين حاولوا الطعن فيه حسداً منهم وبغياً، فلو كان هذا الصحابي الجليل من مختلقي الأحاديث كما يزعمون، لأجاب أصحابه بما يشاء، وقد سألوه أكثر من مرة، وعزاء أبي هريرة: أن هؤلاء لم يطعنوا فيه وحده، بل طعنوا في عدد كبير من كرام الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

(١) قوله: «فتؤمنون»، هو هكذا في المخطوطات بثبوت النون لأنه معطوف على «تعقلون»، وليس منصوباً كما فهم البعض.

تكفرون﴾. ٦٥ ﴿اليوم نختم على أفواههم﴾ أي: الكفار، لقولهم: «والله ربِّنا ما كنا مشركين» ﴿وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم﴾ وغيرُها ﴿بما كانوا يكسبون﴾ فكل عضو ينطق بما صدر منه، [وقد أنطقه الله الذي أنطق كل شيء].
٦٦ ﴿ولو نشاء لطمسنا على أعينهم﴾ لأعميناها طمساً ﴿فاستبقوا﴾ ابتدروا ﴿الصراط﴾ الطريق، ذاهبين [في حوائجهم] كعادتهم ﴿فأنّى﴾ فكيف ﴿يبصرون﴾ حينئذٍ؟ أي: لا يبصرون، [ــ وهذا المعنى اختاره الطبري ــ ولكنا لم نفعل ذلك بهم، لينظروا في آياتنا، فيؤمنوا]. ٦٧ ﴿ولو نشاء لمسخناهم﴾ قردة وخنازير، أو: حجارة ﴿على مكانتهم﴾ وفي قراءة: «على مكاناتهم»، جمع «مكانة»، بمعنى: مكان، أي: في منازلهم ﴿فما استطاعوا مضياً ولا يرجعون﴾ لم يقدروا على ذهاب ولا مجيء.

تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ

٦٨ ﴿ومن نعمره﴾ بإطالة أجله ﴿ننكُسْه﴾ [بفتح النون الأولى وضم الكاف، من «نكَس»]، وفي قراءة: بالتشديد، من «التنكيس»، [وهو: قلب الشيء على رأسه] ﴿في الخلق﴾ أي: [في] خلقه، فيكون بعد قوته وشبابه، ضعيفاً وهَرِماً ﴿أفلا يعقلون﴾ أن القادر على ذلك المعلوم عندهم، قادرٌ على البعث، فيؤمنون؟ وفي قراءة بالتاء.
٦٩ ﴿وما علمناه﴾[1] أي: النبي ﴿الشعر﴾ رَدٌّ لقولهم: إنَّ ما أتى به من القرآن شعر ﴿وما ينبغي﴾ يسهل ﴿له﴾ الشِّعر ﴿إن هو﴾ ليس الذي أتى به ﴿إلاّ ذكر﴾ عظة ﴿وقرآن مبين﴾ مظهر للأحكام وغيرها. ٧٠ ﴿لينذر﴾ بالياء والتاء، به ﴿من كان حياً﴾ يعقل ما يخاطب به، وهم: المؤمنون ﴿ويحق القول﴾ بالعذاب ﴿على الكافرين﴾ وهم كالميتين، لا يعقلون ما يخاطبون به. ٧١ ﴿أو لم يروا﴾ يعلموا، والاستفهام للتقرير، والواو للعطف ﴿أنا خلقنا لهم﴾ في جملة الناس ﴿مما عملت أيدينا﴾ [أي: مما] عملناه، بلا شريك ولا معين ﴿أنعاماً﴾ هي: الإبل والبقر والغنم ﴿فهم لها مالكون؟﴾ ضابطون.
٧٢ ﴿وذللناها﴾ سخرناها ﴿لهم فمنها ركوبهم﴾ مركوبهم، [أي: ما يركبون عليه] ﴿ومنها يأكلون﴾ [أي: لحومها].

٧٣ ﴿ولهم فيها منافع﴾ كأصوافها وأوبارها وأشعارها ﴿ومشارب﴾ من لبنها، جمع «مشرب» بمعنى «شُرب»، أو: موضعه، [وهي: «الضُّروع»] ﴿أفلا يشكرون﴾ المنعم عليهم بها، فيؤمنون؟ [والاستفام للنفي] أي: ما فعلوا ذلك، [بل كفروا]. ٧٤ ﴿واتخذوا من دون الله﴾ أي: غيره ﴿آلهة﴾ أصناماً يعبدونها ﴿لعلهم

(١) قوله تعالى: ﴿وما علمناه الشعر...﴾، لم يُعْرَف عنه ﷺ أنه نظم شعراً أو قاله، لأن الله تعالى لم يسهِّل له ذلك ولم يعلمه إياه، ارجع إلى تعليقنا حول «الشِّعر» ص ٤٩٣.

يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

ينصرون﴾ يمنعون من عذاب الله تعالى، بشفاعة آلهتهم، بزعمهم. ٧٥**﴿لا يستطيعون﴾** أي: آلهتهم، نُزِّلوا منزلة العقلاء **﴿نصرهم وهم﴾** أي: آلهتهم من الأصنام **﴿لهم جند﴾** بزعمهم نَصْرَهم **﴿محضرون﴾** في النار معهم. ٧٦**﴿فلا يحزنك قولهم﴾** لك: «لَسْتَ مُرْسَلًا»، وغير ذلك **﴿إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون﴾** من ذلك وغيره، فنجازيهم عليه.

٧٧**﴿أو لم ير الإنسان﴾** [أي:] يعلم، وهو: العاصي بن وائل [وقيل: أُبَيُّ بن خلف، وقيل: غيرهما] **﴿أنا خلقناه من نطفة﴾** منيٍّ، إلى أن صيرناه شديداً قوياً **﴿فإذا هو خصيم﴾** شديد الخصومة لنا **﴿مبين﴾** بيِّنها، في نفي البعث؟ ٧٨**﴿وضرب لنا مثلاً﴾** في ذلك **﴿ونسي خلقه﴾** من المني، وهو أغرب مِنْ مَثَلِهِ **﴿قال من يحيي العظام وهي رميم﴾** أي: بالية؟ ولم يقل: «رميمة»، بالتاء، لأنه اسم لا صفة، روي أنه أخذ عظماً رميماً، ففتته وقال للنبي ﷺ: أترى يحيي اللَّهُ هذا، بعد ما بلي ورَمَّ؟ فقال ﷺ: «نعم ويدخلك النار»، [رواه الحاكم والبيهقي وغيرهما]. ٧٩**﴿قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق﴾** مخلوق **﴿عليم﴾** مجملاً ومفصلاً، قبل خلقه وبعد خلقه.

٨٠**﴿الذي جعل لكم﴾** في جملة الناس **﴿من الشجر الأخضر﴾** المَرْخ والعَفَار، [وهما نوعان من الشجر، يؤخذ منهما غصنان مثل المساوكين، يَقْطران ماءً، فيُحَكُّ بعضهما إلى بعض، فتخرج منهما النار]، أو: [هو خطب] كلِّ شجر، [فإنه كان أخضر ومن الماء، والماء ضد النار، فأخرج الله من الماء وقوداً للنار، قيل:] إلَّا العُنَّاب[1] **﴿ناراً فإذا أنتم منه توقدون﴾** تقدحون [وتشعلون]، وهذا دال على القدرة على البعث، فإنه جَمَعَ فيه بين الماء والنار والخشب فلا الماء يطفىء النار، ولا النار تحرق الخشب.

٨١**﴿أوليس الذي خلق السماوات والأرض﴾** مع عظمهما **﴿بقادر على أن يخلق مثلهم﴾** أي: الأناسي في الصغر؟ **﴿بلى﴾** أي: هو قادر على ذلك، أجاب نفسه **﴿وهو الخلاق﴾** الكثير الخلق **﴿العليم﴾** بكل شيء، ٨٢**﴿إنما أمره﴾** شأنه **﴿إذا أراد شيئاً﴾** خلق شيء **﴿أن يقول له كن فيكون﴾** أي: فهو يكونُ، وفي قراءة بالنصب، عطفاً على «يقول». ٨٣**﴿فسبحان الذي بيده ملكوت﴾** مُلْكُ، زيدت الواو والتاء للمبالغة، أي: القدرة على **﴿كل شيء وإليه ترجعون﴾** تُردون في الآخرة.

---

(١) قوله: «إلَّا العُنَّاب»، لم يذكر الجلال المحلي ما يبين سبب هذا الاستثناء، ولكن الصاوي في حاشيته علله بأن القصارين الذين يُبَيِّضون الثياب، يتخذون مطارقهم من «العُنَّاب»، وهذا لا يصلح سبباً، ولم يذكر الخطيب القزويني في كتابه «عجائب المخلوقات» عند كلامه على «العناب» شيئاً من ذلك، فالواقع المشاهد: أن «العُنَّاب» يحترق ويوقد مثل غيره، وقد تبين لنا بالتجربة أن شجر «العنَّاب» أسرع احتراقاً من شجر «الرمان».

﴿ سُورَةُ الصَّافَّاتِ ﴾

(مكية: مائة واثنتان وثمانون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(٣٧) سُورَةُ الصَّافَّاتِ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا اثْنَتَانِ وَثَمَانُونَ وَمِائَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَٱلصَّـٰٓفَّـٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّـٰلِيَـٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَـٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَـٰرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَـٰهُم مِّن طِينٍ

١ ﴿والصافات صفاً﴾ الملائكة، تصف نفوسها في العبادة، أو: أجنحتها في الهواء، تنتظر ما تؤمر به. ٢ ﴿فالزاجرات زجراً﴾ الملائكة، تزجر السحاب، أي: تسوقه. ٣ ﴿فالتاليات﴾ أي: جماعة قُرّاء القرآن، تتلوه ﴿ذكراً﴾ مصدر من معنى «التاليات». ٤ ﴿إن إلهكم﴾ يا أهل مكة [وغيرها] ﴿لواحد﴾. ٥ ﴿رب السماوات والأرض وما بينهما ورب المشارق﴾ أي: والمغارب للشمس، لها كل يوم مشرق ومغرب. ٦ ﴿إنا زينا السماء الدنيا بزينةِ الكواكب﴾ أي: بضوئها، أو: بها، والإضافة للبيان، كقراءة تنوينِ «زينةٍ»، المبيَّنة بـ«الكواكب». ٧ ﴿وحفظاً﴾ منصوب بفعل مقدر، أي: حفظناها بالشهب ﴿من كل﴾ متعلق بالمقدر، [أي: بـ«حفظناها»] ﴿شيطان مارد﴾ عاتٍ خارج عن الطاعة. ٨ ﴿لا يَسَّمَّعُون﴾ أي: الشياطين، وسماعهم مستأنف في المعنى المحفوظ عنه، [أي: وحفظناها من سماع كل شيطان] ﴿إلى الملأ الأعلى﴾ الملائكة في السماء، وعُدِّي السماع بـ«إلى»، لتضمنه معنى الإصغاء، وفي قراءة: بتشديد الميم والسين ﴿ويقذفون﴾ أي: الشياطين بالشهب ﴿من كل جانب﴾ من آفاق السماء. ٩ ﴿دحوراً﴾ مصدر «دَحَرَهُ»، أي: طرده وأبعده، وهو مفعول له ﴿ولهم﴾ في الآخرة ﴿عذاب واصب﴾ دائم. ١٠ ﴿إلاَّ من خطف الخطفة﴾ مصدر، أي: المرة، والاستثناء من ضمير: «يسمعون»، أي: لا يسمع إلاَّ الشيطان الذي سمع الكلمة من الملائكة، فأخذها بسرعة ﴿فأتبعه شهاب﴾ [أي: قبس من] كوكب[1] مضيء ﴿ثاقب﴾ يثقبه، أو: يحرقه، أو: يَخْبِلُه، [أي: يفسد عقله أو أعضاءه]. ١١ ﴿فاستفتهم﴾ استخبر كفار مكة، تقريراً [لهم بخطئهم]، أو: توبيخاً ﴿أهم أشد خلقاً أم من خلقنا﴾ من الملائكة والسماوات والأرضين وما فيهما؟ وفي الإتيان بـ«مَنْ» تغليب العقلاء ﴿إنا خلقناهم﴾ أي: أصلَهم آدم ﴿من طين

---

(١) قوله: «كوكب مضيء». بهذا فسر الجلال المحلي «الشهاب» هنا وفي سورة «الجن» ص ٧٧١. وهو مخالف لما قاله في سورة «الملك» ص ٧٥٤: «بأن ينفصل شهاب عن الكوكب كالقبس» وهذا هو الصحيح في معنى: «الشهاب»، فهو قبس من الكوكب كما صوبناه في التفسير، لا أنه الكوكب أو النجم ذاته.

﴿لازب﴾ لازم، يَلْصَقُ باليد، المعنى: أن خلقهم ضعيف، فلا يتكبروا، بإنكار النبي ﷺ والقرآن، المؤدِّي إلى إهلاكهم اليسير. ١٢ ﴿بل﴾ للانتقال من غرض إلى آخر، وهو الإخبار بحاله وحالهم. ﴿عجبت﴾ بفتح التاء، خطاباً للنبي ﷺ، أي: من تكذيبهم إياك ﴿و﴾ هم ﴿يسخرون﴾ من تعجبك. ١٣ ﴿وإذا ذكروا﴾ وُعِظوا بالقرآن ﴿لا يذكرون﴾ لا يتعظون. ١٤ ﴿وإذا رأوا آية﴾ كانشقاق القمر[1] ﴿يستسخرون﴾ يستهزئون بها. ١٥ ﴿وقالوا﴾ فيها ﴿إن﴾ ما ﴿هذا إلاَّ سحر مبين﴾ بيِّن. ١٦ وقالوا منكرين للبعث: ﴿ءإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً ءَإنا لمبعوثون﴾ في الهمزتين، في الموضعين: التحقيقُ وتسهيلُ الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين، [وتركه]. ١٧ ﴿أو آباؤنا الأولون﴾ بسكون الواو عطفاً بـ «أوْ»، و [في قراءة] بفتحها، والهمزة للاستفهام، والعطفُ بالواو، والمعطوفُ عليه: محلُّ «إنَّ» واسمها، أو: الضميرُ في «لمبعوثون»، والفاصلُ [بينهما]: همزة الاستفهام.

لَازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ * ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ بَل لَّمْ

نصف الحزب

١٨ ﴿قل نعم﴾ تُبعثون ﴿وأنتم داخرون﴾ صاغرون.

١٩ ﴿فإنما هي﴾ ضمير مبهم يفسره: ﴿زجرة﴾ أي: صيحة ﴿واحدة فإذا هم﴾ أي: الخلائق أحياء ﴿ينظرون﴾ ما يفعل بهم.

٢٠ ﴿وقالوا﴾ أي: الكفار ﴿يا﴾ للتنبيه ﴿ويلنا﴾ هلاكنا، وهو مصدر لا فعل له من لفظه، وتقول لهم الملائكة: ﴿هذا يوم الدين﴾ أي: يوم الحساب والجزاء.

٢١ ﴿هذا يوم الفصل﴾ بَيْنَ الخلائق ﴿الذي كنتم به تكذبون﴾.

٢٢ ويقال للملائكة: ﴿احشروا الذين ظلموا﴾ أنفسهم بالشرك ﴿وأزواجهم﴾ قرناءهم من الشياطين، [أو: أشباههم، فيجيء أصحاب الزنا مع أصحاب الزنا، والمرابون مع المرابين، وأصحاب الخمر مع أصحاب الخمر إلخ..] ﴿وما كانوا يعبدون﴾.

٢٣ ﴿من دون الله﴾ أي: غيره من الأوثان ﴿فاهدوهم﴾ دلوهم وسوقوهم ﴿إلى صراط الجحيم﴾ طريق النار.

٢٤ ﴿وقفوهم﴾ احبسوهم عند الصراط ﴿إنهم مسؤولون﴾ عن جميع أقوالهم وأفعالهم.

٢٥ ويقال لهم توبيخاً: ﴿ما لكم لا تناصرون﴾ لا ينصر بعضكم بعضاً، كحالكم في الدنيا؟ ٢٦ ويقال لهم: ﴿بل هم اليوم مستسلمون﴾ منقادون أذلاء. ٢٧ ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ يتلاومون ويتخاصمون. ٢٨ ﴿قالوا﴾ أي: [قال] الأتباع منهم للمتبوعين ﴿إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين﴾ عن الجهة التي كنا نأمنكم منها، لِحَلِفِكم أنكم على الحق، فصدقناكم واتبعناكم، المعنى: أنكم أضللتمونا. ٢٩ ﴿قالوا﴾ أي: المتبوعون لهم ﴿بل لم

(١) قوله: «كانشقاق القمر»، سيأتي بيان ذلك في أول سورة «القمر» ص ٧٠٤.

تكونوا مؤمنين﴾ وإنما يَصْدُق الإضلال منا، أنْ لو كنتم مؤمنين، فرجعتم عن الإيمان إلينا. ٣٠﴿وما كان لنا عليكم من سلطان﴾ قوة وقدرة، نقهركم على متابعتنا ﴿بل كنتم قوماً طاغين﴾ ضالين مثلنا.
٣١﴿فحق﴾ وجب ﴿علينا﴾ جميعاً ﴿قول ربنا﴾ بالعذاب، أي: قوله: «لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين» ﴿إنا﴾ جميعاً ﴿لذائقون﴾ العذاب بذلك القول، ونشأ عنه قولهم: ٣٢﴿فأغويناكم﴾ المعلَّلِ بقولهم ﴿إنا كنا غاوين﴾.
٣٣قال تعالى: ﴿فإنهم يومئذٍ﴾ يوم القيامة ﴿في العذاب مشتركون﴾ لاشتراكهم في الغواية. ٣٤﴿إنا كذلك﴾ كما نفعل بهؤلاء ﴿نفعل بالمجرمين﴾ غير هؤلاء، أي: نعذبهم، التابع منهم والمتبوع.

سُورَةُ الصَّافَّاتِ ٣٧

تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ

٣٥﴿إنهم﴾ أي: هؤلاء، بقرينة ما بعده ﴿كانوا إذا قيل لهم لا إلـه إلاّ الله يستكبرون﴾ [ولا يؤمنون].
٣٦﴿ويقولون أئنا﴾ في همزتيه، ما تقدم [من القراءات، في الآية «١٦»] ﴿لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون﴾ أي: لأجل قول محمد؟
٣٧قال تعالى: ﴿بل جاء بالحق وصدق المرسلين﴾ الجائين به، وهو: «أن لا إلـه إلاّ الله» [أي: الإيمان].
٣٨﴿إنكم﴾ فيه التفات ﴿لذائقو العذاب الأليم﴾.
٣٩﴿وما تجزون إلاّ﴾ جزاءَ ﴿ما كنتم تعملون﴾.
٤٠﴿إلاّ عباد الله المخلصين﴾ أي: المؤمنين، استثناء منقطع، [من الواو في «تجزون»].
٤١ [فقد]: ذُكِرَ جزاؤهم في قوله: ﴿أولئك لهم﴾ في الجنة ﴿رزق معلوم﴾ بكرة وعَشياً.
٤٢﴿فواكه﴾ بدل، أو: بيان للرزق، وهو ما يؤكل تلذذاً، لا لحفظ صحة، لأن أهل الجنة مستغنون عن حفظها، بخلق أجسامهم للأبد ﴿وهم مكرمون﴾ بثواب الله سبحانه وتعالى.
٤٣﴿في جنات النعيم﴾. ٤٤﴿على سرر متقابلين﴾ لا يرى بعضهم قفا بعض. ٤٥﴿يطاف عليهم﴾ على كل منهم ﴿بكأس﴾ هو: الإناء بشرابه ﴿من معين﴾ من خمر[1] يجري على وجه الأرض، كأنهار الماء. ٤٦﴿بيضاء﴾ أشد بياضاً من اللبن ﴿لذة﴾ لذيذة ﴿للشاربين﴾ بخلاف خمر الدنيا، فإنها كريهة عند الشرب. ٤٧﴿لا فيها غول﴾ ما يغتال عقولهم

(١) قوله: «من خمر»، الخمر في الجنة صافية لا ضرر فيها ولا أذى، جعلها الله تعالى مكافأة لمن ترك شربها في الدنيا، ارجع إلى تعليقنا حول «تحريم خمر الدنيا» ص ١٥٥.

﴿ولا هم عنها ينزفون﴾ بفتح الزاي وكسرها، [مع ضم الياء فيهما، فالأولى] من: «نُزِفَ الشاربُ [يُنْزَفُ»، إذا سَكِرَ]، و[الثانية من]: «أَنْزَفَ [الرجلُ»، ذهب عقله بالسُّكر، أو: نَفَدَ شرابُهُ]، أي: لا يسكرون بخلاف خمر الدنيا، [ففيها كل ذلك]. ٤٨﴿وعندهم قاصرات الطرف﴾ حابسات الأعين على أزواجهن، لا يَنْظُرْنَ إلى غيرهم، لحسنهم عندهن ﴿عين﴾ ضخام الأعين حسانها. ٤٩﴿كأنهن﴾ في اللون ﴿بيض﴾ للنعام ﴿مكنون﴾ مستور بريشه، لا يصل إليه غبار، ولونُه ــ وهو: البياض في صفرة ــ أحسنُ ألوان النساء. ٥٠﴿فأقبل بعضهم﴾ بعضُ أهل الجنة ﴿على بعض يتساءلون﴾ عما مر بهم في الدنيا. ٥١﴿قال قائل منهم إني كان لي قرين﴾(١) صاحب ينكر البعث.

وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾

٥٢﴿يقول﴾ لي تبكيتاً [وتقريعاً وتعنيفاً] ﴿أئنك لمن المصدقين﴾ بالبعث؟. ٥٣﴿أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا﴾ في الهمزتين، في الثلاثة مواضع ما تقدم [من قراءات في الآية ١٦] ﴿لمدينون﴾ مجزيون ومحاسبون؟ أنكرَ ذلك أيضاً [كما أنكر البعث]. ٥٤﴿قال﴾ ذلك القائل لإخوانه ﴿هل أنتم مطلعون﴾ معي إلى النار لننظر حاله؟ فيقولون: لا. ٥٥﴿فاطلع﴾ ذلك القائل، من بعض كُوى الجنة ﴿فرآه﴾ أي: رأى قرينه ﴿في سواء الجحيم﴾ أي: وسط النار. ٥٦﴿قال﴾ له شماتة ﴿تالله إن﴾ مخففة من الثقيلة ﴿كدت﴾ قاربت ﴿لتردين﴾ لتهلكني بإغوائك. ٥٧﴿ولولا نعمة ربي﴾ إنعامه علي في الدنيا بالإيمان ﴿لكنت من المحضرين﴾ معك في النار. ٥٨ ويقول أهل الجنة: ﴿أفما نحن بميتين﴾. ٥٩﴿إلا موتتنا الأولى﴾ أي: التي في الدنيا ﴿وما نحن بمعذبين؟﴾ هو استفهام تلذذ، وتحدث بنعمة الله تعالى، من تأبيد الحياة [في الجنة]، وعدم التعذيب، [أو: هو خطاب منهم لأهل النار، على سبيل التذكير بقولهم هذا في الدنيا، عندما كانوا ينكرون البعث والعذاب، أي: ها أنتم مُتّم وبعثتم، وأنتم الآن تعذبون]. ٦٠﴿إن هذا﴾ الذي ذُكِرَ لأهل الجنة ﴿لهو الفوز العظيم﴾. ٦١﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾ قيل: يقال لهم ذلك، وقيل: هم يقولونه. ٦٢﴿أذلك﴾ المذكور لهم ﴿خير نزلاً﴾ وهو ما يُعدُّ للنازل، من ضيف وغيره ﴿أم شجرة الزقوم﴾ المعدة لأهل النار؟ وهي من أخبث الشجر المر بِتِهامة، يُنْبِتُها الله في الجحيم، كما سيأتي. ٦٣﴿إنا جعلناها﴾ بذلك ﴿فتنة للظالمين﴾ أي: الكافرين من أهل مكة، إذ قالوا: النار تُحْرِقُ الشجر، فكيف تُنبته؟ ٦٤﴿إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم﴾ أي: قعر جهنم، وأغصانها ترتفع إلى دركاتها.

---

(١) قوله تعالى: ﴿كان لي قرين﴾، هو هنا الصاحب، وله معانٍ أخرى بيناها في تعليقنا حول «القرين» ص ٦٣٣.

طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾

٦٥﴿طلعها﴾ المشبَّه بطلع النخل، [أي: ثمره] ﴿كأنه رؤوس الشياطين﴾ الحيات القبيحة المنظر، [أو: هذا التشبيه تبشيع لها وتكريه لذكرها، لأنه قد استقر في النفوس، أن الشياطين قبيحة المنظر]. ٦٦﴿فإنهم﴾ أي: الكفار ﴿لآكلون منها﴾ مع قبحها، لشدة جوعهم ﴿فمالئون منها البطون﴾ [فيعطشون عطشاً شديداً، فيطلبون ماءً، فيُسْقَوْن الحميم، كما قال تعالى: «وسُقُوا ماءً حميماً فقطع أمعاءهم» وهو المراد بقوله:] ٦٧﴿ثم إن لهم عليها لشوباً﴾ [و «الشَّوب»: الخَلْطُ] ﴿من حميم﴾ أي: من ماء حار، يشربونه، فيختلط بالمأكول منها، فيصير [الحميم] شوباً له، [أي: خليطاً للزقوم]. ٦٨﴿ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم﴾ يفيد أنهم يخرجون منها لشرب الحميم(١)، وأنه خارجها. ٦٩﴿إنهم ألفوا﴾ وجدوا ﴿آباءهم ضالين﴾. ٧٠﴿فهم على آثارهم يهرعون﴾ يُزْعَجون إلى اتِّباعهم، [كأنهم يحثُّ بعضُهم بعضاً]، فيسرعون إليه.

٧١﴿ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين﴾ من الأمم الماضية.

٧٢﴿ولقد أرسلنا فيهم منذرين﴾ من الرسل، مخوفين.

٧٣﴿فانظر كيف كان عاقبة المنذَرين﴾ الكافرين، أي: عاقبتهم العذاب.

٧٤﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ [بكسر اللام أي:] المؤمنين، فإنهم نجوا من العذاب، لإخلاصهم في العبادة، أو: لأن الله أخلصهم [واختارهم] لها، على قراءة فتح اللام.

٧٥﴿ولقد نادانا نوح﴾ بقوله: «رب إني مغلوب فانتصر» ﴿فلنعم المجيبون﴾ له نحن، أي: دعانا على قومه، فأهلكناهم بالغرق.

٧٦﴿ونجيناه وأهله من الكرب العظيم﴾ أي: الغرق.

٧٧﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾ فالناس كلهم من نسله عليه السلام، وكان له ثلاثة أولاد: «سام» وهو: أبو العرب وفارس والروم، و «حام»: أبو السودان، و «يافث»: أبو الترك والخَزَر [أي: التتار]، ويأجوج ومأجوج، وما هنالك.

٨٧﴿وتركنا﴾ أبقينا ﴿عليه﴾ ثناء حسناً ﴿في الآخرين﴾ من الأنبياء والأمم، إلى يوم القيامة.

٧٩﴿سلام﴾ منا ﴿على نوح في العالمين﴾.

٨٠﴿إنا كذلك﴾ كما جزيناه ﴿نجزي المحسنين﴾. ٨١﴿إنه من عبادنا المؤمنين﴾. ﴿ثم أغرقنا الآخرين﴾ كفار قومه.

---

(١) قوله: «يفيد أنهم يخرجون منها لشرب الحميم إلخ»، يوهم أنهم يخرجون من النار وهذا غير مراد، لأن الله تعالى قال: ﴿وما هم بخارجين من النار﴾، فما قصده الجلال المحلي هو: أن الجحيم والحميم هما في النار، وأن الكافرين يؤخذ بهم من هذه إلى هذه، يؤيده قوله تعالى: ﴿يطوفون بينها وبين حميم آن﴾ وذلك كله في النار، ولا يخفف عنهم أثناء تنقلهم من عذابها من شيء، بل هم في عذاب مستمر دائم لا نهاية له. ارجع إلى تعليقنا حول «العذاب والنعيم» ص ٦٧٤.

٨٣﴿وإن من شيعته﴾ أي: ممن تابعه في أصل الدين ﴿لإبراهيم﴾ وإن طال الزمان بينهما، وهو ألفان وستمائة وأربعون[1] سنة، وكان بينهما هود وصالح. ٨٤﴿إذ جاء﴾ أي: تابعه وقت مجيئه ﴿ربَّه بقلب سليم﴾ من الشرك وغيره.
٨٥﴿إذ قال﴾ في هذه الحالة المستمرة له ﴿لأبيه وقومه﴾ موبخاً ﴿ماذا﴾ ما الذي ﴿تعبدون﴾؟ ٨٦﴿أئفكاً﴾ في همزتيه ما تقدم [من القراءات في الآية ١٦] ﴿آلهة دون الله تريدون﴾؟ و «إفكاً» مفعول به، و «آلهة» مفعول به لـ «تريدون»، و «الإفك»: أسوأ الكذب، أي: أتعبدون غير الله؟ ٨٧﴿فما ظنكم برب العالمين﴾ إذا عبدتم غيره، أنه يترككم بلا عقاب؟ لا، وكانوا نجامين، فخرجوا إلى عيدٍ لهم، وتركوا طعامهم عند أصنامهم، زعموا التبرك عليه، فإذا رجعوا أكلوه، وقالوا للسيد إبراهيم: أخرج معنا.

الجزء الثالث والعشرون

* وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ

٨٨﴿فنظر نظرة في النجوم﴾ إيهاماً لهم أنه يعتمد عليها، ليعتمدوه [ويصدقوه فيما سيقول].
٨٩﴿فقال إني سقيم﴾ عليل، أي: سأسقم.
٩٠﴿فتولوا عنه﴾ إلى عيدهم ﴿مدبرين﴾.
٩١﴿فراغ﴾ مال في خُفية ﴿إلى آلهتهم﴾ وهي: الأصنام، وعندها الطعام ﴿فقال﴾ استهزاء ﴿ألا تأكلون﴾؟ فلم ينطقوا. ٩٢ فقال: ﴿ما لكم لا تنطقون﴾؟ فلم تُجِبْ. ٩٣﴿فراغ عليهم ضرباً باليمين﴾ بالقوة، فكسرها، فبلغ قومَه ممن رآه.
٩٤﴿فأقبلوا إليه يزفون﴾ أي: يسرعون المشي، فقالوا: نحن نعبدها وأنت تكسرها؟. ٩٥﴿قال﴾ لهم موبخاً ﴿أتعبدون ما تنحتون﴾ من الحجارة وغيرها أصناماً. ٩٦﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ من نحتكم ومنحوتكم، فاعبدوه وحده، و «ما» مصدرية، [أي وعملكم]، وقيل: موصولة، [أي: والذي تعملونه]، وقيل: [نكرة] موصوفة [أي: وشيئاً تعملونه]. ٩٧﴿قالوا﴾ بينهم ﴿ابنوا له بنياناً﴾ فاملؤوه حطباً وأضرموه بالنار، فإذا التهب ﴿فألقوه في الجحيم﴾ النار الشديدة.
٩٨﴿فأرادوا به كيداً﴾ بإلقائه في النار، لتهلكه ﴿فجعلناهم الأسفلين﴾ المقهورين، فخرج من النار سالماً.
٩٩﴿وقال إني ذاهب إلى ربي﴾ مهاجر إليه من دار الكفر ﴿سيهدين﴾ إلى حيث أمرني بالمصير إليه، وهو الشام.
١٠٠ فلما وصل إلى الأرض المقدسة قال: ﴿رب هب لي﴾ ولداً ﴿من الصالحين﴾. ١٠١﴿فبشرناه بغلام حليم﴾ أي: ذي حلم كثير، [هو إسماعيل].
١٠٢﴿فلما بلغ معه السعي﴾ أي: أن يسعى معه ويعينه، قيل: بلغ سبع سنين، وقيل: ثلاث عشرة سنة ﴿قال

---

(١) قوله: «ألفان وستمائة وأربعون سنة»، وقيل: غير ذلك، ولا دليل على قول منها، فالصواب عدم التحديد لقوله تعالى: ﴿وعاداً وثمود وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيراً﴾، فبين هؤلاء قرون كثيرة غير محددة كما قال الله تعالى في هذه الآية، فكيف نحدد؟.

يا بني إني أرى﴾ أي: رأيت ﴿في المنام أني أذبحك﴾ ورؤيا الأنبياء حق، [روى البخاري عن عائشة قالت: «أول ما بُدىء به رسول الله ﷺ من الوحي، الرؤيا الصالحة، فكان لا يرى رؤيا، إلاَّ جاءت مِثْلَ فَلَقِ الصبح»]، وأفعالهم بأمر الله تعالى ﴿فانظر ماذا ترى﴾ من الرأي، شاوره ليأنس بالذبح، وينقاد للأمر به ﴿قال يا أبت﴾ التاء عوض عن ياء الإضافة [في «أبي»] ﴿افعل ما تؤمر﴾ به ﴿ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾ على ذلك. ١٠٣﴿فلما أسلما﴾ خضعا وانقادا لأمر الله تعالى ﴿وتله للجبين﴾ صرعه عليه، ولكل إنسان جبينان، بينهما الجبهة، وكان ذلك بِمِنى، وأمرَّ السكين على حلقه، فلم تعمل شيئاً بمانع من القدرة الإلّهية. ١٠٤﴿وناديناه أن يا إبراهيم﴾. ١٠٥﴿قد صدقت الرؤيا﴾ بما أتيت به، مما أمكنك من أمر الذبح، [الذي رأيته في منامك، فقد رأى في المنام أنه يذبحه، أي: يقوم بعمل الذبح، ولم يرَ أنه قد ذبحه بالفعل، لذلك خوطب بـ: «قد صدقت الرؤيا»] أي: يكفيك ذلك، فجملة: «ناديناه»، جواب «لَمَّا» بزيادة الواو ﴿إنا كذلك﴾ كما جزيناك ﴿نجزي المحسنين﴾ لأنفسهم بامتثال الأمر، بإفراج الشدة عنهم. ١٠٦﴿إن هذا﴾ الذبح المأمور به ﴿لهو البلاء المبين﴾ أي: الاختبار الظاهر. ١٠٧﴿وفديناه﴾ أي: المأمور بذبحه، وهو: «إسماعيل» [على الصحيح]، أو: «إسحاق»، قولان[1] ﴿بذبح﴾ بكبش ﴿عظيم﴾ [قيل:] من الجنة، و[قيل:] هو الذي قربه «هابيل» [وهذا قول غريب جداً، والصحيح: أنه كبش من الكباش المعروفة]، جاء به جبريل عليه السلام، فذبحه السيد «إبراهيم» مكبراً. ١٠٨﴿وتركنا﴾ أبقينا ﴿عليه في الآخرين﴾ ثناء حسناً. ١٠٩﴿سلام﴾ منا ﴿على إبراهيم﴾. ١١٠﴿كذلك﴾ كما جزيناه ﴿نجزي المحسنين﴾ لأنفسهم. ١١١﴿إنه من عبادنا المؤمنين﴾. ١١٢﴿وبشرناه بإسحاق﴾ استُدِلَّ بذلك على أن الذبيح غيره ﴿نبياً﴾ حال مقدَّرة، أي: يوجد مقدَّراً نبوته ﴿من الصالحين﴾. ١١٣﴿وباركنا عليه﴾ بتكثير ذريته ﴿وعلى إسحاق﴾ ولده، بجَعْلِنا أكثَر الأنبياء من نسله ﴿ومن ذريتهما محسن﴾ مؤمن ﴿وظالم لنفسه﴾ كافر ﴿مبين﴾ بيِّن الكفر. ١١٤﴿ولقد مننا على موسى وهارون﴾ بالنبوة. ١١٥﴿ونجيناهما وقومهما﴾ بني إسرائيل ﴿من الكرب العظيم﴾ أي: استعباد فرعون إياهم. ١١٦﴿ونصرناهم﴾ على القبط ﴿فكانوا هم الغالبين﴾. ١١٧﴿وآتيناهما

سُورَةُ الصَّافَّاتِ ٣٧

يَـٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَـٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَـٰهُ بِإِسْحَـٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَـٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَـٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَـٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَـٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَـٰهُمَا

٥٩٣

---

(١) قوله: «هو إسماعيل أو إسحاق قولان»، الواضح من قوله تعالى: ﴿قالوا نعبد إلّهك وإلّه آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق﴾ أن إسماعيل والدته «هاجر» هو الولد الأكبر لإبراهيم، وهو ﴿الغلام الحليم﴾ الذي بشّره الله به، كما في الآية «١٠٠ وما بعدها»، وهو الذبيح على =

الكتاب المستبين﴾ البليغ البيان، فيما أتى به من الحدود والأحكام وغيره، وهو: التوراة. ١١٨ ﴿وهديناهما الصراط﴾ الطريق ﴿المستقيم﴾. ١١٩ ﴿وتركنا﴾ أبقينا ﴿عليهما في الآخرين﴾ ثناء حسناً. ١٢٠ ﴿سلام﴾ منا ﴿على موسى وهارون﴾. ١٢١ ﴿إنا كذلك﴾ كما جزيناهما ﴿نجزي المحسنين﴾. ١٢٢ ﴿إنهما من عبادنا المؤمنين﴾. ١٢٣ ﴿وإن إلياس﴾ بالهمز أوله، وتركه ﴿لمن المرسلين﴾ قيل: هو ابن[1] هارون أخي موسى، وقيل غيره، أرسل إلى قوم بـ «بعلبك»[2] ونواحيها. ١٢٤ ﴿إذ﴾ منصوب بـ «اذكر» مقدراً ﴿قال لقومه ألا تتقون﴾ الله؟ ١٢٥ ﴿أتدعون بعلاً﴾ اسم صنم لهم من ذهب، وبه سمي البلد أيضاً، مضافاً إلى «بك»، أي: أتعبدونه ﴿وتذرون﴾ تتركون ﴿أحسن الخالقين﴾ [أتقن المقدِّرين، «الذي أحسن كل شيء خَلَقَهُ»] فلا تعبدونه؟. ١٢٦ ﴿الله ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ برفع [الأسماء] الثلاثة، على إضمار «هو»، وبنصبها على البدل من: «أَحْسَنَ». ١٢٧ ﴿فكذبوه فإنهم لمحضرون﴾ في النار. ١٢٨ ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ [بكسر اللام] أي: المؤمنين، [فإنهم نَجَوْا لإخلاصهم لله في العبادة، وفي قراءة بفتح اللام، أي: المختارين، لأن الله أخلصهم واختارهم لعبادته]، فإنهم نجوا منها. ١٢٩ ﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾ ثناء حسناً. ١٣٠ ﴿سلام﴾ منا ﴿على إل ياسين﴾ هو «إلياس» المتقدم ذكره، وقيل: هو ومن آمن معه، فَجُمِعوا معه تغليباً، كقولهم للمهلَّب وقومه: المهلَّبون، وعلى قراءة: «آل ياسين» بالمد، أي: أهله، المراد به إلياس أيضاً. ١٣١ ﴿إنا كذلك﴾ كما جزيناه ﴿نجزي المحسنين﴾. ١٣٢ ﴿إنه من عبادنا المؤمنين﴾. ١٣٣ ﴿وإن لوطاً لمن المرسلين﴾. ١٣٤ اذكر ﴿إذ نجيناه وأهله أجمعين﴾. ١٣٥ ﴿إلا عجوزاً في الغابرين﴾ أي: الباقين في العذاب، [هي امرأته، هلكت مع الهالكين]. ١٣٦ ﴿ثم دمرنا﴾ أهلكنا ﴿الآخرين﴾ كفار قومه.

ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾

= الصحيح، يدل على ذلك قوله تعالى بعد أربع آيات من ذكر الذبح والفداء: ﴿وبشرناه بإسحاق﴾، فلم يكن إسحاق عند الذبح موجوداً، وعندما بشّر الله إبراهيم بإسحاق بشره بعده بيعقوب، قال تعالى في سورة «هود»: ﴿وبشرناه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب﴾ أي: ابن إسحاق، وردَّ ابن كثير على القائلين بأن الذبيح هو إسحاق: بأن ذلك ليس في كتاب ولا سُنّة، وأنه منقول عن أخبار أهل الكتاب.

(١) قوله: «هو ابن هارون»، أي: من ذريته، وفي «المخطوطتين: الأولى والثالثة»، والنسخ المطبوعة: «هو ابن أخي هارون إلخ» وهذا سهو صوابه ما أثبتناه أخذاً عن «المخطوطة الثانية» وقد تقدَّم مثله ص ١٧٦ .

(٢) قوله: «ببعلبك»، هي: مدينة عامرة، تقع في سهل «البقاع» من «لبنان» في بلاد الشام، أكثر أهلها من المسلمين، فيها قلعة مشهورة من الآثار الرومانية العجيبة، وفيها أيضاً آثار إسلامية كثيرة، واسم «بعلبك» مركب تركيباً مزجياً من «بعل» الذي هو اسم صنمهم المشار إليه بقوله تعالى: ﴿أتدعون بعلاً﴾ ومن «بك» وتعني: اسم رجل كان ملكاً فيها.

١٣٧ ﴿وإنكم لتمرون عليهم﴾ على آثارهم ومنازلهم في أسفاركم ﴿مصبحين﴾ أي: وقت الصباح، يعني: بالنهار. ١٣٨ ﴿و﴾ [تمرون عليهم] ﴿بالليل أفلا تعقلون﴾ يا أهل مكة، ما حل بهم، فتعتبرون به؟. ١٣٩ ﴿وإن يونس لمن المرسلين﴾. ١٤٠ ﴿إذ أبق﴾ هرب ﴿إلى الفلك المشحون﴾ السفينة المملوءة، حين غاضب قومه، لما لم ينزل بهم العذاب الذي وعدهم به، فركب السفينة، فوقفت في لُجَّةِ البحر، فقال الملاحون: هنا عبد أبَقَ من سيده، تُظهره القرعة. ١٤١ ﴿فساهم﴾ قارع أهل السفينة ﴿فكان من المدحضين﴾ المغلوبين، فألقوه في البحر. ١٤٢ ﴿فالتقمه الحوت﴾ ابتلعه ﴿وهو مليم﴾، أي: آت بما يلام عليه، من ذهابه إلى البحر، وركوبه السفينة، بلا إذن من ربه. ١٤٣ ﴿فلولا أنه كان من المسبحين﴾ الذاكرين، بقوله كثيراً في بطن الحوت: «لا إله إلاَّ أنت، سبحانك إني كنت من الظالمين». ١٤٤ ﴿للبث في بطنه إلى يوم يبعثون﴾ لصار بطن الحوت قبراً له إلى يوم القيامة. ١٤٥ ﴿فنبذناه﴾ ألقيناه من بطن الحوت ﴿بالعراء﴾ بوجه الأرض، أي: بالساحل، من يومه[1]، أو: بعد ثلاثة، أو: سبعة أيام، أو: عشرين، أو: أربعين يوماً ﴿وهو سقيم﴾ عليل كالفرخ المُمَّعِطِ، [بضم الميم الأولى، وفتح الثانية مشددة، أي: المنتوف الشعر]. ١٤٦ ﴿وأنبتنا عليه شجرة من يقطين﴾ وهو: القرع، تظله بساق، على خلاف العادة في القرع، معجزة له، وكانت تأتيه وَعْلَةٌ صباحاً ومساء، يشرب من لبنها حتى قوي. ١٤٧ ﴿وأرسلناه﴾ بعد ذلك، كَقَبْلَهُ، [أي: كما كان رسولاً] إلى قومه بـ «نينوى»، من أرض[2] «المَوْصِل» ﴿إلى مائة ألف أو﴾ بل ﴿يزيدون﴾ عشرين، أو: ثلاثين، أو: سبعين ألفاً. ١٤٨ ﴿فآمنوا﴾ عند معاينة العذاب، الموعودين به ﴿فمتعناهم﴾ أبقيناهم ممتعين بمالهم ﴿إلى حين﴾ تنقضي آجالهم فيه. ١٤٩ ﴿فاستفتهم﴾ استخبر كفار مكة، توبيخاً لهم ﴿ألربك البنات﴾ بزعمهم أن الملائكة بنات الله ﴿ولهم البنون﴾ فيختصون بالأسنى؟. ١٥٠ ﴿أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون﴾ خَلْقَنَا فيقولون ذلك؟. ١٥١ ﴿ألا إنهم من إفكهم﴾ كذبهم ﴿ليقولون﴾: ١٥٢ ﴿ولد الله﴾ بقولهم: الملائكة بنات الله ﴿وإنهم لكاذبون﴾ فيه. ١٥٣ ﴿أصطفى﴾ بفتح الهمزة للاستفهام، واستغني بها عن همزة الوصل فحذفت، أي: أختار ﴿البنات على البنين﴾؟. ١٥٤ ﴿ما لكم كيف تحكمون﴾ هذا الحكم الفاسد؟. ١٥٥ ﴿أفلا تذَّكرون﴾ بإدغام التاء [الثانية] في الذال: أنه سبحانه وتعالى منزه عن الولد، [وفي قراءة بتخفيف الذال]. ١٥٦ ﴿أم لكم

وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِالَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ * فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ

حزب ٤٦

(١) كل ما يمكن قوله: أن مدة لبثه في بطن الحوت لم تكن طويلة، وهو ما يفيده العطف بالفاء في الآيات، أما التحديد بيوم أو أكثر أو أقل فلا دليل عليه.
(٢) وقيل: أرسل إليهم بعد ذلك، وقيل: أرسل إلى أمة أخرى.

سلطان مبين﴾ حجة واضحة أن لله ولداً. ١٥٧ ﴿فأتوا بكتابكم﴾ التوراة[1]، فأروني ذلك فيه ﴿إن كنتم صادقين﴾ في قولكم ذلك. ١٥٨ ﴿وجعلوا﴾ أي: المشركون ﴿بينه﴾ تعالى ﴿وبين الجنة﴾ أي: الملائكة، [وسُمُّوا «جِنَّة»]، لاجتنانهم، [أي: استتارهم] عن الأبصار ﴿نسباً﴾ بقولهم: إنها بنات الله، [أو: لأن كفار قريش كانوا يقولون: إن الجنَّة صنف من الملائكة] ﴿ولقد علمت الجنة إنهم﴾ أي: قائلي ذلك ﴿لمحضرون﴾ النار، يعذبون فيها. ١٥٩ ﴿سبحان الله﴾ تنزيهاً له ﴿عما يصفون﴾ بأن لله ولداً. ١٦٠ ﴿إلاّ عباد الله المخلصين﴾[2] أي: المؤمنين استثناء منقطع، أي: فإنهم ينزهون الله تعالى عما يصفه هؤلاء. ١٦١ ﴿فإنكم وما تعبدون﴾ من الأصنام. ١٦٢ ﴿ما أنتم عليه﴾ أي: على معبودكم، و «عليه» متعلق بقوله: ﴿بفاتنين﴾ أي: [بمضلِّين] أحداً. ١٦٣ ﴿إلاَّ من هو صال الجحيم﴾ [أي: من سبق] في علم الله تعالى، [أنه يدخلها]. ١٦٤ قال جبريل للنبي ﷺ: ﴿وما منا﴾ معشر الملائكة أحَدٌ ﴿إلاَّ له مقام معلوم﴾ في السماوات، يعبد الله فيه لا يتجاوزه. ١٦٥ ﴿وإنا لنحن الصافون﴾ أقدامنا في الصلاة. ١٦٦ ﴿وإنا لنحن المسبحون﴾ المنزهون الله عما لا يليق به. ١٦٧ ﴿وإن﴾ مخففة من الثقيلة، أي: وإنه ﴿كانوا﴾ أي كفار مكة ﴿ليقولون﴾ [قبل بعثة النبي ﷺ]: ١٦٨ ﴿لو أن عندنا ذكراً﴾ كتاباً ﴿من الأولين﴾ أي: من كتب الأمم الماضية. ١٦٩ ﴿لكنا عباد الله المخلصين﴾ العبادة له، [بكسر اللام، وفي قراءة بفتحها: أي: الذين اختارهم الله لعبادته]. ١٧٠ قال تعالى: ﴿فكفروا به﴾ بالكتاب الذي جاءهم، وهو: القرآن الأشرف من تلك الكتب ﴿فسوف يعلمون﴾ عاقبة كفرهم. ١٧١ ﴿ولقد سبقت كلمتنا﴾ بالنصر ﴿لعبادنا المرسلين﴾ وهي «لأغلبن أنا ورسلي». ١٧٢ أو: هي قوله: ﴿إنهم لهم المنصورون﴾. ١٧٣ ﴿وإن جندنا﴾ أي المؤمنين ﴿لهم الغالبون﴾ الكفار، بالحجة والنصرة عليهم في الدنيا، وإن لم ينتصر بعض منهم في الدنيا، ففي الآخرة. ١٧٤ ﴿فتول عنهم﴾ أعرض عن كفار مكة ﴿حتى حين﴾ تؤمر فيه بقتالهم. ١٧٥ ﴿وأبصرهم﴾ إذا نزل بهم العذاب [بالقتل والأسر] ﴿فسوف يبصرون﴾ عاقبة كفرهم.

سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾

(١) قوله: «التوراة»، الصواب إسقاطه، لأن الخطاب للمشركين من العرب كما قال المحلي في تفسير الآية «١٤٩»، والتوراة ليست لهم، ويكون المعنى: فأتوا بكتاب يؤيد قولكم، إن كان عندكم حجة.

(٢) قوله تعالى: ﴿إلاَّ عباد الله المخلصين﴾، في: ﴿المخلصين﴾ أينما جاءت في القرآن الكريم قراءتان سبعيتان هما: بكسر اللام أي: الذين أخلصوا العبادة لله وحده، وبفتحها: أي: الذين أخلصهم الله تعالى واختارهم لعبادته أي: خصهم بذلك فضلاً منه تعالى وتشريفاً لهم.

١٧٦ فقالوا استهزاء: متى نزول هذا العذاب؟ قال تعالى تهديداً لهم: ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾؟.

١٧٧ ﴿فإذا نزل بساحتهم﴾ بفنائهم، قال الفراء[1]: العرب تكتفي بذكر الساحة عن القوم ﴿فساء﴾ بئس صباحاً ﴿صباح المنذرين﴾ فيه إقامة الظاهر، [أي: المنذرين]، مقام المضمر، [أي: صباحهم].

١٧٨ ﴿وتول عنهم حتى حين﴾. ١٧٩ ﴿وأبصر فسوف يبصرون﴾ كُرر تأكيداً لتهديدهم وتسلية له صلى الله عليه وسلم. ١٨٠ ﴿سبحان ربك رب العزة﴾ الغلبة ﴿عما يصفون﴾ بأن له ولداً [وشريكاً].

أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾

(٣٨) سُورَةُ صٓ مَكِّيَّة وَآيَاتُهَا ثَمَانٍ وَثَمَانُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ

١٨١ ﴿وسلام على المرسلين﴾ المبلغين عن الله التوحيد والشرائع.

١٨٢ ﴿والحمد لله رب العالمين﴾ على نصرهم وهلاك الكافرين.

﴿سُورَةُ صٓ﴾

(مكية، ست، أو: ثمان وثمانون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ص﴾ الله أعلم بمراده به[2] ﴿والقرآن ذي الذكر﴾ أي البيان، أو: الشرف، وجواب هذا القسم محذوف، أي: ما الأمر كما قال كفار مكة، من تعدد الآلهة.

٢ ﴿بل الذين كفروا﴾ من أهل مكة [وغيرهم] ﴿في عزة﴾ حَمِيَّة وتكبر عن الإيمان ﴿وشقاق﴾ خلاف وعداوة للنبي صلى الله عليه وسلم.

٣ ﴿كم﴾ أي: كثيراً ﴿أهلكنا من قبلهم من قرن﴾ أي: أمة من الأمم الماضية ﴿فنادوا﴾ حين نزول العذاب بهم ﴿ولات حين مناص﴾ أي: ليس الحينُ حينَ فرار، والتاء زائدة، والجملة حال من فاعل «نادوا»، أي: استغاثوا، والحال أن لا مهرب ولا منجى، وما اعتبر بهم كفار مكة. ٤ ﴿وعجبوا أن جاءهم منذر منهم﴾ رسول من أنفسهم، ينذرهم ويخوفهم النار بعد البعث، وهو النبي صلى الله عليه وسلم.

---

(١) قوله: «قال الفراء»: هو أبو زكريا: يحيى بن زياد الفراء، الكوفي اللغوي المعروف، المتوفى عام تسعة ومائتين، لقب بالفراء لأنه كان يفري الكلام، يقال: «فراه» أي: قطعه على جهة الإصلاح، أي: كان حجة في إصلاح لغة العرب، أما غير أبي زكريا ممن لُقِّبَ بالفراء فنسبة إلى خياطة الفِراء ــ «فروة» ــ أو بيعها.

(٢) قوله: «الله أعلم بمراده به»، هذا هو القول الصحيح في هذه الحروف، ارجع إلى تعليقنا حولها ص ٣.

﴿وقال الكافرون﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر ﴿هذا ساحر كذاب﴾ [في دعواه النبوة]. ٥﴿أجعل الآلهة إلَهاً واحداً﴾ حين قال لهم: قولوا «لا إله إلا الله»، أي: كيف يسع الخلق كلَّهم إله واحد؟ ﴿إن هذا لشيء عجاب﴾ أي: عجيب. ٦﴿وانطلق الملأ منهم﴾ من مجلس اجتماعهم عند أبي طالب، وسماعهم فيه من النبي ﷺ: «قولوا: لا إله إلا الله»[1] ﴿أن امشوا﴾ أي: يقول بعضهم لبعض: امشوا ﴿واصبروا على آلهتكم﴾ اثبتوا على عبادتها ﴿إن هذا﴾ المذكور من التوحيد ﴿لشيء يراد﴾ منا، [أو: إنه لأمر يُرَادُ بنا، فاحذروا أن تطيعوه]. ٧﴿ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة﴾ أي: ملة عيسى ﴿إن﴾ ما ﴿هذا إلا اختلاق﴾ كذب. ٨﴿ءأنزل﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين، وتركه ﴿عليه﴾ على محمد ﴿الذكر﴾ القرآن ﴿من بيننا﴾ وليس بأكبرنا ولا أشرفنا؟ أي: لِمَ يُنْزَلُ عليه؟ قال تعالى: ﴿بل هم في شك من ذكري﴾ وحيي، أي: القرآن، حيث كذبوا الجائي به ﴿بل لما﴾ لم ﴿يذوقوا عذاب﴾ ولو ذاقوه، لصدقوا النبي ﷺ فيما جاء به، ولا ينفعهم التصديق حينئذ. ٩﴿أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز﴾ الغالب ﴿الوهاب﴾ من النبوة وغيرها، فيعطونها من شاؤوا؟ ١٠﴿أم لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما﴾؟ إن زعموا ذلك ﴿فليرتقوا في الأسباب﴾ الموصلة إلى السماء، فيأتوا بالوحي، فيخصوا به من شاؤوا، و «أم» في الموضعين بمعنى همزة الإنكار. ١١﴿جند ما﴾ أي: هم جند حقير ﴿هنالك﴾ أي: في تكذيبهم لك ﴿مهزوم﴾ صفة «جند» ﴿من الأحزاب﴾ صفة «جند» أيضاً، أي: كالأجناد، من جنس الأحزاب المتحزبين على الأنبياء قبلك، وأولئك قد قُهِروا وأهلكوا، فكذلك نُهلك هؤلاء.

١٢﴿كذبت قبلهم قوم نوح﴾ تأنيث «قوم» باعتبار المعنى ﴿وعاد وفرعون ذو الأوتاد﴾ [جمع «وتد»،] كان يَتِد لكل من يغضب عليه أربعة أوتاد، يشد إليها يديه، ورجليه ويعذبه.

١٣﴿وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة﴾ أي: الغيضة، وهم قوم شعيب عليه السلام ﴿أولئك الأحزاب﴾.

وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا

١٤﴿إن﴾ ما ﴿كل﴾ من الأحزاب ﴿إلا كذب الرسل﴾ لأنهم إذا كذبوا واحداً منهم، فقد كذبوا جميعهم، لأن دعوتهم واحدة، وهي: دعوة التوحيد ﴿فحق﴾ وجب ﴿عقاب﴾. ١٥﴿وما ينظر﴾ ينتظر ﴿هؤلاء﴾ كفار مكة ﴿إلا

---

(١) قوله ﷺ: «قولوا لا إله إلا الله»، رواه أحمد والنسائي والترمذي وقال: حديث حسن صحيح، وذلك أن قريشاً شكوا النبي ﷺ إلى أبي طالب، فقال: يا ابن أخي ما تريد من قومك؟. قال: «أريد منهم كلمة تَدِينُ لهم بها العرب، وتؤدي إليهم العجم الجزية» قال: كلمة واحدة؟، قال: «كلمة واحدة». فقال: «يا عم قولوا: لا إله إلا الله»، فقالوا: إلهاً واحداً؟ ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق. فنزلت الآيات.

صيحة واحدة﴾ هي: نفخة القيامة، تُحِلُ بهم العذابَ ﴿ما لها من فواق﴾ بفتح الفاء وضمها، [أي:] رجوع [أو توقف].
١٦ ﴿وقالوا﴾ لما نزل: «فأما من أوتي كتابه بيمينه» إلخ ﴿ربنا عجل لنا قطنا﴾ [من «قَطَّ الشيءَ» إذا قطعه، ومعروف في اللغة أن يقال للنصيب: «قِطٌّ»، وللكتاب المكتوب بالجائزة: «قِطٌّ»]، أي: [نصيبنا، أو:] كتاب أعمالنا ﴿قبل يوم الحساب﴾ قالوا: ذلك استهزاء. ١٧ قال تعالى: ﴿اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد﴾ أي: القوة في العبادة، [روى الشيخان عن النبي ﷺ: أن داود]، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، ويقوم نصف الليل، وينام ثلثه، ويقوم سدسه ﴿إنه أواب﴾ رجَّاع إلى مرضاة الله. ١٨ ﴿إنا سخرنا الجبال معه يسبحن﴾ بتسبيحه ﴿بالعشي﴾ وقت صلاة العشاء ﴿والإشراق﴾ وقت صلاة الضحى، وهو: أن تشرق الشمس ويتناهى ضوءها.

صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا
قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ
عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ
مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ
كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ
وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ * وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ
تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ
قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم
بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾
إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ
فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ
بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ

ربع الحزب

١٩ ﴿و﴾ سخرنا ﴿الطير محشورة﴾ مجموعة إليه تسبح معه ﴿كل﴾ من الجبال والطير ﴿له أواب﴾ رجَّاع إلى طاعته بالتسبيح.

٢٠ ﴿وشددنا ملكه﴾ قوَّيناه بالحرس والجنود، [قيل:] كان يحرس محرابه في كل ليلة، ثلاثون ألف رجل ﴿وآتيناه الحكمة﴾ النبوة والإصابة في الأمور ﴿وفصل الخطاب﴾ البيان الشافي، في كل قصد.

٢١ ﴿وهل﴾ معنى الاستفهام هنا: التعجيب، والتشويق إلى استماع ما بعده ﴿أتاك﴾ يا محمد ﴿نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب﴾ محراب داود؟، أي: مسجده، حيث مُنعوا الدخول عليه من الباب، لشغله بالعبادة، أي: [هل أتاك] خبرُهم وقصتُهم؟

٢٢ ﴿إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف﴾ نحن ﴿خصمان﴾ قيل: فريقان، ليطابق ما قبله من ضمير الجمع، وقيل: اثنان، والضمير بمعناهما، «والخصم» يطلق على الواحد وأكثر، وهما [رجلان خصمان حقيقيان، أتياه في غير وقت القضاء ابتلاء، وقيل:] مَلَكان جاءا في صورة خصمين، وقع لهما ما ذكر، على سبيل الفرض، لتنبيه داود عليه السلام على ما وقع منه[1]، وكان له تسع وتسعون امرأة، وطلب امرأة شخص ليس له غيرها، وتزوجها ودخل بها [اقرأ التعليق] ﴿بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط﴾ تَجُرْ ﴿واهدنا﴾ أرشدنا ﴿إلى سواء الصراط﴾ وسط الطريق، الصواب.

٢٣ ﴿إن هذا أخي﴾ أي: على ديني ﴿له تسع وتسعون نعجة﴾ [وهي: نعاج حقيقية، وقيل:] يعبَّر بها عن المرأة، [ولا وجه لهذا القول هنا] ﴿ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها﴾ اجعلني كافلها ﴿وعزني﴾ غلبني ﴿في الخطاب﴾ أي: الجدال، وأقره الآخر على ذلك. ٢٤ ﴿قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك﴾ ليضمها ﴿إلى نعاجه وإن كثيراً من الخلطاء﴾ الشركاء

---

(١) قوله: «على ما وقع منه» إلخ. إن ما ذكره المحلي هنا وغيره في كتب التفسير وقصص الأنبياء من: أن داود عليه السلام أحب امرأة، وطلب من زوجها أن ينزل له عنها، إلى غير ذلك مما فيه ذكر للمرأة في هذه القصة، هو باطل لا أساس له من الصحة ولا يجوز اعتباره مطلقاً، بل يجب اعتماد ما قرره العلماء المحققون في تفسير هذه الآيات، وملخصه: =

﴿ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم﴾ «ما» لتأكيد القلة، [قيل:] فقال الملكان ـ صاعدين في صورتيهما إلى السماء ـ : قضى الرجل على نفسه، فتنبَّه داود، قال تعالى: ﴿وظن﴾ أي: أيقن ﴿داود أنما فتناه﴾ أوقعناه في فتنة، أي: بلية، [بدخول الخصمين عليه في محرابه، وأما القول بأن الفتنة، كانت] بمحبته تلك المرأة، [فباطل، ـ اقرأ التعليق أسفل هذه الصفحة والتي قبلها ـ] ﴿فاستغفر ربه وخر راكعاً﴾ أي: ساجداً ﴿وأناب﴾. ٢٥﴿فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى﴾ زيادة خير في الدنيا ﴿وحسن مآب﴾ مرجع في الآخرة. ٢٦﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض﴾ تُدَبِّرُ أمر الناس ﴿فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى﴾ هوى النفس ﴿فيضلك عن سبيل الله﴾ عن الدلائل الدالة على توحيده ﴿إن الذين يضلون عن سبيل الله﴾ أي: عن الإيمان بالله ﴿لهم عذاب شديد بما نسوا﴾ بنسيانهم ﴿يوم الحساب﴾ المرتب عليه تركهم الإيمان، ولو أيقنوا بيوم الحساب، لآمنوا في الدنيا.

٢٧﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً﴾ أي: عبثاً ﴿ذلك﴾ أي: خَلْقُ ما ذكر، لا لشيء ﴿ظن الذين كفروا﴾ من أهل مكة [وغيرهم] ﴿فويل﴾ وادٍ [في جهنم، أو: كلمة تهديد] ﴿للذين كفروا من النار﴾.

٢٨﴿أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار﴾ نزل لما قال كفار مكة للمؤمنين: إنا نُعطَى في الآخرة، مثل ما تُعْطَوْنَ، و«أم» بمعنى همزة الإنكار.

٢٩﴿كتاب﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي: هذا ﴿أنزلناه إليك مبارك ليدبروا﴾ أصله «يتدبروا»، أدغمت التاء في الدال ﴿آياته﴾ ينظروا في معانيها، فيؤمنوا ﴿وليتذكر﴾ يتعظ

لِيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّـٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَـٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ

سجدة عند الحنفية ومالك

= أولاً: إن الله تعالى ذكر قصة الخصمين بعد ثناء عظيم على داود عليه السلام، وعقب عليها بثناء كبير. ثانياً: إن الخصمين من بني آدم حقيقةً، على القول الصحيح، لا من الملائكة، وقد اختصما فعلاً. ثالثاً: إن الخلاف بين الخصمين كان على نعجة حقيقية لأنهما من رعاة الشاءِ، وليس المراد هنا بالنعجة المرأة إطلاقاً، لأن الأصل في الإطلاق الحقيقة ولم يرد ما يصرف عنها. رابعاً: أما «الفتنة» و «الاستغفار» فنقول فيهما: إن دخول الخصمين عليه وهو في محرابه في غير مجلس القضاء، هو اختبار له وامتحان، لبيان ما إذا كان سيقضي بينهما، أم أنه سيغضب عليهما ويطردهما، لإفزاعهما له ومخالفتهما آداب الدخول، ولكنه رغم فزعه منهما لم يؤنبهما ولم يعاقبهما، بل كظم غيظه واستمع إلى شكواهما، ولكنه استعجل في الحكم على أحدهما قبل سماع قوله، ثم بعد انصرافهما أدرك عليه السلام أن ذلك كان فتنة وابتلاء، وأنه استعجل في الحكم، فاستغفر ربه من ذلك، وهذا لا يقدح في النبوة، وفي مطلق الأحوال فإن استغفار النبي لا يلزم أن يكون عن ذنب أو معصية، فسيدنا محمد ﷺ كان يستغفر الله ويتوب إليه في اليوم مائة مرة كما جاء في صحيح مسلم، بل هو رفع لدرجات الأنبياء، والغريب أن تخفى هذه الحقائق على بعض العلماء الذين أكثروا من نقل القصص الباطلة في حق الأنبياء، كيوسف وموسى وداود وسليمان وعيسى ومحمد، وفسروا القرآن بما لا يقبله عقل سليم، فضلاً عن عدم ثبوته في كتاب أو سنة، من غير أن يبيِّنوا ذلك للناس، فخذ أيها المسلم حذرك، وعليك بما ذكرناه، فهو الصواب بتوفيق الله تعالى.

﴿أولو الألباب﴾ أصحاب العقول. ٣٠﴿ووهبنا لداود سليمان﴾ ابنه ﴿نعم العبد﴾ أي: سليمان ﴿إنه أواب﴾ رجاع في التسبيح والذكر، في جميع الأوقات. ٣١﴿إذ عرض عليه بالعشي﴾ هو: ما بعد الزوال ﴿الصافنات﴾ الخيل، جمع: «صافنة»، وهي: القائمة على ثلاث، وإقامة الأخرى على طرف الحافر، وهو من «صَفَنَ» «يَصْفِنُ» «صُفُوناً» ﴿الجياد﴾ جمع «جواد»، وهو: السابق، المعنى: أنها إن استُوقفت سكنت، وإن ركضتْ سبقتْ، وكانت ألفَ فرس، عُرِضَتْ عليه بعد أن صلى الظهر، لإرادة الجهاد عليها لعدوّ، فعند بلوغ العرض منها تسعمائة، غربت الشمس ولم يكن صلى العصر، فاغتم. ٣٢﴿فقال إني أحببت﴾ أي: أردت ﴿حب الخير﴾ أي: الخيل ﴿عن ذكر ربي﴾ أي: صلاة العصر، [فتركها ناسياً] ﴿حتى توارت﴾ أي: الشمس ﴿بالحجاب﴾ أي: استترت بما يحجبها عن الأبصار. ٣٣﴿ردوها علي﴾ أي: الخيل المعروضة، فَرَدُّوها ﴿فطفق مسحاً﴾ بالسيف [أو بيده حبّاً لها] ﴿بالسوق﴾ جمع «ساق» ﴿والأعناق﴾ أي: ذبحها وقطع أرجلها، تقرباً إلى الله تعالى، حيث اشتغل بها عن الصلاة، وتصدق بلحمها، فعوضه الله خيراً منها وأسرع، وهي: الريح تجري بأمره كيف شاء. ٣٤﴿ولقد فتنا سليمان﴾[1] ابتليناه [بموت ولده على الصحيح، وقيل:] بسلب ملكه، وذلك لتزوجه بامرأة هواها، وكانت تعبد الصنم في داره من غير علمه، وكان ملكه في خاتمه، فنزعه مرة عند إرادة الخلاء، ووضعه عند امرأته المسماة بالأمينة، على عادته، فجاءها جني في صورة سليمان فأخذه منها، [وهذا كله كلام باطل] ﴿وألقينا على كرسيه جسداً﴾ هو [ولده المتوفَّى، وقيل: إنه] ذلك الجني، وهو: صخر، أو: غيره، جلس على كرسي سليمان، وعكفت عليه الطير وغيرُها، فخرج سليمان في غير هيئته، فرآه جالساً على كرسيه، وقال للناس: أنا سليمان، فأنكروه [وهذا قول باطل] ﴿ثم أناب﴾ رجع سليمان [إلى الله تعالى، وقيل: رجع] إلى ملكه بعد أيام، بأن وصل إلى الخاتم، فلبسه وجلس على كرسيه، [وهذا باطل أيضاً]. ٣٥﴿قال رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي﴾ لا يكون ﴿لأحد من بعدي﴾ أي: سواي، نحو: «فمن يهديه من بعد الله؟» أي: سوى الله ﴿إنك أنت الوهاب﴾. ٣٦﴿فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء﴾ لينة ﴿حيث أصاب﴾ أراد. ٣٧﴿والشياطين كل بناء﴾ يبني الأبنية العجيبة ﴿وغواص﴾ في البحر، يستخرج اللؤلؤ. ٣٨﴿وآخرين﴾ منهم ﴿مقرنين﴾ مشدودين ﴿في الأصفاد﴾ القيود، بجمع أيديهم إلى أعناقهم. ٣٩ وقلنا له: ﴿هذا عطاؤنا فامنن﴾ أعط منه من شئت ﴿أو أمسك﴾ عن العطاء ﴿بغير حساب﴾ أي: لا حساب عليك في ذلك. ٤٠﴿وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾، تقدم مثله [في الآية «٢٥»]. ٤١﴿واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني﴾ أي: بأني ﴿مسني الشيطان

أُولُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ

(١) قوله تعالى: ﴿ولقد فتنا سليمان..﴾، إن ما ذكره المفسر المحلي وغيره في تفسير هذه الآية، وما جاء فيه من عشقه امرأة كلام باطل لا يجوز اعتباره كما قال المحققون، ولقد وجهنا المعنى على أساس أن «الفتنة» هي ولده الميت، وأنه الجسد الذي ألقي على كرسيه، وذلك أخذاً مما أخرجه البخاري والنسائي وغيرهما: أن سليمان حلف =

﴿بنصب﴾ بضر ﴿وعذاب﴾[1] ألم، ونسبَ ذلك إلى الشيطان، وإن كانت الأشياء كلها من الله، تأدباً معه تعالى. ٤٢ وقيل له [لما انقضت مدة ابتلائه]: ﴿اركض﴾ اضرب ﴿برجلك﴾ الأرض، فضرب، فنبعت عينُ ماء، فقيل: ﴿هذا مغتسل﴾ ماء تغتسل به ﴿بارد وشراب﴾ تشرب منه، فاغتسل وشرب، فذهب عنه كل داء كان بباطنه وظاهره. ٤٣ ﴿ووهبنا له أهله ومثلهم معهم﴾ أي: أحيا الله من مات من أولاده، ورَزَقَهُ مثلهم ﴿رحمة﴾ نعمة ﴿منا وذكرى﴾ عظة ﴿لأولي الألباب﴾ لأصحاب العقول. ٤٤ ﴿وخذ بيدك ضغثاً﴾ هو: حِزْمَةٌ، [أي: قبضة] من حشيش، أو: قضبان [مختلطة الرطب باليابس] ﴿فاضرب به﴾ زوجتك، وكان قد حلف، ليضربنها مائة ضربة، لابطائها عليه يوماً ﴿ولا تحنث﴾ بترك ضربها، فأخذ مائة عود من الإذخر، أو: غيره، فضربها ضربة واحدة ﴿إنا وجدناه صابراً نعم العبد﴾ أيوب ﴿إنه أواب﴾ رجّاع إلى الله تعالى.

٤٥ ﴿واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي﴾ أصحاب القوى في العبادة ﴿والأبصار﴾ البصائر في الدين، وفي قراءة: «عبدنا»، و«إبراهيم» بيان له، وما بعده عطف على «عبدنا».

٤٦ ﴿إنا أخلصناهم بخالصة﴾ هي ﴿ذكرى الدار﴾ الآخرة، أي: ذكرُها والعملُ لها، وفي قراءة بالإضافة، وهي للبيان.

٤٧ ﴿وإنهم عندنا لمن المصطفين﴾ المختارين ﴿الأخيار﴾ جمع «خيِّر» بالتشديد.

٤٨ ﴿واذكر إسماعيل واليسع﴾ وهو نبي، واللام زائدة ﴿وذا الكفل﴾ اختلف في نبوته، [والصحيح أنه نبي]، قيل: كفل مائة نبي، فرُّوا إليه من القتل ﴿وكل﴾ كلهم ﴿من الأخيار﴾ جمع «خيِّر» بالتثقيل. ٤٩ ﴿هذا ذكر﴾ لهم بالثناء الجميل هنا ﴿وإن للمتقين﴾ الشاملين لهم ﴿لحسن مآب﴾ مرجع في الآخرة. ٥٠ ﴿جنات عدن﴾ بدل أو: عطف بيان لـ «حُسْن مآب» ﴿مفتحة لهم الأبواب﴾ منها. ٥١ ﴿متكئين فيها﴾ على الأرائك ﴿يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب﴾. ٥٢ ﴿وعندهم قاصرات الطرف﴾ حابسات العين على أزواجهن ﴿أتراب﴾ أسنانهن واحدة، وهي بنات ثلاث وثلاثين سنة ٥٣ ﴿هذا﴾ المذكور

بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا

نصف الحزب

= ليطوفن على نسائه، لتحمل كل امرأة بفارس يجاهد في سبيل الله، ولم يقل: «إن شاء الله» فلم تحمل منهن امرأة إلا واحدة جاءت بشق ولد. وهذا القول هو أقرب من حيث المعنى إذا أردنا التحديد، ولو كان بعض المفسرين على غيره، وتوقف بعضهم كأبي حيان، وأما الأقاويل الأخرى فاضرب بها عُرض الحائط، لأنها غير ثابتة.

(١) قوله تعالى: ﴿بنصب وعذاب﴾، بالغ القُصاص في الحديث عن مرض أيوب عليه السلام، حتى قالوا: إن الدود أخذ يتساقط منه، وهجره الناس بعد أن وضعوه في قُفّة وطرحوه على مزبلة، إن هذا الكلام لا يجوز اعتماده ولا اعتقاد حصوله، وهو كلام باطل، بل يجب اعتقاد عصمة الأنبياء عن الأمراض المنفِّرة الشنيعة كالتي تيلت عن أيوب، فقد مرض عليه السلام وابتلي بلاءً شديداً في نفسه وماله وأهله كما أخبرنا الله تعالى، لا نزيد على ما قاله الله تعالى إلا بدليل، ولا دليل، أما سبب حلفه الذي ذكره المحلي في تفسير الآية ٤٤ فليس فيه شيء ثابت، وإنما تناقله المفسرون، على سبيل الاستنتاج كما يظهر، والله أعلم.

﴿ما يوعدون﴾ بالغيبة، والخطاب التفاتاً ﴿ليوم الحساب﴾ أي: لأجله. ٥٤﴿إن هذا لرزقنا ما له من نفاد﴾ أي: انقطاع، والجملة حال من: «رزقنا»، أو: خبر ثان لـ «إنَّ»، أي: دائماً، أو: دائمٌ.

٥٥﴿هذا﴾ المذكور للمؤمنين ﴿وإن للطاغين﴾ مستأنف ﴿لشر مآب﴾ [أي: منقلب يصيرون إليه].

٥٦ هو ﴿جهنم يصلونها﴾ يدخلونها ﴿فبئس المهاد﴾ الفراش.

٥٧﴿هذا﴾ أي: العذاب المفهوم مما بعده ﴿فليذوقوه حميم﴾ أي: ماء حار محرق ﴿وغساق﴾ بالتخفيف والتشديد، ماء يسيل من صديد أهل النار.

مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾

٥٨﴿وأُخَرُ﴾ بالجمع والإفراد ﴿من شكله﴾ مثل المذكور من الحميم والغساق ﴿أزواج﴾ أصناف، أي: عذابهم من أنواع مختلفة.

٥٩ ويقال لهم عند دخولهم النار بأتباعهم: ﴿هذا فوج﴾ جمع ﴿مقتحم﴾ داخل ﴿معكم﴾ النار بشدة، فيقول المتبوعون ﴿لا مرحباً بهم﴾ لا سَعَةَ عليهم، [خلاف قولهم: «أهلاً ومرحباً»، أي: أتيت أهلاً، وأتيت سَعَةً، فاستأنس ولا تستوحش] ﴿إنهم صالو النار﴾.

٦٠﴿قالوا﴾ أي: الأتباع ﴿بل أنتم لا مرحباً بكم أنتم قدمتموه لنا﴾ أي: الكفر ﴿فبئس القرار﴾ لنا ولكم، النار.

٦١﴿قالوا﴾ أيضاً ﴿ربنا من قدم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً﴾ أي: مثل عذابه على كفره ﴿في النار﴾.

٦٢﴿وقالوا﴾ أي: كفار مكة [وأمثالهم]، وهم في النار: ﴿ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم﴾ في الدنيا، ﴿من الأشرار﴾.

٦٣﴿اتخذناهم سخرياً﴾ بضم السين وكسرها، أي: كنا نسخر بهم في الدنيا، والياء للنسب، أي: أمفقودون هم؟ ﴿أم زاغت﴾ مالت ﴿عنهم الأبصار﴾ فلم ترهم؟ وهم فقراء المسلمين: كعمار [بن ياسر]، وبلال [بن رباح الحبشي]، وصهيب [بن سنان الرومي]، وسلمان [الفارسي، رضي الله عنهم].

٦٤﴿إن ذلك لحق﴾ واجب وقوعه، وهو: ﴿تخاصم أهل النار﴾ [فيما بينهم] كما تقدم.

٦٥﴿قل﴾ يا محمد لكفار مكة [وغيرهم] ﴿إنما أنا منذر﴾ مخوف بالنار ﴿وما من إله إلا الله الواحد القهار﴾ لخلقه.

٦٦﴿رب السماوات والأرض وما بينهما العزيز﴾ الغالب على أمره ﴿الغفار﴾ لأوليائه.

٦٧﴿قل﴾ لهم ﴿هو نبأ عظيم﴾. ٦٨﴿أنتم عنه معرضون﴾ أي: القرآن أنبأتكم به، وجئتكم فيه بما لا يُعْلَمُ إلا بوحي، وهو [معنى] قوله تعالى:

٦٩﴿ما كان لي من علم بالملأ الأعلى﴾ أي: الملائكة ﴿إذ يختصمون﴾ في شأن آدم، حين قال الله: «إني جاعل في الأرض خليفة» إلخ.

٧٠﴿إن﴾ ما ﴿يوحى إلي إلا أنما أنا﴾ أي: أني ﴿نذير مبين﴾ بيِّن الإنذار. ٧١ اذكر ﴿إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين﴾ هو آدم.

قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ

٧٢﴿فإذا سويته﴾ أتممته ﴿ونفخت﴾ أجريت ﴿فيه من روحي﴾ [أي: من الروح الذي أنا خالقه ومالكه]، فصار حيّاً، وإضافة الروح إليه [تعالى]، تشريف لآدم، و«الروح»[1]: جسم لطيف يحيا به الإنسان بنفوذه فيه ﴿فقعوا له ساجدين﴾ سجود تحية بالانحناء.

٧٣﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون﴾ فيه تأكيدان.

٧٤﴿إلا إبليس﴾ هو: [أبو الشياطين على الصحيح، وقيل:] أبو الجن، كان بين الملائكة ﴿استكبر وكان من الكافرين﴾ في علم الله تعالى.

٧٥﴿قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾ أي توليت خلقه، وهذا تشريف لآدم، فإن كلَّ مخلوق، [قد] تولى الله خلقه [أيضاً:] ﴿أستكبرت﴾ الآن عن السجود؟ استفهام توبيخ ﴿أم كنت من العالين﴾ المتكبرين [من قبل]، فتكبرت عن السجود، لكونك منهم.

٧٦﴿قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾. ٧٧﴿قال فاخرج منها﴾ أي: من الجنة، وقيل: من السماوات ﴿فإنك رجيم﴾ مطرود. ٧٨﴿وإن عليك لعنتي﴾ [أي: طردي وإبعادي لك] ﴿إلى يوم الدين﴾ الجزاء. ٧٩﴿قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون﴾ أي: الناس، [طلب تأخير أجله إلى يوم القيامة]. ٨٠﴿قال فإنك من المنظرين﴾. ٨١﴿إلى يوم الوقت

---

(١) قوله: «والروح.. إلخ»، هذا موضع من المواضع التي نقل عن الجلال السيوطي في الخاتمة: أنه خالف فيها ما فسره الجلال المحلي، فلم يفسر السيوطي الروح بما فسره به المحلي هنا، بل أمسك عن تعريفها وهو الصحيح لقوله تعالى: ﴿قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾، و«الروح» يذكر ويؤنث، تقول: هذه روح وهذا روح. ارجع إلى خاتمة السيوطي التي أثبتناها في مقدمتنا على هذا الكتاب، وارجع إلى تعليقنا حول «معاني الروح» ص ٣٧٦.

﴿المعلوم﴾ وقت النفخة الأولى، [وهو حين موت الخلائق]. ٨٢﴿قال فبعزتك لأغوينهم﴾ [أي: لأضلنهم] ﴿أجمعين﴾.

٨٣﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾ [بكسر اللام، وفي قراءة بفتحها، أي: الذين اختارهم الله لعبادته]، أي: المؤمنين. ٨٤﴿قال فالحق والحق أقول﴾ بنصبهما، ورفع الأول ونصب الثاني، فنصبه بالفعل بعده، ونصب الأول، قيل: بالفعل المذكور، وقيل: على المصدر، أي: أَحُقُّ الحق، وقيل: على نزع حرف القسم، ورفعه على أنه مبتدأ محذوف الخبر أي: فالحق مني، وقيل: فالحق قَسَمِي، وجواب القسم:

ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ

٨٥﴿لأملأن جهنم منك﴾ بذريتك ﴿وممن تبعك منهم﴾ من الناس ﴿أجمعين﴾.

٨٦﴿قل ما أسألكم عليه﴾ على تبليغ الرسالة ﴿من أجر﴾ جُعْلٍ، [فتثقل عليكم الإجابة بسببه] ﴿وما أنا من المتكلفين﴾ المتقولين القرآن من تلقاء نفسي.

٨٧﴿إن هو﴾ أي: ما القرآن ﴿إلا ذكر﴾ عظة ﴿للعالمين﴾ للإنس والجن، [أي:] العقلاء [منهم]، دون الملائكة(١)، [لأنهم معصومون «لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون»، فلا يحتاجون إلى عظة وتخويف].

٨٨﴿ولتعلمن﴾ يا كفار مكة ﴿نبأه﴾ خبر صدقه ﴿بعد حين﴾ أي: يوم القيامة، و «علم» بمعنى «عرف»، واللام قبلها لام قسم مقدر، أي: والله.

﴿سورة الزمر﴾

(مكية، إلا: «قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم» الآية، فمدنية. وهي: خمس وسبعون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١﴿تنزيل الكتاب﴾ القرآن، مبتدأ ﴿من الله﴾ خبره ﴿العزيز﴾ في ملكه ﴿الحكيم﴾ في صنعه. ٢﴿إنا أنزلنا إليك﴾ يا محمد ﴿الكتاب بالحق﴾ متعلق بـ «أنزل» ﴿فاعبد الله مخلصاً له الدين﴾ من الشرك أي: موحداً له.

٣﴿ألا لله الدين الخالص﴾ لا يستحقه غيره ﴿والذين اتخذوا من دونه﴾ الأصنامَ ﴿أولياء﴾ وهم كفار مكة قالوا:

---

(١) قوله: «للإنس والجن العقلاء دون الملائكة»، كلمة «العقلاء» غير موجودة في بعض المخطوطات، ارجع إلى تعليقنا حول «الجن» ص ٧٧٠.

﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ «قربى»، مصدر بمعنى: تقريباً ﴿إن الله يحكم بينهم﴾ وبين المسلمين ﴿في ما هم فيه يختلفون﴾ من أمر الدين، فَيُدْخل المؤمنين الجنة، و «[يدخل] الكافرين النار ﴿إن الله لا يهدي من هو كاذب﴾ في نسبة الولد [والشريك] إلى الله [تعالى] ﴿كفار﴾ بعبادته غير الله.

٤﴿لو أراد الله أن يتخذ ولداً﴾ كما قالوا: «اتخذ الرحمن ولداً» ﴿لاصطفى مما يخلق ما يشاء﴾ واتخذه ولداً، غير مَنْ قالوا: إن الملائكة بنات الله، وعزير ابن الله، والمسيح ابن الله ﴿سبحانه﴾ تنزيهاً له عن اتخاذ الولد ﴿هو الله الواحد القهار﴾ لخلقه.

٥﴿خلق السماوات والأرض بالحق﴾ [والحكمة، لا عبثاً وباطلاً]، متعلق بـ «خلق» ﴿يكور﴾[1] يدخل ﴿الليل على النهار﴾ فيزيد ﴿ويكور النهار﴾ يدخله ﴿على الليل﴾ فيزيد ﴿وسخر الشمس والقمر كل يجري﴾ في فَلَكه ﴿لأجل مسمى﴾ ليوم القيامة ﴿ألا هو العزيز﴾ الغالب على أمره، المنتقم من أعدائه ﴿الغفار﴾ لأوليائه.

٦﴿خلقكم من نفس واحدة﴾ أي: آدم ﴿ثم جعل منها زوجها﴾ حواء، [ليحصل التناسل منهما][2] ﴿وأنزل﴾ [أي: خلق] ﴿لكم من الأنعام﴾ الإبل، والبقر، والغنم: الضأن والمعز ﴿ثمانية أزواج﴾ من كلٍّ زوجين: ذكراً وأنثى، كما بيَّنَ في سورة «الأنعام»[3] ﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق﴾ أي: نُطَفاً، ثم عَلَقاً، ثم: مُضَغاً ﴿في ظلمات ثلاث﴾ هي: ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة. ﴿ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنَّى﴾ [أي: كيف] ﴿تصرفون﴾ عن عبادته، إلى عبادة غيره؟ ٧﴿إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن

مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن

(١) قوله تعالى: ﴿يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل﴾. ما ذكره المؤلف الجلال المحلي في معنى «التكوير»، هو معنى «الإيلاج» الوارد في مثل قوله تعالى: ﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾، وهذا تفسير غير موافق لمعنى اللغة، لأن «التكوير» و «الإيلاج» ليسا بمعنى واحد، وإلا فما معنى قوله تعالى: ﴿إذا الشمس كورت﴾؟ قال: في «القاموس»: التكوير في اللغة، طرح الشيء بعضه على بعض، ومنه «كَوْرُ» العمامة، فيكون معنى الآية: أن الله تعالى سخر الليل والنهار يتعاقبان، يذهب أحدُهما فيعقبه الآخر إلى يوم القيامة، وفي الآية إشارة واضحة إلى أن الأرض، لا تخلو من ليل في مكان ونهار في آخر، على مدار الساعة.

(٢) قولنا: «ليحصل التناسل منهما»، ارجع إلى تعليقنا حول «آدم» ص ٤١٧، وحول «حواء» ص ٥٣٣.

(٣) في الآيتين «١٤٣» و «١٤٤» منها.

تشكروا﴾ الله، فتؤمنوا ﴿يرضه﴾ بسكون الهاء وضمها، مع إشباع ودونه، أي: [يرضى] الشكر ﴿لكم ولا تزر﴾ نفس ﴿وازرة وزر﴾ نفس ﴿أخرى﴾ أي: لا تحمله ﴿ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون إنه عليم بذات الصدور﴾ بما في القلوب. ٨﴿وإذا مس الإنسان﴾ أي: الكافر ﴿ضر دعا ربه﴾ تضرَّع ﴿منيباً﴾ راجعاً ﴿إليه ثم إذا خوله نعمة﴾ أعطاه إنعاماً ﴿منه نسي﴾ ترك ﴿ما كان يدعو﴾ يتضرع ﴿إليه من قبل﴾ وهو الله، فـ «ما» [من قوله: «نسي ما»]، في موضع «مَن» ﴿وجعل لله أنداداً﴾ شركاء ﴿ليضل﴾ بفتح الياء وضمها ﴿عن سبيله﴾ دين الإسلام ﴿قل تمتع بكفرك قليلاً﴾ بقية أجلك ﴿إنك من أصحاب النار﴾. ٩﴿أمن﴾ بتخفيف الميم ﴿هو قانت﴾ قائم بوظائف الطاعات ﴿آناء الليل﴾ ساعاته ﴿ساجداً وقائماً﴾ للصلاة ﴿يحذر الآخرة﴾ يخاف عذابها ﴿ويرجو رحمة﴾ جنة ﴿ربه﴾ كمن هو عاصٍ بالكفر أو غيره؟، وفي قراءة: «أمَّن هو قائم»، [بتشديد الميم، فـ «أم»] بمعنى: «بل»، و «الهمزة»، [أي: وبمعنى همزة الإنكار] ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾؟ أي: لا يستويان، [يعني: القانت المؤمن والكافر]، كما لا يستوي العالم والجاهل ﴿إنما يتذكر﴾ يتعظ ﴿أولو الألباب﴾ أصحاب العقول. ١٠﴿قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم﴾ أي: عذابه، بأن تطيعوه ﴿للذين أحسنوا في هذه الدنيا﴾ بالطاعة ﴿حسنة﴾ هي الجنة ﴿وأرض الله واسعة﴾ فهاجروا إليها، من بين الكفار ومشاهدة المنكرات ﴿إنما يوفى الصابرون﴾[1] على الطاعة، وما يبتلون به ﴿أجرهم بغير حساب﴾ بغير مكيال ولا ميزان. ١١﴿قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً

تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا

(١) قوله تعالى: ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾. لقد مدح الله تعالى الصابرين، وأجزل لهم الثواب، وجعل أجرهم بغير حساب، والصبر قرين الإيمان وضياءٌ للمؤمن، والمؤمن وحده هو الذي يعرف المعنى الصحيح للصبر، إذ ربما فهم بعض الناس أن الصبر هو: السكوت عن الباطل وعدم مقاومته أو مقاتلته، مع القدرة على ذلك، وهذا خطأ فاحش، فليس الصبر استسلاماً ولا سكوتاً ولا خضوعاً، بل هو: ثبات وصمود في مواجهة الشدة.

ولهذا: أمر الله تعالى، رسولَه والمؤمنين بالصبر في كل موقف عصيب شديد، ومن أهم تلك المواقف:

أولاً: «القتال» فلقد أمر الله تعالى المجاهدين في سبيله بالصبر في الحرب فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾.

ثانياً: «عند مواجهة المصائب والبلايا»، فالمؤمنون لا ينهارون أمام المصيبة أو الشدة بل يثبتون ويصبرون، قال تعالى ﴿والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس﴾، وقال سبحانه: ﴿وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون﴾، وقال عليه الصلاة والسلام: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كلّه له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء أي: نعمة ــ شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء ــ أي: مصيبة ــ صبر فكان خيراً له» رواه مسلم. =

له الدين﴾ من الشرك [الأكبر، الذي هو الكفر، والأصغر الذي هو: الرياء، لتكون العبادة صحيحة وخالصة لله تعالى وحده]. ١٢ ﴿وأمرت لأن﴾ أي: بأن ﴿أكون أول المسلمين﴾ من هذه الأمة. ١٣ ﴿قل﴾ [يا محمد]: ﴿إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾ [أي: يوم القيامة، قال ذلك، حين دعاه قومه إلى ترك دينه واتباعهم]. ١٤ ﴿قل الله أعبد مخلصاً له ديني﴾ من الشرك. ١٥ ﴿فاعبدوا ما شئتم من دونه﴾ غيرَه، فيه تهديد لهم، وإيذان بأنهم لا يعبدون الله تعالى ﴿قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة﴾ بتخليد الأنفس في النار، وبعدم وصولهم إلى الحور [العين]، المعدة لهم في الجنة، لو آمنوا ﴿ألا ذلك هو الخسران المبين﴾ البيّن. ١٦ ﴿لهم من فوقهم ظلل﴾ طباق [مطبقة عليهم] ﴿من النار ومن تحتهم ظلل﴾ من النار ﴿ذلك يخوف الله به عباده﴾ أي: المؤمنين، ليتقوه، يدل عليه: ﴿يا عباد فاتقون﴾. ١٧ ﴿والذين اجتنبوا الطاغوت﴾ الأوثان ﴿أن يعبدوها﴾ [أي: اجتنبوا عبادتها] ﴿وأنابوا﴾ أقبلوا ﴿إلى الله لهم البشرى﴾ بالجنة ﴿فبشر عباد﴾. ١٨ ﴿الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾ وهو: ما فيه فلاحهم ﴿أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب﴾ أصحاب العقول. ١٩ ﴿أفمن حق عليه كلمة العذاب﴾ أي: «لأملأن جهنم»، الآية [١١٩ من سورة «هود»] ﴿أفأنت تنقذ﴾ تُخرج ﴿من في النار﴾ [منها؟ وجملة الاستفهام هي] جواب الشرط، وأقيم فيه، [أي: في الاستفهام]، الظاهرُ مقام المضمر، والهمزة للإنكار، والمعنى: لا تقدرُ على هدايته، فتنقذه من النار. ٢٠ ﴿لكن الذين اتقوا ربهم﴾ بأن أطاعوه ﴿لهم غرف من فوقها غرف

لَهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ

= ثالثاً: «في مواجهة مغريات النفس»، قال الله تعالى: ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى * فإن الجنة هي المأوى﴾، وقال عليه الصلاة والسلام: «حجبت النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره» متفق عليه، أي: من اتبع الشهوات المحرمة دخل النار، ومن قاوم شهوات نفسه دخل الجنة، وقال الله تعالى حكاية عن لقمان الحكيم وهو ينصح ولده: ﴿يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾، والرسول الكريم ضرب بنفسه المثل الأعلى في تحمله أذى الناس وعناد الكافرين.

فأخذاً مما تقدم، قَسّم العلماء الصبر إلى أربعة أقسام هي:

أولاً ــ «الصبر على المصيبة» أي: أن يصبر الإنسان إذا حلت به مصيبة: في ماله، أو: أهله، أو: نفسه، أو: أيّ عزيز عليه، ولا يكون الصبر صبراً مأجوراً إلا إذا كان عند الصدمة الأولى، أي: عندما يفاجأ الإنسان بخبر وقوع المصيبة، فإن هو استرجع قائلاً: إنا لله وإنا إليه راجعون، راضياً بقضاء الله تعالى وحكمه، فهو الصابر الحق، الموعود بالأجر العظيم.

ثانياً ــ «الصبر على طاعة الله تعالى» بأن يصبر على عمل ما كلفه الله به، فيصبر على أداء الصلاة في البرد، والسفر، والمرض، ويتحمل مشقة الصيام في شهر رمضان خاصة في أيام الحر وفي البلاد الحارة، ويدفع الزكاة، وغير ذلك من الطاعات، بلا ضجر ولا ملل.

ثالثاً ــ «الصبر عن معصية الله تعالى» بأن يصبر عن فعل المحرمات، فيمتنع عنها، ولو كانت مسهلة قريبة المنال بسبب كثرة الفساد، فيترك شرب الخمور، والزنا، ويقاوم شهواته ويضغط على نفسه ويردعها عن فعل المحرمات، وبذلك يكون قوياً بطلاً، قال العَلّامة *ابن الوردي* في لاميته: =

مبنية تجري من تحتها الأنهار﴾ أي: من تحت الغرف، الفوقانية والتحتانية ﴿وعد الله﴾ منصوب بفعله المقدر، [أي: «وَعَد وَعْداً»] ﴿لا يخلف الله الميعاد﴾ [أي: لا يخلف الله] وعْدَه. ٢١﴿ألم تر﴾ تعلم ﴿أن الله أنزل من السماء﴾ [أي: السحاب] ﴿ماء فسلكه ينابيع﴾ أدخله أمكنة نَبْع ﴿في الأرض ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثم يهيج﴾ [الزرع، أي:] ييبس ﴿فتراه﴾ بعد [لونه الذي كان عليه، وهو لون] الخُضرة ــ مَثَلاً ــ ﴿مصفراً ثم يجعله حطاماً﴾ فتاتاً ﴿إن في ذلك لذكرى﴾ تذكيراً ﴿لأولي الألباب﴾ يتذكرون به، دلالته على وحدانية الله تعالى وقدرته. ٢٢﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام﴾ فاهتدى ﴿فهو على نور﴾ [أي: هدى] ﴿من ربه﴾ كمن طبع على قلبه؟ دلَّ على هذا ﴿فويل﴾ كلمة عذاب ﴿للقاسية قلوبهم من ذكر الله﴾[1] أي: عن قبول القرآن، [فإذا سمعوا الذكر، أعرضوا عنه وقست قلوبهم] ﴿أولئك في ضلال مبين﴾ بيِّن. ٢٣﴿الله نزل أحسن الحديث كتاباً﴾ بدل من «أحسن»، أي: قرآناً ﴿متشابهاً﴾ يشبه بعضه بعضاً، في النظم وغيره ﴿مثاني﴾ ثُنِّيَ [ويكرَّر] فيه، الوعد والوعيد وغيرهما، [كالقصص والأحكام] ﴿تقشعر منه﴾ ترتعد عند ذكر وعيده ﴿جلود الذين يخشون﴾ يخافون ﴿ربهم ثم تلين﴾ تطمئن ﴿جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ أي: عند ذكر وعده، [وإنما ذكرت القلوب والجلود مع اللين، لأن الجلود لا تقشعر، إلا إذا دخلت الخشية القلوب، تفادياً للتكرار] ﴿ذلك﴾ أي: الكتاب ﴿هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد﴾.

٢٤﴿أفمن يتقي﴾ يلقى ﴿بوجهه سوء العذاب يوم القيامة﴾ أي: أشَدَّهُ، بأن يلقى في النار، مغلولة يداه إلى عنقه، كمن أَمِنَ منه بدخول الجنة؟ ﴿وقيل للظالمين﴾ أي: كفار مكة [وغيرهم] ﴿ذوقوا ما كنتم تكسبون﴾ أي: جزاءه.

سُورَةُ الزُّمَرِ ٣٩

مُّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾

= واهجر الخمرةَ إن كُنْتَ فتى
كيف يسعى في جنون مَنْ عَقَلْ؟
ليس من يَقْطَعُ طَرِيقاً بطلاً
إنما مَنْ يتقي اللَّـهَ.. البَطَلْ

رابعاً ــ «الصبر على قبول الحق»، من أيّ شخص كان، فالحق أحق أن يُتبع، مهما علت مرتبة المخطىء وانخفضت مكانة قائل الحق، إن قول الحق بطولة، أما قبول الحق والعمل به فبطولة أكبر، فقد يسهل على الإنسان أن يقول الحق، ولكن يصعب على كثير من الناس ــ وخاصة أصحاب السلطة ــ أن يقبلوا الحق أو يرضوا به، بل غالباً ما تأنف نفوسهم وترفض قبول الحق، لا لشيء سوى أنهم متكبرون، ارجع إلى تعليقنا حول «الكبر» ص ٣٤٨.

(١) قوله تعالى: ﴿فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله﴾ فسر المؤلف الجلال المحلي «مِنْ» في قوله تعالى: ﴿من ذكر الله﴾ بمعنى: «عن»، وهذا اختيار ابن جرير الطبري، وفيه وجه آخر هو: أن قلوبهم تقسو بسبب ذكر الله، وهذا صحيح أيضاً، لأن قلوب المؤمنين تزداد بذكر الله إيماناً كما قال تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون﴾، وهذا دليل على أن الإيمان يزيد وينقص، =

٢٥﴿كذب الذين من قبلهم﴾ رسلهم، في إتيان العذاب ﴿فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾ من جهة لا تخطر ببالهم. ٢٦﴿فأذاقهم الله الخزي﴾ الذل والهوان، من المسخ والقتل وغيره ﴿في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا﴾ أي: المكذبون ﴿يعلمون﴾ عذابها، ما كذبوا. ٢٧﴿ولقد ضربنا﴾ جعلنا ﴿للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون﴾ يتعظون. ٢٨﴿قرآناً عربياً﴾ حال مؤكدة ﴿غير ذي عوج﴾ أي: لَبْس واختلاف ﴿لعلهم يتقون﴾ الكفر.
٢٩﴿ضرب الله﴾ للمشرك والموحِّد ﴿مثلاً رجلاً﴾ بدل من «مثلاً» ﴿فيه شركاء مُتشاكسون﴾ متنازعون، سيئةً أخلاقهم ﴿ورجلاً سلماً﴾ خالصاً ﴿لرجل هل يستويان مثلاً﴾ تمييز، أي: لا يستوي العبدُ لجماعة، والعبدُ لواحد، فإن الأول، إذا طَلَبَ منه كلٌّ مِنْ مالِكِيه، خدمَتَهُ في وقت واحد، تحيَّر فيمن يخدمه منهم، وهذا مثل للمشرك، والثاني: مثل للموحِّد، [فهو أقل تعباً، وأصلح حالاً] ﴿الحمد لله﴾ وحده، [على ظهور الحق] ﴿بل أكثرهم﴾ أي: أهل مكة [وأمثالهم] ﴿لا يعلمون﴾ ما يصيرون إليه من العذاب، فيشركون.
٣٠﴿إنك﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿ميت وإنهم ميتون﴾ ستموت ويموتون، فلا شماتة بالموت، نزلت لما استبطأوا موته ﷺ.
٣١﴿ثم إنكم﴾ أيها الناس فيما بينكم من المظالم ﴿يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾ [فيتخاصم الكافر والمؤمن، والظالم والمظلوم، والتابع والمتبوع].
٣٢﴿فمن﴾ أي: لا أحد ﴿أظلم ممن كذب على الله﴾ بنسبة الشريك له والولد إليه ﴿وكذب بالصدق﴾ بالقرآن ﴿إذ جاءه أليس في جهنم مثوىً﴾ [أي: مقام و] مأوىً ﴿للكافرين﴾ بلى[1]. ﴿والذي جاء بالصدق﴾ هو: النبي ﷺ ﴿وصدق به﴾ هم المؤمنون، فـ «الذي» بمعنى «الذين» ﴿أولئك هم المتقون﴾ الشرك.

كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلٗا سَلَمٗا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ ﴿٣١﴾
* فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدۡقِ إِذۡ جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾

حزب ٤٧ جزء ٢٤

= أما قلوب الكافرين فتزداد قسوة إذا ذكر الله أو تليت عليهم آيات القرآن قال تعالى: ﴿وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون﴾.

(١) قوله: «بلى»، هي حرف جواب، تختص بالنفي وتفيد إبطاله، سواء أكان مجرداً عن استفهام ونحوه كقوله تعالى: ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي﴾، أم كان النفي مقروناً بالاستفهام على حقيقته كقولنا: «أليس زيد بقائم؟ فتقول: بلى»، أو مقروناً بالاستفهام على سبيل التوبيخ كقوله تعالى: ﴿أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم؟ بلى﴾، أو كان الاستفهام تقريرياً كقوله تعالى: ﴿ألم يأتكم نذير؟ قالوا: بلى﴾، وكقوله: ﴿ألَسْتُ بربكم؟ قالوا: بلى﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره: لو قالوا: «نعم»، لكفروا، ووجهه: أن «نعم» تصديق للمخبر ــ بنفي أو إيجاب ــ بما أخبر به، بينما «بلى» تفيد إبطال النفي وإثبات المنفي، فمعنى الجواب بـ «بلى» في الآيات المذكورة: بلى: سنُبعث، وبلى: نسمع ذلك، وبلى: قد جاءنا نذير، وبلى: أنت ربنا، وهكذا باقي الآيات والأمثال.

٣٤﴿لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين﴾ لأنفسهم بإيمانهم.

٣٥﴿ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون﴾ «أسوأ» و «أحسن» بمعنى: «السَّيِّىء» و «الحَسَن».

٣٦﴿أليس الله بكاف عبده﴾ أي: النبي [ﷺ]؟ بلى ﴿ويخوفونك﴾[1] الخطاب له [ﷺ] ﴿بالذين من دونه﴾ أي: الأصنام، أن تقتله أو تخبله ﴿ومن يضلل الله فما له من هاد﴾.

سورة الزمر ٣٩

لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾

٦١١

٣٧﴿ومن يهد الله فما له من مضلّ أليس الله بعزيز﴾ غالب على أمره ﴿ذي انتقام﴾ من أعدائه؟ بلى.

٣٨﴿ولئن﴾ لام قسم ﴿سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون﴾ تعبدون ﴿من دون الله﴾ أي: الأصنام ﴿إن أرادني الله بضر هل هن كاشفاتٌ ضُرَّهُ﴾؟ لا ﴿أو أرادني برحمة هل هنَّ ممسكاتٌ رحمتَهُ﴾؟ لا وفي قراءة: بالإضافة فيها، [أي: بإضافة «كاشفات» و «ممسكات» إلى ما بعدهما] ﴿قل حسبي الله﴾ [أي: فهو وحده يكفيني كيدَ الكافرين] ﴿عليه يتوكل المتوكلون﴾ يثق الواثقون.

٣٩﴿قل يا قوم اعملوا على مكانتكم﴾ حالتكم ﴿إني عامل﴾ على حالتي ﴿فسوف تعلمون﴾.

٤٠﴿من﴾ موصولة، مفعول العلم ﴿يأتيه عذاب يخزيه﴾ [أي: يذله ويُهينه، في الدنيا بالقتل والسبي] ﴿ويحل﴾ ينزل ﴿عليه﴾ [في الآخرة] ﴿عذاب مقيم﴾ دائم، وهو عذاب النار، وقد أخزاهم الله ببدر[2].

---

(١) قوله تعالى: ﴿ويخوفونك﴾، أخرج عبد الرزاق وابن المنذر عن قتادة السَّدوسي رحمه الله قال: قال لي رجل: قالوا لنبي الله ﷺ لتكفن عن شتم آلهتنا أو لنأمرنَّها فلتخبلنك فنزلت.

(٢) قوله «ببدر» بَدْر: بفتح ثم سكون، ماء مشهور بين مكة والمدينة أسفل وادي الصفراء، وبينه وبين ساحل البحر ليلة، وبه سميت الوقعة المباركة التي أظهر الله بها الإسلام ـ أي: معركة بدر الكبرى ـ في السابع عشر من شهر رمضان المبارك من السنة الثانية للهجرة.

٤١ ﴿إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق﴾ متعلق بـ «أنزل» ﴿فمن اهتدى فلنفسه﴾ اهتداؤه ﴿ومن ضل فإنما يضل عليها﴾ [أي: تكون عاقبة ضلاله عليها، بأن يعذب في النار] ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ فتجبرهم على الهدى. ٤٢ ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها[1] و﴾ يتوفى ﴿التي لم تمت في منامها﴾ أي: يتوفاها وقت النوم ﴿فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى﴾ أي: وقت موتها، والمرسَلَةُ [هي:] نفسُ التمييز، تبقى بدونها نفسُ الحياة، بخلاف العكس ﴿إن في ذلك﴾ المذكور ﴿لآيات﴾ دلالات ﴿لقوم يتفكرون﴾ فيعلمون، أن القادر على ذلك، قادر على البعث، وقريش لم يتفكروا في ذلك، [فلم يهتدوا]. ٤٣ ﴿أم﴾ بل ﴿اتخذوا من دون الله﴾ أي: الأصنام آلهة ﴿شفعاء﴾ عند الله بزعمهم؟ ﴿قل﴾ لهم ﴿أ﴾ يشفعون ﴿ولو كانوا لا يملكون شيئاً﴾ من الشفاعة وغيرها ﴿ولا يعقلون﴾ أنكم تعبدونهم، ولا [يعقلون] غير ذلك؟ لا.

٤٤ ﴿قل لله الشفاعة جميعاً﴾[2] أي: هو مختص بها، فلا يشفع أحد إلا بإذنه ﴿له ملك السماوات والأرض ثم إليه ترجعون﴾.

٤٥ ﴿وإذا ذكر الله وحده﴾ أي: دون آلهتهم ﴿اشمأزت﴾ نفرت وانقبضت ﴿قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه﴾ أي: الأصنام ﴿إذا هم يستبشرون﴾.

٤٦ ﴿قل اللهم﴾ بمعنى: يا الله ﴿فاطر السماوات والأرض﴾ مبدعهما ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ ما غاب وما شوهد ﴿أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا

إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟

(١) قوله تعالى: ﴿الله يتوفى الأنفس...﴾ الآية، ذكر ابن كثير أن في هذه الآية ومثيلاتها وفاتين: الوفاة الكبرى، وهي: قبض الروح عند انقضاء الأجل، والوفاة الصغرى وهي تلك التي عند المنام. اهـ.

وأخرج البخاري عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا أخذ مَضْجَعَهُ من الليل، وضع يَدَه تحت خده ثم يقول: «اللهم باسمك أموتُ وأحيا»، وإذا استيقظ قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور».

(٢) قوله تعالى: ﴿قل لله الشفاعة جميعاً﴾. «الشفاعة» ثابتة يوم القيامة لنبينا محمد ﷺ ولغيره، بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، ولا يعتدُّ بخلاف من خالف في ذلك من المعتزلة وغيرهم، فقد روى الشيخان عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «أعطيتُ خمساً لم يُعْطَهن أحد من الأنبياء قبلي: نُصرتُ بالرعب مسيرة شهر، وجُعلت لي الأرضُ مسجداً وطَهُوراً، وأحلت لي الغنائم ولم تَحِلَّ لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه وبعثت إلى الناس عامة». فقوله: «وأعطيت الشفاعة» أي: الشفاعة العظمى التي اختُص بها دون غيره من الأنبياء والمرسلين والمؤمنين حتى الخليل إبراهيم، والكليم موسى، فيشفع نبينا محمد ﷺ في فصل القضاء لجميع الخلائق، بإراحتهم من هول الموقف وتعجيل الحساب، أما الشفاعة في غير ذلك الموقف فهي ثابتة له ﷺ ولغيره من الأنبياء، وللملائكة والعلماء والشهداء والمؤمنين، فقد روى أبو داود بسند حسن والترمذي، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»، قال ابن كثير: وقد تواترت في هذا النوع الأحاديث، ـ ولعله يعني: التواتر المعنوي ـ فيشفع ﷺ في قوم دخلوا النار بذنوبهم =

فيه يختلفون﴾ من أمر الدين، اهدني لما اختلفوا فيه من الحق، [عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ، يفتتح صلاته إذا قام من الليل: «اللهم رَبَّ جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطرَ السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك، فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختُلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم» رواه مسلم]. ٤٧ ﴿ولو أن للذين ظلموا﴾ [كذبوا وأشركوا] ﴿ما في الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة﴾ [لو كان يُقبل ذلك منهم] ﴿وبدا﴾ ظهر ﴿لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ يظنون [من العذاب]. ٤٨ ﴿وبدا لهم سيئات﴾ [أي: عقاب] ﴿ما كسبوا﴾ [من الكفر والمعاصي] ﴿وحاق﴾ نزل ﴿بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ أي: العذاب. ٤٩ ﴿فإذا مس الإنسان﴾ [المراد بـ«الإنسان»] الجنس ﴿ضر دعانا﴾ [لكشفه عنه] ﴿ثم إذا خولناه﴾ أعطيناه ﴿نعمة﴾ إنعاماً ﴿منا قال﴾ [جاحداً] ﴿إنما أوتيته على علم﴾ من الله بأني له أهل، [أو: على علم عندي بوجوه المكاسب والتجارة] ﴿بل هي﴾ أي: القولة ﴿فتنة﴾ بلية، يبتلى بها العبدُ ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ أن التخويل استدراج وامتحان. ٥٠ ﴿قد قالها الذين من قبلهم﴾ من الأمم، كقارون، وقومه الراضين بها، [كما تقدم في سورة «القصص» الآية «٧٨»] ﴿فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾ [أي: لم تغن عنهم أموالهم، ولا أولادهم، من عذاب الله شيئاً]. ٥١ ﴿فأصابهم سيئات ما كسبوا﴾ أي: جزاؤها ﴿والذين ظلموا من هؤلاء﴾ أي: قريش ﴿سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين﴾ بفائتين عذابنا، فقُحِطُوا سبع سنين، ثم وُسِّعَ عليهم، [كما سيأتي في سورة «الدخان» ص ٦٥٧]. ٥٢ ﴿أو لم يعلموا أن الله يبسط الرزق﴾ يوسعه ﴿لمن يشاء﴾ امتحاناً ﴿ويقدر﴾ يضيقه، لمن يشاء ابتلاءً ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ به. ٥٣ [روى مسلم وأبو داود والنسائي، عن ابن عباس: أن ناساً من أهل الشرك، كانوا قد قَتَلُوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا، فأتوا محمداً ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزل: «والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر»، في آخر «الفرقان»، ونزل أيضاً قوله تعالى:] ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على

فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ۚ وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ

ربع الحزب

= فيخرجهم منها، وفي قوم فيدخلون الجنة بغير حساب، وفي قوم استوجبوا النار فلا يدخلونها بشفاعته، وروى ابن ماجه بسند حسن، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «يشفع يوم القيامة ثلاثة ــ أي: أصناف ثلاثة هم: ــ الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء»، وروى أبو داود والترمذي، عن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته»، وروى الشيخان والترمذي أحاديث طويلة في الشفاعة جاء فيها: أن المؤمنين يؤذن لهم في الشفاعة، فيُخرجون من النار خلقاً كثيراً، حتى لا يبقى فيها من أهل الخير أحد، ثم يعمم الله برحمته من فاتته شفاعة، فيُخرج من النار كلَّ من لا يستحق الخلود فيها، ولا تكون الشفاعة إلاَّ من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى.

﴿أنفسهم﴾ [بالكفر أو المعاصي] ﴿لا تقنطوا﴾ بكسر النون وفتحها، وقرىء [شذوذاً] بضمها: تيأسوا ﴿من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾[1] لمن تاب من الشرك، [لأن الكافر إذا آمن، يُغفر له كل شيء قبل ذلك، وأما العصاة المؤمنون، فإن الله يغفر لمن تاب منهم توبةً صحيحة، ومن مات منهم ولم يتب من ذنبه، فأمره إلى الله، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له، وعليه: فالآية دعوةٌ عامةٌ، لجميع الكفرة والعُصاة، إلى التوبة والإنابة] ﴿إنه الغفور الرحيم﴾.

٥٤ ﴿وأنيبوا﴾ ارجعوا ﴿إلى ربكم وأسلموا﴾ أخلصوا العمل ﴿له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون﴾ بمنعه [عنكم]، إن لم تتوبوا.

٥٥ ﴿واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم﴾ هو القرآن ﴿من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون﴾ قبل إتيانه، بوقته.

٥٦ فبادروا قبل ﴿أن تقول نفس يا حسرتى﴾ أصله: «حسرتي»، أي: ندامتي ﴿على ما فرطت﴾ [أي: قصَّرتُ] ﴿في جنب الله﴾ أي: طاعته ﴿وإن﴾ مخففة من الثقيلة، أي: وإني ﴿كنت لمن الساخرين﴾ بدينه وكتابه.

٥٧ ﴿أو تقول لو أن الله هداني﴾ بالطاعة فاهتديت ﴿لكنت من المتقين﴾ عذابه.

٥٨ ﴿أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرّة﴾ رجعةً إلى الدنيا ﴿فأكون من المحسنين﴾ المؤمنين، فيقال له من قِبَلِ الله:

٥٩ ﴿بلى قد جاءتك آياتي﴾ القرآن، وهو سبب الهداية ﴿فكذبت بها واستكبرت﴾ تكبرت عن الإيمان بها ﴿وكنت من الكافرين﴾.

٦٠ ﴿ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى﴾ مأوى ﴿للمتكبرين﴾ عن الإيمان؟ بلى.

٦١ ﴿وينجي الله﴾ من جهنم ﴿الذين

أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ
جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ
وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾
وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن
يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ
نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ
لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ
مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي
كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي
فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾
وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ
أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ

(١) قوله تعالى: ﴿إن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾، أي: ما عدا الشرك بالله تعالى، فإن الله تعالى لا يغفره إلاَّ إذا تاب الكافر منه، والتوبة من الشرك تكون بالدخول في الإسلام بالنطق بالشهادتين، مع التبرؤ من كل دين أو عقيدة تُخالف دين الإسلام، والشرك الذي لا يغفره الله تعالى يشمل كل ما هو كفر، من قول أو فعل أو اعتقاد، فعابدو الأصنام مشركون كافرون، وعملهم هذا شرك وكفر، وكذلك النصارى واليهود والمجوس والشيوعيّون، وسائر الملحدين المنكرين لوجود الله تعالى، كلهم كافرون مشركون، لا يغفر الله لهم إن هم ماتوا على كفرهم وضلالهم، فإن تابوا بالإيمان، تاب الله عليهم وبدل سيئاتهم حسنات.

اتقوا﴾ الشرك ﴿بمفازتهم﴾ بمكان فوزهم من الجنة، بأن يُجْعَلُوا فيه، [أي: ينجيهم بإدخالهم الجنة] ﴿لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون﴾.

٦٢﴿الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل﴾ يتصرف فيه كيف يشاء.

٦٣﴿له مقاليد السماوات والأرض﴾ أي: مفاتيح خزائنهما، من المطر والنبات وغيرهما ﴿والذين كفروا بآيات الله﴾ القرآن ﴿أولئك هم الخاسرون﴾ متصل بقوله: «وينجي الله الذين اتقوا» إلى آخره، وما بينهما اعتراض.

٦٤﴿قل أفغير الله تأمرونِّي أعبد أيها الجاهلون؟﴾ «غير» منصوب بـ«أعبد»، المعمول لـ«تأمرونِّي»، [وفي «تأمرونِّي» أربع قراءات سبعية هي:] بنون واحدة، وبنونين بإدغام [مع فتح الياء وسكونها]، وفكٌّ [مع سكون الياء فقط] بتقدير «أنْ».

سُورَةُ الزُّمَرِ ٣٩

اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ أُولَٰٓئِكَ هُمُ الْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ وَالسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا

٦٥﴿ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك﴾ والله ﴿لئن أشركت﴾ يا محمد فَرَضاً ﴿ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين﴾ [وهذا تحذير لأمته ﷺ، لأنه معصوم عن ذلك، أو: هو بيان لعاقبة الشرك بالله تعالى].

٦٦﴿بل الله﴾ وَحْدَهُ ﴿فاعبد وكن من الشاكرين﴾ إنعامَهُ عليك.

٦٧﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ وما عرفوه حق معرفته، أو: ما عظموه حق عظمته، حين أشركوا به غيره ﴿والأرض جميعاً﴾ حال، أي: السبع ﴿قبضته﴾ أي: مقبوضة له، في ملكه وتصرفه ﴿يوم القيامة والسماوات مطويات﴾ مجموعات ﴿بيمينه﴾ بقدرته ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ معه، [روى البخاري ومسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقبض الله الأرضَ يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض»؟].

٦٨﴿ونفخ في الصور﴾ النفخةُ الأولى ﴿فصعق﴾ مات ﴿من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾ من الحور والولدان وغيرهما ﴿ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم﴾ أي: جميع الخلائق الموتى ﴿قيام ينظرون﴾ ينتظرون ما يُفْعَلُ بهم.

٦٩﴿وأشرقت الأرض﴾ أضاءت [عَرَصَاتُ القيامة] ﴿بنور ربها﴾[1] حين يتجلَّى لفصل القضاء.

---

(١) قوله تعالى: ﴿بنور ربها﴾، أي: بنور تجلِّيه سبحانه وتعالى، أو: هو نور مخصوص يخلقه الله تعالى في ذلك اليوم، فالنور الذي تُشرق به الأرض يوم القيامة، هو نور مخصوص، لأنه لا يكون وقتها شمس ولا قمر، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما، وقيل: ﴿بنور ربها﴾ أي: بعدله.

﴿ووضع الكتاب﴾ كتاب الأعمال، للحساب ﴿وجيء بالنبيين والشهداء﴾ أي: أمة محمد ﷺ، يشهدون للرسل بالبلاغ ﴿وقضي بينهم بالحق﴾ أي: العدل ﴿وهم لا يظلمون﴾ شيئاً. ٧٠﴿ووفيت كل نفس ما عملت﴾ أي: جزاءه ﴿وهو أعلم﴾ أي: عالم ﴿بما يفعلون﴾ فلا يحتاج إلى شاهد. ٧١﴿وسيق الذين كفروا﴾ بعنف ﴿إلى جهنم زمراً﴾ جماعات متفرقة ﴿حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها﴾ جواب «إذا» ﴿وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم﴾ القرآن، وغيره [من الكتب السماوية] ﴿وينذرونكم لقاء يومكم هذا؟ قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب﴾ أي: «لأملأن جهنم» الآية [١١٩ من سورة «هود»] ﴿على الكافرين﴾. ٧٢﴿قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين﴾ مقدرين الخلود ﴿فيها﴾ [إذا دخلوها] ﴿فبئس مثوى﴾ مأوى ﴿المتكبرين﴾ جهنم. ٧٣﴿وسيق الذين اتقوا ربهم﴾ بلطف ﴿إلى الجنة زمراً حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها﴾ الواو فيه للحال بتقدير «قد» ﴿وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم﴾ حالاً [بدخولكم الجنة، أو: كنتم طيبين في الدنيا ولم تكونوا من أصحاب الخبائث] ﴿فادخلوها خالدين﴾ مقدرين الخلود فيها، وجواب «إذا» مقدر، أي: دَخلوها، وسَوْقُهم، وفتحُ الأبواب قبل مجيئهم، تكريم لهم وسَوْقُ الكفار وفتح أبواب جهنم عند مجيئهم، ليبقى حَرُّها إليه، إهانةٌ لهم. ٧٤﴿وقالوا﴾ عطف على «دخلوها» المقدر ﴿الحمد لله الذي صدقنا وعده﴾ بالجنة ﴿وأورثنا الأرض﴾ أي: أرض الجنة[1] ﴿نتبوأ﴾ نتزل ﴿من الجنة حيث

وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ

(١) قوله: «أي: أرض الجنة» بهذا فسّر كثير من المفسرين «الأرض»، هنا وفي قوله تعالى في سورة «الأنبياء»: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾ واستبعدوا أن تكون «الأرض» في هذين الموضعين هي هذه الأرض المعهودة، بل اعتبر بعض العلماء أن تفسير «الأرض» بالتي نحن عليها الآن خطأ، لأنه ــ في رأيهم ــ يوافق تفسير بعض الزنادقة الذين حملوا المعنى على القوى الكافرة والدول الكبرى التي هي ــ في نظرهم ــ صالحة لاستثمار الأرض واستخراج معادنها وكنوزها، وهذا توهّم لا داعي إليه، لأن بطلان زعم أولئك الزنادقة واضح، فتفسير «الأرض» بالجنة بعيد، لأنه لا دليل، ولأن اللغة لا تساعد عليه، فلم يأت ذكر «الأرض» بمعنى «الجنة»، لا في القرآن ولا في السنة، بل سميت «الأرض» باسمها وكذلك «الجنة»، ولعل سبب تفسيرهم الأرض بالجنة هو اقترانها «بالإرث» مثل: ﴿وأورثنا الأرض﴾ ظناً منهم أن «الإرث» لا يكون إلا للجنة، حيث يرث المؤمن مكان الكافر فيها لو آمن، وهذا تصور غير مطابق للمعنى، لأن «الإرث» يكون في الجنة، ويكون أيضاً في «جهنم» حيث يأخذ الكافر مكان المؤمن فيها، وهو «التغابن» المشار إليه في قوله تعالى: ﴿ذلك يوم التغابن﴾، ويكون «الإرث» أيضاً في «الأرض» هنا في الحياة الدنيا ومعناه فيها: توارد الناس جيلاً بعد جيل، حتى يرثها الله ومن عليها، ولكن الوراثة الصحيحة هي وراثة المؤمنين الصالحين التي أمر الله تعالى بها، قال تعالى: ﴿إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾ وقال سبحانه: ﴿ونريد أن نَمُنَّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكّن لهم في الأرض﴾ وهي الوراثة المقصودة بقوله تعالى: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾ أي: لا يرثها الميراث المطلوب، فيعمرها بالصلاح والخير إلا عباد الله المؤمنون، أما الكافرون فإنهم إن ورثوها أفسدوا فيها، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم﴾ فيكون معنى الآية كما يلي: إن المؤمنين يحمدون الله تعالى على إنجاز وعده لهم بالجنة، =

نشاء﴾ لأنها كلها، يُختار فيها مكان على مكان ﴿فنعم أجر العاملين﴾ الجنة.
٧٥﴿وترى الملائكة حافين﴾ حال ﴿من حول العرش﴾ حال [أي: محدقين به] من كل جانب منه ﴿يسبحون﴾ حال من ضمير حافين ﴿بحمد ربهم﴾ ملابسين للحمد، يقولون: سبحان الله وبحمده ﴿وقضي بينهم﴾ بين جميع الخلائق ﴿بالحق﴾ أي: العدل، فيدخُلُ المؤمن الجنة، والكافر النار ﴿وقيل الحمد لله رب العالمين﴾ خُتِمَ استقرارُ الفريقين، بالحمد من الملائكة.

نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾

(٤٠) سُورَةُ غَافِرٍ مَكِّيَّة وَآيَاتُهَا خَمْسٌ وَثَمَانُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَـٰدِلُ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ

نصف الحزب

﴿سُورَةُ غَافِر﴾

[وتسمى: سورة «المؤمن»]
(مكية، إلاَّ: «الذين يجادلون» الآيتين، خمس وثمانون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١﴿حم﴾ الله أعلم بمراده به.
٢﴿تنزيل الكتاب﴾ القرآن، مبتدأ ﴿من الله﴾ خبره ﴿العزيز﴾ في ملكه ﴿العليم﴾ بخلقه.
٣﴿غافر الذنب﴾ للمؤمنين ﴿وقابل التوب﴾ لهم مصدر ﴿شديد العقاب﴾ للكافرين، أي: مشدِّدُهُ ﴿ذي الطول﴾ الإنعام الواسع، وهو موصوف على الدوام، بكلٍّ من هذه الصفات، فإضافة المشتق منها، [أي: من هذه الصفات وهو كلٌّ من: «غافر» و «قابل» و «شديد»، إضافةٌ] للتعريف، [أي: لتعريف المضاف]، كالأخيرة [أي: كالإضافة في: «ذي الطول»، ليصح أن يكون صفةً للمعرفة، أي: للفظ الجلالة في: «من الله»] ﴿لا إله إلاَّ هو إليه المصير﴾ المرجع.
٤﴿ما يجادل في آيات الله﴾ القرآن ﴿إلاَّ الذين كفروا﴾ من أهل مكة [وأمثالهم] ﴿فلا يغررك تقلبهم في البلاد﴾ للمعاش سالمين، فإن عاقبتهم النار.
٥﴿كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب﴾ كعاد وثمود وغيرهما ﴿من بعدهم وهمت

= ويحمدونه تعالى على صلاحهم في الدنيا الذي هو سبب دخولهم الجنة ﴿وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده﴾ نادخَلَنا الجنة، ثم حمدوا الله على توفيقه لهم في الدنيا فعطفوا حمداً آخر تقديره: «وقالوا الحمد لله الذي أورثنا الأرض» أي: جعلنا فيها مؤمنين صالحين، وبسبب ذلك ها نحن الآن ﴿نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين﴾، فلو كانت «الأرض» هي الجنة لقال: «نتبوأ منها» إذ لا داعي للتكرار، والله أعلم.

كل أمة برسولهم ليأخذوه﴾ يقتلوه ﴿وجادلوا[1] بالباطل ليدحضوا﴾ يزيلوا ﴿به الحق فأخذتهم﴾ بالعقاب ﴿فكيف كان عقابـ﴾[ـي] لهم؟ أي: هو واقع موقعه.

٦﴿وكذلك حقت كلمة ربك﴾ أي: «لأملأن جهنم»، الآية [«١١٩» من سورة «هود»] ﴿على الذين كفروا أنهم أصحاب النار﴾ بدل من: «كلمة» [أي: المعذبون بها].

٧﴿الذين يحملون العرش﴾[2] مبتدأ ﴿ومن حوله﴾ عَطْفٌ عليه، [أي: على المبتدأ، والمعنى: حملة العرش، ومَن حول العرش من الملائكة] ﴿يسبحون﴾ خبره ﴿بحمد ربهم﴾ ملابسين للحمد، أي: يقولون «سبحان الله وبحمده» ﴿ويؤمنون به﴾ تعالى ببصائرهم، أي: يصدقون بوحدانيته ﴿ويستغفرون للذين آمنوا﴾ يقولون: ﴿ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً﴾ أي: وسعت رحمتك كلَّ شيء، و [وسع] علمُك كلَّ شيء ﴿فاغفر للذين تابوا﴾ من الشرك ﴿واتبعوا سبيلك﴾ دين الإسلام ﴿وقهم عذاب الجحيم﴾ النار.

٨﴿ربنا وأدخلهم جنات عدن﴾ إقامة ﴿التي وعدتهم ومن صلح﴾ عطف على «هم» في و «أدخلهم»، أو: في «وعدتهم» ﴿من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز﴾ [في ملكه] ﴿الحكيم﴾ في صنعه.

٩﴿وقهم السيئات﴾ أي: عذابها ﴿ومن تق السيئات يومئذٍ﴾ يوم القيامة ﴿فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم﴾.

١٠﴿إن الذين كفروا ينادون﴾ من قبل الملائكة، وهم يَمْقُتون أنفسهم [ويبغضونها غاية البغض]، عند دخولهم النار ﴿لمقت الله﴾ إياكم، [وغضبه عليكم] ﴿أكبر من مقتكم أنفسكم

كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ

---

(١) قوله تعالى: ﴿وجادلوا بالباطل﴾ إن الجدال بالباطل عادة الكافرين والمعاندين في كل زمان، وهم في زماننا كثيرون، ـ والله المستعان ـ ارجع إلى تعليقنا حول «الجدال» ص ٢٨٩.

(٢) قوله تعالى: ﴿الذين يحملون العرش﴾، حملة العرش يوم القيامة ثمانية، كما في قوله تعالى في سورة «الحاقة» ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذٍ ثمانية﴾، ولكن العلماء اختلفوا في «الثمانية» فقال بعضهم: هم ثمانية أملاك، وقال بعضهم: هم ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم إلاّ الله تعالى، وقيل: هم ثمانية أصناف من الملائكة، أما قبل يوم القيامة، فقيل: إن حملة العرش أربعة، من الملائكة أو من الصفوف.

فالثابت قطعاً هو: أن للعرش حملة من الملائكة، وأنهم يوم القيامة ثمانية، والله أعلم بسوى ذلك، ارجع إلى معنى «العرش» في تعليقنا ص ٥٣.

إذ تدعون﴾ في الدنيا ﴿إلى الإيمان فتكفرون﴾ [أي: فلا تؤمنون]. ١١ ﴿قالوا ربنا أمتنا اثنتين﴾ إماتتين ﴿وأحييتنا اثنتين﴾ إحياءتين، لأنهم [عندما كانوا] نطفاً أمواتٌ، [أي: كانوا عدماً] فأُحيُوا، ثم أُميتوا، ثم أُحيُوا للبعث ﴿فاعترفنا بذنوبنا﴾ بكفرنا بالبعث ﴿فهل إلى خروج﴾ من النار، والرجوع إلى الدنيا، لنطيع ربنا ﴿من سبيل﴾ طريق؟ وجوابهم لا. ١٢ ﴿ذلكم﴾ أي: العذاب الذي أنتم فيه ﴿بأنه﴾ بسبب أنه في الدنيا، [كنتم] ﴿إذا دعي الله وحده كفرتم﴾ بتوحيده ﴿وإن يشرك به﴾ يُجعَلْ له شريك ﴿تؤمنوا﴾ تصدقوا بالإشراك، [فتحسَبُوا أنكم مؤمنون] ﴿فالحكم﴾ في تعذيبكم ﴿لله العلي﴾ على خلقه ﴿الكبير﴾ العظيم. ١٣ ﴿هو الذي يريكم آياته﴾ دلائل توحيده ﴿وينزل لكم من السماء رزقاً﴾ بالمطر ﴿وما يتذكر﴾ يتعظ ﴿إلاَّ من ينيب﴾ يرجع عن الشرك، إلى [الإيمان وطاعة الله تعالى]. ١٤ ﴿فادعوا﴾ اعبدوا ﴿الله مخلصين له الدين﴾ من الشرك [كله] ﴿ولو كره الكافرون﴾ إخلاصكم فيه. ١٥ ﴿رفيع الدرجات﴾ أي: الله عظيم الصفات، أو: رافع درجات المؤمنين في الجنة ﴿ذو العرش﴾ خالقه [ومالكه] ﴿يلقي الروح﴾ الوحي [والنبوة] ﴿من أمره﴾ أي: قوله ﴿على من يشاء من عباده﴾[1] [وهم الأنبياء] ﴿لينذر﴾ يُخوِّفَ [النبيُّ] المُلقى عليه، الناسَ ﴿يوم التلاق﴾ بحذف الياء وإثباتها، يوم القيامة، [سُمّي بذلك]، لتلاقي أهل السماء والأرض، والعابد والمعبود، والظالم والمظلوم فيه.

١٦ ﴿يوم هم بارزون﴾ خارجون من قبورهم ﴿لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم؟﴾ يقوله تعالى ويجيب نفسه: ﴿لله الواحد القهار﴾ أي: لخلقه.

١٧ ﴿اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب﴾ يحاسب جميع الخلق، في قدر نصف نهار، [مقداره خمسون ألف سنة، لا] من أيام الدنيا[2] لحديث بذلك [رواه ابن حبان في صحيحه].

١٨ ﴿وأنذرهم يوم الآزفة﴾ يوم القيامة، من «أزِفَ الرحيلُ»: قَرُبَ ﴿إذ

إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ

(١) قوله تعالى ﴿على من يشاء من عباده﴾، إن مما يجب على المسلم اعتقاده، أن النبوة فضل من الله تعالى، يختص بها من يشاء من عباده، وأنها لا تُكتسب اكتساباً كما يعتقد بعض الزنادقة، قال صاحب الجوهرة:

ولم تكن نبوةٌ مُكتَسَبَهْ ... ولو رَقَى في الخير أعلى عَقَبَهْ

بل ذاك فضلُ الله يؤتيه لِمَنْ ... يشاءُ جلَّ اللّهُ واهبُ المِنَنْ

(٢) قوله: «من أيام الدنيا»، وَصْفُ الجلال المحلي «نصف النهار» بأنه من أيام الدنيا سبق قلم، ارجع إلى تعليقنا ص ٣٣٧ حيث بينا ذلك.

القلوب﴾ ترتفع خوفا ﴿لدى﴾ عند ﴿الحناجر كاظمين﴾ ممتلئين غما، حال من «القلوب»، عوملت [الحناجرُ] بالجمع بالياء والنون، معاملة أصحابها ﴿ما للظالمين من حميم﴾ محب ﴿ولا شفيع يطاع﴾ تُقبل شفاعته، لا مفهوم للوصف، [أي: إن وصف الشفيع بـ «يطاع»، ليس قيداً]، إذ لا شفيع لهم أصلاً، [لقولهم يوم القيامة:] «فما لنا من شافعين»، أو: له مفهوم، بناءً على زعمهم [وظنهم في الدنيا]، أن لهم شفعاء [في الآخرة]، أي: لو شَفَعُوا فَرَضاً لم يُقْبَلُوا. ١٩﴿يعلم﴾ أي: الله ﴿خائنة الأعين﴾[١] بمسارقتها النظر إلى محرم ﴿وما تخفي الصدور﴾ القلوب. ٢٠﴿والله يقضي بالحق والذين يدعون﴾ يعبدون، أي: كفار مكة [وغيرها،] بالياء وبالتاء ﴿من دونه﴾ وهم الأصنام ﴿لا يقضون بشيء﴾ فكيف يكونون شركاء لله؟ ﴿إن الله هو السميع﴾ لأقوالهم ﴿البصير﴾ بأفعالهم. ٢١﴿أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم﴾ وفي قراءة: «منكم» [وهي قراءة سبعية] ﴿قوة وآثاراً في الأرض﴾ من مصانع وقصور ﴿فأخذهم الله﴾ أهلكهم ﴿بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق﴾ [يقيهم] عذابه. ٢٢﴿ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿فكفروا فأخذهم الله إنه قوي شديد العقاب﴾. ٢٣﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين﴾ برهان بيِّنٍ ظاهر. ٢٤﴿إلى فرعون وهامان وقارون[٢] فقالوا﴾ هو ﴿ساحر[٣] كذاب﴾. [وقد خصَّهم بالذكر، لأنهم المحرِّضون على عداوة موسى، ففرعون: هو الملك، وهامان: وزيره ومساعده، وقارون: هو صاحب المال والكنوز، وأعمالهم في الكفر واحدة]. ٢٥﴿فلما جاءهم بالحق﴾ بالصدق ﴿من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه

ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ

(١) قوله تعالى: ﴿يعلم خائنة الأعين﴾، خيانة العين ـ كما فسرها الجلال المحلي هنا ـ هي: مسارقتها النظر إلى محرم، أي: أن ينظر إلى ما يحرم النظر إليه من امرأة مسارقة، بحيث لا يشعر جليسه بذلك، وقد جاء في الحديث الشريف معنى آخر لخيانة العين، فقد روى أبو داود ـ واللفظ له ـ والنسائي: «أنه لما كان يوم فتح مكة، اختبأ عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح ـ وكان يؤذي النبي ﷺ كثيراً ـ عند عثمان بن عفان رضي الله عنه، فجاء به عثمان حتى أوقفه على النبي ﷺ ـ أي: بين يديه ـ فقال: يا رسول الله، بايع عبد الله، فرفع ﷺ رأسه فنظر إليه ثلاثاً، كلُّ ذلك يأبى، فبايعه بعد ثلاث، ثم أقبل على أصحابه فقال: «أما كان فيكم رجل رشيد، يقوم إلى هذا حيث رآني كففتُ يدي عن بيعته فيقتلَهُ؟»، فقالوا: ما ندري يا رسول الله ما في نفسك؟ ألا أومأت إلينا بعينك؟ قال: «إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين».

(٢) قوله تعالى: ﴿وقارون﴾، كان من قوم موسى عليه السلام فبغى وطغى، ارجع إلى قصته ص ٥١٧.

(٣) قوله تعالى: ﴿ساحر﴾، ارجع إلى تعليقنا حول السحر وحكمه ص ٢١٠.

واستحيوا﴾ استبقوا ﴿نساءهم﴾ [أحياءً، فلا تقتلوهن] ﴿وما كيد الكافرين إلاَّ في ضلال﴾ هلاك.
٢٦﴿وقال فرعون ذروني أقتل موسى﴾ لأنهم كانوا يكفُّونه عن قتله ﴿وليدع ربه﴾ ليمنعه مني ﴿إني أخاف أن يبدل دينكم﴾ من عبادتكم إياي، فتتبعوه ﴿وأن يُظْهِر في الأرض الفسادَ﴾ [بنصب الفساد]، من قتلٍ وغيره، وفي قراءة[1]: «أو [أنْ]» وفي أخرى: بفتح الياء والهاء [في: «يظهر»]، وضم الدال [من: «الفساد»، فاعل «يَظْهَرَ»].
٢٧﴿وقال موسى﴾ لقومه وقد سمع ذلك ﴿إني عذت بربي وربكم من كل متكبر[2] لا يؤمن بيوم الحساب﴾.

وَٱسۡتَحۡيُواْ نِسَآءَهُمۡۚ وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ

٢٨﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون﴾ قيل: [هو] ابن عمه ﴿يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن﴾ أي: لأن ﴿يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿من ربكم وإن يك[3] كاذباً فعليه كذبه﴾[4] أي: ضرر كذبه ﴿وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم﴾ به من العذاب عاجلاً ﴿إن الله لا يهدي من هو مسرف﴾ مشرك ﴿كذاب﴾ مفتر.
٢٩﴿يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين﴾ غالبين، حال ﴿في الأرض﴾ أرض مصر ﴿فمن ينصرنا من بأس الله﴾ عذابه، إن قتلتم أولياءه ﴿إن جاءنا﴾ أي: لا ناصر لنا ﴿قال فرعون ما أريكم إلاَّ ما أرى﴾ أي: ما أشير عليكم إلاَّ بما أشير به على نفسي، وهو: قتل موسى ﴿وما أهديكم إلاَّ سبيل الرشاد﴾ طريق الصواب. ٣٠﴿وقال الذي آمن يا قوم

---

(١) قوله: «وفي قراءة»، حاصله أن ثمة أربع قراءات سبعيات:
الأولى: «وأن يُظْهِرَ ــ بضم الياء ــ في الأرض الفساد» بالنصب.
الثانية: «وأن يظهر ــ بفتح الياء ــ في الأرض الفسادُ» ــ بالرفع.
الثالثة والرابعة: «أو أن» بدل «وأن» على الوجهين المذكورين.
(٢) قوله تعالى: ﴿متكبر﴾، ارجع إلى تعليقنا حول «الكبر» ص ٣٤٨.
(٣) قوله تعالى: ﴿وإن يكُ﴾ بحذف النون، ويجوز لغة: «وإن يكن» كما في قوله تعالى: ﴿إن يكن غنياً أو فقيراً﴾ وحذفت النون لكثرة الاستعمال على قول عمرو بن عثمان إمام البصريين المعروف بـ «سيبويه» ــ ومعناها: رائحة التفاح ــ المتوفى عام ثمانين ومائة.
وقال أبو العباس محمد بن يزيد المبرِّد المتوفى عام ست وثمانين ومائتين: حذفت لأنها نون الإعراب.
(٤) قوله تعالى حكاية عن مؤمن آل فرعون: ﴿وإن يك كاذباً فعليه كذبه..﴾ الآية، لم يكن قوله هذا شكاً منه في رسالة موسى عليه السلام، بل هو أسلوب حكيم له فائدتان: أولاهما: التلطف معهم ليكفوا عن أذاه، ولئلا يقتلوه. والثانية: تقريب النصيحة من عقولهم النافرة لحملهم على التفكير، فهو يقول لهم: إن كان كاذباً فيما يتوعدكم به ويدعوكم إليه ــ كما تقولون ــ فلن يضركم ذلك شيئاً، ولكن خافوا أن يكون صادقاً، فإنكم ستهلكون إن لم تؤمنوا، فالإيمان أضمن لكم على كل حال، وبمثل هذا الأسلوب الحُجَّة، خاطب إبراهيم عليه السلام قومه، ارجع إلى تعليقنا ص ١٧٤.

إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب﴾ أي: يوم حزبٍ حزب[1]. ٣١﴿مثل دأب﴾ [أي: عادة] ﴿قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم﴾ «مثل» بدل من «مثل» قبله، [بعده مضاف محذوف] أي: مثلَ جزاءِ عادةِ مَنْ كفر قبلكم من تعذيبهم في الدنيا، [وعادتهم هي كفرهم] ﴿وما الله يريد ظلماً للعباد﴾. ٣٢﴿ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد﴾ بحذف الياء وإثباتها، أي: يوم القيامة، يكثر فيه نداء أصحاب الجنة أصحابَ النار وبالعكس، والنداء بالسعادة لأهلها [ليدخلوا الجنة]، والشقاوة لأهلها [ليدخلوا النار]، وغير ذلك. ٣٣﴿يوم تولون مدبرين﴾ عن موقف الحساب، [ذاهبين هاربين، يوم لا مَفَرَّ ولا مناص، بل إلى مصيركم] إلى النار ﴿ما لكم من الله﴾ أي: من عذابه ﴿من عاصم﴾ مانع ﴿ومن يضلل الله فما له من هاد﴾. ٣٤﴿ولقد جاءكم﴾ [أيها القبط] ﴿يوسف من قبل﴾ أي: قبل موسى، وهو: يوسف بن يعقوب في قول [وهب بن منبِّه الذي قال: إن يوسف] عُمِّر [وطال عُمُرُهُ] إلى زمن موسى، أو: [هو] يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب، في قولٍ [آخر، وهما قولان ضعيفان. والصحيح: أن الآية تعني: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، ومؤمن آل فرعون يخاطب الموجودين في زمنه من القبط، مذكراً إياهم بما فعل آباؤهم من قبل] ﴿بالبينات﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك﴾ [بعبارتكم، أي: مات] ﴿قلتم﴾ من غير برهان ﴿لن يبعث الله من بعده رسولاً﴾ أي: فلن تزالوا كافرين بيوسف وغيره ﴿كذلك﴾ أي: مثل إضلالكم ﴿يضل الله من هو مسرف﴾ مشرك ﴿مرتاب﴾ شاكٌّ فيما شهدت به البينات.

٣٥﴿الذين يجادلون في آيات الله﴾ معجزاته، مبتدأ ﴿بغير سلطان﴾ برهان ﴿أتاهم كبر﴾ جدالُهُم، خبر المبتدأ ﴿مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا﴾ [ومَقْتُ الله: بغضُه لهم، ولعنُه إياهم، وإحلالُ العذاب بهم، والمؤمنون أيضاً يُبغضون مَنْ تكون هذه صفاته] ﴿كذلك﴾ أي: مثل إضلالهم ﴿يطبع﴾ يختم ﴿الله﴾ بالضلال ﴿على كل قلبِ متكبر جبار﴾ بتنوين «قلب» ودونه، ومتى تكبر القلب، تكبر صاحبه، وبالعكس، و «كل» على القراءتين، لعموم الضلال جميعَ القلب، لا لعموم القلوب، [أي: يختم الله بالضلال على جميع القلب]. ٣٦﴿وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً﴾ بناء عالياً ﴿لعلي أبلغ الأسباب﴾. ٣٧﴿أسباب السماوات﴾ طرقها الموصلة إليها ﴿فأطلع﴾ بالفرع عطفاً على «أبلغ»، وبالنصب جواباً لـ «ابن»، [أي: أنظر] ﴿إلى إله موسى

إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ

---

(١) قوله: «يوم حزب حزب»، أشار بذلك إلى أن هلاك الأحزاب ــ كقوم نوح وغيرهم ــ لم يكن في يوم واحد، وأن ذلك ليس مراداً، بل كان لكل حزب يوم أهلكوا فيه، أو بدأ هلاكهم فيه، كعاد الذين أهلكوا بريح قوية، دامت سبع ليال وثمانية أيام متتالية.

﴿وإني لأظنه﴾ أي: موسى ﴿كاذباً﴾ في أن له إلَهاً غيري، قال فرعون ذلك تمويهاً، [وتلبيساً على قومه] ﴿وكذلك زين لفرعون سوء عمله﴾ [فرآه حَسَناً] ﴿وصَدَّ عن السبيل﴾ طريق الهدى، بفتح الصاد وضمها ﴿وما كيد فرعون إلاَّ في تباب﴾ خسار.

٣٨﴿وقال الذي آمن يا قوم اتبعونـ﴾ـي، بإثبات الياء وحذفها ﴿أهدكم سبيل الرشاد﴾ تقدم [معناه في الآية «٢٩»، أي: طريق الصواب، وهو الموصل إلى الجنة].

٣٩﴿يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع﴾ تمتع يزول ﴿وإن الآخرة هي دار القرار﴾ [الاستقرار والخلود].

سُورَةُ غَافِر ٤٠

وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٤٠﴾ ۞ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ

حزب ٤٨

٤٠﴿من عمل سيئة فلا يجزى[1] إلاَّ مثلها ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة﴾ بضم الياء وفتح الخاء، [أي: بالبناء للمفعول] وبالعكس [أي: بالبناء للفاعل] ﴿يرزقون فيها بغير حساب﴾ رزقاً واسعاً بلا تبعة.

٤١﴿ويا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة﴾ [أي: طريق الإيمان الموصل إلى الجنان] ﴿وتدعونني إلى النار﴾.

٤٢﴿تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز﴾ الغالب على أمره ﴿الغفار﴾ لمن تاب.

٤٣﴿لا جرم﴾[2] حقاً ﴿أن ما تدعونني إليه﴾ لأعبده [من دون الله] ﴿ليس له دعوة في الدنيا﴾ أي: استجابة دعوة ﴿ولا في الآخرة﴾ [أي: لا يجيب داعية لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولا ينفع ولا يضر، ولا يملك من الأمر شيئاً] ﴿وأن مردنا﴾ مرجعنا ﴿إلى الله وأن المسرفين﴾ الكافرين ﴿هم أصحاب النار﴾.

٤٤﴿فستذكرون﴾ إذا عاينتم العذاب ﴿ما أقول

---

(١) قوله تعالى: ﴿من عمل سيئة فلا يجزى إلاَّ مثلها﴾ الآية، وأما الحسنة فتضاعف، فقد روى الشيخان عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال: «إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بيَّن ذلك، فمن هَمَّ بحسنة ـ أي: قصد فعلها قصداً راجحاً ـ فلم يعملها، كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن همَّ بها فعملها، كتبها الله عنده عشر حسنات، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، وإن همَّ بسيئة فلم يعملها ـ أي: خوفاً من الله تعالى ـ كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن همَّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة».

قال الإمام النووي بعد هذا الحديث القدسي: فانظر يا أخي، وفقنا الله وإياك، إلى عظيم لطف الله تعالى، وتأمل هذه الألفاظ، وقوله: «عنده» إشارة إلى الاعتناء بها، وقوله: «كاملة» للتأكيد وشدة الاعتناء بها، وقال في السيئة التي يعملها: «كتبها الله سيئة واحدة» فأكد تقليلها بـ «واحدة» ولم يؤكدها بـ «كاملة» فلله الحمد والمنة.

(٢) قوله تعالى: ﴿لا جرم﴾، ارجع إلى تعليقنا حول «لا جرم» وإعرابها ص ٢٨٧.

لكم﴾ [وتعلمون أنه الحق] ﴿وأفوض أمري إلى الله﴾ [أي: أتوكل عليه، وأسلِّم أمري إليه] ﴿إن الله بصير بالعباد﴾ قال ذلك، لمَّا توعدوه بمخالفته دينهم.

٤٥﴿فوقاه الله سيئات ما مكروا﴾ به من القتل ﴿وحاق﴾ نزل ﴿بآل فرعون﴾ [أي: بفرعون وآله و] قومه معه ﴿سوء العذاب﴾ الغرق [في اليمّ في الدنيا].

٤٦ ثم ﴿النار يعرضون عليها﴾[1] يحرقون بها [في عالم البرزخ] ﴿غدواً وعشياً﴾ صباحاً ومساء ﴿ويوم تقوم الساعة﴾ يقال [لهم] ﴿ادخُلوا﴾ يا ﴿آل فرعون﴾ [بضم الخاء، أمرٌ لهم]، وفي قراءة بفتح الهمزة وكسر الخاء: أمر للملائكة، [أي: أدخلوهم] ﴿أشد العذاب﴾ عذاب جهنم.

لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾
فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ
ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ
تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾
وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟
إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾
قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ
ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟
رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ
تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا
دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾

٤٧﴿و﴾ اذكر ﴿إذ يتحاجون﴾ يتخاصم الكفار [جميعاً] ﴿في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً﴾ جمع «تابع» ﴿فهل أنتم مغنون﴾ دافعون ﴿عنا نصيباً﴾ جزءاً ﴿من النار﴾.

٤٨﴿قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد﴾ فأدخل المؤمنين الجنة والكافرين النار، [أي: لا فائدة من التخاصم بعد أن قُضي الأمر].

٤٩﴿وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً﴾ أي: قدر يوم ﴿من العذاب﴾.

٥٠﴿قالوا﴾ أي: الخَزَنَةُ تهكماً ﴿أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات﴾ بالمعجزات الظاهرات؟ ﴿قالوا بلى﴾ أي: فكفروا بهم [رغم ذلك] ﴿قالوا فادعوا﴾ أنتم، فإنا لا نشفع للكافرين، قال تعالى: ﴿وما دعاء الكافرين إلاّ في ضلال﴾ انعدام، [أي: لا يستجاب لهم].

٥١﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾ جمع «شاهد» وهم: الملائكة، يشهدون للرسل بالبلاغ، وعلى الكفار بالتكذيب، [وقيل: هم الملائكة والأنبياء].

---

(١) قوله تعالى: ﴿النار يعرضون عليها...﴾ الآية، قال ابن كثير في تفسيره: وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور. اهـ. وكذلك يعرض على الإنسان بعد موته مقعده في الجنة أو في النار، فقد روى الشيخان عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحدكم إذا مات عُرض عليه مقعَده بالغَداة والعَشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة»، ارجع إلى تعليقنا حول «عذاب القبر ونعيمه» ص ٣٣٤.

٥٢ ﴿يوم لا ينفع﴾ بالياء والتاء ﴿الظالمين معذرتهم﴾ عذرهم لو اعتذروا ﴿ولهم اللعنة﴾ أي: البعد من الرحمة ﴿ولهم سوء الدار﴾ الآخرة، أي: شدة عذابها.

٥٣ ﴿ولقد آتينا موسى الهدى﴾ التوراة والمعجزات ﴿وأورثنا بني إسرائيل﴾ من بعد موسى ﴿الكتاب﴾ التوراة، [ليعملوا بها من بعده].

٥٤ ﴿هدى﴾ هادياً ﴿وذكرى لأولي الألباب﴾ تذكرة لأصحاب العقول. ٥٥ ﴿فاصبر﴾ يا محمد، [فأنت موعود بالنصر] ﴿إن وعد الله﴾ بنصر أوليائه ﴿حق﴾ وأنت ومن تبعك منهم ﴿واستغفر لذنبك﴾ ليُستَنّ بك[1] ﴿وسبح﴾ صلِّ متلبساً[2] ﴿بحمد ربك بالعشي﴾ وهو من بعد الزوال ﴿والإبكار﴾ [جمع «بُكرة»، أي: صلِّ] الصلواتِ الخَمْسَ.

٥٦ ﴿إن الذين يجادلون في آيات الله﴾ القرآن ﴿بغير سلطان﴾ برهان ﴿أتاهم﴾ [أي: يجادلون عناداً] ﴿إن﴾ ما ﴿في صدورهم إلاّ كبر﴾ تكبر [عن قبول الحق]، وطمع [في] أن يعلوا عليك ﴿ما هم ببالغيه فاستعذ﴾ من شرهم ﴿بالله إنه هو السميع﴾ لأقوالهم ﴿البصير﴾ بأحوالهم.

٥٧ ونزل في منكري البعث: ﴿لخلق السماوات والأرض﴾ ابتداء ﴿أكبر من خلق الناس﴾ مرة ثانية، وهي: الإعادة ﴿ولكن أكثر الناس﴾ أي: كفار مكة [وغيرهم] ﴿لا يعلمون﴾ ذلك، فهو [أي: منكر البعث] كالأعمى، ومن يعلمُه [ويؤمن به] كالبصير [لذلك قال تعالى:].

٥٨ ﴿وما يستوي الأعمى والبصير و﴾ لا ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ وهو المحسن ﴿ولا المسيء﴾ فيه زيادة «لا» ﴿قليلاً ما يتذكرون﴾ يتعظون، بالياء والتاء، أي: تذكرهم قليل جداً.

سُورَةُ غَافِر ٤٠

يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ

٥٩ ﴿إن الساعة لآتية لا ريب﴾ شك ﴿فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ بها. ٦٠ ﴿وقال ربكم

---

(١) قوله: «ليستن بك»، لذلك كان ﷺ يكثر من الاستغفار ويحث عليه، فقد روى مسلم عن الأغرّ بن يسار المُزَني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه، فإني أتوب في اليوم مائة مرة». وروى البخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة».

(٢) قوله: «متلبساً» بتقديم التاء على اللام أي: ملابساً للحمد، هذا هو الصواب كما في المخطوطتين الثانية والثالثة، وأما ما جاء في المخطوطة الأولى من تقديم اللام على التاء أي: «ملتبساً» فهو تصحيف من الناسخ وخطأ وقع أيضاً في بعض الطبعات.

ادعوني أستجب لكم﴾ أي: اعبدوني[1] أُثِبْكم، [وتفسير الدعاء بالعبادة] بقرينة ما بعده ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون﴾ بفتح الياء وضم الخاء، وبالعكس، [أي: بالبناء للفاعل والمفعول]﴿جهنم داخرين﴾ صاغرين.

٦١﴿الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً﴾ إسنادُ الإبصار إليه مجازي، لأنه يُبْصَرُ فيه، [أي: مضيئاً لتبصروا فيه] ﴿إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾ الله، فلا يؤمنون.

٦٢﴿ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلاَّ هو فأنى تؤفكون؟﴾ فكيف تصرفون عن الإيمان [إلى الكفر] مع قيام البرهان؟

ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ

ربع الحزب

٦٣﴿كذلك يؤفك﴾ أي: مثل إفك هؤلاء، أُفِكَ [أي: ضَلَّ وصُرِفَ عن الإيمان] ﴿الذين كانوا بآيات الله﴾ معجزاته [لرسله] ﴿يجحدون﴾ [ينكرون، مع وضوح البرهان على صدقهم].

٦٤﴿الله الذي جعل لكم الأرض قراراً﴾ [أي: مكاناً لاستقراركم وحياتكم] ﴿والسماء بناء﴾ سقفاً ﴿وصوركم فأحسن صوركم﴾ [أي: خلقكم في أحسن صورة، «لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم»] ﴿ورزقكم من الطيبات ذلك الله ربكم فتبارك الله رب العالمين﴾.

٦٥﴿هو الحي لا إله إلاَّ هو فادعوه﴾ اعبدوه ﴿مخلصين له الدين﴾ من الشرك، [وقولوا:] ﴿الحمد لله رب العالمين﴾.

٦٦﴿قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون﴾ تعبدون ﴿من دون الله لما جاءني البينات﴾ دلائل التوحيد ﴿من ربي وأمرت أن أسلم لرب

---

(١) قوله: «أي: اعبدوني»، أخرج الترمذي وقال: حسن صحيح، وابن حبان وغيرهما، عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «الدعاء هو العبادة»، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾ الآية، فالدعاء عبادة، وترك دعاء الله سبحانه استكبار، ولذلك كان النبي ﷺ يكثر من الدعاء، كما هو ثابت في أحاديث كثيرة، وإذا دعا المسلم ربَّه فليدعه بإخلاص، وهو موقن بأن الله سيستجيب دعاءه.

إن من أهم شروط إجابة الدعاء: تَرْكَ الحرام في كل شأن من شؤون الحياة، فقد روى مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «أيها الناس إن الله طيِّب ــ أي: قدوس منزه عن النقائص ــ لا يقبل إلاَّ طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم﴾ وقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء يا رب.. يا رب.. ومَطْعَمه حرام، ومَلْبَسُهُ حرام، وغُذِيَ بالحرام، فأنَّى يستجاب لذلك؟» أي: كيف يستجاب لمن هذه صفته؟ ارجع إلى تعليقنا حول «النهي عن الدعاء بالمكروه» ص ٢٦٧.

العالمين﴾ [وهكذا أنتم، فقد جئتكم بالبينات من ربكم، فوحِّدوه وأسلموا له، ولا تشركوا به شيئاً].
٦٧﴿هو الذي خلقكم من تراب﴾ بخلق أبيكم آدم منه، [ثم خلق من آدم زوجه حواء] ﴿ثم﴾ [تناسل البشر منهما] ﴿من نطفة﴾ مني ﴿ثم من علقة﴾ دم غليظ ﴿ثم يخرجكم طفلاً﴾ بمعنى: أطفالاً ﴿ثم﴾ يبقيكم ﴿لتبلغوا أشدكم﴾ تكامُلَ قوتكم، هو: من الثلاثين سنة إلى الأربعين ﴿ثم لتكونوا شيوخاً﴾ بضم الشين وكسرها ﴿ومنكم من يتوفى من قبل﴾ أي: قبل الأشد والشيخوخة، فَعَلَ ذلك بكم، لتعيشوا ﴿ولتبلغوا أجلاً مسمى﴾ وقتاً محدوداً [هو أجل الموت] ﴿ولعلكم تعقلون﴾ دلائل التوحيد، فتؤمنون.

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ

٦٨﴿هو الذي يحيي ويميت فإذا قضى أمراً﴾ أراد إيجاد شيء ﴿فإنما يقول له كن فيكون﴾ بضم النون، وفتحها بتقدير «أنْ»، أي: يوجد عقب الإرادة التي هي معنى القول المذكور، [أي: إذا أراد إيجاد شيء، وُجد بلا إبطاء].

٦٩﴿ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله﴾ القرآن ﴿أنى﴾ كيف ﴿يصرفون﴾ عن الإيمان؟ [وهذه الآية تعجيب من حال الكافرين، الذين لا يتفكرون فيما يرون من الآيات أو يسمعون، أي: كيف يضل عن الإيمان إنسان عاقل؟].

٧٠﴿الذين كذبوا بالكتاب﴾ القرآن ﴿وبما أرسلنا به رسلنا﴾ من التوحيد والبعث، وهم كفار مكة [وأمثالهم] ﴿فسوف يعلمون﴾ عقوبة تكذيبهم.

٧١﴿إذ الأغلال في أعناقهم﴾ «إذ» بمعنى «إذا» ﴿والسلاسل﴾ عطف على «الأغلال»، فتكون [السلاسل أيضاً] في الأعناق، أو [هي] مبتدأ، خبره محذوف، أي: في أرجلهم، أو: خبره [جملة:] ﴿يسحبون﴾ أي: يُجَرُّون بها.

٧٢﴿في الحميم﴾ أي: جهنم ﴿ثم في النار يسجرون﴾ يوقدون.
٧٣﴿ثم قيل لهم﴾ تبكيتاً، [أي: تقريعاً وتعنيفاً وإلزاماً بالحجة] ﴿أين ما كنتم تشركون﴾.
٧٤﴿من دون الله﴾ [أي:] معه، وهي: الأصنام؟ ﴿قالوا ضلوا﴾ غابوا ﴿عنا﴾ فلا نراهم، [وتركونا في العذاب] ﴿بل لم نكن ندعوا من قبل شيئاً﴾ أنكروا عبادتهم إياها، ثم أحضرت، قال تعالى: «إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم» أي: وقودها ﴿كذلك﴾ أي: مثل إضلال هؤلاء المكذبين ﴿يضل الله الكافرين﴾. ٧٥ ويقال لهم أيضاً: ﴿ذلكم﴾ العذاب ﴿بما كنتم تفرحون

في الأرض بغير الحق﴾ من الإشراك وإنكار البعث ﴿وبما كنتم تمرحون﴾ تتوسعون في الفرح. ٧٦﴿ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى﴾ مأوى ﴿المتكبرين﴾[1] [عن الإيمان]. ٧٧﴿فاصبر إن وعد الله﴾ بعذابهم ﴿حق فإما نرينك﴾ فيه «إنْ» شرطية، مدغمة، و «ما» زائدة، تؤكد معنى الشرط أولَ الفعل، والنون تؤكد آخره، [ففي «نرينك» مؤكِّدان هما: «ما» المزيدة قبله، ونون التوكيد بعده] ﴿بعض الذي نعدهم﴾ به، من العذاب في حياتك، وجواب الشرط محذوف، أي: فذاك ﴿أو نتوفينك﴾ قبل تعذيبهم ﴿فإلينا يرجعون﴾ فنعذبهم أشد العذاب، فالجواب المذكور [جواب] للمعطوف فقط، [أي: لقوله: «نتوفينك»، لأن جواب «نرينّك» محذوف كما تقدم].

الجزء الرابع والعشرون

فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ

٧٨﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك﴾ روي أنه تعالى بعث ثمانية آلاف نبي[2]: أربعة آلاف نبي من بني إسرائيل، وأربعة آلاف من سائر الناس ﴿وما كان لرسول﴾ منهم ﴿أن يأتي بآية إلاّ بإذن الله﴾ لأنهم عبيد مربوبون ﴿فإذا جاء أمر الله﴾ بنزول العذاب على الكفار ﴿قضي﴾ بين الرسل ومكذبيهم ﴿بالحق وخسر هنالك المبطلون﴾ أي: ظهر القضاء والخسران للناس، وهم خاسرون في كل وقت قبل ذلك.

٧٩﴿الله الذي جعل لكم الأنعام﴾ قيل: الإبل خاصة هنا، والظاهر: [أنها] البقر والغنم [أيضاً] ﴿لتركبوا منها ومنها تأكلون﴾.

٨٠﴿ولكم فيها منافع﴾ من الدَّر والنسل والوَبَر والصوف ﴿ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم﴾ هي: حمل الأثقال إلى البلاد ﴿وعليها﴾ في البر ﴿وعلى الفلك﴾ السفن في البحر ﴿تحملون﴾.

٨١﴿ويريكم آياته﴾ [أيها الناس، باستمرار وعلى الدوام] ﴿فأي آيات الله﴾ الدالة على وحدانيته ﴿تنكرون﴾؟ استفهام توبيخ، [والمعنى: هل يحق لكم إنكار آية من آيات الله تعالى؟ لا]، وتذكيرُ «أيّ» أشهرُ من تأنيثه، [أي: أشهر من «أية»].

٨٢﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ [من الأمم الماضية التي أهلكناها]

---

(١) قوله «المتكبرين» ارجع إلى تعليقنا حول «الكبر» ص ٣٤٨.

(٢) قوله: «روي أنه تعالى بعث ثمانية آلاف نبي...» إلخ، جاء هذا في حديث رواه أبو يعلى في مسنده، عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً، وفي سنده موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف جداً، فهذه رواية لا أصل لها ولا يعتدُّ بها، والصواب أنه لا يعلم عدد الأنبياء والمرسلين حصراً إلاّ الله تعالى، والدليل على ذلك هذه الآية الكريمة، ولمزيد بيان ارجع إلى تعليقنا على الآية المماثلة من سورة «النساء» ص ١٣١.

﴿كانوا أكثر منهم﴾ [عدداً ومالاً] ﴿وأشد قوة وآثاراً في الأرض﴾ من مصانع وقصور ﴿فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾ [أي: لم يغن عنهم ذلك شيئاً].

٨٣﴿فلما جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ المعجزات الظاهرات ﴿فرحوا﴾ أي: الكفار ﴿بما عندهم﴾ أي: الرسل[١] ﴿من العلم﴾ فَرَحَ استهزاءٍ وضحك، منكرين له ﴿وحاق﴾ نزل ﴿بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ أي: العذاب، [فقد كانوا في الدنيا يستهزئون، إذا أنذرتهم رسلهم بالعذاب].

كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِنۡهُمۡ وَأَشَدَّ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾

(٤١) سُورَةُ فُصِّلَتْ مَكِّيَّة وآياتها ٥٤ نزلت بعد غافر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٞ

٨٤﴿فلما رأوا بأسنا﴾ أي: شدة عذابنا ﴿قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين﴾ [ولكن: هل نفعهم إيمانهم هذا؟ لا، دلَّ عليه قوله تعالى:]

٨٥﴿فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله﴾ نصبُهُ على المصدر بفعل مقدر من لفظه، [تقديره: سَنَّ الله بهم سُنَّةً مَنْ قبلهم] ﴿التي قد خلت في عباده﴾ في الأمم، أن لا ينفعهم الإيمان وقت نزول العذاب ﴿وخسر هنالك الكافرون﴾ [أي:] تبين خسرانهم لكل أحد، وهم خاسرون في كل وقت قبل ذلك.

﴿سُورَةُ فُصِّلَتْ﴾

(مكية: [أربع وخمسون، وقيل]: ثلاث وخمسون آية)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١﴿حم﴾[٢] الله أعلم بمراده به.

٢﴿تنزيل من الرحمن الرحيم﴾ مبتدأ.

٣﴿كتاب﴾ خبره.

---

(١) قوله: «أي: الرسل»، ما ذهب إليه الجلال المحلي هو وجه في تفسير الآية، والأوضح منه قول مجاهد بن جبر رحمه الله تعالى: إن الكفار هم الذين فرحوا بما عندهم من العلم حيث قالوا: نحن أعلم منهم، لن نُعَذَّبَ ولن نُبْعَث، فيكون فرحهم فرح بطر واستكبار.

(٢) قوله تعالى: ﴿حم﴾، هذه السورة إحدى الحواميم السبع، أي: التي افتتحت بـ «حم» وهذه الحواميم هي: ـ بالتتابع ـ من سورة «غافر» حتى سورة «الأحقاف».

﴿فصلت آياته﴾ بُيِّنَتْ بالأحكام والقصص والمواعظ ﴿قرآناً عربياً﴾ حال من «كتاب» بصفته، [أي: مع صفته التي هي جملة: «فصلت آياته»، فالذي سوّغ مجيء الحال بعد «كتاب» ـ وهو نكرة ـ وَصْفُها بما بعدها] ﴿لقوم﴾ متعلق بـ «فصلت» ﴿يعلمون﴾ يفهمون ذلك، وهم العرب. ٤﴿بشيراً﴾ صفة «قرآناً» ﴿ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون﴾ سماع قبول. ٥﴿وقالوا﴾ للنبي ﴿قلوبنا في أكنة﴾ أغطية ﴿مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر﴾ ثِقَلٌ ﴿ومن بيننا وبينك حجاب﴾ خلاف في الدين، [فهم يعبدون الأصنام، وهو يعبد الله تعالى] ﴿فاعمل﴾ على دينك ﴿إننا عاملون﴾ على ديننا. ٦﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه﴾ بالإيمان والطاعة ﴿واستغفروه﴾ [من شرككم] ﴿وويل﴾ كلمة عذاب ﴿للمشركين﴾. ٧﴿الذين لا يؤتون الزكاة﴾ [أي: لا ينفقون مما رزقهم الله، ويقولون للمؤمنين: «أنطعم من لو يشاء أطعمه»] ﴿وهم بالآخرة هم﴾ تأكيد ﴿كافرون﴾. ٨﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون﴾ مقطوع.

٩﴿قل أئنكم﴾ بتحقيق الهمزة الثانية، وتسهيلها، وإدخال ألف بينهما ـ بوجهيها ـ وبين الأولى، [وتركه] ﴿لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين﴾[1] الأحد والاثنين ﴿وتجعلون له أنداداً﴾ شركاء ﴿ذلك رب﴾ مالك ﴿العالمين﴾ جمع «عالَم»، وهو: ما سوى الله، وجُمِعَ لاختلاف أنواعه بالياء والنون، تغليباً للعقلاء.

١٠﴿وجعل﴾ مستأنف، ولا يجوز عطفه على صلة «الذي»، للفاصل الأجنبي ﴿فيها رواسي﴾ جبالاً ثوابت [تثبتها] ﴿من فوقها وبارك فيها﴾ بكثرة المياه والزروع والضروع ﴿وقدر﴾ قسم ﴿فيها أقواتها﴾ للناس والبهائم ﴿في﴾ تمام ﴿أربعة أيام﴾ أي: الجعل، وما ذُكر معه في يوم الثلاثاء والأربعاء [اقرأ التعليق] ﴿سواء﴾ منصوب على المصدر، أي: استوت [الأيام] الأربعة استواء لا تزيد ولا تنقص ﴿للسائلين﴾ عن خلق الأرض بما فيها. ١١﴿ثم استوى﴾ قصد.

فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ

نصف الحزب

(١) قوله تعالى: ﴿في يومين﴾، ثم قوله بعد ذلك: ﴿في أربعة أيام﴾، ثم قوله: ﴿فقضاهن سبع سماوات في يومين﴾، هذا تفصيل لمثل قوله تعالى في سورة «ق»: ﴿ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب﴾ أي: تعب وإعياء، فتَمَّ خلق الأرض وتقدير أقواتها في مقدار أربعة أيام، وتمَّ خلق السماوات في مقدار يومين، كل ذلك بلا ترتيب زمني، لأن «ثُمَّ» في مثل قوله تعالى: ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان﴾ لا تفيد في حق الله تعالى ترتيباً زمانياً، لأنه تعالى لا يجري عليه زمان، فكان خلق السماوات والأرض وما بينهما في مقدار ستة أيام، من غير تحديد ولا تعيين على الصحيح، أما تعيين هذه الأيام بأسمائها على النحو الذي ساقه المحلّي هنا، وكذلك فعل في جميع المواضع الأخرى التي يُذكر فيها ﴿في ستة أيام﴾ حيث اعتاد أن يقول بعد ذلك: أولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة، فهو تعيين لا سند له، وهو أيضاً مخالف لما فسره هو في سورة «الفرقان» ص ٤٧٧ حيث قال: «من أيام الدنيا، =

﴿إلى السماء وهي دخان﴾ بخار مرتفع ﴿فقال لها وللأرض ائتيا﴾ إلى مرادي منكما ﴿طوعاً أو كرهاً﴾ في موضع الحال، أي: طائعتين أو مكرهتين ﴿قالتا أتينا﴾ بمن فينا ﴿طائعين﴾ فيه تغليب المذكر العاقل، أو: نُزّلتا لخطابهما منزلتَه. ١٢﴿فقضاهن﴾ الضمير يرجع إلى السماء، لأنها في معنى الجمع الآيلة إليه، أي: صيرها ﴿سبع سماوات في يومين﴾ [اقرأ التعليق] الخميس والجمعة، فرغ منها في آخر ساعة منه، وفيها خلق آدم، ولذلك لم يقل هنا: «سواء»، ووافق ما هنا، آياتِ خلق السماوات والأرض في ستة أيام ﴿وأوحى في كل سماء أمرها﴾ الذي أمَر به مَنْ فيها، من الطاعة والعبادة ﴿وزينا السماء الدنيا بمصابيح﴾ بنجوم ﴿وحفظاً﴾ منصوب بفعله المقدر، أي: حفظناها من استراق الشياطين السَّمْعَ بالشهب ﴿ذلك تقدير العزيز﴾ في ملكه ﴿العليم﴾ بخلقه.

سُورَةُ فُصِّلَتْ ٤١

إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ

١٣﴿فإن أعرضوا﴾ أي: كفار مكة، عن الإيمان بعد هذا البيان ﴿فقل أنذرتكم﴾ خوفتكم ﴿صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود﴾ أي: عذاباً يهلككم مثل الذي أهلكهم. ١٤﴿إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم﴾ أي: مقبلين عليهم ومدبرين عنهم ﴿أ﴾ن، أي: بأن ﴿لا تعبدوا إلا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل﴾ [علينا] ﴿ملائكة فإنا بما أرسلتم به﴾ على زعمكم ﴿كافرون﴾.

١٥﴿فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا﴾ لما خوّفوا بالعذاب ﴿من أشد منا قوة﴾ أي: لا أحد، كان واحدُهم يقلع الصخرة العظيمة من الجبل، يجعلها حيث يشاء ﴿أو لم يروا﴾ يعلموا ﴿أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة؟ وكانوا بآياتنا﴾ المعجزات ﴿يجحدون﴾. ١٦﴿فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً﴾ باردة شديدة الصوت، بلا مطر ﴿في أيام نحسات﴾ بكسر الحاء وسكونها: مشؤومات ﴿لنذيقهم عذاب

= أي: قدرها لأنه لم يكن ثَمَّ شمس» وتبعه السيوطي في بعض المواضع كما في تفسير الآية السابعة من سورة «هود» ص ٢٨٤ مخالفاً بذلك ما سبق له اعتماده في تفسيرها في مواضع أخرى، كما في أول سورة «يونس» ص ٢٦٥ إذ يقول أيضاً: «﴿إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام﴾ من أيام الدنيا، أي: في قدرها لأنه لم يكن ثَمّ شمس ولا قمر». اهـ. وإنْ كان يكفي أن يقول: «شمس»، لأنه لا علاقة للقمر باليوم والليلة، وقد روي تعيين الأيام الستة بأسمائها كما ذكره الجلالان عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه، ولعله يروي قول اليهود في ذلك، الذين يزعمون أن الله خلقهما في ستة أيام أوّلها الأحد وآخرها الجمعة، ثم في اليوم السابع أي: يوم «السبت» استراح، و«السبت» في اللغة: القطع والراحة، لذلك هم يتركون فيه كل عمل و«يَسْبِتُون»، ورواه أيضاً البيهقي والحاكم عن ابن عباس عن النبي ﷺ، واستغربه ابن كثير.

أما ما جاء في صحيح مسلم والنسائي، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أخذ بيدي رسول الله ﷺ فقال: «خلق الله التربة =

الخزي﴾ الذل ﴿في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى﴾ أشد ﴿وهم لا ينصرون﴾ بمنعه عنهم. ١٧﴿وأما ثمود فهديناهم﴾ بيّنّا لهم طريق الهدى ﴿فاستحبوا العمى﴾ اختاروا الكفر ﴿على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون﴾ المهين ﴿بما كانوا يكسبون﴾. ١٨﴿ونجينا﴾ منها ﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ الله، [وهم صالح عليه السلام، ومن آمن معه].١٩﴿و﴾ اذكر ﴿يوم يُحْشَرُ﴾ بالياء [مضمومة، ورفع «أعداء»]، وبالنون المفتوحة وضم الشين وفتح الهمزة [أي: نصب «أعداء»] ﴿أعداءُ الله إلى النار فهم يوزعون﴾ يساقون. ٢٠﴿حتى إذا ما﴾ زائدة ﴿جاؤوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون﴾ [في الدنيا من أعمال].

ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ

٢١﴿وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء﴾ أراد نطقه ﴿وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون﴾ قيل: هو من كلام الجلود، وقيل: هو من كلام الله تعالى كالذي بعده، وموقعه تقريب ما قبله، بأن القادر على إنشائكم ابتداءً وإعادتكم بعد الموت أحياءً، قادرٌ على إنطاق جلودكم وأعضائكم.

٢٢[أخرج الشيخان والترمذي وأحمد وغيرهم عن عبد الله بن مسعود قال: اختصم عند البيت ثلاثة نفر: قرشيان وثقفي، أو: ثقفيّان وقرشي، قليلٌ فِقهُ قلوبهم، كثيرٌ شحمُ بطونهم، فقال أحدهم: أترون اللَّهَ يسمع ما نقول؟ فقال الآخر: يسمع إن جهرنا، ولا يسمع إن أخفينا، وقال الآخر: إنْ كان يسمع إذا جهرنا، فهو يسمع إذا أخفينا فأنزل الله تعالى:] ﴿وما كنتم تستترون﴾ عند ارتكابكم الفواحش من ﴿أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم﴾ لأنكم لم توقنوا بالبعث ﴿ولكن ظننتم﴾ عند استتاركم ﴿أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون﴾.

٢٣﴿وذلكم﴾ مبتدأ ﴿ظنكم﴾ بدل منه ﴿الذي ظننتم بربكم﴾ نعت البدل، والخبر ﴿أرداكم﴾ أي: أهلككم [فأوردكم النار]

= يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه ــ أي: الشرَّ ــ يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق، ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل»، فقد قال فيه ابن كثير وغيره: إن هذا الحديث من غرائب الصحيح، ونقول: الصحيح أنه لا غرابة فيه، لأن هذا الحديث لا علاقة له بخلق السماوات والأرض في ستة أيام، فليست الأيام المذكورة فيه هي الأيام التي تم فيها خلق السماوات والأرض ــ وقد قدمنا أن خلقهما تم في مقدار ستة أيام ــ فالحديث يوضح ما جاء في القرآن ويزيد عليه ولا يخالفه، والدليل على ذلك قوله تعالى في سورة البقرة ﴿إن في خلق السماوات والأرض، واختلاف الليل والنهار، والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها، وبثَّ فيها من كل دابة، وتصريف الرياح، والسحاب المسخَّر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾، فهذه الآية صريحة في أن أشياء كثيرة =

فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ

﴿فأصبحتم من الخاسرين﴾. ٢٤﴿فان يصبروا﴾ على العذاب ﴿فالنار مثوى﴾ منزل ﴿لهم وإن يستعتبوا﴾ يطلبوا العُتْبى، أي: الرضا [عنهم] ﴿فما هم من المعتبين﴾ المرضيين. ٢٥﴿وقيضنا﴾ سبَّبنا [وهيأنا] ﴿لهم قرناء﴾[1] من الشياطين ﴿فزينوا لهم ما بين أيديهم﴾ من أمر الدنيا واتباع الشهوات ﴿وما خلفهم﴾ من أمر الآخرة، بقولهم: لا بعث ولا حساب ﴿وحق عليهم القول﴾ بالعذاب، وهو: لأملأن جهنم»، الآية [١١٩ من سورة «هود»] ﴿في﴾ جملة ﴿أمم قد خلت﴾ هلكت ﴿من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين﴾. ٢٦﴿وقال الذين كفروا﴾ عند قراءة النبي ﷺ ﴿لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه﴾ إيتوا باللَّغَطِ ونحوه، وصيحوا في زمن قراءته ﴿لعلكم تغلبون﴾ فيسكت عن القراءة. ٢٧ قال الله تعالى فيهم: ﴿فلنذيقن الذين كفروا عذاباً شديداً ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون﴾ أي: أقبح جزاءِ عملهم، [أي: أشد عذابه]. ٢٨﴿ذلك﴾ العذاب الشديد، وأسوأ الجزاء ﴿جزاء أعداء الله﴾ بتحقيق الهمزة الثانية وإبدالها واواً ﴿النار﴾ عطف بيان لـ «جزاء»، المخبر به عن «ذلك» ﴿لهم فيها دار الخلد﴾ أي: إقامة، لا انتقال منها ﴿جزاء﴾ منصوب على المصدر بفعله المقدَّر، [أي: جازاهم جزاءً] ﴿بما كانوا بآياتنا﴾ القرآن ﴿يجحدون﴾ [ينكرون مع وضوح الآيات]. ٢٩﴿وقال الذين كفروا﴾ في النار ﴿ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس﴾ أي: إبليس و[ابن آدم] قابيل، سَنَّا الكفر والقتل، [فسَنَّ إبليس الكفر، وسَنَّ قابيل القتل] ﴿نجعلهما تحت أقدامنا﴾ في النار ﴿ليكونا من الأسفلين﴾ أشد عذاباً منا. ٣٠﴿إن الذين

= خُلقت في السماوات والأرض بعد خلقهما، يؤيده رواية «النسائي» لحديث أبي هريرة المذكور التي في أولها: أن النبي ﷺ أخذ بيدي فقال: «يا أبا هريرة، إن الله خلق السماوات والأرضين وما بينهما في ستة أيام، ثم استوى على العرش يوم السابع» ثم ذكر الحديث بتمامه، ولا يلزم أن يكون خلق هذه الأشياء قد تم في أسبوع واحد، فلو ربطنا بين قوله تعالى: ﴿وبث فيها من كل دابة﴾ وقوله ﷺ في حديث مسلم: «وبث فيها الدواب يوم الخميس»، وبين ما جاء في هذا الحديث عن خلق آدم يوم الجمعة، وما جاء في الأحاديث الصحيحة الأخرى، لوجدنا التطابق والتوافق ظاهرين، والله تعالى أعلم.

(١) قوله تعالى: ﴿وقيضنا لهم قرناء﴾، «القرناء» جمع «القرين» أي: الصاحب، ولم يرد لفظ القرين مجموعاً إلا في هذا الموضع، وجاء في غيره مفرداً، وقد أطلق اسم «القرين» في القرآن الكريم على معاني منها:

* معنى: «الصاحب من الإنس» وهو المذكور في سورة «الصافات» ص ٥٩٠ في قوله تعالى: ﴿قال قائل منهم إني كان لي قرين﴾ (الآية ٥١ وما بعدها).

* وأطلق على: «الشيطان من الجن»، وهو المذكور في سورة «الزخرف» ص ٦٥١ في قوله تعالى: ﴿ومن يَعْشُ عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين﴾ الآية ٣٦ ثم قوله تعالى: ﴿فبئس القرين﴾ الآية ٣٨ منها. وقوله تعالى في سورة «النساء» ص ١٠٦: ﴿ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً﴾ الآية ٣٨ منها. وقوله تعالى في سور «ق» ص ٦٩٠: ﴿قال قرينه ربنا ما أطغيته﴾ الآية ٢٧ منها. =

قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ على التوحيد وغيره، مما وجب عليهم، [قال العلماء: معنى «الاستقامة»: لزومُ طاعة الله تعالى، وروى مسلم عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرَك، قال: «قل: آمنتُ بالله، ثم استقم»] ﴿تتنزل عليهم الملائكة﴾ عند الموت ﴿أن﴾ بأن ﴿لا تخافوا﴾ من الموت وما بعده ﴿ولا تحزنوا﴾ على ما خلفتم من أهل وولد، فنحن نخلفكم فيه ﴿وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾. ٣١ ﴿نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا﴾ نحفظكم فيها ﴿وفي الآخرة﴾ أي: نكون معكم فيها، حتى تدخلوا الجنة ﴿ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون﴾ تطلبون. ٣٢ ﴿نزلاً﴾ رزقاً مهيئاً، [وهو] منصوب بـ «جعل» مقدراً ﴿من غفور رحيم﴾ هو الله. ٣٣ ﴿ومن أحسن قولاً﴾ أي: لا أحد أحسن قولاً ﴿ممن دعا إلى الله﴾ بالتوحيد ﴿وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾. ٣٤ ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة﴾ في جزاءاتهما، لأن بعضهما فوق بعض، [فالحسنات تتفاوت في فضلها وثوابها، والسيئات بعضها أسوأ من بعض كذلك، هذا وجه، وقيل: المراد بالحسنة، الإيمانُ والطاعة، وبالسيئة، الشركُ والمعصية، وهما لا يستويان] ﴿ادفع﴾ السيئة ﴿بالتي﴾ أي: بالخصلة التي ﴿هي أحسن﴾ كالغضب بالصبر، والجهل بالحلم، والإساءة بالعفو ﴿فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ أي: فيصير عدوُّك كالصديق القريب في محبته، إذا فعلت ذلك، فـ «الذي» مبتدأ، و «كأنه» الخبر، و «إذا» ظرف لمعنى التشبيه. ٣٥ ﴿وما يلقاها﴾ أي: يؤتَى الخَصْلَة التي هي أحسن ﴿إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ﴾ [نصيب وافر من] ثواب [الله تعالى] ﴿عظيم﴾ [وهو الجنة]. ٣٦ ﴿وإما﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» الزائدة ﴿ينزغنك من الشيطان نزغ﴾ أي: إن يصرفك عن [تلك] الخصلة، وغيرها من [خصال] الخير، صارفٌ ﴿فاستعذ بالله﴾ جواب الشرط، وجواب الأمر محذوف، أي: يَدْفَعْهُ عنك ﴿إنه هو السميع﴾ للقول ﴿العليم﴾ بالفعل. ٣٧ ﴿ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس

قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ

* ويطلق على: «الملَك الموكل بالإنسان» وهو المشار إليه بقوله تعالى في سورة «ق» ص ٦٩٠: ﴿وقال قرينه هذا ما لدي عتيد﴾ الآية ٢٣ منها، وروى مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلاّ وقد وكِّل به قرينه من الجن»، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: «وإياي، إلا أن الله أعانني فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير»، وقوله: «فأسلم» برفع الميم وفتحها، فمن رفع قال: معناه، أسلم أنا من شره وفتنته، ومن فتح قال: إن القرين قد أسلم وصار مؤمناً، وهذا هو القول الأقوى والرواية الأرجح، وفي رواية أخرى لمسلم: «ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة». فالقرين من الجن يأمر بالشر، والقرين من الملائكة يأمر بالخير. ارجع إلى تعليقنا حول «الجن» ص ٧٧٠.

ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن﴾ أي: الآيات الأربع [المذكورة] ﴿إن كنتم إياه تعبدون﴾.
٣٨﴿فإن استكبروا﴾ عن السجود لله وحده ﴿فالذين عند ربك﴾ أي: فالملائكة ﴿يسبحون﴾ يصلون ﴿له بالليل والنهار وهم لا يسأمون﴾ لا يملون[1].
٣٩﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة﴾ [حال، أي:] يابسة لا نبات فيها ﴿فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت﴾ تحركت ﴿وربت﴾ انتفخت وعَلَتْ ﴿إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير﴾.

وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٣٨﴾ ۩ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ

سجدة

٤٠﴿إن الذين يُلحدون﴾ [بضم الياء وكسر الحاء] من «ألحد»، و[في قراءة أخرى: بفتح الياء والحاء، من] «لَحَدَ»، [أي: يميلون عن الحق] ﴿في آياتنا﴾ القرآن بالتكذيب ﴿لا يخفون علينا﴾ فنجازيهم، [وهذا تهديد لهم وإنذار بوعيد شديد] ﴿أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة؟﴾ [سؤال تكرر، لحمل الناس على التفكير والرجوع إلى الحق] ﴿اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير﴾ تهديد لهم.
٤١﴿إن الذين كفروا بالذكر﴾ القرآن ﴿لما جاءهم﴾ [سوف] نجازيهم [على كفرهم به] ﴿وإنه لكتاب عزيز﴾ منيع.
٤٢﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾ أي: ليس قبله كتاب يكذبه، ولا بعده، [ولا يناله تحريف أو تبديل] ﴿تنزيل من حكيم حميد﴾ أي: الله المحمود في أمره.
٤٣﴿ما يقال لك﴾ من التكذيب ﴿إلا﴾ مثل ﴿ما قد قيل للرسل من قبلك﴾ [كشاعر وكاهن، فلا تحزن، ولا تهتم لقولهم] ﴿إن ربك لذو مغفرة﴾ للمؤمنين.

---

(١) قوله: «لا يملون» أي: من التسبيح، فالملائكة عابدون مسبحون ليلاً ونهاراً، لأنهم لا ينامون، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، أما البشر فقد يعتريهم الملل من الطاعة والعبادة إذا شدّدوا على أنفسهم، لأنهم يحسون بالتعب ويحتاجون إلى الراحة، لذلك رفع الله تعالى عنا الحرج فقال: ﴿ما جعل عليكم في الدين من حرج﴾، ولم يكلفنا إلا ما نطيق ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾، وحث النبي ﷺ على الاقتصاد في الطاعة حرصاً على استمرارها وحسن أدائها، فقد روى مسلم، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «هلك المتنطِّعون»، قالها ثلاثاً، وهم: المتشددون في غير موضع التشديد، وروى الشيخان من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ قال: «عليكم بما تطيقون، فوالله لا يملّ الله حتى تملوا»، ورويا عنها أيضاً رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «إذ نَعَسَ أحدكم وهو يصلي، فليرقد حتى يذهب عنه النوم، فإنه إذا صلى وهو ناعس، لا يدري لعله يذهب يستغفر فيسبُّ نفسه».

﴿وذو عقاب أليم﴾ للكافرين. ٤٤ ﴿ولو جعلناه﴾ أي: الذكر ﴿قرآناً أعجمياً﴾ [أي: غير عربي، وجاءهم به محمد ﷺ] ﴿لقالوا لولا﴾ هلاَّ ﴿فصلت﴾ بُيِّنَتْ ﴿آياته﴾ حتى نفهمها؟ ﴿أ﴾ قرآن ﴿أعجمي و﴾ نبي ﴿عربي﴾؟! استفهام إنكار منهم، بتحقيق الهمزة الثانية[1] وقلبها ألفاً [ممدودة مداً لازماً، وبتسهيلها]، بإشباع ودونه ﴿قل هو للذين آمنوا هدى﴾ من الضلالة ﴿وشفاء﴾ من الجهل ﴿والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر﴾ ثِقَلٌ، فلا يسمعون ﴿وهو عليهم عمى﴾ فلا يفهمونه ﴿أولئك ينادون من مكان بعيد﴾ أي: هم كالمنادَى من مكان بعيد، لا يسمع ولا يفهم ما ينادَى به.

٤٥ ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ التوراة ﴿فاختلف فيه﴾ بالتصديق والتكذيب، كالقرآن ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ بتأخير الحساب والجزاء للخلائق، إلى يوم القيامة ﴿لقضي بينهم﴾ في الدنيا، فيما اختلفوا فيه ﴿وإنهم﴾ أي: المكذبين تبه ﴿لفي شك منه مريب﴾ مُوقعٍ في الريبة.

٤٦ ﴿من عمل صالحاً فلنفسه﴾ عمل ﴿ومن أساء فعليها﴾ أي: فضرر إساءته على نفسه ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾ أي: بذي ظلم، لقوله تعالى: «إن الله لا يظلم مثقال ذرة».

٤٧ ﴿إليه يرد علم الساعة﴾[2] متى تكون، لا يعلمها غيره ﴿وما تخرج من ثمرة﴾ وفي قراءة: «ثمرات» [بالجمع] ﴿من أكمامها﴾ أوعيتها، جمع «كِمٍّ» بكسر الكاف، إلاَّ بعلمه ﴿وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ويوم يناديهم أين شركائي﴾ [الذين زعمتم أنهم لي شركاء؟] ﴿قالوا آذناك﴾ أعلمناك الآن ﴿ما منا من شهيد﴾ أي: شاهد بأن لك شريكاً.

٤٨ ﴿وضل﴾ غاب ﴿عنهم ما كانوا يدعون﴾ يعبدون ﴿من قبل﴾ في الدنيا من الأصنام [وغيرها] ﴿وظنوا﴾ أيقنوا ﴿ما لهم من محيص﴾ مهرب من العذاب، والنفي في الموضعين، [أي: «ما منا»، و «مالهم»]، معلّق [لكل من: «آذن» و «ظن»] عن العمل [لفظاً لا محلاً]، وجملة النفي [في الموضعين المذكورين] سدّت مسدَّ المفعولين، [فقوله: «ما لهم من محيص» سدت مسد مفعولي «ظنوا»، وقوله: «ما منا من شهيد» سدت مسدَّ المفعول الثاني لـ «آذناك»، وكاف ضمير الخطاب هي المفعول الأول، لأن «آذَنَ» يتعدى إلى مفعول بنفسه، وإلى آخر بحرف جر، وتقدير الكلام «آذناك بقولنا: ما منا من شهيد»]. ٤٩ ﴿لا يسأم

وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ * إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسْـَٔمُ

حزب ٤٩ جزء ٢٥

(١) قوله: «بتحقيق الهمزة الثانية إلخ...»، للقراء ورواتهم قراءات ووجوه في هذه الآية لا يتسع المجال لبيانها هنا، فالأحسن الرجوع إلى أهل العلم في القراءات لأخذها مشافهة.

(٢) قوله تعالى: ﴿إليه يرد علم الساعة...﴾ الآية، ارجع إلى تعليقنا حول «مفاتيح الغيب» ص ١٧١.

الإنسان من دعاء الخير﴾ أي: لا يزال يسأل ربه المال والصحة وغيرهما ﴿وإن مسه الشر﴾ الفقر والشدة ﴿فيؤوس قنوط﴾[1] من رحمة الله، وهذا وما بعده في الكافر.

٥٠ ﴿ولئن﴾ لام قسم ﴿أذقناه﴾ آتيناه ﴿رحمة﴾ غنى وصحة ﴿منا من بعد ضراء﴾ شدة وبلاء ﴿مسته ليقولن هذا لي﴾ أي: بعملي ﴿وما أظن الساعة قائمة ولئن﴾ لام قسم ﴿رجعت إلى ربي﴾ [افتراضاً] ﴿إن لي عنده للحسنى﴾ أي: الجنة ﴿فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ﴾ شديد، واللام في الفعلين لام قسم.

٥١ ﴿وإذا أنعمنا على الإنسان﴾ [والمراد به] الجنس ﴿أعرض﴾ عن الشكر ﴿ونآ بجانبه﴾ [بتأخير الهمزة عن الألف كـ «قال»، أي:] ثنى عطفه متبختراً، [وترَفَّعَ عن الانقياد إلى الحق]، وفي قراءة: بتقديم الهمزة [على الألف بوزن «رمى»، وهي بنفس المعنى] ﴿وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض﴾ كثير.

٥٢ ﴿قل أرأيتم إن كان﴾ أي: القرآن ﴿من عند الله﴾ كما قال النبي ﷺ ﴿ثم كفرتم به من﴾ أي: لا أحد ﴿أضل ممن هو في شقاق﴾ خلاف ﴿بعيد﴾ عن الحق؟ أوْقَعَ هذا، [أي: قولَه: «من أضل ممن هو في شقاق بعيد»]، موقعَ: [«من أضلُّ] منكم»، بياناً لحالهم.

٥٣ ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق﴾ أقطار السماوات والأرض من: النيِّرات، والنبات، والأشجار، ﴿وفي أنفسهم﴾ من لطيف الصنعة وبديع الحكمة ﴿حتى يتبين لهم أنه﴾ أي: القرآن [هو] ﴿الحق﴾ المنزل من الله، بالبعث والحساب والعقاب، فيعاقبون على كفرهم به، وبالجائي به ﴿أو لم يكف بربك﴾ فاعل «يكف»، [والباء حرف جر زائد] ﴿أنه على كل شيء شهيد﴾ بدل منه، أي: أوَلم يكفهم في صدقك، أن ربك لا يغيب عنه شيء مَّا؟ [أو: أو لم يكفك ربُّك، أنه عالم بكل شيء، ومنه كفرهم؟، أي: فسيعاقبهم عليه].

٥٤ ﴿ألا إنهم في مرية﴾ شك ﴿من لقاء ربهم﴾ لإنكارهم البعث ﴿ألا إنه﴾ تعالى ﴿بكل شيء محيط﴾ علماً وقدرة، فيجازيهم بكفرهم.

سُورَةُ فُصِّلَتْ ٤١

ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾

(١) قوله تعالى: ﴿فيؤوس قنوط﴾ «القنوط» هو: اليأس من رحمة الله، أما «القنوت» بالتاء: فهو الخشوع في العبادة قال تعالى: ﴿وقوموا لله قانتين﴾، فالكافر يفرح ويبطر إن أصابته نعمة ولا يشكر، ويجزع ويهلع إذا أصابته مصيبة ولا يصبر، أما المؤمن فإن من صفاته: الشكر على النعمة، والصبر على المصيبة، قال رسول الله ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كلّه له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له» رواه مسلم، و «السّراء» هي: النعمة، و «الضراء» هي: المصيبة. ارجع إلى تعليقنا حول «معاني الصبر» ص ٦٠٧.

﴿ سُورَةُ الشُّورَىٰ ﴾

(مكية، إلاَّ: «قل لا أسألكم» الآيات الأربع، ثلاث وخمسون آية)

(٤٢) سُورَةُ الشُّورَىٰ مكية وآياتها ثلاث وخمسون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١﴿حم﴾.
٢﴿عسق﴾ الله أعلم بمراده به[1].
٣﴿كذلك﴾ أي: مثل ذلك الإيحاء ﴿يوحي إليك و﴾ أوحى ﴿إلى الذين من قبلك الله﴾ فاعل الإيحاء ﴿العزيز﴾ في ملكه ﴿الحكيم﴾ في صنعه.
٤﴿له ما في السماوات وما في الأرض﴾ ملكاً [فهو مالكهم]، ﴿وهو العلي﴾ على خلقه ﴿العظيم﴾ الكبير.
٥﴿تكاد﴾ بالتاء والياء ﴿السماوات ينفطرن﴾ بالنون، وفي قراءة بالتاء والتشديد ﴿من فوقهن﴾ أي: تنشق كل واحدة فوق التي تليها، من عظمة الله تعالى ﴿والملائكة يسبحون بحمد ربهم﴾ أي: ملابسين للحمد ﴿ويستغفرون لمن في الأرض﴾ من المؤمنين[2] ﴿ألا إن الله هو الغفور﴾ لأوليائه ﴿الرحيم﴾ بهم. ٦﴿والذين اتخذوا من دونه﴾ أي: الأصنام ﴿أولياء الله حفيظ﴾ مُحْصٍ ﴿عليهم﴾ [أعمالهم]، ليجازيهم [بها] ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ تُحَصِّل المطلوب منهم، ما عليك إلا البلاغ. ٧﴿وكذلك﴾ مثل ذلك الإيحاء ﴿أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر﴾ [أي:] تخوِّف [به] ﴿أم القرى ومن حولها﴾ أي: أهل مكة وسائر الناس[3]

---

(١) قوله: «الله أعلم بمراده به»، ارجع إلى تعليقنا حول هذه الحروف ص ٣.

(٢) يستغفرون لهم بمثل ما سبق في الآيات ٧ ــ ٩ من سورة «غافر».

(٣) قوله: «وسائر الناس»، إن مما يجب الإيمان به، أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، المولود في «مكة»، والمتوفَّى في «المدينة»، هو رسول الله إلى العالمين إنسهم وجنهم، عرباً وأعاجم، في جميع بقاع الأرض، وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، وشريعته خاتمة الشرائع السماوية وناسخة لها، وباقية إلى يوم القيامة، فلا نبي يبعث بعده، ومن خالف من الزنادقة في شيء من ذلك كـ«القَدْيانية» الذين يعتقدون نبوة «غُلام أحمد»، و«البهائية» وغيرهم من أهل الهوى والضلال، فهو كافر لمخالفته صريح النصوص وإجماع الأمة.

﴿وتنذر﴾ الناس ﴿يوم الجمع﴾ أي: يوم القيامة، يُجْمَعُ فيه الخلق ﴿لا ريب﴾ شك ﴿فيه فريق﴾ منهم ﴿في الجنة وفريق في السعير﴾ النار

٨﴿ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة﴾ أي: على دين واحد، وهو الإسلام ﴿ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون﴾ الكافرون ﴿ما لهم من ولي ولا نصير﴾ يدفع عنهم العذاب.

٩﴿أم اتخذوا من دونه﴾ أي: الأصنام ﴿أولياء﴾ «أم» منقطعة بمعنى: «بل» ـ التي للانتقال ـ، و[بمعنى:] همزة الإنكار، أي: ليس المتَّخَذُونَ [من دونه من الأصنام] أولياء ﴿فالله هو الولي﴾ أي: الناصر للمؤمنين، والفاء لمجرد العطف ﴿و هو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير﴾ [وغيره لا يقدر على ذلك].

وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ

ربع الحزب

١٠﴿وما اختلفتم﴾ مع الكفار ﴿فيه من شيء﴾ من الدين وغيره ﴿فحكمه﴾ مردود ﴿إلى الله﴾ يوم القيامة يفصل بينكم، قل لهم: ﴿ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه أنيب﴾ أرجع.

١١﴿فاطر السماوات والأرض﴾ مبدعهما ﴿جعل لكم من أنفسكم أزواجاً﴾ حيث خلق حواء[1] من ضِلَعِ آدم ﴿و﴾ [جعل] ﴿من الأنعام أزواجاً﴾ ذكوراً وإناثاً ﴿يذرؤكم﴾ بالمعجمة: يخلقكم ﴿فيه﴾ في الجَعْلِ المذكور، أي: يكثركم بسببه بالتوالد، والضمير للأناسي والأنعام بالتغليب ﴿ليس كمثله شيء﴾[2] الكاف زائدة، لأنه تعالى لا مثل له ﴿وهو السميع﴾ لما يقال ﴿البصير﴾ لما يُفعل.

١٢﴿له مقاليد السماوات والأرض﴾ مفاتيح خزائنها، من المطر والنبات وغيرهما ﴿يبسط الرزق﴾ يوسعه ﴿لمن يشاء﴾ امتحاناً ﴿ويقدر﴾ يضيقه لمن يشاء ابتلاء ﴿إنه بكل شيء عليم﴾.

١٣﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً﴾ هو: أول أنبياء الشريعة[3] ﴿والذي أوحينا

---

(١) قوله: «حيث خلق حواء من ضلع آدم»، ارجع إلى تعليقنا حول «حواء» ص ٥٣٣، وحول «آدم» ٤١٧.

(٢) قوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ هذا أصل عظيم، تقوم عليه عقيدة التوحيد الصحيحة، وتُرَدُّ إليه جميع النصوص من القرآن والسنة منعاً لتوهم التعطيل، أو التشبيه، أو التجسيم، أو اتصافه تعالى بصفة من صفات المخلوقين، أو إنكار ما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم.

(٣) قوله: «هو أول أنبياء الشريعة»، أي: أول الرسل الذين جاؤوا بشريعة شاملة، قال القاضي أبو بكر ابن العربي في كتابه «أحكام القرآن» كلاماً حسناً هذا نصه: (ثبت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال في حديث الشفاعة المشهور الكبير ـ أي: الذي رواه الشيخان وغيرهما ـ: «ولكن ائتوا نوحاً فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، فيأتون نوحاً فيقولون: أنت أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض». وهذا صحيح لا إشكال فيه، كما أن آدم أول نبي بغير إشكال، لأن آدم لم يكن معه إلا نبوة، ولم تفرض له الفرائض ولا شرعت له المحارم، وإنما كان تنبيهاً على بعض الأمور واقتصاراً على ضرورات المعاش، وأخذاً بوظائف الحياة والبقاء، واستقر المدى إلى نوح فبعثه الله بتحريم =

إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ هذا هو «المشروع» الموصَى به، والموحَى إلى محمد ﷺ، وهو التوحيد ﴿كبر﴾ عظم ﴿على المشركين ما تدعوهم إليه﴾ من التوحيد ﴿الله يجتبي إليه﴾ [أي: يختار] إلى التوحيد ﴿من يشاء ويهدي إليه من ينيب﴾ يُقْبِلُ إلى طاعته. ١٤ ﴿وما تفرقوا﴾ أي: أهل الأديان [المبتَدَعَة]، في الدين [الذي أنزله الله تعالى، وهو الإسلام]، بأن وحَّد بعضٌ، وكفر بعضٌ ﴿إلا من بعد ما جاءهم العلم﴾ بالتوحيد [على لسان الرسل] ﴿بغياً﴾ [أي: ظلماً وعدواناً] من الكافرين ﴿بينهم﴾ [أي: من بعضهم على بعض، طلباً للرياسة، وحباً بالدنيا] ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ بتأخير الجزاء ﴿إلى أجل مسمى﴾ يوم القيامة ﴿لقضي بينهم﴾ [أي: بين مَنْ آمن ومَنْ كفر]، بتعذيب الكافرين في الدنيا ﴿وإن الذين أورثوا الكتاب﴾ [أي: التوراة والإنجيل] ﴿من بعدهم﴾ [أي: من بعد أولئك المختلفين في الحق]، وهم: اليهود والنصارى ﴿لفي شك منه﴾ [أي: مِنَ الدين الذي أوصى به الأنبياء، أو:] من محمد ﷺ، [أو: من الإسلام] ﴿مريب﴾ موقع في الريبة. ١٥ ﴿فلذلك﴾ التوحيد ﴿فادع﴾ يا محمد الناس ﴿واستقم﴾ عليه ﴿كما أمرت ولا تتبع أهواءهم﴾ في تركه ﴿وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل﴾ أي: بأن أعدل ﴿بينكم﴾ في الحكم ﴿الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم﴾ فكلٌ يجازى بعمله ﴿لا حجة﴾ خصومة ﴿بيننا وبينكم﴾ هذا قبل أن يؤمر بالجهاد ﴿الله يجمع بيننا﴾ في المعاد، لفصل القضاء ﴿وإليه المصير﴾ المرجع. ١٦ ﴿والذين يحاجون في﴾ دين ﴿الله﴾ نبيَّهُ ﴿من بعد ما استجيب له﴾ بالإيمان، لظهور معجزاته، و [المحاجُّون]: هم اليهود، [كانوا يرون لأنفسهم الفضيلة بأنهم أهل كتاب] ﴿حجتهم داحضة﴾ باطلة

إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ

= الأمهات والبنات والأخوات، ووظف عليه الواجبات، وأوضح له الآداب في الديانات، ولم يزل ذلك يتأكد بالرسل، ويتناصر بالأنبياء صلوات الله عليهم واحداً بعد واحد، شريعة بعد شريعة، حتى ختمها الله بخير الملل، الإسلام، على لسان أكرم الرسل نبينا ﷺ. وكأن المعنى ــ أي: معنى الآية ــ: «ووصيناك يا محمد ونوحاً ديناً واحداً» يعني في الأصول التي لا تختلف فيها الشريعة وهي، التوحيد، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والتقرب إلى الله بصالح الأعمال، والتزلُّف إليه بما يردُّ القلب والجارحة إليه، والصدق، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وتحريم الكفر، والقتل، والزنا، والإذاية للخلق كيفما تصرفت، والاعتداء على الحيوان كيفما كان، واقتحام الدناءات، وما يعود بخرم المروءات، فهذا كله شُرع ديناً واحداً وملة متحدة، لم يختلف على ألسنة الأنبياء وإن اختلفت أعدادهم، وذلك قوله تعالى: ﴿أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ أي: اجعلوه قائماً ــ يريد: دائماً ــ مستمراً محفوظاً، مستقراً من غير خلاف فيه ولا اضطراب عليه، فمن الخلق من وفَّى بذلك، ومنهم من نكث به ﴿ومن نكث فإنما ينكث على نفسه﴾، واختلفت الشرائع وراء هذا ــ أي: في الأمور الفرعية الأخرى ــ حسبما أراده الله، مما اقتضته المصلحة وأوجبت الحكمة وضعه في الأزمنة على الأمم والله أعلم». اهـ. واختلاف الشرائع المشار إليه، ليس هو التحريف والتبديل الذي أدخلوه على الشرائع السابقة فإن هذا كان منهم إمعاناً في ضلالهم وكفرهم ونقول: الصحيح في آدم عليه السلام، أنه أول الرسل على الإطلاق، إلا أن نوحاً عليه السلام كان أول رسل الشريعة الشاملة، والدليل على ذلك ما يلي: =

عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾
اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ
لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِهَا ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ ۗ
أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾
اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْقَوِيُّ
الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي
حَرْثِهِ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ
فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم
مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ
بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ
مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ ۗ وَالَّذِينَ آمَنُوا

﴿عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد﴾. ١٧ ﴿الله الذي أنزل الكتاب﴾ القرآن ﴿بالحق﴾ متعلق بـ «أنزل» ﴿والميزان﴾ العدل ﴿وما يدريك﴾ يُعْلِمُكَ ﴿لعل الساعة﴾ أي: إتيانها ﴿قريب﴾ و «لعل»، معلَّقٌ للفعل [«يدريك»] عن العمل، [لفظاً لا محلاً]، وما بعده سدَّ مسدَّ المفعولين. ١٨ ﴿يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها﴾ يقولون: متى تأتي؟ ظناً منهم أنها غير آتية ﴿والذين آمنوا مشفقون﴾ خائفون ﴿منها ويعلمون أنها الحق ألا إن الذين يمارون﴾ يجادلون ﴿في الساعة لفي ضلال بعيد﴾ [عن الحق]. ١٩ ﴿الله لطيف بعباده﴾ برِّهم وفاجرهم، حيث لم يُهلكهم جوعاً، بمعاصيهم ﴿يرزق من يشاء﴾ [أي:] من كلٍّ منهم ما يشاء ﴿وهو القوي﴾ على مراده ﴿العزيز﴾ الغالب على أمره. ٢٠ ﴿من كان يريد﴾ بعمله ﴿حرث الآخرة﴾[1] أي: كسبها، وهو الثواب ﴿نزد له في حرثه﴾ بالتضعيف فيه، الحسنة إلى العشر وأكثر ﴿ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها﴾ بلا تضعيف، ما قُسِمَ له ﴿وما له في الآخرة من نصيب﴾.

٢١ ﴿أم﴾ بل ﴿لهم﴾ لكفار مكة ﴿شركاء﴾ هم شياطينهم ﴿شرعوا﴾ أي: الشركاء ﴿لهم﴾ للكفار ﴿من الدين﴾ الفاسد ﴿ما لم يأذن به الله﴾ كالشرك وإنكار البعث ﴿ولولا كلمة الفصل﴾ أي: القضاء السابق، بأن الجزاء في يوم القيامة ﴿لقضي بينهم﴾ وبين المؤمنين بالتعذيب لهم في الدنيا ﴿وإن الظالمين﴾ الكافرين ﴿لهم عذاب أليم﴾.

٢٢ ﴿ترى الظالمين﴾ يوم القيامة ﴿مشفقين﴾ خائفين ﴿مما كسبوا﴾ في الدنيا من السيئات، أن يجازَوا عليها ﴿وهو﴾ أي: الجزاء عليها ﴿واقع بهم﴾ يوم القيامة لا محالة ﴿والذين آمنوا

= أولاً: أن آدم عليه السلام كان يعبد الله تعالى، ويعلم أولاده وذريته العبادة، ويأمر وينهى، ولم يكن ذلك منه عن رأيه وهواه، ولا هو مبلِّغ لشرع رسول آخر في زمانه، إذ لا رسول غيره في حينه، ومعلوم أن للعبادة كيفية لا يعرفها العباد إلا بوحي من الله تعالى إلى رسول، فآدم عليه السلام رسول، أوحى الله إليه وعلمه، ولكنه لم يكن بحاجة إلى شريعة شاملة، ولا من أتى بعده، حتى نوحٍ عليه السلام الذي كان قومه أول من أشرك بالله تعالى، فكانتْ شريعته أول شريعة، وكان نوح أول رسل الشريعة.

وثانياً: أن الخلائق حين يضجون من هول المحشر، يلجأون إلى الرسل طالبين منهم الشفاعة لتعجيل الحساب وفصل القضاء، ولا يتكلم في ذلك اليوم إلا الرسل، وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما في حديث الشفاعة: أن أول إنسان يساله الخلائق الشفاعة هو آدم عليه السلام، ثم نوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، وكلهم يعتذر، ويحيل الناس إلى من يليه، حتى يشفع لهم محمد ﷺ. ارجع إلى تعليقنا حول «الأديان» ص ٢٤٥.

(١) قوله تعالى: ﴿من كان يريد حرث الآخرة...﴾ «الآية» روى الترمذي وحسّنه، وابن ماجه وغيرهما، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية وقال: «يقول الله: ابنَ آدم، تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى، وأسدَّ فقرك، وإلاّ تفعل ملأت صدرك شغلاً ولم أَسُدَّ فقرك»، فمن كان همه الحصول على متاع الحياة الدنيا، وليس له إلى الآخرة همٌّ ألبتة، فقد حُرم الآخرة ولا ينال من الدنيا إلا ما قسم الله له، فيخسر في النتيجة دنياه، لأنها فانية لا تدوم له، ويخسر آخرته، لأنه لم يعمل لها ﴿وذلك هو الخسران المبين﴾، ومن كان همُّه لآخرته فإن الله تعالى يثيبه ويضاعف له أجره، وينال من دنياه ما قسمه الله تعالى له وهو راض مطمئن القلب، وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر»، أي: هي سجن المؤمن بالنسبة إلى ما أعد الله له في الجنة من نعيم، وهي جنة الكافر إذا قورنت بما أعد الله له في النار من عذاب أليم.

وعملوا الصالحات في روضات الجنات﴾ أنزهها [وأطيبها]، بالنسبة إلى من دونهم ﴿لهم ما يشاؤون عند ربهم﴾ [من النعيم والثواب الجزيل] ﴿ذلك هو الفضل الكبير﴾.

٢٣﴿ذلك الذي يَبْشُرُ﴾ من البشارة، مخففاً [على وزن: «يَقْتُلُ»]، ومثقَّلاً [بضم الياء وكسر الشين مشدَّداً] ﴿الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسألكم عليه﴾ أي: على تبليغ الرسالة ﴿أجراً إلا المودة في القربى﴾ استثناء منقطع أي: أسألكم أن تَوَدُّوا قرابتي، التي هي قرابتكم أيضاً، فإنَّ له في كل بطن من قريش قرابة ﴿ومن يقترف﴾ يكتسب ﴿حسنة﴾ طاعة ﴿نزد له فيها حسناً﴾ بتضعيفها ﴿إن الله غفور﴾ للذنوب ﴿شكور﴾ للقليل فيضاعفه.

وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِ إِنَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ * وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِ

نصف الحزب

٢٤﴿أم﴾ بل ﴿يقولون افترى على الله كذباً﴾ بنسبة القرآن إلى الله تعالى ﴿فإن يشأ الله يختم﴾ يربط ﴿على قلبك﴾ بالصبر على أذاهم بهذا القول وغيره، وقد فعل ﴿ويمح الله الباطل﴾ الذي قالوه ﴿ويحق الحق﴾ يثبته ﴿بكلماته﴾ المنزلة على نبيه ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ بما في القلوب.

٢٥﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده﴾ [أي:] منهم، [إذا تابوا] ﴿ويعفو عن السيئات﴾[1] المتاب عنها ﴿ويعلم ما يفعلون﴾ بالياء والتاء، [من الخير والشر].

٢٦﴿ويستجيب﴾ [الله] ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ [أي:] يجيبهم إلى ما يسألون ﴿ويزيدهم﴾ الله ﴿من فضله﴾ [ما شاء من الكرامة والثواب] ﴿والكافرون لهم عذاب شديد﴾.

٢٧﴿ولو بسط الله الرزق لعباده﴾ جميعهم

---

(١) قوله تعالى: ﴿ويعفو عن السيئات﴾ ما ذكره المحلي مبني على أن الآية في قبول التوبة إذا حصلت من العبد، وثمة وجه آخر هو: أن هذه الآية تشير إلى الذنوب بنوعيها «الكبائر» منها و«الصغائر»، فالكبائر لا بد فيها من التوبة، أي: لا تكفرها الأعمال الصالحة، وإليها يشير قوله تعالى: ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده﴾.

أما الصغائر: وهي عثرات اللسان والجوارح، أي: «اللَّمم» كما سماها الله تعالى في قوله: ﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللَّمم﴾ فهذه الذنوب هي السيئات المعنية بقوله تعالى: ﴿ويعفو عن السيئات﴾ أي: يتجاوز عنها باجتناب الكبائر لقوله تعالى: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تُنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم﴾، وبالطاعات كالوضوء والصلاة والصيام، والأحاديث فيها كثيرة، منها ما رواه مسلم عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من توضأ فأحسن الوضوء، خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره»، ارجع إلى تعليقنا حول «التوبة» ص ٧٥٢، وإلى تعليقنا حول «محقَّرات الذنوب» ص ٧٠٢.

﴿لبغوا﴾ جميعهم، أي: طغوا ﴿في الأرض ولكن ينزل﴾ بالتخفيف وضده [أي: وبالتشديد]، من الأرزاق ﴿بقدر ما يشاء﴾ فيبسطها لبعض عباده دون بعض، وينشأ عن البسط، البغي [والظلم] ﴿إنه بعباده خبير بصير﴾ [وسيجازيهم].
٢٨﴿وهو الذي ينزل الغيث﴾ المطر ﴿من بعد ما قنطوا﴾ يئسوا من نزوله ﴿وينشر رحمته﴾ يبسط مطره [على الأرض، نيعم الخيرُ الخلق] ﴿وهو الولي﴾ المحسن للمؤمنين ﴿الحميد﴾ المحمود عندهم. ٢٩﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض و﴾ خلق ﴿ما بث﴾ فرّق ونشر ﴿فيهما من دابة﴾ هي: ما يدب على الأرض، من الناس وغيرهم ﴿وهو على جمعهم﴾ للمحشر ﴿إذا يشاء﴾ [أي: في الأجل الذي حدده لذلك] ﴿قدير﴾ في الضمير تغليب العاقل على غيره.

لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ
بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن
بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ ۚ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾
وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا
مِن دَابَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَا
أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن
كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم
مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ
الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ
فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ
صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن
كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُم

٣٠﴿وما أصابكم﴾ خطاب للمؤمنين ﴿من مصيبة﴾ بلية وشدة ﴿فبما كسبت أيديكم﴾ أي: كسبتم من الذنوب، وعبر بالأيدي، لأن أكثر الأفعال بها ﴿ويعفو عن كثير﴾ منها، فلا يجازي عليه، وهو تعالى أكرم من أن يثنّي الجزاء في الآخرة، [بعد جزاء الدنيا بالمصائب]، أما غير المذنبين، فما يصيبهم في الدنيا، [فهو] لرفع درجاتهم في الآخرة.
٣١﴿وما أنتم﴾ يا مشركين ﴿بمعجزين﴾ الله هرباً ﴿في الأرض﴾ فتفوتوه ﴿وما لكم من دون الله﴾ أي: غيره ﴿من ولي ولا نصير﴾ يدفع عذابه عنكم.
٣٢﴿ومن آياته الجوار﴾ السفن ﴿في البحر كالأعلام﴾ كالجبال في العِظَم.
٣٣﴿إن يشأ يسكن الريح فيظللن﴾[1] يصرن ﴿رواكد﴾ ثوابت لا تجري ﴿على ظهره إنّ في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ هو المؤمن، يصبر في الشدة، ويشكر في الرخاء، [كما في الحديث عن رسول الله ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كلّه له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سَرَّاءُ ــ أي: نعمة ــ شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضَرَّاءُ ــ أي: مصيبة ــ صبر، فكان خيراً له» رواه مسلم].
٣٤﴿أو يوبقهن﴾ عطف على «يُسكن»، أي: يغرقهن بعَصْفِ الريح بأهلهن ﴿بما كسبوا﴾ أي: أهلهن من الذنوب ﴿ويعف عن كثير﴾ منها، فلا يغرق أهله، [أي: أهل الكثير الذي عفا عنه]. ٣٥﴿ويعلمُ﴾ بالرفع مستأنف، وبالنصب معطوف على تعليل مقدَّر، أي: يغرقهم لينتقمَ منهم، ويعلَم ﴿الذين يجادلون في آياتنا ما لهم

---

(١) قوله تعالى: ﴿إن يشأ يسكن الريح..﴾ الآية. إن ذكر «الريح» ليس على سبيل الحصر، بل لأن السفن كانت تجري به قبل أن يعرف العالم المحركات الآلية، ومعنى الآية عام يشمل كل الأسباب المحركة للسفن، والريح قوة من تلك القوى، وبه سميت القوة في قوله تعالى: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾ أي: قوتكم، أي: إن السفن تجري على ظهر البحر بإذن الله تعالى، فإنْ يشأ يُعَطِّلْها، فتبقى ثابتة على ظهره.

من محيص﴾ مهرب من العذاب، وجملة النفي سدت مسد مفعولي «يعلم»، والنفي معلّق عن العمل [لفظاً لا محلاً]. ٣٦﴿فما أوتيتم﴾ خطاب للمؤمنين وغيرهم ﴿من شيء﴾ من أثاث الدنيا ﴿فمتاع الحياة الدنيا﴾ يُتمتع به فيها، ثم يزول ﴿وما عند الله﴾ من ثواب ﴿خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾[1]. ٣٧ ويعطف عليهم: ﴿والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش﴾ موجباتِ الحدود، [كالقتل والسرقة والزنا، وغيرها من الكبائر]، من عطف البعض على الكل ﴿وإذا ما غضبوا[2] هم يغفرون﴾ يتجاوزون. ٣٨﴿والذين استجابوا لربهم﴾ أجابوه إلى ما دعاهم إليه، من التوحيد والعبادة ﴿وأقاموا الصلاة﴾ أداموها ﴿وأمرهم﴾ الذي يبدو لهم ﴿شورى بينهم﴾ يتشاورون فيه، ولا يَعْجَلُون ﴿ومما رزقناهم﴾ أعطيناهم ﴿ينفقون﴾ في طاعة الله، ومَنْ ذُكر صنف. ٣٩﴿والذين إذا أصابهم البغي﴾ الظلم ﴿هم ينتصرون﴾ صنفٌ [آخر]، أي: ينتقمون ممن ظلمهم بمثل ظلمه، كما قال تعالى: ٤٠﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ سميت الثانيةُ سيئةً، لمشابهتها للأولى في الصورة، وهذا ظاهر فيما يُقْتَصُّ فيه من الجراحات، قال بعضهم: وإذا قال له: «أخزاك الله» فيجيبه: «أخزاك الله» ﴿فمن عفا﴾ عن ظالمه ﴿وأصلح﴾ الود بينه وبين المعفو عنه ﴿فأجره على الله﴾ أي: إن الله يأجره لا محالة ﴿إنه لا يحب الظالمين﴾ أي: البادئين بالظلم، فيرتب عليهم عقابه. ٤١﴿ولمن انتصر بعد ظلمه﴾ أي: ظلم الظالم إياه، [فأراد ردَّ الظلم عنه] ﴿فأولئك ما عليهم من سبيل﴾ مؤاخذة. ٤٢﴿إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون﴾ يعملون ﴿في الأرض بغير الحق﴾ بالمعاصي، [أي: يظلمون في الأرض بعملها] ﴿أولئك لهم عذاب أليم﴾ مؤلم. ٤٣﴿ولمن صبر﴾ فلم ينتصر ﴿وغفر﴾ تجاوز ﴿إن ذلك﴾ الصبر والتجاوز ﴿لمن عزم الأمور﴾ أي: معزوماتها، بمعنى: المطلوبات شرعاً.

مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ
وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟
لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا
رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ هُمْ
يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا
وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ
ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾
إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ
فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾
وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾

(١) قوله تعالى: ﴿يتوكلون﴾، ارجع إلى تعليقنا حول «التوكل» ص ٣٣١. وإلى تعليقنا حول «الصبر» ص ٦٠٧.

(٢) قوله تعالى: ﴿وإذا ما غضبوا﴾ الغضب يكون خلقاً سيئاً إذا ترتب عليه أذى للغير، أو وقوع في محرم، وأشنع الغضب في الإنسان هو ما يوقعه في غضب الله الواحد الديان، وذلك أن بعض أصحاب القلوب الغافلة إذا ما غضب سبَّ الله تعالى، أو الدين، وتلفظ بألفاظ تخرجه عن الملة والعياذ بالله تعالى، وهؤلاء لا يردعهم سوى العقاب، لذلك حذر رسول الله ﷺ من الغضب، فقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصني، قال «لا تغضب» فردد مراراً، قال: «لا تغضب»، وبيّن عليه الصلاة والسلام أيضاً، أن القوة الحقيقية هي في كظم الغيظ وضبط النفس عند الغضب، فقد روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «ليس الشديد بالصُّرَعَةِ ــ أي: ليس القوي هو الذي يصرع الناس ــ إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»، وكفُّ الغضب باب من أبواب الصبر، والصبر من الإيمان، وضياء للمؤمن، وإذا غضب الإنسان، فاستعاذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه غيظه، فقد روى الشيخان أن النبي ﷺ رأى رجلين يَسْتَبَّان، وأحدهما قد احمر وجهه وانتفخت أوداجه، فقال ﷺ: «إني لأعلم كلمة لو قالها، لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ذهب عنه ما يجد» فقالوا له ذلك. =

٤٤﴿**ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده**﴾ أي: أحد يلي هدايته، بعد إضلال الله إياه، ﴿**وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد**﴾ إلى الدنيا ﴿**من سبيل**﴾ طريق.؟

٤٥﴿**وتراهم يعرضون عليها**﴾ أي: النار ﴿**خاشعين**﴾ خائفين متواضعين ﴿**من الذل ينظرون**﴾ إليها﴿**من طرف خفي**﴾ ضعيف النظر، مسارقة، [أي: لا يرفعون رؤوسهم للنظر رفعاً تاماً، لأنهم ناكسو الرؤوس أذلَّاء]، و «من» ابتدائية، أو: بمعنى الباء ﴿**وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة**﴾ بتخليدهم في النار، وعدم وصولهم إلى الحور، المعدَّة لهم في الجنة لو آمنوا، و [الاسم] الموصول [وصلته] خبر «إنَّ» ﴿**ألا إن الظالمين**﴾ الكافرين ﴿**في عذاب مقيم**﴾ دائم، هو من مقول الله تعالى.

وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ

٤٦﴿**وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله**﴾ أي: غيره، يدفع عذابه عنهم ﴿**ومن يضلل الله فما له من سبيل**﴾ طريق إلى الحق في الدنيا، وإلى الجنة في الآخرة.

٤٧﴿**استجيبوا لربكم**﴾ أجيبوه بالتوحيد والعبادة ﴿**من قبل أن يأتي يوم**﴾ هو: يوم القيامة ﴿**لا مرد له من الله**﴾ أي: أنه إذا أتى به لا يرده، [أو: إذا قال الله: «كن»، فإنه يكون، ولا يستطيع أحد أن يرده] ﴿**ما لكم من ملجأ**﴾ [أي: مَفَرٌّ ومهرب] تلجؤون إليه ﴿**يومئذ وما لكم من نكير**﴾ إنكار لذنوبكم، [أي: لا مجال للإنكار هناك].

٤٨﴿**فإن أعرضوا**﴾ عن الإجابة [والإيمان] ﴿**فما أرسلناك عليهم حفيظاً**﴾ تحفظ أعمالهم، بأن توافق المطلوب منهم ﴿**إن**﴾ ما ﴿**عليك إلا البلاغ**﴾ وهذا قبل الأمر بالجهاد ﴿**وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة**﴾ نعمة، كالغنى والصحة ﴿**فرح بها وإن تصبهم**﴾ الضمير للإنسان باعتبار الجنس ﴿**سيئة**﴾ بلاء ﴿**بما قدمت**

= ولا يجوز أن يؤمر الغضبان بغير الاستعاذة، فلا يقال له: «وحِّد الله»، ولا: «صلِّ على النبيّ»، لأنه إن كان غافلاً جاهلاً سبَّ الله وسبَّ النبي، وهذا ما يحصل بالفعل، والعياذ بالله تعالى.

وجاء في أحاديث أخرى في علاج الغضب، أن من غضب فليتوضأ، فإن الغضب من الشيطان والشيطان من النار والماء يطفىء النار، وإذا كان الغاضب قائماً فليجلس، وإن كان جالساً فليضطجع، لأن ذلك يكسر حدة الغضب.

والغضب ليس مذموماً دائماً، بل منه ما هو محمود، بل قد يكون واجباً، وهو الغضب إذا انتهكت حرماتُ الله تعالى، وهو غضب النبي ﷺ، فما كان يغضب لنفسه قط، روى الشيخان من حديث عائشة رضي الله عنها: «وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء قط، إلاَّ أن تُنتَهَكَ حُرْمَةُ الله، فينتقم لله تعالى».

﴿أيديهم﴾ أي: قدَّموه، وعبَّرَ بالأيدي، لأن أكثر الأفعال بها ﴿فإن الإنسان كفور﴾ للنعمة، [فيعدِّد المصائب وينسى النعم].

٤٩﴿لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء﴾[1] من الأولاد ﴿إناثاً﴾ [لا ذكور معهن] ﴿ويهب لمن يشاء الذكور﴾ [ولا إناث معهم].

٥٠﴿أو يزوجهم﴾ أي: يجعلهم ﴿ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً﴾ فلا يلد ولا يولد له ﴿إنه عليم﴾ بما يخلق ﴿قدير﴾ على ما يشاء. ٥١﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلاَّ﴾ أن يوحى إليه ﴿وحياً﴾ في المنام، أو بإلهام ﴿أو﴾ إلاَّ ﴿من وراء حجاب﴾ بأن يُسمعه كلامه ولا يراه، كما وقع لموسى عليه السلام ﴿أو﴾ إلاَّ أن ﴿يرسل رسولاً﴾ ملكاً كجبريل ﴿فيوحي﴾ الرسول إلى المرسل إليه، أي: يكلمه ﴿بإذنه﴾ أي: الله ﴿ما يشاء﴾ الله ﴿إنه عليٌّ﴾ عن صفات المحدثين ﴿حكيم﴾ في صنعه.

٥٢﴿وكذلك﴾ أي: مثل إيحائنا إلى غيرك من الرسل ﴿أوحينا إليك﴾ يا محمد ﴿روحاً﴾[2] هو: القرآن، به تحيا القلوب ﴿من أمرنا﴾ الذي نوحيه إليك ﴿ما كنت تدري﴾ تعرف قبل الوحي إليك ﴿ما الكتاب﴾ القرآن ﴿ولا الإيمان﴾ أي: شرائعه ومعالمه، والنفي معلّق للفعل [«تدري»] عن العمل، [لفظاً لا محلاً]، وما بعده سدَّ مسدَّ المفعولين ﴿ولكن جعلناه﴾ أي: الروح، أو الكتاب ﴿نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي﴾ تدعو بالوحي إليك ﴿إلى صراط﴾ طريق ﴿مستقيم﴾ دين الإسلام.

٥٣﴿صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض﴾ ملكاً [فهو مالكهم]، وخلقاً [فهو خالقهم]، وعبيداً [فهو ربهم] ﴿ألا إلى الله تصير الأمور﴾ ترجع.

أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

(١) قوله تعالى: ﴿يهب لمن يشاء إناثاً..﴾ الآيتين (٤٩ و ٥٠)، يغلب في الناس حبهم للأولاد، وللذكور منهم خاصة، وتفضيلهم على الإناث، فلئلاّ يميز الإنسان بين أولاده، ولا يلجأ الزوجان اللذان لا ينجبان إلى التبني ـ وهو محرم ـ فقد أخبر الله تعالى أنه هو الذي قدر كل شيء، وهو الذي يهب النسل والذرية، فوهب لهذا ذكوراً فقط، ولذاك إناثاً فقط، ولغيرهما ذكوراً وإناثاً معاً، كما أنه سبحانه يجعل من يشاء من الأزواج عقيماً، فلا يلد ولا ينجب، كل ذلك لحكمة يعلمها الله تعالى وحده، فإذا شاء الإنسان أن يرتاح، فما عليه إلاّ بالرضا والتسليم بما قدر الله ووهب، وبما أعطى ومنع، فبالإيمان والتسليم يطمئن القلب وترضى النفس. ارجع إلى تعليقنا حول «التبنّي» ص ٥٤٩.

(٢) قوله تعالى: ﴿روحاً من أمرنا﴾، ارجع إلى تعليقنا حول «معاني الروح» ص ٣٧٦.

﴿سورة الزخرف﴾

(مكية، وقيل: إلاّ «واسأل من أرسلنا» الآية، تسع وثمانون آية)

سورة الزخرف ٤٣

(٤٣) سورة الزخرف مكية
وآياتها تسع وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ

بسم الله الرحمن الرحيم

١﴿حم﴾[١] الله أعلم بمراده به. ٢﴿والكتاب﴾ القرآن ﴿المبين﴾ المظهر طريق الهدى، وما يُحتاج إليه من الشريعة.

٣﴿إنا جعلناه﴾ أوجدنا الكتاب ﴿قرآناً عربياً﴾ بلغة العرب ﴿لعلكم﴾ يا أهل مكة، [وغيرهم من العرب والناس كافة] ﴿تعقلون﴾ تفهمون معانيه، [لأن اللغة العربية، أوسع اللغات وأعظمها وأجمعها].

٤﴿وإنه﴾ [أي: القرآن] مُثْبتٌ ﴿في أم الكتاب﴾ أصل الكتب، أي: اللوح المحفوظ ﴿لدينا﴾ عندنا ﴿لعلي﴾ على الكتب قبله ﴿حكيم﴾ ذو حكمة بالغة.

٥﴿أفنضرب﴾ نمسك ﴿عنكم الذكر﴾ القرآن ﴿صفحاً﴾ إمساكاً، فلا تؤمرون ولا تنهون، لأجل ﴿أن كنتم قوماً مسرفين﴾ مشركين؟ لا.

٦﴿وكم أرسلنا من نبي في الأولين﴾؟ [أي: في الأمم قبلكم].

٧﴿وما يأتيهم﴾ [أي:] أتاهم ﴿من نبي إلاّ كانوا به يستهزئون﴾ كاستهزاء قومك بك، وهذا تسلية له ﷺ.

٨﴿فأهلكنا أشد منهم﴾ من قومك ﴿بطشاً﴾ قوة ﴿ومضى﴾ سبق إثبات ﴿مثل الأولين﴾ صفتهم في الإهلاك، فعاقبة قومك كذلك، [إن لم يؤمنوا، فعذبهم الله بالقتل والأسر في الدنيا].

٩﴿ولئن﴾ لام قسم ﴿سألتهم من خلق السماوات والأرض؟ ليقولن﴾ حذف منه نون الرفع لتوالي النونات، وواو الضمير لالتقاء الساكنين ﴿خلقهن العزيز العليم﴾ [إلى هنا] آخر جوابهم، أي: [خلقهن] الله ذو العزة والعلم، [ثم] زاد تعالى [على قولهم: «خلقهن العزيز العليم» قولَهُ:] ١٠﴿الذي جعل لكم الأرض مهاداً﴾ [بكسر الميم وفتح الهاء مع الألف، وفي قراءة: «مَهْداً»، بفتح الميم وسكون الهاء، بلا ألف، أي:] فراشاً كالمهد للصبي ﴿وجعل

---

(١) قوله تعالى: ﴿حم﴾، ارجع إلى تعليقنا حول «الحروف المتقطعة» ص ٣.

لكم فيها سبلاً﴾ طرقاً ﴿لعلكم تهتدون﴾ إلى مقاصدكم في أسفاركم. ١١ ﴿والذي نزل من السماء ماء بقدر﴾ أي: بقدر حاجتكم إليه، ولم ينزله طوفاناً ﴿فأنشرنا﴾ أحيينا ﴿به بلدة ميتاً كذلك﴾ أي: مثل هذا الإحياء ﴿تخرجون﴾ من قبوركم أحياء. ١٢ ﴿والذي خلق الأزواج﴾ الأصناف ﴿كلها وجعل لكم من الفلك﴾ السفن ﴿والأنعام﴾ كالإبل ﴿ما تركبون﴾ حُذِفَ العائد [على الاسم الموصول] اختصاراً، وهو مجرور في الأول، أي: [إذا أعيد إلى «الفلك»، والمعنى: «وجعل لكم من الفلك ما تركبون] فيه» منصوب في الثاني، [أي: إن أُعيد إلى «الأنعام»، والمعنى: «وجعل لكم من الأنعام ما تركبونها»]. ١٣ ﴿لتستووا﴾ لتستقروا ﴿على ظهوره﴾ ذَكَّر الضمير، وجمع الظهر، نظراً للفظ «ما»، ومعناها[1] ﴿ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين﴾[2] مطيقين. ١٤ ﴿وإنا إلى ربنا لمنقلبون﴾ لمنصرفون، [أي: لصائرون إليه بعد مماتنا]. ١٥ ﴿وجعلوا له من عباده جزءاً﴾ حيث قالوا: الملائكة بنات الله، لأن الولد جزء الوالد والملائكة من عباد الله تعالى ﴿إن الإنسان﴾ القائل ذلك ﴿لكفور مبين﴾ بيِّن ظاهر الكفر. ١٦ ﴿أم﴾ بمعنى همزة الإنكار، والقول مقدّر، أي: أتقولون ﴿اتخذ مما يخلق بنات﴾ لنفسه ﴿وأصفاكم﴾ أخلصكم ﴿بالبنين؟﴾ اللازم من قولكم السابق، فهو من جملة المنكر. ١٧ ﴿وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً﴾ جعل له شِبْهاً، بنسبة البنات إليه، لأن الولد يشبه الوالد، المعنى: إذا أُخبر أحدهم بالبنت تُولَدُ له ﴿ظل﴾ صار ﴿وجهه مسوداً﴾ متغيراً تغير مغتمٍّ [حزين] ﴿وهو كظيم﴾ ممتلىء غمّاً، فكيف ينسُبُ البنات إليه تعالى؟. ١٨ ﴿أو﴾ همزة الإنكار، وواوُ العطف، بجملة، [أي: هما كلمتان حرفان، لا كلمة واحدة]، أي: [أَوَ] يجعلون لله ﴿من يُنَشَّأُ﴾ يتربّى ﴿في الحلية﴾ الزينة ﴿وهو في الخصام غير مبين﴾ مظهر لحجته، لضعفه عنها بالأنوثة؟ [أي: أيضاف إلى الله تعالى، مَنْ هذا وصفه وهذه حاله؟! وفي الآية دلالة على إباحة الحليّ للنساء]. ١٩ ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً أشهدوا﴾ حضروا

لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا

(١) في هذه العبارة لفٌّ ونشر مرتب، فانتبه.

(٢) قوله تعالى: ﴿وما كنا له مقرنين﴾، أخرج مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفر كبر ثلاثاً ثم قال: «﴿سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون﴾، اللهم إني أسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هوِّن علينا سفرنا هذا، واطوِ عنا بُعْده، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وَعْثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في المال والأهل»، وإذا رجع قالهن وزاد فيهن: «آيبون تائبون لربنا حامدون».

﴿خلقهم؟ ستكتب شهادتهم﴾ بأنهم إناث ﴿ويسألون﴾ عنها في الآخرة، فيترتَّب عليها العقاب. ٢٠﴿وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم﴾[1] أي: الملائكة، فعبادتنا إياهم بمشيئته، فهو راض بها، قال تعالى: ﴿ما لهم بذلك﴾ المقول، من الرضا بعبادتها ﴿من علم إن﴾ ما ﴿هم إلاَّ يخرصون﴾ يكذبون فيه، فيترتب عليهم العقاب به، [و «الخَرْص»: هو الحَدْسُ والتخمين].

٢١﴿أم آتيناهم كتاباً من قبله﴾ أي: القرآن، بعبادة غير الله ﴿فهم به مستمسكون؟﴾ أي: لم يقع ذلك.

سُورَةُ الزُّخْرُفِ ٤٣

خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ

حزب ٥٠

٢٢﴿بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾ ملَّة ﴿وإنا﴾ ماشون ﴿على آثارهم مهتدون﴾ بهم، وكانوا يعبدون غير الله، [فعبدنا ما عبدوا].

٢٣﴿وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلاَّ قال مترفوها﴾ منعموها مثل قول قومك: ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾ ملَّة ﴿وإنا على آثارهم مقتدون﴾ متبعون، [وفي تخصيص «المترفين»، إشعار بأن التنعُّم وحُبَّ الدنيا، صرفهم عن النظر والتفكير، إلى التقليد الأعمى واتباع الهوى].

٢٤﴿قال﴾ لهم ﴿أ﴾ تتبعون ذلك ﴿ولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم؟ قالوا إنا بما أرسلتم به﴾ أنت ومن قبلك ﴿كافرون﴾.

٢٥ قال تعالى تخويفاً لهم: ﴿فانتقمنا منهم﴾ أي: من المكذبين للرسل قبلك ﴿فانظر كيف كان عاقبة المكذبين﴾ [أي: آخر أمرهم ونهايتهم وهي: الهلاك].

٢٦﴿و﴾ اذكر ﴿إذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء﴾ بريء ﴿مما تعبدون﴾.

٢٧﴿إلاَّ الذي فطرني﴾ خلقني ﴿فإنه سيهدين﴾ يرشدني لدينه، [أي: إن الهدى من الله، لا من سواه]. ٢٨﴿وجعلها﴾ أي: كلمة التوحيد المفهومة من قوله: «إني ذاهب إلى ربي سيهدين» ﴿كلمة باقية في عقبه﴾ ذريته، فلا يزال فيهم من يوحّد الله سبحانه وتعالى.

(١) قوله تعالى: ﴿وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم﴾ الآية. هذا من باب: كلمة حق أريد بها باطل، وهذا كقولهم عندما أمروا بإطعام المحتاجين: ﴿أنطعم من لو يشاء الله أطعمه﴾؟! فرد الله عليهم بأن مشيئة الله تعالى غيب لا علم لهم به، فمن الذي أدراهم بأن الله لم يشأ لهم الإيمان؟ ثم: لو هم آمنوا، ألا يفعلون ما شاء الله؟.

ارجع إلى تعليقنا حول هذا المعنى ص ١٨٨.

لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَن يَعْشُ عَن

﴿لعلهم﴾ أي: أهل مكة ﴿يرجعون﴾ عمّا هم عليه، إلى دين إبراهيم أبيهم. ٢٩﴿بل متعت هؤلاء﴾ المشركين﴿وآباءهم﴾ ولم أعاجلهم بالعقوبة ﴿حتى جاءهم الحق﴾ القرآن ﴿ورسول مبين﴾ مظهر لهم الأحكام الشرعية، وهو محمد ﷺ. ٣٠﴿ولما جاءهم الحق﴾ القرآن ﴿قالوا هذا سحر وإنا به كافرون﴾. ٣١﴿وقالوا لولا﴾ هلّا ﴿نزل هذا القرآن على رجل من﴾ أهل ﴿القريتين﴾ من أيةٍ منهما ﴿عظيم﴾ أي: الوليد بن المغيرة [المخزومي] بمكة، [وقد مات كافراً]، و: عروة بن مسعود الثقفي بالطائف، [وقد أسلم وحَسُن إسلامه]. ٣٢﴿أهم يقسمون رحمة ربك﴾ النبوة، [فيعطونها من شاؤوا؟ لا، بل نحن قسمناها فاخترناك، وأيضاً] ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا﴾ فجعلنا بعضهم غنياً وبعضهم فقيراً، [فلم يعترضوا على ذلك، والقاسم في الحالين هو الله تعالى] ﴿ورفعنا بعضهم﴾ بالغنى [والعقل والقوة] ﴿فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم﴾[1] الغني ﴿بعضاً﴾ الفقير ﴿سُخرياً﴾ [بضم السين، من «السُّخرة»، لا من «السُّخرية»، أي:] مسخَّراً في العمل له بالأجرة، والياء للنسب، وقرىء [شذوذاً] بكسر السين ﴿ورحمة ربك﴾ أي: الجنة ﴿خير مما يجمعون﴾ في الدنيا. ٣٣﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة﴾ على الكفر، [بأن يُفْتَنُوا] ﴿لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم﴾ بدل من «لِمَنْ» ﴿سَقْفاً﴾ بفتح السين وسكون القاف، وبضمهما جميعاً ﴿من فضة ومعارج﴾ كالدرج من فضة ﴿عليها يظهرون﴾ يعلون إلى السطح. ٣٤﴿ولبيوتهم أبواباً﴾ من فضة ﴿ و ﴾ جعلنا لهم ﴿سرراً﴾ من فضة، جمع «سرير» ﴿عليها يتكئون﴾.

٣٥﴿وزخرفاً﴾ ذهباً، [وقيل: زينة،] المعنى: لولا خوف الكفر على المؤمنين، من إعطاء الكافر ما ذُكِرَ، لأعطيناه ذلك، لقلة خطر الدنيا عندنا، وعدم حظه في الآخرة في النعيم، [قال ﷺ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافراً منها شربة ماء» رواه الترمذي وقال: حسن صحيح] ﴿وإن﴾ مخففة من الثقيلة ﴿كل ذلك لما﴾ بالتخفيف، فـ «ما» زائدة، وبالتشديد بمعنى: «إلاّ»، [وعلى هذه القراءة]، فـ «إنْ» نافية ﴿متاع الحياة الدنيا﴾ يتمتع به فيها ثم يزول ﴿والآخرة﴾ أي: الجنة ﴿عند ربك للمتقين﴾. ٣٦﴿ومن يعش﴾ [أي: يتعامى و] يعرض ﴿عن

---

(١) قوله تعالى: ﴿ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً﴾ إن تفسير المحلي «بعضهم» بالغني، و «بعضاً» بالفقير ليس شرطاً لازماً، فالغني أيضاً يعمل للفقير، فالتاجر يبيع كل من يشتري، والطبيب يعاين المريض ــ ولو كان فقيراً ــ ويأخذ منه أجرته، وهكذا سائر أصحاب المهن.

ولقد أساء بعضهم فهم هذه الآية فظن ــ بقصد أو غيره ــ أن القرآن الكريم يكرّس الطبقيّة في المجتمع ويساعد الغنيّ على الفقير، وهذا خطأ فاحش مردُّه سوء نية وجهل باللغة العربية التي على أساسها يفسّر القرآن الكريم، ففي هذه الآية يخبر الله تعالى عن واقع جميع البشر الذين ليسوا على مستوى واحد لا في القوة، ولا في العقل، ولا في غيرهما من الطاقات، فهذا يُطيق من الأعمال ما لا يقدر عليه غيره، وذلك يرغب في عمل يكرهه غيره، =

ذكر الرحمن﴾ أي القرآن ﴿نقيض﴾ نسبب ﴿له شيطاناً فهو له قرين﴾[1] لا يفارقه [في الدنيا، يمنعه من الحلال، ويدفعه إلى الحرام، ينهاه عن الطاعة، ويأمره بالمعصية]. ٣٧﴿وإنهم﴾ أي: الشياطين ﴿ليصدونهم﴾ أي: العاشين ﴿عن السبيل﴾ أي: طريق الهدى ﴿ويحسبون أنهم مهتدون﴾ في الجمع، رعاية معنى «مَنْ». ٣٨﴿حتى إذا جاءنا﴾ العاشي بقرينه يوم القيامة ﴿قال﴾ له ﴿يا﴾ للتنبيه ﴿ليت بيني وبينك بعد المشرقين﴾ أي: مثل بُعْدِ ما بين المشرق والمغرب ﴿فبئس القرين﴾ أنت لي. ٣٩ قال تعالى: ﴿ولن ينفعكم﴾ أي: العاشين، تمنيكم وندمكم ﴿اليوم﴾ [أي: يوم القيامة] ﴿إذ ظلمتم﴾ أي: تبين لكم ظلمكم، بالإشراك في الدنيا ﴿أنكم﴾ [أي: لأنكم] مع قرنائكم ﴿في العذاب مشتركون﴾، علّه بتقدير اللام، لعدم النفع [من ذلك]، و «إذْ» بدل من: «اليوم».

ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِي ٱلْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِي وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ

٤٠﴿أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين﴾ بيِّن؟ أي: [لن تقدر على ذلك]، فهم لا يؤمنون.

٤١﴿فإما﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» الزائدة ﴿نذهبن بك﴾ بأن نميتك قبل تعذيبهم ﴿فإنا منهم منتقمون﴾ في الآخرة.

٤٢﴿أو نرينك﴾ في حياتك ﴿الذي وعدناهم﴾ به من العذاب ﴿فإنا عليهم﴾ على عذابهم ﴿مقتدرون﴾ قادرون.

٤٣﴿فاستمسك بالذي أوحي إليك﴾ أي: القرآن ﴿إنك على صراط﴾ طريق ﴿مستقيم﴾.

٤٤﴿وإنه لذكر﴾ لشرف ﴿لك ولقومك﴾ لنزوله بلغتهم ﴿وسوف تسألون﴾[2] عن القيام بحقه.

٤٥﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن﴾ أي: غيره ﴿آلهة يعبدون﴾؟ قيل: هو ــ [أي: طلب السؤال] ــ على ظاهره، بأن جمع له الرسل ليلة الإسراء، وقيل: المراد أُمَمُ مــن أيّ أهْلِ الكتابيــن، ولــم يَسْأَلْ [رسولُ الله ﷺ]، على واحد من القولين، لأن المراد من الأمر بالسؤال، التقريرُ لمشركي قريش: أنه لم يأت رسولٌ من الله، ولا كتابٌ بعبادة غير الله.

٤٦﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون

= فلكل إنسان خبرة وعمل، ولا يجمع إنسان واحد الخبرة في كل شأن، فلا بد إذن من أن يطلب الإنسان من إنسان غيره عملاً، لذلك أباح الله تعالى «العمل» وأحلّ الأجرة عليه، وأوصى العامل وصاحب العمل بتقوى الله تعالى والصدق والوفاء.

(١) قوله تعالى: ﴿فهو له قرين﴾، ارجع إلى تعليقنا حول معاني «القرين» ص ٦٣٣.

(٢) قوله تعالى: ﴿وسوف تسألون﴾، هذا دليل واضح على ما قدمنا الكلام فيه ص ٦٣٠ بشأن مسؤولية العرب في حمل الإسلام ونشره في العالم، لأنهم أهل اللغة، وأقدر من غيرهم على فهم القرآن الكريم.

ومليه﴾ أي: القبط ﴿فقال إني رسول رب العالمين﴾. ٤٧ ﴿فلما جاءهم بآياتنا﴾ الدالة على رسالته ﴿إذا هم منها يضحكون﴾. ٤٨ ﴿وما نريهم من آية﴾ من آيات العذاب، «كالطوفان»[١] وهو: ماء دخل بيوتهم، ووصل إلى حلوق الجالسين سبعة أيام، و«الجراد» ﴿إلا هي أكبر من أختها﴾ قرينتها التي قبلها ﴿وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون﴾ عن كفرهم. ٤٩ ﴿وقالوا﴾ لموسى، لما رأوا العذاب ﴿يا أيها الساحر﴾ أي: العالم الكامل، لأن السحر[٢] عندهم علم عظيم [في نظرهم، أو: نادوه بالساحر، على عادتهم قبل إيمانهم] ﴿ادع لنا ربك بما عهد عندك﴾ من كشف العذاب عنا إن آمنا ﴿إننا لمهتدون﴾ أي: مؤمنون.

وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾

٥٠ ﴿فلما كشفنا﴾ بدعاء موسى ﴿عنهم العذاب إذا هم ينكثون﴾ ينقضون عهدهم، ويصرون على كفرهم.

٥١ [ثم ذكر تعالى، كيف أضل فرعونُ قومَهُ فقال:] ﴿ونادى فرعون﴾ افتخاراً ﴿في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار﴾ أي: من النيل ﴿تجري من تحتي﴾ تحت قصوري؟ ﴿أفلا تبصرون﴾ عظمتي.

٥٢ ﴿أم﴾[٣] تبصرون؟ وحينئذ [أي: لأنكم تبصرون، فستدركون أني] ﴿أنا خير من هذا﴾ أي: موسى ﴿الذي هو مهين﴾ ضعيف حقير ﴿ولا يكاد يبين﴾ يُظْهِرُ كلامَهُ، للثغته[٤] بالجمرة التي تناولها في صغره.

٥٣ ﴿فلولا﴾ هلاّ ﴿ألقي عليه﴾ إن كان صادقاً ﴿أساورة من ذهب﴾ جمع «أَسْوِرة»، [وفي قراءة بها]، كـ«أغربة» جمع «سوار»، كعادتهم فيمن يسوّدونه، أن يُلبسوه أسورة من ذهب، ويطوّقوه طوق ذهب ﴿أو جاء معه الملائكة مقترنين﴾ متتابعين، يشهدون بصدقه.

٥٤ ﴿فاستخف﴾ استفزَّ فرعون ﴿قومه فأطاعوه﴾ فيما يريد من تكذيب موسى، [أما «استخفَّ به» فمعناه: أهانه]. ﴿إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾ [أي: كافرين]. ٥٥ ﴿فلما آسفونا﴾ أغضبونا ﴿انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين﴾.

---

(١) قوله: «كالطوفان» إلخ، ارجع إلى تعليقنا حول «آيات موسى عليه السلام» ص ٢٧٨.

(٢) قوله: «لأن السحر عندهم علم عظيم»، ارجع إلى تعليقنا حول «السحر» ص ٢١٠.

(٣) قوله تعالى: ﴿أم﴾، «أم» هذه ليست منقطعة بمعنى: بل، ولكنها متصلة معادلة للهمزة في قوله: ﴿أفلا تبصرون﴾ مطلوب بها التعيين، أي: «أفلا تبصرون أم أنتم تبصرون؟» أي: أنتم تبصرون أني خير من موسى.

(٤) قوله: «للثغته بالجمرة» إلخ، قيل في سبب العقدة التي كانت في لسان موسى عليه السلام كلام لا سند له، كتناوله الجمرة بدل التمرة، وقد بينا ذلك في تعليقنا ص ٤٠٨.

فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ

٥٦ ﴿فجعلناهم سلفاً﴾ جمع «سالف»، كـ «خادم» و «خدم»، أي: سابقين عبرة ﴿ومثلاً للآخرين﴾ بعدهم، يتمثلون بحالهم، فلا يُقدمون على مثل فعالهم. ٥٧ ﴿ولما ضرب﴾[1] جُعِلَ ﴿ابن مريم مثلاً﴾ حين نزل قوله تعالى: «إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم»، فقال المشركون: رضينا أن تكون آلهتنا مع عيسى، لأنه عُبِدَ من دون الله ﴿إذا قومك﴾ المشركون ﴿منه﴾ من المثل ﴿يصدون﴾ [بكسر الصاد:] يضجون فرحاً بما سمعوا، [وفي قراءة: بضم الصاد، أي: يعرضون من أجل المثل]. ٥٨ ﴿وقالوا ءآلهتنا خير أم هو؟﴾ أي: عيسى، فنرضى أن تكون آلهتنا معه ﴿ما ضربوه﴾ أي: المثل، ﴿لك إلاّ جدلاً﴾[2] خصومة بالباطل، لعلمهم، [أي: العرب]، أن «ما» [في: و «ما تعبدون»] لغير العاقل، فلا يتناول عيسى عليه السلام ﴿بل هم قوم خصمون﴾ شديدو الخصومة. ٥٩ ﴿إن هو﴾ ما عيسى ﴿إلاّ عبد أنعمنا عليه﴾ بالنبوة ﴿وجعلناه﴾ بوجوده من غير أب ﴿مثلاً لبني إسرائيل﴾ أي: كالمثل لغرابته، يُستدل بها على قدرة الله تعالى على ما يشاء. ٦٠ ﴿ولو نشاء لجعلنا منكم﴾ بدلكم ﴿ملائكة في الأرض يخلفون﴾ بأن نهلككم. ٦١ ﴿وإنه﴾ أي: عيسى ﴿لعلم للساعة﴾ تُعلم بنزوله ﴿فلا تمترن بها﴾، حُذف منه نون الرفع للجزم، وواو الضمير لالتقاء الساكنين، تَشُكُّنَّ فيها ﴿و﴾ قل لهم ﴿اتبعون﴾ على التوحيد ﴿هذا﴾ الذي آمركم به ﴿صراط﴾ طريق ﴿مستقيم﴾. ٦٢ ﴿ولا يصدنكم﴾ يصرفنكم عن دين الله ﴿الشيطان إنه لكم عدو مبين﴾ بيّن العداوة.

٦٣ ﴿ولما جاء عيسى بالبينات﴾ بالمعجزات والشرائع ﴿قال قد جئتكم بالحكمة﴾ بالنبوة وشرائع الإنجيل ﴿ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه﴾ من أحكام التوراة، من أمر الدين وغيره، فبيّن لهم أمر الدين ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾.

٦٤ ﴿إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط﴾ طريق ﴿مستقيم﴾.

٦٥ ﴿فاختلف الأحزاب من بينهم﴾ في عيسى، أهو الله؟ أو: ثالث ثلاثة؟ ﴿فويل﴾ كلمة عذاب ﴿للذين ظلموا﴾ كفروا بما قالوه في عيسى ﴿من

---

(١) قوله تعالى: ﴿ولما ضرب﴾ الآية، أخرج أحمد بسند صحيح، والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال لقريش: «إنه ليس أحد يُعْبَدُ من دون الله وفيه خير» فقالوا: لست تزعم أن عيسى كان نبياً وعبداً صالحاً؟ وقد عُبِدَ من دون الله، فأنزل الله ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلاً﴾ الآية، وقد قالوا ذلك مجادلة بالباطل، وهم يعلمون أن عيسى عليه السلام ليس داخلاً في الوعيد، لأنه رسول الله ولا يرضى بأن يعبدوه.

(٢) قوله تعالى: ﴿ما ضربوه لك إلاّ جدلاً﴾ الآية، ارجع إلى تعليقنا حول «الجدال» ص ٢٨٩.

عذاب يوم أليم﴾ مؤلم. ٦٦﴿هل ينظرون﴾ أي: كفار مكة، أي: ما ينتظرون ﴿إلاَّ الساعة أن تأتيهم﴾ بدل من «الساعة» ﴿بغتة﴾ فجأة ﴿وهم لا يشعرون﴾ بوقت مجيئها قبله.

٦٧﴿الأخلاَّء﴾ [أي: المتلاقون] على المعصية في الدنيا ﴿يومئذ﴾ يوم القيامة، متعلق بقوله: ﴿بعضهم لبعض عدو إلاَّ المتقين﴾ المتحابين في الله على طاعته، فإنهم أصدقاء، ويقال لهم:

٦٨﴿يا عبادِ لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون﴾ [كما خاف وحزن الكافرون، بل أنتم آمنون ومطمئنون].

عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾

٦٩﴿الذين آمنوا﴾ نعت لـ «عبادي» ﴿بآياتنا﴾ القرآن ﴿وكانوا مسلمين﴾.

٧٠ [يقال لهم]: ﴿ادخلوا الجنة أنتم﴾ مبتدأ ﴿وأزواجكم﴾ زوجاتكم ﴿تحبرون﴾ تسرون وتكرمون، خبر المبتدأ.

٧١﴿يطاف عليهم بصحاف﴾ [جمع «صَحْفَة»، أي:] بقصاع [للطعام] ﴿من ذهب[1] وأكواب﴾ [للشراب] جمع «كوب»، وهو: إناء لا عروة له، ليشرب الشارب من حيث شاء ﴿وفيها ما تشتهي﴾ [بحذف هاء الضمير، وفي قراءة: «تشتهيه»، بزيادة الهاء بعد الياء، وهما قراءتان سبعيتان] ﴿الأنفس﴾ تلذذاً ﴿وتلذ الأعين﴾ نظراً ﴿وأنتم فيها خالدون﴾.

٧٢﴿وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون﴾.

٧٣﴿لكم فيها فاكهة كثيرة منها﴾ أي: بعضها ﴿تأكلون﴾ وما يؤكل يُخلف بدله.

٧٤﴿إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون﴾.

٧٥﴿لا يفتر﴾ يخفف ﴿عنهم وهم فيه مبلسون﴾ ساكتون سكوت يأس.

٧٦﴿وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين﴾ [لأنفسهم بالكفر].

٧٧﴿ونادوا يا مالك﴾ هو: خازن النار ﴿ليقض علينا ربك﴾ [أي:] ليُمِتْنا، [لنستريح من العذاب] ﴿قال﴾ بعد ألف[2] سنة: ﴿إنكم ماكثون﴾ مقيمون في العذاب دائماً.

---

(١) قوله تعالى: ﴿بصحاف من ذهب﴾ أخرج الشيخان عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لا تلبسوا الحرير ولا الديباج، ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صِحافها، فإنها لهم ــ أي: للكافرين ــ في الدنيا ولكم في الآخرة»، وقد بيَّنا حكم استعمال الذهب والفضة والحرير في تعليقنا ص ٥٧٦ فارجع إليه.

(٢) قوله: «بعد ألف سنة»، أي: يجيبهم مالك بعد ألف سنة من ندائهم بقوله: إنكم ماكثون، هذا قول ابن عباس رضي الله عنهما، كما رواه عنه عبد الرزاق وابن حميد وابن أبي حاتم والحاكم وصححه البيهقي وغيرهم. والله أعلم.

٧٨ قال تعالى: ﴿لقد جئناكم﴾ أي: أهل مكة ﴿بالحق﴾ [بالإسلام]، على لسان الرسول ﴿ولكن أكثركم للحق كارهون﴾. ٧٩﴿أم أبرموا﴾ أي: كفار مكة، أحكموا ﴿أمراً﴾ في كيد محمد النبي ﷺ ﴿فإنا مبرمون﴾ محكمون كيدنا في إهلاكهم.

٨٠﴿أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم﴾ ما يسرون إلى غيرهم، وما يجهرون به بينهم ﴿بلى﴾ نسمع ذلك ﴿ورسلنا﴾ الحفظة ﴿لديهم﴾ عندهم ﴿يكتبون﴾ ذلك.

٨١﴿قل إن كان للرحمن ولد﴾ فَرَضاً [كما يزعمون] ﴿فأنا أول العابدين﴾ للولد، لكنْ ثبت أن لا ولد له تعالى، فانتفت عبادته، [وذلك مبالغةً في الاستبعاد، فـ «إن» للشرط، وهذا اختيار الطبري والرازي، وقيل: «إنْ» نافية بمعنى «ما»، أي: «ما كان للرحمن ولد»، وهنا تمَّ الكلام، ثم تبتدىء: «فأنا أول العابدين» أي: الموحدين من أهل مكة، على أن لا ولد له].

٨٢﴿سبحان رب السماوات والأرض رب العرش﴾ الكرسي[1] ﴿عما يصفون﴾ يقولون من الكذب بنسبة الولد إليه.

٨٣﴿فذرهم يخوضوا﴾ في باطلهم ﴿ويلعبوا﴾ في دنياهم ﴿حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون﴾ فيه العذابَ، وهو يوم القيامة.

٨٤﴿وهو الذي﴾ هو ﴿في السماء إله﴾ بتحقيق الهمزتين، وإسقاط الأولى وتسهيلها كالياء، أي: [هو] معبودٌ [فيها] ﴿وفي الأرض إله﴾ وكل من الظرفين متعلق بما بعده ﴿وهو الحكيم﴾ في تدبير خلقه ﴿العليم﴾ بمصالحه.

٨٥﴿وتبارك﴾ تعظَّم ﴿الذي له ملك السماوات والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة﴾ متى تقوم؟ ﴿وإليه يُرجعون﴾ بالياء والتاء. ٨٦﴿ولا يملك الذين يدعون﴾ يعبدون، أي: الكفار ﴿من دونه﴾ أي: الله، [أي: لا يملك هؤلاء المعبودون] ﴿الشفاعة﴾ لأحد ﴿إلاّ من شهد بالحق﴾ أي: قال: لا إله إلاّ الله ﴿وهم يعلمون﴾ بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم، وهم: عيسى وعزير والملائكة، فإنهم يشفعون للمؤمنين[2]. ٨٧﴿ولئن﴾ لام قسم ﴿سألتهم من خلقهم؟ ليقولن الله﴾ حُذف منه نون الرفع [لتوالي النونات]، وواو الضمير [لالتقاء الساكنين] ﴿فأنى يؤفكون؟﴾ [أي: كيف] يصرفون عن عبادة الله؟

سُورَةُ الزُّخْرُفِ ٤٣

لَقَدْ جِئْنَـٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَـٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَـٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَـٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾

(١) قوله: «الكرسي»، جرى الجلال المحلي وتبعه الجلال السيوطي على تفسير «العرش» بالكرسي، أي: أنهما شيء واحد، والصحيح أن العرش غير الكرسي، ارجع إلى تعليقنا ص ٥٣ حيث الدليل على ما ذكرناه.

(٢) قوله: «فإنهم يشفعون للمؤمنين»، ارجع إلى تعليقنا حول «الشفاعة» ص ٦١٢.

٨٨﴿وقيله﴾ [بالنصب] أي: قول محمد النبي، ونصبه على المصدر بفعله المقدر، أي: «وقال [قِيلَهُ]»، وفي قراءة بالجر عطفاً على «الساعة»، من قوله: «وعنده علم الساعة»، أي: ويعلم وقتَ قيامها، ويعلم وقتَ تضرعه وقوله:] ﴿يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون﴾. ٨٩ قال تعالى: ﴿فاصفح﴾ أعرض ﴿عنهم وقل سلام﴾ منكم، وهذا قبل أن يؤمر بقتالهم ﴿فسوف يعلمون﴾ بالياء والتاء، [وهذا] تهديد لهم.

وَقِيلِهِۦ يَـٰرَبِّ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَـٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

(٤٤) سُورَةُ الدُّخَانِ مَكِّيَّة وَآيَاتُهَا تِسْعٌ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾

﴿سُورَةُ الدُّخَانِ﴾

(مكية، إلاَّ: «إنا كاشفو العذاب» الآية، وهي ست، أو: سبع، أو: تسع وخمسون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١﴿حم﴾ الله أعلم بمراده به. ٢﴿والكتاب﴾ القرآن ﴿المبين﴾ المظهر الحلال من الحرام. ٣﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة﴾ هي: ليلة القدر [على الصحيح]، أو: ليلة النصف من شعبان[1]، نزل فيها من أم الكتاب، أي: اللوح المحفوظ، من السماء السابعة إلى سماء الدنيا ﴿إنا كنا منذرين﴾ مخوّفين به. ٤﴿فيها﴾ أي: في ليلة القدر [وهو الصحيح]، أو: في ليلة النصف من شعبان[1] ﴿يفرق﴾ يفصل ﴿كل أمر حكيم﴾ محكم، من الأرزاق والآجال وغيرها، التي تكون في سنة، إلى مثل تلك الليلة. ٥﴿أمراً﴾ فرقاً ﴿من عندنا إنا كنا مرسلين﴾ الرُّسل، محمداً ومَنْ قبله. ٦﴿رحمة﴾ رأفة بالمرسل إليهم ﴿من ربك إنه هو السميع﴾ لأقوالهم ﴿العليم﴾ بأفعالهم. ٧﴿ربِّ السماوات والأرض وما بينهما﴾ برفع «ربّ» خبر ثالث، وبجره بدل من «ربك» ﴿إن كنتم﴾ يا أهل مكة ﴿موقنين﴾ بأنه تعالى رب السماوات والأرض، فأيقنوا بأن محمداً رسوله. ٨﴿لا إله إلاَّ هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين﴾.

(١) قوله في الموضعين: «أو في ليلة النصف من شعبان»، هذا قول مرجوح. والصحيح: أن الليلة المباركة هي ليلة القدر، ليست ليلة النصف من شعبان، ولقد أحسن أبو بكر ابن العربي القول في ذلك بما فيه الكفاية، قال: «وجمهور العلماء على أنها ليلة القدر، وفيهم من قال: إنها ليلة النصف من شعبان، وهو باطل لأن الله تعالى قال في كتابه الصادق القاطع: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾ فدل على أن ميقات نزوله رمضان، ثم عيَّن من زمانه الليل هاهنا بقوله: ﴿في ليلة مباركة﴾ فمن زعم أنه في غيره فقد أعظم الفرية على الله، وليس في ليلة النصف حديث يعوَّل عليه لا في فضلها، ولا في نسخ الآجال فيها فلا تلتفتوا إليها». اهـ. هذا ولم يرد في فضل قيام ليلها على الخصوص أو صيام نهارها حديث يُعْتَدُّ به، فليس تخصيص نهارها بالصيام سُنَّةً كما يظن عامة الناس، وأقوى ما جاء في فضلها ما رواه الطبراني وابن حبان في «صحيحه»، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «يَطَّلع الله إلى جميع خلقه ليلة النصف من شعبان، فيغفر لجميع خلقه إلاَّ لمشرك أو مشاحن»، وكذلك الدعاء المشهور بين العامة: =

٩ ﴿بل هم في شك﴾ من البعث ﴿يلعبون﴾ استهزاء بك يا محمد، فقال [ﷺ لما رأى من الناس إدباراً عن الإسلام]: «اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف» [رواه البخاري ومسلم]. ١٠ قال تعالى: ﴿فارتقب﴾ لهم ﴿يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾ فأجدبت الأرض، واشتد بهم الجوع، [حتى أكلوا العظام والميتة]، إلى أن رأوا من شدته، كهيئة الدخان، بين السماء والأرض. ١١ ﴿يغشى الناس﴾ فقالوا ﴿هذا عذاب أليم﴾ [فأتى أبو سفيان النبيَّ ﷺ فقال: يا محمد، إنك تأمر بطاعة الله وصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا، فادع الله لهم، فدعا رسول الله ﷺ لهم، فَسُقُوا الغيث، رواه الشيخان، وهذا قولهم:] ١٢ ﴿ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون﴾ مصدقون نبيك [إن كشفت عنا، ثم نقضوا قولهم ولم يؤمنوا]. ١٣ قال تعالى: ﴿أنى لهم الذكرى؟﴾ أي: لا ينفعهم الإيمان عند نزول العذاب ﴿وقد جاءهم رسول مبين﴾ بيِّن الرسالة، [أو: هو استبعاد لحصول الإيمان منهم، أي: من أين يكون لهم التذكر والاتعاظ، عند حلول العذاب المذكور، وقد جاءهم قبله رسول مبين، فلم يؤمنوا؟]. ١٤ ﴿ثم تولوا عنه وقالوا معلم﴾ أي: يعلِّمه القرآنَ بشرٌ، [وقالوا:] ﴿مجنون﴾. ١٥ ﴿إنا كاشفو العذاب﴾ أي: الجوع عنكم زمناً ﴿قليلاً﴾ فكُشِفَ عنهم ﴿إنكم عائدون﴾ إلى كفركم، فعادوا إليه. ١٦ اذكر ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى﴾ هو يوم بدر ﴿إنا منتقمون﴾ منهم، و «البطش»: الأخذ بقوة. ١٧ ﴿ولقد فتنا﴾ بلونا ﴿قبلهم قوم فرعون﴾ معه ﴿وجاءهم رسول﴾ هو موسى عليه السلام ﴿كريم﴾ على الله تعالى. ١٨ ﴿أن﴾ أي: بأن ﴿أدوا إليَّ﴾ ما أدعوكم إليه من الإيمان، أي: أظهروا إيمانكم بالطاعة لي يا ﴿عباد الله إني لكم رسول أمين﴾ على ما أرسلت به. ١٩ ﴿وأن لا تعلوا﴾ تتجبروا ﴿على الله﴾ بترك طاعته ﴿إني آتيكم بسلطان﴾ برهان ﴿مبين﴾ بيِّن على رسالتي. ٢٠ فتوعدوه بالرجم فقال: ﴿وإني عذت بربي وربكم أن ترجمون﴾ بالحجارة. ٢١ ﴿وإن لم تؤمنوا لي﴾ تصدقوني ﴿فاعتزلون﴾ فاتركوا أذاي، فلم يتركوه. ٢٢ ﴿فدعا ربه أن﴾ أي: بأن ﴿هؤلاء قوم مجرمون﴾ مشركون. ٢٣ فقال تعالى: ﴿فأسر﴾ بقطع الهمزة ووصلها ﴿بعبادي﴾ بني إسرائيل ﴿ليلاً إنكم متبعون﴾ يتبعكم فرعون وقومه.

بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ * وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾

نصف الحزب

= «اللهم يا ذا المنّ ولا يُمن عليه، إلخ...»، فإنه غير ثابت، وفيه ما لا يجوز الدعاء به كقول: «اللهم إن كنت كتبتني عندك في أم الكتاب شقياً أو محروماً أو مُقتَّراً عليَّ في الرزق، فامحُ اللهم بفضلك شقاوتي وحرماني وتقتير رزقي»، فهذا دعاء غير جائز لأن «أم الكتاب» هو ما سبق في علم الله تعالى، ولا يبدَّل ولا يتغير شيء مما سبق في علمه تعالى أنه كائن أو لا يكون، وأما الاستدلال بعد هذا الدعاء بقوله تعالى: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾ فهو استدلال غير صحيح، لأن معنى المحو والإثبات في الآية هو: النسخ في الأحكام فقط، وقد فصلنا القول في هذه الآية حيث هي من سورة «الرعد» ص ٣٢٨.

٢٤﴿واترك البحر﴾ إذا قطعته أنت وأصحابك ﴿رهواً﴾ ساكناً منفرجاً، حتى يدخله القبط [ـ فرعون وجنوده ـ ، ولا تضربه بعصاك ليلتئم] ﴿إنهم جند مغرقون﴾ فاطمأن [موسى] بذلك، فأغرقوا. ٢٥﴿كم تركوا من جنات﴾ بساتين ﴿وعيون﴾ تجري [و «كم» للتكثير، أي: تركوا كثيراً من ذلك]. ٢٦﴿وزروع ومقام كريم﴾ مجلس حسن. ٢٧﴿ونعمة﴾ متعة ﴿كانوا فيها فاكهين﴾ ناعمين. ٢٨﴿كذلك﴾ خبر مبتدأ، أي: الأمر [كذلك] ﴿وأورثناها﴾ أي: أموالهم ﴿قوماً آخرين﴾ أي: بني إسرائيل. ٢٩﴿فما بكت عليهم السماء والأرض﴾ بخلاف المؤمنين، [فتبكي عليهم السماء والأرض، لعظم المصيبة بفقدهم، وقيل:] يبكي[1] عليهم بموتهم، مصلّاهم من الأرض، ومصعد عملهم من السماء ﴿وما كانوا منظرين﴾ مؤخرين للتوبة، [وفيها جواز البكاء على الميت، وإظهار الحزن لفقد الصالحين]. ٣٠﴿ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين﴾ قتل الأبناء واستخدام النساء. ٣١﴿من فرعون﴾ قيل: بدل من «العذاب» بتقدير مضاف، أي: [«من» عذاب «فرعون»]، وقيل: حال من «العذاب» ﴿إنه كان عالياً من المسرفين﴾ [أي: متجبراً من الكافرين]. ٣٢﴿ولقد اخترناهم﴾ أي: بني إسرائيل ﴿على علم﴾ منا بحالهم ﴿على العالمين﴾ أي: عالمي زمانهم العقلاء، [من الإنس والجن]. ٣٣﴿وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين﴾ نعمة ظاهرة، من فلق البحر، و [إنزال] المن والسلوى وغيرهما. ٣٤﴿إن هؤلاء﴾ أي: كفار مكة ﴿ليقولون﴾. ٣٥﴿إن هي﴾ ما الموتة التي بعدها الحياة ﴿إلاّ موتتنا الأولى؟﴾ أي: وهم نُطَفٌ [في أصلاب الآباء] ﴿وما نحن بمنشرين﴾ بمبعوثين أحياء بعد [الموتة] الثانية. ٣٦ [وقالوا:] ﴿فأتوا بآبائنا﴾ أحياء ﴿إن كنتم صادقين﴾ أنا نُبعث بعد موتنا، أي: نَحيا. ٣٧ قال تعالى: ﴿أهم خير﴾ [في القوة والمَنَعة] ﴿أم قوم تبع؟﴾ [قيل] هو: نبي[2] أو: رجل صالح ﴿والذين من قبلهم﴾ من الأمم ﴿أهلكناهم﴾ بكفرهم، والمعنى: ليسوا أقوى منهم وأهلكوا ﴿إنهم كانوا مجرمين﴾. ٣٨﴿وما خلقنا السماوات والأرض وما

وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا

---

(١) قوله: «يبكي عليهم.. إلخ» لم يصح في هذا التحديد حديث مرفوع، بل رواه الترمذي وغيره بسند ضعيف عن أنس مرفوعاً، ورواه بعضهم عن علي وابن عباس وعدد من التابعين، فالآية عامة.

(٢) قوله: «هو نبي أو رجل صالح» الصحيح أنه ليس نبياً، وقومه هم «سبأ» الذين تقدم ذكرهم في أول سورة «سبأ» ٥٦٢، وكانوا يسمون ملكهم «تُبَّعاً» كما يسمّى ملك الفرس «كسرى»، وقد ذكرهم الله تعالى لأنهم كانوا عرباً من قحطان، وأهل مكة من عدنان ليعتبروا بهم، وكان «تبع» كافراً ثم أسلم وتابع دين الكليم موسى عليه السلام على يدي مَنْ كان في ذلك الزمان على الحق قبل بعثة السيد المسيح عليه السلام، توفي قبل بعثة النبي ﷺ بسبعمائة سنة. اهـ. عن تفسير ابن كثير بتصرف.

بينهما لاعبين﴾ بخلق ذلك، حال. ٣٩﴿ما خلقناهما﴾ وما بينهما ﴿إلاّ بالحق﴾ أي: محقين في ذلك، ليُسْتَدَل به على قدرتنا ووحدانيتنا وغير ذلك ﴿ولكن أكثرهم﴾ أي: كفار مكة [وغيرهم] ﴿لا يعلمون﴾. ٤٠﴿إن يوم الفصل﴾ يوم القيامة، يفصل الله فيه بين العباد ﴿ميقاتهم أجمعين﴾ للعذاب الدائم. ٤١﴿يوم لا يغني مولى عن مولى﴾ بقرابة أو صداقة، أي: لا يدفع عنه ﴿شيئاً﴾ من العذاب ﴿ولا هم ينصرون﴾ يمنعون منه، و «يوم» بدل من: «يوم الفصل». ٤٢﴿إلاّ من رحم الله﴾ وهم المؤمنون، فإنه يشفع[1] بعضهم لبعض بإذن الله ﴿إنه هو العزيز﴾ الغالب في انتقامه من الكفار ﴿الرحيم﴾ بالمؤمنين. ٤٣﴿إن شجرة الزقوم﴾ هي من أخبث الشجر المر بتهامة، ينبتها الله تعالى في الجحيم.

٤٤﴿طعام الأثيم﴾ أي: [الفاجر والكافر، مثل:] أبي جهل وأصحابه، [وسائر الكافرين] ذوي الإثم الكبير.

٤٥﴿كالمهل﴾ أي: كدُرْدِيّ الزيت الأسود، خبر ثان ﴿تغلي في البطون﴾ بالفوقانية خبر ثالث، وبالتحتانية حال من «المهل».

٤٦﴿كغلي الحميم﴾ الماء الشديد الحرارة.

٤٧﴿خذوه﴾ يقال للزبانية: خذوا الأثيم ﴿فاعتلوه﴾ بكسر التاء وضمها، جُرُّوه بغلظة وشدة ﴿إلى سواء الجحيم﴾ وسط النار.

٤٨﴿ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم﴾ أي: من الحميم الذي لا يفارقه العذاب، فهو أبلغ مما في آية: «يُصَبُّ من فوق رؤوسهم الحميم».

٤٩ ويقال له: ﴿ذق﴾ أي: العذابَ ﴿إنك أنت العزيز الكريم﴾ بزعمك وقولك: ما بين جبليها أعز وأكرم مني، [وقائل ذلك هو أبو جهل].

٥٠ ويقال لهم: ﴿إن هذا﴾ الذين ترون من العذاب ﴿ما كنتم به تمترون﴾ فيه، تَشُكُّون.

٥١﴿إن المتقين في مقام﴾ مجلس ﴿أمين﴾ يؤمن فيه الخوف.

٥٢﴿في جنات﴾ بساتين ﴿وعيون﴾.

٥٣﴿يلبسون من سندس وإستبرق﴾ أي: ما رَقَّ من الديباج، وما غَلُظَ منه ﴿متقابلين﴾ حال، أي: لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض، لدوران الأسِرَّة بهم.

٥٤﴿كذلك﴾ يقدَّر قبله: «الأمر»، [أي: «الأمر كذلك»] ﴿وزوجناهم﴾ من التزويج، أو: قرناهم ﴿بحور عين﴾ بنساء بيض واسعات الأعين حسانها. ٥٥﴿يدعون﴾ يطلبون الخدم ﴿فيها﴾ أي: الجنة، أن يأتوا ﴿بكل فاكهة﴾ منها ﴿آمنين﴾ من انقطاعها، ومضرتها، ومن كل مخوف، [و «آمنين»] حال.

بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَـٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَـٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَـٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾

(١) قوله: «فإنه يشفع بعضهم لبعض»، ارجع إلى تعليقنا حول «الشفاعة» ص ٦١٢.

٥٦﴿لا يذوقون فيها الموت﴾ [ألبتة[1]، بل يحيون فيها أبداً] ﴿إلاَّ﴾ [سوى] ﴿الموتة الأولى﴾ أي: التي [ذاقوها] في الدنيا، بعد حياتهم فيها، قال بعضهم: «إلاَّ» بمعنى: «بعد» [أي: لا يذوقون الموت أبداً، بعد الموتة الأولى التي ذاقوها بعد حياتهم في الدنيا] ﴿ووقاهم﴾ ربهم ﴿عذاب الجحيم﴾.

٥٧﴿فضلاً﴾ مصدر بمعنى: «تَفَضُّلاً»، منصوب بـ «تفضل» مقدراً ﴿من ربك ذلك هو الفوز العظيم﴾.

٥٨﴿فإنما يسرناه﴾ أي: سهلنا القرآن ﴿بلسانك﴾ بلغتك، لتفهمه العربُ عنك ﴿لعلهم يتذكرون﴾ يتعظون، فيؤمنون بك، لكنهم لا يؤمنون، [لأنهم لا يتفكرون ولا يعقلون].

٥٩﴿فارتقب﴾ انتظر هلاكهم ﴿إنهم مرتقبون﴾ هلاكك، وهذا قبل نزول الأمر بجهادهم.

لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

(٤٥) سورة الجاثية مكية
إلا آية ١٤ فمدنية
وآياتها ٣٧ نزلت بعد الدخان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن

﴿سورة الجاثية﴾

(مكية، إلاَّ: «قل للذين آمنوا يغفروا» الآية، وهي: ست، أو: سبع وثلاثون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١﴿حم﴾ الله أعلم بمراده به[2].

٢﴿تنزيل الكتاب﴾ القرآن، مبتدأ ﴿من الله﴾ خبره ﴿العزيز﴾ في ملكه ﴿الحكيم﴾ في صنعه.

٣﴿إن في السماوات والأرض﴾ أي: في خلقهما ﴿لآيات﴾ دالة على قدرة الله ووحدانيته تعالى ﴿للمؤمنين﴾.

٤﴿وفي خلقكم﴾ أي: في خلق كل منكم، من نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، إلى أن صار إنساناً ﴿و﴾ خلق ﴿ما يبث﴾ يفرّق في الأرض ﴿من دابة﴾ هي: ما يدب على الأرض من الناس وغيرهم ﴿آيات لقوم يوقنون﴾ بالبعث. ٥﴿و﴾ في ﴿اختلاف الليل والنهار﴾ ذهابهما ومجيئهما [متعاقبين، أو: زيادة أحدهما ونقصان الآخر] ﴿وما أنزل الله من السماء﴾ [أي: السحاب] ﴿من

---

(١) قولنا: «ألبتة»، يجوز فيه قطع الهمزة ووصلها.
(٢) قوله: «الله أعلم بمراده به»، ارجع إلى تعليقنا حول هذه الحروف ص ٣.

رزق﴾ مطر، لأنه سبب الرزق ﴿فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح﴾ تقليبها، مرة جنوباً ومرة شمالاً، وباردة وحارة، [وشديدة ولينة] ﴿آيات لقوم يعقلون﴾ الدليل، فيؤمنون.

٦﴿تلك﴾ الآيات المذكورة ﴿آيات الله﴾ حججه الدالة على وحدانيته ﴿نتلوها﴾ نقصها ﴿عليك بالحق﴾ متعلق بـ «نتلو» ﴿فبأي حديث بعد الله﴾ أي: [بعد] حديثه، وهو القرآن، ﴿وآياته﴾ حججه ﴿يؤمنون؟﴾ أي: كفار مكة، أي: لا يؤمنون، وفي قراءة بالتاء.

رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ

٧﴿ويل﴾ كلمة عذاب ﴿لكل أفاك﴾ كذاب ﴿أثيم﴾ كثير الإثم.

٨﴿يسمع آيات الله﴾ القرآن ﴿تتلى عليه ثم يصر﴾ على كفره ﴿مستكبراً﴾ متكبراً عن الإيمان ﴿كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم﴾ مؤلم.

٩﴿وإذا علم من آياتنا﴾ أي: القرآن ﴿شيئاً اتخذها هزؤاً﴾[1] [بالهمز مع ضم الزاي وسكونها، وفي قراءة: بضم الزاي وإبدال الهمزة واواً]، أي: مهزوءاً بها ﴿أولئك﴾ أي: الأفاكون ﴿لهم عذاب مهين﴾ ذو إهانة.

١٠﴿من ورائهم﴾ أي: أمامهم[2]، لأنهم الآن في الدنيا ﴿جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا﴾ من المال والفعال ﴿شيئاً ولا ما اتخذوا من دون الله﴾ أي: الأصنام ﴿أولياء ولهم عذاب عظيم﴾ [أي: دائم مؤلم].

١١﴿هذا﴾ القرآن ﴿هدى﴾ من الضلالة ﴿والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب﴾ حظ ﴿من رجز﴾ أي: عذاب ﴿أليم﴾ موجع.

١٢﴿الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك﴾ السفن ﴿فيه بأمره﴾ بإذنه ﴿ولتبتغوا﴾ تطلبوا بالتجارة ﴿من فضله ولعلكم تشكرون﴾. ١٣﴿وسخر

---

(١) قوله تعالى: ﴿اتخذها هزؤاً﴾ في هامش المخطوطة الأولى من تعليقات الناسخ ما يلي: «فائدة»: ترجيع الضمير في «اتخذها» إلى الآيات دون «شيئاً» للإشعار بأنه إذا سمع كلاماً وعلم أنه من الآيات، بادر إلى الاستهزاء بالآيات كلها، ولم يقتصر على ما سمعه، ولهذا قال الشيخ: ـ أي: المحلي ـ مهزوءاً بها.

(٢) قوله: «أي: أمامهم» هذا هو المعنى الصحيح، لقوله تعالى: ﴿من ورائهم﴾، وقد بينا وجه ذلك في تعليقنا ص ٣٣٢ فارجع إليه.

لكم ما في السموات﴾ من شمس وقمر، ونجوم وماء، وغيره ﴿وما في الأرض﴾ من دابة، وشجر ونبات وأنهار وغيرها، أي: خلق ذلك لمنافعكم ﴿جميعاً﴾ تأكيد ﴿منه﴾ حال أي: سخرها كائنة منه تعالى، [لا من غيره، فهو تعالى خالقها ومسخرها لكم] ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ فيها، فيؤمنون.

١٤﴿قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون﴾ يخافون ﴿أيام الله﴾ وقائعه، أي: اغفروا للكفار، وما وقع منهم من الأذى لكم، وهذا قبل الأمر بجهادهم ﴿ليجزي﴾ أي: الله، وفي قراءة بالنون ﴿قوماً بما كانوا يكسبون﴾ من الغفر للكفار أذاهم، [أي: فيثيبهم، وهم المؤمنون، أو: ليجزي الكافرين على أذاهم للمؤمنين].

لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ

١٥﴿من عمل صالحاً فلنفسه﴾ عمل ﴿ومن أساء فعليها﴾ أساء ﴿ثم إلى ربكم ترجعون﴾ تصيرون، فيجازي المصلح والمسيء.

١٦﴿ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب﴾ التوراة ﴿والحكم﴾ به بين الناس ﴿والنبوة﴾ لموسى وهارون منهم ﴿ورزقناهم من الطيبات﴾ الحلالات، كالمنّ والسلوى ﴿وفضلناهم على العالمين﴾ عالمي زمانهم العقلاء، [من الإنس والجن].

١٧﴿وآتيناهم بينات من الأمر﴾ أمر الدين، من الحلال والحرام، وبعثة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ﴿فما اختلفوا﴾ في بعثته ﴿إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم﴾ أي: لبغي حدث[1] بينهم، حسداً له ﴿إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾.

١٨﴿ثم جعلناك﴾ يا محمد ﴿على شريعة﴾ طريقة ﴿من الأمر﴾ أمر الدين ﴿فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾ في عبادة غير الله، [وهذا أمر ونهي لكل مسلم]. ١٩﴿إنهم لن يغنوا﴾ يدفعوا ﴿عنك من الله﴾ من عذابه ﴿شيئاً وإن الظالمين﴾ الكافرين ﴿بعضهم

(١) قوله: «لبغي حدث بينهم» أي: بغى بعضهم على بعض، وظلم بعضهم بعضاً، وذلك بحرص السادة منهم على مصالحهم ورياستهم، وإضلالهم إياهم عن الهدى، وهؤلاء هم الأتباع والمتبوعون الذين يختصمون يوم القيامة، ويلوم كل منهم الآخر، حيث لا ينفعهم لوم ولا ندامة.

أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾

أولياء بعض والله ولي المتقين﴾ المؤمنين. ٢٠﴿هذا﴾ القرآن ﴿بصائر للناس﴾ معالم، يتبصرون بها في الأحكام والحدود ﴿وهدى ورحمة لقوم يوقنون﴾ بالبعث. ٢١﴿أم﴾ بمعنى همزة الإنكار [أي: أ] ﴿حسب الذين اجترحوا﴾ اكتسبوا ﴿السيئات﴾ الكفر والمعاصي ﴿أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء﴾ خبر ﴿محياهم ومماتهم؟﴾ مبتدأ ومعطوف، والجملة بدل من الكاف [في «كالذين»]، والضميران للكفار، المعنى: أحسبوا أن نجعلهم في الآخرة في خير، كالمؤمنين؟ أي: في رَغَدٍ من العيش، مساوٍ لعيشهم في الدنيا، حيث قالوا للمؤمنين: لئن بُعِثْنا، لَنُعطى من الخير مثلَ ما تُعطون؟، قال تعالى على وفق إنكاره بالهمزة: ﴿ساء ما يحكمون﴾ أي: ليس الأمر كذلك، فهم في الآخرة في العذاب، على خلاف عيشهم في الدنيا، والمؤمنون في الآخرة في الثواب، بعملهم الصالحات في الدنيا، من الصلاة والزكاة والصيام وغير ذلك، و «ما» مصدرية، أي: بئس حُكماً حكمهم هذا. ٢٢﴿وخلق الله السماوات و﴾ خلق ﴿الأرض بالحق﴾ متعلق بـ «خلق»، ليدل على قدرته ووحدانيته ﴿ولتجزى كل نفس بما كسبت﴾ من المعاصي والطاعات، فلا يساوي الكافر المؤمن ﴿وهم لا يظلمون﴾. ٢٣ [عن سعيد بن جبير قال: كانت قريش تعبد الحجر حيناً من الدهر، فإذا وجدوا ما هو أحسن منه، طرحوا الأول وعبدوا الآخر فنزل:]﴿أفرأيت﴾ أخبرني ﴿من اتخذ إلٰهه هواه﴾ ما يهواه، من حجر بعد حجر يراه أحسن ﴿وأضله الله على علم﴾ منه تعالى، أي: عالماً بأنه من أهل الضلالة قبل خلقه، [أو: على علم من الضالّ بضلاله، وأنه ليس على حق] ﴿وختم على سمعه وقلبه﴾ فلم يسمع الهدى ولم يعقله ﴿وجعل على بصره غشاوة﴾ ظلمة، فلم يبصر الهدى، ويقدّر هنا المفعول الثاني لـ «رأيت»، أي: «أيهتدي»؟ ﴿فمن يهديه من بعد الله؟﴾ أي: بعد إضلاله إياه، أي: لا يهتدي ﴿أفلا تذكرون﴾ تتعظون؟ فيه إدغام إحدى التاءين في الذال، [وفي قراءة: بتخفيف الذال، أي: بتاء واحدة].

٢٤﴿وقالوا﴾ أي: منكرو البعث ﴿ما هي﴾ أي: الحياة ﴿إلاّ حياتنا﴾ التي في ﴿الدنيا نموت ونحيا﴾ أي: يموت بعض، ويحيا بعض بأن يولدوا ﴿وما يهلكنا إلاّ الدهر﴾ مرور الزمان، قال تعالى: ﴿وما لهم بذلك﴾ المقول ﴿من علم إن﴾ ما ﴿هم إلاّ يظنون﴾. ٢٥﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا﴾ من القرآن الدالة على قدرتنا على البعث ﴿بينات﴾ واضحات، حال ﴿ما كان حجتهم إلاّ أن قالوا ائتوا بآبائنا﴾ أحياء ﴿إن كنتم صادقين﴾ أنّا نبعث.

٢٦﴿قل الله يحييكم﴾ حين كنتم نطفاً ﴿ثم يميتكم ثم يجمعكم﴾ أحياء ﴿إلى يوم القيامة لا ريب﴾ [لا] شك ﴿فيه ولكن أكثر الناس﴾ وهم القائلون ما ذكر ﴿لا يعلمون﴾.

٢٧﴿ولله ملك السماوات والأرض ويوم تقوم الساعة﴾ يبدل منه: ﴿يومئذٍ يخسر المبطلون﴾ الكافرون، أي: يظهر خسرانُهم، بأن يصيروا إلى النار.

٢٨﴿وترى كل أمة﴾ أي: أهل الدين ﴿جاثية﴾ على الركب، أو: مجتمعة ﴿كل أمة تدعى إلى كتابها﴾ كتاب أعمالها، ويقال لهم: ﴿اليوم تجزون ما كنتم تعملون﴾ أي: جزاءه.

قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم

٢٩﴿هذا كتابنا﴾ ديوان الحفظة ﴿ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ﴾ نُثْبِتُ [فيه] ونحفظ ﴿ما كنتم تعملون﴾ [في الدنيا، من خير وشر، لنحاسبكم جميعاً].

٣٠﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته﴾ جنته ﴿ذلك هو الفوز المبين﴾ البيِّن الظاهر.

٣١﴿وأما الذين كفروا﴾ فيقال لهم ﴿أفلم تكن آياتي﴾ القرآن ﴿تتلى عليكم فاستكبرتم﴾ تكبرتم[1] ﴿وكنتم قوماً مجرمين﴾ كافرين؟ [أي: فادخلوا النار، جزاء كفركم وتكبركم].

٣٢﴿وإذا قيل﴾ لكم أيها الكفار ﴿إن وعد الله﴾ بالبعث ﴿حق والساعة﴾ بالرفع والنصب ﴿لا ريب﴾ [لا] شك ﴿فيها قلتم ما ندري ما الساعة؟ إن﴾ ما ﴿نظن إلا ظناً﴾ قال المبرد:[2] أصله: «إن نحن إلاّ نظن ظناً» ﴿وما نحن بمستيقنين﴾ أنها آتية.

٣٣﴿وبدا﴾ ظهر ﴿لهم﴾ في الآخرة ﴿سيئات ما عملوا﴾ في الدنيا أي: جزاؤها ﴿وحاق﴾ نزل ﴿بهم

---

(١) قوله: «تكبرتم»، ارجع إلى تعليقنا حول «الكبر» ص ٣٤٨.

(٢) قوله: «المبرِّد»، بكسر الراء مشددة هو: أبو العباس محمد بن يزيد البصري، النحوي، اللغوي، راوية الأدب المشهور، ومعنى «المبرد» المثبت للحق، وذلك أن المازني لما صنف كتابه «الألف واللام» سأل المبرِّدَ عن دقيقه وعويصه، فأجابه أحسن جواب، فقال له: قم فأنت المبرِّد، فعُرف بذلك، توفي سنة ست وثمانين ومائتين، ودفن بمقبرة باب الكوفة في بغداد.

ما كانوا به يستهزئون﴾ أي: العذابُ، [جزاء استهزائهم]. ٣٤﴿وقيل اليوم ننساكم﴾ نترككم في النار ﴿كما نسيتم لقاء يومكم هذا﴾ أي: تركتم العملَ للقائه ﴿ومأواكم النار وما لكم من ناصرين﴾ مانعين منها. ٣٥﴿ذلك بأنكم اتخذتم آيات الله﴾ القرآن ﴿هزؤاً﴾ [بالهمز مع ضم الزاي وسكونها، وفي قراءة: بضم الزاي وإبدال الهمزة واواً، أي: مهزوءاً بها] ﴿وغرتكم الحياة الدنيا﴾ حتى قلتم: لا بعث ولا حساب ﴿فاليوم لا يَخرجون﴾ بالبناء للفاعل وللمفعول ﴿منها﴾ من النار ﴿ولا هم يستعتبون﴾ أي: لا يطلب منهم أن يُرضوا ربهم بالتوبة والطاعة، لأنها لا تنفع يومئذٍ. ٣٦﴿فلله الحمد﴾ [هو:] الوصف بالجميل، على وفاء وعده في المكذبين[1] ﴿رب السماوات ورب الأرض رب العالمين﴾ خالق ما ذكر، و «العالَم»: ما سوى الله، وجُمِعَ لاختلاف أنواعه، و «رب» بدل.

٣٧﴿وله الكبرياء﴾[2] العظمة ﴿في السماوات والأرض﴾ حال، أي: كائنة فيهما ﴿وهو العزيز﴾ [في ملكه] ﴿الحكيم﴾ [في صنعه، كما] تقدم [في أكثر من موضع].

مَا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

(٤٦) سُورَةُ الأَحْقَافِ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا خَمْسٌ وَثَلَاثُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾

﴿سُورَةُ الأَحْقَافِ﴾

(مكية، إلا: «قل أرأيتم إن كان من عند الله» الآية،
وإلا: «فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل» الآية،
وإلا «ووصينا الإنسان بوالديه»، الثلاث آيات[3]،
وهي: أربع، أو: خمس وثلاثون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١﴿حم﴾ الله أعلم بمراده به.

٢﴿تنزيل الكتاب﴾ القرآن، مبتدأ ﴿من الله﴾ خبره ﴿العزيز﴾ في ملكه ﴿الحكيم﴾ في صنعه.

---

(١) قوله: «على وفاء وعده في المكذبين»، أي: وفي المؤمنين أيضاً، وإنما اقتصر المؤلف الجلال المحلي على المكذبين دفعاً لما يتوهم من أنه تعالى إنما يحمد على الفضل فقط، فأفاد أنه يُحْمَدُ على «العدل» كما يحمد على «الفضل»، فإدخاله الكافرين النار عدل لا ظلم فيه، وإدخال المؤمنين الجنة فضل منه تعالى.

(٢) قوله تعالى: ﴿وله الكبرياء﴾. روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله عز وجل: العزّ إزاري والكبرياء ردائي ــ أي هما لي وحدي ــ فَمَنْ ينازعني في واحد منهما فقد عذَّبْتُه»، ارجع إلى تعليقنا حول «التكبر» ص ٣٤٨.

(٣) قوله: «الثلاث آيات» بالإضافة، فيه الجمع بين «أل» التعريف والإضافة، وهذا غير مقبول لغة، فالصحيح أن يقول: «الثلاث الآيات».

٣﴿ما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلاّ﴾ خلقاً ﴿بالحق﴾ ليدل على قدرتنا ووحدانيتنا ﴿وأجل مسمى﴾ إلى فَنَائهما يوم القيامة ﴿والذين كفروا عما أنذروا﴾ خُوِّفوا به من القرآن ﴿معرضون﴾ [مُوَلُّون لاهون لا يؤمنون به].

٤﴿قل أرأيتم﴾ أخبروني ﴿ما تدعون﴾ تعبدون ﴿من دون الله﴾ أي: الأصنام، [و «ما»] مفعول أول لـ «رأى»] ﴿أروني﴾ أخبروني، تأكيد ﴿ماذا خلقوا﴾ مفعول ثان ﴿من الأرض؟﴾ بيان «ما» [من قوله: «ماذا»، على اعتبار أن «ما» اسم استفهام و «ذا» اسم موصول ويصح أن تكون بياناً لـ «ماذا» وهي كلها اسم استفهام] ﴿أم لهم شرك﴾ مشاركة ﴿في﴾ خلق ﴿السماوات﴾ مع الله؟، و «أم» بمعنى همزة الإنكار ﴿ائتوني بكتاب﴾ منزل ﴿من قبل هذا﴾ القرآن ﴿أو أثارة﴾ بقية ﴿من علم﴾ يؤثر عن الأولين، بصحة دعواكم في عبادة الأصنام، أنها تقربكم إلى الله [زلفى] ﴿إن كنتم صادقين﴾ في دعواكم.

الجزء السادس والعشرون

مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ

٦٦٦

٥﴿ومن﴾ استفهام بمعنى النفي، أي: لا أحد ﴿أضل ممن يدعو﴾ يعبد ﴿من دون الله﴾ أي: غيره ﴿من لا يستجيب له إلى يوم القيامة﴾ وهم: الأصنام، لا يجيبون عابديهم إلى شيء يسألونه أبداً ﴿وهم عن دعائهم﴾ عبادتهم ﴿غافلون؟﴾ لأنهم جماد لا يعقلون.

٦﴿وإذا حشر الناس كانوا﴾ أي: الأصنام، [والمعبودون من دون الله كافة] ﴿لهم﴾ لعابديهم ﴿أعداء وكانوا بعبادتهم﴾ بعبادة عابديهم ﴿كافرين﴾ جاحدين.

٧﴿وإذا تتلى عليهم﴾ أي: أهل مكة ﴿آياتنا﴾ القرآن ﴿بينات﴾ ظاهرات، حال ﴿قال الذين كفروا﴾ منهم ﴿للحق﴾ أي: القرآن ﴿لما جاءهم هذا سحر[1] مبين﴾ بيِّن ظاهر.

٨﴿أم﴾ بمعنى «بل»، و [بمعنى] همزة الإنكار ﴿يقولون افتراه﴾ أي: القرآن؟ ﴿قل إن افتريته﴾ فَرَضاً [كما تقولون] ﴿فلا تملكون لي من الله﴾ [أي:] من عذابه ﴿شيئاً﴾ أي: لا تقدرون على دفعه عني، إذا عذبني الله ﴿هو أعلم بما تفيضون فيه﴾ [أي:] تقولون في القرآن [من التكذيب، والإفاضة في الشيء: الخوض فيه والاندفاع، يقال: أفاضوا في الحديث، أي: اندفعوا فيه] ﴿كفى به﴾ تعالى ﴿شهيداً بيني وبينكم وهو الغفور﴾ لمن تاب

(١) قوله تعالى: ﴿سحر مبين﴾، ارجع إلى تعليقنا حول «السحر» ص ٢١٠.

﴿الرحيم﴾ به، فلم يعاجلكم بالعقوبة.

٩﴿قل ما كنت بدعاً﴾ بديعاً ﴿من الرسل﴾ أي: [لست] أول مرسل، قد سبق قبلي كثيرون منهم، فكيف تكذبونني؟ ﴿وما أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾ في الدنيا[1]، أأخرج من بلدي، أم أقتل كما فُعِلَ بالأنبياء قبلي؟ أو تُرْمَونَ بالحجارة؟ أو يُخسَفُ بكم كما فُعِلَ بالمكذبين قبلكم؟ ﴿إن﴾ ما ﴿أتبع إلاَّ ما يوحى إلي﴾ أي: القرآن، ولا أبتدع من عندي شيئاً ﴿وما أنا إلاَّ نذير مبين﴾ بيِّنُ الإنذار.

١٠﴿قل أرأيتم﴾ أخبروني، ماذا حالكم ﴿إن كان﴾ أي: القرآن ﴿من عند الله وكفرتم به﴾ جملة حالية ﴿وشهد شاهد من بني إسرائيل﴾ [أخرج الشيخان، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: أن الشاهد] هو عبد الله بن سلام ﴿على مثله﴾ أي: عليه، أنه من عند الله ﴿فآمن﴾ الشاهد ﴿واستكبرتم﴾ تكبرتم عن الإيمان؟ وجواب الشرط، بما [أي: مع ما] عُطف عليه [محذوف، تقديره:] ألستم ظالمين؟ دل عليه: ﴿إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾.

١١﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا﴾ أي: [قالوا] في حقهم ﴿لو كان﴾ الإيمان ﴿خيراً ما سبقونا إليه وإذ لم يهتدوا﴾ أي: القائلون ﴿به﴾ أي: بالقرآن ﴿فسيقولون هذا﴾ أي: القرآن ﴿إفك﴾ كذب ﴿قديم﴾ [كقولهم: «أساطير الأولين»].

١٢﴿ومن قبله﴾ أي: القرآن ﴿كتاب موسى﴾ أي التوراة ﴿إماماً ورحمة﴾ للمؤمنين به، حالان ﴿وهذا﴾ أي: القرآن ﴿كتاب مصدق﴾ للكتب قبله ﴿لساناً عربياً﴾ حال من الضمير في «مصدق» ﴿لينذر الذين ظلموا﴾ مشركي مكة [وغيرها] ﴿و﴾ هو ﴿بشرى للمحسنين﴾ للمؤمنين.

١٣﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ على الطاعة. ﴿فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾.

١٤﴿أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها﴾ حال ﴿جزاء﴾ منصوب على المصدر بفعله المقدر، أي: يُجْزَوْن ﴿بما كانوا يعملون﴾.

ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

---

(١) قوله: «في الدنيا»، هذا قول الحسن البصري رحمه الله وجماعة. قال ابن كثير: وهذا الذي عول عليه ابن جرير الطبري، وأنه لا يجوز غيره، ولا شك في أن هذا هو اللائق به ﷺ، فإنه بالنسبة إلى الآخرة جازم بأنه يصير إلى الجنة هو ومن اتبعه، وعلى القول الآخر فإن قوله تعالى: ﴿وما أدري ما يُفعل بي ولا بكم﴾ أي: في الآخرة منسوخ بقوله تعالى: ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾.

١٥ ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسناً﴾ وفي قراءة: «إحساناً»، أي: أمرناه أن يحسن إليهما، فَنَصْبُ «إحساناً» على المصدر بفعله المقدر، ومثله «حُسناً» ﴿حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً﴾ أي: على مشقة ﴿وحمله وفصاله﴾ من الرضاع ﴿ثلاثون شهراً﴾ ستة [أشهر]، أقل مدة الحمل، والباقي أكثر مدة الرضاع، وقيل: إن حملت به ستة أو تسعة، أرضعته الباقي ﴿حتى﴾ غاية لجملة مقدرة، أي: وعاش حتى ﴿إذا بلغ أشده﴾ هو كمال قوته وعقله ورأيه، أقله ثلاث وثلاثون سنة، أو ثلاثون ﴿وبلغ أربعين سنة﴾ أي: تمامها، وهو أكثر الأشُدِّ ﴿قال رب﴾ إلخ، قيل: نزل في أبي بكر الصديق[1]، لما بلغ أربعين سنة، من بعد سنتين من مبعث النبي ﷺ، آمن به، ثم آمن أبواه، ثم ابنه عبد الرحمن، وابن عبد الرحمن أبو عتيق، [واسمه محمد]، ﴿أوزعني﴾ ألهمني ﴿أن أشكر نعمتك التي أنعمت﴾ بها ﴿علي وعلى والدي﴾ وهو التوحيد ﴿وأن أعمل صالحاً ترضاه﴾ فأعتق تسعةً من المؤمنين، يعذَّبون في الله ﴿وأصلح لي في ذريتي﴾ فكلهم مؤمنون ﴿إني تبت إليك وإني من المسلمين﴾.

١٦ ﴿أولئك﴾ أي: قائلو هذا القول أبو بكر وغيره ﴿الذين نتقبل عنهم أحسن﴾ بمعنى: حسن ﴿ما عملوا﴾ [أي: الحسنات] ﴿ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة﴾ حال، أي: كائنين في جملتهم ﴿وعد الصدق الذي كانوا يوعدون﴾ في قوله تعالى: «وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات».

١٧ ﴿والذي قال لوالديه﴾ بالإفراد[2]، أريد به الجنس ﴿أف﴾ بكسر الفاء [مع التنوين وتركه]، وفتحها [من غير تنوين] بمعنى مصدر، أي نتناً وقبحاً ﴿لكما﴾ أتضجر منكما ﴿أتعدانني﴾ وفي قراءة بالإدغام ﴿أن أخرج﴾ من القبر ﴿وقد خلت القرون﴾ الأمم ﴿من قبلي﴾ ولم تخرج من القبور ﴿وهما يستغيثان الله﴾ يسألانه الغوث برجوعه، ويقولان: إن لم ترجع، ﴿ويلك﴾ أي: هلاكَكَ، بمعنى «هَلَكْتَ» ﴿آمن﴾ بالبعث ﴿إن وعد الله حق فيقول ما هذا﴾ أي: القول بالبعث ﴿إلا أساطير الأولين﴾ أكاذيبهم.

وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ

١٨ ﴿أولئك الذين حق﴾ وجب ﴿عليهم القول﴾ بالعذاب ﴿في أمم قد خلت من قبلهم من

(١) قوله: «نزل في أبي بكر الصديق.. إلخ» هذا ما رواه الواحدي في «أسباب النزول»، وهو غير موافق لواقع الحال، لأن أبا قحافة والد أبي بكر رضي الله عنهما لم يُسلم إلا بعد فتح مكة، وكان عُمر أبي بكر وقتها تسعاً وخمسين سنة، بل الصحيح أن الآية عامة، وهي حث للإنسان على التمسك بقوة بدين الله تعالى إذا بلغ أربعين سنة، لأنه سن كمال العقل والجسم، يؤيده سياق الآيات.

(٢) قوله: «بالإفراد»، أي: بإفراد كلمة «الذي»، وفاعل «قال»، وهذه ليست قراءة كما قد يفهم من قوله: «بالإفراد»، فجاء اسم الموصول وعائده مفردين، والمراد بهما جنس الإنسان الكافر العاق، من غير تعيين على الصحيح، كما ذكرنا في التعليق السابق.

الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين﴾. ١٩﴿ولكل﴾ من جنسي المؤمن والكافر ﴿درجات﴾ فدرجات المؤمنين في الجنة عالية، ودرجات الكافرين في النار سافلة، [وقد سماها الله تعالى «دَرَكات» فقال: «إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار»] ﴿مما عملوا﴾ أي: المؤمنون من الطاعات، والكافرون من المعاصي ﴿وليوفيهم﴾ أي: الله، وفي قراءة بالنون ﴿أعمالهم﴾ أي: جزاءها ﴿وهم لا يظلمون﴾ شيئاً، [بأن] يُنْقَص للمؤمنين [من حسناتهم]، ويزاد للكفار [في سيئاتهم].

٢٠﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار﴾ بأن تكشف لهم، يقال لهم ﴿أذهبتم﴾ بهمزة، وبهمزتين [محققتين مع المد ودونه]، وبهمزة[1] ومدة، وبهما وتسهيل الثانية [بمدة ودونها] ﴿طيباتكم﴾ باشتغالكم بلذاتكم ﴿في حياتكم الدنيا واستمتعتم﴾ تمتعتم ﴿بها فاليوم تجزون عذاب الهون﴾ أي: الهوان [والخزي] ﴿بما كنتم تستكبرون﴾ تتكبرون[2] ﴿في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون﴾ به، [أي: بتكبركم]، وتعذبون بها، [أي: النار].

٢١﴿واذكر أخا عاد﴾ هو: هود عليه السلام ﴿إذ﴾ إلخ، بدل اشتمال ﴿أنذر قومه﴾ خوفهم ﴿بالأحقاف﴾[3] وادٍ باليمن، به منازلهم ﴿وقد خلت النذر﴾ مضت الرسل ﴿من بين يديه ومن خلفه﴾ أي: من قبل هود ومن بعده، إلى أقوامهم ﴿أ﴾ن [أي:] بأن قال ﴿لا تعبدوا إلا الله﴾ وجملة: «وقد خلت» معترضة ﴿إني أخاف عليكم﴾ إن عبدتم غير الله ﴿عذاب يوم عظيم﴾.

٢٢﴿قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا﴾ لتصرفنا عن عبادتها ﴿فأتنا بما تعدنا﴾ من العذاب على عبادتها ﴿إن كنت من الصادقين﴾ في أنه يأتينا.

٢٣﴿قال﴾ هود ﴿إنما العلم عند الله﴾ هو الذي يعلم، متى يأتيكم العذاب ﴿وأبلغكم ما أرسلت به﴾ إليكم ﴿ولكني أراكم قوماً تجهلون﴾ باستعجالكم العذاب.

٢٤﴿فلما رأوه﴾ أي: [رأوا] ما [وعدهم به، و] هو العذاب ﴿عارضاً﴾ سحاباً عرض في أفق السماء ﴿مستقبل أوديتهم قالوا

ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَـٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَـٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ * وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَـٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟

ربع الحزب

(١) قوله: «وبهمزة ومدة»، هو هكذا في المخطوطات والنسخ المطبوعة، وهذه قراءة شاذة للحسن البصري رحمه الله، وكان حق الجلال المحلي أن يشير إليها بـ «قرئ» كما هي عادته، أما القراءات الأخرى التي ذكرها فهي صحيحه.

(٢) قوله: «تتكبرون» ارجع إلى تعليقنا حول «الكبر» ص ٣٤٨.

(٣) قوله تعالى: ﴿بالأحقاف﴾، هي: بلاد «عاد» قوم نبي الله «هود» عليه السلام. ارجع إلى تعليقنا «حولها» ص ٢٩١.

هذا عارض ممطرنا﴾ أي: مطر أتانا، قال تعالى: ﴿بل هو ما استعجلتم به﴾ من العذاب [بقولكم: «فأتنا بما تعدنا»] ﴿ريح﴾ بدل من «ما» ﴿فيها عذاب أليم﴾ مؤلم. ٢٥ ﴿تدمر﴾ تُهلك ﴿كل شيء﴾ مرت عليه ﴿بأمر ربها﴾ بإرادته، أي: كل شيء أراد إهلاكه بها، فأهلكت رجالهم ونساءهم، وصغارهم وأموالهم، بأن طارت بذلك بين السماء والأرض ومزقته، وبقي هود ومَنْ آمن معه ﴿فأصبحوا لا يرى إلّا مساكنهم كذلك﴾ كما جزيناهم ﴿نجزي القوم المجرمين﴾ غيرَهم. ٢٦ ﴿ولقد مكناهم فيما﴾ في الذي ﴿إن﴾ نافية [بمعنى «ما»]، أو: زائدة ﴿مكناكم﴾ يا أهل مكة ﴿فيه﴾ من القوة والمال ﴿وجعلنا لهم سمعاً﴾ بمعنى: أسماعاً ﴿وأبصاراً وأفئدة﴾ قلوباً ﴿فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء﴾ أي: شيئاً من الإغناء،

هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم

و «من» زائدة ﴿إذ﴾ معمولة لـ «أغنى»، وأُشربت [«إذ»] معنى التعليل، [أي: لأنهم] ﴿كانوا يجحدون بآيات الله﴾ حججه البينة ﴿وحاق﴾ نزل ﴿بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ أي: العذاب. ٢٧ ﴿ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى﴾ أي: أهلها، كثمود وعاد وقوم لوط ﴿وصرفنا الآيات﴾ كررنا الحجج البينات ﴿لعلهم يرجعون﴾ [عن كفرهم، فلم يرجعوا، فلا تكونوا مثلهم]. ٢٨ ﴿فلولا﴾ هلاَّ ﴿نصرهم﴾ بدفع العذاب عنهم ﴿الذين اتخذوا من دون الله﴾ أي: غيره ﴿قرباناً﴾ متقرباً بهم إلى الله ﴿آلهة﴾ معه وهم: الأصنام، ومفعول «اتخذ» الأول، ضمير محذوف يعود على الموصول، أي: هم، [«تقديره: اتخذوهم]»، و «قرباناً» [هو المفعول] الثاني، و «آلهة» بدل منه ﴿بل ضلوا﴾ غابوا ﴿عنهم﴾ عند نزول العذاب ﴿وذلك﴾ أي: اتخاذهم الأصنام آلهة قرباناً ﴿إفكهم﴾ كذبهم ﴿وما كانوا يفترون﴾ يكذبون، و «ما» مصدرية، أو موصولة، والعائد محذوف، أي: فيه. ٢٩ ﴿و﴾ اذكر ﴿إذ صرفنا﴾ أَمَلْنا [ووجهنا وبعثنا] ﴿إليك نفراً من الجن﴾ جن «نَصيبين» من اليمن، أو: جن «نينوى»، وكانوا سبعة أو تسعة، وكان ﷺ ببطن نخلة[1] يصلي بأصحابه الفجر، رواه الشيخان [وغيرهما عن ابن عباس] ﴿يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا﴾ أي: قال بعضهم لبعض ﴿أنصتوا﴾ أصغوا لاستماعه ﴿فلما قضي﴾ فرغ من قراءته ﴿ولوا﴾ رجعوا ﴿إلى قومهم

---

(١) قوله: «ببطن نخلة»، هذا هو الصواب كما في المخطوطتين، وهو موضع في الطريق إلى الطائف عندما كان ﷺ قاصداً سوق عكاظ، أما «بطن نخل» ـ كما في إحدى المخطوطات وبعض الطبعات ـ الذي هو على مرحلتين من المدينة حيث صلى النبي ﷺ صلاة الخوف فهو غير مراد هنا، فأخبر الله تعالى نبيّه باستماع الجن القرآن أول مرة وما قالوه بعد استماعه، ونزل في ذلك أول سورة «الجن» كما سيأتي بيانه في تعليقنا هناك ص ٧٧٠، هذا ما رواه الشيخان وغيرهما الذي أشار إليه الجلال المحلي، أما نزول هذه الآية:=

منذرين﴾ مخوفين قومهم العذاب، إن لم يؤمنوا، وكانوا يهوداً [فأسلموا]. ٣٠﴿قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً﴾ هو القرآن ﴿أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه﴾ أي: تقدمه، كالتوراة ﴿يهدي إلى الحق﴾ الإسلام ﴿وإلى طريق مستقيم﴾ أي: طريقه. ٣١﴿يا قومنا أجيبوا داعي الله﴾ محمداً ﷺ، إلى الإيمان ﴿وآمنوا به يغفر﴾ الله ﴿لكم من ذنوبكم﴾ أي: بعضها، لأن منها: المظالم، لا تُغْفَرُ إلاَّ برضى أربابها ﴿ويجركم من عذاب أليم﴾ مؤلم.

٣٢﴿ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض﴾ أي: لا يعجز الله بالهرب منه، فيفوته ﴿وليس له﴾ لمن لا يجيب ﴿من دونه﴾ أي: الله ﴿أولياء﴾ أنصار يدفعون عنه العذاب ﴿أولئك﴾ الذين لم يجيبوا ﴿في ضلال مبين﴾ بيِّن ظاهر.

٣٣﴿أو لم يروا﴾ يعلموا، أي: منكرو البعث. ﴿أن الله الذي خلق السماوات والأرض ولم يعي بخلقهن﴾ لم يَعْجِزْ عنه ﴿بقادر﴾ خبر «أن» وزيدت الباء فيه، لأن الكلام في قوة[1]: «أليس الله بقادر؟» ﴿على أن يحيي الموتى؟ بلى﴾ هو قادر على إحياء الموتى ﴿إنه على كل شيء قدير﴾.

٣٤﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار﴾ بأن يعذبوا بها، يقال لهم: ﴿أليس هذا﴾ التعذيب ﴿بالحق؟ قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾.

٣٥﴿فاصبر﴾ على أذى قومك ﴿كما صبر أولو العزم﴾[2] ذوو الثبات والصبر على الشدائد ﴿من الرسل﴾ قبلك، فتكون ذا عزم، و «من» للبيان، فكلهم ذوو عزم، وقيل: للتبعيض، فليس منهم «آدم» لقوله تعالى: «ولم نجد له عزماً»، ولا «يونس» لقوله تعالى: «ولا تكن كصاحب الحوت» ﴿ولا تستعجل لهم﴾ لقومك نزول العذاب بهم، قيل: كأنه ضجر منهم، فأحب نزول العذاب بهم، فأُمر بالصبر وترك الاستعجال للعذاب، فإنه نازل بهم لا محالة ﴿كأنهم يوم يرون

مُنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ

= ﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن﴾ إلخ، فلم يخرج الشيخان أنها نزلت بسبب ذلك؛ بل أخرجه الحاكم ــ وصححه ــ وأقرّه الحافظ الذهبي، وأخرجه أيضاً البيهقي في «الدلائل» عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(١) قوله: «في قوة: أليس الله بقادر»، يشير الجلال المحلي بهذا إلى أحد أسباب زيادة الباء، وهو: زيادتها في خبر الفعل المنفي الناسخ للمبتدأ والخبر، فـ «أن» حرف مشبه بالفعل، وهو منفي، فجاءت «الباء» زائدة في خبرها ــ أي: في «بقادر».

(٢) قوله تعالى: ﴿أولو العزم من الرسل﴾ قال ابن كثير وغيره ما مجمله: وقد اختلفوا في مقدارهم على أقوال أشهرها أنهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وذلك استنتاجاً من بعض الآيات لا بناء على دليل، ويحتمل أن يكون المراد بأولي العزم جميع الرسل فتكون «من» في قوله: ﴿من الرسل﴾ لبيان الجنس وعلى القول الأول: هي تبعيضية، وقيل: الظاهر أن الخلاف لفظي من حيث أصل العزم وكماله، فكلهم أصحاب عزم ولكنهم متفاوتون في ذلك.

مـا يوعـدون﴾ مـن العذاب في الآخرة ، لطولـه ﴿لم يلبثوا﴾ في الدنيا، في ظنهم ﴿إلاّ ساعة من نهار﴾، هـذا القرآن ﴿بلاغ﴾ تبليغ من الله إليكم ﴿فهل﴾ أي: لا ﴿يهلك﴾ عند رؤية العذاب ﴿إلاّ القوم الفاسقون؟﴾ أي: الكافرون.

مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ

﴿سُورَةُ مُحَمَّد﴾

[وتسمى سُورَة مُحَمَّد ﷺ]

(مدنية، إلاّ: «وكأيِّن من قرية» الآية،
أو: مكية، وهي: ثمان، أو: تسع وثلاثون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿الذين كفروا﴾ من أهل مكة [وغيرهم] ﴿وصدوا﴾ غيرهم ﴿عن سبيل الله﴾ أي: الإيمان ﴿أضل﴾ أحبط ﴿أعمالهم﴾ [الصالحة]، كإطعام الطعام وصلة الأرحام، فلا يرون لها في الآخرة ثواباً، [لأن الثواب مرتبط بالإيمان]، ويجزون(1) بها في الدنيا، من فضله تعالى.

٢ ﴿والذين آمنوا﴾ أي: الأنصار(2) وغيرهم ﴿وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد﴾ أي: القرآن ﴿وهو الحق من ربهم كفر عنهم﴾ غفر لهم ﴿سيئاتهم وأصلح بالهم﴾ أي: حالهم، فلا يعصونه.

٣ ﴿ذلك﴾ أي: إضلال الأعمال [للكافرين]، وتكفير السيئات [للمؤمنين] ﴿بأن﴾ بسبب أن ﴿الذين كفروا اتبعوا الباطل﴾ الشيطان ﴿وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق﴾ القرآن ﴿من ربهم كذلك﴾ أي: مِثلَ ذلك البيان ﴿يضرب الله للناس أمثالهم﴾ أي: يبين أحوالهم، فالكافر يُحْبَطُ عملُه والمؤمن يُغْفَرُ زَلَلُهُ. ٤ ﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب

---

(١) قوله: «ويجزون بها في الدنيا»، فقد روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة، يعطي بها في الدنيا ويجزي بها في الآخرة، أما الكافر فيُطْعَمُ بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها».

(٢) قوله: «الأنصار»، هم المسلمون من أهل «المدينة» الذين آووا رسول الله ﷺ ونصروه، ارجع إلى تعليقنا حولهم ص ٢٣٨.

الرقاب﴾ مصدر، بدل من اللفظ بفعله[1]، أي: فاضربوا رقابهم، أي: اقتلوهم، وعَبَّرَ بـ «ضرب الرقاب»، لأن الغالب في القتل، أن يكون بضرب الرقبة ﴿حتى إذا أثخنتموهم﴾ أكثرتم فيهم القتل ﴿فشدوا﴾ أي: فأمسكوا عنهم وأسِروُهُم، وشُدُّوا ﴿الوثاق﴾ ما يوثق به الأسرى ﴿فإما مناً بعد﴾ مصدر، بدل من اللفظ بفعله[1]، أي: تمنون عليهم، بإطلاقهم من غير شيء ﴿وإما فداء﴾ أي: تفادونهم بمال، أو: أسرى مسلمين ﴿حتى تضع الحرب﴾ أي: أهلها ﴿أوزارها﴾ أثقالها، من السلاح وغيره، بأن يُسلم الكفار، أو يدخلوا في العهد، وهذه غاية للقتل والأسر ﴿ذلك﴾ خبر مبتدأ مقدر، أي: الأمر فيهم ما ذكر ﴿ولو يشاء الله لانتصر منهم﴾ بغير قتال ﴿ولكن﴾ أمركم به ﴿ليبلو بعضكم ببعض﴾ منهم في القتال، فيصير من قُتل منكم إلى الجنة، ومن قُتل منهم إلى النار ﴿والذين قتلوا﴾ وفي قراءة: «قاتلوا» الآية، [أخرج ابن أبي حاتم، عن قتادة السَّدوسي قال:] نزلت يوم أحد[2]، وقد فشا في المسلمين القتل والجراحات ﴿في سبيل الله فلن يضل﴾ يحبط ﴿أعمالهم﴾. ٥﴿سيهديهم﴾ في الدنيا والآخرة، إلى ما ينفعهم ﴿ويصلح بالهم﴾ حالهم فيهما، وما في الدنيا[3] لمن لم يُقتَل، وأدرجوا في «قتلوا» تغليباً. ٦﴿ويدخلهم الجنة عرفها﴾ بيَّنَها ﴿لهم﴾ فيهتدون إلى مساكنهم منها، وأزواجهم وخدمهم، من غير استدلال. ٧﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله﴾ أي: دينه ورسوله ﴿ينصركم﴾ على عدوكم ﴿ويثبت أقدامكم﴾ يثبتكم في المعترك. ٨﴿والذين كفروا﴾ من أهل مكة، مبتدأ خبره [محذوف تقديره:] «تَعِسُوا»، يدل عليه: ﴿فتعساً لهم﴾ أي: هلاكاً وخيبة من الله ﴿وأضل أعمالهم﴾ عطف على «تعسوا» [المقدَّر]. ٩﴿ذلك﴾ أي: التعس والإضلال ﴿بأنهم كرهوا ما أنزل الله﴾ من القرآن المشتمل على التكاليف ﴿فأحبط أعمالهم﴾.

١٠﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم﴾ أهلك أنفسهم وأولادهم وأموالهم ﴿وللكافرين أمثالها﴾ أمثال عاقبة ما قبلهم. ١١﴿ذلك﴾ أي: نصر المؤمنين، وقهر الكافرين ﴿بأن الله مولى﴾ ولي وناصر ﴿الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم﴾ [أي: لا ينصرهم أحد من الله تعالى]. ١٢﴿إن الله يدخل

ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا
بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ ذَٰلِكَۖ وَلَوۡ
يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ
وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٤﴾
سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ﴿٥﴾ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا
لَهُمۡ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ
وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ
أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ
أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٩﴾ ۞ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ
كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ
وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ

(١) قوله في الموضعين: «مصدر بدل من اللفظ بفعله»، ليس المراد به البدل الاصطلاحي، بل يشير إلى استعمال «ضَرْب» المصدر عوضاً عن فعله «اضربوا»، واستعمال «منّاً» بدل «تمنوا».

(٢) قوله: «يوم أُحُد»، هو: جبل قرب المدينة حصلت عنده المعركة المعروفة، في السنة الثالثة للهجرة.

(٣) قوله: «وما في الدنيا» إلخ، أي: من الهداية وإصلاح البال هو لمن لم يقتل من المجاهدين، فهؤلاء يكافئهم بالهداية وإصلاح البال في الدنيا، أما الذين قُتلوا وماتوا منهم، فأولئك سيثيبهم الله في الآخرة بإنزالهم منازل الشهداء الأبرار.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوًى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٍ وَأَنۡهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٌ مِّنۡ خَمۡرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٌ مِّنۡ عَسَلٍ مُّصَفًّىۖ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمۡۖ كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٌ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ﴿١٥﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ

الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار والذين كفروا يتمتعون﴾ في الدنيا ﴿ويأكلون كما تأكل الأنعام﴾ أي: ليس لهم همٌّ إلاّ بطونهم وفروجهم، ولا يلتفتون إلى الآخرة ﴿والنار مثوى لهم﴾ منزل ومقام ومصير.

١٣ ﴿وكأين﴾ وكم ﴿من قرية﴾ أريد بها أهلها ﴿هي أشد قوة من قريتك﴾ مكة، أي: أهلها ﴿التي أخرجتك﴾ روعي لفظ «قرية» ﴿أهلكناهم﴾ روعي معنى «قرية» ـ الأولى ـ ﴿فلا ناصر لهم﴾ من إهلاكنا. ١٤ ﴿أفمن كان على بينة﴾ حجة وبرهان ﴿من ربه﴾ وهم المؤمنون ﴿كمن زين له سوء عمله﴾ فرآه حسناً، وهم كفار مكة ﴿واتبعوا أهواءهم﴾ في عبادة الأوثان؟ أي: لا مماثلة بينهما. ١٥ ﴿مثل﴾ أي: صفةُ ﴿الجنة التي وعد المتقون﴾ المشتركة بين داخليها، مبتدأ خبره ﴿فيها أنهار من ماء غير آسن﴾ بالمد والقصر، كـ «ضارب» و «حَذِر»، أي: غير متغير [الرائحة]، بخلاف ماء الدنيا، فيتغير لعارض ﴿وأنهار من لبن لم يتغير طعمه﴾ بخلاف لبن الدنيا، لخروجه من الضروع ﴿وأنهار من خمر لذة﴾ لذيذة ﴿للشاربين﴾ بخلاف خمر الدنيا، فإنها كريهة عند الشرب، [مضرة للعقل والجسم] ﴿وأنهار من عسل مصفى﴾ بخلاف عسل الدنيا، فإنه لخروجه من بطون النحل، يخالطه الشمع وغيره ﴿ولهم فيها﴾ أصناف ﴿من كل الثمرات ومغفرة من ربهم﴾ فهو راض عنهم، مع إحسانه عليهم بما ذكر، بخلاف سَيِّد العبيد في الدنيا، فإنه قد يكون مع إحسانه إليهم، ساخطاً عليهم ﴿كمن هو خالد في النار﴾ خبر مبتدأ مقدر، أي: «أَمَنْ هو في هذا النعيم، [كمن هو]» إلخ، ﴿وسقوا ماء حميماً﴾ أي: شديد الحرارة ﴿فقطع أمعاءهم﴾[1] أي: مصارينهم، فخرجت من أدبارهم، وهو جمع «مِعًى» بالقصر، وألفه [عوض] عن ياء، لقولهم [في تثنيته]: «معيان».

١٦ ﴿ومنهم﴾ أي: الكفار ﴿من يستمع إليك﴾ في خطبة الجمعة، وهم المنافقون ﴿حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم﴾ لعلماء الصحابة، منهم: عبد الله بن مسعود، وابن عباس، استهزاءً وسخرية: ﴿ماذا قال﴾ [محمد] ﴿آنفاً؟﴾ بالمد والقصر، أي: [هذه]الساعة، أي: لا نرجع إليه، [قال ابن عباس: كنتُ ممن يُسْأَلُ، ـ أي: على صغر سنّه ـ] ﴿أولئك

(١) قوله تعالى: ﴿فقطع أمعاءهم﴾، إنّ وصف الجنة وما فيها من نعيم، والنار وما فيها من عذاب، دليل صريح على أن نعيم الجنة حقيقي محسوس، يتلذذ به المؤمن بجسده وحواسه، وأن عذاب النار أيضاً عذاب حقيقي محسوس، وليس كما يزعم بعض الزنادقة القائلين: إن النعيم والعذاب معنويان، وإن الكافرين يعذبون بحجبهم عن الله، والمؤمنين ينعمون بقربهم منه تعالى، وينكرون ما في الجنة من نعيم كالفواكه والأنهار والحور العين أن تكون أموراً حقيقية، ويَدَّعون أنها تعابير مجازية، ويقولون الشيء ذاته عن العذاب، إن هؤلاء لا يؤمنون بالبعث جسداً وروحاً، بل ببعث الروح فقط، فالذي يجب الإيمان به: أن البعث يوم القيامة سيكون بالروح وبالجسد معاً، وأن النعيم والعذاب للروح والجسد معاً.

الذين طبع الله على قلوبهم﴾ بالكفر ﴿واتبعوا أهواءهم﴾ في النفاق. ١٧ ﴿والذين اهتدوا﴾ وهم المؤمنون ﴿زادهم﴾ الله ﴿هدى وآتاهم تقواهم﴾ ألهمهم ما يتقون به النار. ١٨ ﴿فهل ينظرون﴾ ما ينتظرون، أي: كفارُ مكة ﴿إلاَّ الساعة أن تأتيهم﴾ بدل اشتمال من «الساعة»، أي: ليس الأمر إلاَّ أن تأتيهم ﴿بغتة؟﴾ فجأة ﴿فقد جاء أشراطها﴾ علاماتها، منها: «بعثة النبي» ﷺ، «وانشقاقُ القمر»[1] و«الدخان»[2] ﴿فأنى لهم إذا جاءتهم﴾ الساعة ﴿ذكراهم؟﴾ تَذَكُّرهم، [والمعنى: من أين لهم التذكر إذا جاءتهم الساعة]، أي: لا ينفعهم. ١٩ ﴿فاعلم أنه لا إلّه إلاَّ الله﴾ أي: دُمْ يا محمد على علمك بذلك، النافع في القيامة ﴿واستغفر لذنبك﴾ لأجله، قيل له ذلك، مع عصمته، لتَسْتَنَّ به أمته، وقد فَعَلَهُ، قال النبي ﷺ: «إني لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة» [رواه مسلم بلفظ: «فإني أتوب في اليوم مائة مرة»] ﴿وللمؤمنين والمؤمنات﴾ فيه إكرام لهم، بأمر نبيهم بالاستغفار لهم ﴿والله يعلم متقلبكم﴾ متصرفكم لأشغالكم بالنهار ﴿ومثواكم﴾ مأواكم إلى مضاجعكم بالليل، أي: هو عالم بجميع أحوالكم، لا يخفى عليه شيء منها، فاحذروه، والخطاب للمؤمنين وغيرهم.

٢٠ ﴿ويقول الذين آمنوا﴾ طلباً للجهاد. ﴿لولا﴾ هلاَّ ﴿نزلت سورة﴾ فيها ذكر الجهاد ﴿فإذا أنزلت سورة محكمة﴾ أي: لم ينسخ منها شيء ﴿وذكر فيها القتال﴾ أي: طلبه ﴿رأيت الذين في قلوبهم مرض﴾ أي: شك، وهم المنافقون ﴿ينظرون إليك نظر المغشي﴾ [المغمى] ﴿عليه من الموت﴾ خوفاً منه وكراهة له، أي: فهم يخافون من القتال ويكرهونه ﴿فأولى لهم﴾ مبتدأ خبره:

٢١ ﴿طاعة وقول معروف﴾ أي: حَسَنٌ لك، [المعنى: الواجب عليهم أن يطيعوك، ويخاطبوك بالقول الحسن] ﴿فإذا عزم الأمر﴾ أي: فُرض القتال ﴿فلو صدقوا الله﴾ في الإيمان والطاعة ﴿لكان خيراً لهم﴾ وجملة «لو» جواب «إذا». ٢٢ ﴿فهل عسيتم﴾[3] بكسر السين وفتحها، وفيه التفات عن الغيبة إلى الخطاب، أي: لعلكم ﴿إن توليتم﴾ أعرضتم عن الإيمان ﴿أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم؟﴾ أي: تعودوا إلى أمر الجاهلية، من البغي والقتل. ٢٣ ﴿أولئك﴾ أي: المفسدون ﴿الذين لعنهم

ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ

(١) قوله: «وانشقاق القمر»، كما سيأتي بيانه في أول سورة «القمر» ص ٧٠٤.

(٢) قوله: «والدخان»، أي: الذي رأوه بسبب الجوع الشديد الذي أصابهم بدعائه ﷺ عليهم كما تقدم بيانه ص ٦٥٧.

(٣) قوله تعالى: ﴿فهل عسيتم﴾ الآية، روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم ــ أي ــ أتم خلقهم ــ قامت الرحم فقالت: هذا مُقام العائذ بك من القطيعة؟ قال: نعم، أما ترضين أن أَصِلَ =

الله فأصمهم﴾ عن استماع الحق ﴿وأعمى أبصارهم﴾ عن طريق الهداية. ٢٤﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ فيعرفون الحق ﴿أم﴾ بل ﴿على قلوب﴾ لهم ﴿أقفالها﴾ فلا يفهمونه؟ ٢٥﴿إن الذين ارتدوا﴾[1] بالنفاق ﴿على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول﴾ أي: زين ﴿لهم وأملى لهم﴾ بضم أوله [وكسر ثالثه وفتح الياء، أي: أمهلوا]، و [في قراءة] بفتحه، [أي: أوله] و [فتح] اللام، والمملي [هو] الشيطان بإرادته تعالى، فهو المضل لهم. ٢٦﴿ذلك﴾ أي: إضلالهم ﴿بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله﴾ أي: المشركين ﴿سنطيعكم في بعض الأمر﴾ أي: المعاونة على عداوة النبي ﷺ، وتثبيط الناس عن الجهاد معه، قالوا ذلك سراً، فأظهره الله تعالى ﴿والله يعلم أسرارهم﴾ بفتح الهمزة، جمع «سِرّ»، وبكسرها: مصدر.

٢٧﴿فكيف﴾ حالهم ﴿إذا توفتهم الملائكة يضربون﴾ حال من «الملائكة» ﴿وجوههم وأدبارهم﴾ ظهورهم بمقامع من حديد؟ ٢٨﴿ذلك﴾ أي: التوفي على الحالة المذكورة ﴿بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه﴾ أي: العمل بما يرضيه ﴿فأحبط أعمالهم﴾. ٢٩﴿أم﴾ [بمعنى «بل»، وهمزة الإنكار] ﴿حسب الذين في قلوبهم مرض﴾ [أي: شك ونفاق، وهم المنافقون] ﴿أن لن يخرج الله أضغانهم﴾ يظهر أحقادهم، على النبي ﷺ والمؤمنين؟. ٣٠﴿ولو نشاء لأريناكهم﴾ عَرَّفناكهم، وكررت اللام [للتأكيد] في: ﴿فلعرفتهم بسيماهم﴾ علامتهم ﴿ولتعرفنهم﴾ الواو لقسم محذوف، وما بعدها جوابه ﴿في لحن القول﴾ أي: معناه إذا تكلموا عندك، بأن يُعَرِّضوا بما فيه تهجين أمر المسلمين، [فكانوا يصطلحون فيما بينهم على ألفاظ ظاهرها حسن، ويعنون بها القبيح، يخاطبون بها الرسول ﷺ] ﴿والله يعلم أعمالكم﴾ [وسيجازيكم عليها].

٣١﴿ولنبلونكم﴾ نختبركم بالجهاد وغيره ﴿حتى نعلم﴾[2] علم ظهور، [أي: ليظهر ما علمناه من حالكم] ﴿المجاهدين منكم والصابرين﴾ في الجهاد وغيره ﴿ونبلو﴾ نظهر ﴿أخباركم﴾ من طاعتكم وعصيانكم، في الجهاد وغيره، وبالياء والنون في الأفعال الثلاثة[3]. ٣٢﴿إن

اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ

= من وَصَلَكِ، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى قال: «فذلك لك»، ثم قال رسول الله ﷺ: «واقرؤوا إن شئتم: ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾». وروينا عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من أحب أن يُبسط له في رزقه ويُنسأ له في أثره فليصل رحمه»، ومعنى «يُنسأ في أثره» أي: يؤخر له في أجله وعمره، بأن يبارك الله له في عمره، ويوفقه فيه إلى العمل الصالح الذي لا يناله غيره في مثل عمره.

(١) قوله تعالى: ﴿إن الذين ارتدوا..﴾ الآية، ارجع إلى تعليقنا حول «الردة» ص ٣٦٠، وتعليقنا حول «النفاق» ص ١٢٦.

(٢) قوله تعالى: ﴿حتى نعلم﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيره: «أي: حتى نرى»، وهو معنى ما قاله الجلالان في جميع هذه المواضع.

(٣) قوله: «في الأفعال الثلاثة»، أي: في «لنبلونكم»، و «نعلم» و «نبلو»، من هذه الآية.

الذين كفروا وصدوا عن سبيل﴾ طريق ﴿الله وشاقوا الرسول﴾ خالفوه ﴿من بعد ما تبين لهم الهدى﴾ هو معنى «سبيل الله» ﴿لن يضروا الله شيئاً وسيحبط أعمالهم﴾ يبطلها، من صدقة ونحوها، فلا يرون لها في الآخرة ثواباً، نزلت في المُطْعِمينَ من أصحاب بدر، [كأبي جهل وغيره، أطعموا فقراء أهل مكة، الذين خرجوا لقتال المسلمين فيها]، أو [نزلت] في قريظة والنضير، [كانوا ينفقون على قريش، ليستعينوا بهم على عداوة النبي ﷺ].

٣٣﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم﴾ [أي: حسناتكم] بالمعاصي ــ مثلاً ــ[1]، [قاله الحسن البصري]. ٣٤﴿إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾ طريقه وهو الهدى ﴿ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم﴾ نزلت في أصحاب القليب، [وهو بئر في «بَدْر»، أُلقي فيه القتلى من الكفار].

٣٥﴿فلا تهنوا﴾ تضعفوا ﴿وتدعوا إلى السلم﴾ بفتح السين وكسرها، أي: الصلح من الكفار، إذا لقيتموهم ﴿وأنتم الأعلون﴾ حذف منه واو لام الفعل، [أي: الواو الثانية، وأصله: «الأعْلَوُون»، أي:] الأغلبون القاهرون ﴿والله معكم﴾ بالعون والنصر ﴿ولن يتركم﴾ ينقصكم ﴿أعمالكم﴾ أي: ثوابها.

٣٦﴿إنما الحياة الدنيا﴾ أي: الاشتغال فيها ﴿لعب ولهو﴾ [فلا تغتروا بها] ﴿وإن تؤمنوا وتتقوا﴾ الله، وذلك من أمور الآخرة ﴿يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم﴾ جميعها، بل الزكاة المفروضة فيها، [وما زاد عليها فهو تطوع منكم].

٣٧﴿إن يسألكموها فيحفكم﴾ يبالغ في طلبها ﴿تبخلوا ويخرج﴾ البخل ﴿أضغانكم﴾ [جمع «ضغينة»، أي: الحقدَ والبغضَ] لدين الإسلام.

٣٨﴿ها أنتم﴾ يا ﴿هؤلاء﴾ [أيها المؤمنون] ﴿تدعون لتنفقوا في سبيل الله﴾ ما فرض عليكم ﴿فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه﴾ يقال: بخل عليه وعنه، [أي: يمنعها الأجر والثواب] ﴿والله الغني﴾ عن نفقتكم ﴿وأنتم

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٣٢﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤۡتِكُمۡ أُجُورَكُمۡ وَلَا يَسۡـَٔلۡكُمۡ أَمۡوَٰلَكُمۡ ﴿٣٦﴾ إِن يَسۡـَٔلۡكُمُوهَا فَيُحۡفِكُمۡ تَبۡخَلُواْ وَيُخۡرِجۡ أَضۡغَٰنَكُمۡ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ

(١) قوله: «بالمعاصي ــ مثلاً ــ»، في السبب المبطل للعمل الصالح أقوال: منها قول الحسن الذي ذكره المحلي، وقيل: بالكبائر، وقيل: بالرياء والسمعة، وقيل غير ذلك، والصحيح: أنه ليست كل معصية مبطلة للأعمال الصالحة، بل منها ما يبطلها جميعها، ومنها ما يبطل بعضها، ومنها ما لا يبطل شيئاً، فـ «الردة» تحبط جميع الأعمال الصالحة إذا مات عليها صاحبها ولم يتب، و «الرياء»: يبطل ثواب العمل الذي رائى فيه، وكذلك إعجاب المرء بعمله، و «المن والأذى»: يبطلان الصدقة، أما السيئات والذنوب الأخرى ــ مما لا نص بخصوصه ــ فإنها لا تُبطل عملاً صالحاً للعبد على القول الصحيح، بل إن عمل الحسنة يُذْهِبُ السيئة لقوله تعالى: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾، وهذا من فضل الله تعالى وكرمه، وقال بعض العلماء كمالك وأبي حنيفة رحمهما الله: ﴿ولا تبطلوا أعمالكم﴾ أي: لا تبطلوا ما بدأتم به من النافلة، كصلاة وصيام، فأوجَبُوا إتمامه، وقضاءه إذا أبطل.

﴿الفقراء﴾ إليه ﴿وإن تتولوا﴾ عن طاعته ﴿يستبدل قوماً غيركم﴾ أي: يجعلهم بدلكم ﴿ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ في التولِّي عن طاعته، بل مطيعين له عزَّ وجلَّ.

﴿سُورَةُ الفَتْح﴾(1)

(مدنية، تسع وعشرون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿إنا فتحنا لك﴾ قضينا بفتح مكة وغيرها، [الذي سيحصل في] المستقبل، عَنْوَةً بجهادك ﴿فتحاً مبيناً﴾ بيناً ظاهراً. ٢ ﴿ليغفر لك الله﴾ بجهادك ﴿ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ منه لترغب أمتك في الجهاد، وهو [أي: إسناد الذنب إليه ﷺ] مؤوَّل، لعصمة الأنبياء(2) عليهم الصلاة والسلام، بالدليل العقلي القاطع، من الذنوب، واللام للعلة الغائية [وهي: المرتَّبة على آخر الفعل، وليست للعلة الباعثة، لاستحالة الأغراض على الله تعالى في الأفعال والأحكام،] فمدخولها [وهو: الغفران] مسبَّبٌ [عن الفتح] لا سبب [له] ﴿ويتم﴾ بالفتح المذكور ﴿نعمته﴾ إنعامه ﴿عليك ويهديك﴾ به ﴿صراطاً﴾ طريقاً ﴿مستقيماً﴾ يثبتك عليه، وهو: دين الإسلام. ٣ ﴿وينصرك الله﴾ به ﴿نصراً عزيزاً﴾ ذا عِزٍّ لا ذل له. ٤ ﴿هو الذي أنزل السكينة﴾ الطمأنينة ﴿في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم﴾ بشرائع الدين، كلما نزَّل واحدة منها آمنوا بها، منها الجهاد ﴿ولله جنود السماوات والأرض﴾ فلو أراد نصر دينه بغيركم لفعل ﴿وكان الله عليماً﴾ بخلقه ﴿حكيماً﴾ في صنعه، أي: لم يزل متصفاً بذلك. ٥ ﴿ليدخل﴾ متعلق بمحذوف، أي: أمر بالجهاد [وغيره من شرائع الدين، ليُدخل] ﴿المؤمنين والمؤمنات جنات

ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾

(٤٨) سُورَةُ الفَتْحِ مَدَنِيَّة
وَآيَاتُهَا تِسْعٌ وَعِشْرُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ

---

(١) قوله: ﴿سورة الفتح﴾ أخرج الشيخان وغيرهما: أنها نزلت في الطريق عند انصرافه ﷺ من الحديبية السنة السادسة للهجرة، حيث عقد مع المشركين «صلح الحديبية» المعروف، كما سيأتي ص ٦٧٩، وهو الفتح المشار إليه بقوله تعالى: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ على الأصح، وهو قول أنس بن مالك وجابر رضي الله عنهما، وقول قتادة والشعبي والضحاك رحمهم الله تعالى، وعليه الأكثرون، وفي هذه السورة قال ﷺ: «لقد أُنزلت عليَّ الليلة سورة لهي أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس» رواه الشيخان، وقيل: الفتح هو «فتح خيبر»، وقيل: هي عامة تشمل فتح مكة وغيرها كما قال المؤلف الجلال المحلي رحمه الله.

(٢) قوله: «وهو مؤول لعصمة الأنبياء، إلى قوله: لا سبب»، موجود في المخطوطة الثانية فقط التي هي أحدث المخطوطات، =

تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزاً عظيماً﴾. ٦﴿ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء﴾ بفتح السين وضمها، في المواضع الثلاثة[1]، ظنوا أنه لا ينصر محمداً ﷺ والمؤمنين ﴿عليهم دائرة السوء﴾ بالذل والعذاب ﴿وغضب الله عليهم ولعنهم﴾ أبعدهم ﴿وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً﴾ مرجعاً. ٧﴿ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عزيزاً﴾ في ملكه ﴿حكيماً﴾ في صنعه، أي: لم يزل متصفاً بذلك. ٨﴿إنا أرسلناك شاهداً﴾ على أمتك في القيامة ﴿ومبشراً﴾ لهم في الدنيا بالجنة ﴿ونذيراً﴾ منذراً، مخوِّفاً فيها مَنْ عمل سوءاً بالنار. ٩﴿ليؤمنوا بالله ورسوله﴾ بالياء والتاء، فيه وفي [الأفعال] الثلاثة بعد ﴿ويعزروه﴾ ينصروه، وقرىء [شذوذاً]: بزايين مع الفوقانية ﴿ويوقروه﴾ يعظموه، وضميرهما لله، أو: لرسوله ﴿ويسبحوه﴾ أي: الله ﴿بكرة وأصيلاً﴾ بالغداة والعشي. ١٠﴿إن الذين يبايعونك﴾ بيعة الرضوان بالحُدَيْبِيَة[2] ﴿إنما يبايعون الله﴾ هو نحو: «من يطع الرسول فقد أطاع الله» ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ التي بايعوا بها النبيّ، أي: هو تعالى مطلع على مبايعتهم، فيجازيهم عليها ﴿فمن نكث﴾ نقض البيعة ﴿فإنما ينكث﴾ يرجع وبال نقضه ﴿على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله﴾ [أي: في البيعة] ﴿فسيؤتيه﴾ بالياء والنون ﴿أجراً عظيماً﴾ [في الجنة].

١١﴿سيقول لك المخلفون من الأعراب﴾ حول المدينة، أي: الذين خلَّفهم الله عن صحبتك، لما طلبتهم ليخرجوا معك إلى مكة، خوفاً من تعرض قريش لك عام الحديبية، إذ رجعت منها: ﴿شغلتنا أموالنا

تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا

= وبعض النسخ المطبوعة، دون المخطوطات الأخرى، ولعلها من إضافات الناسخ كما هو ظاهر، وهو مبني على القول بعصمة الأنبياء حتى عن الصغائر التي لا خسّة فيها، لذلك احتاج إلى تأويل الذنب، ارجع إلى تعليقنا حول «آدم» ص ٤١٧ وما يليها.

(١) قوله: «بفتح السين وضمها في المواضع الثلاثة» هذا سبق قلم من المؤلف ــ المحلي ــ، والمواضع الثلاثة هي: «ظن السوء» و «دائرة السوء»، في هذه الآية، والموضع الثالث في الآية «١٢» وهو قوله تعالى: ﴿وظننتم ظن السوء﴾. والصواب: أن في قوله تعالى: ﴿دائرة السوء﴾ فقط، قراءتين بفتح السين وضمها، أما الموضعان الآخران المذكوران، فليس فيهما إلا فتح السين، وليس فيهما ضمها باتفاق القراء.

(٢) قوله: «بيعة الرضوان بالحديبية» «الحديبية»: (بضم الحاء وفتح الدال وكسر الباء وفتح الياء الثانية مخففة أو مشددة). اسم قرية ــ سميت ببئر هناك ــ بينها وبين مكة مرحلة، وبينها وبين المدينة تسع مراحل و «المرحلة»: أربعة وعشرون ميلاً. خرج النبي ﷺ إليها معتمراً آخر سنة ست للهجرة، فمنعه كفار مكة من دخولها، فأرسل إليهم عثمان بن عفان رضي الله عنه ليفاوضهم، فأشيع أنهم قتلوه، فدعا رسول الله ﷺ المسلمين إلى البيعة على مناجزة القوم، فكانت «بيعة الرضوان» تحت الشجرة، قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: كنا أصحاب الحديبية «أربع عشرة مائة» أي: ألفاً وأربعمائة رجل، وهذا ما رواه مسلم عن معقل بن يسار رضي الله عنه.

وأهلونا﴾ عن الخروج معك ﴿فاستغفر لنا﴾ الله، من ترك الخروج معك، قال تعالى مكذباً لهم: ﴿يقولون بألسنتهم﴾ أي: من طلب الاستغفار وما قبله ﴿ما ليس في قلوبهم﴾ فهم كاذبون في اعتذارهم ﴿قل فمن﴾ استفهام بمعنى النفي، أي: لا أحد ﴿يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضراً﴾ بفتح الضاد وضمها ﴿أو أراد بكم نفعاً؟ بل كان الله بما تعملون خبيراً﴾ أي: لم يزل متصفاً بذلك، [ومنه كذبكم في اعتذاركم].

١٢ ﴿بل﴾ في الموضعين، [أي: هذا والذي قبله]، للانتقال من غرض إلى آخر ﴿ظننتم أن لن ينقلب﴾ [يرجع] ﴿الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً وزين ذلك في قلوبكم﴾ أي: [زين لكم الشيطان]، أنهم يُستأصلون بالقتل، فلا يرجعون [إلى المدينة] ﴿وظننتم ظن السوء﴾ هذا وغيره ﴿وكنتم قوماً بوراً﴾ جمع «بائر»، أي: هالكين عند الله بهذا الظن.

١٣ ﴿ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيراً﴾ ناراً شديدة.

١٤ ﴿ولله ملك السماوات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفوراً رحيماً﴾ أي: لم يزل متصفاً بما ذكر[1].

١٥ ﴿سيقول المخلفون﴾ المذكورون ﴿إذا انطلقتم إلى مغانم﴾ هي: مغانم «خيبر»[2] ﴿لتأخذوها ذرونا﴾ اتركونا ﴿نتبعكم﴾ لنأخذ منها ﴿يريدون﴾ بذلك ﴿أن يبدلوا كلام الله﴾ وفي قراءة: «كلم الله» بكسر اللام، أي: مواعيده بغنائم «خيبر» أهل الحديبية خاصة، [لأن الله تعالى وعد أهل الحديبية فتح خيبر، وأنها لهم خاصة] ﴿قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل﴾ أي: قبل عودنا ﴿فسيقولون بل تحسدوننا﴾ أن نصيب معكم من الغنائم، فقلتم ذلك؟ ﴿بل كانوا لا يفقهون﴾ من الدين ﴿إلا قليلاً﴾ منه. ١٦ ﴿قل

وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ قُل

(١) قوله: «لم يزل متصفاً بما ذكر»، يشير الجلال المحلي رحمه الله بهذا إلى أن «كان» تفيد هنا إثبات معنى ما دخلت عليه إثباتاً محققاً ودائماً أي: أن الغفران والرحمة صفتان ثابتتان لله تعالى في كل آن، ولا ينحصر مدلولها في الزمن الماضي كما هي العادة في الأفعال الماضية، وذلك مثلما جرت العادة على استعمال الماضي للدلالة على تأكد وقوع الأمر وحصوله في المستقبل كقوله تعالى: ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه﴾ أي: هو آتٍ لا محالة فكأنه قد أتى بالواقع.

(٢) قوله: «مغانم خيبر»، «خيبر» إحدى معاقل اليهود في ذلك الوقت، ذات حصون ومزارع ونخل، بينها وبين المدينة ستة وتسعون ميلاً، ولا تزال عامرة حتى اليوم، خرج النبي ﷺ إليها في شهر محرم السنة السابعة للهجرة بعد رجوعه من «الحديبية» وفتحها عَنْوَةً، ومن سَبْيها اصطفى «صفية بنت حُيَيٍّ بن أخطَب» ثم أعتقها وتزوجها بعد أن أسلمت، ارجع إلى تعليقنا حول «أمهات المؤمنين» ص ٥٥٣.

للمخلفين من الأعراب﴾ المذكورين، اختباراً ﴿ستدعون إلى قوم أولي﴾ أصحاب ﴿بأس شديد﴾ قيل: هم بنو حنيفة أصحاب اليمامة، وقيل: فارس والروم ﴿تقاتلونهم﴾ حال مقدرة، هي: المدعو إليها في المعنى، [أي: إلى قتالهم، ثم استأنف بقوله:] ﴿أو﴾ هم ﴿يسلمون﴾ فلا تقاتلونهم، [فليست «أو» بمعنى: «إلى» أو «إلا»، ولو كانت كذلك لنصب الفعل: «يُسلمون» بحذف النون] ﴿فإن تطيعوا﴾ إلى قتالهم ﴿يؤتكم الله أجراً حسناً وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذاباً أليماً﴾ مؤلماً، [فلما نزلت، قال أهل الزمانة والعاجزون: كيف بنا يا رسول الله؟ فنزل قوله تعالى]:

لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَـٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا

حزب ٥٢

١٧ ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج﴾ [أي: لا إثم عليهم] في ترك الجهاد ﴿ومن يطع الله ورسوله يدخله﴾ بالياء والنون ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتول يعذبه﴾ بالياء والنون ﴿عذاباً أليماً﴾.

١٨ ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك﴾ بالحديبية ﴿تحت الشجرة﴾[1] هي: [شجرة مرتفعة، صغيرة الورق قصيرة الشوك، تسمَّى] «سَمُرَة»، وهم: ألف وثلثمائة أو أكثر، ثم بايعهم على: أن يناجزوا قريشاً، وأن لا يفروا، وعلى الموت[2] ﴿فعلم﴾ الله ﴿ما في قلوبهم﴾ من الصدق والوفاء ﴿فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً﴾ هو: فتح «خيبر»، بعد انصرافهم من «الحديبية».

١٩ ﴿ومغانم كثيرة يأخذونها﴾ من خيبر ﴿وكان الله عزيزاً حكيماً﴾ أي: لم يزل متصفاً بذلك.

٢٠ ﴿وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها﴾ من الفتوحات ﴿فعجل لكم هذه﴾ غنيمة خيبر، [أو: صلح الحديبية] ﴿وكف أيدي الناس عنكم﴾ في عيالكم لما خرجتم، وهمت بهم اليهود، فقذف الله في قلوبهم الرُّعب، [هذا قول قتادة، واختاره الطبري] ﴿ولتكون﴾ أي: المعجَّلة، عطف على مقدر، أي: «لتشكروه [ولتكون]» ﴿آية للمؤمنين﴾ في نصرهم ﴿ويهديكم صراطاً

---

(١) قوله تعالى: ﴿تحت الشجرة﴾، سبب هذه البيعة أنه ﷺ كان أرسل عثمان بن عفان إلى مكة ليخبرهم بعزم النبي ﷺ على زيارة البيت، وأنه لا يريد قتالاً، فجاءه خبر بأن أهل مكة قتلوه، فدعا ﷺ حينئذ إلى المبايعة على الحرب والقتال، فبايعوه جميعاً تحت تلك الشجرة كما تقدم ٦٧٩.

(٢) قوله: «وعلى الموت»، هو هكذا في المخطوطة الثالثة، وهو الصواب، وجاء في بعض المطبوعات: «من الموت»، بدل: «وعلى الموت» وهو سهو، فالجلال المحلي يشير إلى الروايات الواردة عن الصحابة في موضوع المبايعة، فقد روى مسلم عن جابر بن عبد الله ومعقل بن يسار قالا: بايعنا رسول الله ﷺ على أن لا نفر، ولم نبايعه على الموت، وروى البخاري عن عباد بن تميم، ومسلم عن سلمة بن الأكوع قالا: بايعناه على الموت.

مستقيماً﴾ أي: طريق التوكل عليه، وتفويض الأمر إليه تعالى. ٢١﴿وأخرى﴾ صفة «مغانم» مقدراً، مبتدأ، [وقوله:] ﴿لم تقدروا عليها﴾ [صفة المبتدأ،] هي من فارس والروم، [وباقي الفتوحات] ﴿قد أحاط الله بها﴾ [خبر المبتدأ، أي:] علم أنها ستكون لكم ﴿وكان الله على كل شيء قديراً﴾ أي: لم يزل متصفاً بذلك.

٢٢﴿ولو قاتلكم الذين كفروا﴾ بالحديبية ﴿لولوا الأدبار ثم لا يجدون ولياً﴾ يحرسهم ﴿ولا نصيراً﴾.

٢٣﴿سنة الله﴾ مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله، من هزيمة الكافرين ونصر المؤمنين، أي: سن الله ذلك سنة ﴿التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾ منه.

مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فِى قُلُوبِهِمُ

٢٤﴿وهو الذي كفَّ أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة﴾ بالحديبية ﴿من بعد أن أظفركم عليهم﴾ فإن ثمانين منهم، طافوا بعسكركم ليصيبوا منكم، فأخذوا، وأُتِيَ بهم إلى رسول الله ﷺ، فعفا عنهم وخلَّى سبيلهم[1]، فكان ذلك سببَ الصلح ﴿وكان الله بما يعملون بصيراً﴾ بالياء والتاء، أي: لم يزل متصفاً بذلك.

٢٥﴿هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام﴾ أي: عن الوصول إليه ﴿والهدي﴾ معطوف على [الضمير:] «كم»، [أي: وصدوا الهدي] ﴿معكوفاً﴾ محبوساً، حال ﴿أن يبلغ محله﴾ أي: مكانه الذي ينحر فيه عادة، وهو: الحرم، بدل اشتمال [من «الهدي»، والمعنى: منعوا بلوغ الهدي محله] ﴿ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات﴾ موجودون بمكة مع الكفار ﴿لم تعلموهم﴾ بصفة إيمان ﴿أن تطؤوهم﴾ أي: تقتلوهم مع الكفار، لو أذن لكم في الفتح، بدل اشتمال من: «هم» ﴿فتصيبكم منهم معرة﴾ أي: إثم ﴿بغير علم﴾ منكم به، وضمائر الغيبة [في: «لم تعلموهم»، و «أن تطؤوهم»]، للصنفين، بتغليب الذكور، وجواب «لولا» محذوف، أي: «لأذن لكم في الفتح»، لكن لم يؤذن فيه حينئذ ﴿ليدخل الله في رحمته من يشاء﴾ كالمؤمنين المذكورين ﴿لو تزيلوا﴾ تميزوا عن الكفار ﴿لعذبنا الذين كفروا منهم﴾ من أهل مكة حينئذ، بأن نأذن لكم في فتحها ﴿عذاباً أليماً﴾ مؤلماً. ٢٦﴿إذ جعل﴾ متعلق بـ «عذبنا» ﴿الذين كفروا﴾ فاعل [«جعل»] ﴿في قلوبهم

(١) قوله: «وخلي سبيلهم»، أخرج مسلم والترمذي والنسائي عن أنس رضي الله عنه قال: لما كان يوم الحديبية، هبط على رسول الله ﷺ وأصحابه ثمانون رجلاً ـ من قريش ـ في السلاح من جبل التنعيم، يريدون غِرَّةَ رسول الله ﷺ ـ أي: أخذَهُ على حين غفلة ليقتلوه ـ فأخذوا فأعتقهم، فأنزل الله: ﴿وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنه﴾ الآية. وأخرج مسلم نحوه من حديث سَلَمة بن الأكوع، وأخرج أحمد والنسائي نحوه من حديث عبد الله بن مُغفَّل المزني، قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: هذا هو المشهور في سبب نزولها.

الحمية﴾ الأنفة من الشيء ﴿حمية الجاهلية﴾ بدل من «الحمية» وهي: صدهم النبي وأصحابه، عن المسجد الحرام ﴿فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾ فصالحوهم على أن يعودوا من قابل، ولم يَلْحَقْهُم من الحمية ما لحق الكفار، حتى يقاتلوهم ﴿وألزمهم﴾ أي: المؤمنين ﴿كلمة التقوى﴾ «لا إله إلا الله، محمد رسول الله»، وأضيفت إلى «التقوى»، لأنها سببها ﴿وكانوا أحق بها﴾ بالكلمة من الكفار ﴿وأهلها﴾ عطف تفسيري ﴿وكان الله بكل شيء عليماً﴾ أي: لم يزل متصفاً بذلك، ومن معلومه تعالى، أنهم أهلها.

٢٧ ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق﴾ رأى رسول الله ﷺ في النوم، عام الحديبية، قبل خروجه: أنه يدخل مكة هو وأصحابه آمنين، ويحلقون ويقصرون، فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا، فلما خرجوا معه، وصدهم الكفار بالحديبية ورجعوا، وشق عليهم ذلك، وراب بَعْضَ المنافقين، نزلت، وقوله: «بالحق»، متعلق بـ «صَدَق»، أو: حال من «الرؤيا»، وما بعدها تفسير لها، وهي: ﴿لتدخلن المسجد الحرام﴾ قطعاً، وقوله تعالى: ﴿إن شاء الله﴾ للتبرك ﴿آمنين محلقين رؤوسكم﴾ أي: جميع شعورها، ﴿ومقصرين﴾ بعض شعورها، وهما حالان مقدرتان[1] ﴿لا تخافون﴾ أبداً ﴿فعلم﴾ في الصلح ﴿ما لم تعلموا﴾ من الصلاح ﴿فجعل من دون ذلك﴾ أي: الدخول ﴿فتحاً قريباً﴾ هو فتح «خيبر»، وتحققت الرؤيا في العام القابل.

٢٨ ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره﴾ أي: دين الحق ﴿على الدين كله﴾ على جميع باقي الأديان ﴿وكفى بالله شهيداً﴾ أنك مرسل بما ذكر، كما قال الله تعالى:

٢٩ ﴿محمد﴾ مبتدأ ﴿رسول الله﴾ خبره ﴿والذين معه﴾ أصحابه من المؤمنين، مبتدأ خبره ﴿أشداء﴾ غلاظ ﴿على الكفار﴾ لا يرحمونهم ﴿رحماء بينهم﴾ خبر ثان، أي: متعاطفون متوادون، كالوالد مع الولد ﴿تراهم﴾ تبصرهم ﴿ركعاً سجداً﴾ حالان ﴿يبتغون﴾ مستأنف، [أي:] يطلبون ﴿فضلاً من الله ورضواناً سيماهم﴾ علاماتهم، مبتدأ ﴿في وجوههم﴾ خبره، وهو: نور وبياض يعرفون به بالآخرة، أنهم سجدوا في الدنيا ﴿من أثر السجود﴾ متعلق بما تعلق به الخبر، أي: كائنة، وأعرب حالاً من ضميره المنتقل إلى الخبر، [وتقدير الكلام: سيماهم كائنة في وجوههم، حال كونها من أثر السجود] ﴿ذلك﴾ الوصف المذكور ﴿مثلهم﴾ صفتهم، مبتدأ ﴿في التوراة﴾ خبره ﴿ومثلهم في الإنجيل﴾ مبتدأ، خبره ﴿كزرع أخرج شطأه﴾ بسكون الطاء وفتحها، [أي:] فِراخَه، [و «الشَّطْءُ»: فراخ النخل] ﴿فآزره﴾ بالمد والقصر، قوّاه وأعانه

ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ

(١) قوله: «وهما حالان مقدرتان»، أي: «محلقين ومقصرين»، وقوله: «مقدرتان» ليدفع به ما قد يقال: إن حال الدخول إحرام لا حلق فيه ولا =

﴿فاستغلظ﴾ غلظ ﴿فاستوى﴾ قوي واستقام ﴿على سوقه﴾ أصوله، جمع «ساق» ﴿يعجب الزراع﴾ أي: زُرّاعه لحُسْنه، مَثَلَ الصحابة رضي الله عنهم بذلك، لأنهم بدؤوا في قلة وضعف، فكثروا وقَوُوا على أحسن الوجوه ﴿ليغيظ بهم الكفار﴾ متعلق بمحذوف دل عليه ما قبله، أي: شُبهوا بذلك ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم﴾ الصحابة، و «من» لبيان الجنس، لا للتبعيض، لأنهم كلهم بالصفة المذكورة ﴿مغفرة وأجراً عظيماً﴾ الجنة، وهما [أي: المغفرة والأجر العظيم]، لمن بعدهم أيضاً [من المؤمنين]، كما في آيات [أخرى].

فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾

(٤٩) سورة الحجرات مدنية وآياتها ثماني عشرة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ

ربع الحزب

﴿ سورة الحجرات ﴾

(مدنية، ثماني عشرة آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا﴾ من «قَدّم» بمعنى: «تقدم»، أي: لا تتقدموا بقول أو فعل ﴿بين يدي الله ورسوله﴾ المبلِّغ عنه، أي: بغير إذنهما ﴿واتقوا الله إن الله سميع﴾ لقولكم ﴿عليم﴾ بفعلكم، نزلت في مجادلة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، عند النبي ﷺ في تأمير الأقرع بن حابس، أو القعقاع بن مَعْبَد. ٢ ونزل فيمن[1] رفع صوته عند النبي ﷺ: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم﴾ إذا نطقتم ﴿فوق صوت النبي﴾ إذا نطق ﴿ولا تجهروا له بالقول﴾ إذا ناجيتموه ﴿كجهر بعضكم لبعض﴾ بل دون ذلك، إجلالاً له [لـ]﴿أن﴾ [لا] ﴿تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾ أي: خشية ذلك، بالرفع والجهر المذكورين. ٣ ونزل فيمن كان يخفض صوته عند النبي ﷺ بعد ذلك، كأبي بكر وعمر وغيرهما رضي الله عنهم: ﴿إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله

= تقصير، فأشار إلى أن الحلق والتقصير يكونان في وقتهما إثر انتهاء المناسك، والمعنى: أنكم ستكونون آمنين من أول دخولكم إلى نهاية مناسككم.

(١) قوله: «ونزل فيمن رفع صوته..» بيانه: أن الآيتين الأوليين من سورة «الحجرات» نزلتا في المجادلة التي جرت بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما عند النبي ﷺ، فقد روى البخاري عن عبد الله بن أبي مُليكة قال: كاد الخيِّران أن يَهْلِكا ــ يعني: أبا بكر وعمر ــ، رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم ــ سنة تسع، وسألوه أن يؤمر عليهم أحداً ــ فأشار عمر بالأقرع بن حابس، وأشار أبو بكر بالقعقاع بن معبد، فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي، قال: ما أردتُ خلافك، فارتفعت أصواتهما فأنزل الله هاتين الآيتين. اهـ. من حديثين في البخاري، ففي الآية الأولى: نهيٌ عن تقدُّم النبي بقول أو فعل، ــ وهو هنا: اقتراح الشيخين تأمير فلان أو فلان ــ، وفي الآية الثانية: نهيٌ عن رفع الصوت فوق صوته ﷺ. وعلى كل حال فإن الحُكم عام، قال ابن كثير: فلا تجوز مخالفة الكتاب والسنة، وقال العلماء: يكره رفع الصوت عند قبره ﷺ كما كان يكره في حياته، لأنه محترم حياً وفي قبره دائماً. اهـ.

أولئك الذين امتحن﴾ اختبر ﴿الله قلوبهم للتقوى﴾ أي: لتظهر منهم ﴿لهم مغفرة وأجر عظيم﴾ الجنة.
٤ ونزل في قوم جاؤوا وقت الظهيرة، والنبي ﷺ في منزله، فنادوه: ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات﴾ حُجُرات نسائه ﷺ، جمع «حُجْرة»، وهي: ما يُحجر عليه من الأرض بحائط ونحوه، كان كل واحد منهم، نادى خلف حجرة، لأنهم لم يعلموه في أيِّها، مناداةَ الأعراب، بغلظة وجفاء ﴿أكثرهم لا يعقلون﴾ فيما فعلوه، مَحَلَّك الرفيعَ، وما يناسبه من التعظيم.
٥ ﴿ولو أنهم صبروا﴾ «أنهم» في محل رفع بالابتداء، وقيل: فاعل لفعل مقدر، أي: «ثبت» ﴿حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم﴾ لمن تاب منهم.

ٱللَّهِ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى

٦ ونزل في «الوليد بن عقبة»، وقد بعثه النبي ﷺ إلى بني المصطلق مُصَدِّقاً [أي: عاملاً ليجبي الصدقة منهم]، فخافهم لتِرَة، [أي: عداوة]، كانت بينه وبينهم في الجاهلية، فرجع وقال: إنهم منعوا الصدقة، وهموا بقتله، فهَمَّ النبي ﷺ بغزوهم، فجاؤوا منكرين ما قاله عنهم: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ﴾ خبر ﴿فتبينوا﴾ صِدْقَهُ من كَذِبِهِ، وفي قراءة: «فتثبَّتوا»، من الثبات [أي: التثبت] ﴿أن تصيبوا قوماً﴾ مفعول له، خشية ذلك ﴿بجهالة﴾ حال من الفاعل، أي: جاهلين ﴿فتصبحوا﴾ تصيروا ﴿على ما فعلتم﴾ من الخطأ بالقوم ﴿نادمين﴾ وأرسل ﷺ إليهم، بعد عودهم إلى بلادهم خالداً، فلم ير فيهم إلا الطاعة والخير، فأخبر النبي بذلك.
٧ ﴿واعلموا أن فيكم رسول الله﴾ فلا تقولوا الباطل، فإن الله يخبره بالحال ﴿لو يطيعكم في كثير من الأمر﴾ الذي تخبرون به على خلاف الواقع، فرتَّب على ذلك مقتضاه ﴿لعنتم﴾ لأثمتم دونه، إثْمَ التَّسَبُّبِ [المفضي] إلى المرتَّب، [أي: إثم الفعل الذي يترتب على قولكم بخلاف الواقع] ﴿ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه﴾ حَسَّنه ﴿في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان﴾ استدراك من حيث المعنى دون اللفظ، لأن مَنْ حُبِّبَ إليه الإيمانُ، إلخ، غايرت صفتُه مَنْ تقدم ذكره ﴿أولئك هم﴾ فيه التفات عن الخطاب ﴿الراشدون﴾ الثابتون على دينهم. ٨ ﴿فضلاً من الله﴾ [اسم] مصدر منصوب بفعله المقدر، أي: «أفضَلَ» ﴿ونعمة﴾ منه ﴿والله عليم﴾ بهم ﴿حكيم﴾ في إنعامه عليهم.
٩ ﴿وإن طائفتان من المؤمنين﴾ الآية، نزلت في قضية هي: أن النبي ﷺ ركب حماراً، ومرَّ على [عبد الله] بن أُبَيٍّ [السلولي]، فبال الحمار، فسد ابن أُبَيٍّ أنفه، فقال ابن رواحة: والله لبول حماره، أطيب ريحاً من مسكك، فكان بين قوميهما ضرب بالأيدي والنعال والسَّعَفَ، [وأصله في الصحيحين] ﴿اقتتلوا﴾ جُمِعَ نظراً إلى المعنى، لأن كل طائفة جماعة، وقرىء [شذوذاً]: «اقتتلتا» ﴿فأصلحوا بينهما﴾ ثُني نظراً إلى اللفظ ﴿فإن بغت﴾ تعدت ﴿إحداهما على

الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء﴾ ترجع ﴿إلى أمر الله﴾ الحق ﴿فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل﴾ بالإنصاف ﴿وأقسطوا﴾ اعدلوا ﴿إن الله يحب المقسطين﴾. ١٠ ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ في الدين ﴿فأصلحوا بين أخويكم﴾ إذا تنازعا، وقرىء [شذوذاً]: «إخوتكم» بالفوقانية ﴿واتقوا الله﴾ في الإصلاح ﴿لعلكم ترحمون﴾. ١١ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر﴾ الآية، [قال الضحاك بن مزاحم:] نزلت في وفد تميم، حين سخروا من فقراء المسلمين، كعمار وصهيب، [وقال مجاهد: هي سخرية الغني من الفقير، أي: عامة]، والسخرية: الإزدراء والاحتقار ﴿قوم﴾ أي: رجال منكم ﴿من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم﴾ عند الله ﴿ولا نساء﴾ منكم ﴿من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم﴾ لا تَعيبوا فتُعابوا، أي: لا يَعِبْ بعضكم بعضاً ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾ لا يدعو بعضكم بعضاً بلقب يكرهه، ومنه: يا فاسق، يا كافر[1] ﴿بئس الاسم﴾ المذكور، من السَّخَر واللَّمز والتنابز، [وقيل: هو التنابز فقط] ﴿الفسوق بعد الإيمان﴾ بدل من «الاسم»، لإفادة أنه فسق، لتكرره عادة ﴿ومن لم يتب﴾ من ذلك ﴿فأولئك هم الظالمون﴾. ١٢ ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم﴾ أي: مأثم [موقع في الإثم]، وهو كثير، كظن السّوء بأهل الخير من المؤمنين، وهم كثير، بخلافه بالفساق منهم، فلا إثم فيه، في نحو ما يظهر منهم ﴿ولا تجسسوا﴾ حذف منه إحدى التاءين، لا: تتبعوا عورات المسلمين ومعايبهم، بالبحث عنها ﴿ولا يغتب بعضكم بعضاً﴾ لا يذكره بشيء يكرهه، وإن كان فيه[2] ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً﴾ بالتخفيف والتشديد، أي: لا يحسُنُ به [فعْلُ ذلك] ﴿فكرهتموه﴾ أي: فاغتيابه في حياته، كأكل لحمه بعد مماته، وقد عرض عليكم الثاني فكرهتموه، فاكْرَهُوا الأول ﴿واتقوا الله﴾ أي: عقابه في الاغتياب، بأن تتوبوا منه ﴿إن الله تواب﴾ قابل توبة التائبين ﴿رحيم﴾ بهم. ١٣ ﴿يا أيها

ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا

---

(١) قوله: «يا كافر»، قال الحسن البصري وابن جبير رحمهما الله: كان الرجل يُعَيَّرُ بعد إسلامه بكفره فيقال له: يا يهودي، يا نصراني، فنزلت، وهذا ما أشار إليه المحلي بقوله: «يا فاسق يا كافر» أي: باعتبار ما كان، ومنه أيضاً قول بعض الجهلة، لإنسان مسلم: فلان كافر، أو: أنت واحد كافر، وهم يقصدون أن عمله كعمل الكفار، من ظلم أو غش أو كذب، فهذا كله حرام، أما إذا كان المقصود أن ما عليه المسلم من الدين كفر، فيكون كفراً وقائله كافراً، لأنه وصف الإسلام بالكفر، قال رسول الله ﷺ «إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما، فإن كان كما قال، وإلا رجعت عليه» رواه الشيخان، ومثله مَنْ قتل «مسلماً» لأجل أنه مسلم، فيكون قاتله كافراً.

(٢) قوله: «وإن كان فيه». روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما الغيبة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذكرك أخاك بما يكره» قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بَهَتَّهُ» أي: افتريت عليه الكذب، وكما تحرم الغيبة فعلاً كذلك يحرم سماعها من غير إنكار، قال النووي رحمه الله في «رياض الصالحين» ما ملخصه: اعلم أن الغيبة تباح لغرض شرعي صحيح لا يمكن الوصول إليه إلا بها، وهو بستة أسباب: الأول: «التظلُّم»: فيجوز للمظلوم أن يقول لمن له =

الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾ آدم وحواء ﴿وجعلناكم شعوباً﴾ جمع «شعب» بفتح الشين، هو: أعلى طبقات النسب ﴿وقبائل﴾ هي دون الشعوب، وبعدها: العمائر، ثم البطون، ثم الأفخاذ، ثم الفصائل آخرها. مثاله: «خزيمة»: شعب، «كنانة»: قبيلة، «قريش»: عِمارة ــ بكسر العين ــ. «قُصَيّ»: بطن، «هاشم»: فَخِذ، «العباس»: فصيلة ﴿لتعارفوا﴾ حذف منه إحدى التاءين، ليعرف بعضهم بعضاً، لا لتفاخروا بعلوّ النسب، وإنما الفخر بالتقوى ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم﴾ بكم ﴿خبير﴾ ببواطنكم. ١٤ ﴿قالت الأعراب﴾ [هم] نفر من بني أسد، [أتوا النبي ﷺ في سنة مجدبة، فأظهروا الإسلام، ولم يكونوا مؤمنين، فأفسدوا طرق المدينة بالقَذَرات، وأغْلَوْا الأسعار، وكانوا يمنون على النبي ﷺ، بأنهم أسلموا ولم يقاتلوه كما فعل غيرهم، فنزلت فيهم هذه الآيات إلى آخر السورة] ﴿آمنّا﴾ صدقنا بقلوبنا ﴿قل﴾ لهم ﴿لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾ انقدنا ظاهراً ﴿ولما﴾ أي: لم ﴿يدخل الإيمان في قلوبكم﴾ إلى الآن، لكنه يتوقع منكم ﴿وإن تطيعوا الله ورسوله﴾ بالإيمان وغيره ﴿لا يألتكم﴾ بالهمز [مع اللام مكسورة] وتركه، وبإبداله ألفاً، لا ينقصكم ﴿من أعمالكم﴾ من ثوابها ﴿شيئاً إن الله غفور﴾ للمؤمنين ﴿رحيم﴾ بهم. ١٥ ﴿إنما المؤمنون﴾ أي: الصادقون في إيمانهم، كما صرح به بعدُ ﴿الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا﴾ لم يشكوا في الإيمان ﴿وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله﴾ فجهادهم يُظهر صدقهم في إيمانهم ﴿أولئك هم الصادقون﴾ في إيمانهم، لا من قالوا: آمنا ولم يوجد منهم غير الإسلام [ظاهراً]. ١٦ ﴿قل﴾ لهم ﴿أتعلمون الله بدينكم؟﴾ مُضَعَّف «عَلِمَ»، بمعنى: شَعَر، أي: أتشعرونه بما أنتم عليه في قولكم آمنا؟ ﴿والله يعلم ما في السماوات وما في الأرض والله بكل شيء عليم﴾. ١٧ ﴿يمنون عليك أن أسلموا﴾ من غير قتال، بخلاف غيرهم ممن أسلم بعد قتاله منهم ﴿قل لا تمنوا علي إسلامكم﴾ منصوب بنزع الخافض [وهو:] «الباء»، ويُقَدَّر [باء أخرى] قبل «أن» في الموضعين: [أي: «أن أسلموا» و «أن هداكم»] ﴿بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين﴾ في قولكم «آمنا». ١٨ ﴿إن الله يعلم

ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ

= قدرة على إنصافه من ظالمه: ظلمني فلان بكذا. . . الثاني: «الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي إلى الصواب» فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر: فلان يعمل كذا فازجره عنه، وإن لم يكن يقصد إزالة المنكر فحرام. الثالث: «الاستفتاء»: فيجوز أن يقول للمفتي: ظلمني فلان بكذا فهل له ذلك؟ ولكن الأحوط أن يقول: ما تقول في رجل كان أمره كذا؟. الرابع: «تحذير المسلمين من الشر» وذلك من وجوه منها: بيان جرح المجروحين من الرواة والشهود وذلك جائز بإجماع المسلمين بل واجب للحاجة. ومنها: المشاورة في مصاهرة إنسان أو مشاركته أو معاملته أو غير ذلك، فيجب على المستشار أن لا يخفي حاله، بل يذكر المساوىء التي يعرفها فيه بنية النصيحة. الخامس: «أن يكون مجاهراً بفسقه أو بدعته» فيجوز ذكره بما يجاهر به. السادس: «التعريف» إذا كان الإنسان معروفاً بلقب ــ كالأعرج والأصم ــ جاز تعريفه بذلك، ويحرم إطلاقه على جهة التنقيص، ولو أمكن تعريفه بغير ذلك كان أولى. فهذه ستة أسباب ذكرها العلماء ودلائلها من الأحاديث الصحيحة مشهورة. اهـ.

غيب السماوات والأرض﴾ أي: ما غاب فيهما ﴿والله بصير بما يعملون﴾ بالياء والتاء: لا يخفى عليه شيء منه.

﴿سُورَةُ قٓ﴾

(مكية، إلاَّ: «ولقد خلقنا السماوات والأرض» الآية، فمدنية، خمس وأربعون آية)

غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

(٥٠) سُورَةُ قٓ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا خَمْسٌ وَأَرْبَعُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ﴿ق﴾ الله أعلم بمراده به ﴿والقرآن المجيد﴾ الكريم، [وجواب القسم محذوف تقديره:] ما آمن كفار مكة بمحمد ﷺ.
٢ ﴿بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم﴾ رسول [من أنفسهم]، ينذرهم [و] يخوفهم بالنار بعد البعث ﴿فقال الكافرون هذا﴾ الإنذار ﴿شيء عجيب﴾.
٣ ﴿ءإذا﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين، [وتركه] ﴿متنا وكنا تراباً﴾ نرجع؟ ﴿ذلك رجع بعيد﴾ في نهاية البعد. ٤ ﴿قد علمنا ما تنقص﴾ تأكل ﴿الأرض منهم﴾ [أي: ما تأكل من أجسادهم في البلى، نعلم ذلك، ولا يخفى علينا أين تفرقت الأبدان، وأين ذهبت] ﴿وعندنا كتاب حفيظ﴾ هو اللوح المحفوظ، فيه جميع الأشياء المقدرة.
٥ ﴿بل كذبوا بالحق﴾ بالقرآن ﴿لما جاءهم فهم﴾ في شأن النبي ﷺ والقرآن ﴿في أمر مريج﴾ مضطرب [مختلط، حيث] قالوا مرة: ساحر وسحر، ومرة: شاعر وشعر، ومرة: كاهن وكهانة. ٦ ﴿أفلم ينظروا﴾ بعيونهم، معتبرين بعقولهم، حين أنكروا البعث ﴿إلى السماء﴾ كائنة ﴿فوقهم كيف بنيناها﴾ بلا عَمَدٍ ﴿وزيناها﴾ بالكواكب ﴿وما لها من فروج﴾ شقوق تعيبها؟.
٧ ﴿والأرض﴾ معطوف على موضع «إلى السماء»، كيف ﴿مددناها؟﴾ [أي: مهدناها وجعلناها صالحة للحياة، وقيل:] دحوناها على وجه الماء[1] [من تحت الكعبة] ﴿وألقينا فيها رواسي﴾ جبالاً تثبتها.

---

(١) قوله: «دحوناها على وجه الماء» روى هذا المعنى الطبراني والبيهقي في الشعب وغيرهما عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما موقوفاً، ورواه ابن المنذر عن أبي هريرة رضي الله عنه موقوفاً أيضاً، وأخرجه ابن جرير الطبري عن السدي، ونسبه القرطبي إلى ابن عباس رضي الله عنهما، ولم يثبت ذلك مرفوعاً إلى النبي ﷺ، ارجع إلى تفسير قوله تعالى: ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة﴾ الآية «٩٦» من «آل عمران» ص ٧٨.

﴿وأنبتنا فيها من كل زوج﴾ صنف ﴿بهيج﴾ يُبْهَجُ به لحُسنه. ٨﴿تبصرة﴾ مفعول له، أي: فعلنا ذلك تبصيراً منا ﴿وذكرى﴾ تذكيراً ﴿لكل عبد منيب﴾ رجاع إلى طاعتنا ٩﴿ونزلنا من السماء ماءً مباركاً﴾ كثير البركة ﴿فأنبتنا به جنات﴾ بساتين ﴿وحب﴾ الزرع ﴿الحصيد﴾ المحصود. ١٠﴿والنخل باسقات﴾ طوالاً، حال مقدرة، [أي: مقدراً لها الطول بعد حين] ﴿لها طلع نضيد﴾ متراكب بعضه فوق بعض. ١١﴿رزقاً للعباد﴾ مفعول له ﴿وأحيينا به بلدة ميتاً﴾ يستوي فيه المذكر والمؤنث ﴿كذلك﴾ مِثْل هذا الإحياء ﴿الخروج﴾ من القبور، فكيف تنكرونه؟، والاستفهام للتقرير، والمعنى: أنهم نظروا وعلموا ما ذكر، [فكيف ينكرون البعث؟]. ١٢﴿كذبت قبلهم قوم نوح﴾ تأنيث الفعل لمعنى «قوم»، [لأنه بمعنى «أمة»] ﴿وأصحاب الرس﴾ هي: بئر كانوا مقيمين عليها بمواشيهم، يعبدون الأصنام، ونبيهم قيل: حنظلة بن صفوان، وقيل: غيره ﴿وثمود﴾ قوم «صالح».

١٣﴿وعاد﴾ قوم «هود» ﴿وفرعون وإخوان لوط﴾ [أي: قومه].

١٤﴿وأصحاب الأيكة﴾ أي: الغيضة، قوم شعيب ﴿وقوم تبع﴾[1] هو: ملك كان باليمن، أسلم ودعا قومه إلى الإسلام، فكذبوه، [ولم يكن نبياً] ﴿كل﴾ من المذكورين ﴿كذب الرسل﴾ كقريش ﴿فحق وعيد﴾ وجب نزول العذاب على الجميع، فلا يضيق[2] صدرك من كفر قريش بك.

١٥﴿أفعيينا بالخلق الأول﴾ [فلم نعرف كيف نخلقه؟]، أي: لم نَعْيَ به، فلا نَعْيَا بالإعادة ﴿بل هم في لبس﴾ شك ﴿من خلق جديد﴾ وهو البعث.

١٦﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم﴾ حال بتقدير «نحن» ﴿ما﴾ مصدرية ﴿توسوس﴾ تحدث ﴿به﴾ الباء زائدة، أو للتعدية، والضمير للإنسان ﴿نفسه ونحن أقرب إليه﴾ بالعلم ﴿من حبل الوريد﴾ الإضافة للبيان، والوريدان: عرقان بصفحتي العنق. ١٧﴿إذ﴾ ناصبُهُ «اذكر» مقدراً ﴿يتلقى﴾ يأخذ ويُثْبِتُ ﴿المتلقيان﴾ الملكان الموكلان بالإنسان، ما يعمله ﴿عن اليمين وعن الشمال﴾ منه ﴿قعيد﴾ قاعدان، وهو مبتدأ، خبره ما قبله، [أي: الجار والمجرور]. ١٨﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب﴾ حافظ ﴿عتيد﴾ حاضر، وكل منهما بمعنى المثنى، [أي: كل منهما يقال له: «رقيب عتيد»]. ١٩﴿وجاءت

وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ

---

(١) قوله تعالى: ﴿وقوم تبع﴾، ارجع إلى تعليقنا حول «تبع» ص ٦٥٨، وإلى تعليقنا حول قومه «سبأ» ص ٥٦٢.

(٢) قوله: «فلا يضيق»، هو هكذا برفع الفعل في المخطوطات والنسخ المطبوعة، ولعله سهو، لأن «لا» ناهية، وحقه أن يكون: «فلا يَضِقْ»، وقد جاء مثله في تفسير الآية «٤٨» من سورة «الطور» كما سيأتي ص ٧٠٠، والمعنى على اعتبار «لا» نافية بعيد، فتأمل.

سكرة الموت﴾ غمرته وشدته ﴿بالحق﴾ من أمر الآخرة، حتى يراه المنكر لها عياناً، وهو: نفس الشدة ﴿ذلك﴾ أي: الموت ﴿ما كنت منه تحيد﴾ تهرب وتفزع. ٢٠﴿ونفخ في الصور﴾ للبعث ﴿ذلك﴾ أي: يوم النفخ ﴿يوم الوعيد﴾ للكفار بالعذاب. ٢١﴿وجاءت﴾ فيه ﴿كل نفس﴾ إلى المحشر ﴿معها سائق﴾ ملك يسوقها إليه ﴿وشهيد﴾ يشهد عليها بعملها، وهو: الأيدي والأرجل وغيرها، ويقال للكافر: ٢٢﴿لقد كنت﴾ في الدنيا ﴿في غفلة من هذا﴾ النازل بك اليوم ﴿فكشفنا عنك غطاءك﴾ أزلنا غفلتك، بما تشاهده اليوم ﴿فبصرك اليوم حديد﴾ حاد، تدرك به ما أنكرته في الدنيا. ٢٣﴿وقال قرينه﴾[1] الملك الموكل به ﴿هذا ما﴾ أي: الذي ﴿لدي عتيد﴾ حاضر. ٢٤ فيقال لمالكٍ [خازن النار]: ﴿ألقيا في جهنم﴾ أي: ألقِ ألقِ، [فالتثنية للتوكيد، قاله المبرِّد، وقال الخليل بن أحمد والأخفش: هذا كلام العرب الفصيح، أن تخاطب الواحد بلفظ الاثنين: أي ـ أحياناً ـ ومنه قول امرىء القيس: «قفا نبك..»] أو: «ألقين»[2] [بنون التوكيد الخفيفة]، وبه قرأ الحسن [البصري، وهي قراءة شاذة]، فأبدلت النون ألفاً ﴿كل كفار عنيد﴾ معاند للحق. ٢٥﴿مناع للخير﴾ كالزكاة ﴿معتد﴾ ظالم ﴿مريب﴾ شاك في دينه. ٢٦﴿الذي جعل مع الله إلهاً آخر﴾ مبتدأ ضُمِّنَ معنى الشرط، خبره ﴿فألقياه﴾ تفسيره مثل ما تقدم [في: «ألقيا في جهنم»] ﴿في العذاب الشديد﴾. ٢٧﴿قال قرينه﴾ الشيطان ﴿ربنا ما أطغيته﴾ أضللته ﴿ولكن كان في ضلال بعيد﴾ فدعوته فاستجاب لي، وقال هو: أطغاني بدعائه لي. ٢٨﴿قال﴾ تعالى ﴿لا تختصموا لدي﴾ أي: ما ينفع الخصام هنا ﴿وقد قدمت إليكم﴾ في الدنيا ﴿بالوعيد﴾ بالعذاب في الآخرة لو لم تؤمنوا، ولا بد منه. ٢٩﴿ما يبدل﴾ يغيِّر ﴿القول لدي﴾ في ذلك ﴿وما أنا بظلام للعبيد﴾ فأعذبهم بغير جُرم، و «ظلاَّم» بمعنى: ذي ظلم، لقوله: «لا ظلم اليوم».
٣٠﴿يوم﴾ ناصبه «ظلاَّم» ﴿نقول﴾ بالنون والياء ﴿لجهنم هل امتلأت؟﴾ استفهام تحقيق، لوعده بملئها ﴿وتقول﴾ بصورة الاستفهام كالسؤال ﴿هل من مزيد؟﴾ أي: لا أسع غير ما امتلأت به، أي: قد امتلأت، [أو: هو استفهام بمعنى الاستزادة، أي: هل من مزيد فأزداد؟]. ٣١﴿وأزلفت الجنة﴾ قربت ﴿للمتقين﴾ مكاناً ﴿غير بعيد﴾ منهم فيرونها، ويقال لهم:

سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ * قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾

---

(١) قوله تعالى: ﴿قال قرينه﴾، ارجع إلى تعليقنا حول معاني «القرين» ص ٦٣٣.

(٢) قوله: «أو: ألقين، وبه قرأ الحسن إلخ»، هذا سهو من الجلال المحلي، صوابه: أن قراءة الحسن هي: بهمزة مكسورة وبألف ممدودة بعد القاف وهمزة منصوبة منونة، أي: «إلقاءً» مصدر «ألقى»، كما ضبطها في كتاب «إتحاف فضلاء البشر»، وهي قراءة شاذة كما ذكرنا.

٣٢﴿هذا﴾ المرئي ﴿ما توعدون﴾ بالتاء والياء، في الدنيا، ويبدل من «للمتقين» قوله: ﴿لكل أواب﴾ رجاع إلى طاعة الله ﴿حفيظ﴾ حافظ لحدوده. ٣٣﴿من خشي الرحمن بالغيب﴾ خافه ولم يره، [أو: في الخلوة حين لا يراه أحد] ﴿وجاء بقلب منيب﴾ مقبل على طاعته. ٣٤ ويقال للمتقين أيضاً: ﴿ادخلوها بسلام﴾ سالمين من كل مخوف، أو: مع سلام، أي: سلّموا وادخلوا ﴿ذلك﴾ اليوم الذي حصل فيه الدخول ﴿يوم الخلود﴾ الدوام في الجنة. ٣٥﴿لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد﴾ زيادة على ما عملوا وطلبوا. ٣٦﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن﴾ أي: أهلكنا قبل كفار قريش قروناً، [أي:] أمماً كثيرة من الكفار ﴿هم أشد منهم بطشاً﴾ قوة ﴿فنقبوا﴾ فتّشوا ﴿في البلاد هل من محيص﴾ [أي: محيد ومهرب] لهم أو لغيرهم من الموت؟ فلم يجدوا. ٣٧﴿إن في ذلك﴾ المذكور ﴿لذكرى﴾ لعظة ﴿لمن كان له قلب﴾ عقل [يتدبر به] ﴿أو ألقى السمع﴾ استمع الوعظ ﴿وهو شهيد﴾ حاضر بالقلب. ٣٨﴿ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام﴾ [أي: في مقدارها، وقيل:] أولها الأحد وآخرها الجمعة ﴿وما مسنا من لغوب﴾ تعب، نزل رداً على اليهود في قولهم: إن الله استراح يوم السبت، وانتفاء التعب عنه، بتنزهه تعالى عن صفات المخلوقين، ولعدم المماسة بينه وبين غيره، «إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون». ٣٩﴿فاصبر﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿على ما يقولون﴾ أي: اليهود وغيرهم، من التشبيه والتكذيب ﴿وسبح بحمد ربك﴾ صلّ حامداً ﴿قبل طلوع الشمس﴾ أي: صلاة الصبح ﴿وقبل الغروب﴾ أي: صلاتي الظهر والعصر. ٤٠﴿ومن الليل فسبحه﴾ أي: صل العشائين ﴿وأدبار السجود﴾ بفتح الهمزة جمع «دُبُر»، وكسرها مصدر «أدبر»، أي: صل النوافل المسنونة عقب الفرائض، وقيل: المراد حقيقة التسبيح في هذه الأوقات، ملابساً للحمد.

٤١﴿واستمع﴾ يا مخاطب مقولي ﴿يوم يناد المناد﴾ هو إسرافيل ﴿من مكان قريب﴾ [يسمعه الخلق، وقيل: قريب] من السماء[1]، وهو صخرة بيت المقدس، أقرب موضع من الأرض إلى السماء، يقول: أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة، واللحوم المتمزقة، والشعور المتفرقة، إن الله يأمركنّ أن تجتمعْن لفصل القضاء.

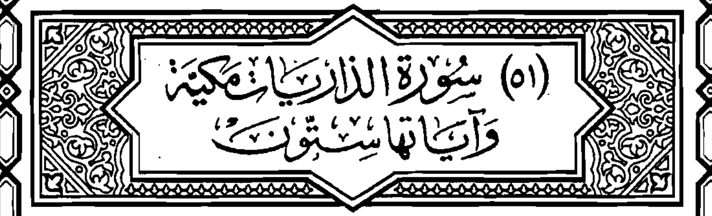
هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ

٤٢﴿يوم﴾ يبدل من «يوم» قبله ﴿يسمعون﴾ أي: الخلق كله ﴿الصيحة بالحق﴾ بالبعث، وهي النفخة الثانية من إسرافيل، ويحتمل أن تكون قبل ندائه وبعده ﴿ذلك﴾ أي: يوم النداء والسماع ﴿يوم الخروج﴾ من القبور، وناصب «يوم» ــ الثانية ــ: «ينادي» مقدراً، أي: يعلمون عاقبة تكذيبهم. ٤٣﴿إنا نحن نحيي ونميت

(١) قوله: «من السماء إلخ»، هذا قول مروي عن كعب الأحبار وغيره، وليس فيه شيء مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فالله أعلم.

وإلينا المصير﴾. ٤٤﴿يوم﴾ بدل من «يوم» قبله، وما بينهما اعتراض ﴿تشقق﴾ بتخفيف الشين، وتشديدها بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها ﴿الأرض عنهم سراعاً﴾ جمع «سريع»، حال من مقدر، أي: فيخرجون مسرعين ﴿ذلك حشر علينا يسير﴾ فيه فصلٌ بين الموصوف والصفة بمتعلّقها، [أي: «علينا»]، للاختصاص، [أي: لإفادة اختصاص الله تعالى بالقدرة على الحشر]، وهو لا يضر، و«ذلك» إشارة إلى معنى الحشر المخبر به عنه، وهو: الإحياء بعد الفناء، والجمع للعرض والحساب. ٤٥﴿نحن أعلم بما يقولون﴾ أي: كفار قريش ﴿وما أنت عليهم بجبار﴾ تجبرهم على الإيمان، [كقوله تعالى: «لست عليهم بمسيطر»]، وهذا قبل الأمر بالجهاد ﴿فذكر بالقرآن من يخاف وعيد﴾ وهم المؤمنون.

وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ

﴿سورة الذاريات﴾

(مكية، ستون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١﴿والذاريات﴾ [هي:] الرياح تذرو التراب وغيره ﴿ذرواً﴾ مصدر، ويقال: تذريه ذرياً، تهُبُّ به. ٢﴿فالحاملات﴾ [هي:] السُّحُبُ تحمل الماء ﴿وقراً﴾ ثقلاً، مفعول «الحاملات».
٣﴿فالجاريات﴾ [هي:] السفن تجري على وجه الماء ﴿يسراً﴾ بسهولة، مصدر في موضع الحال، أي: ميسرة. ٤﴿فالمقسمات أمراً﴾ الملائكة تقسم الأرزاق والأمطار وغيرها، بين العباد والبلاد، [وفق أمر الله تعالى]. ٥﴿إنما توعدون﴾ «ما» مصدرية، أي: إن وعدهم بالبعث وغيره ﴿لصادق﴾ لوعد صادق.
٦﴿وإن الدين﴾ الجزاء بعد الحساب ﴿لواقع﴾ لا محالة.
٧﴿والسماء ذات الحبك﴾ [أي: طرائق النجوم]، جمع «حبيكة»، كـ«طريقة» و«طُرُق»، أي: صاحبة الطرق في الخلقة[1]، كالطريق في الرمل.
٨﴿إنكم﴾ يا أهل مكة، في شأن النبي ﷺ والقرآن ﴿لفي قول مختلف﴾ قيل [في النبي ﷺ]: «شاعر، ساحر، كاهن» و[قيل في القرآن]: «شعر، سحر، كهانة». ٩﴿يؤفك﴾ يصرف ﴿عنه﴾ عن النبي ﷺ والقرآن، أي: عن الإيمان به ﴿من أفك﴾ صُرِفَ عن الهداية، في علم الله تعالى. ١٠﴿قتل الخراصون﴾ لُعِنَ الكذابون، أصحاب القول المختلف. ١١﴿الذين هم في غمرة﴾ جهل يغمرهم

(١) قوله: «صاحبة الطرق في الخلقة»، أي: هكذا خلقها الله تعالى وفيها طُرُق للكواكب ومسارات، وأصل «الحَبْك»: الشد والإحكام، فالآية تشير إلى دقة خلق السماء مع ما فيها من مسارات النجوم التي لا تحصى، وهي دليل على قدرة الله تعالى وكمال صفاته جلّ وعزّ.

﴿ساهون﴾ غافلون عن أمر الآخرة. ١٢﴿يسألون﴾ النبي ﷺ استهزاءً ﴿أيان يوم الدين؟﴾ أي: متى مجيئه؟ ١٣ وجوابهم يجيء: ﴿يوم هم على النار يفتنون﴾ أي: يعذبون فيها. ١٤ ويقال لهم حين التعذيب: ﴿ذوقوا فتنتكم﴾ تعذيبكم ﴿هذا﴾ العذاب ﴿الذي كنتم به تستعجلون﴾ في الدنيا استهزاء. ١٥﴿إن المتقين في جنات﴾ بساتين ﴿وعيون﴾ تجري فيها. ١٦﴿آخذين﴾ حال من الضمير في خبر «إنَّ» ﴿ما آتاهم﴾ أعطاهم﴿ربهم﴾ من الثواب ﴿إنهم كانوا قبل ذلك﴾ أي: دخولهم الجنة ﴿محسنين﴾ في الدنيا. ١٧﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون﴾ و«ما» زائدة، و«يهجعون» خبر «كان»، و«قليلاً» ظرف، أي: ينامون في زمن يسير من الليل، ويصلون أكثره.

سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ

١٨﴿وبالأسحار هم يستغفرون﴾ يقولون: اللهم اغفر لنا. ١٩﴿وفي أموالهم حق للسائل والمحروم﴾ الذي لا يسأل[1] لتعففه. ٢٠﴿وفي الأرض﴾ من الجبال والبحار والأشجار والثمار والنبات وغيرها ﴿آيات﴾ دلالات على قدرة الله سبحانه وتعالى ووحدانيته ﴿للموقنين﴾. ٢١﴿وفي أنفسكم﴾ آيات أيضاً، من مبدأ خلقكم إلى منتهاه، وما في تركيب خلقكم من العجائب ﴿أفلا تبصرون﴾ ذلك، فتستدلون به على صانعه وقدرته؟ ٢٢﴿وفي السماء رزقكم﴾ أي: المطر المسبَّب عنه النبات، الذي هو رزق ﴿وما توعدون﴾ من المآب والثواب والعقاب، أي: مكتوب ذلك في السماء. ٢٣﴿فورب السماء والأرض إنه﴾ أي: ما توعدون ﴿لحق مثل ما أنكم تنطقون﴾ برفع «مثل» صفة، و«ما» زائدة، وبفتح اللام مركبة مع «ما»، المعنى: مثل نطقكم في حقيقته، أي: معلوميته عندكم ضرورة، [لا تشكون فيه، كما لو أن] صدوره عنكم. ٢٤﴿هل أتاك﴾ خطاب للنبي ﷺ، [أي: قد أتاك بإخبارنا] ﴿حديث ضيف إبراهيم المكرمين؟﴾ وهم ملائكة: اثنا عشر أو: عشرة، أو: ثلاثة، منهم «جبريل». ٢٥﴿إذ﴾ ظرف لـ «حديث ضيف» ﴿دخلوا عليه فقالوا سلاماً﴾ أي: هذا اللفظ ﴿قال سلام﴾ أي: هذا اللفظ ﴿قوم منكرون﴾ لا نعرفهم، قال ذلك في نفسه، وهو خبر مبتدأ مقدر، أي: هؤلاء. ٢٦﴿فراغ﴾ مال ﴿إلى أهله﴾ سراً ﴿فجاء بعجل

(١) قوله: «الذي لا يَسْأل لتعفُّفه»، أي: لا يسأل الناس مالاً ولا يطلبه منهم، ولقد توسع بعض الناس في السؤال فاتخذوا من «التكفُّف» مهنةً لهم يجنون بها الأموال من غير كدٍّ ولا عمل، والناس يعطونهم ويساعدونهم ظناً منهم أن هؤلاء المتكففين هم «السائلون» الذين يعنيهم القرآن الكريم، بل ظن بعضهم أن الإسلام يشجع على «التكفف» مع ما فيه من مذلة وهوان، وبطالة وكسل وتواكل، وهذه كلها خصال لا يحبها الله تعالى في عبد، ولا يرضى عن عبد هي فيه، فكان لزاماً بيان حكم السؤال ومتى يجوز أو لا يجوز، فنقول: =

سمين﴾ [فشواه]، وفي سورة«هود»: «بعجل حنيذ»، أي: مشوي. ٢٧﴿فقربه إليهم قال ألا تأكلون﴾؟ عرض عليهم الأكل، فلم يجيبوا. ٢٨﴿فأوجس﴾ أضمر في نفسه ﴿منهم خيفة قالوا لا تخف﴾ إنا رسل ربك﴿وبشروه بغلام عليم﴾ ذي علم كثير، وهو: «إسحاق»، كما ذكر في «هود»[في قوله: «وبشرناه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب»]. ٢٩﴿فأقبلت امرأته﴾ «سارة» ﴿في صرة﴾ صيحة، حال، أي: جاءت صائحة ﴿فصكت وجهها﴾ لطمته ﴿وقالت عجوز عقيم﴾ لم تلد قط، وعمرُها تسع وتسعون سنة، وعمرُ إبراهيم مائة سنة، [قاله: مجاهد]، أو: عمره مائة وعشرون سنة، وعمرها تسع وتسعون سنة، [وقيل: غير ذلك، والله أعلم]. ٣٠﴿قالوا كذلك﴾ أي: مثل قولنا في البشارة﴿قال ربك إنه هو الحكيم﴾ في صنعه ﴿العليم﴾ بخلقه. ٣١﴿قال فما خطبكم﴾ شأنكم ﴿أيها المرسلون﴾. ٣٢﴿قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين﴾ كافرين، أي: قوم لوط. ٣٣﴿لنرسل عليهم حجارة من طين﴾ يطبخ في النار [حتى يَصْلُبَ، وهو «السجيل»، لنرجمهم به]. ٣٤﴿مسومة﴾ معلمة، عليها اسم من يُرمى بها ﴿عند ربك﴾ ظرف لها ﴿للمسرفين﴾ بإتيانهم الذكور مع كفرهم. ٣٥﴿فأخرجنا من كان فيها﴾ أي: قرى قوم لوط ﴿من المؤمنين﴾ لإهلاك الكافرين. ٣٦﴿فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾ وهو لوط وابنتاه، وصفوا بالإيمان والإسلام، أي: هم مصدقون بقلوبهم، عاملون بجوارحهم الطاعات. ٣٧﴿وتركنا فيها﴾ بعد إهلاك الكافرين ﴿آية﴾ علامة على إهلاكهم ﴿للذين يخافون العذاب الأليم﴾ فلا يفعلون مثل فعلهم. ٣٨﴿وفي موسى﴾ معطوف على «فيها»، المعنى: وجعلنا في قصة موسى آية ﴿إذ أرسلناه إلى فرعون﴾ متلبساً ﴿بسلطان مبين﴾ بحجة واضحة. ٣٩﴿فتولى﴾ أعرض عن الإيمان ﴿بركنه﴾ مع جنوده، لأنهم له كالركن ﴿وقال﴾ لموسى [أي: عنه]: هو ﴿ساحر أو مجنون﴾. ٤٠﴿فأخذناه وجنوده فنبذناهم﴾ طرحناهم ﴿في اليم﴾ البحر فغرقوا ﴿وهو﴾ أي: فرعون

سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ * قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ

حزب ٥٣ جزء ٢٧

= إن «سؤال الناس» من غير ضرورة حرام، لما رواه مسلم عن قَبيصة بن مُخارق الهلالي رضي الله عنه قال: تحمّلتُ حَمَالَةً ــ أي: تكفلت بمالٍ لقاء صلح ــ فأتيت رسول الله ﷺ أسألُهُ فيها، فقال: «أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمرَ لك بها» ثم قال: «يا قبيصة، إن المسألة ــ أي: سؤال الناس ــ لا تحل إلاَّ لأحد ثلاثة: رجل تحمل حَمَالةً فحلّت له المسألةُ حتى يُصيبها ثم يُمسك، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله ــ أي: أهلكته ــ فحلّت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش، أو قال: سِداداً من عيش، ورجل أصابته فاقة ــ أي: حاجة شديدة حتى يقول ثلاثة من ذوي الحجا ــ أي: العقلاء ــ من قومه: لقد أصابت فلاناً فاقة، فحلّت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش، أو قال: سداداً من عيش، فما سواهن من المسألة يا قبيصةُ سُحْتاً يأكلها صاحبُها سُحْتاً» أي: حراماً، فعندما أمر الله تعالى بإعطاء «السائل» أو «السائلين» فإنما يعني أصحاب الضرورة الملجئة إلى السؤال، أما «المتكففون الناس» لجمع المال بدل العمل من غير ضرورة، فإن كسبهم سحت وحرام، ولا يجوز أن نعطيهم شيئاً إذا علمنا عدم حاجتهم، ولهؤلاء يقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه الشيخان =

﴿مليم﴾ آتٍ بما يلام عليه، من تكذيب الرسل، ودعوى الربوبية. ٤١ ﴿وفي﴾ إهلاك ﴿عاد﴾ آية ﴿إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾ هي التي لا خير فيها، لأنها لا تحمل المطر ولا تلقح الشجر، وهي «الدَّبُورُ» [روى البخاري ومسلم، عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «نُصِرْتُ بالصَّبا، وأُهْلِكَتْ عادٌ بالدَّبُور»، و «الصَّبَا» بفتح الصاد، هي: الريح التي تَهُبُّ من مطلع الشمس، و «الدَّبور» بفتح الدال، هي: التي تَهُبُّ من مغربها]. ٤٢ ﴿ما تذر من شيء﴾ نفس أو مال ﴿أتت عليه إلاَّ جعلته كالرميم﴾ كالبالي المتفتت. ٤٣ ﴿وفي﴾ إهلاك ﴿ثمود﴾ آية ﴿إذ قيل لهم﴾ بعد عقرهم الناقة ﴿تمتعوا حتى حين﴾ أي: إلى انقضاء آجالكم، كما في آية: «تمتعوا في داركم ثلاثة أيام». ٤٤ ﴿فعتوا﴾

مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾

تكبروا ﴿عن أمر ربهم﴾ أي: عن امتثاله ﴿فأخذتهم الصاعقة﴾ بعد مضي الثلاثة [الـ] أيام، أي: الصيحة المهلكة ﴿وهم ينظرون﴾ أي: بالنهار. ٤٥ ﴿فما استطاعوا من قيام﴾ أي: ما قدروا على النهوض، حين نزول العذاب ﴿وما كانوا منتصرين﴾ على من أهلكهم. ٤٦ ﴿وقوم نوح﴾ بالجر، عطف على «ثمود»، أي: وفي إهلاكهم بماء السماء والأرض آية، وبالنصب أي: وأهلكنا قوم نوح ﴿من قبل﴾ أي: قبل إهلاك هؤلاء المذكورين ﴿إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾. ٤٧ ﴿والسماء بنيناها بأيد﴾ بقوة ﴿وإنا لموسعون﴾ قادرون، يقال: «آدَ» الرجل «يئيد» قَوِيَ، و «أَوْسَعَ» الرجلُ: صار ذا سعة وقوة. ٤٨ ﴿والأرض فرشناها﴾ مهدناها ﴿فنعم الماهدون﴾ نحن. ٤٩ ﴿ومن كل شيء﴾ متعلق بقوله: «خلقنا» ﴿خلقنا زوجين﴾ صنفين، كالذكر والأنثى، والسماء والأرض، والشمس والقمر، والسهل والجبل، والصيف والشتاء، والحلو والحامض، والنور والظلمة ﴿لعلكم تذكرون﴾ بحذف إحدى التاءين من الأصل، [أي: بتخفيف الذال، وفي قراءة بتشديدها]، فتعلمون أن خالق الأزواج فرد، فتعبدونه. ٥٠ ﴿ففروا إلى الله﴾ أي: إلى ثوابه، من عقابه، بأن تطيعوه ولا تعصوه ﴿إني لكم منه نذير مبين﴾ بيِّنُ الإنذار. ٥١ ﴿ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر إني لكم منه نذير مبين﴾ يُقَدَّرُ قبل «ففروا»: «قل لهم»: ٥٢ ﴿كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلاَّ قالوا﴾ هو ﴿ساحر أو مجنون﴾ أي: مثل تكذيبهم لك، بقولهم: إنك ساحر أو مجنون، تكذيب الأمم قبلهم رسلَهم، بقولهم ذلك. ٥٣ ﴿أتواصوا﴾ كلهم ﴿به؟﴾ استفهام بمعنى النفي، [أي: لم يوص بعضهم بعضاً بذلك] ﴿بل هم قوم طاغون﴾ وقد جمعهم على هذا القول طغيانُهم.

= عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله تعالى وليس في وجهه مُزْعَةُ ـ أي: قطعة ـ لحم». ولقد حثّ النبي ﷺ المسلمين على أن يكونوا معطين لا آخذين، فقال ﷺ ـ وهو على المنبر وقد ذكر الصدقة والتعفُّف عن المسألة ـ: «اليد العليا خير من اليد السفلى، واليد العليا هي المنفقة، والسُّفلى هي السَّائلة» رواه الشيخان، بل طلب ﷺ من نفر من أصحابه أن يبايعوه، =

٥٤ ﴿فتول﴾ أعرض ﴿عنهم فما أنت بملوم﴾ لأنك بلّغتَهُمُ الرسالة.

٥٥ ﴿وذكر﴾ عظ بالقرآن ﴿فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ [أي:] مَنْ عَلم الله تعالى أنه يؤمن.

٥٦ ﴿وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدون﴾ ولا ينافي ذلك عدم عبادة الكافرين، لأن الغاية لا يلزم وجودها، كما في قولك: بريت هذا القلم لأكتب به، فإنك قد لا تكتب به، [وقال مجاهد بن جبر: إلاّ ليعرفوني، واستحسنه القرطبي].

٥٧ ﴿ما أريد منهم من رزق﴾ لي، ولأنفسهم وغيرهم ﴿وما أريد أن يطعمون﴾ ولا أنفسهم ولا غيرهم.

٥٨ ﴿إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ الشديد.

٥٩ ﴿فإن للذين ظلموا﴾ أنفسهم بالكفر، من أهل مكة وغيرهم ﴿ذنوبا﴾[1] نصيباً من العذاب ﴿مثل ذنوب﴾ نصيب ﴿أصحابهم﴾ الهالكين قبلهم ﴿فلا يستعجلون﴾ بالعذاب، إن أخّرتُهم إلى يوم القيامة.

٦٠ ﴿فويل﴾ شدة عذاب ﴿للذين كفروا من﴾ في ﴿يومهم الذين يوعدون﴾ أي: يوم القيامة.

﴿ سُورَةُ الطُّورِ ﴾

(مكية، وهي: تسع وأربعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿والطور﴾ أي: الجبل الذي كلم الله عليه موسى.

٢ ﴿وكتاب مسطور﴾.

٣ ﴿في رق﴾ [الرَّق: هو الجلد الرقيق الذي يكتب فيه] ﴿منشور﴾ أي: [مبسوط، و «الكتاب» هو:] التوراة أو القرآن.

فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾

= فبسطوا أيديهم وقالوا: قد بايعناك يا رسول الله، فعَلاَم نبايعُك؟ قال: «أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، والصلوات الخمس، وتطيعوا الله» وأسَرَّ كلمة خفيفة: «ولا تسألوا الناس شيئاً». فكان بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم، فما يسأل أحداً يناوله إياه. رواه مسلم.

(١) قوله تعالى: ﴿ذنوبا﴾ بفتح الذال، هو هنا: النصيب، كما قال الجلال المحلي، وأصل الذَّنوب في اللغة: الدلو العظيمة ـ أي: الملأى ماء ـ، وكانوا يستقون الماء فيقسمون ذلك على الأنصباء، فقيل للذَّنوب «نصيب» من هذا، ومنه حديث الأعرابي الذي بال في المسجد فقام الناس ليقعوا فيه، فقال النبي ﷺ: «دعوه وأريقوا على بوله سَجْلاً من ماء، أو: ذَنوباً من ماء، فإنما بعثتم ميسِّرين ولم تبعثوا معسِّرين» رواه البخاري.

٤ ﴿والبيت المعمور﴾ هو في السماء الثالثة، أو السادسة، أو السابعة[1] بحيال الكعبة، يزوره كل يوم سبعون ألف ملك بالطواف والصلاة، لا يعودون إليه أبداً. ٥ ﴿والسقف المرفوع﴾ أي: السماء. ٦ ﴿والبحر المسجور﴾ أي: المملوء، [هذا قول قتادة السَّدوسي، وقال مجاهد بن جبر: «المُوقَد»، أي: الذي سيُسَجَّر يوم القيامة، لقوله تعالى: «وإذا البحار سُجِّرت»] ٧ [وجواب القسم قوله:] ﴿إن عذاب ربك لواقع﴾ لنازل بمستحقه. ٨ ﴿ما له من دافع﴾ عنه. ٩ ﴿يوم﴾ معمول لـ «واقع» ﴿تمور السماء موراً﴾ تتحرك وتدور. ١٠ ﴿وتسير الجبال سيراً﴾ تصير هباء منثوراً، وذلك في يوم القيامة.

سُورَةُ الطُّورِ ٥٢

وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ

١١ ﴿فويل﴾ شدة عذاب ﴿يومئذ للمكذبين﴾ [الذين كذبوا] الرسل. ١٢ ﴿الذين هم في خوض﴾ باطل ﴿يلعبون﴾ أي: يتشاغلون بكفرهم. ١٣ ﴿يوم يُدَعُّون إلى نار جهنم دعاً﴾ يُدفعون بعنف، بدل من «يوم تمور»، ويقال لهم تبكيتاً [وتوبيخاً]: ١٤ ﴿هذه النار التي كنتم بها تكذبون﴾. ١٥ ﴿أفسحر هذا﴾ العذاب الذي ترون، كما كنتم تقولون في الوحي: هذا سحر؟ ﴿أم أنتم لا تبصرون﴾؟ [لا، بل أنتم ترون النار وتذوقون عذابها]. ١٦ ﴿اصلوها فاصبروا﴾ عليها ﴿أو لا تصبروا﴾ صبركم وجزعكم ﴿سواء عليكم﴾ لأن صبركم لا ينفعكم ﴿إنما تجزون ما كنتم تعملون﴾ أي: جزاءه. ١٧ ﴿إن المتقين في جنات ونعيم﴾. ١٨ ﴿فاكهين﴾ متلذذين ﴿بما﴾ مصدرية ﴿آتاهم﴾ أعطاهم ﴿ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم﴾ عطف على «آتاهم»، أي: بإتيانهم ووقايتهم.

١٩ ويقال لهم: ﴿كلوا واشربوا هنيئاً﴾ حال، أي: مهنئين ﴿بما﴾ الباء سببية ﴿كنتم تعملون﴾ [في الدنيا من العمل الصالح].

٢٠ ﴿متكئين﴾ حال من الضمير المستكنّ، [أي: الملحوظ] في قوله تعالى: «في جنات»، [تقديره: إن المتقين منعمون متكئين] ﴿على سرر مصفوفة﴾ بعضها إلى جنب بعض ﴿وزوجناهم﴾ عطف على «جنات»، أي: قرناهم ﴿بحور عين﴾ عظام الأعين حسانها.

٢١ ﴿والذين آمنوا﴾ مبتدأ ﴿وأتبعناهم﴾ [وفي قراءة: «واتَّبَعَتْهُم»] معطوف على «آمنوا»

---

(١) قوله: «أو السابعة بحيال الكعبة» إلى قوله: «لا يعودون إليه أبداً» إلخ، هذا ما رواه الشيخان في حديث «الإسراء»، ارجع إلى نص الحديث أسفل ص ٣٦٤ وما يليها.

﴿ذرياتهم﴾ [وفي قراءة: «ذريتُهم»]، الصغار والكبار ﴿بإيمان﴾ من الكبار و [بإيمان] من الآباء في الصغار[1]، والخبر: ﴿ألحقنا بهم ذرياتهم﴾ [وفي قراءة: «ذريتهم»] المذكورين، في الجنة، فيكونون في درجتهم، وإن لم يعملوا بعملهم، تكرمةً للآباء، باجتماع الأولاد إليهم ﴿وما ألتناهم﴾ بفتح اللام [من باب «ضرب»]، وكسرها، [من باب «علم»،] نقصناهم ﴿من عملهم﴾ [أي: من عمل الآباء] ﴿من﴾ زائدة ﴿شيء﴾ يزاد في عمل الأولاد ﴿كل امرىء بما كسب﴾ من عمل خير أو شر ﴿رهين﴾ مرهون، يؤاخذ بالشر، ويجازى بالخير. ٢٢﴿وأمددناهم﴾ زدناهم في وقت بعد وقت ﴿بفاكهة ولحم مما يشتهون﴾ وإن لم يصرحوا بطلبه. ٢٣﴿يتنازعون﴾ يتعاطون بينهم ﴿فيها﴾ أي: الجنة ﴿كأساً﴾ خمراً ﴿لا لغو فيها﴾ بسبب شربها يقع بينهم ﴿ولا تأثيم﴾ [أي: لا إثم] به، [أي: بشربه] يلحقهم، بخلاف خمر الدنيا. ٢٤﴿ويطوف عليهم﴾ للخدمة ﴿غلمان﴾ أرقاء [أي: كالعبيد، مسخرون لخدمتهم، إذ لا رقَّ في الآخرة] ﴿لهم كأنهم﴾ حسناً ولطافة ﴿لؤلؤ مكنون﴾ مصون في الصدف، لأنه فيها أحسن منه في غيرها. ٢٥﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ يسأل بعضهم بعضاً، عما كانوا عليه، وما وصلوا إليه، تلذذاً واعترافاً بالنعمة. ٢٦﴿قالوا﴾ إيماء إلى علة الوصول ﴿إنا كنا قبل في أهلنا﴾ في الدنيا ﴿مشفقين﴾ خائفين من عذاب الله. ٢٧﴿فمنَّ الله علينا﴾ بالمغفرة ﴿ووقانا عذاب السموم﴾ أي: النار، لدخولها في المسام. ٢٨ وقالوا إيماء أيضاً: ﴿إنا كنا من قبل﴾ أي: في الدنيا ﴿ندعوه﴾ أي: نعبده موحدين ﴿إنه﴾ بالكسر استئنافاً، وإن كان تعليلاً معنى، وبالفتح تعليلاً لفظاً ﴿هو البر﴾ المحسن الصادق في وعده ﴿الرحيم﴾ العظيم الرحمة. ٢٩﴿فذكر﴾ دُمْ على تذكير المشركين، ولا ترجع عنه لقولهم لك: كاهن مجنون ﴿فما أنت بنعمة ربك﴾ أي: بإنعامه عليك ﴿بكاهن﴾ خبر «ما»، [والباء حرف جر زائد] ﴿ولا مجنون﴾ معطوف عليه. ٣٠﴿أم﴾ [هنا وفي المواضع التالية بمعنى:] بل، [وبمعنى همزة الإنكار] ﴿يقولون﴾ هو ﴿شاعر نتربص به ريب المنون﴾ حوادث الدهر، فيَهْلِكَ كغيره من الشعراء. ٣١﴿قل تربصوا﴾ هلاكي ﴿فإني معكم من المتربصين﴾ هلاككم، فعُذِّبوا بالسيف يوم بدر، و «التربص»: الانتظار. ٣٢﴿أم تأمرهم أحلامهم﴾ عقولهم ﴿بهذا؟﴾ أي: قولهم له: ساحر، كاهن، مجنون، أي: لا تأمرهم بذلك [لو كانوا يعقلون حقاً] ﴿أم﴾ بل ﴿هم قوم طاغون﴾ [ضالون] بعنادهم. ٣٣﴿أم يقولون

ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِيٍٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ

ربع الحزب

(١) قوله: «من الآباء في الصغار» أي: إن الصغار يتبعون خير الأبوين ديناً، فَوَلَدُ المسلم يكون مسلماً تبعاً لوالده، وإذا ارتد الوالد بقي الولد مسلماً تبعاً لأمه المسلمة، أما الولد الكبير أي: البالغ المكلف، فلا يصبح مسلماً بإسلام أحد أبويه الكافرين، بل لا بد من أن يؤمن هو ليصبح في عداد المؤمنين.

﴿تقوله﴾ اختلق القرآن. ؟ لم يختلقه ﴿بل لا يؤمنون﴾ استكباراً. ٣٤ فإن قالوا: اختلقه ﴿فليأتوا بحديث﴾ مختلق ﴿مثله إن كانوا صادقين﴾ في قولهم. ٣٥﴿أم خلقوا من غير شيء﴾ [أي: من غير] خالق ﴿أم هم الخالقون﴾ أنفسهم؟ ولا يُعْقَلُ مخلوق بغير خالق، ولا معدومٌ يَخْلُقُ، فلا بد لهم من خالق هو الله الواحد، فَلِمَ لا يوحدونه، ويؤمنون برسوله وكتابه؟. ٣٦﴿أم خلقوا السماوات والأرض﴾ ولا يَقْدِرُ على خلقهما إلاَّ الله الخالق، فَلِمَ لا يعبدونه؟ ﴿بل لا يوقنون﴾ به، وإلاَّ لآمنوا بنبيه. ٣٧﴿أم عندهم خزائن ربك﴾ من النبوة والرزق وغيرهما، فيَخُصُّوا من شاؤوا بما شاؤوا ﴿أم هم المسيطرون﴾ المتسلطون الجبارون؟، وفعله «سيطر»، ومثله: «بيطر» و «بيقر»[1]. ٣٨﴿أم لهم سلم﴾ مَرْقىً إلى السماء ﴿يستمعون فيه﴾ أي: عليه، كلامَ الملائكة، حتى يمكنهم منازعة النبي بزعمهم ـ إن ادعوا ذلك ـ ﴿فليأت مستمعهم﴾ أي: مدعي الاستماع عليه ﴿بسلطان مبين﴾ بحجة بينة واضحة. ٣٩ ولشبه هذا الزعم، بزعمهم أن الملائكة بنات الله قال تعالى: ﴿أم له البنات﴾ بزعمكم ﴿ولكم البنون﴾ تعالى الله عما زعمتموه.

٤٠﴿أم تسألهم أجراً﴾ على ما جئتهم به من الدين ﴿فهم من مغرم﴾ غُرْمِ ذلك ﴿مثقلون﴾ فلا يُسلمون.

٤١﴿أم عندهم الغيب﴾ أي: علمه ﴿فهم يكتبون﴾ ذلك، حتى يمكنهم منازعة النبي ﷺ، في البعث وأمور الآخرة، بزعمهم؟

٤٢﴿أم يريدون كيداً﴾ بك، ليهلكوك في دار النَّدوة ﴿فالذين كفروا هم المكيدون﴾ المغلوبون المهلكون؟ فحفظه الله منهم، ثم أهلكهم ببدر.

٤٣﴿أم لهم إله غير الله؟ سبحان الله عما يشركون﴾ به من الآلهة، والاستفهام بـ «أم» في مواضعها [الخمسة عشر المتقدمة،] للتقبيح والتوبيخ.

٤٤﴿وإن يروا كِسْفاً﴾[2] بعضاً ﴿من السماء ساقطاً﴾ عليهم، كما قالوا: «فأسقط علينا كِسَفاً من السماء»، أي: تعذيباً لهم ﴿يقولوا﴾ هذا ﴿سحاب مركوم﴾ متراكم [فيه مطر] نرتوي به، ولا يؤمنون.

٤٥﴿فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون﴾ يموتون. ٤٦﴿يوم لا يغني﴾ بدل من: «يومهم» ﴿عنهم

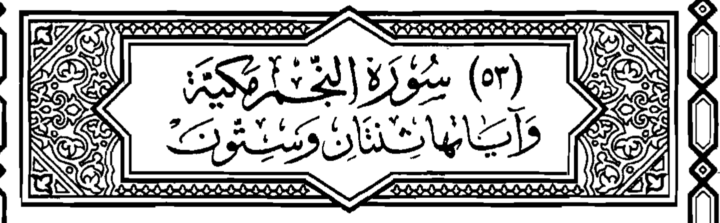
تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ

(١) قوله: «ومثله بيطر وبيقر» ـ أي: في الوزن «مُفَيْعِل» بكسر العين، ولم يأت على هذا الوزن سوى خمسة ألفاظ هي: «محيمر» اسم جبل، و «مسيطر» من «سيطر»، و «مهيمن» من «هيمن»، و «مبيطر» من «بيطر» ومنه البيطار، و «مبيقر» من «بيقر»، أي: فسد وهلك ومشى مِشْيَةَ المتكبر، أما «الباقر» فمعناه: المتبحر المتوسع في العلم من «التبَقُّر».

(٢) قوله تعالى: ﴿وإن يروا كسفاً﴾ بسكون السين، باتفاق القراء ـ هنا ـ ارجع إلى تعليقنا حول معنى «كسفاً» والقراءات فيها ص ٤٩١.

كيدهم شيئاً ولا هم ينصرون﴾ يمنعون من العذاب في الآخرة. ٤٧ ﴿وإن للذين ظلموا﴾ بكفرهم ﴿عذاباً دون ذلك﴾ أي: في الدنيا قبل موتهم، فعذبوا بالجوع والقحط سبع سنين، [كما تقدم في سورة «الدخان» ص ٦٥٧] وبالقتل يوم بدر ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ أن العذاب ينزل بهم. ٤٨ ﴿واصبر لحكم ربك﴾ بإمهالهم، ولا يضقْ صدرك ﴿فإنك بأعيننا﴾ بمرأى منا، نراك ونحفظك ﴿وسبح﴾ متلبساً ﴿بحمد ربك﴾ أي: قل سبحان الله وبحمده ﴿حين تقوم﴾ من منامك أو مجلسك. ٤٩ ﴿ومن الليل فسبحه﴾ حقيقة أيضاً ﴿وإدبار النجوم﴾ مصدر، أي: عقب غروبها سبحه أيضاً، أو: صلِّ في الأول العشاءين، وفي الثاني: [سُنَّة] الفجر، وقيل: [فريضة] الصبح [واختاره الطبري].

كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ

﴿سورة النجم﴾
(مكية، اثنتان وستون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿والنجم﴾ الثريا ﴿إذا هوى﴾ غاب، [وقال الحسن البصري: المراد بالنجم، النجومُ إذا سقطت يوم القيامة، أي: كقوله تعالى: «وإذا الكواكب انتثرت»]. ٢ ﴿ما ضل صاحبكم﴾ محمد عليه الصلاة والسلام، عن طريق الهداية ﴿وما غوى﴾ ما لابس الغيَّ، وهو: جهل من اعتقاد فاسد. ٣ ﴿وما ينطق﴾ بما يأتيكم به ﴿عن الهوى﴾ هوى نفسه. ٤ ﴿إن﴾ ما ﴿هو إلا وحي يوحى﴾ إليه. ٥ ﴿علمه﴾ إياه ملك ﴿شديد القوى﴾. ٦ ﴿ذو مرة﴾ قوة وشدة، أو: منظر حسن. أي: جبريل عليه السلام ﴿فاستوى﴾ استقر. ٧ ﴿وهو بالأفق الأعلى﴾ أفق الشمس، أي: عند مطلعها، على صورته التي خُلق عليها، فرآه النبي[1] ﷺ ــ وكان بحراء ــ قد سَدَّ الأفق إلى المغرب، فخرَّ مغشياً عليه، وكان قد سأله أن يريه نفسه، على صورته التي خُلقَ عليها، فواعَده بحراء، فنزل جبريل عليه السلام له، [على صورته التي هي صورته مرتين، وكان يأتيه] في صورة الآدميين، [روى ذلك مسلم عن عائشة]. ٨ ﴿ثم دنا﴾ قرب منه ﴿فتدلى﴾، زاد في القرب. ٩ ﴿فكان﴾ منه ﴿قاب﴾ قدر

(١) قوله: «فرآه النبي ﷺ إلخ» روى الشيخان وغيرهما عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: حدثنا رسول الله ﷺ قال: «جاورتُ بحراء، فلما قضيتُ جواري هبطتُ، فنوديتُ فنظرتُ عن يميني فلم أرَ شيئاً، ونظرت عن شمالي فلم أرَ شيئاً، ونظرت خلفي فلم أرَ شيئاً، فرفعت رأسي فإذا المَلَكُ الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فجئثتُ منه رعباً، فرجعتُ فقلت: دثِّروني دثِّروني»، وإلى هذه الرؤية يشير قوله تعالى: ﴿ولقد رآه بالأفق المبين﴾، وروى الشيخان والترمذي عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «رأى النبيُّ ﷺ جبريل عليه السلام في صورته مرتين»، أما سؤاله ﷺ جبريل بأن يريه نفسه على صورته التي خُلق عليها الذي أشار إليه المحلي هنا، فقد أخرجه أحمد والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿قوسين أو أدنى﴾ من ذلك، حتى أفاق وسكن روعه. ١٠﴿فأوحى﴾ تعالى ﴿إلى عبده﴾ جبريل ﴿ما أوحى﴾ جبريل إلى النبي ﷺ، ولم يذكر الموحَى، تفخيماً لشأنه. ١١﴿ما كذب﴾ بالتخفيف والتشديد، أنكر ﴿الفؤاد﴾ فؤاد النبي ﴿ما رأى﴾ ببصره، من صورة جبريل. ١٢﴿أفتمارونه﴾ تجادلونه وتغلبونه ﴿على ما يرى﴾ خطاب للمشركين، المنكرين رؤية النبي ﷺ لجبريل، [عندما أخبرهم بالوحي]. ١٣﴿ولقد رآه﴾ [أي: رأى جبريلَ] على صورته ﴿نزلة﴾ مرة ﴿أخرى﴾. ١٤﴿عند سدرة المنتهى﴾ لما أسري به في السماوات، وهي: شجرة نَبْقٍ عن يمين العرش، لا يتجاوزها أحد من الملائكة وغيرهم. ١٥﴿عندها جنة المأوى﴾ تأوي إليها الملائكة، أو: أرواح الشهداء، [قاله: ابن عباس]، أو: المتقون.

قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى

نصف الحزب

١٦﴿إذ﴾ حين ﴿يغشى السدرة ما يغشى﴾ من طير وغيره، و «إذ» معمولة لـ «رآه».

١٧﴿ما زاغ البصر﴾ من النبي ﷺ ﴿وما طغى﴾ أي: ما مال بصره عن مرئيه المقصود له، ولا جاوزه تلك الليلة.

١٨﴿لقد رأى﴾ فيها ﴿من آيات ربه الكبرى﴾ أي: العظام، أي: بعضها، فرأى من عجائب الملكوت، «رفرفاً [أي: بساطاً] أخضر، [قد] سد أفق السماء»، و «[رأى] جبريل له ستمائة جناح» [رواهما البخاري].

١٩﴿أفرأيتم اللات والعزى﴾.

٢٠﴿ومناة الثالثة﴾ لِلَّتَيْنِ قبلها ﴿الأخرى﴾ صفة ذم للثالثة، وهي: أصنام من حجارة، كان المشركون يعبدونها، ويزعمون أنها تشفع لهم عند الله، ومفعول «أفرأيتم» الأول: «اللات» وما عطف عليه، و [المفعول] الثاني: محذوف، والمعنى: أخبروني، ألهذه الأصنام قدرة على شيء ما، فتعبدوها دون الله القادر على ما تقدم ذكره؟.

٢١ ولما زعموا أيضاً، أن الملائكة بنات الله، مع كراهتهم البنات نزل: ﴿ألكم الذكر وله الأنثى؟﴾.

٢٢﴿تلك إذاً قسمة ضيزى﴾ جائرة، من «ضازه يضيزه» إذا ظلمه وجار عليه.

٢٣﴿إن هي﴾ أي: ما المذكورات ﴿إلا أسماء سميتموها﴾ أي: سميتم بها ﴿أنتم وآباؤكم﴾ أصناماً تعبدونها ﴿ما أنزل الله بها﴾ أي: بعبادتها ﴿من سلطان﴾ حجة وبرهان ﴿إن﴾ ما ﴿يتبعون﴾ في عبادتها ﴿إلا الظن وما تهوى الأنفس﴾ مما زين لهم الشيطان، من أنها تشفع لهم عند الله تعالى ﴿ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ على لسان النبي ﷺ، بالبرهان القاطع، فلم يرجعوا عما هم عليه.

٢٤﴿أم للإنسان﴾ أي: لكل إنسان منهم ﴿ما تمنى﴾ من أن الأصنام تشفع لهم؟ ليس الأمر كذلك.

٢٥﴿فلله الآخرة والأولى﴾ أي: الدنيا، فلا يقع فيهما إلا ما يريده تعالى.

٢٦﴿وكم من ملك﴾ أي: وكثير من الملائكة ﴿في السماوات﴾ وما أكرمهم عند الله ﴿لا تغني

شفاعتهم شيئاً إلاَّ من بعد أن يأذن الله﴾ لهم فيها ﴿لمن يشاء﴾ من عباده ﴿ويرضى﴾ عنه، كقوله: «ولا يشفعون إلاَّ لمن ارتضى»، ومعلوم أنها لا توجد منهم، إلاَّ بعد الإذن فيها[1]، «من ذا الذي يشفع عنده إلاَّ بإذنه».

٢٧ ﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى﴾ حيث قالوا: هم بنات الله.

٢٨ ﴿وما لهم به﴾ بهذا المقول ﴿من علم إن﴾ ما ﴿يتبعون﴾ فيه ﴿إلاَّ الظن﴾ الذي تخيلوه ﴿وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً﴾ أي: عن العلم، فيما المطلوب فيه العلم.

٢٩ ﴿فأعرض عن من تولى عن ذكرنا﴾ أي: القرآن ﴿ولم يرد إلاَّ الحياة الدنيا﴾ وهذا قبل الأمر بالجهاد.

٣٠ ﴿ذلك﴾ أي: طلب الدنيا ﴿مبلغهم من العلم﴾ أي: نهاية علمهم، أن آثروا الدنيا على الآخرة ﴿إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى﴾ أي: عالم بهما، فيجازيهما.

٣١ ﴿ولله ما في السماوات وما في الأرض﴾ أي: هو مالك لذلك، ومنه الضال والمهتدي، «يضل من يشاء، ويهدي من يشاء» ﴿ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا﴾ من الشرك وغيره ﴿ويجزي الذين أحسنوا﴾ بالتوحيد وغيره من الطاعات ﴿بالحسنى﴾ أي: الجنة.

٣٢ وبيَّن المحسنين بقوله: ﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلاَّ اللمم﴾[2] هو: صغار الذنوب، كالنظرة والقبلة واللمسة، فهو استثناء منقطع، والمعنى: لكنَّ اللمم، يُغْفَرُ باجتناب الكبائر ﴿إن ربك واسع المغفرة﴾ بذلك، وبقبول التوبة ونزل فيمن كان يقول: «صلاتُنا، صيامُنا، حجُّنا»، [أي: إعجاباً بعملهم]: ﴿هو أعلم﴾ عالم ﴿بكم إذ أنشأكم من الأرض﴾ أي: خلق أباكم آدم من التراب ﴿وإذ أنتم أجنة﴾ جمع «جنين» ﴿في بطون أمهاتكم

شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ
وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ
إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ
شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ
إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ
رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ
ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ
لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟
بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ
إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ
أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ

(١) قوله: «إلاَّ بعد الإذن فيها»، ارجع إلى تعليقنا حول «الشفاعة» ص ٦١٢.

(٢) قوله تعالى: ﴿إلاَّ اللمم﴾، ارجع إلى تعليقنا حول «الكبائر والصغائر» ص ٦٤٢، وإلى تعليقنا حول «التوبة» ص ٧٥٢، وعلى كل حال فإن الصغائر أيضاً، داخلة في المحرمات، ولا يجوز للمسلم أن يستصغر عواقب الصغائر كما هي حال الذين يفعلونها وهم لا يبالونه، وإذا قيل لأحدهم: كيف تنظر إلى النساء الأجنبيات؟ ــ مثلاً ــ أجاب: متهاوناً، هذا من الصغائر، ولا يختلج له عرق، فهؤلاء مغترون برحمة الله، أساؤوا فهم معنى «الصغائر» فاستهونوا الحرام واستسهلوه، والعياذ بالله تعالى، وهو أمر جدير بالحذر والخوف من عواقبه، فقد عقد الحافظ المنذري باباً خاصاً في كتابه «الترغيب والترهيب» سماه: «الترهيب من ارتكاب الصغائر والمحقرات من الذنوب والإصرار على شيء منها» ذكر فيه عدداً من الأحاديث منها قوله ﷺ: «إياكم ومحقَّرات الذنوب، فإنما مَثَلُ محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد، فجاء ذا بعود، وجاء ذا بعود حتى حملوا ــ أي: جمعوا ــ ما أنضجوا به خبزهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخَذْ بها صاحبها تهلكهُ» رواه أحمد والطبراني والبيهقي.

فلا تزكوا أنفسكم﴾ لا تمدحوها، أي: على سبيل الإعجاب، أما على سبيل الاعتراف بالنعمة فحسن ﴿هو أعلم﴾ أي: عالم ﴿بمن اتقى﴾. ٣٣﴿أفرأيت الذي تولى﴾ عن الإيمان؟ [أي:] ارتد لما عُيِّر به، وقال: إني خشيت عقاب الله، وضَمِنَ له المُعيِّرُ، أن يحمل عنه عذاب الله، إن رجع إلى شركه، وأعطاه من ماله كذا، فرجع. ٣٤﴿وأعطى قليلاً﴾ من المال المسمى ﴿وأكدى﴾ منع الباقي، مأخوذ من «الكُدية» وهي: أرض صلبة كالصخرة، تمنع حافر البئر إذا وصل إليها من الحفر، [فينقطع العمل بسببها]. ٣٥﴿أعنده علم الغيب فهو يرى﴾ يعلم [الغيب، و]، من جملته: أن غيره يتحمل عنه عذاب الآخرة، ؟ لا، وهو الوليد بن المغيرة، أو غيره، وجملة: «أعنده»، [هي] المفعول الثاني لـ «رأيت»، بمعنى: «أخبرني». ٣٦﴿أم﴾ بل ﴿لم ينبأ بما في صحف موسى﴾ أسفار التوراة، أو صحف قبلها. ٣٧﴿و﴾ صحف ﴿إبراهيم الذي وفى﴾ تمم ما أمر به؟، نحو: «وإذا ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلمات فأتمهن». ٣٨ وبيان «ما»: ﴿أ﴾ ن ﴿لا تزر وازرة وزر أخرى﴾ إلخ، و «أن» مخففة من الثقلة، أي: أنه لا تحمل نفس ذنب غيرها. ٣٩﴿وأن﴾ أي: أنه ﴿ليس للإنسان إلاّ ما سعى﴾ من خير، فليس له من سعي غيره الخير شيء. ٤٠﴿وأن سعيه سوف يرى﴾ أي: يبصر في الآخرة. ٤١﴿ثم يجزاه الجزاء الأوفى﴾ الأكمل، يقال: جزيته سعيه وبسعيه. ٤٢﴿وأن﴾ بالفتح عطفاً، وقرىء [شذوذاً] بالكسر استئنافاً ــ وكذا ما بعدها ــ، فلا يكون مضمون [هذه] الجمل في الصحف على الثاني، [أي: على كسر «إن» استئنافاً] ﴿إلى ربك المنتهى﴾ المرجع والمصير بعد الموت، فيجازيهم.

٤٣﴿وأنه هو أضحك﴾ من شاء، أفرحه ﴿وأبكى﴾ من شاء، أحزنه.

٤٤﴿وأنه هو أمات﴾ في الدنيا ﴿وأحيا﴾ للبعث.

٤٥﴿وأنه خلق الزوجين﴾ الصنفين ﴿الذكر والأنثى﴾.

٤٦ [خلقهما] ﴿من نطفة﴾ مني ﴿إذا تمنى﴾ تصب في الرحم.

٤٧﴿وأن عليه النشأة﴾ بالمد والقصر، [أي: بألف بعد الشين وبدونها] ﴿الأخرى﴾ الخلقة الأخرى للبعث، بعد الخلقة الأولى. ٤٨﴿وأنه هو أغنى﴾ الناس، بالكفاية بالأموال ﴿وأقنى﴾ أعطى المتَّخَذَ قُنية.

٤٩﴿وأنه هو رب الشعرى﴾ هو: كوكب خلف الجوزاء، كانت تُعْبَدُ في الجاهلية. ٥٠﴿وأنه أهلك عاداً الأولى﴾ وفي قراءة: بإدغام التنوين في اللام وضمها بلا همزة، وهي: «قوم عاد»، و [عاد] الأخرى: «قوم صالح».

٥١﴿وثموداً﴾ بالصرف، اسم للأب، وبلا صرف للقبيلة، وهو معطوف على «عاداً» ﴿فما أبقى﴾ منهم أحداً.

٥٢﴿وقوم نوح من قبل﴾ أي: قبل عاد وثمود، أهلكناهم ﴿إنهم كانوا هم أظلم وأطغى﴾ من عاد وثمود، لطول لبث نوح فيهم، «فلبث فيهم ألف سنة إلاّ خمسين عاماً»، وهم ــ مع عدم إيمانهم به ــ يؤذونه ويضربونه.

فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعۡطَىٰ قَلِيلٗا وَأَكۡدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيۡهِ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ هُمۡ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ ﴿٥٢﴾

٥٣﴿والمؤتفكة﴾ وهي: قرى قوم لوط ﴿أهوى﴾ أسقطها بعد رفعها إلى السماء، مقلوبة إلى الأرض، بأمره جبريل بذلك. ٥٤﴿فغشاها﴾ من الحجارة بعد ذلك ﴿ما غشى﴾ أبهم [العذابَ] تهويلاً، وفي هود: «فجعلنا عاليها سافلها، وأمطرنا عليها حجارة من سجيل». ٥٥﴿فبأي آلاء ربك﴾ أنعمه الدالة على وحدانيته وقدرته ﴿تتمارى﴾ تتشكك، أيها الإنسان أو تكذب؟. ٥٦﴿هذا﴾ محمد ﴿نذير من النذر الأولى﴾ من جنسهم، أي: رسول كالرسل قبله، أرسل إليكم، كما أُرسلوا إلى أقوامهم. ٥٧﴿أزفت الآزفة﴾ قَرُبت القيامة. ٥٨﴿ليس لها من دون الله﴾ نَفْسٌ ﴿كاشفة﴾ أي: لا يكشفها ويظهرها إلَّا هو، كقوله: «لا يجليها لوقتها إلَّا هو».

٥٩﴿أفمن هذا الحديث﴾ أي: القرآن ﴿تعجبون﴾ تكذيباً.

٦٠﴿وتضحكون﴾ استهزاء ﴿ولا تبكون﴾ لسماع وعده ووعيده.

٦١﴿وأنتم سامدون﴾ لاهون غافلون عما يُطلب منكم.

٦٢﴿فاسجدوا لله﴾[1] الذي خلقكم ﴿واعبدوا﴾ ولا تسجدوا للأصنام ولا تعبدوها.

وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ الْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَامِدُونَ ﴿٦١﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ۩ ﴿٦٢﴾

سجدة

(٥٤) سُورَةُ القَمَرِ مَكِّيَّة وَآيَاتُهَا خَمْسٌ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ

﴿سورة القمر﴾

(مكية، إلَّا: «سيهزم الجمع» الآية.
وهي: خمس وخمسون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١﴿اقتربت الساعة﴾ قربت القيامة ﴿وانشق القمر﴾ انفلق فلقتين، على [جَبَلَيْ]: أبي قبيس وقُعَيْقعان، آيةً له ﷺ، وقد سُئلها، [أي: سأله أهل مكة أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر]، فقال: «اشهدوا»، رواه الشيخان[2].

٢﴿وإن يروا﴾ أي: كفار قريش ﴿آية﴾ أي: معجزة له ﷺ، كانشقاق القمر ﴿يعرضوا ويقولوا﴾ هذا ﴿سحر مستمر﴾ قويٌّ، من «المِرَّة»، أي: القوة، أو: [من الاستمرار، أي:] دائم. ٣﴿وكذبوا﴾ النبيَّ ﷺ ﴿واتبعوا أهواءهم﴾ في الباطل.

---

(١) قوله تعالى: ﴿فاسجدوا لله﴾، هذه أول سجدة نزلت، روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «سجد النبي ﷺ بالنجم، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس»، ولا علاقة لهذا السجود بقصة الغرانيق الباطلة، بل إن هذا الحديث دليل على بطلانها لأنه خلا عن إشارة إليها. ارجع إلى تعليقنا حول سجود التلاوة ص ٢٢٦ وإلى تعليقنا حول «قصة الغرانيق» ص ٤٤١.

(٢) قوله: «رواه الشيخان»، أي: رويا حادثة انشقاق القمر، هذه، ولم يشيرا إلى نزول هذه الآيات بسبب ذلك، أما التصريح بسبب النزول فقد أخرجه الترمذي ــ وقال: حسن صحيح ــ عن أنس بن مالك رضي الله عنه وفيه: «فانشق القمر بمكة مرتين» فنزلت: ﴿اقتربت الساعة﴾ إلى ﴿سحر مستمر﴾، وأخرجه البيهقي والحاكم وغيرهما.

﴿وكل أمر﴾ من الخير والشر ﴿مستقر﴾ بأهله في الجنة أو النار. ٤﴿ولقد جاءهم من الأنباء﴾ أخبار هلاك الأمم المكذِّبة رسلَهم ﴿ما فيه مزدجر﴾ لهم، اسم مصدر، أو اسم مكان، والدال بدل من تاء الافتعال، و [يقال:] ازدجرتُه وزجرتُه، [إذا] نهيته بغلظة، و «ما» موصولة، أو: موصوفة. ٥﴿حكمة﴾ خبر مبتدأ محذوف، أو بدل من «ما»، أو: من «مزدجر» ﴿بالغة﴾ تامة ﴿فما تغن﴾ تنفع فيهم ﴿النذر﴾ جمع «نذير»، بمعنى: «منذر»، أي: الأمور المنذرة لهم، و «ما» للنفي، أو: للاستفهام الإنكاري، وهي على الثاني مفعول مقدم. ٦﴿فتول عنهم﴾ هو فائدة ما قبله، وتم به الكلام ﴿يوم يدع الداع﴾ هو: «إسرافيل»، وناصب «يوم» [قوله:] «يخرجون» [الآتي] بَعْدُ ﴿إلى شيء نكر﴾ بضم الكاف وسكونها، أي: منكر، تنكره النفوس لشدته، وهو الحساب. ٧﴿خاشعاً﴾ أي: ذليلاً، وفي قراءة: «خُشَّعاً»، بضم الخاء وفتح الشين مشددة ﴿أبصارهم﴾ حال من الفاعل ﴿يخرجون﴾ أي: الناس ﴿من الأجداث﴾ القبور ﴿كأنهم جراد منتشر﴾ لا يدرون أين يذهبون، من الخوف والحَيْرة، والجملة حال من فاعل «يخرجون»، وكذا قوله: ٨﴿مهطعين﴾ أي: مسرعين مادين أعناقهم ﴿إلى الداع يقول الكافرون﴾ منهم ﴿هذا يوم عسر﴾ أي: صعب على الكافرين، كما في «المدثر»: «يومٌ عسير على الكافرين». ٩﴿كذبت قبلهم﴾ قبل قريش ﴿قوم نوح﴾ تأنيث الفعل لمعنى «قوم»، [وهو: «الأمة»] ﴿فكذبوا عبدنا﴾ نوحاً ﴿وقالوا مجنون وازدجر﴾ أي: انتهروه بالسب وغيره. ١٠﴿فدعا ربه أني﴾ بالفتح، أي: بأني ﴿مغلوب فانتصر﴾ [أي: انتقم لي منهم يا رب]. ١١﴿ففتحنا﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿أبواب السماء بماء منهمر﴾ منصبّ انصباباً شديداً.

وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ

١٢﴿وفجرنا الأرض عيوناً﴾ تنبع ﴿فالتقى الماء﴾ ماء السماء والأرض ﴿على أمر﴾ حال ﴿قد قدر﴾ قضي به في الأزل، وهو هلاكهم غرقاً.

١٣﴿وحملناه﴾ أي: نوحاً ﴿على﴾ سفينة ﴿ذات ألواح ودسر﴾ وهي: ما تشد به الألواح، من المسامير وغيرها، واحدها «دِسار» كـ «كتاب». ١٤﴿تجري بأعيننا﴾ بمرأى منا، أي: محفوظة ﴿جزاء﴾ منصوب بفعل مقدر، أي: أغرقوا انتصاراً ﴿لمن كان كُفر﴾ وهو نوح عليه السلام، وقرىء [شذوذاً] «كَفَرَ» بالبناء للفاعل، أي: أغرقوا عقاباً لهم. ١٥﴿ولقد تركناها﴾ أبقينا هذه الفَعْلة ﴿آية﴾ لمن يعتبر بها، أي: شاع خبرُها واستمر ﴿فهل من مدكر﴾ معتبر ومتعظ بها؟ وأصله: «مذتكر»، أبدلت التاء دالاً مهملة، وكذا المعجمة وأدغمت فيها.

١٦﴿فكيف كان عذابي ونذر﴾ أي: إنذاري؟، استفهام تقرير، و «كيف» خبر «كان»، وهي للسؤال عن الحال، والمعنى: حَمْلُ المخاطبين، على الإقرار بوقوع عذابه تعالى، بالمكذبين لنوح موقِعَهُ. ١٧﴿ولقد يسرنا القرآن

﴿للذكر﴾ سهلناه للحفظ، أو: هيأناه للتذكير ﴿فهل من مدكر﴾ متعظ به وحافظ له؟ والاستفهام بمعنى الأمر، أي: احفظوه واتعظوا به، وليس يُحفَظُ من كُتُبِ الله عن ظهر القلب غيره. ١٨﴿كذبت عاد﴾ نبيهم هوداً، فَعُذِّبوا ﴿فكيف كان عذابي ونذر؟﴾ أي: إنذاري لهم بالعذاب قبل نزوله، أي: وقع موقعه، وبيَّنَهُ بقوله: ١٩﴿إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً﴾ أي: شديدة الصوت ﴿في يوم نحس﴾ شؤم ﴿مستمر﴾ دائم الشؤم [عليهم، لا على المؤمنين]، أو: قويُّهُ، وكان يوم الأربعاء آخر الشهر، [قاله ابن عباس] ٢٠﴿تنزع الناس﴾ تقلعهم من حُفَر الأرض المندسِّين فيها، وتصرعهم على رؤوسهم، فتدقُّ رقابهم، فتُبِينُ [وتَفصِلُ] الرأس عن الجسد ﴿كأنهم﴾ وحالهم ما ذكر ﴿أعجاز﴾ أصول ﴿نخل منقعر﴾ منقطع ساقط على الأرض، وشبهوا بالنخل لطولهم، وذُكِّر هنا، وأُنِّثَ في «الحاقة»: «نخل خاوية»، مراعاةً للفواصل في الموضعين. ٢١﴿فكيف كان عذابي ونذر؟﴾. ٢٢﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر؟﴾ ٢٣﴿كذبت ثمود بالنذر﴾ جمع «نذير»، بمعنى: «منذر»، أي: بالأمور التي أنذرهم بها نبيهم «صالح»، إن لم يؤمنوا به ويتبعوه. ٢٤﴿فقالوا أبشراً﴾ منصوب على «الاشتغال» ﴿منا واحداً﴾ صفتان لـ «بشراً» ﴿نتبعه؟﴾ مفسّر للفعل الناصب له، والاستفهام بمعنى النفي، المعنى: كيف نتبعه، ونحن جماعة كثيرة، وهو واحد منا، وليس بملك؟، أي: لا نتبعه ﴿إنا إذاً﴾ أي: إن اتبعناه ﴿لفي ضلال﴾ ذهاب عن الصواب ﴿وسعر﴾ جنون، [يقال: ناقة مسعورة، إذا هاجت، وكلب مسعور].

٢٥﴿ءالقي﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين، وتركه ﴿الذكر﴾ الوحي ﴿عليه من بيننا﴾ أي: لم يوح إليه ﴿بل هو كذاب﴾ في قوله: إنه أوحي إليه ما ذكره ﴿أشر﴾ متكبر بطر.

٢٦ قال تعالى: ﴿سيعلمون غداً﴾ أي: في الآخرة ﴿من الكذاب الأشر﴾ وهو: هم، بأن يُعذبوا على تكذيبهم لنبيهم صالح.

٢٧﴿إنا مرسلو الناقة﴾ مخرجوها من الهضبة الصخرة، كما سألوا ﴿فتنة﴾ محنة ﴿لهم﴾ لنختبرهم ﴿فارتقبهم﴾ يا صالح، أي: انتظر ما هم صانعون، وما نَصنع بهم ﴿واصطبر﴾ الطاء بدل من تاء الافتعال، أي: اصبر على أذاهم. ٢٨﴿ونبئهم أن الماء قسمة﴾ مقسوم ﴿بينهم﴾ وبين الناقة، فيوم لهم، ويوم لها ﴿كل شرب﴾ نصيب من الماء ﴿محتضر﴾ يحضر القومُ يومهم، والناقة يومَها، فتمادوا على ذلك ثم ملُّوه، فهمُّوا بقتل الناقة. ٢٩﴿فنادوا صاحبهم﴾ «قُداراً»، ليقتلها ﴿فتعاطى﴾ تناول السيف ﴿فعقر﴾ به الناقة، أي: قتلها موافقة لهم. ٣٠﴿فكيف كان عذابي ونذر؟﴾ أي: إنذاري لهم بالعذاب قبل نزوله، أي: وقع موقعه، وبينه بقوله: ٣١﴿إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم

لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ

المحتظر﴾ هو: الذي يَجْعَلُ لغنمه حظيرة، من يابس الشجر والشوك، يحفظهن فيها من الذئاب والسباع، وما سقط من ذلك فداسته هو: «الهشيم». ٣٢﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر؟﴾. ٣٣﴿كذبت قوم لوط بالنذر﴾ أي: بالأمور المنذرة لهم على لسانه. ٣٤﴿إنا أرسلنا عليهم حاصباً﴾ ريحاً ترميهم بالحصباء، وهي: صغار الحجارة، الواحد [منها]، دون ملء الكف، فهلكوا ﴿إلاّ آل لوط﴾ وهم ابنتاه معه ﴿نجيناهم بسحر﴾ من الأسحار، أي: وقت الصبح، من يوم غير معين، [ولذلك صُرِفَ]، ولو أريد [به «سَحَرُ»] من يوم معين، لَمنع الصرف، لأنه معرفة معدول عن [لفظ] «السَّحَر»، لأن حقَّه أن يُستعمل في المعرفة بـ«أل»، [لأن الأصل في التعريف أن يكون بـ«أل»]، وهل أُرسل الحاصبُ على آل لوط أوّلاً [ثم جَعَلَ عالي قراهم سافلَها، أو: العكس؟] قولان، وعُبِّرَ عن الاستثناء على الأول، [أي: على القول بأن الحاصب كان أولاً]، بأنه متصل، وعلى الثاني بأنه منقطع ــ وإن كان من الجنس ــ تَسَمُّحاً. ٣٥﴿نعمة﴾ أي: إنعاماً ﴿من عندنا كذلك﴾ أي: مثل ذلك الجزاء ﴿نجزي من شكر﴾ أنعمنا وهو مؤمن، أو: من آمن بالله ورسله وأطاعهم. ٣٦﴿ولقد أنذرهم﴾ خوفهم لوط ﴿بطشتنا﴾ أخذتنا إياهم بالعذاب ﴿فتماروا﴾ تجادلوا وكذبوا ﴿بالنذر﴾ بإنذاره. ٣٧﴿ولقد راودوه عن ضيفه﴾ أي: أن يخلي بينهم وبين القوم، الذين أتوه في صورة الأضياف، لِيَخْبُثُوا بهم، وكانوا ملائكة ﴿فطمسنا أعينهم﴾ أعميناها، وجعلناها بلا شَقٍّ كباقي الوجه، بأن صفقها جبريل بجناحه ﴿فذوقوا﴾ فقلنا لهم: ذوقوا﴿عذابي ونذر﴾ أي: إنذاري وتخويفي، أي: ثمرته وفائدته.

٣٨﴿ولقد صبحهم بكرة﴾ وقت الصبح من يوم غير معين ﴿عذاب مستقر﴾ دائم متصل بعذاب الآخرة.

٣٩﴿فذوقوا عذابي ونذر﴾.

٤٠﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر؟﴾. ٤١﴿ولقد جاء آل فرعون﴾ قومَه معه ﴿النذر﴾ الإنذار، على لسان موسى وهارون، فلم يؤمنوا. ٤٢ بل ﴿كذبوا بآياتنا كلها﴾ أي: التسع التي أوتيها موسى ﴿فأخذناهم﴾ بالعذاب ﴿أخذ عزيز﴾ قوي ﴿مقتدر﴾ قادر، لا يعجزه شيء. ٤٣﴿أكفاركم﴾ يا قريش ﴿خير من أولائكم﴾ المذكورين، من قوم نوح إلى فرعون، فلم يعذبوا؟ ﴿أم لكم﴾ يا كفار قريش ﴿براءة﴾ من العذاب ﴿في الزبر﴾ الكتب؟، والاستفهام في الموضعين بمعنى النفي، أي: ليس الأمر كذلك. ٤٤﴿أم يقولون﴾ أي: كفار قريش ﴿نحن جميع﴾ أي: جمع ﴿منتصر﴾ على محمد؟ ولما قال أبو جهل يوم بدر: إنا جمع منتصر نزل:

٤٥ ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ فهزموا ببدر، ونُصِرَ رسولُ الله ﷺ عليهم. ٤٦﴿بل الساعة موعدهم﴾ بالعذاب

ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ

﴿والساعة﴾ أي: عذابها ﴿أدهى﴾ أعظم بلية ﴿وأمر﴾ أشد مرارة من عذاب الدنيا. ٤٧﴿إن المجرمين في ضلال﴾ هلاك بالقتل في الدنيا ﴿وسعر﴾ نار «مُسَعَّرة» ـ بالتشديد ـ أي: مهيجة، في الآخرة. ٤٨﴿يوم يسحبون في النار على وجوههم﴾ أي: في الآخرة، ويقال لهم: ﴿ذوقوا مس سقر﴾ إصابة جهنم لكم. ٤٩﴿إنا كل شيء﴾ منصوب بفعل يفسره ﴿خلقناه بقدر﴾ بتقدير، حال من «كل»، أي: مقدراً، وقرىء [شذوذاً]: «كل» بالرفع مبتدأ، خبره: «خلقناه». ٥٠﴿وما أمرنا﴾ لشيء نريد وجوده ﴿إلا﴾ أمرةٌ ﴿واحدة كلمح بالبصر﴾ في السرعة، وهي: [قول] «كن» فيوجد، «إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون». ٥١﴿ولقد أهلكنا أشياعكم﴾ أشباهكم في الكفر، من الأمم الماضية ﴿فهل من مدكر؟﴾ استفهام بمعنى الأمر، أي: اذّكروا واتعظوا. ٥٢﴿وكل شيء فعلوه﴾ أي: العباد، مكتوب ﴿في الزبر﴾ كتب الحفظة. ٥٣﴿وكل صغير وكبير﴾ من الذنب، أو العمل ﴿مستطر﴾ مكتوب في اللوح المحفوظ. ٥٤﴿إن المتقين في جنات﴾ بساتين ﴿ونهر﴾ أريد به الجنس، وقرىء [شذوذاً]: بضم النون والهاء، جمعاً، كـ«أَسَد» و «أُسُد»، والمعنى: أنهم يشربون من أنهار الماء واللبن والعسل والخمر. ٥٥﴿في مقعد صدق﴾ مجلس حق، لا لغو فيه ولا تأثيم، وأريد به الجنس، وقرىء [شذوذاً]: «مقاعد»، المعنى: أنهم في مجالس من الجنات، سالمة من اللغو والتأثيم، بخلاف مجالس الدنيا، فَقَلَّ أن تسلم من ذلك، وأعرب هذا، خبراً ثانياً [لـ«إن»]، وبدلاً، وهو صادق ببدل البعض ﴿عند مليك﴾ مثالُ مبالغة، أي: عزيز الملك واسعه، سبحانه وتعالى ﴿مقتدر﴾ قادر لا يعجزه شيء، وهو الله سبحانه وتعالى، و [قوله:] «عند» إشارة إلى الرتبة، من فضله تعالى.

وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾

(٥٥) سورة الرحمن مدنية وآياتها ثمان وسبعون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾

حزب ٥٤

﴿سورة الرحمن﴾

[جل جلاله]

(مكية[1]، إلا: «يسأله من في السماوات والأرض» الآية، وهي: ست، أو: ثمان وسبعون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١﴿الرحمن﴾ [تعالى]. ٢﴿علم﴾ من شاء ﴿القرآن﴾ [وسهّله لأن يُذكر ويُحفظ، كقوله: «ولقد يسرنا القرآن للذكر»]. ٣﴿خلق الإنسان﴾ أي: الجنس، [آدم وذريته].

(١) قوله: «مكية، إلا: يسأله.. الآية» هو قول ابن عباس، وقال الحسن البصري وعروة بن الزبير وغيرهما: هي مكية كلها، وقال ابن مسعود ومقاتل: هي مدنية كلها، قال القرطبي: والقول الأول أصح.

٤﴿علمه البيان﴾ النطق. ٥﴿الشمس والقمر بحسبان﴾ يجريان بحساب. ٦﴿والنجم﴾ ما لا ساق له من النبات ﴿والشجر﴾ ما له ساق ﴿يسجدان﴾ يخضعان لما يراد منهما. ٧﴿والسماء رفعها ووضع الميزان﴾ أثبت العدل. ٨﴿ألا تطغوا﴾ أي: لأجل أن لا تجوروا ﴿في الميزان﴾ ما يوزن به. ٩﴿وأقيموا الوزن بالقسط﴾ بالعدل ﴿ولا تخسروا الميزان﴾ [أي: لا] تنقصوا الموزون. ١٠﴿والأرض وضعها﴾ أثبتها ﴿للأنام﴾ للخلق، الجن والإنس وغيرهم. ١١﴿فيها فاكهة والنخل﴾ المعهود ﴿ذات الأكمام﴾ [جمع «كِم» بكسر الكاف، أي:] أوعية طلعها. ١٢﴿والحب﴾ كالحنطة والشعير ﴿ذو العصف﴾ التبن ﴿والريحان﴾ الورق، أو: [هو] المشموم.

عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾

١٣﴿فبأي آلاء﴾ نِعَم ﴿ربكما﴾ أيها الجن والإنس ﴿تكذبان؟﴾ ذكرت إحدى وثلاثين مرة، والاستفهام فيها للتقرير، لِمَا روى الحاكم عن جابر قال: قرأ علينا رسول الله ﷺ سورة «الرحمن» حتى ختمها، ثم قال: «ما لي أراكم سكوتاً، لَلجنُّ كانوا أحسنَ منكم ردّاً، ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة: «فبأي آلاء ربكما تكذبان»، إلاَّ قالوا: لا بشيء من نعمك ربَّنا نُكذب، فلك الحمد»، [ورواه البزّار عن ابن عمر مرفوعاً]. ١٤﴿خلق الإنسان﴾ آدم ﴿من صلصال﴾ طين يابس، يُسمع له صلصلة، أي: صوت إذا نُقِرَ ﴿كالفخار﴾ وهو: ما طبخ من طين. ١٥﴿وخلق الجان﴾ أبا الجن[1]، [قيل:] هو إبليس ﴿من مارج من نار﴾ هو لهبها الخالص، [الخالي] من الدخان. ١٦﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾. ١٧﴿رب المشرقين﴾[2] مشرق الشتاء، ومشرق الصيف ﴿ورب المغربين﴾ كذلك. ١٨﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان؟﴾ ١٩﴿مرج﴾ أرسل ﴿البحرين﴾ العذب والملح ﴿يلتقيان﴾ في رأي العين.

٢٠﴿بينهما برزخ﴾ حاجز من قدرته تعالى ﴿لا يبغيان﴾ لا يبغي واحد منهما على الآخر، فيختلط به.

٢١﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان؟﴾.

٢٢﴿يخرج﴾ بالبناء للمفعول والفاعل ﴿منهما﴾ من مجموعها الصادق بأحدهما، [وهو: المِلح] ﴿اللؤلؤ والمرجان﴾ خرز أحمر، أو: صغار اللؤلؤ.

---

(١) قوله: «أبا الجن»، ذهب المؤلفان الجلالان السيوطي والمحلي إلى أن «إبليس» هو أبو الجن، كما أن «آدم» أبو الإنس، والصحيح أن إبليس واحد من الجن وليس أباهم، بل هو أبو الشياطين، ارجع إلى تعليقنا حوله ص ٣٨٨، وإلى تعليقنا حول «الجن» ص ٧٧٠.

(٢) قوله تعالى: ﴿رب المشرقين ورب المغربين﴾ جاء اسم «الشرق» و «الغرب» في هذه الآية بالتثنية، وجاء بالجمع في قوله تعالى في سورة «المعارج»: ﴿فلا أقسم برب المشارق والمغارب﴾، وجاء مفرداً في سورة «المزّمل»: ﴿رب المشرق والمغرب لا إله إلاّ هو﴾. فالإفراد يعني: =

٢٣﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان؟﴾. ٢٤﴿وله الجوار﴾ السفن ﴿المنشآت﴾ المحدثات ﴿في البحر كالأعلام﴾ كالجبال عظماً وارتفاعاً. ٢٥﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان؟﴾. ٢٦﴿كل من عليها﴾ أي: الأرض، من الحيوان، [أي: الكائنات الحية] ﴿فانٍ﴾ هالك، وعَبَّرَ بـ «من»، تغليباً للعقلاء. ٢٧﴿ويبقى وجه ربك﴾ [وجودُهُ و] ذاته ﴿ذو الجلال﴾ العظمة ﴿والإكرام﴾ للمؤمنين، بأنعمه عليهم. ٢٨﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان؟﴾. ٢٩﴿يسأله من في السماوات والأرض﴾ أي: بنطقٍ، أو: حال [أي: بلسان الحال]، ما يحتاجون إليه، من القوة على العبادة، والرزق والمغفرة، وغير ذلك ﴿كل يوم﴾ وقت ﴿هو في شأن﴾ أمرٍ، يُظهره على وفق ما قدره في الأزل، من إحياء وإماتة، وإعزاز وإذلال، وإغناء وإعدام، وإجابة داعٍ، وإعطاء سائل، وغير ذلك.

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَـٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ

٣٠﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾.

٣١﴿سنفرغ لكم﴾ سنقصد لحسابكم [ومجازاتكم] ﴿أيها الثقلان﴾ الإنس والجن [وسميا بذلك، لعظم شأنهما، بالإضافة إلى ما في الأرض من غيرهما من المخلوقات، بسبب التكليف، وقيل: لأنهم ثِقْلٌ على الأرض أحياء وأمواتاً، ومنه قوله تعالى: «وأخرجت الأرض أثقالها»]. ٣٢﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان؟﴾

٣٣﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا﴾ تخرجوا ﴿من أقطار﴾ نواحي ﴿السماوات والأرض﴾ [هاربين من الحشر والحساب والجزاء] ﴿فانفذوا﴾ أمر تعجيز، [أي: فلن تستطيعوا ذلك] ﴿لا تنفذون إلا بسلطان﴾ بقوة، ولا قوة لكم على ذلك.

٣٤﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان؟﴾.

٣٥﴿يرسل عليكما شواظ من نار﴾ هو: لهبها الخالص من الدخان، أو: معه ﴿ونحاس﴾ أي: دخان لا لهب فيه، [أو: هو النحاس المذاب، يصب على رؤوسكم] ﴿فلا تنتصران﴾ [أي: لا] تمتنعان من ذلك، بل يسوقكم إلى المحشر، [والمعنى: لو ذهبتم هاربين يوم القيامة، لردتكم الملائكة والزبانية، بإرسال اللهب من النار والنحاس المذاب عليكم].

٣٦﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان؟﴾. ٣٧﴿فإذا انشقت السماء﴾ انفرجت أبواباً لنزول الملائكة ﴿فكانت

= جهة الشرق وجهة الغرب، والتثنية تعني: جهتي الجهة الواحدة، فإن لكل من المشرق والمغرب جهتين، إحداهما نحو الجنوب والأخرى نحو الشمال، وأما الجمع فيعني: مشرق كل يوم ومغربه، وروى البخاري عن مجاهد بن جبر رحمه الله قال: هما مشرق الصيف ومغربه، ومشرق الشتاء ومغربه، وهذا القول هو الذي أثبته المحلي هنا.

وردة﴾ أي: مثلها مُحْمَرَّةً ﴿كالدهان﴾ كالأديم الأحمر، على خلاف العهد بها، ، وجواب «إذا»: فما أعظم الهول؟
٣٨ ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان؟﴾. ٣٩ ﴿فيومئذٍ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان﴾ عن ذنبه، ويسألون في وقت آخر[1]، «فوربك لنسألنهم أجمعين»، و «الجان» هنا وفيما سيأتي[2] بمعنى: «الجني» و «الإنس» فيهما بمعنى: «الإنسي»
٤٠ ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان؟﴾.
٤١ ﴿يعرف المجرمون بسيماهم﴾ أي: سواد الوجوه وزرقة العيون ﴿فيؤخذ بالنواصي والأقدام﴾.
٤٢ ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان؟﴾ أي: تضم ناصية كل منهم إلى قدميه، من خلف أو قُدَّام، ويلقَى في النار، ويقال لهم:

وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعۡرَفُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ بِسِيمَٰهُمۡ فَيُؤۡخَذُ بِٱلنَّوَٰصِي وَٱلۡأَقۡدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَ حَمِيمٍ ءَانٖ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيۡنَانِ تَجۡرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٖ زَوۡجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ

٤٣ ﴿هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون﴾ [أي: التي كذبتم بها].
٤٤ ﴿يطوفون﴾ يسعون ﴿بينها وبين حميم﴾ ماء حار ﴿آنٍ﴾ شديد الحرارة، يسقونه إذا استغاثوا من حر النار، وهو منقوص كـ «قاضٍ».
٤٥ ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان؟﴾.
٤٦ ﴿ولمن خاف مقام ربه﴾ أي: قيامه بين يديه للحساب، فترك معصيته ﴿جنتان﴾. ٤٧ ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان؟﴾. ٤٨ ﴿ذواتا﴾ تثنية «ذوات» على الأصل[3]، ولامها ياء ﴿أفنان﴾ أغصان، جمع «فَنَن» كـ «طَلَل».
٤٩ ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان؟﴾.
٥٠ ﴿فيهما عينان تجريان﴾.
٥١ ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان؟﴾.
٥٢ ﴿فيهما من كل فاكهة﴾ في الدنيا، أو: كل ما يتفكه به ﴿زوجان﴾ نوعان، رطب ويابس، والمر منهما في الدنيا ــ كالحنظل ــ حلو [في الجنة].
٥٣ ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان؟﴾.
٥٤ ﴿متكئين﴾ حال عامله محذوف، أي: يتنعمون [متكئين] ﴿على فرش بطائنها من إستبرق﴾ ما غلظ من الديباج وخشن، والظهائر من السندس ﴿وجنى الجنتين﴾ ثمرهما ﴿دان﴾ قريب، يناله القائم والقاعد والمضطجع. ٥٥ ﴿فبأي آلاء

---

(١) قوله: «ويُسألون في وقت آخر» هو إشارة إلى أنه لا تعارض بين قوله تعالى هنا: ﴿فيومئذٍ لا يُسأل عن ذنبه إنس ولا جان﴾ وقوله تعالى: ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين﴾ وقوله: ﴿وقفوهم إنهم مسؤولون﴾، فالقيامة مواطن لطول ذلك اليوم، فيُسأل في بعض ولا يُسأل في بعض، وهذا قول عكرمة مولى ابن عباس.

(٢) قوله: «وفيما سيأتي»، أي: في قوله تعالى: ﴿لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان﴾ في الآيتين «٥٦، ٧٤».

(٣) قوله «على الأصل» أي: على ما قبل حذف الواو، وبعد حذفها تصبح «ذات» فتثنى على «ذاتان»، وقوله: «ولامها ياء» أي: «ذَوَي» على وزن «فَعَل»، ارجع إلى تعليقنا حول إعلالات هذه الكلمة عند قوله تعالى في سورة «سبأ»: ﴿ذواتي أكل خمط﴾ ص ٥٦٥.

ربكما تكذبان؟﴾. ٥٦﴿فيهن﴾ في الجنتين، وما اشتملتا عليه، من العلالي والقصور ﴿قاصرات الطرف﴾ العَيْن، على أزواجهن المتكئين، من الإنس والجن ﴿لم يطمثهن﴾ يفتضهن، وهن من الحور [على المشهور]، أو: من نساء الدنيا، [الثيبات والعجائز] المنشآت، [المشار إليهن بقوله تعالى: «إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكاراً عُرُباً أتراباً»، أي: يجعلهن بعد الثُّيوبة أبكاراً، متحبِّبات إلى أزواجهن، وأتراباً على ميلاد واحد، وهذا قول الحسن البصري] ﴿إنس قبلهم ولا جان﴾. ٥٧﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان؟﴾. ٥٨﴿كأنهن الياقوت﴾ صفاء ﴿والمرجان﴾ أي: اللؤلؤ بياضاً. ٥٩﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان؟﴾. ٦٠﴿هل﴾ ما ﴿جزاء الإحسان﴾ بالطاعة ﴿إلاّ الإحسان؟﴾ بالنعيم. ٦١﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان؟﴾. ٦٢﴿ومن دونهما﴾ أي الجنتين [الأوليين] المذكورتين ﴿جنتان﴾ [أخريان] أيضاً، لمن خاف مقام ربه. [روى البخاري في صحيحه في «باب»: قوله تعالى «ومن دونهما جنتان»، عن أبي موسى الأشعري، أن رسول الله ﷺ قال: «جنتان من فضة آنيتُهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتُهما وما فيهما»]. ٦٣﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان؟﴾. ٦٤﴿مدهامتان﴾ سوداوان من شدة خضرتهما. ٦٥﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان؟﴾. ٦٦﴿فيهما عينان نضاختان﴾ فوارتان بالماء، لا تنقطعان. ٦٧﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان؟﴾. ٦٨﴿فيهما فاكهة ونخل ورمان﴾ هما منها، [أي: النخل والرمان من الفاكهة]، وقيل: غيرها. ٦٩﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان؟﴾. ٧٠﴿فيهن﴾ أي: الجنتين وقصورهما[1] ﴿خيرات﴾ [بسكون الياء جمع: «خَيْرة» كـ«وَرْدَة»، أو: جمع «خيِّرة» بتشديد الياء فخففت ياؤه، وهي: المرأة الصالحة، الحسنةُ الخُلُق، الحسنةُ الوجه، قال الجمهور، أي: خير النساء] أخلاقاً ﴿حسان﴾ [أي: أحسنهن] وجوهاً. ٧١﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان؟﴾. ٧٢ [هن] ﴿حور﴾ شديدات سواد العيون وبياضها ﴿مقصورات﴾ مستورات ﴿في الخيام﴾ من در مجوف، [وهي خيام] مضافة إلى القصور، شبيهة بالخدور.

رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾

٧٣﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان؟﴾. ٧٤﴿لم يطمثهن﴾ [أي: يمسسهن] ﴿إنس قبلهم﴾ قبل أزواجهن ﴿ولا جان﴾.

---

(١) قوله: «أي: الجنتين وقصورهما»، إن تفسير الجلال المحلي هذا غير واضح، لأنه لو كان المعنى كما قال لجاء النص بلفظ: «فيهما» كما في الآيات الأخرى، بل الواضح أن الضمير في قوله تعالى: ﴿فيهن﴾ يعود إلى الجنات الأربع المبيَّنات في حديث البخاري الذي ذكرناه في تفسير الآية «٦٢». وذلك أن الله تعالى وصف في الآيات (٤٦ حتى ٦١) الجنتين الأوليين لمن خاف الله واتقاه، ثم وصف في الآيات (٦٢ حتى ٦٩) الجنتين الأخريين، ثم وصف في الآيات (٧٠ حتى ٧٧) الجنات الأربع جميعاً، وذلك على سبيل التفصيل أولاً ثم الإجمال.

٧٥﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان؟﴾. ٧٦﴿متكئين﴾ أي: أزواجهن، وإعرابه [حال]، كما تقدم [في الآية «٥٤»، أي: يتنعمون متكئين] ﴿على رفرف خضر﴾ جمع «رفرفة»، أي: بُسُط، أو: وسائد ﴿وعبقري حسان﴾ جمع «عبقرية، أي: طنافس، [و «عبقري» منسوب إلى «عَبْقر»، قرية في اليمن، ينسج فيها بسط منقوشة]. ٧٧﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان؟﴾. ٧٨﴿تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام﴾ [للمؤمنين، بأنعمه تعالى عليهم، كما] تقدم[1]، ولفظ «اسم» زائد.

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

(٥٦) سُورَةُ الوَاقِعَةِ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا سِتٌّ وَتِسْعُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ

﴿سُورَةُ الوَاقِعَةِ﴾

(مكية، إلَّا: «أفبهذا الحديث» الآية، و «ثُلَّة من الأولين» الآية وهي ست، أو: سبع، أو: تسع وتسعون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١﴿إذا وقعت الواقعة﴾ قامت القيامة.

٢﴿ليس لوقعتها كاذبة﴾ نفس تكذِّب، بأن تنفيها كما نفتْها في الدنيا.

٣﴿خافضة رافعة﴾ أي: هي مظهرة لخفض أقوام بدخولهم النار، ولرفع آخرين بدخولهم الجنة.

٤﴿إذا رجت الأرض رجاً﴾ حُرِّكت حركة شديدة.

٥﴿وبست الجبال بساً﴾ فُتتت.

٦﴿فكانت هباء﴾ غباراً﴿منبثاً﴾ منتشراً، و «إذا» الثانية بدل من الأولى.

٧﴿وكنتم﴾ في القيامة ﴿أزواجاً﴾ أصنافاً ﴿ثلاثة﴾.

٨﴿فأصحاب الميمنة﴾ وهم الذين يُؤتَون، [أي: يُعطَون] كتبهم بأيمانهم، مبتدأ خبره ﴿ما أصحاب الميمنة﴾ تعظيم لشأنهم بدخولهم الجنة.

٩﴿وأصحاب المشأمة﴾ أي: الشمال، بأن يؤتى كل منهم كتابه بشماله ﴿ما أصحاب المشأمة﴾ تحقير لشأنهم بدخولهم النار.

١٠ ﴿والسابقون﴾ إلى الخير، وهم الأنبياء، [والسابقون إلى الإيمان من كل أمة]، مبتدأ

(١) قوله: «تقدم»، أي: تقدم معنى هذه الآية في تفسير الآية «٢٧» من هذه السورة ص٧١٠، أما «تبارك الله» فمعناه: ثبت ودام إنعامه.

﴿السابقون﴾ تأكيد لتعظيم شأنهم. ١١ والخبر: ﴿أولئك المقربون﴾. ١٢﴿في جنات النعيم﴾. ١٣﴿ثلة من الأولين﴾ مبتدأ، أي: جماعة من الأمم الماضية. ١٤﴿وقليل من الآخرين﴾ من أمة محمد ﷺ، وهم: «السابقون» من الأمم الماضية وهذه الأمة، والخبر: ١٥﴿على سرر موضونة﴾ منسوجة بقضبان الذهب والجواهر. ١٦﴿متكئين عليها متقابلين﴾ حالان من الضمير [الملحوظ] في الخبر، [أي: في قوله: «على سرر»، تقديره: «جالسون على سُرُر...[الخ»]. ١٧﴿يطوف عليهم﴾ للخدمة ﴿ولدان مخلدون﴾ على شكل الأولاد، لا يهرمون. ١٨﴿بأكواب﴾ أقداح لا عُرى لها ﴿وأباريق﴾ لها عرى وخراطيم ﴿وكأس﴾ إناء يشرب به الخمر ﴿من معين﴾ أي: خمر جارية من منبع لا ينقطع أبداً.

ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ

١٩﴿لا يصدعون عنها ولا ينزفون﴾ بفتح الزاي وكسرها، من «نَزِفَ الشارب»، «وأنْزَفَ» أي: لا يحصل لهم منها صُداع، ولا ذهابُ عقل، بخلاف خمر الدنيا[1]. ٢٠﴿وفاكهة مما يتخيرون﴾. ٢١﴿ولحم طير مما يشتهون﴾. ٢٢﴿و﴾ لهم للاستمتاع [أي: عندهم] ﴿حورٌ﴾ نساء شديدات سواد العيون وبياضها ﴿عينٌ﴾ ضخام العيون، كُسرت عينه بدل ضمها، لمجانسة الياء، [لأن أصلها «عُيْنٌ»، بضم العين وسكون الياء]، ومفرده «عيناء» كحمراء، وفي قراءة: بجر «حور عين»، [عطفاً على «أكواب»، أي: يتنعمون بأكواب وفاكهة وحورٍ عين]. ٢٣﴿كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾ المصون [في البياض]. ٢٤﴿جزاء﴾ مفعول له، أو: مصدر، والعامل مقدر، أي: جعلنا لهم ما ذكر للجزاء، أو: جزيناهم ﴿بما كانوا يعملون﴾. ٢٥﴿لا يسمعون فيها﴾ في الجنة ﴿لغواً﴾ فاحشاً من الكلام ﴿ولا تأثيماً﴾ من يُؤْثِمُ. ٢٦﴿إلا﴾ لكن ﴿قيلاً﴾ قولاً ﴿سلاماً سلاماً﴾ بدل من «قيلاً»، فإنهم يسمعونه. ٢٧﴿وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين﴾. ٢٨﴿في سدر﴾ شجر «النَّبِق» ﴿مخضود﴾ لا شوك فيه، [قد خُضِدَ شوكه، أي: قُطع]. ٢٩﴿وطلح﴾ شجر الموز ﴿منضود﴾ [أي: متراكب مرصوص] بالحمل، من أسفله إلى أعلاه. ٣٠﴿وظل ممدود﴾[2] دائم. ٣١﴿وماء مسكوب﴾ جار دائماً. ٣٢﴿وفاكهة كثيرة﴾. ٣٣﴿لا مقطوعة﴾ في زمن، [أي: ليست موسمية كثمر الدنيا، توجد في فصل ولا توجد في غيره، بل هي مثمرة دائماً] ﴿ولا ممنوعة﴾ بثمن. ٣٤﴿وفرش

---

(١) قوله: «بخلاف خمر الدنيا»، ارجع إلى تعليقنا حول «الخمر» ص ١٥٥.

(٢) قوله تعالى: ﴿وظل ممدود﴾. روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿وظلٍّ ممدود﴾: «في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها».

مرفوعة﴾ [أي: نساء مرفوعات القدر] على السرر. ٣٥﴿إنا أنشأناهن إنشاء﴾ أي: الحور العين، من غير ولادة[1]. ٣٦﴿فجعلناهن أبكاراً﴾ عذارى، كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكاراً، ولا وجع. ٣٧﴿عرباً﴾ بضم الراء وسكونها، جمع: «عَرُوب»[2] وهي: المتحببة إلى زوجها عشقاً له ﴿أتراباً﴾ جمع «ترب»، أي مستويات في السن، [فيقال في النساء: «أتراب»، وفي الرجال: «أقران»]. ٣٨﴿لأصحاب اليمين﴾ صلة «أنشأناهن»، أو: «جعلناهن». ٣٩ و[أصحاب اليمين] هم: ﴿ثلة﴾ [أي: جماعة] ﴿من الأولين﴾. ٤٠﴿وثلة من الآخرين﴾ ٤١﴿وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال﴾. ٤٢﴿في سموم﴾ ريح حارة من النار، تنفذ في المسام ﴿وحميم﴾ ماء شديد الحرارة.

٤٣﴿وظل من يحموم﴾ دخان شديد السواد.

٤٤﴿لا بارد﴾ كغيره من الظلال ﴿ولا كريم﴾ حسن المنظر.

٤٥﴿إنهم كانوا قبل ذلك﴾ في الدنيا ﴿مترفين﴾ منعمين، لا يتعبون في الطاعة.

٤٦﴿وكانوا يصرون على الحنث﴾ الذنب ﴿العظيم﴾ أي: الشرك [بالله تعالى].

٤٧﴿وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً ءإنا لمبعوثون﴾ في الهمزتين في الموضعين: التحقيق، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين [وتركه].

٤٨﴿أوآباؤنا الأولون﴾ بفتح الواو للعطف، والهمزة للاستفهام، وهو في ذلك وفيما قبله للاستبعاد، وفي قراءة: بسكون الواو، عطفاً بـ «أو»، والمعطوف عليه محل «إنَّ» واسمُها.

٤٩﴿قل إن الأولين والآخرين﴾.

٥٠﴿لمجموعون إلى ميقات﴾ لوقت ﴿يوم معلوم﴾ أي: يوم القيامة، [حيث الحساب والجزاء].

٥١﴿ثم إنكم أيها الضالون المكذبون﴾.

٥٢﴿لآكلون من شجر من زقوم﴾ بيان للشجر.

٥٣﴿فمالئون منها﴾ من الشجر ﴿البطون﴾.

٥٤﴿فشاربون عليه﴾ أي: الزقوم المأكول ﴿من الحميم﴾. ٥٥﴿فشاربون

سُورَةُ الوَاقِعَةِ ٥٦

مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ

(١) قوله: «أي: الحور العين من غير ولادة»، أي: لَسْنَ من نساء أهل الدنيا، هذا هو القول المشهور لدى المفسرين، وقال الحسن البصري رحمه الله: إن الحور العين المذكورات في القرآن هن المؤمنات من أزواج النبيين والمؤمنين يخلقهن الله في الآخرة على أحسن صورة، وقد سبق أن أشار الجلال المحلي إلى هذا القول في تفسير الآية ٥٦ من سورة «الرحمن» ص ٧١٢.

(٢) قوله: «جمع عروب»، بفتح العين المهملة، ومنه قول لبيد:

وفي الخِبَاءِ عَرُوبٌ غيرُ فاحشةٍ ... ريّا الرَّوادفِ يَعْشَى دونها البصرُ

شرب﴾ بفتح الشين وضمها، مصدر ﴿الهيم﴾ الإبل العطاش، جمع «هيمان» للذكر، و «هيمى» للأنثى، كعطشان وعطشى. ٥٦ ﴿هذا نزلهم﴾ ما أعد لهم ﴿يوم الدين﴾ يوم القيامة. ٥٧ ﴿نحن خلقناكم﴾ أوجدناكم من عدم ﴿فلولا﴾ هلاً ﴿تصدقون﴾ بالبعث، إذ القادر على الإنشاء قادر على الإعادة. ٥٨ ﴿أفرأيتم ما تمنون﴾ تريقون من المني في أرحام النساء؟ ٥٩ ﴿ءأنتم﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفاً، وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة، والأخرى، وتركه في المواضع الأربعة [الآتية] ﴿تخلقونه﴾ أي: المني بشراً ﴿أم نحن الخالقون﴾ [المقدرون المصورون؟]. ٦٠ ﴿نحن قدرنا﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿بينكم الموت وما نحن بمسبوقين﴾ بعاجزين. ٦١ ﴿على﴾ عن[1] ﴿أن نبدل﴾ نجعل ﴿أمثالكم﴾ مكانكم ﴿وننشئكم﴾ نخلقكم ﴿في ما لا تعلمون﴾ من الصور، كالقردة والخنازير.

الجزء السابع والعشرون

شُرْبَ ٱلْهِيمِ ۝٥٥ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝٥٦ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ۝٥٧ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝٥٨ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٥٩ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٦٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٦١ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝٦٣ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۝٦٤ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ۝٦٥ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۝٦٦ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۝٦٧ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ۝٦٨ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ۝٦٩ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ۝٧٠ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ۝٧١ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ۝٧٢

٦٢ ﴿ولقد علمتم النَّشَاءَةَ الأولى﴾ [بالألف بعد الشين]، وفي قراءة: بسكون الشين [بلا ألف] ﴿فلولا تذَّكرون﴾ فيه إدغام التاء الثانية في الأصل في الذال، [وفي قراءة: بتخفيف الذال]. ٦٣ ﴿أفرأيتم ما تحرثون﴾ تثيرون الأرض، وتلقون البذر فيها. ٦٤ ﴿ءأنتم تزرعونه﴾ تنبتونه [وتجعلونه زرعاً] ﴿أم نحن الزارعون؟﴾. ٦٥ ﴿لو نشاء لجعلناه حطاماً﴾ نباتاً يابساً، لا حب فيه ﴿فظلتم﴾ أصله: «ظَلِلْتم» بكسر اللام، حذفت تخفيفاً، أي: أقمتم نهاراً ﴿تفكهون﴾ حذفت منه إحدى التاءين في الأصل [وهو: «تتفكهون»، أي:] تعجبون من ذلك وتقولون: ٦٦ ﴿إنا لمغرمون﴾ نفقة زرعنا، [من «الغُرْم»، و «المُغْرَم»: الذي ذهب ماله بغير عوض]. ٦٧ ﴿بل نحن محرومون﴾ ممنوعون رزقنا. ٦٨ ﴿أفرأيتم الماء الذي تشربون؟﴾. ٦٩ ﴿ءأنتم أنزلتموه من المزن﴾ السحاب، جمع «مُزْنة» ﴿أم نحن المنزلون؟﴾ ٧٠ ﴿لو نشاء جعلناه أجاجاً﴾ ملحاً لا يمكن شربه ﴿فلولا﴾ فهلاً ﴿تشكرون﴾ [الله على نعمه]. ٧١ ﴿أفرأيتم النار التي تورون﴾ تخرجون من الشجر الأخضر؟ [أي: تستخرجونها من مصادرها، كالحطب وغيره]. ٧٢ ﴿ءأنتم أنشأتم شجرتها﴾ كالمَرْخ والعَفَار[2]، والكَلْخ، [وهو شجر معروف في بعض بلاد المغرب والشام] ﴿أم نحن المنشئون﴾ [أي: الخالقون؟].

---

(١) قول الجلال المحلي: «عن» في تفسير: ﴿على﴾ جاء بناء على تفسيره: ﴿بمسبوقين﴾، «أي: بعاجزين». وفيه تكلُّف، لأنه يقال: عجز عن الشيء، فالأولى إبقاء «بمسبوقين» على معناها، أي: بمغلوبين، فالمسبوق هو المغلوب على أمره، و «غلب» تتعدى بـ «على»، والمغلوب عاجز كذلك.

(٢) قوله: «كالمرخ والعفار»، تقدم بيانها آخر سورة «يس» ص ٥٨٦.

٧٣﴿نحن جعلناها تذكرة﴾ لنار جهنم ﴿ومتاعاً﴾ بُلْغَةً ﴿للمقوين﴾ للمسافرين، من «أقوى القومُ»، أي: صاروا بالقِوَى بالقصر، والمد [القِواء ـ]، أي: القفر، وهو: مفازة لا نبات فيها ولا ماء. ٧٤﴿فسبح﴾ نزه ﴿باسم﴾ [أي: اذكر اسم ربك مسبحاً، وقيل: «باسم»] زائد ﴿ربك العظيم﴾ أي: الله. ٧٥﴿فلا أقسم﴾ «لا» زائدة ﴿بمواقع النجوم﴾ بمساقطها لغروبها[1]. ٧٦﴿وإنه﴾ أي القسم بها ﴿لقسم لو تعلمون عظيم﴾ أي: لو كنتم من ذوي العلم، لعلمتم عظم هذا القسم. ٧٧﴿إنه﴾ أي: المتلو عليكم ﴿لقرآن كريم﴾. ٧٨﴿في كتاب﴾ مكتوب ﴿مكنون﴾ مصون، وهو المصحف. ٧٩﴿لا يمسه﴾ خبر بمعنى النهي ﴿إلاّ المطهرون﴾ الذين طهروا أنفسهم من الأحداث، [فلا يجوز مس المصحف إلاّ بوضوء]. ٨٠﴿تنزيل﴾ منزل ﴿من رب العالمين﴾. ٨١﴿أفبهذا الحديث﴾ القرآن ﴿أنتم مدهنون﴾ متهاونون مكذبون؟ ٨٢﴿وتجعلون رزقكم﴾ من المطر، أي: شكره ﴿أنكم تكذبون﴾ بسقيا الله، حيث قلتم [عند إنزال المطر عليكم:] «مُطِرْنا بنَوْءِ كذا»[2]. ٨٣﴿فلولا﴾ فهلاّ ﴿إذا بلغت﴾ الروح وقت النزع ﴿الحلقوم﴾ هو: مجرى الطعام. ٨٤﴿وأنتم﴾ يا حاضري الميت ﴿حينئذٍ تنظرون﴾ إليه. ٨٥﴿ونحن أقرب إليه منكم﴾ بالعلم ﴿ولكن لا تبصرون﴾ من «التبصرة»، أي: لا تعلمون ذلك، [أو: من البصر، أي: لا ترون ملك الموت وأعوانه]. ٨٦﴿فلولا﴾ فهلاّ ﴿إن كنتم غير مدينين﴾ مجزيين بأن تبعثوا، أي: غير مبعوثين بزعمكم. ٨٧﴿ترجعونها﴾ تردون الروح إلى الجسد، بعد بلوغ الحُلقوم ﴿إن كنتم صادقين﴾ فيما زعمتم، «فلولا» الثانية تأكيد للأولى، و«إذا» ظرف لـ«ترجعون» المتعلق به الشرطان، والمعنى: هلاّ ترجعونها، إن نفيتم البعث صادقين في نفيه؟ أي: لينتفي عن محلها، [أي: عن محل الروح وهو الجسد ـ] الموتُ كالبعث. ٨٨﴿فأما إن كان﴾ الميت ﴿من المقربين﴾. ٨٩﴿فروح﴾[3] أي: فله استراحة ﴿وريحان﴾ رزق حسن ﴿وجنة نعيم﴾ وهل الجواب لـ«أمّا»، أو: لـ«إنْ»، أو «لهما»؟ أقوال. ٩٠﴿وأما إن كان من أصحاب اليمين﴾. ٩١﴿فسلام لك﴾ أي: له السلامة من العذاب ﴿من أصحاب اليمين﴾ من جهة أنه منهم. ٩٢﴿وأما إن

سُورَةُ الوَاقِعَةِ ٥٦

نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن

---

(١) قوله: «بمساقطها لغروبها»، هذا قول قتادة بن دعامة السَّدوسي رحمه الله وغيره، وهو قول غير واضح، لأنه ليس للنجوم مغارب بل لها منازل، قال عطاء بن أبي رباح رحمه الله: مواقع النجوم منازلها، أي: كما أن للشمس مغارب ومشارق، فإن للقمر بروجاً ومنازل.

(٢) قوله: «مطرنا بنَوْءِ كذا»، «النَّوْء»: سقوط النجم، وكان عادة الجاهليين نسبة نزول المطر إلى سقوط نجم، كما جاء في حديث قدسي رواه مسلم بما يقوله الكافر والمؤمن عند نزول المطر ذكرنا نصه ص ٤٧٦.

(٣) قوله تعالى: ﴿فروح﴾ بفتح الراء، من الراحة، ارجع إلى تعليقنا حول معاني «الروح» ص ٣٧٦.

كان من المكذبين الضالين﴾ [الكافرين]. ٩٣ ﴿فنزل من حميم﴾ [أي: فلهم رزق من حميم، أي: ماء شديد الحرارة].
٩٤ ﴿وتصلية جحيم﴾ [إدخالٍ في النار].
٩٥ ﴿إن هذا لهو حق اليقين﴾ من إضافة الموصوف إلى صفته، [أي: الحق اليقين].
٩٦ ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ تقدم[1].

كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى

﴿سورة الحديد﴾[2]

(مكية، أو: مدنية، وآياتها تسع وعشرون)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿سبح لله ما في السماوات والأرض﴾ أي: نَزَّهَهُ كلُّ شيء، فاللام مزيدة، وجيء بـ «ما» دون «مَنْ»، تغليباً للأكثر ﴿وهو العزيز﴾ في ملكه ﴿الحكيم﴾ في صنعه. ٢ ﴿له ملك السماوات والأرض يحيي﴾ بالإنشاء [والخلق] ﴿ويميت﴾ بعده ﴿وهو على كل شيء قدير﴾.
٣ ﴿هو الأول﴾[3] قبل كل شيء، بلا بداية ﴿والآخر﴾ بعد كل شيء، بلا نهاية ﴿والظاهر﴾ بالأدلة عليه ﴿والباطن﴾ عن إدراك الحواس ﴿وهو بكل شيء عليم﴾
٤ ﴿هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام﴾ من أيام الدنيا، [أي: في مقدارها] أولها الأحد[4] وآخرها الجمعة ﴿ثم استوى على

---

(١) قوله: «تقدم» أي: في تفسير الآية «٧٤» من هذه السورة ص ٧١٧.

(٢) قوله: «سورة الحديد»، هي مكية على الصحيح، وقيل: مدنية، وقال القرطبي: هي مدنية في قول الجميع. وتسمى هذه السورة، والسور التي بعدها وهي: «الحشر» و«الصف» و«الجمعة» و«التغابن»، بالمسبِّحات، لأن كلاً منها مفتتحة بالتسبيح. روى أحمد وأبو داود والترمذي، عن العرباض بن سارية رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد ــ أي: قبل نومه ــ ويقول: «إن فيهن آية أفضل من ألف آية»، وقد اختلف المفسرون في هذه الآية، والظاهر أنها الآية الأولى من كل سورة منها.

(٣) قوله تعالى: ﴿هو الأول والآخر..﴾ الآية، أخرج مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول إذا أوى إلى فراشه: «اللهم ربَّ السماوات السبع وربَّ العرش العظيم، ربَّنا وربَّ كل شيء، فالقَ الحَبِّ والنَّوى، منزِّلَ التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدَّين، وأغننا من الفقر». ارجع إلى تعليقنا حول «أسماء الله الحسنى» ص ٢٢٢.

(٤) قوله: «أولها الأحد وآخرها الجمعة» هذا قول غير قوي، والصحيح أن خلق السماوات والأرض تم في مقدار ستة أيام من غير تسمية أو تعيين، لأنه لم يكن ثم شمس، وقد بينا ذلك مفصلاً في تعليقنا حول «خلق السماوات والأرض» ص ٦٣٠ فارجع إليه.

﴿العرش﴾ الكرسي[1]، استواءً يليق به ﴿يعلم ما يلج﴾ يدخل ﴿في الأرض﴾ كالمطر والأموات ﴿وما يخرج منها﴾ كالنبات والمعادن ﴿وما ينزل من السماء﴾ كالرحمة والعذاب ﴿وما يعرج﴾ يصعد ﴿فيها﴾ كالأعمال الصالحة والسيئة ﴿وهو معكم﴾ بعلمه ﴿أين ما كنتم والله بما تعملون بصير﴾ [فيجازيكم به]. ٥ ﴿له ملك السماوات والأرض وإلى الله ترجع الأمور﴾ الموجودات جميعها. ٦ ﴿يولج الليل﴾ يدخله ﴿في النهار﴾ فيزيد [النهار] وينقص الليلُ ﴿ويولج النهار في الليل﴾ فيزيد [الليل] وينقص النهارُ ﴿وهو عليم بذات الصدور﴾ بما فيها من الأسرار والمعتقدات.

٧ ﴿آمنوا﴾ [أيها الناس، فالخطاب عام، وقيل: هو خطاب للمؤمنين، أي:] دوموا على الإيمان ﴿بالله ورسوله وأنفقوا﴾ في سبيل الله ﴿مما جعلكم مستخلفين فيه﴾ من مال مَنْ تقدمكم، وسيخلفكم فيه مَنْ بعدكم، [قيل:] نزل[2] في غزوة العُسْرة وهي غزوة «تبوك»[3] ﴿الذين آمنوا منكم وأنفقوا﴾ إشارة إلى عثمان رضي الله عنه، [وغيره من الصحابة، الذين آمنوا وأنفقوا] ﴿لهم أجر كبير﴾.

٨ ﴿وما لكم لا تؤمنون﴾ خطاب للكفار، أي: لا مانع لكم من الإيمان ﴿بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أُخِذَ﴾ بضم الهمزة وكسر الخاء، [ورفع ما بعده]، وبفتحها ونصب ما بعده ﴿ميثاقكم﴾ عليه، أي: أخذه الله في عالم الذَّرِّ، حين أشهدهم على أنفسهم: «ألست بربكم؟ قالوا: بلى» ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ أي: مريدين الإيمان به، فبادروا إليه.

٩ ﴿هو الذي ينزل على عبده آيات بينات﴾ آيات القرآن ﴿ليخرجكم﴾ [بإيمانكم بها] ﴿من الظلمات﴾ الكفر ﴿إلى النور﴾ الإيمان ﴿وإن الله بكم﴾ في إخراجكم من الكفر إلى الإيمان ﴿لرؤوف رحيم﴾.

١٠ ﴿وما لكم﴾ بعد إيمانكم ﴿ألا﴾ فيه إدغام نون «أن» في لام «لا» ﴿تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السماوات والأرض﴾ بما فيهما، فتَصِلُ إليه أموالُكم من غير أجر الإنفاق، بخلاف ما لو أنفقتم فتؤجرون ﴿لا يستوي

سُورَةُ الحَدِيدِ ٥٧

ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى

(١) قوله: «الكرسي»، جرى الجلالان السيوطي والمحلي رحمهما الله على القول بأن «العرش والكرسي» شيء واحد، والصحيح أن العرش غير الكرسي وأكبر منه، ارجع إلى تعليقنا على آية الكرسي ص ٥٣.

(٢) قوله: «نزل في غزوة العسرة إلخ»، الظاهر أن الجلال المحلي قد انفرد بهذا القول، والصحيح أن هذه الآيات عامة على نحو ما وجهنا في تفسيرها.

(٣) قوله: «وهي: غزوة تبوك»، كانت في شهر رجب سنة تسع للهجرة وكان الفصل صيفاً وقد بلغ الحر أقصاه، والناس في عُسْرَةٍ من العيش، وقد أينعت الثمار وطابت، لذلك أعلن ﷺ عن قصده في هذه الغزاة، فقد روى الشيخان عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: =

منكم من أنفق من قبل الفتح﴾ لمكة ﴿وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً﴾ من الفريقين، وفي قراءة: [«وكلٌّ»] بالرفع مبتدأ ﴿وعد الله الحسنى﴾ الجنة ﴿والله بما تعملون خبير﴾ فيجازيكم به.

١١ ﴿من ذا الذي يقرض الله﴾ بإنفاقه ماله في سبيل الله ﴿قرضاً حسناً﴾ بأن ينفقه لله ﴿فيضاعفه﴾ وفي قراءة: «فيضعِّفه» بالتشديد ﴿له﴾ من عشر إلى أكثر من سبعمائة، كما ذُكِرَ في[1] «البقرة» ﴿وله﴾ مع المضاعفة ﴿أجر كريم﴾ مقترن به رضاً وإقبال.

١٢ اذكر ﴿يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم﴾ أمامهم ﴿و﴾ يكون ﴿بأيمانهم﴾ ويقال لهم ﴿بشراكم اليوم جنات﴾ أي: ادخلوها ﴿تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم﴾.

١٣ ﴿يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا﴾ أبصرونا، وفي قراءة: بفتح الهمزة وكسر الظاء: أي: أَمْهِلونا ﴿نقتبس﴾ نأخذ القبس والإضاءة ﴿من نوركم قيل﴾ لهم استهزاء بهم ﴿ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً﴾ فرجعوا ﴿فضرب بينهم﴾ وبين المؤمنين ﴿بسور﴾ قيل: هو سور الأعراف[2] ﴿له باب باطنه فيه الرحمة﴾ من جهة المؤمنين ﴿وظاهره﴾ من جهة المنافقين ﴿من قبله العذاب﴾.

١٤ ﴿ينادونهم ألم نكن معكم﴾ على الطاعة؟ ﴿قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم﴾ بالنفاق ﴿وتربصتم﴾ بالمؤمنين الدوائر ﴿وارتبتم﴾ شككتم في دين الإسلام ﴿وغرتكم

مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَـٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَـٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ

= «لم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورَّى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة، غزاها رسول الله ﷺ في حر شديد واستقبل سفراً بعيداً وقفاراً وعدواً كثيراً، فجلَّى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم، وحضَّ أهل الغنى على الإنفاق، فجاء الكثيرون من الصحابة بمال وفير، وخرج بما يقارب الثلاثين ألفاً من المسلمين، حتى عسكر في تبوك، فلم يلق أحداً، ثم قفل راجعاً بعد أن غاب عن المدينة قرابة الشهرين». ومعنى: «ورَّى بغيرها»، أي: أظهر ما يفيد أنه يقصد غيرها، وهذا من باب الخدعة في الحرب، قال ﷺ: «الحرب خدعة» رواه الشيخان وغيرهما، وقوله «خدعة» هي: بفتح الخاء وسكون الدال على الأفصح، قال النووي رحمه الله: هي لغة النبي ﷺ، ومعناها: أي: هي خدعة واحدة من تيسرت له ظفر بعدوه.

(١) قوله: «كما ذكر في البقرة»، أي: في قوله تعالى: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله﴾ الآية «٢٦١»، وكما بينه رسول الله ﷺ، فقد روى الشيخان عن أبي العباس عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال: «إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بيَّن ذلك: فمن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله تبارك وتعالى عنده حسنة كاملة، وإن همَّ بها فعملها كتبها الله عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإن همَّ بسيئة فلم يعملها ـ أي: خشية من الله تعالى ـ كتبها الله تعالى عنده حسنة كاملة، وإن همَّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة».

(٢) قوله: «هو سور الأعراف»، ارجع إلى تعليقنا حول «الأعراف وأصحابه» ص ١٩٩.

الأماني﴾ الأطماع ﴿حتى جاء أمر الله﴾ الموت ﴿وغركم بالله الغرور﴾ [أي: خدعكم] الشيطانُ.

١٥ ﴿فاليوم لا تؤخذ﴾ بالتاء والياء ﴿منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم﴾ أولى بكم ﴿وبئس المصير﴾ هي.

١٦ ﴿ألم يأن﴾ يَحِنْ ﴿للذين آمنوا﴾ نزلت في شأن الصحابة، لمَّا أكثروا المزاح[1] ﴿أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نُزِّل﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿من الحق﴾ القرآن؟ ﴿ولا يكونوا﴾ معطوف على «تخشع» ﴿كالذين أوتوا الكتاب من قبل﴾ هم: اليهود والنصارى ﴿فطال عليهم الأمد﴾ الزمن بينهم وبين أنبيائهم ﴿فقست قلوبهم﴾ لم تلن لذكر الله ﴿وكثير منهم فاسقون﴾.

١٧ ﴿اعلموا﴾ خطاب للمؤمنين المذكورين ﴿أن الله يحيي الأرض بعد موتها﴾ بالنبات، فكذلك يفعل بقلوبكم، يردها إلى الخشوع ﴿قد بينا لكم الآيات﴾ الدالة على قدرتنا، بهذا وغيره ﴿لعلكم تعقلون﴾.

١٨ ﴿إن المصدقين﴾ من التصدق، أدغمت التاء في الصاد، أي: الذين تصدقوا ﴿والمصدقات﴾ اللاتي تصدقن، وفي قراءة: بتخفيف الصاد فيهما، من التصديق: الإيمان ﴿وأقرضوا الله قرضاً حسناً﴾ راجع إلى الذكور، والإناث بالتغليب، وعُطِفَ الفعلُ [«أقرضوا»] على الاسم [أي: «المصدقين»، الكائن] في صلة «أل»، لأنه فيها [أي: في صلة أل]، حَلَّ محل الفعل، [فتقدير «المصدقين» هو: «الذين تصدقوا»، فيكون «المصدقين» شبه فعل، فيُعطف عليه الفعل، قال ابن مالك:

واعْطِفْ على اسمٍ شِبْهِ فعلٍ فعلاً]،

وذِكْرُ «القرض» بوصفه، [أي: قرضاً حسناً»] بعد «التصديق» تقييد له [أي: تَصَدَّقوا لوجه الله تعالى] ﴿يضاعف﴾ وفي قراءة: «يضعف» بالتشديد، أي: قرضهم ﴿لهم ولهم أجر كريم﴾.

١٩ ﴿والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون﴾ المبالغون في التصديق ﴿والشهداء عند ربهم﴾ على المكذبين من الأمم ﴿لهم أجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا﴾ الدالة على وحدانيتنا ﴿أولئك أصحاب

ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ

(١) قوله: «لمّا أكثروا المزاح»، أخرج مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية ﴿ألم يأن للذين آمنوا...﴾ إلا أربع سنين»، وهي تحذير متجدِّد للمسلمين من الركون إلى اللهو والضحك والمزاح ومن نسيان حياة الجد والانضباط التي جاء بها الإسلام صوناً لصلاح الدنيا وضماناً لصلاح الآخرة، وهذا لا يعني أن المزاح كلَّه حرام، فإنه إذا كان خالياً عن حرام أو غيبة أو لمز، وكان حقاً، فلا بأس به عندئذ، وكذلك الضحك القليل، فإنه ﷺ كان يضحك أحياناً حتى تبدو نواجذُهُ ــ أي: أضراسه الداخلية ــ رواه البخاري، ولكنه نهى عن كثرة الضحك لأنها تُميتُ القَلْبَ، «رواه الترمذي وابن ماجه» وقال الصحابة: يا رسول الله =

﴿الجحيم﴾ النار. ٢٠ ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة﴾ تزيين ﴿وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد﴾ أي: الاشتغال فيها، وأما الطاعات وما يُعين عليها، فمن أمور الآخرة ﴿كمثل﴾ أي: هي في إعجابها لكم واضمحلالها، كمثل ﴿غيث﴾ مطر ﴿أعجب الكفار﴾ الزراع[1] ﴿نباته﴾ الناشىء عنه ﴿ثم يهيج﴾ ييبس ﴿فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً﴾ فُتاتاً يضمحل بالرياح ﴿وفي الآخرة عذاب شديد﴾ لمن آثر عليه الدنيا ﴿ومغفرة من الله ورضوان﴾ لمن لم يؤثر عليها الدنيا ﴿وما الحياة الدنيا﴾ ما التمتع فيها ﴿إلاّ متاع الغرور﴾ [أي: متاع يغرُّ من رَكَنَ إليه، حتى يعتقد أن لا دار سواها، ولا معاد وراءها]. ٢١ ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماوات والأرض﴾ لـو وصلت إحداهما بـالأخرى، و «العرض»: السَّعَة ﴿أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾.

ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ

٢٢ ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض﴾ بالجدب ﴿ولا في أنفسكم﴾ كالمرض وفقد الولد ﴿إلاّ في كتاب﴾ يعني: اللوح المحفوظ ﴿من قبل أن نبرأها﴾ نخلقها، ويقال في النعمة كذلك ﴿إن ذلك على الله يسير﴾ [أي: خَلْقُ ذلك وحفظه، لا يعجزنا].

٢٣ ﴿لكيلا﴾ «كي» ناصبة للفعل، بمعنى: «أن»، أي: أخبر تعالى بذلك لئلا ﴿تأسوا﴾ تحزنوا ﴿على ما فاتكم ولا تفرحوا﴾ فرح بطر، بل فرح شكر على النعمة ﴿بما آتاكم﴾ بالمد: أعطاكم، وبالقصر: جاءكم منه ﴿والله لا يحب كل مختال﴾ متكبر بما أوتي ﴿فخور﴾ به على الناس. ٢٤ ﴿الذين﴾ [مبتدأ] ﴿يبخلون﴾ بما يجب عليهم [أداؤه].

= إنك تُداعبنا ــ أي: تُمازحنا ــ قال ﷺ: «إني لا أقول إلاّ حقاً» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن كان النبي ﷺ ليخالطنا ــ بالملاطفة والمزاح ــ حتى يقول لأخ لي صغير: «يا أبا عُمَير، ما فعل النُّغَيْرُ؟ ــ أي: طائر البلبل، وطلب رجل من النبي ﷺ أن يحمله على دابة فقال له: «إني حاملك على ولد الناقة» فقال: يا رسول الله ما أصنع بولد الناقة؟ ــ أي: إنه صغير لا يصلح للركوب ــ فقال ﷺ: «هل تلد الإبلَ إلاّ النوقُ»؟! رواه الترمذي وأبو داود.

أما المزاح بالكذب فهو حرام، قال عليه الصلاة والسلام: «ويل للذي يحدِّث بالحديث ليُضحِكَ به القومَ فيكذب، ويلٌ له، ويلٌ له». رواه أبو داود والنسائي والترمذي وحسنه، ومن أشنع المزح بالكذب ما يُعرف اليوم «بكذبة أول نيسان» التي يعتبرها كثير من الناس «كذبة بيضاء» والعياذ بالله تعالى، فهي حرام ويخشى على مستحل الكذب أول نيسان إن عاند بعد البيان من الكفر، بل إن كان يرى أنه كذب ومع ذلك يعتقد أنه جائز فإنه يكفر، لأنه يناقش في أمر لا خلاف فيه، وهو تحريم الكذب.

(١) قوله: «الزراع»، هذا أحد قولين في تفسير «الكفار» وهو من: «الكفر» بفتح الكاف أي: التغطية، والزارع يغطي الحبَّ بالتراب، فقيل له: كافر على هذا المعنى، ومنه تسمية كثير من البلدان باسم «كَفْر» أي: المزرعة، ومنه سمي الليل: كافراً لأنه يستر بظلامه الأشياء، وكل شيء غطى شيئاً فقد كفره، والقول الثاني هو: أن المراد بالكفار هنا الكافرون بالله عز وجل، فهو من «الكُفْر» بضم الكاف، أي: الجحود، لأنهم أكثر إعجاباً بزينة الدنيا وحرصاً عليها واغتراراً بها، واستحسن هذا القول القرطبي.

﴿ويأمرون الناس بالبخل﴾[1] به، [وخبر المبتدأ محذوف، تقديره:] لهم وعيد شديد ﴿ومن يتول﴾ عما يجب عليه ﴿فإن الله هو﴾ ضمير فصل [لا محل له من الإعراب]، وفي قراءة [سَبْعية:] بسقوطه ﴿الغني﴾ عن غيره ﴿الحميد﴾ لأوليائه. ٢٥﴿لقد أرسلنا رسلنا﴾ الملائكة إلى الأنبياء ﴿بالبينات﴾ بالحجج القواطع ﴿وأنزلنا معهم الكتاب﴾ بمعنى: الكُتُب ﴿والميزان﴾ العدل ﴿ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد﴾ [أي: أنشأناه وخلقناه، كقوله تعالى: «وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج» أي: خلق، وقيل:] أخرجناه من المعادن ﴿فيه بأس شديد﴾ [يعني: السلاح]، يقاتَلُ به [مَنْ أبى الحق وعانده، بعد قيام الحجة عليه] ﴿ومنافع للناس﴾ [في معايشهم، كالفأس والمنشار، وسائر الأدوات والآلات] ﴿وليعلم الله﴾ علم مشاهدة، معطوف على: «ليقوم الناس» ﴿من ينصره﴾ بأن ينصر دينه بآلات الحرب، من الحديد وغيره ﴿ورسله بالغيب﴾ حال من هاء «ينصره»، أي: غائباً عنهم في الدنيا، قال ابن عباس: يَنْصرونه ولا يُبصرونه ﴿إن الله قوي عزيز﴾ لا حاجة له إلى النصرة، لكنها تنفع من يأتي بها.

٢٦﴿ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب﴾ يعني: «الكتب الأربعة»، «التوراة» و «الإنجيل» و «الزَّبور» و «القرآن»، فإنها في ذرية إبراهيم ﴿فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون﴾ [كافرون].

٢٧﴿ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية﴾ هي: رفض النساء، واتخاذ الصوامع، [ونصب «رهبانية» بفعل محذوف دل عليه:] ﴿ابتدعوها﴾ من قبل أنفسهم ﴿ما كتبناها عليهم﴾ ما أمرناهم بها ﴿إلا﴾ لكن فعلوها [التزاماً منهم] ﴿ابتغاء رضوان﴾ مرضاة ﴿الله فما رعوها حق رعايتها﴾ [أي: فما قاموا بما التزموه حق القيام،] إذ تَرَكها كثيرٌ منهم، وكفروا بدين عيسى، ودخلوا في دين ملكهم، وبقي[2] على دين عيسى كثير منهم، فآمنوا بنبينا ﴿فآتينا الذين آمنوا﴾ به ﴿منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون﴾. ٢٨﴿يا أيها الذين

وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

---

(١) قوله تعالى: ﴿البخل﴾. البخل هنا بمعنى «الشُّحّ» وهو: الامتناع عن أداء الواجب من الزكاة أو النفقة، روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشُّحَّ فإن الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلُّوا محارمهم»، وهو: مرض من أمراض القلوب يقابل في سوئه الإسراف والتبذير، ويتخطاهما في خطره وضرره، فالواجب الإنفاق من غير إسراف، ولا تبذير، ولا تقتير، ارجع إلى تعليقنا حول معنى: «الإسراف» ص ١٩٦، ومعنى: «التبذير» ص ٣٦٨.

(٢) قوله: «وبقي...» إلخ، فيه تساهل، فالذين آمنوا منهم بنبينا لم يكونوا على دين المسيح الحق، وقد بينا ذلك ص ٥١٤.

آمنوا﴾ بعيسى ﴿اتقوا الله وآمنوا برسوله﴾ محمد ﷺ ﴿يؤتكم كفلين﴾ نصيبين ﴿من رحمته﴾ لإيمانكم بالنبيّين ﴿ويجعل لكم نوراً تمشون به﴾ على الصراط ﴿ويغفر لكم والله غفور رحيم﴾. ٢٩﴿لئلا يعلم﴾ [قال الأخفش: «أن لا» زائدة للتأكيد]، أي: أعلمكم بذلك، ليعلم ﴿أهل الكتاب﴾ التوراة، الذين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ ﴿أن﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، والمعنى: أنهم ﴿لا يقدرون على شيء من فضل الله﴾ خلاف ما في زعمهم، أنهم أحباء الله وأهل رضوانه ﴿وأن الفضل بيد الله يؤتيه﴾ يعطيه ﴿من يشاء﴾ فآتى المؤمنين منهم أجرهم مرتين، كما تقدم [في الآية السابقة] ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ جلَّ وعلا.

ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

(٥٨) سُورَةُ المجادلة مدنية وآياتها اثنتان وعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حزب ٥٥ جزء ٢٨

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ

﴿سُورَةُ المجادلة﴾

(مدنية، اثنتان وعشرون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١﴿قد سمع الله قول التي تجادلك﴾[1] تراجعك أيها النبي ﴿في زوجها﴾ المظاهر منها، كان قال لها: أنت عليّ كظهر أمي، وقد سألت النبي ﷺ عن ذلك فأجابها: بأنها حَرُمَتْ عليه، على ما هو المعهود عندهم، من أن الظهار مُوجِبُهُ فُرقةٌ مؤبدة، وهي: خولة بنت ثعلبة، وهو: أوس بن الصامت ﴿وتشتكي إلى الله﴾ وحدتها وفاقتها، وصبيةً صغاراً، إن ضَمَّتْهُم إليه ضاعوا، وإليها جاعوا ﴿والله يسمع تحاوركما﴾ تراجعكما ﴿إن الله سميع بصير﴾ عالم.

٢﴿الذين يظَّهَّرون﴾ أصله: «يتظهّرون»، أدغمت التاء في الظاء، وفي قراءة: بألف بين الظاء والهاء الخفيفة، [أي: يَظَّاهرون»]، وفي أخرى: [يُظاهرون»] كـ«يقاتلون»، والموضع الثاني ـ[أي: «يظَّهَّرون» الآتي في الآية الثالثة]ـ كذلك ﴿منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم

---

(١) قوله تعالى: ﴿قد سمع الله قول﴾ الآية، أخرج البخاري تعليقاً، والبيهقي، والحاكم وصححه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى عليَّ بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وتقول: يا رسول الله أكل شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبرتْ سني وانقطع ولدي ظاهر مني؟، اللهم إني أشكو إليك، فما برحت حتى نزل جبريل بهؤلاء الآيات ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها﴾ وهو: أوس بن الصامت، أخو عبادة بن الصامت رضي الله عنهما، أما زوجته فهي: «خولة» وقيل: «خويلة» وفيهما نزلت هذه الآيات على الصحيح، فقد روى أحمد وأبو داود عن خويلة بنت ثعلبة رضي الله عنها قالت: فيَّ والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر سورة «المجادلة» قالت: كنت عنده، وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه، فدخل عليَّ يوماً فراجعته بشيء فغضب فقال: «أنت عليّ كظهر أمي»، ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة، ثم دخل عليَّ فإذا هو يريدني عن نفسي ـ أي: يريد جماعي ـ قلت: كلا والذي نفس خويلة بيده، لا تخلص إليَّ وقد قلتَ ما قلتَ، حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه، فواثبني، فامتنعت منه بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف فألقيته عني، ثم خرجت إلى بعض جاراتي فاستعرت منها ثياباً، ثم خرجت حتى جئت إلى رسول الله ﷺ، =

إن أمهاتهم إلا اللائي﴾ بهمزة وياء، وبلا ياء ﴿ولدنهم وإنهم﴾ بالظهار ﴿ليقولون منكراً من القول وزوراً﴾ كذباً [لأن الزوجة ليست كالأم] ﴿وإن الله لعفو غفور﴾ للمظاهر بالكفارة. ٣﴿والذين يَظَّهَّرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا﴾ أي: فيه، بأن يخالفوه بإمساك [المرأة] المظاهَرِ منها، الذي هو خلاف مقصود الظهار، من وصف المرأة بالتحريم ﴿فتحرير رقبة﴾ أي: إعتاقُها عليه ﴿من قبل أن يتماسا﴾ بالوطء، [أي: من قبل أن يجامعها] ﴿ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير﴾. ٤﴿فمن لم يجد﴾ رقبة [يعتقها] ﴿فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع﴾ أي: الصيام ﴿فإطعام ستين مسكيناً﴾ عليه، أي: من قبل أن يتماسا، حملاً للمطلق على المقيد[1]، لكل مسكين مد من غالب قوت البلد ﴿ذلك﴾ أي: التخفيف في الكفارة ﴿لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك﴾ أي: الأحكام المذكورة ﴿حدود الله وللكافرين﴾ بها ﴿عذاب أليم﴾ مؤلم.

٥﴿إن الذين يحادون﴾ يخالفون ﴿الله ورسوله كبتوا﴾ أذلوا ﴿كما كبت الذين من قبلهم﴾ في مخالفتهم رسلهم ﴿وقد أنزلنا آيات بينات﴾ دالة على صدق الرسول ﴿وللكافرين﴾ بها ﴿عذاب مهين﴾ ذو إهانة.

٦﴿يوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد﴾.

٧﴿ألم ترَ﴾ تعلم ﴿أن الله يعلم

إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ

= فجلست بين يديه فذكرت له ما لقيت منه، وجعلت أشكو إليه ما ألقى من سوء خلقه، فجعل رسول الله ﷺ يقول: «يا خويلة، ابن عمك شيخ كبير فاتقي الله فيه»، فما برحتُ حتى نزل فيَّ قرآن، فقرأ عليَّ رسول الله ﷺ: ﴿قد سمع الله﴾ الآيات، فقال لي رسول الله ﷺ: «مُريه فليَعْتق رقبة»، فقلت: يا رسول الله، ما عنده ما يعتق، قال: «فليصم شهرين متتابعين»، فقلت: والله إنه لشيخ كبير ما له من صيام، قال: «فليطعم ستين مسكيناً وَسْقاً ــ بفتح الواو، هو: مقدار ستين صاعاً ــ من تمر» فقلت: يا رسول الله، ما ذاك عنده، فقال ﷺ: «فإنا سنعينه بفَرْقٍ ــ بفتح الفاء، مكيال معروف بالمدينة ــ من تمر»، فقلت: والله يا رسول الله فإنا سنعينه بفَرقٍ آخر، قال ﷺ: «قد أصبت وأحسنت، فاذهبي فتصدقي به عنه، ثم استوصي بابن عمك خيراً»، قالت خولة: ففعلتُ، قال ابن كثير: هذا هو السبب الصحيح في نزول هذه السورة، أي: آيات الظهار. اهـ.

وحقيقة الظهار: تشبيه ظهر بظهر، والموجب للحكم هو: تشبيه ظهر محلَّل بظهر محرَّم، ولهذا أجمع الفقهاء على أن منْ قال لزوجته: «أنت عليّ كظهر أمي» أنه مظاهر، وهذا أصل الظهار، وكان معروفاً عند العرب قبل الإسلام من غير الكفارة.

(١) قوله: «حملاً للمطلق على المقيد»، قُيِّدَت الكفارة بتحرير الرقبة، ثم بصيام شهرين متتابعين بقوله تعالى: ﴿من قبل أن يتماسا﴾، وأما الكفارة بالإطعام فجاءت مطلقة فأجري عليها حكمُ ما قبلها، فيجب أن يكون الإطعام أيضاً من قبل أن يتماسا، وهذه الأمور واجبة على هذا الترتيب، فلا يجوز الانتقال إلى واحدة، إلا بعد تعذُّر التي قبلها.

ما في السماوات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾ بعلمه، [أي: يعلم ما يتناجون به سراً بينهم] ﴿ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم﴾ [بعلمه تعالى، وهو كقوله: «وهو معكم أينما كنتم»] ﴿أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم﴾ [فلا يخفى عليهم ما يتناجون به].

٨﴿ألم ترَ﴾ تنظر ﴿إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول؟﴾ هم اليهود، نهاهم النبي ﷺ عمَّا كانوا يفعلون من تناجيهم، أي: تحدثهم سراً ناظرين إلى المؤمنين، ليوقعوا في قلوبهم الريبة ﴿وإذا جاؤوك حيوك﴾[1] أيها النبي ﴿بما لم يحيك به الله﴾ وهو قولهم: «السَّامُ عليك»، أي: الموت ﴿ويقولون في أنفسهم لولا﴾ هلاّ ﴿يعذبنا الله بما نقول﴾ من التحية، وأنه ليس بنبي، إن كان نبيّاً؟ ﴿حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير﴾ هي.

٩﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى[2] واتقوا الله الذي إليه تحشرون﴾.

١٠﴿إنما النجوى﴾ بالإثم ونحوه ﴿من الشيطان﴾ بغروره ﴿ليحزن الذين آمنوا

مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

(١) قوله تعالى: ﴿وإذا جاؤوك حيوك...﴾ الآية، أخرج أحمد والبزّار والطبراني بسند جيد، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن اليهود كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: سامُ عليكم ــ أي: الموت ــ ثم يقولون في أنفسهم: لولا يعذبنا الله بما نقول ــ أي: لو كان نبياً لعذبنا الله بقولنا هذا ــ فنزلت الآية ﴿وإذا جاؤوك﴾.

وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل على رسول الله ﷺ يهود فقالوا: السَّام عليك يا أبا القاسم، فقالت عائشة: وعليكم السَّامُ واللعنة، فقال: «يا عائشة إن الله لا يحب الفحش ولا التفحش» قلت: ألا تسمعهم يقولون: السَّام عليك. فقال رسول الله ﷺ: «أمَا سمعت ما أقول: وعليكم؟» فأنزل الله هذه الآية، وفي مسلم: «وإنا نجاب عليهم ولا يجابون علينا» أي: يستجاب لي دعائي عليهم، ولا يستجاب لهم دعاؤهم عليّ، وفيه دليل على حلمه ﷺ وصبره على الأذى، وقولهم: «السَّام عليكم» هو: الموت، ويقرأ: «السَّأم عليكم» بالهمز من «السآمة»، وهو دعاء منهم على النبي ﷺ والمؤمنين بأن يسأموا دينهم.

(٢) قوله تعالى: ﴿وتناجوا بالبر والتقوى﴾، لقد نهى النبي ﷺ أيضاً المسلمين عن أن يتناجوا فيما بينهم على نحو يؤذي أحدهم، فقد أخرج الشيخان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس، من أجل أن ذلك يُحزنُهُ»، أي: ويدخل في نفسه الريبة، وقد يظن أنهما يُضمران له سوءاً، ومثله أن يتكلم اثنان بلغة لا يفهمها الثالث، وهذا من أرفع درجات الأدب الذي أرشد إليه النبي صلى الله عليه وسلّم.

وليس﴾ هو ﴿بضارهم شيئاً إلا بإذن الله﴾ أي: إرادته ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾.

١١ ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا﴾[1] توسعوا ﴿في المجلس﴾ [بالإفراد، أي:] مجلس النبي ﷺ، أو: الذكر حتى يجلس من جاءكم، وفي قراءة: «المجالس» [بالجمع] ﴿فافسحوا يفسح الله لكم﴾ في الجنة ﴿وإذا قيل انشِزوا﴾ [بكسر الشين، أي: انهضوا] وقوموا إلى الصلاة، وغيرها من الخيرات ﴿فانشِزوا﴾ [بكسر الشين أيضاً]، وفي قراءة: بضم الشين فيهما ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم﴾ بالطاعة في ذلك ﴿و﴾ يرفع ﴿الذين أوتوا العلم درجات﴾ في الجنة ﴿والله بما تعملون خبير﴾.

وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ

١٢ ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول﴾[2] أردتم مناجاته ﴿فقدموا بين يدي نجواكم﴾ قبلها ﴿صدقة ذلك خير لكم وأطهر﴾ لذنوبكم ﴿فإن لم تجدوا﴾ ما تتصدقون به ﴿فإن الله غفور﴾ لمناجاتكم ﴿رحيم﴾ بكم، يعني: فلا عليكم في المناجاة من غير صدقة، ثم نسخ ذلك بقوله:

١٣ ﴿أأشفقتم﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفاً، وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى، وتركه، أي: خفتم من ﴿أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات؟﴾ لفقر ﴿فإذ لم تفعلوا﴾ الصدقة ﴿وتاب الله عليكم﴾ رجع بكم عنها ﴿فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله﴾ أي: دوموا على ذلك ﴿والله خبير بما تعملون﴾.

١٤ ﴿ألم تر﴾ تنظر ﴿إلى الذين تولوا﴾ هم: المنافقون ﴿قوماً﴾ هم: اليهود ﴿غضب الله عليهم؟ ما هم﴾ أي: المنافقون ﴿منكم﴾ من المؤمنين ﴿ولا منهم﴾ من اليهود، بل هم مذبذبون ﴿ويحلفون على الكذب﴾ أي: قولهم إنهم مؤمنون

---

(١) قوله تعالى: ﴿إذا قيل لكم تفسحوا﴾ الآية، في هذه الآية بيان لأدب المجالس في الإسلام، المبني على التعاون والتراحم والاحترام، لا على التميز، روى البخاري ومسلم ــ واللفظ له ــ عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقيم الرجلُ الرجلَ من مجلسه ثم يجلس فيه»، وروى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «لا يُقيمن أحدكم أخاه يوم الجمعة، ثم يخالفُ مَقْعَده فيقعُدَ فيه، ولكن يقول: افسحوا»، وهذا النهي عام في الجمعة وغيرها، كما يفيده الحديث السابق، ويجوز في الفعلين: «يجلس» في الحديث الأول، و«يخالف» في الحديث الثاني، الواقعين بعد «لا»، الرفع بتقدير: «ثم هو»، والجزم بالعطف على موضع فعل النهي، والنصب بإعطاء «ثم» حكم «واو الجمع».

(٢) قوله تعالى: ﴿إذا ناجيتم الرسول﴾ الآية، أخرج عبد الرزاق والحاكم وغيرهما، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي، ولا يعمل بها أحد بعدي، آية النجوى، كان عندي دينار فبعته بعشرة دراهم، فكنت كلما ناجيت النبي قدمت بين يدي نجواي درهماً، ثم نُسخت فلم يعمل بها أحد».

﴿وهم يعلمون﴾ أنهم كاذبون فيه.

١٥ ﴿أعد الله لهم عذاباً شديداً إنهم ساء ما كانوا يعملون﴾ من المعاصي.

١٦ ﴿اتخذوا أيمانهم جنة﴾ ستراً عن أنفسهم وأموالهم ﴿فصدوا﴾ بها المؤمنين ﴿عن سبيل الله﴾ أي: الجهاد فيهم، بقتلهم وأخذ أموالهم ﴿فلهم عذاب مهين﴾ ذو إهانة.

١٧ ﴿لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله﴾ من عذابه ﴿شيئاً﴾ من الإغناء ﴿أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾.

وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ

١٨ اذكر ﴿يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له﴾ أنهم مؤمنون ﴿كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء﴾ من نفع حلفهم في الآخرة كالدنيا ﴿ألا إنهم هم الكاذبون﴾.

١٩ ﴿استحوذ﴾ استولى ﴿عليهم الشيطان﴾ بطاعتهم له ﴿فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان﴾ أتباعه ﴿ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾.

٢٠ ﴿إن الذين يحادون﴾ [يعادون و] يخالفون ﴿الله ورسوله أولئك في الأذلين﴾ المغلوبين [الأذلاء].

٢١ ﴿كتب الله﴾ في اللوح المحفوظ، أو: قضى ﴿لأغلبن أنا ورسلي﴾ بالحجة أو: السيف، [أو: بهما جميعاً] ﴿إن الله قوي عزيز﴾.

٢٢ ﴿لا تجد قوماً يؤمنون[1] بالله واليوم الآخر يوادون﴾ يصادقون [ويحبون ويوالون] ﴿من حاد﴾ [خالف، وحارب، وعادى] ﴿الله ورسوله ولو

---

(١) قوله تعالى: ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون.. ﴾ الآية، أي: ليس من أخلاق المسلمين ذلك، وهذا مبدأ ثابت في الإسلام، فولاء المسلم لا يجوز أن يكون لغير الله تعالى، إذا تعارض الولاء لله مع الولاء للقرابة أو العشيرة أو غيرهما، فالله تعالى نهى عن التعصب للقرابة أو الأرض أو القبيلة، وأمر بنصرة دينه والمسلمين جميعاً، وبمجاهدة كل من يعارض دين الله ويعاديه، ولو كان من الأقربين، وقدّم رابطة الأخوة في الإيمان على أية رابطة أخرى فقال تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾، أي: إن المؤمن أخو المؤمن كما قال ﷺ في حديث رواه الشيخان: «المسلم أخو المسلم»، أي: لا أخ للمسلم إلا المسلم، ينصره ويواليه ويساعده ويحبه، أما الأواصر الأخرى من دون الإيمان، فلا قيمة لها ولا وزن، بل هي أسباب تتقطع يوم القيامة، ولا تنفع أصحابها، قال تعالى في الأتباع والمتبوعين على الباطل: ﴿ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب﴾، وقال تعالى في رابطة الصداقة على غير أساس التقوى: ﴿الأخلاَّءُ يومئذٍ بعضهم لبعضٍ عدوٌّ إلاَّ المتقين﴾.

كانوا﴾ أي: المحادُّون ﴿آباءهم﴾ أي: المؤمنين ﴿أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾ بل يقصدونهم بالسوء، ويقاتلونهم على الإيمان، كما وقع لجماعة من الصحابة، [كأبي عبيدة بن الجراح، الذي قتل أباه يوم بدر، ومصعب بن عمير، قتل أخاه «عُبيداً»، وغيرهما ممن قتلوا أبناء قبيلتهم، أو همُّوا بذلك، فلم تَلِنْ قلوبهم لكافر، ولو كان ذا قربى] ﴿أولئك﴾ الذين لا يوادُّونهم ﴿كتب﴾ أثبت ﴿في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح﴾[1] [أي: بنصر، أو: بالقرآن، أو:] بنور [و إيمان] ﴿منه﴾ تعالى ﴿ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم﴾ بطاعته ﴿ورضوا عنه﴾ بثوابه ﴿أولئك حزب الله﴾ يتبعون أمره، ويجتنبون نهيه ﴿ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾ الفائزون.

كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٢٢﴾

(٥٩) سُورَةُ الحَشْرِ مَدَنِيَّةٌ وآياتها أربع وعشرون

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ

﴿سُورَةُ الحَشْرِ﴾[2]

(مدنية، أربع وعشرون آية)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ﴿سبح لله ما في السماوات وما في الأرض﴾ أي: نَزَّهَه، فاللام مزيدة، وفي الإتيان بـ «ما» تغليب للأكثر، [أي: لغير العاقل] ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ في ملكه وصنعه.

٢ ﴿هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ هم: بنو النضير من اليهود ﴿من ديارهم﴾ مساكنهم بالمدينة ﴿لأول الحشر﴾[3] هو: حشرهم إلى الشام، وآخرُه أن أجلاهم عمر في خلافته إلى «خيبر» [اقرأ التعليق]﴿ما ظننتم﴾ أيها المؤمنون ﴿أن يخرجوا

---

(١) قوله تعالى: ﴿بروح﴾، فُسِّر بما ذكرنا، وهذه من معاني «الروح». ارجع إلى تعليقنا حولها ص ٣٧٦.

(٢) قوله: «سورة الحشر»، أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «سورة الأنفال نزلت في بدر، وسورة الحشر نزلت في بني النضير»، وكان يسميها «سورة بني النضير»، ارجع إلى تعليقنا حولهم ص ٢٣٥، وأخرج الحاكم وصححه، والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت غزوة بني النضير على رأس ستة أشهر من وقعة بدر، وكان منزلهم ونخلهم في ناحية المدينة، فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على الجلاء، وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من الأمتعة والأموال إلا الحَلْقَة ـ أي: السلاح ـ فأنزل الله فيهم: ﴿سبح لله ما في السماوات وما في الأرض﴾ الآيات، وسببها أنهم نقضوا عهدهم وحلفهم مع بني عامر، وهمُّوا بقتل النبي ﷺ، كما جاء في كتب المغازي والسِّيَر.

(٣) قوله تعالى: ﴿لأول الحشر﴾ إلخ، اتفق المفسرون على أن: «أول الحشر» كان في الدنيا وهو إخراجهم من المدينة، وأما آخره، فقيل: هو حشرهم في الآخرة، وقيل: عندما أجلاهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه من خيبر إلى تيماء وأريحا، وذلك أنه عندما أجلاهم النبي ﷺ من المدينة، ذهبت طائفة منهم إلى بلاد الشام، وأكثرهم ذهبوا إلى خيبر، وبهذا يظهر أن في تفسير الجلال المحلي لأول الحشر بأنه: إخراجهم إلى الشام وتفسيره لآخر الحشر: بأنه إجلاؤهم إلى خيبر سهواً وتناقضاً يدركه المتأمل، والصواب ما ذكرناه.

﴿وظنوا أنهم مانعتهم﴾ خبر «أنَّ» ﴿حصونهم﴾ فاعله، به تَمَّ الخبر ﴿من الله﴾ من عذابه ﴿فأتاهم الله﴾ أي: أمره وعذابه ﴿من حيث لم يحتسبوا﴾ لم يخطر ببالهم، من جهة المؤمنين ﴿وقذف﴾ ألقى ﴿في قلوبهم الرعب﴾ بسكون العين وضمها، الخوف، بقتل سيدهم كعب بن الأشرف ﴿يخرّبون﴾ بالتشديد والتخفيف، من «أخرب» ﴿بيوتهم﴾ لينقلوا ما استحسنوه منها، من خشب وغيره ﴿بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾.
٣﴿ولولا أن كتب الله﴾ قضى ﴿عليهم الجلاء﴾ بالخروج من المواطن ﴿لعذبهم في الدنيا﴾ بالقتل والسبي، كما فعل بقريظة من اليهود ﴿ولهم في الآخرة عذاب النار﴾. ٤﴿ذلك بأنهم شاقوا﴾ خالفوا ﴿الله ورسوله ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب﴾ له. ٥﴿ما قطعتم﴾[1] يا مسلمون ﴿من لينة﴾ نخلة ﴿أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله﴾ أي: خيَّركم في ذلك ﴿وليخزي﴾ بالإذن في القطع ﴿الفاسقين﴾ اليهود، في اعتراضهم بأن قطع الشجر المثمر فساد.
٦﴿وما أفاء﴾ ردَّ ﴿الله على رسوله منهم﴾ [أي: من أموال بني النَّضير] ﴿فما أوجفتم﴾ [أي: ما] أسرعتم يا مسلمون ﴿عليه من﴾ زائدة ﴿خيل ولا ركاب﴾ إبل، أي: لم تقاسوا فيه مشقة ﴿ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير﴾ فلا حق لكم فيه، ويختص به النبي ﷺ، يفعل فيه ما يشاء، فأعطى منه المهاجرين، وثلاثة[2] من الأنصار لفقرهم.
٧﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى﴾ كـ «الصفراء»، و «وادي القُرى»، و «يَنْبُع» ﴿فلله﴾ يأمر فيه بما يشاء ﴿وللرسول ولذي﴾ صاحب ﴿القربى﴾ قرابة النبي ﷺ، من بني هاشم وبني المطلب ﴿واليتامى﴾ أطفال المسلمين، الذين هلكت آباؤهم وهم فقراء ﴿والمساكين﴾ ذوي الحاجة من المسلمين ﴿وابن السبيل﴾ المنقطع في سفره من المسلمين، أي: يستحقه النبي ﷺ، والأصناف الأربعة، على ما كان يقسمه، من أن لكل من الأربعة، خُمُسَ الخُمُس، وله الباقي.

وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ

(١) قوله تعالى: ﴿ما قطعتم من لينة﴾ الآية. أخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ حرّق نخل بني النضير وقطع «البُوَيرة» ـ موضع بقرب المدينة إهانةً لهم وإرعاباً لقلوبهم ـ فقالوا: يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد، فما بال قطع النخل وتحريقها؟! فأنزل الله تعالى هذه الآية.

(٢) قوله: «وثلاثة من الأنصار» وهم: أبو دُجانة سِمَاكُ بن خَرَشَةَ، وسهلُ بن حُنَيف، والحارث بن الصِّمَّة، وقال ابن إسحاق: بل أعطى اثنين فقط: أبا دجانة وسهلاً.

﴿كي لا﴾ «كي» بمعنى اللام، و «أن» مقدرة بعدها، [أي: لئلا] ﴿يكون﴾ الفيءُ، علةٌ لقَسْمِهِ كذلك ﴿دولةً﴾[1] متداولاً ﴿بين الأغنياء منكم وما آتاكم﴾ أعطاكم ﴿الرسول﴾ من الفيء وغيره ﴿فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾ [للمخالفين].

٨ ﴿للفقراء﴾ [بدل من قوله: «لذي القربى» وما بعده، أي: ما أفاء الله على رسوله فهو للفقراء من هؤلاء، أو:] متعلق بمحذوف، أي: اعجبوا [للفقراء] ﴿المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون﴾ في إيمانهم، [فكونوا مثلهم في قوة إيمانكم].

كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ۚ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ

٩ ﴿والذين تبوأوا الدار﴾ أي: [سكنوا] المدينة ﴿و﴾ [لزموا] ﴿الإيمان﴾ أَلِفُوه، وهم: الأنصار ﴿من قبلهم﴾ [أي: قبل أن يهاجر المهاجرون إليهم] ﴿يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة﴾ حسداً ﴿مما أوتوا﴾ أي: آتى النبيُّ ﷺ المهاجرين، من أموال بني النضير المختصة به ﴿ويؤثرون على[2] أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ حاجة إلى ما يؤثرون به ﴿ومن يوق شح نفسه﴾ حرصها على المال ﴿فأولئك هم المفلحون﴾.

١٠ ﴿والذين جاؤوا من بعدهم﴾ من بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة ﴿يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً﴾ حقداً ﴿للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾.

١١ ﴿ألم تر﴾ تنظر ﴿إلى الذين نافقوا يقولون

---

(١) قوله تعالى: ﴿دولة﴾ بضم الدال، وقرىء بفتحها شذوذاً لغير الأربعة، أما من حيث اللغة: فإن «الدُّولة» بضم الدال: ما يتنقل من النِّعم ــ مال وغيره ــ من قوم إلى آخرين، أي: متداولاً كما قال المحلي في التفسير، أما «الدولة» ــ بفتح الدال ــ: فهي الظفر والاستيلاء في الحرب، يقال: دالت دولته أي: ذهبت سلطته.

(٢) قوله تعالى: ﴿ويؤثرون على أنفسهم﴾ الآية، روى البخاري ومسلم ــ واللفظ للبخاري ــ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أصابني الجَهْدُ، ــ أي: من الجوع ــ فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئاً، فقال رسول الله ﷺ: «ألا رجل يُضَيِّفُهُ هذه الليلة يرحمه الله؟»، فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فذهب إلى أهله فقال لامرأته: ضيف رسول الله ﷺ لا تدَّخريه شيئاً، قالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية، قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنوِّميهم، وتعالي فأطفئي السِّراج ونطوي بطوننا الليلة، ففعلت، ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ فقال: «لقد عجب الله عزَّ وجلَّ، أو: ضحك من فلان وفلانة» فأنزل الله هذه الآية.

أما الرجل «الضيف» فقيل: هو «أبو هريرة» راوي الحديث، وقيل: غيره، وأما الأنصاري الذي استضاف، فقيل: هو «أبو طلحة الأنصاري» وقيل: «عبد الله بن رواحة»، وقيل: غيرهما.

﴿لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ وهم: بنو النضير، وإخوانهم في الكفر ﴿لئن﴾ لام قسم في الأربعة[1] ﴿أخرجتم﴾ من المدينة ﴿لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم﴾ في خُذلانكم ﴿أحداً أبداً وإن قوتلتم﴾ حذفت منه اللام الموطِّئة [للقسم] ﴿لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون﴾.

١٢ ﴿لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم﴾ أي: جاؤوا لنصرهم ﴿ليولن الأدبار﴾ واستغني بجواب القسم المقدَّر، عن جواب الشرط، في المواضع[2] الخمسة ﴿ثم لا ينصرون﴾ أي: اليهود.

١٣ ﴿لأنتم﴾ [أيها المسلمون] ﴿أشد رهبة﴾ خوفاً ﴿في صدورهم﴾ أي: المنافقين، [أو: اليهود] ﴿من الله﴾ لتأخير عذابه ﴿ذلك بأنهم قوم لا يفقهون﴾.

١٤ ﴿لا يقاتلونكم﴾ أي: اليهود ﴿جميعاً﴾ مجتمعين ﴿إلا في قرى محصنة أو من وراء جدار﴾ [بالإفراد، أي:] «سور»، وفي قراءة: «جُدُر» [بالجمع] ﴿بأسهم﴾ حربهم ﴿بينهم شديد تحسبهم جميعاً﴾ مجتمعين ﴿وقلوبهم شتى﴾ متفرقة خلاف الحُسبان ﴿ذلك بأنهم قوم لا يعقلون﴾ [فأهل الباطل: مختلفة آراؤهم وأهواؤهم، لا يجتمعون إلا في عداوة أهل الحق].

١٥ مثلهم في ترك الإيمان ﴿كمثل الذين من قبلهم قريباً﴾ بزمن قريب، وهم: أهل بدر من المشركين ﴿ذاقوا وبال أمرهم﴾ عقوبته في الدنيا، من القتل وغيره ﴿ولهم عذاب أليم﴾ مؤلم في الآخرة.

١٦ مثلهم أيضاً في سماعهم من المنافقين وتخلفهم عنهم ﴿كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين﴾ كذباً منه ورياءً. ١٧ ﴿فكان

لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ

(١) قوله: «في الأربعة» أي: المواضع الأربعة وهي: ﴿لئن أخرجتم﴾، ﴿ولئن أخرجوا﴾، و ﴿ولئن قوتلوا﴾، و ﴿لئن نصروهم﴾ فاللام في هذه المواضع لام قسم.

(٢) قوله: «واستغنى بجواب القسم المقدر عن جواب الشرط في المواضع الخمسة»، هي المواضع الأربعة المذكورة في التعليق الأول، والخامس قوله تعالى: ﴿وإن قوتلوا﴾ أي: اجتمع في هذه المواضع قسمٌ وشرط، وكان القسم فيها مقدماً، فيكون الجواب للقسم، ويكون جواب الشرط محذوفاً، قال ابن مالك في ألفيته:

واحذف لدى اجتماع شرطٍ أو قَسَمْ ... جوابَ ما أخَّرتَ فَهْوَ مُلْتَزَمْ

عاقبتهما﴾ [بالنصب، خبر «كان» مقدماً،] أي: الغاوي والمغوي، وقرىء[1] [شذوذاً] بالرفع، اسم «كان» ﴿أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين﴾ أي: الكافرين.

١٨ ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد﴾ ليوم القيامة ﴿واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾.

١٩ ﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله﴾ تركوا طاعته ﴿فأنساهم أنفسهم﴾ أن يقدموا لها خيراً ﴿أولئك هم الفاسقون﴾.

عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ

٢٠ ﴿لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون﴾ [المكرمون المقربون].

٢١ ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل﴾ وجُعل فيه تمييزٌ كالإنسان ﴿لرأيته خاشعاً متصدعاً﴾ متشققاً ﴿من خشية الله وتلك الأمثال﴾ المذكورة ﴿نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾ فيؤمنون، [وهذا حث للإنسان، على التفكر والتأمل في مواعظ القرآن، فلا عذر لأحد عاقل في ترك تدبره، قال تعالى: «كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدَّبّروا آياته وليتذكر أولو الألباب»].

٢٢ ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة﴾[2] السر والعلانية ﴿هو الرحمن الرحيم﴾.

٢٣ ﴿هو الله الذي لا إله إلاَّ هو الملك القدوس﴾ الطاهر، [أي: المنزه] عمّا لا يليق به ﴿السلام﴾ ذو السلامة من النقائص ﴿المؤمن﴾ المصدق رسله، بخلق المعجزة[3] لهم ﴿المهيمن﴾ من «هيمن يهيمن»، إذا كان رقيباً على الشيء، أي: الشهيد على عباده بأعمالهم ﴿العزيز﴾ القوي ﴿الجبار﴾ [قال ابن عباس: هو العظيم، وجبروت الله عظمته، وقيل:] جَبَر خلقه على ما أراد ﴿المتكبر﴾ عما لا يليق به ﴿سبحان الله﴾ نزه نفسه ﴿عما يشركون﴾ به ٢٤ ﴿هو الله

---

(١) قوله: «وقرىء بالرفع»، أي: برفع «عاقبتهما»، وهذه قراءة شاذة كما بيناه في التفسير، قرأ بها الحسن البصري رحمه الله تعالى.

(٢) قوله تعالى: ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة﴾ الآيات، تضمنت هذه الآيات عدداً من أسماء الله الحسنى، ارجع إلى تعليقنا حولها ص ٢٢٢.

(٣) قوله: «بخلق المعجزة لهم»، المعجزة: أمر خارق للعادة يظهره الله تعالى على يد النبي تصديقاً له في رسالته، وهي نازلة منزلة قوله تعالى: «صدق عبدي ــ النبي ــ في كل ما يبلّغ عني»، أي: إنها علامة على أن الرسول صادق فيما يبلغ عن الله عزّ وجلّ، ومعجزات الأنبياء كثيرة مشهورة.

﴿الخالق البارىء﴾ المنشىء من العدم ﴿المصور له الأسماء الحسنى﴾ التسعة والتسعون، الوارد بها الحديث[1]، و«الحسنى»: مؤنث «الأحسن» ﴿يسبح له ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾ تقدم أولها، [أي: العزيز في ملكه، الحكيم في صنعه].

﴿ سُورَةُ المُمْتَحَنَة ﴾

(مدنية، ثلاث عشرة آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ﴿يا[2] أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم﴾ أي: كفار مكة ﴿أولياء تلقون﴾ توصلون ﴿إليهم﴾ قَصْدَ النبي ﷺ غزوَهم، الذي أسَرَّه إليكم، ووَرَّى بـ«حُنَيْن» ﴿بالمودة﴾ بينكم وبينهم، كتب حاطب بن أبي بلتعة إليهم كتاباً بذلك، لِمَا له عندهم من الأولاد والأهل المشركين، فاسترده النبي ﷺ ممن أرسله معه، بإعلام الله تعالى له بذلك، وقبل عذر حاطب فيه ﴿وقد كفروا بما جاءكم من الحق﴾ أي: دين الإسلام والقرآن ﴿يخرجون الرسول وإياكم﴾ من مكة بتضييقهم عليكم ﴿أن تؤمنوا﴾ أي: لأجل أن آمنتم ﴿بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً﴾ للجهاد ﴿في سبيلي وابتغاء مرضاتي﴾ وجواب الشرط، دل عليه ما قبله، أي: فلا تتخذوهم أولياء ﴿تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم﴾ أي: إسرار خبر النبي إليهم ﴿فقد ضل سواء السبيل﴾ أخطأ طريق الهدى، و«السواء» في الأصل: الوسط.

٢ ﴿إن يثقفوكم﴾ يظفروا بكم ﴿يكونوا

(1) قوله: «الوارد بها الحديث»، أي: الذي رواه الترمذي وغيره، ارجع إلى تعليقنا حول «أسماء الله الحسنى» وما جاء فيها من أحاديث ص ٢٢٢، واقرأ الحديث الوارد بها وفيه تعدادها في تفسير قوله تعالى: ﴿أيّاً ما تدعو فله الأسماء الحسنى﴾ آخر سورة «الإسراء» ص ٣٧٩.

ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

(٦٠) سُورَةُ المُمْتَحَنَةِ مَدَنِيَّة
وَآيَاتُهَا ثَلَاثَ عَشْرَةَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟

(2) قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ الآيات، أخرج الشيخان وغيرهما، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد بن الأسود فقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ ــ موضع بين مكة والمدينة ــ، فإن بها ظعينة ــ أي: امرأة في هودج ــ معها كتاب فخذوه منها فأتوني به»، فخرجنا حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظَّعينة فقلنا: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي من كتاب، فقلنا: لتخرجنَّ الكتاب أو لنلقين الثياب، فأخرجته من عِقاصها، ــ بكسر العين، أي: شعرها المضفور ــ فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا هو من حاطب بن أبي بَلْتَعَةَ، إلى ناس من المشركين بمكة، يخبرهم ببعض أمر النبي ﷺ، فقال: «ما هذا يا حاطب؟» قال: لا تعجل عليَّ يا رسول الله، إني كنت امرءاً مُلْصَقاً في قريش ولم أكن من أنفسها، وكان مَن معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم بمكة، فأحببت إذ فاتني ذلك من نسب فيهم، أن أتخذ يداً يحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً عن ديني ولا رضاً بالكفر، فقال النبي ﷺ: «صدق، لا تقولوا إلا خيراً، فقال عمر: دعني يا رسول الله فأضرب عنقه، فقال: =

لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم﴾ بالقتل والضرب ﴿وألسنتهم بالسوء﴾ بالسب والشتم ﴿وودوا﴾ تمنوا ﴿لو تكفرون﴾. ٣﴿لن تنفعكم أرحامكم﴾ قرابتكم ﴿ولا أولادكم﴾ المشركون، الذين لأجلهم أسررتم الخبر، من العذاب في الآخرة ﴿يوم القيامة يُفصل﴾ بالبناء للمفعول والفاعل ﴿بينكم﴾ وبينهم، فتكونون في الجنة، وهم في جملة الكفار في النار ﴿والله بما تعملون بصير﴾. ٤﴿قد كانت لكم إسوة﴾ بكسر الهمزة وضمها في الموضعين[1]: قدوة ﴿حسنة في إبراهيم﴾ أي: به، قولاً وفعلاً ﴿والذين معه﴾ من المؤمنين ﴿إذ قالوا لقومهم إنا برءاء﴾ جمع «بَرِيء» كـ «ظريف» ﴿منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم﴾ أنكرناكم ﴿وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً﴾ بتحقيق الهمزتين،

لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ

وإبدال الثانية واواً ﴿حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك﴾ مستثنى من «أسوة»، أي: فليس لكم التأسي به في ذلك، بأن تستغفروا للكفار، وقوله ﴿وما أملك لك من الله﴾ أي: من عذابه وثوابه ﴿من شيء﴾ كنى به، عن أنه لا يملك له غير الاستغفار، فهو مبني عليه [أي: معطوف على: «لأستغفرن» ومرتبط به، ولكنه] مستثنى من حيث المراد منه، [أي: اقتدوا به، إلا في الاستغفار لكافر]، وإن كان من حيث ظاهره مما يُتأسى به، [أخذاً من] «قل فمن يملك لكم من الله شيئاً»، واستغفاره له، قبل أن يتبين له أنه عدو لله [«فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه»،] كما ذكر[2] في «براءة» ﴿ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير﴾ [هذا الدعاء]، من مقول [إبراهيم] الخليل ومَنْ معه، أي: وقالوا:

٥﴿ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا﴾ أي: لا تظهرهم علينا، فيظنوا أنهم على الحق، فيفتنوا، أي: تذهب عقولهم بنا ﴿واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم﴾ في ملكك وصنعك.

٦﴿لقد كان لكم﴾ يا أمة محمد، جواب قسم مقدَّر ﴿فيهم إسوة﴾ [بكسر الهمزة وضمها] ﴿حسنة لمن كان﴾ بدل اشتمال من «كم» [في «لكم»]، بإعادة الجار ﴿يرجو الله واليوم الآخر﴾ أي: يخافهما، أو: يظن الثواب والعقاب ﴿ومن يتول﴾ بأن يوالي الكفار

= «إنه شهد بدراً، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم» فدمعت عينا عمر.

ولم يُصَرَّح في هذا الحديث بنزول الآيات في حاطب، ولا ضرر في ذلك، بل يبقى الاستشهاد به قائماً؛ لأن القصة تدل على ذلك، ويؤيده قول عمرو بن دينار ــ أحد رجال سنده بعد روايته للقصة: إنها نزلت فيه، وكذلك ما أخرجه الحاكم عن ابن عباس، أنها نزلت في مكاتبة حاطب وقومه إلى كفار قريش، والظاهر نزولها في حاطب وحده كما يفهم من حديث الصحيحين المتقدم، وهذا ما عليه المفسرون.

(١) قوله: «في الموضعين»، أي: في هذه الآية، وفي الآية السادسة الآتية، وأيضاً في الآية ٢١ «الأحزاب» ص ٥٥٢.

(٢) قوله: «كما ذكر في براءة»، أي: سورة «التوبة» ص ١٦١، ارجع إلى تعليقنا فيها، حيث بينا حكم الدعاء للكافر والاستغفار له.

﴿فإن الله هو الغني﴾ عن خلقه ﴿الحميد﴾ لأهل طاعته. ٧﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم﴾ من كفار مكة، طاعةً لله تعالى ﴿مودة﴾ بأن يهديهم للإيمان، فيصيروا لكم أولياء ﴿والله قدير﴾ على ذلك، وقد فعله بعد فتح مكة ﴿والله غفور﴾ لهم ما سلف ﴿رحيم﴾ بهم. ٨﴿لا ينهاكم الله[1] عن الذين لم يقاتلوكم﴾ من الكفار ﴿في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم﴾ بدل اشتمال من «الذين» ﴿وتقسطوا﴾ تَقْضُوا ﴿إليهم﴾ بالقسط، أي: العدل، وهذا قبل الأمر بجهادهم ﴿إن الله يحب المقسطين﴾ العادلين. ٩﴿إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا﴾ عاونوا ﴿على إخراجكم أن تولوهم﴾ بدل اشتمال من «الذين»، أي: تتخذوهم أولياء ﴿ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون﴾.

١٠﴿يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات﴾ بألسُنِهِنَّ ﴿مهاجرات﴾ من الكفار، بعد الصلح معهم في «الحديبية»، على أن من جاء منهم إلى المؤمنين يُرَدُّ ﴿فامتحنوهن﴾ بالحلف: «أنهن ما خرجن إلا رغبة في الإسلام، لا بغضاً لأزواجهن الكفار، ولا عشقاً لرجال من المسلمين» كذا كان صلى الله عليه وسلم يحلِّفهن[2] ﴿الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن﴾ ظننتموهن بالحلف ﴿مؤمنات فلا ترجعوهن﴾ تردوهن ﴿إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم﴾ أي: أعطوا الكفار، [الذين هم] أزواجهن ﴿ما أنفقوا﴾ عليهن من المهور ﴿ولا جناح عليكم أن تنكحوهن﴾ بشرطه[3] ﴿إذا آتيتموهن أجورهن﴾ مهورهن.

فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ

---

(١) قوله تعالى: ﴿لا ينهاكم الله...﴾ الآية، أخرج البخاري والبيهقي وغيرهما، عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: أتتني أمي راغبة في عهد النبي ﷺ ـ أي: طامعة في عطاء ـ فسألت النبي صلى الله عليه وسلم آصِلُها؟ ـ بالمدّ على الاستفهام ـ قال: «نعم»، وكانت أمُّها ـ قتيلةُ، أو قَيْلة بنت عبد العُزّى ـ مشركة، وقد طلقها أبو بكر في الجاهلية، قال: سفيان بن عيينة أحد الرواة: فأنزل الله تعالى ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم..﴾ الآية. هكذا قال ابن عيينة رحمه الله، ولم يرد ذكر نزولها في الحديث المذكور. لذلك لم يذكره البخاري في «كتاب التفسير»، ويؤيد قول ابن عيينة، ما أخرجه أحمد والبزار وأبو داود الطيالسي وغيرهم: أن أم أسماء المذكورة قدمت إليها بهدايا، فكرهت أن تقبل منها أو تدخلَها بيتها، فسألت لها عائشة رضي الله عنها النبي ﷺ عن ذلك، فنزلت هذه الآية، فأمرها أن تقبل هديتها وتُدخلها بيتها، وأخرج الحاكم والواحدي في سياق هذه القصة: أن عائشة سألته عن ذلك، فتلا النبي ﷺ هذه الآية.

(٢) قوله: «كذا كان رسول الله ﷺ يحلفهن». روى ذلك عبد الرزاق عن قتادة السَّدوسي ومجاهد بن جبر رحمهما الله تعالى، وروى البخاري عن عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها أخبرته: أن رسول الله ﷺ كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية.

(٣) قوله: «بشرطه»، أي: بشرائط النكاح المقررة شرعاً.

﴿ولا تمسكوا﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿بعصم الكوافر﴾ زوجاتكم، لقطع إسلامكم لها، [أي: لعصمة النكاح] بشرطه، أو: اللاحقات بالمشركين مرتدات، لقطع ارتدادهن نكاحكم بشرطه، [وهو دوام الردة إلى وفاء العدة، وهذا مذهب الشافعي[1]] ﴿واسألوا﴾ اطلبوا ﴿ما أنفقتم﴾ عليهن من المهور، في صورة الارتداد، ممن تزوجهن من الكفار ﴿وليسألوا ما أنفقوا﴾ على المهاجرات، كما تقدم أنهم يؤتونَه ﴿ذلكم حكم الله يحكم بينكم﴾ به ﴿والله عليم حكيم﴾.

١١ ﴿وإن فاتكم شيء من أزواجكم﴾ أي: واحدة فأكثر منهن، أو: شيء من مهورهن، بالذهاب ﴿إلى الكفار﴾ مرتدات ﴿فعاقبتم﴾ فغزوتم وغنمتم ﴿فآتوا﴾ [أعطوا] ﴿الذين ذهبت أزواجهم﴾ من الغنيمة ﴿مثل ما أنفقوا﴾ لفواته عليهم من جهة الكفار ﴿واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون﴾ وقد فعل المؤمنون ما أمروا به، من الإيتاء للكفار والمؤمنين، ثم ارتفع هذا الحكم، [أي: نُسِخَ].

١٢ ﴿يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن﴾ كما كان يُفْعَل في الجاهلية، من وأد البنات، أي: دفنهن أحياء، خوف العار والفقر ﴿ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن﴾ أي: بولد ملقوط، ينسبنه إلى الزوج، ووصَفَهُ بصفة الولد الحقيقي، فإن الأم إذا وضعته، سقط بين يديها ورجليها ﴿ولا يعصينك في﴾ فعل ﴿معروف﴾ هو: ما وافق طاعة الله، كترك النياحة، وتمزيق الثياب، وجَزّ الشعور، وشق الجيب، وخمش الوجه ﴿فبايعهن﴾ فعل ﷺ ذلك بالقول، ولم يصافح واحدة منهن[2] ﴿واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم﴾.

١٣ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم﴾ هم اليهود ﴿قد يئسوا من الآخرة﴾ أي: من ثوابها، مع إيقانهم بها، لعنادهم النبي، مع علمهم بصدقه ﷺ ﴿كما يئس الكفار﴾ الكائنون ﴿من أصحاب القبور﴾ أي: من المقبورين، من خير الآخرة، إذْ تعرض عليهم [وهم في القبور]، مقاعدهم من الجنة لو كانوا آمنوا وما يصيرون إليه من النار.

وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾

(١) قولنا: «وهذا مذهب الشافعي» بيانه ـ في الردة ـ: إذا ارتد الزوجان أو أحدهما عن الإسلام، ثم تاب المرتد في أثناء العدة أقرًا على زواجهما، إذا كانت الزوجة مدخولاً بها، وإن انقضت العدة قبل التوبة فلا بد من عقد جديد، أما إذا كانت غير مدخول بها فإنها تبين في الحال، وهذا أيضاً مذهب الإمام أحمد. أما عند الأحناف: فإذا ارتد أحد الزوجين عن الإسلام، انفسخ النكاح ووقعت الفُرقة بينهما للحال، بلا توقف على قضاء القاضي بذلك، وهذه الفرقة فسخ لعقد الزواج ولا يحسب طلقة، وقال الحافظ ابن عبد البر في «الكافي» ـ في فقه المالكية ـ: وتَبِينُ منه امرأته في أول ردته بطلقة واحدة بائنة، فإن تاب قُبِلَ ولم ترجع إليه إلا بنكاح جديد. ارجع إلى تعليقنا حول «الردة» ص ٣٦٠.

(٢) قوله: «ولم يصافح»، أخرج البخاري عن عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها قالت: فمن أقر بهذا الشرط ـ أي: الإيمان ـ من المؤمنات قال لها رسول الله: «قد بايعتك» كلاماً، أي: بالكلام لا باليد كما بايع الرجال، ولا والله ما مَسّت يدُه يَدَ امرأة قط في المبايعة، =

﴿سُورَةُ الصَّفِّ﴾ (1)

(مكية، أو مدنية، أربع عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(٦١) سُورَةُ الصَّفِّ مَدَنِيَّة وَآيَاتُهَا أَرْبَعَ عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي

١ ﴿سبح لله ما في السماوات وما في الأرض﴾ أي: نزَّهَهُ، فاللام [في «لله»] مزيدة، وجيء بـ «ما» [دون «مَنْ»]، تغليباً للأكثر، [أي: لغير العاقل] ﴿وهو العزيز﴾ في ملكه ﴿الحكيم﴾ في صنعه. ٢ [ونزل لما سمع أصحاب النبي ﷺ مَدْح الجهاد وقالوا: «لئن لقينا قتالاً لنُفرغَنَّ فيه وُسْعَنَا»، ففرُّوا يوم أُحُد:] ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون﴾ في طلب الجهاد ﴿ما لا تفعلون﴾ إذ انهزمتم بأحد؟ [استفهام على جهة الإنكار].

٣ ﴿كبر﴾ عظم ﴿مقتاً﴾ تمييز، [أي: بغضاً] ﴿عند الله أن تقولوا﴾ فاعل «كبر» ﴿ما لا تفعلون﴾. ٤ ﴿إن الله يحب﴾ ينصر ويكرم ﴿الذين يقاتلون في سبيله صفاً﴾ حال، أي: صافين ﴿كأنهم بنيان مرصوص﴾ ملزق بعضه إلى بعض، ثابت. ٥ ﴿و﴾ اذكر ﴿إذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني﴾ قالوا: إنه آدَر[2] أي: منتفخ الخُصية، و[هو] ليس كذلك، وكذبوه ﴿وقد﴾ للتحقيق[3] ﴿تعلمون أني رسول الله إليكم﴾ الجملة حال، والرسول يُحترم ﴿فلما زاغوا﴾ عدلوا عن الحق بإيذائه ﴿أزاغ الله قلوبهم﴾ أمالها عن الهدى، على وفق ما قدره في الأزل ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ الكافرين في علمه. ٦ ﴿و﴾ اذكر ﴿إذ قال عيسى ابن مريم يا بني

= ما بايعهن إلا بقوله: «قد بايعتك على ذلك». وهذا دليل على عدم جواز مصافحة المرأة غير المَحْرَم، خلافاً لما يفعله كثير من الناس، ظناً منهم أنها من «السلام»، ولقوله ﷺ: «إني لا أصافح النساء» وهو حديث صحيح رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه.

(1) قوله: «سورة الصف»، روى أحمد والترمذي عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: قعدنا نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ فتذاكرنا فقلنا: لو نعلم أيّ الأعمال أحب إلى الله عزّ وجلّ لعملناه، فأنزل الله تعالى سورة «الصف».

(2) قوله: «قالوا إنه آدَرُ»، ارجع إلى تعليقنا حول هذه القصة ٥٦١.

(3) قوله: «للتحقيق»، ارجع إلى تعليقنا ص ٤٦٩.

إسرائيل﴾ لم يقل: يا قوم، لأنه لم يكن له فيهم قرابة، [لأنه خُلق من غير أب] ﴿إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي﴾ قبلي ﴿من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾[1]، قال تعالى ﴿فلما جاءهم﴾ جاء «أحمد» الكفار ﴿بالبينات﴾ الآيات والعلامات ﴿قالوا هذا﴾ أي: المجيء به ﴿سحر﴾[2]، وفي قراءة: «ساحر»، أي: الجائي به ﴿مبين﴾ بيِّن.

٧﴿ومن﴾ أي: لا أحد ﴿أظلم﴾ أشد ظلماً ﴿ممن افترى على الله الكذب﴾ بنسبة الشريك والولد إليه، ووصف آياته بالسحر ﴿وهو يدعى إلى الإسلام والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ الكافرين.

إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ

٨﴿يريدون ليطفئوا﴾ منصوب بـ «أن» مقدرة، واللام مزيدة ﴿نور الله﴾ شرعه وبراهينه ﴿بأفواههم﴾ بأقوالهم: إنه «سحر، وشعر، وكهانة» ﴿والله متمٌّ﴾ مظهرٌ ﴿نورَه﴾ وفي قراءة، بالإضافة ﴿ولو كره الكافرون﴾ ذلك.

٩﴿هو الذي أرسل رسوله﴾ [محمداً ﷺ] ﴿بالهدى ودين الحق ليظهره﴾ يعليه ﴿على الدين كله﴾ جميع الأديان المخالفة[3] ﴿ولو كره المشركون﴾ ذلك.

١٠﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة[4] تنجيكم﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿من عذاب أليم﴾ مؤلم، فكأنهم قالوا: نعم، فقال:

١١﴿تؤمنون﴾ تدومون على الإيمان ﴿بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ أنه خير لكم، فافعلوه.

١٢﴿يغفر﴾ جواب شرط مقدر، أي: إن تفعلوه يغفر ﴿لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات

(١) قوله تعالى: ﴿اسمه أحمد﴾، ارجع إلى تعليقنا حول «أسمائه» ﷺ ص ٥٥٦.

(٢) قوله تعالى: ﴿سحر﴾، ارجع إلى تعليقنا حول «السحر» ص ٢١٠.

(٣) قوله: «الأديان المخالفة»، هي: جميع الأديان ما عدا «الإسلام» الذي هو دين الله الذي لا يقبل من العباد سواه، وبه أرسل جميع الرسل، ارجع إلى تعليقنا حول «الأديان» ص ٢٤٥.

(٤) قوله تعالى: ﴿هل أدلكم على تجارة..﴾ الآية، إن من عادة الإنسان أنه يرغب في التجارة المربحة، وبقدر ما تكون التجارة ذات ربح يكون ميل الإنسان إليها ورغبته فيها، طمعاً بالربح الناتج عنها، مع ما فيها من تعب وعناء، لذلك خاطب الله تعالى المؤمنين بهذا الأسلوب الفريد، مرغباً في أمرين عظيمين هما: الإيمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس، وهذا العقد قائم في كل زمان، نزل به قوله تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ الآية ١١١ سورة «التوبة»، قال شِمْرُ ــ بكسر الشين وسكون الميم ــ بن عطية الأسدي رحمه الله: ما من مسلم إلا ولله عز وجل في عنقه بيعة، وفّى بها أو مات عليها، وقال بعضهم: من حمل ــ السلاح ــ في سبيل الله، فقد قبل هذا العقد ووفّى به.

تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن﴾ إقامة ﴿ذلك الفوز العظيم﴾. ١٣﴿و﴾ يؤتكم نعمة ﴿أخرى تحبونها﴾ [هي] ﴿نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين﴾ بالنصر والفتح. ١٤﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصاراً لله﴾ لدينه، وفي قراءة بالإضافة ﴿كما﴾ كان الحواريون كذلك، الدال عليه: ﴿قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله﴾ أي: مَنْ الأنصار الذين يكونون معي، متوجهاً إلى نصرة الله؟ ﴿قال الحواريون نحن أنصار الله﴾ والحواريون: أصفياء عيسى، وهم أول من آمن به، وكانوا اثني عشر رجلاً، [واسمهم مأخوذ] «من الحوَر»، وهو: البياض الخالص، [أي: هم ذوو بياض خالص]، وقيل: [سموا بذلك، لأنهم] كانوا قصارين يحورون الثياب، أي: يبيضونها ﴿فآمنت طائفة من بني إسرائيل﴾ بعيسى ابن مريم، وقالوا: إنه عبد الله رُفع إلى السماء ﴿وكفرت طائفة﴾ لقولهم: إنه ابن الله رفعه إليه، فاقتتلت الطائفتان ﴿فأيدنا﴾ قوينا ﴿الذين آمنوا﴾ من الطائفتين ﴿على عدوهم﴾ الطائفة الكافرة ﴿فأصبحوا ظاهرين﴾ غالبين.

تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٍۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ

﴿سورة الجمعة﴾(١)

(مدنية، إحدى عشرة آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿يسبح لله﴾ ينزهه، فاللام زائدة ﴿ما في السماوات وما في الأرض﴾ في ذكر «ما» تغليب للأكثر [أي: لغير العاقل] ﴿الملك القدوس﴾ المنزَّه عما لا يليق به.

---

(١) قوله: «سورة الجمعة»، سميت هذه السورة بهذا لأن فيها ذكر «صلاة الجمعة»، ويوم «الجمعة» هو أفضل الأيام، فقد روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «خير يوم طلعت عليه الشمس يومُ الجمعة، فيه خُلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أُخرج منها» وزاد في رواية له: «ولا تقوم الساعة إلا في يوم جمعة»، وصلاة الجمعة أفضل الصلوات، فقد أجمع العلماء على أنها فرض عين على كل مسلم ذكر، إذا توفَّرت سائر شرائطها المعروفة، لذلك حث رسول الله ﷺ على الحرص علْى أدائها فقال: «من توضأ فأحسن الوضوء، ثم أتى الجمعة واستمع وأنصت، غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام، ومن مَسَّ الحصى فقد لغا» رواه مسلم، قال النووي رحمه الله: فيه النهي عن مس الحصى وغيره من أنواع العبث ــ كالعبث بالسُّبحة ــ في حالة الخطبة، وفيه إشارة إلى إقبال القلب والجوارح على سماع الخطبة، والمراد باللغو هنا: الباطل المذموم المردود، وقال الحافظ المنذري: معنى «لغا» قيل: خاب، أي: خسر من الأجر، وقيل: أخطأ.

كما حذر النبي ﷺ من تركها فقال ﷺ: «من ترك ثلاث جُمع تهاوناً طبع الله على قلبه» رواه أبو داود والنسائي.

وقد فُرضت صلاة الجمعة والنبي ﷺ بمكة، ولم يصلها فيها، بل كانت أول جمعة صلاها تلك التي أقامها في بني سالم بن عوف، أول وصوله المدينة في المسجد الذي يبطن الوادي المعروف اليوم بـ «مسجد الجمعة»، قرب مسجد «قُباء»، فصلى بمن معه من المسلمين =

﴿العزيز الحكيم﴾ في ملكه وصنعه. ٢﴿هو الذي بعث في الأميين﴾ العرب، و «الأمي»: مَنْ لا يكتب، ولا يقرأ كتاباً ﴿رسولاً منهم﴾ هو: محمد ﷺ ﴿يتلو عليهم آياته﴾ القرآن ﴿ويزكيهم﴾ يطهرهم من الشرك ﴿ويعلمهم الكتاب﴾ القرآن ﴿والحكمة﴾ ما فيه من الأحكام ﴿وإن﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف، أي: وإنهم ﴿كانوا من قبل﴾ [أي: من قبل] مجيئه ﴿لفي ضلال مبين﴾ بيِّن. ٣﴿وآخرين﴾ عطف على «الأميين»، أي: الموجودين ﴿منهم﴾ والآتين منهم بعدهم ﴿لما﴾ لم ﴿يلحقوا بهم﴾ في السابقة [إلى الإسلام] والفضل ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ في ملكه وصنعه، وهم التابعون، والاقتصار عليهم، كافٍ في بيان فضل الصحابة، المبعوثِ فيهم النبي ﷺ، على مَنْ عداهم، ممن بُعِثَ إليهم وآمنوا به، من الإنس والجن، إلى يوم القيامة، لأن كل قرن خير ممن يليه[1]. ٤﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾ [أي:] النبيَّ ﷺ ومَنْ ذُكِرَ معه ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾. ٥﴿مثل الذين حملوا التوراة﴾ كُلِّفوا العمل بها ﴿ثم لم يحملوها﴾ لم يعملوا بما فيها، من نعته ﷺ، فلم يؤمنوا به ﴿كمثل الحمار يحمل أسفاراً﴾ أي: كتباً، في عدم انتفاعه بها ﴿بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله﴾ المصدِّقة للنبي ﷺ، والمخصوص بالذم محذوف، تقديره: «هذا المثل» ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ الكافرين.

٦﴿قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله﴾ [أي: أحباء له] ﴿من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين﴾ تعلق بتمنيه الشرطان، على أن الأول قيد في الثاني، أي: إن صدقتم في زعمكم أنكم أولياء [لله]، والولي يؤثر الآخرة، ومبدؤها الموت، فتمنوه.

٧﴿ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم﴾ من كفرهم بالنبي ﷺ المستلزم لكذبهم ﴿والله عليم بالظالمين﴾ الكافرين.

٨﴿قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه﴾ الفاء زائدة ﴿ملاقيكم﴾ [أي: واقع بكم لا محالة] ﴿ثم تردون إلى عالم الغيب

سُورَةُ الجُمُعَةِ ٦٢

ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا
مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ
وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ
مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ
فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾
مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ
أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ
لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟
إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟
ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا
قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ
ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ

= وكانوا مائة، والصحيح أن الجمعة صلاة مستقلة، وليست ظهراً مقصوراً لقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «الجمعة ركعتان، تمام غير قصر، على لسان نبيكم ﷺ، وقد خاب من افترى» رواه أحمد وغيره، ولكن مَن فاتته صلاة الجمعة صلَّى الظهر أربعاً.

(١) قوله: «لأن كل قرن خير ممن يليه»، روى الشيخان وغيرهما عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادةُ أحدهم يمينَه، ويمينُه شهادتَه»، أي: هم حريصون على ترويج شهادتهم، ويستهينون بأمر الشهادة واليمين، وفي رواية للترمذي والحاكم: «ثم يأتي من بعدهم قوم يَتَسَمَّنُون ويحبون السِّمن، يُعطون الشهادة قبل أن يُسألوها»، أي: تظهر عليهم آثار الترف وحب الدنيا، قال ابن الأنباري في قوله ﷺ، «قرني»، «المعنى: أهل قرني» فحذف المضاف، ويسمى أهل العصر قرناً لاقترانهم في الوجود، وقال القرطبي: القرْن من الناس هم أهل زمان واحد، أما مدة القرن فاختلف فيها، فقيل: هو ثمانون سنة، وقيل أربعون، وقيل: مائة، وقيل غير ذلك.

والشهادة﴾ السر والعلانية ﴿فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ فيجازيكم به. ٩ ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة[1] من﴾ بمعنى «في» ﴿يوم الجمعة فاسعوا﴾ فامضوا ﴿إلى ذكر الله﴾ أي: الصلاة ﴿وذروا البيع﴾ أي: اتركوا عَقْدَهُ ﴿ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ أنه خير، فافعلوه.. ١٠ ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض﴾ أمر إباحة ﴿وابتغوا﴾ اطلبوا الرزق ﴿من فضل الله واذكروا الله﴾ ذكراً ﴿كثيراً لعلكم تفلحون﴾ تفوزون.. ١١ [روى الشيخان عن جابر بن عبد الله قال:] كان ﷺ يخطب يوم الجمعة، فقدمت عير، وضُرب لقدومها الطبل، على العادة، فخرج لها الناس من المسجد، غير اثني عشر رجلاً فنزل: ﴿وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها﴾ أي: التجارة، لأنها مطلوبهم دون اللهو ﴿وتركوك﴾ في الخطبة ﴿قائماً قل ما عند الله﴾ من الثواب ﴿خير﴾ للذين آمنوا ﴿من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين﴾ يقال: كل إنسان يرزق عائلته، أي: من رزق الله تعالى.

وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾

(٦٣) سورة المنافقون مدنية وآياتها إحدى عشرة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ

﴿سورة المنافقون﴾

(مدنية، إحدى عشرة آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا﴾ بألسنتهم، على خلاف ما في قلوبهم ﴿نشهد إنك لرسول الله

---

(١) قوله تعالى: ﴿إذا نودي للصلاة...﴾ الآية

«الأذان»: سنة مؤكدة للصلوات الخمس والجمعة، وهو من شعائر الإسلام، وهو في اللغة: «الإعلام»، وفي الاصطلاح: الألفاظ المعهودة التي يؤذن بها للصلاة وهي: «الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر. أشهد أن لا إله إلاّ الله، أشهد أن لا إله إلاّ الله. أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمداً رسول الله. حيَّ على الصلاة، حيَّ على الصلاة. حيَّ على الفلاح، حيَّ على الفلاح. الله أكبر، الله أكبر. لا إله إلاّ الله» ويزيد المؤذن عليها في أذان الفجر بعد: «حيَّ على الفلاح» الثانية: «الصلاة خير من النوم، الصلاة خير من النوم»، لما صح من أن النبي ﷺ أمر بذلك بلالاً رضي الله عنه، فهذه هي ألفاظ الأذان التي أمر النبي ﷺ بالأذان بها، وهي التي علّمها لمؤذنه كما سيأتي، فكل زيادة في الأذان، أو قبله، أو بعده، بدعة مردودة.

وكان بدء الأذان في المدينة، فقد روى الشيخان عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أنه قال: كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلاة ـ أي: يقدرون حينها، ليدركوها في الوقت ـ ليس ينادى لها، فتكلموا يوماً في ذلك، فقال بعضهم: اتخذوا ناقوساً مثل ناقوس النصارى، وقال بعضهم: بل بوقاً مثل قرن اليهود، فقال عمر: أولا تبعثون رجلاً ينادي بالصلاة؟ فقال رسول الله ﷺ: «يا بلال قم فناد بالصلاة». وذلك أنه بعد اجتماع الصحابة هذا، وتشاورهم مع النبي ﷺ افترقوا، فرأى أحدهم ـ هو: عبد الله بن زيد ـ في المنام رجلاً يحمل ناقوساً في يده، فقلت: يا عبد الله.. أتبيع الناقوس؟ قال: وما تصنع به؟ قلت: ندعو به إلى الصلاة، قال: أفلا أدلك على ما هو خير من ذلك؟ =

والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد﴾ يعلم ﴿إن المنافقين لكاذبون﴾ فيما أضمروه، مخالفاً لما قالوه.

٢﴿اتخذوا أيمانهم جنة﴾ سترة عن أموالهم ودمائهم، [فتظاهروا بالإسلام حماية لها] ﴿فصدوا﴾ بها. ﴿عن سبيل الله﴾ أي: الجهاد فيه ﴿إنهم ساء ما كانوا يعملون﴾.

٣﴿ذلك﴾ أي: سوء عملهم ﴿بأنهم آمنوا﴾ باللسان ﴿ثم كفروا﴾ بالقلب، أي: استمروا على كفرهم به ﴿فطبع﴾ ختم ﴿على قلوبهم﴾ بالكفر ﴿فهم لا يفقهون﴾ الإيمان.

٤﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم﴾ لجمالها ﴿وإن يقولوا تسمع لقولهم﴾ لفصاحته ﴿كأنهم﴾ من عظم أجسامهم، في ترك التفهم ﴿خشب﴾ بسكون الشين وضمها ﴿مسندة﴾ ممالة إلى الجدار، [أي: لا يسمعون ولا يعقلون، أشباح بلا أرواح، وأجسام بلا أحلام] ﴿يحسبون كل صيحة﴾ تصاح، كنداء في العسكر، وإنشاد ضالة ﴿عليهم﴾ لما في قلوبهم من الرعب، أن ينزل فيهم ما يبيح دماءهم ﴿هم العدو فاحذرهم﴾ فإنهم يفشون سرك للكفار ﴿قاتلهم الله﴾ أهلكهم ﴿أنى يؤفكون﴾ كيف يصرفون عن الإيمان، بعد قيام البرهان؟.

٥ [وقيل لعبد الله بن أبي السَّلُولي المنافق: إنه قد نزل فيك آي شداد، وهي التي ستأتي، رداً على قوله: ليُخرجن الأعزُّ منها الأذل، فاذهب إلى رسول الله ﷺ ليستغفر لك، فجعل يلوي رأسه فنزل:] ﴿وإذا قيل لهم تعالوا﴾ معتذرين ﴿يستغفر لكم رسول الله لووا﴾ بالتشديد والتخفيف: عطفوا ﴿رؤوسهم ورأيتهم يصدون﴾ يعرضون عن ذلك ﴿وهم مستكبرون﴾.

٦﴿سواء عليهم أستغفرت لهم﴾ استغني بهمزة الاستفهام عن همزة الوصل ﴿أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ [الكافرين].

٧﴿هم الذين يقولون﴾ لأصحابهم من الأنصار ﴿لا تنفقوا على من

وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ

= فقلت: بلى، فقال: الله أكبر، وذكر الأذان ثم الإقامة. يقول عبد الله بن زيد: لما أصبحت أتيتُ رسول الله ﷺ فأخبرتُه بما رأيت فقال: «إنها لرؤيا حق إن شاء الله، فقم مع بلال فألق عليه ما رأيتَ، فليؤذن به فإنه أندى منك صوتاً»، فقمت مع بلال، فجعلت ألقيه عليه ويؤذن به، قال: فسمع عمر ذلك وهو في بيته، فجعل يجرُّ رداءه ويقول: والذي بعثك بالحق لقد رأيتُ مثل ما رأى، فقال رسول الله ﷺ: «فللّه الحمد» رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه بتمامه، ورواه الترمذي فلم يذكر فيه كلمات الأذان ولا الإقامة وقال: حسن صحيح، ورواه ابن ماجه ولم يذكر لفظ الإقامة، ورواه غيرهم، وقد اشتُهِر عبدُ الله بن زيد هذا بحديث الآذان الذي تداوله فقهاء الإسلام بالقبول، قال ابن الجوزي في «التحقيق»: حديث عبد الله بن زيد هو أصل التأذين، وهكذا علمه رسول الله ﷺ لأبي محذورة المؤذن، وأذن به المسلمون، ولا يزالون، وسيظلون كذلك إلى ما شاء الله تعالى.

عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ
لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ
وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ
وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ
أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ
إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠﴾
وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا
تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

عند رسول الله﴾[1] من المهاجرين ﴿حتى ينفضوا﴾ يتفرقوا عنه ﴿ولله خزائن السماوات والأرض﴾ بالرزق، هو الرزاق للمهاجرين وغيرهم ﴿ولكن المنافقين لا يفقهون﴾ [ذلك]. ٨﴿يقولون لئن رجعنا﴾ أي: من غزوة بني المصطلق[2] ﴿إلى المدينة ليخرجن الأعز﴾ عنوا به أنفسهم ﴿منها الأذل﴾ عنوا به المؤمنين ﴿ولله العزة﴾ الغلبة ﴿ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾ ذلك. ٩﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم﴾ تشغلكم ﴿أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله﴾ الصلوات الخمس ﴿ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون﴾. ١٠﴿وأنفقوا﴾ في الزكاة ﴿مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا﴾ بمعنى «هلّا»، أو: «لا» زائدة، و «لو» للتمني ﴿أخرتني إلى أجل قريب فأصدق﴾ بإدغام التاء في الأصل في الصاد: أتصدق بالزكاة ﴿وأكون﴾ [بالواو ونصب النون، عطفاً على «فأصدَّق»، وفي قراءة: «وأكن»، بجزم النون وحذف الواو لالتقاء الساكنين، عطفاً على موضع الفاء، لأنه لو لم تكن الفاء في: «فأصدق» لكان مجزوماً] ﴿من الصالحين﴾ بأن أحج، قال ابن عباس: ما قصَّر أحد في الزكاة والحج، إلاّ سأل الرجعة عند الموت، [رواه الترمذي].

١١﴿ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها﴾ [فلكل نفس أجل، لا يتقدم ولا يتأخر، ولا يمنع الموتَ فيه مانع، قال تعالى: «أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيَّدة»] ﴿والله خبير بما تعملون﴾ بالتاء والياء، [فأحسنوا العمل في حياتكم الدنيا، فهي مزرعة الآخرة].

---

(١) قوله تعالى: ﴿هم الذين يقولون﴾ الآية ٧، وقوله: ﴿يقولون لئن رجعنا﴾ الآيتين ٧ و ٨.
أخرج البخاري وغيره عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: سمعت عبد الله بن أُبيٍّ المنافق يقول لأصحابه: «لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا، فلئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل» فذكرتُ ذلك لعمي، فذكر ذلك عمي للنبي ﷺ، فدعاني النبي ﷺ، فحدثته فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبي وأصحابه، فحلفوا ما قالوا: فكذَّبني وصدَّقه، فأصابني شيء لم يصبني مثله، فجلستُ في البيت، فقال عمي: ما أردتَ إلى أن كَذَّبك رسولُ الله ﷺ ومقتك؟، فأنزل الله: ﴿إذا جاءك المنافقون﴾ فبعث إليَّ رسول الله ﷺ فقرأها ثم قال: «إن الله قد صدَّقك».

(٢) قوله: «من غزوة بني المصطلق»، المصطلق: هو جُذَيمة بن كعب الخزاعي، ولقبه هذا هو «مُفْتَعِل» من: «الصَّلْق» وهو الصوت الشديد وتسمى هذه الغزاة: «غزوة المُرَيْسيع» وهو ماء لخزاعة، وهو من قولهم: رَسَعَت العين، إذا دمعت من فساد، كانت هذه الغزوة في شعبان سنة ست للهجرة، وسببها أن رسول الله ﷺ بلغه أن بني المصطلق يجمعون له بقيادة الحارث بن أبي ضرار والد السيدة: «جويرية بنت الحارث» التي تزوجها رسول الله ﷺ بعد هذه الغزوة، فخرج إليهم حتى لقيهم على ماء لهم يقال له: «المريسيع» من ناحية قُدَيْد ـ اسم موضع قرب مكة إلى ساحل البحر الأحمر ـ فتزاحف الناس واقتتلوا، فهزم الله بني المصطلق، ثم قَفَل رسول الله ﷺ راجعاً إلى المدينة، وأثناء عودته كانت =

﴿سُورَةُ التَّغَابُنِ﴾

(مكية، أو: مدنية، ثماني عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض﴾ أي: ينزهه، فاللام زائدة، وأتى بـ «ما» دون «مَنْ» تغليباً للأكثر ﴿له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير﴾. ٢ ﴿هو الذي خلقكم فمنكم كافر[1] ومنكم مؤمن﴾ في أصل الخلقة، ثم يميتكم ويعيدكم على ذلك ﴿والله بما تعملون بصير﴾. ٣ ﴿خلق السماوات والأرض بالحق وصوَّركم﴾ [كما شاء] ﴿فأحسن صوركم﴾ إذ جَعَلَ شكل الآدمي أحسن الأشكال، [﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾] ﴿وإليه المصير﴾ [يوم القيامة]. ٤ ﴿يعلم ما في السماوات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون﴾ ٥ ﴿ألم يأتكم﴾ يا كفار مكة ﴿نبأ﴾ خبر ﴿الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم﴾ عقوبة كفرهم في الدنيا ﴿ولهم﴾ في الآخرة ﴿عذاب أليم﴾ مؤلم؟.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾

= قصة «الإفك» التي تولاها عبد الله بن أُبَيٍّ السَّلولي المنافق ونَفَرٌ قليل من المسلمين، كما تقدم في سورة «النور» ص ٤٥٨.

(١) قوله تعالى: ﴿هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن﴾، ثم قول المؤلف الجلال المحلي في تفسيره: «في أصل الخلقة» أي: خَلَقَهم الله تعالى على هذه الصفة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن الله خلق بني آدم مؤمناً وكافراً، ويُعيدهم في يوم القيامة مؤمناً وكافراً، وروى مسلم عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: قال «إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة». قال القرطبي في تفسيره: «قال علماؤنا، والمعنى تعلّق العلم الأزلي بكل معلوم، فيجري ما علم الله وأراد وحكم، فقد يريد إيمانَ شخص على عموم الأحوال، وقد يريده إلى وقت معلوم، وكذلك الكفر». وقال القرطبي ناقلاً قولاً آخر في تفسير هذه الآية: «وقال جماعة من أهل العلم: إن الله خلق الخلق ثم كفروا وآمنوا»، أي: آمن بعض وكفر بعض. وأضاف القرطبي قائلاً: «والذي عليه الأئمة والجمهور من الأمة: أن الله خلق الكافر، وكُفْرُهُ فعلٌ له وكَسْبٌ، مع أن الله خالق الكفر، وخلق المؤمن، وإيمانُهُ فعل له وكسْبٌ، مع أن الله خالق الإيمان، فالمؤمن يؤمن ويختار الإيمان بعد خلق الله إياه، والكافر يكفر واختار الكفر بعد خلق الله إياه، لأن الله تعالى قدَّر ذلك عليه وعَلِمَهُ منه، ولا يجوز أن يوجد من كلٍّ واحدٍ منهما غيرُ الذي قدَّر عليه وعلمه منه، لأن وجودَ خلاف المقدور عجز، ووجودَ خلاف المعلوم جهل، ولا يليقان بالله تعالى». اهـ.

فالإنسان يؤمن أو يكفر باختياره وكسبه، وهو مأمور ومنهي، وعلى ذلك سيحاسب يوم القيامة، أما ما في علم الله تعالى فهو غيب لا يعلمه الإنسان، ارجع إلى تعليقنا ص ١٨٨.

٦﴿ذلك﴾ أي: عذاب الدنيا ﴿بأنه﴾ ضمير الشأن ﴿كانت تأتيهم رسلهم بالبينات﴾ الحجج الظاهرات على الإيمان ﴿فقالوا أبشر﴾ أريد به الجنس ﴿يهدوننا؟ فكفروا وتولوا﴾ عن الإيمان ﴿واستغنى الله﴾ عن إيمانهم ﴿والله غني﴾ عن خلقه﴿حميد﴾ محمود في أفعاله.

٧﴿زعم الذين كفروا أن﴾ مخففة، واسمها محذوف، أي: أنهم﴿لن يبعثوا قل﴾ [يا محمد] ﴿بلى وربي لتبعثن﴾ [بعد الموت، من قبوركم أحياءً] ﴿ثم لتنبؤن بما عملتم﴾ [أي: بأعمالكم، ثم تجازَوْنَ عليها] ﴿وذلك على الله يسير﴾.

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ

٨﴿فآمنوا بالله ورسوله والنور﴾ القرآن ﴿الذي أنزلنا﴾ [على رسولنا محمد] ﴿والله بما تعملون خبير﴾ [فيجازيكم به].

٩ اذكر ﴿يوم يجمعكم ليوم الجمع﴾ يوم القيامة ﴿ذلك يوم التغابن﴾ يَغْبِنُ المؤمنون[1] الكافرين، بأخذ منازلهم وأهليهم في الجنة لو آمنوا ﴿ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يكفر عنه سيئاته ويدخله﴾ وفي قراءة: [«نكفر» و «ندخله»]، بالنون في الفعلين ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم﴾.

١٠﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا﴾ القرآن ﴿أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير﴾ هي.

١١﴿ما أصاب من مصيبة إلاّ بإذن الله﴾ بقضائه ﴿ومن يؤمن بالله﴾ في قوله: إن المصيبة بقضائه ﴿يهد قلبه﴾ للصبر[2] عليها ﴿والله

---

(١) قوله: «يَغْبِنُ المؤمنون الكافرين»، «التغابن»: أن يغبن القوم بعضهم بعضاً، وهو من: «غَبَنَ يَغْبِن» ومصدره: «الغَبن» والاسم منه «الغُبن»، وأصله: الغَبن في البيع أو الشراء، يقال: غبنه في البيع إذا خدعه، والمغبون: هو المخدوع أي: الطرف الخاسر، والكافر مغبون يوم القيامة، أي: خسر آخرته، وسمي هذا الخسران تغابناً ــ مع أنه من طرف واحد ــ لأن الكافر كان في الدنيا يحسب أنه يحسن صُنعاً بكفره، فلما جاء يوم القيامة تبين له أنه كان مخدوعاً، قد خدعه الشيطان وغرّه، وأن المؤمن كان عاقلاً واعياً، ففاز وأفلح.

وهذا التغابنُ في الآخرة، هو أيضاً الإرث المذكور في بعض الآيات كقوله تعالى: ﴿تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا﴾ أي: يأخذ المؤمن مكانَه ومكانَ كافر لو كان آمن لدخل الجنة، وكذلك يأخذ الكافر مقعد المؤمن في النار لو لم يكن آمن، فلكل إنسان نعيم في الجنة لو آمن، وعذاب في النار لو كفر، فيرث كل مكان الآخر.

(٢) قوله: «للصبر عليها» أي: على المصيبة، ارجع إلى تعليقنا حول «معاني الصبر» ص ٦٠٧.

بكل شيء عليم﴾. ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين﴾ البيِّن، [وهذا تهديد ووعيد، لمن يعصي الله ورسوله].

١٣﴿الله لا إله إلاَّ هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾.

١٤﴿يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم﴾ أن تطيعوهم، في التخلف عن الخير، كالجهاد والهجرة، فإن سبب نزول الآية، الإطاعةُ في ذلك[1] ﴿وإن تعفوا﴾ عنهم، في تثبيطهم إياكم عن ذلك الخير، مُعْتَلِّين بمشقة فراقكم عليهم ﴿وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم﴾.

بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

١٥﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ لكم شاغلة عن أمور الآخرة ﴿والله عنده أجر عظيم﴾ فلا تفوِّتوه، باشتغالكم بالأموال والأولاد.

١٦﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ ناسخة لقوله: «اتقوا الله حق تقاته» ﴿واسمعوا﴾ ما أمرتم به، سماعَ قبول ﴿وأطيعوا﴾ [الله] ﴿وأنفقوا﴾ في الطاعة ﴿خيراً لأنفسكم﴾. خبر «يكن» مقدرة، جواب الأمر، [أي: أنفقوا يكن خيراً لكم] ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ الفائزون.

١٧﴿إن تقرضوا الله قرضاً حسناً﴾ [بأن تتصدقوا عن طيب قلب] ﴿يضاعفه لكم﴾ وفي قراءة: «يضعفه» بالتشديد، بالواحد عشراً، إلى سبعمائة وأكثر ﴿ويغفر لكم﴾ ما يشاء ﴿والله شكور﴾ مجاز على الطاعة ﴿حليم﴾ في العقاب على المعصية.

١٨﴿عالم الغيب﴾ السر ﴿والشهادة﴾ العلانية ﴿العزيز﴾ في ملكه ﴿الحكيم﴾ في صنعه.

---

(١) قوله: «فإن سبب نزول الآية..»، أخرج الترمذي والحاكم وغيرهما وصححاه، عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال: نزلت هذه الآية ﴿إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم﴾ في قوم من أهل مكة أسلموا، فأبى أزواجهم وأولادهم أن يَدَعُوهم، فأتَوا المدينة، فلما قدموا على رسول الله ﷺ رأوا الناس قد فَقُهوا، فَهَمُّوا أن يعاقبوهم، فأنزل الله ﴿وإن تعفوا وتصفحوا﴾ الآية. وأخرج ابن جرير عن عطاء بن يسار رحمه الله قال: نزلت سورة «التغابن» كلها بمكة إلاَّ هؤلاء الآيات: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم﴾ نزلت في عوف بن مالك الأشجعي، كان ذا أهل وولد، فكان إذا أراد الغزو بكوا إليه ورققوا فقالوا: إلى مَنْ تَدَعُنا؟ فَيَرِقُّ ويقيم، فنزلت هذه الآية، وبقية الآيات إلى آخر السورة بالمدينة.

فالعداوة المعنية في هذه الآية، ليست عداوة البغضاء والكراهية التي تقع بين الإنسان وزوجته وأولاده أحياناً لخلاف أو خصام، بل الآية تحذير للمسلم من الانسياق مع عاطفته ومحبته لأهله، إلى حدٍّ يؤدي به إلى ترك العمل الصالح، ومخالفة أمر الله تعالى، وهذه الآية أصل للقاعدة الشرعية الواردة في قوله ﷺ فيما رواه أحمد والحاكم: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»، وقوله ﷺ فيما رواه الشيخان وغيرهما، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «لا طاعة لأحد في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف»، أي: فيما وافق حكم الشرع.

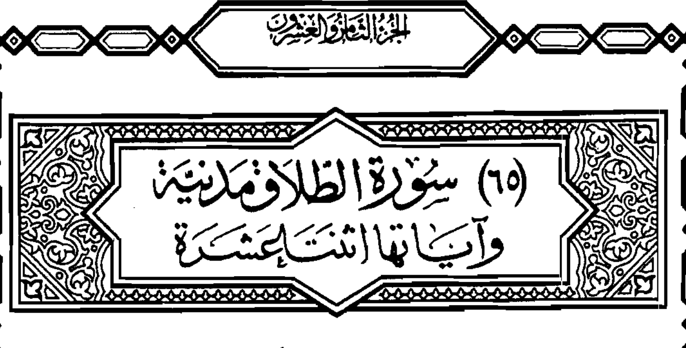
﴿ سُورَةُ الطَّلَاقِ ﴾

(مدنية، ثلاث[1] عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿يا أيها النبي﴾ المراد [هو] وأمته، بقرينة ما بعده، أو: قل لهم ﴿إذا طلقتم النساء﴾ أي: أردتم الطلاق ﴿فطلقوهن لعدتهن﴾ لأولها، بأن يكون الطلاق في طهر لم تُمَسَّ فيه، لتفسيره ﷺ بذلك، رواه الشيخان[2] ﴿وأحصوا العدة﴾ احفظوها لتُراجعوا قبل فراغها ﴿واتقوا الله ربكم﴾ أطيعوه في أمره ونهيه ﴿لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن﴾ منها، حتى تنقضي عدتهن ﴿إلا أن يأتين بفاحشة﴾ زناً ﴿مبيَّنة﴾ بفتح الياء وكسرها، أي: بُيِّنت، أو بيِّنة، فيُخْرَجْنَ لإقامة الحد عليهن ﴿وتلك﴾ المذكورات ﴿حدود الله ومن يتعدَّ حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك﴾ الطلاق ﴿أمراً﴾ مراجعة، فيما إذا كان [الطلاق] واحدة أو اثنتين، [أما الطلاق الثالث، فلا تحل له من بعده، حتى تنكح زوجاً غيره].

٢ ﴿فإذا بلغن أجلهن﴾ قاربن انقضاء عدتهن ﴿فأمسكوهن﴾ بأن تراجعوهن ﴿بمعروف﴾ من غير ضرار ﴿أو فارقوهن بمعروف﴾ اتركوهن حتى تنقضي عدتهن، ولا تضاروهن بالمراجعة، ﴿وأشهدوا ذوي عدل منكم﴾ على المراجعة أو الفراق[3] ﴿وأقيموا الشهادة لله﴾ لا للمشهود عليه، أو [للمشهود] له ﴿ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ

---

(١) قوله: «ثلاث عشرة آية»، هذا قول، وقيل: اثنتا عشرة آية، وقيل: إحدى عشرة.

(٢) قوله: «رواه الشيخان»، أي: وأصحاب السنن أيضاً ــ واللفظ للبخاري ــ عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما: أنه طلق امرأته وهي حائض فذكر عمر لرسول الله ﷺ فتغيَّظ ــ أي: غضب ــ فيه رسول الله ﷺ ثم قال: «ليراجعها، ثم يُمسكها حتى تطهر ثم تحيض فتطهر، فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهراً قبل أن يَمَسَّها، فتلك العدة كما أمره الله»، وطلاق البدعة المخالف لطلاق السُّنة حرام، ومُوقِعه آثم، ولكنَّ طلاقه هذا واقع عند الجمهور، وعلى وليِّ الأمر تأديبه على مخالفته السُّنة، ولو أن أولياء الأمور في بلاد الإسلام ــ وهو واجبهم ــ أدبوا أولئك الجهلة العابثين في أحكام الطلاق وغيرها، لأنقذوا كثيراً من الأُسر من الضياع، ولانضبط الناس، فلا يوقعون الطلاق إلا طبقاً للسنَّة النبوية الشريفة.

(٣) قوله: «على المراجعة أو الفراق»، هذا ليس على إطلاقه، ولا هو على سبيل الوجوب، فينبغي بيانه بأن الإشهاد على إرجاع المطلقة طلاقاً رجعياً، أو على حصول طلاق بين زوجين إنما هو للاحتياط خوف الجحود، فالأمر للندب لا للوجوب، والآية أصل في الشهادة.

الله يجعل له مخرجاً﴾ من كرب الدنيا والآخرة. ٣﴿ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ يخطر بباله ﴿ومن يتوكل على الله﴾ في أموره ﴿فهو حسبه﴾ كافيه ﴿إن الله بالغُ أَمْرَهُ﴾ [بتنوين «بالغ» ونصب «أمره»]، وفي قراءة بالإضافة ﴿قد جعل الله لكل شيء﴾ كرخاء وشدة ﴿قدراً﴾ ميقاتاً. ٤﴿واللائي﴾[1] بهمزة وياء، وبلا ياء في الموضعين: [هذا والذي بعده] ﴿يئسن من المحيض﴾ بمعنى الحيض ﴿من نسائكم إن ارتبتم﴾ شككتم في عدتهن ﴿فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن﴾ لصغرهن، فعدتهن ثلاثة أشهر، والمسألتان في غير المتوفَّى عنهن أزواجُهُنَّ، أما هُنَّ، فعدتهن ما في آية [«البقرة»]: «يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً» ﴿وأولات الأحمال أجلهن﴾ [أي:] انقضاءُ عِدَّتهن، مطلَّقاتٍ أو مُتَوفَّى عنهنَّ أزواجُهُنَّ: ﴿أن يضعن حملهنَّ، ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً﴾ في الدنيا والآخرة. ٥﴿ذلك﴾ المذكور في العدة ﴿أمر الله﴾ حكمه ﴿أنزله إليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً﴾. ٦﴿أسكنوهن﴾ أي: المطلقات ﴿من حيث سكنتم﴾ أي: بعض مساكنكم ﴿من وجدكم﴾ أي: سَعتكم، عطف بيان، أو بدل مما قبله بإعادة الجار وتقدير مضاف، أي: أمكنة سعتكم، لا ما دونها ﴿ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن﴾ المساكن، فيحتجن إلى الخروج، أو: النفقة، فيفتدين منكم ﴿وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فإن أرضعن لكم﴾ أولادكم منهن ﴿فآتوهن أجورهن﴾ على الرَّضاع ﴿وائتمروا بينكم﴾ وبينهن ﴿بمعروف﴾ [أي: وليأمر بعضكم بعضاً]، بجميل في حق الأولاد، بالتوافق على أجر معلوم للإرضاع ﴿وإن تعاسرتم﴾ تضايقتم في الإرضاع، فامتنع الأب من الأجرة، والأم من فعله ﴿فسترضع له﴾ للأب ﴿أخرى﴾ ولا تكرَهُ الأم على إرضاعه[2].

٧﴿لينفق﴾ على المطلقات والمرضعات.

اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٥﴾ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ

(١) قوله تعالى: ﴿واللائي يئسن﴾ أخرج ابن جرير، وإسحاق بن راهويه، والحاكم وغيرهم، عن أُبيِّ بن كعب رضي الله عنه قال: لما نزلت الآية التي في «سورة البقرة» في عِدَدٍ من عِدَدِ النساء قالوا: قد بقي عِدَدٌ من عِدَدِ النساء لم يُذكرن: الصغارُ والكبارُ وأولاتُ الأحمال فأنزلت ﴿واللائي يئسن من المحيض﴾ الآية، قال السيوطي في «لباب النقول»: صحيح الإسناد.

(٢) قوله: «ولا تكره الأم على إرضاعه»، هذا الإطلاق هو قول الشافعي رحمه الله، أي: سواء أكانت زوجة أم مطلقة، وقال مالك رحمه الله: يلزم الزوجة الإرضاع بنفسها إن كان بها لبن، وكان شأنها ذلك، بأن لم تكن من بنات الأشراف اللاتي ليس من عادتهن الإرضاع، وهذا إذا كانت الزوجية قائمة.

وللمرضع والدة الرضيع أخذُ أجرة الرضاع كالأجنبية، إذا كانت مطلقة باتفاق العلماء عملاً بهذه الآية الكريمة، وليس للأم الامتناع =

﴿ذو سعة من سعته ومن قدر﴾ ضيّق ﴿عليه رزقه فلينفق مما آتاه﴾ أعطاه ﴿الله﴾ أي: على قدره ﴿لا يكلف الله نفساً إلاّ ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسراً﴾ وقد جعله بالفتوح.

٨﴿وكأين﴾ هي: كاف الجر، دخلت على «أي»، بمعنى: «كم» ﴿من قرية﴾ أي: وكثير من القرى ﴿عتت﴾ عصتْ، يعني: [عصى] أهلها ﴿عن أمر ربها ورسله فحاسبناها﴾ في الآخرة، [وعَبَّرَ بصيغة الماضي] ــ وإن لم تجيء [المحاسبةُ بعدُ] ــ لتحقق وقوعها ﴿حساباً شديداً وعذبناها عذاباً نكراً﴾ بسكون الكاف وضمها: فظيعاً، وهو عذاب النار.

الجزء الثامن والعشرون

ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ

٩﴿فذاقت وبال أمرها﴾ عقوبته ﴿وكان عاقبة أمرها خسراً﴾ خساراً وهلاكاً.

١٠﴿أعد الله لهم عذاباً شديداً﴾ تكرير الوعيد توكيد ﴿فاتقوا الله يا أولي الألباب﴾ أصحاب العقول ﴿الذين آمنوا﴾ نعت للمنادى، أو: بيان له ﴿قد أنزل الله إليكم ذكراً﴾ هو القرآن.

١١﴿رسولاً﴾ أي: محمداً ﷺ، منصوب بفعل مقدر، أي: وأرسل [إليكم رسولاً] ﴿يتلو عليكم آيات الله مبيِّنات﴾ بفتح الياء [أي: بيِّنَتْ]، وكسرها [أي: بيِّنة]، كما تقدم [في قوله تعالى: «بفاحشة مبينة» في أول السورة] ﴿ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ بعد مجيء الذكر والرسول ﴿من الظلمات﴾ الكفر الذي كانوا عليه ﴿إلى النور﴾ الإيمان الذي قام بهم بعد الكفر ﴿ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يدخله﴾ وفي قراءة بالنون ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً قد أحسن الله له رزقاً﴾ هو رزق الجنة، التي لا ينقطع نعيمها.

١٢﴿الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض

= عن الإرضاع، بل تجبر على ذلك في الحالات التالية: إن لم يقبل ثدي غيرها، أو عُدِمَ الأب، أو كان حياً ولكنه أعسر بأجرتها حيث تستحقها.

وقد أجمع العلماء على أن الرَّضاعة بشروطها المقررة شرعاً، تفيد التحريم بين الرضيع ومرضعته وأقاربها، كما تفيده قرابة النسب، لقوله ﷺ في الحديث الصحيح: «يحرم من الرّضاعة»، وفي رواية: «من الرضاع، ما يحرم من النسب» رواه الشيخان وغيرهما، أي: أن المرأة المرضع تصبح أمّاً من الرضاعة للرضيع، وزوجُها والِدَهُ، وأولادُها جميعاً إخوتَهُ وأخواتِه، ويصبح إخوتُها وأخواتُها: أخوالَه وخالاتِه، إلخ.. فلا يجوز لهذا الرضيع زواج واحدة منهن بسبب حرمة الرَّضاعة، وللعلماء في هذا الباب تفصيل واستثناءات لا مجال لذكرها هنا، فيجب على الجميع، ــ وخاصة المرضعات ــ الاعتناءُ بأمر «الإرضاع» إذا حصل، وحفظُهُ وإشهارُهُ حتى يعرف بين الناس، ليحول ذلك دون زواج المَحْرَم، الذي انفردت بتحريمه الشريعة الإسلامية السمحة.

مثلهن﴾ يعني: سبع أرضين ﴿يتنزل الأمر﴾ الوحي [وقيل: القضاء والقدر، قال القرطبي: وهو قول الأكثرين] ﴿بينهن﴾ بين السماوات والأرض، ينزل به جبريل من السماء السابعة، إلى الأرض السابعة ﴿لتعلموا﴾ متعلق بمحذوف أي: أعلمكم بذلك الخلق والتنزيل، [لتعلموا] ﴿أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً﴾.

مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾

(٦٦) سُورَةُ التَّحْرِيمِ مَدَنِيَّة وَآيَاتُهَا اثْنَتَا عَشْرَةَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ

﴿سُورَةُ التَّحْرِيمِ﴾

(مدنية، اثنتا عشرة آية)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك؟﴾ من أَمَتك «مارية» القبطية، لمّا واقعها في بيت حفصة وكانت غائبة، فجاءت، وشَقَّ عليها كونُ ذلك في بيتها وعلى فراشها، حيث قلت: «هي حرام عليّ»[1] ﴿تبتغي﴾ بتحريمها ﴿مرضات أزواجك﴾ أي: رضاهن ﴿والله غفور رحيم﴾ غفر لك هذا التحريم. ٢ ﴿قد فرض الله﴾ شرع ﴿لكم تحلة أيمانكم﴾ تحليلها بالكفارة المذكورة في «سورة المائدة»، [كما سبق بيانه ص ١٥٤]، ومن الأيمان: تحريم الأمة، وهل كفَّر ﷺ [عن يمينه؟] قال مقاتل: أعتق رقبة في تحريم مارية، وقال الحسن [البصري:] لم يكفِّر، لأنه ﷺ مغفور له ﴿والله مولاكم﴾ ناصركم ﴿وهو العليم الحكيم﴾. ٣ ﴿و﴾ اذكر ﴿إذ أسرَّ النبي إلى بعض أزواجه﴾ هي: «حفصة» ﴿حديثاً﴾ هو تحريم «مارية»، وقال لها: «لا تفشيه» ﴿فلما نبأت به﴾ «عائشة»، ظناً منها أن لا حرج في ذلك ﴿وأظهره الله﴾ أطلعه ﴿عليه﴾ على المنبأ به ﴿عرَّف بعضه﴾ لحفصة ﴿وأعرض عن بعض﴾ تكرماً منه ﴿فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم

---

(١) قوله: «حيث قلت: هي حرام عليّ»، ما ذكره المؤلف المحلي في سبب نزول الآيات، من تحريم «مارية» رواه الحاكم والنسائي عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وأخرجه البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما، ولكنَّ الذي في الصحيحين وغيرهما أنها نزلت في تحريمه ﷺ العسل على نفسه، قال ابن العربي في «أحكام القرآن» ثبت في الصحيح عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يشرب عسلاً عند زينب بنت جحش ويمكث عندها، فتواصيت أنا وحفصة على: أيّتنا دخل عليها فلتقل له: أكلت مَغافير، إني أجد منك ريح مغافير ــ وهو شيء فيه حلاوة وله رائحة متغيِّرة ــ قال: «لا ولكني شربت عسلاً عند زينب بنت جحش ولن أعود إليه وقد حلفت، لا تخبري أحداً»، يبتغي مرضاة أزواجه، وأما مَنْ روى أنه حرَّم مارية فهو أقرب إلى المعنى، لكنه لم يدوَّن في صحيح. اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر: يحتمل أن تكون الآية نزلت في السببين معاً، وقال القرطبي وابن كثير: والصحيح أنه كان في العسل وأنه شربه عند زينب، وتظاهرت عليه عائشة وحفصة فيه، فجرى ما جرى، فحلف أن لا يشربه وأسرَّ ذلك إليهما، ونزلت الآية في الجميع. اهـ.

وأياً كان سبب النزول، فالحكمة واضحة هي: أن لا يخجل الإنسان من عمل المباح الذي أباحه الله تعالى للإنسان، ولا من تعاطي الحلال، ولو كان ذلك مستغرباً عند بعض الناس، كمثل تعدد الزوجات، فإن كثيراً من الناس يعددون على خجل من الناس رغم قدرتهم على ذلك واستعدادهم للعدل بينهن.

﴿الخبير﴾ أي: الله. ٤ ﴿إن تتوبا﴾ أي: حفصة وعائشة ﴿إلى الله فقد صغت قلوبكما﴾ مالت إلى تحريم مارية، [أو: العسل]، أي: سَرَّكُما ذلك، مع كراهة النبي ﷺ له، وذلك ذنب، وجواب الشرط محذوف، أي: تُقْبَلا، وأُطلق: «قلوب» على «قلبين»، ولم يعبَّر به، لاستثقال الجمع بين تثنيتين، فيما هو كالكلمة الواحدة، [أي: المضاف والمضاف إليه] ﴿وإن تظاهرا﴾ بإدغام التاء الثانية في الأصل في الظاء، وفي قراءة بدونها: تتعاونا ﴿عليه﴾ أي: النبي، فيما يكرهه ﴿فإن الله هو﴾ [ضمير] فصل ﴿مولاه﴾ ناصره ﴿وجبريل وصالح المؤمنين﴾ أبو بكر وعمر [وغيرهما]، معطوف على محل اسم «إن»، فيكونون ناصريه [أيضاً] ﴿والملائكة بعد ذلك﴾ بعد نصر الله والمذكورين ﴿ظهير﴾، ظهراء، أعوان له في نصره عليكما، [روى الشيخان من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قولَهُ ﷺ: «إنما وليي اللهُ وصالحُ المؤمنين»].

ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ

٥ ﴿عسى ربه إن طلقكن﴾ أي: طلق النبي أزواجه ﴿أن يبدِّله﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿أزواجاً خيراً منكن﴾ خبر «عسى»، والجملة جواب الشرط، ولم يقع التبديل، لعدم وقوع الشرط، [وهو الطلاق] ﴿مسلمات﴾ مقرات بالإسلام ﴿مؤمنات﴾ مخلصات ﴿قانتات﴾ مطيعات ﴿تائبات عابدات سائحات﴾ صائمات، أو مهاجرات، ﴿ثيبات وأبكاراً﴾.

٦ ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم﴾ بالحمل على طاعة الله ﴿ناراً وقودها الناس﴾ الكفار ﴿والحجارة﴾ كأصنام منها، يعني: أنها مفرطة الحرارة، تتقد بما ذكر، لا كنار الدنيا، تتقد بالحطب ونحوه ﴿عليها ملائكة﴾ خزنتُها، عدتهم تسعة عشر، كما سيأتي في «المدَّثر» ﴿غلاظ﴾ مِنْ: غِلَظِ القلب ﴿شداد﴾ في البطش ﴿لا يعصون الله ما أمرهم﴾ بدل من لفظ الجلالة، أي: لا يعصون أمر الله ﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ تأكيد، والآية تخويف للمؤمنين عن الارتداد، وللمنافقين المؤمنين بألسنتهم دون قلوبهم.

٧ ﴿يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم﴾ يقال لهم ذلك، عند دخولهم النار، أي: لأنه لا ينفعكم ﴿إنما تجزون ما كنتم تعملون﴾ أي: جزاءه.

٨ ﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً﴾[1] بفتح النون وضمها: صادقة، بأن لا يُعادَ إلى الذنب، ولا يُرادَ العودُ إليه ﴿عسى ربكم﴾ تَرْجيَةٌ تقع [لا محالة] ﴿أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات﴾ بساتين ﴿تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزي الله﴾ بإدخال النار ﴿النبي

---

(١) قوله تعالى: ﴿توبة نصوحاً﴾. «التوبة» واجبة على العبد من كل ذنب وعلى الفور، ويجب أن يتوب من جميع الذنوب، فإن تاب من بعضها صحَّتْ توبته عن ذلك البعض، وبقي عليه الباقي حتى يتوب منه، وتكون التوبة نصوحاً إذا تاب ولم يعد إلى ذلك الذنب أبداً، فإن عاد لم تكن توبته نصوحاً، ولكن لا تنتقض توبته التي تابها، فإن تاب في المرة الثانية قبلت توبته، وهكذا كلما أذنب وتاب كانت توبتُه واستغفاره كفارةً لذنبه، فلا يضره، روى ذلك الشيخان عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، لا أنه يذنب الذنب فيستغفر منه بلسانه، من غير إقلاع عنه ثم يعاوده، =

والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم﴾ أمامهم [على الصراط، يمرون فيه] ﴿و﴾ يكون ﴿بأيمانهم﴾ [في كتب أعمالهم] ﴿يقولون﴾ مستأنف ﴿ربنا أتمم لنا نورنا﴾ إلى الجنة، والمنافقون يطفأ نورهم ﴿واغفر لنا إنك على كل شيء قدير﴾. ٩﴿يا أيها النبي جاهد الكفار﴾ بالسيف ﴿والمنافقين﴾ باللسان والحجة ﴿واغلظ عليهم﴾ بالانتهار والمقت ﴿ومأواهم جهنم وبئس المصير﴾ هي. ١٠﴿ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما﴾ في الدين، إذ كفرتا، وكانت امرأة نوح، واسمها «واهلة»، تقول لقومه: إنه مجنون، وامرأة لوط، واسمها «واعلة»، تدل قومه على أضيافه، إذا نزلوا به، ليلاً، بإيقاد النار، ونهاراً بالتدخين ﴿فلم يغنيا﴾ أي: نوح ولوط ﴿عنهما من الله﴾ من عذابه ﴿شيئاً وقيل﴾ لهما ﴿ادخلا النار مع الداخلين﴾ من كفار قوم نوح وقوم لوط.

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ جَٰهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَٰفِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَٰنَ الَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ الْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾

١١﴿وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون﴾ آمنت بموسى، واسمها «آسية»، فعذبها فرعون، بأن أوتد يديها ورجليها، وألقى على صدرها رحىً عظيمة، واستقبل بها الشمس، فكانت إذا تفرق عنها مَنْ وُكِّلَ بها، ظللتها الملائكة ﴿إذ قالت﴾ في حال التعذيب ﴿رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة﴾ فكُشِفَ لها فرآته، فسَهُلَ عليها التعذيبُ ﴿ونجني من فرعون وعمله﴾ وتعذيبه ﴿ونجني من القوم الظالمين﴾ أهل دينه، فقبض الله روحها، وقال [طاووس] بن كيسان [اليماني]: رُفِعَتْ إلى الجنة حية، فهي تأكل وتشرب، [والصحيح: أنها ماتت بالتعذيب، كما ذكره ابن جرير الطبري وغيره، لأن دخول الجنة، لا يكون إلاّ بعد الموت].

١٢﴿ومريم﴾ عطف على: «امرأة فرعون» ﴿ابنة عمران التي أحصنت فرجها﴾ حفظته ﴿فنفخنا فيه من روحنا﴾ أي: [من] جبريل، حيث نفخ في جَيْبِ درعها، بخلقِ الله تعالى فعلَهُ الواصِلَ إلى فرجها، فحملت بعيسى، ﴿وصدقت بكلمات ربها﴾ شرائعه ﴿وكتبه﴾ المنزلة ﴿وكانت من القانتين﴾ من القوم المطيعين.

= فإن هذه توبة الكذَّابين، ولا بد لصحة التوبة من شروط بحسب المعصية، فإذا كانت المعصية بين العبد وربه، فللتوبة منها ثلاثة شروط هي:

ترك المعصية فوراً، والندمُ على فعلها، والعزم على أن لا يعود إليها أبداً، وإن كانت تتعلق بحق آدمي، كالضرب بغير حق، وأكله مال غيره ظلماً، والغيبة إذا بلغت المغتاب، فلا بد من شرط رابع هو: أن يَبْرأ من حق صاحبها، برد المال أو تمكين غيره من القصاص، أو استرضاء صاحب الحق، كما يشترط لقبول التوبة أن تكون قبل بلوغ الروح الحلقوم عند الموت، لما رواه الترمذي وحسَّنه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يُغَرْغِرْ»، ولا تصح التوبة عند وقوع العذاب، فلم تقبل توبة فرعون عندما أدركه الغرق، فمات كافراً، ولا تقبل توبة التائبين عندما تطلعُ الشمس من مغربها، لما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه»، فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له، قال تعالى: ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾، ارجع إلى تعليقنا حول «الكبائر والصغائر» ص ٦٤٢، وحول «محقرات الذنوب» ص ٧٠٢.

﴿ سُورَةُ المُلْكِ ﴾

(مكية، ثلاثون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[روى أصحاب السنن الأربعة وغيرهم ــ واللفظ للترمذي ــ عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إن سورة من القرآن، ثلاثون آية، شَفَعَتْ لرجل حتى غُفِرَ له، وهي: تبارك الذي بيده الملك»]. ١ ﴿تبارك﴾ [دام وثبت إنعامه، أو:] تنزه عن صفات المحدثين ﴿الذي بيده﴾ في تصرفه ﴿الملك﴾ السلطان والقدرة ﴿وهو على كل شيء قدير﴾. ٢ ﴿الذي خلق الموت﴾ في الدنيا ﴿والحياة﴾ في الآخرة، أو هما في الدنيا، فالنطفة تعرض لها الحياة، وهي: ما به الإحساس، والموت: ضدُها، أو: عدمها[1]، قولان. و «الخلق» على الثاني بمعنى التقدير، [أي: قَدَّرَ الموتَ] ﴿ليبلوكم﴾ ليختبركم في الحياة ﴿أيكم أحسن عملاً﴾ أطوع لله ﴿وهو العزيز﴾ في انتقامه ممن عصاه ﴿الغفور﴾ لمن تاب إليه. ٣ ﴿الذي خلق سبع سماوات طباقاً﴾ بعضها فوق بعض، من غير مماسّة ﴿ما ترى في خلق الرحمن﴾ لهن، ولا لغيرهن ﴿من تفاوت﴾ تباين وعدم تناسب ﴿فارجع البصر﴾ أَعِدْهُ إلى السماء ﴿هل ترى﴾ فيها ﴿من فطور﴾ صدوع وشقوق؟. ٤ ﴿ثم ارجع البصر كرتين﴾ كرة بعد كرة ﴿ينقلب﴾ يرجع ﴿إليك البصر خاسئاً﴾ ذليلاً، لعدم إدراك خلل ﴿وهو حسير﴾ منقطع عن رؤية الخلل. ٥ ﴿ولقد زينا السماء الدنيا﴾ القربى إلى الأرض ﴿بمصابيح﴾ بنجوم ﴿وجعلناها رجوماً﴾ مراجم ﴿للشياطين﴾ إذا استرقوا السمع، بأن ينفصل «شهاب» عن الكوكب، كالقبس يؤخذ من النار، فيقتل الجنيَّ أو يخبله، لا أن الكوكب يزول عن مكانه ﴿وأعتدنا لهم عذاب السعير﴾ النار الموقدة. ٦ ﴿وللذين كفروا بربهم عذاب

(٦٧) سُورَةُ المُلْكِ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثَلَاثُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ

حزب ٥٧ جزء ٢٩

---

(١) قوله: «والموت: ضدها، أو: عدمها قولان إلخ»، هذا التفصيل إشارة إلى اختلاف المتكلمين في «الموت» حيث قال بعضهم: إنه أمر وجودي، أي: شيء يوجد، وهو ضد الحياة التي هي أمر وجودي باتفاقهم، وقال آخرون: إن «الموت» أمر عَدَمي، أي: ليس الموت شيئاً ليُخلق بل هو عدم الحياة، فإذا انعدمت الحياة مات المخلوق، لذلك وضّح الجلال المحلي، أنه بناء على هذا القول، فإن «خلق الموت» الوارد في الآية معناه: التقدير، أي: خَلَقَ الحياة لأنها أمر وجودي، وقدّرَ الموت بنهاية تلك الحياة، فإذا جاء أجل النهاية انعدمت الحياة، أما على القول الأول: فإن الموت أمر وجودي كالخلق، أي: عند نهاية الحياة يخلق الله شيئاً يسمى: «الموت»، وهذا هو القول الصحيح الذي يؤيده نص الآية، وكذلك حديث ذبح الموت في يوم الحشر الذي ذكرناه في تعليقنا ص ٤٠٠.

جهنم وبئس المصير﴾ هي. ٧﴿إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً﴾[1] صوتاً منكراً كصوت الحمار ﴿وهي تفور﴾ تغلي. ٨﴿تكاد تميز﴾ وقرىء [شذوذاً]: «تتميز» على الأصل، تتقطّع [وينفصل بعضها عن بعض] ﴿من الغيظ﴾ غضباً على الكفار ﴿كلما ألقي فيها فوج﴾ جماعة منهم ﴿سألهم خزنتها﴾ سؤال توبيخ ﴿ألم يأتكم نذير؟﴾ رسول ينذركم عذاب الله تعالى؟. ٩﴿قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن﴾ ما ﴿أنتم إلاَّ في ضلال كبير﴾ يحتمل أن يكون من كلام الملائكة للكفار، حين أُخبروا بالتكذيب، وأن يكون من كلام الكفار للنُّذر، [قالوه لهم في الدنيا]. ١٠﴿وقالوا لو كنا نسمع﴾ أي: سماع تفهم ﴿أو نعقل﴾ أي: عقل تفكر ﴿ما كنا في أصحاب السعير﴾ [أي: من أهل النار].

جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ

١١﴿فاعترفوا﴾ حيث لا ينفع الاعتراف ﴿بذنبهم﴾ وهو تكذيب النذر، [وعدم سماعهم وتفكرهم] ﴿فسحقاً﴾ بسكون الحاء وضمها ﴿لأصحاب السعير﴾ فبعداً لهم عن رحمة الله.

١٢﴿إن الذين يخشون ربهم﴾ يخافونه ﴿بالغيب﴾ في غيبتهم عن أعين الناس، فيطيعونه سراً، فتكون [طاعتهم] علانية أولى ﴿لهم مغفرة وأجر كبير﴾ أي: الجنة.

١٣﴿وأسرّوا﴾ أيها الناس ﴿قولكم أو اجهروا به إنه﴾ تعالى ﴿عليم بذات الصدور﴾ بما فيها، فكيف بما نطقتم؟، وسبب نزول ذلك، أن المشركين قال بعضهم لبعض: أسرّوا قولكم لا يسمعكم إله محمد.

١٤﴿ألا يعلم من خلق؟﴾ أي: ما تُسِرُّون، أي: أينتفي علمه بذلك ﴿وهو اللطيف﴾ في علمه ﴿الخبير﴾ فيه؟ لا.

١٥﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً﴾ سهلة للمشي فيها، [وصالحة للحياة عليها] ﴿فامشوا في مناكبها﴾ جوانبها [وأطرافها] ﴿وكلوا من رزقه﴾ المخلوق لأجلكم ﴿وإليه النشور﴾ من القبور للجزاء. ﴿ءأمنتم﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما، [أي: بين الهمزة الثانية في حالتيها]، وبين الأخرى، وتركه، وإبدالها ألفاً ﴿من في السماء﴾ [أي: آأمنتم][2] سلطانه [تعالى] وقدرته [عليكم] ﴿أن يخسف﴾ بدل [اشتمال] من «مَنْ» ﴿بكم

---

(١) قوله تعالى: ﴿شهيقاً﴾، ارجع إلى تعليقنا حول معنى «الشهيق والزفير» ص ٣٠٠.

(٢) قال القرطبي هنا كلاماً حسناً نصه: «والأخبار في هذا الباب كثيرة صحيحة منتشرة، مشيرة إلى العلو، لا يدفعها إلاَّ ملحد أو جاحد معاند، والمراد بها: توقيره تعالى وتنزيهه عن السُّفل والتحت، ووصفه بالعلو والعظمة، لا بالأماكن والجهات والحدود، لأنها صفات الأجسام، ولأنه خلق الأمكنة وهو غير محتاج إليها، وكان في أزله قبل خلق المكان والزمان، ولا مكان له ولا زمان، وهو الآن على ما عليه كان».

الأرض فإذا هي تمور؟﴾ تتحرك بكم وترتفع فوقكم.

١٧ ﴿أم أمنتم من في السماء أن يرسل﴾ بدل [اشتمال] من «مَنْ» ﴿عليكم حاصباً﴾ ريحاً ترميكم بالحصباء ﴿فستعلمون﴾ عند معاينة العذاب ﴿كيف نذير﴾ إنذاري بالعذاب؟ أي: [فستعلمون] أنه حق.

١٨ ﴿ولقد كذب الذين من قبلهم﴾ من الأمم ﴿فكيف كان نكير؟﴾ إنكاري على التكذيب، عند إهلاكهم، أي: إنه حق.

ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ

١٩ ﴿أو لم يروا﴾ ينظروا ﴿إلى الطير فوقهم﴾ في الهواء ﴿صافات﴾ باسطات أجنحتهن ﴿ويقبضن﴾ أجنحتهن بعد البسط، أي: وقابضات ﴿ما يمسكهن﴾ عن الوقوع حال البسط والقبض ﴿إلا الرحمن﴾ بقدرته؟ ﴿إنه بكل شيء بصير﴾ المعنى: ألم يستدلوا بثبوت الطير في الهواء، على قدرتنا أن نفعل بهم ما تقدم، وغيرَه من العذاب؟.

٢٠ ﴿أمن﴾ مبتدأ ﴿هذا﴾ خبره ﴿الذي﴾ بدل من «هذا» ﴿هو جند﴾ أعوان ﴿لكم﴾ صلة «الذي» ﴿ينصركم﴾ صفة «جند» [محمول على لفظه، والمعنى: أيُّ ناصر لكم] ﴿من دون الرحمن﴾ أي: غيره، يدفع عنكم عذابه؟ أي: لا ناصر لكم ﴿إن﴾ ما ﴿الكافرون إلا في غرور﴾ غرهم الشيطان، بأن العذاب لا ينزل بهم.

٢١ ﴿أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك﴾ الرحمن ﴿رزقه﴾ أي: المطر عنكم؟، وجواب الشرط، محذوف، دل عليه ما قبله، أي: فمن يرزقكم؟ أي: لا رازق لكم غيره ﴿بل لجوا﴾ تمادوا ﴿في عتو﴾ تكبر ﴿ونفور﴾ تباعد عن الحق.

٢٢ ﴿أفمن يمشي مكباً﴾ واقعاً ﴿على وجهه أهدى أمن يمشي سوياً﴾ معتدلاً ﴿على صراط﴾ طريق ﴿مستقيم؟﴾ وخبر «مَنْ» الثانية محذوف، دل عليه خبر الأولى، أي: أهدى، والمَثَلُ في المؤمن والكافر، أيُّهما على هدى.

٢٣ ﴿قل هو الذي أنشأكم﴾ خلقكم ﴿وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة﴾ القلوب ﴿قليلاً ما تشكرون﴾ «ما» مزيدة، والجملة مستأنفة مخبرةٌ بقلة شكرهم جداً على هذه النعم. ٢٤ ﴿قل هو الذي ذرأكم﴾ خلقكم ﴿في الأرض وإليه تحشرون﴾ للحساب [والجزاء]. ٢٥ ﴿ويقولون﴾ للمؤمنين ﴿متى هذا الوعد﴾ وعد الحشر ﴿إن كنتم

صادقين﴾ فيه؟. ٢٦ ﴿قل إنما العلم﴾ بمجيئه ﴿عند الله وإنما أنا نذير مبين﴾ بيّن الإنذار، [فمن تفكر واعتبر، اهتدى وآمن].
٢٧ ﴿فلما رأوه﴾ أي: العذاب يوم الحشر ﴿زلفة﴾ قريباً ﴿سيئت﴾ اسودت ﴿وجوه الذين كفروا وقيل﴾ أي: قال الخَزَنَةُ لهم ﴿هذا﴾ أي: العذاب ﴿الذي كنتم به﴾ بإنذاره ﴿تدعون﴾ أنكم لا تبعثون، وهذه حكاية حال تأتي، [وإنما] عَبّر عنها بطريق المضي، لتحقق وقوعها، [على حد قوله تعالى: «أتى أمر الله فلا تستعجلوه»، أي: سيأتي]. ٢٨ ﴿قل أرأيتم إن أهلكني الله ومن معي﴾ من المؤمنين بعذابه، كما تقصِدُون ﴿أو رحمنا﴾ فلم يعذبنا ﴿فمن يجير الكافرين من عذاب أليم؟﴾ أي: لا مجير لهم منه. ٢٩ ﴿قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا فستعلمون﴾ بالتاء والياء: عند معاينة العذاب ﴿من هو في ضلال مبين﴾ بيِّن، أنحن، أم أنتم[1]، أو: هم؟. ٣٠ ﴿قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً﴾ غائراً في الأرض ﴿فمن يأتيكم بماء معين﴾ جار، لا تناله الأيدي والدلاء كمائكم؟ أي: لا يأتي به إلا الله تعالى، فكيف تنكرون أن يبعثكم؟ ويستحب أن يقول القارىء عقب «معين»: «الله رب العالمين»، كما ورد في الحديث[2]، وتليت هذه الآية عند بعض المتجبرين فقال: تأتي به الفؤوس والمعاول، فذهب ماء عينيه وعمي، نعوذ بالله من الجراءة على الله وعلى آياته.

﴿سُورَةُ القَلَمِ﴾

(مكية، ثنتان وخمسون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ن﴾[3] أحد حروف الهجاء، الله أعلم بمراده به ﴿والقلم﴾ الذي كتب به الكائنات في اللوح المحفوظ، [أو: هو كل قلم، مما يَكتب به مَن في السماء ومن في الأرض] ﴿وما يسطرون﴾ أي: الملائكة، [من الخير والشر، والناسُ من البيان]. ٢ ﴿ما أنت﴾ يا محمد ﴿بنعمة ربك

صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ

(١) قوله: «أنحن أم أنتم، أو هم»، اختلفت النسخ في هذه العبارة، وذلك لالتباس حصل لدى الناسخ والمصحح، والصواب فيها ما أثبتناه وهو ما في المخطوطة الأولى، ومخطوطة أخرى وبيانه أن قوله: «أنحن» يعني: النبي ﷺ والمؤمنين، وقوله: «أم أنتم» يعني: الكافرين على قراءة «فستعلمون» بالتاء، ثم قال الجلال المحلي بعد ذلك: «أوهم» أي: بدل «أم أنتم»، مشيراً إلى قراءة: «فسيعلمون» بالياء، أي: «أنحن أم هم» على هذه القراءة، و «أنحن أم أنتم» على القراءة الأخرى.

(٢) قوله: «ويستحب أن يقول القارىء عقب «معين»: الله رب العالمين؛ كما ورد في الحديث»، لقد تساهل المؤلف الجلال المحلي رحمه الله في هذا، والصحيح: أنه لا يستحب أن يقول القارىء عقب «معين» شيئاً، لأنه لم يَرِدْ حديث بذلك مطلقاً، خلافاً لما ذكره، وخلافاً لما هو شائع لدى العامة من الناس وبعض طلبة العلم.

(٣) قوله تعالى: ﴿ن﴾، فسره بعضهم تفسيراً غريباً، حيث قال: هو الحوت، مستدلاً بقوله تعالى: ﴿وذا النون﴾ أي: وصاحبَ الحوت، وهو يونس عليه السلام، وهذا الاستدلال في غير محله، والصحيح ما ذكره الجلال المحلي.

بمجنون﴾ أي: انتفى الجنون عنك، بسبب إنعام ربك عليك بالنبوة وغيرها، وهذا رد لقولهم: إنه مجنون. ٣﴿وإن لك لأجراً غير ممنون﴾ مقطوع. ٤﴿وإنك لعلى خلق﴾ دين ﴿عظيم﴾. ٥﴿فستبصر ويبصرون﴾. ٦﴿بأيكم المفتون﴾ مصدر كالمعقول، أي: الفُتُون، بمعنى: الجنون، أي: أبك أم بهم؟. ٧﴿إن ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ له، و«أعلم» بمعنى: «عالم». ٨﴿فلا تطع المكذبين﴾ [أي: المشركين، فيما يدعونك إليه]. ٩﴿ودوا﴾ تمنوا ﴿لو﴾ مصدرية ﴿تدهن﴾ تلين لهم، [بترك نهيهم عن الشرك، أو: بأن توافقهم فيه أحياناً] ﴿فيدهنون﴾ يلينون لك، [أي: يتركون ما هم عليه من الطعن، ويوافقونك]، وهو معطوف على «تدهن»، [مرفوع بثبوت النون، ولم يُجْعَلْ جوابَ التمنّي، بل هو من جملة المُتَمَنَّى، أي: تمنّوا لينَكَ لهم ولينَهُم لك،]وإنْ جُعِلَ جوابُ التمني المفهومُ من «ودوا»، قُدِّرَ قبله بعد الفاء: «هم»، [أي: «تمنوا لو تدهن، فهم يدهنون»، ليصبح الجواب جملةً اسميةً، تخلصاً من لزوم نصب «فيدهنون»، الواقع بعد فاء السببية، التي هي في جواب التمني]. ١٠﴿ولا تطع كل حلاف﴾ كثير الحلف بالباطل ﴿مهين﴾ حقير. ١١﴿هماز﴾ عيّاب، أي: مغتاب ﴿مشاء بنميم﴾ ساع بالكلام بين الناس، على وجه الإفساد بينهم. ١٢﴿مناع للخير﴾ بَخيل بالمال عن الحقوق ﴿معتد﴾ ظالم ﴿أثيم﴾ آثم. ١٣﴿عتل﴾ غليظ جاف ﴿بعد ذلك زنيم﴾ دَعِيٍّ في قريش، وهو: الوليد بن المغيرة، ادعاه أبوه بعد ثماني عشرة سنة، قال ابن عباس: لا نعلم أن الله وصف أحداً، بما وصفه به من العيوب، فألحق به عاراً لا يفارقه أبداً، وتعلّق بـ «زنيم» الظرفُ قبله. ١٤﴿أن كان ذا مال وبنين﴾ أي: «لأن»، وهو متعلق بما دل عليه: ١٥﴿إذا تتلى عليه آياتنا﴾ القرآن ﴿قال﴾ هي ﴿أساطير الأولين﴾ أي: كذب بها، لإنعامنا عليه بما ذكر؟، وفي قراءة: «أأن» بهمزتين مفتوحتين. ١٦﴿سنسمه على الخرطوم﴾ سنجعل على أنفه علامة، يعيَّر بها ما عاش، فخُطِم أنفه بالسيف يوم بدر، [ويبقى أثر الجرح في أنفه]. ١٧﴿إنا بلوناهم﴾ امتحنا أهل مكة، [بما أعطيناهم من النِّعم، ليشكروا بالإيمان، وقيل:]بالقحط والجوع ﴿كما بلونا أصحاب الجنة﴾[1] البستان ﴿إذ أقسموا ليصرمُنَّها﴾ يقطعون ثمرتها ﴿مصبحين﴾ وقت الصباح، كي لا يشعر بهم المساكين فلا يُعْطُونَ منها، ما كان أبوهم يتصدق به عليهم منها. ١٨﴿ولا يستثنون﴾ في يمينهم بمشيئة الله تعالى، [أي: لا يقولون: إن شاء الله، وقيل: كان استثناؤهم التسبيح، أو: لا يتركون للمساكين شيئاً،] والجملة مستأنفة، أي: وشأنهم ذلك. ١٩﴿فطاف عليها طائف من ربك﴾ نار أحرقتها ﴿وهم نائمون﴾. ٢٠﴿فأصبحت كالصريم﴾ [أي: احترقت فصارت] كالليل الشديد الظلمة، أي: سوداء. ٢١﴿فتنادوا

بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا

(١) قوله تعالى: ﴿أصحاب الجنة﴾، أخرج عبد الرزاق وغيره عن سعيد بن جبير رحمه الله تعالى قال: كانوا من قرية يقال لها «ضروان» =

مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ

مصبحين﴾ [وقت الصباح]. ٢٢﴿أن اغدوا على حرثكم﴾ غلتكم، تفسير للتَّنادي، أو: «أن» مصدرية، أي: بأن ﴿إن كنتم صارمين﴾ مريدين القطع، وجواب الشرط دل عليه ما قبله. ٢٣﴿فانطلقوا وهم يتخافتون﴾ يتسارُّون. ٢٤﴿أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين﴾ تفسير لما قبله، أو: «أن» مصدرية، أي: بأن. ٢٥﴿وغدوا على حرد﴾ منع للفقراء ﴿قادرين﴾ عليه في ظنهم. ٢٦﴿فلما رأوها﴾ سوداء محترقة ﴿قالوا إنا لضالون﴾ عنها، أي: ليست هذه [جنتنا]، ثم قالوا لما علموها: ٢٧﴿بل نحن محرومون﴾ ثمرتها، بمنعنا الفقراء منها. ٢٨﴿قال أوسطهم﴾ خيرهم ﴿ألم أقل لكم لولا﴾ هلاَّ ﴿تسبحون﴾ الله تائبين؟ ٢٩﴿قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين﴾ بمنع الفقراء حقهم. ٣٠﴿فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون﴾ [يلوم بعضهم بعضاً]. ٣١﴿قالوا يا﴾ للتنبيه ﴿ويلنا﴾ هلاكنا ﴿إنا كنا طاغين﴾ [ظالمين بمنع حق الفقراء]. ٣٢﴿عسى ربنا أن يبدِّلنا﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون﴾ ليقبل توبتنا، ويرد علينا خيراً من جنتنا، روي أنهم أبدلوا خيراً منها[1]. ٣٣﴿كذلك﴾ أي: مثل العذاب لهؤلاء ﴿العذاب﴾ [في الدنيا بالقتل والأسر والقحط]، لمن خالف أمرنا، من كفار مكة وغيرهم ﴿ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون﴾ عذابها، ما خالفوا أمرنا. ٣٤ ونزل لما قالوا، [أي: كفار مكة للمسلمين]: إنْ بُعِثنا، نُعْطَ أفضل منكم، [لأن الله فضلنا عليكم في الدنيا فلا بد وأن يفضِّلنا عليكم في الآخرة، وإن لم يحصل التفضيل، فلا أقل من المساواة]: ﴿إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم﴾. ٣٥﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين﴾ [أي: كالكفار؟]، أي: تابعين لهم في العطاء، ٣٦﴿ما لكم كيف تحكمون﴾ هذا الحكم الفاسد؟.
٣٧﴿أم﴾ أي: بل أ﴿لكم كتاب﴾ منزل ﴿فيه

= على ستة أميال من «صنعاء»، وقيل: كانوا من أهل الحبشة، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانوا من أهل الكتاب، وكان والدهم يسير في بستانه سيرة حسنة، ويتصدق من ثمارها على المساكين في كل سنة، فلما مات وورثه بنوه، صمّموا على حرمان الفقراء ما كانوا ينالونه من والدهم طمعاً وبخلاً، فلما عزموا على ذلك عاقبهم الله تعالى بنقيض قصدهم، فأذهب كل ما بأيديهم فلم يَبْقَ لهم من جنتهم شيء، وسئل قتادة السَّدوسي رحمه الله: أهُمْ من أهل الجنة أم من أهل النار؟ فقال: لقد كلفتني تعباً، وكذلك توقف الحسن البصري رحمه الله في كونهم مؤمنين قائلاً: لا أدري هل كان قولهم «إنا إلى ربنا راغبون» إيماناً منهم، أو: على حدّ ما يكون من المشركين إذا أصابتهم الشدة؟! وقال القرطبي: والمعظم يقولون: إنهم تابوا وأخلصوا. اهـ. وعلى هذا فهم مؤمنون، وعملهم كان معصية، فعاقبهم الله بإحراق جنتهم، وهو الأوضح.

(١) قوله: «روي أنهم أبدلوا خيراً منها»، نقل هذه الرواية القرطبي في تفسيره عن ابن مسعود رضي الله عنه من غير سند، ولم يذكر السيوطي وابن كثير والرازي شيئاً من هذا المعنى، وليس في الآيات ما يدل على حصول الإبدال، فالإمساك أولى.

تدرسون﴾ أي: تقرؤون؟ [فتجدون فيه، أن المؤمن كالكافر]. ٣٨﴿إن لكم فيه لما تخيرون﴾ [تختارون وتشتهون، وهذا تعجيب من أمر ذلك الكتاب]. ٣٩﴿أم لكم أيمان﴾ عهود ﴿علينا بالغة﴾ واثقة [مؤكدة]، ﴿إلى يوم القيامة؟﴾ متعلِّق معنًى بـ «علينا»، وفي هذه الكلام معنى القَسَم، أي: أقسمنا لكم [أيماناً بالغة]، وجوابه ﴿إن لكم لما تحكمون﴾ به لأنفسكم، ٤٠﴿سلهم أيهم بذلك﴾ الحكم، الذي يحكمون به لأنفسهم من أنهم يُعْطَون في الآخرة أفضل من المؤمنين، ﴿زعيم﴾ كفيل لهم؟. ٤١﴿أم لهم شركاء﴾ موافقون لهم في هذا القول، يكفُلون لهم به؟ فإن كان كذلك ﴿فليأتوا بشركائهم﴾ الكافلين لهم به ﴿إن كانوا صادقين﴾ [وهذا أمر تعجيز، أي: ليس لهم ذلك]. ٤٢ اذكر ﴿يوم

تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن

يكشف عن ساق﴾ هو: عبارة عن شدة الأمر يوم القيامة، للحساب والجزاء، يقال: «كشفت الحرب عن ساق»، إذا اشتد الأمر فيها ﴿ويدعون إلى السجود﴾ امتحاناً لإيمانهم، [وفضحاً لهم على رؤوس الأشهاد يوم القيامة] ﴿فلا يستطيعون﴾ تصير ظهورهم[1] طبقاً واحداً. ٤٣﴿خاشعة﴾ حال من ضمير «يدعون»، أي: ذليلة ﴿أبصارهم﴾ لا يرفعونها ﴿ترهقهم﴾ تغشاهم ﴿ذلة وقد كانوا يدعون﴾ في الدنيا ﴿إلى السجود وهم سالمون﴾ فلا يأتون به، بأن لا يُصَلُّوا. ٤٤﴿فذرني﴾ دعني ﴿ومن يكذب بهذا الحديث﴾ القرآن ﴿سنستدرجهم﴾ نأخذهم قليلاً قليلاً ﴿من حيث لا يعلمون﴾ [أي: سنأخذهم على غفلة، وهم لا يعرفون، فَعُذِّبوا يوم بدر]. ٤٥﴿وأملي لهم﴾ أمهلُهم ﴿إن كيدي متين﴾ شديد لا يطاق. ٤٦﴿أم﴾ بل أ﴿تسألهم﴾ على تبليغ الرسالة ﴿أجراً فهم من مغرم﴾ مما يعطونكه ﴿مثقلون﴾ فلا يؤمنون لذلك؟. ٤٧﴿أم عندهم الغيب﴾ أي: اللوح المحفوظ، الذي فيه الغيب ﴿فهم يكتبون﴾ منه ما يقولون؟. ٤٨﴿فاصبر لحكم ربك﴾ فيهم ما يشاء ﴿ولا تكن كصاحب الحوت﴾ في الضجر والعجلة، وهو: يونس عليه السلام ﴿إذ نادى﴾ دعا ربه ﴿وهو مكظوم﴾ مملوء غماً في بطن الحوت [قائلاً: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين»]. ٤٩﴿لولا أن تداركه﴾ أدركه ﴿نعمة﴾ رحمة ﴿من ربه

---

(١) قوله: «تصير ظهورهم طبقاً واحداً» هو إشارة إلى حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، الذي رواه الشيخان، وفيه قوله ﷺ «فيكشف عن ساقٍ» وفي رواية للبخاري «فيكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له ـ تعالى ـ كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياءً وسمعةً، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً»، وذلك يكون ابتلاء من الله تعالى للعباد، وآخر امتحان للمؤمنين، عندما يشتد الأمر على الخلق يوم القيامة، ويتجلى الله على عباده، فيسجد المؤمنون المخلصون سجود تلذذ لا تكليف، ولا يستطيع ذلك المراؤون والكافرون، لأن ظهورهم لا تنثني ولا تنحني، وهذا فضح لهم، وإظهار لما في قلوبهم.

لنبذ﴾ من بطن الحوت ﴿بالعراء﴾ بالأرض الفضاء ﴿وهو مذموم﴾ لكنه رُحِمَ فنُبذَ غيرَ مذموم. ٥٠﴿فاجتباه ربه﴾ بالنبوة[1] ﴿فجعله من الصالحين﴾ الأنبياء. ٥١﴿وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك﴾ بضم الياء وفتحها ﴿بأبصارهم﴾ أي: ينظرون إليك نظراً شديداً، يكاد أن يصرعك، ويسقطك عن مكانك ﴿لما سمعوا الذكر﴾ القرآن ﴿ويقولون﴾ حسداً ﴿إنه لمجنون﴾ بسبب القرآن الذي جاء به. ٥٢﴿وما هو﴾ أي: القرآن ﴿إلا ذكر﴾ موعظة ﴿للعالمين﴾ الجن والإنس، لا يحدُث بسببه جنون.

رَبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ﴿٤٩﴾ فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾

(٦٩) سُورَةُ الحَاقَّةِ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا ثِنْتَانِ وَخَمْسُونَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ

﴿ سُورَةُ الحَاقَّةِ ﴾

(مكية، إحدى أو اثنتان وخمسون آية)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١﴿الحاقة﴾ القيامة، التي يحق فيها ما أُنكِرَ، من البعث والحساب والجزاء، أو: المظهرة لذلك. ٢﴿ما الحاقة؟﴾ تعظيم لشأنها، وهما ـ [أي: «ما الحاقة»] ـ مبتدأ وخبر، [وجملة المبتدأ والخبر هذه]: خبر «الحاقة». ٣﴿وما أدراك﴾ أعلمك ﴿ما الحاقة؟﴾ زيادة تعظيم لشأنها، فـ «ما» مبتدأ، وما بعدها، [أي: جملة «أدراك ما الحاقة»] خبره، «وما» الثانية وخبرُها، في محل المفعول الثاني لـ «أدرى». ٤﴿كذبت ثمود وعاد بالقارعة﴾ القيامة، لأنها تقرع القلوب بأهوالها. ٥﴿فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية﴾ بالصيحة المجاوزة للحد في الشدة. ٦﴿وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر﴾ شديدة الصوت ﴿عاتية﴾ قوية شديدة على عاد، مع قوتهم وشدتهم.

٧﴿سخرها﴾ أرسلها بالقهر، [وسلطها] ﴿عليهم سبع ليال وثمانية أيام﴾ أولها[2] من صبح يوم الأربعاء لثمان بقين من شوال، وكانت في عَجُز الشتاء ﴿حسوماً﴾ متتابعات، شبهت بتتابع فِعْل الحاسم، في إعادة الكيّ على الداء كَرَّةً بعد أخرى، حتى ينحسم ﴿فترى القوم

---

(١) قوله: «بالنبوة»، فيه إشارة إلى قول بأنه أرسل بعد نبذه، وأنه لم يكن نبيّاً قبل ذلك، وقد تقدم في تفسير قوله تعالى: ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾ من سورة «الصافات» أن يونس عليه السلام كان رسولاً قبل أن يلتقمه الحوت على الصحيح، فالاجتباء والإرسال في هاتين الآيتين هما إشارة إلى ما كان عليه يونس عليه السلام من النبوة قبل ذلك وبعده أيضاً. ارجع إلى تعليقنا ص ٥٩٥.

(٢) قوله: «أولها من صبح الأربعاء إلخ»، هذا قول يحيى بن سلام ووهب بن منبِّه رحمهما الله، قال وهب: وهذه الأيام التي تسميها العرب «أيام العجوز» ذات برد وريح شديدين، وسميت العجوز لأنها وقعت في عجز الشتاء، وقيل: أولها من صباح يوم الجمعة، وقيل: الأحد.. وهذه أقوال لا دليل على واحد منها، فالصحيح القول بعدم التعيين، فالله أعلم ببدايتها، فهي «سبع ليال وثمانية أيام» وكفى.

فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾

فيها صرعى﴾ مطروحين هالكين **﴿كأنهم أعجاز﴾** أصول **﴿نخل خاوية﴾** ساقطة فارغة. ٨**﴿فهل ترى لهم من باقية؟﴾** صفة «نفس» مقدرة، [أي: «ومن نفس باقية»]، أو: التاء للمبالغة، أي: [مِنْ] باق؟ لا. ٩**﴿وجاء فرعون ومَنْ قِبَلَهُ﴾** [أي:] أتباعُه [وجنوده]، وفي قراءة: بفتح القاف وسكون الباء، أي: مَنْ تقدمه من الأمم الكافرة **﴿والمؤتفكات﴾** [أي:](١) أهلها، وهي: قرى قوم لوط **﴿بالخاطئة﴾** بالفَعْلات ذات الخطأ. ١٠**﴿فعصوا رسول ربهم﴾** أي: لوطاً وغيره **﴿فأخذهم أخذة رابية﴾** زائدة في الشدة على غيرها. ١١**﴿إنا لما طغى الماء﴾** علا فوق كل شيء، من الجبال وغيرها زمن الطوفان **﴿حملناكم﴾** يعني: آباءكم، إذ أنتم في أصلابهم **﴿في الجارية﴾** السفينة التي عملها نوح، ونجا هو ومن كان معه فيها، وغرق الباقون.

١٢**﴿لنجعلها﴾** هذه الفَعْلَة، وهي: إنجاء المؤمنين، وإهلاك الكافرين **﴿لكم تذكرة﴾** عظة **﴿وتعيها﴾** ولتحفظَها **﴿أذن واعية﴾** حافظة لما تسمع. ١٣**﴿فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة﴾** للفصل بين الخلائق، وهي [النفخة] الثانية [على الصحيح].

١٤**﴿وحملت﴾** رفعت **﴿الأرض والجبال فدكتا﴾** دقتا **﴿دكة واحدة﴾**.

١٥**﴿فيومئذ وقعت الواقعة﴾** قامت القيامة.

١٦**﴿وانشقت السماء فهي يومئذ واهية﴾** ضعيفة.

١٧**﴿والملك﴾** يعني: الملائكة **﴿على أرجائها﴾** جوانب السماء **﴿ويحمل عرش ربك فوقهم﴾** أي: فوق الملائكة المذكورين **﴿يومئذ ثمانية﴾** من الملائكة، أو: من صفوفهم(٢).

١٨**﴿يومئذ تعرضون﴾** للحساب **﴿لا تخفى﴾** بالتاء والياء **﴿منكم خافية﴾** من السرائر.

١٩**﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول﴾** خطاباً لجماعته، لما سُرَّ به **﴿هاؤم﴾** خذوا **﴿اقرؤوا كتابيه﴾** تنازع فيه [العاملان:] «هاؤم» و«اقرأوا»(٣). ٢٠**﴿إني ظننت﴾** تيقنت **﴿أني ملاق حسابيه﴾** [والهاء في: «كتابيه» و«حسابيه» للسكت كما سيأتي] ٢١**﴿فهو في عيشة راضية﴾** مرضية.

---

(١) قوله تعالى: ﴿المؤتفكات﴾، سميت بذلك لأن الله تعالى قلبها على أهلها، ارجع إلى تعليقنا حول «قرى قوم لوط» ص ٢٩٥.

(٢) ارجع إلى تعليقنا حول «حملة العرش» ص ٦١٨.

(٣) قوله: «تنازع فيه هاؤم واقرؤوا». التنازع هو: «توجُّه عاملين إلى معمول واحد»، فالعاملان هنا هما: «هاؤم» و«اقرأوا» والمعمول هو: «كتابيه»، فأيهما أعملت فقدِّر للآخر مفعوله، قال ابن مالك في ألفيته:

إن عاملان اقتضيا في اسم عمل ... قبل فللواحد منهما العمل
والثان أولى عند أهل البصرة ... واختار عكساً غيرهم ذا أسرة

٢٢﴿في جنة عالية﴾. ٢٣﴿قطوفها﴾ ثمارها ﴿دانية﴾ قريبة، يتناولها القائم والقاعد والمضطجع. ٢٤ فيقال لهم: ﴿كلوا واشربوا هنيئاً﴾ حال، أي: مهنئين [بنعيمكم] ﴿بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾ الماضية في الدنيا، [من الأعمال الصالحة]. ٢٥﴿وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا﴾ للتنبيه ﴿ليتني لم أوت كتابيه﴾. ٢٦﴿ولم أدر ما حسابيه﴾. ٢٧﴿يا ليتها﴾ أي: الموتة في الدنيا ﴿كانت القاضية﴾ القاطعة لحياتي، بأن لا أبعث. ٢٨﴿ما أغنى عني ماليه﴾ [الذي ألهاني وشغلني عن الإيمان]. ٢٩﴿هلك عني سلطانيه﴾ قوتي وحجتي، وهاء: «كتابيه»، و«حسابيه»، و«ماليه»، و«سلطانيه»، للسكت، تثبت وقفاً ووصلاً اتباعاً للمصحف الإمام[1] والنقل [عن النبي ﷺ]، ومنهم من حذفها وصلاً. ٣٠﴿خذوه﴾ خطاب لخزنة جهنم ﴿فغلوه﴾ أي: اجمعوا يديه إلى عنقه في «الغُلّ»، [بضم الغين أي: القيد]. ٣١﴿ثم الجحيم﴾ النار المحرقة ﴿صلوه﴾ أدخلوه. ٣٢﴿ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً﴾ بذراع المَلَك ﴿فاسلكوه﴾ أي: فأدخلوه فيها بعد إدخاله النار، ولم تمنع الفاء [في: فاسلكوه»]، من تعلق [هذا] الفعل بالظرف، [أي: بالجار والمجرور] المتقدم [عليه، وتقديره: «ثم اسلكوه في سلسلة»]. ٣٣ [ثم بين تعالى سبب دخوله الجحيم فقال:] ﴿إنه كان لا يؤمن بالله العظيم﴾. ٣٤﴿ولا يحض على طعام المسكين﴾ [أي: إطعامه، لأن الكافر قاسي القلب]. ٣٥﴿فليس له اليوم ها هنا حميم﴾ قريب ينتفع به. ٣٦﴿ولا طعام إلا من غسلين﴾ صديد أهل النار، [السائل من أجسادهم]، أو: شجرٌ فيها. ٣٧﴿لا يأكله إلا الخاطئون﴾ الكافرون. ٣٨﴿فلا﴾ «لا» زائدة ﴿أقسم بما تبصرون﴾ من المخلوقات. ٣٩﴿وما لا تبصرون﴾ منها، أي: بكل مخلوق. ٤٠﴿إنه﴾ أي: القرآن ﴿لقول رسول كريم﴾ أي: قاله رسالة عن الله تعالى، [والقائل: جبريل، أو: محمد]. ٤١﴿وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون﴾.

فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا الْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾

---

(١) قوله: «للمصحف الإمام» أي: المصحف الذي أمر بكتبه أمير المؤمنين الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم بعث به إلى الأقطار، فيجب التقيد برسم «مصحف عثمان» ولو كان مغايراً للإملاء المعهود في أيامنا، ولا يؤخذ في رسم القرآن إلا بالنقل، وذلك لأن للرسم علاقة بالتلاوة، فموافقة المرسوم هو أحد أركان القراءة الصحيحة الثلاثة المجموعة في هذه الأبيات من «طيبة النشر» للحافظ ابن الجزري:

فكلُّ ما وافقَ وجهَ نحوِ ... وكانَ للرسمِ احتمالاً يحوي
وصحَّ إسناداً هو القرآنُ ... فهذهِ الثلاثةُ الأركانُ
وحيثما يختلُّ ركنٌ أثبتِ ... شذوذَهُ لو أنَّهُ في السبعةِ

أي: إذا فُقدَ ركن من هذه الأركان الثلاثة فتكون القراءة شاذة ولو كان قارئها أحد القراء السبعة، ارجع إلى مقدمة هذا الكتاب.

٤٢﴿ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون﴾ بالتاء والياء[1] في الفعلين، و«ما» زائدة مؤكِّدة [لمعنى القلة]، والمعنى: أنهم آمنوا بأشياء يسيرة وتذكَّروها، مما أتى به النبي ﷺ، من الخير والصلة والعفاف، فلم تغنِ عنهم شيئاً. ٤٣بل هو ﴿تنزيل من رب العالمين﴾. ٤٤﴿ولو تقول﴾[2] أي: النبي ﷺ ﴿علينا بعض الأقاويل﴾ بأن قال عنا ما لم نقله.

٤٥﴿لأخذنا﴾ لَنِلْنَا ﴿منه﴾ عقاباً ﴿باليمين﴾ [أي: لعاقبناه] بالقوة والقدرة.

٤٦﴿ثم لقطعنا منه الوتين﴾ نياط القلب، وهو: عرق متصل به، إذا انقطع مات صاحبه.

٤٧﴿فما منكم من أحد﴾ هو اسم «ما»، و «مِنْ» زائدة لتأكيد النفي، و «منكم» حال من «أحد» ﴿عنه حاجزين﴾ مانعين، خبر «ما»، وجُمِعَ لأن «أحداً» [إذا جاءت] في سياق النفي، [كانت] بمعنى الجمع، وضمير «عنه» للنبي صلى الله عليه وسلم، أي: لا مانع لنا عنه، من حيث العقاب.

٤٨﴿وإنه﴾ أي: القرآن ﴿لتذكرة للمتقين﴾.

٤٩﴿وإنا لنعلم أن منكم﴾ أيها الناس ﴿مكذبين﴾ بالقرآن، و [نعلم أيضاً أن منكم] مصدقين [به].

٥٠﴿وإنه﴾ أي: القرآن ﴿لحسرة على الكافرين﴾ إذا رأوا ثواب المصدقين، وعقاب المكذبين به.

٥١﴿وإنه﴾ أي: القرآن ﴿لحق اليقين﴾ أي: اليقين المتيقَّن حقَّ التيقُّن.

٥٢﴿فسبح﴾ نزه ﴿باسم﴾ زائدة ﴿ربك العظيم﴾ سبحانه.

وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

(٧٠) سُورَةُ المَعَارِجِ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا أَرْبَعٌ وَأَرْبَعُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ

﴿سورة المعارج﴾
(مكية، أربع وأربعون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١﴿سأل سائل﴾ دعا داع ﴿بعذاب واقع﴾. ٢﴿للكافرين ليس له

---

(١) قوله: «بالتاء والياء في الفعلين»، أي: في «ما تذكرون» في هذه الآية، و«ما تؤمنون» في الآية التي قبلها. وبيانه أن في: «تؤمنون» قراءتين، بالتاء والياء، أما: «تذكرون» ففيها ثلاث قراءات بالياء مع تشديد الذال فقط، وبالتاء مع تشديد الذال وتخفيفها.

(٢) قوله تعالى: ﴿ولو تقوّل علينا﴾ الآيات، هذا على سبيل الافتراض، أي: لو كان زعمكم أن القرآن من عند محمد ﷺ يأتي به من غير أن نوحيه إليه لعاجلناه بالعقوبة، ونحن قادرون على ذلك لا يمنعنا منه مانع، وكذلك أخذ الله عزَّ وجلَّ مدعي النبوة مسيلمة الكذاب، الذي هلك قتلاً على أيدي أصحاب محمد ﷺ، أي: ليس محمد متقوِّلاً بل هو صادق بارٌّ راشد، والله تعالى صدقه بالمعجزات وحماه وعصمه، وأيده بنصره وبالمؤمنين، وأعز دينه، وهزم أعداءه، فله سبحانه الحمد والشكر.

دافع﴾ هو النضر بن الحارث، قال: «اللهم إن كان هذا هو الحقَّ [من عندك، فأمطر علينا حجارة من السماء، أو ائتنا بعذاب أليم»]. ٣﴿من الله﴾ متصل، [أي: متعلق] بـ «واقع» ﴿ذي المعارج﴾ مصاعد الملائكة، وهي: السماوات. ٤﴿تعرج﴾ بالتاء والياء ﴿الملائكة والروح﴾ جبريل ﴿إليه﴾ إلى مهبط أمره من السماء ﴿في يوم﴾ متعلق بمحذوف، أي: يقع العذاب بهم في يوم القيامة ﴿كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ بالنسبة إلى الكافر، لما يلقى فيه من الشدائد، وأما المؤمن فيكون عليه أخف من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا، كما جاء في الحديث[1]. ٥﴿فاصبر﴾ وهذا قبل أن يؤمر بالقتال ﴿صبراً جميلاً﴾ أي: لا جزع فيه. ٦﴿إنهم يرونه﴾ أي: العذاب ﴿بعيداً﴾ غير واقع. ٧﴿ونراه قريباً﴾ واقعاً لا محالة.

دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾ * إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾

٨﴿يوم تكون السماء﴾ متعلق بمحذوف، أي: «يقع» ﴿كالمهل﴾ كذائب الفضة. ٩﴿وتكون الجبال كالعهن﴾ كالصوف، بالخفة والطيران بالريح. ١٠﴿ولا يسأل حميم حميماً﴾ قريبٌ قريبه، لاشتغال كلٍّ بحاله. ١١﴿يبصرونهم﴾ أي: يبصر الأحِمَّاءُ بعضهم بعضاً، ويتعارفون ولا يتكلمون، والجملة مستأنفة ﴿يود المجرم﴾ يتمنى الكافر ﴿لو﴾ بمعنى: «أن» ﴿يفتدي من عذاب يومئذ﴾ بكسر الميم وفتحها ﴿ببنيه﴾. ١٢﴿وصاحبته﴾ زوجته ﴿وأخيه﴾. ١٣﴿وفصيلته﴾ عشيرته، لفصله منها ﴿التي تؤويه﴾ تضمه [وتنصره]. ١٤﴿ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيه﴾ ذلك الافتداءُ، عطف على: «يفتدي». ١٥﴿كلَّا﴾ ردٌّ لما يَوَدُّه، [أي: لا ينجيه ذلك] ﴿إنها﴾ أي: النار ﴿لظى﴾ اسم لجهنم، لأنها تتلظى، أي: تتلهب على الكفار. ١٦﴿نزاعةً للشوى﴾ جمع «شَواة»، وهي: جلدة الرأس. ١٧﴿تدعو من أدبر وتولى﴾ عن الإيمان، بأن تقول: «إليَّ [يا مشرك]، إليَّ [يا كافر]».

١٨﴿وجمع﴾ المال ﴿فأوعى﴾ أمسكه في وعائه، ولم يؤد حق الله منه.

١٩﴿إن الإنسان خلق هلوعاً﴾ حال مقدرة، [أي: صار كذلك فيما بعد]، وتفسيره:

٢٠﴿إذا مسه الشر جزوعاً﴾ [لا يصبر] وقت مس الشر. ٢١﴿وإذا مسه الخير منوعاً﴾ وقت مس الخير، أي: المال. ٢٢﴿إلا المصلين﴾ أي: المؤمنين. ٢٣﴿الذين هم على صلاتهم دائمون﴾ مواظبون.

---

(١) قوله: «كما جاء في الحديث»، أي: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله يوم كان مقداره خمسين ألف سنة... ما أطول هذا اليوم؟. فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخفَّ عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا»، قال في «مجمع الزوائد»: رواه أحمد وأبو يعلى، وروى الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قالوا: يا رسول الله، فأين المؤمنون يومئذ؟ قال ﷺ: «يوضع لهم منابر من نور، يظلل عليهم الغمام، يكون ذلك اليوم أقصر على المؤمنين من ساعة من نهار».

٢٤﴿والذين في أموالهم حق معلوم﴾ هو الزكاة[1]. ٢٥﴿للسائل والمحروم﴾ المتعفف عن السؤال، فيُحرَم [حقَّه فيها]. ٢٦﴿والذين يصدقون بيوم الدين﴾ الجزاء. ٢٧﴿والذين هم من عذاب ربهم مشفقون﴾ خائفون. ٢٨﴿إن عذاب ربهم غير مأمون﴾ نزوله. ٢٩﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ [عن الزنا، فلا يقضون شهوتهم في حرام]. ٣٠﴿إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم﴾ من الإماء ﴿فإنهم غير ملومين﴾ [أي: في إتيانهن من حيث أمرهم الله تعالى، بل لهم في ذلك أجر، فقد روى مسلم، من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، قولَهُ ﷺ: «وفي بُضع ـ بضم الباء أي: جماع ـ أحدكم صدقة» قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «أرأيتم لو وضعها في حرام، أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال، كان له أجر»]. ٣١﴿فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾ المتجاوزون الحلال إلى الحرام. ٣٢﴿والذين هم لأماناتهم﴾ وفي قراءة بالإفراد: ما اؤتمنوا عليه، من أمر الدين والدنيا ﴿وعهدهم﴾ المأخوذ عليهم في ذلك ﴿راعون﴾ حافظون. ٣٣﴿والذين هم بشهاداتهم﴾ [بالإفراد]، وفي قراءة بالجمع ﴿قائمون﴾ يقيمونها ولا يكتمونها. ٣٤﴿والذين هم على صلاتهم يحافظون﴾ بأدائها في أوقاتها. ٣٥﴿أولئك في جنات مكرمون﴾. ٣٦﴿فما للذين كفروا قبلك﴾ نحوك ﴿مهطعين﴾ حال، أي: مديمي النظر. ٣٧﴿عن اليمين وعن الشمال﴾ منك ﴿عزين؟﴾ حال أيضاً، أي: جماعات حِلَقاً حِلَقاً، يقولون استهزاء بالمؤمنين: «لئن دخل هؤلاء الجنة، لندخلنَّها قبلهم». ٣٨ قال تعالى: ﴿أيطمع كل امرىء منهم أن يدخل﴾ [بالبناء للمفعول والفاعل] ﴿جنة نعيم﴾؟. ٣٩﴿كلَّا﴾ ردع لهم عن طمعهم في الجنة ﴿إنا خلقناهم﴾ كغيرهم ﴿مما يعلمون﴾ من نُطَف، فلا يُطْمَعُ بذلك في الجنة، وإنما يُطمَع فيها بالتقوى. ٤٠﴿فلا﴾ «لا» زائدة [لتأكيد القسم] ﴿أقسم برب المشارق

وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَـٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى جَنَّـٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَـٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَـٰرِقِ

(١) قوله: «هو الزكاة»، روى الشيخان ـ واللفظ لمسلم ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من صاحب فضة ولا ذهب ـ أي: مال نقديّ ـ لا يؤدي منها حقها ـ أي: زكاتها ـ إلا إذا كان يومُ القيامة صفِّحتْ له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جَنْبُهُ وجبينُهُ وظهرُهُ، كلما بردت أعيدت له، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار» ثم ذكر: الإبل والبقر والغنم كذلك.

ووهم بعضهم فظن أنه لا زكاة على المال المتداول في أيامنا من أوراق وعملات غير الذهب والفضة، وهذا خطأ يدركه المتأمل، فحامل هذه الأوراق المالية لا يملك ورقة عادية ـ إذن لكان أعطاها لمن يعطيه أكبر حجماً منها ـ بل هو يحمل «قيمة»، وما المال إلا قيمة، وجميع المعاملات المالية في العالم كله تتم بهذه الطريقة أي: بحمل القيمة لا بحمل عين الذهب والفضة كما كان في الماضي، فالصحيح أن الزكاة واجبة فيها لأن الزكاة ليست عن «الورقة» بل عن قيمتها التي لولاها لما كانت مالاً، فطالما أن لهذه الأوراق قيمة فهي «مال»، وقد حلت محل =

والمغارب﴾ للشمس والقمر، وسائر [منازل] الكواكب [ومواقعها] ﴿إنا لقادرون﴾. ٤١﴿على أن نبدل﴾ نأتي بدلهم ﴿خيراً منهم وما نحن بمسبوقين﴾ بعاجزين عن ذلك. ٤٢﴿فذرهم﴾ اتركهم ﴿يخوضوا﴾ في باطلهم ﴿ويلعبوا﴾ في دنياهم ﴿حتى يلاقوا﴾ يلقوا ﴿يومهم الذي يوعدون﴾ فيه العذاب. ٤٣﴿يوم يخرجون من الأجداث﴾ القبور، [جمع «جَدَث»] ﴿سراعاً﴾ إلى المحشر ﴿كأنهم إلى نَصْب﴾ [بفتح النون وسكون الصاد]، وفي قراءة بضم الحرفين: شيء منصوب كَعَلَم أو راية ﴿يوفضون﴾ يسرعون. ٤٤﴿خاشعة﴾ ذليلة ﴿أبصارهم ترهقهم﴾ تغشاهم ﴿ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون﴾ «ذلك» مبتدأ، وما بعده الخبر، ومعناه: يوم القيامة.

وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

(٧١) سُورَةُ نُوحٍ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا ثَمَانٍ وَعِشْرُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ

﴿ سُورَةُ نُوحٍ ﴾

[عليه السلام]

(مكية، ثمانٍ، أو: تسع وعشرون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١﴿إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر﴾ أي: بإنذار ﴿قومك من قبل أن يأتيهم﴾ إن لم يؤمنوا ﴿عذاب أليم﴾ مؤلم، في الدنيا والآخرة.
٢﴿قال يا قوم إني لكم نذير مبين﴾ بيِّن الإنذار.
٣﴿أن﴾ أي: بأن أقول لكم ﴿اعبدوا الله﴾ [وحدوه] ﴿واتقوه وأطيعون﴾ [فيما آمركم به، فإني رسول الله إليكم]. ٤﴿يغفر

= الذهب والفضة في كونها ثمناً للسّلع، ففيها الزكاة، وعندما تفقد قيمتها بأن تصبح ملغاة أو تكون مزورة فلا زكاة فيها لأنها ليست مالاً بل هي أوراق عادية، وهذه الأوراق المالية على اختلافها، حُكمُها حُكمُ الذهب والفضة، والحنطة والشعير وغير ذلك، فكلها «مال» وتندرج تحت معنى قوله تعالى: ﴿وفي أموالهم..﴾ وفيها الزكاة، بل إن كل شيء تعتبره خزينة «الدولة» مالاً، ويتعامل به الناس على هذا الأساس، فالزكاة فيه واجبة من أيّ معدن كان، لأنه يصير بذلك نقداً، ولا ينطبق على الأوراق المالية حكم «المغشوش» الذي قال الفقهاء: إنه لا زكاة فيه، لأن هذه الأوراق ليست مغشوشة، بل هي نقد معتبر تُصدره خزينة الدولة، أما المغشوشة منها فهو: «المزوَّر»، والعملة المزورة لا زكاة فيها بلا خلاف لأنها ليست مالاً، ولا قيمة لها أصلاً بل هي محظورة التداول، أما النقود المغشوشة في الماضي فقد كانت متداولة بين التجار والناس فقط، وكان «بيت المال» يردها ولا يقبلها، فلذلك قالوا: لا زكاة فيها.

ثم: أليس باستطاعة مالك هذه الأوراق النقدية أن يشتري بها ما شاء من الذهب والفضة؟ وأن يبيع بها ما يشاء منهما أيضاً؟ فما الفرق ـ إذن ـ بين هذه وهذين؟.. ثم هل يجوز لحامل هذه الأوراق ـ وهو يرى أنها ليست مالاً بل يراها مغشوشة غشاً خالصاً ـ هل يجوز له أن يتعامل بها؟ فكيف يراها من جانب مالاً فيبيع بها ويشتري، وفي الوقت نفسه يراها من جانب آخر مغشوشة لا زكاة فيها؟ فلو لم تكن الأوراق المالية مالاً صحيحاً معتبراً، لوجب الإفتاء بتحريم التعامل بها منعاً للغش والخديعة وأكل مال الناس بغير حق، وهذا ما لم يقله أحد حتى الآن، فالزكاة واجبة فيها قطعاً، ولو أخذنا بقول القائلين بغير ذلك لانعدمت الزكاة بالكلية، =

لكم من ذنوبكم﴾ «من» زائدة، فإن الإسلام يُغْفَرُ به ما قبله، أو: تبعيضية، لإخراج حقوق العباد[1] ﴿ويؤخركم﴾ بلا عذاب ﴿إلى أجل مسمى﴾ أجل الموت ﴿إن أجل الله﴾ بعذابكم، إن لم تؤمنوا ﴿إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون﴾ ذلك لآمنتم.

٥﴿قال رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً﴾ أي: دائماً متصلاً.

٦﴿فلم يزدهم دعائي إلا فراراً﴾ عن الإيمان.

٧﴿وإني كلما دعوتهم﴾ [إلى الإيمان] ﴿لتغفر لهم﴾ [بإيمانهم] ﴿جعلوا أصابعهم في آذانهم﴾ لئلا يسمعوا كلامي ﴿واستغشوا ثيابهم﴾ غطوا رؤوسهم بها، لئلاّ يبصروني ﴿وأصروا﴾ على كفرهم ﴿واستكبروا﴾ تكبروا عن الإيمان ﴿استكباراً﴾.

لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ

٨﴿ثم إني دعوتهم جهاراً﴾ أي: بأعلى صوتي. ٩﴿ثم إني أعلنت لهم﴾ صوتي ﴿وأسررت﴾ الكلام ﴿لهم إسراراً﴾ [أي: لم أبْقِ جُهداً].

١٠﴿فقلت استغفروا ربكم﴾ من الشرك ﴿إنه كان غفاراً﴾ [لمن تاب وآمن].

١١﴿يرسل السماء﴾ المطر، وكانوا قد مُنِعُوه ﴿عليكم مدراراً﴾ كثير الدرور.

١٢﴿ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات﴾ بساتين ﴿ويجعل لكم أنهاراً﴾ جارية.

١٣﴿ما لكم لا ترجون لله وقاراً؟﴾ أي: [لا] تأملون وقارَ الله إياكم، [ومحبته لكم]، بأن تؤمنوا، [وقال سعيد بن جبير وغيره: ما لكم لا ترجون لله ثواباً، ولا تخافون له عقاباً؟].

١٤﴿وقد خلقكم أطواراً﴾ جمع «طَوْر» وهو: الحال، فَطَوْراً: نطفة، وطوراً: علقة، إلى تمام خلق الإنسان، والنظر في خلقه، يوجب الإيمان بخالقه.

١٥﴿ألم تروا﴾ تنظروا ﴿كيف خلق الله سبع سماوات طباقاً﴾ بعضها فوق بعض؟

١٦﴿وجعل القمر فيهن﴾ أي: في مجموعهن، الصادق بالسماء الدنيا ﴿نوراً وجعل

= ولتعطل ركن من أعظم أركان الإسلام، ولوجد بخلاء الأغنياء ـ وما أكثرهم ـ في هذه الفتوى حجة لمنع الزكاة، وحيلة لأكل حق أهل الزكاة فيها، هذا مع العلم بأن القول بعدم وجوب الزكاة في الأوراق النقدية، لم ينسب إلى غير مذهب الشافعية، وقد بيّنا بناء على هذا المذهب، أن قياس حكم الأوراق النقدية على ما قالوه في حكم زكاة المغشوش هو قياس مع الفارق، وغير مستوفٍ شروط القياس الصحيح. والله تعالى أعلم.

(١) قوله: «لإخراج حقوق العباد»، أي: لأن الله تعالى لا يغفرها لأحد حتى للشهيد، إلا إذا سامح صاحبُ الحق بحقه، ارجع إلى تعليقنا حول «التوبة» ص ٧٥٢.

الشمس سراجاً﴾ مصباحاً مضيئاً، وهو أقوى من نور القمر، ١٧ ﴿والله أنبتكم﴾ خلقكم ﴿من الأرض﴾ إذ خلق أباكم آدم منها ﴿نباتاً﴾ [أي: من تراب، ثم من طين، ثم من حمأ مسنون، ثم من صلصال كالفخار]. ١٨ ﴿ثم يعيدكم فيها﴾ مقبورين [عند موتكم] ﴿ويخرجكم﴾ للبعث ﴿إخراجاً﴾. ١٩ ﴿والله جعل لكم الأرض بساطاً﴾ مبسوطة [مسهلة للحياة]. ٢٠ ﴿لتسلكوا منها سبلاً﴾ طرقاً ﴿فجاجاً﴾ واسعة، [فتمشوا في مناكبها، وتأكلوا من رزقه]. ٢١ ﴿قال نوح رب إنهم عصوني واتبعوا﴾ أي: السفلة والفقراء ﴿من لم يزده ماله وولده﴾ وهم: الرؤساء، المُنْعَم عليهم بذلك، و «وُلْده»، بضم الواو وسكون اللام، وبفتحهما، والأول، قيل: جمع «وَلَد» ــ بفتحهما، كـ «خُشْبٍ» و «خَشَبٍ»، وقيل[1]: بمعناه كـ «بُخْلٍ» و «بَخَلٍ»، [فهما بمعنى واحد] ﴿إلا خساراً﴾ طغياناً وكفراً.

ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ

٢٢ ﴿ومكروا﴾ أي: الرؤساء ﴿مكراً كباراً﴾ عظيماً جداً، بأن كذبوا نوحاً وآذوه ومن اتبعه.
٢٣ ﴿وقالوا﴾ للسفلة ﴿لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً﴾ بفتح الواو وضمها ﴿ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً﴾ هي أسماء أصنامهم، [أي: لا تتركوا عبادتها، كما يطلب منكم نوح].
٢٤ [قالوا ذلك] ﴿وقد أضلوا﴾ بها ﴿كثيراً﴾ من الناس، بأن أمروهم بعبادتها ﴿ولا تزد الظالمين إلا ضلالاً﴾ عطف على: «قد أضلوا»، دعا عليهم لما أوحي إليه: «أنه لن يؤمن مِنْ قومك إلا مَنْ قد آمن».
٢٥ ﴿مما﴾ «ما» صلة ﴿خطاياهم﴾ وفي قراءة: «خطيئاتهم» بالهمز، [أي: بسببها] ﴿أغرقوا﴾ بالطوفان ﴿فأدخلوا ناراً﴾ عوقبوا بها عقب الإغراق[2] تحت الماء ﴿فلم يجدوا لهم من دون الله﴾ أي: غيره ﴿أنصاراً﴾ يمنعون عنهم العذاب.
٢٦ ﴿وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً﴾ أي: نازل دار، والمعنى: [لا تترك منهم] أحداً.
٢٧ ﴿إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً﴾ من يفجر ويكفر، قال ذلك، لِمَا تقدم من الإيحاء إليه.
٢٨ ﴿رب اغفر لي ولوالدي﴾ وكانا مؤمنين.

---

(١) قوله: «وقيل بمعناه»، أي: «ولد» بضم الواو وسكون اللام ـ وبفتحهما، هما لغتان في «الوَلَد» مثل: البَخَل والبُخْل، والعَدَم والعُدْم، فيتفق لفظ الواحد في كلا اللغتين مع لفظ الجمع، كما قالوا: «الفُلْك» في الواحد وفي الجمع.

(٢) قوله «عوقبوا بها عقب الإغراق تحت الماء» أي: في الدنيا، فكانوا يَغرقون من جانب ويحترقون في الماء من جانب، وهذا القول مروي عن الضحاك بن مزاحم رحمه الله، وهو قول غير قوي، والصحيح الذي قرره الرازي وقدمه القرطبي: أنهم أدخلوا بعد إغراقهم، وهذا يدل على عذاب القبر لأن الإدخال حصل فور الإغراق، فلا يمكن حملها على عذاب الآخرة وإلا بطلت دلالة الفاء. ارجع إلى تعليقنا حول «عذاب القبر ونعيمه» ص ٣٣٤، وتعليقنا حول «مصير الروح بعد الموت» ص ١٩٨.

﴿ولمن دخل بيتي﴾ منزلي، أو: مسجدي ﴿مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات﴾ إلى يوم القيامة ﴿ولا تزد الظالمين إلا تباراً﴾ هلاكاً فأهلكوا.

وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾

(٧٢) سُورَةُ الجِنّ مكيّة وآياتها ثمان وعشرون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ

حزب ٥٨

﴿ سُورَةُ الجِنّ ﴾

(مكية، ثمان وعشرون آية)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿قل﴾ يا محمد للناس ﴿أوحي إلي﴾ أي: أخبرتُ بالوحي من الله تعالى ﴿أنه﴾ الضمير للشأن ﴿استمع﴾ لقراءتي ﴿نفر من الجن﴾[1] جن «نَصيبين»، [وهي: قرية في اليمن]، وذلك في صلاة الصبح «ببطن نخلة»، موضع بين مكة والطائف، وهم الذين ذكروا في قوله تعالى: «وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن»، الآية [٢٩ من سورة «الأحقاف» ص ٦٧٠] ﴿فقالوا﴾ لقومهم لما رجعوا إليهم ﴿إنا سمعنا قرآناً عجباً﴾ يُتعجب منه، في فصاحته وغزارة معانيه، وغير ذلك. ٢ ﴿يهدي إلى الرشد﴾ الإيمان والصواب ﴿فآمنا به ولن نشرك﴾ بعد اليوم ﴿بربنا أحداً﴾. ٣ ﴿وأنه﴾ الضمير للشأن، فيه وفي الموضعين بعده ﴿تعالى جد ربنا﴾ تنزه جلاله وعظمته، عمّا نسب إليه ﴿ما اتخذ صاحبة﴾ زوجة ﴿ولا ولداً﴾. ٤ ﴿وأنه كان يقول سفيهنا﴾ جاهلنا ﴿على الله شططاً﴾ غلواً في الكذب، بوصفه بالصاحبة والولد. ٥ ﴿وأنا ظننا أن﴾ مخففة، أي: أنه ﴿لن تقول الإنس والجن على الله كذباً﴾ بوصفه بذلك، حتى تبينا كذبهم بذلك. ٦ قال تعالى: ﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون﴾ يستعيذون ﴿برجال من الجن﴾ حين ينزلون في سفرهم بِمَخُوفٍ، فيقول كل رجل: أعوذ بسيّد هذا المكان، من شر سفهائه.

---

(١) قوله تعالى: ﴿نفر من الجن...﴾ إلخ، أخرج البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا رآهم، ولكنه انطلق في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عُكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلتْ عليهم الشهب، فرجعوا إلى قومهم فقالوا: ما هذا إلا لشيء قد حدث، فاضربوا مشارقَ الأرض ومغاربها فانظروا ــ هذا الذي حدث ــ، فانطلقوا، فانصرف النفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ وهو بنخلة، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن، استمعوا له، فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا إنا سمعنا قرآناً عجباً، فأنزل الله على نبيه ﴿قل أوحي إليّ...﴾ الآيات، وإن الذي أوحي إليه هو قولُ الجن، كما جاء في سورتي: «الأحقاف» ص ٦٧٠ و «الجن»، هذا في المرة الأولى التي استمع فيها الجنُّ القرآن، ولكنه ﷺ خرج مرة أخرى ملبياً داعي الجن، كما رواه مسلم وأحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فدعاهم إلى الله تعالى وقرأ عليهم القرآن، لأنه ﷺ مبعوث إلى الثقلين، كما سيأتي، ويقال للجن: «الجِنَّة» بكسر الجيم ومنه قوله تعالى في سورة «الناس»: =

﴿فزادوهم﴾ بعوذهم بهم ﴿رهقاً﴾ طغياناً، فقالوا: سُدْنا الجن والإنس. ٧﴿وأنَّهم﴾ أي: الجن ﴿ظنوا كما ظننتم﴾ يا إنس ﴿أن﴾ مخففة، أي: أنه ﴿لن يبعث الله أحداً﴾ بعد موته. ٨ قال الجن: ﴿وأنا لمسنا السماء﴾ رُمْنا استراق السمع ﴿فوجدناها ملئت حرساً﴾ من الملائكة ﴿شديداً وشهباً﴾ نجوماً محرقة، [والصحيح أن «الشهاب»: قبس ينفصل عن الكوكب، لا أن الكوكب يزول عن مكانه]، و[قد حصل] ذلك، لمَّا بُعث النبي ﷺ. ٩﴿وأنا كنا﴾ أي: قبل مبعثه ﴿نقعد منها مقاعد للسمع﴾ أي: نستمع ﴿فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً﴾ أُرصِدَ له، ليُرمَى به. ١٠﴿وأنا لا ندري أشر أريد﴾ بعدم استراق السمع ﴿بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً﴾ خيراً؟ ١١﴿وأنا منا الصالحون﴾ بعد استماع القرآن ﴿ومنا دون ذلك﴾ أي: قوم غير صالحين ﴿كنا طرائق قدداً﴾ فرقاً مختلفة، مسلمين وكافرين. ١٢﴿وأنا ظننا أن﴾ مخففة، أي: أنه ﴿لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هرباً﴾ لا نفوته كائنين في الأرض، أو: هاربين منها. ١٣﴿وأنا لما سمعنا الهدى﴾ القرآن ﴿آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف﴾ بتقدير «هو» بعد الفاء، [أي: فهو لا يخاف] ﴿بخساً﴾ نقصاً من حسناته ﴿ولا رهقاً﴾ ظلماً، بالزيادة في سيئاته. ١٤﴿وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون﴾ الجائرون بكفرهم ﴿فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً﴾ قصدوا هداية. ١٥﴿وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً﴾ وقوداً، [وفي:] «وأنا» و«أنهم» و«أنه»، في اثني عشر موضعاً، هي: و«أنه تعالى»، و«أنا منا المسلمون» وما بينهما، [قراءتان]: بكسر الهمزة استئنافاً، وبفتحها بما يوجَّه به، [أي: بأن يؤوَّل بمصدر يعطف على المصدر]. ١٦ قال تعالى في كفار مكة: ﴿وأن﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف، أي: وأنهم، وهو معطوف على «أنه استمع» ﴿لو استقاموا على الطريقة﴾ أي: طريقة الإسلام ﴿لأسقيناهم ماءً غدقاً﴾ كثيراً من السماء، وذلك بعد ما رفع المطر عنهم سبع سنين، [كما تقدم في سورة «الدخان» ص ٦٥٧].

فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾

= ﴿من الجنة والناس﴾، وهم خلق من مخلوقات الله تعالى حقيقة لا وهماً، فيجب الإيمان بوجودهم، لأن النصوص من الكتاب والسنة متضافرة على ذلك، وعليه انعقد الإجماع، ولا عبرة بمزاعم النافين لوجودهم، فمن الآيات والأحاديث الكثيرة فيهم نلخِّص ما يلي:

الجن أجسام لطيفة، خلقهم الله تعالى من النار، وهم عقلاء مكلفون، ذكور وإناث يتناسلون ويتوالدون، شملتهم رسالة محمد ﷺ، فمنهم المسلمون ومنهم الكافرون، مسلموهم يدخلون الجنة، وكافروهم في النار مخلَّدون، لم يُرسل الله تعالى من الجن رسلاً، بل فيهم منذرون، أي: مؤمنون يبلغون قومهم دعوة الرسول من الإنس، يأكلون ويشربون، هم يروننا لأننا أجسام كثيفة، ونحن لا نراهم على حقيقتهم التي خلقهم الله عليها لأنهم أجسام لطيفة، وقد بينا أقوال العلماء في هذه المسألة، في تعليقنا على قوله تعالى: =

١٧ ﴿لنفتنهم﴾ لنختبرهم ﴿فيه﴾ فنعلم كيف شكرهم، عِلمَ ظهور ﴿ومن يعرض عن ذكر ربه﴾ أي: القرآن ﴿نسلكه﴾ بالنون والياء: ندخله ﴿عذاباً صعداً﴾ شاقاً. ١٨ ﴿وأن المساجد﴾ مواضع الصلاة ﴿لله فلا تدعوا﴾ فيها ﴿مع الله أحداً﴾ بأن تشركوا، كما كانت اليهود والنصارى، إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا. ١٩ ﴿وأنه﴾ بالفتح والكسر استئنافاً، والضمير للشأن ﴿لما قام عبد الله﴾ محمد النبي ﷺ ﴿يدعوه﴾ يعبده ببطن نخلة ﴿كادوا﴾ أي: الجن المستمعون لقراءته ﴿يكونون عليه لبداً﴾ بكسر اللام وضمها، [فعلى قراءة الكسر:] جمع «لِبْدَة»، [أي:] كاللِّبد في ركوب بعضهم بعضاً، ازدحاماً على سماع القرآن، [وعلى القراءة بضم اللام: ــ «لُبَداً» ــ هو واحد يدل على الكثرة]. ٢٠ ﴿قال﴾ مجيباً للكفار في قولهم: «ارجع عما أنت فيه»، وفي قراءة: «قل» ﴿إنما أدعو ربي﴾ إلَهاً ﴿ولا أشرك به أحداً﴾. ٢١ ﴿قل إني لا أملك لكم ضراً﴾ غياً ﴿ولا رشداً﴾ خيراً. ٢٢ ﴿قل إني لن يجيرني من الله﴾ من عذابه إن عصيته ﴿أحد ولن أجد من دونه﴾ أي: غيره ﴿ملتحداً﴾ ملتجأ. ٢٣ ﴿إلا بلاغاً﴾ استثناء من مفعول «أملك»، أي: لا أملك لكم إلا البلاغ إليكم ﴿من الله﴾ أي: عنه ﴿ورسالاته﴾ عطف على «بلاغاً»، وما بين المستثنى منه والاستثناء اعتراض، لتأكيد نفي الاستطاعة ﴿ومن يعص الله ورسوله﴾ في التوحيد، فلم يؤمن ﴿فإن له نار جهنم خالدين﴾ حال من ضمير «مَنْ»، [الملحوظ] في: «له»، رعاية لمعناها، وهي حال مقدَّرة، والمعنى: يدخلونها مقدَّراً خلودهم ﴿فيها أبداً﴾. ٢٤ ﴿حتى إذا رأوا﴾ [«حتى»] ابتدائية، فيها معنى الغاية لمقدَّر قبلَها، أي: لا يزالون على كفرهم، إلى أن يروا ﴿ما يوعدون﴾ من العذاب ﴿فسيعلمون﴾ عند حلوله بهم يوم «بدر»، أو: يوم القيامة ﴿من أضعف ناصراً وأقل عدداً﴾ أعواناً، أهم أم المؤمنون؟ على القول الأول، أو: أنا أم هم؟ على الثاني، فقال بعضهم: متى هذا الوعد؟ فنزل: ٢٥ ﴿قل إن﴾ أي: ما ﴿أدري أقريب ما توعدون﴾ من العذاب ﴿أم يجعل له ربي أمداً﴾ غاية وأجلاً لا يعلمه إلا هو؟ ٢٦ ﴿عالم الغيب﴾ ما غاب عن العباد ﴿فلا يظهر﴾ يطلع ﴿على غيبه أحداً﴾ من الناس. ٢٧ ﴿إلا من ارتضى من رسول فإنه﴾ مع اطلاعه على ما شاء منه معجزة له ﴿يسلك﴾ يجعل ويسيِّر ﴿من بين يديه﴾ أي: الرسول ﴿ومن

لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ

= ﴿إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم﴾ ص ١٩٥، أعطاهم الله تعالى القدرة على أن يظهروا في صور مختلفة كالإنسان والحيوان، وأكثر ما يتصورون لنا في صور الحيَّات كما في أحاديث في صحيح مسلم، أما النبي ﷺ فلا يمتنع أن يكون رآهم في صورهم كما يرى الملائكة ــ كما قال ابن العربي ــ فقد روى مسلم في صحيحه، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إنه أتاني داعي الجن فذهبت معهم فقرأت عليهم القرآن»، قال ابن مسعود: «فانطلق فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم»، فهذه الطرق التي في «صحيح مسلم» تدل على أنه ﷺ رآهم وذهب إليهم قصداً، فتلا عليهم القرآن ودعاهم إلى الله عز وجل، وشرع الله تعالى لهم على لسانه ما هم محتاجون إليه في ذلك الوقت، أما جن «نصيبين» الذين استمعوا إليه وهو يصلي ببطن نخلة، فلم يرهم النبي ﷺ ولم يشعر بحضورهم واستماعهم. =

خلفه رصداً﴾ ملائكة يحفظونه، حتى يبلِّغه في جملة الوحي. ٢٨ ﴿ليعلم﴾ الله علم ظهور، [أي: ليَظهر ما علمه] ﴿أن﴾ مخففة من الثقيلة، أي: أنه ﴿قد أبلغوا﴾ الرسل ﴿رسالات ربهم﴾ روعي بجمع الضمير معنى «مَنْ» ﴿وأحاط بما لديهم﴾ عطف على مقدر، أي: فعلم ذلك ﴿وأحصى كل شيء عدداً﴾ تمييز، وهو محول المفعول، والأصل: أحصى عَدَدَ كل شيء.

﴿سُورَةُ المُزَّمِّل﴾

(مكية، أو: إلَّا قوله: «إن ربك يعلم..» إلى آخرها، فمدني، تسع عشرة، أو: عشرون آية)

خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾

(٧٣) سُورَةُ المُزَّمِّل مَكِّيَّة وَآيَاتُهَا عِشْرُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ﴿يا أيها المزَّمِّل﴾ [هو] النبي ﷺ، وأصله: «المتزمل»، أدغمت التاء في الزاي، أي: المتلفِّف بثيابه حين مجيء الوحي، خوفاً منه لهيبته، [كما سيأتي في سورة «المدثِّر»]. ٢ ﴿قم الليل﴾ صلِّ ﴿إلاَّ قليلاً﴾. ٣ ﴿نصفه﴾ بدل من «قليلاً»، وقلَّته بالنظر إلى الكل ﴿أو انقص منه﴾ من النصف ﴿قليلاً﴾ إلى الثلث. ٤ ﴿أو زد عليه﴾ إلى الثلثين، و«أو» للتخيير ﴿ورتل القرآن﴾ تثبت في تلاوته ﴿ترتيلاً﴾ [أي: اقرأه على مَهَلٍ وبيانٍ، مع تدبر المعاني]. ٥ ﴿إنا سنلقي عليك قولاً﴾ قرآناً ﴿ثقيلاً﴾ مهيباً، أو: شديداً، لما فيه من التكاليف. ٦ ﴿إن ناشئة الليل﴾ القيام بعد النوم ﴿هي أشد وِطَاءً﴾ [بكسر الواو، وفتح الطاء والمدِّ، أي:] موافقة [من] السمع للقلب على تفهم القرآن، [لانقطاع الأصوات والحركات، فيواطىء السمعُ القلب، وفي قراءة: «وَطْأً» بفتح الواو وسكون الطاء، أي: أثبت قراءة وقياماً] ﴿وأقوم قيلاً﴾ أبين قولاً. ٧ ﴿إن لك في النهار سبحاً طويلاً﴾ تصرفاً في أشغالك لا تفرُغُ فيه لتلاوة القرآن. ٨ ﴿واذكر اسم ربك﴾ أي: قل «بسم الله الرحمن الرحيم»، في ابتداء قراءتك ﴿وتبتل﴾ انقطعْ ﴿إليه﴾ في العبادة ﴿تبتيلاً﴾ مصدر «بتَّل»، [واقع موقع: «تبتُّلاً» الذي هو مصدر «تَبَتَّل»]، جيء به رعاية للفواصل، [أي: لرؤوس الآي]، وهو ملزوم التبتل، [أي: انقطع بعبادتك إليه تعالى، ولا تشرك به غيره]. ٩ هو ﴿رب المشرق والمغرب لا إله إلاَّ هو

= ويستطيع الجنيُّ الدخول في جسد الإنسي، قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلاَّ كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المسِّ﴾: في هذه الآية دليل على فساد إنكار «الصَّرْع» من جهة الجن، وزعم أنه من فعل الطبائع، وأن «الشيطان لا يسلك في الإنسان، ولا يكون منه مسٌّ». اهـ. وهذا ما عليه جمهور العلماء. والدليل على وقوع تسلط الشيطان على أجساد بني آدم بالأذى قوله تعالى: ﴿واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب﴾ فكان له تسلط على جسده لا على عقله وقلبه، لأنه ليس له سلطان على عباد الله المخلصين، ويداوى «المصروع» بتلاوة القرآن، كآية الكرسي والمعوذتين وبالذكر والدعاء، ولا يجوز استعمال ما سوى ذلك مطلقاً. =

فاتخذه وكيلاً﴾ موكولاً له أمورُك. ١٠ ﴿واصبر على ما يقولون﴾ أي: كفار مكة، من أذاهم ﴿واهجرهم هجراً جميلاً﴾ لا جزع فيه، وهذا قبل الأمر بقتالهم. ١١ ﴿وذرني﴾ اتركني ﴿والمكذبين﴾ عطف على المفعول، أو: مفعول معه، والمعنى: أنا كافيكهم، وهم صناديد قريش ﴿أولي النعمة﴾ التنعم ﴿ومهلهم قليلاً﴾ من الزمن، فقُتلوا بعد يسير منه ببدر. ١٢ ﴿إن لدينا أنكالاً﴾ قيوداً ثقالاً، جمع: «نِكْل» بكسر النون ﴿وجحيماً﴾ ناراً محرقة. ١٣ ﴿وطعاماً ذا غصة﴾ يُغَصُّ به في الحلق، وهو: «الزَّقوم»، أو: «الضَّريع»، أو: «الغِسْلين»، أو: «شوك من نار» لا يخرج ولا ينزل ﴿وعذاباً أليماً﴾ مؤلماً، زيادة على ما ذُكر، لمن كذَّب النبي ﷺ. ١٤ ﴿يوم ترجف﴾ تُزَلْزَلُ ﴿الأرض والجبال وكانت الجبال كثيباً﴾ رملاً مجتمعاً ﴿مهيلاً﴾ سائلاً بعد اجتماعه، وهو من: «هال» «يَهيل»، وأصله: «مَهْيُول»، استُثقلت الضمة على الياء، فنقلت إلى الهاء، وحذفت الواو ثاني الساكنين لزيادتها، وقلبت الضمة كسرةً لمجانسة الياء. ١٥ ﴿إنا أرسلنا إليكم﴾ يا أهل مكة ﴿رسولاً﴾ هو محمد ﷺ ﴿شاهداً عليكم﴾ يوم القيامة، بما يصدر منكم من العصيان ﴿كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً﴾ هو «موسى» عليه الصلاة والسلام. ١٦ ﴿فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً وبيلاً﴾ شديداً. ١٧ ﴿فكيف تتقون إن كفرتم﴾ في الدنيا ﴿يوماً﴾ مفعول: «تتقون»، أي: عذابه، أي: بأيّ حصن تتحصنون من عذاب يوم ﴿يجعل الولدان شيباً؟﴾ جمع «أشيب» لشدة هوله، وهو: يوم القيامة، والأصل في شين: «شيباً» الضم، وكسرت لمجانسة الياء، ويقال في اليوم الشديد: يوم يُشَيِّبُ نواصي الأطفال، وهو مجاز، ويجوز أن يكون المراد في الآية الحقيقة. ١٨ ﴿السماء منفطر﴾ ذات انفطار، أي: انشقاق ﴿به﴾ بذلك اليوم لشدته ﴿كان وعده﴾ تعالى بمجيء ذلك ﴿مفعولاً﴾ أي: هو كائن لا محالة. ١٩ ﴿إن هذه﴾ الآيات المَخُوفَة ﴿تذكرة﴾ عظة للخلق ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً﴾ طريقاً بالإيمان والطاعة. ٢٠ ﴿إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى﴾ أقل ﴿من ثلثي الليل ونصفِه وثلثِه﴾ بالجر: عطف على «ثلثي»، وبالنصب، عطف على «أدنى»، وقيامه كذلك، نحو ما أُمِرَ به أول السورة ﴿وطائفة من الذين معك﴾ عطف على ضمير: «تقوم»، وجاز من غير تأكيد للفصل، وقيام طائفة من أصحابه كذلك، للتأسي به، ومنهم من كان لا يدري، كم صلى من الليل؟ وكم بقي منه؟ فكان يقوم الليل كلَّه احتياطاً، فقاموا حتى انتفخت أقدامهم، سنةً أو أكثر، فخفَّف عنهم، قال تعالى: ﴿والله يقدر﴾ يحصي ﴿الليل والنهار

فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ * إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ

= أما الاتصال بالجن بأوراد وأقوال مخصوصة والتحدث معهم فأمر ممكن الحصول، وواقع بالفعل ولكنه غير جائز شرعاً، لما يترتب عليه من أضرار في دين الفاعل ونفسه، والشواهد من الواقع على ذلك كثيرة، وعلى المسلمين أن يحذروا أولئك المشعبذين، الذين يغشون الناس بما يدعونه من تلقي العلوم والأخبار والعلاجات الطبية عن الجن، فأكثر الجن مردة فاجرون، لا يريدون للمؤمن إلا الأذى والسوء.

والجن لا يعلمون الغيب، وكذلك الآخذون عنهم من الإنس، روى الشيخان عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: سأل أناس رسول الله ﷺ عن الكُهَّان فقال رسول الله ﷺ: «إنهم ليسوا بشيء» قالوا: يا رسول الله، إنهم يتحدثون أحياناً بالشيء يكون حقاً، فقال رسول الله ﷺ: «تلك الكلمة من الحق يَخْطَفُها =

عَلِمَ أن﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف، أي: أنه ﴿لن تحصوه﴾ أي: الليل، لتقوموا فيما يجب القيام فيه، إلَّا بقيام جميعه، وذلك يَشُقُّ عليكم ﴿فتاب عليكم﴾ رجع بكم إلى التخفيف ﴿فاقرؤوا ما تيسر من القرآن﴾ في الصلاة، بأن تصلُّوا ما تيسر ﴿علم أن﴾ مخففة من الثقيلة، أي: أنه ﴿سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض﴾ يسافرون ﴿يبتغون من فضل الله﴾ يطلبون من رزقه، بالتجارة وغيرها ﴿وآخرون يقاتلون في سبيل الله﴾ وكل من الفرق الثلاث، يَشُقُّ عليهم ما ذُكر في قيام الليل، فخفف عنكم بقيام ما تيسر منه، ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس ﴿فاقرؤوا ما تيسر منه﴾ [أي في الصلاة] كما تقدم ﴿وأقيموا الصلاة﴾ المفروضة ﴿وآتوا الزكاة وأقرضوا الله﴾ بأن تنفقوا ما سوى المفروض من المال، في سبيل الخير ﴿قرضاً حسناً﴾ عن طيب قلب ﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً﴾ مما خلفتم، و «هو» [ضمير] فصل، [واقع بعد معرفة]، وما بعده [أي: «خيراً»]، وإن لم يكن معرفة، [«فإنه»] يشبهها، لامتناعه من التعريف[1]، [لاقترانه بـ «مِنْ» مقدرة] ﴿وأعظم أجراً واستغفروا الله إن الله غفور﴾ للمؤمنين ﴿رحيم﴾ بهم.

عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْءَانِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

(٧٤) سُورَةُ المُدَّثِّرِ مَكِّيَّة وآياتها ست وخمسون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾

﴿سورة المدثر﴾

(مكية، خمس وخمسون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿يا أيها المدَّثِّر﴾[2] هو: النبي ﷺ، وأصله: «المتدثر»، أدغمت التاء في الدال، أي: المتلفف بثيابه، عند نزول الوحي عليه ﷺ.

٢ ﴿قم فأنذر﴾ خَوِّف أهل مكة النار، إن لم يؤمنوا.

٣ ﴿وربك فكبر﴾ عَظِّم عن إشراك المشركين.

= الجنيُّ فيقرها في أذن وليِّه، فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة»، ومن «الكهانة»: «العرَّاف» ــ أي: «المبصِّر» ــ و «الرمَّال» أي: ضارب الرمل، و «المنجِّم» أي: الذي يدعي علم الغيب بناء على النجوم ــ وهذا غير «عالم الفلك» ــ والذي يضرب بالحصى والوَدَع، والذي يدَّعي أن له صاحباً من الجن يخبره عما سيكون، فكل هؤلاء مذموم شرعاً محكوم عليهم وعلى مَنْ صدقهم بالكفر.

(١) قوله: «لامتناعه من التعريف» أي: يمتنع هنا تعريف أفعل التفضيل ــ «خيراً» ــ بأداة التعريف، لأنه لا يعرف إذا كان معه «مِنْ» ظاهرةً أو مقدرة، وهي هنا مقدرة كما قال المحلي بعدها: «مما خلفتم»، وهذا منه إشارة إلى سؤال حاصله: أن ضمير الفصل لا يقع إلا بين معرفتين، وهنا وقع بين معرفة ونكرة، فأجاب عنه بأن أفعل التفضيل ــ خيراً ــ وإن لم يكن معرفة فهو يشبهها، فجاز الإتيان بضمير الفصل.

(٢) أخرج الشيخان ــ واللفظ لمسلم ــ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «جاورت بحراء شهراً، فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت بطن الوادي، فنوديت فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وشمالي فلم أر أحداً، ثم نوديت فنظرت فلم أر أحداً، ثم نوديت فرفعت رأسي، فإذا هو على العرش في الهواء ــ يعني: جبريل عليه السلام ــ فأخذتني رجفة شديدة، فأتيت خديجة فقلت: دثروني، فدثروني، فصبوا عليَّ ماء، فأنزل الله: ﴿يا أيها المدثر﴾. الآيات.

٤ ﴿وثيابك فطهر﴾ عن النجاسة، أو قصرها، خلاف جرِّ العرب ثيابهم خيلاء، فربما أصابتها نجاسة. ٥ ﴿والرجز﴾ فسره النبي ﷺ بالأوثان، [رواه الحاكم وصححه] ﴿فاهجر﴾ أي: دم على هجره. ٦ ﴿ولا تمنن تستكثر﴾ بالرفع حال، أي: لا تعط شيئاً لتطلب أكثر منه، وهذا خاص به[1] ﷺ، لأنه مأمور بأجمل الأخلاق وأشرف الآداب. ٧ ﴿ولربك فاصبر﴾ على الأوامر والنواهي. ٨ ﴿فإذا نقر في الناقور﴾ نفخ في الصور، وهو: «القرن»، النفخةُ الثانية. ٩ ﴿فذلك﴾ أي: وقتُ النقر ﴿يومئذٍ﴾ بدل مما قبله ـ «المبتدأ» ـ وبُنِيَ لإضافته إلى غير متمكن، [أي: إلى مُنَوَّنٍ تنوين عوض عن جملة، وهو: «إذْ»، أما تنوين التمكين، فهو اللاحق للاسم المنصرف مثل: «رجلٌ» و «قاضٍ»]، وخبر المبتدأ ﴿يوم عسير﴾ والعامل في «إذا»، ما دلَّت عليه الجملة، أي: اشتد الأمر. ١٠ ﴿على الكافرين غير يسير﴾ فيه دلالة على أنه يسير على المؤمنين[2]، أي: في عسره. ١١ ﴿ذرني﴾ اتركني ﴿ومن خلقت﴾ عطف على المفعول، أو: مفعول معه [وهو الصحيح، فالواو ليست عاطفة، وهذا تهديد ووعيد، أي: أعرض عمن عاندك، فسأتولَّى عقابه] ﴿وحيداً﴾ حال من «مَن»، أو: من ضميره المحذوف، أي: مَنْ خلقْتُهُ منفرداً بلا أهل ولا مال، هو: «الوليد بن المغيرة». ١٢ ﴿وجعلت له مالاً ممدوداً﴾ واسعاً متصلاً، من الزروع والضروع والتجارة. ١٣ ﴿وبنين﴾ عشرة أو أكثر ﴿شهوداً﴾ يشهدون المحافل، وتُسْمَعُ شهاداتهم. ١٤ ﴿ومهدت﴾ بسطت ﴿له﴾ في العيش والعمر والولد ﴿تمهيداً﴾. ١٥ ﴿ثم يطمع أن أزيد﴾ [بإدخاله الجنة؟] ١٦ ﴿كلاَّ﴾ لا أزيده على ذلك ﴿إنه كان لآياتنا﴾ القرآن ﴿عنيداً﴾ معانداً. ١٧ ﴿سأرهقه﴾ أكلفه ﴿صعوداً﴾ مشقة من العذاب، أو: جبلاً من نار، يصْعد فيه ثم يهوي أبداً. ١٨ ﴿إنه فكر﴾ فيما يقول في القرآن، الذي سمعه من النبي ﷺ ﴿وقدر﴾ في نفسه ذلك. ١٩ ﴿فقتل﴾ لُعِنَ وعُذِّب ﴿كيف قدر﴾ على أيِّ حال كان تقديره. ٢٠ ﴿ثم قتل كيف قدر﴾ ٢١ ﴿ثم نظر﴾ في وجوه قومه، أو: فيما يقدح به فيه. ٢٢ ﴿ثم عبس﴾ قبض وجهه وكَلَحَهُ، ضيقاً بما يقول ﴿وبسر﴾ زاد في القبض والكُلُوح. ٢٣ ﴿ثم أدبر﴾ عن الإيمان ﴿واستكبر﴾ تكبر عن اتباع النبي ﷺ. ٢٤ ﴿فقال﴾ فيما جاء به ﴿إن﴾ ما ﴿هذا إلاَّ سحر يؤثر﴾ ينقل عن السحرة. ٢٥ ﴿إن﴾ ما ﴿هذا إلاَّ قول البشر﴾ كما قالوا: «إنما يعلِّمه بشر». ٢٦ ﴿سأصليه﴾ أدخله ﴿سقر﴾ جهنم. ٢٧ ﴿وما أدراك ما سقر﴾ تعظيم لشأنها. ٢٨ ﴿لا تبقي ولا تذر﴾ [أحداً من الكافرين،

وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا

---

(١) قوله: «وهذا خاص به ﷺ، إلخ»، ارجع إلى تعليقنا حول «هبة الثواب» ص ٥٣٥.

(٢) قوله: أنه يسير على المؤمنين في عسره»، أي: فيكون أخف عليهم من صلاة مكتوبة يصليها المؤمن في الدنيا، كما في حديث ذكرنا نصه ص ٧٦٥.

أو:] شيئاً من لحم[1] ولا عصب، إلاّ أهلكته ثم يعود كما كان. ٢٩﴿لواحة للبشر﴾ محرقة لظاهر الجلد. ٣٠﴿عليها تسعة عشر﴾ مَلَكاً [هم] خزنتها، قال بعض الكفار، [هو: أبو الأَشُدَّين، أو: الأَشُدُّ، واسمه أُسيد بن كلدة الجُمحي]، وكان قوياً شديد البأس: أنا أكفيكم سبعة عشر، واكفوني أنتم اثنين. ٣١ قال تعالى: ﴿وما جعلنا أصحاب النار إلاّ ملائكة﴾ أي: فلا يطاقون، كما يَتَوَهَّمُون ﴿وما جعلنا عدتهم﴾ ذلك [العدد] ﴿إلاّ فتنة﴾ ضلالاً ﴿للذين كفروا﴾ [كأبي جهل وأمثاله]، بأن يقولوا: لِم كانوا تسعة عشر؟ ﴿ليستيقن﴾ [ليستبين] ﴿الذين أوتوا الكتاب﴾ أي: اليهود [والنصارى]، صِدْقَ النبي ﷺ، أنها تسعة عشر، الموافق لما في كتابهم ﴿ويزداد الذين آمنوا﴾ من أهل الكتاب

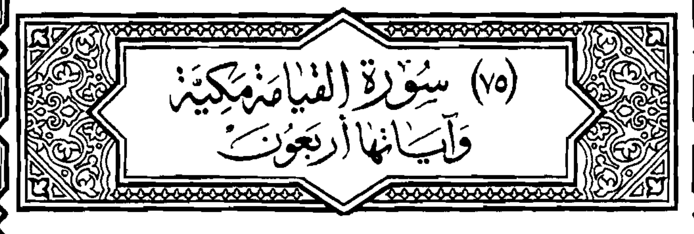
أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗۙ وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ إِلَّا فِتۡنَةٗ
لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسۡتَيۡقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَيَزۡدَادَ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗاۙ وَلَا يَرۡتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ
وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡكَٰفِرُونَ
مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ
وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ
إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ ٣١ كَلَّا وَٱلۡقَمَرِ ٣٢ وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ٣٣
وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ٣٤ إِنَّهَا لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ ٣٥ نَذِيرٗا
لِّلۡبَشَرِ ٣٦ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ ٣٧ كُلُّ
نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ٣٨ إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ٣٩
فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ٤٠ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٤١ مَا سَلَكَكُمۡ
فِي سَقَرَ ٤٢ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ٤٣ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ

﴿إيماناً﴾ [تصديقاً] لموافقة ما أتى به النبي ﷺ لما في كتابهم ﴿ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون﴾ من غيرهم، في عدد الملائكة ﴿وليقول الذين في قلوبهم مرض﴾ شك بالمدينة [وهم: المنافقون] ﴿والكافرون﴾ بمكة ﴿ماذا أراد الله بهذا﴾ العدد ﴿مثلاً؟﴾ سموه لغرابته، بذلك، وأُعرب حالاً ﴿كذلك﴾ أي: مثل إضلال مُنْكِرِ هذا العدد، وهُدَى مصدِّقه ﴿يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك﴾ أي: الملائكة، في قوّتهم وأعوانهم ﴿إلاّ هو وما هي﴾ أي: سقر ﴿إلاّ ذكرى للبشر﴾. ٣٢﴿كلاّ﴾ استفتاح بمعنى: ألاَ ﴿والقمر﴾. ٣٣﴿والليل إذا﴾ بفتح الذال ﴿دبر﴾ جاء بعد النهار، وفي قراءة: «إذ أدبر»، بسكون الذال بعدها همزة، أي: مضى. ٣٤﴿والصبح إذا أسفر﴾ ظهر. ٣٥﴿إنها﴾ أي: سقر ﴿لإحدى الكبر﴾ البلايا العظام. ٣٦﴿نذيراً﴾ حال من «إحدى»، وذُكِّرَ، لأنها بمعنى العذاب ﴿للبشر﴾. ٣٧﴿لمن شاء منكم﴾ بدل من «البشر» ﴿أن يتقدم﴾ إلى الخير، أو: الجنة، بالإيمان ﴿أو يتأخر﴾ إلى الشر، أو: النار، بالكفر. ٣٨﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾ مرهونة مأخوذة بعملها في النار. ٣٩﴿إلاّ أصحاب اليمين﴾ وهم المؤمنون، فناجون منها، كائنون: ٤٠﴿في جنات يتساءلون﴾ بينهم. ٤١﴿عن المجرمين﴾ وحالِهِمْ، ويقولون لهم بعد إخراج الموحدين من النار: ٤٢﴿ما سلككم﴾ أدخلكم ﴿في سقر؟﴾. ٤٣﴿قالوا لم نك من المصلين﴾ [أي: المؤمنين الذين يصلون]. ٤٤﴿ولم نك نطعم

(١) قوله: «شيئاً من لحم ولا عصب إلاّ أهلكته»، هذا التفسير هو ما ذهب إليه كثير من المفسرين، ولكن المتأمل يدرك أنه تفسير بعيد، ولا يتفق مع آيات العذاب الأخرى حتى الآية التالية لها: ﴿لواحة للبشر﴾ فإذا كانت لا تبقي شيئاً من لحم ولا عصب، فما فائدة الإشارة إلى أنها تحرق الجلد؟ فعندما يكون اللحم قد احترق هل يبقى للجلد أثر لتلوّحه النار؟ ولقوله تعالى: ﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب﴾، فالآية هذه واضحة في أن الاحتراق لا يتناول اللحم لأنه لا إحساس فيه، بل الإحساس كله في الجلد الكائن في ظاهر البدن، وفي باطنه كالأمعاء كما قال تعالى: ﴿وسُقُوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم﴾ وقد بينا ذلك في تعليقنا ص ١٠٩، =

المسكين﴾. ٤٥ ﴿وكنا نخوض﴾ في الباطل ﴿مع الخائضين﴾ [فيه]. ٤٦ ﴿وكنا نكذب بيوم الدين﴾ البعث والجزاء. ٤٧ ﴿حتى أتانا اليقين﴾ الموت. ٤٨ ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾ من الملائكة والأنبياء والصالحين، والمعنى: لا شفاعة لهم[(١)]. ٤٩ ﴿فما﴾ مبتدأ ﴿لهم﴾ خبره، متعلق بمحذوف انتقل[(٢)] ضميره إليه ﴿عن التذكرة معرضين﴾ حال من الضمير، المعنى: أيُّ شيء حصل لهم، في إعراضهم عن الاتعاظ؟ ٥٠ ﴿كأنهم حمر﴾ [بضم الميم، جمع: «حمار»] ﴿مستنفرة﴾ وحشية. ٥١ ﴿فرت من قسورة﴾ «أَسَد»، أي: هربت منه أشد الهرب. ٥٢ ﴿بل يريد كل امرىء منهم أن يؤتى صحفاً منشرة﴾ أي: من الله تعالى، باتباع النبي ﷺ؟ كما قالوا: «لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه». ٥٣ ﴿كـلاَّ﴾ ردع عمـا أرادوه ﴿بـل لا يخافون الآخرة﴾ أي: عذابها. ٥٤ ﴿كلاَّ﴾ استفتاح ﴿إنه﴾ أي: القرآن ﴿تذكرة﴾ عظة. ٥٥ ﴿فمن شاء ذكره﴾ قرأه فاتعظ به. ٥٦ ﴿وما يذكرون﴾ بالياء والتاء ﴿إلاَّ أن يشاء الله هو أهل التقوى﴾ بأن يُتَّقَى ﴿وأهل المغفرة﴾ بأن يَغْفِرَ لمن اتقاه.

ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾

نصف الحزب

﴿سُورَةُ القِيَامَةِ﴾

(مكية، أربعون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿لا﴾ زائدة في الموضعين، [أي: هذا والذي بعده، وزيادتها لتأكيد القسم] ﴿أقسم بيوم القيامة﴾. ٢ ﴿ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾ التي تلوم نفسها [على ما فات وتندم، أو: تحاسب نفسها] وإن اجتهدت في الإحسان، وجواب القسم محذوف، أي: لتبعثُنَّ، دل عليه:

= والمعنى الصحيح للآية هو: أنها لا تبقي ولا تذر أحداً من الكافرين إلاَّ تلقفته بلهبها، أو: هي كقوله تعالى: ﴿ثم لا يموت فيها ولا يحيى﴾ أي: لا يموت الكافر فيستريح، ولا يحيى حياة من غير عذاب، وقال مجاهد رحمه الله: لا تبقي من فيها حيّاً، ولا تذره ميتاً، تحرقهم كلما جُدِّدوا.

(١) قوله: «لا شفاعة لهم»، ارجع إلى تعليقنا حول «الشفاعة» في الآخرة ص ٦١٢.

(٢) قوله: «متعلق بمحذوف انتقل ضميره إليه»، أي: إن الخبر ــ «لهم» ــ متعلّق بمحذوف وجوباً تقديره: «حصل أو حاصل» وهو الخبر حقيقةً، فانتقل ضمير هذا المحذوف إلى الجار والمجرور وسمي ظرفاً أو جاراً ومجروراً مستقراً، لاستقرار الضمير فيه، فحلّ محل المحذوف في كونه خبراً للمبتدأ، هذا قول جمهور البصريين. وقال غيرهم: إن المتعلّق ــ أي: المحذوف المقدَّر المذكور ــ هو الخبر، فالضمير عندهم باقٍ في هذا المتعلّق لم ينتقل إلى شبه الجملة، وعليه فإن الجارّ والمجرورَ متعلقان بالمحذوف المقدر الذي هو في محل رفع خبر المبتدأ. واختار ابن مالك أن يُقَدَّرَ المحذوف اسمَ فاعل، وذهب ابن هشام إلى تساوي تقديري اسم الفاعل أو الفعل، فسيان عنده أن تقول: تقديره «كائن ومستقر» أو: كان واستقر».

سُورَةُ القِيَامَة

أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَـٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَـٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا

٣﴿أيحسب الإنسان﴾ أي: الكافر ﴿ألن نجمع عظامه﴾ للبعث والإحياء؟ ٤﴿بلى﴾ نجمعها ﴿قادرين﴾ مع جمعها ﴿على أن نسوي بنانه﴾ وهو: الأصابع[1] أي: نعيد عظامها كما كانت مع صغرها، فكيف بالكبيرة؟ ٥﴿بل يريد الإنسان ليفجر﴾ اللام زائدة، ونصبه بـ «أن» مقدرة، أي: أن يكذب ﴿أمامه﴾ أي: يوم القيامة، دل عليه: ٦﴿يسأل أيان﴾ متى ﴿يوم القيامة؟﴾ سؤال استهزاء وتكذيب. ٧﴿فإذا برق البصر﴾ بكسر الراء وفتحها: دَهِشَ وتحيَّر، لِمَا رأى مما كان يكذبه. ٨﴿وخسف القمر﴾ أظلم وذهب ضوءُه. ٩﴿وجمع الشمس والقمر﴾ فطلعا من المغرب، أو: ذهب ضوءهما [وهو الصحيح] وذلك في يوم القيامة. ١٠﴿يقول الإنسان يومئذٍ أين المفر﴾ الفرار؟ ١١﴿كلاَّ﴾ ردع عن طلب الفرار ﴿لا وزر﴾ لا ملجأ يُتَحصَّنُ به. ١٢﴿إلى ربك يومئذٍ المستقر﴾ مستقر الخلائق، فيحاسبون ويجازون. ١٣﴿ينبأ الإنسان يومئذٍ بما قدم وأخّر﴾ بأول عمله وآخره، [أو بما أسلف من عمل، أو أَخّرَ من سُنَّةٍ سيئة أو صالحة، يُعْمَلُ بها بعده، يؤيده قوله تعالى: «إنا نحن نكتب ما قدّموا وآثارَهم»]. ١٤﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة﴾ شاهد، تنطق جوارحه بعمله، والهاء للمبالغة، فلا بد من جزائه. ١٥﴿ولو ألقى معاذيره﴾ جمع: «معذرة»، على غير قياس، [وقياسه: «معاذر»]، أي: لو جاء بكل معذرة، ما قبلت منه. ١٦ قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿لا تحرك به﴾ بالقرآن، قبل فراغ جبريل منه ﴿لسانك لتعجل به﴾ خوف أن ينفلت منك. ١٧﴿إن علينا جمعه﴾ في صدرك ﴿وقرآنه﴾ قراءتك إياه، أي: جريانه على لسانك. ١٨﴿فإذا قرأناه﴾ عليك بقراءة جبريل ﴿فاتبع قرآنه﴾ استمع قراءته، فكان ﷺ يستمع، ثم يقرأ [كما أقرأه جبريل، روى ذلك الشيخان وغيرهما].
١٩﴿ثم إن علينا بيانه﴾ بالتفهيم لك، والمناسبة بين هذه الآية وما قبلها: أن تلك تضمنت الإعراض عن آيات الله، وهذه تضمنت المبادرة إليها بحفظها. ٢٠﴿كلاَّ﴾ استفتاح بمعنى: «ألا» ﴿بل يحبون العاجلة﴾ الدنيا، بالياء والتاء في الفعلين: [«يحبون» و «يذرون»]. ٢١﴿ويذرون الآخرة﴾ فلا يعملون لها. ٢٢﴿وجوه يومئذٍ﴾ أي: يوم القيامة ﴿ناضرة﴾ حسنة مضيئة. ٢٣﴿إلى ربها

---

(١) قوله: «وهو الأصابع»، قال في القاموس المحيط: وهي الأصابع وأطرافها، وفي «مختار الصّحاح»: «البنان» واحده «بنانة» هي أطراف الأصابع، وعلى كل حال فإن ذكر البنان في هذه الآية إعجاز قرآني، لأن في أطراف الأصابع من الدقة في ترتيب خطوط جلدها ما يدهش العقول، وهو ما يعرف «بالبصمات»، فلقد ثبت أنه لا توجد بصمة من أُصْبُع إنسان تشبه بصمة تلك الأصبع من إنسان آخر، لذلك يعتمد المحققون في اكتشاف الجرائم والسرقات وغيرها على بصمات أطراف الأصابع، كما أنها مركبة من عظم ولحم وغضروف ـ الظفر ـ ينبتُ كلما قص، وجلدٍ حساس جداً يميز الإنسان باللمس به الأشياء المحسوسة، ويعرفها معرفة تامة لا يحصّلها بغير البنان من جلده كله.

نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

ناظرة﴾ أي: يرون الله سبحانه وتعالى في الآخرة[1]. ٢٤**﴿ووجوه يومئذٍ باسرة﴾** كالحة شديدة العبوس. ٢٥**﴿تظن﴾** توقن **﴿أن يفعل بها فاقرة﴾** داهية عظيمة، تكسر فَقَار الظهر. ٢٦**﴿كلاَّ﴾** بمعنى: «ألا» **﴿إذا بلغت﴾** النفس **﴿التراقي﴾** عظام الحلق. ٢٧**﴿وقيل﴾** قال من حولَه: **﴿من راق﴾**[2] يرقيه ليشفى؟ [أي: أين الراقي..؟ ائتوا به]. ٢٨**﴿وظن﴾** أيقن من بلغت نفسه ذلك **﴿أنه الفراق﴾** فراق الدنيا. ٢٩**﴿والتفت الساق بالساق﴾** أي: إحدى ساقيه بالأخرى عند الموت، أو: التفت شدة فراق الدنيا، بشدة إقبال الآخرة. ٣٠**﴿إلى ربك يومئذٍ المساق﴾** أي: السَّوْق، وهذا يدل على العامل في «إذا»، المعنى: إذا بلغت النفس الحلقوم، تُساق إلى حكم ربها، [ولا رادَّ لذلك]. ٣١**﴿فلا صدق﴾** الإنسان **﴿ولا صلى﴾** أي: لم يصدِّق ولم يصلِّ. ٣٢**﴿ولكن كذب﴾** بالقرآن **﴿وتولى﴾** عن الإيمان. ٣٣**﴿ثم ذهب إلى أهله يتمطى﴾** يتبختر في مشيته إعجاباً. ٣٤**﴿أولى لك﴾** فيه التفات عن الغيبة، والكلمة اسم فعل [بمعنى: «لَزِمَكَ»] واللام للتبيين، أي: وَلِيَكَ ما تكره **﴿فأولى﴾** أي: فهو أولى بك من غيرك. ٣٥**﴿ثم أولى لك فأولى﴾** تأكيد. ٣٦**﴿أيحسب﴾** يظن **﴿الإنسان أن يترك سدى﴾** هملاً، لا يكلف بالشرائع؟ أي: لا يَحْسَبُ ذلك. ٣٧**﴿ألم يك﴾** أي: كان **﴿نطفة من مني تمنى﴾** بالتاء والياء، تُصَبُّ في الرحم؟ ٣٨**﴿ثم كان﴾** المني [أي: صار] **﴿علقة فخلق﴾** الله منها الإنسان **﴿فسوى﴾** عدل أعضاءه؟ ٣٩**﴿فجعل منه﴾** من المني الذي صار علقةً، أي: قطعة دم، ثم مضغةً، أي: قطعة لحم **﴿الزوجين﴾** النوعين **﴿الذكر والأنثى؟﴾** يجتمعان تارةً، وينفرد كل منهما عن الآخر تارة. ٤٠**﴿أليس ذلك﴾** الفعال لهذه الأشياء **﴿بقادر على أن يحيي الموتى؟﴾** قال ﷺ: [«من قرأ: لا أقسم بيوم القيامة، فانتهى إلى قوله: أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى؟ فليقل:] بلى»[3]، [رواه أبو داود وأحمد، وهو حديث ضعيف[4]].

---

(١) قوله: «يرون الله سبحانه وتعالى في الآخرة»، هذا حق، ارجع إلى تعليقنا حول «رؤيته» ص ٢٧٠.

(٢) قوله: «يرقيه ليشفى»، هذا نداء المستغيث، في ساعة لا يجد الإنسان فيها مَنْ يُغيث، إنها استغاثة من جاءته سكرة الموت بالحق، فلا ينفعه «راقٍ» يرقي، ولا طبيب يداوي، ولا دواء ولا علاج.

(٣) قوله: «بلى» هذا حرف جواب، ارجع إلى تعليقنا حول الجواب به، ص ٦١٠.

(٤) فالصحيح أنه لا يجاب بـ «بلى» هنا، ولا في آخر «والتين والزيتون»، لعدم قوة الحديث، خصوصاً في الصلاة.

﴿سُورَةُ الإنسَانِ﴾

(مكية، أو: مدنية. إحدى وثلاثون آية)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(٧٦) سُورَةُ الإنسَانِ مَدَنِيَّة وآيَاتُهَا إحدَى وثَلَاثُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا

١﴿هل﴾ قد ﴿أتى على الإنسان﴾ ادم ﴿حين من الدهر﴾ أربعون سنة ﴿لم يكن﴾ فيه ﴿شيئاً مذكوراً﴾ كان فيه مصوراً من طين لا يُذْكر، أو المراد بالإنسان الجنس، وبالحين مدة الحمل. ٢﴿إنا خلقنا الإنسان﴾ الجنس ﴿من نطفة أمشاج﴾ أخلاط، أي: من ماء الرجل وماء المرأة، المختلطين الممتزجين ﴿نبتليه﴾ نختبره بالتكليف، والجملة مستأنفة، أو: حال مقدرة، أي: مريدين ابتلاءه حين تأهله ﴿فجعلناه﴾ بسبب ذلك ﴿سميعاً بصيراً﴾. ٣﴿إنا هديناه السبيل﴾ بيّنّا له طريق الهدى، ببعث الرسل ﴿إما شاكراً﴾ أي: مؤمناً ﴿وإما كفوراً﴾ حالان من المفعول، أي: بيّنّاه له في حال شكره أو كفره، المقدَّرة، و «إما» لتفصيل الأحوال. ٤﴿إنا أعتدنا﴾ هيأنا ﴿للكافرين سلاسل﴾ يُسحبون بها في النار ﴿وأغلالاً﴾ في أعناقهم، تُشد فيها السلاسل ﴿وسعيراً﴾ ناراً مُسَعَّرَةً أي: مهيَّجة يعذبون بها. ٥﴿إن الأبرار﴾ جمع «بِرٍّ»، أو: «بار»، وهم: المطيعون ﴿يشربون من كأس﴾ هو: إناء شرب الخمر وهي فيه، والمراد: «من خمر»، تسمية للحالِّ باسم المحل، و «مِنْ» للتبعيض ﴿كان مزاجها﴾ ما تمزج به ﴿كافوراً﴾ [لطيب رائحته]. ٦﴿عيناً﴾ بدل من: «كافوراً»، فيها رائحته ﴿يشرب بها﴾ منها ﴿عباد الله﴾ أولياؤه ﴿يفجرونها تفجيراً﴾ يقودونها[1] حيث شاؤوا من منازلهم، [قاله مجاهد بن جبر رحمه الله]. ٧﴿يوفون بالنذر﴾[2] في طاعة الله ﴿ويخافون يوماً كان شره مستطيراً﴾ منتشراً، [يقال: استطار الحريق إذا انتشر]. ٨﴿ويطعمون الطعام على حبه﴾ أي: الطعام وشهوتهم له، [أو: على حب الله تعالى، أي: لوجه الله عز وجل] ﴿مسكيناً﴾ فقيراً

---

(١) قوله: «يقودونها»، أي: يُجْرُونَها ويُسَيِّرونها.

(٢) قوله تعالى: ﴿يوفون بالنذر﴾، النذر ليس مرغباً فيه شرعاً، بل هو مكروه، لأنه التزام وتشديد على النفس، وإنما يستخرج به من البخيل، ارجع إلى تعليقنا حول «النذر» ص ٥٧.

﴿ويتيماً﴾ لا أب له ﴿وأسيراً﴾[1] يعني: المحبوس بحق. ٩ ﴿إنما نطعمكم لوجه الله﴾ لطلب ثوابه ﴿لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً﴾ شكراً، فيه علة الإطعام، وهل تكلموا بذلك، أو: علمه الله منهم، فأثنى عليهم به؟ قولان. ١٠ ﴿إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً﴾ تكلح الوجوه فيه، أي: كريه المنظر لشدته ﴿قمطريراً﴾ شديداً في ذلك. ١١ ﴿فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم﴾ أعطاهم ﴿نضرة﴾ حُسْناً وإضاءة في وجوههم ﴿وسروراً﴾. ١٢ ﴿وجزاهم بما صبروا﴾ بصبرهم[2] عن المعصية ﴿جنة﴾ أُدخلوها ﴿وحريراً﴾ أُلبسوه. ١٣ ﴿متكئين﴾ حال من مرفوع: «أدخلوها» المقدر، [أي: من الفاعل، وتقديره: أُدخلوها ثم جلسوا متكئين] ﴿فيها على الأرائك﴾ السرر في الحجال، [جمع «حَجَلَة» وهي: موضع كالقُبَّة] ﴿لا يرون﴾ لا يجدون، حال ثانية ﴿فيها شمساً ولا زمهريراً﴾ لا حراً ولا برداً، وقيل: «الزمهرير»: القمر، فهي [أي: الجنة] مضيئة من غير شمس ولا قمر. ١٤ ﴿ودانية﴾ قريبة، عطف على محل «لا يرون»، أي: غير رائين [شمساً ولا زمهريراً ودانيةً] ﴿عليهم﴾ [أي:] منهم ﴿ظلالها﴾ أي: [ظلال] شجرها ﴿وذللت قطوفها تذليلاً﴾ أدنيت ثمارها، فينالها القائم والقاعد والمضطجع. ١٥ ﴿ويطاف عليهم﴾ فيها ﴿بآنية من فضة وأكواب﴾ أقداح بلا عرى ﴿كانت قواريرا﴾. ١٦ ﴿قوارير من فضة﴾ أي: أنها من فضة، يرى باطنها من ظاهرها كالزجاج ﴿قدروها﴾ أي: الطائفون ﴿تقديراً﴾ على قدر ريِّ الشاربين، من غير زيادة ولا نقص، وذلك ألذ الشراب. ١٧ ﴿ويسقون فيها كأساً﴾ خمراً ﴿كان مزاجها﴾ ما تمزج به ﴿زنجبيلاً﴾. ١٨ ﴿عيناً﴾ بدل من: «زنجبيلاً» ﴿فيها تسمى سلسبيلاً﴾ يعني: أن ماءها كالزنجبيل الذي تستلذ به العرب، سهل المساغ في الحلق. ١٩ ﴿ويطوف عليهم ولدان مخلدون﴾ بصفة الولدان، لا يشيبون ﴿إذا رأيتهم حسبتهم﴾ لحسنهم وانتشارهم في الخدمة ﴿لؤلؤاً منثوراً﴾ من سِلكِه، أو: من صَدَفه، وهو أحسن منه في غير ذلك. ٢٠ ﴿وإذا رأيت ثَمَّ﴾ أي: وُجِدَت الرؤيةُ منك في الجنة ﴿رأيت﴾ جواب «إذا» ﴿نعيماً﴾ لا يوصف ﴿وملكاً

وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا

---

(١) قوله تعالى: ﴿وأسيراً﴾. قال سعيد بن جبير رحمه الله وآخرون: هو الأسير من أهل القبلة، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كان أسراؤهم يومئذٍ مشركين، ويشهد لهذا أن رسول الله ﷺ أمر أصحابه يوم بدر بأن يكرموا الأسارى، فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء. قاله ابن كثير، وقال ابن العربي في «أحكام القرآن»: «وفي إطعامه ثواب عظيم ــ وإن كان كافراً ــ فإن الله يرزقه، وقد تعيَّن بالعهد إطعامه، ولكن من الفضل في الصدقة لا من الأصل في الزكاة، ويدخل فيه المسجون من المسلمين، فإن الحق قد حبسه عن التصرف، وأَسَرَهُ فيما وجب عليه».

(٢) قوله: «بصبرهم عن المعصية»، ارجع إلى تعليقنا حول «معاني الصبر» ص ٦٠٧.

﴿كبيراً﴾ واسعاً لا غاية له. ٢١ ﴿عاليهم﴾ فوقهم، فنصبه على الظرفية، وهو خبر لمبتدأ بعده، وفي قراءة: بسكون الياء مبتدأ، وما بعده خبر، والضمير المتصل به، للمَعْطُوفِ عليهم ﴿ثياب سندسٍ﴾ حرير ﴿خضرٌ﴾ بالرفع ﴿وإستبرقٌ﴾ بالجر، [و «الإستبرق» هو:] ما غَلُظَ من الديباج، فهو البطائن، و «السُّندس» الظَّهائر، وفي قراءةٍ: عكسُ ما ذكر فيهما، وفي أخرى برفعهما، وفي أخرى بجرهما ﴿وحُلُّوا أساور من فضة﴾ وفي موضع[1] آخر: «من ذهب»، للإيذان بأنهم يحلون من النوعين، معاً ومفرقاً ﴿وسقاهم ربهم شراباً طهوراً﴾ مبالغة[2] في طهارته ونظافته، بخلاف خمر[3] الدنيا. ٢٢ ﴿إن هذا﴾ النعيم ﴿كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً﴾. ٢٣ ﴿إنا نحن﴾ تأكيد لاسم «إنَّ»، أو: فصل ﴿نزلنا عليك القرآن تنزيلاً﴾

كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَـٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَـٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَـٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَـٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّـٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾

خبر «إن»، أي: فصلناه ولم ننزله جملة واحدة، [ليكون أسهل فهماً وحفظاً، وأيسر عملاً]. ٢٤ ﴿فاصبر لحكم ربك﴾ عليك بتبليغ رسالته ﴿ولا تطع منهم﴾ أي: الكفار ﴿آثماً أو كفوراً﴾ أي: «عتبة بن ربيعة»، و «الوليد بن المغيرة»، قالا للنبي ﷺ: ارجع عن هذا الأمر، ويجوز أن يراد كل آثم وكافر، أي: لا تطع أحدهما أيّاً كان، فيما دعاك إليه، من إثم أو كفر. ٢٥ ﴿واذكر اسم ربك﴾ في الصلاة، [أي: صلِّ] ﴿بكرة وأصيلاً﴾ يعني: الفجر والظهر والعصر. ٢٦ ﴿ومن الليل فاسجد له﴾ يعني: المغرب والعشاء ﴿وسبحه ليلاً طويلاً﴾ صل التطوع فيه، كما تقدم [في «المزَّمِّل»] من: ثلثيه أو نصفه أو ثلثه. ٢٧ ﴿إن هؤلاء يحبون العاجلة﴾ الدنيا ﴿ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً﴾ شديداً أي: يوم القيامة، لا يعملون له. ٢٨ ﴿نحن خلقناهم وشددنا﴾ قوينا ﴿أسرهم﴾ أعضاءهم ومفاصلهم ﴿وإذا شئنا بدلنا﴾ جعلنا ﴿أمثالهم﴾ في الخلقة بدلاً منهم، بأن نهلكهم ﴿تبديلاً﴾ تأكيد، ووقعت «إذا» موقع «إنْ»، نحو «إن يشأ يذهبكم»، لأنه تعالى لم يشأ ذلك، وإذا لم يقع. ٢٩ ﴿إن هذه﴾ السورة، [أو: آيات القرآن] ﴿تذكرة﴾ عظة للخلق ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً﴾ طريقاً بالطاعة. ٣٠ ﴿وما تشاؤون﴾ بالتاء والياء: اتخاذَ السبيل بالطاعة ﴿إلا أن يشاء الله﴾ ذلك ﴿إن الله كان عليماً﴾ بخلقه ﴿حكيماً﴾ في فعله. ٣١ ﴿يدخل من يشاء في رحمته﴾ جنته، وهم: المؤمنون ﴿والظالمين﴾ ناصبه فعل مقدر، أي: «أوعد» [الظالمين]، يفسره: ﴿أعد لهم عذاباً أليماً﴾ مؤلماً، وهم الكافرون.

---

(١) قوله: «وفي موضع آخر»، هو قوله تعالى: ﴿يحلون فيها من أساور من ذهب﴾ الآية ٢٣ من سورة «الحج» ص ٤٣٦ والآية «٣٣» من سورة «فاطر» ص ٥٧٦.

(٢) قوله: «مبالغة»، هو هكذا في المخطوطات والنسخ المطبوعة، أي: وصف الشراب بالطهور، للمبالغة في وصفه بذلك.

(٣) قوله: «بخلاف خمر الدنيا»، فهي نجسة مضرة، ارجع إلى تعليقنا حول «تحريم الخمر» ص ١٥٥.

﴿سُورَةُ المُرْسَلات﴾

(مكية، خمسون آية)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(٧٧) سُورَةُ المُرْسَلَاتِ مَكِّيَّة وَآيَاتُهَا خَمْسُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ

١ ﴿والمرسلات عرفاً﴾ أي: الرياح متتابعة كعُرْفِ الفرس، يتلو بعضه بعضاً، ونصبه على الحال. ٢ ﴿فالعاصفات عصفاً﴾ الرياح الشديدة. ٣ ﴿والناشرات نشراً﴾ الرياح تنشر المطر. ٤ ﴿فالفارقات فرقاً﴾ أي: آيات القرآن، تفرق بين الحق والباطل، والحلالِ والحرام. ٥ ﴿فالملقيات ذكراً﴾ أي: الملائكة تنزل بالوحي إلى الأنبياء، والرسلُ يلقُون الوحْيَ إلى الأمم. ٦ ﴿عذراً أو نذراً﴾ أي: للإعذار والإنذار من الله تعالى، وفي قراءة: بضم ذال «نذراً»، وقرىء [شذوذاً] بضم ذال «عذراً». ٧ ﴿إنما توعدون﴾ أي: كفار مكة [وغيرهم]، من البعث والعذاب ﴿لواقع﴾ كائن لا محالة. ٨ [ثم بين الله تعالى، ما سيحدث لهذا العالَم يوم القيامة فقال:] ﴿فإذا النجوم طمست﴾ محي نورها[1]. ﴿وإذا السماء فرجت﴾ شُقَّت. ١٠ ﴿وإذا الجبال نسفت﴾ فُتِّتَتْ وسُيِّرَتْ.

١١ ﴿وإذا الرسل وقتت﴾ بالواو، وبالهمزة بدلاً منها، [مع تشديد القاف فيهما، وفي قراءة: بالواو مع تخفيف القاف]، أي: جُمعت لوقت. ١٢ ﴿لأي يوم﴾ ليوم عظيم ﴿أجلت؟﴾ للشهادة على أممهم بالتبليغ. ١٣ ﴿ليوم الفصل﴾ بين الخلق، ويؤخذ منه جواب «إذا»، [التي في الآيات المتقدمة]، أي: [إذا حصل كل ذلك]، وقع الفصل بين الخلائق. ١٤ ﴿وما أدراك ما يوم الفصل؟﴾ تهويل لشأنه. ١٥ ﴿ويل يومئذٍ للمكذبين﴾ هذا وعيد لهم. ١٦ ﴿ألم نهلك الأولين﴾ بتكذيبهم؟ أي: أهلكناهم. ١٧ ﴿ثم نتبعهم الآخرين﴾ ممن كذبوا، ككفار مكة، فنهلكهم. ١٨ ﴿كذلك﴾ مثل ما فعلنا بالمكذبين ﴿نفعل

---

(١) قوله: «محي نورها»، هذا معنى: الطَمْس. وفي سورة «التكوير»: ﴿وإذا النجوم انكدرت﴾ وهو من «الكَدَر» ضدّ «الصَّفْو»، يقال: «ماء كَدِر»، ومعنى «الانكدار والطمس» واحد هو: ذهاب النور، وفي سورة «الانفطار»: ﴿وإذا الكواكب انتثرت﴾ أي: انقَضَّت وتساقطت متناثرة تناثراً شديداً، أي ذهب نظامها فتهاوت منكدرة مطموسة النور، ولقد سها الجلال المحلي رحمه الله في سورة «التكوير» ص ٧٩٣ حيث فسّر قوله تعالى: ﴿وإذا النجوم انكدرت﴾ بقوله: انقضَّت وتساقطت، لأن هذا هو معنى ﴿انتثرت﴾ الذي ذكره في سورة «الانفطار» ص ٧٩٥، فالصواب ما ذكرناه.

﴿بالمجرمين﴾ بكل من أجرم فيما يستقبل، فنهلكهم. ١٩﴿ويل يومئذٍ للمكذبين﴾ تأكيد. ٢٠﴿ألم نخلقكم من ماء مهين﴾ ضعيف؟، وهو: «المني». ٢١﴿فجعلناه في قرار مكين﴾ حريز، هو: «الرحم». ٢٢﴿إلى قدر معلوم﴾ وهو: وقت الولادة. ٢٣﴿فقدرنا﴾ على ذلك ﴿فنعم القادرون﴾ نحن. ٢٤﴿ويل يومئذٍ للمكذبين﴾. ٢٥﴿ألم نجعل الأرض كفاتاً؟﴾ مصدر «كَفَتَ»، بمعنى: «ضَمَّ»، أي: ضامة. ٢٦﴿أحياءً﴾ على ظهرها ﴿وأمواتاً﴾ في بطنها. ٢٧﴿وجعلنا فيها رواسي شامخات﴾ جبالاً مرتفعات، [تثبِّتها كي لا تميد بكم] ﴿وأسقيناكم ماء فراتاً﴾ عذباً. ٢٨﴿ويل يومئذٍ للمكذبين﴾. ٢٩ ويقال للمكذبين يوم القيامة: ﴿انطلقوا إلى ما كنتم به﴾ من العذاب ﴿تكذبون﴾. ٣٠﴿انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب﴾ هو: دخان جهنم، إذا ارتفع افترق ثلاث فرق لِعِظَمِه.

بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ

٣١﴿لا ظليل﴾ كنين يظلهم من حر ذلك اليوم ﴿ولا يغني﴾ يرد عنهم شيئاً ﴿من اللهب﴾ النار.

٣٢﴿إنها﴾ أي: النار ﴿ترمي بشرر﴾ هو: ما تطاير منها ﴿كالقصر﴾ من البناء، في عظمه وارتفاعه.

٣٣﴿كأنه جمالات﴾ جمع: «جمالة»، جمع: «جمل»، وفي قراءة: «جمالة» ﴿صفر﴾ في هيئتها ولونها، وفي الحديث[1]: «شَرَارُ النار أسود كالقير»، والعرب تسمي سود الإبل: «صُفراً»، لِشَوْب سوادها بصفرة، فقيل: «صفر» في الآية بمعنى: «سود» لِما ذُكر، وقيل: لا، [ليس: «صُفْر» بمعنى سود، بل هو باقٍ على حقيقته]، و «الشَّرر» جمع: «شررة»، و «الشَّرار» جمع: «شرارة»، والقير: «القار» [أي: الزفت]. ٣٤﴿ويل يومئذٍ للمكذبين﴾.

٣٥﴿هذا﴾ أي: يوم القيامة ﴿يوم لا ينطقون﴾ فيه شيء. ٣٦﴿ولا يؤذن لهم﴾ في العذر ﴿فيعتذرون﴾ عطف على «يؤذن»، من غير تسبب عنه[2]، فهو داخل في حيز النفي، أي: لا إذن فلا اعتذار. ٣٧﴿ويل يومئذٍ للمكذبين﴾. ٣٨﴿هذا يوم الفصل جمعناكم﴾ أيها المكذبون من هذه الأمة ﴿والأولين﴾ من المكذبين قبلكم، فتحاسبون وتعذبون جميعاً. ٣٩ ﴿فإن كان لكم كيد﴾ حيلة في دفع العذاب عنكم

---

(١) قوله: «وفي الحديث: شَرَارُ النار إلخ..». هو بهذا اللفظ ليس حديثاً، فلم يثبت مرفوعاً ولا موقوفاً، بل هو معنى لحديث رواه مالك والبيهقي في «الشُّعَب» مختصراً مرفوعاً جاء فيه قوله ﷺ: «أترونها ــ أي: نار جهنم ــ حمراء كناركم هذه؟ لهي أشد سواداً من القار» أي: الزِّفت.

(٢) أي: ليست الفاء في «فيعتذرون» فاء السببية، ليقدر بعدها «أن»، وينصب بها الفعل المضارع.

﴿فكيدون﴾ فافعلوها. ٤٠﴿ويل يومئذٍ للمكذبين﴾.
٤١﴿إن المتقين في ظلال﴾ أي: تكاثف أشجار، إذ لا شمس يُظَلُّ من حرها ﴿وعيون﴾ نابعة من الماء.
٤٢﴿وفواكه مما يشتهون﴾ فيه إعلام، بأن المأكل والمشرب في الجنة، بحسب شهواتهم، بخلاف الدنيا، فبحسب ما يجد الناس في الأغلب. ٤٣ ويقال لهم: ﴿كلوا واشربوا هنيئاً﴾ حال، أي: متهنئين ﴿بما كنتم تعملون﴾ من الطاعة [في الدنيا]. ٤٤﴿إنَّا كذلك﴾ كما جزينا المتقين ﴿نجزي المحسنين﴾ [الذين آمنوا وأحسنوا].
٤٥﴿ويل يومئذٍ للمكذبين﴾.
٤٦﴿كلوا وتمتعوا﴾ خطاب للكفار في الدنيا ﴿قليلاً﴾ من الزمان، وغايته إلى الموت، وفي هذا تهديد لهم ﴿إنكم مجرمون﴾ [كافرون، ومصيركم إلى النار].
٤٧﴿ويل يومئذٍ للمكذبين﴾.
٤٨﴿وإذا قيل لهم اركعوا﴾ صلوا ﴿لا يركعون﴾ لا يصلون، [أي: لا يؤمنون، ليكونوا من أهل الصلاة].
٤٩﴿ويل يومئذٍ للمكذبين﴾.
٥٠﴿فبأي حديث بعده﴾ أي: القرآن ﴿يؤمنون؟﴾ أي: لا يمكن إيمانهم بغيره من كتب الله، بعد تكذيبهم به، لاشتماله على الإعجاز الذي لم يشتمل عليه غيره[1].

فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

(٧٨) سُورَةُ النَّبَإِ مَكِّيَّة
وآياتها أربعون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى

حزب ٥٩ جزء ٣٠

﴿سورة التساؤل﴾

[وتسمى: سُورَةُ النَّبَإِ]

(مكية، إحدى وأربعون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١﴿عم﴾ عن أيِّ شيءٍ ﴿يتساءلون؟﴾ يسأل بعض قريش بعضاً.
٢﴿عن النبأ العظيم﴾ بيان لذلك الشيء، والاستفهام لتفخيمه، وهو: ما جاء به النبي ﷺ من القرآن، المشتمل على البعث وغيره.

---

(١) روى أحمد وأبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ومن قرأ: والمرسلات، فبلغ: ﴿فبأي حديث بعده يؤمنون﴾ فليقل: آمنا بالله».
إن هذا الحديث وأمثاله التي وردت فيما يقال في آخر «سورة القيامة» و«سورة التين» هي أحاديث ضعيفة وقد أشرنا إليها هنا للبيان، فالصحيح: أنه لا يقال شيء بعد تلاوة هذه الآيات خصوصاً في الصلاة.

٣﴿الذي هم فيه مختلفون﴾ فالمؤمنون يثبتونه، والكافرون ينكرونه. ٤﴿كلَّا﴾ ردع ﴿سيعلمون﴾ ما يحل بهم على إنكارهم له. ٥﴿ثم كلَّا سيعلمون﴾ تأكيد، وجيء فيه بـ «ثم» للإيذان بأن الوعيد الثاني أشد من الأول.
٦ ثم أومأ تعالى، إلى القدرة على البعث فقال: ﴿ألم نجعل الأرض مهاداً﴾ فراشاً كالمهد، [صالحة للحياة عليها]؟. ٧﴿والجبال أوتاداً﴾ تثبَّت بها الأرض، كما تثبَّت الخيام بالأوتاد، [لئلا تميد بكم]؟ والاستفهام للتقرير. ٨﴿وخلقناكم أزواجاً﴾ ذكوراً وإناثاً. ٩﴿وجعلنا نومكم سباتاً﴾ راحة لأبدانكم. ١٠﴿وجعلنا الليل لباساً﴾ ساتراً بسواده. ١١﴿وجعلنا النهار معاشاً﴾ وقتاً للمعاش. ١٢﴿وبنينا فوقكم سبعاً﴾ سبع سماوات ﴿شداداً﴾ جمع «شديدة»، أي: قوية محكمة، لا يؤثر فيها مرور الزمان.

سُورَةُ النَّبَإِ ٧٨

هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾ لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً

١٣﴿وجعلنا سراجاً﴾ منيراً ﴿وهاجاً﴾ وقاداً، [يبعث الضوء والدفء]، يعني: «الشمس».
١٤﴿وأنزلنا من المعصرات﴾ السحابات التي حان لها أن تمطر، كالمُعْصِر [وهي:] الجارية، [أي: المرأة] التي دنت من الحيض ﴿ماء ثجاجاً﴾ صباباً.
١٥﴿لنخرج به حبّاً﴾ كالحنطة ﴿ونباتاً﴾ كالتبن.
١٦﴿وجنات﴾ بساتين ﴿ألفافاً﴾ ملتفة، جمع «لفيف» كـ «شريف» و «أشراف». [وقيل: جمع «لِف» بكسر اللام وضمها].
١٧﴿إن يوم الفصل﴾ بين الخلائق ﴿كان ميقاتاً﴾ وقتاً للثواب والعقاب.
١٨﴿يوم ينفخ في الصور﴾ القرن، [و «يوم» هنا] بدل من: «يومَ الفصل»، أو: بيان له، والنافخ «إسرافيل» ﴿فتأتون﴾ من قبوركم إلى الموقف ﴿أفواجاً﴾ جماعات مختلفة.
١٩﴿وفتحت السماء﴾ بالتشديد والتخفيف، شققت لنزول الملائكة ﴿فكانت أبواباً﴾ ذات أبواب.
٢٠﴿وسيرت الجبال﴾ ذُهِبَ بها عن أماكنها ﴿فكانت سراباً﴾ هباء، أي: مثلَهُ في خفة سيرها.
٢١﴿إن جهنم كانت مرصاداً﴾ [مِن رصدتُ الشيء أرصدُه، إذا ترقبته، فهي] راصدة [الكفار]، أو: مُرْصَدَة [أي: معدة ومهيَّأة لهم]. ٢٢﴿للطاغين﴾ الكافرين، فلا يتجاوزونها ﴿مآباً﴾ مرجعاً لهم، فيدخلونها. ٢٣﴿لابثين﴾ حال مقدرة، أي: مقدراً لبثهم ﴿فيها﴾ [بعد دخولها] ﴿أحقاباً﴾ دهوراً لا نهاية لها، جمع «حُقُب» بضم أوله. ٢٤﴿لا يذوقون فيها برداً﴾ نوماً، [فإنهم لا يذوقونه] ﴿ولا شراباً﴾ ما يشرب تلذذاً، ٢٥﴿إلَّا﴾ لكن [يشربون] ﴿حميماً﴾ ماء حاراً غاية الحرارة ﴿وغساقاً﴾ بالتخفيف والتشديد: ما يسيل من صديد أهل النار، فإنهم يذوقونه. ٢٦ جُوزُوا بذلك﴿جزاء

وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾
فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ
مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾
وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾
جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾
يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ
أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ
فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا
قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ
يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾

﴿وفاقاً﴾ موافقاً لعملهم، فلا ذنب أعظم من الكفر، ولا عذاب أعظم من النار. ٢٧ **﴿إنهم كانوا لا يرجون﴾** يخافون **﴿حساباً﴾** لإنكارهم البعث. ٢٨ **﴿وكذبوا بآياتنا﴾** القرآن **﴿كذاباً﴾** تكذيباً. ٢٩ **﴿وكل شيء﴾** من الأعمال **﴿أحصيناه﴾** ضبطناه **﴿كتاباً﴾** كَتْباً في «اللوح المحفوظ» لنجازي عليه، ومن ذلك تكذيبهم بالقرآن. ٣٠ **﴿فذوقوا﴾** أي: فيقال لهم في الآخرة، عند وقوع العذاب عليهم: ذوقوا جزاءكم **﴿فلن نزيدكم إلا عذاباً﴾** فوق عذابكم. ٣١ **﴿إن للمتقين مفازاً﴾** مكان فوز في الجنة. ٣٢ **﴿حدائق﴾** بساتين، بدل من «مفازاً»، أو: بيان له **﴿وأعناباً﴾** عطف على «مفازاً». ٣٣ **﴿وكواعب﴾** جواري تكعبت ثديهن، جمع «كاعب» **﴿أتراباً﴾** على سن واحد، جمع «تِرْب» بكسر التاء وسكون الراء. ٣٤ **﴿وكأساً دهاقاً﴾** خمراً مالئة محالّها، وفي [سورة] «القتال» «وأنهارٌ من خمرٍ». ٣٥ **﴿لا يسمعون فيها﴾** أي: الجنة، عند شرب الخمر، وغيرها من الأحوال **﴿لغواً﴾** باطلاً من القول **﴿ولا كذاباً﴾** بالتخفيف، أي: كذباً، وبالتشديد، أي: تكذيباً من واحد لغيره، بخلاف ما يقع في الدنيا عند شرب الخمر. ٣٦ **﴿جزاءً من ربك﴾** أي: جزاهم الله بذلك جزاء **﴿عطاءً﴾** بدل من «جزاء» **﴿حساباً﴾** أي: كثيراً من قولهم: أعطاني فأحسبني، أي: أكثر علي، حتى قلتُ: حَسْبي. ٣٧ **﴿رب السماوات والأرض﴾** بالجر والرفع **﴿وما بينهما الرحمن﴾** كذلك، وبرفعه مع جر «رب» **﴿لا يملكون﴾** أي: الخلق **﴿منه﴾** تعالى **﴿خطاباً﴾** أي: لا يقدر أحد أن يخاطبه، خوفاً منه. ٣٨ **﴿يوم﴾** ظرف لـ «لا يملكون» **﴿يقوم الروح﴾** جبريل، أو: جند الله **﴿والملائكة صفاً﴾** حال، أي: مصطفين **﴿لا يتكلمون﴾** أي: الخلق **﴿إلا من أذن له الرحمن﴾** في الكلام **﴿وقال﴾** قولاً **﴿صواباً﴾** من المؤمنين والملائكة، كأن يشفعوا لمن ارتضى.

٣٩ **﴿ذلك اليوم الحق﴾** الثابت وقوعه، وهو: يوم القيامة **﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه مآباً﴾** مرجعاً، أي: رجع إلى الله بطاعته، ليَسْلَمَ من العذاب فيه.

٤٠ **﴿إنا أنذرناكم﴾** أي: كفار مكة [وغيرها] **﴿عذاباً قريباً﴾** عذاب يوم القيامة الآتي، وكلُّ آتٍ قريبٌ **﴿يوم﴾** ظرف لـ «عذاباً» بصفته، [أي: مع صفته] **﴿ينظر المرء﴾** كل امرىء **﴿ما قدمت يداه﴾** من خير وشر **﴿ويقول الكافر يا﴾** حرف تنبيه **﴿ليتني كنت تراباً﴾** يعني: فلا أعذب، يقول ذلك عندما يقول الله تعالى للبهائم[1]، بعد الاقتصاص من بعضها لبعض: «كوني تراباً»، [أو معناه: يا ليتني لم أخلق].

(١) قوله: «عندما يقول الله تعالى للبهائم.. إلخ». هو إشارة إلى ما رواه عبد بن حميد وابن المنذر والطبري والبيهقي وغيرهم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «يُحشر الخلائق كلهم يوم القيامة، البهائم والدواب والطير وكل شيء، فيبلغ من عدل الله أن يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول: «كوني تراباً» فذلك حين يقول الكافر ﴿يا ليتني كنت تراباً﴾»، وروى الحاكم مثله عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، =

﴿سُورَةُ النَّازِعَاتِ﴾

(مكية، ست وأربعون اية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿والنازعات﴾ الملائكة تنزع أرواح الكفار ﴿غرقاً﴾ نزعاً بشدة. ٢ ﴿والناشطات نشطاً﴾ الملائكة تَنْشَطُ أرواح المؤمنين، أي: تَسُلُّها برفق. ٣ ﴿والسابحات سبحاً﴾ الملائكة تسبح من السماء بأمره تعالى، أي: تنزل. ٤ ﴿فالسابقات سبقاً﴾ الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة. ٥ ﴿فالمدبرات أمراً﴾ الملائكة تدبر أمر الدنيا، أي: تنزل بتدبيره، وجواب هذه الأقسام محذوف، أي: لتبعثن يا كفار مكة [وغيرها]، وهو عامل في: ٦ ﴿يوم ترجف الراجفة﴾ النفخة الأولى، بها يرجف كل شيء، أي: يتزلزل، فوصف بما يحدث بها. ٧ ﴿تتبعها الرادفة﴾ النفخة الثانية، بينهما أربعون[1] سنة، والجملة حال من «الراجفة»، فاليوم واسع للنفختين وغيرهما، فصح ظرفيته للبعث، الواقع عقب الثانية. ٨ ﴿قلوب يومئذ واجفة﴾ خائفة قلقة. ٩ ﴿أبصارها خاشعة﴾ ذليلة، لهول ما ترى. ١٠ ﴿يقولون﴾ أي: أرباب القلوب والأبصار، استهزاء وإنكاراً للبعث ﴿ءإنا﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين، [وتركه] ﴿لمردودون في الحافرة؟﴾ أي: أنرد بعد الموت إلى الحياة؟ و «الحافرة»: اسم لأول الأمر، ومنه: رجع فلان في حافرته، و «الحافرة»: إذا رجع من حيث جاء. ١١ ﴿ءإذا كنا عظاماً نخرة؟﴾ وفي قراءة: «ناخرة»، بالية متفتتة، نُخِرَا؟ ١٢ ﴿قالوا تلك﴾ أي: رجعتنا إلى الحياة ﴿إذاً﴾ إن صَحَّتْ ﴿كرة﴾ رجعة ﴿خاسرة﴾ ذات خسران، [قالوا ذلك استهزاء]. ١٣ قال تعالى: ﴿فإنما هي﴾ أي: الرادفة، التي يعقبها البعث ﴿زجرة﴾ نفخة ﴿واحدة﴾ فإذا نفخت. ١٤ ﴿فإذا هم﴾ أي: كل الخلائق ﴿بالساهرة﴾ بوجه الأرض أحياء، بعدما كانوا ببطنها أمواتاً. ١٥ ﴿هل أتاك﴾ يا محمد ﴿حديث موسى؟﴾ عامل في: ١٦ ﴿إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى﴾ اسم الوادي، بالتنوين، وتركه، فقال [له]:

سُورَةُ النَّازِعَاتِ ٧٩

(٧٩) سُورَةُ النَّازِعَاتِ مَكِّيَّة وَآيَاتُهَا سِتٌّ وَأَرْبَعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾

= أما الأخذ للشاة الجماء من الشاة القرناء فقد جاء فيما رواه مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لتؤدُّنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»، و «الجلحاء» هي: الشاة التي لا قرن لها، و «القرناء» هي: ذات القرن، فهذه تؤذي تلك في الدنيا، فيكون الاقتصاص في الآخرة إظهاراً للعدل بين جميع الخلق.

(١) قوله: «بينهما أربعون سنة» الأحسن عدم التعيين بل يقال: أربعون، وكفى، وقد بينا ذلك مع الدليل في تعليقنا ص ٥٨٣ فارجع إليه.

١٧﴿اذهب إلى فرعون إنه طغى﴾ تجاوز الحد في الكفر. ١٨﴿فقل هل لك﴾ أدعوك ﴿إلى أن تَزَكَّى﴾ وفي قراءة: بتشديد الزاي، بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها: تتطهر من الشرك، بأن تشهد أن لا إله إلا الله. ١٩﴿وأهديك إلى ربك﴾ أدلك على معرفته ببرهان ﴿فتخشى﴾ فتخافه. ٢٠﴿فأراه الآية الكبرى﴾ من آياته التسع[1] وهي: اليد أو العصا. ٢١﴿فكذب﴾ فرعون موسى ﴿وعصى﴾ الله تعالى. ٢٢﴿ثم أدبر﴾ عن الإيمان ﴿يسعى﴾ في الأرض بالفساد. ٢٣﴿فحشر﴾ جَمَعَ السحرةَ وجندَهُ ﴿فنادى﴾. ٢٤﴿فقال أنا ربكم الأعلى﴾ لا رب فوقي. ٢٥﴿فأخذه الله﴾ أهلكه بالغرق ﴿نكال﴾ عقوبةَ ﴿الآخرة﴾ أي: هذه الكلمة ﴿والأولى﴾ أي: قوله قبلها: «ما علمتُ لكم من إله غيري»، و[قيل:] كان بينهما أربعون سنة.

٢٦﴿إن في ذلك﴾ المذكور ﴿لعبرة لمن يخشى﴾ الله تعالى. ٢٧﴿ءأنتم﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفاً، وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه، أي: منكرو البعث ﴿أشد خلقاً أم السماء﴾ أشد خلقاً؟ [وجواب السؤال محذوف تقديره: بل السماء، قال تعالى: «لخلقُ السماوات والأرض أكبر من خلق الناس»] ﴿بناها﴾ بيان لكيفية خلقها. ٢٨﴿رفع سمكها﴾ تفسير لكيفية البناء، أي: جعل سمتها في جهة العُلو رفيعاً، [وقيل: ثِخَنَها وغِلَظَها، أي: جعلَها سميكةً]، وقيل: «سَمْكها» سقفها ﴿فسواها﴾ جعلها مستوية بلا عيب. ٢٩﴿وأغطش ليلها﴾ أظلمه ﴿وأخرج ضحاها﴾ أبرز نور شمسها، وأضيف إليها الليل، لأنه [مثل] ظلها، والشمسُ لأنها سراجها.

٣٠﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ بسطها [ومهدها، لتكون صالحة للحياة عليها]، وكانت مخلوقة قبل السماء من غير دحو.

٣١﴿أخرج﴾ حال بإضمار «قد»، أي: [دحاها] مخرجاً ﴿منها ماءها﴾ بتفجير عيونها ﴿ومرعاها﴾ ما ترعاه النَّعم، من الشجر والعشب، وما يأكله الناس، من الأقوات والثمار، وإطلاق «المرعى» عليه استعارة.

ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾

٣٢﴿والجبال أرساها﴾ أثبتها على وجه الأرض، لتسكن. ٣٣﴿متاعاً﴾ مفعول له لمقدر، أي: فعل ذلك متعة، أو: مصدر، أي: تمتيعاً ﴿لكم ولأنعامكم﴾ جمع «نَعَم» وهي: الإبل والبقر والغنم. ٣٤﴿فإذا جاءت الطامة الكبرى﴾ النفخة الثانية. ٣٥﴿يوم يتذكر الإنسان﴾ بدل من «إذا» ﴿ما سعى﴾ في الدنيا، من خير وشر. ٣٦﴿وبرزت﴾ أظهرت ﴿الجحيم﴾ النار المحرقة ﴿لمن يرى﴾ لكل «راءٍ»، وجواب «إذا»: ٣٧﴿فأما من طغى﴾ كفر.

---

(١) قوله: «من آياته التسع»، لقد أوتي موسى عليه السلام آيات ومعجزات كثيرة، ارجع إلى تعليقنا ص ٢٧٨ حيث بيناها.

٣٨ ﴿وآثر الحياة الدنيا﴾ [فضلها وقدَّمها]، باتباع الشهوات. ٣٩ ﴿فإن الجحيم هي المأوى﴾ مأواه. ٤٠ ﴿وأما من خاف مقام ربه﴾ قيامه بين يديه ﴿ونهى النفس﴾ الأمّارة [بالسوء] ﴿عن الهوى﴾ المُرْدي، باتباع الشهوات. ٤١ ﴿فإن الجنة هي المأوى﴾ وحاصل الجواب: فالعاصي في النار، والطائع في الجنة. ٤٢ [عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سأل مشركو مكة رسول الله ﷺ: متى تكون الساعة؟ ـ استهزاءً ـ فنزل:] ﴿يسألونك﴾ كفار مكة ﴿عن الساعة أيان مرساها؟﴾ متى وقوعها وقيامها؟. ٤٣ ﴿فيم﴾ في أيّ شيء ﴿أنت من ذكراها؟﴾ ليس عندك علمها حتى تذكرها. ٤٤ ﴿إلى ربك منتهاها﴾ منتهى علمها، لا يعلمها غيره. ٤٥ ﴿إنما أنتَ منذر﴾ إنما ينفع إنذارك ﴿من يخشاها﴾ يخافها.

وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ

٤٦ ﴿كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا﴾ في قبورهم ﴿إلا عشية أو ضحاها﴾ عشية يوم أو بكرته، وصح إضافة الضحى إلى العشية، لما بينهما من الملابسة، إذ هما طرفا النهار، وحَسَّنَ الإضافة، وقوعُ الكلمة فاصلة، [أي: رأس آية، تناسب رؤوس الآي قبلها].

﴿سُورَةُ عَبَسَ﴾

(مكية، اثنتان وأربعون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ﴿عَبَسَ﴾[1] النبيُّ ﷺ، كَلَحَ [أي: تكَسَّرَ] وجهُهُ [عابساً] ﴿وتولّى﴾ أعرض، لأجل. ٢ ﴿أن جاءه الأعمى﴾ [وهو] «عبد الله بن أم مكتوم»، فقطعه عما هو مشغول به، ممن يرجو إسلامه من أشراف قريش، الذين هو حريص على إسلامهم، ولم يدر الأعمى أنه مشغول بذلك، فناداه: علّمني مما علمك الله، فانصرف النبي ﷺ إلى بيته، فعوتب في ذلك، بما نزل في هذه السورة، فكان بعد ذلك يقول له إذا جاء[2]: «مرحَباً بمن عاتبني فيه ربي»، ويبسط له رداءه.
٣ ﴿وما يدريك﴾ يعلمك ﴿لعله يزّكى﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الزاي، أي: يتطهر من الذنوب، بما يسمع منك.
٤ ﴿أو يذَّكر﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الذال، أي: يتعظ ﴿فتنفعَهُ الذكرى﴾ العظة المسموعة منك، وفي قراءة: بنصب «تنفعه»، جواب الترجي. ٥ ﴿أما من

---

(١) قوله تعالى: ﴿عبس وتولى. .﴾ الآيات. أخرج الترمذي وحسنه، والحاكم وصححه، وابن حبان عن عائشة رضي الله عنها قالت: أنزلت سورة ﴿عبس وتولى﴾ في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني، وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين ـ هو: أبي بن خلف، ذكره أبو يعلى في مسنده ـ فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه ويقبل على الآخر فيقول له: «أترَى بما أقول بأساً؟ فيقول: لا. فنزلت ﴿عبس وتولى أن جاءه الأعمى﴾ الآيات. . .

(٢) قوله: «يقول له إذا جاء الخ. .». لم يثبت هذا القول مرفوعاً إلى النبي ﷺ ولا موقوفاً على صحابي، بل رواه الواحدي في =

استغنى﴾ بالمال. ﴿فأنت له تصدى﴾ وفي قراءة: بتشديد الصاد، بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها، [أي:] تُقْبِلُ وتتعرّض، [وهذا لَفٌّ ونشر مرتب، للمعنى والقراءة]. ٧﴿وما عليك ألا يزكى﴾ يؤمن. ٨﴿وأما من جاءك يسعى﴾ حال من فاعل: «جاء». ٩﴿وهو يخشى﴾ الله، حال من فاعل: «يسعى»، وهو: الأعمى. ١٠﴿فأنت عنه تلهى﴾ فيه حذف التاء الأخرى في الأصل، أي: تتشاغل؟. ١١﴿كلاَّ﴾ لا تفعل مثل ذلك ﴿إنها﴾ أي: السورة، أو: الآيات ﴿تذكرة﴾ عظة للخلق. ١٢﴿فمن شاء ذكره﴾ حفظ ذلك، فاتعظ به. ١٣﴿في صحف﴾ خبر ثان لـ «إنها»، وما قبله اعتراض ﴿مكرمة﴾ عند الله. ١٤﴿مرفوعة﴾ في السماء ﴿مطهرة﴾ منزهة من مس الشياطين. ١٥﴿بأيدي سفرة﴾ كتبة ينسخونها من اللوح المحفوظ. ١٦﴿كرام بررة﴾ مطيعين لله تعالى، وهم الملائكة. ١٧﴿قتل الإنسان﴾ لعن الكافر ﴿ما أكفره؟﴾ استفهام توبيخ، أي: ما حمله على الكفر؟ [أو: ما أشد كفره؟]. ١٨﴿من أي شيء خلقه؟﴾ استفهام تقرير. ١٩ ثم بينه فقال: ﴿من نطفة خلقه فقدره﴾ علقةً ثم مضغةً، إلى آخر خلقه. ٢٠﴿ثم السبيل﴾ أي: طريق خروجه من بطن أمه ﴿يسره﴾. ٢١﴿ثم أماته فأقبره﴾ جعله في قبر يستره[1]. ٢٢﴿ثم إذا شاء﴾ [أي: في الوقت الذي شاء إنشاره، وإخراجه من القبر فيه] ﴿أنشره﴾ للبعث، [أي: أحياه بعد موته].
٢٣﴿كلاَّ﴾ حقاً ﴿لما يقض﴾ لم يفعل [حتى موته] ﴿ما أمره﴾ به ربه، [فالإنسان مقصِّر مهما فعل].
٢٤﴿فلينظر الإنسان﴾ نظر اعتبار ﴿إلى طعامه﴾ كيف قُدِّرَ ودُبِّرَ له.
٢٥﴿أنا صببنا الماء﴾ من السحاب [على الأرض] ﴿صباً﴾ [أي: بغزارة].
٢٦﴿ثم شققنا الأرض﴾ بالنبات ﴿شقاً﴾.
٢٧﴿فأنبتنا فيها حباً﴾ كالحنطة والشعير.
٢٨﴿وعنباً وقضباً﴾ هو: القتُّ الرَّطْبُ، [علفاً للدواب].
٢٩﴿وزيتوناً ونخلاً﴾ [أي: شجرة الزيتون والنخيل].
٣٠﴿وحدائق غلباً﴾ بساتين كثيرة الأشجار.
٣١﴿وفاكهة وأبّاً﴾ ما ترعاه البهائم، وقيل: التِّبْن.

ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾

= «أسباب النزول» بلا إسناد وذكره القرطبي في تفسيره منسوباً إلى سفيان الثوري رحمه الله، وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج أحاديث الكشاف»: ذكره الثعلبي بلا إسناد. وروى ابن أبي حاتم من رواية العَوْفي عن ابن عباس نحوه، إلا أن الحافظ ابن كثير علق على إسناد هذه الرواية قائلاً: فيه غرابة ونكارة وقد تُكُلِّم في إسناده.

وحاصل ما تقدم: أن قول: «مرحباً بمن عاتبني فيه ربي» لم يثبت مرفوعاً ولا موقوفاً، خلافاً لما هو شائع، لكن الثابت ما رواه أبو يعلى في مسنده وابن جرير الطبري وابن أبي حاتم: أنه ﷺ كان بعد ذلك، يكرم عبد الله ابن أم مكتوم ويسأله: «ما حاجتك؟ هل تريد من شيء؟». وكان يؤذن لرسول الله ﷺ، واستخلفه على المدينة مرتين.

(١) يقال «قبره» إذا دفنه، و «أقبره»، إذا جعل له قبراً يوارى فيه، ومنه يظهر أن تفسير الجلال المحلِّي ليس لكلمة «فأقبره» بل هو لكلمة: «قبره»، فانتبه وتأمل.

٣٢﴿متاعاً﴾ متعة، أو: [مصدر، أي:] تمتيعاً، كما تقدم في السورة قبلها[1]، ﴿لكم ولأنعامكم﴾ [جمع «نَعَم»، وهي: الإبل والبقر والغنم، كما] تقدم فيها أيضاً.
٣٣﴿فإذا جاءت الصاخة﴾ النفخة الثانية، [وسميت بذلك، لأنها تَصُخُّ الآذان، أي: تُصِمُّها بشدتها].
٣٤﴿يوم يفر﴾ [أي: يهرب] ﴿المرء من أخيه﴾.
٣٥﴿وأمه وأبيه﴾.
٣٦﴿وصاحبته﴾ زوجته ﴿وبنيه﴾ [أولاده]، «يوم» بدل من «إذا»، وجوابها دل عليه [قوله:].

مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

(٨١) سُورَةُ التَّكْوِيرِ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا تِسْعٌ وَعِشْرُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾

٣٧﴿لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ حال يشغله عن شأن غيره، أي: اشتغل كل واحد بنفسه.
٣٨﴿وجوه يومئذ مسفرة﴾ [مشرقة] مضيئة.
٣٩﴿ضاحكة مستبشرة﴾ فرحة [بما آتاها الله من الكرامة]، وهم المؤمنون.
٤٠﴿ووجوه يومئذ عليها غبرة﴾ غبار.
٤١﴿ترهقها﴾ تغشاها ﴿قترة﴾ ظلمة وسواد.
٤٢﴿أولئك﴾ أهل هذه الحالة ﴿هم الكفرة الفجرة﴾ أي: الجامعون بين الكفر والفجور.

﴿سُورَةُ التَّكْوِيرِ﴾

(مكية، تسع وعشرون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١﴿إذا الشمس كُورت﴾ لُفِّفت وذُهِبَ بنورها.
٢﴿وإذا النجوم انكدرت﴾ انقضَّتْ وتساقطت على الأرض[2].
٣﴿وإذا الجبال سيرت﴾ ذُهِبَ بها عن وجه الأرض، فصارت هباء منثوراً[3].
٤﴿وإذا العشار﴾ النوق الحوامل ﴿عطلت﴾ تُرِكَتْ بلا راع، أو: بلا حَلَبٍ [ــ بفتح اللام ــ] لِمَا دَهَم من الأمور، ولم يكن مالٌ أعجبَ إليهم منها.

---

(١) أي: في الآية «٣٣» من سورة «النازعات» السابقة.
(٢) قوله: «انقضَّت وتساقطت على الأرض»، هذا ليس تفسيراً «للإنكدار»، بل هو معنى قوله تعالى في سورة «الانفطار»: ﴿وإذا الكواكب انتثرت﴾ كما سيأتي، ولو استغنى عن قوله: «على الأرض» لكان أحسن لأن النجوم لا تتساقط على الأرض، بل تتفتت وتتناثر وتفنى قال تعالى: ﴿يوم تبدّل الأرض غيرَ الأرض والسماوات﴾، ومعنى ﴿انكدرت﴾: طمست ومحي نورها، وقد بينا هذه المسألة في تعليقنا عند قوله تعالى: ﴿وإذا النجوم طمست﴾ ص ٧٨٤ فارجع إليه.
(٣) قوله: «منثوراً»، هو هكذا في المخطوطتين الأولى والثانية، وجاء في المخطوطة الثالثة وبعض النسخ المطبوعة: «منبثاً»، ولا فرق بينهما من حيث المعنى، لأن «الهباء» وُصِفَ بهما في القرآن الكريم، و «الهباء» هو: الغبار المنتشر.

٥ ﴿وإذا الوحوش حشرت﴾ جُمِعَتْ بعد البعث، ليقتص لبعضٍ من بعض، ثم تصير تراباً [كما تقدم في سورة «النبأ» ص٧٨٨]. ٦ ﴿وإذا البحار سُجِرَتْ﴾ بالتخفيف والتشديد: أوقدتْ فصارت ناراً. ٧ ﴿وإذا النفوس زوجت﴾ قرنت بأجسادها، [أي: رُدَّت الأرواح إلى الأجساد]. ٨ ﴿وإذا الموؤدة﴾ الجارية [ـ أي: الأنثى المولودة ـ] تدفن حية، خوف العار والحاجة ﴿سئلت﴾ تبكيتاً لقاتلها، [وإلزاماً له بالحجة]. ٩ ﴿بأي ذنب قتلت؟﴾ وقرىء [شذوذاً] بكسر التاء، حكاية لما تخاطَبُ به، وجوابها أن تقول: قتلتُ بلا ذنب. ١٠ ﴿وإذا الصحف﴾ صحف الأعمال ﴿نشرت﴾ بالتخفيف والتشديد: فتحت وبسطت. ١١ ﴿وإذا السماء كشطت﴾ نزعت عن أماكنها، كما ينزع الجلد عن الشاة. ١٢ ﴿وإذا الجحيم﴾ النار ﴿سُعِرَتْ﴾ بالتخفيف والتشديد: أُجِّجَتْ. ١٣ ﴿وإذا الجنة أزلفت﴾ قُرِّبَتْ لأهلها ليدخلوها، وجواب «إذا» [التي في] أول السورة، وما عطف عليها [هو:] ١٤ ﴿علمت نفس﴾ أي: كل نفس، وقتَ هذه المذكورات، وهو: يوم القيامة ﴿ما أحضرت﴾ من خير وشر. ١٥ ﴿فلا أقسم﴾ لا زائدة [لتأكيد القسم] ﴿بالخنَّس﴾. ١٦ ﴿الجوار الكنس﴾ هي: النجوم الخمسة، «زحل» و «المُشتَري» و «المرِّيخ» و «الزُّهرة» و «عُطارد»، «تخنُس» بضم النون، أي: ترجع في مجراها وراءها، [فإنه] بيّنا ترى النجم في آخر البرج، إذ [به] كَرَّ راجعاً إلى أوله، و «تكْنِسُ» بكسر النون: تدخل في «كِنَاسِها»، [و«كِناسُ الظبي»: مخبؤه بين الشجر]، أي: تغيب في المواضع التي تغيب فيها. ١٧ ﴿والليل إذا عسعس﴾ أقبل بظلامه، أو: أدبر. ١٨ ﴿والصبح إذا تنفس﴾ امتد حتى يصير نهاراً بيّناً. ١٩ ﴿إنه﴾ أي: القرآن ﴿لقول رسول كريم﴾ على الله تعالى، وهو: «جبريل»، أضيف إليه لنزوله به. ٢٠ ﴿ذي قوة﴾ أي: شديد القوى ﴿عند ذي العرش﴾ أي: عند الله تعالى ﴿مكين﴾ ذي مكانة، متعلق به «عند». ٢١ ﴿مطاع ثم﴾ أي: تطيعه الملائكة في السماوات والأرض ﴿أمين﴾ على الوحي. ٢٢ ﴿وما صاحبكم﴾ محمد ﷺ، عطف على «إنه»، إلى آخر المُقْسَم عليه ﴿بمجنون﴾ كما زعمتم. ٢٣ ﴿ولقد رآه﴾ رأى محمد جبريل عليهما الصلاة والسلام على صورته التي خُلِقَ عليها[1]. ﴿بالأفق المبين﴾ البين، وهو [الأفق] الأعلى بناحية المشرق. ٢٤ ﴿وما هو﴾ أي: محمد عليه الصلاة والسلام ﴿على الغيب﴾ ما غاب من الوحي وخبر السماء ﴿بظنين﴾ أي: بمتهم، وفي قراءة بالضاد، أي: ببخيل، فيُنقص شيئاً منه. ٢٥ ﴿وما هو﴾ أي: القرآن ﴿بقول شيطان﴾ مسترق السمع ﴿رجيم﴾ مرجوم. ٢٦ ﴿فأين تذهبون؟﴾ فأي طريق تسلكون، في إنكاركم القرآن، وإعراضكم عنه؟ ٢٧ ﴿إن﴾ ما ﴿هو إلا ذكر﴾ عظة ﴿للعالمين﴾ الإنس والجن. ٢٨ ﴿لمن

وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن

---

(١) قوله: «على صورته التي خلق عليها»، هذه هي المرة الأولى التي رآه فيها كذلك، كما في حديث رواه الشيخان، ذكرنا نصه في تعليقنا ص ٧٠٠.

شاء منكم﴾ بدل من «العالمين» بإعادة الجار ﴿أن يستقيم﴾ باتباع الحق. ٢٩ ﴿وما تشاؤون﴾ الاستقامة على الحق ﴿إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾ [أي: إلا أن يشاء رب] الخلائق استقامتكم عليه.

﴿سُورَةُ الانْفِطَارِ﴾

(مكية، تسع عشرة آية)

سُورَةُ الانفِطَارِ ٨٢

شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾

(٨٢) سُورَةُ الانفِطَارِ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا تِسْعَ عَشْرَةَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾

نصف الحزب

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

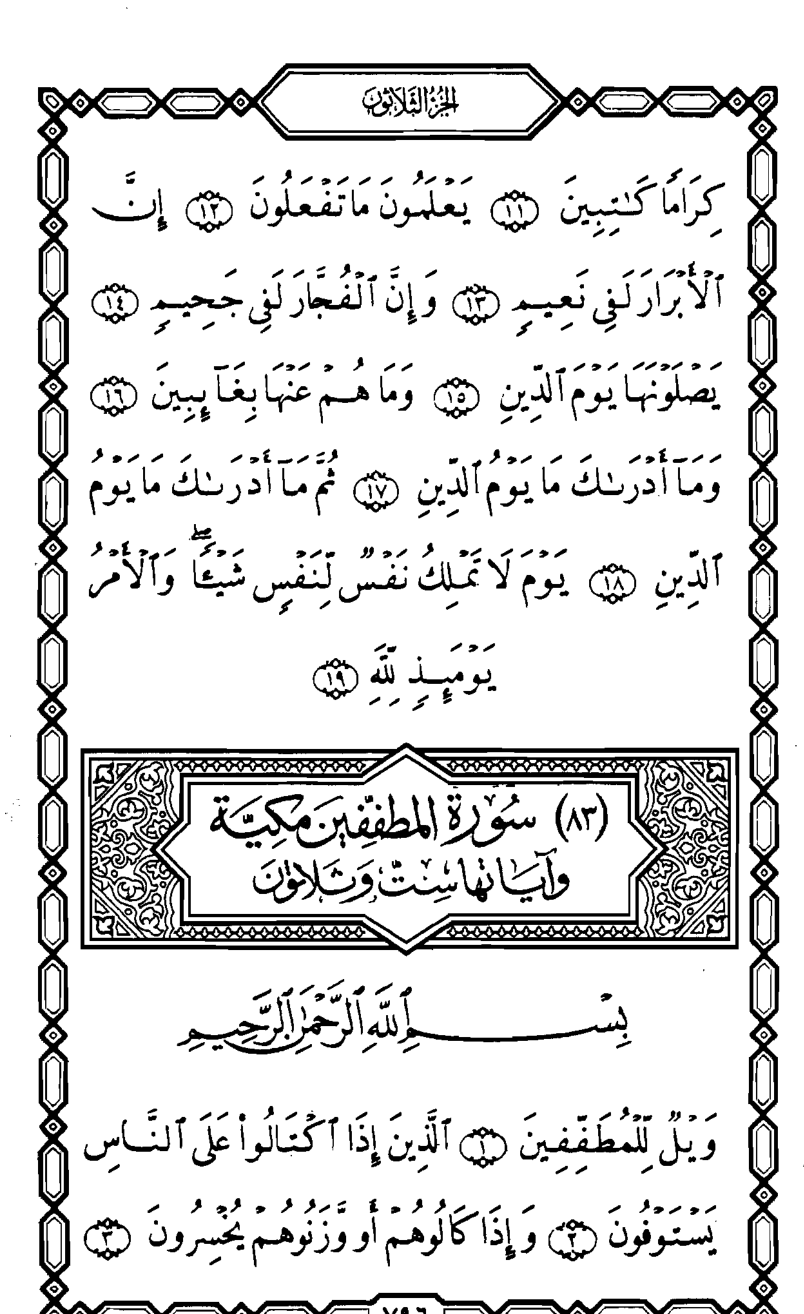
١ ﴿إذا السماء انفطرت﴾ انشقت.
٢ ﴿وإذا الكواكب انتثرت﴾ انقضّت وتساقطت[(١)].
٣ ﴿وإذا البحار فجرت﴾ فتح بعضها في بعض، فصارت بحراً واحداً، واختلط العذب بالملح.
٤ ﴿وإذا القبور بعثرت﴾ قُلِبَ ترابها، وبُعِثَ موتاها، وجواب «إذا» وما عطف عليها [هو]:
٥ ﴿علمت نفس﴾ أي: كل نفس، وقتَ هذه المذكورات، وهو: يوم القيامة ﴿ما قدمت﴾ من الأعمال ﴿و﴾ ما ﴿أخرت﴾ منها، فلم تعمله[(٢)]
٦ ﴿يا أيها الإنسان﴾ الكافر ﴿ما غرك بربك الكريم﴾ حتى عصيتَه [بكفرك؟ والجواب: غرَّهُ جهلُهُ وشيطانُهُ المسلَّط عليه، لقوله تعالى: «ولا يغرَّنَّكم بالله الغَرورُ»].
٧ ﴿الذي خلقك﴾ بعد أن لم تكن ﴿فسواك﴾ جعلك مستوي الخلقة، سالم الأعضاء ﴿فعدلك﴾ بالتخفيف والتشديد: جعلك معتدل الخلق، متناسب الأعضاء، ليست يد أو رجل، أطولَ من الأخرى.
٨ ﴿في أي صورة ما﴾ زائدة ﴿شاء ركبك﴾.
٩ ﴿كلا﴾ ردع عن الاغترار[(٣)] بكرم الله تعالى ﴿بل تكذبون﴾ أي: كفار مكة [وغيرها] ﴿بالدين﴾ الجزاء على الأعمال. ١٠ ﴿وإن عليكم لحافظين﴾ من الملائكة لأعمالكم.

(١) قوله: «انقضت وتساقطت»، ارجع إلى تعليقنا ص ٧٨٤ حيث بينا معنى هذه الآية ومثيلاتها.

(٢) قوله: «فلم تعمله»، لا معنى له، لأن الإنسان لا يحاسَب إلا عما له فيه كسب، والصحيح أن معنى ﴿علمت نفس ما قدمت وأخرت﴾ كمعنى قوله تعالى: ﴿ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر﴾ وقد بيَّنا ذلك واضحاً في تفسير هذه الآية من سورة ﴿القيامة﴾ ص ٧٧٩ فارجع إليه.

(٣) قوله: «ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى»، يشير إلى أن الجلال المحلي رحمه الله يرى أن جواب السؤال في الآية السادسة: ﴿ما غرك بربك الكريم؟﴾ هو: غرَّه كرمُ الله وعفوه، وهذا قول واهٍ ضعيف، بل لا يجوز التفسير به أصلاً، فالكافر لا يفكر بهذا المستوى الرفيع من التفكير، نعم: لو حُمل السؤال على العاصي المؤمن لكان هذا الجواب مقبولاً، ولكن الآية تخاطب الإنسان الكافر، فالصحيح أن الكافر غرَّه جهله وشيطانه، كما بيناه في التفسير.

١١﴿كراماً﴾ على الله ﴿كاتبين﴾ لها.
١٢﴿يعلمون ما تفعلون﴾ [أي:] جميعه.
١٣﴿إن الأبرار﴾ المؤمنين الصادقين في إيمانهم ﴿لفي نعيم﴾ جنة.
١٤﴿وإن الفجار﴾ الكفار ﴿لفي جحيم﴾ نار محرقة.
١٥﴿يصلونها﴾ يدخلونها ويقاسون حرها ﴿يوم الدين﴾ الجزاء.
١٦﴿وما هم عنها بغائبين﴾ بمخرجين.
١٧﴿وما أدراك﴾ أعلمك ﴿ما يوم الدين؟﴾.
١٨﴿ثم ما أدراك ما يوم الدين؟﴾ تعظيم لشأنه.
١٩﴿يومُ﴾ بالرفع [خبر مبتدأ محذوف]، أي: هو يوم، [وفي قراءة بالنصب على الظرفية، أي: الجزاء في يوم] ﴿لا تملك نفس لنفس شيئاً﴾ من المنفعة ﴿والأمر يومئذ لله﴾ أي: لا أمر لغيره فيه، أي: لم يُمَكِّنْ أحداً من التوسط فيه، بخلاف الدنيا.



﴿سورة التطفيف﴾

﴿[أو: سُورَةُ المُطَفِّفِينَ]﴾

(مكية، أو مدنية، ست وثلاثون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١﴿ويل﴾[1] كلمة عذاب، أو: واد في[2] جهنم ﴿للمطففين﴾ [ثم بَيَّنَ مَنْ هم فقال تعالى:].
٢﴿الذين إذا اكتالوا على﴾ أي: من ﴿الناس يستوفون﴾ الكيل [أو الوزن، بالزيادة فيه].
٣﴿وإذا كالوهم﴾ أي: كالوا لهم ﴿أو وزنوهم﴾ أي: وزنوا لهم ﴿يخسرون﴾ يُنقِصون الكيل والوزن:

---

(١) قوله تعالى: ﴿ويل للمطففين﴾ الآيات. أخرج النسائي وابن ماجه بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أبخس الناس كيلاً فأنزل الله: ﴿ويل للمطففين﴾ فأحسنوا الكيل بعد ذلك.
وإحسان الكيل والوزن باب من أبواب الأمانة، وبخسهما غش وخيانة، قال الله تعالى: ﴿وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾، وأهلك الله تعالى قوم شعيب عليه السلام، لأنهم كانوا يبخسون الناس في المكيال والميزان.
(٢) قوله: «أو واد في جهنم»، ذكر الجلال المحلي هذا القول ــ في معنى «ويل» ــ ثلاث مرات: هنا، وفي الآية «٢٧» من سورة «ص» ص ٦٠٠ حيث اقتصر على هذا القول، والمرة الثالثة في سورة «الهمزة» ص ٨٢١، وفي المواضع الأخرى يقتصر على القول الأول.

﴿ألا﴾ استفهام توبيخ ﴿يظن﴾ يتقين ﴿أولئك أنهم مبعوثون﴾. ٥﴿ليوم عظيم؟﴾ أي: فيه، وهو يوم القيامة، [فيسألون عن أعمالهم؟]. ٦﴿يوم﴾ بدل من محل «ليوم»، فناصبه: «مبعوثون» ﴿يقوم الناس﴾ من قبورهم ﴿لرب العالمين﴾ الخلائق: لأجل أمره وحسابه وجزائه. ٧﴿كلا﴾ حقاً ﴿إن كتاب الفجار﴾ أي: كتاب أعمال الكفار ﴿لفي سجين﴾ قيل: هو كتاب جامع لأعمال الشياطين والكَفَرة، وقيل: هو[1] مكان أسفل الأرض السابعة، وهو: محل إبليس وجنوده. ٨﴿وما أدراك ما سجين﴾ ما كتاب سجين[تعظيم لشأنه]. ٩﴿كتاب مرقوم﴾ [أي: كتاب الفجار] مختوم، [لا يُنسى ولا يمحى]. ١٠﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾. ١١﴿الذين يكذبون بيوم الدين﴾ الجزاء، بدل أو: بيان «للمكذبين».

سُورَةُ المُطَفِّفِين ٨٣

أَلَا يَظُنُّ أُولَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ

١٢﴿وما يكذب به إلا كل معتد﴾ متجاوز الحد ﴿أثيم﴾ صيغة مبالغة، [أي: كثير الإثم بكفره]. ١٣﴿إذا تتلى عليه آياتنا﴾ القرآن ﴿قال أساطير الأولين﴾ الحكايات التي سطرت قديماً، جمع: «أسطورة» بالضم، أو: «إسطارة» بالكسر. ١٤﴿كلا﴾ ردع وزجر لقولهم ذلك ﴿بل ران﴾ غلب ﴿على قلوبهم﴾ فغشيها. ﴿ما كانوا يكسبون﴾ من المعاصي، فهو كالصدأ، [قال المفسرون: هو الذنب على الذنب، حتى يَسْوَدَّ القلب]. ١٥﴿كلا﴾ حقاً ﴿إنهم عن ربهم يومئذ﴾ يوم القيامة ﴿لمحجوبون﴾ فلا يرونه[2]. ١٦﴿ثم إنهم لصالو الجحيم﴾ لداخلو النار المحرقة. ١٧﴿ثم يقال﴾ لهم ﴿هذا﴾ أي: العذاب ﴿الذي كنتم به تكذبون﴾. ١٨﴿كلا﴾ حقاً ﴿إن كتاب الأبرار﴾ أي: كتاب أعمال المؤمنين، الصادقين في إيمانهم ﴿لفي عليين﴾ قيل: هو كتاب جامع لأعمال الخير، من الملائكة ومؤمني الثقلين، وقيل: هو[3] مكان في السماء السابعة تحت العرش. ١٩﴿وما أدراك﴾ أعلمك ﴿ما عليون﴾ ما كتاب عليين؟ ٢٠ هو: [أي كتاب الأبرار] ﴿كتاب مرقوم﴾ مختوم، [لا يُنسى ولا يمحى]. ٢١﴿يشهده المقربون﴾ من الملائكة. ٢٢﴿إن الأبرار لفي نعيم﴾ جنة. ٢٣﴿على الأرائك﴾ السرر في الحجال [جمع: «حَجَلَة» وهي: القبة فوق السرير]

(١) قوله: «وقيل هو مكان... إلخ». هذا هو الصحيح، ارجع إلى تعليقنا حول «مستقر الروح بعد الموت» ص ١٩٨.

(٢) قوله: «فلا يرونه» فهم بعضهم من هذه الآية أن العذاب معنوي هو الحجب عن الله تعالى، ليس حسياً، فأنكروا أن يكون عذاب النار حقيقياً، وقالوا كذلك في نعيم الجنة، وهم مخطئون خطأً فاحشاً بيناه في تعليقنا ص ٦٧٤ فارجع إليه، وارجع إلى تعليقنا حول «رؤيته تعالى» ص ٢٧٠.

(٣) قوله: «وقيل هو مكان إلخ» هذا هو الصحيح، فقد روى الإمام أحمد وغيره عن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: عِلِّيون في السماء السابعة تحت العرش»، قال ابن كثير: وهكذا قال غير واحد: إنها السماء السابعة، وهو بخلاف «سجِّين».

﴿ينظرون﴾ ما أعطوا من النعيم.

٢٤﴿تعرف في وجوههم نضرة النعيم﴾ بهجة التنعم وحسنه.

٢٥﴿يسقون من رحيق﴾ خمر خالص من الدنس ﴿مختوم﴾ على إنائها، لا يفكُّ خَتْمَهُ إلاَّ هم.

٢٦﴿ختامه مسك﴾ آخر شربه، تفوح منه رائحة المسك ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ فليرغبوا بالمبادرة إلى طاعة الله.

يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

٢٧﴿ومزاجه﴾ أي: ما يمزج به ﴿من تسنيم﴾ فُسِّرَ بقوله:

٢٨﴿عيناً﴾ فَنَصْبُهُ بـ «أمْدَحُ» مقدراً ﴿يشرب بها المقربون﴾ أي: منها، أو: ضُمِّنَ «يشرب» معنى: «يلتذُّ».

٢٩﴿إن الذين أجرموا﴾ [بالكفر، وعداوة النبي ﷺ والمؤمنين]، كأبي جهل ونحوه ﴿كانوا من الذين آمنوا﴾ كعمَّار وبلال ونحوهما ﴿يضحكون﴾ استهزاء بهم.

٣٠﴿وإذا مروا﴾ أي: المؤمنون ﴿بهم يتغامزون﴾ يشير المجرمون إلى المؤمنين، بالجفن والحاجب استهزاء.

٣١﴿وإذا انقلبوا﴾ رجعوا ﴿إلى أهلهم انقلبوا فاكهين﴾ وفي قراءة: «فكهين»: معجبين بذكرهم المؤمنين، [والاستهزاء بهم].

٣٢﴿وإذا رأوهم﴾ رأوا المؤمنين ﴿قالوا إن هؤلاء لضالون﴾ لإيمانهم بمحمد ﷺ.

٣٣ قال تعالى: ﴿وما أرسلوا﴾ أي: الكفار ﴿عليهم﴾ على المؤمنين ﴿حافظين﴾ لهم، أو: لأعمالهم، حتى يردوهم إلى مصالحهم.

٣٤﴿فاليوم﴾ أي: يوم القيامة ﴿الذين آمنوا من الكفار يضحكون﴾ [كما ضحك الكفار منهم في الدنيا].

٣٥﴿على الأرائك﴾ في الجنة ﴿ينظرون﴾ من منازلهم إلى الكفار وهم يعذبون، فيضحكون منهم، كما ضحك الكفار منهم في الدنيا.

٣٦﴿هل ثوب﴾ جوزي ﴿الكفار ما كانوا يفعلون؟﴾ [أي: ينظر المؤمنون، هل جوزي الكفار على ما كانوا يقابلونهم به في الدنيا، من الاستهزاء والتنقيص؟، فيرون ذلك بأمِّ أعينهم، ويكون الجواب:] نعم.

﴿سُورَةُ الانْشِقَاق﴾
(مكية، ثلاث، أو: خمس وعشرون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١﴿إذا السماء انشقت﴾. ٢﴿وأذنت﴾ سمعت وأطاعت في الانشقاق ﴿لربها وحقت﴾ وحُقَّ لها أن تسمع وتطيع.

(٨٤) سُورَةُ الانْشِقَاقِ مَكِّيَّة
وآياتها خمس وعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن

٣﴿وإذا الأرض مدت﴾ زيد في سعتها، كما يُمَدُّ الأديم [أي: الجلد]، ولم يبق عليها بناء ولا جبل. ٤﴿وألقت ما فيها﴾ من الموتى [والكنوز] إلى ظاهرها ﴿وتخلت﴾ عنه، [روى مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تلقي الأرضُ أفلاذَ كبدها، أمثال الأسطوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل فيقول في هذه ــ أي: لأجل هذا المال ــ قَتَلْتُ، ويجيء القاطع فيقول: في هذا قطعتُ رحمي، ويجيء السارق فيقول: في هذا قطعت يدي، ثم يَدَعُونَهُ فلا يأخذون منه شيئاً»]. ٥﴿وأذنت﴾ سمعت وأطاعت في ذلك ﴿لربها وحقت﴾ وذلك كله يكون يوم القيامة، وجواب «إذا» وما عطف عليها محذوف، دل عليه ما بعده، تقديره: لقي الإنسان عمله. ٦﴿يا أيها الإنسان إنك كادح﴾ جاهد في عملك ﴿إلى﴾ لقاء ﴿ربك﴾ وهو: الموت ﴿كدحاً فملاقيه﴾ أي: ملاق عملك المذكور، من خير أو شر يوم القيامة. ٧﴿فأما من أوتي كتابه﴾ كتاب عمله ﴿بيمينه﴾ هو المؤمن. ٨﴿فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾ هو عَرْضُ عمله عليه، كما فُسِّر في حديث الصحيحين[1]، وفيه: «من نوقش الحساب هلك»، وبعد العرض يُتَجاوزُ عنه. ٩﴿وينقلب إلى أهله﴾ في الجنة ﴿مسروراً﴾ بذلك. ١٠﴿وأما من أوتي كتابه وراء ظهره﴾ هو الكافر، تُغَلُّ يمناه إلى عنقه، وتُخْلَعُ يسراه وراء ظهره، فيأخذ بها كتابه. ١١﴿فسوف يدعو﴾ عند رؤيته ما فيه ﴿ثبوراً﴾ ينادي هلاكه بقوله: يا ثبوراه. ١٢﴿ويصلى سعيراً﴾ يدخل النار الشديدة، وفي قراءة: بضم الياء وفتح الصاد واللام المشددة. ١٣﴿إنه كان في أهله﴾ عشيرته في الدنيا ﴿مسروراً﴾ باتباعه لهواه. ١٤﴿إنه ظن أن﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف، أي: أنه

---

(١) قوله: «كما فسر في حديث الصحيحين»، أي: ما رواه الشيخان وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ نوقش الحساب عُذِّبَ»، قالت: فقلت: أفليس قال الله تعالى: ﴿فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾؟ قال: «ليس ذاك بالحساب ولكنْ: ذلك العرض، من نوقش الحساب عُذِّبَ».

﴿لن يحور﴾ يرجع إلى ربه.
١٥ ﴿بلى﴾ يرجع إليه ﴿إن ربه كان به بصيراً﴾ عالماً برجوعه إليه.
١٦ ﴿فلا أقسم﴾ لا زائدة [لتأكيد القسم] ﴿بالشفق﴾ هو: الحمرة في الأفق، بعد غروب الشمس.
١٧ ﴿والليل وما وسق﴾ جَمَعَ ما دخل عليه، من الدواب وغيرها.
١٨ ﴿والقمر إذا اتسق﴾ اجتمع وتم نوره، [أي: صار بدراً كاملاً]، وذلك في الليالي[1] البيض.
١٩ ﴿لتركبن﴾ أيها الناس، أصله «تركبونَن»، حذفت نون الرفع لتوالي الأمثال، و [حذفت] الواو لالتقاء الساكنين ﴿طبقاً عن طبق﴾ حالاً بعد حال، وهو الموت، ثم الحياة وما بعدها من أحوال القيامة.

لَن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾

(٨٥) سورة البروج مكية وآياتها ثنتان وعشرون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾

٢٠ ﴿فما لهم﴾ الكفار أي: ﴿لا يؤمنون؟﴾ أي: أيُّ مانع لهم من الإيمان؟ أو: أيُّ حجة لهم في تركه، مع وجود براهينه؟.
٢١ ﴿و﴾ ما لهم ﴿إذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون؟﴾ يخضعون، بأن يؤمنوا به لإعجازه؟. ٢٢ ﴿بل الذين كفروا يكذبون﴾ بالبعث وغيره.
٢٣ ﴿والله أعلم بما يوعون﴾ يجمعون في صحفهم، من الكفر والتكذيب وأعمال السوء.
٢٤ ﴿فبشرهم﴾ أخبرهم ﴿بعذاب أليم﴾ مؤلم، [وذكر البشار تهكُّم بهم].
٢٥ ﴿إلا﴾ لكن ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون﴾ غير مقطوع ولا منقوص، ولا يُمَنُّ به عليهم.

﴿سورة البروج﴾

(مكية، اثنتان وعشرون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿والسماء ذات البروج﴾ للكواكب اثنا عشر برجاً، تقدمت في [سورة] «الفرقان»[2].
٢ ﴿واليوم الموعود﴾ يوم القيامة.

---

(١) قوله: «وذلك في الليالي البيض»، وهي ليالي: الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر من الشهر القمري، وهذه من الأيام التي يستحب صيامها. روى الشيخان عن أبي هريرة، وروى مسلم عن أبي الدرداء رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ أوصى كلاً منهما بثلاث: «صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وصلاة الضحى، وأن يصلي الوتر قبل أن ينام»، وروى الترمذي وحسّنه ــ في تحديد الأيام الثلاثة ــ عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صمت من الشهر ثلاثاً فصم: ثلاث عَشْرَة، وأربع عَشْرَة، وخَمْسَ عَشْرة»، وروى أبو داود عن قتادة بن ملحان رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يأمرنا بصيام أيام البيض: ثلاث عَشْرة، وأربع عَشْرَة، وخمس عَشْرَة».

(٢) أي: في قوله تعالى فيها: ﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجاً﴾ الآية «٦١» منها ص ٤٧٧.

٣﴿وشاهد﴾ هو: يوم الجمعة ﴿ومشهود﴾ يوم عرفة، كذا فُسِّرت الثلاثة في الحديث[1]، فالأول: موعود به، والثاني: شاهد بالعمل فيه والثالث: يشهده الناس والملائكة، وجواب القسم محذوفٌ صَدْرُهُ، تقديره: لقد. ٤﴿قتل﴾ لعن ﴿أصحاب الأخدود﴾[2] الشَّقُّ في الأرض، [أي: الذين شقوها، و «الأخدود»: مفرد، جمعه: «أخاديد»]. ٥﴿النار﴾ بدل اشتمال منه ﴿ذات الوقود﴾ ما توقد به، [أي: لُعن أصحاب النار، الذين أوقدوها لتعذيب المؤمنين بها]. ٦﴿إذ هم عليها﴾ حولها على جانب الأخدود على الكراسي ﴿قعود﴾. ٧﴿وهم على ما يفعلون بالمؤمنين﴾ بالله، من تعذيبهم بالإلقاء في النار، إن لم يرجعوا عن إيمانهم ﴿شهود﴾ حضور، روي أن الله أنجى المؤمنين الملقين في النار، بقبض أرواحهم قبل وقوعهم فيها، وخرجت النار إلى من ثَمَّ [من الكافرين] فأحرقتهم. ٨﴿وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز﴾ في ملكه ﴿الحميد﴾ المحمود. ٩﴿الذي له ملك السماوات والأرض والله على كل شيء شهيد﴾ أي: ما أنكر الكفار على المؤمنين، إلا إيمانَهم.
١٠﴿إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات﴾ بالإحراق ﴿ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم﴾ بكفرهم ﴿ولهم عذاب الحريق﴾ أي: عذاب إحراقهم المؤمنين في الآخرة، وقيل: في الدنيا، بأن خرجت النار فأحرقتهم، كما تقدم.
١١﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير﴾ [أي: العظيم، الذي لا فوز مثله].
١٢﴿إن بطش ربك﴾ بالكفار [والظَّلَمَة والجبابرة] ﴿لشديد﴾ بحسب إرادته.
١٣﴿إنه هو يبدىء﴾ الخلق ﴿ويعيد﴾ [أي: يعيده]، فلا يعجزه ما يريد.
١٤﴿وهو الغفور﴾ للمذنبين من المؤمنين ﴿الودود﴾ المتَوَدِّدُ إلى أوليائه بالكرامة.
١٥﴿ذو العرش﴾ خالقه ومالكه ﴿المجيدُ﴾ بالرفع، [أي: الله تعالى هو المجيد]، المستحقُّ لكمال صفات العلو، [وفي قراءة: بالجر، صفة للعرش].
١٦﴿فعال لما يريد﴾ لا يعجزه شيء. ١٧﴿هل أتاك﴾ يا محمد ﴿حديث الجنود﴾. ١٨﴿فرعون

وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ

(١) قوله: «كذا فسرت الثلاثة في الحديث». أي: الذي أخرجه الترمذي عن أبي هريرة مرفوعاً إلى النبي ﷺ، وقال فيه: حسن غريب.
(٢) قوله تعالى: ﴿أصحاب الأخدود﴾، في بيان من هم؟ وفي مكانهم أقوال: منها أنهم كانوا في قرية من قرى «نجران» جنوب جزيرة العرب، بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام. وقيل: هناك أكثر من أخدود، بل هي ثلاثة: في العراق، والشام، واليمن، والله أعلم. وعلى كل حال فإن المقطوع به هو: أن ظَلَمَةً كافرين كانوا فيما سبق، قد شقوا أخدوداً وأضرموا فيها النار، ليكرهوا المؤمنين منهم على ترك الإيمان والعودة إلى الكفر فأبوا، فأخبرنا الله تعالى بقصتهم، ليكونوا للمسلمين أسوة حسنة في صبرهم على الإيمان وتحمل العذاب في سبيل الله عز وجل، وجاءت قصتهم مفصلة في السنة النبوية فرواها مسلم في صحيحه عن صهيب الرومي رضي الله عنه عن النبي ﷺ، =

وثمود﴾ بدل من «الجنود»، واستغني بذكر فرعون عن [ذكر] أتباعه، وحديثُهم: أنهم أهلكوا بكفرهم، وهذا تنبيه لمن كفر بالنبي ﷺ والقرآن، ليتعظوا. ١٩ ﴿بل الذين كفروا في تكذيب﴾ بما ذكر. ٢٠ ﴿والله من ورائهم محيط﴾ لا عاصم لهم منه، [أي: ينتقم منهم متى شاء]. ٢١ ﴿بل هو قرآن مجيد﴾ عظيم. ٢٢ ﴿في لوح﴾ هو: في الهواء، فوق السماء السابعة ﴿محفوظ﴾ بالجر، [صفة «لوح»، وفي قراءة: بالرفع، صفة «قرآن»، أي: محفوظ] من الشياطين، ومن تغيير شيء منه، طوله ما بين السماء والأرض، وعرضه ما بين المشرق والمغرب، وهو من درة بيضاء، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [كما رواه عنه الإمام البغوي].

وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظِۭ ﴿٢٢﴾



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا

﴿سورة الطارق﴾

(مكية، سبع عشرة آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿والسماء والطارق﴾ أصله: كلُّ آت ليلاً، ومنه النجوم، لطلوعها ليلاً. ٢ ﴿وما أدراك﴾ أعلمك ﴿ما الطارق؟﴾ مبتدأ وخبر، في محل المفعول الثاني لـ «أدرى»، و «ما» [التي] بعد «ما» الأولى خبرها، وفيه تعظيم لشأن «الطارق» المفسّر بما بعده وهو: ٣ ﴿النجم﴾ أي: الثريا، أو، كل نجم. ﴿الثاقب﴾ المضيء، لثقبه الظلام بضوئه، وجواب القسم: ٤ ﴿إن كل نفس لما عليها حافظ﴾ بتخفيف «ما»، فهي مزيدة، «وإنْ» مخففة من الثقيلة واسمها محذوف، أي: إنه، واللام فارقة. [وفي قراءة] بتشديدها، فـ «إن» نافية و «لمّا» بمعنى «إلّا»، و «الحافظ» من الملائكة، يحفظ عملها من خير وشر. ٥ ﴿فلينظر الإنسان﴾ نظر اعتبار ﴿مم خلق؟﴾ من أي شيء؟، جوابه: ٦ ﴿خلق من ماء دافق﴾ ذي اندفاق من الرجل والمرأة، في رحمها. ٧ ﴿يخرج من بين الصلب﴾[1] للرجل ﴿والترائب﴾ للمرأة، وهي عظام الصدر. ٨ ﴿إنه﴾ تعالى ﴿على رجعه﴾ بعث الإنسان بعد موته ﴿لقادر﴾ فإذا اعتبر أصلَهُ، عَلِمَ أن القادر على ذلك، قادر على بعثه. ٩ ﴿يوم تبلى﴾ تختبر وتكشف ﴿السرائر﴾ ضمائر القلوب، في العقائد والنيات. ١٠ ﴿فما له﴾ لمنكر البعث ﴿من قوة﴾ يمتنع بها من العذاب ﴿ولا

= وذكر قصة الغلام الذي بعثه الملك في ذلك الزمان ليتعلم السحر من الساحر وكيف تعرَّف الغلام على الراهب ثم آمن، ولما علم الملك بإيمانه حاول أن يقتله بإلقائه من ذروة جبل، ثم بقذفه في لجة البحر فأنجاه الله تعالى، ثم دله الغلام على كيفية يستطيع بها أن يقتله، وأنه جمع الناس في صعيد واحد، وأخذ سهماً من كنانة الغلام وضربه به قائلاً: «بسم الله رب الغلام» فمات الغلام وآمن الناس جميعاً، فأمر الملك بالأخدود، وأضرم فيها النار، فمن لم يرجع عن دينه قذفوه فيها، فجاءت امرأة تحمل صبياً فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام: يا أمَّهْ اصبري فإنك على الحق [اقرأ قصتهم في هذا الحديث كاملة في باب «الصبر» من «رياض الصالحين»].

(١) قوله تعالى: ﴿يخرج من بين الصلب والترائب﴾ إنهما: صلب الرجل وترائبه، وصلب المرأة وترائبها، [ارجع إلى مقدمة الكتاب].

ناصر﴾ يدفعه عنه. ١١﴿والسماء ذات الرجع﴾ المطر، لعوده كل حين. ١٢﴿والأرض ذات الصدع﴾ الشق عن النبات. ١٣﴿إنه﴾ أي: القرآن ﴿لقول فصل﴾ يفصل بين الحق والباطل. ١٤﴿وما هو بالهزل﴾ باللعب والباطل. ١٥﴿إنهم﴾ أي: الكفار ﴿يكيدون كيداً﴾ يعملون المكايد للنبي ﷺ. ١٦﴿وأكيد كيداً﴾ أستدرجهم من حيث لا يعلمون. ١٧﴿فمهل﴾ يا محمد ﴿الكافرين أمهلهم﴾ تأكيد، حَسَّنَهُ مخالفة اللفظ، أي: أنظرهم ﴿رويداً﴾ قليلاً، وهو: مصدر مؤكِّد لمعنى العامل، [أي: أمهلهم إمهالاً، وهو:] مصغر[1] «رُوداً» أو: «إرْواداً» على الترخيم، [أي: ترخيم التصغير بحذف الزوائد]، وقد أخذهم الله تعالى ببدر، ونُسِخَ الإمهالُ بالأمر بالقتال والجهاد.

نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾

(٨٧) سُورَةُ الأَعْلَى مَكِّيَّة وَآيَاتُهَا تِسْعَ عَشْرَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ

حزب ٦٠

﴿سُورَةُ الأَعْلَى﴾

(مكية، تسع عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١﴿سبح اسم ربك﴾ أي: نزه ربك عما لا يليق به، ولفظ «اسم» زائد، [قاله ابن عباس رضي الله عنهما] ﴿الأعلى﴾ صفة لـ «ربك».

٢﴿الذي خلق فسوى﴾ مخلوقَهُ، أي: جعله متناسب الأجزاء، غير متفاوت.

٣﴿والذي قدر﴾ ما شاء ﴿فهدى﴾ [أرشد] إلى ما قدره من خير وشر، [فرغب في الخير، وحذر من الشر].

٤﴿والذي أخرج المرعى﴾ أنبت العشب.

٥﴿فجعله﴾ بعد الخضرة ﴿غثاء﴾ جافاً هشيماً ﴿أحوى﴾ أسود يابساً.

٦﴿سنقرئك﴾ القرآن ﴿فلا تنسى﴾[2] ما تقرؤه. ٧﴿إلا ما شاء الله﴾ أن تنساه، بنسخ تلاوته وحكمه، وكان ﷺ يجهر بالقراءة مع قراءة جبريل، خوف النسيان، فكأنه قيل له: لا تعجل بها، إنك ما تنسى، فلا تتعب نفسك بالجهر بها ﴿إنه﴾ تعالى ﴿يعلم الجهر﴾ من القول والفعل ﴿وما يخفى﴾ منها. ٨﴿ونيسرك

---

(١) قوله: «مصغر روداً، أو: إرواداً»، بالنصب فيهما، وفي إحدى المخطوطات بالرفع، ومعنى: «رويداً» أي: مهلاً، ومنه: «رُوَيدَكَ» أي: أمهل.

(٢) قوله تعالى: ﴿فلا تنسى﴾، أي: لن تنسى أبداً، وليست «لا» هنا للنهي كما يظن البعض بل هي نافية، وكيف تكون للنهي وما بعدها غير مجزوم؟. وهذه الآية مثل قوله تعالى في سورة القيامة: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه﴾ أي: لا تخش يا محمد نسيان ما يوحى إليك واطمئن، فإنك لن تنسى شيئاً منه أبداً، ولم ينسَ ﷺ شيئاً.

﴿لليسرى﴾ للشريعة السهلة، وهي: الإسلام.

٩ ﴿فذكر﴾ عظ بالقرآن ﴿إن نفعت[1] الذكرى﴾ مَنْ تذكَّره، [وهو] المذكور في:

١٠ ﴿سيذكر﴾ بها ﴿من يخشى﴾ يخاف الله تعالى، كآية: «فذكِّر بالقرآن من يخاف وعيد»، [أي: فذكر بالقرآن، فسيتذكر ويتعظ، من يخاف وعيد الله تعالى].

١١ ﴿ويتجنبها﴾ أي: الذكرى، أي: يتركها جانباً، لا يلتفت إليها ﴿الأشقى﴾ بمعنى الشقي، أي: الكافر.

١٢ ﴿الذي يصلى النار الكبرى﴾ هي نار الآخرة، والصغرى نار الدنيا.

١٣ ﴿ثم لا يموت فيها﴾ فيستريح ﴿ولا يحيى﴾ حياة هنيئة.

١٤ ﴿قد أفلح﴾ فاز ﴿من تزكى﴾ تطهر بالإيمان.

١٥ ﴿وذكر اسم ربه﴾ مكبراً ﴿فصلى﴾ الصلوات الخمس، وذلك من أمور الآخرة، وكفارُ مكة [وغيرها] معرضون عنها.

١٦ ﴿بل يؤثرون﴾ بالتحتانية والفوقانية، [أي: يفضلون] ﴿الحياة الدنيا﴾ على الآخرة.

١٧ ﴿والآخرة﴾ المشتملة على الجنة ﴿خير وأبقى﴾.

١٨ ﴿إن هذا﴾ أي: إفلاح من تزكى، وكون الآخرة خيراً ﴿لفي الصحف الأولى﴾ أي: المنزلة قبل القرآن.

١٩ ﴿صحف إبراهيم وموسى﴾ وهي: عشر صحف لإبراهيم، والتوراة لموسى.

﴿سُورَةُ الغَاشِيَةِ﴾

(مكية، ست وعشرون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿هل﴾ قد ﴿أتاك حديث الغاشية﴾ القيامة، لأنها تغشى الخلائق بأهوالها.

٢ ﴿وجوه يومئذ﴾ عبَّر بها [أي: بالوجوه] عن الذوات، في الموضعين، [هذا والذي بعده في الآية الثامنة، لأن أثر الذل والتعب، يكون أظهر في الوجه] ﴿خاشعة﴾ ذليلة.

لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾

(٨٨) سُورَةُ الغَاشِيَةِ مَكِّيَّة وَآيَاتُهَا سِتٌّ وَعِشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾

(١) قوله تعالى: ﴿فذكر إن نفعت الذكرى﴾، أي: فعظ يا محمد قومك بالقرآن، ثم اختلف المفسرون في معنى «إنْ»، فقيل: «المعنى: فذكر إن نفعت الذكرى وإن لم تنفع»، فحذف الثاني اكتفاءً كقوله تعالى: ﴿وجعل لكم سرابيل تقيكم الحرَّ﴾ أي: والبَرْد أيضاً. وقيل غير ذلك، وعلى كل فإن الآية أمر بالتذكير للناس عامةً، مَنْ نفعته ومَنْ لم تنفعه، فمن تذكر نجا، ومن أعرض كانت الذكرى حجّة عليه يوم القيامة، فلا يستطيع أن يقول: ﴿ما جاءنا من بشير ولا نذير﴾، أو أن في الآية توجيهاً للاهتمام أولاً بمن يُتَوَقَّعُ منهم الانتفاع بالتذكير، وتقديمهم على غيرهم ممن لا يُتوقع منهم ذلك، أي: اهتم أولاً بمن تراهم أكثر استعداداً للاهتداء ثم بمن بعدهم.

٣﴿عاملة ناصبة﴾ ذات نَصَبٍ وتعب، بالسلاسل والأغلال. ٤﴿تصلى﴾ بضم التاء وفتحها ﴿ناراً حامية﴾. ٥﴿تسقى من عين آنية﴾ شديدة الحرارة. ٦﴿ليس لهم طعام إلاَّ من ضريع﴾ هو: نوع من الشوك، لا ترعاه دابة لخُبْثِه. ٧﴿لا يسمن ولا يغني من جوع﴾. ٨﴿وجوه يومئذٍ ناعمة﴾ حسنة. ٩﴿لسعيها﴾ في الدنيا بالطاعة ﴿راضية﴾ في الآخرة، لما رأت ثوابه. ١٠﴿في جنة عالية﴾ حسّاً ومعنىً[1]. ١١﴿لا يُسْمَعُ﴾ بالياء والتاء [مبنياً مجهول] ﴿فيها لاغيةٌ﴾ [بالرفع]، أي: نفسٌ ذات لغو، أي: هذيان من الكلام، [وفي قراءة: «لا تَسْمَعُ فيها لاغيةً»]. ١٢﴿فيها عين جارية﴾ بالماء، بمعنى: «عيون». ١٣﴿فيها سرر مرفوعة﴾ ذاتاً وقدراً ومحلاًّ. ١٤﴿وأكواب﴾ أقداح لا عُرى لها ﴿موضوعة﴾ على حافات العيون، معدةٌ لشربهم. ١٥﴿ونمارق﴾ وسائد ﴿مصفوفة﴾ بعضها بجنب بعض، يُستند إليها. ١٦﴿وزرابي﴾ [جمع «زُرْبِيَّة»، أي:] بُسُطٌ طنافس لها خَمْلٌ، [أي: «هُدْبٌ»، وتسمى أيضاً: «السجادة»] ﴿مبثوثة﴾ مبسوطة، [وقيل: متفرقة في المجلس]. ١٧﴿أفلا ينظرون﴾ أي: كفار مكة، نظر اعتبار ﴿إلى الإبل كيف خلقت؟﴾ ١٨﴿وإلى السماء كيف رفعت﴾. ١٩﴿وإلى الجبال كيف نصبت؟﴾. ٢٠﴿وإلى الأرض كيف سطحت؟﴾ أي: بُسطت، فيستدلون بها على قدرة الله تعالى ووحدانيته؟. وصُدِّرت بالإبل، لأنهم أشدُّ ملابسة لها من غيرها، وقوله: «سطحت»[2]، ظاهر في أن الأرض سطح لا كرة، كما قال أهل الهيئة، وإن لم يَنْقُضْ ركناً من أركان الشرع. ٢١﴿فذكِّر﴾ هُمْ نِعَمَ الله ودلائل توحيده ﴿إنما أنتَ مذكر﴾. ٢٢﴿لست عليهم بمصيطر﴾ وفي قراءة بالسين بدل الصاد، أي: بمسلَّط، وهذا قبل الأمر بالجهاد. ٢٣﴿إلاَّ﴾ لكن ﴿من تولى﴾ عن الإيمان ﴿وكفر﴾ بالقرآن. ٢٤﴿فيعذبه الله العذاب الأكبر﴾ عذاب الآخرة، والأصغر: عذاب الدنيا بالقتل والأسر. ٢٥﴿إن إلينا إيابهم﴾ رجوعهم بعد الموت. ٢٦﴿ثم إن علينا حسابهم﴾ جزاءهم لا نتركه أبداً.

عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

(١) قوله: «حساً ومعنى»، هذا رد على الزنادقة القائلين: إن العذاب في النار والنعيم في الجنة معنويان لا حسيان. ارجع إلى تعليقنا حول هذا الموضوع ص ٦٧٤.

(٢) قوله: «وقوله: سطحت... إلى قوله: من أركان الشرع»، ساقط من بعض النسخ المطبوعة وهو موجود في المخطوطات وبعض النسخ المطبوعة فلذلك أثبتناه، ثم إن استدلال الجلال المحلي رحمه الله بالسطح على نفي قول أهل الهيئة ـ أي: علماء الجغرافية ـ ليس واضحاً، لأن البسط في السطح المنحني أظهر منه في السطح المستقيم، وليس في قول علماء الهيئة ما يعارض نصاً واضح الدلالة، لذلك قال «ياقوت الحموي» في «معجم البلدان» بعد سرده الأقوال: «وأصلح ما رأيت في ذلك وأسدُّه في رأيي، ما حكاه محمد بن أحمد الخوارزمي قال: والأرض مدورة بالكلية، مضرَّسة بالجزئية من جهة الجبال البارزة والوهدات الغائرة، ولا يخرجها ذلك من الكُرَيَّة إذا وقع الحسُّ منها على الجملة، لأن مقادير الجبال وإن شمخت صغيرة بالقياس إلى كل الأرض».

﴿سُورَةُ الفَجْرِ﴾

(مكية، أو: مدنية، ثلاثون آية)

(٨٩) سُورَةُ الفَجْرِ مَكِّيَّة وَآيَاتُهَا ثَلَاثُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ﴿والفجر﴾ أي: فجر كل يوم. ٢ ﴿وليال عشر﴾ أي: عشر ذي الحجة. ٣ ﴿والشفع﴾ الزوج ﴿والوتر﴾ بفتح الواو وكسرها، لغتان: الفرد. ٤ ﴿والليل إذا يسر﴾ مقبلاً ومدبراً. ٥ ﴿هل في ذلك﴾ القسم ﴿قسم لذي حجر﴾ عقل؟ وجواب القسم محذوف، أي: لتعذَّبُنَّ يا كفار مكة [وغيرها]. ٦ ﴿الم تر﴾ تعلم يا محمد ﴿كيف فعل ربك بعاد؟﴾ [قوم هود عليه السلام]. ٧ ﴿إرم﴾ هي: عادٌ الأولى، فـ «إرم» عطف بيان، أو: بدل، ومنع الصرفَ للعلمية والتأنيث ﴿ذات العماد﴾ أي: [ذات الأبنية المرفوعة على العَمَد، أو: البناء المرتفع، ففي «الصَّحاح»، و «العماد»: الأبنية المرتفعة، وقيل: ذات] الطول، كان طول الطويل منهم أربعمائة ذراع[1]. ٨ ﴿التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾ في بطشهم وقوتهم. ٩ ﴿وثمود الذين جابوا﴾ قطعوا ﴿الصخر﴾ جمع «صخرة»، واتخذوها بيوتاً ﴿بالواد﴾ وادي القُرى[2]. ١٠ ﴿وفرعون ذي الأوتاد﴾، [أي: الظالم] كان يتد أربعة أوتاد، يشد إليها يدي ورجلي من يعذبه، [أو: هو كناية عن قوة ملكه في الأرض، ومع ذلك أهلكه الله تعالى، لأنه طغى]. ١١ ﴿الذين طغوا﴾ تجبروا ﴿في البلاد﴾. ١٢ ﴿فأكثروا فيها الفساد﴾ القتل وغيره. ١٣ ﴿فصب عليهم﴾ [أي: على كل فريق منهم] ﴿ربك سوط﴾ نوعَ ﴿عذاب﴾ [فأُهلكت عاد بالريح، وثمود بالصيحة، وفرعون بالغرق]. ١٤ ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ يرصد أعمال العباد، لا يفوته منها شيء، ليجازيهم عليها. ١٥ ﴿فأما الإنسان﴾ الكافر ﴿إذا ما ابتلاه﴾ اختبره ﴿ربه

---

(١) قوله: «كان طول الطويل منهم أربعمائة ذراع»، وقيل غير ذلك، وكله ضعيف، قال ابن العربي في «أحكام القرآن»: وهو باطل لأنه ثبت في الصحيح: «أن الله خلق آدم طوله ستون ذراعاً في الهواء فلم يزل الخلق ينقص إلى الآن»، ارجع إلى تعليقنا حول «آدم» ص ٤١٧.

(٢) قوله: «وادي القرى»، ارجع إلى تعليقنا حول «ثمود» ص ٢٩٣.

سورة الفجر ٨٩

فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ ۖ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾

٨٠٧

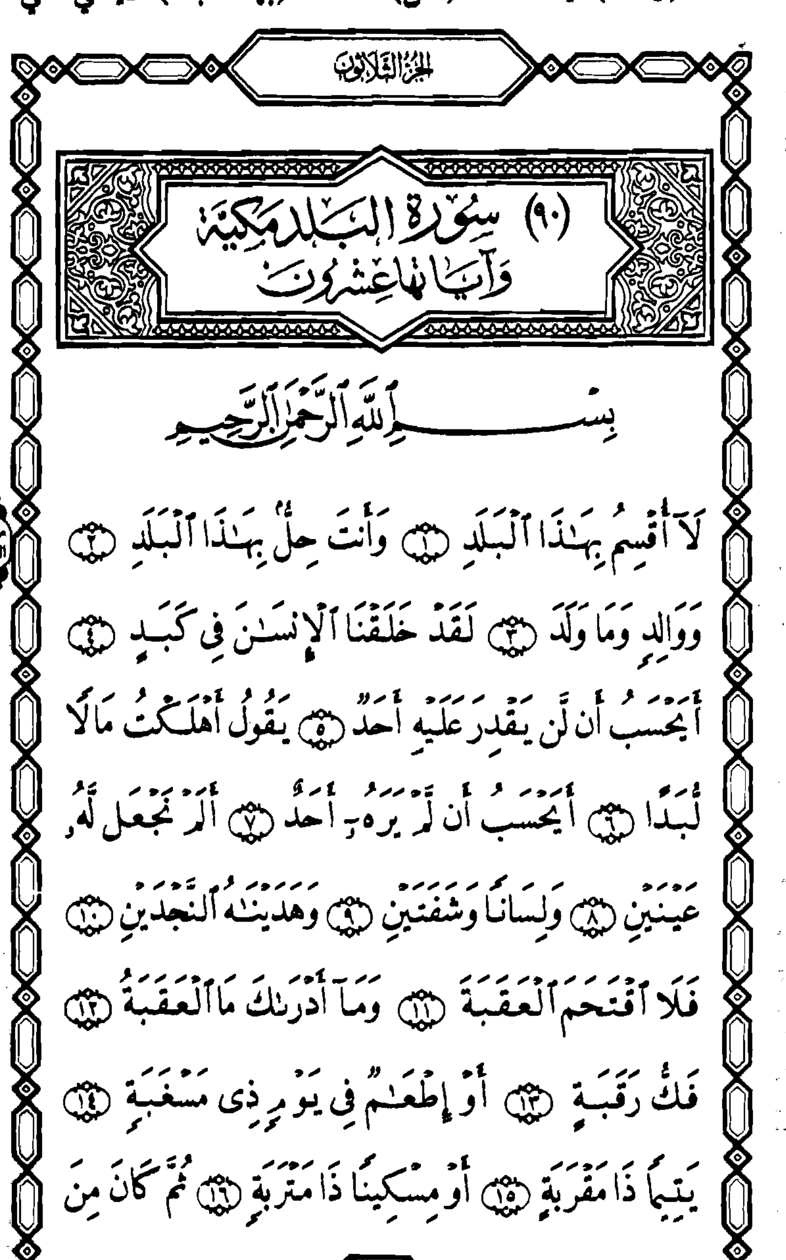
فأكرمه﴾ بالمال وغيره ﴿ونعمه فيقول ربي أكرمن﴾ [ويرضى ويفرح]. ١٦ ﴿وأما إذا ما ابتلاه فقدر﴾ ضيق ﴿عليه رزقه فيقول ربي أهانن﴾ [وهذه صفة الكافر، فالكرامة عنده بكثرة المال، والإهانة بقلته]. ١٧ ﴿كلَّا﴾ ردع [وزجر،] أي: ليس الإكرام بالغنى، و [لا] الإهانةُ بالفقر، وإنما هو: بالطاعة والمعصية، وكفار مكة لا يتنبهون لذلك ﴿بل لا يكرمون﴾ [بالياء في الأفعال الأربعة: هذا وما بعده] ﴿اليتيم﴾ لا يحسنون إليه مع غناهم، أو: لا يعطونه حقه في الميراث. ١٨ ﴿ولا يحضون﴾ أنفسهم، أو غيرهم ﴿على طعام﴾ أي: إطعام ﴿المسكين﴾. ١٩ ﴿ويأكلون التراث﴾ الميراث ﴿أكلاً لمّاً﴾ أي: شديداً، [طلباً لجمع المال وتكثيره]، لِلَمِّهِمْ [أي: أَخْذهم] نصيب النساء والصبيان من الميراث، مع نصيبهم منه، [لأنهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان]، أو: مع ما لهم، [أي: يأكلون مال غيرهم غير مبالين بأكل الخبيث]. ٢٠ ﴿ويحبون المال حباً جماً﴾ أي: كثيراً فلا ينفقونه، وفي قراءة بالفوقانية، في الأفعال الأربعة. ٢١ ﴿كلَّا﴾ ردع لهم عن ذلك ﴿إذا دكت الأرض دكاً دكاً﴾ زلزلت، حتى ينهدم كل بناء عليها وينعدم. ٢٢ ﴿وجاء ربك﴾ [لفصل القضاء، مجيئاً يليق بجلاله، وقيل:] أي: أمره [وقضاؤه، قاله الحسن البصري] ﴿والملك﴾ أي: الملائكة ﴿صفاً صفاً﴾ حال، أي: مصطفين، أو: ذوي صفوف كثيرة. ٢٣ ﴿وجيء يومئذٍ بجهنم﴾ تقاد بسبعين ألف زمام[1]، كلُّ زمام بأيدي سبعين ألفَ ملك، لها زفير وتغيظ ﴿يومئذٍ﴾ بدل من «إذا»، وجوابُها ﴿يتذكر الإنسان﴾ أي: الكافر ما فرط فيه ﴿وأنى له الذكرى؟﴾ استفهام بمعنى النفي، أي: لا ينفعه تذكره ذلك. ٢٤ ﴿يقول﴾ مع تذكره ﴿يا﴾ للتنبيه ﴿ليتني قدمت﴾ الخيرَ والإيمان ﴿لحياتي﴾ الطيبة في الآخرة، أو: وقت حياتي في الدنيا. ٢٥ ﴿فيومئذٍ لا يعذب﴾ بكسر الذال ﴿عذابه﴾ أي: الله تعالى ﴿أحد﴾ أي: لا يكله إلى غيره. ٢٦ ﴿و﴾ كذا ﴿لا يوثق﴾ بكسر الثاء ﴿وثاقه أحد﴾ وفي قراءة: بفتح الذال والثاء، فضمير «عذابه» و«وثاقه» للكافر، والمعنى: لا يعذَّب أحدٌ مثلَ تعذيبه، ولا يوثَقُ [أحدٌ] مثلَ إيثاقه. ٢٧ ﴿يا أيتها النفس المطمئنة﴾ الآمنة، وهي: المؤمنة. ٢٨ ﴿ارجعي إلى ربك﴾ يقال لها ذلك عند الموت، أي: ارجعي إلى أمره وإرادته ﴿راضية﴾ بالثواب ﴿مرضية﴾ عند الله بعملك، أي: جامعة بين الوصفين، وهما حالان. ٢٩ ويقال لها في القيامة: ﴿فادخلي في﴾ جملة ﴿عبادي﴾ الصالحين، [أو: في أجسادهم]. ٣٠ ﴿وادخلي جنتي﴾ معهم.

---

(١) قوله: «تقاد بسبعين ألف زمام..» إلخ، روى ذلك مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بجهنم يومئذٍ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك، يجرُّونها»، و«الزِّمام» هو: الخُطام الذي يقاد به البعير أو الحيوان عادة.

﴿ سُورَةُ البَلَدِ ﴾
(مكية، عشرون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ



(٩٠) سورة البلد مكية وآياتها عشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ

١ ﴿لا﴾ زائدة [لتأكيد القسم] ﴿أقسم بهذا البلد﴾ مكة. ٢ ﴿وأنت﴾ يا محمد ﴿حل﴾ حلال ﴿بهذا البلد﴾ [يعني: في المستقبل]، بأن يُحَلَّ لك، فتقاتل فيه، وقد أنجز الله له هذا الوعد يوم الفتح، [روى الشيخان ــ واللفظ للبخاري ــ عن خويلد العدوي أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إن مكة حرمها الله، ولم يحرمها الناس، لا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر، أن يسفك بها دماً، ولا يَعْضِدَ بها ــ أي: يقطع ــ شجراً، فإنْ أحد تَرَخَّصَ لقتال رسول الله ﷺ فيها فقالوا له: إن الله أَذِنَ لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما أَذن لي ساعة من نهار، وقد عادتْ حُرْمَتُهَا اليوم كحرمتها بالأمس، وَلْيُبَلِّغِ الشاهدُ الغائبَ»] فالجملة اعتراض بين المقسم به وما عطف عليه. ٣ ﴿ووالد﴾ أي: آدم ﴿وما ولد﴾ ذريته، و«ما» بمعنى: «مَنْ». ٤ ﴿لقد خلقنا الإنسان﴾ أي: الجنس ﴿في كبد﴾ نَصَبٍ وشدة، يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة. ٥ ﴿أيحسب﴾ أيظن الإنسان، قويُّ قريش وهو: أبو الأشُدَّين، [أو: الأشدُّ، أسيد بن كلدة الجُمحي، وأمثاله]، بقوته ﴿أن﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي: أنه ﴿لن يقدر عليه أحد؟﴾ والله تعالى قادر عليه. ٦ ﴿يقول أهلكت﴾ على عداوة محمد ﴿مالاً لبداً﴾ كثيراً بعضه على بعض. ٧ ﴿أيحسب أن﴾ أي: أنه ﴿لم يره أحد﴾ فيما أنفقه فيعلم قَدْرَه؟ والله عالم بقَدْرِه، وأنه ليس مما يُتَكَثَّرُ به، ومجازيه على فعله السيء. ٨ ﴿ألم نجعل﴾ استفهام تقرير، أي: جعلنا ﴿له عينين؟﴾ [يبصر بهما]. ٩ ﴿ولساناً وشفتين؟﴾ [لنطقه وستر فمه]. ١٠ ﴿وهديناه النجدين؟﴾ بيَّنَّا له طريق الخير والشر. ١١ ﴿فلا﴾ فهلاَّ ﴿اقتحم العقبة﴾ جازها؟، [أي: ما الذي يمنعه عن ذلك، وقد أعطيناه الأسباب؟]. ١٢ ﴿وما أدراك﴾ أعلمك ﴿ما العقبة﴾ التي يقتحمها، تعظيماً لشأنها، والجملة اعتراض، وبيَّن سبب اجتيازها بقوله: ١٣ ﴿فكُّ رقبةً﴾ من الرق بأن أَعْتَقَها. ١٤ ﴿أو أَطْعَمَ في يوم ذي مسغبة﴾ مجاعة. ١٥ ﴿يتيماً ذا مقربة﴾ قرابة. ١٦ ﴿أو مسكيناً ذا متربة﴾ أي: لُصوقٍ بالتراب لفقره، وفي قراءة: بدل الفعلين، مصدران مرفوعان، [أي: «فكُّ» و«إطعامٌ»]، مضافُ الأول لـ«رقبة»، ومنونٌ الثاني، فيقدر قبل العقبة: «اقتحام»، [أي: وما أدراك ما اقتحام العقبة»؟]، والقراءة المذكورة، [أي: بالمصدرين المرفوعين]، بيانه [أي: بيان لمعنى «الاقتحام» المقدر، فيصبح المعنى: اقتحام العقبة هو: فك رقبة أو إطعامٌ].

١٧ ﴿ثم كان﴾ عطف على: «اقتحم»، و «ثم» للترتيب الذكري، والمعنى: كان وَقْتَ الاقتحام ﴿من الذين آمنوا﴾ [أي: كان عند عمله الصالحات مؤمناً، لأن الإيمان شرط لقبول العمل الصالح] ﴿وتواصوا﴾ أوصى بعضهم بعضاً ﴿بالصبر﴾ على الطاعة، وعن المعصية ﴿وتواصوا بالمرحمة﴾ الرحمة على الخلق.

١٨ ﴿أولئك﴾ الموصوفون بهذه الصفات ﴿أصحاب الميمنة﴾ اليمين، [أي: أصحاب الجنة].

١٩ ﴿والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة﴾ الشمال، [أي: أصحاب النار].

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾

(٩١) سُورَةُ الشَّمْسِ مَكِّيَّة وَآيَاتُهَا خَمْسَ عَشْرَةَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ

٢٠ ﴿عليهم نار مؤصدة﴾ بالهمزة، والواو بَدَلَهُ: مُطْبَقَة [ومغلقة].

﴿سُورَةُ الشَّمْسِ﴾

(مكية، خمس عشرة آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ﴿والشمس وضحاها﴾ [أي: و] ضوئها.
٢ ﴿والقمر إذا تلاها﴾ تبعها طالعاً عند غروبها، [فنور القمر لا يظهر، إلاّ إذا غربت الشمس].
٣ ﴿والنهار إذا جلاها﴾ بارتفاعه، [أي: ظهرت فيه].
٤ ﴿والليل إذا يغشاها﴾ يغطيها بظلمته، و «إذا» في الثلاثة لمجرد الظرفية، [فلا تفيد الشرطية]، والعامل فيها فعل القسم [المقدر: «أقسم»].
٥ ﴿والسماء وما بناها﴾.
٦ ﴿والأرض وما طحاها﴾ بَسَطَها.
٧ ﴿ونفس﴾ بمعنى: «نفوس» ﴿وما سواها﴾ في الخلقة، و «ما» في [المواضع] الثلاثة مصدرية، أو: بمعنى «مَنْ»[1].
٨ ﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾ بيَّن لها طريق الخير والشر، وأخَّر «التقوى» رعاية لرؤوس الآي، وجواب القسم: ٩ ﴿قد أفلح﴾ حذف منه اللام، [فلم يقل: «لقد» كما هو الأصل، أي: لم تلزمه اللام] لطول الكلام ﴿من زكاها﴾ طهرها من الذنوب. ١٠ ﴿وقد خاب﴾ خسر ﴿من دساها﴾ أخفاها بالمعصية [وغمسها فيها]، وأصله: «دسسها»، أبدلت السين الثانية ألفاً تخفيفاً. ١١ ﴿كذبت ثود﴾ رسولها صالحاً

(١) قوله: «مصدرية أو بمعنى من»، فعلى اعتبار «ما» مصدرية يكون المعنى: والسماء وبنيانها، والأرض وطحوها، ونفس وتسويتها، أي: خلقها، وعلى اعتبارها بمعنى «مَنْ» يكون المعنى: أقسم بالسماء، والأرض، ونفس، وأقسم بمن بناها وطحاها وسواها، وهو الله تعالى، والله يُقسم بما شاء من خلقه، أما العباد فلا يجوز لأحدهم أن يحلف إلاّ بالله تعالى كما بينا في تعليقنا ص ١٥٤.

﴿بطغواها﴾ بسبب طغيانها، [هذا مثل ضربه الله تعالى، لبيان عاقبة النفوس الطاغية].
١٢ ﴿إذ انبعث﴾ أسرع ﴿أشقاها﴾ واسمه «قُدَار [بن سالف»]، إلى عَقْرِ الناقة برضاهم.
١٣ ﴿فقال لهم رسول الله﴾ صالح ﴿ناقة الله﴾ أي: ذروها ﴿وسقياها﴾ شِرْبَها [أي: حظها من الشرب] في يومها، وكان لها يوم ولهم يوم.
١٤ ﴿فكذبوه﴾ في قوله ذلك عن الله، المرتَّب عليه نزولُ العذاب بهم، إن خالفوه ﴿فعقروها﴾ قتلوها، ليسلم لهم ماءُ شِرْبِهَا. ١٥ ﴿فدمدم﴾ أطبق ﴿عليهم ربهم﴾ العذاب [فأهلكهم] ﴿بذنبهم فسواها﴾ أي: الدمدمة عليهم، أي: عَمَّهم بها، فلم يُفْلِتْ منهم أحد. ١٦ ﴿ولا﴾ بالواو والفاء، [قراءتان سبعيتان] ﴿يخاف﴾ تعالى ﴿عقباها﴾ تبعتها.

الجزء الثلاثون

بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾

(٩٢) سورة الليل مكية وآياتها إحدى وعشرون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ

﴿سورة الليل﴾

(مكية، إحدى وعشرون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿والليل إذا يغشى﴾ بظلمته، كلَّ ما بين السماء والأرض. ٢ ﴿والنهار إذا تجلى﴾ تكشَّف وظهر، و «إذا» في الموضعين، لمجرد الظرفية، [فلا تفيد الشرطية]، والعامل فيها فعل القسم، [أي: «أقسم»]. ٣ ﴿وما﴾ بمعنى «مَنْ»، [أي: والذي]، أو: [هي] مصدرية ﴿خلق الذكر والأنثى﴾ آدم[1] وحواء، أو: كلّ ذكر، وكلّ أنثى، والخنثى المُشْكِلُ[2] عندنا [أي: في علمنا]، ذكرٌ أو أنثى عند الله تعالى، [فالله يعلم حقيقته، أما نحن فلا نعلم ذلك]، فيحنث بتكليمه، مَنْ حلف لا يكلم ذكراً ولا أنثى. ٤ ﴿إن سعيكم﴾ عملكم ﴿لشتى﴾ مختلف، فعامل للجنّة بالطاعة، وعامل للنار بالمعصية. ٥ ﴿فأما من أعطى﴾ حق الله ﴿واتقى﴾ الله. ٦ ﴿وصدق بالحسنى﴾ أي: «بلا إلّه إلاّ الله [محمد رسول الله»] في الموضعين[3]. ٧ ﴿فسنيسره لليسرى﴾ للجنة. ٨ ﴿وأما من بخل﴾ بحق الله ﴿واستغنى﴾ عن ثوابه. ٩ ﴿وكذب

---

(١) قوله: «آدم وحواء»، ارجع إلى تعليقنا حول «آدم عليه السلام» ص ٤١٧، وتعليقنا حول «حواء عليها السلام» ص ٥٣٣.

(٢) قوله: «الخنثى المشكل عندنا» إلخ. هذا استدراك من الجلال المحلي رحمه الله، أراد أن يوضح فيه التباساً قد يخطر ببال البعض مفاده: أن «الخنثى المشكل» داخل أيضاً تحت معنى الآية، ﴿وما خلق الذكر والأنثى﴾ لأنه مُشْكِلٌ بحسب علمنا نحن البشر، أما في علم الله تعالى فليس مشكلاً، لأنه يعلم حقيقته وأنه ذكر أو أنثى.

(٣) قوله: «في الموضعين»، أي: في هذه الآية وفي الآية التاسعة بعدها.

بالحسنى﴾. ١٠ ﴿فسنيسره﴾ نهيئه ﴿للعسرى﴾ للنار. ١١ ﴿وما﴾ نافية ﴿يغني عنه ماله﴾ [أي: لا ينفعه ماله] ﴿إذا تردى﴾ في النار. ١٢ ﴿إن علينا للهدى﴾ لتَبيين طريق الهدى من طريق الضلال، ليُمتَثَل أمرُنا بسلوك الأول، ونهينا عن ارتكاب الثاني. ١٣ ﴿وإن لنا للآخرة والأولى﴾ أي: الدنيا، فمن طلبهما من غيرنا فقد أخطأ. ١٤ ﴿فأنذرتكم﴾ خوفتكم يا أهل مكة [وغيرهم] ﴿ناراً تلظى﴾ بحذف إحدى التاءين من الأصل، وقرئ [شذوذاً] بثبوتها، أي: تتوقد. ١٥ ﴿لا يصلاها﴾ يدخلها ﴿إلا الأشقى﴾ بمعنى: الشقي. ١٦ ﴿الذي كذب﴾ النبي ﷺ ﴿وتولى﴾ عن الإيمان، وهذا الحصر مؤوّل، لقوله تعالى: «ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء»، فيكون المراد [بالحصر في الآية]، الصَّلْيَ المؤبد، [أي: لا يؤبد في النار إلا الكافر، أما مرتكب الكبيرة، إذا مات من غير توبة، فأمره إلى الله تعالى، إن شاء أدخله النار بلا تأبيد، وإن شاء عفا عنه فلا يُدْخله]. ١٧ ﴿وسيجنبها﴾ يبعد عنها ﴿الأتقى﴾ بمعنى: «التقي». ١٨ ﴿الذي يؤتي ماله يتزكى﴾ متزكياً به عند الله تعالى، بأن يخرجه لله تعالى، لا رياءً ولا سمعة، فيكون زاكياً عند الله، وهذا نزل في [أبي بكر] الصديق رضي الله عنه، لما اشترى بلالاً المعذَّب على إيمانه وأعتقه، فقال الكفار: إنما فعل ذلك لِيَدٍ كانت له عنده فنزل: ١٩ ﴿وما لأحد عنده من نعمة تجزى﴾. ٢٠ ﴿إلا﴾ لكن فعل ذلك ﴿ابتغاء وجه ربه الأعلى﴾ أي: طلب ثواب الله. ٢١ ﴿ولسوف يرضى﴾ بما يُعطاه من الثواب في الجنة، والآية تشمل مَنْ فعل مثل فعله [رضي الله تعالى عنه]، فيبعد عن النار ويثاب.

بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾

(٩٣) سُورَةُ الضُّحَىٰ مَكِّيَّة وَآيَاتُهَا إِحْدَىٰ عَشْرَة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ

﴿سُورَةُ الضُّحَى﴾

(مكية، إحدى عشرة آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ولما نزلت، كبّر[1] صلى الله عليه وسلم آخرها، فسُنَّ التكبير آخرها، ورُوي الأمرُ به[2] خاتمتها، وخاتمة كلِّ سورة بعدها، وهو: «الله أكبر»، أو: «لا إله إلا الله والله أكبر» ﴿والضحى﴾ أي: أول النهار، أو: كله. ٢ ﴿والليل إذا سجى﴾ غطى بظلامه، أو: سكن. ٣ ﴿ما ودعك﴾ تركك يا محمد ﴿ربك

(١) قوله: «ولما نزلت كبر ﷺ آخرها». أي: تصديقاً لما كان ينتظر من الوحي، قال ابن كثير في تفسيره: «لم يُرْوَ ذلك بإسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف». اهـ.

(٢) قوله: «ورُوي الأمر به خاتمتها» إلخ. فالتكبير خاتمة «الضحى» وخاتمة كل سورة بعدها سنة اتفق عليها القراء، وقد جاء الأمر به في حديث مرفوع إلى النبي ﷺ رواه الحاكم والبيهقي في الشُّعب في طريق أبي الحسن البَزِّي المقرئ، وذكر الحافظ ابن الجزري في «التقريب» أنه ورد في ذلك أحاديث مرفوعة وموقوفة.

وما قلى﴾ أبغضك، نزل هذا لما قال الكفار[1] عند تأخر الوحي عنه خمسة عشر يوماً: إن ربَّه ودعه وقلاه. ٤﴿وللآخرة خير لك﴾ لما فيها من الكرامات لك ﴿من الأولى﴾ الدنيا. ٥﴿ولسوف يعطيك ربك﴾ في الآخرة من الخيرات، عطاءً جزيلاً ﴿فترضى﴾ به، فقال ﷺ[2]: «إذَنْ لا أرضى وواحد من أمتي في النار»، إلى هنا تم جواب القسم، بمُثْبَتَيْنِ بعد مَنْفِيَّيْنِ. ٦﴿ألم يجدك﴾ استفهام تقرير، أي: وجدك ﴿يتيماً﴾ بفقد أبيك قبل ولادتك، أو: بعدها ﴿فآوى؟﴾ بأن ضمك إلى عمك أبي طالب. ٧﴿ووجدك ضالاً﴾ عما أنت عليه من الشريعة [لا علم لك بها] ﴿فهدى﴾ أي: هداك إليها، [«وعلمك ما لم تكن تعلم»]. ٨﴿ووجدك عائلاً﴾ فقيراً ﴿فأغنى؟﴾ أغناك، بما قنَّعك به من الغنيمة وغيرها، [أو: فأغنى قلبك فلا توصَفُ بالفقر]، وفي الحديث: «ليس الغنى عن كثرة العَرْضِ، [بسكون الراء وتفتح، أي: المال]، ولكنَّ الغنى غنى النفس» [رواه الشيخان]. ٩﴿فأما اليتيم فلا تقهر﴾ بأخذ ماله، أو غير ذلك. ١٠﴿وأما السائل فلا تنهر﴾ تزجره لفقره. ١١﴿وأما بنعمة ربك﴾ عليك بالنبوة وغيرها ﴿فحدث﴾ أخبر، وحذف ضميره ﷺ في بعض الأفعال، رعاية للفواصل.

وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

(٩٤) سورة الشرح مكية وآياتها ثمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾

﴿سورة الشرح﴾

(مكية، ثمان آيات)

بسم الله الرحمن الرحيم

١﴿ألم نشرح﴾ استفهام تقرير، أي: شرحنا ﴿لك﴾ يا محمد ﴿صدرك﴾ بالنبوة وغيرها؟ ٢﴿ووضعنا﴾ حططنا ﴿عنك وزرك﴾ [أي: ذنبك]. ٣﴿الذي أنقض﴾ أثقل ﴿ظهرك﴾ [لو لم يعف الله عنه]، وهذا كقوله تعالى: «ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك». ٤﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ بأن تُذْكَرَ مع ذكري، في الأذان والإقامة، والتشهد والخُطبة، وغيرها. ٥﴿فإن مع العسر﴾ الشدة ﴿يسراً﴾ سهولة. ٦﴿إن مع العسر يسراً﴾ والنبي ﷺ، قاسى من الكفار شدةً، ثم حصل له اليسر بنصره عليهم.

نصف الحزب

(١) قوله: «نزل هذا لما قال الكفار..»، أخرج الشيخان وغيرهما عن جُندب البَجَلي رضي الله عنه قال: اشتكى ــ أي: مرض ــ رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً فجاءت امرأة فقالت: يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاث، فأنزل الله تعالى: ﴿والضحى..﴾ والمرأة هي: العوراء أم جميل، واسمها أروى بنت حرب أخت أبي سفيان، وهي: حمالة الحطب زوج أبي لهب عبد العزى بن عبد المطلب عم النبي ﷺ. وأخرج الترمذي وقال: حسن صحيح ــ عن جندب البَجَلي رضي الله عنه قال: أبطأ جبريل على النبي ﷺ فقال المشركون: قد وُدِّع محمد، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ما ودعك ربك وما قلى﴾.

(٢) قوله: «فقال ﷺ..» إلخ، لم يثبت هذا القول مرفوعاً ولا موقوفاً خلافاً لما هو شائع، وقد أخرجه البيهقي في «الشُّعَب» عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «رضاه أن يدخل أمتُه كلهم الجنة»، وأخرجه الخطيب في «تلخيص المتشابه» موقوفاً على ابن عباس بلفظ: «لا يرضى محمد وواحد من أمته في النار». وهذان الإسنادان غير =

٧ ﴿فإذا فرغت﴾ من الصلاة ﴿فانصب﴾ اتعب في الدعاء. ٨ ﴿وإلى ربك فارغب﴾ تضرع.

﴿سُورَةُ التِّينِ﴾

(مكية، أو: مدنية، ثمان آيات)

بسم الله الرحمن الرحيم

فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٨﴾

(٩٥) سُورَةُ التِّينِ مَكِّيَّة وآياتها ثمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

١ ﴿والتين والزيتون﴾ أي: المأكولين، أو: جبلين بالشام، يُنْبِتَان المأكولين. ٢ ﴿وطور سينين﴾ الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى، ومعنى: «سينين» المبارك، أو: الحسن بالأشجار المثمرة. ٣ ﴿وهذا البلد الأمين﴾ مكة، لأمن الناس فيها جاهلية وإسلاماً، [وجواب القسم:] ٤ ﴿لقد خلقنا الإنسان﴾ الجنس ﴿في أحسن تقويم﴾ تعديلٍ لصورته. ٥ ﴿ثم رددناه﴾ في بعض أفراده ﴿أسفل سافلين﴾ كناية عن الهرم والضعف، فينقص عمل المؤمن [زمن الضعف] عن زمن الشباب، ويكون له أجره لقوله تعالى: ٦ ﴿إلا﴾ أي: لكن ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون﴾ غير مقطوع، وفي الحديث [الموقوف على ابن عباس رضي الله عنهما قال:] «إذا بلغ المؤمن من الكِبَر ما يُعْجِزُه عن العمل، كُتِبَ له ما كان يعمل»، [وروى البخاري عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مرض العبد أو سافر، كتب له من الأجر مثلُ ما كان يعمل صحيحاً مقيماً»]. ٧ ﴿فما يكذبك﴾ أيها الكافر ﴿بَعْدُ﴾ بعدَ ما ذُكِرَ من خلقِ الإنسان في أحسن صورة، ثم ردِّه إلى أرذل العمر، الدالِّ على القدرة على البعث ﴿بالدِّين﴾ بالجزاء المسبوق بالبعث والحساب؟ أي: ما يجعلك مكذباً بذلك، ولا جاعل له؟ ٨ ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين؟﴾ أي: هو أقضى القاضين، وحكمه بالجزاء من ذلك [أي: من جملة قضائه]، وفي الحديث: «من قرأ والتين إلى آخرها، فليقل: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين» [رواه أحمد وأبو داود مرفوعاً وهو حديث ضعيف، فالصحيح: أنه لا يقال شيء في الجواب، خصوصاً في الصلاة].

= ثابتين أيضاً، ولكن الصحيح الثابت هو ما رواه مسلم والنسائي وابن حبان عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ تلا قول الله في إبراهيم ﴿رب إنهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم﴾، وقول عيسى ابن مريم: ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾، فرفع يديه فقال: «أمتي.. أمتي..» وبكى.. فقال الله: «يا جبريل اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك».

﴿سُورَةُ العَلَق﴾

(مكية، تسع عشرة آية، صدرُها إلى: «ما لم يعلم»، أولُ ما نزل من القرآن، وذلك بغارِ حِراء، رواه البخاري [ومسلم وغيرهما، وكان ﷺ مختلياً في غار حراء قرب مكة])

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(٩٦) سُورَةُ العَلَقِ مَكِّيَّة وآياتها تسع عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا

١ ﴿اقرأ﴾ أوجِد القراءة، مبتدئاً ﴿باسم ربك الذي خلق﴾ الخلائق. ٢ ﴿خلق الإنسان﴾ الجنس ﴿من علق﴾ جمع «علقة»، وهي: القطعة اليسيرة من الدم الغليظ. ٣ ﴿اقرأ﴾ تأكيد للأول ﴿وربك الأكرم﴾ الذي لا يوازيه كريم، حال من الضمير في «اقرأ». ٤ ﴿الذي علم﴾ [الإنسان] الخط ﴿بالقلم﴾ وأول مَنْ خط به إدريس عليه السلام، [قاله الضحاك بن مزاحم، وقيل: بل آدم عليه السلام]. ٥ ﴿علم الإنسان﴾ الجنس ﴿ما لم يعلم﴾ قبْل تعليمه، من الهدى والكتابة والصناعة وغيرها. ٦ ﴿كلاَّ﴾ حقاً ﴿إن الإنسان ليطغى﴾. ٧ ﴿أن رآه﴾ أي: [رأى] نفسه ﴿استغنى﴾ بالمال، نزل [ذلك] في أبي جهل، [ومعناه عام]، و «رأى» عِلْمية [تنصب مفعولين]، و «استغنى» مفعول ثان، [أي: مستغنياً]، و «أن رآه» مفعول له. ٨ ﴿إن إلى ربك﴾ يا إنسان ﴿الرجعى﴾ الرجوع، تخويف له، فيجازي الطاغي بما يستحقه. ٩ ﴿أرأيت﴾ في مواضعها الثلاثة، [أي: هذا وما بعده] للتعجيب، [أي: اعجبْ يا مخاطب من هذا] ﴿الذي ينهى﴾ هو: أبو جهل. ١٠ ﴿عبداً﴾ هو: النبي ﷺ ﴿إذا صلى﴾ [وكان قد قال: لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة، لأطَأنَّ على عنقه، فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فقال: «لو فعل لأخذته الملائكة عياناً»، رواه البخاري ومسلم وغيرهما، عن ابن عباس]. ١١ ﴿أرأيت إن كان﴾ المنهيُّ [أي: محمد ﷺ] ﴿على الهدى﴾. ١٢ ﴿أو﴾ للتقسيم[1] ﴿أمر بالتقوى﴾. ١٣ ﴿أرأيت إن كذب﴾ أي: الناهي النبيَّ ﴿وتولى﴾ عن الإيمان. ١٤ ﴿ألم يعلم بأن الله يرى﴾ ما صدر منه؟ أي: يعلمه، فيجازيه عليه، أي: اعجب منه يا مخاطب، من حيث نهيه عن الصلاة، ومن حيث أن المنهيَّ على الهدى آمرٌ بالتقوى، ومن حيث أن الناهي، مكذب متولٍّ عن الإيمان. ١٥ ﴿كلاَّ﴾ ردع له ﴿لئن﴾ لام قسم ﴿لم ينته﴾ عما هو عليه من الكفر ﴿لنسفعاً

---

(١) قوله: «للتقسيم»، قال الصاوي في حاشيته: الأولى أن يقول «بمعنى الواو» أي: «أرأيت إن كان محمد على الهدى وآمراً بالتقوى، أليس ناهيه عن ذلك هالكاً؟».

بالناصية﴾ لنجرَّن بناصيته إلى النار. ١٦﴿ناصية﴾ بدل نكرة من معرفة ﴿كاذبة خاطئة﴾ وَصْفُها بذلك مجاز، والمراد صاحبها. ١٧﴿فليدع ناديه﴾ أي: أهل ناديه، و [«النادي»]: هو مجلس يُتَّخذُ، ليتحدث فيه القوم، وكان قال للنبي ﷺ ـ لما انتهره حيث نهاه عن الصلاة ـ : لقد علمتَ ما بها رجل أكثر نادياً مني، لأملأنّ عليك هذا الوادي، إن شئتُ، خيلاً جُرْداً ورجالاً مُرْداً.

١٨﴿سندع الزبانية﴾ الملائكة [الغلاظ الشداد لإهلاكه]، في الحديث [الموقوف على ابن عباس رضي الله عنهما قال:] «لو دعا ناديه، لأخذته الزبانية عياناً» [رواه أحمد والترمذي وغيرهما]. ١٩﴿كلَّا﴾ ردع له ﴿لا تطعه﴾ يا محمد، في ترك الصلاة ﴿واسجد﴾ صلِّ لله ﴿واقترب﴾[1] منه بطاعته.

بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴿١٩﴾ ۩

سجدة

(٩٧) سُورَةُ القَدْرِ مَكِّيَّة وآياتها خمس

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾

﴿سُورَةُ القَدْرِ﴾

(مكية، أو: مدنية، خمس، أو: ست آيات)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١﴿إنا أنزلناه﴾ أي: القرآن، جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ﴿في ليلة القدر﴾[2] أي: الشرف العظيم.

٢﴿وما أدراك﴾ أعلمك يا محمد ﴿ما ليلة القدر؟﴾ تعظيم لشأنها، وتعجيب منه.

٣﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ ليس فيها ليلة القدر، فالعمل الصالح فيها، خير منه في ألف شهر ليست فيها.

٤﴿تنزل الملائكة﴾ بحذف إحدى التاءين في الأصل ﴿والروح﴾ أي: جبريل ﴿فيها﴾ في الليلة ﴿بإذن ربهم﴾ بأمره ﴿من كل أمر﴾ قضاه الله فيها، لتلك السنة إلى قابل، و «من» سببية بمعنى الباء، [أي: بكل أمر].

٥﴿سلام هي﴾ خبر مقدم، ومبتدأ [مؤخر] ﴿حتى مطلع الفجر﴾ بفتح اللام وكسرها: إلى وقت طلوعه، جُعِلَتْ سلاماً، لكثرة السلام فيها من الملائكة، لا تمرُّ بمؤمن ولا بمؤمنة إلا سلمت عليه.

---

(١) قوله تعالى: ﴿واسجد واقترب﴾، روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: كان يسجد ـ أي: سجود التلاوة ـ في ﴿إذا السماء انشقت﴾ و ﴿واقرأ باسم ربك الذي خلق﴾، ارجع إلى تعليقنا حول سجود التلاوة ص ٢٢٦.

(٢) قوله تعالى: ﴿في ليلة القدر﴾، تضافرت الأحاديث الصحيحة على أنها في العشر الأواخر من رمضان فقد روى البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان»، وقيامها سنة لما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»، وليس إحياء ليلة القدر بالذي يفعله العوام من السهر طوال الليل مما يفوت على كثير منهم صلاة الفجر بسبب التعب وغلبة النوم، بل المطلوب أن يصلي المسلم ويقرأ القرآن، ويدعو الله تعالى بالخير طالما هو نشيط لذلك، فإذا تعب ونعَسَ فليرقد.

﴿سُورَةُ البَيِّنَةِ﴾

(مكية، أو: مدنية، [ثمان أو:] تسع آيات)

بسم الله الرحمن الرحيم

١﴿لم يكن الذين كفروا من﴾ للبيان[1] ﴿أهل الكتاب والمشركين﴾ أي: عبدة الأصنام، عطف على «أهل» ﴿منفكين﴾ خبر «يكن»، أي: زائلين عما هم عليه [من الكفر] ﴿حتى تأتيهم﴾ أي: أتتهم ﴿البينة﴾ أي: الحجة الواضحة، وهي: محمد صلى الله عليه وسلم. ٢﴿رسول من الله﴾ بدل من «البينة»، وهو: النبي ﷺ ﴿يتلو صحفاً مطهرة﴾ من الباطل. ٣﴿فيها كتب﴾ أحكام مكتوبة ﴿قيمة﴾ مستقيمة، أي: يتلو مضمون ذلك، وهو: القرآن، فمنهم من آمن به، ومنهم من كفر. ٤﴿وما تفرق الذين أوتوا الكتاب﴾ في الإيمان به ﷺ ﴿إلا من بعد ما جاءتهم البينة﴾ أي: هو ﷺ، أو: القرآن الجائي به معجزةً له، وقبل مجيئه ﷺ، كانوا مجتمعين على الإيمان به إذ جاء، [أي: فور مجيئه،] فحسده من كفر به منهم. ٥﴿وما أمروا﴾ في كتابيهم التوراة والإنجيل ﴿إلا ليعبدوا الله﴾ أي: أن يعبدوه، فحذفت «أن» وزيدت اللام ﴿مخلصين له الدين﴾ من الشرك ﴿حنفاء﴾ مستقيمين على دين إبراهيم، ودين محمد إذا جاء، فكيف كفروا به؟ ﴿ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين﴾ الملة ﴿القيمة﴾ المستقيمة. ٦﴿إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها﴾ حال مقدرة، أي: مقدراً خلودهم فيها من الله تعالى.

(٩٨) سُورَةُ البَيِّنَةِ مدنية وآياتها ثمان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ

---

(١) قوله: «للبيان»، أي: إن «من» تُبَيِّنُ بما بعدها ما جاء قبلها. فبينت هنا أن الكافرين على اختلاف أسباب كفرهم من وثنية حجرية، أو كفر بنسبة ولد لله تعالى، أو اتخاذ شريك معه، أو كفر بالنبوة والرسالة، هم جاحدون متحجِّرون معاندون يرفضون الحق ولو شاهدوه عَياناً، وهذه الآية دليل واضح على أن «أهل الكتاب» أي: اليهود والنصارى كافرون كالوثنيين والملحدين وغيرهم، لأن الكفر كلَّه ــ وإن تعددت أسبابه ــ ملّة واحدة.

﴿أولئك هم شر البرية﴾ [الخليقة].

٧﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية﴾ الخليقة.

٨﴿جزاؤهم عند ربهم جنات عدن﴾ إقامة ﴿تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم﴾ بطاعته ﴿ورضوا عنه﴾ بثوابه ﴿ذلك لمن خشي ربه﴾ خاف عقابه، فانتهى عن معصيته تعالى.

أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾

(٩٩) سورة الزلزلة مدنية وآياتها ثمان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ

﴿سورة الزلزلة﴾[1]

(مكية، أو: مدنية، تسع آيات)

بسم الله الرحمن الرحيم

١﴿إذا زلزلت الأرض﴾ حُرِّكت لقيام الساعة ﴿زلزالها﴾ تحريكها الشديد المناسب لعظمتها.

٢﴿وأخرجت الأرض أثقالها﴾ كنوزها[2] وموتاها، فألقتها على ظهرها.

٣﴿وقال الإنسان﴾ الكافر بالبعث ﴿ما لها؟﴾ إنكاراً لتلك الحالة.

٤﴿يومئذ﴾ بدل من «إذا»، وجوابها ﴿تحدث أخبارها﴾ تخبر بما عُمل عليها من خير وشر.

٥﴿بأن﴾ بسبب أن ﴿ربك أوحى لها﴾ أي: أمرها بذلك، [كما جاء] في الحديث [عن النبي ﷺ أنه قرأ: «يومئذٍ تحدث أخبارها» فقال: «أتدرون ما أخبارها؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال ﷺ: «فإن أخبارها أن] تشهد على كل عبد أو أمة، بكل ما عمل على ظهرها، [أن تقول: عمل كذا وكذا، يومَ كذا وكذا، فهذه أخبارُها»، رواه الترمذي وأحمد والنسائي ــ واللفظ له ــ]. ٦﴿يومئذ

---

(١) قوله: «سورة الزلزلة»، أخرج الترمذي وحسنه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قوله ﷺ لرجل من أصحابه «أليس معك: إذا زلزلت الأرض؟» قال: بلى. قال: «ربع القرآن». أي: كأن معك ربع القرآن لأنها تعدل ثواباً لقارئها ــ قراءة متدبِّر ــ كثواب قراءة ربع القرآن.

(٢) قوله: «كنوزها»، أي: من الذهب والفضة كما في حديث رواه مسلم، وقد ذكرنا نصه في تفسير الآية الرابعة من سورة «الانشقاق» ص ٧٩٩.

يصدر الناس﴾ ينصرفون من موقف الحساب ﴿أشتاتاً﴾ متفرقين، فاخذ ذات اليمين إلى الجنة، وآخذ ذات الشمال إلى النار ﴿ليروا أعمالهم﴾ أي: جزاءها، من الجنة، أو النار. ٧﴿فمن يعمل مثقال ذرة﴾[1] زِنَةَ نملةٍ صغيرة ﴿خيراً يره﴾ يرَ ثوابه. ٨﴿ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ ير جزاءه.

يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾

(١٠٠) سُورَةُ العَادِيَاتِ مَكِّيَّة وآياتها إحدى عشرة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ * أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ

﴿سُورَةُ العَادِيَاتِ﴾

(مكية، أو: مدنية، إحدى عشر آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١﴿والعاديات﴾ الخيل تعدو في الغزو، وتضبح ﴿ضبحاً﴾ هو: صوت أجوافها إذا عَدَتْ.

٢﴿فالموريات﴾ الخيل، توري النار ﴿قدحاً﴾ بحوافرها، إذا سارت في الأرض ذات الحجارة بالليل.

٣﴿فالمغيرات صبحاً﴾ الخيل، تغير على العدو وقت الصبح، بإغارة أصحابها.

٤﴿فأثرن﴾ هيَّجْنَ ﴿به﴾ بمكان عَدْوِهِنَّ، أو: بذلك الوقت ﴿نقعاً﴾ غباراً، بشدة حركتهن.

٥﴿فوسطن به﴾ بالنقع ﴿جمعاً﴾ من العدو، أي: صرن وَسْطَهُ. وعطِفَ الفعلُ على الاسم، لأنه في تأويل الفعل، أى: واللاتي عدون، فأورين، فأغَرْنَ.

٦﴿إن الإنسان﴾ الكافر ﴿لربه لكنود﴾ لكفور، يجحد نعمته تعالى، [قال الحسن البصري: يذكر المصائب وينسى النعم].

٧﴿وإنه على[2] ذلك﴾ أي: كنوده ﴿لشهيد﴾ يشهد على نفسه بصنعه.

٨﴿وإنه لحب الخير﴾ المال، [ومنه قوله تعالى: «كُتب عليكم إذ حضر أحدكم الموتُ إن ترك خيراً الوصيةُ» الآية ١٨٠ «البقرة»، أي: مالاً»] ﴿لشديد﴾ الحبُّ له، فيبخل به.

٩﴿أفلا يعلم إذا بعثر﴾ أثير وأخرج ﴿ما في القبور﴾ من الموتى أي: بُعثوا ١٠﴿وحُصِّل﴾ بُيِّنَ وأُفرز.

---

(١) قوله تعالى: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة﴾ الآية، هي من أجمع الآيات، سماها النبي ﷺ «الفاذَّة الجامعة» ــ أي: الفريدة من نوعها ــ جاء ذلك فيما رواه الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، الذي ذكر فيه النبي ﷺ الخيلَ وما في ربطها في سبيل الله من أجر، فسئل رسول الله ﷺ عن الحُمُر ــ أي: الحمير ــ فقال: «ما أنزل الله فيها شيئاً إلا هذه الآية الفاذَّة الجامعة ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾».

(٢) قوله تعالى: ﴿وإنه على ذلك لشهيد﴾، أَرْجَعَ الجلال المحلي الضمير في «إنه» إلى الإنسان، وقال القرطبي: «وإن الله عز وجل =

﴿ما في الصدور﴾ القلوب من الكفر والإيمان.
١١ ﴿إن ربهم بهم يومئذٍ لخبير﴾ لعالم، فيجازيهم على كفرهم، أعيد الضمير جمعاً، نظراً لمعنى الإنسان، وهذه الجملة دلت على مفعول «نعلم»، أي: إنا نجازيه وقت ما ذكر، وتعلّقُ «خبير» بـ «يومئذٍ» ــ وهو تعالى خبير دائماً ــ لأنه يوم المجازاة.

مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾

(١٠١) سُورَةُ القَارِعَةِ مَكِّيَّة وآياتها إحدى عشرة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾

﴿سُورَةُ القَارِعَةِ﴾

(مكية، ثمان [أو: عشر] آيات، [أو: إحدى عشرة آية])

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ﴿القارعة﴾ القيامة التي تقرع القلوب بأهوالها.
٢ ﴿ما القارعة؟﴾، تهويل لشأنها، وهما: مبتدأ وخبر، خبر «القارعة».
٣ ﴿وما أدراك﴾ أعلمك ﴿ما القارعة؟﴾ زيادة تهويل لها، و «ما» الأولى مبتدأ، وما بعدها خبرُه، و «ما» الثانية وخبرها، في محل المفعول الثاني لـ «أدرى».
٤ ﴿يوم﴾ [منصوب على الظرفية]، ناصبُهُ دل عليه «القارعة» أي: تقرع [القلوب بأهوالها، يوم] ﴿يكون الناس كالفراش المبثوث﴾ كغوغاء الجراد المنتشر، يموج بعضهم في بعض للحَيْرة، إلى أن يُدْعَوْا للحساب.
٥ ﴿وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾ كالصوف المندوف، في خفة سيرها حتى تستوي مع الأرض.
٦ ﴿فأما من ثقلت موازينه﴾ بأن رجحت حسناته على سيئاته.
٧ ﴿فهو في عيشة راضية﴾ في الجنة، أي: ذات رضى، بأن يرضاها، أي: مرضية له.
٨ ﴿وأما من خفت موازينه﴾ بأن رجحت سيئاته على حسناته.
٩ ﴿فأمه﴾ فمسكنه ﴿هاوية﴾. ١٠ ﴿وما أدراك ما هيه؟﴾ أي: ما «هاوية». ١١ هي ﴿نار حامية﴾ شديدة الحرارة، وهاء «هيه» للسكت، تثبت وصلاً ووقفاً، وفي قراءة: تحذف وصلاً [وتثبت وقفاً].

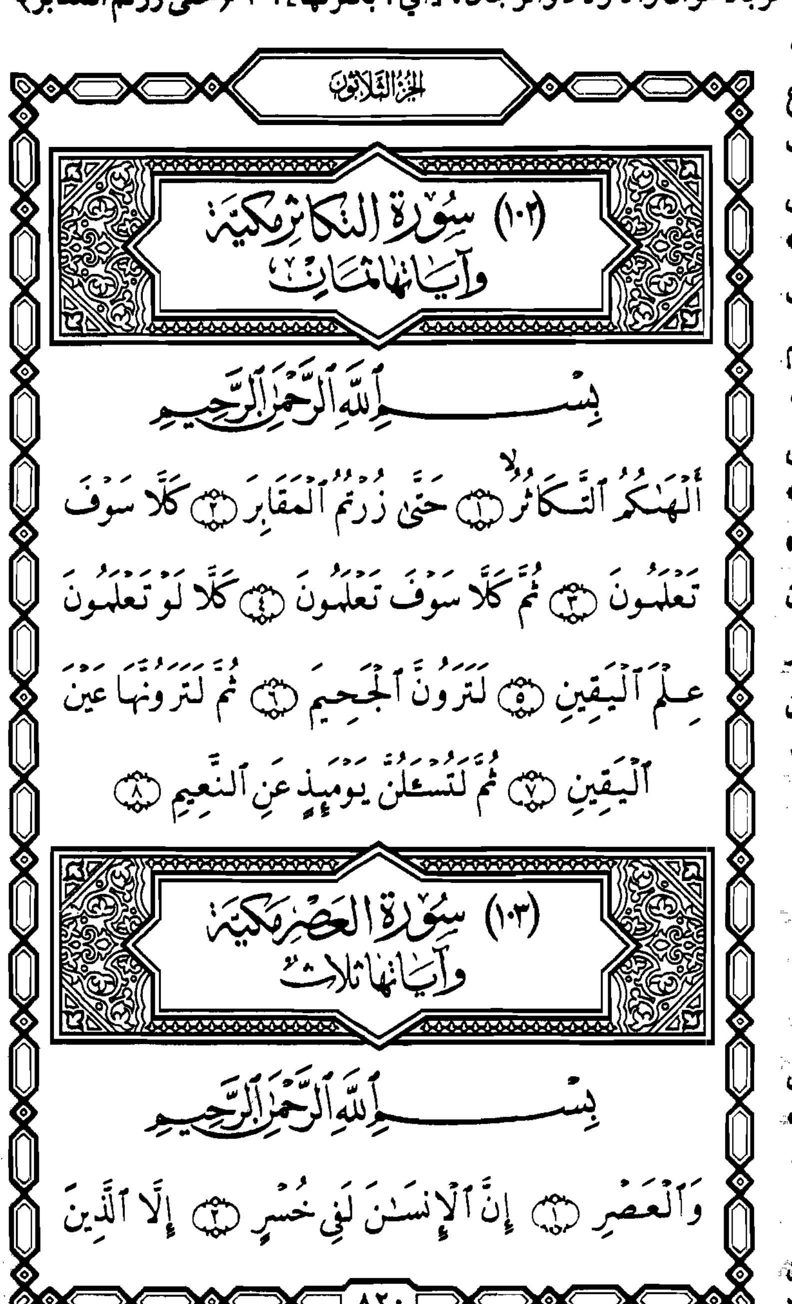
= على ذلك من ابن آدم لشهيد»، فأعاد الضميرَ إلى الله تعالى وقال: هو قول أكثر المفسرين وبه قال ابن عباس رضي الله عنهما، وقال بالقول الأول الحسن البصري وقتادة السّدوسي رحمهما الله، وتكون شهادته على نفسه بلسان الحال، كما قال ابن كثير، أي: يظهر عليه بأقواله وأفعاله.

﴿سُورَةُ التَّكَاثُرِ﴾ (1)

(مكية، ثمان ايات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿ألهاكم﴾ شغلكم عن طاعة الله ﴿التكاثر﴾ التفاخر بالأموال والأولاد والرجال، [أي: بكثرتها]. ٢ ﴿حتى زرتم المقابر﴾ بأن مُتُّم فدفنتم فيها، أو: عَددتّم الموتى تكاثراً، [والوجه الأول هو الصحيح]. ٣ ﴿كلاَّ﴾ ردع [وزجر] ﴿سوف تعلمون﴾. ٤ ﴿ثم كلاَّ سوف تعلمون﴾ سوءَ عاقبة تفاخركم، عند النَّزع، ثم في القبر. ٥ ﴿كلاَّ﴾ حقاً ﴿لو تعلمون علم اليقين﴾ علماً يقيناً، عاقبة التفاخر [وجواب «لو» محذوف تقديره:] ما اشتغلتم به، [وهنا تم الكلام، ثم استأنف مُقسماً]: ٦ ﴿لترون الجحيم﴾ النار، جوابُ قسم محذوف، وحُذِفَ(2) منه لام الفعل وعينه، وأُلْقِيتْ حركتها على الراء. ٧ ﴿ثم لترونها﴾ تأكيد ﴿عين اليقين﴾ مصدر، لأن «رأى» و«عاين» بمعنى واحد. ٨ ﴿ثم لتسألن﴾ حذف منه نون الرفع لتوالي النونات، و[حذفت] واو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين ﴿يومئذٍ﴾ يوم رؤيتها ﴿عن النعيم﴾ ما التُذَّ به في الدنيا، من الصحة والفراغ، والأمن، والمطعم والمشرب، وغير ذلك.



﴿سُورَةُ العَصْرِ﴾

(مكية، أو: مدنية، ثلاث آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿والعصر﴾ الدهر، أو: ما بعد الزوال إلى الغروب، أو: صلاة العصر. ٢ ﴿إن الإنسان﴾ الجنس ﴿لفي خسر﴾ في تجارته(3). ٣ ﴿إلاَّ الذين

---

(1) قوله: «سورة التكاثر»، أخرج الحاكم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية في كل يوم؟» قالوا: ومن يستطيع ذلك؟ قال: «أما يستطيع أحدكم أن يقرأ: ﴿ألهاكم التكاثر﴾؟ وروى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن الشِّخِّير رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ: ﴿ألهاكم التكاثر﴾ قال: «يقول ابن آدم: مالي مالي! وهل لك يا ابن آدم من مالك إلاَّ ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أوتصدقت فأمضيت؟» وفي رواية له: «وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس».

(2) قوله: «وحذف منه لام الفعل إلخ..»، أي: من «الترون»، وأصله: «لَتَرْءَاوُنَّ» فحذفت لام الفعل وعينه، أي: الهمزة والياء من أصل الفعل الذي هو: «رَأَيَ» على وزن «فَعَلَ»، ثم ألقيت حركة الهمزة على الراء فصارت «الترونّ».

(3) [قوله]: «في تجارته». لقد أبعد الجلال المحلي في تفسيره هذا، والأولى أن يقال: إن الإنسان خاسر وهالك إلاَّ إذا آمن وعمل صالحاً... إلخ، أي: لا تنفعه الدنيا وما عليها إذا لم يكن مؤمناً صالحاً.

آمنوا وعملوا الصالحات﴾ فليسوا في خسران ﴿وتواصوا﴾ أوصى بعضهم بعضاً ﴿بالحق﴾ الإيمان ﴿وتواصوا بالصبر﴾[1] على الطاعة، وعن المعصية.

﴿سُورَةُ الهُمَزَةِ﴾

(مكية، أو مدنية، وآياتها تسع)

ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾

(١٠٤) سُورَةُ الهُمَزَةِ مَكِّيَّة وآياتها تسع

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴿٩﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١﴿ويل﴾ كلمة عذاب، أو: واد في جهنم ﴿لكل همزة لمزة﴾ كثير الهمز واللّمز، أي: الغيبة[2]. نزلت فيمن كان يغتاب النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، كأُميَّة بن خلف، والوليد بن المغيرة وغيرهما، [وقال ابن عباس: هم المشّاؤون[3] بالنميمة، المفسدون بين الأحبة، الباغون للبراء العيبَ، فعلى هذا هما بمعنى؛ وقيل: «الهُمَزة» هو الذي يغتاب ويطعن في وجه الرجل، و«اللُّمزة» هو: الذي يغتابه إذا غاب، واختاره أبو جعفر النحاس، وقيل غير ذلك].

٢﴿الذي جمع﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿مالاً وعدده﴾ أحصاه وجعله عُدَّةً لحوادث الدهر، [أو: يَعُدُّه ويعيد عدَّه، مرة بعد مرة، يجد في ذلك متعة].

٣﴿يحسب﴾ لجهله ﴿أن ماله أخلده﴾ جعله خالداً لا يموت.

٤﴿كلاَّ﴾ ردع ﴿لينبذن﴾ جواب قسم محذوف، أي: [والله] ليطرحن ﴿في الحطمة﴾ التي تَحْطِمُ كل ما ألقي فيها.

٥﴿وما أدراك﴾ أعلمك ﴿ما الحطمة؟﴾.

٦﴿نار الله الموقدة﴾ المسَعَّرة.

٧﴿التي تطلع﴾ تشرف ﴿على الأفئدة﴾ القلوب فتحرقها، وألمها أشد من ألم غيرها للطفها.

٨﴿إنها عليهم﴾ جمع الضمير رعاية لمعنى «كل» ﴿مؤصدة﴾ بالهمز، وبالواو بدله، [أي:] مطبقة [مغلقة]. ٩﴿في عمد﴾ بضم الحرفين وبفتحهما، [جمع «عمود»، أي: أحكم إيصادها وإغلاقها بها] ﴿ممدّدة﴾ صفة لما قبله، فتكون النار داخل العَمَد.

---

(١) قوله تعالى: ﴿وتواصوا بالصبر﴾، ارجع إلى تعليقنا حول «معاني الصبر» ص ٦٠٧.

(٢) قوله: «أي: الغيبة»، وهي: ذكرك أخاك بما يكره، مما هو فيه، ارجع إلى تعليقنا حول «الغيبة» ص ٦٨٦.

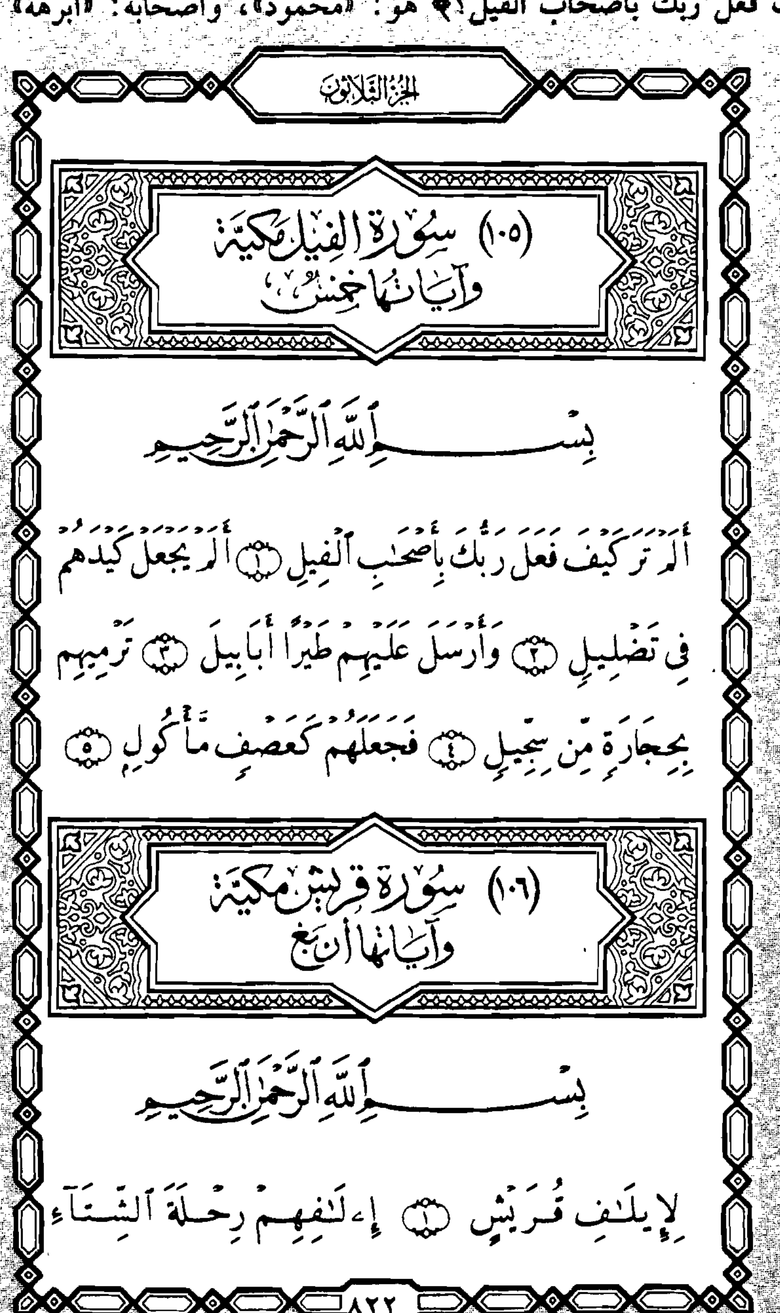
(٣) قوله: «المشاؤون بالنميمة»، و«النميمة» هي: نقل الكلام على جهة الإفساد، وهي من كبائر الذنوب، ومن أسباب عذاب القبر. ارجع إلى تعليقنا حول «النميمة» ص ٢٤٩.

﴿سُورَةُ الفِيلِ﴾

(مكية، خمس آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿ألم تر﴾ استفهام تعجيب، أي: اعجب ﴿كيف فعل ربك بأصحاب الفيل؟﴾ هو: «محمود»، وأصحابه: «أبرهة» ملك اليمن وجيشه، بنى بصنعاء كنيسة، ليصرف إليها الحاج عن مكة، فأحدث رجلٌ من «كنانة» فيها، ولطَّخ قبلتها بالعَذِرَة، احتقاراً بها، فحلف أبرهة ليَهْدِمَنّ الكعبة، فجاء مكة بجيشه على أفيال اليمن، مقدمها «محمود»، فحين توجهوا لهدم الكعبة، أرسل الله سبحانه وتعالى عليه ما قصه في قوله: ٢ ﴿ألم يجعل﴾ أي: جعل ﴿كيدهم﴾ في هدم الكعبة ﴿في تضليل﴾ خسارة وهلاك؟. ٣ ﴿وأرسل عليهم طيراً أبابيل﴾ جماعات جماعات، قيل: لا واحد له، كـ «أساطير»، وقيل: واحده «أُبُول» أو: «إبَّال» أو «إبِّيل»، كـ «عُجُول» و «مفتاح» و «سِكِّين». ٤ ﴿ترميهم بحجارة من سجيل﴾[1] طين مطبوخ. ٥ ﴿فجعلهم كعصف مأكول﴾ كورق زرع أكلتْهُ الدوابُّ وداسته وأفنته، أي: أهلكهم الله تعالى، كلَّ واحد بحجره المكتوب عليه اسمُه، وهو: أكبرُ من العدسة وأصغرُ من الحِمِّصَة، يخرق البيضة والرجلَ والفيلَ، ويصل إلى الأرض، وكان هذا عامَ مولد النبي ﷺ، [وقد عُرِفَ عند العرب بعام الفيل، وبه كانوا يؤرخون].



الجزء الثلاثون

(١٠٥) سُورَةُ الفِيلِ مَكِّيَّة وَآيَاتُهَا خَمْسٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ﴿٥﴾

(١٠٦) سُورَةُ قُرَيْشٍ مَكِّيَّة وَآيَاتُهَا أَرْبَعٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ

٨٢٢

﴿سُورَةُ قُرَيْشٍ﴾

(مكية، أو: مدنية، أربع آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿لإيلاف قريش﴾ [هم: قبيلته ﷺ، سُموا بذلك لاجتماعهم بعد التفرق، أو: لتكسبهم بالتجارة]. ٢ ﴿إيلافهم﴾ تأكيد، وهو مصدر «آلف» بالمد ﴿رحلة الشتاء﴾ إلى اليمن،

---

(١) قوله تعالى: ﴿ترميهم بحجارة من سجيل﴾، زعم بعضهم أن طيور الأبابيل هذه ليست طيوراً حقيقية وكذلك الحجارة، بل ذلك مرض خبيث كالجدري أصابهم فأهلكهم، وهذا زعم غريب، لأن القرآن عربي مبين، ولا شيء في الآيات يدل على أن استعمال كلمتي «الطير» و «الحجارة» جاء على سبيل المجاز، بل إن التشبيه «كعصف مأكول» يدل بوضوح على الحقيقة، فلا يقال للمرضى الذين أنهكهم المرض: إنهم «كعصف مأكول» ثم ما المانع من كون ذلك حقيقة؟. أليس الله بقادر على ذلك؟.. وأخيراً فإن العرب تناقلت القصة ورووها على أنها حقيقة لا مجاز فيها وكانت عندهم مشهورة معروفة، ثم أثبتها الله تعالى في كتابه العزيز آية على قدرته على كل شيء.

﴿وَ﴾ رحلة ﴿الصيف﴾ إلى الشام في كل عام، يستعينون بالرحلتين للتجارة، على المقام بمكة لخدمة البيت، الذي هو فخرهم، وهم: ولد «النضر بن كنانة»، [أما غير ولد «النضر»، فليسوا من قريش، هذا ما عليه الأكثرون، ويؤيده حديث واثلة بن الأسقع عن النبي ﷺ قال: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى من بني كنانة قريشاً ـ أي: النضر ـ، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم» رواه الشيخان وغيرهما. وقيل: هم بنو «فِهْر» بن مالك بن النضر]. ٣﴿فليعبدوا﴾ تعلق به «لإيلاف»، والفاء زائدة ﴿رب هذا البيت﴾ [أي: البيت الحرام في مكة، أي: فليعبدوا الله]. ٤﴿الذي أطعمهم من جوع﴾ أي: من أجله ﴿وآمنهم من خوف﴾ أي: من أجله، وكانوا يصيبهم الجوع، لعدم الزرع بمكة، وخافوا جيش الفيل.

وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾

(١٠٧) سُورَةُ المَاعُونِ مَكِّيَّة وَآيَاتُهَا سَبْع

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾

﴿سُورَةُ المَاعُونِ﴾[1]

(مكية، أو: مدنية، أو: نصفها [مكي] ونصفها [الآخر مدني،] ست، أو: سبع آيات)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١﴿أرأيت الذي يكذب بالدين؟﴾ بالجزاء والحساب، أي: هل عرفته؟ وإن لم تعرفه. ٢﴿فذلك﴾ بتقدير «هو» بعد الفاء، [أي: فهو ذلك] ﴿الذي يدع اليتيم﴾ أي: يدفعه بعنف عن حقه. ٣﴿ولا يحض﴾ نفسه ولا غيره ﴿على طعام المسكين﴾ أي: إطعامه، نزلت في العاص بن وائل، أو: الوليد بن المغيرة. ٤﴿فويل للمصلين﴾ [أي: للذين وجبت عليهم الصلاة]. ٥﴿الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ غافلون، يؤخرونها عن وقتها. ٦﴿الذين هم يراؤون﴾ في الصلاة وغيرها. [قال الإمام مالك رحمه الله تعالى: «إن المنافق إذا صلّى، صلّى رياءً، وإن فاتته صلاة لم يندم عليها»]. ٧﴿ويمنعون الماعون﴾[2] كالإبرة والفأس والقِدْر والقَصْعة.

(١) قوله: «سورة الماعون»، هذه السورة نصفان: نصفها الأول في الكافرين، ومن أشنع صفاتهم: التكذيب بيوم الدين، وقسوة القلب على اليتيم والمسكين. ونصفها الثاني في المنافقين: الذين إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلاّ قليلاً. ارجع إلى تعليقنا حول «النفاق» ص ١٢٦، وإلى تعليقنا حول «الرياء» ص ٣٩٥، فنعوذ بالله تعالى من أن نكون من أهل هذه السورة.

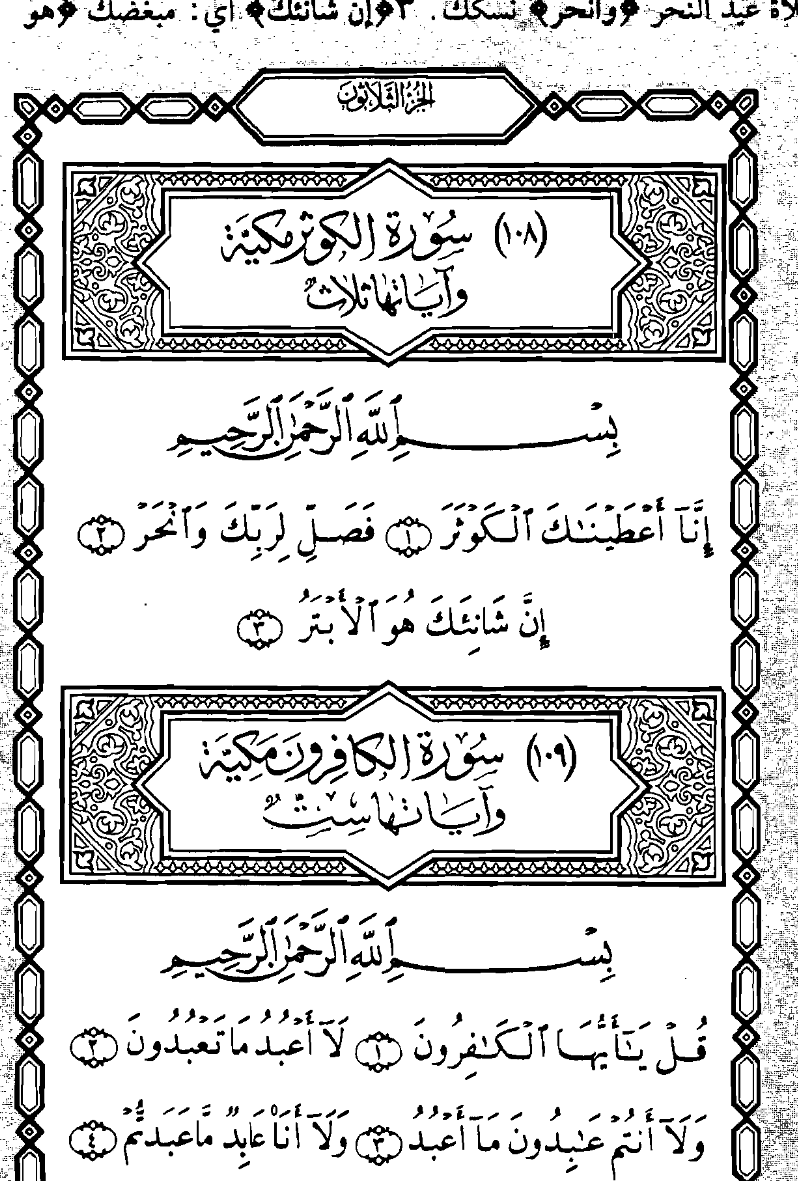
(٢) قوله تعالى: ﴿ويمنعون الماعون﴾، هو اسم مفعول من: «أعان» «يعين»، و«العون» هو: «الإمداد بالأسباب الميسّرة للأمر»، وللعلماء في المقصود «بالماعون» أقوال، منها: أنها الزكاة وهو قول مالك. وقال زيد بن أسلم: هم المنافقون، ظهرت الصلاة فصلوها، وخفيت الزكاة فمنعوها، وقيل: هو القِدْرُ والدلو... إلخ.. وكل ما يتعاطاه الناس بينهم. قال ابن العربي: وعلى قدْرِ الماعون والحاجة إليه يكون الذمُّ في منعه، إلا أن الذم إنما هو على الواجب، والعارية ليست بواجبة على التفصيل، بل إنها واجبة على الجملة. اهـ. وعلى كل حال: فإن في الآية حثاً على المعروف، الذي هو صدقة، فلا يتركها المؤمن إذا وجد إليها سبيلاً.

﴿سُورَةُ الكَوْثَرِ﴾

(مكية، أو: مدنية، ثلاث آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿إنا أعطيناك﴾ يا محمد ﴿الكوثر﴾ هو: نهر[1] في الجنة، وهو حوضه تردُ عليه أمته، أو: الكوثر الخير الكثير، من النبوة والقرآن والشفاعة ونحوها. ٢ ﴿فصل لربك﴾ صلاة عيد النحر ﴿وانحر﴾ نسكك. ٣ ﴿إن شانئك﴾ أي: مبغضك ﴿هو الأبتر﴾ المنقطع عن كل خير، أو: المنقطع العَقِب، نزلت في العاص بن وائل، سمى النبي ﷺ «أبتر»، عند موت ابنه القاسم، [وقيل غيره، والآية تعم كل من أبغض النبي ﷺ، من الذين توهموا أن في وفاة أولاده الذكور انقطاع ذكره، بل أبقى الله ذكره، ورفعه له على رؤوس الأشهاد إلى يوم القيامة].



الجزء الثلاثون

(١٠٨) سُورَةُ الكَوْثَرِ مكية وآياتها ثلاث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

(١٠٩) سُورَةُ الكَافِرُونَ مكية وآياتها ست

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾

٨٢٤

﴿سُورَةُ الكَافِرُونَ﴾

(مكية، أو: مدنية، ست آيات)

نزلت لما قال رهط من المشركين لرسول الله ﷺ: تعبد آلهتنا سنة، ونعبد آلهتك سنة [رواه الطبراني وابن أبي حاتم عن ابن عباس].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿قل يا أيها الكافرون﴾. ٢ ﴿لا أعبد﴾ في الحال ﴿ما تعبدون﴾ من الأصنام. ٣ ﴿ولا أنتم عابدون﴾ في الحال ﴿ما أعبد﴾ وهو الله سبحانه وتعالى وحده. ٤ ﴿ولا أنا عابد﴾ في الاستقبال ﴿ما عبدتم﴾. ٥ ﴿ولا أنتم عابدون﴾ في الاستقبال ﴿ما أعبد﴾ علم الله منهم أنهم لا يؤمنون، وإطلاق «ما» على الله [دون «مَنْ»، جاء] على وجه المقابلة [أي: المشاكلة]. ٦ ﴿لكم دينكم﴾ الشرك ﴿ولي دين﴾ الإسلام، وهذا قبل أن يؤمر بالحرب، وحَذَفَ ياءَ الإضافة [القراءُ] السبعة وقفاً ووصلاً، وأثبتها «يعقوب» في الحالين.

---

(١) قوله: «هو نَهَرٌ في الجنة» روى ذلك الشيخان وغيرهما ـ واللفظ لمسلم ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينا رسول الله ﷺ بين أظهرنا في المسجد، إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسماً، قلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «لقد أنزلت عليَّ آنفاً ـ أي: هذه الساعة ـ سورة»، فقرأ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم. إنا أعطيناك الكوثر. ﴾ إلخ، ثم قال: «أتدرون ما الكوثر؟»، قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنه نَهَرٌ وعدنيه ربي عز وجل، عليه خير كثير، وهو حوض تردُ عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم في السماء، فيُختلَجُ ـ أي: يُجذب ويُبعد ـ العبد منهم، فأقول: رب إنه من أمتي، فيقول: إنك لا تدري ما أحدث بعدك»، وقيل في تفسير «الكوثر» أقوال أخرى أوصلها بعضهم إلى خمسة عشر قولاً، ولكن الصحيح منها ما جاء في صحاح الأحاديث، فليس بعد بيان النبي ﷺ بيان.

﴿سُورَةُ النَّصرِ﴾

(مدنية، ثلاث آيات)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿إذا جاء نصر الله﴾ نبيَّهُ على أعدائه ﴿والفتح﴾ فتح مكة. ٢ ﴿ورأيت الناس يدخلون في دين الله﴾ أي: الإسلام ﴿أفواجاً﴾ جماعات، بعدما كان يدخل فيه واحدٌ واحدٌ، وذلك بعد فتح مكة، جاءه العرب من أقطار الأرض طائعين. ٣ ﴿فسبح بحمد ربك﴾ أي متلبساً بحمده ﴿واستغفره إنه كان تواباً﴾ وكان ﷺ بعد نزول هذه السورة، يكثر من قول: «سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه» [رواه أحمد عن عائشة رضي الله عنها، ورواه البخاري والنسائي وغيرهما عنها بلفظ آخر]، وعَلِمَ بها أنه قد اقترب أجله، وكان فتح مكة في رمضان سنة ثمانٍ، وتوفي ﷺ في ربيع الأول سنة عشر.

(١١٠) سُورَةُ النَّصرِ مَدَنِيَّة وَآيَاتُهَا ثَلَاثٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا

﴿سُورَةُ المَسَدِ﴾

(مكية، خمس آيات)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

١ لما دعا النبي صلى الله عليه وسلم قومه[١] وقال: «إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال عمه أبو لهب: تبّاً لك ألهذا دعوتنا؟، نزل: ﴿تبت﴾ خسرت ﴿يدا أبي لهب﴾ أي: جملته، وعُبِّرَ عنها باليدين مجازاً، لأن أكثر الأفعال تزاول بهما، وهذه الجملة دعاء [عليه] ﴿وتب﴾ خسر هو، وهذه [أي: جملة «وتب»]، خبر [أي: خبرية لا إنشائية]، كقولهم: أهلكه الله وقد هلك. ٢ ولما خوَّفَهُ النبي بالعذاب فقال: إن كان ما يقول ابن أخي حقاً، فإني أفتدي منه بمالي وولدي نزل: ﴿ما أغنى عنه ماله وما

---

(١) قوله: «لما دعا النبي ﷺ قومه»، أخرج الشيخان ــ واللفظ للبخاري ــ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: «يا بني فِهْر، يا بني عدي»، لبطون قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش فقال ﷺ: «أرأيتكُم ــ أي: أخبروني ــ، لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقيّ؟» قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب: تبّاً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: ﴿تبت يدا أبي لهب وتب...﴾ السورة.

كسب﴾ أي: كسبه، أي: ولده، و «أغنى» بمعنى: «يغني». ٣ ﴿سيصلى ناراً ذات لهب﴾ أي: تلهُّب وتوقد، فهي مآل تكنيته، [وكني بأبي لهب:] لتلهُّب وجهه إشراقاً وحمرة، [واسمه: عبد العزى بن عبد المطلب]. ﴿وامرأته﴾ عطف على ضمير «يصلى»، سَوَّغه، [أي: سَوَّغ العطف على الضمير من غير حاجة إلى الفصل بضمير منفصل]، الفصلُ بالمفعول وصفَتِهِ، وهي: أم جميل: [أروى بنت حرب أخت أبي سفيان] ﴿حمالةُ﴾ بالرفع [نعت لـ «امرأته»]، والنصب [على الذم أو: على الحال] ﴿الحطب﴾ الشوك والسَّعدان، تلقيه في طريق النبي صلى الله عليه وسلم. ٥ ﴿في جيدها﴾ عنقها ﴿حبل من مسد﴾ أي: ليف، وهذه الجملة حال من «حمالة الحطب»، الذي هو نعت لـ «امرأته»، أو خبر مبتدأ مقدر.

كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾

(١١٢) سُورَةُ الإِخْلَاصِ مَكِّيَّة وآياتها أربع

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾

(١١٣) سُورَةُ الفَلَقِ مَكِّيَّة وآياتها خمس

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ

﴿سورة الإخلاص﴾ (١)

(مكية، أو: مدنية، أربع، أو: خمس آيات)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ [أخرج الترمذي والحاكم وغيرهما، أنه] سئل النبي ﷺ عن ربه فنزل: ﴿قل هو الله أحد﴾ فـ «الله» خبر «هو»، و «أحد» بدل منه، أو: خبر ثان. ٢ ﴿الله الصمد﴾ مبتدأ وخبر، أي: المقصود في الحوائج على الدوام. ٣ ﴿لم يلد﴾ [أي: ليس له ولد]، لانتفاء مجانسته ﴿ولم يولد﴾ [أي: ليس له والد]، لانتفاء الحدوث عنه. ٤ ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾ أي: مكافئاً، ومماثلاً، و «له» متعلق بـ «كفواً»، وقُدِّم عليه، لأنه محطُّ القصد بالنفي، وأُخِّر «أحد»، وهو اسم «يكن»، عن خبرها، رعايةً للفاصلة.

﴿سورة الفلق﴾

(مكية، أو: مدنية، خمس آيات)

بسم الله الرحمن الرحيم

نزلت هذه [السورة] والتي بعدها، لمَّا سحر لبيدٌ اليهودي النبيَّ ﷺ (٢)، في وَتَر به إحدى عشرة عقدة، فأعلمه الله بذلك وبمحله، فأحضر بين يديه ﷺ، وأمر بالتعوذ بالسورتين، فكان كلما قرأ آية منهما انحلت عقدة، ووجد خِفَّة، حتى انحلت العُقَد كلُّها، وقام كأنما نُشِط من عِقال. ١ ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ الصبح. ٢ ﴿من شر ما خلق﴾ من حيوان مكلف وغير مكلف، وجماد كالسم وغير ذلك. ٣ ﴿ومن شر

---

(١) قوله: «سورة الإخلاص»، أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه «أيَعجزُ أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟». فشق ذلك عليهم وقالوا: أيُّنا يُطيق ذلك يا رسول الله؟ فقال: «﴿قل هو الله أحد الله الصمد﴾ ثلث القرآن». وروى البخاري وغيره عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ يرددها، فلما أصبح أتى رسول الله ﷺ فذكر له ذلك، وكأن الرجل يتقالُّها ـ أي: يراها قليلة ـ فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن» أي: يعدل ثواب قراءتها بتدبر ثواب قراءة ثلث القرآن، أما سبب كونها تعدل ثلث القرآن، فالأحسن الإمساك عن الخوض فيه، لأنه سرٌّ لم يَرِدْ فيه نصٌّ.

(٢) قوله: «لما سحر لبيد اليهودي النبي ﷺ»، ما ذكره الجلال المحلي في سبب النزول، أخرجه البيهقي في الدلائل عن ابن عباس =

غاسق إذا وقب﴾ أي: الليل إذا أظلم، أو: القمر إذا غاب. ٤ ﴿ومن شر النفاثات﴾ السواحر تنفث ﴿في العقد﴾ التي تعقدها في الخيط، [أي:] تنفخ فيها بشيء تقوله من غير ريق، [هذا هو «النفث»]. وقال الزمخشري: [هو النفخ] معه [أي: مع الريق]، كبنات لبيد المذكور، [فهن اللاتي فعلن السحر بأمر أبيهن، والإستعاذة تشمل الساحرين أيضاً]. ٥ ﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾ أظهر حسده، وعمل بمقتضاه، كلبيد المذكور، من اليهود الحاسدين للنبي ﷺ، وذكر الثلاثة، الشامل لها [قولُه: «من شر] ما خلق»، [أي: تخصيصها بالذكر] بعدَهُ لشدة شرها، [و «الحسد» هو: تمني زوال النعمة عن المحسود، وإن لم يصر للحاسد مثلها، أما الغبطة فهي مباحة، وهي: المنافسة، بأن يتمنى أن يكون عنده مثلها].

غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

(١١٤) سُورَةُ النَّاسِ مَكِّيَّة وَآيَاتُهَا سِتّ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾

﴿سُورَةُ النَّاسِ﴾

(مكية، أو: مدنية، وهي: ست آيات)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ خالقهم ومالكهم، خُصُّوا بالذكر تشريفاً لهم، ومناسبةً للاستعاذة من شرِّ المُوَسْوِس في صدورهم. ٢ ﴿ملك الناس﴾. ٣ ﴿إله الناس﴾، بدلان، أو: صفتان، أو: عطفا بيان، وأظهر المضاف إليه فيهما زيادة للبيان. ٤ ﴿من شر الوسواس﴾ أي: الشيطان، سمي بالحدث [أي: الوسوسة]، لكثرة ملابسته له ﴿الخناس﴾ لأنه يخنُس ويتأخر عن القلب، كلما ذُكِرَ الله تعالى. ٥ ﴿الذي يوسوس في صدور الناس﴾ قلوبهم، إذا غفلوا عن ذكر الله. ٦ ﴿من الجنة والناس﴾ بيان للشيطان الموسوس، أنه جني وإنسي، كقوله تعالى: «شياطين الإنس والجن»، أو: «من الجنة» بيانٌ له، و «الناس» عطف على «الوسواس»، وعلى كلٍّ شمل شرَّ لبيد وبناته المذكورين، واعترض الأول بأن الناسَ لا يوسوس في صدورهم الناسُ، إنما يوسوس في صدورهم الجن، وأجيب بأن الناس يوسوسون أيضاً، بمعنىً يليق بهم في الظاهر، [كالنميمة والحث على ارتكاب المعاصي وتزيينها]، ثم تصل وسوستهم إلى القلب وتثبت فيه، بالطريق المؤدي إلى ذلك، والله تعالى أعلم.

= رضي الله عنهما: وله شاهد في الصحيح، أما حادثة سحره ﷺ، فقد ثبت في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ سُحِرَ، حتى إنه ليخيل إليه أنه فعل الشيء، وما فعله. وقد طعن بعضهم في ذلك وأنكره، ظناً منهم أن ذلك يتنافى مع النبوة، والصحيح: أن السحر مرض من الأمراض، وعارض من العلل، يجوز عليه كأنواع الأمراض الأخرى، ولا يقدح في نبوته، وأما التخييل المذكور في الحديث فهو داخل فيما يجوز طروؤه عليه من أمور دنياه التي لم يُبْعَث بسببها، وهو ما بينته الرواية الأخرى: «حتى إنه ليخيَّل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهن». قال سفيان بن عُيينة: وهذا أشدُّ ما يكون من السحر، أي: غاية ما يؤثره السحرُ التخييلُ، والتخييل لا يُفْقِدُ الإنسان إدراكه ولا يؤثر في تفكيره، تماماً مثلما تخيل موسى من سحر السَّحَرة أن الحبال والعصيَّ حياتٌ تسعى، قال تعالى ﴿فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾ ولم تكن كذلك، فكانت اعتقاداته ﷺ كلها على السَّداد، وأقواله على الصحة، ارجع إلى تعليقنا حول معنى «السحر» وحكمه ص ٢١٠.

خاتمة

يقول مراجعه وجامع حواشيه

محمد بن أحمد كنعان

قاضي الشرع الشريف في لبنان :

تم كتاب «قرة العينين على تفسير الجلالين»
بحمد الله تعالى وتوفيقه ،
في يوم الإثنين ، العشرين من شهر جمادى الأولى ،
من السنة الثانية ، بعد المائة الرابعة والألف ،
من هجرة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد
عليه أفضل الصلاة والتسليم
وعلى آله وأصحابه والتابعين
بإحسان إلى يوم الدين ،
والحمد لله رب العالمين .

تعريف بهذا المصحف الشريف

أولاً: كُتِبَ هذا المُصحَفُ وضُبِطَ على ما يوافق روايةَ حَفص بن سليمان بن المُغِيرة الأَسَديّ الكُوفيّ لقراءة عاصم بنِ أبـي النَّجُود الكُوفيّ التابعيّ، عن أبـي عبد الرحمن عبد الله بنِ حَبيب السُّلَميّ، عن عثمانَ بنِ عفَّانَ، وعليّ ابن أبـي طالب، وزيدِ بن ثابت، وأُبَـيّ بن كَعب، رضي الله عنهم عن النبـيّ ﷺ.

ثانياً: أُخِذَ هجاؤه: مما رواه علماءُ الرَّسم عن المصاحف التي بعث بها عثمانُ بن عفَّانَ إلى البَصْرة، والكوفة، والشَّام، ومكَّة، والمصحفِ الذي جعله لأهل المدينة، والمصحف الذي اختصّ به نَفسَه، وعن المصاحف المنتَسَخة منها.

أما الأَحرُفُ اليسيرةُ التي اختلَفَت فيها أهجيةُ تلك المصاحف فاتُّبع فيها الهجاءُ الغالب مع مراعاة قراءة القارىء الذي يُكتَب المصحف لبيان قراءته، ومراعاةِ القواعد التي استنبطها علماءُ الرَّسم من الأَهجية المختلفة على حَسَب ما رواه الشيخان: أبو عمرو الدانيُّ، وأبو داود سليمانُ بنُ نَجَاح مع ترجيح الثاني عند الاختلاف.

وعلى الجملة فإنّ كلَّ حرفٍ من حروف هذا المصحف موافقٌ لنظيره في مصحف من المصاحف الستة السابق ذكرُها. والعمدةُ في بيان كلِّ ذلك على ما حققه الأُستاذ محمدُ بن محمد الأُمويّ الشَّريشي المشهور بالخَرَّاز في منظومته: «مَورِد الظمآن» وما قرّره شارحُها المحقّق الشيخ عبد الواحد بن عاشر الأَنصاريّ الأَنْدَلُسيّ.

ثالثاً: أُخِذَت طريقة ضَبطه مما قرَّره علماءُ الضبط على حَسَب ما ورد في كتاب: «الطِّراز على ضبط الخَرَّاز» للإمام التَّنَسيّ مع إبدال علامات الأَنْدَلُسيين والمغاربة بعلامات الخليل بن أحمد وأتباعِهِ من المَشارِقة.

رابعاً: اتُّبِعَت في عدّ آياته طريقةُ الكوفيين عن أبـي عبد الرحمن عبد الله بن حَبيب السُّلميّ عن عليّ ابن أبـي طالب على حَسَب ما ورد في كتاب: «ناظمة الزُّهر» للإمام الشاطبـيّ وشرحها لأبـي عيدٍ رضوانَ المخلِّلاتي. و «كتاب أبـي القاسم عمر بن محمد بن عبد الكافي» وكتاب: «تحقيق البيان» للأُستاذ الشيخ محمد المتولِّي شيخ القُرّاء بالديار المصرية سابقاً. وآيُ القرآن على طريقتهم: «ستة آلافٍ ومائتان وست وثلاثون آية».

خامساً: أُخِذَ بيانُ أوائل أجزاءه «الثلاثين» **وأحزابِهِ** «الستين» **وأرباعهَا** من كتاب: «غيث النَّفع» للعلامة السَّفاقُسِيّ، و «ناظمة الزُّهر وشرحها»، و «تحقيق البيان»، و «إرشاد القرّاء والكاتبين» لأبـي عيدٍ رضوان المخلِّلاتي.

سادساً: أُخِذَ بيان وقوفه وعلاماتها مما قرَّره الأُستاذ: «محمد بن علي بن خلف الحسيني» شيخُ المَقَارىء المصرية على حَسَب ما اقتضته المعاني التي تُرشِد إليها أقوالُ أئمة التفسير.

سابعاً: أُخِذَ بيانُ السَّجَدات ومواضعها من كتب الفقه في المذاهب الأَربعة.

ثامناً: أُخِذَ بيانُ السَّكَتَات الواجبة عن حفص من «الشاطبية وشُرَّاحها» والتَلَقّي من أفواه المشايخ.

تاسعاً: اصطلاحات الضبط:

وَضع الصِّفر المستدير فوق حرف عِلَّة يدل علىٰ زيادة ذلك الحرف فلا يُنطقُ به في الوصل ولا في الوقف، نحو: قَالُوا۟ • يَتْلُوا۟ صُحُفًا • لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥ • وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ • إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ • أُو۟لَٰٓئِكَ • وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ • مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ • بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ •

ووضع الصِّفر المستطيل القائم فوقَ ألِف بعدها متحرِّك يدلُّ على زيادتها وصلاً لا وقفاً، نحو: أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ • لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى • وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ • هُنَالِكَ • كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ • قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ • وأهملت الألف التي بعدها ساكن، نحو: أَنَا ٱلنَّذِيرُ من وضع الصفر المستطيل فوقها وإن كان حكمها مثل التي بعدها متحرك في أنها تسقط وصلاً وتثبت وقفاً لعدم توهم ثبوتها وصلاً.

ووَضعُ رأس خاءٍ صغيرة (بدون نقطة) فوقَ أيِّ حرف يدُلُّ على سكون ذلك الحرف وعلى أنه مُظهَرٌ يقرَعه اللسانُ، نحو: مِّنْ خَيْرٍ • وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ • بِعَبْدِهِۦ • قَدْ سَمِعَ • فَقَدْ ضَلَّ • نَضِجَتْ جُلُودُهُم • أَوَعَظْتَ • وَخُضْتُمْ • وَإِذْ زَاغَتِ •

وتعريةُ الحرف من علامة السكون مع تشديد الحرف التالي يدُلُّ على إدغام الأوّل في الثاني إدغاماً كاملاً، نحو: أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا • يَلْهَث ذَّٰلِكَ • وَقَالَت طَّآئِفَةٌ • وَمَن يُكْرِههُّنَّ • أَلَمْ نَخْلُقكُّم •

وتعرِيتُه مع عدم تشديد التالي يدُلُّ على إخفاء الأوّل عند الثاني فلا هو مُظهَر حتى يقرَعه اللسان ولا هو مُدغَم حتى يُقلب من جنس تاليه، نحو: مِن تَحْتِهَا • مِن ثَمَرَةٍ • إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ. أو إدغامه فيه إدغاماً ناقصاً، نحو: مَن يَقُولُ • مِن وَالٍ • فَرَّطتُمْ • بَسَطتَ •

وَوَضعُ ميم صغيرة بَدَل الحركة الثانية من المنوَّن أو فوقَ النون الساكنة بَدلَ السكون مع عدم تشديد الباء التالية يدُلُّ على قلب التنوين أو النون ميماً، نحو: عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ • جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ • كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ • مِنۢ بَعْدِ • مُنۢبَثًّا •

وتركيب الحركتين: (ضمتين أو فتحتين أو كسرتين) هكذا ـٌ ـً ـٍ يدُلّ على إظهار التنوين، نحو: سَمِيعٌ عَلِيمٌ • وَلَا شَرَابًا إِلَّا • وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ •

وتتابُعُهما هكذا ـُـُ ـَـَ ـِـِ مع تشديد التالي يدُلّ على إدغامه، نحو: خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ • غَفُورًا رَّحِيمًا • وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ •

وتتابُعُهما مع عدم التشديد يدُلُّ على الإخفاء، نحو: شِهَابٌ ثَاقِبٌ • سِرَاعًا ذَٰلِكَ • بِأَيْدِى سَفَرَةٍ كِرَامٍ • أو الإدغام الناقص، نحو: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ • رَحِيمٌ وَدُودٌ •

فتركيب الحركتين بمنزلة وضع السكون على الحرف، وتتابعهما بمنزلة تَعرِيته عنه.

والحروفُ الصغيرة تدل على أعيان الحروف المتروكة في المصاحف العُثمانية مع وجوب النطق بها، نحو: ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ • دَاوُۥدَ • يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم • يُحْىِۦ وَيُمِيتُ • أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا • إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ • إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۧنَ • إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ • إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا • كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ • وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ •

وكان علماء الضبط يلحقون هذه الأحرف حمراء بقدر حروفِ الكتابة الأصلية ولكن تعسَّر ذلك في المطابع فاكتُفِيَ بتصغيرها في الإدلالة على المقصود.

وإذا كان الحرفُ المتروكُ له بدلٌ في الكتابة الأصلية عُوِّل في النطق على الحرف الملحَق لا على البدل، نحو: ٱلصَّلَوٰةَ • كَمِشْكَوٰةٍ • ٱلرِّبَوٰا۟ • مَوْلَىٰهُ • ٱلتَّوْرَىٰةَ • ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ • لَقَدْ رَأَىٰ، ونحو: وَٱللَّهُ يَقْبِضُ

وَيَبۡصُۜطُ · وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗ · فإن وضعت السين تحت الصاد دلّ على أنّ النُّطق بالصاد أشهر، نحو: ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ ·

ووضع هذه العلامة (~) فوق الحرف يدل على لزوم مدّه مدًّا زائداً على المدّ الأصليّ الطبيعيّ، نحو: الٓمٓ · ٱلطَّآمَّةُ · قُرُوٓءٖ · سِيٓءَ بِهِمۡ · شُفَعَٰٓؤُاْ · تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ · لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ · بِمَآ أُنزِلَ · على تفصيل يعلم من فنّ التجويد. ولا تستعمل هذه العلامة للدلالة على ألف محذوفة بعد ألف مكتوبة مثل «آمنوا» كما وُضع غلطاً في كثير من المصاحف بل تكتب «ءَامنوا» بهمزة وألف بعدها.

والدائرة المحلاة التي في جوفها رقم تدل بهيئتها على انتهاء الآية وبرقمها على عدد تلك الآية في السورة، نحو: إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ﴿٣﴾، ولا يجوز وضعها قبل الآية البتة[1]. فلذلك لا توجد في أوائل السُّور، وتُوجد دائماً في أواخرها.

وتدل هذه العلامة (۞) على ابتداء رُبُع الحزب. وإذا كان أوّلُ الربع أوّلَ سورة فلا توضع.

ووضعُ خطٍّ أفقيّ فوق كلمة يدل على مُوجب السَّجدة، ووضع هذه العلامة (۩) بعد كلمة، يدل على موضع السجدة، نحو: وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾.

وَوَضعُ النقطة الخالية الوسط المُعَيَّنة الشكل تحت الراء في قوله تعالى: بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا، يدُلُّ على إمالة الفتحة إلى الكسرة، وإمالة الألف إلى الياء. وكان النُّقَّاط يضعونها دائرةً حمراء، فلما تعسَّر ذلك في المطابع عُدِّل إلى الشكل المعيَّن.

ووضع النقطة المذكورة فوق آخر الميم قُبَيْل النون المشدَّدة من قوله تعالى: مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ، يَدُل على الإشمام (وهو ضم الشفتين) كمن يريد النطق بضمة، إشارة إلى أن الحركة المحذوفة ضمة (من غير أن يظهر لذلك أثر في النطق).

ووضع نقطة مدوّرة مسدودة الوسط فوق الهمزة الثانية من قوله تعالى: ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ، يدل على تسهيلها بينَ بينَ، أي: بين الهمزة والألف.

عاشراً: علامات الوقف:

مـ علامة الوقف اللازم، نحو: ۞ إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَۘ وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ.

لا علامة الوقف الممنوع، نحو: ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ.

ج علامة الوقف الجائز جوازاً مستوِيَ الطَّرَفَيْنِ، نحو: نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ.

صلى علامة الوقف الجائز مع كون الوصل أولَى، نحو: وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٧﴾.

---

(1) قوله: «ولا يجوز وضعها قبل الآية»، المراد أن الأحسن عدم فعل ذلك لئلا يُشَوِّش على القارىء الذي اعتاد أن يرى رقم الآية في آخرها، وليس المراد أن تقديم الرقم وجعله في أول الآية حرام، لأن الترقيم ليس أمراً مأثوراً، وإنما فعله المتأخرون تسهيلاً على القارىء، ومثله تقسيم الأجزاء والأحزاب والأرباع. فهي أمور غير توقيفية.

قلى علامة الوقف الجائز مع كون الوقف أولَى، نحو: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ﴾.

∴ ∴ علامة تعانُق الوقف بحيث إذا وُقفَ على أحد الموضعين لا يصح الوقف على الآخر، نحو: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾.

حادي عشر: ترجمات السور:

وأما ترجمات السور فقد رؤي الاكتفاء فيها بذكر أسم السورة، وأنها مكية أو مدنية، وعدد آياتها؛ ورؤي أيضاً حذف الاستثناء مِن المكي والمدني، فلا يقال: مكية إلاَّ آية أو آيات كذا، ومدنية إلاَّ آية أو آيات كذا. وذلك لأن هذا موضع خلاف بين العلماء، وموطنه كتب التفسير وعلوم القرآن.

* * *

هذا: وقد قام بمراجعة هذا المصحف الشريف على أمهات كتب الرسم والضبط والقراءات مراجعةً دقيقةً، وإنجاز ما تمَّ في طبعته الأُولى عام ألف وثلاثمائة وسبعة وثلاثين هجرية، لجنة من القراء والعلماء برئاسة الأُستاذ الشيخ: «محمد بن علي بن خَلَف الحسيني» المعروف بـ «الحداد» المتوفَّى عام ألف وثلاثمائة وسبعة وخمسين هجرية، صاحب المؤلفات الكثيرة في هذا الفنِّ، وشيخ المقارىء المصرية، وهو الذي كتبه بخطه رحمه الله تعالى، وقد أمر بذلك ملك مصر في حينه «فؤاد الأول»، فعرف هذا المصحف بـ «مصحف الملك»، فكان أول مصحف يطبع على نحو متقن روعيت فيه أصول علم الرسم والضبط الموافق للمصحف الإمام الذي أمر بكتبه أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهو المقصود بقولنا: «مصحف بالرسم العثماني»، ــ وهو غير المصحف المعروف بـ «مصحف حافظ عثمان» التركي المتضمن مخالفات كثيرة لأُصول هذا الفن.

ثم راجَعَته وأعادت النظر فيه مرة أخرى لجنة علمية برئاسة الأُستاذ الشيخ: «علي بن محمد بن حسن بن إبراهيم الضَّبَّاع» ــ بالضاد المعجمة والعين المهملة، خلافاً لما ضبطه في «الأعلام» ــ شيخ المقارىء المصرية المتوفَّى عام ألف وثلاثمائة وثمانين هجرية رحمه الله تعالى وذلك تحت إشراف مشيخة الأزهر الجليلة، فصار هذا المصحف الشريف عمدة القراء والحفاظ، فعمّ تداوله وكثرت طبعاته، والحمد لله رب العالمين.

* * *

فهرس السور

* * *

فهرس "قرة العينين" مرتبا على الحروف الهجائية

والحمد لله رب العالمين

أطرافٌ في فضيلة تلاوة القرآن وحملته

من كتاب
(التِّبيان في آداب حملة القرآن)
للإمام النَّووي رحمه الله

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ٣٠ ﴾.

[سورة فاطر: الآيتان ٢٩ و ٣٠]

وعن أمير المؤمنين عثمانَ بن عَفَّانَ رضيَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
«خَيْرُكم مَنْ تَعلَّمَ القرآنَ وَعَلَّمَهُ».

(رواه البخاري وأحمد وغيرهما)

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:
«الذي يقرأ القرآنَ وهو ماهِرٌ به مع السَّفَرَةِ الكرامِ البَرَرَةِ، والذي يقرأ القرآنَ وهو يَتَتَعْتَعُ فيه وهو عليه شاقٌّ له أجران».

(رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما)

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:
«مَثَلُ المؤمِنِ الذي يقرأ القرآنَ مَثَلُ الأُتْرُجَّةِ ريحُها طَيِّبٌ وطعمها طَيِّبٌ، ومَثَلُ المؤمنِ الذي لا يقرأ القرآنَ مَثَلُ التَمْرَةِ لا ريحَ لها وَطَعْمُها حُلْوٌ، ومَثَلُ المنافِقِ الذي يقرأ القرآن مَثَلُ الرَّيحانَةِ ريحها طيبٌ وطعمها مُرٌّ، وَمَثَلُ المنافِقِ الذي لا يقرأ القرآن كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ ليس لها ريحٌ وطعمها مُرٌّ».

(رواه البخاري ومسلم وأحمد وأصحاب السنن الأربعة)

وعن أمير المؤمنين عُمَرَ بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:
«إنَّ الله تعالى يَرْفَعُ بهذا الكلامِ أقواماً ويَضَعُ به آخرين».

(رواه مسلم وابن ماجه)

وعن أبي أُمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:
«اقرؤوا القرآنَ فإنَّه يأتي يومَ القيامة شفيعاً لأصحابه».

(رواه مسلم وأحمد)

وعن عبد الله بن مَسْعُود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
«مَنْ قرأ حرفاً من كتاب الله فله حَسَنَةٌ، والحسنةُ بِعَشْر أمثالها، لا أقولُ الٓمٓ حَرْفٌ، ولكن: ألف حَرْفٌ، ولامٌ حَرْفٌ، وميمٌ حَرْفٌ».

(رواه أحمد والحاكم والترمذي وقال: حسن صحيح)

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:
«إنَّ الذي ليس في جَوْفِهِ شيءٌ من القرآن كالبيت الخَرِبِ».

(رواه الترمذي وقال: حسن صحيح)

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
«إنَّ من إجلالِ الله تعالى إكرامَ ذي الشَّيْبَةِ المسلمِ، وحامِلِ القرآنِ غَيْرِ الغالي فيه والجافي عنه، وإكرامَ ذي السُّلطان المُقْسِطِ».

(حديث حسن، رواه أبو داود)

اللهم اجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه